



بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وتمم بلطفك الى الله الكريم ارغب في ابداع غرائب القرآن وبفضله العظيم أتأهب لابداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الامل والسؤل
وهذا حين افتتح واقول الحمد لله الذي جعلني ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلني ذا نفس ابية وهمة علية لاتكاد تستأنس الا
بذكر ربه اعاف سفساف الامور واخاف الموبقات الموجبات للثبور اميل عن زخرف الدنيا وزبرجها واكف النفس ان تحوم حول مخرجها ومولجها حتى النفس
ما حملها تحمل ان تسلسلت سلت وان قدعتها تقدعت في الاولوية السلف النزر العيون الى الامان الفارغة الفانية والاماني الملهية
المبعدة عن السعادات الباقية تاقت قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمايرهم في بيداء
عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرايرهم في دأماء ديمومية العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت وفنوا بشهوده
وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بقضاء معبوده فحلت لهم الذاتية واتحدت عندهم المخالفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات
ولم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى ولا جرت السنتهم الا بذكر الحق فطوبى لهم وبشرى اسألك اللهم الاقتداء باولئك والتوفيق
لشكر ما اسبغت علي من عطائك وانعمت من نعمائك واعوذ بك ان ازل واضل فيما اتي واذر وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض
الاكبر ثبت اقدام اقلامي على الصدق ولا تقيض ان نطق في بكلام سوى الحق واجعلني بفضلك ممن لا نظر الا اليك ولا رغب الا فيما لديك بوافني
من غير سابقة علم مني ورشتني من غير موجب ذلك عليك فان افتخرت فيما انعمت علي فقد امرت واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما اقترفت
على نفسي فقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فمن لا يوجد في جوده شوب عرض ولا علة شرفني في الآخرة بالعزة
واحرسني في دنياي من الذلة ولا تواخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني بالنسيان الانساني حتى يكون لك الفضل في الآخرة والاولى والثناء في المبدأ
والمحمدة في المعاد اجب دعاء البائس الفقير المستعين واسمع تضرع الذليل المسكين المائل بين يدي مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع
فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة والسلام على عبيدك المخصوصين بتأييدك المنزهين من الادناس الجسمية المطهرين
عن الارجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين الى اعلى مدارج القدس الضاربين في ارتقاء معارج القدس ولا سيما محمد الذي
اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن
نبيا وآدم بين الماء والطين المعفر له جباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت الافلاك صلى الله عليه وعلى آله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح
الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله
واقواله وآخرته يقول من المعلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب الذات والممكن الذات يوجد التفاوت
بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولاسيما اذا وقع في معرض التحدي الذي تظهر البشر هنالك من المتنبي وهذا شأن القرآن العظيم والفرقان
الكريم الذي اخرس شقاشق المناطيق فظلوا بقططهم واقر مصاقع المصاقعة فيما بين اوجههم وخليطهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف على
المعارضة بالحروف والمقابلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة باللهاذم على مبارزة الاقران على الاتيان باقصر سورة من القرآن قال
الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله درج لهم الامر واوقع التحدي على القرآن جملة ثم على عشر سور ثم على سورة
فاضطرهم العجز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل دليل على حقية المنزل والصدق
المنزل عليه كيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخلائق اجمعين قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه
من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء
ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم ولقد اختصم غفير وجم

كثير من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين بالخوض في تيار بحاره والكشف عن استار
اسراره والفحص عن غرايبه والاطلاع على رغايبه نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتساعدت مطامح هماتهم وتباينت مواقع نياتهم وتشعبت مسالك
افهامهم ونفثت مقاطر اقلامهم فمن وجيز وموجز ومطنب وملغز ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني ونعم الملاحظ
فشكر الله تعالى مساعيهم وصان عن ازدراء القادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقتحم في التاويل وهو عندي ركون الى الاضاليل وسكون
على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فلله در الطالبين باخذ العذب الفرات وترك
الملح الاجاج ولفظ الدر الثمين وسقط الحسك والزجاج وفقني الله تعالى لتحصيل العلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله
تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبى وعنفوان
الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في
البيان والله المنان يجازيهم على حسن ظنونهم ويوفقنا من اسعاف سؤلهم وانجاح مضمونهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا
على ما وقع الينا من نقل الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله
تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا فاستعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو بما
يشعر مغرور كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وكيلا فلما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام
الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر
بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابقا لمسماه وفيه من اللطايف والبحوث ما لا يحصى ومن الزوايد
والغثوث ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين حاذيت سياق مرامه واوردت
حاصل كلامه وقربت مسالك اقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشيء من الفوايد واهمال لما يعد من اللطايف والعوايد وضممت اليه ما
وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطايف المهمات ورزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراآت المعتبرات
والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه من المسائل
الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات ومع حل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك
يوردها من ظن ان تصحيح القراآت وغرايب القرآن انما يكون بالامثال والمشهدات كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه ولا علينا ان نقتصر
في غرايب القرآن على تفسيرها بالالفاظ المشهورات فعلى ايراد بعض المجانسات التي يعرف منها اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات
المقنعات والتاويلات الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القرآن
الكريم اولا مع ترجمة على وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات
والاستعارات فان هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات ويزل المترجمون هنالك الى العثرات وقل ما يفطن له الناشئ لو اقف على متن اللغة
العربية فضلا عن الدخيل القاصر في العلوم الادبية واستفرغت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف التمام ليكون الكتاب
كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر سبل السالك وبيد نظام الكلام خير الكلام ما قل
ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمان المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزاين البر والامتنان
وهذا اوان الشروع في تفسير القرآن والمتقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القراءة والقاري وآداب القراءة وجواز اختلاف القراآت
وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المؤمنين كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل
حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم وقد وجبت له النار وعنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن
وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الضارب من اول القرآن الى آخره كلما
حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن
ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله عز
وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي
الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت و
فيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرا وفي الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرانيها رسول الله فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقراها قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرانيها فقال صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونريد ان نفصل ههنا اساميهم واسامي رواتهم ليتعين ما نسب في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق اما القراء السبعة وتتمة نقلهم من الروايات وطرقهم من الثقات **ابو عمرو** زبان بن العلاء البصري قرا على مجاهد بن جبير وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وخمسين ومائة رحمه الله تعالى ورواية ثلثة ابو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر وحفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعرا عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح الموصلي المعروف باوقيه طريق ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابو شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابرهيم بن حماد طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي رحمهم الله تعالى وابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روا عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي حسن بن الحسين الصواف رحمه الله تعالى وعباس الفضل الانصاري روا عنه ابو عمر محمد بن عمر بن رومي طريق ابي اسحق ابرهيم بن كعب الموصلي وطريق شباب بن خليفة وهو الاصح واوقيه طريق بن اسحق ايضا عن اوقيه رحمه الله تعالى **ابن كثير** هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روا عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة عشرين ومائة رحمه الله تعالى ورواية اربعة ابو الحسن احمد بن محمد عبد الله بن القاسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه يروي عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر محمد بن الحسن المعروف بنقاش الموصلي وابو محمد اسحق بن احمد الخزاعي المكي طريق ابن شنبوذ وطريق الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطوابيقي وطريق ابي قاسم السرنديبي وطريق ابي الحسن علي بن ذوابة القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي ابو الحسن احمد بن محمد بن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه يروي عن ابي الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير روا عن القواس قنبل طريق ابي ربيعة طريق ابن مجاهد طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القاسم السرنديبي سمعه ابن صالح عن ابن كثير طريق عبد الله بن سعيد وطريق شعيب بن مرة عبد الله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير روا عن ابن فليح ابو علي الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ رحمهم الله تعالى **نافع** ابن ابي نعيم المدني قرا على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة تسع وستين ومائة ورواية ثلثة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابي الزعرا وابو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي وابو جعفر احمد بن فرح الضرير قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روا عنه ابو علي الحسن بن العباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقري وابو ابرهيم مصعب بن ابرهيم الزهري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هارون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجيري وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق ابي الحسن ابن العباس الرازي وطريق ابي عون القاضي **ورش** اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبد الرحيم الاصبهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي وطريق ابي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسد احمد بن ابرهيم الفقيه وطريق ابي بكر محمد بن محمد بن يزيد التميمي رحمهم الله تعالى **ابن عامر** اليحصبي الشامي قرا على المغيرة بن شهاب المخزومي على عثمان بن عفان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان عشرة ومائة وله راويان روا عنه عن رجاله ابو محمد عبد الله بن احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله المقري وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن الاخرم عن الاخفش عن ابن ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه البخاري عن الحلواني عن هشام طريق ابي الحمد احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني عن هشام الصفار طريق ابي الحسن علي بن حماد الازرق وابو اسحق ابرهيم بن يوسف الى البخاري رحمهم الله تعالى **عاصم** بن بهدلة الاسدي قرا عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة ورواية اربعة ابو عمر وحفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان شريك ابي حنيفة روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسون بن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزار وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبيد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب اليشكري وابو زكريا يحيى بن آدم القرشي طريق ابي حمدون طيب بن اسمعيل وطريق شعيب بن ايوب بن رزيق الصريفيني وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الاعشى وله روايتان روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب ومحمد بن حبيب الشموني حماد بن زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الانصاري رحمه الله تعالى المفضل بن محمد الضبي روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى القطعي رحمهم الله تعالى حمزة بن حبيب الزيات العجلي قرا على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان بن مسعود رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ست وخمسين ومائة ورواية اربعة ابو اسحق ابرهيم بن زربي طريق ابي المستنير رجاء بن عيسى بن رجاء الجوهري عبد الرحمن بن قلوقا طريق المستنير ايضا وابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابو حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابرهيم بن ناظر بن عبد العزيز المقري ويروى نظير بن عبد الله المقري وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روا عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القاسم ابن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن هشام البزاز طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق ابي محمد بن سليمان وطريق ابي واصل وابو عمر الدوري طريق ابي الزعرا رحمهم الله تعالى **الكسائي** قرا على حمزة ابن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلى ابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة تسع وثمانين ومائة رحمه الله تعالى له ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روا عنه ابو الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم المقري طريق ابي الفضل العباس الوليد بن مرداس ابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق ابي احمد بن جبلة ابو المنذر نصير بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بالدنداني طريق ابو علي الحسين بن علي بن حماد الازرق وابو عبد الله محمد بن علي الاصبهاني طريق ابي علي الحسن بن عباس بن الرازي وابو جعفر احمد بن محمد بن رستم الطبري طريق بكار بن احمد المقري وابو جعفر علي بن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور ابو الحارث الليث ابن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي حمدويه بن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن ابي يعقوب السمسار ابو حمدون الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن ابن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم ابو الزعرا طريق ابي بكر مجاهد وابو الحسن علي بن سليم طريق ابي القاسم هبة الله بن جعفر وطريق ابرهيم بن احمد الحبشي وابو جعفر احمد بن فرح الظريف طريق ابو بكر النقاش الموصلي رحمه الله تعالى ذكر الائمة المختارين وتتمة رواتهم **ابو جعفر** يزيد بن القعقاع القاري المدني وقارئ موضع من المدينة ورواية اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن مينا النحوي ابو سلم سليمان بن مسلم الجمار الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران **يعقوب** بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرا على ابي المنذر سلام ابن سليمان الطويل على عاصم وابي عمرو ورواية ثلثة روح ابن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون وخلف بن هشام بن طالب بن غراب البزار طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار فقرا خلف على سليم على حمزة رحمهم الله تعالى **سهل** بن محمد بن عثمان سجستاني طريق ابي علي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق سيح ابن حاتم وقرا سهل على يعقوب بايوب بن المتوكل رحمهم الله تعالى اجمعين وهذا هو المقول عليه من القرآت واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير لا في خلال القراءات والله اعلم بالصواب

المقدمة الثانية في

الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قراها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم فقراها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن استعيذ بالله او نستعيذ مخيرا وقرا سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ومنشا هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فاذا قرات القرآن الآية وفي حم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات الحمد لله حمدا كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس اول ما نزل جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم قال قل يا محمد استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا قرات اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا المراد اذا اردتم القيام

الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تويد ذلك وعن النخعي يروى عن حمزة وابن سيرين ايضا انه رقيها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد يدخل المرء
اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثاني الاكثرون على ان الاستعاذة سنة وتر لان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وزيف لان الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر
الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها لان النبي صلى الله عليه وسلم واظب عليها و
لقوله تعالى فاستعذ ولان الامر فاستعذ للوجوب وانما يجب عند كل قراءة لانه قال فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل و
الحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها في العمر مرة واحدة
وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان الثالث المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر وهو دعاء
الافتتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما تستحب في كل ركعة لما مر ان الحكم يتكرر
بتكرر العلة ولكنها اكتفى في الاولى الرابع اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ
والمستعاذ به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث **البحث الاول** معنى التعوذ الالتجاء والالتصاق يقال اطيب اللحم عوذه
وما التصق منه بالعظم اي التجئ الى رحمة الله او التصق بفضله والباء في بالله للالصاق كان من فر من الشيطان للالتجاء لانه ابتداء بالتبري من
الشيطان والتصق برحمة الله واعانته والاستعاذة لا تتم الا ان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع دينية ودنياوية ودفع المضار
عاجلة واجلة وان الله قادر على تحصيل المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار
وخضوع ويحصل منها في القلب ان يصير العبد بحيث لا يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات يصير لسانه طالبا لذلك فيقول
اعوذ بالله والركن الاعظم في الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله سبحانه وتعالى عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم سؤاله فيقع الاستعاذة
عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلقا والا لجاز ان يبخل بمقصوده وان
يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مراده والا لم يكن صادق الرغبة في الاستعاذة به والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة
العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس ربما بقي في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان
يجيء بعض من حلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تعالى وارشاده لم يخلص سفينة فكره من امواج الضلالة و
ايضا كل واحد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر وكم من مضل مبطل في الدنيا والاخلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب
الارض والسموات ولا ينفع احد الا وسط المطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتح الخيرات وايضا البدن يشبه الجحيم وعليها تسعة عشر من
الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب ومحال التصرف كل منها غير متناهية بحسب
التخصص والعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب يحرمه عن عالم الروحانية الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله
وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات
التي لا نهاية لها وكذلك لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واجد السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية
قال تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولا
جعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب
وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية وللعبادات التي جعلها الله تعالى سببا
وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد حاكم لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه وعلى افعاله
وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس و
والمواجر كما انه اذا جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان
الاشباع والارواء من الله تعالى فان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة الجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول
ما اشرنا اليه ولا ينبئك عن سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من
عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك **البحث الثاني** المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق و
يفتقر الى الاستعاذة به تعالى ولهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم فاعطي السلام والبركات في قوله يا نوح
اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى اني عذت
بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله عدوه واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأت عمران اني اعيذها بك

وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب
الناس ومن شر النفاثات في العقد وكفى شر الوسواس الخناس **البحث الثالث** المستعاذ به وانما هو الله او كلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامات
اما البحث عن اسم الله فسيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح
البشرية تستعيذ وتستعين بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره
الالتفات الى ما سوى الله واما اذا توغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك و
اذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فناء نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك **البحث الرابع** المستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة دفع شره فيقول
اما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد عن السداد والرشاد وقد سمي كل متمرد من انس او دابة شيطانا قال
تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر رضي الله عنه برذونا فطفق يتبختر به فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل
عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه وهذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل سيبويه في موضع آخر النون زائدة و
جعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل الوجود مصالح نفسه سمي شيطانا والرجيم معناه المرجوم
كالقتيل بمعنى المقتول ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى امر الملائكة برمي الشياطين بالشهب الثواقب ثم وصف
بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول
يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خواطر تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك و
لنتكلم في الجن والشياطين فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان نراه كل من كان سليم الحس
لكنا لا نراه وان كان جسما لطيفا لوجب ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الرياح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي
ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جوهرا مجردا وبتقدير ان يكون جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه اسباب
الآفات لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما
كالافلاك الوجه الثاني قالوا ان الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس ولشوهدت منهم العداوة والصداقة وليس كذلك
واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون اليهم ومجال المنع في هذا الوجه لا يخفى لسقوط الاختلاط والعداوة منه
بالنسبة الى كثير قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن الجن من يعمل بين يديه
باذن ربه يا معشر الجن والانس وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على
تقدير ثبوتهم يجوز ان يقال كلما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى
الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء عليهم السلام كما يجب يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما
اخبروا عنه وجود الجن والشياطين فيصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا
انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليها مرتبة الارواح
المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة فطبقة
ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة المسلطة على البحار ثم على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية
المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد يكون مشرفة خيرة من قبيل الملائكة وقد يكون مظلمة شريرة وهم
شياطين الانس والجن ولفظ الجن ماخوذ من الاجتنان عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة الانسان وطوائف
المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل في الذاتيات كما بين الانسان والفرس و
قيل بالعوارض فالجن اخيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لطيفة قادرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد
في كونهم متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الآدمي كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون
ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي
القرآن افتتخذونه وذريته اولياء من دوني واما كيفية الوسوسة فيروى عن علي عليه الصلوة والسلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان
من ابن آدم فاراه ذلك فاذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس فاذا لم يذكره وضع رأسه على حبة قلبه قال صلى الله

عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم
وللملك لمة واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد
الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية فمن الخواطر ما هو اصل السعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة
وسبب اشتباه خطأ الخواطر بصوابها احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها او متابعة الهوى
بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا جاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا وانفق المحققون
على من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى
تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى ذلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان
بينا هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج ليس الا ذلك
التذكر واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي لا يتسلسل هذا التذكر وانما يقدم الشيطان
على ذلك لعدم وقع فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان ذلك معظم
المقاصد ولهذا اختص بالذكر في القرآن العظيم ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية **نكت في الاستعاذة** اعوذ بالله عز وجل
الحلول الى الحق ومن الممكن الى الواجب لان اعوذ اشارة الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات
ومن عرف نفسه بالقصور عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلاف الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان
عرف ربه بالوجوب **الثاني** سر الاستعاذة الالتجاء الى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة
القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فلهذا اختصت الاستعاذة بالقراءة عند القراءة من العدو والعناد يقول اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وبعد الاستقرار في حضرت الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم **الثالث** الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله
واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية من ذكر الله فيقول بسم الله **الرابع** العبد مأمور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر وبمحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حارب العدو الظاهر كان مدده الملك يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين فاذا حارب العدو الباطن كان مدده الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان
العدو الظاهر ان غلب يفني الدين واليقين وكما ماجورين وان غلب العدو الباطن كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو
الباطن كان طريدا ولا خلاص من شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **الخامس** قال تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك
فلم تبخل علي ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني فانزلتك فيها وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انك
انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من تلوث
الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فسمعي حواء ابويك انه لمن الناصحين فدلهما بغرور واقسم فبعزتك لاغوينهم اجمعين فما ظنك
بعاقبة معاملته فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **السابع** انما اختص اسم الله للاستعاذة به من بين سائر الاسماء لان العدو كلما
كان اشد احتيج الى عدة اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم الذي لا يرضى
بشيء من المنكرات من الشيطان الرجيم **الثامن** الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يقدر على ضر ثم مع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبت الشيطان لحظة ولحق اخلاقك
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **التاسع** يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فيتفذ كيده فيك
فتمسك بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **العاشر** الالف واللام في الشيطان للجنس لقصد الاستعاذة
من هذا الجنس مطلقا انسيا او غيره جنيا ولو حمل للعهد جاز فيدخل ذريته فيه تبعا **الحادي عشر** الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد فكما ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف انه لا يجعلك بعيدا حيث جعلك قريبا
الثاني عشر انه شيطان رجيم وانا رحمن رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم **الثالث عشر** الشيطان عدو غالب
انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصدك العدو الغالب فافزع الى الحبيب
الغالب
في مسائل مهمة **المسئلة الاولى** القراآت السبع متواترة لا بمعنى ان سند تواترها اطباق القراء السبعة
عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى كل من المختلف في قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الا من حيث مباشرته لقراءته اكثر من مباشرة
غيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراآت متواترة لانه لو لم يكن كذلك لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل

الكون

الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية لكليهما
متواترا فانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها **الثانية** اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة
بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن لبلغت في الشهرة الى حد التواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة
خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع **الثالثة** السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله صلى الله عليه
وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف لكل آية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء انها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف
ولا تتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جايز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم وذلك ان قريشا تجاور البيت وكانت احياء العرب تأتي اليهم للحج فيسمعون لغاتهم ويختارون من كل لغة احسنها وصفا
كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين
ان ابن مسعود قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب
قريش وقيس وتميم وهذيل واسد وخزاعة وكنانة من مجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة
الالفاظ متفقة المعاني لقوله صلى الله عليه وسلم انه قد وسع الى ان اقرأ كل قوم بلغتهم وقيل معناه في صفات الرب تبارك وتعالى مكان
قوله عزيزا رحيما سميعا بصيرا لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف ما لم تختموا مغفرة بعذاب وعذابا
بمغفرة او جنة نارا او نارا بجنة وقال لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه لو جاء في كلمة اكثر من سبع قراآت جاز ان يقرأ بها
وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمات ربك وكلمة ربك وكالتذكير والتانيث
في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو يعلمون
بالتاء والياء وننشرها بالراء والزاي وكالتفخيم والامالة والقصر والهمز وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها
على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج و
غير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في مخاصمة الصحابة في القراءة يدل على ان الخلاف فيهم كان في اللفظ دون
المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي تخالف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة انحاء ما يزيد ولا ينقص وبجميع ذلك نزل
القرآن **الوجه الاول** ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها ابن مسعود كالصوف المنفوش **الثاني** ابدال حرف
بحرف كالتابوه والتابوت **الثالث** تقديم وتأخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما في الحروف نحو افلم
ييأس الذين آمنوا وافلم يأيس **الرابع** زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه وفلا تك في مرية **الخامس** حركات البناء
تحسين نحو بفتح السين وكسرها **السادس** اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع **السابع** التفخيم والامالة
وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة والتفخيم اعلا واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلف لغات
العرب قد انزل الله باختلافها القرآن متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من يتعذر عليه ترك عادته فخرج الى
نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعاني فان قيل فما قولكم في القراآت التي يختلف بها
المعاني انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون لما انزل الله من الالفاظ التي يختلف الا
معانيها ما يجري اختلافها مجرى التلاف والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها تجيء على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم
الشرعي على التبادل بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين يقتضي فرض الغسل وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه و
سلم فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحافي الرجل وهذا الضرب هو الذي لا يجوز القراءة الا ما تواتر نقله وثبت من الشارع
بيانه وليس يعتقد من زل في مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب ويفزع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير
التبادل لا لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن من الطهر وحتى يطهرن بشدة الطاء من التطهير فان القراءتين ههنا
تقتضيان حكمين مختلفين فيلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر لانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا
يجوز القراءة في امثال هذه الا بالنقل الظاهر ومن زل في مثله الى ما يقتضي امرا قد علم ثبوته ولم يقرأ به لم يكن فيه حرج كقوله تعالى ولا
تقربوا الزنى لو صحفه واحد فيقرأه الربا بالراء والباء من الربوا في المال فانه منهي عنه كالزنى فان كان زلة عن ظاهر التلاوة على سبيل
التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافي فغير موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اسناد الزمان شرط التنافي

عند ورود الناسخ بنية المنسوخ وتبيين ان في علم الله حكم المنسوخ وقوله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن والظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فيقولون في ذلك كما امرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل هو ان يؤمن بظاهره وقوله لكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف هنالك ولا يتجاوز عنه من مأمور او منهي او مباح مصعد ومأتى يؤتى منه ويفهم مقدار من الثواب والعقاب يعاينه في الآخرة كما قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني بما يشرف عليه من امر الله بعد الموت **المقدمة الرابعة** في كيفية جمع القرآن روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر قال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة فاني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له فرأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال فكانت الصحف عند ابي بكر رضي الله عنه حتى مات ثم كانت عند عمر رضي الله عنه حتى مات ثم كانت عند حفصة ثم ان ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الي بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان رضي الله عنه فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق او يخرق قال زيد بن ثابت فرأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون احسن والله عثمان وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله ويوليها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابو بكر رضي الله عنه مخافة ان يضيع منه شيء غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤون بقراءات مختلفة على سبيل ما اقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما نزلت آية الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا فما نزلت سورة الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراء توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم او كتبها ثم خرج سرية فنزلت في وقت مغيبه السور فانه كان اذا رجع يأخذ في حفظ ما نزل بعد رجوعه وكتابته فيتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعار شعرائها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منه بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظرونه فيه فلما ان مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند المهاجرين والانصار اجنادا فنفروا الى اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما مر خيف حينئذ ان يطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف **المقدمة الخامسة** في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر استشار الناس بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى استوجبوا ما يجب عليه فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم الكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ان التورية اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل المنزل على عيسى والزبور المنزل على داود عليهم السلام والقرآن يهمز ولا يهمز فمن همز وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قرآن والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء للحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قريت الماء في الحوض فالقرآن نزل شيئا بعد

شيء فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرآنا لانه جمع السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اي تأليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض ومن لم يهمز القرآن وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما على انه وزن فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن السور والآيات بعضها الى بعض وقيل ان القرآن اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القرآن فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن فانها تهمز ولا تهمز وهذا اكثر وعليه القراءة والسورة لانها جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت في الطول المقدار الذي اراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا يكون السورة الا معروفة المبدأ معلوم المنتهى وقيل اشتقاقه من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي الى الارتفاع الذي يراد فالقرآن ايضا وضع آية الى جمع آية حتى بلغت السورة في عدد الآي المبلغ الذي اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها وصفت بالعلو والرفعة كما ان سور المدينة سميت سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اي شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كما ان سور المدينة محيط بمساكنها وابنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو مثل حملة وحمل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسارة في الاناء سؤرا اي افضلت منه بقية ومنه سؤر الدواب كانها قطعة من القرآن على حدة واما الآية فقد قال جمع من العلماء انها في القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآي على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها وانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتأخرة عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين من قولهم فلان آية من الآيات واختلف في وزنها وقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين واصلها آية فاستثقلوا التشديد فاتبعوا الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل آيية قلبت الياء الفائية كما وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها آيية فاعلة كضاربة وكان القياس الياين الادغام على نحو دابة وخاصة فيكون مستثقلا فحذفوا احدى اليائين واما الكلمة فان تراكيب ك ل م تفيد القوة والشدة وتقاليب هذه الحروف الثلثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقي معتبرة منها ك ل م فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وايضا يؤثر في الذهن بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها ك م ل لان الكامل اقوى من الناقص ومنها ل ك م ومعنى الشدة في اللكم واضح ومنها م ك ل ومنه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا انها تدل على شدة منابعها ومنها ل م ك ملكت العجين اذا ابلغت عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وافعال الله تعالى كلمات لانها انما حدثت بقوله كن ولانه حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القلوب تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن كلمتين بالاسناد ومنه الكلام النفسي اتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون شعر ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ه وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها يحدث عقيب صاحبها قال تعالى فليأتوا بحديث مثله وجمع الكلمة ليست للوحدة كالتينة والتين والرطبة والرطب لان الرطبة واللبن مذكر والكلم مؤنث وتصغيرها رطب رطيب وتصغير كلم كليمات بالرد الى كلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه فسره ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجات واما الحرف وهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ودقته ولذلك قيل حرف الشيء لطرفه لانه آخره والقليل منه والحرف ايضا القراءة بجملتها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة ايضا حرف فهو من الاضداد والحرف ايضا اللغة قال صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف والحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك لان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو ضرب ينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان نفس معناه ومثل الصبوح والغبوق لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناها يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى

قال النابغة

كلم ... في الكلم

وان

مما لا يدل على زمان لان تجرده على الزمان عرض كعرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا لاحد الازمنة تحل بلا دليل ترجحات الاقتران ولو سلم انه يجب الاقتران باحد الازمنة فقط فذلك في اصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازا **المقدمة السادسة** في ذكر السبع الطول والمثاني والمائين والطواسيم والحواميم والمفصل والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطاء جمع طولى كالفضلى والفضل البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لان الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تتلو السبع الطول اولها سورة يونس وآخرها سورة النحل لانها ثنت الطول اي تبعتها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وقد قيل المثاني في هذه الآية آيات الفاتحة لانها تثنى في كل صلوة واما المائون فهي سبع اولها سورة بني اسرائيل وآخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة آية وقيل المائون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع الطول هي المائون الى الحواميم وبعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلتها كذا وان شئت قلت الطواسيم قال الراجز والطواسيم التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طاها والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلتها كذا وان شئت قلت آل حم قال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن آل حم وقال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من اسماء الله تعالى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت الحواميم قال لي يا زر بن حبيش قد بلغت عرائس القرآن فلما بلغت رأس العشرين من حمعسق والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان ادعو بهن عند ختم القرآن واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن لكثرة التفصيل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى لان في فواتحها ما يدل على التسبيح وفي الحديث كان رسول الله لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كالف آية وافضل المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يقرؤن هذه السورة في التهجد ويتعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبريان من النفاق والشرك يقال قشقشه اذا ابراه وتقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرئ واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال المعوذات **المقدمة السابعة** في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الاصل واحدة فاول ذلك بسم الله كتب بحذف الالف التي قبل السين وكتب اقرأ باسم ربك وسبح اسم ربك وبئس الاسم ومنه اسمه بالالف والاصل في ذلك كله واحد وهو ان يكتب بالالف وانما حذفت من بسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ فقط لكثرة استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل امر يبتدا به فامنوا ان يجهل القارئ معناه وكتب فيما موصولا كل القرآن الا في البقرة في ما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها فيما فعلن في انفسهن من معروف وفي الانعام فيما اوحي الي محرما وما فيها ليبلوكم في ما آتيكم وفي الانفال في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي النور فيما افضتم وفي الشعراء في ما ههنا آمنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر في ما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون وفي الواقعة في ما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك موصول وكتب مما موصولا كل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت ايمانكم وفي الروم من ما ملكت ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الحج وان ما تدعون من دونه هو الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لآت وكتب لكيلا مقطوعة كل القرآن الا ثلثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تأسوا وكتب بئس ما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة بئسما يأمركم به ايمانكم وفيها ولبئس ما شروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اين ما مقطوعا في جميع القرآن الا اربعة مواضع في البقرة فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القرآن

الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجا من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي القلم ان لا يدخلنها اليوم واختلف في يوسف ان لا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط النون كل القرآن من غير استثناء مثل الا تفعلوه والا تغفر لي وكتب الم موصولا في كل القرآن الا في الانعام ان لم يكن ربك وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا في كل القرآن الا اربعة مواضع في سورة النساء ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة ام من اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا وفي حم السجدة ام من يأتي آمنا وكتب اما موصولا الا في الرعد وانما نرينك وكتب عما موصولا الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب ان لن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف ان لن نجعل لكم موعدا وفي المزمل ان لن تحصوه وفي القيمة ان لن نجمع عظامه وكتب كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة وفي سبحان كل ما خبت وفي الملك كل ما القي فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القرآن بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم الى آثار رحمت الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك فانها بالتاء وكتب النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة واذكروا نعمت الله عليكم وفي آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابراهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها وان تعدوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمان في البحر بنعمت الله وفي الملائكة اذكروا نعمت وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة مواضع في آل عمران اذ قالت امرأت عمران وفي يوسف امرأت العزيز تراود وفيها امرأت العزيز الآن وفي القصص وقالت امرأت فرعون وفي التحريم امرأت نوح وامرأت لوط وامرأت فرعون وكتب سنة بالهاء كل القرآن الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء كل القرآن الا آل عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب ثمرة بالهاء الا في حم السجدة من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القرآن من ذكر الآية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه آيات فانها بالتاء وكتب فطرت الله ومعصيت وافرايتم اللات ولات حين وذات بهجة وهيهات هيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملا بالالف الا اربعة مواضع في المؤمن فقال فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملؤا اني يا ايها الملؤا افتوني يا ايها الملؤا ايكم يأتيني فانها كتبت بالواو وكتب في البقرة بصط بالصاد وما سواه بالسين وكتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرآنا عربيا بغير الف وسائر القرآن قرآنا بالالف وكتب في الاعراف ويونس بكل سحر عليم بغير الف بعد الحاء وفي الشعراء بكل سحار عليم بالف بعد الحاء وكتب في الذاريات ساحر او مجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي آخر يوسف فنجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك نجي المؤمنين بالياء وبنون واحدة وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الايد بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنيناها بايد فانها كتبت بيائين والاصل كتبه بياء واحدة وكتب الآن بغير الف كل القرآن الا في الجن فمن يستمع الآن فانه بالالف وكتب في حم السجدة سماوات بالالف وما سواه كتبت سموات بغير الف وكتب في اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيئتكم بحرفين بينهما وكتب راء بغير ياء كل القرآن الا في النجم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما رأى وكتب في يونس وما تغني الآيات بالياء على الاصل وفي القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤت الحكمة بالياء وفي النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله

الباطل بغير واو ويمحوا الله ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير يا حيث كان الا قوله اجيبوا داعي الله وكتب ثمود بالالف في
حال النصب وهي اربعة مواضع في هود والفرقان والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما اشبهها
بالياء وفي الروم بهاد بغير يا والاصل فيهما اليا وكتب في الحج ولولوا بالالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام
بالالف مقطوعا وفي طه ابنوم بالواو وموصولا وكتب في الحروف اصحاب الايكة بالالف وفي الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب
في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المومن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل العظيم
وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو وبعدها الف كل القران الا قوله وما اوتيتم
من ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب بالالف ولدى الحناجر باليا وكتب ولا وضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف وفي
مصاحف الشام ولامة مومنة بزيادة الف ايضا وكتب اية المومنون واية الساحر واية الثقلان بغير الف وما سواها يا ايها
يا ايتها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو
يهدي السبيل وهما راس اية وكتب في الانسان قواريرا بالالف قوارير من فضة بغير الف وكتب في الانعام اينكم لتشهدون
وفي الاعراف اينكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت اينكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة اينكم لتكفرون بالتا وما سواها
بغير يا وكتب في الاعراف ان لنا لاجرا بغير يا وفي الشعراء اين لنا لاجرا وكتب في النمل اينا لمخرجون باليا وكذا في الصافات
اينا لتاركوا وما سواهما فهو اانا بغير يا وكتب في الواقعة ايذا باليا وفي ساير القران اذا بغير يا وكتب في هود في اموالنا
ما نشاء بالالف بعد الواو ومثله في الانعام يا تيهم انبوا وفيها انهم فيكم شركوا وفي عسق ام لهم شركوا وفي الروم من
شركايهم شفعوا وفي ابراهيم فقال الضعفوا وفي الشعراء فسوف ياتيهم انبوا وفيها ايضا ان يعلمه علموا وفي فاطر من عباده
العلموا وفي الصافات لهو البلوا وفي حم الاولى وما دعوا الكافرين وفي الدخان ما فيه بلوا وفي الممتحنة انا بروا
وكتب جزوا بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرو هلك ويتفيوا ظلاله ويعبوا بكم واتوكوا عليها ونفوا
تذكر ويدروا عنها ونبوا الذين ونبوا الخصم وينشوا في الحلية ولا تظموا فيها ويبدوا الخلق وما اشبهها بواو والف
ليقووا انها الهمزة المضمومة او على لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها او بالالف وحدها لجازت وكتب في الانعام
من نباء المرسلين بيا بعد الهمزة وكذلك في يونس من تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى وفي طه ومن اناي
الليل وفي عسق او من وراي حجاب وكتب ما في القران من ذوات الواو بالالف مثل دعا وعفا وتلا الا دحيها وتليها وطحيها
وسجي وما زكي وذوات اليا يكتب باليا مثل هدى ورمى وقضى الا احرفا هي ومضا مثل الاولين وجنا الجنتين دان
وطغا الماء واقصا المدينة ولحيا الناس وكل يايين اجتمعتا في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفا كراهة
الجمع بين اليايين الا في قوله يحيي واماتا ولحيي في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة وكمشكوة وبالغدوة بالواو
وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلوتهم وفي قد افلح المومنين
في صلوتهم خاشعون وفي المعارج على صلوتهم دايمون وفيها على صلوتهم يحافظون وفي ارايت عن صلوتهم ساهون وكتب
فاذا لا يوتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليها بالالف وكتب في البقرة
ولاخشوني ولاتم بالياء وفي المايدة واخشون ولا بغير يا وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله بالياء وفي ال عمران
ومن اتبعن وقل بغير يا وكتب في سبحان اخرتن بغير يا وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما نبغي بالياء
وفي الكهف ما كنا نبغ بغير يا وفي هود يوم يات لا تكلم بغير يا وفي النحل يوم ياتي كل نفس باليا وفي الدخان يوم تاتي
السماء باليا وفي الانعام وقد هدان بغير يا ولئن هداني باليا وفي الاعراف ثم كيدون بغير يا وفي هود فكيدوني
جميعا باليا وفي هود فلا تسالن بغير يا وفي الكهف فلا تسالني باليا وفي الكهف ان يهديني ربي وفي القصص ان يهديني
سواء السبيل باليا وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري باليا وفي الزخرف فاتبعون هذا بغير يا وكذلك في المومن وفي
الاعراف فهو المهتدي باليا وفي سبحان والكهف فهو المهتد بغير يا وفي ابراهيم قل يا عبادي الذين امنوا باليا
وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير يا وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزا بغير واو وهزوا وكفوا
بالواو وكتب بين المر وجز مقسوم ويخرج الخب ومل الارض ودف باسقاط الهمزة ومن غرايب الهجا ونوادره ما كتب في القران
وعتو عتوا كبيرا بغير الف وفي سبا والذين سعو بغير الف وفي الحشر والذين تبوو الدار بواوين من غير الف وفي المعصرات

كتب تربا بغير الف وفي القلم بايكم المفتون بيايين وفي ال عمران افاين مات باليا وفي الانبياء افاين مت بغير يا وكتب انا قلتم
ونحو بالالف وكتب فاذ رتم ليس بين الدال والرا ولا بين الرا والتا الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه
وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه فهديهم اقتده ان الهاء فيهما لبيان
الحركة او لغير ذلك وكتب في سورة النساء فمال هولاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي المعارج
فمال الذين كفروا واللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجا المصحف كثير وقد ذكرنا منها ما هو انفع للقاري واكثر
فايدة واما الجزئيات كلها فقد راعيناها الا ما شاء الله في كتابه مطى القران من هذا الكتاب كما بلغنا عما نقدمنا من السلف
الصالحين والعلماء المتقين ورواتهم وجدوها في الامام كذلك وسنراها في مواضعها ان شاء الله وانما كتبت هذه
الحروف بعضها على خلاف بعض وهي في الاصل واحدة لان الكتابة بالوجهين كانت جايزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه
وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على الاصل لا يقاس عليه
غيره من الكلام لان القران يلزمه بكثرة الاستعمال ما يلزم غيره واتباع المصحف في هجايه واجب ومن طعن في شي من هجايه
فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجا يتلى والفايدة للقاري في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقراه هو القران الذي
انزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الايمة ان الواجب على القراء
والعلماء والكتاب ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره فما كتب شيا من ذلك الا لعلة لطيفة
وحكمة بليغة وان قصر عنه راينا الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وبالالف من غير واو لما دل ذلك
الا على وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء
ولا بعدها ليدل على القراءتين والله اعلم **المقدمة الثامنة** في اقسام الوقف الوقف قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا
عما بعدها ولو فرضا وله عند اكثر الايمة خمس مراتب لازم ومطلق وجايز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف
ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمومنين اذ لو وصل بقوله يخادعون الله صارت الجملة
صفة المومنين فانتفاء الخداع عنهم ويقرر الايمان خالصا عن الخداع كما يقول ما هو بمومن مخادع ومراد الله جل
ذكره نفي الايمان واثبات الخداع وفي نظاير ذلك كثيرة يوصلك المرور بها الى العثور عليها والمطلق ما يحسن الابتداء
بما بعده كالاسم المبتدا به نحو الله يجتبي اليه من يشاء وكالفعل المستانف مع السين نحو سيقول السفهاء سيجعل الله
بعد عسر يسرا وبغير السين نحو يعبدونني لا يشركون بي شيا الى غير ذلك من النظاير والجايز ما يجاذب فيه طرفا الوصل
والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو العطف يقتضي الوصل وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير
ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه مثل اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لان الفاء في قوله فلا يخفف لتعقيب
يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستيناف يري للفصل وجها والمرخص ضرورة ما
لا يستغني ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده
جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور
قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما يجوز الوقف عليه ففي مواجبه ومواقعه
كثيرة وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل في جميع القران مع علل ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب
الوقوف الى ثلثة التام والكافي والحسن ولا مشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى وليكن علامة اللازم وعلامة
المطلق والجايز والمجوز والمرخص وما لا وقف عليه فعلامته وعلامة الاية دايرة صغيرة هكذا وانما التزمنا ايراد هذه
الوقوف لدقة مسالكها وبلوغها في الغموض الى حيث قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصناعة
وما نحن فيه بطريق الصناعة وكل منهما تابع لارتباط المعنى وانفصاله عنه بالكل او بالبعض وسيتلى عليك
تفاصيلها وبالله التوفيق **المقدمة التاسعة** في تقسيمات يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر دلالته
على تمام مسماه وعلى جزء مسماه وعلى لازمه الذهني الاول دلالة مطابقة كدلالة البيت على مجموع الحايط والسقف والثاني
دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف وعلى الحايط والثالث دلالة التزام كدلالة السقف على الحايط والدلالة الاولى

وضعية صرفة والباقيتان بمشاركة من الوضع والعقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه
وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على
معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما لشخص انساني وما كان له جزء دال
على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدته ووحدة مدلوله
وتعددهما اربعة اقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثاني مقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث
اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب
من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد
اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما
ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان
يكون لبعضها اولى واول واشد كالموجود الخالق والمخلوق فانه وقوعه على الخالق اول واولى واشد كالابيض على
الثلج والعاج فانه وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكل السامع في انه متواطي نظرا الى اشتراك الكل في اصل
المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطي كالانسان بالنسبة الى افراده فان
كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علما ان استقل في الدلالة بحيث
لا يحتاج الى امر ينضم اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمرا ان احتاج الى احدى
القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين والعلم اما اسم كابرهيم وعيسى وموسى واما ان يكون لقبا
اشتهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية ويختص بما في اوله الاب والام والبنت والابن نحو ابي لهب وام القربى
وابنت عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما للجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه
للحقيقة الذهنية ليس فيها معنى الاستغراق والوحدة الخارجية واذا اطلق على فرد من الافراد الخارجية نحو هذا اسامة
مقبلا فليس ذلك بالوضع بل بالمطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد خارجي مطابقة الكلي الطبيعي لجزئياته فهذه تمام اقسام
القسم الاول وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان اللفظ
حقيقة للمتعدد من مدلولاته بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة
واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان كان العرف الخاص وشرعي ان كان الشرع والا
فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان
بالعكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد ولا يخفى ان القسمين الاولين والقسم
الرابع ثلثتها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ
والمعنى فلانه حينئذ يكون لكل معنى لفظ فيتحد المعنى فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى
واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومأول لان اللفظ بالنسبة الى تلك
المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل وبازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المأول
فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو واقيموا الصلوة فان
الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلوة كما تحتمل ذات الاركان تحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح
والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد يحتمل القدرة والجارحة
لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك
بين المجمل والمؤول ويشملهما المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل
يمتاز بكونه غير مرجوح والمؤول مرجوح والتأويل اشتقاقه من الاول اي رجع وفي الاصطلاح كما تقرر حمل الظاهر على المحتمل
المرجوح فيشمل التأويل الفاسد والتأويل الصحيح فان اريد التأويل الصحيح فقط زيد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي بحسب
ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام
الاربعة كلها فمنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب

فان معنى الاشتقاق ان يجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فيرد احدهما الى الآخر وقد يكون غير مشتق ان
فقد له اصل كالوجود والانسان وغير المشتق صفة ان دل على معنى قايم بالذات كالعلم والكتابة وغير صفة
ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه العلاقة المعتبرة في المجاز انما تقع بحكم الاستقراء على نيف وعشرين وجها
منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق
اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة
المنقوشة ومنها كونه ايلا الى ذلك كالخمر للعصير او كاينا عليه كالعبد على من اعتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب
اذ الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك
اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا ارحامكم ولو
بالسلام اي صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالنداوة استعار البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر
انما الكوز الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في اذانهم اي اناملهم ومنها العكس
نحو كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اطلاق اسم المطلق على المقيد كقوله شعر فيا ليت كل اثنين بينهما هوى
من الناس قبل اليوم يلتقيان • اي قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت ونصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم
عليهم وظاهر انهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء
ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد صلى الله عليه وسلم وانا اول المسلمين لان الانبيا قبله كانوا كذلك
ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسأل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله مصرع انا ابن جلا وطلاع الثنايا
اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها
اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي ديته قال ياكلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة
للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق احد الضدين على الآخر مثل وجزاء سيئة
سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعاء له ومنها اطلاق
المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجي ومنها الحذف نحو يبين الله
لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه
لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد في الجراة فيستدعي مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما
والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خد كالورد او عقليين كالعلم اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا
والآخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام ياقوت
منشرة ملزوزة في قرن الحسيات والوهميات في قولك نطقت الحال بشيء هو لها تشبيه باللسان وانه صورة وهمية محضة
وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا
اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون ذلك
لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل
الكري والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصورا من مجموعها الى هيئة واحدة كقوله شعر كان مثار
النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه • فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه
الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم
والكواكب المشرقة في جوانب منه ويسمى هذا تشبيه المركب بالمركب ومتى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي
وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية وسيجي تفسيرها ثم
ان التشبيه التمثيلي اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير يسمى مثلا كقولك لمن يردد في امر تقدم رجلا وتؤخر
اخرى تريد انك كمن تقدم رجلا وتؤخر اخرى وذلك ان الاستعارة هي ان يذكر احد طرفي التشبيه وتريد به
الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما يقول في الحمام

اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يختص المشبه به وهو اسم جنسه اعني الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعير وهو زيد مثلا في قولك زيد اسد يبرز في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا ثان الغاية وانما اجراهم على الدعوى ما رواه بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم يعقب بصفات او تفريع كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضعي التجريد والترشيح وانما يلحقها التجريد والترشيح اذا عقبت بذلك فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له سميت مجردة نحو ساورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة واذا عقبت بصفات ملائمة للمستعار منه سميت مرشحة نحو ساورت اسدا وافي البراثن حصورا وقد بقي من الاصطلاحات قولهم هذا عام او خاص او مطلق او مقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب وكذلك المعنى الكلي كالانسان لشموله الجزئيات التي تحته وقولنا على مسميات ليخرج المثنى وليدخل المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار امر اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات هي احادها لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيها بل باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية او عقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد وضربة احتراز من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل ذكر من بني آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا تاملت فهذا حد العام والخاص بخلافه وهو ما دل على مسميات الى اخره فمن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضاف نحو عبيدي حر واسم الجنس المضاف والمعرف تعريف الجنس مثل غلامي والغلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في الدار احد والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وكضماير الجمع ولا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما الى النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص احد اربعة اشياء الاول الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه ولا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاء الرجم لا وجود الزنى والثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يختص بالمنفصل وذلك اما العقل كقوله تعالى خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء خصصه الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويوصيكم الله في اولادكم خصصه قوله صلى الله عليه وسلم القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد منها وذلك اما في معرض الامر نحو اعتق رقبة او مصدر الامر كقوله تعالى فتحرير رقبة او الاخبار عن المستقبل مثل ساعتق رقبة ولا يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت رجلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع في جنسه فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على شايع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا ويطلق المقيد على ما اخرج من شياع بوجه بان يذكر

الدال على الماهية بوصف زايد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه مقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد المتصل استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا وسنة تقسيم آخر التركيب المفيد اعني الكلام قسمان احدهما الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت او كذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب ويقال الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال العقل تواطئهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر الواحد والثاني ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي في مطلوبه ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء ومتى امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك تقسيم آخر الحكم خطاب الله او من اذن الله تعلق بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة او سببا كالزنا لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان او الحكم بهما فامر عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات اما كون الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء واما موافقة امر الشرع كالمتكلمين ولا شك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرايطها حكم العقل بصحتها بكل من التفسيرين سواء حكم الشارع بها اولا والصحة في المعاملات ايضا حكم عقلي لانها فيها كون الشيء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب والشرايط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وقس البطلان والفساد على ما قلنا وكل حكم ثبت على خلاف الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك المقصود من ايرادها لان معانيا في كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ومندرج فيهما المنسوخ والناسخ باعتبار لان النسخ بيان انتهاء امد الحكم الشرعي ومنها عام وخاص ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومأول ومنها حقيقة ومجاز ومنها تشبيه وتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامهما ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها في علم التفسير امر مهم والله اعلم **المقدمة العاشرة** في ان كلام الله تعالى قديم اولا ذكر قوم من ائمة الاسلام ان كلامه تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما ان كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا هذه الحروف واما انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وايضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام المؤلف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبداهة وكيف لا وانها اصوات تحدث عن القاري شيئا بعد شيء فلو قلنا انها عين كلام الله لزمنا القول بان الصفة الواحدة بعينها قايمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشيء وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فللقرآن وجود عيني وهو القايم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص ووجود ذهني كما لحافظ القرآن ووجود في العبارة وهو على لسان القاري ووجود كتابي

وهو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القرآن من حيثيات هذه الوجودات حادثة بل القرآن انما يطلق على المحفوظ والمتلو
والمكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على كل منطوق فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف
وانما يقدر عليه ذو جارحة بل لعل ذلك في الشاهد فقط فالكلام للقديم كما للقديم نطق وسمع وبصر بلا آلة ولا جارحة كما انه ذو زلل
وعلم من غير ما قوى وعضو من لم يدركه كما ينبغي لم يدرك ادراكه كما ينبغي فلا تلومن الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وكلمه عدل
نوره ظهور ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المقدمة
الحادية عشر في كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم فههنا مباحث لفظية ومباحث معنوية اما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم
الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية
فمنها ما يتعلق بالمعاني ومنها ما يتعلق بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه
ومنها ما يتعلق بالفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكما مر واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله
معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق
الكبير قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هي مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب ال ش ط ن او ش ي ط و من
تراكيب ر ج م واذا كانت مستعملة فاصل المعنى في كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبرنا الاشتقاق
الصغير فهل للعوذ معنى آخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما اي شيء فيحصل مسائل واما الصرف فكان يقول اعوذ فعل مضارع
متكلم واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله اصله الاله كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول
نقلت الكسرة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وادغمت في الثانية وقالوا يا الله في النداء خاصة
بالقطع لانها كالعوض من المحذوفة فكانك قلت يا آله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشد والحلقة من ابي رباح يسمعها
لاهه الكبار ولو عد هذه المسئلة من اللغة جاز لانه غير قياسي والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول وكلاهما
للمبالغة فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان
الرجيم نحو مررت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان يعرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل
اما البديع فان يقول انما اختير الرجيم دون اللعين او المرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى وهو الرحيم اذا ابتدأ القارئ بعد
الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القرآن ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى وليكون تجنيسا خطيا وصيغا
واما المعاني فان يقول انما اختير المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والدوام اي شاني اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم
يقل انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد على تجدد هذا القول في كل لحظة ثابت مستمر لا عوذي مستمر
وانما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال في بسم الله ابتدأ لان الاستعاذة ههنا اتم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن
الغير والتبري عن سوى الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد في القرآن فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم
والمقام مقام احضاره في ذهن السامع بعينه ليكون ادل على انقطاع عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسي ليدل على هذه
الحقيقة التي هي مادة كل شر فيشمل كل فرد منها حاضر او وجود الحقيقة في اي فرد يفرض ولو ازيد بالعهد ايضا جاز كما مر ولو نكر فان
قلت من شيطان رجيم ليفيد العموم وان قلت من كل شيطان لاطلت والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد وذم
ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير واما البيان فان معنى اعوذ معناه التصوق ولا ريب ان الالتصاق
بالله محال الا ان ذلك من شأن الاجسام والمراد التصوق برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوي وفي نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز
بعد على ما لا يخفى ولو ازيد بالشيطان شيطان الانس ايضا وثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان الجن فقط كان استعارة فاذا قلنا
الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة التصور واما من جهة التصديق
اما الاول فهو كيفية اقتناص التصورات الواقعة في التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم
الرجيم وان كلا منها كيف يعرف بالحد والرسم فان عرف بالحد فكيف يتركب جنسه وفصله فان عرف بالرسم فكيف يتركب لوازمه و
انه عرفه الجنس والفصل اللوازم انفسها لكل منها من الامور العامة واما الثاني فان قولنا اعوذ لفظ خبر ومعناه ومادعاه اي
الكلام اعتذاره اما انشاء نحو بعت واشهد واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على

كذا و

بعد

احدهما واستعمال الخبر في معنى الطلب من مسائل علم المعاني ايضا واما ما يتعلق باصول الدين فان يعلم ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار
عليم الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور
الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته نحو ما سبق في المقدمة الثانية واما ما يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب
والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فبتكرر بتكرر القراءة ام لا فانها تقتضي الدوام ويحمل التراخي واما ما يتعلق بالفقه فانها تستحب
في الصلوة ام لا وان استحبت فتجوز في المكتوبة ام لا وان جازت ففي كل ركعة ام في الاولى وحدها وليسر بها ام يجهر واما من كل كلام يراد تفسيره
من غير ان يتخطى في شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كان يقول في قراءة الاستعاذة القراءة المشهورة سبع هي كذا وكذا ورواة كل قراءة منهم وما
منشأ كل قراءة وفي اللغة ان واضعها من هو وكيف نشأة اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفي الصرف انه معرفة احوال الكلم التي
ليست باعرابية ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناه وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث
الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفي النحو ان التركيب يشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف ومبني وما سبب
الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هي وكل منها ما يختص باي شيء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه وكم يختص
بكل صنف ما يختص واصناف الفعل كم هي واصناف الحرف كم هي ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكت
مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها في تفسير كلام
واحد وانه محال شنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم مما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد
الفاسدة والمذاهب الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها او فسرها بما هو مباين عنه كانواع الامامات واصناف المخالفات حتى يبلغ
تكثير المسائل لم يخل عن التعسف والاعتساف ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وراد عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو
اورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على سبيل التصدير من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلايلها الكلية الا نادرا اجمالا
لا يتجاوز حد الضرورة ومقدار الواجب كما اشرنا اليه في المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي
وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد رأينا الاليق بها ايرادها في مواضعها اذا افضت
النوبة اليها فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان وهو اعلم

سورة فاتحة الكتاب مكية ويقال مدنية سبع آيات لان المكي والكوفي عد التسمية آية دون انعمت
عليهم ومذهب المدني والبصري والشامي بالعكس وكلماتها خمس وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل
حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل فيه هدى او من مخرج واحد ولثات طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان
الحرف مدغما ساكنا مثل ابتغت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى الادغام
الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو اتم الكم ومس سقر او منقوصا مثل وما كنت ترجوا وكنت ترابا ويعني بالمنقوص الاجوف المحذوف
العين او مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد يزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار و
بعد توكيدها او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو وافات تهتدي تسمع وعن يعقوب ادغام الجنسين في كل القرآن اذا التقيا من كلمتين

الصراط باشمام الزاي ههنا وفي جميع القرآن حمزة وعن يعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن الباقون بالصاد عليهم
واليهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب بضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير ورش مخير وورش بضم الميم عند الف القطع فقط
نحو انذرتهم ام الوقوف العالمين ۚ لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم ۚ كذلك الدين ط للعدول عن الغيبة الى المخاطبة نستعين ط
لابتداء الدعاء المستقيم ۚ لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم ۚ لاتصال البدل بالصفة الضالين معنى التفسير وفضله روى عن جندب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل و
المسموع وترك الاستنباط او المراد به امرا آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا
القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء
رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن
ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة
فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون
له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما
يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر
التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع للفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود
الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة مبصرة فلم تكن عمياء ولا
يدري بماذا ظلموا انهم ظلموا غيرهم او انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية و
القواعد الاصلية والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة ان لا يؤول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل الاعيان
التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحوض والقصور والانهار والاشجار
والثمار وغيرها ولكن يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف له فلا
بأس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في
عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار
وكذلك سائر تقاليبه ومن ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والفسر لانه يكشف به عن وجوه الحوائج ومنه السفر لانه يكشف
عن حال المسافر والرهن لانه يكشف عن عضوه اي انكشاف حال المقيد في شعائه واعم من التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف
او النحو والمعاني او البيان وغير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في آخر المقدمة العاشرة ومنه اسباب النزول او ذكر القصص والاخبار
وغير ذلك ونحن على ان نورد بعد القرآن مع الترجمة القراءة ثم الوقوف ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم يذكره
في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان التفسير فنقول في البسملة مسائل الجار والمجرور لا بد له من متعلق
وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما ان قدر الفعل وعلى التقدير فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدا بسم الله
او بسم الله ابدا او بسم الله ابتدائي او الابتداء وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله بسم الله يكون مضمرا ما جعل
التسمية مبدأ له فيكون المراد انشاء ذلك الفعل لما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ او اتلو وابدا لان الذي يتلو التسمية مقروء
ومبدو به كما ان الحال اذا حل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل واذبح وكذلك الذابح ونظيره في حذف متعلق الجار قوله
في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين بالوفاق اعرست وتقدير المحذوف متأخرا او لا على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها اولى لان تقديم ذكر
الله تعالى ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رأيت شيئا الا ورأيت الله تعالى قبله
ولانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك
بتقديمه وتأخير الفعل كما في اياك نعبد يصرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص قال في الكشاف وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لان تقديم الفعل
هناك اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم وقال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يجوز ان باسم

ربك متعلقا باقرأ الثانية وذكر في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان احدهما تعلق الكتابة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجيء معتدا به
شرعا الا بعد تصديره بذكر الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت
اي متبركا باسم الله اقرأ كما في قوله بالرفاء والبنين اي اعرست ملتبسا بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل في العربية فلانه لا يعرفه الا من
له دربة بفنون الاستعمالات خلاف الاول فانه مبتذل واما كونه احسن فلان جعل اسم الله كالآلة خروج عن الادب لان الآلة من حيث انها آلة
غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اتم شيء واقدم واعلم ان قوله فانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه و
كذا الحمد لله رب العالمين الى آخره الثاني انه استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه
وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه اكثر فيكون
ادخل في الثواب كما جاء في التورية احب ربك بكل قلبك واما الثاني فلان النقل من الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود
بعد الانحدار وانما لم يعدوا اللام الغليظة حرفا والرقيقة حرفا آخر كما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا آخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال
الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاضطراب استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يعق عائق الكسرة وعدم اضطراب الطاء
مكان كل دال الثالث طولوا الباء من بسم الله اما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما ان ارادوا ان لا يستفتح كتاب الله الا بحرف معظم وكان
يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة
فلما اتصل بكتبه لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شانه الرابع ابقاء لام التعريف
في الخط على اصله في لفظ الله كما في سائر الاسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة عند الكتابة
ولانه يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الا له وهو ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ الف ولامان
وهاء فالهمزة من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذا حال العبد يبتدأ من النكرة والجهالة ويرتقي قليلا في مقامات
العبودية حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في
بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع الى البداية ۞ واما حذف الالف قبل النون في لفظ الرحمن فلخفايته في الخط ولو كتب حسن الاسم احد العشرة
التي بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين في الاصل سمو بدليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على سميت ونحوه واشتقاقه
من السمو والعلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعلومية
فهو عال عليه حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما حولوا الساكن للاعراب اسكن المتحرك للاعتدال
واحتيج الى همزة الوصل اذا كان دابهم ان يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يرد الهمزة
وابقى السين بحاله فيقول سم قال الشاعر باسم الذي في كل سورة سمه قد وردة تمامه على طريق تعلمه وقد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده
سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة المعرفة ورد بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما و
جمعه اوساما وقال بعض المتكلمين ومنهم الاشعري ان الاسم عين المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما
كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها ولان الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء
المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين او بالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم اسما للمسمى وتسميته له من باب الاضافة كالمالكية و
المملوكية والمضافان متغايران لا محالة ولا ينكر ذلك بكون الشخص عالما بنفسه لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف
من عراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا كواجب الوجود لذاته ولانه لا يلزم من التلفظ بالعسل وجود الحلاوة باللسان ومن التلفظ بالنار وجود
الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك تسبح اسم ربك والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى عن النقائص
يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وايضا قد يراد بلفظ الاسم مجازا كقوله شعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما قال اذا قال الرجل زينب طالق و
كان لمزوجة مسماة بزينب طلقت شرعا فالمراد الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة
المسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة
عن ذلك المعين فافترقا السابع وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء
سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من الاشياء في زمان معين فكان الاسم
مفردا والفعل مركبا والمفرد سابق على المركب طبعا سابقا عليه وضعا وايضا الفعل يفتقر الى الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا الاسم
مستغن في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر ان اسماء الماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء المشتقات لان الاولى مفردة والثانية

مركبة ويشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات بانفسها لانها لا تعرف الذوات الا بتوسط الصفات القائمة والمعرف معلوم قبل المعرف فيناسب السبق في الذكر **الثامن** اقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة اولها الاسم الواقع على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشي بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشي انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك خامسها بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية مع صفة اضافية كالعالم والقادر عندنا القايل بان العلم صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شي وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية مع صفة اضافية وصفة سلبية فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او لمخلوقاته **التاسع** هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان ذاته حقيقته لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك واقول لا رسان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شي محيط فلا يدركه من هو ما دونه كما ينبغي الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشي الذي يدرك منه هذه الآثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك ذاته على ما هو عليه وله ان يضع لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غيره حقيقة واذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك الاسم الاعظم اعظم الاسماء وذلك الذكر اشرف الاذكار لان شرف العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلو اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام ولهذا ورد الحديث الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من يقول انه الحي القيوم بقوله عليه السلام لابي بن كعب ما اعظم آية في كتاب الله هذا فقال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر ورد بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي وهو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه وتعالى واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الآية والحديث اصل والصفات مرتبة عليه هذا و

واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى بري عن شائبة التركيب بوجه من الوجوه واما الاسم الدال بحسب اسم صفة حقيقية فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود ولكيفيات الوجود وهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشي ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الاكثرين كقوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شي هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيئا غيره ولان الشي عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شي فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه ومثله وهو على كل شي قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خبر من لا شي وان كان من ساير الاشياء شركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم والشي الحقيقة وباقي الاشياء شبيهها مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه اذ يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحب الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال عليه السلام انت كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص قال عليه السلام لا شخص اغير من الله ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها

النور قال تعالى الله نور السموات والارض وليس المراد به ما يشبه كيفية المبصرة وانما المراد انه الظاهر بنفسه المظهر لغيره اذ لا ظهور ولا اظهار فوق ظهوره واظهاره فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف يأتيك تمام التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور والله اعلم بحقايق الامور ومنها الصورة وقد ورد في الخبر ان الله خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة وقيل في حديث لكن لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه على صفة في كونه خليفة في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس وكانا قد كتبنا في هذه رسالة ومنها الجوهر فانه لا يطلق عليه بمعنى موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ويستغني المحل عنه لان ذلك يشعر عن كون وجوده زائدا على ماهيته وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شي في شي اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه ومنها الجسم ولا يطلق عليه الا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به ولزم منه الامتناع ومنها الماهية والآنية التي هي حقيقته التي يسأل عنها بما هي وثبوت الدلالة عليه بلفظة ان ولا باس باطلاقهما عليه اذا اريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق انه احق الاشياء بهذا الاسم اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقابل الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد شعر الا كل شي ما خلا الله باطل واما بحسب ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق وهذا الخبر احق واصدق واما بحسب ما يقال لهذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقاد القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يراد به الازلي ويراد بهما ما لا اول له في الطرف الماضي كالابدي في المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد التوالي والتعاقب زيد الميم للمبالغة ويعني بالنسبة في هذه الالفاظ انه تعالى منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد والمستمر ويعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال الله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو ممتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل حدا اي انه جاء بنفسه ومنها الكاين قال الله تعالى وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا كاينا قبل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظة كان تفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشي في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفيته نحو ان الاول يسمى باسناده الى ذلك الشي وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود ولكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل هذه الصفات بذاته تعالى اشد انكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي ومع انه صفة للغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة موجودة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فتكون ذاته بدون تلك الصفة كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم يكن كافية لزم النقص المنافي لوجود الوجوب حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم انا ندرك تفرقة بين قولنا ذات الله ذات وبين قوله ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وبين هذه الصفات واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة فان لم يقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بان يقال انها صفة باعتبارها يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشي بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة على النحو الافضل ولهذا مدح الله تعالى به نفسه قائلا الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين فانه عند المعتزلة والاشعرية نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب ويلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت

حادثة افتقرت الى تكوين آخر تسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية
موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير المعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه معلوما
مذكورا مستحقا لحمد ما مقال بانها المسبح بكل لسان وبانها الممدوح عند كل انسان وبانها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا
النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله تعالى بحسب هذا النوع من الصفات غير متناه ومنها الفاظ متقاربة تدل على
مجرد كونه موجدا مثل الموجد ومعناه المؤثر في الوجود والمحدث وهو اخص لان الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشى
ومعناه بمعنى التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الايجاد الدفعي وكذا الفاطر ومثل الصانع ويفهم منه تكلف واما الخالق فهو التقدير
وانه في حق الله يرجع الى العلم واما البارئ فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق من مصلحة يقال برا القلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين ومنها
الفاظ تدل على ايجاد شيء بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية ومنها ما يدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا اخلق المنافع سمي
نافعا واذا اخلق الالم يسمى ضارا واذا اخلق الحيوة سمي محييا واذا اخلق الموت سمي مميتا واذا خصهم بالاكرام سمي برا لطيفا واذا اخصهم
بالقهر سمي قهارا جبارا واذا اقل المعطي سمي قابضا واذا اكثر سمي باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمي منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمي
عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء سمي قابضا باسطا واذا حصلا في الجاه والحشمة سمي حافظا رافعا واما الصفات
السلبية فمنها ما تعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شيء غيره في ذاته وفي
صفاته ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما تعود الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله تعالى عنها
وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفي النوم لا تأخذه سنة ولا نوم وكنفي النسيان وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم بغيره لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة ككونه منزها
في افعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى الآلات وتقديم المادة والمدة انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانه لا ينتهي قدرته ان يشا يذهبكم ايها الناس ويأت بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى الصفات الوحدة كنفي الانداد والاضداد ليس كمثله شيء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او
الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما لاعبين لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذي من غير سابقة جرم ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصي العاصين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساءتم فلها فاذا
جاء ليس لاحد ان يعترض عليه في افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه
سالم من نقائص الامكان ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير ولا يغلبه شيء والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة و
الصبور الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه اما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر
والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي ذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشيء من علمه عالم الغيب
والشهادة وهو بكل شيء عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم والله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعلم
آدم الاسماء كلها ولم يرد علام وان كان يفيد المبالغة لان ذلك ينافي بل اضر او بجماعة والخبير بمعنى العليم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه شاهدا
لها واذا اخذ من الشهادة كان من صفة الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انه اذا ادرك حقايق الاشياء كما هي ونبا بانه بانه يتصف صدور الاشياء
عنه كما ينبغي اللطيف قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه الذي ينفي تصرفه في جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى
الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر ان يكلمه الله واذ قال ربك ما يبدل القول لدي ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يامركم وعد
الله حقا فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون و
بالاسحار هم يستغفرون هذا نوع الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضي الله عنهم اي اراد بهم الانعام يحبهم ويحبونه
والله يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك عن ارادة عدم الفعل المعتزلة صفة اخرى غير الارادات ومنها ما
يرجع الى السمع والبصر فيحكما السميع وانه هو السميع البصير لا تدركه الابصار واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه
مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثاني لا يسبق عليه غيره كالآخر وانه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذي يفتقر
اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اي ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب الماهية واما الاسم الدال على
مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالآله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ في الاسلام على غير الله واما الله فبيان انه

اسم علم وقد بقي هيهنا منها اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه ككونه متحيزا او حالا في المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون موجودا خاليا عن
كلام الموضعين وهو عند اهل التقديس محال للزوم والافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم
والكبير وهما استفاريان لقوله تعالى في موضع وهو العلي العظيم وفي آخر وهو العلي الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري والرداء ارفع من الازار وهو ايضا اختص بتحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق الكبر والعظم على الله بحسب
الجثة والمقدار كما للاجسام محال للزوم التبعيض والتجزي ومنها العلي المتعال فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله تعالى فاما ان يراد
بمثل هذه الالفاظ معنى الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعي ونكل معانيها الى الله تعالى واما ان
يستمد في ادراكها بضرب من الكشف والعيان ي في الاسماء المضمرة قال عز من قائل انني انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره هذا الذكر
الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال شعر انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء
ارادته في ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو وانما
يصح هذا من الخاشعين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غايب بالنسبة الى ما فوق تلك
الدرجة ورب غايب حاضر كما قيل شعر ايا غايبا حاضرا في الفواد سلام على الغايب الحاضر وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها
ان العبد اذا قال يا هو فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم
فلهذا ينادي نداء الغايبين ويقول يا هو ومنها انه اذا قيل يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله
هو صالحا لهما جميعا فلا يتعين المنادى ومنها اذا قال يا رحمن كانه يذكر رحمته او يطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما
اذا قال يا هو فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول لاجل حضرتك انما دحك واثنى عليك
بسلب نقايص المخلوقات عنك وبصفات الجلال نحو لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل ولا بانساد كمالات الممكنات اليك وبصفات
الاكرام ككونه مربيا للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهو يتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر المنادي يبسط عرض
لا طريق الى تصور الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به ما ذكر الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا
الذكر بهذا الاسرار ذكر الغزالي رحمه الله لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شيء هالك
وقوله الا هو معناه الا وجهه ومن جملة الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا ازلي يا ابدي يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت
ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى والثاني فناء في الله والثالث فناء عما سوى الذات
باب في بقية مباحث الاسماء اختلفوا في ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا فمال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه
عالما ولا نصفه بكونه طبيبا فقيها ومتيقنا فلولا ان اسماءه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز القائلون بعدم
التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن مع ان المسلمين اجمعوا على جواز
اطلاقها والجواب ان عدم التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها فكل
اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز لكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك والغزالي فرق
بين اسم الذات وبين اسماء الصفات فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه ورد في القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة
في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ بهم وهو مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر
ومكروا ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنها التعجب بل عجبت ويسخرون فيمن قرا بضم التاء والتعجب حالة للقلب تعرض عند
الجهل بسبب الشيء ومنها المتكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب وللوجه عند فعل شيء قبيح والقانون
في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحد من هذه الاحوال امور توجد معها في البداية وآثار يصدر منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل
في القلب عند غليان دم وسخونة مزاجه والاثر الحاصل منها في النهاية ايصال الضرر الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول
على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكاين في البداية وقس على هذا قيل ان لله تعالى اربعة آلاف اسم الف منها في القرآن والاخبار والف في التورية
والف في الانجيل والف في الزبور وقد يقال الف آخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى
بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر فكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي والسفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء
الله اكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسماء وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات والاحجار خرجت الاسماء عن
حيز العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزايم اذكارا غير معلومة وفي غير مفهومة

متغايران

والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات

وقد تكون كتابتها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقوات لاشك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لم تفد وان دلت فاحسن
احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب فيه ان الاذكار المعلومة ادخل في التأثير من قراءة تلك المجهولات الا ان اكثر
الناس اذا قرءوا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس وتلوح عليهم اثار الالهيات لم يكد يظهر عليهم
شروق انوارها ولهذا ورد رب تال القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرءوا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها
شيئا وحصلت عندهم اوهام انها كلمات عالية استولى عليهم الفزع والاوهام على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد من
الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتأثر نفوسهم وتؤثر وهذا وجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء
الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجبلة على الضم فكل اسم يغلب معناه على النفوس اذا واظب صاحبه على ذلك
كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكى ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يامر المريد عشرة او مرتين بعد ما يرى مصلحته فيه ثم يقرأ عليه اسماء
التسعة والتسعين فكان ينظر الى وجهه فان رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك
ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تأثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ان ابواب المكاشفات تنفتح عليك
من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعف النفس بحيث لا يستولي على الانسان
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فان كلا ميسر لما خلق له فهذا تمام
البحث عن مطلق الاسماء يب في الابحاث المختصة باسم الله المختار عند الخليل ومتابعيه وعند اكثر الاصوليين والفقهاء ان هذا اللفظ
غير مشتق البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه عن وقوع الشركة فيه وحينئذ لا يكون
قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد المحض ولا يدخل الكافر بقوله اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما قال اشهد ان لا اله الا الرحمن
او الا الملك لا يدخل بذلك في الاسلام بالاتفاق وايضا الترتيب العقلي ذكر الذات ثم يعقبه الصفات نحو زيد الفقيه الاصولي
النحوي ثم انا نقول الله الرحمن العالم القادر ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم علم وقراءة من قرأ الى صراط العزيز الحميد الله الذي
له ما في السموات وما في الارض بخفض اسم الله ليست لاجل انه جعله وصفا وانما هو البيان نحو انه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل
الكامل زيد وايضا قال الله تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك
الا الله حجة القائلين باشتقاقه قوله عز من قائل وهو الله في السموات وفي الارض فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم
في البلد قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك مجازا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له في البلد قالوا لما كان الاشتراك ممتنعا في حقه تعالى كان اسم
العلم له ممتنعا وايضا العلم للتمييز ولا اشتراك فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعيين الذات المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة
الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكان النزاع بين الفريقين لفظا لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان الاله مشتق من اله بالفتح
الاهة اي عبد عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب
ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة مختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره وينبغي ان يجعل المراد من كون الله تعالى معبودا كونه مستحقا لها لا ان يعبده كل ما سواه كما يليق بحال العابد فان
اللائق بحال المعبود لا يقدر عليه احد من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاشتباه حاصل له ازلا وابدا فيكون الها ازلا و
ابدا وان كل من سواه عابد له بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى ان النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى لذاته لا لغرض رغبة في
ثوابه ورهبة من عقابه حتى لو فرض حصول المرغوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي ان يقطع النظر عن عبادته ايضا وقيل اشتقاقه من اله
الى فلان اي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه والعقول لا تقف الا لديه لان الكمال محبوب بذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب
وقيل من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل
من لاه ان ارتفع لانه تعالى من مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا تحير فيه لان العقل وقف بين اقدام على
اثبات ذاته نظرا الى وجود مصنوعاته وبين تكذيب لنفسه لغاية عن ضبط وهمه وحسه فلم يبق الا ان تقر بالوجود والكمال مع
الاعتراف بالعجز عن ادراك الكنه الجلال والجمال فهنا العجز عن درك الادراك ادراك وقيل من لاه يلوه اذا احتجب لانه سبحانه
محتجب عن العقول فانا انما نستدل على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما شروقا وافولا ولو كانت الشمس
ثابتة في كبد السماء لما حصل الطمأنينة بكون الشعاع مستفادا منها ولما كان ذات الله تعالى باقيا على حاله وكذا الممكنات التابعة له فرب

من تقع

مايخطر

ما يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلا جرم لا حجاب بنوع الا كمال الظهور فالحق محتجب والخلق محجوب وقيل
من اله الفصيل اذا اولع بامه لان العباد تتضرع به في البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شان الناقصين واما الكاملون
فهو جليسهم وانيسهم ابدا شكا بعض المريد كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصارا عشرا وبوابا عشرا فقيل وكيف وما
رأيناك قال القلب كالحديد اليته بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوضار والاوزار عشرا ثم وقفت على باب القلب
عشرا اسل سيف لا اله الا الله فلم اترك حتى يخرج منه حب غير الله فلما خلت عرصة القلب عن غيره وقوت فيه محبته سقطت من بحر
عالم الجلال قطرة من النور فغرق به القلب ففني في تلك القطرة وفني عن الكل ولم يبق فيه الا محض لا اله الا الله وقيل من اله الرجل باله اذا
فزع من امر نزل به فالهه اي اجاره والمجير للخلائق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطايف اسم الله انك اذا تلفظت بالهمزة بقي لله
لله جنود السموات والارض وان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على صورة له ما في السموات وما في الارض وان تركت اللام الباقية بقي
ايضا بقي الهاء المضمومة من هو قل هو الله احد والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع بما ام هذا بحسب اللفظ واما بحسب المعنى فاذا دعوت
الله به فانك دعوته بجميع الصفات بخلاف سائر الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به والله تعالى اعلم ج فيما يتعلق بالرحمن الرحيم فعلان
من رحم والرحيم فعيل منه واشتقاقه من الرحمة وهو ترك عقوبة من يستحقها وارادة الخير لاهله واصله الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها
وانعطافها على ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة فمن شرط في منع صرف فعلان صفة
وجود فعلى صرف ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا سقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه وهو ان الاصل في الاسماء الصرف ولمنع الصرف
وجه وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم قوم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتاكيد والاتساع كقولهم
جاد مجد قال طرفة شعر متى ادن منه ينأ عني ويبعد وقوم الرحمان اشد مبالغة استدلالا بان الزيادة في اللفظ على الزيادة في المعنى قالوا ولهذا جاء
رحمن الدنيا والآخرة رحيم وربما يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر وفي الآخرة اختصت بالمؤمنين
فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم بالعكس اما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله لانه من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق و
اما عمومه فمن حيث انه يشتمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوصه
فرجوعه الى اللطف بالمؤمنين والتوفيق قال الضحاك الرحمن باهل السماء حيث اسكنهم السماء وطوقهم الطاعات واطلق السنتهم بانواع التسبيحات
وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطاعم واللذات والرحيم باهل الارض حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب قال عكرمة الرحمن برحمة
واحدة والرحيم بمائة رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة وانه انزل منها رحمة واحدة الى الارض قسمها بين خلقه فبها يتعاطفون
وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة قال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي اذا لم
يسئل غضب قال صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء وهي ما اعطى وحبا والرحيم بالآلاء وهي ما صرف و
زوى الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخال الجنان ادخلوها بسلام آمنين الرحمن الرحيم
القادر على كشف الضر وتسمية مسيلمة الكذاب بالرحمن تعنت منهم وانقطاع من اسماء الله تعالى واعطاء ولذلك قرنه الله تعالى بالرحيم
لان هذا المجموع لم يسم به غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم والعادة التدريج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن لما دل على عظائم
النعم واصولها اردفه بالرحيم كالتتمة تنبيها على ما دق منها ولطف واعلم ان الاشياء التي انعم الله تعالى بها على الخلق اربعة اقسام الاول
ما يكون نافعا وضروريا معا وذلك بالدنيا النفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الآخرة معرفة الله تعالى فانها اذا زالت عن القلب
لحظة مات القلب واستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا وكسائر العلوم والمعارف في الآخرة الثالث
ان يكون ضروريا لا نافعا كالآفات والعلل ولا نظير لهذا القسم في الآخرة الرابع ان لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر في الدنيا والعذاب
في الآخرة وبالجملة فكل نعمة دنيوية او اخروية فانما تصل الى العبد او يندفع عنه برحمة الله وفضله من غير شائبة غرض ولا
ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا عذابه يد في نكت شريفة الاول كل
العلوم تندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلومه في الفاتحة وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله
وذلك ان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذا الباء للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية الطلب واقصى
الامد وقيل انما وقع ابتداء كلام الله بالباء دون الالف لان الالف تطاول وارتفع والباء انكسر وتسافل فمن تواضع لله رفعه
الله الثاني مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه فشكى الى الله فدله على عشب في المفازة فاكله فعوفي ثم عاوده ذلك المرض
في وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال يا رب اكلته اولا فشفيت به واكلته ثانية فضرني فقال لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى

العرف

كالتنفس

ت علوم القرآنية

الكلام فحصل فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت منك الى الكلام فازداد المرض انا علمنا ان الدنيا كلها سم وترياقها اسمي الثالثة بات رابعة
ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها واخذ شيئا بها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب وفعل
ذلك ثلاث مرات فنودي من زاوية البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان يقظان الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما فحضر
في غنمه الذئب ولا يضر اغنامه فمر عليه رجل وناداه متى اصطلح الغنم والذئب فقال حين اصطلح الراعي مع الله الخامسة روي ان فرعون قبل ان ادعى
الالهية قصد وامر ان يكتب بسم الله على باب الخارج فلما ادعى الالهية وارسل الله اليه موسى ودعاه ولم ير اثر الرشد وقال الهي كم
ادعو ولا ارى به خيرا فقال الله تعالى يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت نظر كفره وانا انظر ما كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على
باب الخارج صار امنا على الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول عمره الى اخره كيف يكون حاله السادسة سمى نفسه
رحمانا رحيما فكيف لا يرحم روي ان سائلا وقف على باب رفيع فسال شيئا فاعطي قليلا فجاء بفاس واخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل هذا فقال
اما تجعل الباب لايقا بالعطية او العطية لايقا بالباب الهي كما انت في اول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين من فضلك السابعة
اذا اشترى العبد شيئا من الدواب والمتاع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول عبدي عدوك الشيطان
فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل ذكر الله قرينك حتى لا يبعد عنه في احوالك روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتما الى ابي بكر رض وقال اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش فقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد
رسول الله فكتبها النقاش ذلك فاتى ابو بكر رض بذلك الخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر
الصديق فقال يا ابا بكر ما هذه الزوايد فقال يا رسول الله ما رضيت ان افرق اسمك واسم الله فما رضي الله ان يفرق اسمي عن اسمك
التاسعة ان نوحا لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها فنجى بنصف هذه الكلمة فما ظنك بمن واظب على الكلمة طول عمره
العاشرة الناس ثلثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال انا الله للسابقين الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطا
الرحمن المجاوز عن زلات الاولياء الرحيم الساتر لعيوب الاغنياء يعلم منك ما لو علمه ابواك لفارقاك ولو علمته المرأة لجفتك ولو علمت
الامة لقدمتك على الفرار ولو علم الجار لسعى في تخريب دارك الله يوجب ولايته الله ولي الذين امنوا الرحمن يستدعي محبته ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يقتضي رحمته وكان بالمومنين رحيما هو رحيم بهم في ستة مواضع في
القبر وظلماته وفي القيمة وحسراته وقراءة الكتب وفزعاته والصراط ومخافاته والنار ودركاته والجنة ودرجاته الحادية عشر مر
عيسى عليه السلام على مقبرة فرأى يعذبون ملائكة العذاب ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور
فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت وربت ولده حتى
كبر وسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان اعذبه بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي
على ظهر الارض الثانية عشر كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال اقول يوم القيمة
الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشر بسم الله الرحمن الرحيم تسعة
عشر حرفا والزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الاحرف التسعة عشر الرابعة عشر اليوم بليلة اربع وعشرون
ساعة فرض خمس صلوات في خمس ساعات فهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك التسعة العشر
الخامسة عشر لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند
الذبح بسم الله والله اكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفق الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبعة عشر مرة في الصلوة المفروضة
دل ذلك على انه ما خلقك للقتل والعذاب وانما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشر قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا
من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين وعن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت هذه الاية على آدم عليه السلام قال
امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه بردا وسلاما
ثم رفعت بعده فانزلت على سليمان فعند ذلك قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم تاتي امتي يوم
القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان رجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال يا ابا هريرة فاذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ فاذا غشيت اهلك
فقل بسم الله فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الوقعة ولد كتب له من الحسنات بعدد نفس

ذلك الولد وبعدد نفس اعقابه ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله تكتب
لك الحسنات بكل خطوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله تكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني آدم اذا نزعوا ثيابهم ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم
حجابا بينك وبين الزبانية في العقبى شعر كانت لنفسي اهواء مفرقة ... فاستجمعت اذ رآك النفس اهوائي ... فصار يحسدني من كنت احسده
وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ... تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي هذا تمام الكلام في تفسير
البسملة اما تفسير الفاتحة ففيه ايضا مسائل في اسماء هذه السورة كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى اولها فاتحة الكتاب
سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة ولان فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن وقيل لانها اول
سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لان اولها الحمد الثالث ام الكتاب وام القرآن لانها اصل القرآن واصل الكتاب منزلة لاشتمالها
على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر والنبوات او لان فيها حاصل جميع الكتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال
بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وفناء العبودية او لانها
افضل سورة في القرآن كما ان مكة ام القرى لانها اشرف البلدان واصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكان الحمى ام ملدم لانها
معظم الاوجاع والملدم الضرب الرابع السبع المثاني لانها تثنى في كل صلوة او لان نصفها ثناء العبد للرب ونصفها الاخر عطاء الرب
للعبد او لانها استثناه لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انزلت في التورية والانجيل ولا في الزبور مثل هذه
السورة وانها السبع المثاني والقرآن العظيم او لانها انزلت مرتين او لانها اثنيت ومدح الله تعالى الخامس الوافية لانها يجب قراءة
كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال صلى الله عليه وسلم ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء
والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل سم الثامن الاساس لانها اول سور القرآن فهي كالاساس ولانها تشتمل على
اساس العبادات والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القرآن واساس القرآن الفاتحة الكتاب بسم
الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال صلى الله عليه وسلم
حكاية عن الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو باب تسمية الشيء بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة
الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها آداب السوال فبدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء ا
سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال اكثر العلماء انها
مكية وخطؤا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل من القرآن
وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا اختلاف وفيها قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني ولا يسعنا القول بان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقال انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى
وعلى هذا فانها ثبتت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور لا
تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهي جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا
معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهي لظى كلا انها لظى والفاء وهو الفرق يوم تقوم الساعة
يتفرقون فلما اسقط الله هذه الحروف الدالة على العذاب وهو بعدد ابواب جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
غلب على الظن بان من قرأ الفاتحة نجي من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركاتها ب في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره
اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله نعدل الى الرفع للدلالة
على ثبات المعنى واستقراره نحو قالوا سلاما قال سلام قوم وكان هذا تحية ابراهيم صلوات الرحمن عليه احسن من تحيتهم واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله النصب ان قوله اياك نعبد بيان لحمدهم وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد في الاصل
توافق الجملتين واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق
لحمد ابوينا لا يدخل فيه وايضا نحمد الله لا يفهم منه الا حقيقة الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا
وبعضهم بضم اللام الرب المالك ربه يربه فهو رب او مصدر وصف به للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز
اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير نحمد والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل
من الملائكة والثقلين قال ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض لقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين

نعى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشتمل على جنس مما سمي به وبالواو والنون تغليبا لمن فيه
من صفات العقلاء مالك يوم الدين صفة اخرى واليوم هو المدة من طلوع جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها
الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد في الآية الوقت لعدم الشمس ثمه والدين الجزاء بالخير والشر
كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول به مثل يا سارق الليل اهل الدار وانما افادة التعريف
حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه اما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك
العبد فيكون من تمام المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وحينئذ لا يعمل فيكون الاضافة حقيقية وقرئ بنصب الكاف ورفعها
منونا وبسكون اللام مخفف ملك بكسر اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك رفعا ونصبا وجرا اياك ضمير منصوب منفصل ولا محل
للكاف والخطاب نحو ارايتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب شاذ والاصل نعبدك
ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء قال طفيل شعر فاياك والامر الذي ان توسعت ∴ موارده ضاقت عليك مصادره ∴ فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب
قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص
مواقعه بفوائد وينتظم للتخصيص في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية
الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام او بالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار
في قوله واختار موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من مالك الى مالك والهدي الذي يساق الى
الحرم اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوا كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر
والصراط الجادة واصله السين يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التاكيد كقولك
هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانه ثنيت ذكره مجملا اولا
ومفصلا ثانيا وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين
كلا تعريف كقوله شعر ولقد امر على اللئيم يسبني ∴ او لان المغضوب عليهم ولا الضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة
غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من بعيد ولا نعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها بالنصب على المفعولية
والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت في
دقه وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب في
اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخلق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر
غاب عن الحق قال تعالى ائذا ضللنا في الارض وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر ويقول انا زيد غير ضارب
كما يقول انا زيد لا ضارب وبعضهم ما قرا ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرا عمرو بن عبيد ولا جأن وامين ممدودا ومقصورا معناه استجب كما
ان رويد بمعنى امهل وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه افعل ج في المباحث الفقهية البحث الاول اجمع الاكثرون و
منهم الشافعي على ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة فان ترك منها حرفا وهو يحسنها لم تصح صلوته وعن ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا
انه صلى الله عليه وسلم واظب طول عمره في الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه وايضا اقيموا الصلوة التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم
لكنه كان يقرا الفاتحة فيها فيجب وايضا روي في ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب
فهي خداج وروى رفاعة بن مالك ان رجلا دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلوة يا رسول الله فقال صلى
الله عليه وسلم اذا توجهت الى القبلة للصلوة فكبر واقرا بفاتحة الكتاب وظاهر الامر للوجوب ولا سيما في معرض التعليم وايضا الخلفاء
الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وايضا المواظبة على قراءة الفاتحة
يوجب هجران سائر السور وذلك غير جائز ان لم تكن واجبة فثبت انها واجبة حجة ابي حنيفة فاقرءوا ما تيسر من القرآن قلنا الفاتحة من
المتيسر من القرآن المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال اذا قرا آية واحدة كفت مثل الحمد وحم والطور مدهامتان ابو يوسف ومحمد لا بد من
قراءة ثلث آيات او آية واحدة طويلة مثل آية الدين البحث الثاني قراء المدينة غير قالون والبصرة والشام وفقهاؤها على ان البسملة ليست
بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولا يجهر بذلك عندهم في الصلوة وقراء
مكة والكوفة غير حمزة وفقهاؤهما على انها آية من كل سورة وعليه الشافعي واصحابه لما روي عن ام سلمة انها قالت قرا رسول الله صلى الله

عليه وسلم فاتحة فعد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين
آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وعن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك بآية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلوة
قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى
الصلوة فقال اقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه اذا كان افتتح السورة في الصلوة يقرا بسم الله
الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن
عباس فاين السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فاذا قال
الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي
واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل الى غير ذلك من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف
السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يكتبوا آمين وايضا قال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم آية في القرآن
قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انها ليست آية تامة في قوله انه من سليمان وانه بسم الله
الرحمن الرحيم فتكون آية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عليه السلام عند ركوب
السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان عليه السلام الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل
فتح الكتاب قراءة التسمية فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا اولئك
الذين هدى الله فبهديهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر
قال نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن فوجب ان يعتقد كونه
من القرآن مثل فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين حجة المخالف خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الخ فلم يذكر التسمية ولو كانت آية من
الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايات فالترجيح للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية آية حتى يحصل
للرب ثلث آيات ونصف وللعبد ثلث ونصف من اياك نستعين الى آخر السورة اما اذا قلنا التسمية آية صار القسم الاول اربع آيات ونصف
فيحرم التنصيف قلنا نحن نعد التسمية آية ولا نعد انعمت عليهم وهذا اولى رعاية لتشابه المقاطع ولا غير صفة او بدل وينفصل الكلام بجعله منقطعا
عما قبله لان طلب الاهتداء بصراط المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط ان يكون المنعم عليه غير مغضوب عليه ولا ضال بدليل قوله تعالى الم تر الى
الذين بدلوا نعمة الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل
النظام قالوا روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله قلنا قال الشافعي لعل عائشة جعلت
الحمد لله اسما لهذه السورة كما يقال قرا فلان الحمد لله الذي خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في الرحمن الرحيم قلنا
التكرار للتاكيد غير عزيز في القرآن فان قيل ان عد التسمية آية من كل سورة على ما يروى عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية
من كتاب الله فما وجه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك انها ثلثون آية وفي الكوثر انها ثلث آيات مع ان العدد
حاصل بدون التسمية قلنا اما ان تعد التسمية مع ما بعدها آية وذلك غير بعيد الا يرى ان قوله تعالى الحمد لله رب العالمين آية تامة
وقوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض آية واما ان يراد ما هو خاصة الكوثر ثلث آيات فان التسمية كالشيء المشترك فيه
من السور البحث الثالث عن احمد بن حنبل ان التسمية آية من الفاتحة ويسر بها في كل ركعة ابو حنيفة ليست بآية ويسر بها مالك لا ينبغي
ان يقراها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعي آية ويجهر بها لانه بعد ما ثبت كونها من الفاتحة او القرآن لا يعقل فرق بينها وبين باقي
الفاتحة او القرآن لا يعقل فرق بينها وبين باقي الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بذلك وايضا انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان
يكون اعلانه مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وايضا الاخفاء والستر مما يليق بما فيه نقيصة و
مثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله تعالى وكان علي بن ابي طالب يقول
عليه السلام يا من ذكره شرف الذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت منه ذلك تواترا ومن اقتدى به

لن يصلي قال عليه السلام الهمداد رالحق معه حيث دار وروى البيهقي في السنن الكبير عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر في الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى عن عمر رض وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك وروى عن الشافعي ان معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معاوية سرقت من الصلوة مع التسمية بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معاوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالبسملة كان مقررا عند كل الصحابة لم يجترؤا على ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد وفي رواية ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية لم يجهر احد منهم ببسم الله الرحمن الرحيم وعن عبد الله بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام قد صليت خلف ابي بكر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض بما يروى عنه ايضا ابو قلابة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله ويروى ايضا انه سئل عن الجهر والاسرار ببسم الله فقال لا ادري هذه المسئلة واذا اضطرب الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلايل وايضا ففيها تهمة اخرى وهو ان عليا كرم الله وجهه كان يبالغ في الجهر بالبسملة فلما كان زمن بني امية بالغوا بالمنع من الجهر سعيا في ابطال آثار علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فلعل انسا خاف منهم ولهذا اضطربت اقواله وايضا من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم اولي الارحام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا اعلى حالا من انس وابن المغفل واقرب موقفا وانه صلى الله عليه وسلم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعها ورواية المثبت اولى من النافي والدلائل العقلية معاونة ويؤيدها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كان

التسمية في الوضوء تقديم التسمية على الوضوء سنة عند عامة العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم تصح صلوته لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما امرك الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب والحائض لا يقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي الى الصيد وعند ارسال الكلب سنة فلو تركها عامدا او ناسيا لم تحرم الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم تحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب ان لا يشرع في عمل الا ان يقول بسم الله فاذا نام قال بسم الله واذا انتبه قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا اكل او شرب قال بسم الله او اعطى او اخذ قال بسم الله ويستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا آخر احواله من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله

ترجمة القرآن يكفي في الصلوة قال الشافعي ترجمة القرآن لا تكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القرآن ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر لنا انه صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز عاقل بان الترجمة اي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطاء في القرآن ان يقرأ مكان العليم الحكيم بل ان يضع آية الرحمة مكان آية العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل

قراءة الفاتحة واجبة على الامام والمأموم وقال الشافعي في القول الجديد تجب قراءة الفاتحة على المقتدي سواء اسر الامام في القراءة او جهر بها وفي القديم يجب اذا اسر الامام ولا يجب اذا جهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشتمل المفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده عن عبادة ابن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اريكم تقرؤن خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن وايضا قراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوز ويبطلها عدم القراءة عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا واخبار ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول انما القرآن مخصوص بغير الفاتحة للمأموم واما الاخبار فهب انها صحيحة الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه احوط

الفاتحة واجبة في كل ركعة او في الصلوة مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأوها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة اصلا وقيل يجب في ركعة واحدة فقط وبه يحصل الامتثال لقوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة تجب القراءة في الركعتين الاوليين لقول عائشة رض فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزايد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره في الاخريين وعند مالك تجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنين وفي الرباعية في ثلاث

ترك القراءة في الصلوة ولما ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا باس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة وايضا لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة

في ترتيب الفاتحة يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب

فيما يختص بتفسير الحمد ان لم يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم من ذكر من الاذكار ثم عليه وقفة بقدرها فان تعلم قراءتها ما لم يفرغ منه

من الفوايد الفرق بين الحمد والمدح ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان تكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن بان هذا النقل عنه كذب والاجماع المتواتر كيف يليق بحاله

فيما يختص بتفسير الحمد من الفوايد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوت الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب على وجوه المداحين والحمد مأمور به مطلقا قال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من انواع الفضايل باختيار وبغير اختيار والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة من الفضايل معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد ان يكون على جهة التفضيل لا على التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال **شعر**
افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا
والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعير يؤكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مر ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما اعطى من جزيل النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمد فاذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله تعالى وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي واللام الجار وذلك بسبب كثرة ابلائه وانواع الائه على عبيده واماته ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمد شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمة على جميع الخلايق كان اكمل فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاد يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وامنه من فوات الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيلا او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا يستحق الحمد الا الله الثالث انما لم يقل احمدوا الله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف بما لا يستطيعه وذلك ان نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه

ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوى نعمة الله فقد اشرك وهذا المعنى قول الواسطى الشكر شرك له اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سوا
قدر الحلق على الاتيان به اولم يقدروا ونقل ان داود عليه السلم قال يا رب كيف اشكرك وشكرى لك لا يتم الا بانعامك على وهو توفيقى لذلك الشكر
فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكرى فقد شكرتنى بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد فيقول
الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدى اعطيته ما لا يقدر له فاعطانى ما لا قيمة له ومعناه انما انعم الله على العبد شىء واحد فاذا قال
الحمد لله فمعناه المحامد التى اتى بها الاولون والاخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى وكذا المحامد التى سيذكرونها الى وقت قوله دعويهم فيها
سبحانك اللهم كع والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهى من غير المتناهى يبقى غير المتناهى فالذى
بقى للعبد طاعات غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا استحق العبد الثواب الابدى والخير السرمدى الخامسة
لا شك ان الوجود خير من العدم وان وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل ما سواه فاذا قال
العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق وعلى كل محدث احدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسى وجنى وانسى وذات وصفة
وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا اشهد انها باسرها لك لا شركة لاحد فيها معك السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقال
سبحان الله والحمد لله فما السبب فى وقوع الابتداء بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل فى التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرأ فى ذاته و
صفاته عن النقايص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات
والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا كان غنيا فى ذاته والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره
فثبت ان يكون كونه محسنا لا يتم الا بعد ما يكون منزها عن النقايص والافات السابعة الحمد له تعلق بالماضى وهو وقوعه شكرا عن النعم السابقة
وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول تغلق عنك ابواب النيران وبالثانى تفتح لك ابواب الجنان
فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان تذكرها فى موضعها ليحصل المقصود قال السرى منذ
ثلثين سنة استغفر الله لقولى مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق فى بغداد واحترقت الدكاكين الناس فاخبرنى واحد ان دكانى لم يحترق
فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروة ان لا افرح بذلك فانا فى الاستغفار منه ثلثين سنة فالحمد لله على نعم الدين افضل من الحمد على نعم
الدنيا والحمد على اعمال القلوب افضل من الحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث هى عطية المنعم اولى من الحمد على اعمال الجوارح
والحمد على النعم من حيث هى عطية المنعم ولحمد الحمد عليها من حيث هى نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد فى موضعه
اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة ادم عطس فقال الحمد لله رب العالمين وآخر دعوى اهل الجنة ان الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية
وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك وآخرها مقرونا بكلمة الحمد العاشرة لا يحسن عندنا ان نقدر قولوا الحمد لله لان
الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر العلائى ينبغى ان يفعل ثم ان الولد
ان كان بارا يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه اقل فكذا اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان ذنبه اقل بخلاف ما لو
قدر قولوا الحمد لله الحادية عشر شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجرى مجراهم بانكم تثبتون فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على
شرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الاختيار باختيار العبد لكن الاختيار ايضا
مستند الى الله فاستحق الحمد لذلك وشنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذى
لا قبح فى فعله ولا جور فى قضيته وعندكم لا قبيح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبت ان لو امكن تصور
الفعل المخصوص فى القابل المخصوص احسن واتم مما صدر لكنه محال فانه حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى
المحل المخصوص الثانية عشر اختلفوا فى ان شكر النعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من تمسك عقلا من جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على
ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وما يضاعفه بقوله رب العالمين فترتب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا
بذلك الوصف فدل ذلك على استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجى الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد من عباده قبل
الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات فى انها يوفى بها الا ان الله تعالى يستكمل بها ولا انه تعالى يجازى بها ولكنها
لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان والله حسبى فى فوايد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه فقط
واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم كما مر وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو
الجسم والا فالجوهر الفرد والجسم اما علوى او سفلى والعلوى كالسموات ويندرج فيه العرش والكرسى والسدرة المنتهى واللوح
والقلم والجنة والكواكب والسفلى اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه

من القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافى والنار واما مركب فهو المعادن والنبات
والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثانى الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث الارواح فهى اما سفلية خيرة كالجن واما شريرة كالشياطين
واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال صلى الله عليه وسلم ما فى السموات موضع شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد او غير
متعلقة وهى الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب فى الوجود وفى البقاء ايضا
فهو اله العالمين من حيث اخرجها من العدم الى الوجود ورب العالمين من حيث انه يبقيها حال استمرارها فكل من كان اكثر احاطة باحوال
الموجودات او تفاصيلها كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربى قسمان احدهما ان يربى ليربح عليهم والثانى ان
يربى ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او تعصب او غير ذلك والثانى دأب الحق سبحانه كما قال
خلقتكم لتربحوا على لا لاربح عليكم وكيف لا يجوز عليه وانه متعال على الاستكمال منزه عن ان يحدث فى خزائنه بسبب التربية والافادة
والافاضة اختلال ان الله يحب الملحين فى الدعاء يزيد فى الخلق ما يشاء يكفى علمه عن المقال ويغنى كرمه عن السؤال وسع كل شىء رحمة وعلما وربى
كل شىء كرما وحلما ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى
طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم و
لانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا
وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ان يوم
الفصل كان ميقاتا الثالثة لما كان لفظة الله احسن الاسماء وعقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فايض عن
تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثانى على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه من يلبك كان لغير عبد سوا
وهو الله الواحد الاحد الصمد وانت تتخذهم كان لك اربابا غيره فما انصفك ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت
لعبادة الرب فلا يهدم حقيقتك بمعصية الرب الادمى بنيان الرب السادسة فى فوايد قوله الرحمن الرحيم الاول الرحمن بما لا يتصور
صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الى نطفة قذرة فاسلمها اليك الصورة الحسنة انا الرحيم
لانك تسلم الى الطاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى انك فقال جل اسمه يسير فقال الطلب المهم
اليسير من الجليل اليسير فكان الله يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت منى ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب منى
الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب منى شراك نعلك وملح قدرك الثالث الوالد اذا اهمل حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو فى الحقيقة
عذاب من لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان وعكسه حال من يقطع يده لاكلة فيها او يضرب لتعليم حرفة والتاديب لخصلة شريفة فكل
ما فى العالم من محنة وبلية فهى فى الحقيقة رحمة ونعمة وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة
موسى مع الخضر عليهما السلم كما يجى فى موضعها يؤيد ما ذكرنا والحكيم المحقق هو الذى يبنى الامور على الحقايق لا على الظواهر فان ترك
الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة اعطى مريم عليها السلم رحمة ولنجعله آية للناس ورحمة منا فصارت سببا لنجاتها من
توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو به من النار الخامسة وصف النبى صلى الله عليه
وسلم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر رباعيته قال اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وانه يوم القيامة يقول امتى امتى فلما وصف
نفسه بكونه رحمانا رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفى لاصلاح الموجودات فذرنى وعبيدى فانى انا الرحمن
الرحيم رحمتى غير متناهية والمتناهى لا يدرك غير المتناهى فسنغرق معصيتهم فى بحار رحمتى ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة
حكى عن ابراهيم بن ادهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل فى بعض التلال
فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين والقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذى النون انه قال انى كنت فى البيت اذ وقعت
فى قلبى داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرايت عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النيل
فقفز عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الآخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو
فتبعته فرايت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى يقصده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل العقرب الى الافعى فلدغها وماتا
معا وفى ادعية العرب يا رازق النعاب فى عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيضة يكون كانه قطعة لحم فيهجره لنفرته
عنه حتى اذا خرج ريشه عاد اليه فيبعث اليه فى تلك المدة ذبابا يغتذى به ويروى ان فتى قرب وفاته واغتنم الناس عن

شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلى الله عليه
وسلم اما كان يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال هل عق والدته فقالوا نعم فقال هاتوا امه فاتى بعجوز عوراء فقال النبي صلى
الله عليه وسلم هلا عفوت عنه قالت لا اعفوا لانه لطمني ففقأ عيني فقال صلى الله عليه وسلم هاتوا بالحطب والنار قالت وما
تصنع بالنار فقال صلى الله عليه وسلم احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار رضعته
سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحيمة فقط فلم تجوز الاحراق فالرحمن
الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على الرحمن الرحيم سبعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة انزل منها واحدة بين
الانس والجن والطير والبهايم والهوام يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ولعل هذا على سبيل
التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية ز في فوايد قوله مالك يوم الدين الاولى من قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء
والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم روي انه يجاء يوم القيمة برجل وينظر في احوال نفسه فلا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان
ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت يقول الله الست لما كنت نايما تنقلب من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك
النوم في الحال فنسيت اما انا فلا تاخذني سنة ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته بسيئاته فيخف حسناته فتاتيه
بطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلما يثقل مع ذكر الله غيره واعلم ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين
واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا
من لا درهم له ولا متاع قال المفلس من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ما يقضي عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثانية من قرا مالك
احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زايدا فيكون ثوابه اكثر الثاني اي في يوم القيمة ملوك ولا مالك الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف
والملكية ليست كذلك الرابع العبد اسوء حالا من الرعية فيكون القهر في المالكية اكثر منه في الملكية الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم
عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه ولا يستقل في امر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء ولا الامامة و
الشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرا ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون
الا اعلاهم شانا وايضا قل اعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرا فيه غير ملك فتعين وايضا الملك اقصر ومالك يلزم منه تطويل الامل فانه يمكن ان
يدركه الموت قبل تمام اللفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس صوم غد بخلاف
ما لو نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك ارجح من قراءة الملك لان اقصى ما يرجى
من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا براس والمالك يطلب منه العبد الكسوة والطعام والتربية والانعام باعباء
كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك والمالك تطمع فيه الملك
لا يختار من العسكر الا كل قوي سوي ويرد من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة
والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك
الملوك قل اللهم مالك الملك ثم وفي الاخرة لمن الملك اليوم ثم ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا افلت خزائنهم
ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اكثر ملكا فان اعطاك عشرة اولاد زاد في ملكه عشرة اعبد من لوازم ملكه كمال
الرحمة فلهذا قرنه بقوله ملك يوم الدين قوله رب العالمين الرحمن الرحيم وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس
من اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فلنحيينه حيوة طيبة ثم فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه
انه مالك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا خصلة للملك اعم نفعا واتم وقعا من ان يكون عادلا ومن ههنا يظهر البركة في العالم او يرتفع ان كان السلطان عادلا او جايرا يحكى ان انوشيروان
خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى عليه العطش فراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال للصبي فيه اعطني رمانة فعصرها

واخرج منها ماء كثيرا فشربه فاعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه فعصرها فخرج منها
ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشوم ظلمه صار هكذا فتاب انوشيروان
في قلبه وتاب فقال للصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب من الاولى فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فوجد
انوشيروان مقالة الصبي مطابقا لاحواله في قلبه تاب بالكلية فكان من بيان من عدله ان ورد في حقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت في زمن
الملك العادل الثالثة كونه ملكا ومالكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء
من غير مانع ومنازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين ايضا لان القدرة على الاحياء والخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء
المتفرقة من ابدان الناس لا يحصل لاحد غيره فاذا كان الحشر والنشور لا ياتي الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ في كل الممكنات فلا مالك
ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيمة غير موجودة فينبغي ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا
قاتل زيد كان اقرارا فلو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به في الحكمة جعل وجوده كالشي القايم في الحال و
لو قيل من مات فقد قامت قيامته زال السؤال الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم
فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا خلق الجنة وخلق اهلا لها وذلك انه صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل ملك خلق لكل صفة مظهرا ولا يسأل
عما يفعل لان كل سؤال ينقلب فهو باطل الخامسة في هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا انا
الله ثم ربيتك باصناف النعم وانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا
مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة دليل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك
يوم الدين كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد والمدح والتعظيم فيما بين الناس اما يكون لكونه كاملا في
ذاته وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه وتعالى يقول ان تعظمون
الكمال الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المرتقب فانا الرحمن الرحيم
وان كنتم تعظمون رهبة فانا مالك يوم الدين ح في فوايد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص اي
لا نعبد احدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا تليق الا
بمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وكان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه واخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه
وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من
اول عمره الى اخره مع انفتاح باب التقصير وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فامور المتعلقة
بما بعد الموت فانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شي من احواله الا اليه ولا يستحق العبادة العبد الا هو وايضا ثبت
بالدلايل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية واما كون غيره من الفلكيات و
الطالع والنفوس كذلك فمشكوك فيه انه لم يجزم بانه لا تاثير لها فوجب طرح الشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله وايضا العبودية
ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى كانت العبودية اهنا وامرا ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولاها بالصفات
العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو الله فلا
يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا
وشمالا لا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من الصار عند الاستاذ دين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاذ مرارا فقيل له فلان
الاستاذ فانصرع في الحال وما ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه
كما ان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك وكما يسهل على العاشق جميع الآلام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا
اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طايف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع له جلال من يشتغل بالملك
نعبد فصار مبصرا مستعدا لاداء حق العبودية وايضا ابتلاء بالعبادة نفس ابليس يلقي اليه ان المعبود من هو فيلقي في قلبه وسواس الا اذا عرف هنا
الترتيب فلذا قال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته مقدم على الوجود فناسب ان يكون مقدما في الذكر وايضا
المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة ولا على المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود قدم على
اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انها تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ على التعظيم

والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما اظهرت عبوديتي ولم تستنكف ان تكون عبدا لي جعلناك الآن ابراهيم كان امة
ومنها انه لو قال اياك اعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتوا
ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى في صلوة الجماعة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان
الانسان اذا اكل الثوم او البصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتأذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يبقى بهذا القدر من الايذاء فكيف يبقى بما هو اكثر من ذلك الايذاء
للمسلمين من الغيبة والنميمة والسعاية وساير انواع الظلم ومنها المراد ان يكون المراد عبدك والملائكة مع الحاضرين بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان
المؤمنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت على بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك
بل اسع في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير فاني اخلطها بعبادة جميع
العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات وان ترد الكل ومنها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة
اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض في تلك الصفقة الرابعة من عرف فوايد العبادة طاب الاشتغال بها
وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا
ورد من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة الآية واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها واداء الامانة من احد الجانبين سبب لادائها من الجانب الآخر فقال بعض الصحابة رأى اعرابي اتى باب المسجد فنزل عن ناقته فتركها ودخل
المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث
حتى جاء رجل على ناقته وقطع يده وسلم الناقة اليه قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال
في العبادات انتقال من عالم الغرور الى دار السرور ومن الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة ان حية سقطت
من السقف وتفرق الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يشرع في الصلوة كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل
ومن استبعد ذلك فليقرأ قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا الاثر فكيف جمال الله وعظمته اذا تجلى على قلب
الموحد العابد ويحدث الحيرة والدهشة عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلاث
درجات لانه اما ان يعبد الله تعالى رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ويخص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها
وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشرفا بعبادته او لقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى العبودية
واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه اعلى الدرجات وتسمى العبودة
واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى ان عابدا من بني اسرائيل اعتزل وعبد الله
سبعين سنة فارسل الله اليه ملكا ان عبادتك غير مقبولة فلا تتعب على نفسك ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني
لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله تعالى بم اجاب العابد فقال انت اعلم يا رب انه قال
كذا وكذا فقال الله تعالى ارجع اليه وقل له قبلنا طاعتك بسبب نيتك وتحقيق ان اثبات نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية
مطامح ابصار العارفين في العبادة انشراح صدور المؤمنين فانه غاية حال المتقين قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولان العبودية اشرف المقامات مدح الله به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام وافتخر عيسى عليه السلام بذلك اول ما نطق وقال اني عبد الله وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول كفى لي فخرا ان اكون
لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت فاجعلني عبدا كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف من الرسالة
فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال
اشرف التقديم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله والملائكة المقربون
في فوايد قوله واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان ذلك المرجح من عند العبد عاد
التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلايق يطلبون طريق الحق مع استوائهم في القدرة والعقل والجد والطلب ولا يفوز الا بعضهم
فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من غيره ويدافعه سنة ثم مدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من
الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فايدة الاستعانة في انه ربما جعل الله تعالى ذلك
الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل الطعام ونحوه فيسقط اعراض الجبرية والقدرية فافهم الثانية لقائل ان يقول الاستعانة على العمل
انما يحسن قبل الشروع فيه لا بعده فلم لا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة الجواب كانه يقول شرعت في العبادة فاستعين بك في اتمامها

حقا لا يمنعني مانع ولا يعارضني عارض فان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا ان قيل ان الاستعانة مطلقة هنا ولكل مستعان فيه فذكر
العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيد نمرود
يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه جبرئيل عليه السلام وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسأل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة
وهي ان المؤمن في الصلوة مقيد رجلاه عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القرآن والذكر فكما ان الله تعالى قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
فكذلك يقول لنار جهنم جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا
انظر الى اعانتك الخامسة اياك نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه باياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامات معرفة الربوبية و
معرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله
تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوايد للعبد حال
وجوده يدل على كونه ربا رحمانا رحيما واحوال المعاد يدل على كونه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فمبداها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين
في جميع المطالب واذا تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الخ وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في الالتفات
الوارد في السورة وجوه منها ان المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى على الله تعالى بالفاظ المغايبة الى قوله مالك يوم الدين ثم
الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت باني اله رب رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبدي فرفعنا الحجاب وبدلنا البعد بالقرب فتكلم
بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم
جلايلها ودقايقها مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز
بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا
به ومنها ان الدعاء بالحضور اولى كما ان الثناء بالغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء صلوات الله عليهم ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكما
رب زدني علما رب ارني رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة ينوي القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب الله
دعاءه في تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوايف منهم من اتخذ الهة من الاجسام المعدنية
كالحجر والذهب والفضة والنحاس ومنهم من اتخذ من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذ من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذ
من الاجسام البسيطة واما السفلية كعبدة النار وهم المجوس والعلوية كعبدة الشمس والقمر وساير الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور
وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع
العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير
وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قوله الحمد لله يتضمن التسبيح له وساير الصفات منبهة عن اثبات ساير انواع الحمد له واياك نعبد
يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين
يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ى في فوايد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو المهتدي تحصيل الحاصل
واجيب بان المراد منه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيمة لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا عليه السلام كان يضرب كل يوم مرات بحيث يغشى
عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط مذمومان والحق هو الوسط
والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه مع ذلك لا بد من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط
بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرفا الافراط الفجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط هو استعمالها في
موضعها على قضية العدالة والشريعة وهو محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والشجاعة محمود وفي
القوة النفسانية الجربزة والبلاهة مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من التوسط استعمال القوة الشهوية الحياء
والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط
استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والسكون والتحمل والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال
القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى
الثلاث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافات وحسن الشركة والتسليم والتوكل
والتعظيم لمعبوده الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر وانقياد اوامرهم ونواهيهم والتقوى يكمل هذه المعاني ويتممها ولان القوة

المنطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتان بواسطة تعلق البدن فكمال التوسط من النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ان يكون سببا
وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملهما بحيث لا يمكن اقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين وايضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى
بمعنى تواصل وفاته وقلة الفترات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على
وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وتمام صحة دين الانسان بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الادلة فكان يقول عرفنا
الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا فلعل المراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو ان
يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل عليه السلام ولو امر ان
يذبح انقاد كاسماعيل عليه السلام ولو امر بالقاء نفسه في البحر مثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه اعلى منصب اهتم كموسى
مع الخضر عليهم السلام وعن الخباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر الا
تدعو لنا فقال لقد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه ويجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول الاحباب تدعوني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث
وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والاراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسر فاهدني الطريق السوي الذي لا انزع
يحكى عن ابراهيم بن ادهم انه يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة فقال له يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا
والسفر طويل فقال له ابراهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا انزلت علي نعمة
ركبت مركب الرضا واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل
وقيل الصراط القرآن او الاسلام وليس بشيء اذ يصير المعنى اهدنا صراط المتقدمين مع انهم لم يكن قرآنا ولا اسلاما اللهم الا ان يراد اصول
هذه الشريعة وقوانينها كما قال تعالى فبهداهم اقتده وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
فكم من عالم زل ومهتد ضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكر الصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم يسهل
الله علينا وروده وعبوره الثامنة انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء
لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وان تسكت في قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك لو وقع عندي
من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص الدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه ارجى لانه لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق
الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن هنا ورد في السنة ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قبل كل دعاء
وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لا محالة وايضا قال صلى الله عليه
وسلم بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال ليدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى
بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها
للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت عليهم والفرار من الضالين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا
الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الآخرة ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين نقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق
المستقيم وايضا المستقيم واحد وما سواه معوجة يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص
وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط المستقيم يب في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى
حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه اولا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق
الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله عليه
اليه ايضا لان الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعية ذلك الانعام فيه والنعم الواصلة الينا باطنا وظاهرا فهي ايضا من الله تعالى
لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله على عبيده نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع
والاحتراز عن المضار قال الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم عقب ذلك بقوله هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها ان قوله صراط الذين انعمت عليهم
فانه لو كان على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه وهو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير
المغضوب عليهم ولا الضالين يدفع ذلك ومنها قوله لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما

والجواب انه لا يلزم ان يكون الاملاء خيرا لهم ونعمة ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النعمة
بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك على نفس الاملاء ايضا تمنع حال ظالم ومن كفر فاستعقبه ظلمه اضطره الى عذاب النار وليس
هذا كمن جعل السم في الحلواء على ما ظن وانما هو كمن تناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه او لاستعمال الحلواء كما ينبغي
افسد مزاج الحلواء ايضا وصيرها كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله
تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا وقال وكنتم امواتا
فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد النعمة الثالثة
ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعمة دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين
كل من عليه نعمة دنيوية فقط وبقي الذين انعم الله عليهم في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكما ان اصل النعم
الدنيوية هي الحيوة المستتبعة لكل المنافع وكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما ان كمال البدن
بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله فكذا الايمان منه و
بتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب والمومن لا يبقى مخلدا في النار فان من شرفه الله تعالى
باعظم الانعام لم يعاقبه باشد الالام فما الانعام الا بالاتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان اداء الواجب لا
يكون انعاما قلت النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما شئت فسمه يب في فوائد
غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى ان المغضوب عليهم ومن الضالون ثم المائلون في كل خلق واعتقاد الى طرف
التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب لزمه
البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك واما مفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب
عن المقصود ومني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران فاليهود فرطوا في شان نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يطيعوه
واذوه حتى قالوا بعد ان نجاهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث
ثلاثة روى عدي بن حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غير المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب
الله حيث قال في اليهود وباءوا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن سواء السبيل هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط بين
المتحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وتفضله عليهم وكذلك جعلناكم امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوساطها
الثانية الآية تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او اعتقاد يخالف الحق والا كان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
ولم يصلح للاقتداء والاهتداء بطريقة الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان يقول اهدنا صراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا
فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الآية يدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه وركنيه يج في تفسير السورة مجموعة
وفيه مناهج النهج الاول نسبة عالم الغيب والشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل وكل شاهد فله في الغائب اصل والا كان
كسراب زائل وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف هو بالنسبة الى ما دونه
مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات والمطاع في عالم
الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجساد هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما ملاقاة ومجانسة وبهما تتم سعادة الدارين
لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة يشتمل عليه خواتم سورة البقرة اربعة منها ما يتعلق بالمبدأ وهي معرفة
الربوبية اعني معرفة الله تعالى وملائكته ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى
الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب
سبع مراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر
انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ووضع الاصر والثقل يوجب الحمد لله
رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا لانك انت المالك

القضاء والحكومة في يوم الدين وخاسنها واغفر لنا لانا التجانا بكليتنا اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها
لا نطلب الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر
الصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد محمد صلى الله عليه
وسلم من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم الصلوة معراج المؤمن المنهج الثاني المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلثة الشهوة
بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء
الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظلم
ثلثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي
عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من
اجتماع هذه الستة في بني آدم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص الذميمة ولهذا السبب
ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس روي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال من هذا قال ابليس لو كنت الها ما جهلت
فلما دخل قال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الامهات الثلاث في القسمة دافعة
للاخلاق الثلاثة الاصلية والآيات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق الذميمة السبعة بيان ذلك ان من عرف الله تباعد عنه شيطان
الهوى افرأيت من اتخذ الهه هويه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان
منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال
البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله
فيما وجد ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول
وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال عنه كفره واذا قال
غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زال عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب من الفاتحة
وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة تتعلق
بالرب والملك والاله وسببها ختم القرآن عليها كأنه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب
فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط
والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان
كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه وهذا جار في القرآن الا انه لا يحلى الخلاء عن كثيرا قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي
خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم
ربك الذي خلق وهذه الحالة كما انها في نفسها دليل على وجود الرب كذلك هي في نفسها انعام عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبائع
والصور من النطفة المتشابه الاجزاء لا يمكن الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبائع وكل منها مطابق للمطلوب
وموافق للغرض كما يشهد به علم تشريح الابدان فلا احق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت
وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه تمييز
المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت معرفة الربوبية ثم من قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد منها في تقرير العبودية
وهي نوعان الاعمال والآثار المتفرعة على الاعمال والاعمال لها اركان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه
ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين واما الآثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتجلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين
الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا الصراط المستقيم الى آخره وهو قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب
الكمال لحلة محمودة وسنة مرضية هم القوم لا يشقى جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم و
لا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب شعر عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي والجز ينقطف الزهاد فيحد المنهج الرابع قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل قسمت

الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول
حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي
واذا قال اياك نعبد قال الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية واذا قال واياك نستعين
يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقوله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي
اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الانس و
الجن الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد وقوله اذا قال
العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وللذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القرآن كثيرا يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به وقوله ذكرني عبدي
يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب
العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لان اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح
بحمدك وآخر كلام في الجنة وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان التفكر في ذات الله غير ممكن تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في
ذات الله وكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله وقوف
العبد بعقله وفكره على وجوه فضله والغاصة في ترتيب العالم وتربية العالمين وابتهاج قلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال
الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي يدل على ان ذلك على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية
الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام و
هو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا
يحشر اليه العباد ويقضى فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف شعر اتحسب الظالم في ظلمه ٭ اهمله القادر ام اهملا ٭
ما اهملوا بل لهم موعد ٭ لن يجدوا من دونه موئلا ٭ وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه
اي اياك نعبد يدل على اقدام العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله بخلق داعية فيه خالصة عن المعارض فان العبد غير
مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله اذا قال اهدنا الصراط المستقيم هذا العبد ولعبدي ما سأل
نقرر ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في
العقل والنظر فالاهتداء ما هو الا بهداية الله تعالى وارشاده كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم صلوات
الرحمن عليه لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس آيات
الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والسجود الثاني والقعدة
فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام
الا ترى ان الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية الامور كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والقيام
ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظرا الى الحق والى الخلق والمنعم والنعمة لان الثناء
على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان الركوع متوسطة بين القيام والسجود
وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع فاللائق
برحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين
مناسب للسجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع فقوله اياك نعبد
واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه
للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق بالسجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين
انعمت عليهم الى الآخر مناسب للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات
لله كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قرأها في المعراج فالصلوة معراج المؤمن المنهج السادس آيات الفاتحة سبع كما ان مراتب
خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة

مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسري الى الاعمال
السبعة يسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثرة صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع
انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس اما في
عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب وهذا بمنزلة قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه في نفسه والمراد
بعالم الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الملائكة الحافين
من حول العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا تتصاعد الى ان تنتهي الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله و
من ارتضاه والمقصود ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان
تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس
طوى وايضا عندك ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص
وساير الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما تختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد
صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي القبر ويكون معه في القيمة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا وفي الآخرة
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهرت فارفع يديك اشارة الى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه
وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وبهذا المقام ينكشف له نور سبحات
الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء
فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان تكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر
المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان كل صفات الجلال وسمات الكمال له لا لغيره وهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة
لا هو الا هو وههنا يكل اللسان وتدهش الالباب ثم عد ايها المصلي الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد صلى الله عليه وسلم
لان معراجه مفتتح بقوله سبحان الله وبحمده وقولك وجهت وجهي معراج الخليل عليه السلام وقولك ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله معراج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت
من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لتدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام تفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة
بقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء
وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة
الربوبية وبقوله اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقوله صراط الذين انعمت عليهم يفتح باب
الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فجنات المعارف الربانية تفتحت لك ابوابها الثمانية لهذه المقاليد الروحانية فهذا
بيان المعراج الروحاني في الصلوة واما الجسماني فاولى المراتب ان تقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب
السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر
لك من القرآن واجتهد في ان تنظر من الله الى عبادتك الى الله فانك ان قلت فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين
واعلم ان نفسك الى الآن جارية مجرى خشبة عرضها على نار خوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها لتستقيم مرة اخرى فان
هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى
الارض بغاية التواضع واذكر ربك بغاية العلو فقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلاثة انواع من الطاعة ركوع واحد
وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الشهوات وبالسجود الاول من عقبة الغضب الذي هو رئيس الموذيات وبالسجود الثاني تنجو من عقبة
الهوى الداعي الى كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت
الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات
بالاركان والطيبات بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل روح محمد صلى الله عليه وسلم فيتلاقى الروحان ويحصل
هناك الروح والريحان فقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم سلام علينا وعلى

عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي
هداك فاي شيء هديت له فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقيل ان ابرهيم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤه فقل كما
صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابرهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى
بهذه الاثنية والمدائح ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد
فقال الله تعالى ان الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
التاسع اعظم المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية وخلاء لا غاية والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج
من قعر جبل الازل فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره ولا لاستقراره منزل فالاول والآخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة
المكان وكمال هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا وآخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان
والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على
الماء لان جري الزمان شبيه بجري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه والعظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله و
لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات
وبه استحق الالهية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي
يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس والانجاس والارجاس واول المراتب التطهر من دنس الذنوب بالتوبة الى
الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والآخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى عمل الله
وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم من الالتفات الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين
ثم قم قائما فاقم وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله اكبر
من الكل كأن قائلا يقول من لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فانه يراك او اكبر من
ان يصل اليه عقول الخلق واوهامهم كما قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق
عبوديته اذا قلت الله اكبر فاجعل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم
الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مرآة لك تبصر بها عجائب الدنيا والآخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا
والاديان السالفة والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين
ودركات الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين
ابصرت به الآخرة وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن الرحيم ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النوال
واذا قلت مالك يوم الدين ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هناك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة
واذا قلت اياك نستعين ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم ابصرت به عالم الحقيقة واذا قلت صراط الذين
انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت
دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشف لك هذه المقامات فلا تظنن انك قد بلغت الغايات بل عد الى الاقرار بالعجز بالكبرياء ولنفسك
بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب ثانيا وادع لمن وقف موقفك وقل سمع الله لمن حمده
وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا اسأتها لغيرك وجدتها لنفسك فالله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ولا تكبر في هذا
المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير واخذ به الى غاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان
السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلث الف سنة ثم ثلثين ثم ثلثين
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى الطرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان
ربي الاعلى اما فوائد السجدتين فالاولى الازل والثانية الابد والقعود بينهما هي الدنيا فعرفت بازليته انه لا اول له فتسجد له وبابديته
انه لا آخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الآخرة والثانية فناء الآخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل
في انفسها والثانية بقاؤها ببقائه وايضا انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق

فان لم تكن تراه

دقف

والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقدار ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه و
ايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فتواضعا الجالسين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة
وايضا ليناسبا الوجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة ومن الفردية الى الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام
والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة وفي السجود بمرتبتين ولعل ما قلنا من الفوائد ابدا اكثر مما ادركنا لطايف في التاييد
في اللطايف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم عليه السلم سال ربه فقال يا رب ما جزاء من حمدك فقال الله تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته
فقال اهل التحقيق من ههنا جعل الحمد لله فاتحة كتابه وخاتمة كلام اهل الجنة وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وعن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه ان اول ما خلق الله العقل من نور مكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي
منك ونقل ان آدم عليه السلم لما عطس فقال الحمد لله فاول كلام لفاتحة المحدثات الحمد واول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله
فاتحة كتابه وايضا اول كلام الله الحمد لله وآخر انبيائه محمد رسول الله وبين الاول والآخر مناسبة فجعل الحمد لله اول آية من كتابه محمد رسول
الله ولما كان كذلك وضع لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد واحمد وعند هذا قال عليه السلم انا في السماء احمد وفي الارض محمد
واهل السماء في تحميد الله ورسول الله احمدهم والله تعالى في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمدهم اخرى
الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد اول الكلمات وجب ان يكون النعمة والرحمة اول الافعال فلهذا قال سبقت رحمتي
غضبي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه احمد اي اكثر الحامدين حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة
للعالمين اخرى ان من اسماء الرسول سوى محمد واحمد الحمد والحامد والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن
النعمة وقال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبئ اشارة الى محمد وهو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه
وكذا في اني وانا والغفور الرحيم صفتان لله فالعبد يمشي يوم القيمة وقدامه الرسول صلى الله عليه وسلم مع خمسة اسماء تدل على الرحمة
وخلفه خمسة من اسماء الله تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعالى غير متناهية
ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة اخرى في الفاتحة عشرة اسماء خمسة من صفات الربوبية
الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة والاستعانة طلب الهداية طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله
انعمت عليهم فكانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا الاستقامة يا رحيم وافض علينا سجال
فضلك يا مالك اخرى الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم
الله لجوهر الملكي فاطمان اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الديان رب اعوذ بك
من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان
وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان بصفة القهر المالكية لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى
قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فاذا تمكن هذه التجليات انغلقت له ابواب النيران وفتحت عليه ابواب الجنان ويرجع
القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات
وبالطاعة للنفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط
المستقيم ولجوهر العقل الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة لا المدنسة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة
ان لا اله الا الله من تجلي نور اسم الله واقام الصلوة من تجلي نور اسم الرب لان التربية والعبد يربي امانة عدد الصلوة وايتاء الزكوة
من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع الفقراء فيعطيهم
يحكى ان يوسف عليه السلم حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقيل له في ذلك فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم
نفسه لانه اذا جاع حصل له فطام على الالتذاذ بالمحسوسات فعند الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم
الدين لان الحج يوجب هجرة الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حاسرا وهو كشبه
احوال القيمة اخرى الحواس خمس ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه وادب الذوق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الحسنة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب

هذه الاحوال الخمس اخرى الشطر الاول من الفاتحة مشتمل على الاسماء الحسنة لله فيفيض انوارها على الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات
الخمس للعبد فيصعد منه الاسرار الى تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قراءته وتقرير الاسرار ان حاجة العبد اما لدفع ضر او جلب خير وكل منهما
اما في الدنيا واما في الآخرة فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة
فان شاهدت نور اسم الله لم تطلب منها شيئا سوى الله فان طالعت نور الرب طلبت منها خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه
خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت منه العصمة من مضار الآخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات
الدنيا الموقعة في عذاب الله والآخرة اعاذنا الله تعالى منها اخرى التجلي للسمع اب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا
لعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي الصفات وهو في اواسط الاحوال ويكون للاولياء
واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والآيات وهو
في بداية الاحوال ويكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات
شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اخرى في الفاتحة
كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور الحمد لله لخواتيم الامور بسم الله ذكر الحمد لله شكر ببسم الله استحق
الرحمة رحمان الدنيا وبالحمد استحق رحمة اخرى رحيم الآخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية
لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان لطيفان لتوسط حالهم الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء فائدة للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها
التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة المبدا ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي
وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل
المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين
لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك نستعين لانك المالك اياك نعبد لانا ننتقل من دار الغرور الى دار السرور ولا بد من زاد
وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد
باعانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الآن بطلب الطريق فهو بارشادك لكن حقيقة اهدنا الصراط المستقيم ثم
انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء
غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الخصمان ثار بين الدنيا بما فيها ونور بين ما سواها اللهم ادفع عنا كل ما يحجبنا عنك وبيننا انك رب العالمين

سورة البقرة مدنية غير آية نزلت يوم عرفة بمنى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حروفها ٢٥٥٠٠
كلماتها ٦١٢١ آياتها عند اهل الكوفة ٢٨٦ وآياتها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداى بخشاينده مهربان

الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين
آن كتاب بزرگ هيچ شك نيست درين كتاب است راه نمون مر پرهيزكاران را آنكه

يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
باور دارند بغايبات وبرپاى دارند نماز را واز آنچه روزى داديم ايشان را نفقه مى كنند

والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم
وآنكه مى گروند بدانچه فرو فرستاده شد بتو وانچه فرو فرستاده شد از پيش تو وبسراى بازپسين ايشان

يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
بى گمانند ايشان بر راه راست اند از پروردگار ايشان وايشانند رستگاران

القرآن آية لاريب بالمتخلف والتحلي عن حجرة وخلف نفسه وكذلك قوله تعالى لاخير ولاجرم وذلك الاجتماع

بالفتحة مع الالف ولتاكيد معنى النفي للجنس فهي ابن كثير وكذلك يشبع كلها حكاية في جميع القرآن هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي و
خلف ويزيد وورش من طريق البخاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو
بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة ولا خلاف بين القراء في ادغام اصل النون والتنوين في اللام والواو والراء
والياء والميم انما الخلاف بينهم في اظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يومنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى
وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا في احرف يسيرة يذكر في مواضعها الباقون بالهمزة باب في المد بما انزل اليك وما
انزل من قبلك بالمد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع الباقون
يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة اربع الفات
واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد
الف ساكنة على قدر فتحة قبلها فصاعدا وبالآخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف
فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة روى عن حمزة وحماد والشموني انهم يسكتون على كل حرف ساكن
بعد همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا امنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد
السكون كالمبتدا بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة **الوقوف** الم ط للاختلاف
لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم يستانف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا
فيه عند المومنين والوقوف على التقدير على فيه وهدى خبر محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة في
ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون لا للعطف ليدخل عبد الله بن سلام و
اصحابه في المتقين فان القرآن لهم هدى وليدخل الصحابة المومنون بالغيب في ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدي الذين كان اولئك
على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القرآن بالذين يومنون بالغيب من قبلك لا لاختلال النظم بتقديم المفعول يوقنون لا لان اولئك
مبتدا وليس خبره ما قبله وكذلك على كل آية وقف الامام اعلم بعلامة المفلحون **التفسير** وفيه ابحاث **البحث الاول** في الم اعلم ان
الالفاظ التي يتهجى بها وهو قولهم الف با تا ثا اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ مفرد دال بالتواطؤ
على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد اسما ولهذا قد
تصرف في بعضها بالامالة باتا وبالتفخيم نحو باتا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة ونحوها
بالنا سميت بهجاء مقصورة نحو لا وقولهم كتبت باء بالمد نحو كتبت لا لا يدل على انها حروف مثل لا لانهم انما قالوا ذلك في التهجي لكثرة
الاستعمال واستدعائها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف
التهجي فليؤول بان يصرف الى التسامح والتجوز لان اسم الحروف ومسماها متلازمان ولان الحروف قد تطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع و يحكى
عن الخليل انه سال اصحابه كيف تنطقون بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا بالحرف
وقال اقول به لما ثم انهم راعوا في هذه التسمية لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكانها
سميها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ابداع اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتحليل ونحوها وحكم هذه الاسماء
سكون الاعجاز ما لم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا عليها لفقد مقتضي الاعراب نحو واحد اثنان ثلثة دار ثوب جارية
فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا الى الالف والدليل على ان سكونها وقف وليس بناء انها لو بنيت
لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه من فواتح السور
قولان احدهما ان هذا سر من سر محجوب استاثر الله به والخاطب بالحروف المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر
الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب **شعر** بين المحبين سر ليس يفشيه ۞ قول ولا قلم للخلق يحكيه ۞ عن ابي بكر رض
في كل كتاب سر وسره في القرآن اوائل السور وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف
التهجي وقال بعض العارفين العلم كبحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية
فالوادي لا يحتمل البحر والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى
فاعطى الرسل منها اودية ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم

من النهر

ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر
ولله تعالى من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو
اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول
الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا تحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن
ابن عباس رض انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه وزيف هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن
تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما وبقوله عليه السلام اني تركت فيكم ما ان
تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما لا يتكلم العربي بالعجمي و
لا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف ههنا لازم لان الراسخون لو كانوا عالمين كان الايمان
به كالايمان بالمحكم ولا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند ربنا فائدة على ما لا يخفى وبقوله عليه السلام اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة
فيها تواضعا للمعبود والصوم فيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما لا يظهر فيه الحكمة كبعض افعال الحج ويحسن من الله تعالى
الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بكمال الانقياد في النوع الثاني يظهر اكثر فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة
اخرى مع اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء السور
وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت
نون وضعفوه بتمام الكلام في هذا القول الثاني اسماء الله تعالى وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق
ويقرب منه ما روي سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الر وحم ون مجموعها اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في
الجميع الثالث انها اسماء القرآن وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة
من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف لعباده
والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق والكاف محمول على الكبير والكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل
ويروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال
الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب
بواسطة جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام السابع الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على
نمط التعديد ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن اي ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوا
مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر
ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة في اصغائهم ليهجم عليهم القرآن من حيث لا
يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روى ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسالوا عن الم فقال بيننا لا
الله الا هو الحق انها اتتك من السماء فقال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لاعلم اجل هذه الامة
من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى مدة احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحدى وستون فهل غير هذا فقال نعم فقال الر فقال حيي
نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر قال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ قال
ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يوقتوا انها كم تكون فان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فيما يقوله اني لا
يستجمع له هذا كله فقال اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب واخر متشابهات الثاني
عشر تدل على انقطاع كلام واستيناف كلام آخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجم لشرفها من حيث انها
اصول اللغات بها يتعارفون يذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرات الحمد وتريد السورة كلها اقسم
الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام

لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء عليم

منه ايات محكمات هن ام الكتاب

الاميون واهل الخط والكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ فلما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم يكم ذلك الكتاب اي نزل هذا الاينان في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة الى ما لابد منه من الاستقامة على الشريعة في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا والميم اشارة الى مصير العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو آخر المخارج اي اول ذكر العبد ووسطه وآخره لا ينبغي الا الله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكررات يبقى ما يمكن ان ركبت منه على صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر وقد اورد الله تعالى الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها ... ومن المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها ال ر ك ه و س ح ق ي ن ومن المستعليات نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها ا ل م ر ك ه ي ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القرآن من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررين والله تعالى اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من آخره اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السور بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران والخامس هذه الالفاظ داخلة في السورة وجزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء متاخر عن الشيء فيلزم ان يكون متقدما متاخرا وهو محال وليس هذا كتسميتهم صاد بالحرف الاول منه فان هذا تسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا من المركب من المفرد بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ولزم المحال المذكور واجيب عن الاول بان باب الاعلام المشتركة من انها ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الآخر بعلامات اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية السورة بلفظة معينة ليست من الامور العظام التي يتوفر الداعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلثة اسماء خروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا فاما منثورة من اسماء العدد فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمي بيت شعر او بطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تاخر ما هو متقدم باعتبار آخر غير مستحيل في لسان الصوفية ان هيات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود اي من قرأ فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسما فردا كصاد وقاف ونون واسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم اذا فتح نونها صار كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا الحكاية والثاني فيه الامران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتانيث قال شعر يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم ... والحكاية ان يجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو دعني من تمرتان قال ذو الرمة شعر سمعت الناس ينتجعون غيثا ... فقلت لصيدح انتجعي بلالا ... واما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر او حركت لالتقاء الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريقة قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها محلوف بهما واستكره الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى واو العطف لا القسم نحو وحيوتي ثم حيوتك لافعلن ولو كان القسم بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر نحو بالله لافعلن تالله لآخرجن ولا سبيل فيما نحن بصدده اي جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يقدر مجرورا باضمار الباء القسمية

لا يحلفونها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير منصرفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المألوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتب مسماها وايضا اشتهر امرها لان المراد بها الاسامي لا المسميات او من وقوع اللبس فيها وايضا خطان لا ينقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لان المعتبر هنالك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء للسور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المتعددة ومن جعلها اسماء للسورة فسيجيء عن تاليفها مع ما بعدها الله حسبي البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يجيب المحاسب ثم يقول فذلك كذا او لانه لما وصل من المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك او لانه وان كان حاضرا نظرا الى الفاظه لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقايقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزلت بمكة قبل سورة البقرة وقد يسمى بعض القرآن قرآنا او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء ان الله سينزل على النبي المبعوث من ولد اسماعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب كقوله عند ذلك الانسان قال الذبياني شعر نبئت نعمى على الهجران عاتبة ... سقيا ورعيا لذلك العاتب الزاري ... ولو جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التانيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يحدث به فان الله تعالى خاطب به المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقرآن الحكيم كتاب احكمت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس وتبيانا لكل شيء آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر بأسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها الكريم انه لقرآن كريم و منها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك ومنها البينة الا من بعد ما جاءتهم البينة ومنها الخيرات ينزل عليكم من خير ومنها الحسنة فهذه جملة الاسماء وسيجيء تفسيرها في مواضعها الرابعة في تاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما هو يقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية وكقوله هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه الريب مصدر رابني وحقيقته قلق النفس روى الحسن بن علي عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق لها النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن ومنه ريب الزمان لنوايبه المقلقة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بظبي حاقف اي منعوج مضطجع وهم محرمون فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف

نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل وان كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجه ان لسنه ان يحرزوا انفسهم ويبرزوا قواهم في البلاغة حتى تتم المعارضة ام تضمحل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود هنا ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيها بالرفع قيل والفرق بينها بين المشهورة بان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق لان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد (جميع الافراد) فنقيضه يكون سلب جميع الافراد

البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه في مقابلة الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتدي ولم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزم واجيب بان مقابلة الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم في بالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد كما لعزيز قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى لا الاهتداء فان زعم مطلقا فخطأ لو وقع صفة للقرآن وان زعم حينا فصحيح لو وقع في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم الفاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر وهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شي وهو في الشرع المؤتمر للمأمورات المجتنب عن المحظورات واختلف في الصغاير انه اذا لم يتقها فهل يستحق هذه الاسم روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس حقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابرهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقوى كن مثل ماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وفي قوله هدى للمتقين ثم في موضع اخر شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصورون في المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القرآن هدى بالمتقين وايضا المتقي مهتدي ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا بالذكر مدحا لهم كقوله انما انت منذر من يخشيها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه صلى الله عليه وسلم منذر كل الناس وايضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله اكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه وبوجه اخر تماما عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من باب تسمية الشي بما هو ايل اليه واللطف فيه انه لو قال هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان اطنابا في موضعه فان تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله المرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرها فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدي فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى في ذلك للعقل لا للقرآن ومما يؤكده ما قلنا ما نقل عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال لابن عباس رض حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم ذو وجهين ولهذا فان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد منه على التعيين عقلا كان او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن ليس هدى فيه فكيف جعل هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرايع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في تاكيد ما في العقول ايضا فيعم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع

لانه خبر مبتدا محذوف وفيه خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف هنا لمجيئها متآخية اخذ بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله فلا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب بينا اهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين

البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم الذين ومرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا وكشفا وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية قال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر الكلام اختصارا بذكرها ما هو كالعنوان لساير الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقايد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما (وذكر العبادات م) الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقة امنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى اقر واعترف واوثق به قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار والوثوق كما من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى اخر وهو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطا والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة من الاقوال والافعال او الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكباير ما لم يرد فيه فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكباير والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شي منها ايمانا الا اذا كانت مترتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعل شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة ينقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرايض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طايفة على تكفير من عداه من الطوايف والانصاف ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته او مرئيا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق

بالقلب واللسان معا وهو مذهب أبي الحسن الأشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية
الإيمان إقرار باللسان وإخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الإيمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هولاء من قال الإيمان معرفة الله بالقلب
حتى من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقربه فهو مومن كامل الإيمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم أن معرفة الكتب والرسل واليوم
الآخر غير داخلة في حقيقة الإيمان وحكى الكعبي عنه أن الإيمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم و
منهم من قال الإيمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الإيمان هو الإقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه إيمانا حصول
المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا إلى هذا الشرط أيضا بل المنافق مومن الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المومنين في الدنيا وحكم
الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الإمام عندنا أن الإيمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين
محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الأول أن الإيمان عبارة عن التصديق وذلك أن الإيمان أكثر الألفاظ ورودا على ألسنة
المسلمين فلو كان منقولا إلى غير مسماه الأصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا النقل وتواتر وليس كذلك وأيضا الإيمان المعدى بالباء
على أصله اتفاقا فغير المعدى أيضا يكون كذلك وأيضا كلما ذكر الله تعالى الإيمان في القرآن أضافه إلى القلب وقلبه مطمئن بالإيمان كتب في
قلوبهم الإيمان ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وأيضا قرن الإيمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الإيمان لزم التكرار وأيضا قرن الإيمان
بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة
قال ابن عباس رض في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص بما أوجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك يدخل في الخطاب ثم   في القتلى
قال فمن عفي له من أخيه شيء وهذه الأخوة ليست إلا أخوة الإيمان إنما المومنون إخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا
لا يليق إلا بالمومن القيد الثاني أن الإيمان ليس عبارة عن تصديق اللسان لقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين
القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لأن من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مومنا القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع صفات
الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم أعتقها فإنها مومنة بعد قوله صلى الله عليه وسلم لها أين الله قالت في السماء ويعلم مما ذكرنا أن من
عرف الله بالدليل وكتم العرفان ومات أو وجد من الوقت ما أمكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مومنا وكان الامتناع
عن النطق جاريا مجرى المعاصي التي تؤتى بها مع الإيمان وبهذا حكم الغزالي قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام أن للإيمان وجودا في
الأعيان ووجودا في الأذهان ووجودا في العبارة ولا ريب أن الوجود العيني لكل شيء هو الأصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود
العيني للإيمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كسائر الأنوار وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وكلما
ارتفع حجاب ازداد نوره فيقوى الإيمان ويتكامل إلى أن ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الأشياء ويتجلى له الغيوب
وغيوب الغيوب ويعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام ولا سيما محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
في جميع ما أخبروا عنه إجمالا أو تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل ما أمر
والاجتناب عن كل محظور فيضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم
نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وأما الوجود الذهني فملاحظة المومن لهذا النور ومطالعته له ولمواقعه وأما الوجود
اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولا يخفى أن مجرد التلفظ بقولنا لا إله إلا الله
محمد رسول الله من غير النور المذكور لا يفيد إلا كما يفيد العطشان التلفظ بالماء الزلال إلا أن التعبير عما في الضمير لما لم يتيسر إلا بواسطة
النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مستكن كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بإيمان المرء وكفره
فمع جحاد ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض أمر الباطن إلى عالم
الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال عليه الصلوة والسلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز أن يكون بالغيب صلة للإيمان أي يعترفون أن
يتقون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب
تسمي المطمئن من الأرض غيبا وإما أن يكون مخففا فيعل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما علم منه
نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة

والخفاء أي يومنون غائبين عن المومن به وحقيقته ملتبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين
حيث أن باطنهم بخلاف ظاهرهم وغيبتهم بخلاف حضورهم وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم وقال
بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله في القرآن وورد في الخبر وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أمتي يواطي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض قسطا
وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى إقامة الصلوة أحد ثلثة أشياء إما تعديل أركانها وحفظها عن أن يقع زيغ في فرائضها
وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه وإما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون
من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال الأسيدي أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا غزالة اسم
امرأة شبيب الخارجي قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا أي كاملا لأنها إذا حوفظ
عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه إليه الرغبات وأما التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من
قولهم قام في الأمر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام
وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي فلولا أنه كان من المسبحين ولا يخفى أن إقامة الصلوة بجميع هذه المعاني
يستحق المدح والثناء السادسة الصلوة في عرف الشرع عن الهيئات والأقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم
فرضا كانت أو نفلا إلا أنه يحتمل أن يقال المراد بها في الآية الفرض لأن الفلاح قد نيط بها في قوله عليه للأعرابي أفلح وأبيه إن صدق
بعد قول الأعرابي والله لا أزيد على هذا ولا أنقص أي على الصلوات المفروضة واشتقاقها لغة إما من الصلوة بمعنى الدعاء
قال الأعشى وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم أي موضع عليها الرويم وهو الخاتم وإما من قولهم صليت العصا بالنار
إذا لينتها وقومتها قال فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه
كالخشب الذي يعرض على النار وإما من قولهم صلى الفرس إذا جاء مصليا أي ملازما للسابق لأن رأسه عند صلوة والصلا ما عن يمين
الذنب وشماله فالمصلي ملازم لفعله من حيث شرعه إلى أن فرغ والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال
تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك
في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشتمل الحلال والحرام والمأكول وغيره والمعتزلة
ومن يجري مجراهم زادوا قيدا آخر وهو أن لا يكون ممنوعا من الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا وقال في الكشاف إسناد الرزق
إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله تعالى ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم
وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه مالا ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به
والحق أن التمكين من الانتفاع بالمرزوق وإسناده إلى الله تعالى على الإطلاق ذكل يقتدي إلا أن مذهب المعتزلة إلى الأدب أقرب ولا سيما في هذا
المقام ليستحقوا المدح بالإنفاق الثامنة أنفق الشيء وأنفده أخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب
وما قرب منه ويدخل في هذا الإنفاق الواجب من الزكوة التي هي أخت الصلوة وشقيقتها ومن الإنفاق على النفس وعلى
من يجب نفقته ومن الإنفاق في الجهاد ويمكن أن يتناول كل منفق في سبيل الخير للإطلاق قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي
أحدكم الموت والمراد بالصدقة لقوله فأصدق وأكن من الصالحين البحث السادس في قوله تعالى والذين يومنون الآية وفيه مسائل الأولى
يحتمل أن يراد بهولاء مومنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه الذين اشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من عند الله سالف
ومترقب سبيله السالف لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه
من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات وأن أهل الجنة لا يتلذذون إلا بالنسيم
والأرواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه إما مغايرة المباينة وذلك إذا أريد بالأولين
كل من آمن ابتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير إيمان قبل ذلك بموسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام وإما مغايرة الخاص للعام و
ذلك إذا أريد بالأولين كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مومنا بموسى وعيسى عليهما السلام أو لم يكن
ويكون السبب في ذكر هذا الخاص بعد العام إثبات شرف لهم وترغيبا لأمثالهم في الدين ويحتمل أن يراد بهولاء الأولون
ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذا كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
بالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب الثانية قال في التفسير الكبير المراد من إنزال الوحي أن جبرئيل عليه السلام سمع في السماء

كلام الله تعالى منزل على الرسول كما يقال نزلت رسالات الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يستمع الرسالة في علو فينزل فيؤديه
في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته لكن المستمع يستمع فينزل ويؤدي بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله تعالى وكلامه ليس
حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا للكلام ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا للكلام ثم اقدره
على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقراه جبرئيل فحفظه
ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فيتلقفه جبرئيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المودية لذلك
الكلام واقول انك اذا تاملت ما اشرت اليه في المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة
الايمان بجميع الكتب السماوية اعني التصديق بها واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه
وسلم على سبيل التفصيل ليقوم بمواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل
فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية واما المنزل على الانبياء المتقدمين فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا
الآن به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكن ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الآخرة
صفة الدار بدليل تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة تانيث الآخر نقيض الاول وكذلك الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب
واليقين هو العلم بالشيء ضرورة او استدلالا لا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت
ان السماء فوقي واني موجود وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات الآخرة
على خلاف حقيقته من غير ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبياء وهذا في معرض
المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الآخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة و
الكافرين النار عن النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم
ينكر النشاة الثانية وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما
فيها من النعيم ثم يسعى لدار الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة البحث السابع
في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وفيه مسائل الاولى في كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين
يؤمنون بالغيب على سبيل الاستيناف واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين خص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل
ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقايدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح و
هذا النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته
مثل احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما في الآية احسن وابلغ لانطوائها على
بيان الموجب وتلخيصه وثانيها ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه
الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وثالثها
ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين ويرفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب
الذين لا يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعالى والفضل
من الوجوه اولها لان الكلام المبني على السؤال والجواب اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه
الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علم ايضا ان يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول ركنا
من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك
فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهدى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اتيان اللطف و
التوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل الى الافضل اما الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام
على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ كنهه قال الهذلي شعر فلا وابي الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم واي لحم واريب بالمكان اذا قام ولا يتجه للاستعظام اذ الكلام انما يكون للاحتراف كالانعام بالطبع
ايضا الاستعظام من لو فوقهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم
السماء يبصرها البصراء ولا يهتدي بها الا العلماء الثالثة في تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا الثالثة
عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك

من الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شيء واحد الرابعة هم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده
خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر
اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كان الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته في الفاء والعين يدل على معنى
الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه الزارع فلاحا ومعنى حرف التعريف في المفلحون اما العهد اي المتقون هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة
او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما يقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما
جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق
شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكور دون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت
لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم اولى الزهراوين
قد ورد في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا
وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي
واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون ولما اخذ العاقل بحكمة الله تعالى هو نوط الثواب وتعليق العقاب
بالعمل الصالح والسيئ لا بما هو غير منضبط من عفو عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته
لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب لم يعتمد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرة من اشباع شخص وارواء من
غير تناول طعام وشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها من وفقها ان شاء الله وهو اعلم واحكم فيما مضى ونتقدم قوله تعالى

ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

بدرستي كه آنانكه كافر شدند برابر است برايشان كه بترساني ايشان را از عذاب خداي يا نترساني ايشان را ايمان نمي آورند

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة و

مهر نهاد خداي بر دلهاي ايشان و بر شنوايي ايشان و بر چشمهاي ايشان پرده است

لهم عذاب عظيم

و ايشان راست عذابي بزرگ

القراءة ءانذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى الحلواني عن
هشام ءاانذرتهم بهمزتين بينهما مدة الباقون يهمزون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل
الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة
في رواية ابن سعدان وابو عمرو كذلك قوله عز وجل يقظان وبالاسحار وكالفجار والغار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك حيث
كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة
المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحاق ابراهيم بن احمد عن ابي الحرث عن علي وورش من طريق البخاري
مدغم النون والتنوين في جميع القرآن العظيم الابهام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار
عندنا الوقوف لا يؤمنون ○ على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان
وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم ○ التفسير وفيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم
ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان
عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم ايضا نحو
والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان الغالب على الناس خلاف
هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم في الذي وجد انه لا يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء فكانك ترد على نفسك
ظنك الذي ظننت وتبين الخطاء فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول
نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لاستداحه اياهم بها عقب ذلك بذكر
اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلاف
ما في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين ههنا في الغرض والاسلوب اذ الاولى سيقت لذكر الكتاب وانه هدى
للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدا واولئك خبره لان الكلام المبتدا على سبيل الاستيناف

بني على تقدير سؤال وذلك اندراج له في حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلنا الموصول الثاني مبتدأ و اولئك
خبره لان الجملة حينئذ من مستتبعات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم
كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده فقط دون من عداهم
من الكفار الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف تعريف الايمان
وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق ويجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء
والكافر الذي كفر درعه اي غطى ولبسه فوقه قال ... في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون الخبر متقدما على
ذلك الاخبار فالمعتزلة ان احتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه تعالى
ازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مسترشدين فكل ما هو متقدم على زمان
الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متأخر من زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام المقام والمخاطبة ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا
بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الآية فافهم الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء ووصف به كما يوصف
بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وانذرتهم في موضع
الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون أانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء
خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن وان كان ظاهر
اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم فان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ
عنهما معنى الاستفهام رأسا قال ... سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة
الاستفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليه الهمزة وام واستواؤهما في علم المستفهم
لانه قد علم ان احد الامرين كائن لكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يطلب معنيان احدهما استواء طرفي
الحكم في ذهن المستفهم والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب وفائدة العدول عن العبارة
الاصلية وهي سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول اليأس عنهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا
عنهم الايمان لا في علم الله تعالى بل في علمنا فنزلت الآية بحسب ما يليق بحالنا في باب التفهيم والتصوير ونقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين
بلغ مبلغا يحتاج ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن
ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف ما لو اخبر عن الامرين بطريق الهمزة وام فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي وانما
ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتأثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون
اما مؤكدة للتي قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له
وتغطية لئلا يتوصل اليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم الصنوبري
المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء بتوسط الاوردة
والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي والقيام بمواجب التكاليف
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجدة انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون كما ان البدن بل اللحم الصنوبري من عالم الخلق وهو المقتضى لقوله الا له الخلق والامر وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة
ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي والسمع قوة مرتبة في العصب
المفروش في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث
منه تموج فاعل للصوت فيتأدى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج تلك
الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ... ابن سينا هي قوة مرتبة في
العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام الصقيلة وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء
فيلاقي المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون ذلك ابصارا وفي اكثر الامر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة
البصر الى العين كنسبة البصيرة الى القلب ولكل من العين والقلب نور اما نور العين فمنطبع فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي ومدرك جزئي

واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلي ومدرك كلي وادراك كل منهما عبارة عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما
بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد المرئي حتى لا يدركه او يدركه اصغر
مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا على انوار الكواكب والسرج
فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة والملزومات المختلفة لا يستدعي الاشتراك في اللوازم وهذا القدر من التحقيق في تفسير
القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلا في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان الاولى دخولها
في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا توقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار ايذان
باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا
فان زمانكم زمن خميص اذ لا يلبس ان لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم وثوبهم والمراد الجمع رفضوه ومنها ان السمع في
الاصل مصدر والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على
حواس سمعهم ومنها الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابعة من الناس
من قال ... السمع افضل من البصر لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر من الانبياء من كان مبتلى بالعمى
ولان السمع سبب وصول المعارف ونتائج العقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست
دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق السمع الريح والبصر
يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله تعالى في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع وقد اسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال
وتوقف في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان وفي العين جمال الوجه دون السمع والحق ان من فقد حسا فقد فقد علما وهو المتوقف
على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في
موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فسبحان من دقت في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه الثامنة الآية
الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان والآية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لا يؤمنون وهو
هو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة
للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسأل عما يفعل واما المعتزلة واشباههم فيقولون كيف ينهى
عنهم الكفر ثم يقول لم تكفرون ويخلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الآيات الدالة على ان الكفر باختيار
العبد وقد تأولوا الآية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها
تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى دخلوا في زمرة الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه لقولهم
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي والعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما مثلت
حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء او الشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا
ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم
لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في
التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه و
في اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسألة فقال لا لانهم
نزهوه اي عما يشبه الظلم والقبح ولا يليق بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لاحد قدرة وتأثير وايجاد في
زعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي
الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعث الرسول وانزال الكتب واقول لما
رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا
يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وهذا يقتضي
مذهب الاعتزال فلهذا بقيت هذه المسألة في حيز الاشكال فلنستعذ بالله تعالى ثم نقول الحق عندي ان المسألة في غاية الاستنارة
والسطوع اذا لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن
علمه وقدرته وتأثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصح مبدئية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع

والضر وسائر المقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتأثيره وعلمه وارادته والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله
تعالى ولو شاء لهديكم اجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها الى غير ذلك من الآيات كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز
والكيس احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل وفي الجواب عن اعتراضات المخالف انا نسلم
التنزه عن الظلم والقبائح فاقول لاريب انه تعالى منزه عن القبائح ولكن لا الوجه الذي يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل
في سلطنته الكلية وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان الله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولاسيما ملك
الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولابد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة
ومرضاتهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن لائم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال
المستتبعة لها ومظاهر القهر اهل النار والافعال المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يتم وجود كل من كل
منهما بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم يثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر
الشبع والري ولله در القائل وبضدها تتبين الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون اعمال اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل
اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة
الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد
واذا تؤمل فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والاحكام
كما يشهد به العقل الصريح ولاسيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي
حيث يجعل بعضا من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا الا ان كلا منهما من ضرورات الملك وينسب الظلم اليه تعالى
في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا منهما ضروري في مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فافسد
حين اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية التهافت لانا لما بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى
للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشيء الفلاني سببا وواسطة للشيء الفلاني كما انه ليس له ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض
غاية ما في الباب ان يقول اذا علم الله ان الكافر لا يؤمن فلم يأمره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فائدة بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة
ترجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر من يخشيها كما ان فائدة نور الشمس
تعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم كفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم في اصل
الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم ايضا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا يصدق البصراء ولا يعرف ان النقص
والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذات المرئي وظهور النير موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار واما حديث التفرقة
الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لاريب ان للانسان ارادات وقوى بها يتم لها
حصول الملائم واجتناب المنافي لان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار والتفرقة المذكورة سببها
ان في الرعشة نقصت واسطة هي الباعثة وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات
واستعربها في سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع سدا لباب التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستضئ
باصباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك
عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم
يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني
والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير بجثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو
ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشرة اتفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله
تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم
يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب عليه العفو وذكروا ايضا دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال

عن المنفعة

عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع بالله فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسيط ذلك
العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى حصل ترتب عليه العذاب
وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف او وجد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه
سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفا
الله عنه ايرى هذا الكرم العظيم ما بقي في الآخرة او سلبت عقول اولئك المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم
توبتهم ولما كان في الدنيا من حيث قال ادعوني استجب لكم وفي الآخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون
واجيب بان تعذيبهم نقل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير الى انكاره والشبه التي تمسكتم بها منهدمة بانهدام قاعدة
الحسن والقبح واقول لقد بينت بالبرهان النير في المسئلة الثامنة ان وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته تعالى وكل ما يقتضيه
حكمته وكماله كان حسنا ومن ظن انه قبيح كان لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح في النظر الالهي الا هو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا
منشأها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك عتبات وبعضها للحصون جدرانا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلد به الملك
وبعضه نعلا يطأها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود ضروريا فالعذاب وهو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان
والملزوم لا ينفك من اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك لان محل الكسب هو الدنيا فالتكليف بتبعية
الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال الى الآخرة الا ترى انه لو قال طبيب حاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني
فقصر واخر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال اني اشرب الآن لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل
الامر الفلاني في هذا الوقت فتقاعد وفعل في وقت آخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الاستعذار لان غرض الامتثال قد فات ولاسيما اذا فعل بعدما
يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين
يخادعون الله والّذين آمنوا وما يخدعون الّا انفسهم وما يشعرون
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا
يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انّما
نحن مصلحون الا انّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
واذا قيل لهم آمنوا كما آمن النّاس قالوا انؤمن كما آمن
السّفهاء الا انّهم هم السّفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا
الّذين آمنوا قالوا آمنّا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انّا معكم انّما
نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون
اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما

كانوا مهتدين القرآءة ومن الناس ممالة قرآءة قتيبة ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من يقول مدغمة
النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلى وخلف وورش من طريق البخاري بمؤمنين غير
بمؤمنين همزه ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء ومايخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم
وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق مجاهد والنقاش ابن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة
وعلى وخلف قيل وغيض بحرف الاشمام على وهشام ورويس السفهاء الا انهم بين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر ولا بقلب الثانية واوا ابو عمرو
وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا بقلب الاولى واوا روى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبهها مما اختلف
الهمزتان فيها الا ان يكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهدا اذ وجاؤ وما اشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة في الحالين يزيد ووافق حمزة في الوقف
وكذلك ما اشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين بشبه الياء والواو طغيانهم حيث كان بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى
وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلى وخلف وقرا اهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة
تجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم **الوقوف** بمؤمنين م لما مر في المقدمة الثانية امنوا ج لعطف الجملتين المتفقين مع ابتداء
النفي يشعرون ط للآية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لا لان الفاء للجزاء فكان تاكيدا لما في قلوبهم مرضا ج لعطف الجملتين
المختلفين يكذبون ○ في الارض لا لان قالوا جواب اذا وقائله مصلحون ○ لا يشعرون ○ كما امن السفهاء ط للابتداء بكلمة التنبيه ومن
وصل فليحترز رد السفه عليهم لا يعلمون ○ امنا ج لتبدل وجه الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان حالهم المتناقضين وهو المقصود شياطينهم
لا لان قالوا جواب انا معكم تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانما مستهزؤن ○ يعمهون ○ بالهدى ص لانقطاع النفس ولا
يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين ○ **التفسير** وفيه مباحث **البحث الاول** في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية وفيه
مسائل الاولى عن مجاهد قال اربع آيات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين وان بعدها اثنتان في الكافرين وثلث عشرة بعدها نزلت في
المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد
الغير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من
التركيب اربعة وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان
اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق وان اضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه مشكك مكذب وجوب الاقرار وان انضم
اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خاف او كما عرف مات فجاءة فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الائمة
لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المسئلة
المشهورة من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا
فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا فكما
تقدم النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرار نفاق وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف
وكذا مع السكوت النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختياريا فان كان صاحبه في مهلة
النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر اما اذا كان
اضطراريا فلا يكفر صاحبه لان توقفه اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار
اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا
نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ومنه
النافقاء احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اي خرج الثانية زعم قوم ان
الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون
المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه عن من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وايضا
انه قصد التلبيس والكافر الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا الكافر ما رضي
لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى كفره الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلي ولغلظ
كفر المنافقين قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الكفار في آيتين وحال المنافقين في ثلث عشرة آية نعى
عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم

صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة واصل ناس
اناس بدليل نساني وانس واناسي حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
قليل ونويس من التصغير الاتي على خلاف تكريم كانيسان سموا بذلك لظهورهم وانهم يونسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس
فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن قه افعل وهو اسم الجمع كرخال للانثى من ولاد الضأن واما الذي مفرده رخل بكسر الخاء فرخال بكسر
الراء ومن في من يقول موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال ليكون معنى الكلام ان في جنس الانس طائفة
كيت وكيت فنعود فائدة الكلام الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون لا محالة من الناس ولا يجوز ان يكون موصولة
حينئذ لان الصلة يكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فائدة الوصف ايضا فيبقى الكلام غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن يكون
موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم ولا يجوز ان يكون من موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود
الى الوصف ايضا ولكن لا يحاوي لفظ الكلام اذ يصير المعنى ان المختوم على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله
وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضائعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك
وجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الآية في يقول وامنا وانما اختص
بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل
واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الآخر وان كانوا
من اليهود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدون على خلاف
صفته فقولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء
وتخيلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر والمراد باليوم الآخر ما طرف الابد الذي لا ينقطع لانه متاخر عن
الاوقات المنقضية الى الوقت المحدود من الحشر الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت
بعده فان قلت كيف طابق قولهم امنا والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت لما اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا
الدخول في الايمان لترويج دعواهم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية لنفيه بنفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم
شيمتها لان يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين فكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال وانهم لم يؤمنوا ونظير الآية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وترك الدلالة القيد في امنا ويحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا
من الايمان في شيء قط من الايمان بالله واليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما **البحث الثاني** في قوله يخادعون الله الى يكذبون اعلم ان الله تعالى
ذكر من قبائح افعال المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيا
وخدع الضب خدعا اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذموم لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة وابطال ما يقتضي الاضرار بالغير
او التخلص منه فهو بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا يصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية
لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخادع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال ذو الرمة **شعر** تلك الفتاة التي علقتها عرضا
ان الحكيم وذو الاسلام يختلب ○ لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين
وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الله معهم حيث امر باجراء
احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله
فيهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن
عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل
ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم
اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص لما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم هذا
المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا لا الغرض ذكر الاحاطة بفضل زيد لا
زيدا كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكره توطية وتمهيد ووجه الانتصاب لخادعت على واحد ان يقال عنى به فعلت الا
انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمباراة الفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من
غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين فقيل

يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من المغانم والاطلاع على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر هنا ان الله تعالى لم ابقى المنافقين على ما له من النفاق ولم يظهر امرهم حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء ابليس وذريته وتحل العقدة في الجميع بما سلف لنا من الحقائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرا وما يخدعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة المشابهة لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرهم يحيق بهم ودايرة الدوائر عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى ما في نفسي و الشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له فالمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما يقول في جوفه مرض ومجاز بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء اعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم غلا وحقدا واذا القوم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك وما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج ان يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك او يراد ما داخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم من الرعب ضعفت جبنا وخورا اعني زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البدر غير النقي كلما غدا ونورا زاد رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يراد الغل والحسد قد يفضي الى تغير مزاج القلب ويؤدي الى تلف صاحبه كقوله

شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله ٭ كالنار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله ٭ فافضى صاحبه الى الهلاك وهو المعنى بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما يروى عن ابراهيم صلوات الرحمن عليه انه كذب ثلث كذبات احديها قوله اني سقيم وثانيتها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض اذ في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة الكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو وقد يعتريه علم المخبر عنه مخالفا للخبر والصدق نقيضه وقراءة من قرا يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو مبالغة وكذب كما بولغ في صدق فقيل صدق نحو بلن الشيء وبين وصنه قولهم قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان مقحم لتفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان هذا شانهم ومجراهم البحث الثالث في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا واما على يقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وامنوا ليس من اسناد الفعل الى الفعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم ويعظهم واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن والسدي ان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشارع سن نواميس موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج فكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم

ايام لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظواهر مؤمنون اوهم ذلك ضعفاء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين وهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقويه ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسر الافساد بموالاتهم الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذاعة اسرار المسلمين ونسبة انفسهم الى الاستقامة والسداد ومجي اداة القصر لانه على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على الاصلاح لا يتعداها الى غيرها والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله اليس ذلك بقادر ولافادة التحقق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من مقدمات اليمين وطلايعها قال اما والذي ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر رد الله ما ادعوه من الانتظام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف وادعاء ذلك مع توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم فكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من التاكيد ومن قبل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله واذا قيل لهم امنوا الاية هذا هو النوع الثالث من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين نصحوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال الانسان في هاتين فكان من جوابهم فيما بينهم او القائلين من خصومهم لتمادي سفههم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل واذا الناس مشتق من ناقص فهي الشهادة لهم بانهم كاملون وما في كما يجوز ان يكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو وزيد صديقي كما عمرو اخي ويجوز ان يكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت او ليحصل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء او امنوا كما امن عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم اي كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشي عن الاعتقاد القلبي وجعل المؤمنين كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء يشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه او للجنس ويطوي تحته الجارى ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجر اذا امالته قال ذو الرمة جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من اسلامهم وضعف في اعضادهم عن انس سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يخترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرني بهن جبريل انفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسالهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله بن سلام فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قالوا هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى طبع عليهم هذا اللقب مقرونا بالموكدات التي مر ذكرها في قوله الا انهم هم المفسدون وزوده لمن اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة المجدود يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم كالطود يحفر نطحه الاوعال وانما فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤول اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان فيما بينهم من التحارب والتحاذر

هو كالمحسوس المشاهد ولانه لما ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له البحث الخامس في قوله واذا لقوا الاية هذا هو
النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الاية وبين قوله ومن الناس من يقول آمنا ان الاولى في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه
في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم
خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم
فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم
اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب فقال مرحبا
بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم
فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت لقيته ولاقيته اذا استقبلته
قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم
بها كما يقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اي انهي اليك حمدي لفلان او ذمه عن ابن عباس رض اني احمد اليكم غسل الاحليل اي اعلمكم انه امر محمود
وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اما اكابر المنافقين فالقائلون انا معكم اي مصاحبوكم وموافقوكم
على امر دينكم اصاغرهم واما اكابر الكافرين فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا الشياطين بالرؤساء لانهم هم القادرون
على الافساد في الارض وانما خاطبوا المؤمنين باضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم باقواهما اعني الاسمية المحققة بان لانهم في ادعاء
حدوث الايمان الناشئ عن صميم القلب منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليهم وهكذا قول
لم يصدر عن صدق رغبة وباعث داخلي واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وثم بين ظهراني المهاجرين والانصار القائلين
ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفي خبر القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومنه للتوكيد واما فقد
العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزؤن لان الاول معناه الثبات على الكفر والثاني رد للاسلام لان المستهزئ بالشيء منكر
له دافع ودفع نقيض الشيء لثبات وتاكيد للشيء او لان الثاني بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او لانه استيناف كان قيل ما بالكم لكم
ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء التحقير والاستخفاف واصله الخفة من الهزء و
هو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف في غاية الجزالة والفخامة كانه قيل
ما مصيرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الابلغ الذي
استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفي تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذي يتولى
الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهل لانه قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ او سمي جزاء الاستهزاء
استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله تعالى معاملة المستهزئ في الدنيا لانه كان يطلع الرسول على في اخفائها
اسرارهم مع كونهم مبالغين في اخفائها وفي الآخرة على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله
من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل
الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على
الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله نحن مستهزؤن لان المراد تجدد الاستهزاء بهم
وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات في شأنهم او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه ما يقويه به وكذلك مد الدواة والسراج زادهما ما يصلحهما وانما قلنا انه من المدد لا من المد في العمر والامهال
لقراءة نافع من موضع الآخر واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فالذي في الكشاف
مخالف لنقل الجوهري مده او غيه اي امهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم في الطغيان يعرف
من تفسير ختم الله على قلوبهم وقد توجه بانه لما منعهم الالطاف التي منحها المؤمنون بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة تزايد الانشراح
والنور في صدور المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا او بانه لم يقسرهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره

ولا يخفى ما في هذا التوجيه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ومن هذا القبيل ما قيل ان النكتة في اضافة الطغيان اليهم
ان يعلم ان التمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم فان الله بريء منه فان الانتهاء الى الله لما كان غرورا فكيف يسر امر ذلك ويعمهون في
موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى في البصر وفي الرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه وثالثها قوله اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروها عليه واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر قال
ابو النجم شعر اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الآخرة جعلوا لتمكنهم من الهدى
بحسب الفطرة الانسانية الشخصية كانه في ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء و
في المثل ضل دريص نفقه اي جحره والدرص ولد الفأر ونحوها يضرب لمن يعيى بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح
الفضل على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا بالملابسة التجارة بالمشتري وقد يقال
ربح عبدك وخسرت هاهنا مجاز اذ ادلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما تشاكله ويواخيه
من الربح والتجارة لتكون الاستعارة مرشحة كقوله شعر ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب
بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة
راس المال والربح وهؤلاء فقد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة لهم علمي فلا عوض
ومعوض فلا ربح ولا راس المال وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين
عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من هاهنا ادبر النهار من هاهنا نعوذ بالله من الغوايات ونسأله ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم
لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون
اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين
يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على
كل شيء قدير القراءة اذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو وبالكافرين وما اشبههما مما كان في محل الخفض
بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة حمزة و
خلف وابن ذكوان الوقوف نارا ج لان جواب لما منتظر لما فيها من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا
يرجعون لا للعطف باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقفه لعطف الجملتين مع انها راس آية
وقد اعترضت بينهما آية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هم يجعلون او
حالا عامله معنى التشبيه في الكاف وذو الحال محذوف اي كاصحاب صيب الموت ط بالكافرين ه ابصارهم ط لان كلما استيناف فيه لان
تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول قاموا ط وابصارهم ط قدير ه التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب
المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقائق حتى يريك المتخيل في معرض اليقين والغائب كانه شاهد وفيه
تبكيت الخصم الالد والالد ما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه و

مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب اكثر من ان تحصى صنف فيها كتب مشهورة
والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عليه من التغيير ثم
ههنا فاستعير المثل للحال او الصفة او القصة التي فيها غرابة وكما شبهت حالهم بحاله الشأن من حيث انهم او تواضروا من الهدى بجنب الفطرة
ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحصنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يبق صلوا بذلك الى نعيم الابد باستبطانهم الكفر فبقي لحالهم
الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى شيء مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب
الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد ما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا وحذف النون لاستطالته بصلته او
قصد جنس او ايد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة
اذ يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها
واوقدها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها
حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله و
التانيث للحمل على المعنى لان ما حوله المستوقد اماكن واشياء او مستتر في الفعل اللازم ضمير النار وجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق
النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور وجواب
لما ذهب الله بنورهم والضمير يعود الى الذي استوقد نظرا الى المعنى كما ان الضمير في حوله رجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال جوابه
محذوف مثل فلما ذهبوا به لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل
فلما اضاءت ما حوله كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خائبين بعد الكدح في احياء النار ثم ان سائلا كانه قيل ما بالهم قد اشبهت
حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا او يمكن ان يكون بدلا من جملة
التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم كمثل الذي ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله تعالى انه اذا طفئت النار بسبب سماوي
ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد او يكون المستوقد نارا لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة
للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها واضاءتها فنيها الدنيوية قليلة البقاء وللباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة
ثم تخفت ونار العرفج مثل لمن يزهر كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتصلوا بالاستضاءة بها
الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوئهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر
النور ابلغ في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه
دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان
بماله اخذه وامسكه وما يمسك الا الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وتركه بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان
مضمنا معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما
من شانه ان يستنير وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الرؤية وتمنع
البصر وفي جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا
يبهت معها الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر
المنوي كان الفعل غير متعد اصلا ومحل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا آخر ثانيا او حالا من هم مثل و
تركهم في طغيانهم يعمهون اي حال كونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت الآية في اليهود وانتظارهم لخروج النبي صلى الله عليه
وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به فكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم بعد ظهوره كزوال ذلك ثم انه كان من المعلوم
من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن فقدت مشاعرهم فقيل صم بكم عمي حيث سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم
وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا باعينهم وانما قلنا انه في الآية تشبيه لا استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق
الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به والا فهي الخبر للمبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان
اشتروها تحسرا عليهم بالطبع او ارادوا بهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون او يتاخرون الى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون
شعر وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متاخر عنه ولا متقدم ومثله حال الزاهد لطريقة الذي له بداية ولازم خلوة وصحبة
حتى شرقت له من صفات الخلق وصحبة حتى شرقت له من صفات الخالق شوارق الشوق وبرقت له من انوار الزهد بوارق الذوق

الهواجس وازعجته الوساوس فرجع فهوى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه وفضل يومه امسه ثم
ان الله تعالى ضرب للمنافقين مثلا آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقيب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فكيف
تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه
بهما فانت مخير في التشبيه بايتهما شئت حاصله الحسن وابن جرير والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد
واحد شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون
الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته
ولذلك اخر تدرجا من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا او كمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي
حرف التشبيه مفردا يتاتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء كيف ولي الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون
لا بد له من راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار
بالظلمات وما فيه من الوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى
هذا يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها
ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب ايضا وتنكير صيب للدلالة
على انه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء من
السماء معرفة فنفى ان يصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق ولكنه غمام مطبق اخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات
من جهة التركيب من صيغة بنائه والبناء على فيعل والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية في العناصر باذن الله تعالى
تحريكها وخلطها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيجت الفلك بانجاز الحرارة تجزت من الاجسام المائية ودخن من الاجسام الارضية
واما شيئا بين البخار والدخان من الاجسام الارضية اما الدخان فانه فلا يتعدى حيز الهواء الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما يبقى منه
الاشتعال فيرى كانه كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فيرى العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار فما
فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويتكثر مدة في اقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيتكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا
والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا ويتركها بوافيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم
في الاعالي اعني السحاب فنزل فكان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من
السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع
وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء واجتمع شدة البرودة وربما
كاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية الدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها
ما يخلص من الارض فيكون منها الرياح واذا تصعدت فيه البخار من الدخان انعقد البخار سحابا فبرد وتقلقل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو
فحصل من تقلقله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما اشتد ذلك التقلقل لكثرة وصول المواد ويكون
اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع الى الاسفل وقد اشعلته المحاكة والحركة
نارا برق فتشق السحاب شعلة كجمر يطفى فليسمع منه ذلك الضرب من الرعد وان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة وربما وجد منه مندفعا
فيه سهل الانشقاق فخرج بلا رعد واشتعال فهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا ضير في معرفتها بعد ان يعتقد انها اسبابها الى
مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف الى الاتفاق من سيبويه والاخفش لاعتماده على موصوف
الصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة
اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونهما ملتبسين به في الجملة سوغ ذلك وانما
لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري شعر يا عارضا متلفعا ببروده ∴ يختال بين بروقه ورعوده ∴ وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران
فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل وارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء لان المراد منها كانه قيل فيه ظلمات داجية
ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم المذكور قال حسان شعر
يسقون من ورد البريص عليهم ∴ بردى يصفق بالرحيق السلسل ∴ ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهي واد بدمشق والبريص نحو نهر من انهارها
ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فقيل يجعلون اصابعهم ثم

كيف حالهم مع ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل اناملهم مع انها هي التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد الى الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا بجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من اجل الصواعق نحو سقاه من الغيمة وقد يحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدرا كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه احساس والله محيط بالكافرين مجاز اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة وضعت لمقاربة الشي فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه في حال النفي يحقق البرق وقوع واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى مسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة وفوقها السعي وفوقها العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اذا اظلم البرق الطريق عليهم بان قرع عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الا اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشي المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع قال تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد تجي للمبالغة كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه والمراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير الخوف اولى والشي اعم العام كما ان الله تعالى اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل فان الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغنى شي من الاثبات والحطة من الحالات عن اثر القادر وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه وتعالى

يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

ای مردمان بپرستید پروردگار شمارا آنکه آفرید شمارا و آنان را که پیش از زمان شما بودند

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصدقكم ويوفكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب الوقوف تتقون لان الذي صفة الرب تعالى بناء للعطف في حكم الحلية المتقين لكم لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المومنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري امورهم عاجلا وآجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء ويزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك اولا والان ازيد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية زاد قربا وحضورا وايضا الايات المتقدمة حكايات احوالهم وهذا امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهو ان يرفع سائر الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف ويستلذ

هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المومنون باسم جنسهم ويومروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادي الانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه واضعفها الانسان وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني استجب لكم واذا سالك عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم ويا وضع في اصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او لبعد المنادي عن ساحة عزة المنادي ههنا واستقصار كقول الداعي في جوار يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد لتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادى القريب المفاطن بغير هذه الصورة بيا ويكون المراد ان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا نحو يا ايها الذين آمنوا يا عبادي يا ايها النبي لان ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا القلوب بهم وبصائرهم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليصح المقصود بالنداء مع ضرب من التاكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تاكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء فالاقرب انه لا يتناول الا الموجودين في ذلك العصر وانما يتناول اللاحقين بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان حكم الموجودين في عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا صحح انسبة العبادة وذلك بان عرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف ربه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمامورية والذل ليعرف ربه بالامرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يتعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا مائلا بين يدي مولاه طائعا له بكل ما يامره وينهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد سيدا فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شي اصلا اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والام يفتح نسبة عبوديته عن الاصمعي انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال لما تسميني قال ايش تاكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال لم تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمومن وكل من له اهلية الخطاب ويندرج فيه المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور البشري وضعف قوائم الفطرية في الفكرة ان تدعم اليه وينتهض عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعدما قلنا من الرجوع الى النفس والتنبه لسمة العبودية اما الامكان او الحدوث او مجموعهما كل منهما في الجواهر وفي الاعراض اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاستدلال بامكان الصفات خلق الله السموات والارض الذي جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم صلوات الرحمن عليه اني لا احب الافلين وبحدوث الاعراض دلائل الانفس ودلائل الآفاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك والموجود بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا طبائع الفصول والافلاك الآفات في افق الامكان فهو شي غير متسم بسمة الحدوث والامكان والنقصان وهذا الطريق اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في فاتحة كتابه ليستفيد منه الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعمة السابغة وعطيته السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي والاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يؤول اليه امره وايضا فمن دأب الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل حينئذ لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب وجاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان

كان يحبث حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي وجه بانها للاطماع والكريم والرحيم اذا اطمع فعل فجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال في لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد ولقولهم علك ان تفعل كذا وعلى بعيد التكرير وسنه الفعل بعد لهل ونقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بالحاجة معناه افعله فان فعلك له يوكد طلبك له ويقوى عليك البحث الثاني اذا كان العبادة بقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تتقون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما خصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صحوا انسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بالاوامر واما قوله الذي جعل لكم الارض فراشا الآية فنقول فيه لفظ الذي مع صلته اما ان يكون في محل النصب بدلا من الذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على المدح ايضا اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فاذا دخل عليه الذي كي يتنبهوا للعلاج ويعتبروا به والحاصل انه تعالى عدّ في هذا المقام عليهم خمسة دلايل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلث من الآفاق فجعل الارض فراشا والسماء بناء و الامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما نسبه منشاؤه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه ثم السماء التي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين احيا قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فلانه انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم وارتبههما ههنا مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفترش كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء و التحت ما يلي المركز فكما انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا و مما من الله تعالى به على عباده في خلق الارض ان لم يجعل في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم و المشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وتاتي حفر الابار واجراء الانهار ومنها ان لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر الانوار عليها وتسخن منها فيمكن جوارها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح للتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها انه لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت بحيث الماء حيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر وتلول الجبال وان عظمت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها الجبل الطبيعي فيحصل التماسك في ابدان الحركات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار العظام التي فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ومنها

العورة

حياتها وموتها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روايحها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر و الصوف والابريسم والجلود ومنها الاشجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف اللطيفة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك في قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فايدتهما راجع الى الثمنية وهذه الفايدة لا تحصل الا عند العزة و القدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيمياء افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد اليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تامل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي و يبصر ويعتبر الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او ابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر و جعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وما يسطرون وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بالغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير وجعل نجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البحر والبر وفيض الشمس طلوعها فيسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبها يحصل منه الهدوء والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حميا فكل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة مع تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض وههنا نكتة كان الله تعالى يقول لو وقعت الشمس في جانب من السماء فالغني فليرفع بناء على كوة الفقير فلا يصل الى الفقير لكني ادبر الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه اما ارتفاعها الشمس وانحطاطها فقد جعل الله تعالى سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستلطف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ويورد الشجر ويهيج الحيوان للفساد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض و يتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب وتضبط المواقيت الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا اسأله لك وان اهديت الي سرورا فقد اهدى اليك نورا ثم انشا يقول

شعر
ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر ... وقد كفيتني التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا ... او قلت دامك ربي فهو قد فعلا

وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يقرب الحارك ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وساير الكواكب بالشمس وكيفية حركاتها وبيان اختلافات اوضاعها وعلل كل منها امر شانه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تاملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيئة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالث في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لانها معبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى آدم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى لا اسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا

عمي

السماء سقفا محفوظا وقال الله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات
مؤثرة والارضيات متأثرة والمؤثر اشرف من المتأثر وقال آخرون بل الارض افضل لانه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض
بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان قيل واي بركة في المغار المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا
احتاجوا اليها ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال وفي الارض آيات للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون بها كما
قال هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها خلقناكم وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها مسجدا وطهورا
ولما خلق الله الارض كالصدفة والدرة المودعة فيها آدم واولاده ثم علم الله حاجاتهم قال يا آدم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي هي كالام
فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي ان اعز الاشياء عندك
الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل هذه المنافع ثم اني جعلت هذه الاشياء في الدنيا مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة
والحاصل ان الارض ام بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك الوانا من الاطعمة ثم قال منها
خلقناكم وفيها نعيدكم معناه يردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بالام وذلك لان مكانك من الام التي هي اضيق من مكانك
من الارض ثم انك كنت في بطن الام تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام
الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله فحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت
اليها بالرأس طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة ولا تجيبه برجلك الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما
خرجت بقدرته ومشيئته انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء
بلا اسباب ومواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتبصر بها من يستبصر ويتفطن لها
من يتفطن ومن في الثمرات للتبعيض كانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد في سياق الاثبات فكانه قيل وانزلنا من السماء بعض
الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمرات بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا ان كانت من للتبعيض
كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق وان اريد به العين وان جعل مصدرا
فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة
الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة اولان القلة وضعت موضع الكثرة
نحو ثلاثة قروء وتنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الآخرة الخامسة قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله
اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل فينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي نصب لكم هذه الادلة القاطعة
والآيات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي من ناددت الرجل خالفته ونافرته
وتناددوا اذا نفروا ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وقوله وانتم تعلمون بترك المفعول معناه
وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش وكنانة لا يشق غبارهم في
الدهاء والفطنة والتوجه فيه اكدا اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية
مخالفة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل
افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة
والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين حكيما يفعل الخير وسفيها يفعل الشر واما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين اليه كثرة الفريق الاول عبدة
الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب وهي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب
والكواكب تعبد الله والفريق الثاني عبدة المسيح عليه السلام والفريق الثالث عبدة الاوثان فيقول لا دين اقدم من دين عبدة الاوثان لان
اقدم الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الآن والدين الذي هذا شأنه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة لكن العلم بان هذا
الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض علم ضروري فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون

لهم غرض آخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا
يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم ذو صورة كاحسن ما يكون من الصورة وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب
عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين بها طلب
الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه وثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما راوا
تغيرات احوال العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا
في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا
العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما راوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات اتخذوا لها
اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب
وتجردوا لعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الف والفين
ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا
ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بطول المدة واشتغلوا
بعبادتها ورابعها انه اذا مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته يعبدونها
على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة
لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها
لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه الوجوه هي التي يمكن حمل مذهبهم عليها لا يصير بحيث يعلم
بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها
وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم
بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يضطر الى عبادتها الا الحقيقة والاخلاص
ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة
واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل
النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة
مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه بمكة و
ترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نستنصر
بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يعطوه واحدا منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس
الى تعظيمه وذلك في اول ملك سابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه
عثمان بن عفان رض ومنها نوبهار الذي بناه منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب
وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة
بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك
زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر اربا واحدا ام الف رب ؛ ادين اذا تقسمت الامور ؛ تركت اللات والعزى جميعا ؛ كذلك يفعل الرجل البصير

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

واگر هستید در گمان از آنچه فرو فرستادیم بر بنده خاص ما پس بیارید سوره از مانند آن و بخوانید

شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن

گواهان خود را از غیر خدا اگر هستید راستگویان پس اگر نکنید و هرگز نکنید

تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

پس بپرهیزید از آتشی که آتش انگیز آن یعنی هیزم آن مردم است و سنگ ساخته کرده اند برای کافران

القراءة ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع وامالة الناس معروف تمام الوقوف من مثله ج صادقين ج والحجارة ج على تقدير

في عدت للكافرين والوصل اجوز لان قوله اعدت بل الجملة الاولى في كونها صلة للكافرين **التفسير** لما نبه بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف
بوجود الصانع ووحدانيته عقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما نزل عليه وقد ذكر في كون القرآن معجزا طريقان
الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام الفصحاء او زائدا عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء الجواد وملوك الكلام تحدوا
بسورة منه مجتمعين ومتفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا اسعى الخلق في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا
في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثاني ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز
فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لم يعارض
في سالف الزمان وانه لم يعارض الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي والا لزم تقرير المبطل المشتبه بالحق وحينئذ يقع
المعارضة وقد علم ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجيء واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة
الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق ومن فسر الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه
مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب ونحو ذلك مما ينخرط في سلك هذه الآراء فقد كذب
ابن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تأثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب او
القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتي ان اضع الساعة يدي على رأسي وتعذر
ذلك عليكم وكان كما قال لكان الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل وايضا تسمية كل اسلوب غريب معجزا باطل وكذا تسمية كل كلام مبرأ
عن التناقض او يشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف يعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والى الابد غير معلوم
الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات بأسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني لان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه يثبت
صحة النبوة لكن النبي صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفته سبحانه يكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذن في
غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة هي بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز
والكناية على وجهها وهي فيما كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام
عن التعقيد والتعقيد ان يعثر صاحبه فكره في متصرفه ويشيك طريقه الى المعنى ويتوعر مذهبه نحوه حتى يقسم فكره ويشعب ظنه
فلا تدري من اين يتوصل واي طريق معناه يتحصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء
من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر غنية عن المعاظلة
سلسة عن السلاسات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما يجمع هذا الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي
نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها في وصف
المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء الا
مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتنزه عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا فان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما
اسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخييل ركّ شعرهما ومنها ان كلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت او بيتين من قصيدة و
كله فصيح بكل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية
الفصاحة وغاية الملاحة شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع ... ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات
وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم
قالوا شعر امرئ القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند
الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحا في كل فن من فنون الكلام فانظر في الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الترهيب
وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وفي الوعظ
افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى
وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم
الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق
وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما ان الانبياء قصروا عنه فوق حد البشر في وصفه كما هو فوق طاقة البشر

شعر فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح وانما قيل وان كنتم دون واذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما اخبر نزلنا على
لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من محاذاة لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو انزل الله
لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة
والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا فشيئا وحينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل
لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر سورة و
هي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال على محمد صلى الله عليه وسلم كقوله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد تشريفا له صلى الله عليه وسلم واعلاما بانه ممن صح نسبة العبودية المأمور بها في قوله
يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير ايضا تؤيد ذلك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه ان السعادة كل السعادة في نسبة
العبدية فهي التي توصل الى مقام العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وكمال العبدية في كمال
الحرية عما سوى الله واما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف
كان افراد كل صاحبه احسن ولهذا صنع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب
ثم اخذ في الآخر كان انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا ومن ثم جزأ القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا
ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة
وآل عمران جل فينا ولهذا كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما
انزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب والنظم الانيق
او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله
لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا
يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه وعليه المحققون ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك مطابق للآيات
الاخر فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع في المنزل لا في المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا
انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول لاقتضى الترتيب ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله وايضا
لو كان عائدا الى القرآن لاقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله مجتمعين متفرقين اميين او قارئين ولو عاد الى النبي اقتضى ان يكون
الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص للنبي صلى الله
عليه وسلم وايهام ان الاتيان بالقرآن عمن يكون قاريا ممكن وايضا الاول هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد تليات واحد
آخر امي نحو من اتى به هو الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهو جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما
آلهتهم كانه قيل ان كان الامر كما يقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد دفعتم في مبارزة محمد صلى الله عليه وسلم الى فاقة
شديدة فعجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها آلهة ومن جهة ابطال
ما انكروه من اعجاز القرآن واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او ليحكموا لكم او عليكم ومعنى دون
ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمعها تقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا
ودونك هذا اي خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه
قول من قال العدو وقد كان يثني عليه رب انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي
حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون
الله متعلق بشهداءكم او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلاثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون يوم القيمة
انكم على الحق او ادعوا الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك قدام الزجاجة والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز
بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اولياء من غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من
المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة
ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد وعلى الثاني يحتمل معنيين ادعوا من الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله

ليشهدوا ان ما ادعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة يصح بها الدعاوى
عند الاحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانحراطهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون ...
بعض العرب عن نسبه فقال قريشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة والمراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور
من الجن والانس فكانه قيل لهم ادعوا الله غير الله من الجن والانس من ادرتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية وانما استثنى الله لانه القادر
وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد واعلم ان التحقيق في التحدي هو ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة
والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاستعون اهدكم سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي اقدر
عليه باظهار الله تعالى اياه على يدي وانتم لا تقدرون عليه لعدم افادة لتعرفوا التي خصصت بها بفضل من عنده واني صادق فيما اقول
فان انصفوا من انفسهم بمشية الله تعالى ونور هدايته اتبعوه واهتدوا والا بقوا في الضلالة خائبين وكل هذا من عالم الاسباب التي ربط
الله تعالى بها الوقايع والحوادث حسب ما اراد ولا يلزم من هذا ان يكون للعبد قدرة مستقلة يقع التحدي عليها بل الله يهدي من يشاء
وكل يفعل وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فاتوا ولقوله وادعوا المعطوف عليه ويجوز ان يكون قيدا لقوله وادعوا الان وقوله فاتوا
مقيد بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله وهو مشله عليه التقدير وان كنتم في ريب فاتوا وان كنتم صادقين في
ان ما بكم نعتكم وفي ان القرآن غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام
كالاستفهام ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما يقدم ما يدل عليه ومثل هذا في القرآن كثير فاعتبر في كل موضع واما قوله فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فاتوا ولانها تدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب
كانوا يعادونه اشد المعاداة ويتهالكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه
مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه صلى الله عليه
وسلم ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف عاقبة امره لتهمة فيه حاشاه عن ذلك لما بالغ
في التحدي الى هذه الغاية وثالثها انه لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه ويتفكر وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا
وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا وفي لن تاكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال لان
احدا لو عارضه لم تمتنع ان يتواضعه الناس ويتناقلوه عادة لا سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه واذا لم يقع المعارضة الى
الآن غلب على الظن بل حصول الجزم انها لا تقع ابدا لا سيما ان الاسلام وقد قلت شوكة الطاعنين وانما جيء بان التي للشك دون اذا الذي للوجوب
والقطع مع انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم
على فصاحتهم وابصرهم فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وانما اخير قوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول فعل كثير دون
مفعول الذي هو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك من طول المكني عنه كما لو قلت اتيت فلانا واعطيته مما يقال لك
نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا الجملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجيء بالواو وبدون الواو وقد
اجتمعا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا الفساد كما هو الظاهر لان اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد
فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاتبعوا
وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار وهذا شيع
بتقطيع امورها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فهو مضموم وقد جاء فيه الفتح فان قيل صلة الذي والتي يجب ان يكون قصة معلومة
للمخاطب فكيف علم ولكن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة وطغا عرفت فيهما اشارة اليها الى ما عرفوه تمه اولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس و
الحجارة او بانها توقد بنفس ما يراد احراقه واحماته او بانها لافراط حرها اذا اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل
الكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل نفس بما يشاكله من العذاب والحجارة وقيل هي حجارة الكبريت وقيل هي
ما نحتوها اصناما الكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا انها شفعاؤهم عند الله وانهم يستشفعون بها و
يدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوبيخا لنقيض ما طلبوه ونحوه ما يفعله بالذين يكنزون الذهب و

الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء في الحجارة لتاكيد
التانيث في الجمع نحو صقورة وقد يطهر في الكلام من هذه الآية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ومن قوله نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى
بالاحراق ان كان مقصرا في ادراك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد
العاطف لانها بدل من الصلة واستيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين قال الله سبحانه وتعالى

وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها
ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

الوقوف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون

التفسير انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سننه المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة
الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما مخلوقتان ام لا ظاهر الآيات من قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا قصة
آدم وحوا والجنة وقد جمع الله تعالى في الآية جميع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم وهو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرات
ثم ان الخوف نقص الزوال ودوم فيها خالدون تماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال
العلماء اذا قال العبيد ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشره فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سرورا بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني
عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة الظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوءه واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب
التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب
له مشاكل من امر او نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما يقول زيد يعاقب
بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر
يا فلان بني اسد باحساني اليهم وقال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود
القرينة عزيز كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المأمور بقوله وبشر اما الرسول صلى الله عليه
وسلم وان كل من له استيهال ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل
لام يظهر بالغيب تاتيني واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في موجب التكليف
واستدل بهذه الآية من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء
على الكل جائز لغرض من الاغراض كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم ههنا مذاهب منهم من قال ان العبد لا يستحق على الطاعة
ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه الاشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان
والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما اوجب من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن اشركت
ليحبطن عملك وانما طوي ذكر هذا الشرط في الآية للعلم به فانه قد ركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه
ما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من آمن وعمل صالحا استحق الثواب
الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه
وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر
المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على

حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق
ولنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ويدار التركيب على السعة واسناد الجرى على الانهار من الاسناد المجازى لان الجارى هو الماء وكذا
من تحتها اى من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا ارواح فيها
وصور لا حيوة لها واجماع على الانهار لان المراد بها الجنس كما يقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس
التى فى علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة فيها
انهار من ماء غير آسن الآية وكلما رزقوا اما صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف اى هم كلما رزقوا او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات
لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار
جنات الدنيا اى اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن فى منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقنى فلان فيقال
من اين فيقول من بستانه فيقال من اى ثمرة فيقول من الرمان فالرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة
الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك
اسدا تريد انت اسدا وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق
كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح اولا وبالذات وتشخصه ثانيا وبالعرض
لان التشخص امر زائد على حقيقة الشىء فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذى اى هذا مثل الذى رزقنا من قبل نحو ابو يوسف
ابو حنيفة لان ذات الذى رزقوه فى الجنة لا يكون هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا والضمير فى قوله واتوا به يرجع الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا
لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين والغرض فى تشابه ثمر الدنيا وثمر الآخرة ان الانسان بالمالوف آنس
والى المعهود اميل واذا ظفر بشىء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة افرط ابتهاجه وطال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا رأى
الرمان والنبق فى الدنيا وحجمها حجمها ثم ابصر رمان الجنة تشبع المسكن والنبقة كقلال هجر كما يرون الشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه
كان ذلك ابين للفضل وازيد فى التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل
ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الامر فى ظهور المزية وكمال الاستغراب فى كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال
كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجرى من غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير فى واتوا به الى الرزق كما ان
هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا فى نفسه اما للتساوى ثوابهم فى كل الاوقات فى القدر والدرجة
حتى لا يزيد ولا ينقص واما الانسان اذا التذ بشىء واعجب به لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءه ما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية
اللذة وعن الحسن ان الاشباه فى اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى رزقنا من قبل فيقول الملك
كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة
الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة ليس الا معرفة ذات
الله وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة
المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل فى الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق البدنية فاذا زال العائق
بعد الموت وشاهد تلك المعارف وقال هذه التى كانت حاصلة لى فى الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق الجنة
جنة الوصول واشجارها الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلات والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشارات
والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يشاهدون احوال الاشياء فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا
المشاهد هو الذى شاهدنا قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى عليه السلام شاهد نور الهداية فى صورة
نار فيكون تارة تلك النار نار صفة غضبه كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة يكون نار المحبة يقع فى محبوبات النفس
فيحرقها وتارة يكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فيحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شىء له صورة فى الدنيا فله فى الآخرة معنى آخر
غيبى كقوله صلى الله عليه وسلم فى دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم وقوله واتوا به متشابها جملة معترضة تفيد
زيادة التقرير كقولك فلان احسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لا سيما التى تختص بالنساء
وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء ومما الغشان فصحاء النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرئ مطهرة لصفتهن
فيما الوقيل طاهر فوحى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهى

ان المرأة اذا حاضت فالله تعالى يمنع من مباشرتها فقال فاعتزلوا النساء فى المحيض مع انها معذورة من نجسها فاذا كانت اللواتى فى الجنة
مطهرات فلا يمنعك عنهن اذا كنت نجسا بالمعاصى مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع الدخول فى المسجد
الذى يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التى لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج آدم منها بسبب
الزلة ايضا الصادرة عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته او يستكره فكيف من صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب
المعاصى والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم
ومنكم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التابيد داخلا فى مفهوم الخلد كان قوله تعالى خالدين فيها ابدا
تكرارا وقال فى العرف حبسه حبسا مخلدا او وقف وقفا مخلدا والحق ان خوف الانقطاع ينقص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين وهو اعلم

ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا
فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا
الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و
يقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم
الخاسرون

الوقوف فما فوقها ط من ربهم ج مثلا م لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدى به كثيرا ط الفاسقين لا لان الذين
صفتهم ميثاقه ص لعطف متفقتين فى الارض ط الخاسرون التفسير لما بين كون القرآن معجزا اورد هنا شبهة اوردها الكفار قدحا فى ذلك واجاب
عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى
من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الآية وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود و
قالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واجناس الارض و
هذه امثال العرب بين ايديهم سائرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفنى
مخ البعوضة ولقد ضربت الامثال فى الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكحبة خردل والنحل والحصاة والارضة
والدود والزنابير قال صلى الله عليه وسلم مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع فى قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة
فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان وقال عبيد الزراع يا سيدنا الست حنطة جيدة نقية زرعت فى قريتك فقال بلى قالوا فمن اين هذا
الزوان قال العلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة
وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الخزن وافسر لكم ذلك الرجل الذى زرع الحنطة هو ابو البشر والقرية هى العالم والحنطة
الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله والعدو الذى زرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصى التى يزرعها ابليس واصحابه
والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنو آجالهم فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكان الزوان يلتقط
ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم فى اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء
وصريف الاسنان ويكون الابرار فى ملكوت ربهم من كانت له اذن فليسمع واضرب لكم مثلا آخر تشبه ملكوت السموات رجلا
اخذ حبة الخردل وهى اصغر الحبوب فزرعها فى قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير السماء تعشش فى
فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظمه ورفع ذكره ونجا من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه
الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل فى صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التى لا تنضجها النار ولا يلينها

الماء ولا تقصفها الرياح وقال الا ذخروا ذخايركم عباد الله تحف مجدد وابت عليها لباسها وهنالك رزقها وهن لا يعزلن ولا يعضن ومنهن
ما هو في جوف الحجر الاصم ومنه في جوف العود من يأتيهن بلباسهن وارزاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تشتموا الزنابير فنعم كذلك لا تخاطبوا
السفهاء فيشتموكم هذا ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكاة
فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال والانسان الثاني يكون اكمل
واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره في الكتاب الذي نزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير
وحكمته في كل ما خلق وبرأ عامة بالغة وليس الصغير احب اليه من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق القصة فاذا كان اللايق
بها الذباب والعنكبوت لحقارته يضرب بهما المثل ووهنه فكيف يضرب بالفيل وبني مستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يعني على من له ادنى
مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت رفع الواضح وانكار المستقيم شعر وكم من عايب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم ... والحياء تغير وانكسار يعتري
الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اشتكى النساء والحشا وكان الحي صار منتقص
القوة منتكس الحياة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال هذه الصفات مما يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار
المبادي وفي حديث سلمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع
فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه ومعنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك
ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد صلى الله عليه
وسلم ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام شعر من مبلغ افناء يعرب كلها
اني بنيت الجار قبل المنزل ... فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار فلما استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد ... يصف كرعه مياه الامطار في طريقه انه ايما ذهب اي الماء فكأنه يعرض نفسه على النوق فتستحيي فتكرع فيه
مشافر كأنها السبت وهو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه وفيها الماء وحواليه الازهار بآنية من الورد وفيه لغتان استحييت منه واستحيته
ومما تحملتان فهما وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما
من ذهب وما هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شيوعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان وصلة للتاكيد كالتي في قوله
فبما نقضهم اي مثلا حقا او البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك ان ما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال حاتم مثل في الجود ومفعول
ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين مجرى مفعولي جعل والبعوض في اصله صفة على فعول من البعض القطع فغلب
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه ومعناه البق والعضب ومن غرايب خلقه انه مع صغره اعطى كل ما اعطى الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان
خلق احدهما ليس باصعب من خلق الآخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اي
على صفته فاعطاه على ضعفه من كل صفة من صفاته مثالا انموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه ومن العجايب ان خرطومه في غاية
الصغر ومع ذلك مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب
الله تعالى في راسه من طوبه من السم وقوله فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا
تمثيل الله بكل هذه الاشياء او ارادوا فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا اولى
لان الآية نزلت بيانا ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول والفاء ههنا بعد الترتيب في الذكر لانه
يذكر في هذا المقام الاخس فالاخس كقوله يا دارمية بالعلياء فالسند لانه يذكر في تعريف الامكنة الاخص بعد الاعم فكان العلياء موضع فيه
يشتمل على مواضع منها السند واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفايدته التوكيد يقال زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد وان
الذهاب منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب والمراد من هذا التفسير
ان اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصد الى المعنى المحصل اي ان لم يكن في الدنيا شيء لم يوجد ذهاب زيد فهذا جزم بوقوع ذهابه
لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شيء في الدنيا وما دامت الدنيا فيه فلا بد من حصول شيء فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين به ان لم
يقل فاما الذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت
الذي لا يسوغ انكاره حتى الامر ثبت ووجب والضمير في انه الحق للمثل ولان يضرب وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي
فيكون كلمتين ما مبتدا وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولين اسما واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد
الله وجوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب ويجيء على العكس كقولك في جواب من قال ماذا رأيت خير اي هو خير وفي جواب [illegible]

خيرا اي رأيت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين
علمه وقدرته والله ولذته والمتكلمون قالوا انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي الجايز على الآخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة
واختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسين البصري جعلوها عبارة عن علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف
والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما انها صفة زايدة في العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان يكون ذاتية وهو القول الآخر للنجارية
واما ان يكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو القول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية
او قائما بجسم آخر ولم يقل به احد او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار
كما قالت عايشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص حين افتى بنقض ذوايب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو وهذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز
كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال نحو هذه ناقة الله لكم آية وقوله
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل
من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة شعر
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا ... كما غيرهم قل وان كثروا ... واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب
المثل ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم فتسبب لهداهم وزادت الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد
قال [illegible] فواسقا عن قصدها جوايرا يذهبن في نجد وغورا غايرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة
من اهل الايمان الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه
ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل شهادته ومذهب مالك بن انس والزيدية
ان الصلوة لا تجوز خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
وان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل
على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العالم بانه
بحر تسكت عن الاستعارة لانك رمزت اليه بذكر شيء من لوازمه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه ووثقه عليه والمراد بالناقضين اما
كل من ضل وكفر لانهم نقضوا عهدا ابرمه الله بارآءة آياته في الآفاق وفي انفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى توحيده
وعلى حقية شرايعه بعد ازاحة العلات وازالة الشبهات واما قوم من اهل الكتاب ما اخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم
بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم امره وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد
الذي اخذه على جميع ذرية آدم واذ اخذ ربك الآية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اسم
مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما وثقوا به عهد الله من قوله واقرارهم انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله
من بعد توثقه عليهم او من بعد ما وثق الله به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل اما قطيعة ما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم او قطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد
والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي
الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة
للمخاطب نحو افعل من اوصيه وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره الوجوب وغيره من الندب والاباحة يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل
الاشتمال من الضمير المجرور والجار كما ينبغي ان يعاد مقدرا تقديره بان يوصل اي بوصله والافساد في الارض اما اظهار المعاصي واما التشارع واثارة الفتن اولئك هم
الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفا والقطع بالوصل والافساد بالصلاح وعقابها بثوابها الا الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
بر چه حال نمی گروید بخدا و حال آنکه بودید مردگان پس زنده کرد شما را پس میراند شما را
ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الارض
پس زنده کند شما را پس بسوی حکم او بازگردانیده شوید او آنست که آفرید برای انتفاع شما هر آنچه که در زمین است

جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

پس قصد کرد بارادت بسوی آسمان پس تمام کرد خلقت آنها را هفت آسمان باشند و او به همه چیز داناست

القراءة فاحياكم ونحوه بالامالة علي ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن يعقوب وهو وهي بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي و ابو عمرو فاحياكم للعدول اى ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام الوقوف ترجعون ٥ سموات ط عليم ٢٩ التفسير هذه الآية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرنا ووجهه هو ان الكفار حين صدور الكفر منهم لابد من ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث له فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين سائر الاحوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله او جاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك العلم بالصانع او الجهل به في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام او في حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال العلم بهذه القصة وهي ان كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا وكذا من الاثر بعد الاحياء ثم الرجع اليه فبقي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عمن له صورة اختيار في الزمان مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا يشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في الصور او حين تسألون في القبور ثم اليه اى الى حكمه ترجعون بعد الحشر للثواب والعقاب [illegible] وهذه القضايا ايضا مما لا يشك فيها المنصف لانه لابد من ازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ابو نخيلة السعدي شعر واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ∴ ولكن بعض الذكر انبه من بعض ∴ ولا يخفى ان الاثر بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وآتيناه اهله ومثلهم معهم واعلم ان هذه الآية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على انه قادر على الاحياء والاماتة الى الله فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع البينة على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابتداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اى يعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه لا يتركه على هذا الموت بل لابد من حيوة ثانية للسؤال والحشر ثم من الرجوع اليه للثواب والعقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره احسن صورة وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا خبر ويبقى مدة مديدة في اللحد ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر يمر اقاربي جنبات قبري كأن اقاربي لم يعرفوني ∴ الهي اذا امسينا من في الاجداث عبرة ∴ رؤسنا ناحية وجوهنا جائعة بطوننا ∴ مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيمة سوآتنا ∴ فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الآية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكر بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وظاهر الآية لا يدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اى مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف وبعضهم يستدل بها على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها ويمكن ان يقال بل بهذه الآية ولا كان تصرفا في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم منه انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بغرض وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع

الفعل

الفعل الغاية علة لفعلية فاعله لان هذا انما اذا كانت فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان يكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق تنبه له من يستر عليه قيل انه تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل يقتضي مقابلة الفرد للفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اى قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق وهذا كقولك لآخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سويها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اى في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر وكقوله ثم كان من الذين آمنوا وتفسير هذه الآية في قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين وتقدير الاقوات في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين اخرين ومجموع ذلك ستة ايام كما قال خلق السموات والارض في ستة ايام فان قيل اما ينافي هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا اجاب في الكشاف لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض جسم عظيم فيمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل على ان خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانهما متلازمان وحينئذ يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله ان يقول لغيره الست قد اعطيتك نعما عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر مقدم في الوقوع قلت وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف من عالم العقل والافلاك الا انه تعالى خلق الارض اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها اعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن والله تعالى اعلم والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة فالوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمهن واخلاؤهن من العوج والفطور واتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قطعا وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه لو لم يعرف تفاصيلها لم يكن محكوما على غاية الاتقان والاحكام فسبحان من خبير يعلم الدق والاجواف والذق في الاصداف والقطرة في البحر والخطوة في البحر وعلى يديه نظام العالم وبه يحصل قوام مناهج بني آدم ثم ان النقل قد دل على وجود سبع السموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رايهم اولها من الجانب الاعلى المحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها محيطا بالكل وثانيها للثوابت جميعا تحديد الادنى الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب تحت بعضها بعضا اولها ما يليها للقمر وفوقه لعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل فلك نفس على حدة تحرك حركة الخاصة ويكون الثوابت على محدب ممثل زحل مثلا و بالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل

و یاد کن آن وقت را که گفت پروردگار تو فرشتگان را بدرستی که من آفریننده‌ام در زمین خلیفه گفتند آیا می‌آفرینی

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال

[illegible]

اني اعلم ما لا تعلمون القراءة خليفة واشباهها بالامالة عند الوقف ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي

[illegible]

الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو
خاصة وفريضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء ففي الاختلاف من اهل المدينة فاشدهم امالة حمزة وعلي فاما
ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب اني اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو خليفة بناء على ان
عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى
الحال في قوله ونحن نسبح يقتضي الوصل ونقدس لك ما لا تعلمون التفسير هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق آدم عليه السلام وعن كيفية
تعظيمه اياه فيخرط على سلك ما تقدم من النعم فان النعمة على الآباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرفية اي اذكر وقت قول ربك كقوله
واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد من بني
آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا ويكون المحاذاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة والرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل
ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على اللام والحاق التأنيث للجمع نحو حجاجة وقد لا يلحق واعلم
ان الملك قبل النبي بالشرف والعلية وان كان بعده في عقولنا واذهاننا اذ جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة
وقدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف
العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف عالم السفلي بوجود الانبياء فيه وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم انها اجسام لطيفة
هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وهو قول اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون
ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والاتحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات منها ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم
معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير
فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم
الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه
ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هي النفوس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت
صافية خيرة فهي الملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة
البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما نسبتها الى النفوس البشرية كنسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم
من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل
على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة
مشاهدة آثار عجيبة والمنامات الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما يحكى ان جالينوس وجع
في الكبد فرأى في المنام كأن آمرا امره ان يفصد الشريان الذي على ظهر الكف اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال
الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء عليهم السلام في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال
صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن والجن وبنو
آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وكلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر
ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي
نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت
به السموات والارض وما فيها وما بينها فانها كلها تكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما من مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم
زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هؤلاء
ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون
عن عبادته ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبريل صاحب الوحي
والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا وانا
اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم
نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة
لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم
العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير
ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة
الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم
من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير
تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان معناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق
كما قال اني خالق بشرا من طين لان تمام الاعتبار في الخلافة من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه
خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم عليه السلام اما لانه صار خليفة لاولئك الجن
الذين تقدموه ويروى ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة ابناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض
وانما وحد بتاويل من يخلف او خلقا يخلف بل الحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات
ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح الانسان
لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكاة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفاء العقل
ولو لم تمسسه نار النور في مصباح السر فتيلة الخفي فاذا اشتعل مصباح بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل
والاحسان والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولانه يظهر هذه الصفات لاهل الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة
في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيب واعلم ان الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة
كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء من المأمورات بل وفي المنهيات لان المنهي
مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون الى غير ذلك من الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل والاعتراض على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني آدم
الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما
علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض يدل على انهم كانوا مرتابين من انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالافساد وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد والا لم يكن
لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان
من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه
فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان
الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر
غامض فما ابلغ حكمتك ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانهم قالوا الهنا انت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين
السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا به على ان الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من
الله تعالى فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا
نحن نسبح والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم ونعت السفه ومنها ان الخيرات
في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما
لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان على وجه المبالغة في
اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل مسألة منهم ان يجعل الارض او

بعضها لهم ان كان صلاحا نحو قول ابو ثني ابقيلكما بما يفعل السفهاء اي لا تهلكنا فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء فبين
ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير الستم خير من
ركب المطايا اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة
فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي ايجادهم وفيه ان استحقاق مال الخلافة ليس بكثرة
الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين والجواب عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال
ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا واما بنعمة ربك فحدث
فكانهم قالوا اما سالناك للقدح في حكمتك يا رب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب
بل لان ترك السؤال كان اولى ويروى عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم اخفى الكلام بين الجماعة من الملائكة فيما بينهم وقالوا
ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلم وفضله عليهم وعلمه الاسماء كلها قال انبؤني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا
في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما انهم قاسوه على حال الجن الذي كانوا قبل آدم عليه السلم في
الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المخالفة والاخلاط المنافية الموجبة للشهوة
التي منها الفساد والغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال
للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وانه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء وان لما
كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك او لان الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج
الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار
خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق
البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية منه تظهر واما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف
الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور ام لا فالفلاسفة وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا
لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك اولى وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مزجورين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار
ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والواو في ونحن نسبح للحال كقولك
احسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد
التبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرا عن
العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى
انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي عن كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه ان يكون له انا الذي اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي علم لا بتعليم المعلمين ولا بارشاد المرشدين
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انا الذي عفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله
فسبح ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء
فسبح لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على تسبيحي وسجودي بكرة واصيلا والا فالضرر يعود فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون يسبح له الحجر والمدر والرمال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار
والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده ايها العباد
انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب التسبيح ولا اضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل ثواب هذه الاشياء اليك لتعرف ان من اجتهد في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته
وانما ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية لانتفع بي لا سبحان ربك رب العزة

فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما اقرضني وان كنت انا الغني حتى ارد
الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن اذا انصرتني نصرتك ان تنصروا الله
ينصركم اخدمني ايها الناس اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك ولله ملك السموات والارض ولكن اصرف في خدمتي عمرا قصيرا لتنال
ملكا كبيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم
قوله بحمدك في موضع الحال اي نسبحك ملتبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام
افضل فقال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل سماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت
واهل السماء الثانية قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحي الذي
لا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح اي نصلي والتسبيح الصلوة وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك و
قيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك اني اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تغتموا بان فيهم من يفسد ويسفك
فاني اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره او اعلم ان معكم ابليس وفي قلبه من الحسد والكبر والنفاق ما فيه او انكم لما
وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم في تسبيح انفسكم لا في تسبيحي اصبروا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدونني ثم يخشونني يؤدون
حق العبادات ثم لا يتكلمون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين او اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولكم في هذا
الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعاله تعالى كلها حكمة ومصلحة وان خفي عليكم وجه كل واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك في قوله تعالى

وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤني
و بیاموخت آدم را نامها همه را پس عرض کرد مسمیات آن نامها را بر فرشتگان پس گفت خدا خبر دهید مرا

باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما
بنامهای این چیزها اگر هستید راست گویان گفتند فرشتگان منزه میدانیم ترا از نقصان هیچ دانش نیست ما را مگر آنچه

علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم
آموزانیدی ما را بدرستی که تو توئی دانا درست کار گفت خدا ای آدم آگاه گردان ایشان را

باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
بنامهای ایشان پس چون آگاه گردانید ایشان را بنامهای آن مسمیات گفت خدا ای فرشتگان آیا نگفتم من شما را بدرستی که من میدانم نهان

السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
آسمانها را و زمین را و میدانم آنچه آشکارا میکنید و آن را که هستید که نهان میدارید

القراءة انبؤني وكذلك خاطؤن وخاسئين وفيما تنبؤن ونحن المستهزؤن وليطفؤا وليواطؤا ومتكئين وقل استهزؤا ومتكأ ويستنبؤنك وبابه
بالياء وبيونك وشبهه واشباه ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وهؤلاء بغير المد يزيد ويعقوب واوقيه ومعصب عن قالون قال
ابو اسحاق مما كانتا لا يمدها ويمد اولا هؤلاء ان بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرا ابو عمرو والبزي من طريق الهاشمي بترك الهمزة الاولى
واثبات الثانية وكذلك في المفتوحتين والمضمومتين وعن نافع تليين الاولى واثبات الثانية في المضمومتين واما في المفتوحتين فكابي عمرو
انبئهم عن ابن عامر روايتان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة الهاء الباقون مهموزة مضمومة الوقوف صادقين ط علمتنا ط
الحكيم ج انبئهم باسمائهم ج لمكان فاء التعقيب باسمائهم لا لان الجواب فلما تكتمون ه التفسير وفيه ابحاث الاول الاشعري والجبائي
والكعبي على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعاني وبان تلك الالفاظ موضوعة
لتلك المعاني بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على ان الملائكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى
اياهم وخالفهم اصحاب ابي هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة
والقرائن كالاطفال فقالوا المراد الهمه وبعث داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة لبوس اي الهمناه والمراد علمه ما سبق من اصطلاح
قوم كانوا قبل واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان المراد بالاسماء المسميات قلنا تعليم المسميات
غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض الالف واللام عن المضاف اليه كما في قوله واشتعل الرأس اي علمه اسماء كل ما خلق من

اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات
فلما مات وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد بلغة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا
يبعد بل ينبغي ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان
اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فان كان من السمة فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها
وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم بالدليل قبل العلم بالمدلول وانما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقايق
الاشياء اكثر من الفضيلة في معرفة اسمائها من الحقايق ما يتوقف ادراكها على آلة تدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان
لآدم تلك الآلات وقد عرفها بها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربي لا يحسن منه ان يقول للعبري تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى
معرفة اللغات بل ان حصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقايق الاشياء فالعقل متمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي به وانما قيل
ثم عرضهم بلفظ الذكور لان في جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والمذكر على المؤنث ومن الناس من
تمسك بقوله انبئوني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان
كنتم صادقين اي في اني لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اي في قولكم انه لا شيء مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو
قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلموني باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام وقيل اخبروني ولا تقولوا الا حقا وصدقا
فيكون الغرض منه التوكيد لما نبه عليه من القصور لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يخبروا
على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطاءهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فاذا لم تعلمنا ذلك فكيف
نعلمه او انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى علمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم يفسدون في الارض فقلنا
اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تسبيحا اي تنزيهك تنزيها وهو مصدر غير منصرف اي لا يكمل
الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية واذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري في المعاني قالت المعتزلة ههنا
المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل
بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم اجمع اهل الاسلام بالاية على انه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه
لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلة اذا فسرتم التعليم بوضع الدليل فعندي حركات النجوم دلايل خلقها الله تعالى على
احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك تعليم آدم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس
ان المراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل آدم خليفة في الارض قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا
تعلمون الا انه جاء به على وجه البسط والشرح فيندرج فيه علمه باحوال آدم قبل خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها
فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها وبقوله ما كنتم تكتمون ما اسر ابليس في نفسه من الكبر وان لا يسجد وقيل لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء
فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسره منهم فابداه بعضهم لبعض واسره عن غيرهم فكان
في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى **البحث الثاني** قالت
المعتزلة ما ظهر من آدم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء او الى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال
الى الرسل كبعثة ابراهيم الى لوط عليهما السلم واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه الله وعدم حصوله
لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات اولى فان علموا فقد قدروا على المعارضة والا فكيف عرفوا
ان آدم اصاب فيما ذكر اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا وان آدم عرض عليهم جميع تلك
اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من آدم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق آدم والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق
الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات او من باب الارهاص فمما عندنا جايز ان
القاطعون بانه عليه السلم ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب الطرد والتحقير فوجب
ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والاجتباء الرسالة والاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو كان رسولا فان لم
يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون رسولا الى الاشرف

والى المرأة

وان المرء الى قبول القول ممن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء وانما عرفت التكليف لا بواسطة آدم بل
ولا تقربا هذه الشجرة واما الجن وما كان في السماء احد من الجن **البحث الثالث** في فضل العلم لو كان في الامكان شيء اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل آدم
بذلك الشيء ومما يدل على فضيلة الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك ما روي عن مقاتل ان الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ
القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة
بمعنى النبوة ولقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ورابعها القرآن يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه
عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت
وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال لان الملوك يجب
عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم جعلهم في الاثنين في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام فجعلهم في المرتبة
الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون آمنا به وبالشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا
لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبالخشية انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة كل سنة
ويبني بكل قدم مدينة في الجنة له ويمشي في الارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصايم نهاره
والقايم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا له فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت و
هو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعنه رحم الله على خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك
قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع
نوري فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلى الله عليه وسلم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب
الارض وحيتان البحر وعن ابي هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد بسبعين
درجة بين كل درجة حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيعرفها العالم وينهى عنها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه اليها
ولا يتعرف لها وقال صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلم حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت
وعن ابن مسعود مرفوعا من طلب العلم الحديث ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن علم الجهني مرفوعا يوتى بمداد العلماء ودم الشهداء
يوم القيمة لا يفضل احدهما على الآخر وفي رواية فيرجح مداد العلماء وعن ابي واقد الليثي ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس والناس معه
اذ اقبل ثلثة نفر فاما احدهم فراى فرجة في الحلقة فجلس اليها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ من كلامه قال الا اخبركم عن النفر
الثلثة فاما الاول فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض الله عنه وعنه صلى الله عليه وسلم
يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا
مات الانسان انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألتم
الحوايج فاسئلوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال اهل القرآن قيل ثم من قال اهل العلم قيل ثم من قال صباح الوجوه قال الراوي والمراد باهل
القرآن من يحفظ معانيه وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه
الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وساير الناس همج لا خير فيه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعرابي
لولده كن سبعا خالسا او ذئبا خالسا او كلبا حارسا واياك ان تكون انسانا ناقصا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحدث انسانا فاوحى
الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الا ساعة وكان هذا وقت العصر فاخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فاضطرب الرجل و
قال يا رسول الله دلني على اوفق عمل في هذه الساعة قال اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم وقبض قبل المغرب قال الراوي فلو كان شيء افضل من العلم
لامره النبي صلى الله عليه وسلم به في ذلك الوقت واما الآثار فان مصعب بن الزبير قال لابنه تعلم العلم فانه ان يكن لك مال كان لك جمالا وان
لم يكن لك مال كان لك مالا وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل العالم بالله وبامر الله

ثم من قال اهل العلم

كمثل الشمس لا تزيد ولا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب لهو تارة مع الخلق بالشفقة
والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم
بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو
العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة اصناف وذلك اني
افسر القرآن فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يذنب كان مؤمنا مخلصا
وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك
خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم ارحم بالتلميذ من الاب والام لان الآباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا و
آفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدايدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤل وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة
الحمقى واحفظ حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان زينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء
ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمسة فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالريا فركزه بجنب العبادة
وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه العلم افضل من المال بسبعة اوجه العلم ميراث
الانبياء والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه اذا مات الرجل خلف ماله والعلم
يدخل معه قبره المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس محتاجون الى العالم في امر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي
الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات ينال
فضل المتعلمين ويكون محبوسا عن الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم فنزلت الرحمة عليهم
حصل له نصيب وما دام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر ويكون في زمرة انا عند المنكسرة قلوبهم
لاجلي واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق نفر عن الفسق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منه وان كان اميرا
قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم آدم
الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه
صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير وعلمنا منطق الطير وعلم عيسى التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وعلم
محمدا صلى الله عليه وسلم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى
ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والملك وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن امه وعلم
محمد صلى الله عليه وسلم لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام
قولا من رب رحيم والخضر بعلم الفراسة صحبة موسى فانه محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الحقيقة لا يجد صحبة محمد قال اولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين ويوسف بتاويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وايضا فان
يوسف عليه السلام ذكر نعمة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم كيف اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسر الكلام
وسميا لنفسه ووارثا لنبيه قد اعيا لخلقه وواعظ العباده وسراجا لاهل بلاده وهاديا الخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه
كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء روي عن نافع بن الازرق قال لابن عباس
كيف اختار الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاج يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال
ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر قال الوالد يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس في الوحشة وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر
في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر
على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه
قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه فقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا
في عينك وكن ضعيفا عند الطرب قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع شكايتك الا الى من ترى نفعه عندك حتى تكون
حكيما فاضلا وعن بعضهم آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة النسك المعصية عند الجهل لا يرجى زواله
وعند الشهوة يرجى زواله انظر الى زلة آدم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في العمى ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام
لما صار ملكا احتاج الى وزير فسال جبريل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه في اسوء الاحوال فقال لجبريل كيف يصلح لهذا

العمل مع سوء حاله فقال له جبريل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ولكنه ان نزكي
عن يوسف استحق الشركة في ملكه فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد ولد خدمة
ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعليم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال
كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك
لجهلي والآن علمت ان الباب باب الرب وقال حكيم الطلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة
فهو محتجب واظهاره بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا اخر له وان نملة واحدة
نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البري من غير جرم فقالت
لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقايق الاشياء من الموجودات والمعلومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين والدنيا
وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوضار المعصية كيف لا تطهر ببركة
العلم بالله وبصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول
تزوجتها فانه لا يحد واما الحكايات فيحكى ان هرون الرشيد كان يحضره فقهاء منهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى عليه آخر انه اخذ من بيته مالا بالليل
ثم اقر الآخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف
بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للآخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن
بعد ما وجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره وعن الشعبي كنت عند
الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مسلسلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بلى فقال الحجاج لتاتيني ببينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك ببينة واضحة من كتاب الله يا حجاج فتعجبت من
جرأته بقوله يا حجاج ولا تاتيني بهذه الآية ندع ابناءنا وابناءكم فقال آتيك بها واضحة من كتاب الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود
وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى ثم قال ابو عيسى فقال الحق عيسى بذرية نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرا هذه الآية من كتاب
الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل المدينة جاؤا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا
عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه
كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف
قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام في الصلوة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم
ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة
ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال لانهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون
فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت بدمي قال كنت البادي ويحكى ان دخل اللصوص على رجل
واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه
فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال احضر في امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا وقال للرجل
ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللص ورد الله عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس
ابي حنيفة فقال يوما له اني اريد التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله يسهل
الامر عليك بعد ذلك فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر
باهلك معك فاظهر الرجل ذلك فاشتد على اهل المراة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق ان ترضوه بان
تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا اليه فقال الزوج اني اريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقرت المرأة لرجل بدين فلا يمكنك السفر
بها حتى تقضي ما عليها فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك وحصل ببركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين وسئل ابو حنيفة عن رجل حلف
ليقربن امراته في نهار رمضان فلم يعرف احد وجه الجواب فقال يسافر بها ثم يطاها نهارا في رمضان وقال المزني للشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع
اهل المشرق والمغرب على شيء واحد وكان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على خلافة هذا الجالس فاقر به
خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سال الحسين بن علي رضي الله عنهما حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سالتم حاجة فاسالوها من احد
اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم واما القرآن

فهو بيوتكم نزل وانما الوجه الصحيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اردتم ان تنظروا الى فانظروا الى الحسن والحسين فقال له
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف فاسالك عن ثلث مسائل ان احسنت
في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلثة فكل ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من
العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله فقال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما زين المرء
قال علم معه حلم قال فان اخطأ ذلك قال فمال معه كرم قال فان اخطأ ذلك فقال فقر معه صبر قال فان اخطأ ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه
فضحك الحسين ورمى بالصرة اليه واما الوجوه العقلية فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم
عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي
بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش يموت وكما يموت يبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك
اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره
واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا عز قائل اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة وهي الغاية في الخساسة
ثم صرت في آخر حالك في غاية الشرف وايضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما استحق الاكرمية لانه اعطى العلم
والعلم اشرف عطية واعظم موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل
الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس من اهل الجنة الا العلماء وذلك
لكلمة انما المفيد للحصر ولاجل لام الاختصاص في لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون
خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته
على افعالهم القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته
لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح
افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات
قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر
حبيبه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى بما علم بما قال للخضر هل اتبعك على ان
تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولو لا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان
يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول على السلاطين وما ذاك الا
بركة العلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وذلك ان المتفكر يوصلك الى الله والعبادة يوصلك الى ثواب الله
وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عليه السلم عظم الحكمة
فاني لا اجعل في طلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة واما الزبور فقال سبحانه
قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان
التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في واحد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقى
لا يوجد بدون العلم كما بينا في ان الخشية لا يحصل الا مع العلم والموصوف بامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا
قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد وان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر
واما الانجيل فقال الله تعالى في السورة السابعة عشرة منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم و
تعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا
نعمل ولكن قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيمة يا معشر العلماء
ما ظنكم بربكم فيقولوا ظننا ان يرحمنا ويغفر لنا فيقول اني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي
عبادي الى جنتي برحمتي وبالجملة فكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل تاذى بذلك
وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم ايما وجد كان صاحبه محترما معظما
حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير من

الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا وكانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم ان كثيرا مما كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له **شعر** لو لم يكن فيه آيات مبينة
كانت بداهته تنبيك بالخبر ومافضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمرتبة النورانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك
حقائق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يريها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت
ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى
البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منهما الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به
يمتاز عن غيره ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليته وجزئيته فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات
بتفاصيلها واقسامها وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولامرها لم يجعل الله سبحانه
سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا
لسكوتهم وانما جعل صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا ظهر فضيلة آدم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس و
ان ابراهيم اشتغل في اول امره بطلب العلم متنقلا بفكره من الكواكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالباهر البرهان الزاهر الى
المقصود وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة او من كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وتارة بالنور يهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر
كذلك لا ينبغي طلب كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا
ويتكدر بغبار الهواء كذلك علم الزهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق واما الاخبار والآثار
على وعيد من لم يعمل بعلمه وطلب العلم لغير ذات الله فمنها انه صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوا العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس
من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال صلى الله عليه وسلم الناس
كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم عن عدي
بن حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا الى قصورها و
الى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل
ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فنودوا ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم
واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي
ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلبوا اربعة في اربعة من الموضع السلامة
ومن الصاحب الزيادة ومن المال الفراغ ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الزيادة و
الكرامة فالكلب خير منه واذا لم تجد من مالك الفراغ فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة
اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى
على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لجابر بن
عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم
بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه فاذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد
عينك جزء من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا **البحث الرابع** في حد العلم الاشعري
العلم ما يعلم به وربما قال يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات المعلوم على ما هو به والكل
دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى منهما
فانه لا يطلقون هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها هنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تميزا لا يحتمل
النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو
مدركه وكذا البصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور و
هكذا ادراكات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشروقا ازداد انبساطا فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون
الحال في كل مستكمل اما اذا كان العالم بحيث يكون كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نوريته ولا يتجاوز مرتبته في العلم وما سنا

الاوله مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة فى نوره بل يكون نوره نافذا فى الكل متصرفا
فيها محيطا بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وفق
لما هو اهلها **البحث الخامس** فى الالفاظ تقرب من العلم ا الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول ب الشعور وهو
ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى ج التصور مشتق من الصورة فكان
حقيقة المعقول حلت فى العاقلة حلول الشكل فى المادة د الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة فى العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها
ه التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة واثر بالحقيقة الفائتة النفس الى عالمها و الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها
ولهذا لا يكون مسبوقا بالزوال قال الله تعالى يعلم ان لست اذكره وكيف اذكره اذ لست انساه ويوصف المعقول بانه ذكر لانه سبب
حصول المعنى فى النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر ز المعرفة وقد اختلفوا فى تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم
ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود
واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره فى نفسه ثم
ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادرك ثانيا هو الذي كان قد ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية
الا انها فى ظلمة العلائق البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلائق عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة ح الفهم وهو تصور
الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع ط الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون
حديثا اى لا يقفون على المقصود الاصلى من التكاليف ى العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصها ونفعها وضرها حتى
يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجرى مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه
يا الدراية وهى المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهى ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى يب الحكمة وهى اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو
بالعلم العملى اخص منه بالعلم النظرى وفى العمل اكثر استعمالا منه فى العلم وقيل هى الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه عن
الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه يج علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين
ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال يد الذهن وهو قوة النفس
على اكتساب الحدود والاراء يه الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجرى مجرى التضرع الى
الله تعالى فى استنزال العلوم من عنده يو الحدس وهو قوة النفس بها يهتدى لشيء عن الحدلا او نطق فى كل قياس يز الذكاء وهو شدة هذا الحدس
وبلوغه الغاية القصوى من ذكت النار اشتعلت يح الفطنة وهى التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز يط الخاطر وهو حركة النفس
نحو تحصيل حتى او حظ ك الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة
الام وعداوة الذئب كا الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة
ذم ان بعض الظن اثم كب الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك فى النوم فمخصوص باسم الطيف كج البديهة
وهى المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات كد الروية وهى ما كان من المعارف بعد فكر كثير
كه الكياسة وهى تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت كو الخبر وهو معرفة
تحصل بطريق التجربة ومنه ما للناس احسن نظلة كز الراى وهو اجالة الخاطر فى المقدمات التى يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة
من الراى راى والراى للفكر كالآلة للصانع ولهذا قيل اياك والراى الفطير كح الفراسة وهى اختلاس المعارف من فهم الشيء الشاة فضربان منها
يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب الاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان فى امتى لمحدثين
وان عمر منهم وقد يسمى النفث فى الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل فمن كان على بينة من ربه اشارة
الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثانى **النكتة** عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه فبالتجلى علمه الخلق بالخلافة والاتصاف
بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المرآة تكون خليفة المتجلى فيه انبئونى باسماء هولاء اى باسماء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان
كنتم صادقين فى دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بجوهر الطاعة فان ذوات الموجودات مسبحات بحمده وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من
صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال
انبئهم ولم يقل علمهم كقوله وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقى فى الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا فلا يخاف
ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبريل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات تهيئة دون غيبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحلو

بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقى اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا
يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه فى انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام
العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى يظهر على الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الوجود فكان فى
كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة تحصل له من كل من ذلك اسم يلائمه حتى ان اسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن
اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان رازقا ولما كان عبدا كان معبودا او لما كان معيوبا كان ستارا ولما كان
مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان ظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوٓا اِلَّآ اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَ
كَانَ مِنَ الْكٰافِرِينَ وَقُلْنَا يٰٓا اٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ
وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظّٰلِمِينَ فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰانُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتٰاعٌ اِلٰى
حِينٍ فَتَلَقّٰىٓ اٰدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمٰاتٍ فَتٰابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوّٰابُ
الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهٰا جَمِيعًا فَاِمّٰا يَاْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ
هُدٰاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِاٰيٰاتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ

القراءة للملائكة اسجدوا برفع التاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران
عنهما اشمامها الكاف الكسر ويرقعان الهاء وروى الخزاعى وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة فى وسطها همزة مكسورة الا قوله
السائلين والسائر فانهما بالهمز شئتما وما بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف فان لهما حمزة آدم نصب
كلمات رفع ابن كثير لا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداى ومحياى ومثواى بالامالة كل القرآن على غير ليث النار بالامالة كل القرآن وكذلك
كل كلمة فى آخرها راء مكسورة بعد الالف فى موضع اللام من الكلمة قراها على غير ليث وابى حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وحمزة فى رواية ابن سعدان
وابى عمرو وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار فى بعض الروايات فهى ابرهيم بن حماد عن اليزيدى الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدى
الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا فى وقف ابى عمرو فى مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن
عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة بن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر **الوقوف** ابليس ط لانه
معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذى ولا عامل فيجعل الجملة حالا الكافرين ه شئتما ص لا تفاق الجملتين الظالمين ه كانا فيه ص
لعطف الجملتين المتفقتين عدو ج لاختلاف الجملتين حين ه فتاب عليه ط الرحيم ه جميعا ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون ه النار ج
لان ما بعدها مبتدأ وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لاولئك لان تمام المقصود بوعيدهم الخلود مثل رمان حلو حامض خالدون ه **التفسير**
لما خصص الله تعالى ابانا آدم بالخلافة ثم علمه من العلم ما ظهر بذلك مرتبته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا
مقتضى النسق ههنا ظاهرا الا ان قوله فى موضع آخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين يقتضى ان يكون الامر بالسجود قبل تسويته

خلقه وانه كما صار حيا صار مسجود الملئم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة وذلك حصل بعد نجابتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم
يكن للعبادة لانه تعالى لا يأمر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة فقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت
شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف ✣ عن هاشم ثم منها عن ابي حسن ✣ اليس اول من صلى لقبلتكم ✣ واعرف الناس بالقرآن والسنن ✣ وهو ضعيف لان المقصود
من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم حالا من الساجد وزعم آخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى
اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم
التغير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم
كالعبادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات
واختلف العلماء في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله
تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن ولا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن فورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبانه كان يحتمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه لا يلزم من
كون الجن في هذه الآية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الآية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل اللغة وهو الاستتار قالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم
وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار وانهم من النور كما قال صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور
وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح
وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالاته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى
لان تخصيص العمومات في كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء
متصلا واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار وانه ليس كذلك بل كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب
وايضا لو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا وحينئذ لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم والتصق بهم فتناوله
الامر لما بين في اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الذكور والاناث ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر
الا انه تعالى امره بلفظ آخر ما حكاه في القرآن الجليل بقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله تعالى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اشعر
بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الآية الكلام في ان البشر افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول
ومالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون
وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بقوله سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى
عند العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الآية تدل على انه تعالى بين ان الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات
والارض وامنهم من الهرم والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة وان البشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في
ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب ب عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة
اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنات
ومنتزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها بل يشتغلون على طاعاتهم خائفين وجلين وكان لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا
عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك لم يملك
نفسه والثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السآمة وهذا شأن
الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على
البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبد والخدم يطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احدهم
على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص والثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم افضل الصوم صوم داود كان
يصوم يوما ويفطر يوما والثالث عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى الآية سؤال روي
عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال قلت لكعب ارأيت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولئك عليهم لعنة الله و
الملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان آلة التنفس
فينا غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون

الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض آخر وبان ثناء الله يستلزم بعد من اعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة
كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة الفعلية من الانسان قد يقع على وجه يستحق بها ثوابا
اكثر من ثواب طاعاتهم د انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها ه الملائكة رسل الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا اذا كان
الرسول حاكما على المرسل اليهم ومتوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في حق الرسول فلم فلنسلم انه كذلك كما لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى
وزير او الى ملك آخر و انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الرفع والرياسة فيهم ولهذا قالوا اتجعل فيها وان
لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم ورد بان تقوى الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن
والفرج ايضا ز لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التأكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل
بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المعاني المصححة للعبودية من نهاية
الخضوع والخشوع وما يتبعها مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان فلا
يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في سائر الدرجات كالزهد والعلم
فلم قلتم انهم افضل من البشر في كثرة الثواب قلت والحق ان جميع الدرجات مندرجة تحت العبودية كما اشرنا اليه فيما مر فيفيد افضلية
الملائكة لكن المقربين منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره كمحمد صلى الله عليه وسلم ح ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين فيفيد وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطأ
في ذلك الاعتقاد وهذا جائز اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم
من مفضوليته وقت نبوته وان سلم مفضوليته وقت نبوته وقيد فلا نسلم ان ذلك في باب الثواب بل في باب القوة والقدرة
والحسن والجمال وغير ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاغتر رغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تنقلبا
ملكين ويصح اسد لالا وايضا يحتمل ان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيره ما نهيت انت غيركما الا ان تكونا ملكا او تكونا من
المعنى ان المنهي عنه هو الملائكة وكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غاية ما في الباب ان الآية تدل على مفضولية آدم ولا يلزم منه مفضولية
جميع الانبياء كمحمد صلى الله عليه وسلم ط ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم
بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفى ان يكون له مثل ما لهم
من الصفات الجميلة كالقوة والقدرة والعلم ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها ى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم ولا يخفى ان التشبيه في بعض الصفات من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكريم لا في الصورة ورد بان قوله فذلكن الذي لمتنني
فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيمه بالتشبيه في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها وان سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا
يوجب مفضوليته من جميع الوجوه وان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة يا ولقد فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير
المكلفين والانسان افضل منهم واما المكلفون وهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل
من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من
الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا هب ان جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الآخر ان يكون
كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامات المذكورة في اول الآية ولقد كرمنا
بني آدم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهي حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم
في الاشياء الموجبة للثواب يب الانبياء ما استغفروا الا بدءا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم ولكن
طلبوا المغفرة للمؤمنين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعلم صدورها عنهم وهذا لا ينفي
افضليتهم في القرب والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال ان استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها يج وان عليكم
لحافظين وهذا يدخل فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر فيكونون افضل ورد
بان الحافظ والشاهد قد يكونان دون حال الامر المحفوظ والمشهود يد يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله
ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف ولا يدل على انهم اكرم عند السلطان

من ولدي يه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا لما قال الشاعر شعر
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشركين وضع الشارع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو يفيد الترتيب وعورض بتقديم تبت على
الاخلاص ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وعورض بقوله يا ايها الذين آمنوا
صلوا عليه ولا تشريف بل التشريف بالامر بذلك يز ان جبرئيل افضل من محمد صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى وصفه بست من صفات الكمال انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بان ترك وصفه
ههنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا يح ان جبرئيل كان معلما للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم
بذات الله تعالى بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف
الموجودات واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم
بدليل قصة آدم ولان تعليم جبرئيل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم زيادة علمهم منع كثرة ثوابهم يط ومن يقل
منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يدل على انهم بلغوا في الرفع الى حد لو خالفوا امر الله لما خالفوه الا في ادعاء الالهية ورد بان
مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم ك قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه
وهذا يدل على ان الملاء الاعلى اشرف ورد بعد قبول خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملاء الاعلى خير من ملاء عوام البشر ولا يلزم من ذلك
كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية
لوجوه ا الملائكة ذوات بسيطة برية عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن مع قوى منهما واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم
للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المجموع الروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل مما له الطرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجودا
للملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مطالعتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين
فيكون افضل ب الجواهر الروحانية برية من الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة
العلائق ادل على الاخلاص وايضا من البين ان درجتهم قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا لسبب
الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين ج انها برية
من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها المنحصرة في اشخاصها التامة خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل التام افضل مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة و
لهذا قيل تحركاتها للافلاك لاجل استخراج التعقلات من القوة الى الفعل كالحركات العارضة لارواحنا الحاصلة لقوى الفكر والتخيل
الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة بل هو انما يجري في النفوس الفلكية د الروحانيات بعيدة الوجود برية
عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود الا الله فان سلم انها وان كانت ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة
الوجود بمباديها وعورض بما عليه كثير من المحققين ان النفوس البشرية واجبة بمباديها وكانت كالظلال تحت العرش يسبحن بحمد ربهم الا ان المبدأ
الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد وشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها فاحكم الفه بها فيبعث من تلك الظلال اثرها وكلها
لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكور في كليلة ودمنة ه الروحانيات نورانية علوية كتاب م
لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الآخر ورد بان الشرف عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب
العالمين و الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فلما الاتفاق على احاطة الارواح السماوية بالمغيبات ولان
علومهم فعلية فطرية كلية دائمة نامية وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض بان
المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل كلذة البشر لعروض الفترات
لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد من قوله
انا عرضنا الامانة الآية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت بطل
الشعور بها وهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها اهلا مستعدا ز الروحانيات
لها قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقوام ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب والملائكة الحاملة اللطيفة تشق

الصخر الصماء وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى
من قوة الشياطين على امور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى مناظم العالم السفلي لا فيما هو
شر لهم واعترض بانه لا مانع من ان يتعلق نفس ناطقة بشرية كاملة مستولية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف ح الملائكة لهم اختيارات
فايضة عن انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما تتوجه الى الخير باعانة الملك
على ما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن عملهم اشق فيكون ثوابهم اكثر ط الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي
لحصول الاختلافات في هذا العالم فكذا ارواح العالم العلوي يجب ان تكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل تكون عللا ومبادي لها فهذه
هي الآباء وهذه الامهات والمنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى ى الروحانيات
الفلكية مبادي لروحانيات هذا العالم ومعاد لها فانها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى
عالمها ومصدر الشيء ومصعده اشرف منه المبدأ واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد وورد ذلك شرط الاعتقاد يا
اليس ان الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي اليس ان الملائكة يعينونهم في المضايق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط ويوم بدر وحنين وكما في قصة
نوح من نجر السفينة ثم ان لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر آخر العمل ولا يلزم من كون الشيء
واسطة افضليته يب القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه شريرة
من وجه آخر وهم البشر تحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت وهو الانسان والناطق غير المائت وهو الملك والمائت غير الناطق
وهي البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب القسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واجيب
بما مر غير مرة من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بتفضيل الانبياء على الملائكة ا ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لآدم وثبت ان
آدم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بخدمة الادون مستقبح والجواب ان قبح العقل غير ثابت ب جعله خليفة له خلافة الولاية كما في
وخلق الدنيا امتعة لبقائه والآخرة مملكة لجزائه ولعن ابليس بسبب التكبر عليه وجعل الملائكة حفظة لاولاده وسدنة لارزاقهم ومستغفرين
لهم ثم انهم مع جميع هذه المناصب يقول والدنيا تمهد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمالات ج انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم والاعلم افضل
د ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل هذا بقوله
يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الآية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد صلى الله عليه وسلم وههنا لا دليل
فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم ه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والملائكة من العالمين والتقريب ظاهر و عبادة البشر اشق لان الآدمي
له شهوة تدعو الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الآدمي مأمور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من
المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للآدمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث
اليومية فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون مدبرهم آمنون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الآدمي دون الملك
واذا كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر ز خلق للملائكة عقولا بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للآدمي فمن
اذا غلب هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا
لاحد الطرفين بالآخر ح الملائكة حفظة بني آدم والمحفوظ اعز من الحافظ ط روي ان جبرئيل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه
وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل وقال لو دنوت انملة
لاحترقت ى قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض اما الذي في السماء فجبرئيل وميكائيل واما الذي في
الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبرئيل وميكائيل وزيران فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك
الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز ان يظن انه معذور ابان انه غير ذي عذر بقوله
ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد العاطف نحو قولك بشر بما سرك عيسى تجلى لا اقول نفي لانها بيان ثم انه جاز ان
لا يكون الاباء مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف ان الاباء منهم الى الاستكبار وكان من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل
الظن بقوله وكان من الكافرين للعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا اما عند من يمنع الاحباط الاجرام
فلان خاتمته لما كان على الكفر علم انه ما كان الا منافقا واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في اول الملل والنحل عن شارح اناجيل الاربعة
شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا ان لي سؤالات

حكمة اسئله الاول انه قد علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم
كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم
من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت واطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة
في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي الرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني و
اخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فائدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر الخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة
آدم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالدا في الجنة السادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت
الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يروني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو
خلقهم على الفطرة والقائم عليها لذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة السابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته امهلني وما الحكمة
في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل
فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له انما تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم
فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل عما افعل والخلق مسؤولون هذا مذكور في التورية ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع
الضلالات كالبذور وليس بعد وما عقائدهم في الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف
بالحق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى وللعين ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل
لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات
الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله اسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد لا ذلك فالشبهات كلها ناشية من اللعين
وذلك في الاول مصدرها وهي في الاخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم
كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة
نصاراها وقال صلى الله عليه وسلم جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول
الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة
بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل لما كفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما
حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا
وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من
الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يكون البعض الموجود
لا ضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن عباس انه قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من
طين فقالوا لا نفعل ذلك فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال آخرون معنى الآية انه صار من الذين وافقوا في الكفر بعد ذلك لانه
كفر ثم كان ظاهرا عند نزول الآية او لان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق ولا يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان ومن
افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المأمورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان
الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم
ومن الناس من انكر ذلك وقال انهم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مأمورين بذلك واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر
الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المأمورون بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة
قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن الآية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان مأذونا في الانتفاع بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد
فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله تعالى ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه ان يكون في
الجنة يأكل منها حيث شاء ونهاه عن شجرة واحدة ان يأكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فانها كانت موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له
مع انه منعه من تناوله من اشد التكاليف وانما لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال الرجل
لغيره اسكنتك داري لا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوج حواء وان لم يتقدم ذكرها في هذه السورة ففي سائر القرآن ما يدل على ذلك
وانها مخلوقة منه خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان
استمتعت بها استمتعت وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ان الله تعالى

لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة بقي وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه
الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت
له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي فلما اراد آدم مد يده اليها منعته الملائكة وقالوا اد مهرها قال فما
صداقها قالوا ان تصلي على محمد وآله قال ومن محمد قالوا ابن ولدك خاتم النبيين ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا
آدم وحواء عليهما السلام على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر
والياقوت حتى ادخلا الجنة فهذا الخبر يدل على ان حواء خلقت قبل ادخاله الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال
ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني هي
في الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا والا لان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه
الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان
غضب الله عليه كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لآدم وقيل ولانه تعالى خلقه في الارض ولم
يذكر نقله الى السماء ولو كان قد نقله فكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا ثم منها
الى الارض وقال الجمهور هي في دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد ولا معهود بين المسلمين
الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تأكيد المستكن في اسكن ليصح
العطف عليه ورغدا وصف المصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما او اي زمان شئتما فان حيث قد يعبر عن
زمان مجهول وانما قيل هنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شيء وكان بينهما رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء
والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول سبب الوصول الى الاكل فكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفي
الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى هي طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد يأكل ايضا فلهذا لم يعطف
ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى الدخول سبب السكون فصح العطف بالفاء والنهي في لا تقربا للتنزيه او للتحريم
الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير
دلالة على المنع من الفعل والجواز ثابت بحكم الاصل لان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا
على التنزيه وهذا اولى ليرجع حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوهن حتى
يطهرن ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوهن
بدليل منفصل والظلم تدبير ادبر ترك الاولى والاخراج لم يكن بهذا السبب كما يبين انشاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية
فان القرب لهما من اسباب الاكل منها ومما يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي
السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي
ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بما له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة
من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما تشجر اي اخذ يمنة ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا
الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت
بضرب غلماني لاساءتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان يذكر عين الغلام واسمه وصفته فلا يظن احد ان ههنا تقصيرا في البيان فتكونا جزم
عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الآية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما
عنها ولفظة عن في هذه الآية كهي في قوله وما فعلته عن امري والضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه
فالضمير للجنة ومن قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكان مما كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير في عنها للشجرة واعلم ان
الناس اختلفوا في عصمة الانبياء عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرهم اما
اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقالت الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع
الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية واما ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف
في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز عنه غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطاء
فيه عمدا واما السهو فجوزه بعضهم وابأه آخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا الكبائر عليهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم

عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجنائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التأويل وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ
ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى وهم على التحفظ اقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة لا عمدا ولا سهوا
ولا على سبيل التأويل والخطأ وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر
والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه
ا لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز من قائل يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين شعر وصغائر الرجال الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون النبي اقل حالا من الامة بالاجماع ب وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول
الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا لكنه شاهد على امر الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا ج
بتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم لان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة د انه صلى الله عليه وسلم
لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه لا شيء اقبح
من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا لهواه حتى يستحق اللعن
والعذاب السادس اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون حينئذ منزلا في شأنه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشتمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الثامن وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب التاسع انه تعالى
حكى عن ابليس لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء من المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا
المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان حزب الله هم
المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا
والنبي افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثاني عشر اني جاعلك للناس اماما والامام
من يؤتم به والمذنب لا يجوز الاقتداء به في ذنبه الثالث عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت
المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى الرابع عشر روي ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على وفق دعواه فقال رسول الله كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع سموات
افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله فيه وسماه ذا الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت
تلك الشهادة المخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما فان
هذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب ما سيجيء في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى
خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما
الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا ان ابراهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الآخر لقوله تعالى
هذا ربي ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منه بطريق الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم
اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا
الخطاب له والمراد الامة كما في يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا
الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من آية
او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج
ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر لقوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي
لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبيط قالوا في باب الفتيا وداود وسليمان اذ
يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء
قصة كل في موضعها على انا نقول شعر يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي قد غاب عن كل شيء سره
عما سوى الله في التعظيم لله فشغل الادنى عن الارفع هو المذموم واما الشغل بالارفع عن الادنى فمحمود قالوا في الافعال
وعصى آدم ربه فغوى والعصيان الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم والغي ضد الرشد من الغي ثم انه تاب

والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه
دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن آدم بعد النبوة فاقدامه
عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي
ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم فيغفل عن صومه فيأكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي وروي عن ابن عباس لما اكلا منها وبدت
لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء منك فقال اما كان
فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال
وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه غير قادر على تركه ولا يكلف
الله نفسا الا وسعها رفع القلم عن ثلث ولجيب بالمنع من ان اقدامه على ذلك الفعل انما وقع عقيب قول ابليس لانه كان
عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه لكانت المعصية في تصديقه اعظم من اكل
الشجرة لانه القى اليهما سوء الظن بالله لانه ناصح والرب غاش وما روي عن ابن عباس فهو من باب الآحاد ولا يلزم من رفع
النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الامة رفعه عن النبي اشد الناس بلاء الانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل
وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرمة حتى يكون مأذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا تسكر
لا فيها غول الذاهبون الى انه فعله عامدا الربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال
كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع ان آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله عمدا لكن
كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب وفعل
المنهي عمدا لا يعذر بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم
على الاكل بسبب اجتهاد لخطائه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ
هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار بها الى النوع كما روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان
حرامان على ذكور امتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد نوع الحرير والذهب ونوع الوضوء
فمراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة
اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذه في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل آدم اللفظ عن موضعه فكيف يعد مخطئا
وايضا هب ان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا
وان عرفها ومع ذلك اقدم على التناول فكذلك وان لم يكن قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون
على تحصيل اليقين بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا هذه المسألة ان كانت قطعية فالخطأ فيها كبيرة من
الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطأ وان قلنا المصيب واحد فالمخطئ فيها معذور بالاتفاق ولجيب بان لفظ هذا
يستعمل في الاشارة النوعية ايضا كما مر وبان آدم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان
المسألة القطعية لما نبهها ما النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية وترتب التشديد على الخطأ
فيها لان النبي قد يؤاخذ به بما لا يؤاخذ الامة قيل وقد يحمل الخطأ في الاجتهاد من جهة ان آدم ظن ان النهي في قوله ولا تقربا
بينا ولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد اكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة آدم مع ان ابليس كان خارج
الجنة وآدم فيها قلت اما لانه دخل فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما يروى
وان كان بعيدا لما روي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا
خيفة فليس منا يعني الحيات واما لانه دخل الجنة في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان
يقرب من الباب ويوسوس واما لانه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس لهما على جهة وسوسة بعض اتباعه
لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة واسناد الازلال والاخراج
الى الشيطان لانهما كانا بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة آدم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس

بوسوسه ومن لا بد من الانتهاء الی الذی لا یسئل عما یفعل فان قیل کیف کانت الوسوسة قلنا هی التی حکاها الله تعالی ما نهاکما
ربکما عن هذه الشجرة الا ان تکونا ملکین فلما لم یفد عدل الی الیمین وقاسمهما انی لکما لمن الناصحین ولکم من شیاطین
الانس تراهم یوسوسون الیک علی الترتیب عاذنا الله منهم ثم بعد ذلک یحتمل انهما لم یصدقاه فعدل الی شغلهما باللذات
المباحة حتی استغرقا فیها ونسیا النهی فوقعا فیما وقعا والله اعلم بحقایق الامور اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابلیس لانها
فی وقت ولحق بناء علی ان ابلیس قد عاد الی الجنة لاجل الوسوسة واما لآدم وحواء فی وقت وله فی آخر قبل ذلک وقیل انه
خطاب لهما وللحیة وقیل الصحیح ان الخطاب لهما وذریتهما مراده ایضا لانهما لما کانا اصل الانس جعلا کانهما الناس کلهم
والدلیل علیه ما قال تعالی اهبطا منها وقوله فاما یاتینکم منی وما هو الا حکم یعم الناس کلهم واهبطوا امر او اباحة الاشبه
الاول لان مفارقة ما کانا فیه من النعیم الی المذلة والهوان اشق التکالیف وانما قیل انه تکلیف لا عقوبة لما رتب علیه من الثواب
العظیم ویمکن ان یقال نفس الاهباط عقوبة ولا ثواب علیه انما یحصل الثواب علی حسب العمل بعد ذلک ومعنی بعضکم لبعض عدو
ما علیه الناس من التعادی والتباغی وتضلیل بعضهم لبعض ولیست هذه هی العداوة المامور بها فی قوله ان الشیطان لکم عدو
فاتخذوه عدوا فلا یدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا وسیکون حالکم کذا لانه عالم التضاد والتنافی ولیس کعالم الانوار
الذی لا تعاند فیه ولا تمانع مستقر استقرار او موضع استقرار حالتی الحیوة والموت ومتاع تمتع بالعیش الی حین هو یوم
القیامة او حین انقضاء آجالکم والحین المدة طویلة او قصیرة ولهذا لو قال انت طالق الی حین تمضت لحظة طلقت وفی قصة
آدم وما جری علیه بسبب الزلة معتبر عجیب وموعظة بلیغة لبنیه فی اجتناب الخطایا واتقاء المآثم ولله در القایل **شعر**
یا ناظرا یرنو بعینی راقد • ومشاهدا للامر غیر مشاهد • تصل الذنوب الی الذنوب وترتجی • درک الجنان ودرک فوز العابد •
انسیت ان الله اخرج آدما • منها الی الدنیا بذنب واحد • وعن فتح الموصلی کنا قوما من الجنة فسبانا ابلیس الی الدنیا فلیس لنا
الا الهم والحزن حتی نرد الی الدار التی اخرجنا منها **شعر** تطلب الراحة فی دار العنا • خاب من یطلب شیئا لا یکون قوله
فتلقی آدم الآیة اصل التلقی التعرض للقاء ثم یوضع موضع الاستقبال للشیء الجائی ثم یوضع موضع القبول والاخذ
وانک لتلقی القرآن من لدن حکیم علیم ای تلقنه ثم بعض الافعال قد یشترک فاعله ومفعوله فی صلاحته وصف کل منهما بالفعل
فیتقارضان عمله فیهما تقول بلغنی ذلک وبلغته واصابنی خیر واصبته ونالنی ونلته وتلقی آدم من ربه کلمات ای اخذها
ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقی آدم کلمات ای جاءته واتصلت به ولا یجوز ان یکون معنی التلقی من الرب ان الله تعالی
عرفه حقیقة التوبة لان المکلف لا بد ان یعرف ماهیة التوبة ویتمکن بعقله من تدارک الذنوب فضلا عن الانبیاء فاذن المراد
نبهه علی المعصیة علی وجه آل الامر الی التوبة او عرفه وجوب التوبة وکونها مقبولة او ذکره نعمه العظیمة علیه حتی صار من الداعی الی
التوبة او علمه کلمات لو حصلت التوبة معهن کمل حالها وهن قوله تعالی ربنا ظلمنا انفسنا الآیة وفی روایة عن ابن عباس
ان آدم علیه السلام قال یا رب الم تخلقنی بیدک قال بلی قال یا رب الم تنفخ فی الروح من روحک قال بلی قال یا رب الم تسبق
رحمتک غضبک قال بلی قال الم تسکنی جنتک قال بلی فقال یا رب ان تبت واصلحت اراجعی انت الی الجنة قال نعم وقال النخعی اتیت
ابن عباس فقلت ما الکلمات التی تلقی آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء امر الحج فحجا فهی الکلمات التی فی الحج فلما فرغا اوحی الله
تعالی الیهما انی قبلت توبتکما وعن ابن مسعود لا اله الا انت ظلمت نفسی فاغفر لی انه لا یغفر الذنوب الا انت وقالت عایشة رضی
الله عنها لما اراد تعالی ان یتوب علی آدم طاف بالبیت سبعا والبیت یومئذ ربوة حمراء فلما صلی الرکعتین استقبل البیت وقال اللهم
انت تعلم سری وعلانیتی فاقبل معذرتی وتعلم حاجتی فاعطنی سؤلی وتعلم ما فی نفسی فاغفر لی ذنوبی اللهم انی اسئلک ایمانا
یباشر قلبی ویقینا صادقا حتی اعلم انه لن یصیبنی الا ما کتبت لی وارضنی بما قسمت لی فاوحی الله تعالی الی آدم قد غفرت
لک ذنبک ولن یاتینی احد من ذریتک فیدعونی بمثل الذی دعوتنی به الا غفرت ذنبه وکشفت غمومه وهمومه ونزعت
الفقر من عینیه وجاءته الدنیا وهو لا یریدها وفی کلام الغزالی رحمه الله ان التوبة تتحقق من ثلثة امور مترتبة اولها
علم وثانیها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما فی الذنب من الضرر وکونه حجابا بین العبد ورحمة الرب فاذا تحققت
هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف علی الفعل الذی کان سببا لذلک الفوات ویسمی ذلک
التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضی وهو تلافی ما فات بالجبر والقضاء ان کان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترک
الذنب الذی کان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم علی ان لا یعود الیه ابدا وکثیرا ما یطلق اسم التوبة علیه فقال الله

وجاء ویجعل العلم السابق کالمقدمة والترک اللاحق کالثمرة ومنه قوله صلی الله علیه وسلم الندم توبة وجمیع هذه الامور
بتوفیق الله تعالی ولطفه انه هو التواب الرحیم والتوبة لغة الرجوع فیشترک فیه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد
فالمعنی رجع الی ربه لان العاصی هارب عن ربه وقد یفارق الرجل خدمة سیده فیقطع السید معروفه عنه فاذا عاد
الی السید عاد السید علیه باحسانه ومعروفه وهذا معنی قبول التوبة من الله وغفران ذنوب العباد والتایب من الذنب
کمن لا ذنب له ومعنی المبالغة فی التواب ان واحدا من ملوک الدنیا اذا عصاه انسان ثم تاب یقبل توبته ثم اذا عاد الی
المعصیة والی الاعتذار فربما لم یقبل عذره لان طبعه یمنعه من قبول العذر والله تعالی بخلاف ذلک لانه انما یقبل التوبة
لا لامر یرجع الی رقة طبع او جلب نفع او دفع ضرر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود وان فیضه لا ینقطع ولا ینقص
الا من القابل فکلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفیض الیه لا محالة وایضا یستحق المبالغة من جهة اخری وهی
کثرة عدد المذنبین المستلزمة لکثرة التایبین المستتبعة لکثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روی عن رسول الله
صلی الله علیه وسلم انه قال لو جمع بکاء اهل الدنیا الی بکاء داود لکان بکاء داود اکثر ولو جمع بکاء اهل الدنیا وبکاء
داود الی بکاء نوح لکان بکاء نوح اکثر ولو جمع بکاء اهل الدنیا وبکاء داود وبکاء نوح الی بکاء آدم علی خطیئته لکان
بکاء آدم اکثر واذا آل الحال بابینا الی هذه الخطیئة ولحده لمن احاطت به خطایاه الحق بالبکاء واذا قال نبینا صلی الله
علیه وسلم انه لیغان علی قلبی وانی لاستغفر الله فی الیوم سبعین مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغین
کان یکون بالنسبة الینا رینا وذلک ان الغین شیء یغشی القلب وتغطیه بعض التغطیة کالغیم الرقیق لا یحجب
الشمس ولکن یمنع کمال ضوئها والرین ما استحکم من ذلک حتی صار القلب ممتنعا بالکلیة عن قبول الحق وذلک
صفة الکفار کلا بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون قیل فی تاویل الحدیث ان الله تعالی اطلع نبیه علی ما سیکون
فی امته من الخلاف والشقاق وکان اذا ذکر ذلک وجد غینا فی قلبه فاستغفر لامته وقیل کان ینتقل من حالة الی حالة
ارفع من الاولی فیستغفر مما کان وقیل الغین عبارة عن السکر الذی کان یلحقه فی طریق المحبة حتی یصیر فانیا عن نفسه
بالکلیة فاذا عاد الی الصحو استغفر من ذلک الصحو وهذا تاویل ارباب الحقیقة وقال اهل الظاهر ان القلب لا ینفک عن الخطرات
والشهوات وانواع الارادات وکان یستعین بالرب تعالی فی دفع تلک الخواطر وعن ثابت البنانی بلغنا ان ابلیس قال یا رب
انک خلقت آدم وجعلت بینی وبینه عداوة فسلطنی علیه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساکن لک فقال یا رب زدنی
فقال لا یولد لآدم ولد الا ولد لک عشرة قال رب زدنی قال تجری منه مجری الدم قال رب زدنی قال اجلب علیهم بخیلک ورجلک
وشارکهم فی الاموال والاولاد قال فشکی آدم الی ربه فقال یا رب انک خلقت ابلیس وجعلت بینی وبینه عداوة وبغضاء وسلطته
علی وانا لا اطیقه الا بک فقال تعالی لا یولد لک ولد الا وکلت به ملکین یحفظانه من قرناء السوء قال رب زدنی قال الحسنة
بعشر امثالها قال رب زدنی قال لا احجب عن احد منهم التوبة ما لم یغرغر والغرغرة تردد الروح فی الحلق وسئل
ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة اولها الندم علی ما مضی وثانیها العزم علی ترک الذنوب فی
المستقبل وثالثها اداء کل فریضة ضیعتها فیما بینک وبین الله والرابع اداء المظالم الی المخلوقین فی اموالهم واعراضهم والخامس
اذابة کل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات کما اذاق حلاوة المعاصی وکان یحیی بن الحرث یقول
یا صاحب الذنوب الم یان لک ان تتوب یا صاحب الذنوب ان الذنوب فی الدیوان مکتوب یا صاحب الذنوب انت بها فی القبر
مکروب یا صاحب الذنوب انت غدا بالذنوب مطلوب وانما اکتفی بذکر توبة آدم دون توبة حواء لانها کانت تبعا له کما طوی
ذکر النساء فی اکثر القرآن والسنة لذلک علی انها قد ذکرت فی موضع آخر قالا ربنا ظلمنا انفسنا الآیة قلنا اهبطوا
الآیة قیل فایدة تکرار الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة الی السماء الدنیا والثانی من السماء الدنیا الی الارض
وضعف بانه لو کان کذلک لکان ذکر قوله ولکم فی الارض مستقر عقیب الهبوط الثانی اولی وایضا قوله منها یدل علی ان
الهبوط الثانی ایضا من الجنة والاوجه ان آدم وحواء لما اتیا بالزلة وتابعدا الامر بالهبوط وقع فی قلبهما ان الامر بالهبوط
یرتفع بزوال الزلة فاعید الامر مرة ثانیة لیعلما ان حکمه باق تحقیقا للوعد المتقدم فی قوله انی جاعل فی الارض
خلیفة ووجه ثالث وهو ان یکون التکریر للتاکید ولما نیط به من زیادة قوله فاما یاتینکم روی فی الاخبار ان آدم
هبط بجزیرة سرندیب من الهند وحواء بجدة من ارض الحجاز وابلیس بالابلة من نواحی البصرة والحیة باصفهان فتلقی

فيا ما انه سنة ثم ازدلفا اى تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتمنيا على الله تعالى بالمغفرة والتوبة
بعنى فحصلت اسما. هذه المواضع من هذه المعانى وما فى اما مزيدة لتاكيد الشرط ويؤيده لحوق النون المؤكدة والشرط الثانى
وجزاؤه مجموع جواب الشرط الاول تبع واتبع بمعنى وانما جاء فى طه فمن تبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعى وفى الهدى وجهان
احدهما المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبى وفيه تنبيه على نعمة اخرى عظيمة فكانه قال واذ قلنا
اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع الدوام الذى لا ينقطع عن الحسن لما اهبط آدم
الى الارض اوحى الله تعالى اليه يا آدم اربع خصال فيها كل الامر لك ولولدك واحدة لى وواحدة لك وواحدة لولدك وواحدة بينى وبينك
وواحدة بينك وبين الناس واما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا واما التى لك فاذا عملت اجرتك واما التى بينى وبينك
فعليك الدعاء وعلى الاجابة واما التى بينك وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به وقيل رسول وكتاب بدليل والذين كفروا
وكذبوا باياتنا فى مقابلة فمن تبع هداى فى الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه
الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعانى لان قوله فاما ياتينكم منى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات
البيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداى تامل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج
المعارف منها والعمل بها وجميع قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف لا يحصل للنفس
لتوقع مكروه او انتظار محبوب وزواله يتضمن السلامة من جميع الآفات والحزن الوارد للنفس لفقد محبوب وفوات مطلوب
ونفيه يقتضى الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغى مقدم على حصول
ما ينبغى وهذا يدل على ان المكلف الذى اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا فى القبر ولا عند البعث ولا عند حضور
الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيمة تعم الكفار والفساق
والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنسئلن الذين ارسل اليهم
ولنسئلن المرسلين وفى الحديث تدنى الشمس يوم القيمة من الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق
فمنهم من يكون على ركبتيه ومنهم من يكون على حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما واشار رسول الله صلعم بيده الى فيه وحديث الشفاعة
وقول كل نبى نفسى نفسى الا نبينا صلعم فانه يقول امتى امتى مشهور قلت لا تهافت وعد الله حق فمن وعده الامن يكون امنا لا محالة الا ان
الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلى ما لم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه ما لم ينتقل من علم اليقين الى عين اليقين وايضا ان جلال
الله وعظمته يدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل الا بالاخلاص ولا حكم بالاخلاص
الا بالله لانه من عمل القلب وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ولهذا جاء والمخلصون على خطر عظيم
وكان داب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل لا خوف
عليهم امامهم فليس شئ اعظم فى صدور الذين يموتون مما بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال ولا هم يحزنون على ما
خلفوه بعد وفاتهم فى الدنيا ثم ان الايمة خصصوا نفى الخوف والحزن بالآخرة لان مجارى الامور فى الدنيا لا يخلو من موجب الخوف والحزن
قال اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل قلت المؤمن الراضى بقضاء الله وقدره ولا يرى شيئا من المكاره مكروها
وانما مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فتبرا الارادة
بصحة نسبة العبودية وبالرضوان يحصل مفاتح الجنان وينكشف الهموم والاحزان ويتساوى الفقر والوجدان ويثبت حقيقة الايمان والذين كفروا
بجحدهم مولاهم وكذبوا باياتنا الانبياء بهم حكما لهم بحسب شهواتهم وهواهم اولئك اصحاب النار ملازموها دائما سرمدا سواء كانوا من الانس ومن الجن اعادنا
منها بعميم رحيمه طوله التأويل اكثر يسجدون لله بالطبيعة الملائكة الروحانية اسجدوا لآدم خلاف الطبيعة تعبدا ورقا وانقيادا للامر وامتثالا
لحكم اسجدوا له تعظيما لشان خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به فمن سجد له فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
اسجدوا لآدم لاجل آدم فان عبادتكم وطاعتكم لا يوجب ثوابا لكم ولا يزيد فى درجاتكم ولكن فائدتها تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن فى الارض فلان الانسان يقتدى بهم فى الطاعة ويتادب بادابهم فى امتثال الاوامر والاحجام عن الاباء والاستكبار كيلا
يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور والنور من شانه الانقياد والاقامة وانه خلق من نار

والنار من شانها الاستعلاء طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على آدم كما سمى ابليس لانه ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اى عما لك نعيم الجنة مما فيها
وما كان لك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فاعطى هذه الشجرة الواحدة منها وهى كلها لى وانا خلقتها فان طمعت فيها ايضا فاعلم ان
الانسان لرحمة عالية وحرص شديد لا يزال يقول جهنم حرصه هل من مزيد ولا يمتلى حتى يضع الجبار فيها قدمه اى سابقة رحمته وعنايته سبقت رحمتى
غضبى ثم اباح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وقيل بهما افتحا بها ولا يؤقد اثارة الفتنة على انفسكما
ولا يصيبنا من قربة المحبة على اسمكما ولا تقربا هذه المحبة وقد عرضت لاجله فى الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهى هو الدلال الذى
يقتضيه غاية الجمال وايضا لو لم ينه عنها لعله ما فرغ لها الكثرة انواع المرادات النفسانية غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان
حريص على ما منع وايضا انه تعالى وسع اسباب الانبساط اولا ثم ضيق عليه الامر آخرا شعر وادنيتنى حتى اذا ما فتنتنى
بقول يحل العصم سهل الاباطح ❊ تجافيت عنى لا الى حيلة ❊ وغادرت ما غادرت بين الجوانح ❊ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له
ملائكته واسكنه الجنة فى جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق فى مرآة وجهه وانبت شجرة المحبة بين يديه ثم منعه عنها وكان فى ذلك
المنع تذكير وتحريض ايضا كما قرن عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما اسكر موسى باقداح الكلام واذاقه لذة شراب السماع وقربه نجيا حتى
اشتاق الى جماله وطمع فى وصاله وقال رب ارنى ثانية فنطوق لن ترانى وذلك ان البلاء والولاء توامان والمحبة والمحنة رضيعا لبان
المطلوب كلما كان ارفع كان اعز وامنع والجمال لا بد له من الدلال ويتميز العاشق الصادق من المدعى المحال فلما ذاقا شجرة الغرام خرجا من دار السلام
فما لاهل الغرام ودار السلام وابن الفارغ السالى من المحب العالى شعر فتنا على رغم الحسود وبيننا ❊ حديث كطيب المسك شيب به الخمر
فلما اضاء الصبح فرق بيننا ❊ واى نعيم لا يكدره الدهر ❊ وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يمس بعد ان كان مسجود الملائكة من السماك
الى السمك مشمول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل باستيناسه الاستيحاش يدعونه الملائكة يعنف ان احرج
من قرب مكث ولا بحث فان لهما ابدا التقلب بحسن التدبير وكان الشيطان المسكين كذيب يوسف لطخ بدم فضحه فلما وقعا من القرب فى الغربة ومن الالفة
فى الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة المورثة للمحبة استوحشا من كل شئ واتخذاه عدوا بعضكم لبعض عدو وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب
فكما ان ذاته لا يقبل الشركة فى التعبد كذلك لا يقبل الشركة فى المحبة فلما استقرت حبة المحبة فى ارض قلب آدم جعل الارض مستقر تحضنه ليتمتع بربه
بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان داود قال
يا رب لم خلقت الخلق قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعدما ابلى بالهبوط بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا يرتفع وان من
رويد المحبة بماء الطاعة واتباعه فلا خوف عليهم فى المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الى ذروة حظائر القدس

يا بنى اسرآئيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم
وايّاى فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا
اوّل كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وايّاى فاتقون ولا تلبسوا الحق
بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
واركعوا مع الراكعين اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون القراءة اسرآئيل بغير همز حيث كان يزيد وحمزة فى الوقف نعمتى وكذلك ما بعدها ساكنة الياء

ابو زيد عن المفضل فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند رأس الآية وروى سهل بن حاتم وابن دريد عن
وعباس بالياء في الوصل اول كافر به له قتيبة واحمد بن فرح **الوقوف** فارهبون ه مع الجزء كافر به ص لاتفاق الجملتين وعلى قليلا اجوز لاختلاف
النظم بتقديم المفعول فاتقون ه تعلمون ه الراكعين ه الكتاب ط افلا تعقلون ه الصلوة ط الخاشعين ه لا لان الذين صفتهم راجعون ه
التفسير انه تعالى لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر ومن جملتها خلق آدم الى تمام قصته اردفها الانعامات
الخاصة على اسلاف اليهود تكثيرهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه اخبارا بالغيب مدرجا في
طاوي ذلك ما يرشدهم الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم غير منصرف للعلمية والعجمة المعتبرة
لقب له ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسرا بالعبرية عبد وايل الله وقوله يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة
من ولد يعقوب في ايام محمد صلى الله عليه وسلم وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة والعائد من الصلة محذوف اي انعمت
بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم كثيرة وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما آل الامر الى امة محمد ذكرهم المنعم
فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن
والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النار ليضيء لهم بالليل وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى
وفي ذكر هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التورية والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم يوجب
عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء من اظهار المخالفة
ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها عنهم لما قيل اتمام المعروف
خير من ابتدائه فذكر النعم السالفة يطمع في النعم الآتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعم على الآباء نعمة على الابناء
اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا ان آباءهم
انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه اباه فما
ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن
ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه واليه الاشارة
في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها
للذين يتقون الآية وفي آل عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم الآية وفي الصف واذ قال عيسى ابن مريم الآية وعن ابن عباس ان الله كان
عهد الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به اي بالقرآن غفرت له ذنبه
وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاء به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي
الذي من ولد اسمعيل وتصديق هذا في القرآن يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري
مرفوعا ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن
تعليمها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما ذكرتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده
قلنا اما الاول فهذا العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما الثاني فذلك النص كان نصا خفيا
الزمان والمكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت
عليها سارة تراءى لها ملك من الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال لها ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان
الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع
ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يجاسرون على التحول
في اوايل العراق واوايل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم و
مازجتهم الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته
اي زيدا رهبت رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فقيل واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان
الفاء المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي

من التورية

الخوف

الخوف والخوف اتمام العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول
ومن كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي
خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا خوفته يوم القيمة ومن خافني في الدنيا آمنته يوم القيمة **قوله** وآمنوا معطوف على اذكروا وبما
انزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل
حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل **والثاني** انه حصلت البشارة بمحمد
وبالقرآن في التورية والانجيل فتكذيب محمد والقرآن تكذيب لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة ان شهادة كتب
الانبياء لا يكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او اول فريق
او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤال الاول كيف جعلوا اول من كفر وقد سبقهم الى
الكفر به مشركو العرب وفي الجواب وجوه أ انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد
والمستفتحين على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **ب** ولا تكونوا
مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التورية مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له **ج** ولا تكونوا اول كافر به
من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقرآن من بني اسرائيل **د** ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لانكم ان كذبتم بمحمد فقد
كذبتم بكتابكم **ه** المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن
دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق احدهما على الآخر **و** ولا تكونوا
اول من جحد مع المعرفة **ز** اول فريق كفر من اليهود لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبها بنو قريظة والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود
على ذلك الكفر **ح** ولا تكونوا اول الكافرين بما عندكم مما علمكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه **السؤال الثاني** كانه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا
ان لا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وآمنوا دلالة على ان كفرهم اولا وآخرا محظور وايضا قوله ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد لا ترونها فكذلك ههنا قال المبرد هذا
الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم
القيمة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى
والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشى التي يأخذونها على تحريف
الكلم عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول
ما يتقى عنه فكانه امرهم بالرهبة على جواز العقاب ثم امرهم بالتقوى على تيقن العقاب ثم **قوله** ولا تلبسوا امرهم بترك الاغواء والاضلال
كما ان قوله وآمنوا امرهم بترك الكفر والضلال والاضلال الغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه
من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول **قوله** وتكتموا مجزوم بلا المقدرة للنهي عطفا على النهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي
في الباطل اما للوصل في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا
تميز بينهما واما للاستعانة في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التي يوردونها على السامعين وذلك ان
النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون
وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي
لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك
وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الآخر جاز الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد
لا تطع احدهما لقرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر
من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه
ضارا افحش من الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم
بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرايع فقال واقيموا الصلوة اي التي عرفتموها
بوصف النبي بناء على انه لا يجوز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التاخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف
حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المأمور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني آمرك

علما بشيء فلابد ان تفعله ويكون الغرض ان يعزم العبد على ادائه في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في
اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها يزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذ من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا
مدحها وطهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال صلى الله عليه وسلم عليك بالصدقة فان
فيها ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فيزيد في الرزق ويكثر المال وتعمر الدار واما التي في الآخرة فتستر العورة وتصير
ظلا فوق الرأس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين
وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول
امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما امر
بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على ماخذ آخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في
العقول والهمزة في اتأمرون للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل بر وهو ما يرضي و
الخلف في البر ههنا قال السدي انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ثم يرتكبونها وقال ابن جريج يأمرون الناس
بالصلوة والزكوة ويتركونهما ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوا الى الحق ويرغبونهم في اتباعه
فلما بعث الله محمدا حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع
محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل يأمرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ما آمنوا به وقيل نزلت في المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباعه في الظاهر وينكرون في الباطن فوبخهم الله على ذلك والنسيان هو السهو الحادث
بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فالمراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم
تتلون الكتاب اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول
العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام نحو اتعلمون والتقدير افعلتم ذلك فلا تعقلون وقس
على هذا نظايره في القرآن فانها كثيرة وللتعجب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى المصالح وتحذيره عن
المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل
هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا لما اقدم على المعاصي فيكون
داعيا لهم الى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ امره
فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا
بهذه الآية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامرأة يقبح منه ان ينكر عليها والجواب ان المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع
الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالآخر والذم في الآية مرتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين فالواحد
القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة نعم روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت
يا اخي جبرئيل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يأمرون بالبر وينسون انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار رجلا يتأذى
اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله فقال عالم لا ينتفع بعلمه وقال مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن
الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لهم دخلتم النار وانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله
وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل روي ان يزيد بن
هرون مات وكان واعظا زاهدا فرؤي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما اتاني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان
من شيخ دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة فتقولون لي من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر: ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج
ولما امرهم الله تعالى بالايمان وترك الاضلال والتزام الشرايع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض
عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة كانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما يستثقله
طباعكم من قبول دين محمد بالصبر حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر
لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا ذكر لطفه مال الى الطاعة واذا ذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن
المفطرات ومنه قيل لشهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه
الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي

مقدم

مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء
وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فيجب على كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة
والصبر عليها كالتهام اعبائها وذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار
ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اي الصلوة او الاستعانة او جميع المأمورات والمنهيات في هذه الآيات لكبيرة لشاقة
ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا جزاء ربهم وانهم الى حكمه راجعون فيصدر عنهم
الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا
قليلا فالجاحد اذا لم يعتقد في فعلها منفعة لا يوافيه طبعه في الاشتغال بها وان كان شيئا يسيرا فيثقل عليه والموحد حيث اعتقد في فعلها اعظم
المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه تزجية الاوقات بوظايف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان ومنهما النظائر والنوا
ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم تجوزا لان الظن
هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اي البعث والنشور كفر فكيف يمدح به وسبب هذا التجوز انهما يشتركان في
رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الآخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم وثانيهما ان الظن
بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته غير معلوم
الا انه متوقع بكل لحظة ووقوعا راجحا عند المؤمن لانه قطع امله او لانه يحب لقاء ربه او زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه
وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل
اهل السنة بالآية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم
يلقونه والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقطع
بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الآخر اتصال التماس وهذا اللقاء
سبب الادراك بحيث يمتنع حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك ايضا
مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي
الآية لا ضرورة فحمله على الادراك اولى البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
كما كانوا كذلك في اول الخلق بخلاف ايام حيوتهم في الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال
فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا

ای پسران یعقوب یاد کنید نعمت مرا که انعام کردم بر شما و آنرا که من فزونی دادم شما را بر اهل زمانه شما و بترسید از آن روز که

تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون

نگذارد هیچ کس از هیچ کس دیگر هیچ چیز را و قبول کرده نشود از آن نفس هیچ خواهش و فرا گرفته نشود از آن نفس هیچ فدایی و نه آن نفوس یاری کرده شوند

القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ينصرون التفسير انما
اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمي عليكم
فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين ويقال رأيت عالما من الناس يراد
الكثرة لقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين
ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالآية تدل على انهم فضلوا
على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب
لمؤمني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع ما يخاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم ف

جميعاً وأقاصيص الأنبياء تنبيه وإرشاد لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب روى عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله
بنو إسرائيل وما يعني بما تسمعون غيركم واتقوا يوماً اليوم هو انقضاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والأهوال لا تجزي نفس اليوم لا تغني وقوله لا تجزي إلى آخر
الآية الجمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها إلى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فأجرى
مجرى المفعول فيه فحذف الجار وهو في معنى لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله أم مال أصابوا قال شعر فما أدري أغيرهم تناء
وطول العهد أم مال أصابوا أي أصابوه ولا يخفى أن هذا التكليف لا يمشي في سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا تقضي
عنها شيئاً من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحاها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وشيئاً مفعول به ويجوز أن
يكون في تقدير مصدر أي قليلاً من الجزاء مثل ولا يظلمون شيئاً ومعنى تنكير النفس أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئاً من الأشياء وهو
الإقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي فدية لأنها معادلة للفدى وفي الحديث لا يقبل
منه صرف ولا عدل أي توبة لأنها تصرف من الحال الذميمة إلى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع إلى النفس الثانية العاصية
غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة أنها إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويحتمل أن يرجع إلى النفس الأولى
على أنها لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئاً ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد إلى ما دلت عليه النفس المنكرة
من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد أو الأناسي مثل ثلاثة أنفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على أن الخطب شديد لأنه
إذا وقع أحد في كريهة وحاولت أعزته دفاع ذلك عنه بدأت بما في نفوسها الأبية من مقتضى الحمية فتحمل عنه ما يلزمه وتذب عنه كما يذب الوالد
عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فإن رأى من لا طاقة له بما نعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال
والمنال الحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فإن لم يغن هذه الأمور تعلل بما أمكنه من نصر الإخوان وسند الأخدان فأخبر الله تعالى
أن شيئاً من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير من المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لأنه إذا تصور أنه ليس بعد
الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا ينفعه إلا الطاعة وتلافي الموجود والآية وإن كانت في بني إسرائيل إلا أنها
تعم كل من حضر ذلك اليوم فإن قيل قدم في هذه الآية قبول الشفاعة على أخذ الفدية وفي موضع آخر من هذه السورة عكس القصة
فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فيتمسك أولاً بالشفيع ثم يفزع إلى بذل المال
ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فغير الترتيب إشارة إلى الصنفين والله أعلم واعلم أن الشفاعة هي أن يستوهب أحد
لأحد شيئاً ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فرداً فصار بالشفيع شفعاً ثم إن الأمة أجمعت على أن لمحمد صلى الله
عليه وسلم رتبة الشفاعة في الآخرة وعليه حمل قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ولسوف يعطيك ربك فترضى وأجمعوا على أن
لا شفاعة للكفار بقي الخلاف فيمن عداهم فأهل السنة أثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على أن صاحب الكبيرة إذا لم يتب فهو مخلد
في النار ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا إن هذه الآية تدل على نفي الشفاعة مطلقاً والآيات والأحاديث الدالة على
وجود الشفاعة كثيرة فعرفنا أن الآية ليست على عمومها لكن الآيات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله
فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً فخرج عن صاحب الكبيرة وبقيت الآية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم أهل السنة أن اليهود كانوا يدعون
أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا من ذلك وأجيب بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء تمام حجج الفريقين في الآيات
المناسبة إن شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة إن واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل وجائز أن لا يكون الشيء مستعداً
لقبول الفيض من واجب الوجود إلا أنه يكون مستعداً لقبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود ويكون ذلك الشيء متوسطاً بين
الواجب وذلك الشيء مثاله في المحسوس الشمس فإنها لا تضيء إلا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مقابلاً لم يكن مستعداً لقبول النور منها
لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافي انعكس منه الضوء إلى السقف فأرواح الأنبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين أرواح عوام الخلق
كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على أنه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده أشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث إنه لا شفاعة إلا لله

وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم

و یاد کنید آن وقت که خلاص دادیم شما را از قوم فرعون می چشانیدند شما را بدترین عذاب میکشتند پسران شما

ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ فرقنا

و زنده میگذاشتند زنان شما را و درین کار آزمایش از پروردگار شما بزرگ و چون جدا کردانیدیم

بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وإذ واعدنا

بشما دریا را پس نجات دادیم شما را و غرق کردانیدیم فرعون را و قوم فرعون را و شما مشاهده میکردید آن را و چون وعده دادیم ما

موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم

موسی را چهل شبانه روز پس بعبادت گرفتید گوساله را بعد از رفتن او و شما ستمکاران بودید پس

عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى

عفو کردیم گناه شما را از پس عبادت گوساله تا شما سپاس داری نمایید و چون دادیم ما موسی را

الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون القراءة سوء العذاب وسوء

توریة و الحجة بیان حق و باطل و فرق کرد مگر شما راه راست یابید

الحساب بغير همز حيث وقعا [illegible]
الأصبهاني عن ورش وعدنا حيث كان أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالإمالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعن أبي عمرو
وجهان إن جعله فعلى ففيه الإمالة بين الفتح والكسر وإن جعله على مفعل ففيه الفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالإظهار ابن كثير وحفص والمفضل
والأعشى والبرجمي والفرقان لعلكم مدغماً عباس وكذلك يدغم إذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها مثل و
تكون لكما الكبرياء والياء المكسور ما قبلها مثل نبيين والنبيين لما وإلا الألف المفتوح ما قبلها مثل وما كان لمؤمن وما أشبه ذلك الوقوف
نساءكم ط عظيم ° تنظرون ° ظالمون ° تشكرون ° تهتدون ° التفسير إنه سبحانه لما قدم ذكر النعمة على بني إسرائيل إجمالاً أخذ في تفصيلها
وأسنده فواحداً ليكون أبلغ في التذكر وأعظم في الحجة كأنه قال اذكروا نعمتي واذكروا إذ نجيناكم وإذ فرقنا وإذ كان كذا وكذا وإذ في جميع هذه
القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول به لاذكروا وأصل الإنجاء والنجاة التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لأن من صار إليه نجا أي تخلص من أن يعلوه
سيل ولأن الموضع تخلص مما انحط عنه وأصل آل أهل بدليل أهيل وأهال في تحقيره وتكسيره على الأعرف فأبدلت الهاء ألفاً على خلاف القياس
ثم إلى آل وجوباً فالألف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وإنما يقال
أهله وهكذا لا يقال آل البلد وآل العلم وإنما يقال أهلها وعند الكسائي أصله أول بدليل تصغيره عند بعضهم على أويل كأنهم يؤولون إلى
أصل قلبت الواو ألفاً على القياس وفرعون علم لمن ملك العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك
الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه فابن جريج أن اسمه مصعب بن ريان وابن إسحاق أنه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة
أغلظ وأقسى قلباً منه وعن وهب بن منبه أن أهل الكتابين قالوا إن اسمه قابوس وكان من القبط وقيل إن فرعون يوسف هو فرعون موسى
وضعف إذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى أكثر من أربعمائة سنة وقال محمد بن إسحاق هو غير فرعون يوسف وأن اسم فرعون
يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون أتباعه وأعوانه الذين عزموا على إهلاك بني إسرائيل بأمره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن
فلان إذا عتا وتجبر يسومونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً قال عمرو بن كلثوم شعر إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقر الخسف فينا
وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء
الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء أشده وأفظعه كأنه قبحه بالإضافة إلى سائره أو المراد عذاب من غير استحقاق لأن العذاب
بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن إسحاق أنه جعلهم خدماً وخولاً وصنفهم في أعماله فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه
جزية يؤديها السدي كان يجعلهم في الأعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب أن كون الإنسان تحت تصرف الغير كيف يشاء لا سيما
إذا استعمله في الأعمال الشاقة القذرة من غير أن ما خلع بهم رأفة وإشفاق من أشد العذاب حتى أن من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن
حكيم أي شيء أصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بأن نجاهم من ذلك ثم أتبع ذلك نعمة أخرى فقال
يذبحون أبناءكم ومعناه يقتلون الذكور من أولادكم دون الإناث والذي دعاهم إلى ذلك أمور منها أن ذبح الأبناء يقتضي إفناء الرجال وانقطاع
النسل بالآخرة ومنها أن هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها أن قتل الولد عقيب الحمل والكد
والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من أعظم العذاب ومنها أن الأبناء أحب وأعز من البنات ولهذا قيل شعر سروران ما لهما ثالث
حياة البنين وموت البنات لقول النبي عليه السلام دفن البنات من المكرمات ومنها أن بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن
مستفرشات للأعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالأبناء الرجال ليطابق النساء إذ النساء اسم للبالغات وهو جمع
المرأة من غير لفظها قالوا وإنما كان يأمر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لإفساد أمره والأكثرون على أن المراد بالأبناء الأطفال
لظاهر اللفظ ولأنه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولأنهم كانوا محتاجين إليهم في الأعمال الشاقة ولأنه لو كان كذلك لم يكن

لاالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقتل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن حد الاطلاق واسم النساء عليهن مثل ان اراني
اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابرهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال
معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من
يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون راى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر واحرقت
القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسالهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل
ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا قال نقتل ابناءهم في تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم
النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والاوضح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا ان يكون امرا محتملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم
على هذا الامر العظيم لشبهة تلك وكون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى البديهيات وهو انه ممكن الوجود فعدم من العقلاء
لا يكون من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر الجحود والعناد او يقال
انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابرهيم عليه السلام واقدم على ذلك الفعل احتياطا وطلبت اذ اخبر الله تعالى عنه بانه قال انا
ربكم الاعلى ما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن اصدق من
الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال في التيسير ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابرهيم بالواو والوجه فيه انه اذا جعل
يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى
الذبح وجعل الذبح شيئا آخر احتيج الى الواو واما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو فلانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم
والذي في ابرهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مامورا بذلك في قوله وذكرهم بايام الله وعن بعضهم ان معنى يستحيون
يفتشون حياء المراة اي فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى
الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث
عاينوا اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ في اذلالهم وههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية
الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا وكان من قبيل الاعتبار وايقاف محمد صلى الله
عليه وسلم وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء
فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا ويخشى امر الاخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة هي صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة يسوم الروح
الشريف ذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة الحيوانية ولا نجاة من ذلك
الا بالله تعالى قوله واذ فرقنا بكم البحر اي فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط وكانوا اثنا
عشر ومعنى بكم انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما او يراد فرقناه بسبب انجائكم لا يكون حالا اي ملتبسا
بكم يروى انه تعالى لما اراد اغراق فرعون وقومه القبط وبلغ بهم الاجل في معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بني اسرائيل ان يستعيروا حلي القبط
لما يخرجوا اطلعهم لاجل العيد وانا نبقي اموالهم في ايديهم ثم تركهم الخير ليلا وقال اخرج ليلا كما قال تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا وكانوا
ستمائة الف كل سبط خمسون الفا فلما خرجوا بلغ الخبر فرعون فقال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوي فوالله ما صاح ليلة ديك فلما اصبحوا
دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع الي ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه الف الف
ومائتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فاتبعوهم مشرقين اي بعد طلوع الشمس فلما سار بهم موسى الى البحر قال له يوشع
اين امر ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقحم يوشع فرسه في البحر وكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس وهو عليه ثم رجع وقال
له يا موسى اين امر ربك فقال البحر فقال والله ما كذبت وما كذبت ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر
فانشق البحر اثنى عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهبت الصبا فجف البحر حتى صار طريقا يابسا فاخذ كل سبط منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا
لنبيهم ان اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة
فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون فلما بلغ شاطئ
البحر راى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على رمكة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون ودخل البحر فصاح
ميكائيل بهم الحقوا آخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون وقيل ذلك
اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وانتم تنظرون انكم ترون التطام امواج بفرعون

وقومه وقيل ان قوم موسى سالوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسال ربه فلفظهم البحر الفا الف ومائتي الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد
وانتم بالقرب منهم قال الفراء لقد ضربت واهلك ينظرون اليك فما اعانوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا لا يرون ومعناه
راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤها شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون النفس الامارة
وقومه صفات النفس والعصا عصا الذكر فيتفلق بحر الدنيا بضرب لا اله الا الله ويتشتت ماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى ريح العناية وشمس
الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات ويخوض موسى القلب وصفاته فيعبرون وينجيهم عناية الله الى ساحل وان الى ربك المنتهى
ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى
نسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليه السلام ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة و
عشر ذي الحجة وانما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقال اهل التحقيق لان الليل وقت العبادة والخلوة خصت بالذكر لشرفها ولعدد
الاربعين خاصية عند اهل الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والجنين يتقلب في الاطوار
في الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد من تقدير مضاف اي انقضاء اربعين
كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام الاربعين ومن قرا واعدنا من المواعدة فمعناه ان الله تعالى وعد الوحي ووعده هو المجيء للميقات
الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله في الاعراف كقوله ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فصل اولا ثم اجمل ومعنى
ثم في قوله ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التورية
عليه بحضرة السبعين تشريفا للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا لدرجة موسى وسائر بني اسرائيل واتوا عقيب ذلك باشنع انواع
الجهل والكفر كان ذلك في محل التبعيد والتعجب كما يقول اني احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدني بالسوء والايذاء والاتخاذ
افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه
فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى اتخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتدا والخبر نحو جعل وصير فلا تقدير اتخذتم العجل الها الا انه
حذف الثاني للعلم به ولتكرره في مواضع آخر منها في طه فقالوا هذا الهكم واله موسى وقوله من بعده اي من بعد مضيه الى الطور
قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني اسرائيل الثياب والحلي التي استعاروها من القبط قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي لا تحل
لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامري في مسيره مع موسى عليه السلام في البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين تقدم في البحر فقبض قبضة
من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامري اخذ ما كان معه من الذهب وصور منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت كانه
الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وانتم ظالمون كما قال ان الشرك لظلم عظيم
وذلك ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والمشرك وضع اخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم اما للحال واما للاعتراض
اي وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار
تعس عبد الخميصة وقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه كانه
قال ان هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد الى هذه الغاية فكيف بهؤلاء الاخلاف الاجلاف
وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد وما افظع شان الجهلة المقلدة رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تحمل
بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل جدا فانه يستبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة التي تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في
الدلالة على الصانع وصدق النبي ان السامري القى الى القوم ان موسى عليه السلام انما قدر على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية
فقال للقوم انا اتخذ طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت عجيب واطمعهم في ان يصيروا مثل موسى
في اتيان الخوارق او لعل الذين اتخذوه حلولية جوزوا حلول الاله في بعض الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى
وامة محمد صلى الله تعالى عليهما فانهم بعد مشاهدة الآيات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام وامة محمد صلى الله عليه و
سلم مع ان معجزتهم القرآن وهو انه لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل و
قوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك بان قبلنا توبتكم من بعد ذلك الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الترجي في
كلام الله تعالى وهو في قوله لعلكم تهتدون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية نحو رايت الغيث

والليث بدالرجل الجامع بين الجود والجراءة والتورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لان لم يبين هنا ان ذلك لاجل موسى وفي هذه الآية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل آتينا موسى التوراة ومحمدا الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف

وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب
عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم
بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم
الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما
رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

القراءات بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو بطريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وقرأ ابو عمرو بالاختلاس انه هو مدغما ابو عمرو غير عباس وكذلك كل ما كان بينهما ياء او ما وملفوظة مثل من دونه هو وانه هو واشباه ذلك حيث كان بالامالة نصير والعجل ثم يكسرة الآ رو ابن يعمر عن عباس وابو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها ياء استقبلها الف ولام مثل ولو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى

الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط الرحيم ينظرون تشكرون السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون

التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد لهم نعمة ورحمة لانه لا يأمرهم بشيء من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلى الله عليه وسلم في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا في مجرد الندم كان اولى هذا وقد عرفت ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدي ضرر فبين ههنا ان الضرر انما يعود على انفسهم فبذلك استحقوا العذاب الابدي والفرق بين الفاءات الثلث في الآية ان الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كان القاتل عمدا لا يتم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول او يقتلوه ومعنى الى بارئكم الى النهي عن الزنا في التوبة كان فيل او ظهرهم التوبة لا عن القلب فانه ما يسمع الى القصد انما يسمع الى الناس وقوله ذلكم اي القتل خير لكم عند بارئكم جملة معترضة عند التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الآخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لا بد واقع فليس في تحمل القتل الا التقديم والتأخير والثالثة متعلقة بمحذوف تقديره فان فعلتم فقد تاب عليكم وعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العليم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برئا من التنافر مناسبة للحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي

هو مثل في البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال او في المال واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون كقوله ولا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل انه امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى عليه السلام بالقتل اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين للسيوف فاحتبوا بافنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل ويقولون امين روي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان هلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت من قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا اقساما منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد ولكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حياة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامري ما قال واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى عليه السلام من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر كالغلبة واما لانه جمع جاهر وانما اكدوا بها لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم فقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم بدليل ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي واحد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادع يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لان خطاب مشافهة ولانه لو كان منهم لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه السلام مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات ليتنبهوا ان انما لا يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون

كروف ويحكمون عليه وكيف يتعجب من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته ومنها لما اخبر محمد صلى الله عليه وسلم
عن هذه القصة مع كونه اميا تبين ان ذلك من قبل الوحي بقي فيها مباحث وهو ان المعتزلة لما استدلوا بالآية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت
امرا جايز الوقوع لم ينزل بهم العقوبة كما لم تنزل بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته
تعالى في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الآخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف
وايضا اقتراح دليل زايد على صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء بسال اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاء الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالبة
الذات غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اي جعلنا الغمام يظلكم وذلك في
التيه كما سيجي في المايدة سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل ... وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه و
ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لآدم قبل الزلة وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى
طلوع الشمس لكل انسان صاع ... ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه ... قال مجاهد المن صمغ حلو و
هو الخبز ... الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كما روي مرفوعا الكمأة من المن وماؤها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل ...
كلوا على ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وجعلوا
موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عايد عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى
وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله في آل عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون

القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وجبلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وابو زيد عن
المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء تغفر لكم مدغما كل القرآن ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة على قول لا غير بالاخفاء يزيد وابو نشيط
عن قالون وكذلك اخفاء النون والتنوين عند الخاء والغين سوآء وسط الكلمة او اولها **الوقوف** خطاياكم ط المحسنين ه يفسقون ه
التفسير القرية مجتمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس
وانما بابه من المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوي في النسبة
الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبيي على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام
امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى
امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات و
خشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدأ محذوف
اي مسألتنا حطة او امرك حطة واصلها النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة رفعت لافادة الثبوت كقوله شعر
شكا الي جملي طول السرى ∴ يا جملي ليس الى المشتكى ∴ صبر جميل فكلانا مبتلى ∴ الاصل صبرا اي اصبر كأن القوم امروا ان يدخلوا الباب
على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان
وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لا لان
التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه
وكذا من عرف بمذهب خطأ ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه ليزول التهمة عنه في الثبات على
الباطل وليعودوا الى مثل ما عاد اليه وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر

فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراآت في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت واذا غفرت فانما يغفرها الله
والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث والخطأ الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا يقول
منه خطئ يخطأ خطأ وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائي بياء ثم همزة ابدلت الهمزة الفا فانفتحت الياء
لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اي سنزيدهم احسانا او ثوابا او سعة وذلك ان المراد من المحسنين
اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في ساير التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموعودة اما منفعة دنيوية
فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيد سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اي المحسن نثيبه زيادة على غفرات الذنوب
ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة موثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخر زدناكم ثوابا و
يحتمل ان يكون المراد انهم صنفان من مخطئ يصير الكلمة سببا للغفران ومن محسن تصير سببا لزيادة ثواب قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء
التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين احدهما بنفسه والآخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي
بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول
ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ حطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل
بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل
قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون البطائح بين العراقين حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب
ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم
فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان
بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو ان وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات منهم اربعة وعشرون الفا
في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل
ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر النازل من عند الله تفظيعا لشأن العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة
الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التأكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب
ذلك التبديل ونزل الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلونه قبل ذلك التبديل مستمرا الى اوان هذا الظلم وهذا اظهر لزوال التكرير
ولان لفظة كانوا ينبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما
احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ التحميد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية
وكذا لا يجوز تبديل ما ورد بالتوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول آخر يضاد معناه معنى الاول
فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الآية يتناول كل من بدل قولا بقول آخر سواء اتفق القولان في
المعنى او لم يتفقا اسولة لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صرح بالقائل في اول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا
نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال
في البقرة فكلوا وفي الاعراف وكلوا بالواو لما بينا في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف خطيئاتكم
لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه وكان اللائق بكرمه غفران الذنوب
الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر في
الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو لمطلق الجمع ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب
واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك ولانه ذكر في هذه السورة
ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو
اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزاءين احدهما الغفران والآخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزع
الجزاءين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو و
ايضا الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في النظام حذف
الواو وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان
منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وههنا ذكر

امر جبابرة فصار آخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم يذكر في اول الآيات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في آخر القصة مثل ذلك ثم قال في البقرة
فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية وذلك انما يحدث
بالآخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب ثم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين
في البقرة كون الظلم فسقا اكتفى بذلك البيان في الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين في موضعين والله اعلم

وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا
من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين وإذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون
الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون

القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين وخفف ... عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة فقط وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمز نافع الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي وبيوت النبي الا فهي اسمعيل وقالون عنه بغير همز
الوقوف الحجر ط لحق المحذوف اي فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ه وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله
وضربت ابتداء اخبار عما يؤول اليه حالهم من الله ط بغير الحق ط يعتدون ه التفسير جمهور المفسرين سوى ابي مسلم
على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت
عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام
اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلثة اعين
لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة
فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة
ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له
الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها
حجارة فحمل حجرا في مخلاته حيثما نزلوا القاه اما الصفة والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل
له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر العهد في مقابله واما الضرب فقيل كان يضرب بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان
فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة

كما سبق في فتاب عليكم وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح
به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخروجه الى الفسق وقيل الانبجاس
خروج الماء قليلا ووجه بان الفجر في الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كالمطلق والمقيد والعام والخاص ولعله
انبجس اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون يظهر الماء منها قليلا ثم يكثر لدوام خروجه او لعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل
اناس اي كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد لا يقع بينهم من
التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم وانما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما اجمل في قوله اثنتا عشرة كانه
قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اي وقلنا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي رزقناكم بلا
تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم الماكول والمشروب و
العثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان يكون مقررة لمضمون جملة اسمية وقيل حال
منتقلة ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بان وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا تبالغوا في التنازع
ويرد على هذا القول ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد و
الصحيح ان يقال ان المنصوبات في نحو قوله عز من قائل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قولهم تعالى جائيا وقم قائما من
الصفات القائمة مقام المصدر نحو قاعدا وقد سار الركب بقي في الآية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب
على القول بالفاعل المختار ظاهر فان له ان يحدث اي فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط
فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكائن في الحجر من الهواء المجاور له ومثل
هذا ما رواه انس انه اتي النبي صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال
قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه
من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب بمثابة موسى وقومه وانه ليستسقي ربه ... من ماء
الحكمة والمعرفة فيضرب عصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر
اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب و
النفس مشربهم فيستوفي حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الآية زعم بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان اللائق
بحال المكلف الصبر على ما ساقه الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا صفوا ولا سيما اذا كان المسؤول دونه واخس ولهذا انكر موسى
عليهم فقال اتستبدلون وقال الآخرون انه غير معصية لان قوله كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم
انهم كانوا اهل فلاحة فنزعوا الى ما الفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل الرغبة وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاده وان
كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد
سبب الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك
اللهم الا ان يكون من قبيل ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى
لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل
فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه
ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث وغير ذلك من اطايب البقول التي يأكلها
الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو للعدس والبصل اوفق وقال بعضهم الفوم الحمص لغة
شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا وقال الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون مقدارا
كقولهم في ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل
به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية وعشرا ما مصر فرعون والتنوين فيه
في القراءات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتأنيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمة واما مصرا من الامصار كانه قيل
لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان يبين
مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال وضربت

عليهم الذلة اى جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم فى الدنيا واما حالهم فى العقبى فذلك قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اى صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة انتقامه ذلك الذى ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اى القرآن او بالتورية لان الكفر بها مستلزم للكفر بهما وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اى من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الآتى بالباطل قد يكون اعتقد حقا لشبهة عنت له وقد ياتى به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثانى اقبح وادخل فى القبحة او كرر للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعى الاله الثانى برهان والنبى بالهمز فعيل بمعنى فاعل من نباء بالتخفيف اى اخبر لانه نبا عن الله قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبا مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز فى النبى كما تركوا فى الذرية والبرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون فى غيرها ويخالفون العرب فى ذلك وقيل اصله من نبات من ارض الى ارض اى خرجت منها الى اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابى بقوله يا نبى الله اى خرج من مكة الى المدينة وقيل النبى بالادغام من النبوة وهى ما ارتفع من الارض اى انه شرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول انما جمع على انبياء لان الهمز لما ابدل والزم الابدال جمع جمع ما اصل لامه حرف العلة ذلك بما عصوا تاكيد بتكرير الشىء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتنى وخالفت امرى هذا بما تجرات على واغترزت بحلمى ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى انهم انهمكوا فى العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اى ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا بسائر انواع المعاصى واعتدوا حدود الله فى كل شىء وقيل هو اعتداؤهم فى السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب ذلك ولا بما فعلوه فى حق الله وهو جهلهم وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يليه فى العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصى المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك فى نهاية الترتيب وقيل الاول اشارة الى اسلافهم والثانى اشارة الى من كان فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين سبب ما نزل بالفريقين من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفى آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذى يوجب القتل بما فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد تاكيد العموم اى لم يكن هناك حق لا هذا الذى يعرفه المسلمون ولا غيره البتة والله تعالى اعلم واحكم

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ۝ ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ۝ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ۝ فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها

القراءات النصارى بالامالة ابو عمرو وعلى وخلف وورش من طريق البخارى والخزاز عن هبيرة وكذلك كل راء بعدها الف ودوى قتيبة بكسر الصاد والتاء وكذلك قوله سكارى واسارى وبوابى وآوابى كلها بامالة ما قبل الالف والصابين بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة فى الوقف وان شاء بين الهمزة

الوقوف عند ربهم ج لنوع عدول عن اثبات الى نفى مع اتفاق الجملتين يحزنون ه الطور ط لان التقدير وقلنا لكم خذوا تتقون ه من بعد ذلك ج

لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين ه خاسئين ه لا لاية والعطف بالفاء المتقين ه

التفسير فلما جر الكلام فى الآى المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب ومن يقص آثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون ههنا لان قوله فى آخر الآية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيئا آخر كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسى وابى ذر الغفارى كانه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من آمن بعد مبعث محمد بالله واليوم الآخر وبمحمد فلهم اجرهم وعن سفين الثورى ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين هودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل فى اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقى فلهم كذا وقيل الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة وهو عائد الى الماضى وكانه قيل ان الذين آمنوا فى الماضى واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم وثبت على ذلك فى المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اى تبنا ورجعنا عن ابن عباس وقيل لنسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اى يتحركون عند قراءة التورية واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اى لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصارى الى الله وواحد النصارى نصران ونصرانة والياء فى نصرانى للمبالغة كالتى فى احمرى والصابئين بالهمز اشتقاقه من صبا الرجل صبوا اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب يسمون النبى صلى الله عليه وسلم صابيا لانه اظهر دينا على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا يؤكل ذبائحهم ولا ينكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل وهو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم لهم قولان **الاول** ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء **والثانى** انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هى الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه ويذهب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابرهيم صلوات الرحمن عليه فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما اوجبه كالايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فان اجرهم مستقر جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من والذين معنى الشرط قال اهل البرهان قدم النصارى على الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب فى الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وادعى فى المائدة المعنيين فقدمهم فى اللفظ واخرهم فى التقدير لان تقديره والصابئون قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتعيير النقم وللمفسرين فى هذا الميثاق اقوال **احدها** انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبديل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم **وثانيها** ما روى عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح فرأوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها امر جبريل بقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فقبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين **الاول** حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم **والثانى** انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد وانما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اى كل واحد منكم او لان الميثاق شىء واحد اخذ من كل واحد منهم ولو قال مواثيقكم لاشبه ان يكون لكل منهم ميثاق آخر والواو فى ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق مقدما على رفع الجبل كما فى قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا عن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذى وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى الى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل فى الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول اى وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة وغير متكاسلين ولا متغافلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر لان الذكر الذى هو ضد النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اى فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى التقدير من بعد ذلك اى من بعد القبول والالتزام قال القفال قد يعلم فى الجملة انهم بعد قبول التورية ورفع الطور تولوا عن التورية باموز كثيرة فحرفوا التورية وتركوا العمل بها وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزالوا فى التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه و

يلقون بكل اذى ويجاهرون بالمعاصي في عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم
التورية التي يقرؤنها ثم فعل متاخروهم بالاخفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب وجحودهم لحقه وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم بامهالكم وتاخير العذاب عنكم
لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان
كلمة لولا تدل على امتناع الثاني لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون
قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم الكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف
بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضي بدون قد لانها لما كانت لتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او كانت
المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضي من الحال فصار الماضي كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام في التحقيق وعند الكوفيين يقدر القسم
قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه السلام بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من
كل اوب في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول
وكانت الحيتان يدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم
خائفون من العقوبة فلما طال العهد استنت الابناء بسنة الآباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد
في السبت ونهوهم فلم ينتهوا فقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما نزل بكم العذاب
والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلثة ايام ثم ماتوا فالبعض وفي الكلام حذف اي ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا
ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه اما نفس الاصطياد لانهم امروا
فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة و
انه لم يكن هناك قول ثم امر بالشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار و
الطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاد للمتعلم البليد
الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام
الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نامن في كل ما نراه قردا او كلبا
انه كان انسانا عاقلا وذلك شك في المشاهدات واجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسماني سار
في جميع البدن او جزء في جانب من البدن كقلب ودماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى
هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التاويل يجوز في الملك الذي يكون جسمه في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولانه لم يتغير
منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير الخلقة وتشويه الصورة وعدم القدرة على النطق
وسائر الخواص الانسانية فيتالمون لذلك ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التي في زماننا من
نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اي المسخة او القردة او قرية اصحاب
السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ما يقصده
الناس من التشفي واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها عبرة لما قبلها وما معها وما بعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا
بها وسيبلغ خبرها الى الآخرين فيعتبرون او ارادهما بين يديها وما خلفها ما بحضرتها من القرى والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل
وبعده هكذا قاله بعضهم والاولى عندي ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخة ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا
ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لان امر اعتبار التعقيب في العقوبة في نفسها واحد ثم ان
على حالها لم تزدد لاجل الذنب المتاخر شيء فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المترقب مائة اخرى ولكن
كمن يتعد عبده او جلسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى
للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل المتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم والله تعالى اعلم بالصواب

واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا

هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن
جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

القراءة يأمركم بالاختلاس ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مجزوم ومن ذوات الراء هزؤا ساكنة الزاي مهموزة حمزة وخلف
وعباس والمفضل واسمعيل وقرأ حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرأ حفص غير الخزاز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا
مهموزة جئت وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش و
حمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين ه نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان
بين ذلك ط على تقدير قد بين لكم فافعلوا ما تؤمرون ه ما لونها ط صفراء لا الى آخر الآية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ه ما هي لا لان التقدير
فان البقر او لا لان البقر ابلاء لعذر تكرار السؤال علينا ط لمهتدون ه الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لا شية
فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون ه فادارأتم فيها ط تكتمون ج للآية والفاء بعدها ببعضها ط لان
التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون ه قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط لفصل دلائل القدرة تعملون
التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى عليه السلام فاجتهد موسى في
تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فاوحى الله اليه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم في
الاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعينت لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له
عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم و
امه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى عليه
السلام ان يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان تأخير البيان عن
وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوزي تكليف ما لا يطاق واما تأخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا بالآية قالوا

امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم آخرا وبدليل انه لم يومر بتجدد بل المامور به في الثانية هو المامور به في الاولى بالاتفاق وبدليل المطابقة
لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل قول ابن عباس لو ذبحوا اية بقرة
لما اجزاتهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف
على السؤال والجواب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد
حصول البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاولى اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا
فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ان يكون لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب منهم
من قال في التكليف الواقع اخيرا يجب ان يكون مستوفيا كل صفة تقدمت حتى يكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا
لونها ومنهم من يقول انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات
وبطريقة التشديد عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت ان البيان لا يتأخر وان تكليف بعد تكليف دل على ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان
المربي لولده قد يامره بالسهل اختبارا فاذا امتنع الولد منه تدبيرا للمصلحة فان يامره بالصعب ويدل ايضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل
وقت الفعل وانكار لادائه الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى عليه السلام ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له اتتخذنا
هزوا استفهام بطريق الانكار معناه لا تجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا والهزء نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم
لانه من المحتمل ان موسى عليه السلام امرهم بذبح البقرة وما اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول
منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيى بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء
ههنا فقال بعضهم بتكفيرهم بهذا القول لانهم ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى عليه
السلام هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى في الوحي وذلك ايضا كفر وعن آخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة
فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة او المراد ما اعجب هذا الجواب كانك تستهزئ بنا لا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين
اطلاق لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل
ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى او اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد
قيل نقص الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان المامور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم
لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما على قول القائل انها للعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الا
ستفسار فذكروا وجوها الاول انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم
استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصي بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الآية
العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على يد موسى او لعل القوم ارادوا اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة
في البين قال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا الى موسى او الخطاب وان افاد العموم الا ان القوم ارادوا الاحتياط
فسالوا ليزيد البيان ويزول الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة
لا لعلم الاجزاء فانها تقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالاوصاف الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من
قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم وانما وقع السؤال عن المشخصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة
هي فان طلب اي السؤال عن الصفات الذاتية او الخواص فسبب العدول اما اقامة الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة النوعية فان المشخص من
حيث هو مشخص حقيقة ايضا فيطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها مغايرة لحقيقة سائر
البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورتها واما لان السؤال عن الجزئيات كهذا عمرو انما يكون بمن اذا كان طالبا للعوارض وههنا الجزئي
غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كانها فرضت سنها اي قطعها وبلغت آخرها
والبكر الفتية ومكان لا طهارتها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون فان قلت قالوا انها نصف
فان طيب نصفها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض
والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه يدخل على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر
من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى الواحد المذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون اي
ما تؤمرونه مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير ولما بين لهم

كالحال لها في الشرع او في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قاني
وان يقع اللون على انه فاعل بسببي لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون
اسم للهيئة وهي الصفرة وكانه قيل شديد الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس
يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند اعتقاد او علم او ظن بحصول شيء لذيذ او نافع وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من لبس نعلا
صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان
سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون
عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في
كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض الامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته الازلية وان ادب الشريعة ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا ان شاء الله
اي انا بالزيادة لنا في البيان نهتدي لها او انا ان شاء الله على هدى في استقصاء السؤال اي نرجو ان لسنا على ضلالة فيما نفعله من هذا
البحث اي انا بمشيئة الله نهتدي القاتل لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح
التي يسنى عليها لسقي الحروث لا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية والذل بالكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقول رجل صبور وامراة
صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معفاة من العمل وحسنية مرسلة عن الحبس او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شيء من الالوان
على هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها فهي صفراء كلها حتى قرنها و
ظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا آخر واصلها وشية حذفت فاؤها كما في عدة والآن اسم للوقت الذي انت فيه
وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال
في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو القطع اعلى العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة
اسفل العنق وهو المستحب في الابل والمرعي في الحالين قطع الحلقوم والمريء لكن عنق الابل طويل فاذا قطع اعلاه تباطأ الزهوق ولا يكره الذبح
في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كادوا يقطعون خيط
اسهابهم وقيل وما كادوا ان يذبحوها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل الفور و
الا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين
يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله
تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاجتلب الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما
كنتم من امر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه
الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا بمنزلة قوله لكل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب
الفساد وانه سيجعل الى زواله سبيلا وان ما يسره العبد من خير او شر ودام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله صلى الله عليه
وسلم ان عبدا لو اطاع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس و
التذكير على تاويل الشخص او الانسان ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة قتلتم او ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل
فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين بين
اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله و
اوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه
وسلم ليس للقاتل من الميراث شيء والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي رض ولم يفرق بين ان يكون القتل
مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق عمدا كان او خطاء وعند ابي حنيفة رض لا يرث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرث
وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر الاموال ومحل كذلك نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين
حضروا حياة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين الا انهم لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون
مع منكري البعث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقدير فضربوه فحيي ويريكم آياته دلائله على انه قادر على

كل شيء فلولا هذه القصة على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام آية ودلالة لانها
على صدق موسى عليه السلام آية ودلالة لانها على براءة ساحة من سوى القاتل آية ودلالة لانها على حشر الاموات آية فهي وان كانت واحدة الا انها في
الحقيقة آيات عدة ويمكن ان يراد بالآيات غيرها اي مثل هذه الآية يريكم سائر الآيات كما ان مثل هذا الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله
كذلك دون ان يقال كذلك بعد تعظيم لشأن المستبعد كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس
واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اثر للمخصصات في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا
الفائدة فيه كون الحجة آكد وعن الحيلة ابعد فقد كان لملحد ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر ولعله بما امر بمس الميت بالميت
وحصول الحيوة عقيبه اي ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب وكما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن
تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل تشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله على
الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان
ان من حق المتقرب الى الرب ان يكون من احسن ما يتقرب به فتي السن حسن اللون بريا من العيوب ثمينا نفيسا سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط
مطاياكم فان قيل هلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض في
تثنية التقريع ولاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال ولا بقتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع
الضمير في بعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى وقوله ثم قست قلوبكم الآية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى وللذين هم في زمن
محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذي عددنا من جميع الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد
القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي
اشد قسوة من الحجارة من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة من عرفها
شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد مثلا وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة
[illegible] اقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة فكانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها [illegible] هذا الراجع
[illegible] كريم وعمرو اكرم وكلمة او ههنا ليست للشك تعالى علام الغيوب لا يشك في شيء وانما هي للتخيير اي انهما شئت شبهت [illegible]
صدقت ولو جمعت بينهما جاز ثم احتج ببيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها
[illegible] واسعة يتدفق منها الماء الغزير وان منها للذي يتشقق شقا فطولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة و
قلتها [illegible] في باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا تفتت وانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت وصارت مياها ولا تزال تقوى
مددها الى ان تشق الارض من [illegible] وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة
الآيات ومعاينة الدلائل ويتشقق اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكرون في يتذكرون وان منها لما يهبط اي يتردى من اعلى الجبل وذلك من خشية الله
اما لانه تعالى خلق فيها الحيوة والعقل والادراك كما روي من تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر
الله وانها لا تمتنع عما يريد بها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد [illegible] وقيل انه نزل [illegible] ان يحصل خشية الله في قلوب
عباده بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فمجازيهم
في الدنيا والآخرة فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت
صحتها [illegible] لا تأخذه سنة ولا نوم **التأويل** ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني وهو جهاد
الاكبر [illegible] **شعر** اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي ○ وحيوتي في مماتي ومماتي في حيوتي ○ [illegible] الارادة تحيى الطبيعة وقال بعضهم من
[illegible] هي بقرة نفس صلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة بعجز عن وظايف سلوك الطريق لضعف القوى البشرية
[illegible] ولا بكر في سن شرخ الشباب تشتهيه سكرة عوان بين ذلك كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء
اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يزيدها انها صفرة زين لا صفرة شين فانه سيماء الصالحين لا ذلول تثير الارض لا يستعمل ذله
الطمع ولا تسقي الحرث لا تثير ارض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق
مسلمة لا شية فيها [illegible] وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله
وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا او من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها
[illegible] النفس المذبوحة بذكر الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر فيحيى باذن الله عز وجل وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من

الحجارة لما يتفجر منه الانهار فمراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي تتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغلبات انوار الروح بترك اللذات و
الشهوات بحصول الاشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهنود والتي يشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الاوقات
عند انخراق الحجب الظلمانية من انوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي تهبط من خشية الله ما يكون لبعض اهل
الاديان والملل من تجلي لمعة من انوار الروح من وراء الحجب فيقع منها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين والفرق انها في المسلمين مؤيدة
بنور الايمان فيزيد في قربهم ومعرفتهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم وعجبهم وبعدهم واشتد [illegible] والمسلمون
مخصوصون بكرامات ومشاهدات تظهر لهم من تجلي انوار الحق وقد فتر برهان فاراءة الآيات للخواص سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته
لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قال في حق يوسف عليه السلام لولا ان رأى برهان ربه سئل
الحسين بن منصور عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فيعجز النفوس عن تكذيبها والله اعلم بالصواب

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم
آیا طمع میدارید ای مومنان که ایمان آرند برای سخن شما و بتحقیق هست گروهی از ایشان که میشنوند سخن خدا را که توریة است پس
يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا
تحریف میکنند آنرا بعد از آنکه دریافتند آنرا و حال آنکه ایشان میدانند و چون ملاقات میکنند ایشان آنان را که ایمان آوردند گویند ایمان آوردیم و چون
خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند
خالی میشوند بعضی ایشان با بعضی گویند آیا حکایت میکنید با ایشان آنچه گشاده خدای بر شما از نعت محمد تا حجت گویند با شما [illegible]
ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
پروردگار شما آیا پس در نمی یابید [illegible] آیا نمیدانند که خدا میداند آنچه پنهان میدارند و آنچه آشکارا میکنند
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون فويل
[illegible]
للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
[illegible]
فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار
[illegible]
الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون
[illegible]
على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب
[illegible]
النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
[illegible] ایمان آوردند و کردند کارهای نیکو ایشان ملازمان بهشت اند ایشان در آن بهشت جاودان باشند

القراءة الاماني [illegible] كان خفيفا [illegible] الاقوله تلك امانيهم وليس بامانيكم ولا اماني وغيرهم الاماني فان ابن [illegible] بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء
يعقوب وكذلك كلما جاء قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع **الوقوف** يعلمون ه آمنا ج والوصل اجوز لبيان حال المنافقين
وهو المقصود عند بعض ط افلا تعقلون ه يعلنون ه يظنون ه قليلا ط يكسبون ه معدودة ط ما لا تعلمون ه النار ج لان الجملة مبتداء وخبر بعد
خبر خالدون ه الجنة ج خالدون ه **التفسير** لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردف قبائح اخلاقهم
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم
يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى
بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس
بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون انهم مفترون كاذبون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول

لرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاده فلان يأخذ عنه لا عن غيره فهولاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلميهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا او لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا قال اي منافقوهم آمنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق ونجد نعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعته وصفته مأخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا اي رزق ذلك وسهل له طلبه او قال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقوهم المومنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقوله هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا او هو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما الزم تعالى من اتباع الرسل محاجة فيه الى دينه وقال الحسن يحاجوكم يوم القيمة عند المسألة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون ان ذلك مما يزيد في تفضيحهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه ارحت علمك عند الله واقمت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب ومثل التقصير والمحجوج بمثابة الدلالة في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرتهم لم يكتسب علما وكتابة لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني واحدها امنية على افعولة من مني اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني يقدر في نفسه ويخرجه ما يتمناه واماني اليهود ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم الاحبار من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد يقال هذا شيء رويته او تمنيته اي اختلقته وذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل الاماني بقراءتهم من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال يرثي عثمان

تمنى كتاب الله اول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر

والقارئ يقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتأمل وعلى الاول يكون الاستثناء منقطعا ومن قرأ اماني بالتخفيف حذف المد كما يقال مفاتح وان هم الا يظنون كالمحقق لما يفهم من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وان كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد اهل الجحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره ولا شبهة في دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد كما يقول المنكر هذا مما كتبته بيمينك حكى عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثاني ابلغ ولهذا ثم وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا تنبيه على شقاوتهم انهم استبدلوا النفع الحقير بالاجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما اسلفت من كتبة ما لم يكن حقا وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد ما رتب على التحريف وفي اعادة الويل في الكسب دليل على ان الوعيد كما لحقهم لسبب الكتبة واسنادها الى الله فكذلك لحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا النار نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم ان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل سمعيا فلا يجزم بها عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما مدة ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة وايام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت ومضين والعهد ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لانه خبره سبحانه كالعهود الموكدة منا بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار وانه يدل على عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده تنزيه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص النقائص فان قيل هب ان الخلف في الوعد لوم ونقيصة لكن في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوز من كامل ولعل للكريم طريقا آخر سوى هذا ام تقولون ام اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ومثاله الكلام المنصف نحو وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول واستأنف سؤالا ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات وفي الآية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات او الى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل الدليل على وجوب العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الخبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار

اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد اهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين فقالوا لن نعذب في النار الا ما وجدنا في التورية فاذا كان يوم القيمة اقتحموا في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من الايام المعدودة فقال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا في النار الا اياما معدودة فقد انقضى العدد وبقي الابد قلت وفي مثل ضلالهم ضلالة الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح افعال الاشباح الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تصير الى حظائر القدس ولا يزاحمها شيء من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر فطام الارواح عن الف التمتعات الحيوانية ثم تخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوي وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يخبر نفسه انها كيف تتدنس وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية وكيف تصفو وتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فقد يصدأ مرآة القلب بحيث لا يبقى فيه شيء من الصفاء الفطري كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الا مزيد اللهو وكرور الاعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى مخلدا في النار في الطول والعرض وعديله نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا والسيئة اصلها سيوئة من ساء يسوء سوءا ومساءة فقلبت الواو ياء وادغمت وهي من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصي صغرت او كبرت فضم اليها شرطا آخر وهو كون السيئة محيطة به ليختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة في المجسمات احاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهي عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات وتستولي عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم الآية وان وردت في اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبمثلها تمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيه يتحقق الاحاطة التامة واعلم ان في المسألة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بالآية وعيدهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ومن الحديث من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخل النار واذا استحق النار بعضهم فلان يستحقوا النار بقتلهم اولى فاجيب بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا او بعض من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال المخصصات القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك الآية حكم بالفلاح على كل من آمن وعورض بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضت فلا بد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التأويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واما الخلف في الوعد فمستقبح وايضا القرآن مملوء من قوله تعالى عفوا غفورا رحيما كريما وكذا الاخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يأت بما هو اقبح القبائح وهو الكفر فلا يهدم ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي واذا دلت الآيات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل الى العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابد الآباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب اقرب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعليل بلواحق الغايات وسوابق البواعث

ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن آمنك حتى تبلغ الخوف والله الموفق

وإذ اخذنا ميثاق بني اسرآئيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا
وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون و
اذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل
ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

القراآت لا يعبدون بالياء الغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف حذف احدى التاءين للتخفيف الباقون بالتشديد ووجهه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف اسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي والبخاري عن ورش والخزاز عن هبيرة الباقون اسارى مفخما تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بناء لآخر الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب **الوقوف** الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اي ومع ذلك توليتم معرضون ه تشهدون ه من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه استينافا وكونه حالا اوجه والعدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ه بالآخرة ز لان الفعل مستانف وفيه فاء التعقيب لجزاء ينصرون ه **التفسير** انه سبحانه كلفهم باشياء **الاول** قوله لا تعبدون الا الله من قرأ بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال **احدها** انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو مخبر عنه ويؤيد هذا القول عطف وقولوا واقيموا عليه **وثانيها** التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله شعر الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ه ويحتمل ان يكون ان مفسرة وان يكون مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم **وثالثها** هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادة الله والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي والرسالة **التكليف الثاني** قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا لمناسبة

لا يعبدون او احسن لمناسبة قولوا ويمكن ان يقدر ووصيناهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول ايضا قبل لا تعبدون او اي قيل احسنوا او اي قيل قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد وان اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوانات كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وههنا اسرار فليتأمل ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريد عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى بان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول وقد وجب طاعة الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الآية اطلاقا وقد تلطف ابرهيم صلوات الرحمن عليه في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي دقائق الادب والحنو والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما قولا وفعلا ولا يمنع اعزة اوقاته وكرائم امواله عنهما ويجتهد في تنفيذ وصاياهما ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى آخر الآية **التكليف الثالث** الاحسان الى ذوي القربى ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك اي الرحم مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة لاتخاذ الالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو رقينا الى الجد العالي وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانه يصرفه الى اولاد شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد والشافعي هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي واما في زماننا فلا يصرف الا الى اولاد الشافعي ولا يرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا يفتخرون بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية مطلقا سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما يتيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر **التكليف الرابع** الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم ويجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم واليتيم في غير الانسان من قبل الام واليتيم من الدر ما لا اخت له وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا في وجع وحبط للمنتفخ البطن وجاعى وحباطى قيل في يتيم يتامى وفي الكشاف انه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب وكذا في اليتيمة **التكليف الخامس** الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه او لانه اللائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير اللائم السكر وهو اسوأ حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس فان اشتقاق الفقير من فقار الظهر كانه فقاره لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذوي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي التغاير **التكليف السادس** وقولوا للناس حسنا بالرفع اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او هو الحسن في نفسه لافراط حسنه او ليحسن قولكم حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين

اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة وقيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل آية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص
القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية
ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفساق فحسن القول ايضا معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي
هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطيف من القول لم يعدل الى غيره في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء
الا شانه فثبت ان جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن
قوله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب
ولترتب الذم عليهم بتوليهم وهذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر
واجبة وان لم تجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني او مالي وكل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان
يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا لامر الله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه
واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان
وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي العام لكونه منوطا بالمقدرة
والامكان سببه اما النسب او لا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك
اذا كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد دون الناس اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج والفقر وهو المساكين او الاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول
الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف
المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد ذكر اكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التاكيد فاكد العبادة
بقوله ولا تشركوا به شيئا وكذا الاحسان الى ذي القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم اصناف آخر وهم الجار وغيره اليهم فكان كالتفصيل
لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب متعلق ببني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه ان اول الكلام معهم
وكذا آخره الا بدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود كانه تعالى بين ان تلك
المواثيق كما لزم المتمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التورية من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك
توليتم الا قليلا منكم وهم الذين آمنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم
وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل المراد اخذنا ميثاق آبائكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه
واي فائدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يقدمون على قتل النفس للتخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكثير
ممن صعب عليه الزمان او المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص
منه او لا تتعرضوا لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم او المراد اخراج بعضهم
بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم
تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله
ويشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شايعا فيما بينهم مشهورا او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم
تعجب ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتداء وهؤلاء خبره اي ثم انتم بعد
ذلك هؤلاء الشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت
وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر
التعاون ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما يعظم به الفتنة فاخبر فيه الى افتنا بدلالة غاية بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة
بمن يظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرم ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما
مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعو الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسأل عما يفعل اسرى جمع جريح واسارى جمع
اسرى كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي لم يسمع مفردها كما لم يسمع اسرة كحبالى وعجالى وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على انه وصفهم بما هو
طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل المال او غيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو

اسرى جمع اسير

مبتداء مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له
حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل
حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا
وقد يكون المناقضة ادخل في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليهما والجحد في امرهما
على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض والكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا
اي ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اي استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على
فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى
هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكري الصانع كالدهرية
يجب ان يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد
مطلقا وفي قوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يدل على وصول
الحقوق الى مستحقيها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر
بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى
لا الشرع وبين لذات الآخرة ممتنع يستتبع وجود احديهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق **التاويل** واذ اخذنا ميثاقكم في العهد
السابق لا تسفكون دماءكم باستيلاء امارة الشيطان واتباع خطواته كما قيل **شعر** الى حتفي مشى قدمي ٭ ارى قدمي اراق دمي ولا تخرجون
انفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تقتصرون على ضلالكم بل تتعاونون بعضكم بعضا
على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان ياتوكم اسارى تفادوهم فمن اسير في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على
الهدى ومن اسير في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن اسير في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى
اليقين بسواطع البراهين ولوامع البينات ومن اسير في حبس وجوده فنجاته بما يحل عنه وثاق الكون ويوصله الى معبوده ومن
اسير في قبضة الحق فليس لاسيرهم فداء ولا لقتيلهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا لهم قرار ولا اليهم بغيرهم سبيل ولا عليهم الا بهم دليل
افتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في اول الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه ان لا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى

ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا
وبتحقيق دادیم موسی را توریة و از پی در آوردیم پس از زمان او پیغمبران را و دادیم
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا
عیسی پسر مریم را معجزها و قوت دادیم او را بروح پاک که جبرئیل است پس هر گاه که آمد شما را پیغمبری بانچه
تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا
دوست نداشت نفسهای شما تکبر کردید پس گروهی را دروغ پنداشتید و گروهی را میکشتید و گفتند دلهای ما
غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند
در غلافهاست بلکه دور کرد ایشانرا خدای از رحمت بسبب کفران پس اندکی چیزی از تکالیف میکردند و چون آمد ایشانرا کتابی یعنی قرآن از نزد
الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
خدای راست گوی آنچه نزد ایشانست و بودند از پیش طلب نصرت میکردند آمدن محمد را بر آنانکه کافر شده بودند
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا
پس چون آمد ایشانرا آنچه شناختند کافر شدند بدان پس دوری از رحمت خدای بر کافران باد بد چیزیست که خریدند
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء
بدان نفسهای خود را که کافر شوند بانچه فرو فرستاد خدای برای حسد برانکه فرو میفرستد خدای از وحی خود برانکه خواهد
من عباده فباءو بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا
از بندگان خود پس باز گشتند بخشمی بر خشمی و مر کافرانراست عذابی خوار کننده و چون

وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه

گویند مر ایشان را ایمان آرید بدانچه فرو فرستاد گویند ایمان می آریم بدانچه فرو فرستاده شد بر ما و حال آنکه کافر میشوند بآنچه غیر آنست

وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين

و آن درست و راست است در حالتی که باور دارنده است مر آنرا که با ایشانست بگوی پس چرا میکشتید پیغمبران خدای را از پیش اگر هستید ایمان آرندگان به تورات

القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير ينبئهم وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف لحقيقا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب **الوقوف** القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب بعد كذبتم ز لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين بينهما تقتلون ه غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق للثاني يؤمنون ه لما معهم لا لان الواو للحال كفروا به ج لان لما متضمنه للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابهما متحد وقوله وكانوا من قبل حال معترض كفروا به ج لان ما بعد مبتدأ لكن الفاء يقتضي تعجيل ذكر جزائهم الكافرين ه من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط مهين ه لما معهم ط مؤمنين **التفسير** لما ذكر سبحانه في الآي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم امره تعالى ومناقضة حالهم اكد ذلك في هذه الآي بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقيض المقصود زيادة في تبكيتهم اما الكتاب فهو التوراة آتاه الله تعالى اياه جملة واحتج عن ابن عباس انها لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل آية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى عليه السلام فحملها وقفينا الاتباع والتقفية الاتباع من القفا كالتذنيب من الذنب اي اتبعنا على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارمياء وعزير وحزقيل والياس واليسع وزكرياء ويحيى وغيرهم وذلك ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واستمر الى ايام عيسى عليه السلام فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ان الله سيبعث لهذه الامة على راس كل مائة من يجدد لها دينها وقيل عيسى بالسريانية ايشوع اي المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند اهل التصريف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم تثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعلام واذا البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وروح القدس الروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ورجل صدق اي بجبرئيل سمي بذلك لانه سبب حياة الدين كما ان الروح سبب حياة البدن ولان الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حياة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذي نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله وعن الربيع وكون الروح ههنا جبرئيل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذي بشر مريم بولادتها وقد تولد عليه السلام من نفخة جبرئيل فانه وهو الذي رباه في جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله افكلما وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد آتينا لافادة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذا لاموالهم بغير حق ويموهون على عوامهم انهم على الحق والنبي على الباطل ويحتجون على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على آدم عليه السلام ففريقا كذبتم على التمام وما بقي منه غير مكذب وفريقا تقتلون اي ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم عند وفاته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والعداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب كقوله شعر فاضربها بلا دهش فخرت ۰ وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد رعاية الفاصلة في يقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل فريقين احدهما مخصوص بالتكذيب والآخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذي اقتضى عندهم استحقاقهن حتى خص المنعوت به دون سائر الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف واكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف غلف جمع اغلف وهو كل ما في غلاف ومنه الاغلف للذي لم يختن اي قلوبنا مغشاة باغطية فلا نتاثر بدعوتك لمكان الحائل بينهما وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم والحكمة نحن مستغنون بها عن غيرك لا

حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اي طردوا وابعدوا عن رحمة الله فابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذي احدثوه بعد نصب الادلة وايضاح العلة وفي هذا لطف للمكلفين ان لا يستلقوا الى المعاصي بلاء نحو هذا العذر ابدا مثل هذه الحجة ولكن يشمرون عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اي ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اي بشيء قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم اي لا يؤمنون اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما تقول قلما تفعل لا تفعل البتة وذلك ان الايمان بالله انما ينتفع به اذا كان مؤمنا بجميع ما انزل الله فاذا فرق بين اوامره فهو عن الايمان بمعزل ولما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله لا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على ان المراد بالكتاب هو القرآن ومعنى تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة في اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب غرما او مجازا لان الكتاب يستلزم الرسول لا محالة يدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن يسالون به الفتح والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا وعنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياستهم ومكاسبهم فابوا واصروا على الانكار وكفروا اذ كفر عناد فلعنة الله وهي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعالى ذكر وقولوا للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن وايضا اولئك بالنسناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم اضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر حينئذ بنكرة منصوبة وبعدهما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب المخصوص فقيل مبتدا والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم بابدانهم كما ان الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاتى باعمال يظن انها تخلصه من العقاب وكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا ان ما اتوا به يخلصهم من العقاب وتوصلهم الى الثواب فقد ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته ان يرسله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي والحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباءوا بغضب على غضب لا بد من اثبات سببي غضبين احدهما تكذيب عيسى وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فصار ذلك سببا بعد سبب لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل ان هذا الكفر وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا انه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام واثبات ابدي وتكريره يقتضي فيه ذلك كحصته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصلة واحدة كغضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر مقام المضمر اي ولهم عذاب وفائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصفه العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من وصفه لانها بسببه ولا يلزم من افضائه

العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب ولا اهانة كالولد يؤدب واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب وقيل ليستدل به على
عموم ما قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية وكتب سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى عليه السلم ويكفرون بما وراءه اى قالوا ذلك
والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الانجيل والقرآن وهو الحق الضمير يعود الى ما وراءه او الى القرآن فقط مصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها
وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القرآن فصار كانه هو والعامل
فى مصدقا محذوف وهو يثبت او ثبت على الاصح واما الواو فى وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وحينئذ اما
ان يكون العامل فيها هو العامل فى قوله ويكفرون على ان كلا منهما حال بحيالها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلتان
وفى قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لما ثبت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان
هذا القرآن منزل من عند الله وامر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان ببعض الانبياء وبعض
الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقة
لما فى التورية فيعلم بالضرورة ان استفادها من قبل الوحى وايضا القرآن يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما اخبر الله تعالى انه مصدق
التورية وجب اشتمال التورية على الاخبار عن نبوته فمدعى الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه
آخر كذب دعويهم وهو ان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانهم سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم الا لتجايز والكلام
وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل ويقتلون حكاية حال ماضية واصل لم لما بادخال لام التعليل فى ما الاستفهامية
حذفت الالف للتخفيف اى لاى غرض وباى حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء وفى قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك فى ايمانهم وقدح فى صحة
دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف ويدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه على ان اليهود المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد صلى الله عليه
وسلم من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التاويل هذا حال اكثر الطالبين
المقتبسين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبونه فريقا منهم فرارا
عن تحمل اعباء الطلب ويقتلون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب
اذا ابتلى فى اثناء الطلب بالوقفة او الفترة لم يضره ذلك ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبمدد همة الاستاد والشيخ
فاما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون
ان يدركوا احدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند رفع حوائجهم فى صلاح
دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه وظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من رد
ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه كما جاء فى الحديث من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحبة وانا اغضب لاوليائى كما يغضب الليث لجروه

ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون

وبحقيقت آمد شما را موسى با معجزات ظاهر پس بعبادت گرفتيد گوساله را پس از رفتن او بطور و شما ستمكاران بوديد

واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم

وچون گرفتيم عهد شما را و برداشتيم بر بالاى شما اين كوه را و گفتيم كه فرا گيريد آنرا كه داديم بشما

بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم

بجد و عزمت و بشنويد سمع قبول گفتند بشنوديم بگوش و نافرمانى كرديم و بياميخته شد بايشان در دلهاى ايشان دوستى گوساله از سبب كفر ايشان

قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت

بگوى بد چيزى كه ميفرمايد شما را بدان ايمان شما اگر هستيد از اهل ايمان بتورية بگوى اگر هست

لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا

براى شما سراى باز پسين يعنى بهشت نزد خداى خاص و ويژه از جز مردمان پس آرزو خواهيد

الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم و

مرگ را اگر هستيد راست گويان و نخواهند مرگ را هرگز بسبب آنچه پيش فرستاده دستهاى ايشان

الله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين

و خداى داناست باحوال ستمكاران و هر آينه يابى تو ايشان را حريص ترين مردمان بر زندگانى دراز و از آنانكه

اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب

كه شرك آوردند يعنى يهود ميخواهد هر يكى از ايشان كه كاشكى عمر داده شود هزار سال و نيست آن بگرداننده او از عذاب لعنت

ان يعمر والله بصير بما تعملون

وسعى كرده دوست ميدارد اگر عمر داده شود و خداى بيناست بدانچه ميكنند

القراءة ولقد جاءكم وادغم الدال فى الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم
العجل بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلى وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقى
الميم حرف ساكن وقبل الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون ه الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط
مؤمنين ه صادقين ه ايديهم ط الظالمين ه على حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص
الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا ويود مستانف للبيان وانما لم يدخلوا فى الناس ودخل فى الذين اشركوا لان اليهود من الناس
وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من الديباج سنة ج لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط يعملون ه
التفسير السبب فى تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه آخر فى قولهم نؤمن بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى عليه السلم بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك
صبر وثبت على الدعاء الى دينه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد ولما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية
لجاجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الآية يدل على انهم قالوا هذا القول عنى سمعنا
وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابى مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين
واشربوا فى قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما
ياكلون فى بطونهم نارا وفى هذه الاستعارة لطيفة وهى ان الشرب مادة الحيوة ما يخرجه الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح
الصادرة عنهم وفى قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامرى وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم و
اعتقادهم التشبيه على الله تعالى ولا ريب ان جميع الاسباب ينتهى الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق فى امثال ذلك مرارا بئسما يامركم
به المخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية عبادة العجل فليس فى التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم
تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم واعلم ان الايمان عرض لا يصح منه الامر والنهى لكن الداعى الى الفعل
والسبب فيه قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت لكم الدار الآخرة اسم كان وفى الخبر ثلثة اوجه
الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذى فى لكم ويجوز ان يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان والاستقرار واما لكم
فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل فى حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة اى خالصة لكم فيتعلق
بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فتعلق حينئذ بمحذوف الثانى ان يكون خبر كان لكم وعند الله ظرف
وخالصة حال والعامل كان والاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان
او لكم وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول
خلص كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هى المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على
عندية المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اى سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز
والتخطى فى المكان كما تقول لمن وهبت منه ملكا هذا لك من دون الناس اى لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس
اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا الاشبه لا
يجوز ان يقال فى معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثانى وكقوله تعالى وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا فى انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة
فى ان النبى المنتظر المبشر به فى التورية منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبيان الملازمة ان متاع الدنيا قليل فى جنب نعيم الآخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم
بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة

الصائنة عن النقص ولا يفوت الا القليل النكد والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد ونحوه والنهي عن تمني الموت في قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وامتني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على من سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال القائل شعر الا موت يباع فاشتريه • فهذا العيش ما لا خير فيه • الا روح المهيمن روح عبد • تصدق بالوفاة على اخيه • فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم وعلى من سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا كرم الله وجهه يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة فاما احدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا بقي على الارض يهودي وليس لهم ان يقلبوا هذا السؤال على محمد صلى الله عليه وسلم فيقولوا انك تدعي ان الدار الآخرة خالصة لك فلا شك دون من نازعك في الامر فارض بان نقتلك ونقتل امتك فانا نراك وامتك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت تخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته فله ان يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا في اموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال يتم بمباشرة اليد وقوله لن يتمنوه من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من افعال القلب حتى لا يطلع عليه احد وانما هو قول الانسان بلسانه تمنيت وليت لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب فلو انهم تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث العظام ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك وايضا لولا انه تعالى اوحى اليه انهم لن يتمنوا لم يكن في العقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة فاذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا يكون الدار الآخرة لهم خالصة واما انها ليست لهم بالاشتراك ايضا فيستفاد من الآية التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك لانه اذا كان محيطا بنياتهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فجازيهم بما يستحقون له ووضع الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيتناولهم اولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل لما قال ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهناك كونهم اولياء لله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب نفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن ولان الدعوى الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا بمعنى انه بالغ في الكمال والاكمل ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود فحيث كان الدعوى الاولى ابعد احتيج الى اداة هي في باب النفي ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الآية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لان ههنا ثالثا وهو ان لا يتمنى الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا باللام والنون والقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة ففضلهم في الحرص على الذين اشركوا توبيخ عظيم لان المشركين لا يؤمنون بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بالتوبيخ وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وجشن

ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر ما اشتمل عليه قبله وكانه مذكور وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك لقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الآية تقديم وتاخير والتقدير ولتجدنهم وطائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر هذه بقوله يود احدهم اي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر بناء على العرف ولا يراد عقد بعينه فوقوعه في اعمار بني آدم او بعيد والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب ان يعمر ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التباعد والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة عن الفساد والبصر قيل ذو العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقيل انه على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه ما لم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يبصر فهو يعين حمل البصر فيه على العلم

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما

بگوی که هست دشمن مر جبریل را پس بدرستی که فرود آورد قرآن را بر دل تو بفرمان خدای حال آنکه باور دارنده است مر آن را

بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته

که پیش از وی بود از کتب و راه نمودنی و مژده دادنی مر مومنان را هر که باشد دشمن مر خدای را و فرشتگان او را

ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين ولقد انزلنا

و پیمبران او را و جبریل و میکائیل را پس بدرستی خدای دشمن است مر کافران را و بتحقیق فرو فرستادیم

اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما

سوی تو آیتهاء روشن و منکر نشود آن آیات را مگر آنکه در کفر متجاوز از حد باشند ای کافر شدند

عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم

و هر گاه که موکد کردند عهدی را بیفکند آن را گروهی از ایشان نه که بیشتر ایشان ایمان نیارند و چون آمد بدیشان

رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب

فرستاده از نزد خدای باور دارنده مر آن را که با ایشانست بیفکند گروهی از آنانکه داده شدند توریه

كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون

القراءة جبرئيل بفتح الجيم مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص ويحيى مفتوحة الراء والجيم مهموزا مشبعا وقرأ يحيى مختلسا الباقون مكسورة الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا الوقوف للمؤمنين ه للكافرين ه بينات ج لان هذه الواو للابتداء او الحال والحال اوجه لاتحاد القصة الفاسقون ه فريق منهم ط لان بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون ه اوتوا الكتاب ج لتعلق المفعول ووقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل مما قبله لا يعلمون ج لتجوز الوقف والوصل للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع التفسير هذا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والسبب في نزوله انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد امن الرجل يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التورية ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك اي ملك ياتيك بما تقول عن الله قال جبرئيل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل ياتي باليسر والرخاء فان كان هو الذي ياتيك آمنا بك فقال عمر ما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبرئيل وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا

وحرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبريل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما
فانكر ذلك على عمر فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر ارض باعلى المدينة اعلاها وكان ممره على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا
يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره
في كتابكم ثم سألهم فقالوا من صاحب صاحبكم فقال عمر جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان
ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل
فقال عمر ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع
عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب
من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل
بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كما يشعر بذلك قوله فانه نزله اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم
وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت
اليه او ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه
في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله الخ اي ان عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه
واختياره وانما جاء به باذن الله وامره الذي لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مامور وجب
ان يكون معذورا ومن حيث انه اتى بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوة من هذا سبيله عداوة الله ولو انه تعالى امر ميكائيل
بذلك لانقاد لامره ايضا لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما الوجه في تخصيص جبريل بالعداوة وجبريل ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة
بشرطها وعن ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير في نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة
وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشان صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه واكثر الاضمار على ان القرآن انما نزل على محمد لا
على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء ثباته في قلبه فمعنى على قلبك حفظه اياك وفهمكه وقيل جعل
قلبك متصفا باخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال على قلبي لانه جاء على
حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله
من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادي والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى
وبشرى ان القرآن يشتمل على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى
وثانيهما بيان ان الآتي بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر ايضا
ولا ريب ان البشرى تختص بالمؤمنين واما الهدى فلانهم هم المنتفعون به كما مر في هدى للمتقين ولما بين في الآية المتقدمة ان من كان عدوا
لجبريل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا لله تعالى بين في الآية التالية ان من كان عدوا لله والمخصوصين بكرامته
فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو للغير هو الذي يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل
في حقه تعالى بل العاقل المفاوض لا العاقل المتعالي فمعنى من كان عدوا لله اي لاولياء الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله وقوله ان
الذين يؤذون الله ورسوله او يراد بذكر الله ذكرهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد
لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل بالقهر هؤلاء في النار ولا ابالي كما ان محبة
المؤمنين لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة والاول علة للثانية وافرد الملكان
بالذكر لانه على فضلهما كانهما من جنس آخر فان المتغاير في الوصف قد ينزل منزلة المتغاير في الذات ولان الآية نزلت فيهما يعني بهما صح
لحسن ان ينص على اسميهما وتقديم جبريل في الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل وايضا ان جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الارواح
وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو في جبريل وميكائيل بمعنى او لان عداوة احد هؤلاء يوجب عداوة الله
كما ان عداوة كلهم يوجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر
دلالة على ان عداوة هؤلاء كفر والآيات البينات هي آيات القرآن ولا يبعد ان يحمل سائر معجزاته وان كان لفظ الانزال يأباه عنه بعض النبو
ومعنى كون الآية بينة ان العلوم ينقسم الى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه اكثر مقدمات فيكون الوصول اليه اصعب والى ما يكون
اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب وهذا هو الآية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها واما جحودها مع الجهل وترك النظر

فيها والاعراض عن دلائلها واللام في الظاهر تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه
ماخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحس اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع
من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالى كمن فجر من النهر بقنا صغير الايقال انه فجر النهر وفي قوله الا الفاسقون
وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان ذكر الفاسق اولى ليأتي على الكافر وغيره الثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في
كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي بلغ في الكفر النهاية القصوى وهذا نوع آخر من فضائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا
يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن
جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم
ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاشارة الى اهل الكتاب او كلما الواو للعطف على محذوف
معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لان من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وانما قيل فريق
منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالغدر وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول اي كتاب
لتلازمهما بدليل كتاب الله وهو القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم بذلك
رصين من قبل التورية ولكن المكابرة هجراهم ونبذ وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التورية لانهم لكفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا نبذوها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن
ولی روی کردند آنرا که میخواندند دیوان بر عهد سلیمان و کافر نبود سلیمان ولکن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل
دیوان کافر بودند می آموختند مردمانرا جادویی وآنچه فرو فرستاده شد بر دو فرشته بشهر بابل
هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا
هاروت و ماروت نام و نمی آموزانیدند هیچکس را تا آنگاه که میگفتند بدرستی که ما آزمایشیم از حق پس
تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم
کافر مشو باعتقاد پس می آموختند از آن دو فرشته آنچه جدایی می افکندند بدان میان مرد و زن او و نه اند ایشان
بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد
گزند رساننده کان بآن سحر هیچکس مگر بارادت و فرمان خدای و می آموختند آنرا که زیان میداشت ایشانرا و سود نمیداشت و بحقیقت
علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم
دانسته که هر آینه کسی که اختیار کرد سحر را نیست ورا در آن جهان هیچ نصیب و هر آینه بد چیزی که فروختند بدان نهاد خود را
لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير
اگر باشند که دانسته و اگر بودی که ایشان ایمان آوردندی و پرهیزکاری بر آینه ثوابی که نزد خدا است بهتر از حاصل ایشان
لو كانوا يعلمون
اگر بودی که دانستندی

القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم
ولكن الله رمى الملكين بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف فتنبيه على ان المنزل عليهما علم السحر كانا
ملكين ببابل الوقوف وعلى ملك سليمان ج لان الواو قد يصلح حالا للبيان نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر وقيل على جعل ما نافية
ولا يتم لمناقضته ما في سياق الآية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله السحر على انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون
الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الآية عشر ما آت فيها كافة في انما والآخرة نكرة منصوبة في لبئسما والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب
وماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ج تجوز الوقف لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون ه خير ط يعلمون ه التفسير
من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شان اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقيل

انهم الذين يقتدي بهم اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة
ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل
قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف
وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلو تقرأ وعلى ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه وقيل تتلو عليه اي تكذب فالقوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد
تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملكه واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن وانهم كانوا يسترقون السمع ثم
يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرءونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان
الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي في الخبر ان سليمان كان قد
دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من الناس
الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموا الناس انه من عمل
سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بسبب هذه الاشياء ويقوي قول الاكثرين ان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك
التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف في سبب اضافتهم
السحر الى سليمان فقيل لترويج ذلك فيهم وقيل لانهم ما كانوا يقرون بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر امورا عجيبة غلب على ظنونهم انه استفاد
ذلك من الجن وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي برأه منه لاصق
بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا اذ قد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل
على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم
بعضهم لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي
سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى
اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح
ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا سمي بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن
بيانه ولطيف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن كما يسخط تارة فيقول اسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر
الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة
والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا
عليهم مذاهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه
المشي عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي اوجبه وقد اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع
عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكي في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت
كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديكة نبتت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال
النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر وحكي ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل
عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزال
تلك العلة المزمنة والاصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات
كانت كانها روح من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فح
لا يكون لها تصرف البتة الا في هذا البدن فاذا ارادت ان يتعدى تاثيرها الى بدن آخر اتخذت تمثال ذلك الغير ووضعته عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه
الخيال عليه واقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضد الانقطاع عن المالوفات
والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى
فان كانت بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس
متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة و
الدهش ويحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول
في الدخن والوقف ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب

قوي الاثر جدا لا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من
يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة
فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة
وترى العظيم من البعيد صغيرا وقد لا يقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض
ولا يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم اديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان
وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه
انسان ويكلمه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء آخر وكذا الناظر في المرآة ربما قصد ان يرى سطح المرآة هل هو مستو ام لا
فلا يرى شيئا مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء
والتحديق نحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة
التي تظهر من الآلات المركبة على النسب الهندسية او لضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الآخر ومنها الصور التي يصورها الروم
والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد تفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا
الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر فان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص
الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان
السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب وحينئذ يضعف القوى الحساسة
فيتمكن الساحر من ان يفعل فيه ما شاء ومن جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار
ومنها السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شايع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة
الى قدرة الله تعالى فانه لا يمتنع وقوع هذه الخوارق واجراء العادة عند سحر الساحر واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف
ولعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا ان اجتنابه اقرب الى السلامة كتعلم
الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من اعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم
وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع الثاني وهو ان يعتقد
انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا
على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الادعية بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة
الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف
صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل
التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له هذه الاشياء مع
ادعاء النبوة وان حصلت لم تتم فصوله الباطل كالعرج واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا
سحر انسانا فمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت
غيره فوافق اسمه اسمه فخطأ وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه
فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر او وصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان قال اني كنت اسحر مرة
وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد روي عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم
الخبيثة فتعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فاراد الله ان يبتلي
الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا ودينا لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما
شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا الى الارض
فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه
في منزلها في مثال صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها
الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت

الشهوة عليهما فقالا لا نفعل ثم لم نسجد للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان ظهر هذا السائل للناس ما رآى منا فسد امرنا فان اردتما الوصول

الىّ فاقتلا هذا الرجل واستعاناه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وعلمهما الى موضعهما من السماء فعرفا حسبيد انما اصابهما ذلك

بسبب تعييرهما آدم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلّماها

الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى

خيرهما بين عذاب الآخرة آجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر

ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل

عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف تعمل انها صعدت

الى السماء وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئا ولانه ذكر في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب

لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحر كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا ابوابا غريبة من السحر

وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن

الاغراض والمقاصد وايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اوليائه ولعل

الجن اتوا على ان السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه

ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب به الثواب كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب

منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول

في وقتهما ليكون ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس ثبت انه لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان الى وما يعلم الملكان

احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق وتتوصل به الى شيء من المعاصي و

الاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقدا ان

السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز

ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله باذنه وقدرته لانه ان شاء احدث عند ذلك شيئا

من افعاله وان شاء لم يحدث وكان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن سكوته عما عداه والى زوجه لما كان اشد تخصيصا للنكير

ليدل بذلك على ان سائر الصور تأثير السحر فيها اولى وقرأ الاعمش وما هم بضاري به من احد فجعل الجار جزءا من المجرور وهو احد واضاف اليه

المجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد ولقد علم هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء

وكذا في لمن اشتراه استبدل ما تتلوا الشياطين واختاره على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب كانه قدّر له هذا المقدار بمقابل الخلاق

الخلاق وقيل معنى الآية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه

اشترى منافع الآخرة بمنافع الدنيا ولبئسما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف

يدل عليه ما قبله اي لو كانوا يعلمون يعني ههنا سؤال وهو انه كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي

ثم الاثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الثاني لامتناع الاول وكذا لو كان للتمني فان التمني استدعاء امر هو كالممتنع

والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون

هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا اشياء وجهلوا اشياء آخر علموا انه لا خلاق لهم في الآخرة وجهلوا مقدار

ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا

بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس وكما او علمهم بقوله ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب

ليكون ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية فقال ولو انهم آمنوا يعني بما نبذوا من كتاب الله وهو القرآن او التورية التي يصدق فيها القرآن او

كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المأمورات واتقوا القدر كونوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله شيء

من ثوابه خير وانما لم يقل لاثيبوا تعليق بعدل يكون ان يتبع ما بعد فاعلا له اي لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو محذوف وقيل يدل عليه هذه الجملة الاسمية

المصدرة باللام اي لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة

جوابه سادا مسد جواب الشرط منفيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان هو الاكثر على ان دخول اللام

الموطئة في لو مستقل فيشبه ان يكون الاكثر في الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم كانه قيل

ولليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لامنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم

ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم **التأويل** واتبعوا ما تتلوا شياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي هو خليفة الله

في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن شياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخييلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما انزل فتنة

وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما

من العالم العلوي الروحاني هبطا الى ارض العالم الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة الحياة الدنيا واتباعهما فوقعا

في شبكة الشهوة التي ركبت فيهما ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي تخامر العقل وزنيا بغي الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا

منكسين رؤوسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات محرما استماع خطاب الحق وكشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكية

الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى ينبهاه انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوجه

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا و

ای آنکسانی که ایمان آوردند خطاب مکنید با رسول باین کلمه مراد ... و گویید منتظر باش تا یاد گیریم و بشنوید سخن رسول را با احتیاج و حضور

للكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب

و مر کافران راست عذابی دردناک دوست نمیدارند آنانکه کافر شدند از اهل کتاب

ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله

و نه بت پرستان که فرستاده شود بر شما هیچ چیزی یعنی وحی از پروردگار شما و خدای

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية

خاص میکند برحمت خود هر کرا میخواهد و خدای خداوند بخشش بسیار است آنچه حکمش زایل کنیم از آیات قرآن

او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء

یا زایل گردانیم از خواطر ایشان بیاریم بهتر از آن یا مانند آن در ثواب ای ندانستی که خدای بر همه چیزی

قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم

تواناست ای ندانستی که خدای مر او راست پادشاهی آسمانها و زمین و نیست شما را

من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسئلوا رسولكم

از غیر خدای هیچ دوستی کارگزار و نه یاری دهنده یا ای میخواهید که سوال کنید از پیغمبر شما

كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد

چنانکه سوال کردند از موسی از پیش و هر که اختیار کند کفر را بجای ایمان بحقیقت

ضل سواء السبيل **القراءة** ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسأها بالهمز ابن كثير وابو عمرو

کم کرد میانه راه را

غير اوقية وروى اوقية بغير همز الباقون ننسها من الانساء نأت بخير بغير همز ابو عمرو وغير ابراهيم بن حماد

ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه ان يهمز كل ما كان ساكنا اي عطفا على المجزوم

او جوابا للمجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها واشباه ذلك فقد ضل بالاظهار

غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الضاد والظاء حيث وقعا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك

الوقوف واسمعوا ط اليم ه من ربكم ط من يشاء ط العظيم ه او مثلها ط قدير ه والارض ط ولا نصير ه يجوز من قبل ط السبيل ه

التفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال اليهود شرع في قبائح اخلاقهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم في

القدح فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس وكان يخاطب في

التورية يا ايها المساكين وكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة آخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة

وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان عن العذاب آخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا

سيما فان المؤمن اسم من اسمائه العظام نفسه دليل على انه تعالى يقربهم منه في دار السلام وقيل آمنوا على الغيبة نظرا الى المظهر وهو الذين ولو

قيل آمنتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال النبي

لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا و يأذن في قول انظرنا و ان كانا مترادفين و لكن جمهور المفسرين
على انه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه و سلم
اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله و اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة و هي راعينا و معناها
اسمع لا سمعت كما صرح بذلك في سورة النساء و يقولون سمعنا و عصينا و اسمع غير مسمع و راعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين
يقولون راعنا افترصوا و خاطبوا به الرسول و هم يعنون تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها و امروا بلفظة اخرى و هي انظرنا روي ان سعد بن
معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله و الذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا
او لستم تقولونها فنزلت و منها قال قطرب هذه الكلمة و ان كانت صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء و السخرية فلا جرم
نهى الله عنها و قيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي غنمنا فنهاهم عنه و قيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل
على المساواة بين المخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك سماعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
و قيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي و لا تغفل عنه و لا تشتغل بغيره و ليس في انظرنا الا سؤال الانتظار و قيل انها تشبه اسم
الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي اعوذ عياذا فقولهم راعنا اي فعلت رعونة و يحتمل انهم ارادوا
صرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها و قيل المراد لا تقولوا قولا راعنا اي منسوبا الى الرعن كدارع و لابن
و منه قراءة الحسن راعنا بالتنوين و انظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالى ان يسألوه الامهال لينقلوا عنه
فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف في كلامك و بيانك مقدار ما يصل الى افهامنا و هذا القدر غير خارج عن قانون الادب
فقد يلتمسه المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوايد و ان كان المعلم غير مهمل لدقايق التفهيم و الارشاد من التلبث و التاني و الاعادة
ان احتيج اليها و نحو ذلك و قيل انظرنا معناه انظر الينا مثل و اختار موسى قومه اي من قومه و الغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كانت افاضته
عليه اظهر و اقوى و في قراءة ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ و اسمعوا معناه احسنوا استماع كلام نبيكم باذان واعية و اذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة و طلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول و طاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا و عصينا اي اسمعوا
ما امرتم به و لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قول راعنا و للكافرين يعني اليهود الذين تهاونوا و سبوا رسول الله عذاب اليم قوله ما يود
الاية الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب و المشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين
و لا مزيدة لتاكيد النفي و من في و لا المشركين و الثانية مزيدة لاستغراق الخبر فان ينزل في سياق النفي معنى ما يودون ان ينزل
و الثالثة لابتداء الغاية و الخير الوحي و كذلك الرحمة ام يقسمون رحمة ربك و المعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
و ما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي و لا اثر لهذا الحسد فان الله يختص بالنبوة من يشاء و لا يكون الا ما يشاء و لا يشاء الا ما يقتضيه
الحكمة و الله ذو الفضل العظيم الفضل و الفضيلة خلاف النقص و النقيصة و الافضال الاحسان و فيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية
الاحسان و انها رحمة من عباد كما قال ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ من آية نوع ثان من نفرت مطاعن اليهود خذلهم
الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه و يامرهم بخلافه و يقول اليوم قولا و يرجع عنه غدا فنزلت
و في الاية مسايل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته و النقل ايضا و هو ان تغير الشيء في صفته و حاله مع بقائه في
نفسه و منه نسخ الكتاب و المناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما و قيل حقيقة في الاول مجاز في
الثاني و قيل بالعكس و في الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بعد رافعا لاباحته
فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي و يخرج ايضا الرفع بالنوم و الغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي و هو رفع عن امتي الخطا
و النسيان و نحوه بل بقضية العقل ايضا بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل فيه و يخرج الرفع بنحو صم الى آخر
الشهر فان زواله و ان اوجب مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا تسمى نسخا لانه ليس بمتاخر و يمكن ان يقال ان قيد متاخر انما
ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك و نحو صم الى كذا و امثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع
لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله على المكلف و التخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين
لمراد الشارع من العام و يعني بالحكم ههنا ما يحصل على المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف
لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل و الموقوف على الحادث حادث و اذا كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم
فكيف يرتفع و ذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق و هذا محدث يرتفع و ايضا يقطع بانه اذا ثبت تحريم شيء بعد

وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا و هو المعني بالرفع و يحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان
انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية و بطريق شرعي فيخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانتساخ القيام عمن بتر رجله و قولنا متراخ
يخرج التخصيص بالغاية و من هذا يعلم تعريفا الناسخ و المنسوخ و معنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى
تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق مبينا لذلك **المسئلة الثانية** انعقد الاجماع من اكثر ارباب الشرايع و من المسلمين خاصة على جواز النسخ
عقلا و على الوقوع شرعا و خالف اليهود في الجواز و ابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى
ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة و مصلحة و ان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على
جواز النسخ و في التورية انه امر آدم بتزويج بناته من بنيه و قد حرم ذلك في شريعة من بعده باتفاق و هذا ما يدل على وقوعه و كيف لا و قد ثبت بالدلائل
القاطعة و المعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و بصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله فلم يكن لليهود و النصارى نص صريح يعلم منه
ابدية شرعهم على اليقين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة
مؤبدة عليكم بها ما دامت السموات و الارض و ايضا ان نسخ الحكم الشرعي ظهرت له تعالى لم يكن ظاهرة فهو البداء و الا فعبث و كلاهما محال على
الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء و العبث فعل لا يستتبع غاية و الجواب عن الاول المنع من انه قول موسى عليه السلم و يؤكده
انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا صلى الله عليه السلم و لحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده فدل
ذلك على انه افك افتراه المتاخرون منهم و عن الثاني بعد تسليم اعتبار المصلحة انها تختلف باختلاف الازمان و الاحوال كمنفعة شرب
دواء في وقت او حال و مضرته في آخر بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع اجزاءه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا
فشيئا بحسب وقت وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو اصلح بالنسبة الى المترتبات فالظهور و الخفاء و السابق و اللاحق و الاعلام و
الايجاد كلها بالنسبة الينا و اما بالنسبة الى الحضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين و الحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله تعالى
و لكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال لعدم قراين الاحوال فاذا ورد ما يبين امده و يصرح على زواله فذلك الوارد ناسخ و الاول منسوخ و الورود
نسخ و كل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف و اما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر له فيه الظهور منفردا احدهما
متاخرا الآخر و ليس هذا في الاحكام فقط و انما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود و نسب الحوادث المتعاقبة بعضها الى البعض بالتقدم
و التاخر و المعية وجد وجودها المترتبة اشبه شيء بكتاب يقرأه القاري سطرا بعد سطر و كلمة تلو كلمة فاذا انقضى مجموع من ذلك تلاه مجموع
آخر حسب ما رتبه الحكيم العليم بمباديه و مقاطعه فالمنقضي في حكم المحو و التالي في حكم الاثبات و الهيئة الاجتماعية بدون اعتبار التلاحق
المستلزم لانقضاء شيء و ظهور ما يعقبه هي ام الكتاب و هذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب و لك ان تعبر عن المجموع
الدفعي بالقضاء و عن ظهوره التدريجي بالقدر و في هذا القدر كفاية للفطن المستبصر **المسئلة الثالثة** اتفقوا على وقوع النسخ في القرآن
لوجوه **احدها** هذه الاية اعني ما ننسخ من آية و اجاب ابو مسلم بان المراد بالايات المنسوخة الشرايع التي في الكتب القديمة من التورية و الانجيل
كالسبت و الصلوة الى المشرق و المغرب مما وضعه الله عنا و تعبدنا بغيره فان اليهود و النصارى كانوا يقولون لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل
الله ذلك عليهم بهذه الاية و ايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ و تحويله عنه الى سائر الكتب و ايضا ان ما ههنا يفيد الشرط و الجزاء و
كما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا يدل على حصول النسخ و جاز ان لا يقع ما هو خير
منه **و ثانيها** الاعتداد بالحول في قوله و الذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر و عشر في
قوله و الذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر و عشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت
حاملا و مدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا و اذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا و رد بان عدة الحمل تنقضي
بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل لسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون زايلا بالكلية **و ثالثها** اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجويكم صدقة منسوخة بالاتفاق و اجاب بانه زال لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المؤمنين و رد بانه يلزم منه
ان من لم يتصدق كان منافقا و هو باطل لما روي انه لم يتصدق غير علي و يدل عليه فاذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم **و رابعها** امر ثبات الواحد للعشرة
في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين **و خامسها** تحويل القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه
اليها عند الاشكال او مع العلم اذا كان هناك عذر و رد بان بيت المقدس و ساير الجهات في ذلك سواء **و سادسها** و اذا بدلنا آية مكان آية و التبديل
يشتمل على رفع و اثبات و المرفوع اما التلاوة و اما الحكم و كيف ما كان فهو رفع و نسخ فهذه الدلائل و امثالها تدل على وقوع النسخ في الجملة حجة
ابي مسلم لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و الجواب ان الضمير للمجموع و ايضا النسخ بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه و كونه قرآنا

بيان انتهاء حكم شرعي [illegible]

[illegible] الا ان يتصدق الله عليكم
[illegible] فان يكن منكم
[illegible] يغلبوا مائتين [illegible]

المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة او التلاوة فقط كما يروى عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب والحكم والتلاوة كما روى عن عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم دون التلاوة ونسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسى وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور وان يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يروى انهم كانوا يقرأون السورة فيصبحون وقد نسوها قال تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الآية الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل ان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها او اذهابها لا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدل اما بان نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما او ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما نرفعها بعد انزالها او ننسأها بالهمز نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين انه القرآن وعند ابي مسلم التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكما على المكلفين ان الثاني اخف والنسخ بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقته ومثل الاول بالنسبة الى وقتهما او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول او مساو له فكل منهما قد يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فمعنى الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال اعلى منه وان غصن ثبتها لهم ابدا ناضر ونجم وصالهم دايما زاهر فلا ينسخ من آثار عبادتهم شيئا الا ابدل لهم منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من اقمار الربوبية وايضا انهم يشاهدون بعض الوقايع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها المخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام اخر لا يشاهدون ذلك لان المشاهد فيظن السالك الغر انه حجب عن ذلك المقام او الحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات او ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهد او مثلها ثم ان الايمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم لا الى بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافهم لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم اخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم ان النسخ لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كون الاثقل اجرك على قدر نصبك وايضا فقد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالجلد واما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على ان الآتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب اتيك بخير منه يفيد انه ياتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا نأت يدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضا الآتي به خير والسنة لا يكون خيرا من القرآن وايضا قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى ضربها المكلف تحت مشيئته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قلت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما اردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله الا لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله الشيخ والشيخة له ملك السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي صلى الله عليه وسلم فيدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته ووضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهد ليلة المعراج بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رؤية الآيات الى الكشف

الصفاء ومن كشف الصفات الى عين الذات ثم فني عن الحال والثبت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام ويكون فيه من دون الله من وضع الظاهر موضع المضمر ولا يوقف على والارض ام تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يليق الا بحق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهر الا على التقدير وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما امرتم ام تريدون ان تسألوا رسولكم ولانه سأل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب كما سألوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال يا محمد ما اومن بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه فقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فأتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سأله السبعون وعن مجاهد ان قريشا سألت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة من اول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن بالرسول لا يكاد يسأل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو ان السؤال الذي ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم طلبوا منه ان يجعل لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية ان يكون ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان يكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم واقع بكون احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسأل وجه الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته التامة من حقه ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتفتيش عن تفاصيل الحكمة التي لا تكاد تحصر وتوهم ان السائل في شك مما امر به او نهي عنه وعلى هذا لا يوقف على بصيرا واما منقطعة على انه اضرب عن الاستفهام الاول واستأنف استفهاما ثانيا ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون هو منا للمكلفين على ان السؤال عما لا يعنيهم مما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله ولا يهم معرفتها سواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي من تعسير

ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم

كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى

يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما

تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا

برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن

فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست

النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك

قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

گفتند آنانکه نمی‌دانند مانند گفتار ایشان پس خدای حکم کند میان ایشان روز قیامت در آنچه هستند که در ان خلاف می‌کنند

القراءة الوقوف كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف اى يحسدون حسدا او حالا او مفعولا له وهو اوجه والوصل اجوز الحق لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ٥ الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير ٥ او نصارى ط امانيهم ط صادقين ٥ عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ٥ النصارى على شيء ص لعطف الجملتين المتفقتين على شيء لا لان الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون التفسير هذا نوع آخر من مكائد اليهود روى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال ومفعول ثان ليردون على انه بمعنى صير والحسد من اقبح الخصال الذميمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال ان لنعم الله اعداء قيل وما اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروى ان موسى عليه السلام لما ذهب الى ربه رأى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فقال احدثك من عمله ثلثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليس بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فانفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد يطلق على المنافسة وقد تكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة وقد يكون مندوبة في نحو الانفاق في سبيل الله وتشهي العلم والتعليم وقد يكون مباحة وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان لم تحصل له وهذه اخبث الثانية ان يحب زوالها عنه اليه كرغبته في داره الحسنة او امرأته او ولايته فالمطلوب بالذات حصوله له فاما زواله عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف والاولى اخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد وذلك يتحقق بين المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب للذات وضد المحبوب مكروه

ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله الا لله تعالى ومن طمع في المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب ويتعظم الحسد ويتقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستانسين وببقاء اقرانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد غمومك واحزانك الى ان تفضي بك الى الدنف والتلف شعر

اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله ٭ فالنار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله ٭ وقد يستدل بحسد الحاسد على كون المحسود ممن الله تعالى عليه بالفضائل

شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا ٭ حتى يروا منك الذي يكمد ٭ لا زلت محسودا على نعمة ٭ فانما الكامل من يحسد ٭

والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور في ابليس واسد فانه مدحور عند الحق واوليائه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدوه ليصيبه به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على رأسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا له في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان ياتي بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك التكلف يصير بالآخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود امر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهارها بآثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه ثم ان اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب حق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدها ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي ساقكم الى هذه الثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التورية وقوله من عند انفسهم اما ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق بحسدا اي منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو ولا تصفحوا بترك المقاتلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى تسكين الثائرة لا ادا ايمانا حتى ياتي الله بامره عن الحسن انه المجازاة يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار فالآية منسوخة لان الغاية التي علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل بل محل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان نسخه عنكم عن الباقر رضي الله عنه انه لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال حتى نزل جبرئيل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار حينئذ اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفي والانتقام بسائر اصحابه فامروا ان لا يهيجوا قتالا ولا فتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصابر الى القوم قويا ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار اي تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او قالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد كل

قريبا ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ
والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذي خرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف
عليهم تلك امانيهم على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن يدخل الجنة او انها
تلك الى ان ودادتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم امنية وودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم لن يدخل الجنة امنية اي تلك الاماني
الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض على هذا وهات الشيء
اسم فعل معناه اعط ويتصرف فيه بحسب المامور هات هاتيا هاتوا هاتي هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة
واصله آت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعي نفيا او اثباتا لابد
له من برهان والا فدعواه باطلة شعر من ادعى شيئا بلا شاهد ۝ لابد ان يبطل دعواه ۝ بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
وقوله من اسلم الى آخره جملة شرطية مستأنفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما
معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان لهؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب
لهم في الاسلام وبيان مفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بل ان غيرتم طريقتكم واسلمتم وجهكم
لله واحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس وينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره
اولى ولان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شيء هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهي انما تحصل بالوجه
وهذا الاسلام اخص من الاسلام الذي ورد في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذي امر به ابرهيم صلوات
الرحمن عليه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا
رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا تصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات
الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شيء من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقصده لمزايد
الحسنات ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن
من الجيفة وذلك ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات او التودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة
ودفع الروائح المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما تفعله
للداعي الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب روي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة
فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب
ما لو كان طعاما فتصدقت به وليس النية ان يقول في نفسه او بلسانه عند تدريسه او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انها
حديث نفس او لسان وما ذاك الا كقول الفارغ نويت ان اعشق وانما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد
حتى تصير ذلك ملكة لنفسك شعر والناس فيما يعشقون مذاهب ۝ فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث
الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصور همهم عن طموح ما فوقهما من الكمالات واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل
لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين في الآية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق
الآخر والظاهر حمل لفظي اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل واحد من كل من الطائفتين في حق
الاخرى روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شيء اي شيء يعتد به وفيه
مبالغة عظيمة كقول العرب اقل من لا شيء عن ابن عباس والله صدقوا اقلت وذلك ان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسله و
بكل ما انزله وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل
التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف
للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور اي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون مثل قولهم مكرر للتاكيد ولطول الكلام بالموصول
والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شيء وفيه توبيخ عظيم لهم حيث

نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا قولا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيامة
عن الحشر يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكافر الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل
فيما اختلفوا فيه فينتصر من الظالم المكذب للمظلوم المكذب ويريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا اعاذنا الله تعالى منها قوله تعالى

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها
وكيست ستمکارتر از آنکه باز دارد مسجدهای خدای را که یاد کرده شود در آن مساجد نام خدا را و جهد نماید در ویرانی آن
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا
آن بازدارندگان نسزد مر ایشان را که درآیند در آن مساجد مگر بر حالت ترس از مسلمانان ایشان راست در این جهان
خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما
خواری و ایشان راست در آن جهان عذابی بزرگ و خدای راست بلاد و جهات از طرف برآمدن آفتاب و از طرف فرو شدن پس هر جا
تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ
روی آرید آنجاست قبله خدای بدرستی خدای ... و گفتند یهود و نصاری و مشرکان گرفت
الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل
خدای فرزندی پاکا او مر او راست آنچه در آسمانهاست و زمین همه
له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا
آورنده آسمانها و زمین است و چون خواهد که تمام کند کاری را
فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون
بدرستی گوید مر او را ... حادث شود و گفتند
لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل
چرا سخن نمیگوید با ما خدای یا نمی آید بما معجزه روشن ... پیش از ایشان بودند ... مانند
قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون
گفتار ایشان ... مانند دست و دلهای ایشان ... روشن گردانیدیم معجزات را برای گروهی که ... کنند

القراءة قالوا اتخذ الله بلا واو العطف اتباعا لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في آل
عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام ووافقه الكسائي في النحل ويس الوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعده
اخبار وعيد مستانف عظيم ۝ وجه الله ط عليم ۝ ولدا لا تعجيلا للتنزيه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتدأ قانتون ۝ والارض ط
لان اذا اجيبت بالفاء وكانت للشرط فيكون ۝ آية ط قولهم ط قلوبهم ط لان قد لتوكيد الاستئناف يوقنون ۝ التفسير عن ابن عباس ان
ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق التورية ولم يزل خرابا حتى بناه اهل
الاسلام في زمان عمر فنزلت الآية فيهم وعن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه على ذلك
بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء
الى الله بمكة والجاوه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ووجه اتصال الآية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم
من اهل الجنة فقط فبين انه لا اظلم منهم فكيف يدخلون الجنة وعلى الاخير هو انه جرى ذكر مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون
فعقب ذلك بذكر قبائحهم ومن استفهامية لقصد النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا او بدل
من مساجد او حذف حرف الجر مع ان او التقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله
تعالى مفرط في الظلم ولا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا من اظلم ممن آذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة
والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم ايضا لا الذين منعوا اي اولئك النصارى والمشركين باعيانهم والسعي في خراب
المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك اعظم من هذا الفعل

إن الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلت اما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع الشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا عرف وجوب عبادته له عقلا او شرعا و العبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب المتعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق والمنافق كما مر اسوأ حالا من الكافر الاصلي بالاتفاق وكذلك المانعون ما كان لهم اي ما ينبغي ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك وامر النبي صلى الله عليه وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصارت بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في امر يتضمن الخوف نحو ان يدخلوا للمحاكمة او المخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر لكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخوله المساجد كلها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد واجيب بانه في اول الاسلام ثم نسخ بالآية خزي لمنعهم من المساجد وبالجزية في حق اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب وفيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزي في حقهم فتح قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد الاول بيان فضل المساجد من ذلك اضافتها الى الله في الآية وذلك يدل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد يذكر الحبيب والسوق تشغل عنه وفي الآية نكتة وهي ان مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئته والاخرى ترفع درجته وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المساجد عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتادى التحية بالفرض والنفل نواها او لا هذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري واصحاب الرأي الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد صل على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه فيقولون اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشرى فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشرى فيها وان تحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوها بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات للخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه ايضا عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسألة في المسجد وكان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض في المسجد وقال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود وان يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار وينشد فيها الضالة او تتخذ سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد باسا لان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز

الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد جوازها في البيت الا الانبطاح فانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهية البزاق في المسجد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشرة عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه صلى الله عليه وسلم من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه الانس الحادي عشر في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على ان مجرد تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملكه ما لم يسبله قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الآية الاكثرون على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم انها نزلت في امر لا يختص بالصلوة اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه اولها ان المراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف مملوكة لله سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لجعل الله تعالى فكان الآية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد الى السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هناك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى جهة شاء وابهمه في الآية فكان للمسلمين ذلك الا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك بتعيين الكعبة وخامسها ان الآية في حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال الى اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله فانزل الله هذه الآية عذرا لنا في خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم حينئذ قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته فكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومئ براسه نحو المدينة فمعنى الآية اينما تولوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل او التخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج و لا يخفى ان الآية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين في خراب المساجد اينما هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا انصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الآية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الآية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لمن وجه نحو شيء منها بعد طاعتي وجدتموني وكان في هذا عذر النجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارضه فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المامورة المرضية وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة او في غيرها وفيه ان المجتهد اذا راعى الشرائط لاجتهاد ادى اليه فهو مصيب ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولاه ادبارا فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد بالتولية الادبار وثمه اشارة الى المكان خاصة وقد زعمت المجسمة من الآية ان لله تعالى وجها وايضا سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان الآية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للشرقي استحال ان يكون حينئذ محاذيا للغربي فلا بد من تاويل هو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما واوجدهما فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضاف اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض او المراد فثم مرضاة الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى رضا احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه او جهة ثم كيف يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق

نقدما بالذات والعلة والشرف والمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على
الاطلاع في توفية ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليهم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب اعمالهم
قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد تقدم ذكرهم في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل
قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعود اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا
الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا وابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير
والمسيح والولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ومن ابن المناسبة بين واجب الوجود لذاته والممكن الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي
شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال
كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اي كل ما في السموات والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى ان
دوام الممكنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة
فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير آخر قال المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما
فيها من آثار القدرة وامارات الحدوث او كون جميعها في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة
في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابدون له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولادة وعلى هذا الوجه الجمع على
الاصل يحكى ان عليا ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني
كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي لئن كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به
العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع خبر مبتدا محذوف اي هو بديع السموات والارض عمم اولا لان الملك والاختصاص لا يستلزم كون
المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا يقال بدع الشيء بالضم فهو بديع وابدعه اخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كالاليم بمعنى مولم وضعف ثم بين تعالى كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اصل التركيب من قضى يدل على القطع قضى القاضي بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر
اذا اتمه واحكمه لان تمام العمل قطع له وقضى دينه اداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشيء لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل
فهنا بمعنى قضى امرا اتمه وحكم بانه يفعله او احكمه قال شعر وعليهما مسرودتان قضاهما ٭ داود او صنع السوابغ تبع ٭ ثم من قرا فيكون
بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قرا بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل
او فيهما نحو اذهب تنتفع او اذهب يذهب زيد واذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء
لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي رتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل الامور وذلك الاكثري وقد لا يكون
الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا آخر مغايرا له فيقول القائل اذهب تذهب
او فيذهب معناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شيء آخر كما ان المقصود في الآية من الامر بالوجود هو نفس
الوجود فاوقع كان التامة جوابا لمثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى
فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بتاء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر من بلفظ
الغيبة في قوله امرا وفي قوله له مرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشانه فيهو له
تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فرعي ذلك وههنا بحث آخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى الشيء على صدور لفظه كن منه
لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف
لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن رتب عليه بفاء التعقيب والمتاخر
عن المحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على كونه كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان محصور محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج
الى مثله ولزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثاني انه اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود
وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود فلا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع
اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز
القادر بالنظر الى ذاته ويرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تاثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها فكذا
اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين فضلا عن ان يكون الثاني بمعنى الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض

فثبت بهذه الوجوه ان حمل الآية على الظاهر غير جائز فلا بد من تاويل واصحه ان يقال ان ما قضاه من الامور واراد كونه وانما يكون ويدخل تحت الوجود
من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا التكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يابى وفيه تاكيد لاستبعاد الولادة
لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه
احدث امرا عن ابي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم عن الاصم وقيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة
وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالآية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد
وهذه الآية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية
الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك
حتى يتاكد الاعتقاد ويزول الشبهة فانه لم يفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن آية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله
كذلك قال الذين من قبلهم من مكذبي الرسل تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به فكان قوم موسى كانوا ابدا في
التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكذلك هؤلاء المشركون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذا المعاصرون من اليهود والنصارى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد
بينا الآيات لقوم يوقنون ينصفون فيوقنون انها آيات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها آيات ظاهرة من القرآن العظيم الذي لم يرض شقا
الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة كنبع الماء وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم
يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب
كافضائها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكايجابها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب وكخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة
وايضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا يبقى آيات وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات
ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة التاويل مساجد الله التي يذكر فيها اسمها عند اهل النظر النفس والقلب و
الروح والسر والخفي وهو سر السر وذكر كل مسجد منها ما يناسب ذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك
الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى
الله الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد
الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات
والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان
لهم ان يدخلوا هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطرات الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب
ولهم في الآخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق
كل قلب ومغربه شارق وطارق وطارق القلب من هواجس النفس تطرق بظلمات المنى عند غلبات الهوى وغروب
نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح تشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فتكون
القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استوى سلطان الحقيقة
على ممالك الخليقة تطوى بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء اذ ليس
عند الله صباح ولا مساء ولا تبقى للعبد ان في كعبة العندية وتودوا بفناء الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله
ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده لسعة علم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف وحيف كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن

انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم

بدرستی که فرستادیم ترا بحکمت ... مژده دهنده و بیم نماینده ... ترا از اصحاب دوزخ

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان

و هرگز خشنود نشوند از تو ... تا ... که متابعت نمایی دین ایشان را ... جهودان ... ترسایان ...

هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي

دین خدای که اسلام است آنست راه راست ... و هر آینه اگر متابعت نمایی رایهای باطل ایشان را ... پس از آنکه

جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر
به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون القراءة ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام
على الخبر الوقوف ونذيرا لا للعطف اي نذيرا وغير مسئول الا من قرا ولا تسئل
على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ه ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان في الاطلاق
خطر نصير ه تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ آخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه حالا من مفعول آتينا او من
فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب
على القرآن كما يجيء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ه العالمين ه ينصرون ه التفسير لما بين عناية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد
نزول ما يكفي في باب الاهتداء والاهتداء من الآيات البينات رادا زيلي ويسرى عن رسوله كيلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك بالحق
والصواب بحسب ما تقتضيه الحكمة وهو ان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل الالجاء وحالك عن ان تكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك
بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله
تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب واما قراءة النهي
فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهى عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق الكلام ينبو
عن ذلك ولانه صلى الله عليه وسلم مع علمه الاجمالي بحال الكفار كيف تمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا
سالت عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه فكان المسؤل يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع
خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك الآية اقناط لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وان القوم قد بلغوا من
التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون دون ان يتبع ملتهم عكس ما طمع منهم زاعمين ان ملتهم التي هي النجاة
والهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق ليس وراءه هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم متشبثا بتلك
الاديان الباطلة المنسوخة بعد ما جاءك من العلم بامر الديانة لوضوح البراهين وسطوع الدلائل ما لك من الله من عقابه وسخطه من ولي معين يحميك ولا
نصير يدفع عنك قال اهل البرهان انما لم يقل في هذه الآية من بعد ما جاءك كما قال في آية القبلة على ما يجيء لان العلم ههنا علم كامل
ليس وراءه علم وهو العلم بالله وصفاته وان الهدى هدى الله فكان لفظ الذي اليق لانه في التعريف ابلغ فانه بهم فجعلته ولا يتنكر
قط ويلزمه الالف واللام بخلاف ما فانه قد يكون نكرة ولا يدخله الالف واللام وخصت آية القبلة بما وزيد من التي لابتداء الغاية
وفي الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم لما
لقوله بعد ما جاءك من العلم فلان لا يجوز التوعد الا بعد القدرة على المامور به كان اولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم
منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعد على فعله ونظيره قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف
له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد او هو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة لانهم اذا علموا مآل حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم
مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر يئسوا من الطمع في الخلاص لو وجد منهم ذلك الذين آتيناهم الكتاب قيل
انهم المؤمنون الذين آتيناهم القرآن لان الكتاب الذي يليق بالمدح على تلاوته هو القرآن والاشبه انه لما تقدم ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان
يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتبعون مقتضاه من غير

كما انزل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه اولئك
يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين او من الواضعين عن حقه فاولئك هم
الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به ويغتنم وروده فرجعوا منه بخفي حنين وقد فازوا بكل خير يا بني اسرائيل الآيتان
رجوع الى اول القصة لتذكر النعم بعد تعداد موجبات النقم ليتنبه منهم من وفق للتنبه والله المستعان وعليه التكلان قوله تعالى

واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك
للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام
ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي
للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال
ابرهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات
من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه
قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير القراءة ابراهام بالالف في
البقرة والنساء الا فقد آتينا آل ابرهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم
والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في المودة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن
ذكوان وروى ابن مجاهد في هذه السورة فقط واعلم ان ذكر ابرهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلثة وثلثون ابراهام بالالف
في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلثون ابرهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء
قرئ بالياء والاختيار عند الائمة ان يقرا فيهما بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ويوافقه سائر الاسماء
الاعجمية كاسرايل واسرافيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغم الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي
بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد
الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط الظالمين ه وامنا ط لمن قرا واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء لنسق
الافعال الثلثة فلا وقف السجود ه واليوم الآخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدأ بهما لينبها على المدح والذم
المصير التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع آخر من البيان
وهو ذكر قصة ابرهيم صلوات الرحمن عليه لان كلهم معترفون بفضله وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته امور
توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم وفى بها فنال منصب الامامة فيعلم ان
الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدي الظالمين
فيعرف ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب والمراء ووضع ما رفعه الله لينال رياسة الدارين ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة
شق ذلك على اليهود فاراد الله غيظهم بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذي عرفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها انه دعا بارسال
نبي من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم فيجب على من يعرف محمدا اما قوله واذ ابتلى العامل في اذ اما مضمر نحو واذكر ويكون بمعنى الوقت

نقط او واو ابتلاه كاركب وكبت واما قال انى جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين يكون ظرفا لكان او لقال او موقع قال على الاولين
استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال انى جاعلك وعلى الثانى جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات ولا يخفى
ان الاستيناف اصوب لمناسبته سياق الجملتين الآتيين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ولتكون على منهاج ولد
جعلنا واذ قال ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها لامره بامر المخلوقين وبناء على العرف بيننا
فان كثيرا ما يستاذن الامر ليعرف ما يكون من المامور حينئذ ولا يكشف بحقيقة الابتلاء عليه تعالى مع انه عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية
لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه
ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان فى الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط
واما حدوث تلك الماهيات ودخولها فى الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الآية وامثالها المذكور فيها الابتلاء او كلمة
لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفى القدرة عن
الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم انه لا يقع استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب
بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافى للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو
كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية
دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء ازيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد
ونوقض بمراتب الاعداد التى لا نهاية لها وايضا المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهى فاما الذى لا نهاية له ففرض
هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التى لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهى متناهية
وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم
عددها فاما اذا لم يكن لها عدد فى نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز فى الذهن عما عداه وكل متميز عما عداه فما عداه خارج
عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه فكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه
عن غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها
والحق ان نور الانوار لا يتناهى ووراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى واحاطة غير المتناهى بغير المتناهى غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير
من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهى قوتنا ونوريتنا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذى هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه
يسير ابرهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلى فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به
ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابى حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل
يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون فى ان ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهى الامامة وتطهير
البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلى الله عليه وسلم وكل هذه تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها
اكثر من ان تحصى ولهذا كان ثواب النبى اعظم من غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روى فى كيفية بنائه عرف ثواب
شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان فى الموقف كرمى الجمار وغيره واما الاشتغال بالدعاء
لبعث نبى آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك فى غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات
لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع واجيب بانه اخبر انه ابتلاه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور
وهذا ترتيب فى غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع متباعدا ولانقطع النظم القائلون بان ظاهر الآية لا دلالة فيه على الكلمات
زعم بعضهم انها الكلمات التى تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هى عشر خصال
كانت فريضة فى شرعه وهى عندنا سنة خمس فى الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس فى الجسد
الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى بثلثين من شرائع الاسلام عشر فى براءة التائبون
العابدون الآية وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر فى المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هى
مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكواكب والقمر والشمس والختان على الكبر
والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذى وفى وقيل ما ذكره فى قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التى
جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه والصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء بمعنى الزام

كلمان

كل ما فعله كلفه واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا ان الكلام فى الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على
ان قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحى والحق ان هذا يختلف باختلاف
تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة
والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى
الوحى كمنام او الهام والضمير فى فاتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم عليه السلام بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط و
توان ونحو وابرهيم الذى وفى وعلى الاخرى لله تعالى اى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم ربه فى قوله رب
اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اى
يأتمون بك والاكثرون على ان الامام ههنا النبى لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلا بشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم ولان
اطلاق الامام يدل على انه امام فى كل شىء والذى يكون كذلك لا بد ان يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم فى معرض الامتنان فينبغى
ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الاعلى من هو دونه ولمن يستحق الاقتداء به فى الدين كالخليفة والقاضى والفقيه
وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه فى عيون اهل الاديان كلها وما اقتدى به من بعده من الانبياء فى اصول مللهم ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون فى صلوتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وآل
ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الآية وامثالها من نحو انى جاعل فى الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة فى
الارض ومنع بان الامام يراد به ههنا النبى سلمنا ان المراد به مطلق الامامة لكن الآية تدل على ان النصوص طريق الامامة وذلك لا نزاع
فيه انما النزاع فى انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة فى الآية على ذلك وفى الآية دليل على انه عليه السلام كان معصوما عن جميع الذنوب
لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدى الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا اليه وذلك محال و
الذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق ذرأ خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما فى البرية ويحتمل ان يكون منسوبا الى الذر صغار النمل والضم
من تغيير النسب كالدهرى فى النسبة الى الدهر ومن ذريتى عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتى كما يقال سأكرمك فتقول وزيدا
لا يخفى ان من التبعيضية يدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم لا يليق بذلك لانهم غير معصومين لا يخلو عن ظالم فيهم
غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى سؤله فجعل فى اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب و
يوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمدا افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب
الامامة الا للبعض فكان يكفى فى الجواب نعم الا انه لم يكن حينئذ نصا فى ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال
عهدى المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلمكان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدى الظالمين والمراد
بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهده الله تعالى الى بنى آدم اذ لا رياسة اعظم من ذلك كقوله ولقد
عهدنا الى آدم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم تعين الصالح للامامة بطريق برهانى وذلك ان دعاء نبى مستجاب
البتة فكل نبى مجاب ولانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده
المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما اجيب تنبيها على الطلبة بابلغ وجه كما اذا قيل لمن اشرف على
الموت وص لابنك بشىء فيقول لا يرث منى اجنبى اى كل ما يبقى منى فهو لابنى فكيف اوصى له بشىء ولا يرد ان يونس نال العهد مع انه
ظالم سبحانك انى كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما فى حق آدم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسق وقد يستدل
الامامية بالآية على ابطال امامة غير على كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك
لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من
ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليهم دائما ولهذا يسمى النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم و
ايضا المتكلم والماشى حقيقة فى مفهوميهما مع ان اجزاء التكلم والمشى لا توجد دفعة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون
الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن فى الحال الا انه كان كافرا قبل سنين متطاولة
فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا وكذا التائب عن الكفر وان قيل لعل هذا المانع شرعى هو تعظيم الصحابة او المانع عرفى
فهذا القدر يكفينا على انا نقول ان المراد من الامامة فى الآية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق
لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعزم بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى

المراد خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى
الامر الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان اي الم آمركم لكن المراد في الآية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لا ترضى للظالمين كما للمطيعين
ثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي
ان يكون حاكما ولا ينفذ احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم
للصلوة وان كان بحيث لو اقتدي به لا يفسد صلوته قال ابو بكر الرازي ومن الناس من ظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما
وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطاء نعم انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة و
الصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم
لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل لهم القضاء حتى يكونوا اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية
من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابي حنيفة وقد اكرهه ابن هبيرة في ايام بني امية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك
فحبس فلح ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال له الفقهاء اقبل له شيئا من عمله اي شيء كان حتى يزول عنك الضرب فتولى
له عد احمال التبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول
في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وقصته في امر زيد بن علي مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس
سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الآية انذار للمسيء وتخويف شديد عن وخامة عاقبة
الظلم وفي موقعه فانه يحيط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثا عن قربة السلطنة
بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا عن حظ نفسه
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ۰ فالظلم آخره ياتيك بالندم ۰ نامت عيونك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم ۰ ولآخر شعر مربع ظلم الورى وخيم ۰ يا صاحب اللب والحجرة ۰ لا تظلم الناس واخش نارا ۰ وقودها الناس والحجارة ۰ شعر
اجتنب الظالم في ظلمه ۰ امهله القادر ام اهملا ۰ ما اهمله بل لهم موعد ۰ لن يجدوا من دونه موئلا ۰ شعر اتلعب بالدعاء وتزدريه ۰
وما يدريك ما صنع الدعاء ۰ سهام الليل لا تخطي ولكن ۰ لها امد وللامد انقضاء ۰ واعلم ان عهد الله الذي اخذ على عباده هو الحقيقة
عهد العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي ارتضى لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى
لا يزال يلاحظك بنظر الربوبية يربيك ويرتبك وبعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان
والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة
الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا التقصير فان الى الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت
نقرير تكليف آخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس
لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد يستفيد
الاختصاص به ويسمى بالعلم الاتفاقي وانما التزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد
بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرم نشات بسبب الكعبة نفسها ومثله قوله
تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله اعلم
منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول يكون معنى
امنا موضع كقوله حرما آمنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة كعلامة عن الحسن
اي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابرهيم عليه السلام واجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان
الله تعالى القى تعظيمه في القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم
من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان التجار
الخائفين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس و
امنا خبر فلابد من تركه على ظاهره ونقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فانا نرى وجوده
فقد يقع فيه القتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وبان نصرفه عن ظاهره

ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع آمنا من الغارة والقتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانما احلت
لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعي الى ان المعنى انها لم تحل لاحد ان ينصب الحرب عليها وان ذلك احل لرسول الله
فاما من دخل البيت من الذين وجبت عليهم الحدود فقال الشافعي ان الامام يامر بالتضييق عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه
الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة لا يستوفى قصاص النفس في الحرم الا ان يلتجي
القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد لا يستوفى في
من الملتجي واحتج القصاصين ولو التجا الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد اخر يخرج منه ويقتل لانه تاخير يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ حرمته
وقيل يبسط الانطاع ويقتل في المسجد تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم
به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرا بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اي
وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي مقام ابرهيم فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابرهيم الشام الى
مكة قالت له امراة اسمعيل حتى تغسل راسك فلم ينزل لان سارة شرطت عليه ان لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن ووضع
قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى الشقة الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام
كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي
قام عليه ابرهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابرهيم صلوات الله عليه قام على هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام
ابرهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا
والقول بان مقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع يعرفه المكي وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في
رطوبة الطين حتى غاص فيه رجلاه وذلك من اظهر الدلايل على صنع الله تعالى واعجاز ابرهيم وكان اشد اختصاصا به فاطلاق مقام ابرهيم عليه اولى و
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا شفيقا ففيه بيان المتخذ والمرئي
والموهوب وتمييزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابرهيم صلوات الرحمن عليه
وركعتا الطواف خلف المقام وفي الحجر ثم في المسجد اي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف
لقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي حين قال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الآخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب وفي رواية عن
ابي حنيفة ايضا مختلفة وعهدنا والمراد بالعهد هنا الامر اي الزمناهما ذلك وامرناهما امرا وثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير
بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير من كل امر لا يليق بالبيت فاما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى
واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص وكل هذه اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا فالمراد اقراره على طهارته مثل ولهم فيها
ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما ان يكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس ان بيتي طهر لهم متى حجوا للطايفين
الى آخره العطف يقتضي مغايرة فالطايف من يقصد البيت حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور او يعتكف و
الركع السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطاء اذا كان طايفا فهو من الطايفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من
الركع السجود ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القايمين كما قال للطايفين والقايمين والركع السجود والمعنى للطايفين والمصلين لان القيام و
الركوع والسجود هيآت المصلي ولعل الوجه الاول اولى ليكون الركع السجود كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا
الطايفين بالغرباء دلت الآية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة لانه تعالى مدحهم بذلك وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء ان
الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الآية دليل على جواز الصلوة في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا
لاحمد ومالك في الفريضة فالاولى وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من اجزائه واجيب بان التوجه
الى جزء كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل لا يعرف قوله تعالى واذ قال ابرهيم
قيل في الآية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا في
التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوايد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى فاتمهن ثم فسر وفي التفسير قدم
الاهم فالاهم ولا ريب ان ذكر جعل ابراهيم اماما اولى بالتقديم لعموم نفعه للخلايق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم ذكر جعل البيت مثابة

للناس وامنا لان المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن بعامة الامم فوايد اخر منها انه كما كان يبني القصة على الاجمال والتفسير
وقع كل من ابراهيم ايضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البيت اولا
وقع مجملا ثم فسر انه كيف بني ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية ابرهيم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل
ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب اكثر مما احصينا هذا بلدا آمنا ذا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا آمنا
على التنكير في سورة ابرهيم هذا البلد آمنا لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا وكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا آمنا وذلك الدعاء
صدر بعد ما قد جعل بلدا وكانه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما لان الدعوتين واحدة والمراد اجعل هذا البلد بلدا آمنا فيفيد
مبالغة زايدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلدان الكاملة في الامن بخلاف قوله اجعل هذا البلد آمنا ففيه طلب الامن
نفسه قيل سال الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سوال الرزق بعده تكرارا
واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا من الآفات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله
كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد اهلها بكل سوء واجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة لنفسها
وانما كان غرضه شيئا آخر من الثمرات من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء وانما سال ابرهيم عليه السلم الامن وان يجبى اليه
الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان آمنا ذا خصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون سببا لاجتماع الناس واتيانهم اليه من كل
اوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح واختلف في ان مكة هل كانت آمنة محرمة قبل
دعوة ابرهيم وصار ذلك موكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله
عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما آمنا بدعوته وقبلها كانت كساير البلاد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم
مكة وقيل الجمع بينهما ان ذلك انه كان ممنوعا قبله بمنع الله تعالى من الاصطلام وبما اوقع في النفوس من التعظيم ثم صار آمنا على السنة الرسل ومن آمن
منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث ميز هناك بين المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين
فعرفنا الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا على من آمن كما رزق ومن نبي او هو مبتدا متضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعاء
يختص من ينتحل النهي فيودي عن الله امره ونهيه ولا ياخذ في الله لومة لائم ولا يسطوه جبار وظالم ويبعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب
ظلم اما الرزق فلا يختص ايصاله الى المؤمن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة على انه متاع قليل
وامد يسير فيما بين الازل والابد وقليلا اي امتاعا وتمتعا قليلا او زمانا قليلا لا ضمة المؤمنين في العاجل موصوله بنعيمهم في الآجل ونعمة
الكافرين منقطعة عنهم بعد الموت والزايل لا يجدي بطائل افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجئه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق
الذين كفروا الى جهنم وان تصير الفاعل المخير بسبب التهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الى
اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذي اضطر اليه او ذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى
الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله تعالى اعلم

وايناتهم ٤

وا ذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا

چون می برافراشت ابراهیم بنیاد را از خانه کعبه و اسمعیل نیز حال انکه میگفتند ای پروردگار ما بپذیر از ما کار را

انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة

بدرستی که تو توی شنونده دانا ای پروردگار ما و گردان ما را ثابت بر اسلام برای تو و از فرزندان ما نیز جماعتی

مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب

فرمان بردار برای تو و بنمای ما را مواضع عبادت و تبه دهار باز ما را بدرستی که توی توبه دهنده مهربان

الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم

ای پروردگار ما و بفرست در میان آن امت پیغامبری هم از جنس ایشان که بخواند بر ایشان

اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم

آیتهای ترا و آموزد ایشان را قرآن و بیان قرآن و پاک گرداند ایشان را بدرستی که تو توی غالب قادر درست کار

١

ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في

و که رغبت کند از دین ابراهیم مگر کسی که سبک گردانید خود را و بحقیقت برگزیدیم او را در

الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت

این جهان و بدرستی او در آن جهان هر آینه از نیکانست چون گفت مر او را پروردگار او با اسلام ثابت باش گفت فرمان بردارم

لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى

مر پروردگار جهانیان را و وصیت کرد بان کلمه اسلام ابراهیم پسران خود را و یعقوب نیز حال انکه میگفت ای پسران من بدرستی که خدای برگزید

لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم

برای شما دین اسلام را پس باید که نباشد موت شما مگر بر آن حالت که بر اسلام باشید یا بودید شما

شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من

حاضران آنگاه که نزدیک رسید یعقوب را وفات چون گفت مر پسران او را چه می پرستید شما پس از

بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له

وفات من گفتند می پرستیم خدای ترا و خدای پدران ترا ابراهیم و اسمعیل و اسحق خدای یگانه و ما مر او را

مسلمون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون

فرمان برداریم آن پیغامبران و فرزندان ایشان جماعتی بودند که گذشتند مر آن امت راست آنچه کردند و مر شما راست آنچه کردید و نپرسند شما را از آنچه بودند که میکردند

القراءة ارنا وبابه ساكنة الراء ابن كثير ويزيد وبين قياسا على كسرة فخذ اذ تسكن فيقال فخذ وقرأ ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وحذرا
من الاجحاف ويعلمهم بالاختلاس عباس وكذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع وروى ابن رومي عن ابن عباس يكلمنا ونعدنا وكل كلمة تضمنت
جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى من الايصاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون ووصى بالتشديد شهداء
اذ عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون شهداء يذ وكذلك ما اشبه كل القرآن الوقوف واسمعيل ط لاضمار القول اي يقولان
محله نصب على الحال منا ط للابتداء بان وبجواز الوصل وجه لطيف على تقدير فانك اولانك العليم ه مسلمة لك ص لعطف المتفقين علينا ط
وقد ذكر الرحيم ه ويزكيهم ط الحكيم ه نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين ه اسلم لا
لان قوله قال عامل اذ والا وجب ان يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ه ويعقوب ط لارادة القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية
في معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل اذ الاولى او اذ الاولى ظرف شهداء واذ الثانية ظرف
حضر ومن قطعها عن الاولى لم يوقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدي فله وجه لا يتضح لان الانكار متوجه على توهمهم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدي ط واحدا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون ه
قد خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استئنافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين
يعملون ه التفسير عن وهب بن منبه قال ان آدم عليه السلم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره
فقال يا رب اما لارضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها
بيوتا ترفع لذكري وسابوئك منها بيتا اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه بعظمتي واحوطه
بحرمتي واضعه في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا
احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن آمن اهله استوجب بذلك اماني ومن
اخافهم فقد خفاني ومن عظم شانه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني ساكنها جيراني وعمارها وفدي وزوارها اضيافي اجعله
اول بيت وضع للناس واعمره باهل السماء والارض ياتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية
ثجا فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق علي ان اتحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره
وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد
قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي بعد ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون امينا
عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه
وذكره ومجده وسناه واعلم مشاعره ومناسكه واجعله امة وحده قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم

ابتليه فيصبروا وعافيه فيشكروا وامره فيفعل وينذر لي فيفي استجيب دعاءه في ولدك وذريته من بعدك واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابرهيم امام ذلك البيت واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه البيت المعمور بيت في السماء يقال الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب ما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل وامه فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابرهيم النبي عليه السلام قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحد في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها واتي بها وقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد اشد من القبضتين فقال ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فاطلق يده ودعا الذي جاء بها فقال انك انما جئتني بشيطان ولم تأتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر قال فاقبلت تمشي فلما رآها ابرهيم انصرف فقال مهيم فقالت خيرا كفى الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك انها ملكتها سارة ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب واما تتمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر حيث لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم عليه السلام حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا واخبروهم فاقبلوا قال وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم

العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب الغلام فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني ههنا بيتا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله فوضعه واعلم ان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكانا ملصقين بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين واعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم صلوات الرحمن عليه وضيقوا عرض الجدار من الحجر الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الآخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على تبيين بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء في تلك الحالة **الاول** قولهما تقبل منا وقبول الله تعالى عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى ويثيب عليه والاول الذي عند العارفين من الثاني شبه الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه ورضاه به بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وحيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير لفظ التقبل هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الافعال المقرونة بالاخلاص فكنى بطلب القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع بمعنى سماع اجابة العليم بنياتنا **النوع الثاني** ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك والا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة اليهما وقت الدعاء وان اريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر فتوجه الطلب في هذه الامور بانفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا تتيسر الا بجذبة بتيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اجبارا على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب وقوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت السميع العليم اعتراض للتاكيد واما معطوف

على محذوف اى ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما فى قوله ومن ذريتى والامة الجماعة من الناس وقيل اراد امة محمد صلى
الله عليه وسلم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه ايضا وقيل اسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ويتعدى
باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلى طلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع
ويحتمل ان يكون هذا الدعاء بيانا لما اجمل هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلايق لانهم احق بالنصيحة واقدم
قوا انفسكم واهليكم نارا ولانهم ائمة بصلاحهم يصلح غيرهم وفى فسادهم يكون فساد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل
فى ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان فى الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن
ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب
يوحدون الله ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا من رؤية العلم فمعناه علمنا ان شرايع حجنا كيف هى اذ امرتنا
ببناء البيت للحج وندعو الناس الى الحج وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الاظهر ولذلك لم يجاوز مفعولين ظاهرا فالمعنى بصرنا
متعبداتنا فى الحج قال الحسن ان جبرئيل عليه السلام ارى ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ بهما عرفات فقال يا ابرهيم اعرفت ما اريتك من المناسك
قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس يسد عليه الطريق فامره جبرئيل عليه السلام ان يرميه بسبع
حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له فى اليوم الثانى والثالث والرابع كل ذلك يامره جبرئيل عليه السلام برمى الحصيات
وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الفرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على
الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ
واحد كالعقد والوطى من النكاح فانه ما فى الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى
الذبح تقربا نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد
فحمل المناسك على جميع اعمال الحج اولى قال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى مناسككم لا الفاظ لا نعد عامى هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما
شرع الله لابرهيم اى علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه وتب
علينا التوبة عنهما محمولة على ما عسى ان يكون قد فرط منهما من الصغاير عند من يجوزها على الانبياء وعلى ترك الاولى ونحو ذلك عند
غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا فى الانصراف عما لا يليق بهما قال
صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب الى الله فى اليوم مائة مرة وايضا لعلهما استتابا للذرية لعلمهما بان
فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقى مباحث التوبة قد مر فى قصة آدم فليتذكر
النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان يبعث فى تلك الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم ومنهج
الصراط المستقيم الثانى ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم اذا كانوا جميعا من ذريته كانت
رتبته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشاءه فيقرب الامر عليهم فى معرفة صدقه وامانته ولانه اذا كان منهم
كان احرص عليهم واشفق من اجنبى لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى
فى موضع آخر لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من
قبل لفى ضلال مبين ولقوله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى
فى سورة الصف ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد واما الرؤيا فما رات آمنة وهى حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين
الخافقين وههنا نكتة هى ان الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا فلاجرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان اجرى
ذكره على السنة امته الى يوم القيامة يقولون فى صلواتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم ولهذا المعنى
مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين اى ثناء حسنا فى امة محمد فاجابه الله تعالى
وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد ابو الرحمة بالمؤمنين رؤوف رحيم النبى اولى بالمؤمنين
من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد للولد يعنى فى الرأفة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما فى التحية ومنها
ان ابرهيم منادى الشريعة واذن فى الناس بالحج ومحمد منادى الدين سمعنا مناديا ينادى للايمان ومنها ان كان اول الانبياء بعد
الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول آخر الزمان ومنها ان الخليل تبرأ عن ساير الاديان انى برىء مما تشركون والحبيب تنزه عن
جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلو عليهم آياتك

فهو الفرقان المتلو عليهم او جميع ما بلغه من دلايل التوحيد وغيره اى تبيانا القرآن ومثله معه وثانيها ويعلمهم الكتاب اى معانيه و
حقايقه وذلك ان التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا عن التحريف ولان لفظه ونظمه معجز
فى تلاوته نوع عبادة ولا سيما فى الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلايل والاحكام وثالثها قوله
والحكمة اى ويعلمهم الحكمة قيل هى الاصابة فى القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه الامران فضع كل شىء موضعه
ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسب قوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن
وهب قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعى هى سنة الرسول لانه
ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول صلى الله عليه و
سلم وقال الدلايل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى
وقيل هى الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل هى ما فى احكام
الكتاب من الحكم والمصالح ورابعها ويزكيهم لان الارشاد يتم بامرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت
الكمال ليتحلى المتعلم بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتحرز عنها وذلك نحو ما يفعله النبى صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة
وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير والتسبب بامور الدنيا ليتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل
الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتى مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم عن الشرك وساير الارجاس كقوله
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن
عباس التزكية هى الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذى لا يغلب الحكيم العالم الذى لا يفعل الا على وفق
المصالح واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه لتقرير النفى اى لا يرغب
احد يقال رغب عن الامر اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من سفه الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وذلك انه غير موجب مثله
هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد ومعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها فاصل السفه الخفة وفى الحديث الكبر ان
تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى اذلال نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن
الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجد فيها من آثار الصنع على وحدانية الله تعالى وحكمته وبه يرتقى الى صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وعن ابى عبيدة اهلك نفسها واوبقها وقيل اضل نفسه واما اللازم فمعناه سفه فى نفسه فحذف الجار نحو زيد ظنى مقيم
اى فى ظنى وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ اليهود
والنصارى ومشركى العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابرهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذى
هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد فى الاصول والفروع او هما متحدان فى الاصول كالتوحيد والنبوة و
اصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفان فى فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد ناسخا لساير الشرايع ولا الى الثانى
لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن ملة ابرهيم ولان الاعتراف بالاصول لا يقتضى الاعتراف بنبوة محمد قلنا المختار اتحاد الملتين فى الاصول
فقط ولكن نبوة محمد من جملة الاصول التى مهدها ابرهيم عليه السلام والمراد بملة ابرهيم فى الآية اصولها التى لا تختلف باختلاف الاعصار وكر الدهور
فلا يلزم ان يكون محمد راغبا عنها لانه امر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا روى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة
ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن
به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من يرغب عن ملة ابرهيم بين السبب فى ذلك فقال ولقد اصطفيناه فى
الدنيا اى اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة
وانه فى الآخرة لمن الصالحين فيلحق بما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذى لب ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا
راى له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعمل اصطفيناه فى اذ قال اى اخترناه فى ذلك الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا
على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملته مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك
لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعالى انما قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس
واطلاعه على امارات الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه ويحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال
ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال وكقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون

بحصول دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هنا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله فاستقم كما امرت او المقصود
الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب والاسلام صفة الجوارح
وان ابرهيم عليه السلم كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل باكثر قصص
ابرهيم اشارة الى ان طريق عرفانه النظر في المربوبات فلاجرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد عكس ذلك الترتيب فلاجرم بدأ بالله فاعلم انه لا اله
الا الله والاول طريق حسن سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد ومن هنا يعرف اكملية محمد صلى الله عليه وسلم شعر واني وان كنت الاخير زمانه ۞ لآت بما لم يستطعه الاوائل ۞ قال ابرهيم دلالة على
استقامة سيرته وسيم محمد دليل على انه كمل الاوضاع ومن ابتداء الامر حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمية وكان القابرهيم
دليل وجود الاستقامة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالقا بليس دلالة عدم الاستقامة الا ابليس ابى واستكبر والوجود خير والعدم
شر تحصل من خاء الخير مع لام الابتلاء واذ ابتلى ابرهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا ومن شين الشر مع دال الدوام على الكفر وكان
من الكافرين اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلاجرم كان ابرهيم صلوات الرحمن
عليه واسطة في الطريقة ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلاجرم
كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك واول الفكر
آخر العمل اول ما خلق الله تعالى نوري انا اول من ينشق عنه القبر آدم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر فمحمد صلى الله عليه وسلم
ابو الحقيقة وان كان ابرهيم عليه السلم ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات اقوى من الطريقة لاجرم وقع الصلوة على ابرهيم
في التشبيه تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وان الصلوة لا تصح بعد التشهد على محمد بخلاف الصلوة على
غيره ولبعد ما كان فيه ووصى بها ابرهيم التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن ابرهيم اوصيته بكذا ووصيته بمعنى و
اصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل الفرح الحاصلة له بعد الموت الى القربات
الحاصلة له في الحيوة ويحمل الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة وهي اسلمت لرب العالمين
ونحو رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة لانها مذكورة صريحا
في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها اللهم الا ان يحمل
الاسلام على الانقياد الكلي وفي الآية دقائق موجبة في قبول الدين منها انه لم يقل وامرهم بها لان الوصية عند امارات الموت وعنده ذلك
يكون الاهتمام بالمامور اشد ومنها انه خص بنيه بذلك في آخر عمره مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شيء عنده اهم من
ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان ومكان ولم يخلطها بشيء آخر ثم نهاهم ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل
شدة الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة يجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب
بالنصب فمعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب فقالا كل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار
الواو ياء لاجل النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين اخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم
من غيره ووفقكم للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لا نهاه عن نفس الصلوة ولكن
عن ترك الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا
في المسجد فانه في قوة قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكان موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا
الموت ان لا يحل فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عنده وقالوا والخطاب للموسيين ما
كنتم حاضرين حين حضر يعقوب وانما حصل لكم العلم من طريق الوحي ولاهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تدعون ان ما انتم عليه
دين الرسل ولم تشهدوا وصايا الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي فرغبتم في
دين محمد ويحتمل كون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
قيل ان اولئك من بني اسرائيل كانوا شاهدين له اذا اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما انتم منه براء
فيه نظر لان ام المعادلة لاحد الامرين كان فيها فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها
فالوجه ان يقال المراد ان الحضور غير ثابت لتطاول الزمان فان دعوتهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه تعالى نص على
بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى آخره ونحن على هذا التقدير ان يكون ام منقطعة كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي كم تدعون ثم استانف

استفهاما ثانيا للتقرير النفي اي ما كنتم شهداء او للتقرير الاثبات على ان اوائلهم قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون
وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلماء من لما يعقل وما لما لا يعقل وقيل المراد السؤال عن صفة المعبود كما
يقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب روي ان يعقوب عليه السلم لما دخل مصر رأى اهلها يعبدون النيران والاوثان فخاف على بنيه بعد وفاته
فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك
ولان المشهور من اخبار الاسباط انهم كانوا قوما صالحين وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وقدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل
وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بين
صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جد فعن الشافعي انه يجاب ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد
واليه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد
وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا لا طريق لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول
والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده واباؤك يعبدونه فدل على ان طريق
المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الآية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات
الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في
عبادته وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الها
واحدا بدل من اله آبائك مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص اي المدح ونحن له مسلمون مذعنون ومخلصون التوحيد ومحله
نصب حالا من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير في له اليه ويجوز ان يكون جملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه
يريد اني قصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فانتم تعلمون ذلك
فزعم كما فانوا وانا بهم حشرتم انتم دونهم ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب
لليهود حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الآباء قال صلى الله عليه
وسلم يا صفية عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ايتوني يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم
الآية تدل على ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا
لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الاما اراده العبد وليس كذا بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله
تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى
فاذا اسلنه فيه استحال من العبد ان لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال ان لا يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا
الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى
مستقلة والمفروض بخلافه فبقي ان يكون بقدرة العبد وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة
طاعة او صفة معصية فهذه الصفة يقع بقدرة العبد وضعف بان المحرم من الحلول في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحيان فهذا
الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب
وزعم الاستاد ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل يقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة
الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال في
الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب
لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل
وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تفرقها المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان
نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى اثر آخر بعيد ثم الى ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب وفاعل الكل
مبدأ المبادي واليك الاختيار بعقلك دون هواك التأويل من قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء اشدهم
بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المالوفات
وموجبات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لي الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال

له جبرئيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا وفي التسليم اسلمت لرب العالمين والرضا بما امره عند ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف
ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء شرف بكر امة الامامة والاقتداء واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى
اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب الانساني مثابة يرجعون اليه بالطلب وزوار
كما يرجعون الى الكعبة وامنا للسالك من تصرفات الشيطان ومكائده حين بلغ منزل القلب لان القلب خزائن الحق محروسة من دخول
الشيطان وانما مجاله لان لص الشيطان في ميادين الصدور كقوله يوسوس في صدور الناس وتخلفوا عند الوصول الى كعبة القلب
من مقام ابرهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى لا الى غيري كما قال ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل
في الميثاق ان طهرا القلب عن ادناس تعلقات الكونين وادناس ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال والعاكفين وهي
الملكات والمقامات والركع السجود وهي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء
والتسليم والرضا والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابراهيم الآية لما اهبط آدم الروح الى ارض الجسد وفقد ما كان
يجد من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس له بابان شرقي الى
حظيرة رب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وباب غربي الى عالم الجسد وفيه قناديل العقل وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب
الست بربكم مستودعا جواب بلى فذا الفم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان آفات الصفات البشرية من الطفولية
الى البلوغ وفار تنور الشهوات رفع بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعني حجبا استار خواص العناصر الاربع واخفى حجر الذرة في
قبيس صفات النفس فلما امر ابرهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته من خمس اجبل اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب
بدلالة السكينة هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجي باحجار اعمال الشريعة مرتبا لاركان الاسلام و
بنا ولها ابرهيم الروح وهو يبني الى ان بلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار صفات
النفس والهوى فوضعه مكانه وكان ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركوا الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما
فرغا من رفع قواعد بيت القلب سالا ربهما الاستسلام لاحكامه الظاهرة الشرعية والباطنة التي جف القلم بها في الازل وكذا ذريتهما
المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن لم يكن له في القلب رسول وارد من الحق وهو السر
لم يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابرهيم الروح يوصي لمتولدات من القلب وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوى البشرية و
الحس والاعضاء والجوارح كلها بملته وفي الآيات اشارة الى انه تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه مجب لمظهر آثار انوار
تجليه على قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع اعضائه فيخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا لا منقر فين في الهوى في الدنيا والآخرة

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان
من المشركين قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم
به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله و
هو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له
عابدون قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا

اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل انتم اعلم ام
الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل
عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون

القراءة ام تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف
تهتدوا ط حنيفا ط المشركين ه من ربهم ج لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي آمنا غير مفرقين منهم ج لاحتمال الابتداء والحال
او جه مسلمون ه اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق ج للابتداء بسين الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج لاحتمال الواو الا
والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوف يدل عليها قولهم آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط معترض صبغة الله لابتداء
الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او الحال او للعطف على آمنا عابدون ه وربكم ج لان الواو يصلح ان يكون عطفا على الحال
الاولى ويصلح ان يكون مستانفا اعمالكم ج مخلصون ه لمن قرا ام يقولون بياء الغيبة ومن قرا بالتاء لم يقف لكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا
او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعملون ه قد خلت ج ما كسبتم ج تعملون ه الجزء الاول من الثلث التفسير انه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة
صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي بين الفريقين
كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله قل
بل ملة ابرهيم اي نكون اهل ملته مثل واسأل القرية اي اهلها او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او
نحن اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن الحرف فيقتضي متعلقا
هو الفعل او شبهه وحينئذ يشتمل على فاعل او مفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين
نصب على القطع اراد ملة ابرهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب الحنيف المائل عن
كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد
فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على دين ابرهيم فاتباعه اولى وهذا جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان يزعم اليهود والنصارى انا
على دين ابرهيم فازيحت عنهم بقوله وما كان من المشركين ولكن النصارى قائلون بالتثليث واليهود بالتشبيه وايضا قالوا عزير ابن الله و
المسيح ابن الله فليسوا من ملة ابرهيم التي هي محض التوحيد وخالص الاسلام في قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي
قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته
وهذا جواب آخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم
وجب الاعتراف بنبوته والايمان برسالته كما اعترفوا بنبوة ابرهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض
بالرد يوجب المناقضة في الدليل وعن الحسن ان قوله قل بل ملة ابرهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم
الايمان بالله لان معرفة النبي والكتاب متوقفة على معرفته وفيه ابطال لما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله
الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي عليهم السلام
فهم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر عدد بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم
لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم ان كلا منهم حق في زمانه او لا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لا نخص
بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا وهوى ولما بين الطريق الواضح في الدين وهو ان يعترف الانسان

بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة من عندهم في مثل هذا الايمان وههنا سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى
المثل في قوله بمثل ما آمنتم به والجواب ان قوله فان آمنوا بجملة الشك دليل على ان الامر مبني على الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مثل
دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا السالم عن التناقض بخلاف غيره فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك
للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت
صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق والتمثيل بين التصديقين اى فان دخلوا في الايمان
بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان آمنوا بما آمنتم به وقيل معناه انكم آمنتم بالفرقان من غير
تصحيف وتحريف فان آمنوا هم بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الآية دليل
على ان هداية قبل هذا الاهتداء وهي الدلايل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى
وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو مأخوذ من الشق كان صار في شق غير شق صاحبه او من الشق لانه
فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم بذلك دليل على معاداتهم
الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به الايقاع في المحن فلاجرم آمنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله وناهيك به
من كاف كامل ومعنى السين ان ذلك كاين لا محالة وان تأخر الى حين وذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن قال سيبويه لن نفي
سافعل ولقد انجز وعده بما قرب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب ولكم من مثله في القرآن
وكل ذلك مما تأكد به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى يسمع دعاءك
ويعلم نيتك في اعلاء كلمة الحق واعلائها وهو يستجيب لك لا محالة ووعيد لاعدائه اى هو منهم بمرأى ومسمع يعلم ما يبيتون من الحسد والغل
فيعاقبهم عليه ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم او نصب
على الاغراء اى عليكم صبغة الله وفيهما فك النظم واخراج الكلام عن الالتيام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة
والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس واصله ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير
لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغته لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما
يقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره قوله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم
فلان يصبغ فلانا في الشيء يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما للثوب وقيل سمى الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم
في وجوههم من اثر السجود من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين
غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل صبغة الله فطرته اقول وذلك ان آثار الفطرة لا تنفك عن الانسان لزوم
الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله
صبغة معنى الاستفهام الانكار ونصبه على التمييز اى لا صبغة احسن من الايمان بالله والدين الذي شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن
له عابدون تعريض عن كمال الايمان كما تقدم من اهل قل اتحاجوننا اما المحاجة فهي انما قولهم نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب
عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي
العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واما للكل والمعنى اتجادلوننا في شان الله او في دينه وهو ربنا وربكم والرب
ان يفعل بمربوبه ما يعلم فيه مصلحته ويعم اهل الله عبيده كلهم فوصى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما
ان لكم اعمالا ترجون بها الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ولكن نحن له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة
احدا سواه فلا يبعد ان يؤهل اهل اخلاصه بمزيد الكرامة من عنده ام تقولون من قرأ بتاء الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استفهام
استفهام آخر اى بل تقولون والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء
اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم واسنجها الاولى عما كان منهم وعن الزجاج باي الحجتين تتعلقون في امرنا ابا التوحيد فنحن موحدون
ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل ءانتم اعلم ام
الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر في التورية والانجيل والقرآن بان ابرهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده ولانهم يعرفون بان الله اعلم وقد اخبرهم بنقيض ما ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك
عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فاذن فايدة الكلام اما التنبيه واما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قوله من الله اما ان يتعلق

بالظلم والمعنى لو كان ابرهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان
الظلم من الاعدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها واخفاها
منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن
كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابرهيم بالحنيفية و
تعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحنيفية ابرهيم وغير ذلك من تحريفاتهم وما
الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولاضرابهم ولو ان احدا كان عليه رقيب من قبل ملك مجازي لكان دائم الحذر و
الوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله جنته او ناره تلك امة
اشارة الى ابراهيم وبنيه كما مرة وانما اعيدت الآية ههنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة
من الدين فان اديانهم لا تنفع الا ايامهم لاندراس آثارها وانطماس انوارها واما الآن فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل
القاطع والبرهان النير فيجب اتباع المعلوم واقتفاء الواضح والقاء المظنون والغامض ولا يسأل المتأخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزى

سيقول السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين
هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس
لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك
قبلة ترضىها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا
قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة

بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا

بعضی را و هرگاه که اگر متابعت نمایی رایهای باطل ایشان را از آن پس که آمد بتو از دانش بدرستی تو آنگاه

لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

هر آینه از ستمکاران باشی آنانکه دادیم ایشان را توریت و انجیل می‌شناسند محمد را چنانچه می‌شناسند

ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق

پسران خویش را و بدرستی گروهی از ایشان هر آینه نهان میدارند کار محمد را و ایشان میدانند آن حق

من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها

از پروردگار تست پس البته مباش از شک آرندگان و مر هر قومی را قبله ایست او روی آرنده است بدان

فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله

پس مسابقت نمایید شما نیکیها را هر کجا باشید آرد شما را خدای همه بدرستی خدای

بكل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام

بر همه چیزی تواناست و از هر کجا بیرون آیی پس مقابل گردان روی ترا سوی مسجد حرام

وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث

و بدرستی این کار هر آینه راستیست از پروردگار تو و خدای غافل نیست از آنچه میکنید شما و از هر کجا

خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم

بیرون آیی پس مقابل گردان روی ترا سوی مسجد حرام و هر کجا باشید

فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة

پس مقابل گردانید رویهای شما را سوی او تا نباشد مردمان را بر شما حجتی

الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي

مگر آنانکه ستم کردند از ایشان پس مترسید از ایشان و بترسید از من و تا تمام گردانم نعمت خود را

عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم

بر شما و تا مگر شما راه یابید چنانچه فرستاده ایم در میان شما پیغمبری از جنس شما

يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب

میخواند بر شما آیات ما را و پاک میکند شما را و می آموزاند قرآن

والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني

و بیان شرایع و می آموزاند شما را آنچه نبودید که دانید پس یاد کنید مرا بطاعت

اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

تا یاد کنم شما را برحمت و سپاس داری نمایید مرا و حق ناشناسی مکنید مرا

القراءة يشاء الى بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون يشاء ولى بقلبها الثانية واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة يشاء الى بقلب الاولى واوا والرءوف بالهمزة مشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل والبرجمي وقرأ يزيد بتليين الهمزة والاشباع الباقون لرؤف على وزن رعف يعملون ولئن بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب الباقون بالتاء موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء الغيبة ابو عمرو الباقون بالتاء لئلا بغير همز عن ورش وابن كثير وحمزة وعلي وخلف ويعقوب ملغما بهمزة الباقون وظهر بهمز والاختيار عن يعقوب وهشام الا ظهارا فاذكروني بفتح الياء ابن كثير الوقوف عليها ط والمغرب ط مستقيم ه شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط رحيم ه في السماء ج لان الجملتين وان اتفقتا فقد دخلت الثانية حرفا توكيد يختصان بالقسم والقسم مصدر ترضيها ص لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم ط يعملون ه قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما لتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان جواب معنى القسم في لئن فلو فصل كان وصف الظلم مطلقا وفي الاطلاق خطر الظالمين م لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ في مدح عبد الله بن سلام واضرابه ابناءهم

يعلمون ه الممترين ه الخيرات ط جميعا ط قدير ه الحرام ط من ربك ط تعملون ه الحرام ط لان حيث متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي بحجة قليل تحرزا عن اثبات الحجة بعد النفي والوصل في العربية اوضح لا منافاة لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لا ينافي الخصومة تهتدون ه لا اذا علق كما ارسلنا بما قبله ومن وقف على يعلمون وان علق بما بعده وقف على تهتدون دون يعلمون تعلمون ه ولا تكفرون ه التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي اما الجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا له وان كان مقيدا بالدوام فكذلك وان كان مقيدا بالدوام فان كان الآمر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم خصوا هذه الصورة بمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول لهم انا اعلم ستطعنون فيّ كانه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الآية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها ان اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجأة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقيل قبل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين ما له وعليه في امر دنياه يعد سفيها فالذي يضيع امر آخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا يأنسون بموافقة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا الاستيحاش وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن والاصم انهم مشركو العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه لكان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن بعض ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفي فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما ولاهم ما صرفهم استفهام على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير في كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف يتوجه احد الى غيرهما من الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما والارض كلها والجهات باسرها ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعدما مر في آية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد عليه كما لا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد وان افعاله تعالى لا تعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدي عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة عقلية يدرك بها المجردات والمعقولات وقوة خيالية متصرفة بها في عالم الاجسام وقلما تنفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في ادراك المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والثناء يجري مجرى الثناء عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتأتى ذلك الا اذا بقي في جميع صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين واذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين المؤمنين وقد من عليهم بذلك واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى اي جهة يتفق مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي والجنة دار كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الي ابوئك دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد ومنه ظهرت الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وما بينهما قبلة ابرهيم ومحمد وخير الامور اوساطها وايضا الكعبة سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى والطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سيناء وزيتا وجودي ولبنان وحراء كانه قال ان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فائت الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت نحوها مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك

وايضا لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم في توجهها اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم
الى القبلة وبتكرر ذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها يقتضي تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه
بمقدار خشية المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي ذكره الله في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية
كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا بعض الجهات
المسا وبتمهيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مخصصين بالعدالة برا منا وامتنانا مع تساوي الخلق في العبودية
وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور المعروف عند كل احد انه
سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيري جعلناكم امة وسطا الجوهري
يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط
بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير شعر هم وسط يرضى الانام بحكمهم ٭
اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله تعالى في معرض المدح والامتنان
وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال في الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطاتهن اراد من خيار الدنانير ويؤيده قوله تعالى
في موضع آخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقيل
المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا النبي ابنا والها ولا
كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا شهداء
على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الآخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ الانبياء يوم القيمة
فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا قلت والحكمة في ذلك تمييز امة محمد صلى الله عليه وسلم في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله تعالى وتصديق جميع
الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك يقبل شهادتهم على الامم ولا
يقبل شهادة الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشيء الذي اخبر الله تعالى عنه
معلوم مثل الشمس فصح الشهادة عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد
والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق
الناس بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان
يكون موقوفا على الآخرة لان عدالتهم في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم رتب كونهم شهداء على عدالتهم
فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الآخرة قلنا المراد في الآية الاداء لان العدالة انما تعتبر في الاداء
لا في التحمل ومن ههنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين وهذا
من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل مع ذلك لهم الشهادة في الآخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا تبينوا الحق عرفوا عنده
من القائل ومن الزائغ ثم يشهدون بذلك يوم القيمة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند
الحاكم او يكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم لكم
وانما قدمت صلة الشهادة في الثاني لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فبقي صلة الشهادة في مركزها والغرض في الآخر
اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن
معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية الطباق للاول وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف اما
بفعل او بقول وذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الآية متروكة الظاهر لان وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس
كذلك فلا بد من حملها على البعض ونحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب في جعلناكم للموجودين عند نزول الآية لان خطاب
من لم يوجد محال لغة والآية تدل على ان اجماع اولئك حجة لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع

ولئن سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه وان كان خطأ لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك
في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان لا يكون الشخص مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبولا
عند الاجماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الآية الى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات
وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة وآخرها باسرها لزال فائدة الآية اذ لم يبق بعد انقضائها من يكون الآية حجة عليه فعلمنا ان
المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا او عدولا عند الاجتماع فلو امكن اجتماعهم على الخطأ لم يبق بينهم و
بين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة موصوف محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما
جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي كنت معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعي على كذا وفي الحكمة وجهان احدها ان هذا الكلام بيان
للحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تألفا
لليهود وامتحانا للذين ابتغوا بمكة ثم حول الى الكعبة اختبارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء
وثانيهما انه بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا
لفائدة هي ان يمتحن الناس وينظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي لتقرير الحكمة والفائدة التي تستتبعها
الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه
جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بان الحادث الفلاني في الوقت
الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث لهو حال حدوثه وبعد حدوثه وانما جاء المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا
وكون كل زمان مكتنفا بزمانين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسبت الى زمانه قلت يعلم واذا
نسبت الى الزمان اللاحق قلت قد علم فجميع هذه التغيرات انبعثت من اعتبارات وعلم الله واحد فافهم او لنميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث
من الطيب فسمي التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمراته او لنرى كما يستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الآية راجع الى المخاطبين ومثاله ان
جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل بل النار يحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه
لتعلم ايها الجاهل وهذا من كلام المنصف مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد
كان من رجع الى حيث اتى ثم ان هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الله من حال الى حال لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى
الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون
على الثاني لان الشبهة في امر النسخ اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على
يقين من امره لما تغير رأيه وعن السدي لما توجه الى الكعبة اختلفوا فقال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم
حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس وقال آخرون اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة
هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية وتهيئتها بالمخففة للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي
دخلت هي عليه من باب كان او علمت وتبطل عملها في الظاهر وكذا في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت
فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما دل عليه الكلام السابق من التولية في ما ولاهم او
الردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع
بنفس القبلة فالفطام عن المألوف شديد والاعراض عن طريقة الآباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل فهو مبني على جواز النسخ وفيه
ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب اعتقاد حقيته الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي هداهم الله الى الثبات على دين الاسلام
بان نصب لهم الدلائل والآيات جعلهم منتفعين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين المعاصرين
واللام لتأكيد النفي الداخل في كان ينصب المضارع بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل
شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن وقال ابن زيد ما كان الله ليترك تحولكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقربهم على ذلك
مفسدة لكم واضاعة لصلواتكم اي لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم آثار الايمان واشرف نتائجه اولان المراد لا يضيع تصديقكم
بوجوب تلك الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا و
هم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ نجيناكم والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال
من الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو لاجل الاطمينان وبرد اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن

ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ
حق في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سواء عمل المكلف بهما اى وقتيهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان
يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله المسلمين على الجواب وقيل بل العكس وفتنة لقبول هذا التكليف ليلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا
التكليف لكفروا ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابى تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلى منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه و
على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ان الله بالناس لرؤف رحيم الجوهرى الرافة اشد الرحمة رؤف بر رؤوف بالضم فيهما افر رافة
ورآفة به اراف بالفتح فيهما وريفت به بالكسر رافا والصفة رؤف ورؤوف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة فى رحمة خاصة هى
دفع المكروه وازالة الضرر ولا تاخذكم بهما رافة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم والمراد ان الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة او كيف
لا يفعلكم من شرع الى شرع هو اصلح لكم او انما هدى من هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان اقبل للفيض كان الاثر عليه اظهر قوله عز من قائل قد نرى
معناه كثرة الرؤية ربما وان كان فى الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله ٭ كان اثوابه مجت بفرصاد ٭ كما ان رب فى الاصل للتقليل
ثم قد يستعمل فى معنى التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما ٭ اقام به بعد الوفود وفود ٭ ووجه ذلك ان المادح يستقل الشئ الكثير
من المدائح لان الكثير منها كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثله قد يعلم الله فان المتمدح بكثرة العلم يقول لا انكر انى اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك
تردد نظرك فى جهة السماء وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبريل وددت ان الله تعالى صرفنى عن قبلة
اليهود الى غيرها فقد كرهتها فقال له جبريل عليه السلم انا عبد مثلك فاسئل ربك ذلك فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء
مجى جبريل بما سال قيل وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت
قبلة ابيه ابرهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذى فى بلدته
ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شئ ثم ينهى فى طلبه اذن الله فيه وقيل انه استاذن جبريل فى ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله تعالى قد اذن
له فى الدعاء وكان يقلب وجهه فى السماء ينتظر مجى جبريل بالاجابة وعن الحسن ان جبريل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين
المحول اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله من الكعبة فكان ينتظر الوحى بذلك وعلى هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة
وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة ولذلك كان يقلب وجهه عن الاصم وقيل بل وعد بذلك وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز
الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا اولى والا لم يكن الصلوة ناسخة للاولى بل كانت ابتداء لكن المفسرين اجمعوا على انها
ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف فى صلوته بمكة فقيل كان يصلى الى الكعبة فلما صار الى المدينة
امر بالتوجه الى بيت المقدس تسعة اشهر او عشرة اشهر او ستة عشر او سبعة عشر او ثلثة عشر وهو الاكثر او ثمنية عشر او سنتين اقوال وقيل
بل كان بمكة يصلى الى بيت المقدس الا انه يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس واختلفوا ايضا فى ان توجه بيت المقدس كان فرضا لا يجوز عليه
غيره او كان النبى صلى الله عليه وسلم مخيرا فى توجهه اليه والى غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روى ان
قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم فى الطريق لصلوتهم الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سالوا النبى عن ذلك
فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها تدل على انه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له اى فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك
الصحيحة التى اضمرتها ووافقت مشية الله تعالى وحكمته وعن الاصم كل جهة وجهك الله تعالى اليها يجب ان تكون رضى لا تسخطها كما فعل من انقلب على عقبيه
وقيل ترضى عاقبتها لانك تعرف بها الموافق عن المنافق قوله فول وجهك اى كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط
وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء وبه يتميز الاشخاص وشطر المسجد الحرام اى نحوه وجهته قاله جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشئ والكعبة واقعة من المسجد فى النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو
التوجه الى بقعة الكعبة ويعرف بالفرق بين النصف وبين المنتصف والمكلف مامور بالثانى دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقبا فى صلوة الصبح
اذ جاءهم آت فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا
الى الكعبة وفى المعالم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا
فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة اهل المشرق والمغرب وهذا
قول مالك وقال آخرون القبلة هى الكعبة لما اخرج فى الصحيحين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى صلى
الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد ورد اخبار

كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال الآخرون القبلة هى المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعى فى
اظهر قوليه ان يستقبل المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا الظاهر قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة مشيرا الى
العين ولان تعظيم الكعبة من الدين صلى الله عليه وسلم بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة الصلوة وهى من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب
مزيد شرف للكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة امر معلوم وغيره مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة
ويوافقه القول الآخر للشافعى فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان فى استقبال عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة
دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب واكثر فى الآية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة فى اثناء الصلوة فى ظلمة
الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة بحيث انها يحتاج الى النظر الدقيق لم يتات لهم حينئذ ثم لم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم وسمى
مسجدهم بذى القبلتين ولان استقبال عين الكعبة ان كان واجبا ولا سبيل اليه الا بالدلايل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها من
الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلايل واجبا
ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى التعبد واصابة العين للبعيد غير بعيد فما من نقطتين فى الارض ولا فى السماء الا
ويمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلى ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان
يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدلايل الهندسية وغيرها من الطرق المشهورة فيما بين اهل الصنعة وقد بينا على
كثير منها فى كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين
بها المتحير وهى اما ارضية وهى الجبال والقرى والانهار او هوائية وهى الرياح او سماوية وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن
ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك الرياح قد تهب فى بعض النواحى من صوب معين
واما السماوية فهى النهار لا بد ان يراعى قبل الخروج من البلد الشمس عند الزوال انها بين الحاجبين ام على العين اليمنى ام اليسرى ام تميل ميلا اكثر
من ذلك فان الشمس فى البلاد الشمالية قلما يعدو هذه المواقع وكذا يراعى وقت العصر ويعرف وقت الغروب انها يغرب عن يمين المستقبل
او هى مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الآخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق الشمس ويحفظ مشرق الصيف و
الشتاء ومغربهما وبالليل يستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن او الايسر فى البلاد الشمالية
من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلايل فى البلد فليعول عليها فى الطريق كله الا اذا طال السفر فحينئذ
اذا انتهى الى بلد سال اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى سائر طريقه ومعرفة دلايل
القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كاركان الصلوة وشرائطها قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ليس بتكرار لان الاول خطاب للرسول وهذا خطاب للامة ولان الامة قد دخلت فى الاول تبعا واحتمل ايضا ان يكون الخطاب مختصا
باهل المدينة وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل هو القبلة ولا بد من حالة يقع فيها
الاستقبال فلنتكلم فى هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك فى كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهى الصلوة للاجماع على ان الاستقبال
خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها الا فى حالة
الخوف واما نافلة ويجب فيه الاستقبال الا فى حالة الخوف وفى السفر راكبا كان او ماشيا متوجها الى طريقه لما روى عن ابن عمر ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به وحكى عن احمد خلاف فى الماشى وكذا عن ابى حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة
عند التحرم الاصح نعم ان سهل بان لم تكن مقطرة او لا حران بها والا فلا لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل
القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث وجهته ركابه وانما عدم الاشتراط عند الصعوبة فليدفع المشقة واختلال امر السير عليه واما الاستقبال
عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما فى سائر الاركان الا الماشى فعليه الاستقبال فى كل ركوع وسجود لاعية الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف
الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة فى السجود على السرج او الاكاف بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس لراكب التعاسيف
الذى لا مقصد له رخصة ترك الاستقبال فى التنفل الركن الثانى القبلة المصلى ان وقف فى جوف الكعبة وهى على هيئتها المبنية صحت
صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك فى الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها
من خارج ثم يتخير فى استقبال اى جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا وان كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر مؤخرة الرحل
صحت صلوته والا فلا ومؤخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون فى سجوده بسامت معظم بدنه الشاخص وان انهدمت الكعبة حاشاها
وبقى موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابى قبيس والكعبة

تحته يجوز التوجه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الآن على سطح الكعبة فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة فقدر
مؤخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة
بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون مستديرين بالبيت والاصح ان صلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة
باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخريات المسجد صحت صلوتهم لان البعيد يزداد محاذاته يتبين ذلك اذا جعلت
البيت راس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان يعاين القبلة بمكة يسوي محرابه بناء على العيان
وصلى اليه ابدا ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطأ فهو صواب قطعا فيسوي سائر المحاريب عليه
وفي مسجد المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي الطرق
التي هي جادتهم تعين التوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشأ فيها قرون من المسلمين ولا بد من الاجتهاد في التيامن والتياسر اما في محراب النبي
صلى الله عليه وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطأ منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر ويقال ان
عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو **الركن الثالث** المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او بامارات [illegible]
يجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره عن علم وكان المخبر ممن يقبل قوله رجع الى قوله ولم يجتهد ايضا في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع
الفجر اخذ بقوله ولا يجتهد وكذلك في الحوادث اذا روى العدل خبرا نبويا وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شيء
ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمرأة والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم
الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وهو الظاهر وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين
ان يكون المخبر من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر الا بمعرفة ادلة القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد
كما في الاحكام الشرعية ولو فعل لزمه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي
كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلائل على المجتهد لغيم وحبس وتعارض صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان
لم يمكنه التعلم لعدم البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام والتقليد للغير هو قبول قوله المستند الى الاجتهاد بعد
ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمرأة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان
يقلد الاوثق والاعلم عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى
لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطأ يقينا او كان دليل الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد
الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطأ قضى على الاصح وان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد في اثناء الصلوة انحرف وبنى فهذه هي المسائل المستنبطة من
الآية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل
ولكن عن ابن عباس انه نزل في علماء اهل التورية لعلمهم الكتمان وعن السدي انهم اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق اما للرسول لانه
اخبر مع شرعه ونبوته حق فيشمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو انسب بالمقام وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر
الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل عليهما السلام وايضا انهم كانوا يعلمون نبوة
محمد بالمعجزات وبالبشارات وكل ما اتى النبي فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما يعملون وعد للمتقين ووعيد للناكثين والمعاندين ثم
بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل هم جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم علماؤهم المذكورون
في الآية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقاد الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون بقلوبهم ثم يتركون
الحق في الظاهر فهم المتبعون للهوى ونوقش فيه بان كل صاحب شبهة صاحب هوى فالاولى ان الكتمان بهذه الآية مخصوصان بالعلماء
منهم لان الجمع العظيم لا يجوز منهم الكتمان وكذا هذه الآية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصها تخصيصها فالاولى الاخبار عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شأن اهل
اللجوج لا كذاب العاقل في الخبر ورد بان المقلد ايضا قد يصر فالاولى الحمل على العموم بكلية الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع قبلته
ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل
آية بكل برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لتوطئة القسم اي والله
لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك لان تركهم قبلتك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة بل عناد ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك و
خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم يتبع منهم احد فقلنا لم يحتج الى هذا التأويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم رفع لتجويز
النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا

لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استئصالهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة و
للنصارى قبلة اخرى او لانهما بحكم الاتحاد في البطلان واحدة وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة
واحدة حتى يمكن رضاهم باتباعها او انهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين او ان ذلك جائز
ان يختلف قبلتاهما للمصلحة في ذلك وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يتركون قبلتهم الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل احدى
القبلتين لان اليهودي لا يتنصر ابدا او بالعكس فلعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت كلام
على سبيل الفرض والتقدير لقرينة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح الدلايل وانكشاف جلية الامر في باب الديانة انك
اذا اي اذا اتبعت لمن المرتكبين الظلم الفاحش لان صغائر الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء افحش وفيه لطف للنبي صلى الله
عليه وسلم فان مزيد المحبة تقتضي التخصيص بمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في
اسلامهم ومعاضدتهم فنهى عن ذلك القدر ايضا وايس منهم بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفيه ارشاد للامة كالرجل الحازم يقبل على ابر اولاده واصلحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض
زجرهم واصلاحهم وانه لا محالة يأخذون بالطريق الاولى لو خالفوا الذين آتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اي الرسول معرفة جلية
يميزون بينه وبين غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبلة حسب ما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم
وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة والغرض تشبيه عرفان تشخصه بعرفان تشخص الابناء لا تشبيه العلم بثبوت نحو محمد بالعلم بثبوت الابناء والا كان تشبيه
المعلوم بالمظنون عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد
انه نبي فاما ولدي فلعل والدته قد خانت فقبل عمر رأسه وجاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشأنه وانه معلوم
بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يديه انها لا تفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك وانما ينكرون
كونه النبي المبعوث في كتبهم فرد الله تعالى عليهم ذلك فافهم وانما خص الابناء الذكور لانهم اعرف واشهر وصحبة الآباء الزم وبقلوبهم
الصق ولو تساويا فالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم وسياقه الحديث
عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه
كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من سوى المؤمنين منهم ليكتمون الحق الذي هو امر محمد وامر القبلة ثم اكد ذلك
بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او
حال وان يكون مبتدأ خبره من ربك ثم في اللام يكون للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق او
للجنس على ان معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما سواه كالذي يدعيه اهل الكتاب باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون
الحق من ربك وقد يجوز ان يكون النهي للتهييج بعلم انه منه عنه لمثل ما تقرر في قوله ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم
للجهة والدال تمثيل او لكل قوم او امة ولذا قرئ في جميع الوليد الضبي وانما لا يجتمع مع الجهة في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الكل واما الى الله وثاني
مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة
ووجهة اما بشرعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها الصلوة التي يتقرب بها الى دينه وكل يفرح بما هو عليه ولا يفارقه فلا سبيل
الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات الدينية وهي الشرف
والفخر بقبلة ابراهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين واينما تكونوا من جهات الارض يات بكم الله جميعا في صعيد القيامة فيفصل
بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ ان الله قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان لكل واحد من بيت المقدس والكعبة قبلة وانهما من الله
تعالى وهو الذي ولى وجوه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالتين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم
يوم القيامة فيحكم بينكم ولكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي
الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة
لمحاذاة الجميع الكعبة ولقراءة ابن عامر هو مولاها معنيان احدهما انه ما وليته فقد ولاك والآخر زينت له تلك الجهة وحببت اليه وقيل ولكل
مخلوق قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك
الكعبة وهي قبلة جسدك وقبلة روحك انا وقبلتي انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي رح استدل بقوله تعالى فاستبقوا الخيرات
على ان الصلوة في اول الوقت افضل وعند ابي حنيفة رح التأخير افضل الا ان الفضيلة الانتظار وتكثير الجماعة ولما روي انه صلى الله عليه وسلم

وان اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حافظوا على شيء ما حافظوا على الصلوة في آخر الوقت
واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم يا علي ثلث لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها
كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول الوقت
ثم تكاسل المكلف وتثاقل او بعض اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا المامور لهو الحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للممتثلين ووعيد للمتغافلين واعلم ان امر التولية
ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الآية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام والثانية على ان
يكون غائبا عنه ولكن يكون في البلد والثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما ليس للبعيد فازال
ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر وذلك انه اكد الاول بان اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل واكد
الثاني باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فباي
الآء ربكما تكذبان وامثال ذلك فكرر حيث نيط بكل منها فايدة وثالثها ان الآية الاولى توهم ان التحويل انما فعل لرضى النبي وطلبا لهواه حيث قال
فلنولينك قبلة ترضاها فازال الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة بمجرد رضاك وهواك كقبلة
اليهود والمنسوخة التي انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي ولكنها حق من ربك بعد انها وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها
ان الاولى لتعميم الاحوال والثانية لتعميم الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة
فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة فانها قبلة الحق لا قبلة الهوى الزم هذه القبلة فيها ينقطع عنك حجج هذه العدى وهذا قريب من
الثالث وسادسها هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد والتقرير وسابعها قلنا الآية
الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو
تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلوات الله عليه وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض ومما يؤيد هذا التاويل قوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الا بشهادة نفسه حيث لم يبق الا هو وهو مقام الفناء في الله
بخلاف الآية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا اقتصر فيها على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وفي المسجد الحرام حرام لا يليق بكل
احد جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد وايضا قدم على الآية قوله ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الاخص ناسخ للتكليف
الخاص من العام له ولاسيما كرر الآية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقايق الامور قوله لئلا يكون لكم ولنا
لاجل هذا الغرض وقال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل للعموم وقيل هم اليهود كانوا يطعنون بانه يخالفنا
في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم والآن لما ترك التوجه
الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد بها المحاجة او سماها حجة تهكما او طباقا او بناء على معتقدهم لانهم
يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم فكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون انه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق لزم قبلة الانبياء
او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد
شعر وكل اخ مفارقه اخوه ، لعمر ابيك الا الفرقدان ، يعني والفرقدان واذا طعنوا في دينكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم
واخشوني واحذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم فعلى المرء ان ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه
خشية الله وقطع الرجاء والخوف عمن سواه ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية
اهتداؤكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي في آخر عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان لله تعالى في كل وقت نعمة على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر
القبلة وذلك تمام النعم في امر الدين على الاطلاق وعن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة
كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي
الآخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول ولاتم نعمتي ببيان الشرايع واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن
ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم

امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني اذكركم ثانيا اخرى وفيه ان نعم الله على العبد لا ينقطع فكل
نعمة سابقة فينضم اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخيرا وبداية ونهاية وفي ارساله فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه
من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القرآن
متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق
الحميدة فيحصل له خير الدنيا والآخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قد مر في دعاء ابرهيم وفي قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الديانة فعلمهم ما احتاجوا اليه في صلاح معاشهم ومعادهم
وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون
عطف بالواو ليعلم ان جحود النعمة ينهى عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله اقول له ارحل لا تقيمن عندنا لاوهم ان المقصود بالذات
هو الثاني والاول في حكم المنهي ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون ليست للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير
جاحدين لنعمتي فاما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرا كتابه او بالقلب وهو ان يتفكر في الدلايل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة
عن شبه الطاعنين فيها او في الدلايل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات
متوسلا من كل ذرة الى موجدها او بالجوارح وهو ان يكون مستغرقا في الاعمال المامور بها فارغا عن الاشتغال بالمنهي عنها وبهذا الوجه سمى الصلوة
ذكرا فاسعوا الى ذكر الله واما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق بالثواب واظهار الرضا واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني
بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الدنيا اذكركم في الآخرة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في
الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصدق والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين
ای گروهی که ایمان آوردید یاری خواهید از خدای بباز داشتن نفس و نماز بدرستی که خدای با صبر کنندگانست
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا
و مگویید مر آنکس را که کشته شد در راه خدای یعنی جهاد ایشان مردگانند بلکه ایشان زندگانند ولیکن شما
تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من
نمیدانید و هر آینه صورت امتحان نماییم شما را بچیزی از ترس و گرسنگی و کم کردنی از
الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مالها و تنها و میوه ها و مژده ده صبر کنندگان را آنانکه چون رسید بدیشان
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات
رسیدنی گویند بدرستی ما بندگانیم ملک خدای را و بدرستی که ما بسوی جزای او بازگردنده ایم آن صابران مر ایشانراست ثناها
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
از پروردگار ایشان و بخشایشی و ایشان ایشانند راه یافتگان

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع امتناعها
في الحروف لكثرة استعمالها لكلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين لا اموات ط لا تشعرون ه والثمرات ط الصابرين لا لان الذين
صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدا على الاصح ومن ابتدا بالذين فخبره اولئك مع ما يتلوه وقف على الصابرين
ولم يقف على راجعون المهتدون ه التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع
المنهيات فان الشكر الحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك الوظايف بالصبر
والصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود والتدبر
لآيات الوعد والوعيد والرغب والرهب تجر ذلك الى اداء حقوق ساير الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات
ان الله مع الصابرين بالنصرة والتاييد ومزيد التوفيق والتسديد والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة
ديني وسلوك سبيلي فان انجر ذلك الى المجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم وتلف فان قتلاكم احياء عندي من قتله محبته فلبشر دية(؟)

ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجائز ان يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة معظم بحيث
الشهيد ميتا ولا يحس بحيوته واليه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الآيات الدالة على اثبات عذاب القبر ونعيمه قوله النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب وقال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب
القلوب يرون صور الشهداء ويحظون بها وقيل المعنى لا تسموهم الاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا هم احياء في الدين وانهم على
هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم سواء الذين في شئ اولا تقولوا مثل ما تقول منكروا البعث انهم لا يبعثون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم
سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل
ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتالم ويلتذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيمة
الكبرى حتى ينضم الاحوال الجسمانية الى الاوقات الروحانية عن ابن عباس ان الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية
من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تاكل ولنبلونكم
ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه
ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما ملككم فيه بيد المستعير اولا بالشكر على اكمال الشرايع ثم بالصبر على التكاليف البدنية ثم خص
على الانفس عند طروق النوائب وبروق المصائب ومعنى بشئ بقليل من هذه الاشياء وايضا لو قال باشياء لاوهم ان من كل واحد من الخوف
وغيره ضروبا وليس مرادا وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه وفيه ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم و
اعلم ان كل ما يلائمك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك وهو قد مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان في الحال سمي ذوقا ووجدانا لانها حالة تجدها
من نفسك وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا واشفاقا
وان كان محبوبا سمي ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع بن انس ان المراد بهذه المخاطبة
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم
واجتماعهم عليه وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول
مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع
قال اخرجني ما اخرجك وكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهناك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر
الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس
بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي رض الخوف
خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال
صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول
الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شئ ويحتمل ان يعطف
على الخوف بمعنى وشئ من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى الصبر
من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا
في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بجلال الكبير المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرة ذي الجلال واما الانسان فانه
في الصبى بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انضم له مع الشهوة الباعثة على اللذات
العاجلة عقل يدعو الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتصادم فثبات العقل
ازاءها هو المعنى بالصبر وانه ضربان بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالثبات على الآلام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات
الطبع فان كان حبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمالا لمكروه فان كان في مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة الجزع
وهي اطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان
في حال مبارزة الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده البرم وان كان في نائبة من النوائب سمي
سعة الصدر ويضاده الضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام يسمى كتمان النفس وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان
على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر هو حمل
النفس على ترك اظهار الجزع ولا باس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابراهيم ابنه فقيل له في ذلك فقال انها

رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة الاولى والا مضى
سلوا وهو حتما لا بد منه ولهذا قيل لو كان الناس ادام الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا
واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين
صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى
في الحديث القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لان تمام الايمان بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار
على كل منهما انما يتاتى بالصبر فكل الايمان صبر الا ان كل واحد منهما قد يكون بطابق مقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف
وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر قال يؤتى باشكر اهل
الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا
هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين ومن
فضيلة الصبر انه قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروي
ان سليمان يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة
كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلام ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون
صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتختص بما يصيب
الانسان بحاله مكروهة كالنازلة والواقعة والملمة وانما نكرت لتشمل كل مضرة تنال الانسان من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى
مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك والدولة يرجع
الى فلان لا يراد الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك انا لله اشارة الى
المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفناء فيه وانا اليه راجعون اشعار بالبقاء به انا لله رضى بقضائه وانا اليه
راجعون ايمان بقدره واعلم ان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف او الجذب اما الصرف فهي ان ينال قلبه
الشئ والتفت خاطره اليه جعلها الله تعالى منشأ للآفات لتنصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى جناب القدس كما ان آدم لما تعلق
قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زال عن الجنة فبقي آدم مع ذكر الله ولما استانس يعقوب بيوسف عليه السلام اوقع الفراق بينهما
فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد من اهل مكة في النصرة والاعانة صاروا من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل ذلك الشئ بلاء
ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى
ذلك بلا واسطة فيستحيي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا
لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه
ويشتغل بالكلية عمن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضا باقضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في طاعته
شبهة المنازعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
وروي انطفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شئ يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به
من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فاجرني فيها وعوضني خيرا منها الا آجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت
فلما توفي ابو سلمة قلت هذا القول فعاضني الله محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس اخبر الله تعالى ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع عند
مصيبته كتب الله تعالى له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر رض نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون وقيل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعيم
العاجلة والآجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة دون رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة
اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب والفائزون بالكرامة والثواب وهم المتمسكون باذيال المستغيثين بما لزم وكفى وفي الآية احكام
فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضا بقضائه والصبر على اداء فرايضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا والنفل قول انا لله وانا

اليه راجعون فان في اظهاره فوايد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات على طاعته
واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهي ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصايب اذا وردت فيكون ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل
اليهم تلك المحن اشتد حزنهم فيكون ذلك الحزن تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذا الابتلاء
ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه تميز المنافق وتميزه عن الموافق كما ان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا
ذلك دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة بل في الشدائد تعرف الاخوان غيره اذا ما اهدى البحر لجل الجلى • يقولون لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت كريد ايم قال • انما يعد بحاسن يدوم له الكرب • فان قلت ما اذنبت قالت مجيبه • حيوتك ذنب لا يقاس به ذنب

ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا
جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر
عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها
از رحمت خود و نفرین فرشتگان و مردمان همه حال آنکه جاوید باشند دران لعنت
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
سبک کرده نشود از ایشان عذاب و نه ایشان را مهلت دهند

القراءة ومن يطوع بتشديد الطاء وبالجزم حمزة وعلي وخلف ويعقوب ويزيد والباقون بالتخفيف وفتح الآخر على المضي الوقوف
شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان استينافا حكم عليم ه في الكتاب لا لان
اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستيناف والحال الرحيم ه اجمعين لا لان خالدين حال عامله معنى
الفعل في اللعنة اي لعنهم الله حتى قرا الحسن والملائكة وما بعده بالرفع فيها ج لان ما بعده حال بعد حال واستيناف اخبار ينظرون ه التفسير
ان في تعلق الآية بما قبلها وجوها منها ان السعي بين الصفا والمروة من شعاير ابرهيم كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة الذي
فيه احياء شرع ابرهيم ومنها انه من آثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتها فناسب ان يردف آية الابتلاء
ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يهتدي العقل الى حسنه كشكر المنعم
وذكره واشير الى ذلك بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي وثانيها ما يكره في العقول قبحه والنفرة عنه كالالم والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد
يتالم منه الا ان الشرع لما ورد به بين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان فحينئذ يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وصوابا وذلك قوله ه
لنبلونكم الآية وثالثها ما ليس يهتدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة فياتي بها تعبدا محضا وهو اكثر
افعال الحج من السعي ومحل الجمار ونحوهما فذكر طرفا من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة
وهكذا باللام علمان للجبلين المعروفين بمكة زادها الله شرفها والصفاء في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا

واصفاء وصفي على فعول واذا ثنيت الصخرة قالوا صفاة صفواء واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب
وعن الاصمعي المروة حجارة بيض براقة يقدح منها النار الواحدة مروة والشعاير جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله اي مما
من تعبدنا به وقد شرعه الله تعالى لامة محمد ولابراهيم عليه الصلوة والسلم قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه وانما يصير
عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرن بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد حج محجوج اي مقصود وهو ايضا كثرة الاختلاف
والتردد حج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك والحاج ياتي البيت اولا ليعرفه ثم يعود اليه
للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم يعود اليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها و
الاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف كالزاير ثم ينصرف والعمرة اسم من الاعتمار
غلبت على النسك المعروف والجناح الحرج والاثم من قولهم جنح الى كذا اي مال اليه كان صاحبه مال الى الباطل ولان الناس يميلون الى
صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحته الواجب والندب والمباح وظاهر الآية لا يدل على احد الثلثة بالتعيين فلهذا
اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا متمسكين بدلايل اخر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم
السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك المشي بحيث لا يفوت كقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه صلى الله عليه
وسلم سعى وجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس
بركن ولكنه واجب وعلى تاركه دم وعن ابن الزبير وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة لقوله بعد ذلك ومن
تطوع خيرا اجاب الشافعي بما روي انه كان على الصفا اساف وعلى المروة نايلة وهما صنمان كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا
عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف
بينهما لاجل فعل الجاهلية وان يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة منصرفة الى وجود الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي
كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة عند ابي حنيفة او دم البراغيث عندنا فيقال لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة
لا الى نفس الصلوة ولهذا قال عروة لعايشة ارى ان ليس على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئسما قلت يا ابن اختي ان هذه لو كانت
على ما اولتها كانت لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم كمن قرا يطوع بالتشديد واصله يتطوع والتطوع ما تبرعت
من ذات نفسك من غير ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزايد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات
وهذا اولى لعموم اللفظ فان الله شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمى جزاء الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي
يقرض الله كانه يقول اني وان كنت غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لها من الموقع الموضع على ان انتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليم بالسراير
فيوفي كل ذي حق حقه وهو وعد لنا نسب قرينة الشكر وان كان ايضا يحتمل التحذير من الاخلال بوظايف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون
كلام مستانف يعنا ولكل من كتم شيئا من الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سالوا نفرا
من اليهود عما في التورية من صفته عليه السلم ومن الاحكام فكتموا فنزلت والاولى العموم اللفظ ولان خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب
الحكم على الوصف مشعر بالعلية ولا ريب ان كتمان الدين يناسب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ولا يخفى ان القرآن قبل
صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القرآن اذا كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان وكذلك القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلايل العقلية ولان
جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عايشة انها قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الآية على العموم وعن ابي هريرة قال لولا آيتان من كتاب الله تعالى ما حدثت حديثا بعد ان قال الناس اكثر ابو هريرة
وتلا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه وحصول الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا فلما كان
ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا اذا كانت ثمه يقوى الداعي الى
اظهارها وعلى هذا الوجه يمدح من يعد على كتمان السر لان الكتمان مما يشق على النفس في الآية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج اليه المكلف
لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبياء كتابا ووحيا لان ادلة العقل والهدى يدخل فيه
الدلايل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل وبعبارة اخرى الاول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه التنزيل من الفوايد لقوله
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب فيشمل كون خبر الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض
على الكفاية لا على التعيين لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه فلم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على
الباقين اظهاره مرة اخرى قيل لم لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مامورا بالبيان لتكثر المخبرون فيفيد الخبر واجيب بان هذا غلط

لانهم ما نهوا عن الكتمان الا وهم ممن يجوز عليهم الكتمان ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان جاز منهم التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون
خبرهم موجبا للعلم ومن الناس من يحتج بالآية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار يدل على وجوب العمل بالذي اظهر لا سيما وقد قال
الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالآية ايضا على عدم جواز اخذ الاجرة على التعليم لانها دلت على وجوب
التعليم ولا اجرة على اداء الواجب وقيل في الكتاب اي في التورية والانجيل من بعث الرسول ومن الاحكام والمعنى انا لخصناه بحيث لم ندع فيه
موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل اراد بالمنزل الاول كتب الاولين وبالهدى القرآن اولئك يبعدهم
عن درجة الاعتبار يلعنهم الله عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم باللعن اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي
الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر بشؤم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات تغليب العقلاء
وقيل هو الهوام فقط والتذكير لانه تعالى وصفهم بصفات العقلاء مثل والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقالوا
لجلودهم لم شهدتم وقيل كل شيء سوى الثقلين تغليبا انها لو كانت عاقلة كانت بلعنهم او لانها في الآخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلاء فانها
تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل ان اهل النار يلعنونهم ايضا لانهم كتموهم الدين كلما دخلت امة لعنت اختها وعن ابن مسعود
اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وان لم يكن مستحقا رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله سبحانه وعن ابن عباس ان لهم لعنتين
لعنة الله ولعنة الخلائق قال ذلك اذا وضع الرجل في قبره فيسأل ما دينك ومن ربك فيقول لا ادري فيضرب ضربة يسمعها كل شيء الا الثقلين
فلا يسمع شيء صوته الا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت الا الذين استثنى منهم وفيه من الرحمة ما فيه وقد مر ان التوبة عبارة عن
الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فان من ترك رد الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او لان الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا واصلحوا ما
افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما كتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به و
يقتدي بهم غيرهم من المفسدين فاولئك اتوب عليهم اقبل توبتهم بان اسقط العقاب عنهم تجاوزا واضع مكانه الثواب تفضلا لا بد لاله قوله
وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى
هذا القول يكون اطلاق الكفر عليهم وهم من اصحاب الكتاب مجازا او تغليظا او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنته
وهم المؤمنون اجمعون وقيل يوم القيمة يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المؤمن والكافر وقيل يلعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى ان الظالم
قد يلعن نفسه اذا تأمل في حاله وقيل وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر
اذا جن لم يكن يزال التكليف عنه بالجنون مسقط اللعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح
اذا مات صاحبه او جن لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي الآية دليل على ان الامور بخواتيمها انه اذا كفر ومات لا على
الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار واضمرت وان لم يجر لها ذكر تفخيما لشانها و
تهويلا لمكانها والاول اولى لتقدم ذكرها لفظا ولان اللعنة تشمل النار وزيادة ولانها نص في الحال والمآل جميعا بخلاف النار فانها في
الاستقبال ومن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل وقد مر مثل ذلك لا يخفف عنهم العذاب
بل يكون شابه في الاوقات باقيا على المبلغ الذي اوجبه استحقاقه ولا هم ينظرون اذا استنظروا من الانظار الامهال ولا ينظرون
ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل الصفا السر والمروة الروح
والسالك بينهما يسعى في صفاء السر بقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لامر الله وفي مروة الروح يوصل الخير الى اهله وعياله
ونفسه لمراقبة احوال الباطن ومراولة اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مرات ان يصل بركات سعيه الى
سبعة اركان في الظاهر والى سبعة اطوار في الباطن والى سبعة اقاليم العالم لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى ومن كمال رأفته باهل محبته ان جعل آثار اقدامهم اشرف الامكنة وساعات ايامهم اعز الازمنة فالى تلك المعاهد
والاطلال تشد الرحال وتلك المشاهد والآثار تعظم ومن اراد هوى هواها المن فقد كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر

وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق
و خدای شما خدای است یکانه نیست خدای مکر او بخشاینده مهربان بدرستی که در آفرینش
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
آسمانها و زمینها و آمد شد شب و روز و کشتی که

ح

ندلان

تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء
میرود در دریا بانچه سود میرساند مردمانرا و وانچه فرو فرستاد خدای از آسمان از آب
فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة و
پس زنده کردانید بسبب آن زمین را پس از مردن آن و پراکنده کردانید در زمین از هر جنبنده و
تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون
کردانیدن بادها در جهات و ابری که رام کرده است میان آسمان و زمین هر آینه دلالتست بر وحدانیت خدای مر کروهی را که دریابند

القراءة لا اله الا هو بالمد وكذلك جميع التهليل روى الهاشمي عن ابن كثير لورود الاثر في هذه الكلمة وهو قوله صلى الله عليه وسلم
من قال لا اله الا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى ابو الفرج عن ابن قتيبة الا هو بالامالة حيث كان الريح مفردا حمزة
وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف واحد ج نظرا الى ان ما بعده وصف آخر والى الاختلاف بالنفي والاثبات الرحيم ه من كل دابة ص
ضرورة لطول الآية والاولى الوصل والرجوع يعقلون ه التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك
في العدد واحد اثنان ثلثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه واحد فالانسان الواحد يستحيل ان
ينقسم من حيث هو انسان لان الانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين بلى قد ينقسم الى الابعاض والاجزاء وذلك من جهة اخرى
ثم زعم قوم ان الواحدية صفة زائدة على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا فقط ولانه
يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر
ولان مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثرة
فان كانت الكثرة سلبية وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة
الا مجموع الوحدات وان كانت الوحدة سلبية حصل من الامور العدمية امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية
ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد
ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه
كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج ثم ان الوحدة لو كانت صفة
زائدة على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعينها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا وذلك
محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة حتى العدد فان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة كما انها
عشرات فالعشرة انها عشرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة
تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لهما بالانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين
احدهما لان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة ولا من امرين ايضا واليه الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للمكلفات
باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لجميع
الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان الآيتان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما تدل على اثبات
وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد واحد بل الواحد في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره
سيدا والقرينة الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبود الحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة
وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج ف
ذلك انه قد يفنى في عالم اللاهوت ويبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع عالم الشهود فليس حينئذ نفي ما سوى الحق واذا رجع
الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل ما سواه حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين ولان الاولى مرتبة الصديقين
السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير اعرف ان قائل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على انه تعالى واحد من جميع الوجوه
لا يجمعه اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا يحصره اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط الجنسية هو ان
كل مركب فانه يمكن ان يفتقر في تحقق الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته وايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته
في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع
الشك في وجوده ولا نعني بكون الوجود زائدا على الماهية او غير زائد الا هذا واما انه تعالى واحد لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي

ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات
الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب
الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته حتى عن حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة
فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتخلص
عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار وشروق انوار الواحد القهار ولك
ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته فلانه لو شاركه
غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره
من غيره وصفاته من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية بل له في كل معلوم علوم غير
متناهية بحسب اعتبار ذلك المعلوم واوقاته وساير احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته وكون
ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته تستكمل بها لان ذاته كالمبدأ لتلك الصفات ولن تستكمل المبدأ بما عن المبدأ بل ذاته مستكمله بذاته ومن لوازم ذلك
الاستكمال الذاتي حصول صفات الكمال وقد يفضي التقرير ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته
كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه الذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا نعلم من ذاته الا انه مبدأ
جميع الممكنات من طبع على قلبه مني بالخذلان ومن كشف له الغطاء صار حيرانا فلا احاطة للقطرة بكثرة الماء ولا ظهور لضوء السها عند
طلوع الشمس كبد السماء اشتاقه فاذا ابدا اطرقت من اجلاله لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله فالموت في ادباره والعيش في اقباله واصد
عنه واذا بدا واروم طيف خياله واما انه واحد في افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبعد البون بين الواجب بالذات والممكن
الذات يوجد التفاوت بين فعليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى خص الموضع بذكر الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين
تروحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بانه ما خلق الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الاية ذكر
علماء المعاني ان في ايجاز هذه الاية بيانا لما ذكر وقوع اي ممكن كان على اي نوع لايات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن فحسب
بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا وفيهم من تحكي التقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا تحصى من طوايف
الغواة لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطاء قال انزلت بالمدينة على النبي صلى الله عليه وسلم والهكم اله واحد فقالت
كفار قريش بمكة وكيف حينئذ حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في خلق السموات والارض الى اخرها وعن
سعيد بن جبير لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد لئن كان صادقا فليأتنا باية فنزلت وزعم بعض الناس ان الخلق
هو المخلوق ولان المخلوق هو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان عينها والخالقية
صفة الله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى ولا يصح تعليل حدوثه بنفس ذلك الحادث
ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة على ان العالم في
قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله اياه وهذه الجهة
هي التي صيرته اية وقد عد الله تعالى في هذه الاية ثمانية ايات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فسويهن سبع
سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا ان لكل واحد من السيارات السبعة حركات مختلفة كالبطؤ والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف
والرجوع بعد الاستقامة وفي الحركة على توالي البروج وعدمه مقدمتان كلتاهما احديهما ان السماويات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي
والثانية ان حركة الكوكب في الفلك ليس كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بدوران الفلك اياه ان لكل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى
افلاك اخر بعضها فلك كلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها مخالفة لمركزه في الاغلب ثم ان كان سطح المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم
الخارج المركز ويبقى بعد توهم انفصاله من الفلك الكلي جسمان نعليان متضادا الوضع في الغلظ والرقة تسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض يسمى بالتدوير
ويكون الكوكب مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة
في نفس الامر ويعني بالتشابه ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف
نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير ولعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان
وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير وللشمس اثنان موافق وخارج ولكل من الثلاثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك

بسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس يقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا و
القمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين والمشتري باثنتي عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب
واذ قد تقرر ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك لمقدار معين مع اشتراكها في
الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار خبير قدير فهما ر وكذا تخصص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من سطح الفلك القطبية مع تساوي
جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكوكب والتدوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك الكلية الى الخوارج
المراكز وابقاء المتممات على اقدار معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا انفا والثوابت
بحيث تتم دورا في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتأخرين والفلك
الاعظم في يوم بليلته وكذا تعيين جهات الحركات شرقا او غربا وشمالا او جنوبا وكذا تعيين المبادي والحركات وتخصيصها بزمان
دون زمان فان الافلاك سواء قلنا ان دوامها حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول لما ان الحركة انتقال من حالة الى
حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى الفاعل المختار يكون الكل مخصص وتخيره وكذا
تخصيص كل من الكواكب بعظم اخر وبلون اخر كصفرة عطارد وبياض الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا
حال بين الناظرين وبين الشمس وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب
والنسق الانيق في تركيب الافلاك وايتلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف اوضاعها المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها اثر يدل انها
مبنية على حكمة وبقدرة فليس خير امر هي واقعة عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب والماء انضما احدهما
الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم تزين نفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل
له بالجنون ويحل عليه لحماقة الراي بل يعد من زمرة الانعام الاية الثانية خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها
مركزها وانعقد في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة الشمس منه وقع القمر فيه الخسف ومن انكشاف بعضها
عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف مرور الشمس وساير الكواكب بسمت رؤوس
قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت المطالع والمغارب بحسب تغاير الافاق ومن تباين اعراضها ومنافعها التي
تقرر طرف منها في نفسه قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير وعليم خبير واحد في ملكه وملكه يفعل ما يشاء كما يشاء
من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار اما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرفنا الشرع زيادة
ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق او بنقصان الزيادة المذكورة وذلك لان
الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق موقع الابصار اخذه الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول
الفجر الكاذب ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعد واول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت
الافق طلع مركز جرم الشمس في مقابلته ظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان في تعاقبهما مجيئا وذهابا لقوله تعالى هو الذي جعل الليل
والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا وقصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الاخر فيتم كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة
او كيف يختلفان في الامكنة فان نهار كل بقعة ليل بقعة يقابلها ضرورة كرية الارض وكيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلد كلما
ازداد عرضا عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي
الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد يبقى طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل
ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم محاذيا لسمت الراس
ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وكون الليل والنهار في
انفسهما ايتين على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد
بهما بسبب طلب المعاش في الايام والنوم والراحة في الليالي من الغرايب تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان امثال
الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت الخلائق ولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر شبيها بعود الجسوم اليهم في النفخة الثانية
وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطير فيه من اعجب الاشياء كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور
دلايل على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان مبرأ عن سمات الحدوث والامكان الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس لما علمت بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او ينفع الناس والفلك بالضم والسكون السفينة واحد وجمع بضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع

ضمة اسد و تانيث صفته فهنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة و يحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اى المراكب التى تجرى و التركيب يدل على
الاستدارة و الدوران و منه الفلك لجسم كرى يحيط بسطحان متوازيان مركزهما واحد و فلكة المغزل و فلك ثدى الجارية استدار و البحر
خلاف البر قيل سمى بذلك لاتساعه و تعمقه و منه تبحر فى العلم و المال و بنى الفرس الواسع الجرى بحرا قال صلى الله عليه و سلم فى فرس ابى طلحة
ان وجدناه لبحرا او قيل من الشق بحرت اذن الناقة شققتها و منه البحيرة هذا و قد سلف فى تفسير قوله عز من قائل الذى جعل لكم الارض فراشا
ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من الارض فذلك هو البحر المحيط و قد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقى
و منقطعا عن الغربى الى وسط العمارة اربعة خليجات اولها اذا ابتدى من الغرب الخليج البربرى لكونه فى حدود بربر من ارض الحبشة طوله
من الجنوب الى الشمال مائة و ستون فرسخا و عرضه خمسة و ثلثون فرسخا و على ضلعه الغربى بلاد كفار الحبشة و بعض الزنج و على الشرقى
بلاد مسلمى الحبشة و ثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة و ستون فرسخا و عرضه بقرب منتهاه ستون فرسخا و بين
طرفه و فسطاط مصر الذى على شرقى النيل مسيرة ثلثة ايام على البر و على ضلعه الغربى بلاد بجة من البربر و بعض بلاد الحبشة و على ضلعه الشرقى
سواحل عليها فرضة مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم لقوافل مصر و الحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الذى و ابر الشرقية منه
و ثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة و ستون فرسخا و عرضه قريب مائة و ثمانين و على سواحل ضلعه الغربى بلاد عمان
و لهذا ينسب البحر هناك اليها و جملة ولاية العرب و احياءهم من الحجاز و اليمن و الطايف و غيرها و بوادهم بين الضلع الغربى من هذا
البحر و الشرقى من الخليج الاحمر فلهذا يسمى العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب و فيها مكة زاد الله شرفها و على سواحل ضلعه الشرقى بلاد فارس
ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند و رابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال لضلعه الشرقى بلاد فارس ثم هرموز
ثم مكران متصل بالمحيط الشرقى و ضلعه الغربى خمسمائة فرسخ تقريبا و على سواحل هذا الضلع و لايات الفناء و الصين و لهذا يسمى بحر
الصين و من زاويته الغربية الى زاويته من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض و لاياتهم على سواحله و ايضا قد دخل الى العمارة من جانب
الغرب خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب و يحاذى ارض السودان و ينتهى الى بلاد مصر و الشام و من جانب الشمال
على بلاد اندلس و الجلالقة و الصقالبة الى بلاد الروم و الشام و يتشعب منه شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلمى بلغار
يسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ و عرضه ثلثة و ثلثون و اذا جاوز تلك النواحى امتد نحو المشرق عما وراء جبال غير مسلوكة
و ارض غير مسكونة و يتشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هى البحار المتصلة بالمحيط و اما غير المتصلة فاعظمها
بحر طبرستان و جيلان و باب الابواب و الخزر و آبسكون لكون هذه الولايات على سواحل مستطيل الشكل اخذ من المشرق الى المغرب
باكثر من مائتين و خمسين فرسخا و من الجنوب الى الشمال بقريب من مائتين و من عجائب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام و الانواع و الاصناف
و منها الجزاير الواقعة فيها فقد يقال فى بحر الهند من الجزاير العامرة و غير العامرة الف و ثلثمائة و سبعون منها جزيرة عظيمة فى
اقصى البحر مقابل ارض الهند فى ناحية المشرق و عند بلاد الصين يسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة الف ميل فيها جبال عظيمة
و انهار كثيرة و منها يخرج الياقوت الاحمر و حول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة فيها مداين و قرى كثيرة و من جزاير هذا البحر
جزيرة كله التى يجلب منها الرصاص القلعى و جزيرة سريرة التى يجلب منها الكافور و غرايب البحر كثيرة و هذا قيل حدث عن البحر و لا حرج و سئل
بعض العقلاء ما رايت من عجايب البحر فقال سلامتى منه و السفينة مما الهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بقدرته على وجه الماء فلولا رقة
الماء و خفة مادة السفينة ثم عجب صنعها لما تم جريها و لولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها و لولا اعتدال الريح لما سلمت من
تلاطم الامواج و لولا تقوية قلوب راكبها لما صبروا على شدايد ركوبها و لولا انه تعالى خص كل طرف بشئ لم ينبعث الدواعى
الى تحمل الاخطار فى هذه الاسفار و حمل الامتعة الى الامصار فى البرارى و البحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح و ينتفع المحمول
اليه من حيث انه يحل مما اعوزه و فى الاية دليل على اباحة ركوب السفينة و اباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة و ما انزل الله
من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء فقد مر تحقيق ذلك فى تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء
السحاب و الفلك من جانب السماء و اما تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة النحصية او الصنفية يعنى ماء هو سبب حيوة الارض لا المطر الذى
قد لا ينبت شيأ كما جاء فى الحديث ليس السنة بان لا يمطر و انما السنة التى تمطر و لا تنبت و لا ريب ان فى انزال ذلك الماء دلالات على
الصانع و وحدانيته حيث يجعله فى غاية الصفاء و اللطافة و العذوبة و يصيره سببا للارزاق و انزاله بعد قنوط الناس و شدة احتياجهم اليه
و الوذع فى نزوله حيوة الارض سنها و نضارتها و بهاءها و بهجتها و خضرتها بخروج اصناف النبات و ضروب الاعشاب و الوان
الازهار و انواع الاشجار و الاثمار و جريان الجداول فيها و الانهار بحيث يروق الناظرين و يشوق السامعين فوق الربيع فى الاوان

كثير الصبى فى الاسنان و موتها الارض من باب الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها و نضرتها و خضرتها بالحيوة عبر عن جمودها و كمودتها
و بقاءها على الهيئة الاصلية بالموت كانها جسد لا روح فيه فلا روح ولا علة به السادسة و بث فيها من كل دابة و انه معطوف على
انزل فيدخل تحت حكم الصلة و يصح عود الضمير فيها الى الارض لان قوله فاحيى عطف على انزل فاتصل به و صار اجميعا كالشئ الواحد
فكانه قيل و ما انزل من السماء من ماء و بث فيها من كل دابة و يجوز عطفه على احيى اى فاحيى بالمطر الارض و بث فيها من كل دابة لان معاش
الحيوان بالحيوة يدور على الماء و جعلنا من الماء كل شئ حى و اعلم ان الحيوان اما متوالد او متولد و كلا الصنفين يحتاج الى الصانع فرد حكيم
يحكى ان شخصا فى الحضرة عمر انى اتعجب من امر الشطرنج رقعته صغيرة و لو احب الانسان الفمرة لم تنفق مرتان فقال عمر ههنا
ما هو اعجب منه و هو ان مقدار الوجه شبر فى شبر ثم ان مواضع الاعضاء التى فيها من الحاجبين و العينين و الانف و الفم لا يتغير البتة
و مع ذلك لا ترى شخصين ابدا تشتبهان فى الصورة فما اعظم تلك القدرة و الحكمة التى اظهرت فى هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات
التى لا حد لها و لو لا هذا الاختلاف لاشتبه الناس بعضهم ببعض و انقطع نظم معايشهم و حوائجهم و من تامل كتب التشريح و قرا كتاب الحيوان
و تتبع عجايب المخلوقات وقف من تراكيبها و خواصها على ما يقضى منه العجب و يفضى به الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف
الله تعالى الرياح مع رقتها و لطافتها فان فى ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان بتنشق الهواء البارد و لجريان السفن بهبوب الرياح و من قبل تلقيح الاشجار
و سوق السحاب الى حيث يشاء الله تعالى و من جهة تصحيح الاهوية الوبائية الى غير ذلك من المنافع و المراد بتصريفها تقليبها فى جهات العالم على حسب
المصالح شمالا و جنوبا و شرقا و غربا اى صبا و دبورا و على كيفيات مختلفة حارة و باردة و عاصفة و رخاء و من قرا الريح بالوحدة فليس فيها دلالة
على العذاب فى هذا المقام و الذى جاء فى الحديث انه صلى الله عليه و سلم كان اذا هبت الريح قال اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا فلا
يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى كما قال تعالى و من آياته ان يرسل الرياح مبشرات و قال و فى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم و قد
يخص اللفظة فى القرآن بشئ فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء فى التنزيل من قوله و ما يدريك مبهم غير معين قال و ما يدريك لعل الساعة
قريب و ما كان من لفظ ادريك فانه مفسر و ما ادريك ما القارعة و ما ادريك ما هيه الثامنة السحاب المسخر بين السماء و الارض سمى سحابا لانسحابه
فى الهواء و معنى التسخير التذليل و ذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضى النزول فكان بقاؤه فى جو الهواء على خلاف طبعه بقاسر و مسخر و ايضا لو دام العظم
ضرة لاستلزام الجدب و الا لكان تقديره بالمقدار المعلوم و الاتيان به فى وقت الحاجة و دفعه عند زوالها بمدبر و مسخر لا محالة و فى نفس السحاب
من عظمه و تراكمه و ارتفاعه و انخفاضه و انبساطه و تخلله و سرعة الاتوى فى لحظة و انقشاعه فى اخرى و اشتماله على الرعد و البرق و الثلج و البلج الى غير ذلك من
العجايب دلالات واضحة على كمال حكمة موجده و مقدره و اما قوله تعالى لايات فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اى مجموع هذه الاشياء الثمانية آيات و يحتمل
ان يكون راجعا الى الكل واحد فان كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا و ايضا فكل واحد منها من حيث انها موجودة تدل على وجود
موجدها و كونه قادرا و من حيث انها وقعت على وجه الاحكام و الاتقان تدل على علم الصانع و من حيث حدوثها و اختصاصها بوقت دون وقت
تدل على انه مدبر و اختيار و من حيث انها وقعت على الاتساق و الانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا و اما
قوله تعالى لقوم يعقلون فانما خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر و فيه الاستدلال و فى الاية من الفوايد ان التقليد مذموم فيما الى
تحقيقه سبيل و فيها ان جميع المعارف ليست ضرورية و الا لم يحتج الى النظر فى شئ منها و انما خص الآيات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام و الاعراض
مستوية فى الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل و بين كونها نعما على المكلفين و متى كانت الدلائل كذلك
كانت انجع فى القلوب و اشد تاثيرا فى الخواطر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها و لم يعتبر بها و الله اعلم

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ

و از مردمانست کسی که میگیرد خدایانی از غیر خدای امثال اکر دوست میدارند ایشان را چون دوست داشتن
و آنانکه ایمان آوردند زیادتر دوستی مر خدا را و اگر ببینند آنانکه ستم کردند بر خود چون ببینند
عذاب را که توانائی و قدرت و علم مر خدا راست همه و بدرستی که خدای سخت عذابست
چون بیزار شوند آنانکه متبوع اند از آنانکه تابع اند و حال آنکه دیده باشند عذاب را

وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة

فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله

اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

کارهاء ایشان پشیمانیها برایشان و نه اند ایشان بیرون آیندگان از آتش

القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف فيهما يزيد وسهل ويعقوب اذ تبرا بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم وابو عمرو وسهل وقرا حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة عباس وقتيبة لحوان من النار

الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا ه الاس قرا ان وان بالكسر فيهما شديد العذاب ه الاسباب ه تبرءوا منا ط عليهم ط من النار

التفسير انه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبهما بتقبيح ما يضاده فبضدها تتبين الاشياء والند المثل المنادي كما سلف والمراد بالانداد ههنا هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى وندن والها النذور وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعني الناس الذين كانوا يتبطونهم ويتركون على اوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدي واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء وبانه من المستبعد ان يكون محبتهم لله تعالى مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع وبقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ودليل لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا واشبالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى ويمكن ان يجاب عن الحجج ان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وايضا علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا ذلك ما اشركوا وايضا التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم قال اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى افرايت من اتخذ الهه هويه يحبونهم يحبون عبادتهم او التقرب اليهم او الانقياد لهم ويعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه بهم المؤمنون لانه غير ملبس وقيل كالحب اللازم عليهم لله وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقد يعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس وهو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال الشاعر شعر

اكلت حنيفة ربها من التحم والمجاعة ۞ لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

واعلم ان اطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القرآن والحديث كما في هذه الآية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال له ماذا اعددت لها فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال عليه الصلوة والسلم المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع من انواع الارادة والارادة لا تعلق لها الا بالجائزات فيستحيل تعلق المحبة بذات الله وصفاته فمعنى قولنا نحب الله نحب طاعة الله وخدمته او نحب ثوابه واحسانه واما العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شيء محبوبا لاجل شيء آخر لدار او تسلسل واذا كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته وغلبته والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة اليه كلا نقص والكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم ويجب الفرق في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن ويشغله عن الالتفات بغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه ينطق وبه يمشي ويتكلم بلسان الحال ليس في جبتي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وحب الله عبده اولياءه ومقربيه ومناواة اعدائه ومخالفيه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لعن تعدى الف عين وتتقي وتكرم الف الحبيب المكرم ولو يرى قرئ بالياء والتاء وان وان بالفتح والكسر فههنا اربعة تقديرات الاول لو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذا عاينوا العذاب يوم القيامة ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون

انداد(هم) وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم وحذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب ويقدر من الفظاعة ما لا يكتنه كنهه كقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه خلاف ما وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد او يا من يتاتى منه الرؤية هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم وقت معاينتهم العذاب معاينتهم ان القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان وان مع معموليهما بدل من العذاب قال الفراء والوجه فيه تكرير الرؤية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بتاء الغيبة وكسر ان وان ومعناه كالاول والجملتان معترضتان والمعنى لقيل ان القوة لله الرابع على هذا القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع ان حقهما الدخول على الماضي لنظم المستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف في اخباره وقيل لان الساعة قريب وكانها قد وقعت وكذا الكلام في اذ تبرا وانه بدل من اذ يرون وقيل هو معمول شديد والمراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان لا تبرا اما بالقول وهو الاقرب واما بظهور العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عذابا شيئا فكيف عن غيرهم وذاقوا العذاب الواو للحال اي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا بهم اي عنهم فان تقطع في معنى زال او وقع بقطع الاسباب المتلبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او الباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع ومصالحهم انقلبت عليهم والسبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتواصل به فالواو لا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به والمراد ههنا الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن ولذلك اجيب بالفاء كان قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى حال التكليف والمتبوعون مفتقرون الى اتباعنا ونصرنا حتى نتبرا منهم بعدم النصرة والاعانة كما فعلوا هم اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات هو ثالث مفعول اري ومثل ذلك التبري يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك التبري نوع اراءة والمراد بالاعمال قبل الطاعات لانهم لم يقوموا بها وضيعوها عن السدي وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع وابن زيد وقيل ثواب طاعاتهم التي نووها فاحبطوها بالكفر عن الاصم وقيل اعمالهم التي تقربوا بها الى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة الندم على ما فات حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدل على الكشف ومنه انحسر الطائر انكشف بذهاب ريشه والحاصل انهم لا يرون يكن اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا يوم يدع المسرور ركبتا الدنيا دار تجارة فالويل لمن تزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوي الحكم وافادة التاكيد كقوله تعالى وهم يخلقون وانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم

يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا

تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما

يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا

تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل

نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون

شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي

ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو غير عباس ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابو ربيعة عن البزي والقواس والحلواني وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل نحن بل نحن بل تعلمون مدغما حيث كان علي وهشام الوقوف طيبا ز والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مبين ه ما لا تعلمون ه اباءنا ط لابتداء الاستفهام ولا يهتدون ه ونداء ط لحق المحذوف اي هم صم لا يعقلون ه التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وفي مسوغ للنفر بر طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا او حلالا لا مفعول كلوا او حال مما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل وحل عقد الرحال وحد الدين وجب لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف بالخبث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ او يراد بالحلال ما يكون بجنسه حلالا وبالطيب ما لا يتعلق به حق الغير والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف والفعلة بالفتح والسكون اذا كانت اسما تجمع في التصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء يتناول جميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء وهي التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد يخص الاول بما لم يجب فيه الحد والثاني بما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لان وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكبائر وهذه الآية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغائر والكبائر والكفر والجهل كلها من مامورات الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الا بدليل تماوي في الحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير الظاهر او غرضه ان يجره الى الشر آخرا مثل ان يجره من الافضل الى الفاضل ليتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ازدياد المشقة سببا لنفرته عن الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم بل يقينا ولو قلد الحق لان وان كان مقلدا للحق لكنه قال بما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه قنع بالظن والتخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته بالامر زجرا الى الحكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه واذا كان الامر المطاع مرجوما ملعونا فكيف حال المامور المطيع فهذا معتبر البصراء ومزدجر العقلاء اعاذنا الله بحوله وامننا من مكر الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات الى الغيبة للنداء على ضلالهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالآية مستانفة وانما خص هذا الموضع بقوله الفينا لان الفيت يتعدى الى مفعولين لغة وكان نصا في ذلك فورد في الموضع الاول تحريا للاصل وافصح في الباقي ولفظ وجد اشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء بما ورد في الاول مع تعيينه العبارة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما اعقلهم وانصفهم فلا جرم اجاب الله تعالى بقوله اولو كان الواو للعطف لا للحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجيب ومحل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط والمعنى ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون الى الصواب يتبعونهم ايضا ونقرر الجواب بان يقال للمقلد عرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان عرفت فاما بتقليد آخر ويلزم التسلسل او بالعقل فذلك خارج في معرفة الحق والتقليد ضائع وايضا علم المقلد ان خصل بالتقليد تسلسل وان حصل بالدليل فانما يتبعه المقلد اذا علم بذلك الدليل ايضا والا كان محالا له فظهر ان قبول قول الغير من غير دليل وبال وضلال ومثل الذين كفروا فيه للعلماء طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما في المشبه اي مثل من يدعو الذين كفروا الى الحق كمثل الذي ينعق يقال نعق الداعي بالضان اذا صاح بها واما نعق الغراب فبالعين المعجمة شبه الداعي الى الحق براعي الغنم والكفرة بالغنم ووجه الشبه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهؤلاء الكفار يسمعون صوت الرسول والفاظه وما كانوا ينتفعون بها فكانهم لا يفهمون معانيها واما باضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والرابع الثاني التصحيح بغير اضمار اي مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا ومثلهم في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد يسمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا الاوثان لا يسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل الراعي اذا تكلم مع البهائم فكما ان الكلام

مع البهائم دليل على ضعف العقل فكذلك عبادتهم لها او مثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذي يتكلم مع البهائم فكما ان ذلك عبث ضائع فكذا تقليدهم واتباعهم صم عن استماع الحق والانتفاع به بكم عن اجابة الداعي الى سبيل الخير عمي عن النظر في الدلائل فهم لا يعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلك ان طريق الاكتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فائدة الحواس فكانهم عدموها خلقة قال شابور بن اردشير العقل نوعان مطبوع ومسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والآخر بمنزلة الشمس ولا يكمل الابصار الا باجتماعهما وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء دعامة وعمل المرء عقله فبقدر عقله يكون عبادته لربه اما سمعتم قول الله عز وجل حكاية عن الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى التاويل الذين كفروا لم يستمعوا اذ خاطبهم الحق بقوله الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الاخير من الارواح المجندة في اربعة صفوف الاول للانبياء والاولياء والثاني للمومنين والرابع للكافرين فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد بلى فيقولون على التقليد بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا

يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

القراءة الميتة بتشديد الياء يزيد الباقون بالسكون فمن اضطر بكسر النون وضم الطاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم فمن اضطر بضم النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمتهما الوقوف تعبدون ه لغير الله ج للشرط مع فاء التعقيب عليه ط رحيم ه قليلا ه لان ما بعده خبران بركيهم ج والوصل اولى لاتصال بعض جزائهم ببعض اليم ه بالمغفرة ج للابتداء بالتعجب والاستفهام والوصل للمبالغة في الانكار على النار ه بالحق ط للابتداء بان بعيد ه ربع الجزء التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب وذيل كلا من ذلك بما يناسبه ومن ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الحكم الاول اباحة الاكل للمومنين بعد ما عمم للناس كلهم وهذا بالنظر الى الاصل وقد يصير واجبا لعارض كما لو اشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كموافقة الضيف واستدل بقوله من طيبات ما رزقناكم على ان الرزق قد

يكون حراما فان الطيب هو الحلال ولو كان الرزق حلالا لا يتم لم يبق في ذكر الطيب فايدة او نصل المعنى كلوا من حلالات ما احللنا لكم واجيب بالمنع من ان يعني
الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعل اقواما ظنوا ان التوسع في الاكل الحلال والاستكثار من الملاذ ممنوع منه فرفع الحرج
واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان الشكر راس العبادة والتركيب
يدل على الكشف والاظهار ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فشكر النعم وحصرها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان يستعين بالنعم على الطاعات
دون المعصية وقال بعضهم شعر اوليتني نعما ابوح بشكرها ٥ وكفيتني كل الامور باسرها ٥ فلاشكرنك ما حييت فان امت ٥
فلتشكرنك اعظمي في قبرها ٥ عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق و
يشكر غيري ولما اجمل في الاية ما يباح اكله ذيل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على اصل الاباحة فقيل انما حرم عليكم الميتة وهي ما مات
حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل
على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه
الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل
المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله
عليه وسلم في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم يكن على صورة السمك المشهور ولا
فرق ايضا بين ما يوكل نظيره في البر كالبقر والشاة وبين ما لا يوكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف
ان السمك والجراد خرج بنفسه لان الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله
تعالى وتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه وكالجنين الذي يوجد
ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد وهو المروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم
ذكاة الجنين ذكاة امه وقال ابو حنيفة لا يوكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكاة الجنين كذكاة امه ورد بان الاضمار
خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر حينئذ فايدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل
عن الجنين يخرج ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكاته ذكاة امه وكشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض
الامتنان ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم
كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر والصوف لا حس فيه لان حكم الحس الادراك والشعور ومن ثمه ذهب مالك الى تحريم العظام
دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت ولان
الحيوة عند ابي حنيفة عبارة عن كونه بحيث يتعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس
فيه الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان
الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن والفساد ثم مالك يطهر ظاهرها كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة يطهر كلها الا جلد الخنزير
والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يوكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر
شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن عكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بشهر الا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب
واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اطعم البازي من عند نفسه على اكل الميتة
وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال نجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة قتال مع تعذر غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين
ولا يجل تجليل الكلب وان لم يكن ضرورة وكذا استعمال جلد الميتة قبل الدباغ لتجليل الدابة والكلب وكذا استعمال نجس العين كودك الميتة والخنزير
والدهن للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة من الضرورة وقد نقل الاباحة عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل
عليه السلم عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا ولا تاكلوا والدخان وان كان نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في
الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان لم يفسد الماء قال والاكثر لان رطوبة هذه
الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة الاصحاب عدوا دود الطعام
من جملة ما ليس له نفس سائلة وقالوا لا ينجس الطعام الذي يتولد منه بموته فيه بلا خلاف فان وقع في ماء او في مايع اخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوهما ان حكم بطهارة ميتتها فهي محرمة لانها مستخبثة وميتة مشمولة بعموم الاية الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء وجهان

والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يتسامح به وسال عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طاير وقع في قدر مطبوخ فمات
فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يوكل بعدما يغسل ويراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شريطة
ان كان وقع فيها في حال سكونها فاما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يوكل اللحم ولا المرق فقال ابن المبارك ولم ذلك فقال لانه اذا سقط
فيها في حال غليها فمات فقد دخلت الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يوكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي
لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكما لو ذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها طاهر عند ابي حنيفة دون الشافعي و
مالك لان الاية تتناولهما ولهما ان اللبن لا يوصف بانه ميت بل نجسهما بمجاورة الميتة وبيض ماكول اللحم اذا مات ووجد ذلك في جوفه
فان كان متصلبا فطاهر بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا او غير مسفوح لاطلاق الاية الا الكبد والطحال
فخبر عند من يقول يتناول الاية اياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت الامة
على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه
وتنجيسه واختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز احتج ابو حنيفة بانا نرى المسلمين يقرون الاساكفة
على استعماله من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم
اللات والعزى واهل المعتمر اذا رفع صوته بالتلبية قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا و
ذبيحته ذبيحة مرتد ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبايح اهل الكتاب اذا سمى عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم ولان النصراني اذا سمى الله تعالى فانما يريد به المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب
وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ
يقتضي الحل ولا عبرة بما لو ارادوا المسيح وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم
فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ظاهر الاية يقتضي ان لا يكون سوى هذه الاشياء محرما لكنا نعلم ان في الشرع
اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر افتعل من الضرر وهو الضيق اي الجئ فيستثنى من التحريم حالة الضرورة
ولها سببان احدهما الجوع الشديد وان لا يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكرهه على تناوله
مكره فيحل له تناول ما اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر فاكل فلا اثم
عليه وانما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف بغى الجرح
ودم ترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي والعدو والظلم ومجاوزة الحد وللايمة في الاية قولان احدهما
واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدو بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجدها حلالا لا يكرهه النفس فعدل الى اكل الحرام للذة ولا عاد اي
متجاوز قدر الرخصة او غير باغ اي طالب للذة ولا عاد متجاوز سد الجوع عن الحسن وقتادة والربيع غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه و
لا عاد في سد الجوعة والثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية كقطع الطريق ويتفرع على الاختلاف
ان العاصي بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان
ويؤيده الاية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار
باقيا في الحالين والحال كذلك لانه حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان نفور بطبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى نهيه
عن التعدي في الاكل وايضا انه نفي ماهية البغي والعدو وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق حينئذ نفي العدو وان في السفر
كما هو مقصودنا واما تخصيص النفي بالاكل كما ذهبتم اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم
الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع عن
الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل او فيل او حية وايضا الضرورة تبيح تناول طعام
الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه الوصول الى استباحة
هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر واذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية
والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا بقدر ما يحتاج اليه اذا خاف ان
يهلك ولا يتناول الى الشبع قال عبد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان غني
عنها طرحها والاول اقرب لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة

وكما ان الجوع في الابتداء لا يبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش دون اساغة اللقمة وفي التداوي بها وجهان وباقي المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول وحدوث مرض مخوف في جنسه كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه طول مرض وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله فلا اثم عليه رفع الحرج والضيق كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود المعارض فلما كان تناوله تناولا لما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة رحيم حيث ابيح تناول قدر الحاجة او انه لما بين هذه الاحكام والمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم بهم حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث فيهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظر السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي فلا يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة الفعل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء و الثمن القليل في بطونهم حال اي ملء بطونهم اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وذلك انهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية فبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم يأكلون في الاخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلامه في الدنيا بل يقول اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو ديدن الملوك من الاعراض عند السخط والاقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالثناء عليهم او بقبول اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتماديهم في الخسارة فان احسن الاشياء في الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم في خسران الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح الامور وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن وهذا التعجب منهم في حال التكليف واشترائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انهم اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في اصبرهم للاستفهام لمعنى التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حقه تعالى ذلك الوعيد الشديد او ذلك الكتمان وسوء معاملتهم انما هو بسبب ان الله نزل الكتاب يعني جنس الكتب السماوية او القرآن بالحق بالصدق او ببيان الحق وقيل لانه في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب جنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق او الذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير او الذين اختلفوا في التوراة والانجيل فقد حرف كل منهما في الاخر او ذكر كل منهما للايات الدالة على نبوة محمد تاويلا اخر فاسدا او حرفوا كلامهما على وجه اخر لاجل عداوتهم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة شديدة فلا ينبغي ان يلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم موالفة وموافقة وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب اي توارثوه مثل ان في اختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب يشبه ان تكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تعقيب هذا الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل والبانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الاية تعريضا بصنيعهم وتصريحا بجرائتهم و اجرائهم والله اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير هو مادة الشره والحرص وما اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة والله تعالى اعلم واحكم

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر

نیست نیکویی تمام آنکه مقابل گردانید روهای شما را در برابر جای برآمدن و فرو شدن آفتاب ولیکن نیکویی

من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين

آنکس است که گروید بخدای و بروز قیامت و بفرشتگان و جنس کتاب آسمانی و پیغمبران

وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن

و داد و بخشید مال را با وجود دوستی آن خداوندان خویشی را و بی پدران نابالغ را و درویشان را و

السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة

مسافران بی زاد را و خواهندگان را باستحقاق و در معاونت مکاتبان و برپا داشت نماز را و داد زکوة را

والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء

و آنان که وفا کنند بعهد خود چون عهد کنند و خاصه صبر کنندگان در سختی و بیماری

وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

و هنگام جهاد آن گروه آنانند که صادق شدند و ایشان ایشانند پرهیزکاران

القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص والخزاز عنه الباقون بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج المعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون ه التفسير هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجب له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولا يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها تشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى بان يكون اسما ولكن البر من آمن على تقدير حذف المضاف اي بر من آمن وقيل التقدير هكذا ولكن ذا البر من آمن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال القفال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل وثانيها الايمان باليوم الاخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات وثالثها الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الاخر واما معرفة مصالح الوسط فلا تتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي يأتي به الملك فيثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به داخل في الاية الثاني ايتاء المال على حبه اي على حب المال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة خير قال ان تصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعدما يشبع وايضا عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه وايضا الاعطاء حال الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت وايضا الهبة عند الموت تشبه الهبة عند الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب الاعطاء رغبة

في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب رضاه ثم ذكر سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة اولهم اولو
القربى وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما
قدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة ولذا كان استحقاقهم بالدية
الوراثة وبحرمتهم على المالك في الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الايتاء
وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيل من كل الوجوه ورابعهم الاصناف ابن السبيل
للمسافر المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للطير ابن الماء والشجاع اخو الحرب والناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان
السبيل يرعف وخامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق
وان جاء على فرس وسادسهم المكاتبون واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب
واعتاقها وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان
الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للمملوك رقبة كانه يراقب العذاب ولا يقال له عنق الثالث والرابع قوله واقام الصلوة واتى الزكوة
وقد سلف مباحثهما ثم ان الآية حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم قفاه بايتاء الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه
غلب على ظنونهم ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه
ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم تكن الزكوة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء
جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان الزكوة نسخت كل حق كان ثابتا فالحقوق المقدرة بدليل انه لم يلزم التصدق عند
الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من آمن
والمراد بالعهد ما اخذ الله من العهود على عباده بقبولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حين
آمنوا بالانبياء والكتب ويندرج فيه ما التزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان وبينه وبين
رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا بالحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة
لائم او بينه وبين الناس واجبا كعقود المعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا
وفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في
الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح او الذم فالاحسن ان تخالف باعرابها
ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود
اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر
المصنفون في فائدة اختلاف الحركة المدح او الذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد وقال ذكرت
والله الظريف وذكرت العاقل وهو والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي زيد
الظريف والعاقل والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر ولا فعل لهما لانهما اسمان مبنيان وحين البأس القتال
في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك الذين صدقوا في ايمانهم وجدهم في الدين واولئك هم المتقون نظيرها من الجملتين في القطع للاستئناف
قوله على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين
لهم قدم صدق في الاسلام وهم المتقون بسمة التقوى وكل منهما منطو على جميع الخيرات ومنضم لكل المامورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك
الصفات وذكر الواحدي هاهنا ان الواوات في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة
منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند اجتماع
هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص الانبياء والحق انه ليس يستبعد ان يوجد لاحد من امته موصوفا بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في النبي ولا سيما
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان اهل الكتاب اخلوا بجميع اوصاف البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى التجسيم والنصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبرئيل عدونا وكفروا بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب و
تكفرون ببعض وقتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واتسموا بسمة الشح حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ونقضوا العهود وكلما عاهدوا
عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في اللأواء لن نصبر على طعام واحد ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون والعجب كل العجب

منهم حيث ادعوا البر ولا شيء واحد من اجزاء البر فيهم وهذه غاية القحة ونهاية العناد والله بصير بالعباد التأويل ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر الحقيقي هو ما يرى معكم بتولية وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لن تنالوا
البر لان الله نور بري في يحبكم ويحبونه والملائكة يحبونكم من يحبكم ومن يحبكم ليس يحبكم كبركم معنى بل هو بر قديم في الكتاب القديم وبنور هذه المحبة
يحبون اهل محبتهم هم النبيون فالجنسية علة الضم وآتى المال على حبه اي ما حصل للعبد من المراتب وما مال اليه من عواطف الحق
على حب حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي القربى هم الروح والقلب والسر ذوو قرابة
الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات الحق والمساكين هم الاعضاء
والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات
والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين فحينئذ اقام صلوة المحاضرة مع الله
بالله واتى زكوة مواهب الحق الى اهل استحقاقها من الخلق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد والعبودية الخالصة
يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة الحقوق والضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات
تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله اعلم بالصواب

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر

ای آنکسانی که ایمان آوردید واجب کرده شد بر شما مکافات در حق کشتگان آزاد

بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه

بدل آزاد و بنده بعوض بنده و مادینه بجای مادینه پس هر که بخشیده شود مر او را از جهت برادر او که ولی مقتول است

شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف

چیزی پس باید که ولی در طلب دیه رفق نماید و قاتل دیه را ادا کند بسوی او بی نقصان و مماطله آنچه گفتیم از حکم عفو و دیه آسان گردانیدنست

من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب

از پروردگار شما و بخشایشی پس هر که از حد تجاوز کند بعد از آنچه گفتیم از شرع قصاص پس مر او راست عذاب

اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب

دردناک و شما راست در مساوات در باب قتل زندگانی تمام ای خداوندان خرد نمودیم بشما این احکام را

لعلكم تتقون

الوقوف في القتلى ط بالانثى ط لان العفو اعطاء الدية صلحا فكان خارجا عن اصل
تا مگر شما پرهیزکاری نمایید در عمل و حکم بر آن
موجب القتل مستانفا باحسان ط ورحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه
فكان مستانفا اليم ه تتقون ه التفسير هذا حكم آخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو
فقط واما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع
القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف الحسيب لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف
جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك كما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول
فقالوا ما ذا تريد قال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملئون داري من نجوم السماء او تدفعون الي جملة قومكم حتى اقتلهم
لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص
قيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس
حج البيت والقصاص ان يفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك اقتص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكي والمقص
لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الآية يدل على وجوب القصاص
على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في
صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده او المسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطأ الا ان العام الذي دخله التخصيص
يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي
الدم وهو مخير بين الفعل والترك بل هو مندوب الى الترك والعافين عن الناس واما على اجنبي وليس ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة

عن التسوية وجوب رعاية المساواة على تقدير القتل لا يوجب نفس القتل فتنازع الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على امام او من يجري
مجرى الامام لانه متى حصل شرائط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاؤه
ويحتمل ان يكون خطابا مع القاتل لانه كتب عليه تسليم النفس عند مطالبة الولي بالقصاص وذلك ان القاتل ليس له ان يمتنع ههنا وليس له ان
يكره بل الزاني والسارق الهرب من الحد ودوهما ايضا ان يستترا بستر الله فلا يعترفا فكان امر القتل اشنع وفيه حق الادمي اكثر وعن الثاني ظاهر الاية
يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة القتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات والاية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في
كيفية المسألة التي تجب رعايتها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المدة والا ضرب رقبته وكذلك
ان احرق الاول بالنار احرق الثاني فان مات في تلك المدة والا ضرب رقبته وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه و
رضخ يهودي راس جارية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يفعل به مثله ولانه يجوز ان يفاد الكتب التسوية في القتل الا في كيفية القتل وحيث لم
يستثن دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتله بالسحر لانه يحرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل
بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الا انه الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيء
الا وهما متساويان فيه بعض الامور كلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة تساوي النفس وتعين السيف لقوله صلى
الله عليه وسلم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة من الله
تعالى فعند اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة الدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله
اجاب اصحابنا بانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد
القتل والواقية منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد وان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول
من حيث التشفي ومنفعة لسائر المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل
نحو بعت هذا بذلك اي الحر مقتول بدل الحر ثم فيه قولان الاول وهو يروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون
القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين لان الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد
مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا لا بحر وهو يناقض الاية ولان هذا القول خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب
القصاص على الحر بقتل العبد اهمال للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك وقالا لما قتل العبد بالعبد فلان يقتل بالحر
هو فوقه اولى وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان الذكورة والانوثة فضيلتان
كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى وقد يروى عن عمرو بن حزم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني وهو يروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة
ان قوله الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي
قصاص الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك لتناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله
الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله
عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان الفضائل غير معتبرة في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات
بالذكر ما ذكر في سبب النزول انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فمنعوا عن ذلك وايضا نقل عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
والحسن البصري ان هذه الصور التي يكفي فيها القصاص انما في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى
فهناك لا يكفي القصاص بل لا بد من التراجع فايما حر قتل عبدا فهو قود فان شاء موالي العبد ان يقتلوا فليقتلوا بشرط ان يسقطوا قيمة العبد
من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقية ديته وان قتل عبد حرا فهو به قود فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر
وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاءوا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء
المرأة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف ديته الى اوليائه وان شاءوا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا قتلت امرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء
الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية الى اوليائه وان شاءوا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية الاكتفاء بالقصاص مشروع بين
الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فلا اكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء من العفو كقولك
سير بعض السير ولا يبعد ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما في
قوله فمن عفي له فالجواب انه يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب

والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية و
انما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب
الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى
تعلق او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق
مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان القتل العمد العدوان من اجل
من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى
سماه مؤمنا بهذا التأويل او بان القاتل قد يتوب وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل غيره ايضا فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية
نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول
اخا له وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخاه في النسب كقوله والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر او فحكمه اتباع
او فعليه اتباع فحث على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان
واجدا لعين المال فان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا لغير المال الواجب فالامهال الى ان يستبدل وان لا يمنعه بسبب الاتباع عن
تقديم الاهم من الواجبات وعلى المعفو عنه اداء اليه باحسان بان لا يدعي الاعدام في حال الامكان ولا يؤخر مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب
عليه وان يؤدي ذلك المال على بشر وطلاقة وقول جميل من غير مطل وبخس وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هما على المعفو
عنه فانه يتبع عفو العافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو
الاظهر انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم يكن لليهود الا القصاص وللنصارى
الا العفو واثبات الخيرة فضل من الله ورحمة في حقنا لان ولي الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا الى مال وقد يكون القود اثر عنده
اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الآخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا فمن اعتدى بعد ذلك
التخفيف فجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل مع قتل القاتل او قود او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل
بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة
ولا يقبل منه الدية كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم
ولما كانت الاية مشتملة على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حياة قال المفسرون القصاص
ازالة الحياة وازالة الشيء لا يكون نفس ذلك الشيء فالمراد لكم في شرع القصاص حياة واي حياة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة
وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع
من الحياة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا اقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل ولم يقتل فكان القصاص سبب حياة
نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة
القلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حياة بلغ في الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا
المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع واكثروا القتل ليقل القتل واوجز ذلك قولهم القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للاية
من وجوه الاول ان قولهم لا يجري على العموم لان القتل ظلما ليس انفى للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خص فقيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال
والاية يفيد هذا المعنى من غير تقييد وتكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه
الحيثية معتبرة في الاية لا في كلامهم الثالث ان الحياة هو الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحياة فالتنصيص على المقصود
الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الاية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد عليها في
اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الاية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما
يخل بسلاسة التركيب والاية مع غاية وجازتها فيها السبب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء سببا
لانتفاء نفسه وهو محال وفي الاية جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحياة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن
المطابقة مرعية في الاية لمكان التضاد بين لفظي القصاص وحياة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحياة
بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي كشفه مثلا وانه لكما ليتغير بهم العاشر اشتمال الاية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة
اسماء واداة وان اعتبرنا اداة التعريف ففي الاية واحدة وفي كلامهم ثنتان وان اعتبر التنوين في الاية تفاضلت الادوات وبقي زيادة الاسماء

بجالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل بمن مقدرة كقولهم الفضل انفى القتل من كل شيء فاتقون يا اولي الالباب يا ذوي
العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو بمعنى صاحب واولات الاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعراب
اولو كاعراب جمع المذكر السالم وزادوا واوا في اولى فرقا بينها وبين الى الجارة اولوا عليه والالباب العقول ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه
العقلاء والذين يتفكرون في العواقب ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون بالاتلاف انفسهم لا بالاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون متعلق
محذوف اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به
وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحرج والاثم وقد بقي على الآية بحث وهو انه سئل اذا اخذ ان
المقتول ان لم يقتل فهو يموت لان المقدر من عمره ذلك القدر وكذا اذا تم انسان بقتل آخر فان تدع خوفا عن القصاص فان ذلك الآخر يموت بعد
ان لم يقتله ذلك الانسان لان كل وقت علم وقوع قتله علم وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا
بدون سببه سعد وجودا وعدما وشرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سبب الحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك
بان ذكر القصاص يدفع ... فقام به فقابلة شرع القصاص بسائر الاسباب والوسايط منكر فالمنكر منكر فائدتها وكلا الانكارين
عند العقلاء ملوم والله تعالى اعلم **التاويل** كما كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه
من قتله فانا ديته للحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى لمن كان متوجها اليه تعالى بالكلية كان
فيضه تعالى عليه بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال لمن كان مفتنا في دعوى محبته لم يكن
مستحقا لما يجعله من عقوله من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معرفة
من معارفه الواجب العبد اداء شكره الى الله باحسان نعمى عنده بعد ذلك الوفاء بملازمته والتحلي بالحياء فله عليه البر فان الكفران مرتعه وخيم
كي يشاهده التابع القاء رب الثقلين يا اولي الالباب الذين بذلوا اقصر الروح الانسانية عند شهود جلال الصمداني لعلكم تتقون شرك وجودكم

كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا

نوشته شد بر شما چون حاضر آید یکی از شما را وفات اگر بگذارد مال بسیار را

الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على

وصیت مر پدر و مادر را و خویشان نزدیکتر را بعدل از ثلث تجاوز نکنند و توانگر را بر درویش اختیار نکنند واجب شده بر

المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين

پرهیزگاران پس هر که تغییر کند وصیت را پس از آنکه شنیده باشد از او پس بدرستی بزه آن کار بر ایشان بود

يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا

که تغییر کنند بدرستی خدای شنوا داناست پس هر که بترسد یا داند از وصیت کننده میل از حق بطریق خطا

او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

یا گناه ... پس اصلاح کند میان اهل وصیت پس هیچ بزه نیست بر او بدرستی خدای آمرزگار است مهربان

بحكم الله حيث كان موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجملة الباقون بالتخفيف
من الايصاء **الوقف** جزءا لا ان قوله الوصية معمول كتب وانما لم يؤنث الفعل لتقدمه ولاعتراض ظرف وشرط بينهما او الوصية
بمعنى ان يوصي معمول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين لمن الوصية والوصل اولى للاحتياج الى الحذف بالمعروف ج
لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين ط وان كان بعدها آية التعقيبة لانه حكم آخر يبدلونه ط عليم ط لذلك عليه ط
التفسير هذا حكم آخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لان في ذلك
الوقت يكون عاجزا عن الايصاء فالاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم
المراد فرض عليكم الوصية بان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وترك ما ترك الظاهر ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن
بمعنى المال خيرا وانه لحب الخير لشديد من خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري
ان المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل او
كثر قال تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وكذا الوصية ولان كل ما ينتفع

بر فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الآية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال يفهم منه ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة
وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى فانه يراد تكثير النعمة وان كان واحد
لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور منقول الاسم عن الشيء لنقصه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد
لو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لان احدا لا يموت فاقدا اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا
في ان المسمى بالخير في الآية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء لمقدار
من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد
وهذا لا ينافي اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه دخل على مولى لهم في مرض الموت
وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت
كم مالك قال ثلثة الآف قالت كم عيالك قال اربعة قالت قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن
ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال
ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل
الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى كتب على رفع الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور
هو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى الجواب والاقربين قيل هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الوالد عن ابن
عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير واوصى
للغني لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن
ما يأتيه معروفا وحقا مصدر موكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين آثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان الائمة
القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم نسخها وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله
به من توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به
لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم ولا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية
عطية ممن حضره الموت فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين ولو قدرنا حصول المنافاة فهذه الآية توجب الوصية
للوالدين والاقربين ثم آية الميراث تخرج القريب الوارث ويبقى القريب الذي لا يكون وارثا داخلا في الآية وذلك ان من الوالدين من لا يرث
بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فآية الميراث
مخصصة لهذه الآية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الآية منسوخة قالوا نسخت بآية المواريث او بالاجماع او بقوله صلى
الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول فلحق بالمتواتر فيجوز
نسخ القرآن به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال انها منسوخة في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن البصري ومسروق
وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال طاوس ان
اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الآية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث
اما بآية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة فبقيت الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال صلى
الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة
عنده لكن الوصية لغير الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب وهؤلاء القائلون بان الآية ما صارت منسوخة في حق
القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين **الاول** نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن
البصري هم والاغنياء سواء **الثاني** عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه يجعل ثلثي الثلث
لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن طاوس ان الاقارب كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله من
غير الاوصياء او ما قاله الميت واوصى به عن وجهه ان كان موافقا للشرع بعد ما سمعه وتحققه فلا معنى للسماع لو لم يقع العلم والتبديل اما الوصي
بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل
المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي بين الله تعالى الوصية فيه فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للاجنبيين طلبا للفخر و
الشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين واوعدهم على تركها فانما اثمه ما اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين

يبدلونه فان اسد الا يواخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب ببكاء ابيه وان الانسان اذا امر الوارث بقضاء دينه فالميت
لا يعذب بتقصير الوارث وان الميت لا يعذب بنياحة غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدها ويعلمها على صفتها
فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل او وعد انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله
فمن خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا والخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية
فسئل انه انما يتحقق في امر منتظر مظنون والوصية وقعت وعملت واجيب بان المراد ان هذا المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهرت منه
امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التاويل وشاهد منه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص
المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات ذلك وقبل تحقق الوصية يأخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان
قوله من موص يدل على شاهد لا بيانه فكان الموصي يقول والحاضر الموصى والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب
او ان ازيد فلانا مع انه غير مستحق للزيادة او انقص فلانا مع انه مستحق الزيادة فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف او اثم لا قاطعا
وايضا من الجائز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حيوته فمن اين يحصل الثقة بما فعل وقد يعدل عن الحق في آخر الامر
وتقدير ان يستقر الوصية ومات الموصي على ذلك ثم بعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما نسب الى الموصي وقد يغري حينئذ
الى الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح بينهم بردهم على الاوفق الاروح والتفسير الثاني ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل الخوف والخشية مقام
العلم لان الخوف منشاؤه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الآخر استعمالا شايعا من ذلك
قولهم خفت ان يرسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الآية ان الميت اذا اخطأ في وصيته او جار فيها متعمدا
فلا حرج على من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الآية دليل على جواز الاصلاح بين
المتنازعين اذا خاف المصلح افضاء المنازعة الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حتى لا ينافي الوجوب وفيه مع ذلك
نكتة هي ان الاصلاح بين القوم يحتاج الى الاكثار من القول وذلك قد يفضي الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغي فبين انه تعالى لا يأخذ على
المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان
اوصل رحمتي اليك ايها المصلح مع تحمل اعباء الاصلاح اولى او المراد ان الموصي الذي اقدم على الجنف او الاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر
له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في قوله فلا اثم عليه الى الموصي واعلم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية
منسوخ بآية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الآن جائزة في الثلث لما روي انه صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي
صلى الله عليه وسلم اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افاوصي بثلثي مالي قال لا قال فالشطر قال لا قال فالثلث قال الثلث والثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان
تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت الورثة فقراء والوصية اوسع مجالا
من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم منهم المحارم ثم يتقدم بالرضاع
ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من ساير الورثة كالزائد على الثلث
للاجنبي فانه ايضا يحتاج الى اجازة الورثة الله حسبي **التاويل** كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال و
الاغنياء يوصون في اخراج اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون في مبادي احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات
نفسه عن الصفات الحيوانية فعليها ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من ازدواجهما و
الاقربين وهم القلب والسر ان كل شرب يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى
الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لرفع العادات وترك الشهوات
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب شربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا وكل له سول ودين ومذهب في مسلكم
سولي وديني هواكم وانتم من الدنيا مرادي وتمني مناي مناكم واختياري رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي ولهذا لم يقل على المسلمين والمؤمنين
لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى الصدر واحكام الظواهر يحتمل النسخ و
احكام البواطن وهي الحكم والحقائق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله من غير من الروح والقلب والسر
الوصية الصادرة من نفسه الميتة فانما اثمه عليهم وسبب هذا التاكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم
الروحاني وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج عنها صعب جدا فمن خاف تعرض من موص جنفا في ترك
المشارب بان بالغ في المجاهدات لنيل المشاهدات او اثما بجاوز عن حد الشرع في رفع الطبع فاصلح بينهم بين الروح

والبدن والقلب والسر ولكن بنظر شيخ كامل ومرب عارف فلا حرج على المصلح حسبنا الله ونعم الوكيل

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات
فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا
فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر
رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن
كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سالك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا
لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس
لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم
وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها

كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون

همچنان بیان کند خدای دلایل شریعت خود را برای مردم تا مگر ایشان پرهیزکار باشند القراءة

فدية طعام مضافا مساكين بالجمع ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وروى الحلواني والرازي عن هشام والبخاري فدية بالتنوين طعام بالرفع
مضافا الى مساكين بالجمع الباقون مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور ومن يطوع بتشديد الطاء والواو وياء الغيبة وجزم العين حمزة وعلي
وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل القرآن غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا
فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر ولا تعجل بالقرآن ان علينا جمعه وقرآنه فاتبع قرآنه الباقون بالهمز اليسر والعسر حيث
كانا مثقلين يزيد الا قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا من التكميل ابو بكر وحماد وعباس ورويس الباقون من الاكمال الداعي اذا دعاني بالياء في الحالين سهل
ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين لعلهم بفتح الياء
ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون ه لا لان اياما ظرف الصيام او الانتفاء معدودات ط لان المرض والسفر عارضان فكانا خارجين
عن اصل الوضع آخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له ما قبله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان التقدير والصوم
خير لكم تعلمون ه والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه ط للابتداء بشرط آخر اخر ط العسر لئلا يجوز تشكرون ه قريب ط لان قوله
اجيب مستانف دعان ص الفاء يرشدون ه نسائكم ط لهن ط عنكم ج لعطف الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقتين من الفجر ص لذلك الى الليل ج
وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان في المساجد ط لان ما بعده مستانف فلا تقربوها ط لان كذلك صفة
مصدر محذوف اي يبين الله بيانا كبيانه ما تقدم يتقون ه التفسير هذا حكم آخر والصيام مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك
عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير علاف وقال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم و
انه في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة تسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق
الى غروب الشمس ولا بد في صحته من النية في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثرين بموافقة الجديد من قولي الشافعي وفي غير يوم الشك
بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولا بد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم و
قوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اولهم آدم يعني ان الصوم
عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون المحافظة عليها لفضلها او المعاصي لان في الصوم ظلفا
للنفس عن المناهي ومواقعة السوء او لعلكم تنتظمون في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام وهو
رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم فجعلوه بين
الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل
يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال اني رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه التشبيه بين
الفرضين مجرد تعليق الصوم فيهما غير منوط بلزوم ان اختلاف المدتان ثم ان الائمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان
فعن عطاء ثلاثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه
نسخ بصوم رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على
ان صوما آخر كان واجبا وايضا ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الآية وفي التي تليها فلو كان الصوم ان كان رمضان لكان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الآية
التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعيين فيختلفان والثاني وهو اختيار ابي مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان
اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية الحسن من
غير زيادة ولا نقصان واجيب عن سند الاول بان ترك الخبر انه نسخ عنه وعن امته كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم
وجب بالشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعه لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا للصيام وجب بغير هذه الآية وعن الثاني
ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الآية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما باق في رخصة
الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث ان الاختلاف مسلم لكن في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا سؤال وهو ان قوله
فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول فلعل
في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كآية الاعتداد بالحول وهكذا تجد في القرآن آية مكية متاخرة في التلاوة عن الآية المدنية وذلك

كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة في هذا التكليف اسوة بالامم
السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام
قلائل لا يكثرها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي انزل فيه القرآن ليعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة
في الزامه فاباح تاخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث
يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الائمة في المرض والسفر المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مرض كان واي
مسافر كان فله ان يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين روي انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع
اصبعه وعن داود الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها ان المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول
الاصم وحاصله تنزيل اللفظ على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة
اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتد حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع
عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد اذن منه ما يؤثر الصوم في تقويته تاثيرا يعتد به و
التاثير اليسير لا عبرة به والمرض المخوف لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما عاقلا واصل
السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال الرجال واخلاقهم وعن الزهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه الى الارض الفضاء
قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلاثة اميال باميال
هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك
واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما اذا تكرر في يومين فحينئذ يناسب الرخصة ولما روى الشافعي
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة
فراسخ وروى الشافعي ايضا ان عطاء قال لابن عباس اقصر الى عرفة فقال لا فقال الى مر الظهران فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف
قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا تحصل الا في ثلاث مراحل اربعة وعشرين فرسخا بناء
على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله صلى الله عليه
وسلم لا تحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله والمسافر ثلاثة ايام لا ينفي
ان لا يحصل في اقل من ثلاثة ايام وايضا الترجيح للافطار لقوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته
وانما قيل او على سفر دون ان يقول او مسافرا كما قال مريضا لان السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل
لم يبق على قصد السفر فلا يبيح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف المرض فانه صفة قائمة به اذا حصلت حصلت والا فلا وعدة
فعلة من العد بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام
المعدودات للعلم بانه لا يؤمر بعدد على عددها وانه لا ياتي الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة والمعنى
فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تانيث آخر وانه غير منصرف للصفة والعدل لان اخر من كذا واعلم ان قوما
من علماء الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر
قضى في الحضر واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه
ولان قوله يريد الله بكم اليسر يشعر بارادته الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم
التعريف وقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجيء من
قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان حمزة الاسلمي سال النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت وافطر ان شئت قالوا وفي الآية اضمار التقدير فمن كان مريضا او على سفر فافطر
فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من راسه ففدية اي فحلق ففدية ثم اختلف هؤلاء فعن الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي
يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقال سائر الفقهاء الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي واحمد واسحق وقيل افضل
الامرين ايسرهما على المرء واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد
ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا
ويؤيده قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلاثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى

وعلى المطيقين الصيام الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية طعام مسكين والفدية في معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القايم
عن الشيء وانه نصف صاع عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي هو من غالب قوت
البلد لكل يوم ويصرف الى الفقير المسكين قالوا كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار
والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فنسختها ومن قرا باضافة الفدية الى طعام فالاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرا مساكين على الجمع فلان الذين يطيقونه
جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ماية وثلثة وسبعون درهما وثلث
درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان المريض والمسافر منهم من لا يطيق اصلا واليه الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة وهو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا هذا اولى لئلا يلزم النسخ اقل فان نسخ
التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق اقل من نسخ التخيير عنه وعن الصحيح المقيم الثالث انه نزل في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا لا يكون
الاية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل
فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع اذا خافتا على انفسهما او ولديهما
واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما الفدية والقضاء والفدية لحق الوقت
وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء لئلا يلزم الجمع بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم المسكين الواحد
اكثر من القدر الواجب وصام مع الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون والمطوقون وتحملتم مشاق
الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم
اشق عليكم وان اجركم على قدر نصبكم او تعلمون بالله فتخشونه وتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد
البدنية والاخروية عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصايم
فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
بابا يقال له الريان يدخل منه الصايمون يوم القيامة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من فطر صايما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصايم شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من ان تحصى ولو لم يكن فيه
الا التشبه بالملائكة والارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا
صوم الشريعة واما صوم الطريقة فالامساك عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واحل وصوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار
بمشاهدة الرحمن صمت عن غيره فلما تجلى كان لي شاغل عن الافطار وتسوقت مدة ثم لما ان تجلى عن مدى الانظار قوله عز من قايل شهر رمضان
الشهر ماخوذ من الشهرة وعن مجاهد رمضان اسم الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان فان
رمضان اسم من اسماء الله وعلى هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية و
الالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر ياتي وقت الخريف ويطهر وجه الارض عن الغبار
سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس رمض رمضا وفي الكشاف الرمضان
مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لانه تماضهم فيه من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم لشدته عليهم او لان
الذنوب ترمض فيه اي تحترق وروي عن النبي انه قال انما سمي رمضان لانه يرمض ذنوب عباده وكان هذا من قولهم رمضت النصل جعلته
بين حجرين املسين ثم دققته ليرق وعن الازهري انهم كانوا يرمضون اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل
انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان
يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يتلفظ بالشهر جاز كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا
الحديث لان التسمية وقعت برمضان فقط وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام كما في قوله كتب
عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اي الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر
رمضان قال ابو علي وهذا اولى ليكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القرآن فيه وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان

او على الابدال من اياما او على انه مفعول وان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله بالخبر وفايدة وصف
الشهر بانزال القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه لما خص باعظم آيات الربوبية ناسب ان يخص باشق سمات
العبودية فبعد هضم النفس يرقى العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس ويخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم
اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان وكان حينئذ من العجايب ما كان وفي انزال القرآن في رمضان اقوال فعن سفين
بن عيينة انزل في فضله القرآن كما يقول انزل في علي كذا وقال ابن الانباري انزل في ايجاب صومه على الخلق القرآن كما يقول انزل الله في الزكوة
كذا في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقولان متقاربان او هما واحد فانه لم ينزل سوى قوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
الايات واختيار الجمهور ان الله تعالى انزل القرآن في رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت
التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القرآن نزل منجما مفرقا على حسب المصالح و
الوقايع فاولت الاية بان المراد انه ابتدئ فيه انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول هي التي يؤرخ بها لشرفها وانضباطها هذا
قول محمد بن اسحق او انه انزل جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس ببعيد ان يكون للملائكة الذين هم سكان السماء الدنيا
مصلحة في انزال ذلك اليهم وفيه مصلحة الرسول من حيث توقع الوحي عن اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبرئيل المامور بالانزال والتادية لا
سيما على راي الفلاسفة الذين جبرئيل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول
يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القرآن من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم انزله على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما الى آخر عمره ويحتمل
ان يقال انه جل جلاله كان ينزل الى السماء الدنيا ليلة القدر كل سنة ما يحتاجون اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا
يكون معنى رمضان الذي انزل فيه القرآن نوعا لا شخصا هدى للناس وبينات منصوبان على الحالية اي انزل وهو هداية للناس الى الحق
وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل من الكتب السماوية وذلك ان الهدى قسمان جلي مكشوف
وخفي مشتبه فوصفه اولا بجنس الهداية ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان يقال القرآن هدى في نفسه ومع ذلك ففيه ايضا
بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان التورية والانجيل او يقال الهدى الاول اصول الدين والثاني فروعه
فيزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش والمازني ان الفاء في فمن شهد زايدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا وهم لظهور كونها
للجزاء كانه قيل لما علمتم اختصاص هذا الشهر بفضيلة انزال القرآن فيه فانتم ايضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر فيه
مفعوله محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر
كلاهما شاهدان الشهر فالمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد والمقام فليصم في الشهر وصاحب هذا القول ارتكب الاضمار
حذرا من لزوم التخصيص في حق المسافر الا انه يلزمه ما هو شر منه اي سالة لان الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليه
الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل شهدت عصر فلان وادركت زمانه فلا يلزم منه الا احد الامرين وهو التخصيص بقوله ومن كان
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول لان الاضمار والتخصيص اذا تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا وقع الاضمار والتخصيص
في جانب والتخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي معترضا به على صاحب الكشاف وغيره قلت الانصاف ان الترجيح مع
صاحب الكشاف لان لزوم الاضمار في الاية ممنوع وذلك ان شهد ههنا متروك المفعول كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من
كان على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل ويعني الاقامة واما التخصيص فمشترك على القولين الا انه على قول صاحب
الكشاف اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعيد ذلك او على سفر تكرارا قلنا انما اعيد ليترتب عليه
حكم القضاء كما للمريض ايضا لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر لو سلم فبالمفهوم اولا وبالمنطوق ثانيا فاين
التكرار وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه واعلاء لمكانه وتمكينا في القلوب وتعظيما في النفوس
كقوله ان الله هو الحق يعطي الحق سائله وههنا بحث وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه جملة شرطية وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه
الجزاء والشهر عبارة من اوله الى آخره فظاهر الاية يقتضي ان الصوم لا يجب عليه الا عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل
في الزمان المنقضي واجيب بان المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز شهوده فالمعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ان كان هذا الجزء
من اول الشهر كما لو شهد هلال رمضان وهذا موافق لما نقل عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب
ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا عام يدخل فيه الحاضر والمسافر الا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر يخصصه وان كان
في اثناء الشهر فيوافق قول ابي حنيفة ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر انه يقضي ما مضى قلت لا حاجة الى ارتكاب التجوز وهو اطلاق لفظ الشهر

على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور اذ المراد من شهد الشهر اجمع ولكن بحيث قد وجد منه الصوم في جميع اياما او المراد من عرض على كونه مقيما
في الشهر فليصمه ويعلم منه انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق ايجاب الصوم بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان منكم مريضا او على سفر فانه لما علم الكون
الحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم الحكمان جميعا الحاضر في بعضه والمسافر في البعض الآخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه والصوم
فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه الزم من حضر الشهر كما لو ادرك الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة
ومن قوله قدر ركعة وفي قول تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت واما ان شهر رمضان بم يثبت حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صلى الله عليه
وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومهما شهد عند القاضي عدل واحد
انه راى الهلال ثبت لما روى ابن عمر انه راى الهلال وحده فشهد عند النبي صلى الله عليه وسلم فامر الناس بالصوم ولما روي ان علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان فصام وقال اصوم يوما من شعبان احب الي من ان افطر يوما من رمضان والاحتياط في امر
العبادة ولا يثبت الهلال في ساير الشهور الا بعدلين وعند ابي حنيفة يثبت هلال رمضان في الغيم بواحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة
واذا رئي في موضع ثم الحكم من هو على ما دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على من عداهم يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة
ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور وتتيسر المقاصد واليد اليسرى لعلها على اليسار او لان الامور تتسهل بتعاونهما اليمنى والعسر نقيضه
وهو الضيق قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم ووسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه اوجب الصوم على
سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه على المريض والمسافر وههنا يتحقق صدق قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ومن كمال رافته تعالى انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله
ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق والمعتزلة
تمسكوا بالآية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهده فقد فعل ما لم يرد الله منه اذ كان لا يريد
العسر واجيب بانا نحمل اللفظ على انه تعالى لا يامره بالعسر وان كان قد يريد به العسر فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة كما انه يجوز ان يامر و
لا يريد جاز ان يريد ولا يامر قوله ولتكملوا اجمعوا على ان الفعل المعلل محذوف وفي بعض القراءة النقلين ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكر وهو الامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف
المسلك فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي
ارادة ان تشكروا علة الترخيص والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل امر مقدر قبله كانه قيل افعلوا ما تعملون ولتكملوا والفرق ان حذف
النون في الاول النصب وفي هذا الجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مربوط بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا
وفيه ايضا بعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا وانما قيل لتكملوا العدة
ولم يقل ولتكملوا الشهر ليشمل عدة ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدي فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم
والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله تعالى والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل
فالقول ان يقر بصفات العلو واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به من ند وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يعتبر الا مع الاعتقاد القلبي
واما العمل فالتعبد بالاوامر والتباعد عن النواهي وهذا لا يختص بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير
الفطر وانه مشروع في العيدين لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى ياتي المصلى واول وقته
في العيدين جميعا غروب الشمس ليلة العيد وعن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومها لنا قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
على ما هداكم قال الشافعي سمعت من ارضى به من اهل العلم بالقرآن يقول لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند كمالها واكمالها
بغروب الشمس آخر يوم رمضان واما آخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مباح الى تلك الغاية والتكبير
اولى ما يقع به الاشتغال والمسنون في صيغته ان يكبر ثلثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الرواية عن جابر وابن
عباس وايضا فان التكبير موضوع شعار العيد فكان وترا كالتكبير في الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن واستحسن في الام ان يكون زيادة
ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد
الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر
قال في الشامل والذي يقوله الناس لا باس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد ويرفع الناس اصواتهم
بالتكبير ليلتي العيد في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرا كانوا او حاضرين وفي اليومين في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة

يصلي الكبير مع الامام او لا يصلي ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى واختلف في ان التكبير في اي العيدين اوكد فنص في القديم ليلة النحر لاجماع
السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه واذا سالك عبادي عني وجه اتصاله بما قبله هو انه لما امر العباد
بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر نبههم على انه مطلع على ذكرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم او انه امرهم بالثناء
ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها على حسن الطلب وسبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة وقد رفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وسلم لا تدعون اصم ولا غائبا
انما تدعون سميعا قريبا وعن قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا فنزلت وعن عطاء انهم سالوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل
فرض عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا ربهم في ذلك التكليف
ثم ندموا وسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم وبهذا القول
يصير للآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه
فيسال عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا
او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعو بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعو باسماء معينة وهل اذن ان ندعو كيف شئنا
او ما اذن الا بان ندعو على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان
السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع واطلاق قوله اذا دعان
يرشد الى الاذن في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب
ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس ومنقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في
تحققه الى اجزائه وكل مفتقر ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال لما ان كل بعد متناه ببرهان تناهي
الابعاد او من جانب واحد فكذلك مع ان كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء
مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الآية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه
لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرقي كان بعيدا عن المغربي
فلو ثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة
من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم
وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها
فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها لان ماهية كل شيء انما صارت تلك بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فيه صار
الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها فضلا من استصحاب
المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلفة
وبقاها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا وانوار محيطة بها قاهرة عليها قريبة منها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط
ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر
رمزت اليه حذار الرقيب ۞ وكتمان سر الحبيب حبيب ۞ اذا ما تلاشيت في نوره ۞ يقول لي ادع فاني قريب ۞ ان سالوا اين ربنا صح الجواب باني
قريب وان سالوا هل يسمع ربنا دعاءنا صح الجواب باني قريب وان سالوا كيف ندعو ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب باني قريب وان سالوا
هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب اني قريب وان سالوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب باني قريب اي بالنظر اليهم و
التجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء
العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الظاهريين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب ان كان معلوم الوقوع عند الله
كان واجب الوقوع والا فلا لان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص ولان المقصود
ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضا بالقضاء واهمال حظوظ النفس
والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة
القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب
الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد

والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وبجريان قضائه وقدره وما روي عن جابر ان جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه صلى الله عليه وسلم علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حياته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده الا انك يجب ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تعرض في لجة القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسايط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسايل في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق وناسخا للكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة وقطعا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله تعالى وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق به قضاؤه وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الامارة راجيا فيما عند الله من الخير خايفا من الاقدام على موقف المسألة والمناجاة وان يكون استجابته صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يعود بركته عليه قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فهي بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واهلاله بلقمة الحلال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وعند ذكر المحققون ان الدعاء مفتاح باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قالوا فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه انه صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الصايم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى علي فلا تجعلوني كقدح الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه وآخره ومن لطايف الآية انه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول فقل اني قريب كما قال في ساير الاسولة والاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسالونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وهذه الاسولة اصولية يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ويسالونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبئونك احق هو قل اي وربي ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا وكانه سبحانه يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك وايضا في مقام السؤال قال عبادي وهذا يدل على ان العبد له وفي مقام الاجابة قال فاني قريب وهذا يدل على ان العبد وايضا لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى ان ما للتراب ورب الارباب وانما يحصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب وجوده فليستجيبوا الى الباب واستجاب بمعنى يقال

استجابه واستجاب له فليمتثلوا امري اذا دعوتهم للايمان والطاعة وليؤمنوا بي ليستقيموا او ليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا كاني اجيبهم اذا دعوني لحوايجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى هي المستتبعة للخيرات عاجلا واجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وبالضد ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وحاصل الكلام انا اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه وفيه نكتة وهي انه تعالى لم يقل اجب دعائي حتى اجيب دعاءك كيلا يصير المذنب محروما عن هذا الاكرام بل قال ان اجيب دعاءك على جميع احوالك فكن انت ايضا مجيبا لدعائي وهذا يدل على ان نعمه تعالى شاملة ورحمته كاملة يعم المطيعين والمذنبين والكاملين والناقصين وقيل الدعاء في الآية هو العبادة لما روى عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرا ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء التوبة وذلك ان التايب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز من قائل احل لكم الجمهور من المفسرين على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روى عن ابن عباس انه لما نزل كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ويومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري او صرمة ابن قيس وقيس ابن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت احل لكم ففرحوا فرحا شديدا وابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة واحتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم علينا في هذه الآية بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة فهذه الآية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب والوقاع اعتقادا منهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالحرمة فلا جزم بالنسخ ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب وتكسب والمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو تكونان بعد المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل والتوسعة والتخفيف قال صلى الله عليه وسلم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله المراد التخفيف بتاخير الصلوة الى آخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار احاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فقوله ليلة الصيام قال الواحدي اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف والرفث الجماع والرفث ايضا الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا ۝ ان تصدق الطير ننك لميسا ۝ ارفثت وانت محرم فقال انما الرفث ما ووجه به النساء هميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكحها وقال ابو علي معناه الفرج ويقال جامع الرجل او ناك فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كنى عنه هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان او اللمس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم فلما تغشاها فالآن باشروهن من قبل ان تمسوهن او لمستم النساء فما دخلتم بهن فأتوا حرثكم فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة او البيان كما سماه اختيانا لانفسهم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فينضم جسد احدهما الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي شعر اذا ما الضجيع ثنى عطفها ۝ تثنت فكانت عليه لباسا ۝ او بما لبسا الستر كل منهما صاحب علمه

لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المرء وتستره بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن المراة حاضرة كما يستتر الانسان باللباس عن الحر والبرد
وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر في ذلك المحظور الذي كانوا يفعلون وزيف بان هذه القرينة وارده في معرض الانعام
لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه جنس واما لانه مصدر لا بمن وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس لكم استيناف لانه كالبيان لسبب
الاحلال فان مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه او هو عالم ولم يذكر في الاية ان الخيانة فيماذا الا
ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تاخر هو مثله بدليل فالان باشروهن فيتعين ان يكون المراد بالخيانة في الجماع ومن المعلوم ان كل واحد منهم لم
يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب وقيل ان الاية لا تدل
على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم كنتم تختانون لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى لا تقعوا في
الخيانة فتاب عليكم من القضية الفضيحة اي قبلتم وقيل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اضمار فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب من
البيان وان حل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يباشر الرجل الرجل والمراة المراة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة
كان وقوع الجماع من القوم ولان الرفث المذكور قبل ذلك الان اباحة الجماع تتضمن اباحة ما دونه فتصح ما نقل عن الاصم ان المراد الجماع وغيره ويرجع النزاع بهاً
لفظيا واما المباشرة في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ولا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع عن الجماع لا يدل على المنع مما
دونه من الاستمتاعات وابتغوا ما كتب الله لكم جعل وقضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من
النكاح وهو التناسل قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهة ذلك وعن الشافعي لا يعزل الرجل
عن الحرة الا باذنها ولا باس بعزله عن الامة وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله الله لكم كقوله فاتوهن
من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد ان كانت محرمة عليكم وعن ابي مسلم وابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها
لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس
والعدة والردة وقيل لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو الذي كتب في القرآن الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من الثواب لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع
الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يفرغ المكلف حينئذ لطلب ليلة القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه
فالان باشروهن ليفرغوا لطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر من الليل ولا يستبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما
اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل كنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك عن بلاهة عدي وقلة فطنته وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل و
النهار واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند
الاكثرين ولما كان من مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما
يمتد معه من غبش الليل قال ابو داود شعر فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة
اولا ثم لما اشتبه الامر على بعض من لا دربة له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغني به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما
يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة الى التشبيه البليغ كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة
وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من حيث انها استعارة كان في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى في الفصاحة
وفي هذا المقام من الاستعارة وليس هذا من باب تاخير البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن
درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى العارف بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالاضافة الى الاغبياء نعم التفهيم
بتمام البيان الزكى والله المستعان ولا يسبقن الى الوهم ان المشبه بالخيط الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه بانفضاضه ورد في
الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو اول ما يبدو دقيقا ولكن ينتشر مستطيرا
اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال ان الفصل المشترك بين ما تعجز من الضياء اي انشق وبين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين اتصلا
عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدا منه الظلام خيط اسود وقد سبق نبذ من الصبح في تفسير قوله تعالى واختلاف الليل

والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الاية على ان
حل المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي
عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا
اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او
اني على ثقة باني لو احتجت لطعمني من الجنة او اني اعطيت قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات
الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك كان بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف النقصان في الصوم المستانف وفي سائر
العبادات فيلزم حينئذ ان يتناول بمقدار الحاجة وقد يتشبث الحنفي بالاية في جواز النية في نهار رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط
فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول الا ان الحق بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد
الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وسلم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ونحن نروي من لم يبيت وانما جوزنا في النفل
ان ينوي قبل الزوال لانه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم او اني اذا لصائم وايضا
قال الحنفي يجب اتمام صوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب والشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خص بالذكر من
المفطرات الرفث والاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الاية او استفيدت من السنة فمنها الاستمناء
لان الايلاج من غير انزال مبطل فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس والقبلة دون الفكر والنظر بشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك
الانزال بالنظر مفطر وعند احمد ان كرر النظر حتى انزل افطر ومنها الاستقاءة لقوله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه
ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء او لا كالحلق جوف
وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط
اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف وانه صلى الله عليه وسلم اكتحل في رمضان وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد
في الحلق طعما افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس بالفصد والحجامة لكن يكره خيفة
الضعف احتجم صلى الله عليه وسلم وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه او بطنه فوصل الى جوفه بتشرب
المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل عن قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة
الدقيق الى جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا لما في الحفظ من العسر ولو ضبطت المراة او وطئت او وجئ بالسكين او اوجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو
كان مغمى عليه فاوجر معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر لانه اتى بضد الصوم ولانه اكل لدفع الضرر كما لو اكل وشرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد
لا يفطر وابتلاع الريق الصرف الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم تحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ
في البقية المنافذ منه الى اقصى الفم فوق الحلقوم فان قدر على مجها ولم يمج حتى جرت بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او
استنشق فوصل الماء الى دماغه لم يفطر على الاصح انه لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر فانه قال صلى الله عليه وسلم
للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا افطر خلافا لابي حنيفة فيما اذا كان يسيرا وقدره بما
دون الحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فانه لم يفطر لقوله
صلى الله عليه وسلم من نسي وهو صائم فاكل وشرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك وان كثر افطر ولو جامع ناسيا للصوم
فالاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت فكان غالطا بطل صومه على الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه
واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا نصا والاحوط في آخر النهار ان لا ياكل الا بعد تيقن غروب الشمس لان
الاصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف السحاب وظهرت
الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ومتى عرف المترصد
الطلوع كان الطلوع الحقيقي متقدما عليه فيجاب اما بان المسئلة موضوعة على التقدير كداب الفقهاء في امثالها واما بانا انما نتعبد بما نطلع
عليه ولا معنى للصبح الا ظهور الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كما لو زال عند زيادة الظل واذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر
وكان بحيث لا حائل بينه وبين مطلع الفجر وترصد فمتى ادركه فهو اول الصبح المعتبر وحينئذ يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب
والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على آخره وجعل الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به من آخر الليل ومن الكتاب

من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها
يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفه يعوده فقال له الاعمش انك لثقيل على قلبي وانت في بيتك فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفه فلما
خرج قيل له لم سكت عنه قال لماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره يعني انه كان ياكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من
الاكسال فلا صلوة له واعلم ان في الآية ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا وذلك ان الرفث لما كان من اشنع الامور التي يجب الامساك عنها في
رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الجناية كما مر في الاخبار قدم اباحته اولا ثم بين السبب في اباحته
ثم وبخ المختانين في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته ليرتب عليه الغرض الاصلي من الرفث وهو طلب النسل و ابتغاء ثم عطف
عليه اباحة الاكل والشرب جميع ذلك الى آخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما يحل فيها بين مدة الصوم الذي هو المقصود الاصلي
وتلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته اعني من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان
زمان الاعتكاف مستثنى من ذلك لانه متوهم من الآية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليله ولا بسائر ايام السنة ولياليها
عقب اباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حالة الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف
حبس النفس على شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرائع
القديمة قال تعالى طهرا بيتي للطائفين والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه ووافقه ابو حنيفه
واحمد انها الجماع ومقدماته المفضية اليه لان الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف حتى
يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف يمنع عن القبلة والعناق وكل ما فيه الصاق البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم يكن من هذه الامور بشيء من
الشهوة فيما وقد علم ان المس بغير شهوة جائز لانه صلى الله عليه وسلم كان يدني راسه من عائشة لترجل راسه وهو معتكف فبقي ما فيه الشهوة
على اصل المنع احتج من قال انها لا يبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا يبطل الصوم والحج فلا يفسد الاعتكاف لانه ليس اعلى درجة منهما واجيب بان
النص مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه متميز عن سائر البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات ثم
اختلفوا فعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهرا بيتي للطائفين والعاكفين اي لجميع العاكفين و
عن عطاء فيه وفي مسجد المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن
حذيفة فيهما وفي مسجد بيت المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي
هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفه لا يصح الا في مسجد له امام راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد
الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه
بغير صوم عاكف وانه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف
في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على
صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو لزم لما خرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر
قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليلة
ابو حنيفه لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة حال الاعتكاف وهو ان الصلوة لما
لم يجب فيه بغير النذر بالاجماع لم يجب بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متغايران فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال مباشرة
لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل احدهما وصفا للآخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما
والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف
ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفه فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب
ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم من اول آية الصيام الى ههنا لا الى عدم
المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حدود وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل
فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال ههنا فلا
تقربوها وفي موضع آخر فلا تعتدوها لان العامل بشرائع الله اوامر او نواهي متصرف في حيز الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن
التعدي هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز من حيزي الحق والباطل كيلا يدخل فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه

ومن وقع في

ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا ولكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا
تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوا تلك
الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي لا تتجاوزوها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به ونهاكم عنه في هذا
المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرعه ارادة ان يتصف الناس بالتقوى جعلنا الله تعالى من المتقين بفضله ورحمته والله الموفق
التأويل صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم فصوم اللسان
عن الكذب والنميمة وصوم العين عن محل الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا فقس الباقي وصوم النفس عن التمني والشهوات
وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على
ابائكم واجزائكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية
والروحانية لعلكم تتقون مشارب المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات فحين افل كوكب استدعاء الحظوظ الفانية
تطلع شمس حقوق الملاقاة الروحانية الباقية كما قال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا
اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس وكسل الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل
حتى يدرك الغاية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف فيتدارك في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له نوع في
صدق الطلب طعام مسكين فالطعام كل شرب غير مشرب الطاف الحق والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى
اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب الحق وشراب مشاربه وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني
فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفداء اي كلما فطم من مشرب وسقي من مشرب آخر فدى ذلك المشرب ايضا اي ترك الى ان يصير مشربه ترك المشارب
كلها ودوام الصوم كقوله وان تصوموا خير لكم فيتنزل فيه حقائق القرآن وهذا معنى قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فيكون على
مأدبة الله لا بمعنى انه يأكل من المأدبة فانه دوام الصوم ولكن المأدبة تاكله حتى يفنيه عن وجوده ويبقيه بشهوده فيكون خلقه القرآن و
حينئذ يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال وبينات من الهدى والفرقان فيقال له اصبت فالزم وهو معنى قوله فمن شهد
منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد ناداني ربي وقال انا بدك اللازم فالزم بدك رمضان من رمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم
رمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غيره يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق
من الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا اذاقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له ولو لم يرد بنا اليسر لم
يجعلنا طالبين لليسر شعر لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ۞ من فيض جودك ما علمتني الطلبا ۞ ولتكملوا عدة انواع الفوات بجذبات يريد الله بكم
اليسر ولتكبروا الله لتعظموه على ما هداكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول
اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونا في الاحوال فتارة يكون بحكم غلبات الصفات
الروحانية في ضياء نهار الواردات الربانية وحينئذ يصوم عن الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي في الحاجات
البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخصه الله تعالى بنهار كشف الاستار وطلوع شموس الاسرار للصوم فيه
عما سواه وبليلة اسبال استار الرحمة ليسكنوا اليها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارايتم ان جعل عليكم الليل سرمدا الآيتان ويعني
بالرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي يتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر
لكم يحجبكم عن حرارة شموس الجلال كيلا تحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع
والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بفوق هذه المباشرة ما كتب الله لكم من المقامات
العلية وكلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم آثار انوار المحو فالاحوال ينقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب وجمع وفرق واخذ و
رد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتلوين وتمكين كما قيل شعر كان شيئا لم يكن اذا اتى ۞ كان شيئا لم يكن اذا مضى ۞ في المساجد اي في
مقامات القرب والانس فيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا
مقام اهل التمكين فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف وبالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف الله حسبي

وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ

و مخورید — مالهای خود را میان — شما — بی وجه شرع — و میفکنید آنرا — با حکام

الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم
وحال آنكه شما بگواهی دروغ مردمان مالهای بعضی را بخوريد تا حاكمان
تعلمون يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
مى دانيد مى پرسند ترا از حال ماههای نو بگوی آن ماهها نو نشانهاست مردمان را
والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن
و حج را و نيست نيكوی آنكه بيائيد بخانها در وقت احرام او از پس آن خانها و ليكن
البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم
نيكوی آنكس است كه پرهيزكاری شود و بيائيد بخانها از درهای آن و بترسيد از خدای و طاعت نماييد تا مگر شما
تفلحون القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والبرجمي وهشام
رستگار شويد غير الحلواني الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ه عن الاهلة ط للفصل بين السؤال والجواب والحج ط لابتداء حكم آخر مع النفي
من اتقى ج لعطف الجملتين المختلفتين ابوابها ص لعطف المتفقتين تفلحون ه التفسير لما كان الصوم منتهيا الى الافطار والافطار يتضمن الاكل
ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حال الاهلة
قال الامام الغزالي في الاحياء المال الحرام اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه والاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما المعادن
والنبات فلا يحرم شيء منهما الا ما يزيل الحياة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان
فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك
مذكور في كتب الفقه والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول فيه اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختيار
كالارث والذي باختيار اما ان لا يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يوخذ قهرا او بالتراضي
والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا
اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة الاول ما لا يوخذ من مالك
كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة
من الادميين الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منه الخمس وقسموه
بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهرا بالاستحقاق عند امتناع من عليه فيوخذ دون رضاه وذلك
حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط
العاقدين وشرط اللفظين الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يوخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة والوصية
والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث
وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة
بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك حرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه
الجهات وصرفها الى غير المصارف الشرعية كالخمر والقمار والزنى واللواط والملاهي والسرف المحرم وكل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه وبينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة
منكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غير الاكل من التصرفات كالاكل في هذا الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال وقد
يقال لمن انفق ماله انه اكله والادلاء اصله من ادليت دلوي اذا ارسلتها في البئر للاستقاء فاذا استخرجتها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول
او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده وفلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان منتسبا اليه فيطلب الميراث
بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو ومحله يحتمل ان يكون مجزوما داخلا في حكم النهي اي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا تلقوا امرها والحكومة
فيها اليهم لتاكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق بين الوجهين ان الحكام
على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى فالحاجة فيها يصير المقصود البعيد قريبا واذا اخذها حكم السوء ومتى والحكم من غير
تثبت كقضاء الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يشتبه عليه الحق كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا
بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا

فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا
اي اقصدا الحق فيما تصنعانه من القسمة وامرهما ليأخذ كل منكما ما تخرجه القسمة بالقرعة ثم حال الاثم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب
المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ احق روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وقيل ان السائلين
م اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بانه انما يكون كذلك لانه يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته وينفصل ما بين المضيء والمظلم منه دائرة لاستماع
المنير المستنير ويفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر ايضا دائرة واللتان تتطابقان في الاجتماع لا يظهر شيء من المستنير ويكون القطعة
المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن القطعة المضيئة هي التي تلي البصر والقمر في هذه الحالة يسمى بدرا وفيما بين
الاوضاع تتقاطعان ففي الربعين يفعل زوايا قوائم تقريبا وفي غير الربعين على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقدير ين ينقسم القمر بهما
الى اربع قطع اثنتان مضيئتان ومما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان ويقع في مخروط البصر احدى الاوليين واحدى الاخريين لكنه يحس
بالمضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساوية وبان تقربا وفي غيرهما تختلف المتجاورتان وتتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية
من المتجاورتين الواقعتين في مخروط البصر في التربيعين الاول والاخير من الشهر اصغرهما لان زاويتها القطعة اصغر اللتين تليان الابصار اعني نما
حادة ويسمى القطعة المرئية الصغيرة اول ما يبدو والليلتين هلالا ويجمع على اهلة لانه يتعدد اعتبارا وفي الربعين الباقيين من الشهر القطعة
المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني انها منفرجة وانما لم يجابوا بذلك لان المكلف لا يهمه
معرفة هذه الصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائد وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت وهي المعالم التي يوقت
بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدة حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته
والميقات من الوقت كالميزان من الوزن ولعمري انه لو منع مانع من ان ضبط هذه الامور لا يتسهل ولا يتسنى الا بوقوع الاختلاف
في تشكلات القمر حيث يسمى عوده من كل تشكل الى مثله ولا سيما من الهلالية الى مثلها شهرا وبذلك تقدر السنون وتضبط الاوقات والفصول
فلم يمكنه جحود فائدته على تقدير وجوده ولو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب
الوجود او الاشتراك في القدم مع مفيض الخير والجود او الاشتراك في القدم او امتناع الخرق والالتيام كما ذهب الى كل من ذلك طائفة من القيام لكفى تنبيها
وعبارة وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وافراد الحج بالذكر مع ان الاهلة
مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى له وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى اشهر اخر
كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء ويمكن ان يقال توقف الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن والزكوة يتعلق بحول الاصل
في تقدير السنين بعودة الشمس من نقطة كاول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة يتعلق باليوم
بليلته فلم يبق من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين ذكره في هذه الآية والله اعلم قوله عز من قائل وليس البر بان تاتوا البيوت عن البراء قال
نزلت هذه الآية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت
وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الآية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم
حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر
خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشديدا في الامر الحرام ولكن البر بر من اتقى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل
ان الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا
بيوتهم البتة ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم يستظلوا الوبر ولم ياكلوا السمن والاقط عن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء
فتعسر عليه مطلوبه لم يدخل بيته من بابه بل ياتيه من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا
واما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سألوا عن الحكمة في اختلاف حال
الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا يعتقدوا ان جميع ما يستحسنكم هو على شاكلة الصواب
وانظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر في شيء او انه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان
هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا والفرق ووقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الآية فيهما معا
في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذلك
عكس الواجب وقد ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البريء عن العبث والسفه فاذا رأينا اختلاف

كذا لاستماع

كذا

حال القمر وجب ان يعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه من الحكمة على ان فاعله غير
حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر ثم شككتم في حكمة الخالق او فارقتم الشك فقد
اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل انما البر ان تأتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى منها وهذا باب مشهور من الكناية
قال الاعشى شعر وكاس شربت على رغبة • واخرى تداويت منها بها • لكي يعلم الناس اني امرؤ • اتيت المعيشة من بابها • وعن ابي مسلم ان هذا
اشارة الى ما كانوا يفعلونه من النسئ وكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه
تعالى امرهم بالتقوى التي تعم الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية
والله ولي التوفيق التأويل بالباطل اي بهوى النفس والحرص والاسراف وتدلوا بها الى الحكام يعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس
من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة
الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قائما بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان
تجلى لهم بوصف الجلال طاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت الا اوقات محبوبهم كما ليس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله اعلم

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا
وكارزار كنيد در راه دين خداى با آنكه كارزار كنند با شما واز حد تجاوز مكنيد بدرستى خداى
يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم
دوست ندارد از حد تجاوز كنندگان را وبكشيد ايشانرا هر كجا يابيد ايشانرا وبيرون كنيد ايشانرا
من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند
از آنجا كه بيرون كردند شما را وشرك ايشان سخت تر است از كشتن شما ايشانرا در حرم وكارزار مكنيد با ايشان نزد
المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم
مسجد حرام تا آنگاه كه آغاز كارزار كنند با شما در آن مسجد پس اگر كارزار كنند با شما پس بكشيد ايشانرا
كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور
همچنانست پاداش ناگروندگان پس اگر باز ايستند از شرك پس بدرستى خداى آمرزگار است
رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
مهربان وكارزار كنيد با ايشان تا آنگه كه نباشد هيچ شركى وباشد فرمان بردارى
لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام
مر خداى را پس اگر باز ايستند پس هيچ جزاء ستم نيست مگر بر ستمكاران اين ماه حرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
بدل آن ماه حرامست وحرمتها مساواتست اندران پس هر كه ستم كند بر شما پس ستم كنيد
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بر او بمانند آنچه ستم كرده باشد بر شما وبترسيد از خداى وبدانيد كه خداى
مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم
با پرهيزكارانست وصرف كنيد مال را در طاعت خداى وميفكنيد نفسها خود را
الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين
در معرض هلاك ونيكوئى كنيد كه بدرستى خداى دوست دارد نيكوكارانرا

القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون من باب المفاعلة وقيل انه من جملة ما كتب في المصحف
بغير الف كالرحمن الوقوف ولا تعتدوا ط المعتدين ه من القتل ج للعارض بين الجملتين المتفقتين فيه ج للابتداء بالشرط مع الفاء
فاقتلوهم ط الكافرين ه رحيم ه الدين لله ط لابتداء الحكم الظالمين ه قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وهو مفهوم اعتدى
عليكم ط لعطف الجملتين المتفقتين المتقين ه التهلكة ج لاختلاف المعنى اي لا تقتحموا في الحرب فوق ما يطاق واحسنوا ج لاحتمال التعليل

التي

الفاء اي اللام المحسنين • التفسير لما امر في الآية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الآية باشق اقسامها على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي
موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة الذين يقاتلونكم الذين
يناجزونكم القتال دون المحاجزين اعني الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين فعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة
وضعف بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل ولكنا ماروي عن الربيع بن انس انه اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف اما الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان
والنساء اي المستعدين للقتال سوى من جنح للسلم او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستحلون لها فهم في حكم
المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل في سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل الحديبية وهو موضع
كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام
القابل ويتركوا له مكة ثلثة ايام حتى يطوف وينحر الهدي ويفعل ما يشاء فرضي صلى الله عليه وسلم بذلك وصالحهم عليه وعاد الى المدينة
وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر
الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى هذه الآيات وبين له كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء
القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم
على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل اليأس من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق ولا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله
من غير المستعدين كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني
الثلثة بازاء التفاسير الثلثة في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المجاوزين عما شرع الله لهم في الصلاح ثقفته اي صادفته وفي
الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر فاما تثقفوني فاقتلوني • فمن اثقف
فليس الى خلود • امر في الآية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء قاتلوا او
لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حراما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي
من الموضع الذي اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح او اخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم
من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا او
نحو بعثهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه
الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل وروي ان صحابيا
قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اي لا تستعظموا الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار
على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام
الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم في الدين وابقاء على مهجهم
حرمهم اشد من القتل الذي اوجبته عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضي التخلص من غموم الدنيا وآفاتها شعر لقتل بحد السيف اهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم فكانه قيل اقتلوهم حيث ثقفتموهم واعلموا ان وراء ذلك
من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع من الطاعة
التي ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد عليه من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم ولو
اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم بهوى ان
الاعشى قال لحمزة ارأيت قراءتك اذا صار الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا
واذا ضرب منهم واحد قالوا ضربنا وذلك ان وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اي عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال
منع المقاتلة عن ابن عباس وقيل اي عن الشرك بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته
بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن قلت ان اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين تلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام
وانه يؤثر في حقن الدم وعصمة المال وباطنه التشبث باركان الاسلام جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله والفتنة
اشد من القتل على ان التوبة عن القتل العمد مقبولة لان كل ذنب مقبول له فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى
وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غير الكافر اولى ويمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبني على المساهلة فظهر الفرق وايضا

الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مواخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان لا يواخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا
تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وقاتلوهم قيل انه ناسخ لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة
عند المسجد الحرام بقيت حرمته غاية ما في الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها مخصصة اياها وهذا جائز فان القران ليس على ترتيب النزول ولو
كان على الترتيب ايضا فلا يضر لجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص قاطع في دلالته تقدم او تاخر والعام دلالته على ما يدل عليه
الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة قيل اي شرك وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل
الكفر راسا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم نفد الكفره ومن لم يقتل كان خايفا من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى تكون كلمة الله
هي العليا وهو المراد ايضا من قوله ويكون الدين لله اي ليس للشيطان فيه نصيب لوضوح شانه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا
يعبا بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد به او محمول على قصد ازالة الكفر فترتب هذا العزم على القتال كلي لا يتخلف عنه
وقيل فتنة انهم كانوا يضربون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويوذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اي قاتلوهم حتى يظهروا
عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذي اذا بدؤا به كان فتنة على المومنين لما يخافون عنده من انواع
المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين لله يرجح القول الاول ويكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذي وجب
قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعدوا على المنتهين فيكون مجموع قوله الا على الظالمين قائما مقام على المنتهين
لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين وعلى الوجهين سمى جزاء الظلم ظلما للمشاكلة كما
يجئ في قوله بمثل ما اعتدى عليكم او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في
الشهر الحرام وهو ذو القعدة سنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي
القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر والافعال القبيحة فكيف يمنعنا
عن القتال المكرر دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمات ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة
اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد
وفقتم حتى تضيعوها عليهم في سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذن لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم اكد ذلك
بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان
الله مع المتقين بالنصر والتاييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم او بالمكان محال شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل وانفقوا وجه
اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال وانه يفتقر الى العدد والعدد وقد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوي على القتال عديم المال فلهذا
امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعدادا للرجال وتجهيز الابطال وروي انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله يا
رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامر صلى الله عليه وسلم ان ينفقوا في سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق
تمرة ولو بمشقص يحمل في سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول رسول الله والانفاق صرف المال في وجوه المصالح فلا يقال
للمضيع انه منفق وانما يقال لمبذر وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق في الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق في صلة الرحم
وفي الصدقات وعلى العيال وفي الزكوات والكفارات وفي عمارة بقاع الخير وغير ذلك والاقرب في هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به
الانفاق في الجهاد ولكنه عبر عنه بقوله في سبيل الله ليكون كالتنبيه على السبب في وجوب هذا الانفاق فان المال مال الله فيجب انفاقه في سبيل الله
ولان المومن اذا سمع ذكر الله اهتز نفسه ونشط وهان عليه ما دعي اليه الباء في بايديكم مزيد مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا
التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدي الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اي لا تلقوا انفسكم الى التهلكة
وقيل بل هنا حذف اي لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان
التهلكة والهلاك والهلك واحد ولم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان
التنضبة والتتفلة ولو لا التغليب لجاز ان يقال اصلها التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك بتشديد العين فابدل من الكسرة
ضمة كما جاء الجوار في الجوار وليس الغرض من هذا التكلف على ما ظن تصحيح لفظ القرآن كيلا يتوهم فصاحته فانه اجل من ان يحتاج في تصحيحه الى
الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر وكيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فيه و
للمفسرين في هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الاية في النفقة وذلك
ان لا ينفقوا في مهمات الجهاد اموالهم فيستولي العدو عليهم ويهلكهم او ينفقوا كل مالهم فيحتاجوا محتاجا فيكون نهيا عن التبذير والاسراف

او عنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا ان انفقنا نهلك فلا
وفقر انهوا ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق في التهلكة والاحباط منا او اذى او رياء او سمعة و
ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اي لا تخلوا بالجهاد فيتعرضوا للهلاك الذي هو سخط الله وعذاب النار او لا تتقحموا في الحرب
حيث لا ترجون النفع ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كما روي عن البراء بن عازب انه قال في هذه الاية هو الرجل يستقبل بين الصفين وانما
يجب ان يتقحم اذا طمع في النكاية وان خاف القتل روى الشافعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارايت يا
رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس في جماعة العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
الجنة ثم انغمس في العدو فقتلوه بين يدي الرسول وروي ان رجلا من الانصار تخلف من اصحاب بئر معونة فراى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال
لبعض من معه ساتقدم الى العدو فيقتلونني ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه اصحابي ففعل ذلك فذكروا فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا حسنا
وروى اسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر
وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب
الانصاري فقال ايها الناس انكم تاولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا
لبعض سرا دون النبي صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل
الله تبارك وتعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن
بارض الروم وقيل ان الاية من تمام ما قبلها الى ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا لمن قاتلكم
فتركوا ايديكم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فانزل الله تعالى هذه الاية وذلك انه يرى انه لا ينفعه معه عمل فيترك
العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله تعالى واحسنوا في الانفاق بان يكون من حله او بطلاقة الوجه او على قضية العدالة بين التقتير
والاسراف او في اعمالكم عن الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب والقرب
مقتضى الارادة الذاتية وهذا رمز الى ان الله ولي كل خير التاويل وقاتلوا من يمنعكم عن السير في سبيل الله او اراد ان يقطع عليكم طريقه من شياطين الانس
عنه والجن حتى تصونكم التي هي اعدى عدوكم ولا تعتدوا لا تجاوزوا عن حد الشرع فجاهدوها بالطبع ولكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة بقدر الاستطاعة
من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم ومجاهدتها مخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس كما اخرجوكم من
جمعية القلب وحضوره والفتنة اي المحنة التي ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس بمخالفة هواها ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا يلتفتوا الى النفس وصفاتها اذا كنتم امنين مطمئنين في مقامات القلب والروح حتى يزاحموكم في الحضور وداعية
الهوى فان نازعوكم في الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعي عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصدكم عن الله فان انتهوا اي امتنعت
بما لا بد لها فلا تغلوا في مجاهدتها الشهر الحرام اي ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بسوابق النفس ونزاعها وغلبات صفاتها فتداركوها الشهر بالشهر واليوم
باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت واستولت تعالجوها بضد البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله في طرفي
والغزو الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط في الحقوق والافراط في الحظوظ او بموافقة النفوس ومخالفة النصوص او بالركون الى الفتور بالحسبان

واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا
وتمام كنید ارکان و شرائط حج و عمره را برای خدای پس اگر باز داشته شوید پس بر شما بود آنچه دست دهد از قربانی شتر یا گاو یا گوسفند و مسترید جهت حلال شدن
روسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به
موی سرهای شما تا که رسد قربانی بجای کشتن او پس هر که باشد از شما بیمار یا رنج
اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم
از سر او پس بر وی بود بدلی از روزه سه روز یا طعام شش مسکین یا قربانی پس چون ایمن باشید
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة
پس هر که برخوردار شد بسبب عمره تا وقت حج پس بر وی بود آنچه دست دهد از قربانی پس هر که نیابد پس بر وی بود روزه سه
ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم
روزه در ایام حج میان احرام عمره و احرام حج و هفت روزه چون باز گردید بوطن مجموع آن ده روزه تمام این حکم برای کسیست

يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

نباشد كسان او متوطن مسجد حرام يعنى اهل ايشان در حرم يا از مسافت قصر بود و بترسيد از خداى و بدانيد كه خداى سخت عقوبت

القراءة من راسه وكذلك الباس والكاف كلها بغير همزة ابو عمرو غير جاح ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف الوقوف لله ط لان عارض
الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدى ج لعطف المختلفين محله ط لابتداء حكم كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا الشرط مع الفاء
وجواب محذوف اى فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم وقضيه لحق الحلف ولابتداء الشرط من الهدى ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط
العقاب التفسير الحج في اللغة القصد كما مر في قوله فمن حج البيت او اعتمر وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة وهي على ثلثة اقسام اركان و
ابعاض وهيآت لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن او لا يتوقف فاما ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر وهو الهيئة والاركان
عند الشافعي خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او تقصيره وخالف ابو حنيفة في السعي و
لا مدخل للجبران في الاركان واما الابعاض فهي الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي وفاقا وفي الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس و
في المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيآت فالاغتسال وطواف القدوم والرمل والاضطباع في الطواف وفي
السعي واستلام الركن وتقبيله والسعي في موضع السعي والمشي والخطب والاذكار والادعية الى غير ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا
دم في تركها واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيهما ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام وهل هذا الامر مطلق او مشروط فالشافعي على
انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيه فليتمه كما اذا كبر للصلوة لزم الاتمام فرضا كان
او تطوعا وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد به فعل الشيء تاما كاملا كقوله واذ
ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن اى اداهن على التمام والكمال وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اى افعلوا الصيام تاما الى الليل وهذا اولى من تفسيره
بانكم اذا شرعتم فتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه اول آية نزلت في الحج فحملها على الايجاب ليكون تاسيسا
اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولان قراءة واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح للفظ كخبر الواحد
ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فما قلنا اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه احوط
واعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج ولو لم يكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب وقال تعالى يوم الحج الاكبر و
فيه دليل على وجود حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق لكن الحج واجب على الاطلاق لقوله ولله على الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر و
الاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم
فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلى الله عليه وسلم افلح الاعرابي ان صدق وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس
الحديث ولم يذكر العمرة واجيب بانها حج اصغر فيدخل في مطلق الحج ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة اواجبة هي ام لا
فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار آحاد فلا تعارض القرآن
وايضا لعل العمرة ما كانت واجبة حين ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك في السنة السابعة
من الهجرة وايضا انها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان
ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن فقال صلى الله عليه وسلم حج عن ابيك واعتمر امر بهما والامر للوجوب ويروى عن ابن
عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وحمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف قالوا قرأ علي وابن مسعود والشعبي و
العمرة لله بالرفع وكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها ضعيفة من حيث العربية
لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين وجوها ثلثة الافراد والتمتع
والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران بان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج
او ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من ميقات
بلده في اشهر الحج ويأتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام
بالحج وانه ايضا ربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع
استغنى عن الخروج لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه وانما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي
افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية بل قالوا لا يجوز لغير حاضري

المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف
ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان العطف يقتضي المغايرة وانما
يحصل عند الافراد واما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل
ولما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعابها يسيل على كتفي فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا
معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر وقد رجح الشافعي رواية عائشة وجابر
وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم حجة القائلين بافضلية القران ان
القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة
المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة فهما المجموع هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة واختلف في تفسير الاتمام في قوله تعالى واتموا
فعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن عباس وابن مسعود ان اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله
وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الماضية عن الحج والعمرة
فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية بان لا يرجع حتى يتم الغرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام
الآداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه
نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه مع التوسع
في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل او يكريها الثاني الاخوان والرفقاء المقيمون يودعهم ويلتمس
ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى
ركعتين يقرا في الاولى بعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله وبالله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله
وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادس في النزول والسنة ان يكون اكثر سيره بالليل
ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الله كثيرا السابع ان يصعد علوا سبح بالليل والنهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص
والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن مهما علا نشزا من الارض في الطريق يستحب ان يكبر ثلثا التاسع
ان لا يكون هذا السفر مشوبا بشيء من الاغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر ان يصون لسانه عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه
المقدمات ياتي بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون
مؤتمرا لقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اقتداء بابرهيم صلوات الرحمن عليه حين ابتلى بكلمات فاتمهن وقيل المراد من قوله واتموا افردوا
كل واحد منهما بسفره ويؤيد هذا تاويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى معنى ائتوا بالحج والعمرة تامين كاملين
بمناسكهما وشرائطهما وآدابهما لوجه الله بدليل قوله فان احصرتم قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك لانه كالمحبوس
في الحجاب والحصير معروف سمي به لانضمام بعض اجزائه الى بعض فكان كل منهما محبوس مع غيره والحصير البخيل ايضا والاكثرون على ان لفظ الحصر مخصوص بمنع
العدو يقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه وعن ابي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض ونحوه
من خوف وعجز قال تعالى للذين احصروا في سبيل الله وقيل الاحصار مختص بمنع العدو ومنه ما روي عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو
وفائدة الخلاف في الاية تظهر في مسئلة فقهية وهي انهم اتفقوا على ان حكم الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض
وسائر الموانع قال ابو حنيفة يثبت وقال الشافعي ومالك واحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه
صلى الله عليه وسلم مر بضباعة بنت الزبير فقال اما تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان تحلي حيث حبست وفي حكم المرض كل غرض صحيح
كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة ابي حنيفة ظاهر كلام اكثر اهل اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من
قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصر ليس للتعدية لما ان حصر في اقتضاء المفعول فيكون للوجود او
لصيرورته فاذا قيل احصر فالمعنى انه وجد او صار محصورا فلا يبقى النزاع وايضا المانع انما يتحقق عند وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل
فلا مانع بالنسبة اليه فثبت ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض وايضا لفظ المانع على المرض غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين وايضا
لو كان المريض داخلا في المحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه واعتذر عن هذا بان المريض انما خص بالذكر
لان له حكما خاصا وهو حلق الرأس قصدا وتقدير الاية ان منعتم لمرض تحللتم بدم وان تأذى راسكم بمرض حلقتم وكفرتم وايضا فاذا امنتم

الخوف من العدو واذ يقال في المرض شفي وعوفي لا امن ولو قيل ان خصوص آخر الآية لا يقدح في عموم اوّلها قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود
المناسبة وقيل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الآية ان الكفار احصروا
النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية وان اختلفوا ان الآية هل يتناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب
غير جائز ثم في الآية اضماران والتقدير فتحللتم او اردتم التحلل فعليكم ما استيسر او فاهدوا ما استيسر اي ما تيسر مثل استعظم وتعظم واستكبر
وتكبر اما الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل او نية التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله ما استيسر
اما مرفوع على الابتداء وخبره محذوف واما منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو
تحت دفتي السرج جدي وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الهدي ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية
عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس والمحصر اذا
اراد التحلل ذبح وجوبا بنوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار
فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة وكان عائدا اليهما وبانه صلى الله عليه وسلم تحلل بالاحصار
عام الحديبية وكان معتمرا ومأخذ الاحصار قال العلماء لو منعوا ولم يتمكنوا من المسير الا ببذل مال فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل
اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه لا يجب القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا وكان في
مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا المخيط لدفع حر او برد ولا فرق على الاصح في جواز التحلل
بين ان يمنعوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن من العدو المواجه وان صدوا عن طريق وهناك طريق آخر
ووجدوا شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم الحج لخزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم
القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا المجهود فصاروا كالمصدودين مطلقا نعم لو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لان الموجود
فوات محض وفي قوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف لان الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ
الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير الهدي لان كل ما يفرق بين واحده وبينه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتانيثه قال تعالى اعجاز نخل منقعر وفي موضع
آخر اعجاز نخل خاوية والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه او اسم للمكان قال الشافعي يجوز اراقة دم
الاحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم بحيث يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة حجة الشافعي انه صلى
الله عليه وسلم احصر بالحديبية فنحر هناك واجيب بان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلى الله عليه
وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ورد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام
والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الآية صريحة في انهم نحروا الهدي في غير الحرم وايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء
كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو
توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا
لو كان الموصل الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فماذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل
عبارة عن مكان الحل وقوله حتى يبلغ الهدي محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان وايضا هب ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان
الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان والبيت نفسه لا يراق فيه الدماء فيتعين
ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في ماله من بدنة وجزاء وهدي فلا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدي فيذبح
في طريقه ويخلى بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلائل المذكورة قالوا الهدية لا تكون هدية الا اذا بعثها الى دار
المهدى اليه فالهدي كذلك ورد بان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدي فهل له بدل
ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدي في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب له الهدي وما اثبت له
بدلا وعلى هذا فماذا يفعل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كما لو صام بدله كيلا يعظم المشقة والآخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على
احرامه حتى يجد والقول الثاني ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل
الاصح الطعام لان قيمة الهدي اقرب اليه من الصيام وان لم يرد النص الا بالهدي فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي
قول صوم المتمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلاثة ايام وبالجملة فالآية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيحلقوا رؤوسهم الا بعد
تقديم ما استيسر من الهدي كما لم يبح لهم ان يناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدي محله حتى تنحروا هديكم حيث

حبستم او حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه اي الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة
لا بد من نية التحلل عند الذبح لانه قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا عن البيت دون اطراف الحرم فهل
له ان يذبح في الحل اصح الوجهين عند الشافعي ان له ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال مالك واحمد لان المصدودين
مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه في عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يأمر الباقين بالقضاء وقال
ابو حنيفة عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان
وكالنذر والقضاء فهو باق في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها بقي في ذمته ومهما احصر بمرض ونحوه ولم يجوزناه بالآية فحكم الهدي
ما مر في الاحصار بالعدو وان جوزناه بان كان قد شرط التحلل به اذا عرض فهل يلزم الهدي للتحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدي فنعم وان كان
قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدي
محله ربما لحقه مرض او اذى في راسه ان صبر فالله تعالى اذن له في ازالة ذلك المؤذي بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستانف في كل محرم
لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في راسه فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن
الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة
من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام و
الاطعام فليس في الآية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما فماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة
ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا
اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلاثة ايام واطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق راسك نزلت في خاصة وهي لكم
عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في العدد قال العلماء المرض قد يحوج الى اللباس او الى الطيب او الدهن
وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا اذية نحو هذه المحظورات بقلة الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات
الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شاة ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجيء في قوله تعالى فلا رفث
وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الآية اضمار اي فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامن بعد
الخوف وقبل التحلل فجواب الشرط وهو فامضوا محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط
مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول حبل ماتع اي طويل وكل من طالت صحبته مع الشيء
فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم تقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك
والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما يروى عن عمر رضي الله عنه خطب وقال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة و
يتمتع بها الى الحج وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني
الركب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه
غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان
الحج وقيل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج ولوجوب الدم على المتمتع شروط منها ان لا
يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجيء تمام الكلام فيه عن قريب ومنها ان يحرم بالعمرة من
الميقات فان جاوزه مريدا للنسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان الباقي
مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدي لانه اشبه الافراد ولو احرم
بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي انه لا يلزمه الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم احد اركان العمرة
ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند ابي حنيفة
اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام
بمكة الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في وقت الامكان فلم يوجد
وعن سعيد بن المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها

ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد الى الميقات الذي انشأ العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي
اشتراطية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط نية القران وهذا لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف
اشتراطية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كالوقت للحج فهي وقت العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى
لا يجوز له ان ياكل منه او دم نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة
فقال له علي رضي الله عنه اعمدت الى رخصة اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغريب لحاجة فابطلتها فسمى المتعة رخصة وهذا دليل
النقص وايضا التمتع تلذذ واثر باقي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدي على المتمتع بلا توقيت ولو كان نسكا كان موقتا
وايضا الصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذا الهدي تمام فينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة
السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة ويجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثني المعز
وهو الذي دخل في السنة الثانية او جذع الضان وهو ايضا في الثانية يستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم
النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج جاز لان التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدي جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة في الشروع
في الحج فاذا وجد احد مما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية يختص بيوم
النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدي وقدر عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه به او يبيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال
الشافعي بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام
بالحج ليس وقتا للهدي الذي هو اصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة اي في وقت الحج وهو اشهره فجاز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال
احمد في رواية وفي اخرى قال يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب
ان يصوم الايام الثلاثة قبل يوم عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة ان يكون مفطرا كيلا يضعف عن الدعاء واعمال الحج ولم يصمه النبي
صلى الله عليه وسلم بعرفة بل يروى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الافضل ان كان بحيث لا يضعف
فالاولى ان يصوم حيازة للفضيلتين ويعلم مما ذكرنا انه يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدي
فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا
بالحج واذا فات صوم الايام الثلثة في الحج لزم القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات وقته كصوم رمضان واذا
قضاها لم يلزمه دم مثلا وقال احمد وعند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوات ويستقر الهدي في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي
في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد
ومن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة
واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام بها وان لم يتوطنها لم يجز صومها ولا في
الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على وقتها واذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي و
هل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة الاصح عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد انه لا يجب لان التفريق في الاداء يتعلق
بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤداة والاصح عند اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء
ويفارق تفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الرجوع وما قدر ما يقع به التفريق واصح
الاقوال التفريق باربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس له صوم ايام
التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى اهله تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات فمن المعلوم بالضرورة
ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله وسبعة
ليس نصا قاطعا في الجمع بل قد يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلاث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين لو جالسهما جميعا
او واحدا منهما كان ممتثلا فذلك نفيا لتوهم الاباحة وايضا فائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى
هذا مدار علم السياقة وكفى به افادة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم مع الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل
كامل في كونه قائما مقام المبدل وفيما في الفضيلة سواء وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك لجاز ان يعود
الى الثلثة او الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يمنع التخصيص الذي يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص
وايضا ان مراتب الاعداد ثلث الآحاد والعشرات والمئات وهذه من بسائطها فكانه قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا

لاشتراطه كما
اوجبه
السنة
الحج

بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتقد بالاهتمام فيه زيادة توصية
بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا من اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا
كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيديه ثلث مرات اخرى وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة
الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتخوف الذي عسى ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة
في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفريق غير مجزية كما لا يجزي في كفارات الظهار والقتل ووقاع رمضان
الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا في معنى الامر فلتكن تلك الصيامات كاملة لسد الخلل ويكون الحج المأمور به كاملا كما قال
اتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم الصوم لي وانا اجزي به والحج ايضا مضاف اليه تعالى في الاية
واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه
وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل البتة على وجوه الحكمة فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة
الاهل والولد ويقتضي التباعد عن اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى به الا لمحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع
في زمان الحج فيكون جمعا بين شيئين شاقين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من مشقة الى مشقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله
تعالى بالكمال في باب العبادة والتنكير في اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام اختلف العلماء في ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما يترتب عليه لانه ليس البعض اولى من البعض فيعود
الى الكل ما هدي فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي بل عوده الى الاقرب اولى وهو الحكم بوجوب الهدي على المتمتع وايضا قوله فمن
تمتع عام يشمل الحرمي والميقاتي والافاقي وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية في تحريمهم العمرة في اشهر
الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة ويتفرع على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل
منه وعلى مذهب الشافعي ان يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شيء فان لزوم الهدي على الافاقي بسبب انه احرم في الميقات عن العمرة
ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل به والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلا خلل في حجه تمتع او قرن او افرد فلا يلزمه الهدي
ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذي طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون
على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها
الى مكة والمواقيت ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم
من صوب اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من صوب المشرق والعراق وخراسان وكل هذه الثلثة من مكة على مرحلتين وهذه من المذاهب
اوفقها للاية مذهب مالك لان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعي قال قد يطلق المسجد الحرام على الحرم قال تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله اسري به من الحرم لا من المسجد وقد يقال حضر فلان اذا دنا منه ومن كان مسكنه
دون مسافة القصر فهو قريب نازل منزلة المقيم في نفس مكة وفي مذهب ابي حنيفة بعد فانه يؤدي الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال
البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر معتبرة من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثاني لما قلنا ان المسجد الحرام
يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض الذي هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه
وسلم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الاهل والمراد حضور المحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث اهله ساكنون واتقوا
الله في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب
والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعله السيء كقول القائل لتذوقن وبال امرك التأويل حج الخواص حج رب
البيت وشهوده وهذه سيرة ابراهيم صلوات الرحمن عليه كما قال اني ذاهب الى ربي ولكنه احصر في السماء السابعة فلا جرم اهدى
باسمعيل ولما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ذهابه بالله ما احصر بشيء فقيل له واتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب
قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته اسعوا في اتمام صورة الحج بقدر استطاعتكم وفي الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان
احصرتم باعداء النفس والهوى او بملال القلب وكلال الروح او باستحلاء الاحوال وتمني الآمال فما استيسر من الهدي اعلاها الروح و
اوسطها القلب وادناها النفس يهدى بها كان الاحصار ولا تحلقوا الا تشتغلوا بغير الله حتى يبلغوا المقصد فان عرض عرض في الارادة
او بعلو اذى من الرأسمات من غير فترة من نفسه فلم يجد بدا من الانتفاع برخص الرخص فليجتهد ان يتدارك بالفدية فقد قيل من اقبل على الله الف سنة
ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك ذبح النفس في مقاساة الشدائد

فاذا استتم الاحصار واقبل الحاج الصاعد والزمان المساعد من تمتع بالعمرة الى الحج واستراح في الطلب فما استيسر من الهدى من بذل مشارب
الروح والقلب والنفس فمن لم يستطع بذل تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشارب القوى الثلث المدركة
للمعاني والمتصرفة فيها وهي الوهم والحافظة والمخيلة هذا اذا كان في عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع مشاربها وهي الحس
المشترك والخيال الاول مدركة الصور الثابتة معينها على الحفظ وبعدهما الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة
والباطنة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب والانس لا يخاطب ولا يعاتب وانما يلزم التعب والطلب الساب
والسائر فاذا حصل له الاستراح واتقوا ان تسكنوا الى فترة او وقفة او تركنوا الى شرب من هذه المشارب واعلموا الآية الغافلين عن هذا الخطاب القانعين بدل الحال

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان
خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم
من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس و
استغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا
فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من
خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا
والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى
واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون

القراءة فلا رفث ولا فسوق بالرفع فيهما ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد وزاد يزيد ولا جدال بالرفع والباقون بفتح الثلثة
وكذلك روى القطعي من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل

في الوصل بالياء ومن تاخر روى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف بالتليين الوقوف معلومات ج
في الحج ط يعلمه الله ه التقوى ه للعارض بين الجملتين المتفقتين الالباب ج من ربكم ه لان اذا ابتدئت بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم آخر الحرام ص
لعطف المتفقتين هديكم ه لان الواو تصلح حالا واستينافا الضالين ه واستغفروا الله ط رحيم ه ذكرا ط من خلاق ه النار ط مما كسبوا ط الحساب ه
نصف الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم آخر عليه الاولى ج لابتداء شرط آخر مع العطف عليه الثانية ج لتعلق اللام اتقى ط
لاختلاف النظم تحشرون التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك البرد شهر
او الحج حج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسيء قيل ويمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في قوله ليل
قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل الجمع ثلثة
وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر و
من هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر وعن ابي حنيفة عشرة ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي
ومجاهد والحسن قالوا لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك
سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا
طافت بعد ذلك فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من
زعم ان يوم الحج الاكبر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء
وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت الحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الآية جعل وقت الحج اشهرا معلومات واجيب
بان تلك الآية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم نعلم مدخل كل شهر على التعيين اعلام
فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة
الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها
ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا ولسائرهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا عليه قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يات
على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا له او المراد انها معلومات ببيان الرسول والمراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز
تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالآية على انه لا يجوز لاحد ان يهل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد واسحق
وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا تجوز قبل الوقت لانها اقيمت مقام
ركعتين من الظهر حكما ولان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء
فلان لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع
السنة لقوله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام للحج فجاز تقدمه على الوقت كالنذر والجواب
الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدا والاحرام مع
كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فالاحرام افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من تمام الحج ان يحرم المرء
من دويرة اهله وقد تبعد داره بحيث يحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بانه
في حق من لا يكون داره بحيث فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور الحج وبماذا يحصل هذا الالتزام المسمى بالاحرام لانه يحرم
عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية نعم انها سنة عند النية وبه قال
احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض وفرض الحج على النية ادل منه على التلبية او سوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد الحج بدليل قوله
فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في آخرها
ولا في اثنائها نطق واجب وكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط انعقاد الاحرام لاطباق الناس
على الاعتناء بها عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد الهدي
وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى وايضا
ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا يكره الزيادة على هذا لما روي عن ابن عمر
انه كان يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغبى اليك والعمل فان راى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش

اذا قلدها فقد احرم ومن ابن عمر

عند الآخر ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح
قوليه الافضل ان ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى
انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت براحلته
متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ولبى وان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة و
لبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد لم يأخذ
في السير لما روى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما
كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وسلم لعائشة حين حاضت
افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرأ بفتح الثلثة او برفعها فلا اشكال
ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فصل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل لا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال
اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة
وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف
في الحج ومما يستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال قوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك
اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة
امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش المؤدي الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع
انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا
يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوز فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما تفسير الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وله في
الحج والعمرة نتايج منها افساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد
الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد
بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح وعن مالك واحمد انه يفسد ما بقي
من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد
العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا وذلك اذا طاف وسعى وحلق وفي الحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من الرمي
والحلق والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف او الحلق والطواف حصل التحلل الاول وهو اباحة جميع المحظورات من الطيب و
ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بالاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال
الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته معه وبعضها اخرى قال صلى الله عليه وسلم اذا رميتم وحلقتم في الافساد
فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة كالوطي في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما ولمالك
في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويخرج منها بالفساد خارجا منها الا الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي فيهما
وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتايج
الفساد الكفارة يستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان وجدها والا فبقرة والا فسبع
من الغنم والا قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن النتايج القضاء باتفاق لما روينا من
كلام الصحابة وقضى من قابل سواء كان المقضي عنه فرضا او تطوعا فان القضاء واجب واصح الوجهين في القضاء انه على الفور لا على
التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام فيمن ترك الصوم او الصلوة بعدوان على الاشبه
لان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدي لا يستحق ذلك ولو كانت المرأة محرمة نظر ان جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد
حجها والا فسد ولكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول
لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج
فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روي عن علي وابن عباس انهما اوجبا في القبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات
الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد

يعني

وقيل الرفث باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش
لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الرفث الافحاش
وعنه الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى ففسق عن امر ربه وقيل
هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال صلى الله عليه وسلم سباب
المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والايحاش ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية واما الجدال فانه فعال
من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن الحسن هو الجدال الذي
يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء وفي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة وقال محمد بن كعب
القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال آخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عن ذلك وقال مالك في الموطا الجدال في الحج
ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وانه جبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب
وقال القسم بن محمد كانوا يجعلون الشهور على العدد فيختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول آخرون
بل غدا وكانه قيل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا يقطر منيا فقال صلى الله عليه وسلم
لهم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال حينئذ وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج اختلافهم
في ان ايهم المصيب مقام ابراهيم وقيل انه النسيء نهوا عن ذلك فان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج في وقت ابراهيم صلوات الرحمن عليه
قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النهي في الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنى والجدال على الشك في
الحج ليصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهي صح ان يراد بالرفث الجماع ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق
جميع انواعه وبالجدال جميع اقسامه فعلى هذا يكون في الآية بعث على الاخلاق الحميدة والآداب الحسنة وبالحقيقة لا رفث نهي عن
طاعة القوة الشهوية التي توجب الانهماك في الشهوات ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء
ولا جدال اشارة الى تحذير القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فمنه منشأ الآراء المختلفة
والاهواء المتضادة والعقايد الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدال ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي
منشاؤه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ الآراء الزايغة وتحصيل الاغراض الفارغة واما الذب عن الدين القويم والدعاء
الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد والخصام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة وآراء محمودة حتى يستقر الحق في مركزه ويضمحل صولة
الباطل وينكسر رمحه فمامور به في قوله عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احدى شعب البيان وقد يكون الجمع من قاطع البرهان وما
تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض لمقابل الخير وان كان عالما به ايضا النكتة هي اني اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك غيره
اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي لك هكذا في الدنيا فكيف يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع مولاه على سراياه وخفاياه اجتهد في اداء ما امره به
واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان الرفث التقى وبدل الفسوق زينة الحق
ومقام الجدال الشفاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب الاعراق بدليل قوله وتزودوا فان خير الزاد
التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبايح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد
فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الآخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا
يوصلك الى متاع الغرور وزاد الآخرة يبلغك دار السرور زاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الآخرة سبب الوصول الى
عتبة الجلال والقدس شعر اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد
كما كان ارصدا وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسألون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم
فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان [illegible]
على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى في رفع الوسايط والروابط التي عليها
يدور المناهج وبها ينتظم المصالح روي ان بعض العارفين زهد فبلغ زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسأل

احداث شيا حتى ياتيني رزق فاخذ سيحه فاقام في سفح جبل يتعبد لم يأته شي حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي
قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة
واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي
بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق العبد بايدي العباد احب الي من ان ارزقه بيد القدرة وقيل في الاية حذف اي تزودوا العاجل
سفركم وللآجل فان خير الزاد التقوى واتقون يا في اعقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله شعر انا ابو النجم وشعري شعري
يا اولي الالباب يعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع الناس عن الجدال الخلي في قلب
المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية
وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهر لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر
المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان
تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من
فضل الله عن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله
فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الاية على موضع الشبهة اولى من حملها لا على موضع
الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها
متصلة فلا يجوز في اثنائها الاشتغال بغيرها واعمال الحج متفرقة يحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه
الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم
في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الاية كانوا يتاثمون ان يتجروا في ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى
فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان المكارون
من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الدجيج الا اذا كانوا جماعة ولا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الحرج ومن المعلوم
انما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون
ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم
حجاج وعن عمر رضي الله عنه قيل له هل انتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق
ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف
واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والجاه والغذاء
واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو المغفرة والثواب
والجنة والرحمة تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب
القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل
في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه افاضة الماء وهو صبه بكثرة التقدير افضتم
انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك
الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم يسئل هلا منعت الصرف
وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق علما بعد ما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف
وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجود لها كجار الله وكثير من المتاخرين قالوا ان هذا
التنوين تنوين الصرف قالوا وانما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي لمحض التانيث
سقطت والباقية علامة جمع المؤنث ورد بان عرفات مؤنث دائما لان علامة تانيث فيها لا متمحضة للتانيث ولا
لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتاويل بعيد كما في قوله شعر ولا ارض ابقل ابقالها
فانتها لا يقصر عن تانيث مصر الذي هو بتاويل البقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في
من عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع فهو فيه

كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يحذف المانع هذا مع انه جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت
امرئ القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها * بيثرب ادنى دارها نظر عال * وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين
كما في ما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض
من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى يوم عرفة وعرفة وعرفات هي الموضع
المخصوص فقيل التروية التفكر وسببه ان آدم عليه السلم لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري
على هذا العمل قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك باول شوط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لاولادك اذا طافوا به قال زدني
قال اغفر لكل من استغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال حسبي يا رب حسبي وقيل ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه راى في منامه
ليلة التروية كانه يذبح ابنه فاصبح متفكرا اهذا من الله او من الشيطان فلما رآه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت يا رب انه
من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية
الارواء فان اهل مكة كانوا يجمعون الماء للحجيج الذين يقصدونهم من الآفاق فيستقون في الماء بعد ما تعبوا في الطريق من قلة
الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة او لان المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا واما يوم عرفة فقيل انه
من المعرفة لان آدم وحوا عليهما السلم التقيا بعرفة فعرف كل واحد منهما صاحبه عن ابن عباس ولان جبرئيل عليه السلم علم آدم عليه السلم
مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم ولان ابرهيم عليه الصلوة والسلم عرفها حين رآها بما تقدم من النعت والصفة
عن علي وابن عباس وعطاء والسدي ولان جبرئيل عرف فيها ابرهيم المناسك وقد مر في قوله وارنا مناسكنا ولان ابرهيم وضع
اسمعيل عليهما السلم وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم عرفة بعرفات وقد سبقت القصة في بناء البيت
في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا آنفا من منام ابرهيم ولان الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا ولانه تعالى يتعرف فيه الى
الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هناك للحق بالربوبية والجلال ولانفسهم بالفقر والاختلال
الحال يقال ان آدم وحوا عليهما السلم لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الآن عرفتما انفسكما وقيل من العرف
وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها قال صلى الله عليه وسلم خلوف فم
الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار عن الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة
ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس نزلت هذه الآية عشية يوم عرفة وكان يوم جمعة
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة في موقف ابرهيم عليه السلم في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما لهم في هذه الآية لو انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن فجعلناه عيدا
فكان ذلك يوم عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان
الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في
الحج الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم
الحج الاكبر يوم خصوص بكثرة الثواب قال صلى الله عليه وسلم صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة كفارة سنتين
وقال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم يوم اقسم الله
به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة عن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما
اراد هؤلاء اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لهم ولا ضير ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم ان من دخل مكة محرما في ذي الحجة
او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته
واقام الى وقت خروجه الى عرفات ثم يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة
اليوم السابع من ذي الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالذهاب غدا بعد ما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال
ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم
عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل يضرب قبة الامام بنمرة روي ان النبي

[illegible]

صلى الله عليه وسلم مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية و المؤذنون ياخذون في الاذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة ويذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن فاته عرفة فقد فاته الحج وقد يستدل بالاية ايضا على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا اصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة واذا حضر الحاج هناك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سمي بها لانهم يقربون فيها من منى والازدلاف القرب وقيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لانه يجمع فيها بين صلوتي المغرب والعشاء عن مادة وقيل لان آدم عليه السلم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء باقامتين ثم يبيتون بها فان لم يبت بها فعليه دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا منها الحصى للرمي ياخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان امكنه ويحمد الله ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منه الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان راكبا يحرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا فاذا قد محسرا فاذا اتى منى رموا جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم بعد ما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو ترك لا شيء عليه لانه ربما لا يكون معه هدي ثم بعد ما ذبح الهدي يحلق راسه او يقصر ثم بعد الحلق ياتي مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين ومزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في مسيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر الى ان يعود الى منى اربعة رمي جمرة العقبة والذبح والحلق والتقصير والطواف فطواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم ياتون من منى زائرين البيت و يعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى للناس يسالونه فجاء رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه آخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه آخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة ان الترتيب بينها واجب ولو ترك فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابرهيم صلوات الرحمن عليه وذلك ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين وامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة ايضا من قبيل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام والمبيت والدعاء عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر و

متصله به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم لعبادة ووصف بالحرام لحرمته واما الذكر المامور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه ان فاذكروا امر وهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا و الجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هديكم ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولا ثم امر ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين والهداية اما كل انواع الهدايات والهداية الى سنة ابرهيم في مناسك الحج او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه بحسب الراي والقياس فان اسماء الله تعالى توقيفية او الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني الذكر بالقلب والمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته او المراد بتثنية الامر تكريره وتكثيره كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا او الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اشارة للوظيفة الشرعية و الثاني ارتقاء الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى او من قبل الرسول او من قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف به اولى ولانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى ابن وهذا مقام آبائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر الناس بالوقوف بها والحاصل ثم ليكن افاضتكم من حيث افاض الناس الذين يقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المامور بها صواب والاخرى خطاء كما تقول احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه ويصير المعنى فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات ولا ان يعتذر بتقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع ومن القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال انه امر للناس جميعا وقوله من حيث افاض الناس المراد به ابرهيم واسمعيل عليهما السلم فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى به ان ابرهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديما والقول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابرهيم واسمعيل ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان يكونوا افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابرهيم واسمعيل عليهما السلم واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان قليل ويمكن ان يجاب بان القرآن اولى ما يحتج به وعن الزهري ان الناس في هذه الاية آدم عليه السلم واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم ولكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله و يعزم ان لا يقصر فيما بعد ابتغاء لمرضات الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان التقصير لازم الامكان والقصور من خصايص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وانت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذا الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بيان للمبالغة كما مر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على القول الآخر فاذا قضيتم مناسككم اي المناسك جمع المنسك وانه يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب

كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة والحماسة وصلة الرحم و
يتناشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة والرفعة بمآثر سلفهم فلما انعم الله تعالى عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لآبائهم
ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوات
في ايام النحر والتشريق وقيل هو الابتهال على الدعاء والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه
فاذا قضيتم مناسككم وازلتم آثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية واطمتم الاذى عن طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب
بذكر الله فان الخطية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التخلية بمواجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات
ومعنى كذكركم آباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الآباء واقيموا الثناء على الله مقام تعداد مفاخر الآباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة
في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي وان كانوا يذكرون الآباء ليتوسلوا بذلك الى جابر الدعاء فالاقبال الكلية
على مولى النعماء اولى مع ان حسنات آبائهم محبطة بسبب اشراكهم وعن الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم آباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي
اول ما ينطق ابه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالآباء عن الامهات
كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الآباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل لا ينسى ذكر ابيه وكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله و
قال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالآباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيم آباءكم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف
بالآباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم آباءكم بالوحدانية فان الواحد منكم لو نسب الى
اثنين تأذى منه واستنكف وقيل كما ان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله كذلك وعن
ابن عباس معنى الآية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالدك اذا ذكر بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما يقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من
آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الآباء لا فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتبار ان اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره
عن الفاعل وذات الفعل واحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الآخر وانما لزم اعتبار الفعل هاهنا من جهة وقوعه على المفعول لان الآباء المفضل عليهم هم
المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف
الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه واذا انتصب ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا
فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد هاهنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال الذكر اشد ذكر بجر
اضافة وجه نصبه على ما قال ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجيء نسبة الذكر الى الذاكر انه يجمع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر الحمد ثم
نسبه وعلى جميع الوجوه فمعنى او هاهنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب واولى كقول الرجل لغيره افعل هذا الى
شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون ذكره اشد لان مفاخر آبائهم متناهية وصفاته الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه
متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثاني نور وبرهان ثم انه تعالى بعد ما امر بالعبادة تصفية للنفس وتخلية لها عن ظلمات الكبر
والضلال وامر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال
فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك طلب نعيم الآخرة واهمل القسم الثالث وهو ان
يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يوجد فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا
ولا بعذاب النار فالاولى ان يستعيذ من آفات الدنيا والآخرة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه
المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشفي والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد
يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات ومن هنا الذي ينبغي عن امداد الله اياه في
دنياه وعقباه ثم المقصورون في الدعاء على طلب الدنيا منهم عن ابن عباس انهم المشركون كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا
وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر وحكي
عن ابي علي الدقاق رحمه الله انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلب المأكول والمشروب
فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والآخرة فقال الآخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا لانهم سألوا الله في اعظم المواقف

واشرف المشاهد اخس البضائع وادون المطالب المشبه انه بكنيف واحرى واحقر من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم
قوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان يعطي اي يوجد الاعطاء معناه اجعل اعطاءنا
في الدنيا خاصة واعلم ان مطالب النفس في الدنيا احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق
الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا
فيطلب العلم لاجل الرفعة على الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية فلما قال عز من قائل وما له في الآخرة من خلاق اي
طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من ليس له في الآخرة طلب ولا همة الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث
وسفه ووبال وضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا اليك ولا يرغب في
كل ما يرغب الا لاجل ما لديك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الآية ان هذا الفريق مجاب دعوتهم
او لا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمرضيين من عبيده و
قال آخرون قد يكون الانسان مجابا بالاكرام واجابة مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وعلى هذا يجب ان يقال في الآية اضمار اي يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله
في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية
والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة
ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل هما النصرة واما الشهادة واما في الآخرة فالفوز بالثواب والخلاص من
العقاب ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا
والآخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا
زدنا فاعادها قالوا زدنا فقال ما تريدون سألت لكم خير الدنيا والآخرة وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة و
في الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الايمان والطاعة وفي الآخرة التنعم بذكر
الله والانس به وبرؤيته قلت لا تلتذ في الدنيا والآخرة الا بهذا شعر الجسم مني للجليس مجالس ۞ وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي
وعن قتادة الحسنتان طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الآخرة الجنة ومنشأ البحث مجيء الحسنة
نكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة
واي حسنة او يريد حسنة نوا بقوا حال الداعي وحكمة المدعو وفيه من حسن الطلب ورعاية الادب ما ليس في التصريح به فانه لا يكون
الا ما يشاء او يريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام شعر قليل منك يكفيني ولكن ۞ قليلك لا يقال له قليل
اولئك الداعون بالحسنيين لهم نصيب واي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة
من للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح
انها كسب فلان او لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال
موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله
سريع الحساب السرعة نقيض البطء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك
وذلك انه فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا لخلقه قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم
الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب
سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب
على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم يقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم
ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل المحاسبة المجازاة وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه
المجاز ان الحساب سبب للاخذ والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم العباد في احوال اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه
ليس بحرف ولا صوت قال انه تعالى يخلق في اذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال
انه صوت قال انه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف اما بان يخلق ذلك الكلام في اذن كل واحد منهم او في جسم يقرب من اذنه بحيث لا يبلغ
قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا لخلقه ومعنى كونه سريع الحساب انه تعالى متعلقة لجميع

الكمالات من غير ان يفتقر في احداث شئ الى فكرة وروية ومدة وعدة ولذلك ورد في الخبر انه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة وروي في لمحة
او انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في الدعاء المأثور يا من لا يشغله
سمع عن سمع او ان وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم قوله تعالى واذكروا الله
اي بالتكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لان الامر بالتكبير امر بالذي يتوقف التكبير على حصوله
وانما اخر هذا النسق لانهم ما كانوا منكرين الرمي وانما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلثة ايام بعد
النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر
الثاني عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مناديا فنادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك
الحج وايام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه واعلم ان التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل
هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم و
ذكرنا صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق في التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب في عيد الفطر لم
ينقل ذلك عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه وانما يستحب في الاضحى وتقييده هو ان يؤتى به في ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في
ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس
وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر اقواله وحجتهم ان الناس فيه تبع للحجاج وهم يبتدئون التكبير عقيب الظهر يوم النحر الى منى خمس عشرة
صلوة فيكون آخرها صلوة الصبح من آخر ايام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول الثاني للشافعي انه يبتدأ به من صلوة المغرب ليلة النحر
الى الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني عشرة صلوة والقول الثالث انه يبتدئ من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من
يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والاسود والنخعي وابي حنيفة واعترض عليه بان هذه التكبيرات تنسب الى
ايام التشريق فوجب ان يؤتى فيها وان انضم معها زمان آخر فلا اقل من ان يكون هي اغلب والقول الرابع يبتدأ بها من صلوة الفجر يوم عرفة
ويقطع بعد صلوة العصر من آخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلاث وعشرين صلوة وهو قول اكابر الصحابة كعلي وعمر وابن مسعود ومن الفقهاء قول
الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا فقال الله اكبر
ومد التكبير الى العصر من آخر ايام التشريق ولان هذا هو الاحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول انما تكون التكبيرات مضافة الى ايام
التشريق لانها اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من
قولهم اشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس واما رمي ايام التشريق فانه يجب ان يرمي كل يوم بعد
الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث بالترتيب مبتدئا من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ومختتما برمي جمرة العقبة وهي التي تلي
مكة رميات سبعا في سبع دفعات لان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك رماها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون
حصاة يرمي الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة واحدى وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلث الى كل واحدة سبع
تواتر النقل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحاج ان يبيتوا بمنى الليلتين الاولتين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني فمن
اراد منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال احمد ومالك والشافعي وعند ابي حنيفة يسوغ
النفر ما لم يطلع الفجر واذا طلع لزم التأخر الى تمام الايام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف فتعجل وتأجل
يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا اوفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه
على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الايام وقد يسئل فيهما ان المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه
فلا اثم عليه وهذا انما يقال في حق المقصر الذي يظن انه قد رهقه اثم فيما اقدم عليه واجيب بان الرخصة قد تكون عزيمة كالقصر عند
ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال نفي الحرج في الاستعجال والتأخر دلالة على ان الحاج مخير بين الامرين او
بان الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتأخر اثما مخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى ان لا اثم على واحد منهما وقيل ان المعنى في ازالة الاثم
عن المتأخر انما هو لمن زاد على مقام الثلثة وكأنه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلثة فمن نقص فلا اثم عليه ومن زاد على الثلثة
ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل الآية سيقت لبيان ان الحج مكفر للذنوب والآثام لا لبيان ان التعجيل وتركه سيان كما ان الانسان
اذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الآن اذا تناولت السم فلا بأس وان لم تتناوله فلا بأس مريدا ان الترياق دواء كامل في دفع المضار لا ان تناول

السم

السم وعدم تناوله مخير بان يجري واحدا وقيل ان جوار البيت مكروه عند كثير من العلماء لان ذلك قد يفضي الى نقص حشمة البيت وتعظيمه
في قلبه وعينه فامكن ان يختلج في قلب احد ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج
في واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها والهاهنا اولى لان المندوب يصدق
عليه انه لا اثم على صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل
الحاج المتقي كيلا يختلج في قلبه اثم منهما فان ذا التقوى يتحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما تحصل لمن كان متقيا قبل
حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين او لمن كان متقيا عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل فيه
حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون تأكيد للامر بالتقوى
وبعث على التشدد فيه لان الحشر هو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء الموقف يوجب تصور لزوم شرع
الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجأ الا اليه ولا استعانة الا
هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله التأويل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة
ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين بارد نعم لو صدق طلبه قبل الاربعين وما امكنه الوصول فيرجى ان يحصل مقصوده بعد الاربعين
ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فيخشى منه عليه الحيف اذ ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي
آخرها الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها ولا يهجرها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الانابة يتزر بازار التواضع والانكسار ويرتدي
برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الوقت ولا يدخل فيما يورث المقت ولا
جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصل لا بالفروع ولا بالاصول فلا في نيلها مع احد يخاصم ولا في جانبها الاحد يزاحم
فمن نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا لكل سالك زاد فزاد اولي
الفسوق كعك وسويق وهم الذين مقصدهم البيت ومقصودهم الجنة وزاد اولي الالباب التقوى وهم من مقصدهم ومقصودهم
رب البيت وتقوى اهل الفسوق مجانبة الزلات ومواظبة الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات
والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا مقام ابتغاء الفضل يعني الرحمن بذل
الموجود وبذل المجهود وهو في سيره الى عرفات ومقام ابتغاء بمعنى مواهب القربة بذل الوجود عند الوقوف بعرفات
لان الحج عرفة وعرفة المعرفة ومقام ابتغاء بمعنى الرزق هو قبل سيره الى عرفات وقال جمع من المحققين انه بعد استكمال الحج الحقيقي
لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون نصرته فيها بالله في الله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرم عليه الاطمينان بغير ذكر
الله واذكروه كما هديكم اي كما هدى قلوبكم بهدي نفوسكم كيلا يقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين
في طلب الدنيا وحظوظ النفس من حيث افاض الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اي ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل
اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل ازالة غبار المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله و
الفتح الى قوله واستغفره اي اذا اوجدت هذا لا يخلو عن حظ فاستغفره فاذا قضيتم مناسككم الوصالية و
بلغتم مبلغ الرجال فلا تأمنوا مكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم آباءكم في صغركم للافتقار وفي كبركم للافتخار او اشد ذكرا لانه
يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان اثر الطاعة واثر المعصية تظهر في الحال على القلب
في ايام معدودات هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وقف على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم
عليه ومن تأخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف والله ولي التوفيق

ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد
واز مردمان است کسی که بشگفت آورد ترا گفتار او در باب زندگانی این جهان و گواهی می آورد
الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى
خدای را بر آنچه در دل اوست و حال آنکه او سخت است در خصومت و چون غایب شود از نظر تو شتابد
في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله
در زمین تا تباهی کند در ان و هلاک گرداند کشت را و نتایج حیوان را و خدای

لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم

دوست ندارد تباهی را و چون گویند مر او را بترس از خدای باعث شود او را تکبر بر بزه‌کاری

فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري

پس کافیست او را جزای دوزخ و هراینه بد آرامگاهی است آن و از مردمان هست کسی که می‌فروشد

نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد

خود را برای جستن خشنودی خدای و خدای مهربانست بر بندگان

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا

ای آنکسان که ایمان آوردید درآیید در انقیاد و طاعت همه و متابعت منمایید

خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين فإن

گامهای دیو را که وی مر شما را دشمنیست آشکارا پس اگر

زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله

بلغزید شما از جاده شریعت از آن پس که آمد بشما دلالات روشن پس بدانید که خدای

عزيز حكيم هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام

غالب است درست کردار انتظار نمیکشند مگر آنکه آید بایشان عذاب خدای در سایه‌ها از ابر

والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور القراءة

و فرشتگان و گذارده شد کار هلاک ایشان و بحکم خدای باز گردانیده شود کارها

مرضاة بالإمالة في الوقف بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهاه وعلى حل أبوذات ذاه وعلى فرايتم اللات اللاه وعلى ولات حين ولاه وعلى مريم ابنة ابنه وافق أبو عمرو في ولات حين بالهاء السلم بفتح السين أبو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا على ظلل وعلى الغمام أو الجوار وإن كان فاعلا يأتيهم الباقون بالرفع ترجع الأمور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم الوقوف قلبه لا لأن الواو للحال الخصام ه والنسل ط الفساد ه جهنم ط المهاد ه مرضات الله ط بالعباد ه كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع احتمال الجواز مبين حكيم ه وقضي الأمر ط الأمور ه التفسير لما ذكر أن الحاج إلى تغليبه فرق الناس بحسب أغراضهم في الدعاء ناسب أن يعطف على ذلك تقسيم آخر يعرف منه مطامح أنظار الناس على الإطلاق ليعرف أرباب النفاق من أصحاب الوفاق عن السدي نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأظهر له الإسلام وزعم أنه يحبه وقال والله يعلم أني لصادق فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر وقيل إنه أشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم إن محمدا ابن أختكم فإن يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وإن يك صادقا كنتم أسعد الناس به فقالوا نعم الرأي ما رأيت ثم خنس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمي بهذا السبب أخنس وكان اسمه أبي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبه وعن ابن عباس والضحاك أن كفار قريش بعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرا من علماء أصحابك فبعث إليهم جماعة فلما كانوا ببعض الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فأحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم ففيهم نزلت وقوله بعد ذلك ومن الناس من يشري إشارة إلى هؤلاء الشهداء واختيار المحققين من المفسرين أنه لا يمتنع أن تكون الآية نازلة في الرجل ثم تكون عامة في أشكاله فهذه الآية عامة في المنافقين فإن ألسنتهم تحلولي وقلوبهم أمر من الصبر والضمير في يعجبك قوله يعود إلى من ويحتمل أن يكون جمعا ولكنه أفرد نظرا إلى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم في قلبك في الحيوة الدنيا إما أن يتعلق بقوله أي يعجبك ما يقوله في باب الدنيا طلبا للمصالح العاجلة فقط كالأمان من القتل والأخذ من الغنائم وإما أن يتعلق بيعجبك لأن قوله وحلو كلامه مما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الهيبة والحيرة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام والخطاب إما للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل سامع ويشهد الله على ما في قلبه يحتمل أن يكون ذلك الاستشهاد بالحلف أو أن يكون يقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام وهو ألد الخصام الألد الشديد الخصومة واللديدان جانبا الوادي كأن كلا من المتخاصمين في جانب ومنه اللدود

في جانب واللدود وهو ما يصب من الأدوية في أحد شقي الفم وأضاف الألد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر وقيل الطف وجعل الخصام ألد على المبالغة نحو جد جده أو الخصام جمع خصم كصعاب في صعب والمعنى هو أشد الخصوم خصومة والحاصل أنه جدل بالباطل شديد الفسوق في معصية الله عالم اللسان جاهل العمل وإذا تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق سعى في الأرض ليفسد فيها كما فعل بأموال المسلمين من إحراق الزرع وعقر المواشي وأصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار لإيقاع الفتنة والتضريب بين الناس وقيل لما انصرف من بدر مر ببني زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا لما أجمله قوله ليفسد وقيل الإفساد هو إلقاء الشبه في عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون إهلاك الحرث والنسل معنى آخر وهذا تفسير مناسب لأن كمال الإنسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الإفساد إشارة إلى نقص قوته النظرية والإهلاك عبارة عن فعل المنكرات وفيه نقصان قوته العملية وقيل وإذا تولى أي إذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلت الناقة بولد كثير والتركيب يدل على الخروج وقيل إهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم وإهلاك النسل إفناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على أنه لا يريد القبائح وإذا لم يردها لم يخلقها لأن الخلق لا يمكن إلا بالإرادة ومنع من أن المحبة نفس الإرادة بل المحبة عبارة عن مدح الشيء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على أنه لا مرجح لأحد جانبي كل ممكن على الآخر إلا الله والإسناد باب إثبات الصانع يدل على أن الكل بإرادته ومشيئته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم أنه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الأفعال الذميمة أولها حسن كلامه في طلب الدنيا وثانيها استشهاده كذبا وبهتانا وثالثها لجاجه في إبطال الحق وإثبات الباطل ورابعها سعيه في الأرض للإفساد وخامسها سعيه في إهلاك الحرث والنسل فوقع قوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة أشنع من الكل دالة على جهله المركب وخروجه عن أن يرجى منه خير وذلك قوله وإذا قيل له اتق الله في أن تكاب شيء من هذه المنهيات والقائل إما الرسول صلى الله عليه وسلم قولا خاصا أو عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه وإما كل واعظ وناصح أخذته العزة بالإثم من قولهم أخذت فلانا بأن يفعل كذا أي ألزمته ذلك حملته عليه أي أخذته الغلبة والاستيلاء والأنفة وحمية الجاهلية أن يعمل الإثم وذلك الإثم هو ترك الالتفات إلى هذا الوعظ وعدم الإصغاء إليه أو من قولهم أخذته الحمى لزمته وأخذه الكبر اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الإثم الذي في قلبه وذلك الإثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل فحسبه جهنم كافيه من جزاء له يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مصدر ورفعه على الخبر أو على الابتداء إذا كان ما بعده معرفة أو على الابتداء فقط إن كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الإضافة معنوية ألبتة وعلى تقدير كونه خبرا لوقوع المعرفة بعده يكون الإضافة لفظية أي محسب وكاف له قال يونس وأكثر النحويين جهنم اسم النار التي يعذب الله بها في الآخرة وهي أعجمية وفيها العلمية والتأنيث وقال آخرون إنها اسم عربي سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها حكي عن رؤبة أنه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء أي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه أي غليظه سميت بذلك لغلظ أمرها في العذاب والعقاب ولبئس المهاد هي ما مهد لأجله فإن المعذب في النار يلقى على النار كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل أن يكون مصدرا بمعنى التمهيد والتوطية قوله تعالى ومن الناس من يشري الآية قال سعيد بن المسيب أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته وأخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون إلي أو أرمي بكل سهم معي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي وإن شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا الآية وقيل أخذ المشركون صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فخرج إلى المدينة فتلقاه أبو بكر وعمر في رجال فقال له أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقال صهيب وبيعك فلا تخسر ما ذاك فقال نزلت فيك كذا وقرأ الآية وعن الحسن نزلت في أن المسلم لقي الكافر فقال له قل فقتل وقيل نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب إنسانا يقرأ هذه الآية فقال عمر إنا لله قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه إلى الغار ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الآية ثم إن الآية تدل على أن ههنا مبايعة فأكثر المفسرين على أن العامل هو البائع ومعنى يشري يبيع ويشروه بثمن بخس والله هو المشتري إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وعمل المكلف وهو بذل نفسه في طاعة الله من الصلوة والصيام والحج والجهاد هو المثمن والجنة هي الثمن وقيل يحتمل أن يراد بالشري

فهنا الاشترآء وذلك ان من اقدم على الكفر والمعاصى وكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت حقا للنار فاذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى
نفسه من النار فصار حال المومن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشترى بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقى عليه درهم فكذا المكلف
لا يخرج عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد فى الدنيا وهذا قول عيسى عليه السلم واوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا
وقوله عز من قائل لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وابتغاء مرضات الله اى طلب رضوانه نصب على العلة الغائية وفيه دليل على ان
كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عمله ضلالا او كدا وبالا والله رؤف بالعباد
فمن رافته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر ابقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رافته انه
لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رافته ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو فى لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رافته ان
النفس له والمال له ثم انه يشترى ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة
اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو ايضا راجع الى هذا وانه يذكر ويؤنث
والخلف فى المخاطبين يحتمل ان يراد المسلمين بما ايضا ... المنافقين الذين آمنوا بالالسنة والقلوب دوموا على الاسلام فيما
تستانفون من ايامكم ولا تخرجوا منه ولا من شىء من شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تلتفتوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم اهل
الغواية والكائن فى الدار اذا علم ان له فى المستقبل خروجا منها لا يمتنع ان يؤمر بدخولها فى المستقبل حالا ومعلوم ان المؤمنين قد
يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو وغيرهما من الاحوال فلا يبعد ان يامرهم الله بالدخول فى الاسلام فيما يستانف من الزمان وامرهم
بان يكونوا مجتمعين فى نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا آثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور فى امر الدين مثل ولا تنازعوا
فتفشلوا او يكون المراد الدخول فى السلم ترك الذنوب والمعاصى فان من مذهبنا ان الايمان باق مع الفسق والعصيان او يكون المراد الرضا
بالقضاء والتلقى لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد فى الخبر الرضا بالقضاء باب الله الاعظم او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريقة
العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المامورين اى ادخلوا باجمعكم فى السلم ولا تفرقوا
ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم على انها تؤنث كالحرب اى ادخلوا فى شرائع الاسلام كلها واصل الكف المنع فسمى الجميع كافة لانه اجتماع
يمنع التفرق والشذوذ ورجل مكفوف اى كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار والكف طرف اليد لانه يكف
بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم فى الاسلام ولا تتبعوا آثار تزيين
الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت فى مسلمى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض شرائع موسى
كتعظيم السبت وقراءة التوراة واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فامروا ان يدخلوا فى شرائع الاسلام كافة ولا يتمسكوا
بشىء من احكام التوراة لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع آثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب
لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم ادخلوا بكليتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالشبهات التى تتمسكون بها فى بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابى مسلم ان المبين من صفات البليغ الذى يعرب عن ضميره ولا يخفى
انه اعرب عن عداوته لادم ونسله وقيل مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله
فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون فى قوله ادخلوا فيجى الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم
عن الطريق الذى امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز
غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية فى الوعيد كما لو قال الوالد لولده ان عصيتنى فانت عارف بى وبشدة سطوتى كان ابلغ فى
الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكما ان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة
تميز المحسن من المسيء وان لا يسوى بينهما فى الثواب والعقاب روى ان قارئا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابى فانكره ولم يقرا القرآن وقال ان كان هذا
كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الاية معنى النظر ههنا الانتظار وفى
اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شان المحدثات والمركبات وانه تعالى ازلى فرد فى ذاته وصفاته
فذكروا فى الاية وجوها الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت فى مثل هذه الالفاظ من التاويل وتفويضه الى مراد الله تعالى كما روى عن
ابن عباس انه قال نزل القرآن على اربعة اوجه وجه لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه يعرف من قبل العربية فقط ووجه
لا يعلمه الا الله الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انه لا بد من التاويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجىء الآيات مجيئا له تفخيما لشانها كما يقال جاء الملك
اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد اتيان امره وباسه بحذف المضاف بدليل قوله فى موضع آخر او ياتى امر ربك فجاءهم باسنا وايضا

المؤمن يبذل انفاسا معدودة ويشترى بها نفسه

اللام فى قوله وقضى الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذى اضمرناه لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها محال وعند المعتزلة اصوات
فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد وحينئذ فالمراد ما يليق بتلك المواقف من الاهوال
واظهار الايات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهى فلا يبعد ان مناديا ينادى يوم القيمة الا ان الله يامركم بكذا ومعنى كونه فى ظلل من الغمام ان سماع ذلك
النداء ووصول تلك الظلل يكون فى آن واحد او يكون المراد حصول اصوات مقطعة مخصوصة فى تلك الغمامات تدل على حكم الله تعالى
على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تعالى يخلق نقوشا منظومة فى ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها
حال اهل الموقف فى الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل المعنى محذوف
الا ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ فى الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم فى كل وجه وقيل
ان معنى فى الباء اى ياتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذى ياتيهم فى الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية
الفزع كقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طى ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء
على ان الخطاب فى ادخلوا فى السلم لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على
اعتقاد التشبيه ويجوزون المجىء والذهاب على الله تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى عليه السلم على الطور فى ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك
فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان الاية لا تدل الا على ان قوما ينتظرون اتيان الله وليس فيها
دلالة على انهم محقون فى ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهى ما اظلك والغمام لا يكون كذلك الا اذا كان مجتمعا ومتراكما فالظلل من الغمام
عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون فى غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام ههنا فى معنى النفى اى ما ينتظرون
الا ان ياتيهم عذاب الله فى ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان اشنع لان الشر اذا
جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة
لظهور الاهوال فى القيامة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا او
استعير لتتالى العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقوموا بما امروا به من تعذيب وتخريب لا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضى الامر
فرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم او عما كانوا يوعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع فى دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان
ياتيهم الله ويقضى الامر فوضع الماضى موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب والساعة كل ما هو آت قريب واما لان اخبار الله تعالى
كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزله من الجنة
او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفا على لفظ الله والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك فى الدنيا عباده
كثيرا من امور خلقه اما اذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقولهم رجع امرنا الى الامير اذا كان هو يختص بالنظر فيه
فعلى المكلف ان يدخل فى السلم كما امر ويحترز عن اتباع آثار الشيطان كما نهى ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تعالى يرجعها
الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيامة فهذا معنى القراءتين فى ترجع وايضا قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب فى قولهم
فلان يعجب بنفسه ويقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك وان لم يكن احد يذهب به او المراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون
برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة الحال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والآصال التاويل النفس الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة وترى انها اولى
الاولياء ولكنها اعدى الاعداء وتسعى فى تخريب ارض القلب وابطال حرث الصدق فى طلب السعادة واهلاك نسل
ما يتولد من الاخلاق الحميدة وتنسخ بانها عن قبول الحق فحسبه جهنم البعاد ومن الناس من يشرى هذا شان الاولياء
باعوا انفسهم خالصا لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا فى السلم كافة اى بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة
ودخول القلب فى الاسلام يكون بتحول الايمان فى القلب ودخول الروح فى الاسلام يكون بتخلقه باخلاق الله
تسليم الاحكام والاقضية لله ودخول السر فى الاسلام بفنائه فى الله وبقائه بالله وهذا مقام يضيق عن اعلانه
نطاق النطق ولا يسع اظهاره فى ظروف الحروف شعر وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل

بپرس از پسران يعقوب كه چند داديم ايشان را از معجزه روشن و هر كه تغيير كند

نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين
للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين
اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و
منذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى
يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب

القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد وكذلك في آل عمران والنور موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي فبدلوا ومن يبدل العقاب من الذين آمنوا م لان والذين مبتدأ وفوقهم خبره ولو وصل صار فوقهم ظرفا ليسخرون او حالا لفاعل يسخرون وفيه ظاهر يوم القيمة ط حساب ط ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين باذنه ط مستقيم ه من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما يأتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولم يأتكم متى نصر الله ط قريب التفسير انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي فان عرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الآية ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد وهذا السؤال سؤال التقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة والا فكثرة الآيات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين على انهم لو زلوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كم بعثرو... وكم تحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية تمييزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد الآيات التي آتيناها اياهم حتى يخبروك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن انا كثيرا من الآيات آتيناهم والآيات الواضحات اما معجزات موسى عليه السلام كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها من تسع ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من آمن واقر ومنهم من جحد وبدل ومن يبدل نعمة الله قيل انها الآيات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الآيات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها ليكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الآية البينة هي ما في التورية والانجيل من الدلائل

على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها انهم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل استعملوها في غيرها او تبرموا لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول وهو ان المراد من النعمة الآيات فمعنى مجيئها التمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانت غايبة فان الله شديد العقاب قال الواحدي ان الرابطة محذوف اي له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان شاء ولكن لا يلزم من كونه شديدا العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك وصفا ذاتيا ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب الذي لاجله كان التبديل سيرتهم فقال زين للذين كفروا الآية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على الباقي من نعيم الآخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد او للفصل مع ان التانيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الآية نزلت في ابي جهل واضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في التنعم والراحة كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين والمهاجرين ثم المزين هو فعل المعتزلة انهم غواة الجن والانس فحبوا امر الآخرة في اعين الكفار واوهموا ان لا صحة لها فلا تنغصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال شعر
انترك لذة الصهباء نقدا ... بما وعدوه من لبن وخمر
قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه واذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعله المستحسن له مصيبا وان كان كافرا واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر لجميع الكفار لا بد ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه مردود وانما المزين من يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات وهذا اخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر وقال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب يقول اين يذهب بك لا يريدون ان ذاهبا ذهب به ومنه قوله تعالى انى تؤفكون انى تصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان بالحقيقة هو الذي زين لنفسه والتحقيق ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانها جميع الحوادث اليه اظهر في الدنيا من الآخرة والنضارة والطيب والحلاوة وركب في الطبايع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذي لا يمكن تركه بل امكان رد النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام وبهذا يتم غرض الابتلاء او نقول المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا ولم يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله تعالى خص بهذا التزيين الكفار وتزيين المباحات لا يختص بالكفار ولئن قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دائم التردد والتطلب فازيد لكونه معقود الهمة به لا علش عند الا حسن الدنيا بخلاف المؤمن فان تمتعه من طيبات الدنيا وبهجتها وان كثر ماله وجاهه مكدر بالخوف والوجل من الحساب والآخرة قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال عن الآخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد ذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا وتحملوا المتاعب لطلب الآخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في مهاوي الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج الكفار وشبههم كانت توثق بوسوسة الشيطان ومجرد استبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيامة يستند الى العيان وبمدد الرحمن ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة لكونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول آمنوا كما قال من الذين آمنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان فقراء المسلمين عنها على انهم على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غايتي الاستدراج في حق الكافر والابتلاء في حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه ولا يسأل عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن في تقديره ما كان هذا في حسابي

فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء المومنين فلعل الله تعالى يرزق المومنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغنام بما افاء عليهم
من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا لطريانها
عذاب وطلبها حساب وما يرزق العبد في الاخرة من النعيم المقيم بغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الآية بالمومنين
رزق الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا لا نهاية له ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب ويقال
ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فالفضل بلا حساب والحساب انما
يحتاج اليه اذا كان بحيث اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار يكون
الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب واذا ان الذي يعطي لا نسبة له الى ما في خزاين ملكه وقدرته
فلا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي او معنى بغير استحقاق وانما يعطى بمجرد الفضل والاحسان ومعناه انه يزيد على قدر الكفاية الى غير سبيل
سعة من قولهم فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه قوله تعالى
كان الناس امة واحدة الآية فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك داء
قديم في الانسان ثم الامة الواحدة كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها
قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وهذا يدل على ان النبيين عليهم السلام بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل
ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم حينئذ اولى ومنها النقل المتواتر ان آدم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل
قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة
وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فلعل الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق يتوقف على النظر والنظريات مستندة لا محالة الى المقدمات
يعلم صحتها بصريح العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب من خارج فالصواب له بالذات والخطاء بالعرض وما
بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي
والحسد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي عن ابن عباس والحسن
وعطاء انهم كانوا على الباطل لان بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثهم ولو قيل ان تقدير الآية فاختلفوا فبعث
الله كما قرأ به ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر قالوا من وفاة آدم الى زمان
نوح عليه السلام كانوا كفارا بحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس عليهم السلام كما يقال دار الكفر وان كان
فيها مسلمون القول الثالث عن ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرايع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع
وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر نعمه والاجتناب عن القبايح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف
مفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فيعلم من ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على جميع الشرايع فلا يكون الا مستفادة من العقل ثم سال
القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس آدم وانه كان نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون مع اولاده متمسكين بالشرايع العقلية اولا
ثم ان الله تعالى بعثه الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت مندرسة ثم رجع الناس الى الشرايع العقلية القول الرابع التوقف ولا
دلالة في الآية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس ان المراد من الناس اهل الكتاب الذين آمنوا بموسى عليه السلام ثم اختلفوا بسبب
البغي والحسد فبعث الله النبيين ومعهم الكتب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل ومحمدا ومعه الفرقان صلوات الرحمن عليهم
ليكون تلك الكتب حاكمة في تلك الاشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول وفق قول من قال ان الخطاب في يا ايها الذين آمنوا ادخلوا
في السلم لاهل الكتب فيراد بالناس اذن ناس معهودون ثم انه تعالى وصف النبيين بصفات ثلث الاول كونهم مبشرين الثاني
كونهم منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى ازالة المرض والاول كالغذاء والثاني كالدواء
الدواء ولان الاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثاني لانه مقصود بالعرض الصفة الثالثة قوله وانزل معهم الكتاب بالحق
وفي قوله معهم والضمير يعود الى عامة النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك الكتاب ام لم يطل
معجزا كان او غير معجز قيل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار فلم قدم التبشير والانذار على انزال الكتاب واجيب بان
الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم وغيرهما وبان المكلف انما يحمل النظر في دلالة المعجز
على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لو لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا العقاب والخوف انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا
قدم ذكرهما على انزال الكتاب ثم فيه فايدة اخرى لفظية هي ان لا ينقطع فاصلة كثيرة بين الثالثة وبين الاولين او بين الثالثة وبين ما نسب

حساب بغير

بين

ثم يردون ذلك الكتاب

عليها من قوله ليحكم الكتاب لانه اقرب ولا محذور في نسبة الحكم اليه تجوزا كالاحد في كونه هدى وشفاء واللام للجنس او لجميع كل واحد
كما من قبيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا
فيه بعد الاتفاق او في كل ما اختلفوا فيه فلم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه اي اعطوا
الحق واورد لمباشرة اسباب القربة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب اي الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف كانهم عاكسوا
الكتاب بنقيض ما انزل لاجله انزل كيلا يختلفوا فازدادوا في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة الانبياء و
انزال الكتب كما مر في القول الاول وقال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا واما
تحريفهم وتبديلهم من بعد ما جاءتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اي وما اختلف فيه من اختلف الا من بعد مجيء
البينات التي هي الكتب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة
لايتاء الكتاب ويعني بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تعالى على اثبات الاصول لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية واذا حصلت الدلائل
العقلية والسمعية لم يكن في العدول عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان سببه بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة الانصاف
وكثرة الاعتساف من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى الى اي هداهم الى
ما اختلفوا فيه كقولهم ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا باذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بامره فلا امر يحصل التمييز بين الحق والباطل فيحصل
الهداية وقيل في الآية اضمار اي فهداهم فاهتدوا باذنه اذ لا يجوز ان ياذن لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل
الى كمال الدارين وهو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق والطلب لا يتاتى الا باحتمال شدايد التكليف واعباء الارشاد والتعليم قال سبحانه
ام حسبتم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا لرسول الله والمومنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان
من كان نظره اعلى في مراتب قرب المولى فبلاؤه اقوى وهو الابتلاء اولى قال في الكشاف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان
واستبعاده وقال القفال رحمه الله تعالى تقدير الآية فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق فصبروا على استهزاء قومهم افتسلكون سبيلهم
ام تحسبون ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن ابن عباس لما دخل
النبي صلى الله عليه وسلم اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة له فانزل
الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان
كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون
انفسكم وتنصرون الباطل لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المومنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان
بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة
ومكابدة الضر والبوس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهات العدو كما نال ذلك من قبلكم من المومنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي في الشدة
وبيان للمثل وهو استيناف كان قايلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة
عليه والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والآفة اليه وزلزلوا حركوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا
شبيها بالزلزلة وهي من زل الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان الخائف
لا ينفك عن اضطراب وقلقلة ولهذا لا يقال ذلك الا بالخوف المقيم المقعد ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة
على كمال الضر والبوس والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم
فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية في الشدة لا مطمح وراءها من قرأ يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال
بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع على الحال الماضية المحكية كقولهم شرب الابل حتى يجيء البعير
يجر بطنه الا ان نصر الله قريب اي فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبهم فكونوا انتم معاشر المومنين كذلك في تحمل الاذى والمشاق
في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه آت وكل ما هو آت قريب والحاصل ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينالهم من
المشركين والمنافقين اذى كثير ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى فعزاهم الله تعالى في
ذلك وبين ان حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك والمصيبة اذا عمت طابت وذكر الله تعالى من قصة ابرهيم عليه السلام
والقايه في النار ومن امر ايوب عليه السلام وما ابتلاه به ومن امر ساير الانبياء في مصابرتهم على انواع المكاره ما صار ذلك
سلوة للمومنين روى خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة

فقالوا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال لقد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين و يمشط
بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف
الا الله و الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون وههنا سوال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله و وعيده ان يقول على سبيل
الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان يتاذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى
انه سينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر
الله قريب لا بان نصر الله كائن وهذا الجواب يحتمل ان يكون قول القوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم وعلموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى
اخبر عن الرسول و الذين آمنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلامين احدهما متى نصر الله والثاني الا ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول
والاول قول المومنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الاية دليل على ان كل من لحقه
شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه واما ان يموت واذا مات فقد وصل الى ما لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من
اعظم النصرة اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير **التاويل** انه تعالى اذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه
ويريه آياته وكراماته فان تغير احواله وتعجب بحاله فيتصل على حظوظ النفس ويبدل نعمة الله بموافقتها ورضاها فان الله شديد العقاب بان
يغير احواله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق وانزل معهم الكتاب الذي جف به القلم للسعادة
او الشقاوة كقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما اختلف كل فريق الا وقد اوتوا السعادة
او الشقاوة في حكم الله وقضائه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد البينات وهي معاملاتهم فيها يتبين السعيد من الشقي و العكس

يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير
فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم و
عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسئلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن
سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه
اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب

من الله ويحتمل ان يكون ح

النار هم فيها خالدون ان الذين امنوا والذين هاجروا
آتش اند ايشان در آن آتش جاودانه باشند بدرستي آنانكه ايمان آوردند و آنانكه از مكه مفارقت كردند
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله
بار اسلام و كوشش نمودند در راه خداى ايشان اميدوارند بخشايش خدا را و خداى
غفور رحيم **الوقوف** ينفقون ه السبيل ط للابتداء بالشرط عليم ط كره لكم ج خير لكم ج لتفصيل الاحوال
آمرزكار است مهربان
شر لكم ط لا تعلمون ج قتال فيه ط كبير ج على ان قوله وصد مبتدا وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر
عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وسبب المسجد الحرام وصد عن سبيل
وعن المسجد الحرام فيوقف ههنا ويجعل واخراج اهله مبتدا وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله وكفر به مبتدا والوجه هو الاول
لانتظام المعنى اي القتال فينا وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التي كانت منكم اكبر من القتل ط استطاعوا ط والاخرة ج
لان الجملتين وان اتفقتا فتكرار اولئك ينبه على الابتداء مبالغة في تعظيم الامر النار ج خالدون ه في سبيل الله لا لان ما بعده
خبر ان رحمت الله ط رحيم ه **التفسير** انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال على الآجل بكل ما يمكن من التحول
في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله شرع بعد ذلك في بيان الاحكام
وهو من هذه الاية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضية من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة والوعظ
ببيان الاحكام ليكون كل منهما موكدا للآخر **الحكم الاول** بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الآية
في رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا قال انفقه على نفسك فقال ان لي دينارين فقال انفقهما على اهلك فقال
ان لي ثلثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة قال انفقها على والديك قال ان لي خمسة قال انفقها على قرابتك قال
ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو اخسها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن الجموح وهو
الذي قتل يوم احد وكان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد
تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم سالوا عما ينفقون لا عن مصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله في
الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه فيه انه حصل في الاية ما يكون جوابا عن السوال وضم اليه زيادة
بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اتم وهو بيان المصرف
لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق قال القفال السوال وان كان واردا بلفظ ما الا ان
المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذي امر بانفاقه ما لخرج قربة الى الله تعالى وحينئذ يكون الجواب مطابقا للسوال
كما طابق قوله انها بقرة لا ذلول سوالهم عن البقرة ما هي حيث كان من المعلوم ان البقرة بهيمة شانها كذا وكذا فتوجه الطلب
الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سالوا هذا السوال اجيبوا بان السوال فاسد انفق اي شي كان ولكن بشرط
كونه ما لا حلالا ومصروفا الى مصبه كما لو سال شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام آكل والطبيب يعلم انه لا يضره
اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى انفق اي شي اردت لكن بشرط و
هو ان يراعى الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد رباه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم
بمصالح جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق
وايضا لو لم يعطه قريبه احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من
الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشراك
في دار الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلدهم وما لهم ما يبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق
شي من المال بناء على ان الخير هو المال او من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا للجزاء الثواب وهربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازي
احسن الجزاء عن السدي ان الآية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع
او الاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب قوله تعالى كتب
عليكم القتال كان النبي صلى الله عليه وسلم غير ماذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين
عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الآية تقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فمستفاد

من لفظ كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وعن مكحول
انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص
هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع وذلك الدليل مفقود ههنا
بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد حينئذ على الكل وهو كره لكم ليس المراد ان المؤمنين
ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس وهكذا شان سائر التكاليف وكيف لا والتكليف
الزام ما فيه كلفة ومشقة واتمها في القتال اكثر لان الحياة اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها ليس بهين شعر والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم
من تركه للمصالح التي نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز
اي هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه
لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه
واذا كان الاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال
وبالضد وهذا حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار لتحصيل الربح في
المال وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى شعر العلم اوله مر مذاقته لكن آخره احلى من العسل
وههنا كذلك لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار
ادناها تسلط الكفار واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان يستباحوا بيضة الاسلام ويستباحوا حريمهم واستئصالهم
عن آخرهم واما منافع الجهاد فمنها الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات عليه والثواب
في الآخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب
في القرآن قال فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد وجد وعسى الله ان ياتيني بهم جميعا وقد حصل والله يعلم وانتم لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى يتعلق بعلم
الاسباب وما يترتب عليها والحوادث وما تنشا منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا
في السموات وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد وفيه ترغيب عظيم في
اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والتمرد فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم
انه لا يامر العبد الا بما فيه خيره وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول ايها العبد علمي اكمل من علمك فكن
مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك وهواك فهذه الآية في هذا المقام تجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا
تعلمون الحكم الثاني قوله سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام اكثر المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم ان يكون
الامر بالقتال مخصصا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم هل يحل لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام
لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة
قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة
بن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير
وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على
اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه
بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمع وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني ان لا استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد
اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستاذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية
اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن
الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا
راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهي

رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي
عمرو بن الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون
العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه
الناس لمعايشهم فسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن
جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية فظنوا انهم قد هلكوا
وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس
في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس وقسم الباقي بين اصحاب السرية
فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما
بهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله رجع الى مكة فمات
بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله الله وطلب
المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان هذا السؤال كان من الكفار سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه
خفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرا عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي عظيم منكر
كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدا لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله قل قتال ومن حق
النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفة مشارا بها الى الاول والا كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي سالوا
عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام و
اعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سالوا عنه ثم الجمهور
اتفقوا على ان حكم هذه الآية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس
الغزو في الحرم ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى
وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول
يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله
تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه
تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه
اكبر عند الله من القتل في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا عنها في الشهر الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه
في جمادى واعلم ان قوله وصد مبتدا وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل انه معطوف على الهاء في به وعند من يجوز العطف
على المضمر المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد الحرام منع الناس عن الصلاة فيه والطواف
به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين
الصد بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد في المعنى فكانه لا فصل وبان التقديم لفرط
العناية مثل ولم يكن له كفوا احد وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر الحرام اي يسئلونك عن قتال
في الشهر الحرام والمسجد الحرام الحرم فالصد عن سبيل الله هو المنع عن الايمان بالله وبمحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن
عمرة البيت وزيف بان الآية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر واجيب بان معلوم الله
كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهلا له اذ كانوا هم القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وكانوا
احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وايضا انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو
قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بعامه في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بان هذه الامور يصدر عنهم في الشهر الحرام والفتنة
اي الشرك او القاء الشبهات في قلوب المؤمنين او التعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار اكبر من القتل لان الفتنة تفضي الى القتل
في الدنيا والى استحقاق العذاب الاليم في الآخرة فصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذي وقع السؤال عنه وهو قتل
ابن الحضرمي وروي انه لما نزلت الآية كتب عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر

واخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن استمرار الكفار على عداوة
المسلمين حتى يردوكم عن دينكم كي يردوكم عنه كقولك اسلمت حتى ادخل الجنة بمعنى كي ادخل ويجوز ان يكون بمعنى الى كقوله ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه وهو واثق بانه لا يظفر به ان ظفرت
بي فلا تبق علي ومن يرتدد ومن يرجع منكم عن دينه فيمت وهو كافر باق على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا
فلما يفوتهم من فوائد الاسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل الى ان يظفر به ولا يستحق من المؤمنين موالاة ولا نصرا ولا ثناء حسنا
وتبين زوجته عنه ويحرم الميراث واما في الآخرة فيكفي في تقريره قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واعلم ان الردة اغلظ
انواع الكفر حكما وانها تارة تحصل بالقول الذي كفر كجحد مجمع عليه وكسب نبي من الانبياء واخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا
بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما ليس بواجب ويشترط في صحة الردة التكليف فلا
يصح ردة الصبي والمجنون وههنا بحث اصولي وهو ان جماعة من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاة فالايمان
لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات الكافر عليه لان من كان مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله فلو كان ذلك
الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان وهو محال واما ان يقال ان الطارئ يزيل
السابق وهو ايضا محال لانهما متنافيان وليس احدهما اولى بالتاثير من الآخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من
الرفع وايضا شرط طريان الطارئ زوال السابق فلو علل زوال السابق بطريان الطارئ لزم الدور وبحث فروعي وهو ان المسلم اذا صلى
ثم ارتد ثم اسلم في الوقت فعند الشافعي لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرط
فيمت وهو كافر وعند ابي حنيفة يلزمه قضاء ما ادى وكذلك الحج لما جاء في موضع آخر مطلقا ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
والحبط في اللغة ان تأكل الابل شيئا يضرها فتعظم بطونها فتهلك وفي الحديث وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم فسمي بطلان
الاعمال بهذا لانه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه ولا شك ان المراد من احباط العمل ليس هو ابطال نفس العمل لان العمل شيء كما وجد
فني وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفير المعنى ان عقاب الردة الحادثة يزيل ثواب الايمان السابق اما
بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي هاشم وجمهور المتأخرين من المعتزلة او لا بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي علي وقال المنكرون للاحباط المراد
بالاحباط الوارد في كتاب الله تعالى هو ان المرتد اذا اتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه يمكنه ان يأتي بدلها بعمل يستحق ثوابا فمعنى حبط
عمله انه اتى بعمل ليس فيه فائدة بل فيه مضرة عظيمة او المراد تبين ان اعماله السابقة لم يكن معتدا بها شرعا وروي ان عبد الله بن جحش
واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم اجر فنزلت ان الذين آمنوا الآية لان عبد الله كان مؤمنا وكان مهاجرا
فصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقيل انه تعالى لما اوجب الجهاد بقوله كتب عليكم القتال وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك
ذكر من يقوم به فقال ان الذين آمنوا الآية ولا يكاد يوجد وعيد الا ومعه وعد ومعنى هاجروا فارقوا اوطانهم وعشائرهم من الهجر
الذي هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لانه مما ينبغي ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدين
وهو ايضا هجرهم بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل
الجهد في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك ويجوز ان يكون معناها ضم جهده الى جهد اخيه في نصرة دين الله فالمساعدة ضم ساعد الى
ساعد اخيه لتحصيل القوة اولئك يرجون رحمت الله يحتمل ان يكون الرجاء بمعنى القطع واليقين لكن في اصل الصواب والظن انما دخل في
كميته وكيفيته ووقته ويحتمل ان يراد المنافع التي توقعوها فان عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب في عمله بل كان يظن ظنا وانما
جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على الايمان والعمل غير واجب وانما ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب
ايضا فلانه معلق بان لا يكفر بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك وايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد ولا بد للانسان مع ذلك
من سائر الاعمال والتوفيق فيها مرجو من الله وايضا المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مستقصرين انفسهم في
نصرة دين الله فيقدمون عليه راجين رحمته خائفين عقابه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
والله غفور رحيم محقق لهم وجاء ان شاء بعميم فضله وجسيم طوله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل
رجاء كما تسمعون انه من رجا طلب ومن خاف هرب وقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة ويقال الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب
القلب من ملاطفة الرب روي عن لقمان انه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال كيف استطيع ذلك
وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالآخر وهذا لانهما من حكم الايمان ويعمل بهما كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطيران ...

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير و
منافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسئلونك
عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم
والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم
ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى
النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه و
يبين آياته للناس لعلهم يتذكرون

القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلي الباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو الباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز
روى ابو ربيعة عن اصحابه وعن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان مذهب والهمز ليدل على اصل الكلمة الوقوف
والميسر ط للناس ز قد يجوز مع اتفاق الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو
يتفكرون لا لتعلق الجار والآخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم ط المصلح ط لاعنتكم ط حكيم ه يؤمن ط لاجل لام
الابتداء بعد اعجبتكم لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ط الى النار ج والوصل اجوز لان مقصود
الكلام بيان تفاوت الكلام مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه ج لان جملة والله يدعوا
تقابل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على
يتذكرون التفسير الحكم الثالث بيان حرمة الخمر والميسر قالوا نزلت في الخمر اربع آيات بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا
في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه اعرابي بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة في وقوع التحريم
على هذا الوجه ان القوم قد كانوا الفوا شرب الخمور وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المألوف
شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة
الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعي بما روى ابو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل عن عمر
وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وهذا دليل على ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر
والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من
العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما جرى ذكر هذه الاشياء خصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكل ما في
معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة في خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا
في غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فمراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا
فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه انه كالخمر في الحرمة وهو المراد عن عائشة قالت سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي والمفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء وايضا الايات الواردة في الخمر
منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرهما بلفظ المسكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر وكذا في قول عمر ومعنى
الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا او اما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا قال
تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال
معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله
تعالى تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله تعالى علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر وهو رزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان
المنة لا تكون الا بالمباح وايضا ما روي في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا اسقيك نبيذا قال
بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام جنسه قليلا كان او كثيرا نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله
حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق
مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاء رجل فسأله عن العصير فقال اشربه ما كان
طريا قال اني طبخته وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيئا قد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ
من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه الا اذا اسكر وان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فيحرم ويتعلق
بشربه الحد روي ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد
او نقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذي يسكر فان ذلك حرام ويحل ولا
يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل وغيرها حلال نيا كان او مطبوخا ولا يحرم منه الا القدر المسكر
وذكر في حد السكران عبارات فعن الشافعي الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يعرف بين السماء والارض وقيل
الذي يتمايل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب ان الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن
اي شيء سالوا فيحتمل انهم سالوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سالوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سالوا عن حل شربه وحرمته
الا انه تعالى اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسالونك عما في تعاطيهما واما كيفية
دلالة الاية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم
ومما يؤكد هذا ان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزمها الاثم على جميع التقادير من
الشرب وغيره من وجوه الانتفاع والاستعمال ثم صرح ايضا بان الاثم الحاصل منهما اكبر من النفع المتوهم فيهما عاجلا وانما لم يقنع بكبار
الصحابة بهذه الاية طلبا لما هو اكد في التحريم ثقة واطمينانا كما التمس ابراهيم صلوات الرحمن عليه مشاهدة احياء الموتى طلبا
لمزيد الايقان وركونا الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت
لم من نقص في الاديان السالفة تممه شرع خاتم النبيين وايضا هذا اللزوم شرعي فيمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان
ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه سلب

يسار عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله ومن اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب وقال ابن قتيبة
الميسر من التجزية والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للمقامر ياسر لانه سبب
ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور وقال الواحدي يسر الشيء اذا وجب والياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت
لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام اساميها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها
نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان و
للرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها
ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب
له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه
البرم قال العلماء وفي حكم الميسر جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين
فانهما من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروي ان عليا رضي الله عنه مر بقوم
وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وحفظ اللسان عن
الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال وهذا ليس كذلك ويحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير
من السلف واما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لما
فيها من التأهب للجهاد والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فمعنى الكثرة
ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عقال الطبع واشرف خصائص الانسان و
مقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكى بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضي ويقول الحمد لله الذي
جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك فقال ما انا بآخذ جهلي بيدي
فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس
عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنى وغيره وكفى بقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن
ذكر الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذما لها وتنفيرا الاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب
الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة
اهل النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يتغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان
المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة وكان يكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن شعر افي نهار فالحق بندامكم ❁
يساق الينا تجرها ونفوتها ❁ قال بقراط في الخمر عشر منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن
البشرة وتطيب النكهة وتزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتقرب الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر
التوسعة على ذوي الحاجات لانهم كانوا يفرقون على المساكين ويكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان من منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة
عاجلة اقل من اثمهما لكونه مستعقب الحساب ودائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل على العقاب الباقي الذي لا نهاية له الحكم الرابع
ويسئلونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس
لما راوا الله ورسوله يحضان على الانفاق وينبهان على عظم ثوابه سالوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو ما تيسر
وسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو عن الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو ومن
قال ان العفو هو الزيادة فهو ان الغالب ان ذلك انما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى
التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير والتقتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنته وقال صلى الله عليه
وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوة
ذكرها ههنا جملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى رأي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول
آية الصدقات وكانوا مامورين بان يأخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الايات
اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستأنف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة فيما
بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما وهو اكثرهما منافع ويجوز ان

يكون اشارة الى قوله وانهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق
بيبين اي يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون **الحكم الخامس** ويسألونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعنه عن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان
الذين ياكلون انطلق من كان عنده مال يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه وجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم
فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما اليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم
والتأديب وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لا باكله النفقة عليه والركوع منه واما الولي فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى
يختل مصالحه ويفسد وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم
بالاصلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون
نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والآخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام
والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله
المرء بمال ولده وضع اخوانه في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والموافقة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل في ذلك
العمل وتخرج المذاهب في ذلك ان شاء الله تعالى اذا انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف
وقيل المراد ان تخالطوا اموال اليتامى باموال انفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة
واختاره ابو مسلم لان هذا خلط لليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة في قوله قل اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح و
تزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى قال بعد هذه الآية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان المعنى
ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام ليتأكد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك
والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها ويعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازيه على حسب غرضه ومقصده فلا
تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على
العنت وهو المشقة بان يضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا
في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد استدل
بالآية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول
ولو شاء لاعنتكم ولهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم **الحكم السادس**
ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الآية ابتداء شرع وحكم آخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى
في مخالطتهن دون مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة
ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت
فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فنزلت هذه الآية ثم العلماء اختلفوا في الآية في موضعين **الاول**
في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك
ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطء ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى وقال الجمهور من
اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطء لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطء بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس
من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطء فيحسن استعمال
اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سالت ابا علي عن قولهم نكح المرأة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة
ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امرأته او زوجته لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في
هذه الآية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات **الثاني** لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث
وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا شرك محض وروي ان النبي صلى

الله عليه وسلم امر اميرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد
الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك
المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر ثم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه
الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد
عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان
ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك والكواكب
احتج المخالف انه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف
او لعله خص اولا ثم عمم هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان اله العالم واحد
وانه ليس له في الالهية بمعنى خلق العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة
واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه يسمي كل
من كان كافرا بانه مشرك **التفريع** ان قيل المشركات يشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالآية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من آمن
بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من آمن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج يهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان خل سبيلها فكتب
اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب
ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا
آكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات يخص بالحربيات فالآية ثابتة
وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات وزيف هذا عن الحسن وغيره بان رفع مباح الاصل
ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الآية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى
يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة
عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه
هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات فان وافق سره العلن كان مؤمنا
حقا والا كان منافقا جاحدا ولامة مؤمنة هذا اللام في افادة التوكيد يشبه لام القسم والمراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن
امة الله وعبده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب
محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب تتعلق
بالدنيا ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان تيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتآلف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا
من حسن الصحبة والمعاشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فتنعكس هذه القضايا وتنقلب اضداد
ما توقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك
وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض آخر الى ان في الآية دلالة على
ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الآية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون
لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه لا بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم
قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد من الكل ان
المؤمنة لا يحل تزوجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية
مظنة الالفة والمحبة في الظاهر وقد يحمل المودة على الانقياد في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اتم من الطموح
الى اسلام المشرك فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك
المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل
زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله

يدعوا الى الجنة بيث امر الزوج المسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدى اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذى يستحق به الجنة والغفران وقراء الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء اى المغفرة كاينة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبه على ما هو مركوز فى العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون **التأويل** ان خمر الظاهر كما يتخذ من اجناس مختلفة كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر النفوس والعقول الانسانية التى هى مناط التكليف فلهذا حرمت فى عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الودادات فى اقداح المشاهدات من ساقى تجلى الصفات اذا دارت الكؤوس لمحت شهوات النفوس فسكر القلوب بالمواجد عن المواعيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بمطالعة الجمال من مطالعة الكمال وهذا شراب حلال لا اثر فوق عالم التكليف وانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القرب والاستيناس **شعر** فصحوك من لفظى هو الوصل كله ۰ وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا ۰ فما مل ساقيها وما مل شارب ۰ عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا ۰ فقوم اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقى **شعر** فاسكر القوم دور كاس ۰ وكان سكرى من المدير ۰ الكاس والشراب والساقى والمسقى هم هنا واحد كما قيل **شعر** رق الزجاج ورقت الخمر ۰ فتشابها فتشاكل الامر ۰ فكانما خمر ولا قدح ۰ وكانما قدح ولا خمر ۰ واثم الاعراض عن كؤوس الوصال فى ايام اكبر من نفع الطلب الف سنة فى البداية اما الميسر فلمزاح كبير عند الاحيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه علم الالتفات الى الكونين وبذل نقوش العالمين فى فردانية نقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما لان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى فى الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع فى الخمر الباطن والميسر الباطن واهل الظاهر اكثر من اهل الباطن والله اعلم بالصواب

ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤ فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان

الله سميع عليم **القراءة** حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء فى الطاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة انى بالامالة المفرطة حمزة وعلى وخلف وقراء العباس بالامالة اللطيفة كل القرآن الباقون بالتفخيم لا يواخذكم وبابه وكل همزة تحركت وتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده واشباه ذلك بغير همز يزيد وورش والشمونى وحمزة فى الوقف **الوقوف** عن المحيض ط اذى لا لان الكون اذى يثبت البعاد فى وجوب الاعتزال فى المحيض للعطف حتى يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء فى جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين ۰ حرث لكم ص لان الفا كالجزاء اى اذا كن حرثا فاتوهن والافقد اختلف الجملتان شئتم ز فلا يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين ۰ بين الناس ۰ عليم ۰ قلوبكم ط حليم ۰ اشهر ج رحيم ۰ عليم ۰ **التفسير الحكم السابع** ويسئلونك عن المحيض قال الله تعالى جميع فى هذا الموضع بين ستة اسئلة فذكر الثلثة **الاول** بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك الحوادث وقع فى احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من تلك السؤالات مبتدأ وسألوا عن الوقايع الاخر فى وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا روى ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون فى التباعد عن المرأة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت فقال اناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فنزلت الآية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت يعنى ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن واتفق المسلمون على حرمة الجماع فى زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة فالشافعى وابو حنيفة وابو يوسف يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجئ والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء فى زمان الحيض ترك العمل بالآية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقى الباقى على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ما يحل لى من امرأتى وهى حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء نعم المحيض الاول مصدر ليصلح عود الضمير اليه فى قوله قل هو اذى اى الحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير هو ذو اذى وانما قدم قوله هو اذى ليترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان ذلك دم صالح يسيل من عرق ينفجر فى عنق الرحم ويؤيده ما روى فى الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابى حبيش فقالت يا رسول الله انى امرأة استحاض فلا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعى الصلوة فاذا ادبرت فاغسلى عنك الدم ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض فى اللغة السيل وفاض قال الازهرى ومنه قيل الحوض لان الماء يحيض اليه اى يسيل والواو والياء من حيز واحد وقد ورد فى الحديث لدم الحيض صفات منها السواد وير اد به انه تعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اى يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحرانى وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكاليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التأمل فى تلك الدماء وفى تلك الصفات يقتضى عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض ومتى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فان رأت الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعى رض واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول وقت الامكان يدخل بالطعن فى السنة التاسعة وقيل بمضى ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعى يوم وليلة وعند ابى حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما وليلة لقول على كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر يوما فهو استحاضة وعن عطاء رايت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المرأة الدم فى عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر

بوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك لا اعلم بين الحيضين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال تمكث احديهن شطر دهرها لا تصلي استدل بذلك باقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض
ست او سبع وفي الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن
ومعنى في علم الله اي مما علمك الله من عادتك او من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف
والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القرآن والسجود والغشيان بنص القرآن والطلاق في حق بعضهن ثم ان اكثر فقهاء
الامصار على ان المراة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول سالم والاوزاعي والشافعي والثوري
والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او تمضي عليها وقت صلوة وان رأت عشرة ايام
جاز له ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن
فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانها الحرمة عند انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهيرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون
النهاية حصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة
في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهير بكلمة اذا فوجب
ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهير والمراد بالتطهير الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المراة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض
بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان يغسل الموضع ويتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم
مقامه عند اعواز الماء من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة
وقال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية
فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر عنهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك بمجامعة الحائض و
الطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين من المتنزهين عن تلك الفواحش التائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي
ما فعله تنزها عنه لان الذنب كان نجاسة روحانية كقوله انما المشركون نجس ويحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة
التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار **الحكم العاشر** نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان والتوضيح لقوله
فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى المأتي الذي هو مكان
الحرث عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية وتحويل الرحل قيل كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها
وعنه كانت الانصار تنكر ان يأتي الرجل المراة مجبية او في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل
ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك
ان قوله حرث لكم اي مزدرع ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه ففرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد
الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي هن مواضع حرث فاتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر
عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز
من قائل قل هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتأذى الانسان منه بنتن وتلوث ونفرة طبع
والاذى في الدبر حاصل ابدا فالاعتزال عنه اولى بالوجوب فمعنى انى شئتم كيف شئتم من قبلها او قائمة او باركة او مضجعة وقيل انى
بمعنى اين اي فأتوا حرثكم اي وقت شئتم من اوقات الحل يعني اذا لم يكن اجنبية او محرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس ان شاء عزل
وان شاء لم يعزل وقيل متى شئتم من ليل او نهار والاتيان الاول والآخر وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى انه قاله نافع
عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث اسم المراة لا الموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك هذا اي
من اين لك على تقدير الامكنة فيلزم ان يكون المأتي متعددا وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكور
لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه الحجج ولو سلم مساواتها دلائل الحرمة في القوة فالاجتناب احوط
كيف لا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات غرض التوالد والتناسل الذي به

بقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الكائنات لكفى به منقصة وذما واذا كان الزنى لكونه مزيلا للنسب محرما وكذا الخمر لكونها دافعة
للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا لفناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء ولهذا عقبه
بقوله وقدموا لانفسكم اي افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية اشتملت
على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الآخر فكانه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في ربقة الاخلاص وتقديم
الطاعة ثم انه اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التاكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلثة المتوالية لا تحسن الا اذا كان
مسبوقة بالنهي عن شيء فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك
من آداب الجماع وقوله واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذي لولاه لضاع
فعل الطاعات وترك المنهيات وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب
والكرامة وتحويهما الاثر كالمعلوم من نحو قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
واما كان الغرض نفس البشارة مثل فلان يعطي **الحكم التاسع** ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو نهي الجراءة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر
ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة اي معرضا له قال فلا تجعلوني في عرضة اللوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا
تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما
كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يستشهد به
غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا
يكون برا متقيا واذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس في صدق
لهجته وبعده عن الاغراض الفاسدة فعدوه برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى آخر وهو
ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشيء الذي يوضع في عرض الطريق فيصير مانعا للناس من السلوك ومنه
عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم او اصلاح او احسان او عبادة
ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف
عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذي هو خير
وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى
والاصلاح بين الناس وعلى هذا فاللام في لايمانكم للبيان يتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة لما
فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوا شيئا يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اي لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم
به عرضة لان تبروا والله سميع عليم بنياتكم انه تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمي الحلف بذلك
لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد
الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو قال صلى الله عليه وسلم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام يخطب فقد
لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فمذهب الشافعي وهو قول عائشة والشعبي وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف
مرة ومذهب ابي حنيفة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول
ان اللغو هو ان يحلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة الخلاف ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله و
بلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد من ذلك حجة الشافعي ان الاية
تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذي يقصده الانسان
على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما تعوده الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شيء انه كان حاصلا
جدا ثم ظهر انه لم يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه
ذكر قبل هذه الاية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على
سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة والمؤاخذة عليهم يفضي اما الى ان يمتنعوا عن
الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب ويؤيده ما روت عائشة

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللغو اليمين قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقوم ينتضلون ومعه
رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت والله ثم اخطا فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة
التي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق
والعتاق وايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على
الحانث مطلقا من غير فصل بين الجد والهزل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يواخذ بترك
هذه الايمان ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم اي باقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية وعن الضحاك ان
اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يواخذكم الله باثم الحلف اذا كفرتم وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد واختار القاضي
ابو بكر ان الشافعي قال معنى لا يواخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا تقصدونه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت
من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس وقال مالك في الموطا احسن ما سمعت في
ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد خلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضي به
احدا او يعتذر لمخلوق ويقطع به مالا فهذا اعظم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله
او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله غفور حليم حيث
لم يواخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تكفرون او تتوبون عنها **الحكم العاشر** للذين يؤلون من نسائهم يقال
في اللغة الى يولي ايلاء وائتلى ايتلاء وتالى تاليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي آليت ان افعل خلاف المقتله
والايلاء في الشرع وهو الحلف على الامتناع من وطي الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغيرها
الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات
بعل والغرض منه مضارة المراة ثم ان اهل الاسلام كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتامل
فان راى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان راى المصلحة في المفارقة عن المراة فارقها ثم المتعارف ان يقال آلى على كذا وانما
عدي ههنا بمن لانه اريد لا يكون من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون
من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين والتربص التلبث والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة المصدر الى الظرف كقولهم بينهما
يوم او سير يوم فان فاءوا ان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمؤمنين ما عسى يقدمون عليه من
طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك من الاسباب وان
عزموا الطلاق بان عقدوا القلب على رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم
ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة هي ظرف المحلوف عليه **الركن الاول** الحالف وهو كل
زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف
ومحمد لا يصح الايلاء بالله تعالى ويصح بالطلاق والعتاق وايضا لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في المدة وعند ابي حنيفة تتنصف برق المراة
وعند مالك برق الرجل كما في الطلاق ولنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير هذه المدة انما كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة
والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة ويصح الايلاء في حالتي
الرضاء والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المراة سواء كانت في صلب النكاح او
كانت مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها ولدخولها تحت
ظاهر قوله يولون من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع
الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح الايلاء على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايذاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل
ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة وان طرا الجب فالاصح ثبوت الحكم انحلالها فانه لم يعض بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض
وقد قصد الاضرار بالايلاء واذا كانت المراة رتقاء او قرناء والحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال **الركن الثاني** المحلوف به
هو اسم الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وقول

ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلايل الدالة على وجوب الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اتم
ثم يفرقها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة في الاية لانها مبينة في ساير المواضع من القران وعلى لسان الرسول و
قوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب وانه لا ينافي الكفارة وكما ان التايب عن الزنى والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك
يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطيتك فلله علي عتق رقبة او صدقة او حج او صوم او
صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين بالوطي يحصلان
لو وطي فيكون مانعا من الوطي بالوطي ما نعاه له من الوطي ويكون هو بتعليقه بالوطي مضرا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى
يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفي او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في النذر فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال
اصحها ان عليه كفارة اليمين والثاني عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين كفارة اليمين وبين الوفاء **الركن الثالث** المحلوف عليه
وهو الجماع وهذا من صرايح افعاله وكذا النيك والوطي والاصابة ومن كناياتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تحمل الا بالنية
الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطاها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول وان حلف يوما وهذان
المذهبان في غاية البعد وعن ابي حنيفة والثوري انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا يطاها اربعة اشهر وفيما زاد وعن مالك واحمد
والشافعي انه لا يكون موليا حتى يزيد المدة على اربعة اشهر فعند الشافعي اذا آلى منها اكثر من اربعة اشهر اجل لاربعة اشهر وهذه المدة تكون
حقا للزوج فاذا مضت طالبت المراة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منها طلقها الحاكم عليه وعند ابي حنيفة اذا مضت
اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة الشافعي ان الفاء في قوله فان فاءوا يقتضي كون ما بعدها من حكمي الفيئة والطلاق مشروعا متراخيا
عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج وفان الزوج
لا بد ان يصدر عنه شيء يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاءوا تفصيل الحكم المتقدم كما يقول اتاركم
هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق في نفسه فالطلاق اشارة اليه وايضا الغالب
ان العازم للطلاق والضرار وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ومدامرة وحديث نفس فذلك الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان
واستدل على صحة مذهبه في ان الفيئة لا بد ان تقع في الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاءوا فيهن ورد بانها شاذة فلا معول عليها
والرجوع الى الحق اولى والله حسبي **التاويل** كما ان النساء محيضا في الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن بمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا
للرجال محيض في الباطن هو سبب نقصان ايمانهم بمنعهم عن حقيقة الصلوة وهي المناجاة وعن حقيقة الصوم وهي الامساك عن
مشتهيات النفوس وكما ان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعي الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكلما غلب
الهوى تكدر الصفاء وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفاء ولذلك تودي من سرادقات الجلال بقلوب الرجال اعتزلوا
نساء النفوس في محيض غلبات الهوى حتى يطهرن بفراغ من قضاء الحوايج الضرورية الانسانية من الماكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن
بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة في طلب القربة فاتوهن من حيث امركم الله يعني عند ظهور شواهد الحق لزهوق باطل النفس و
اضمحلال هواها ان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين باخلاق المعبود ليحب التوابين عن بقاء الوجود
ويحب المتطهرين ببقاء الشهود نساؤكم حرث لكم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم
رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القايمون بالله الداعون الى الله باذن الله فكما ان الدنيا مزرعة الاخرة لقوم
فالدنيا والاخرة مزرعتهم ويحرثون فيهما انى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد قدمت مشيتهم في مشيته وبقيت
قدرة تصرفهم بتقويته لا يواخذكم الله القلب كالارض المزارعة والجوارح كالالات الحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في
الارض المربية للمزارعة لا ينبت وان كان في آلة من الالات الحراثة انما ان كان لما يجري على الظواهر من الخير اداء اثر في القلب ولو كان مثقال ذرة
فان الله تعالى من كمال فضله وكرمه لا يضيعه بل يضاعفه فان كان ما يجري عليه في الظاهر شرا فان لم يكن له اثر في القلب كان لغوا ولا يواخذ وان
كان له اثر في القلب فهو بصدد المواخذة وان شاء الله غفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع له من اهل القصة وقفة او فترة
في اثناء السلوك من ملالة النفس او نفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يبادروا في الحقيقة ويعاونوه بالهمم العلية
ويتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين كما جاء في الحديث ان خلق احدكم يجمع في بطن امه
اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك فان فاءوا الفيئة الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة
ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى لا حظوة بعين القبول فان هذا ربيع لا يرعاه الا المهزولون ربيع لا يسكنه

الا المعزولون بل شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق تعزيمه على طلاق منكوحة المواصلة فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالتهم والله اعلم بالصواب

والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن

ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر

وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل

الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم

ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله

فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك

حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا

جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله

يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن

فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن

ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات

الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من

الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان

الله بكل شىء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن

اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا

بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم

الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون

القراءة ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء نبينها بالنون المفضل الباقون بياء الغيبة يفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهر ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم غير الاعشى الوقوف قروء ط الاخر ط اصلاحا ط بالمعروف ص لعطف المتفقين ولاتمام المقصود فى تفضيل الرجال درجة ط حكيم ه مرتان ص لعطف المتفقين باحسان ط حدود الله الاول ط افتدت به ط تعتدوها ج الظالمون ه ربع الجزء غيره ط لان طلاق الزوج الثانى على خطر الوجود لا منتظر معهود فكان خارجا من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله ط يعلمون ه او سرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ز لطول ما بعده يعظكم به ط بالمعروف ط الاخر ط واطهر ط لا تعلمون ه التفسير الحكم الحادى عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهى التى اوقع الطلاق عليها اما ان تكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها فى عرف الشرع بالاجماع واما ان تكون منكوحة وحينئذ اما ان لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان يكون مدخولا بها وحينئذ ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض فى حقها اما للصغر المفرط او للكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائى لم يحضن وان كان الحيض فى حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرآن وان كانت حرة فعدتها بثلثة اقراء بهذه الآية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخول بها الحائل من ذوات الحيض لا يقال العام انما يحسن تخصيصه اذا كان الباقى اكثر من حيث ان جرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال للثوب انه اسود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا الباقى قسم واحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه لانا نقول اما الاجنبية فخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحائل والآيسة لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء فى حقهما واما الرقيقة فمرجحها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على سنة والله الاغلب وانما لم يقل ولتتربص المطلقات بل اخرج الامر فى صورة الخبر اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجودا وبناء الكلام على المبتداء مما زاده ايضا فضل تاكيد وتقوية ولو قيل وتتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة وفى ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن والقروء جمع قرء او قرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة فى الحالين وفى الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما لان القرء هو الاجتماع ثم فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع الدم فى البدن وهو قول الاصمعى والاخفش والفراء والكسائى واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابى عبيد واما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابى عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلثة يجب ان تكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعى الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد فى رواية وقال عمر وعلى وابن مسعود هى الحيض وهو قول ابى حنيفة والثورى والاوزاعى وابن ابى ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى اقصر حتى لو طلقها فى حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه فى الحال فاذا شرعت فى الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابى حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق فى حال الطهر او من الرابعة ان كان فى حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضى عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلوة حجة الشافعى قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى فى زمان عدتهن واجيب بان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اى مستقبلا لثلث وقيل هذا تقوية لقول الشافعى لان قول القائل لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع فى الثلث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع فى العدة عقيبه ولما

كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عايشة انها قالت هل تدرين
ما الاقراء الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي والنساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع واكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم اخر الطهر اذ لو لم تخلي
تلك المعايض لما سالت الى الخارج فمن اول الطهر يأخذ في الاجتماع والازدياد الى اخره والاخر هو حال كمال الاجتماع فاخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا
الاعتداد بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب
الى هذا الاصل واولى وايضا الاية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى اقراء خرجت عن العهدة فيكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار
التي مدتها اقل ومن الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب وحجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه
وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا
من الارحام ولان الاصل في الابضاع الحرمة وفي تطويل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالاكثر احوط ولان اطلاق طهر كامل على بعض الطهر
خلاف الظاهر واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلاثة قروء على
انه مفعول به كقولهم المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على الظرفية او مدة ثلاثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة
التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر ولعلها بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء اكثر استعمالا
فنزل القليل منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القراء في حق ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في
حق الحامل وكان الوصول الى معرفة ذلك متعذرا على الرجال جعلت المراة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها
في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة
وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رات الدم فقد
انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان
القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى
الحمل والحيض معا وذلك ان المراة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة وربما
كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج اخر واحبت ان يلحق ولدها بالزوج الثاني واما كتمان الحيض فوجهها فيه ان
المراة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعته فاذا
حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت الحيضة الثالثة واذا
كتمت حيضها بان وقفت قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحمل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحمل لا الحيض ولان حمل المعنى
على ما هو شريف اولى ولقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الاية وردت عقيب ذكر
الاقراء ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن
كناية عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان
من جعل امينا في شيء فخان فيه فامره عند الله شديد **الحكم الثاني للطلاق الرجعة** وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع
البعولة والتاء لتاكيد التانيث في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع وانما هو مقصور على السماع ويقال للمراة ايضا بعل وبعلة كما يقال
زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن
البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن قال تعالى في موضع وان رددت الى ربي وفي موضع اخر ولئن رجعت
فكان ردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة انما يكون
البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن لا الضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا فمن قصد المضارة استوجب من الله العقاب وان صحت رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف
جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى
بالاحقية او يقول لهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان تتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك كان الزوج الاول احق بردهن وان وقعت للزوج
الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفهم
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونهما من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت ثيابه
او خبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك لكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي النساء خير

قال التي تسره اذا نظر وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم
عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهونه ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن
وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامراتي كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند
المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من
درج الرجل والضب يدرج درجا اي مشى ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء
والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من الغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء
والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المراة ام ابت ولا تقدر
المراة على التطليق ولا على الرجعة فاذن المراة كالاسير العاجز في يد الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن
عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمراة وذلك ان من كانت نعم الله عليه اكثر كان صدور الذنب عنه اقبح
استخفافا بالرجال اشد وقيل الغرض من الاية ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك الانساب واستكثار
الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المراة منها اوفى ثم ان الزوج اختص بانواع
الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المراة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون
هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت
احدا بالسجود لغير الله لامرت المراة بالسجود لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في افعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه و
الغلط والباطل **الحكم الثالث** للطلاق وهو الطلاق الذي يثبت فيه الرجعة وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امراته ثم يراجعها قبل ان تنقضي
عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على المراجعة ثابتة له فجاءت امراة الى عايشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك
فذكرت عايشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الطلاق مرتان فعلى هذا يكون الاية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان
ولا رجعة بعد الثلث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الاية الاولى
ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دايما او الى غاية معينة فكان ذلك كالمجمل او العام فيفتقر الى مبين فذكر عقيبه
ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل
حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتدا والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة
وكقولهم لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا قول عمر وعثمان و
علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم ويؤكده العدول
عن لفظ الامر وهو طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين او ثلاثا لا
يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع
سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعيا والسنة ان لا يوقع عليها
الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يويد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امراته وطلقها
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ومما يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما
السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد الرجعة او بعد
معرفة كيفية التطليق احد هذين والتسريح الارسال والاطلاق فالامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد
الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق مرتان قيل له صلى الله عليه وسلم
فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو قول ابي
لولا الخبر الذي رويناه لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة
لكان قوله فان طلقها طلقة رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الاية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة
الثانية اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها ويحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان
او يطلقها وذلك قوله فان طلقها ولو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان

النعم مجهولة اذا فقدت عرفت فلو كانت الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما يظهر المحبة بعد المفارقة وعظمة المشقة ثم ان كمال التجربة
لا يحصل بالمرة الواحدة فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح له امساكها راجعها وامسكها
بالمعروف وان كان الاصلح تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس
عنها وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رأفته بعبيده **الحكم الرابع** من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله ولا يحل لكم ان
تأخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطاها من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها
الا اذا فارقها على عوض ويدخل فيه النهي عن ان يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما
آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم للائمة والحكام ويكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يأمرون
بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم وكانهم الآخذون والمؤتون روي ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان
المرأة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني
رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي الحديقة
التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل
سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما
يلزمهما من مواجب الزوجية واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان يأخذ اكثر
مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله تعالى ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اي فلا جناح على الرجل
فيما اخذ وعليها فيما اعطت ومعنى فيما افتدت به نفسها واختلعت فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله صلى الله عليه
وسلم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيده ولان ذلك اجحاف بجانب المرأة وضرار بالمرأة بعد ما استمتع من بضعها ولهذا قال سعيد بن
المسيب لا يأخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان
المرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف
بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهيته ويتأكد هذا بما روي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال
ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت مذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها اي
حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بما لها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك انه كانت بينهما درتان قيمتهما اربعون الف
دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب
مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير به مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي وداود الى
انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على انه
لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق وكانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه وتحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها من الكراهة
فافتدت ليطلقها او ضربها الزوج تأديبا فافتدت او منعها حقها من النفقة وغيرها فافتدت ليخلص منه وان كان الزوج يكره صحبتها فاساء العشرة
ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان آثما والزوج مأثوم بما فعل فالخلع المباح هو ان يكون المرأة بحيث يخاف الفتنة
على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا
ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الف الضمير لانه بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة
على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينتقص به العدد واذا اتى بها
مرات لم تحرم الا بالمحلل وروي هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني وحجته انها
فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع واذا خالعها
ولم يذكر المهر وجب ان يجب عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص به العدد ويجوز تجديد النكاح
بعد الخلع من غير حصر وروي هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيب ذلك فان طلقها فلا تحل له من بعد لكان الطلاق
اربعا ولان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت في مخالعته من امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي
حصل الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلى الله عليه وسلم عدتها حيضة

ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها على قرء واحد تلك اي المذكورات من احكام الطلاق حدود الله فلا تعتدوها فلا تجاوزوها
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد وكيف لا والظالم
ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم من الانسان على نفسه حيث اقدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تمنع المرأة عدتها او كتمت
شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان واخذ من جملة ما آتاها شيئا الا بسبب نشوز من جهة المرأة
الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره و
السبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه بعد ما مر من مناسبتها للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة
ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى الرجل كالتزوج ويقال
فلانة ناكح في بني فلان اي لها زوج منهم هذا عند من يفسر قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي هو الذي
يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح
زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطء لان قوله زوجا يدل على العقد وقد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير
قوله ولا تنكحوا المشركات ويؤيد هذا ما روي عن عائشة ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انث لان من العرب من يؤنث العسل وروي انها لبثت
ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر
فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال لان اتيتني بعد
مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان
يستفرش زوجته رجل آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا
الزجر انما يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته
واحدة او ثنتين ثم نكحت زوجا آخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان
هذه طلقة ثالثة من حيث انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة يملك عليها الثلث كما لو نكحت
زوجا بعد الثلث واذا تزوج الغير المطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول
وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول فقولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا
مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك ويأثم به وقال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح
فالوطء لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رض لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اي الزوج
الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح عليهما على المرأة المطلقة والزوج الاول ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه
من النكاح فهذا تراجع لغوي وظاهر الآية يقتضي ان يحل للزوج الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة فاء التعقيب
في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى ان النكاح ههنا بمعنى العقد وان التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطء لو كان معتبرا
لكانت العدة واجبة والجواب ان الآية مخصوصة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما او غالب ظنهما انهما
يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما ولا يجوز ان يفسر الظن ههنا بالعلم لان اليقين في الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا
عند المراجعة من نشوزهما او اضرارهما فالرجوع مذموم لان الآية تخرج شرعا من قرأ نبينها بالنون فهو طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء
فظاهر وصيغة المضارع ان يريد بها ههنا الحلال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة
يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه
كمال البيان فهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة
للطلاق استأنف لحكمي الامساك والتسريح بيانا آخر في آيتين متعاقبتين لان جملة الامر في الطلاق يؤل الى احد هذين احديهما قوله سبحانه
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي
به اجل ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه ودانا منه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة
البلوغ فهذا من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة

له او في غير حاجة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف راجعوهن من غير قصد ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضي
عدتها وتبين وانما امر بعد الطلاق باحد الامرين استيناف حكم كل منهما فقدم حكم الامساك على طريقة النهي لا الامر لان المامور يمتثل بمرة وا
فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه ان يضارها في الاستقبال والمنهي لا يمتثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون اذل على
الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة وتحصل موجبات النفرة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المراة
ويدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر او اكثر وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق
النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر هذه الافعال رجاء ان تختلع المراة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اي لا تضاروهن لتكونوا عا
مركم الاعتداء كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او لتضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون متعمدين لتلك المعصية وقيل
لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب الله او بتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا فلانه اذا اشتهر
بتلك المعاملة لم يرغب في التزوج منه ولا في معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد
لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا فمن قرأ بترغيب طاعة الله وطاعة رسول الله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة
في ابواب العدة والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما تتهاونون بما يكون
من باب الهزل والعبث وعن ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى
ان المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بآيات الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد
رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فقال اولا بذكرها على الاجمال فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة الله على
العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصص نعم الدين بالذكر لشرفها فقال وما انزل
عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به في محل النصب حالا اما
انزل او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتدأ وقوله يعظكم به خبرا واتقوا الله في اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل
شيء عليم فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني وهو حكم المراة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن بلوغ الاجل ههنا على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن
واصل العضل الضيق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء
الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحم المجتمعة المكتنزة في عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا
وحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن اذا تراضوا اي الخطاب والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن
في الدين والمروة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول وقيل بمهر المثل وفرعوا عليه مسئلة فقهية توافق مذهب ابي حنيفة و
هي انها اذا زوجت باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء ولان النساء العشر
تتضررن بذلك عند تعيين مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار كانت
له اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها
فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس فآثرتك بها وزوجتك ثم طلقتها طلاقا له رجعة ثم تركتها حتى انقضت
عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحكها ابدا قال ففي نزلت هذه الآية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد
والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان رعاية نظم كلام الله
اولى من محافظة خبر الواحد ولا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين
الشرط والجزاء مناسبة ما والنهي بعد انقضاء العدة فدرة الزوج على عضل المراة والجواب انه قد يقدر على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعي
انه كان راجعها في العدة او يدس الى من يخطبها بالوعيد والتهديد او ينسبها الى امور تنفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء
كانوا يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما سيئول اليه فالمراد من يريدون ان يتزوجهن
فيكونوا ازواجا لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين
ثم ان الشافعي تمسك بالآية في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمراة ان تزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها
من النكاح وهذا مبني على ان الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لها ولكن

بمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا في الزوج وايضا فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه مهما عزل انعزل لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله
تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي
عن منعها من ذلك ولو كان ذلك التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتاكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان
الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى المتسبب مثل بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا للدلالة الحديث على بطلان
هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول او لكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم
يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر تخصيص لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل
بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس حج البيت وايضا لا يلزم من
تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى هو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر اي من ادناس الآثام
والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى محيط كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او يشتبه المصلحة بالمفسدة
فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب بحسن سعادة الدارين والله ولي التوفيق التاويل انه سبحانه من كمال الكرم والاصطناع
اذا صدر من العبد امارات النشوز والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرايط الوفاء وتجدد داعية في صميم قلبه
من نتايج محبة ربه اذ لم يكن له ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم
على قدم الغرامة في طلب الرجعة والاوبة فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلبنا فلا جناح فليلزم عتبتنا
مساء وصباحا ولعلهن الحق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حق في ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في
ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق برعاية التي فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا مدخل بل درجات فيقر منا
والله عزيز غالب ان يراعي العباد مع عجزهم كمال حقوقه حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما ليس في وسعهم بل يقبل منهم القليل
ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني ان اهل الصحبة لا يفارقون الا بمرة وحرمتين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة
ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب اخا ان صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن افعاله وتاب ذلك الصديق
واستاله ورجع الى الصحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان ان يعضله من صحبة الاقران وفيه ان الله تعالى نجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى
فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن ذاكرا بالغفران والرضوان واما قوله
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان انقضت المقارنة ان يسترد واحد منهم عن الرفقاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب يعود
في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال الحق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله اعلم بالصواب

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا
تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود
له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض
منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان
تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم
ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما

تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا
جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما
تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله
انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا
الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح
حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في
انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا
جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا
لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
الا ان يعفون او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح و
ان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما
تعملون بصير

القراءة لا تضار برفع الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف في قوله ولا يضار كاتب بالفتح ما اتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء المفضل او بهم بن عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء بره وعن الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساء او تماسوهن حيث وقعت علي وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالفتح يزيد وابن ذكوان وروح وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليهما ط للابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير ه وعشرا ج بالمعروف ط خبير ه في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين معنيي الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا تقديره غفور حليم فارجوه ولا

اليه حليم ط فريضة ج لعطف المختلفين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور في الاولى قدره الثاني ج لان متاعا مصدر متعوهن والوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع متاعا حقا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين ه النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير ه التفسير الحكم الثاني عشر الارضاع والوالدات قيل في المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب آية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المتضمن لايذاء الولد ليتاذى الزوج وربما رغبت في التزوج بزوج آخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشانهم وايضا انه تعالى قال في الآية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك بالزوجية لا بالرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة تجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يفضي الامر الى الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار حولين اي عامين والتركيب يدور على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثاني وكاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة فقد يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الآخر وليس التحديد بالحولين تحديد ايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع واللام متعلقة بيرضعن كما يقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد بقطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاع فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الآخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطماه قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فيعلم من التحديد ان الارضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وبه قال علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة ان مدة الرضاع ثلاثون شهرا وقرئ ان تتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل اي في المصدرية لان كلمة ما تارة يقع مصدرية فلا ينصب وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم وانما قيل المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الآباء فيجب عليهم رعاية مصالحه كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا تجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وايضا المعروف في هذا الباب قد يكون محدودا بشرط وعقد وقد يكون غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية لحقها ضرر من الجوع والعري ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الآية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة فانه يستاجر المراة على الارضاع والحضانة بالنفقة والتكليف الالزام قيل اصله من الكلف وهو الاثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرا لا تضار بالرفع فعلى الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها ومن قرا بالفتح فعلى النهي صريحا ويحتمل البناءين ايضا ويعني ذلك ان قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا تضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او ياخذه منها وهي تريد ارضاعه او يكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها

بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضرر والباء من صلته اي لا تضرر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده او تفرط فيما ينبغي له ولا
تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينزعه من يدها او يفرط في شانها فتقصر في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده
لان المراة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وقوله
سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال لانه قد تقدم ذكر الوالد والمولود والوالدة واحتمل في الوارث ان يكون مضافا
الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وما بينهما تفسير
للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند
موت الاب كل ما كان واجبا على الاب وهذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات
دون الام والاخوة من الام وهو قول عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفين وابرهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر
النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيره من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند
الشافعي لا نفقه فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة
رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله
الوارث منا اي الباقي وهو قول سفين وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما وليس من باب المفاعلة وانما هو ثلاثي على فعال كالعتاب
والاياب وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة
بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد ولكن الفصال الصادر عن تراض منهما وتشاور مع ارباب
التجارب واصحاب الراي فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقص وهذه ايضا توسعة بعد التحديد وذلك
ان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما قلما يتوافقان
على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة حينئذ بعد موافقة الكل على ما يكون فيه اضرار بالولد وان اتفقوا على الفطام
قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط لم يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط ولما بين حكم الام
وانها احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الكتاب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم فلا جناح عليكم
يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به وعن
الواحدي التقدير ان تسترضعوا لاولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام
ما اذا تزوجت بزوج آخر فان قيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع ليتزوج بها
زوج آخر ومنها ان تابى المراة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة
اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب
على الام اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اعطيتموه المراة اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قرا ما اتيتم بالقصر فهو من اتى
اليه احسانا اذا فعله كقوله انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من
الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى وفيه بعث على ان الذي يعطى المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون
اهنا واطيب لنفسها فيحصل الحظ في شان الصبي ولهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا حينئذ مستبشري الوجوه ناطقين بالقول
الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا لمعاذيرهن ثم اكد الجميع بان ختم الآية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا ان الله بما
تعملون بصير **الحكم الثالث عشر عدة الوفاة** والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال يتوفى الانفس حين موتها واصل التوفي اخذ الشيء
كاملا وافيا ويبنى للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اجله ورزقه وعليه قراءة علي كرم الله وجهه يتوفون بفتح الياء
والذي يحكى ان ابا الاسود الدئلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي على
ان امره بان يضع كتابا في النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على
متعارف الاوساط ويذرون يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وقد مر وعشرا اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا
ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها قال في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل في سبب التغليب ان مبدا

الشهر

الشهر من الليل والاوائل اقوى من الثواني وايضا هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق ان تسمى ليالي استعارة والمراد عشر مدد كل
منها يوم بليلته وذهب الاوزاعي والاصم الى ظاهر الآية وانها اذا انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج نقل عن الحسن وابي
العالية انه تعالى انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة قلت ولعل هذا من الامور التي لا يعقل معناها
كاعداد الركعات ونصب الزكوات وانما الله ورسوله اعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امراة مات زوجها الا اذا كانت
امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرة تمسكا بظاهر عموم الآية وقياسا على موضع الحمل
والا اذا كانت المراة حاملة فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن ولو زعم قائل ان ذلك في الطلاق فليقل على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي صلى الله
عليه وسلم حللت فانكحي من شئت وعن علي رضي الله عنه انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات
الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول ورد بعموم الآية ولهذا ايضا لم يعرف من ان ترى المعتدة في
المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا تراه خلافا لمالك فانه قال لا ينقضي عدتها حتى ترى عادتها من الحيض في تلك الايام مثل
التي كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان تحيض في كل شهرين مرة فعليها
حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة اشهر مرة فههنا يكفيها
الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرات نفسها من الريبة كما في ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر المدة
بالهلال ما امكن فان مات الزوج في خلال شهر هلالي وعلى الباقي اكثر من عشرة ايام فتعتد بما بقي وتحسب ثلثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقي
ثلثين وتضم اليها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقي دون عشرة ايام فتعتد بها
وتحسب اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق
الموت على اول الهلال فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن
بعضهم ويوافقه جديد قولي الشافعي انها ما لم تعلم بوفاة زوجها تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
امراة المفقود امراته حتى ياتيها يقين موته او طلاقه وايضا فالنكاح معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت
المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة
ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعني به ترك
التزين بثياب الزينة وترك التحلي والطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد ويحرم عليها ان تختضب بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من البدن واليدين والرجلين
والوجه ولا منع منه فيما تحت الثياب ولا منع من التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظيف بغسل الراس والامتشاط
وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضي بترك الاحداد ولكنها تعصي لما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يحل لامراة ان تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن و
الشعبي انه غير واجب لان الحديث يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلى الله عليه وسلم قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب
ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا
مخاطبين بفروع الشرائع والا لم يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك كقوله انما انت
منذر من يخشاها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين
يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن اذا تزوجن في مدة العدة وجب على كل احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان
وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في
انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما مما تنفرد المراة بفعله وفيه دليل على وجوب الاحداد بالمعروف بالوجه الذي
يحسن عقلا وشرعا وقد يحتج اصحاب ابي حنيفة بالفعل ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم
ان المراد من الفعل هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الآية
بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله بما تعملون خبير **الحكم الرابع عشر خطبة النساء** وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان تضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وعلى غير المقصود الا ان اشعاره بجانب
المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول

الشاعر شعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا . واصله من عرض الشيء وهو جانبه كأنه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اي سألها امرا وشانا في نفسها وكذا في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم ان النساء على ثلثة اقسام الاول ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد خطبها آخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك والثاني ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا لتشويش الامر على زوجها ولامتناع المراة عن اداء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان والثالث ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة عن غير الرجعية سواء كانت معتدة عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن طلقة بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما كذبت في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن الوفاة فظاهر الاية يدل على انها في حقها لانها ذكرت عقيب آية عدة المتوفى عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فلعله ربما يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك او من يجد مثلك او لست بايم واذا حللت فاذنيني وعد آخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وعن ابي جعفر محمد بن علي انه دخل على امراة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك تخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من نبي الله قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال اولا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان تكون المواعدة في السر بالنكاح فيكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك اتيتك الاربعة والخمسة عن ابن عباس وكقوله دعيني اجامعك فاذا اتممت عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن او يكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المراة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يعاهدها الا تتزوج باحد سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود به اي لا تواعدوهن شيئا يوصف بكونه سرا الا ان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه والعزم عقد القلب على فعل من الافعال ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهى عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ويروى لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا على ان يعقدوا النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثوق العقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة آخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وباقي الاية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم

الحكم الخامس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز قائلا لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعليها تمام العدة كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية الثانية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول فحكمها في هذه الاية وهو ان لا مهر لها ولها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل قياسا على الموطوءة بالشبهة او لوجود النكاح الصحيح فلا يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه الاية تدل على ان لا مهر للتي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعلم منه ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض

لها والمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف حكم الممسوسة المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس ليس كذلك فانه لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق وهذا الاطلاق لا يصح الا قبل المسيس اذ بعده يحتاج الى ان يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه او لعل ما بمعنى الذي لا للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن والمراد من الجناح في الاية لزوم . لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال جنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه نفى الجناح ممدودا الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الاية هو لزوم المهر وايضا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده وفي القسم الثاني اوجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تأديب للعباد في اختيار احسن الالفاظ فيما يتخاطبون ويتفاهمون والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس وبعدم الفرض على سبيل منع الخلو فقط ولهذا فسر جمعا عمما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا ان وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انه لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر فانه للوجوب ظاهرا وهو قول ابن عمر والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في آخر الاية حقا على المحسنين فجعلها من باب الاحسان ورد بان لفظ على ينبئ عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع ويسمى التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان في سعة من ماله واقتر صار في القترة وهي الغبار كانه التصق بالارض لضيق ذات يده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف وقدر مقدار الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر والقدر لغتان في جميع معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما وعلى المقتر مقنعة وعن ابن عباس انه قال اكثر المتعة خادم واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في الكثرة والقلة والنظر في اليسار والاعسار الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا يزاد على نصف مهر المثل لان حال المراة التي سمى لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم يجب زيادة على نصف المسمى اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الدين والمروءة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر وعلى ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة حقا ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان ومن اراد ان يكون محسنا فهذا شانه وطريقه او على المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى

الحكم السادس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض او يكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط او ثابت الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوف ووزنه يعفون والنون علامة الرفع فقوله او يعفو عطف على محل ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي في القديم ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابي حنيفة ويروى عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين فالولي ليس للولي ان يهب مهر موليته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقد النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اي المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو حجة الاول ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم الا ان يقال انه كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة حجة اخرى لو كان المراد به الزوج وقد قال اولا وان طلقتموهن لناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفوا على سبيل الخطاب ايضا واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو التنبيه على المعنى الذي لاجله رغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي حبسها بان ملك عقدة نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم

كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها قال الشافعي اذا ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي فهم ان النكاح لا ينعقد بدون الولي
وذلك الحصر المستفاد من تقديم بيده على عقدة النكاح فيتبين انه ليس في يد المرأة من ذلك شي وان تعفوا اقرب للتقوى فيه اللام بمعنى الى والتقدير
العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم وكمالهم وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول
معنى الاتقاء لان من سمح بترك حقه تقربا الى ربه فهو من ان ياخذ حق غيره ابعد ولانه اذا سمح بذلك الصنع الثواب فقد اتقى العقاب واحترز عنه
ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس نهيا عن النسيان فان ذلك غير معقول بل المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج
المرأة فقد يتعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتاذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها مهرها من غير ان
يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتاذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الاخر بيذل كل المهر او تركه و
الا فالنصف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق
كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الاية
بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير والله اعلم بالصواب قوله تعالى

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين
فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما
علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير
اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من
معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون

القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير رويس والباقون بالرفع الوقوف قانتين او ركبانا
لان اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ازواجا لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية
والوصل يجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قام مقام خبر المبتدا اخراج من معروف حكيم بالمعروف المتقين تعقلون
التفسير الحكم السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعاير اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب
من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد لاوامره والانتهاء عن مناهيه تحصيلا لسعادة الطرفين وتكميلا لمصالح الدارين وقد
اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الاية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع فاقلها ثلث والصلوة الوسطى يدل على شي زائد
والا لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابعة لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرايطها من طهارة البدن والثوب
والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها وهيئاتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال
اللسان والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله
فاذكروني اذكركم وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة يحفظه الصلوة عن المناهي ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر وحفظه عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع في الحشر
تجي البقرة وال عمران كانهما غمامتان تظلهان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف

في الصراط عند قدميه وتقول للنار لا سبيل لك عليه وفي الصلوة الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين
لنا انها اي الصلوات وما يروى من اخبار الاحاد لا معول عليها فيجب ان يؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ومثل
ذلك اخفى الله تعالى ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون
المكلف خائفا عازما على التوبة في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال
حافظ على الصلوات تصبها وعن الربيع ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا قال الربيع فان حافظت عليهن فقد
حافظت على الوسطى القول الثاني الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق والصلوات المكتوبات واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر
وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي قالوا ان هذه الصلوة تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة
الليل واخرها في ضوء النهار وايضا ان في النهار صلوتين الظهر والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر
والعصر يجمعان في السفر وكذلك المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قال القفال تحقيق هذا يرجع الى ما يقوله الناس فلان متوسط اذا لم يمل الى
احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى في قوله والفجر وليال عشر وايضا قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا
على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الاية بالذكر للتاكيد وخص الصلوة الوسطى في هذه الاية بالذكر للتاكيد فيغلب على الظن انهما واحد
وايضا قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروضة صلوة يقنت فيها الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى
افردها بالذكر لاجل التاكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء البارد والخروج الى المسجد في الوقت المؤحش
وايضا الافراد بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب في فضيلة صلوة الصبح ولهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة الاولى منها في الجماعة
خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين اولاهما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا يفوتهم السنة وخص اذانها بالتثويب وهو ان يقول
بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلايق ظلمة
الليل وظلمة الغفلة وظلمة العجز والحيرة ويمتلئ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان
يشتغل العبد باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي رضي الله عنه عن الصلوة
الوسطى فقال كانوا يرونها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر ويروى عن عمر وزيد وابي سعيد
الخدري واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة
اليه اولى عن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه وربما لم يكن وراءه الا الصف
والصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية وايضا ليس في المكتوبات صلوة
وقعت وسط الليل او النهار الا هذه وانها صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين برد الغداة وبرد العشي وانها اول
امامة جبرئيل كانت في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها وعن عائشة انها
كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغلب على الظن ان المعطوف عليه
العصر هو الظهر الذي قبله وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد وسالوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كان
يقام في الهاجرة القول الخامس انها صلوة العصر ويروى عن علي وابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك
وهو مروي عن ابي حنيفة ايضا لما ورد من التاكيد فيه كقوله صلى الله عليه وسلم فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله
والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تامل اكثر فان الناظر في المغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق
والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال الناس بحوائجهم وعن علي كرم الله وجهه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر
الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التي
شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك
كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن
قبيصة بن ذؤيب لانها بين بياض النهار وسواد الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة
بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمن بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام

نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح والجسد فكانه قيل حافظوا على صورة الصلوات
بشرائطها وحافظوا على معاني الصلوة وحقائقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة وبعدها ثم ان الشافعي احتج بالآية على ان الوتر ليس بواجب
والا كانت الصلوات ستا فلم يبق لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضيلة من قوله
وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان هو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فيتوسط بين الاثنين والاربعة او
الوسطى في الصفة كصلوة الصبح يتوسط بين صفوة الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس ان القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى
امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بها في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة من الذكر
وعن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاووس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن
فهو الطاعة ومن يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها
وادابها وفيه زجر لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزي وذهب الى انه لا حاجة بالله تعالى الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا وجب ان لا يصلي
اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج الى الكثير من عبادتنا وكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا
وخشعوا واستكانوا وكانوا اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل
صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح
وسكون الاطراف وكان العلماء اذا صلى احدهم خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف
ويحتمل ان يكون المراد وقوموا لله مديمين لذلك القيام في اوقات رجوتم واسحابه فان خفتم عدوا او لحذف المفعول به للعلم به او فان حصل لكم
خوف او كنتم على حالة الخوف على انه من ترك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين وقيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان
اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا او ركبانا وعلى هذا فالآية تدل على تاكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك
القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام جمع قائم وتجار جمع تاجر او جمع رجل يقال رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس
وفرسان ولا يقال الراكب الا لمن كان على ابل فان كان على فرس فانما يقال له فارس لكن المراد في الآية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم
ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال وسوف يجي بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد
بهذه الآية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء
الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الجبان الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي
بل يؤخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الآية ناسخة لذلك الفعل ويدخل في الخوف المفيد هذه الرخصة الخوف
في القتال الواجب كالقتال مع الكفار او مع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس او عن حيوان محترم او عن المال اما القتال المحظور
فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي والخوف الحاصل لا في القتال كالهارب من الحرق والغرق والسبع وكذا المطالب
اذا كان معسرا خائفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يرخص ايضا في هذه الصلوة لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل فاذا امنتم فاذا زال
خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى كما بينه بشروطه واركانه وهذه
الصلوة تسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن واذكروه بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع على لسان نبيه وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم اما مصدرية او كافة
الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بالحول والذين يتوفون منكم الآية من قرا وصية بالرفع فوصية مبتدا وخبره لازواجهم وجاز وقوع النكرة مبتدا
لتخصصه بما تخصص به سلام عليكم او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر ايضا او الامر او المفترض او الحكم وصية فالمبتدا مضمر او كتب
عليهم وصية او ليكن منهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية او الذين يتوفون اهل وصية الى الحول وكل هذه الوجوه جائز
حسن ومن قرا بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد اي انت تسير سير البريد او الزم الذين يتوفون
وصية ومتاعا نصب على المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا او التقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبل الكلام
يدل عليه او نصب على الحال او نصب بالوصية وغير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او
حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا
اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا
او نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن لقوله صلى الله عليه وسلم الا لا وصية لوارث

وعن علي وابن عمر ان لها النفقة ان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن وهو قول علي وابن عباس وعائشة
واختار المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فلتحصين الماء وهو موجود وعند الشافعي لهن ذلك
على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة ووافقه مالك والثوري واحمد ومبناء الخلاف على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي
سعيد الخدري قتل زوجها فاستاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما تركني في منزل يملكه فقال نعم فانصرفت حتى اذا
كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني على النسخ وآخرون على الاستحباب وعن مجاهد
ان لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله
وتركته فعدتها الحول قالوا وانما نزلت الآية على هذين التقديرين ليكون كل واحد منهما معمولا بها وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم
الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الآية الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم
بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى فلا
جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في زمان الجاهلية
يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المراة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الآية ان ذلك غير واجب ويؤكده ما روت
زينب بنت ابي سلمة قالت سمعت امي ام سلمة يقول جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي
عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله لا مرتين او ثلاثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي
اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول فقالت
كانت المراة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة
او طائر فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد بما شاءت من طيب
او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام على النكاح وفي قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول
وفي ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال ههنا من معروف منكرا الا ان المراد بوجه من الوجوه
التي لهن ان ياتينه واما في الآية السابقة اراد بالوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال تلك الآية متاخرة في النزول على هذه باجماع
المفسرين ولانه منكر ولا لام لان النكرة اذا كانت منكرة صارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
الحكم التاسع عشر وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم الخامس عشر و
روي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فنزلت
هذه الآية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي واعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة
ان لم يفرض لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على
ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه الآية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها او لم يفرض واختلفوا في
استحقاقها المتعة فالقديم من قولي الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول
وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي وابنه الحسن وابن عمر رضي الله عنهم لعموم الآية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وكان ذلك في
حق نساء دخل بهن النبي صلى الله عليه وسلم وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا بمقابلة عوض وهذه
استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة للايحاش وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة
لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الآية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول والله اعلم بالصواب

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت

اى منتهى نشد آيا ننگريستى سوى آنكسانى كه بيرون آمدند از سرايهاء ايشان وحال آنكه ايشان هزاران بودند از بيم مردن

فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس

پس گفت مر ايشانرا خداى بميريد پس زنده گردانيد ايشانرا بدرستى خداى هر آينه خداوند بخشايش است بر مردمان

ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في

وليكن بيشتر مردمان سپاس خداى نمى نمايند وكارزار كنيد در

سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون

القراءة فيضاعفه بالألف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالألف والرفع ... بالصاد ابن كثير وأبو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وأبي عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان ... وعلي الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ط أحياهم ط لا يشكرون ه عليم ه كثيرة ...

التفسير قد جرت عادته سبحانه أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص اعتبارا للسامعين ليحملهم ذلك الاعتبار على ... الخضوع والانقياد فقال ألم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على أخبار الأولين وتعجيب من حالهم ويجوز ... أن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب أو يكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى ألم ينته علمك ولهذا ... النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف هذه القصة إلا بهذه الآية ويجوز أن يقال كان العلم بها سابقا على ... الآية على وفق ذلك روي أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ... من حكمة الله وقضائه وروي أن حزقيل النبي أنه يقال له ابن ذو الكفل مر عليهم بعد زمان طويل وقد عريت ... فتعجب مما رأى فأوحي إليه أتريد أن أريك كيف أحييهم فقال نعم فقيل له نادها فنادى أيتها العظام إن الله يأمرك أن ... بعضها إلى بعض حتى تمت العظام ثم أوحى الله إليه نادها إن الله يأمرك أن تكتسي لحما فصارت لحما ودما ثم نادى ... [illegible]

وَاعلموا أن الله سميع عليم بجميع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما أمر المكلفين بالقتال في سبيل الله ... الذي يقرض الله قرضا حسنا أي في باب الجهاد كأنه طلب العاجز عن الجهاد أن ينفق على الفقير وأمر القادر على ... طريق الجهاد وذا في من ذا اسم زائد ومن استفهام في موضع الرفع والذي مع صلتها خبره أو موصولة والذي ... له أو بدل منه قال أبو البقاء ولا يجوز أن يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لأن ما أشد إبهاما من ... الكلام على طريقة الاستفهام لأن ذلك أدخل في الترغيب والحث على الفعل من ظاهر الأمر وقيل إن هذا كلام ... ما ورد مسنا في الإنفاق إما على الإطلاق وهو الأولى بعموم لفظ القرض وإما الواجب منه لأن قوله وإليه ... بالواجب وأما غير الواجب لأن القرض بالتبرع أشبه وهذا قول الأصم وقد روي عن بعض أصحاب ابن مسعود أن المراد ... سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود ... يكون الفقير الذي لا يملك شيئا إذا كان في قلبه أنه إذا قدر أنفق وأعطى قامت تلك النية مقام الإنفاق ... حقيقة في كل ما يفعل ليجازى وأصل القرض القطع ومنه المقراض والانقراض لانقطاع الأثر ومن أقرض ... له قطعة يجازى عليها وقيل إن لفظ القرض في الآية مجاز فإن القرض إنما يأخذه من يحتاج إليه لفقره ... أن البدل في القرض المعتاد لا يكون إلا المثل وههنا يضاعف ولأن المال الذي يأخذه المستقرض ... [illegible]

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت

ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفه عليكم
وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من
يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان اية ملكه
ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما
ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة ان فى ذلك لاية
لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال
ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه
فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا
منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة
وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزاده بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصطة
بالصاد ابو نشيط والشمونى غير النقار وكذلك بباصط ويبصط الرزق ولا تبصطها كل البصط فما اصطاعوا وما اشبه ذلك يعنى الا

بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالضم هو والذين
بالادغام روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابى شعيب وشجاع وكذلك ما اشبهها فيه ومنه وبابهما غيرهم حمزة بن يزيد والشمونى وحمزة فى
الوقف دفاع الله وكذلك فى سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والباقون دفع الله ✽ الوقوف من بعد موسى م لانه لو وصل
صار ما ذكرنا لقوله الم تر وهو محال فى سبيل الله ط الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما للابتداء امرهم منهم ط بالظالمين ه ملكا ط من المال ط
والجسم ط من يشاء ط عليم ه الملائكة مؤمنين ه بالجنود لا لان قال جواب لما بنهر ج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس منى ج للابتداء
بشرط اخر مع اتحاد المقصود بيده لعطف المختلفين منهم تعظيما للابتداء امرهم معه لا لان قالوا جواب لما وجنوده ج
ملاقوا الله لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرين ه الكافرين ط لان ما قبله دعاء وما بعده خبر ماض يتصل بكلام طويل
بعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنى فان الهزيمة كانت قبل داود جالوت مما يشاء ط العالمين ه التفسير
القصة الثانية قصة طالوت والملأ جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملأون العيون هيبة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء
الصائبة وجمعه املاء قال شعر وقال لها الاملاء من كل معشر ه وخير اقاويل الرجال سديدها ه قال الزجاج الملأ الرؤساء
سموا بذلك لانهم ملؤوا بما يحتاج اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو ملى اذا كان مطيقا له او لانهم يتمالؤن
اى يتظاهرون ويتساندون والغرض من ايراد هذه القصة عقيب ايات القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال
فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبى لهم لم يحصل العلم بذلك النبى وباولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود
هو الحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبى هو يوشع بن نون من افرايم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى ولكنه لا يلزم منه
حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه اشمويل بالعبرية اسمعيل وعن السدى هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان
يرزقها اياه فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين بصير شينا بالعبرانية وهو من ولد لاوى بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال
معنا اميرا نصدر فى تدبير الحرب عن رايه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بنى اسرائيل بملك يجتمعون عليه يجاهد الاعداء ويجرى الاحكام
ونبى يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل فى سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهى القراءة المشهورة وقرئ
بالنون والرفع على انه حال اى ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استئناف كأن قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ
يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبر ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف
يدل عليه المذكور اى ان كتب عليكم القتال فهل يتوقع منكم الجبن والخور اراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب
فى توقعه وما لنا الا نقاتل قال المبرد ما نافية اى ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا
يقال ما لك ان لا تفعل كذا وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اى ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل
ولا سيما فى كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى
المنع حسن ادخال ان فيه وعن الكسائى واستحسنه الفارسى ان التقدير فى شىء لنا او اى داع او غرض فى ترك القتال فسقطت كلمة فى
على القياس وقد اخرجنا اى وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبى والقهر على نواحيها ومن بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر
منه الاجتهاد فى قمع عدوه روى ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة
واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسيأتى
ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل مكلف فى الاسلام على القعود عن القتال
واى وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع العائد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
اسم اعجمى كجالوت وداود منع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجىء من وصفه بالبسطة
فى الجسم وقد يوافق العبرانى العربى وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفى الاية تقرير لقولهم وتاكيد
لذلك فان اول ما تولوا هو انكارهم امر النبى المبعوث اليهم بالتماسهم وذلك انهم قالوا انى يكون اى كيف ومن اين يصح ويصلح له الملك علينا
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف فانتظمت الجملتان فى سلك الحالية استبعدوا
تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهرون والملك فى سبط يهوذا ومنه داود وسليمان
وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثانى انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به فعن وهب انه
كان دباغا وعن السدى كان مكاريا وقال الاخرون كان سقاء فازيلت شبهتهم لوجوه الاول قال ان الله اصطفاه عليكم اختاره دونكم

واستخلصه من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم
يساوها الا طالوت الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما
اشد مناسبة لاستحقاق الملك من النسب والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه
والمال ولا ينعكس والعلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن
سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب ذا القوة والبطش يكون الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب الغني
اذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو حذقه فيما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون
عالما بالديانات وغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة وحشمة والبسطة
السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني اسرائيل والاظهر ان المراد بها القوة
لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك اذا تصرف في
ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب الرزق
ووسع عليه قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا
يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى
لكمال رأفته بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا آخر دل على صدق النبي واكثار الدلايل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلى الله
عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى عليهما السلم ثم ان مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزا ابن
عبد الله دالا على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب
ثم بقي في ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت
الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة
فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال ذلك النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت
في دار وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي عليهم في ذلك الوقت فسلط الله على اولئك
الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت فاخرجوه
ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت مجاز لانه
اتي به ولم يأت هو بنفسه وقيل انه صندوق من خشب كان موسى يضع التورية فيه وكانوا يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعد ما قبض موسى
عليه السلم لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت ان يأتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة كانوا
يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا في
الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني
لقلة باب سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع
اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة لمكان آية قاطعة في ثبوت ملك
طالوت وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزة له لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي قوله فيه سكينة فعيلة
من السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة
والبقية اما ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم وعلى هذا فمعنى انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت
نفوسهم واقروا له بالملك وانتظم امرها بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما كقوله صلى الله عليه وسلم في النفس المؤمنة مائة من
الابل اي بسببها وعلى الاول قول ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء
عليهم السلم بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد وياقوت لها رأس كرأس
الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي
كرم الله وجهه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وشيء من التورية وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى آل موسى وآل هرون لان ذلك التابوت قد تداوله

القرون

القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الآل هم الاتباع قال تعالى
ادخلوا آل فرعون واذ نجيناكم من آل فرعون ويجوز ان يراد مما ترك موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما كقوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى
الاشعري لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن لاحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود
في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف والتقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير
فلما فصل طالوت بالجنود اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان
والانصار وكل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة روي ان طالوت قال لقومه لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء
لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ واجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا
وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال لهم نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي
ان كان نبيا ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك
مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كاثره حال
لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين ونهر بين حرب بلالها والسكينها الغثيان
ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون ليظهر الشيء وثبت ان الله لا يبتلي ولا يعاقب على علمه انما يفعل ذلك ليظهر للافعال
من الناس وذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمي التكليف ابتلاء فمن شرب منه فليس مني هو كقولهم اي ليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان
مني يريد انه كان بعضه لاختلاطهما واتحادهما وليس من اهل ديني وطاعتي ومن حملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذق من طعم الشيء اذا ذاقه
منه طعم الشيء اذا ذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر
حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل
اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا
على الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه مني الا
من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية
ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف عن ابن عباس كانت
الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من
ارواء الخلق العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان ماذونا ان ياخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان الماخوذ في المرة
الواحدة يكفيه ولدوابه وخدمه ولان يحمله مع نفسه الا ان قوله بيده لا يناسب هذا الاحتمال فشربوا منه كرعوا فيه الا قليلا
منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز
الموافق من المنافق والصديق عن الزنديق روي ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا
الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله تعالى فلم
يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مؤمن قال البراء بن عازب وكنا
يومئذ ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة آلاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا الله وشربوا من النهر رجعوا الى
بلدهم فلم يتوجه معه للقاء العدو الا من اطاعه وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق انه ما عبر معه الا
المطيعون لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري ولان المقصود من الابتلاء ان يتميز
المطيع عن العاصي واذا تميزا فالظاهر انه لم يأذن للعاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتدوا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل
جنوده لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه لا يصدر الا عن
المنافق والفاسق والجواب لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر ورأوا القوم تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف
فذكروا ذلك وقد كان النهر في العظم بحيث يمنع المكالمة او المراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة او المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا
فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجزع على طبعه وهم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب وهم الذين اجابوا
بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة او انهم لما شاهدوا قلة عسكرهم قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال

الآخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر وكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الآخرين التحريض على رجاء الفتح والظفر
وكلا الغرضين محمود والفئة اسم بمنزلة الطائفة يقال لطفت للشيء اطافة وطاقة ومثلها اطاع اطاعة وطاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم
الغارة واجاب اجابة وجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله يظنون انهم ملاقوا الله يغلب على ظنونهم
لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك ان احدا لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم
او يظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير رياء وسمعة وبنية خالصة او انهم عرفوا مما في التابوت من الكتب الالهية تيقنين
النصر والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من
المشابهة في تاكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصاروا جماعة وقال الزجاج من فوقهم فلوبت راسه
بالسيف وفايت اي قطعت كان الفئة قطعة من الناس والمراد بقوله قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتاييد الالهي والنصر
الالهي فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة وتحكم رفع الابتداء
وغلبت الجملة خبره باذن الله بتيسيره وتسهيله والله مع الصابرين بالمعونة والتاييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين
يظنون ملاقاة الله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الآية البراز الارض الفضاء ومنه البروز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما يحصل
بحيث يرى صاحبه واعلم ان العلماء والاقوياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفائهم وعوامهم ان الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وان
النصر والظفر باعانة الله اشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما روي في قصة
بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك
احول والافراغ اخلاء الاناء مما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فيفيد المبالغة اي صب علينا اتم صبر وابلغه وهذا هو الركن
الاعظم في المحاربة فانه ان كان جبانا لم يحصل طائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى الآلات والعدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه
ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فاقترحوها بقولهم وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته
على قوة عدوه حتى يغلبهم وهو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب الله دعاءهم فهزموهم كسروهم باذن الله
بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطا خبر اخوته على
ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت
بيضته فيها ثلثمائة رطل من الحديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم
من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف فيها طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون
بمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته انه يقاتل بالمقلاع
الذئب والاسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود بان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك
ففينا منية جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذت الحجر فيه وقتل بعده ناسا كثيرا فلما انحسد طالوت ولم
له وعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل وآتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان الحكمة
وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى
كان يبعث اليهم نبيا وعليهم ملكا وكان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكهم طالوت فلما توفي اشمويل
اعطى الله داود النبوة ولما توفي طالوت اعطاه الملك اياه ايضا ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله ويروى انه بين
قتله جالوت وبين ما اعطاه الله الملك والحكمة سبع سنين وقال بعضهم هذه الاية جزاء له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل
الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا
ذكر بعد حديث الرهبة والفضل وترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاخبار معه وقد مر العلم
العظيم المهيب لاكمل الحضرة وقال آخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على الاعمال ولكنها محض عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه دونها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود عليه
السلام في مدارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع
لقوله وعلمناه صنعة لبوس وقيل منطق الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه ما تعلم ذلك من آبائه فانهم كانوا رعاة
وقيل علم الدين والقضاء وايتاه الحكمة وفصل الخطاب ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه على ان العبد لا ينتهي قط

الحالة تستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظاهر وانما من
قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمح جماحا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين
على ايدي انصاره واتباع دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله واعلم ان الله تعالى
ذكر في الآية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الآخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين
كالكفر والفسق والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء عليهم السلام وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين
عن المنكر او الشرور في الدنيا كالهرج والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء او الملوك الذابون عن شرائعهم ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم الملك والدين توأمان الاسلام اس والسلطان حارس فما لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع وعلى هذا فمعنى قوله
لفسدت الارض لبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع
نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض عيث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى لو لم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل
سخط الله فاستوصل اهل الارض وتصديق ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليدفع بمن يصلي من امتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن
لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء لما انظرهم الله طرفة
عين ثم تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وبقهره ولطفه وبعدله وفضله
التأويل الم تر الى الملأ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كتموا عرض نفسه دعواهم على محك معناهم فلما
اظهروا عند الامتحان عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان يزعمون انهم يصلون ويصومون ويحج
ويزكون لله وفي الله باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان لله وما كان للهوى في كفتي الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطالين
فتولوا الا قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واحوز من الكيمياء شعر تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل وما ضرنا انا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل وانما لم يقبل المدعون مقصودهم لانهم لم يخلصوا لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد امرنا ربنا
واوجب القتال علينا وانه سيدنا ومولانا فلعل الله صدق دعواهم واعطى مناهم واكرم مثويهم كما قال قوم من السعداء في اثناء البكاء
والصعداء وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلا جرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية جلت وتجلت في
جلباب تعاليها عن ادراك العقول البشرية كنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك علينا وليس هذا باعجب من قول المقربين
المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من يفسد فيها استحقارا لشأن آدم واحتجابا بالحجب الانانية والنخوة فلما انكر بنو اسرائيل وقالوا نحن
احق بالملك وضعهم الله وحرموا الملك ولما تواضع طالوت لله وقال كيف استحق الملك وسبطي ادنى اسباط بني اسرائيل وبيتي ادنى
بيوت بني اسرائيل رفعه الله واعطاه الملك ولما تفوقت الملائكة وترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود آدم ولما عرضت الخلافة
على آدم تواضع لله وقال يا للتراب ورب الارباب اكرمه الله تعالى بسجود الملائكة وحمل اعباء الامانة ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت
فيه اشارة الى ان آية خلافة العبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهي الطمانينة بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن
القلوب وبقية مما ترك آل موسى هو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا القاها تلقف عظيم سحر سحرة صفات فرعون
النفس وان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان زبدا وله ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان كان في تابوتهم
بعض التورية ففي تابوت المؤمن جميع القرآن وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسماء كما قال لا يسعني
ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب التابعي سلم له ملك الخلافة وانقاد
له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما زين
للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن من المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده قنع من متاع الدنيا بما لا بد
منه من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت
آل محمد كفافا اي ما يمسك رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد
الضرورة فيها لا يطيق قتال جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها الا انزجار معلولا مريض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ولما برزوا لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال
النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا به مستغيثا عن غيره قائلا ربنا افرغ علينا صبرا على الاتمار بطاعاتك والانزجار عن معاصيك

ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا عند التسليم في الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احكام القضاء
في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة وصفاتها التي هي اعدى عدونا بين جنبينا
خصوصا فهزموهم باذن الله بنصره وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اذ اخذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون الى العقبى وحجر
تعلقه الى نفسه بالهوى حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضا فرمى به جالوت
النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب انف بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل
من ورائها ثلثين من صفاتها واخلاقها ودواعيها وهزم الله باقي جنودها واحزابها واتاه الله ملك الخلافة وحكمة الالهامات
الربانية وعلمه مما يشاء من حقايق القرآن واسراره ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ارباب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين
الهادين المهديين كما قال ولكل قوم هاد لفسدت الارض استعداداتهم المخلوقة في احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديل
اخلاقها وتكدير صفاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كمال فضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة
المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول تربيتهم ووفقهم على التمسك باهداب سيرتهم وثبتهم على انهاضات
في حال تزكيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله اعلم بالصواب

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل
اینها که یاد کردیم دلایل قدرت خدای است می خوانیم آنها را بر تو براستی و درستی و بدرستی که تو از پیغمبران فرستاده ای آن رسولان
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
افزونی دادیم بعضی ازیشان را بر بعضی ازیشان کسی که سخن گفت با او خدای و برداشت بعضی ازیشان را مراتب بسیار
وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس و
و دادیم عیسی پسر مریم را معجزات روشن و تقویت فرمودیم او را بروح پاک جبرئیل یا انجیل یا اسم
لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
اگر خواستی خدای باهم کارزار نکردندی آنان که پس از ایشان بودند پس از آنکه آمد بایشان
البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر
معجزات روشن و لیکن خلاف کردند پس ازیشان کسی بود که ایمان آورد و ازیشان کسی که کافر شد
ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها
و اگر خواستی خدای کارزار نکردندی و لیکن خدای میکند آنچه میخواهد ای آنانکه
الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
ایمان آورده اید نفقه کنید از آنچه روزی دادیم شما را از پیش که آید روزی که خرید و فروخت نبود در آن
ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون
و نه دوستی و نه خواهش و کافران ایشانند ستمکاران

القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع والتنوين وكذلك
في سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم الوقوف بالحق ط للابتداء بان المرسلين الجزء الثالث
على بعض م لانه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى عليه السلام من هذا البعض
المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدول القدس ط من كفر ط ما يريد ه ولا شفاعة ط الظالمون ه
التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الآية التي هي اتيان التابوت
وغلبة الجبابرة على يد داود وهو صبي فقير آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرئيل
وفيه تشريف عظيم كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق اليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك
من غير تفاوت ولان في تلاوتها حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من امتك ليحتملوا شدايد الجهاد كما احتملها الامم السالفة
ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب فيما يراه من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كما راه الرسل قبلك فالمصيبة

اذا عمت طابت ولمثل هذا ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم اكد بقوله وانك لمن المرسلين حيث اخبرتها من غير ان تعرف بقراءة
ودراسة وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولمثل هذا كرر فقال تلك الرسل الذين تعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض
منهم من فضله الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات قيل الى درجات فنصب بنزع الخافض وقيل
رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا اي له وقيل حال من بعضهم اي ذا درجات وقيل مصدر في موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر
لان الدرجة بمعنى الرفعة وكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وايد عيسى بروح القدس ومع ذلك قد نالهم من قومهم ما ذكرناه بعد
مشاهدة المعجزات وانت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف امم اولئك ولكن ما قضاه الله فهو كائن
وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت على ان بعض الانبياء افضل من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكر محمد في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لساير الانبياء ومنها
انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة
ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد بلغ الى الف ثم جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على الف معجز فازيد لان
التحدي وقع باقصر سورة وهي الكوثر وانها ثلث آيات وكل ثلث آيات من القرآن يصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته وهي القرآن باقية
على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى
مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من الخصال الحميدة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله اولئك الذين هدى
الله فبهديهم اقتده اي اطلعناك على احوالهم وسيرهم فاختر انت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مامورا بالاقتداء بهم
في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرايع فاذن المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة وكان تحمل
اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل والامم ينسخ به ساير الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان امته
افضل كنتم خير امة اخرجت للناس واذا كان التابع افضل كان المتبوع افضل ومنها ان امته اكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان
لكثرة التابعين اثرا قويا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن يا موسى اني انا الله وناديناه
ان يا ابرهيم يا عيسى اني متوفيك وان النبي صلى الله عليه وسلم فانه نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحيوته لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون وهم
ينتظرون خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا
اتخذ ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا باعجب من جعله عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا
باعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه
وقال لقد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك
وان موسى نجي الله وهو كذلك وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد
قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر
واعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتاب في فضايل الصحابة ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب
فقالت عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما تقرر في العقول ان دخل
كل ملك ينبغي ان يكون على مقدار من تحت تملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم اعم من نبوة ساير الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم اعطي من كنوز العلم والحكمة وذخاير المعارف والحقايق ومن
جوامع الكلم وبدايع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤتى احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان
معجزات ساير الانبياء كانت اعظم من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابرهيم القي في الجحيم فانقلبت روحا وريحانا واوتي موسى العصا
واليد البيضاء وداود لان الحديد في يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعطي محمد

بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر انه لم
يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب ان كون آدم مسجود الملائكة لا يوجب كونه افضل من محمد صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي
يوم القيامة وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ونقل ان جبرئيل عليه السلام اخذ ركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا
اعظم من السجود وانه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى يوم القيمة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود ايضا انما كان لاجل
نور محمد الذي كان في جبهته وان اول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن تأمل كتب دلائل النبوة وجد في مقابلة كل معجزة
كان لنبي قبله معجزة افضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم واما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا
التمييز بين التخصيص انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا يليق بكل احد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي المحذور و
الحاصل ان التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منها ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث رآهم يزدرون لشانه و
يحطون من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال انا اكرم الاولين والآخرين انا سيد العالمين وحيث رآهم يزدرون لشان بعض الانبياء
زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني على انه لا يلزم من النهي عن شيء علم مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال
به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا حقية جميع الانبياء وتؤمنوا
بهم ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله منهم من كلم الله التقدير من كلمه الله فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مؤمن فانه يكلم الله قال
صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وانما الشرف في ان يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد
حرف ولا صوت كما لا يمتنع رؤية ما ليس بمكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على ان موسى
قد كلمه الله واختلف في ان محمدا ليلة المعراج هل كلمه الله ام لا منهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى واورد ههنا ان التكلم لا يدل
على فضل ومنقبة فقد كلم الله ابليس حيث قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات واجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل
على انه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق ان المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة
للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهي الموجبة للعن كما في حق ابليس وان عليك اللعنة الى يوم الدين وكما في اهل النار اخسئوا فيها
ولا تكلمون اما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل ان المراد بيان ان الرسل مراتبهم شتى وتفاوت فاتخذ ابرهيم خليلا واعطى داود الملك والنبوة
وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعثة
الى الثقلين وبكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على المناصب والمراتب اما اذا حملناها على المعجزات
ففيه ايضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء اوتي نوعا آخر من المعجزة لا يناسب زمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد
البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص يناسب الطب لان ذلك غالب
على قومه ومعجزة محمد وهي القرآن تناسب ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات
متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق
بالدنيا وهو كثرة الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تأملنا الوجوه الثلثة علمنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان مستجمعا للكل فمنصبه
اعلى ومعجزته اقوى وابقى وقومه اكثر ودولته اعظم واوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد عليه السلام والصلوة لانه هو المفضل على الكل وانما
قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد نفسه
ويكون ذلك افخم من التصريح وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالثة اراد نفسه
ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم
من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة وآتينا عيسى بن
مريم البينات وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا للتعظيم وتعظيم
المؤتى يدل على عظم الايتاء واما قوله كلم الله فالهيبة من قوله كلمنا فلهذا اختار الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو ان
امتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وكثرة معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما لهما
بل نازعوا وخالفوا الواجب عليهم في طاعتهما اعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف اقوامهم
فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله اي ان لا تقتلوا ما
اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزام دين الانبياء ومنهم من كفر

باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة
على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله
عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الآية فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر كما يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس
النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق بقوله و
قاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت
عقبه تارة اخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم وعن الحسن انه مختص بالزكوة لان قوله من قبل
ان يأتي يوم كالوعيد وانه لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على انه عام يتناول الواجب والاكثرون على وليس في الآية وعيد وانما
الغرض ان يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة
فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب او يكتسب ما لا حق يتفق منه ولا خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقبه قوله
والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق ونقل عن عطاء
بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم
الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل
المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله ووجدوا ما
عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل الكافرون هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما
المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التأويل تلك آيات الله
اسرار وانوار ورموز واشارات نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات
وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات ومنحهم صفاء الاوقات ولذة المناجاة في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في
حجر القربات وارسلوا الى اهل البعد والغفلات وعبدة طواغيت الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور
ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وانت عبرت المكونات وكان قاب
قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ووصلت من العندية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله وقت وابتليت بلقاء
جبرئيل ثم لقيت من القوم ما لقيت حتى لك ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقي من مشرب سقيت فما اوذي بفطام
مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم وما بهم وانما هو
بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت
صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال عليه الصلوة والسلام ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن
اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام بما ذكر عن المرد ودبر ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص بما ذكره عنه المقبلين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت
في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدو الخلقة لان في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ
الوحدان في قوله جعل الظلمات والنور يخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما
قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات
انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات كما روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس
في السماء الرابعة وهرون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة وابرهيم صلوات الرحمن عليه في السماء السابعة
وان محمدا صلى الله عليه وسلم ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة
وجوده باقيا بنور شهوده ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما اخبر عن فضيلة الخواص انها كانت بسبب
تفضيله اياهم اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم اخبر عن

انه عام يتناول الواجب والمندوب ع

احراز الفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان اي ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والعمر وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا ملككم وما ليس في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان يأتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال الا في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفعه خلة خليل دنيوي لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق واعلمناهم الثواب وحذرناهم العقاب وقد اعذر من انذر والله المستعان وعليه التكلان

اللّٰه لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في
السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده
حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد
تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

القراءة ... الوقوف الا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا عن الضمير وخبر مبتدأ آخر محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقيد بمشيئته مبتدأ بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم ه الغي ج لان من الشرط مع فاء التعقيب الوثقى ه قد قيل للاستئناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي استمسك بها غير منفصمة لها ط عليم ه آمنوا لا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ه التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلاثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص بعضها ببعض والغرض من ذكر القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النسق ايضا رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وبصير اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي كرم الله وجهه سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سيد البقرة آية الكرسي وعن علي انه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية التصورات ولنشتغل بالتفسير اما لفظ الله فقد تقدم تفسيره في اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو واما الحي القيوم فقد سلف ايضا معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد هنهنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده ما روينا من قصة بدر ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقيده في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصح ان يعلم ويقدر وهو الدراك الفعال واورد عليه ان هذا لا يقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك ونحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عن صحة العلم والقدرة بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن هنا يقال احيى الموات واحيى الله الارض فان كمال حال الارض ان تكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق لمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته وبجميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في تحققه الى وجود ذلك الجزء فيكون قيوما ومنها انه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزءين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها انه لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في جهة لما بينا والا كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته وذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما لغيره ويعلم منه اسناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله الحيي كحذر وطمع فادغمت الياء في الياء عند اجتماعهما وكلا الياءين اصل وقال ابن الانباري اصله الحيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم واصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل قووم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وفيها القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعدهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تأخذه نعاس فضلا ان يأخذه نوم او نقول نفي الاخص ولا ثم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على نفي الاخص لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك لوسنان نائم ومما يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله محال هو ان هذه الاشياء اما ان تكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقديرين فجوازها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا خلف روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين مملوتين في كل يد واحدة وامره بالاحتفاظ وكان يتحرز بجهده الى ان نام في آخر الامر فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان انه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب ان ينسب هذا السؤال الى جهال

قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز شك والشك في مثله كفر هذا لما بين كونه قيوما
والكامل بما الكدرت عليه حكما وهو قوله له ما في السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا
له ويلزم منه ان يكون حكمه جاريا في الكل ولا يكون لغيره شيء من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
ومعنى الاستفهام فيها الانكار اي لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف
في ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم
العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء وعن مجاهد وعطاء والسدي انه يعلم ما كان قبلهم
من امور الدنيا وما كان بعدهم من امر الاخرة الضحاك والكلبي ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء
ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك
والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية
والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى اذن لهم في تلك الشفاعة
ام لا فانهم لا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل انه اراد ولا يعلمون الغيب الا باعلامه كقوله
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم
العلم اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما علا السموات والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون
الاوهام الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام
به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لم يحتمل غير ذلك واما الكرسي فاصله التركيب والتلبد ومنه الكرس بالكسر لابوال
والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتركيب بعض اوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته وللمفسرين في معناه
ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد منهما
يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي انه تحت الارض وعن سعيد بن جبير
عن ابن عباس انه قال الكرسي موضع القدمين وينبغي ان يحمل هذه الروايات ان صحت على ما لا يفضي الى التشبيه ككونه موضع قدم الروح الاعظم
او ملك اخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا احتياط بابرازها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عباده فهو اعلم بمحارم اسراره
وقيل المراد من الكرسي السلطان والقدرة والملك لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمي كل شيء اصل الكرسي ولانه تسمية
للشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسي وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء
كراسي الارض كما يقال لهم اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين
كالقفال والزمخشري وتقريره انه خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا في ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف
الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله
مقبل الناس كما يقبل ايدي الملوك وكذلك ما ذكر في القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا
القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش
ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة
والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش والكرسي ولا يؤوده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما
حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وامره في الكل على نعت واحد وصورة واحدة علوية كانت الاجسام او سفلية كبيرة
او صغيرة ثم بين انه مع كونه مقوما للممكنات مقيما للارضين والسموات متعال عن المتحيزات ومقدس عن المشبهات فقال وهو
العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا العلو بالجهة وكيف لا وهو مقدم للمكان ومبدع للزمان قوله سبحانه لا اكراه في
الدين الاية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر علة في اقامته على الكفر الا ان يقسر على الايمان
ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار ونافية الاكراه والاجبار ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد
من الغي يقال بان الشيء واستبان وتبين وبين ايضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه
اي تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والايات فمن يكفر بالطاغوت قال

النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت واصله من طغى الا ان لام الفعل قلب الى موضع العين ثم صيرت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وذكر الفارسي انه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك انه يفرد في موضع الجمع كما يقال لهم رضا وعدل ولهذا قال تعالى اولياؤهم
الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به واما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فالتانيث لارادة الالهة واما معنى الطاغوت
فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال ابو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس
وكل ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء اسبابا للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس
ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر لا بد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى
استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تانيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول
لان الاسلام اقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصوره السامع كانه
كانه ينظر اليه بعينه فيزول شبهه بالكلية والفصم كسر الشيء من غير ان يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله لا انفصام لها هو المبالغة
لانه اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع اولى وقيل ان الموصول ههنا محذوف اي التي لا انفصام لها كقوله وما منا الا له مقام معلوم
اي من له وقيل معنى قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على انه اخبار في معنى النهي والاكراه الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه
قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في اهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم
وحكم المجوس حكمهم واما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه
ولا يكرهون روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان تنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة
فلزمهما ابوهما فقال لا والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي
النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه اي لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب
وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول
من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن
عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام اهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسال الله ذلك سرا وعلانية
فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين امنوا اي متولي امورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل
والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان الطاف الله تعالى
في حق المؤمن فيما يتعلق بالدين اكثر من الطافه في حق الكافر وذلك انه يخرجهم من الظلمات الى النور من الكفر الى الايمان ومن الضلالة الى الهدى ومن
الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا امن والمؤمن الاصلي ولا يبعد ان يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد
لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع
مشابهة ومثله قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم انهم ما كانوا قط في النار وروي انه صلى الله عليه وسلم سمع
انسانا قال اشهد ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي
كل ما في القرآن من الظلمات والنور فانه اراد بهما الكفر والايمان الا قوله في اول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار
قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر ان الايمان والعلم
وجميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية انوار يزداد النفس بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق وما يرجع اليه طريقه واحد
وهو ايضا في نفسه واحد واما الباطل فلا حصر له ولطرقه كما ان الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد
الاضلال الى الطاغوت وهو كل من يتسبب الى الطغيان كالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الى المبدا الاول بالحقيقة وينتهي الى قضائه وقدره
كما سبق تحقيقه مرارا اولئك الكفار او هم مع من يطيعهم من الوسائط والوسائل اصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم اعاذنا
الله من ذلك **التاويل** الحي القيوم اشير بهما الى الاسم الاعظم لان اسمه الحي مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي
ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا
تجلى الله العبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع اسمائه وصفاته وعند تجلي صفة القيوم فناء جميع المخلوقات
اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم اذ سلب الحي جميع اسماء الله و

القيوم قيام الممكنات فيفنى التعدد ويبقى الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل اعطى لانه حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم اخو الموت والموت ضد الحيوة وهو الحى الحقيقى فلا يلحقه ضد الحيوة من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الاستثناء راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم كان من قبل من ذا الذى يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد فانه ماذون فى الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين ايديهم من اوليات الامور قبل خلق الخلايق كقوله اول ما خلق الله نورى واول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفى الف عام وما خلفهم من احوال القيامة الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشئ من علمه وانما هو شئ من احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امور آخرتهم واحوال اهل الجنة والنار ولا يعلمون شيئا من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش فى عالم الانسان قلبه ومثال الكرسى سره وسوف يجى تمام التحقيق ان شاء الله تعالى فى قوله الرحمن على العرش استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب المؤمن و لا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانسانى حفظ اسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء كلها ولما اظهر المخلوقات من العرش والكرسى ولقلب المؤمن وسره علوا فى المرتبة وعظمة فى الخلقة اظهار الكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء و اتزر بازار العظمة والبهاء وهو اولى بالمدح والثناء فقال وهو العلى العظيم فمن علا فى الاخرة والاولى فبا علائه ومن عظم فبتعظيمه ثم اخبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لا اكراه فى الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمنى مع ان التمنى نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت يتبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هوى النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله وانابة القلب الى الفناء فى الله واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو الشكر الموجب للسكر ولهذا قال ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى افاقه عن سكر سطوات شراب التجلى ثبت اليك اى عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن عالمى زمانه بالايمان العيانى وشرب كاس القوم بالايمان البيانى كما قيل شعر لى سكرتان وللندمان واحدة ٭ شئ خصصت به من بينهم وحدى ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شئ هالك الا وجهه ولا يكون ايضا من بطشك والا كانت منفصمة بل يكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فهى للعوام توفيق الطاعة و للخواص من اهل العناية المحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تفنيه عن ظلمات الغيرة وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين واعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن تصرفات جذبات فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاء والمحبة من قبل الكفار اى هم اولياء الطاغوت كقوله انداد يحبونهم كحب الله فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض اولئك اى ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام اصحاب النار وان لم يكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم

الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال
ای منکر نستی با کسی که حجت گفت با ابراهیم در پروردگار خود برای آنکه داد او را خدای پادشاهی دنیا چون گفت

ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابرهيم فان
ابراهيم پروردگار منست که زنده میکرداند و می میراند گفت من زنده میکنم بعفو و می میرانم بقتال گفت ابراهیم پس بدرستی
الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر
خدای می آرد آفتاب از جای برآمدن پس بیار از جای فرو شدن پس متحیر شد آنکه کافر بود
والله لا يهدى القوم الظالمين او كالذى مر على قرية وهى خاوية
و خدای راه ننماید گروه ستمکاران را یا بمانند آنکه گذشت بر دیهی و آن دیه افتاده بود
على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة
بر سقفها خود که بیت المقدس بود گفت از کجا زنده گرداند اهل این دیه را خدای زنده کند پس از مردن آن پس میرانید او را خدای صد سال
عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال
پس برانگیخت او را گفت چند مدت درنگ کردی گفت درنگ کردم روزی یا بعضی از روزی گفت
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى
بلکه درنگ کردی صد سال پس بنگر سوی خورش تو و آشامیدنی تو حال آنکه متغیر نشده و بنگر سوی
حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها
خر تو و تا کردانیم ترا دلالتی برای مردمان کردیم و بنگر سوی استخوانهای آن خر که چگونه ترکیب و نمایم او را
ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شئ قدير
پس می پوشانیم او را گوشت پس چون روشن شد او را گفت اکنون میدانم یقین که خدای بر همه چیزی تواناست
واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن
و یاد کن چون گفت ابراهیم ای پروردگار من بنمای مرا که چگونه زنده میگردانی مردگان را گفت آیا باور نداری
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن
گفت آری لیکن بپرسیدم تا آرامیده شود دل من بعین الیقین گفت پس فرا گیر چهار عدد را از مرغان پس میل ده ایشانرا
اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك
سوی خود بجهت تامل پس بنه بر هر کوهی از کوهها از ایشان پس بخوان ایشانرا تا بیایند سوی تو
سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ربى الذى من سلة الياء حمزة الباقون
بشتاب و بدانکه خدای غالبست بر آنچه خواهد درست کار درست گفتار
بالفتح انا احيى بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد فى المكسورة فى قوله تعالى ان انا الا نذير واشباه ذلك مية وبابه مثل فية وقلع لبثت وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف وسهل ويعقوب لم يتسن فى الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة فى الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وابى حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة فى رواية ابن سعدان وابى عمر وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشزها بالزاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاء قال اعلم موصلا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلى الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة و خلف وروى المفضل جزا بتشديد الزاى يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد فى الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاء مهموزة الوقوف الملك ط لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ وامت ط كفر ط الظالمين ج للعطف او للتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ط وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اى لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لهما لتمام البيان له لا لان قال جواب لما قبله الموتى ط تؤمن ط قلبى ط سعيا

لا اعتراض جواب الامر بحكم التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلثا اولاها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود وان آتاه في ان آتاه قيل لابرهيم لانه اقرب في الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتى الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابرهيم ولا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعنى ان آتاه اي لان الله آتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان آتاه وعن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير باعضائه واحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين وروي ان الكافر دعا حينئذ شخصين فاستبقى احدهما وقتل الآخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم عليه الصلوة والسلم لما رأى من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل من ذلك الى دليل آخر او مثال آخر اوضح من الاول فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول او في المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا وان سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن منه عند استدلال ابرهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق آخر وقالوا ان ابرهيم عليه السلم لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر تدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء ام بواسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابرهيم صلوات الرحمن عليه بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهو اذن محرك رب الارض والسموات قلت وفيه ايضا طريق آخر نذكره في التأويل ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وافصح منهما الفراء والمشهور فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيته وارادته

القصة الثانية قوله سبحانه او كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير ارأيت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل من رب السموات ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر **شعر** فلسنا بالجبال ولا الحديدا وعن الاخفش ان الكاف زائدة والمعنى الم تر الى الذي حاج ابرهيم والى الذي مر وعن المبرد انا نضمر الفعل في الثاني والتقدير الم تر الى الذي حاج او لم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد ولانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم ان الله على كل شيء قدير وذهب سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال

ان ارميا هو الخضر عليه السلم وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عندما خرب بختنصر بيت المقدس واحرق التورية وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله وبانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا فلانه قد شرفه الله تعالى بالتكليم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روي عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير يوما تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصير معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى عنه في موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا ان عزير بن شرحيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التورية وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه يقرأ التورية فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التورية واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التورية قد دفنت في موضع فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية المار بها بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف المتهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى بمعنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قاله في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وعلى عروشها اي هي قائمة مطلقة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع كون اشجارها معرشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اغرب فيكون ادخل في كونه آية ثم بعثه اي احياه كما كان اولا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اي كم مدة لبثت وفي حذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم ان مدة موته طويلة او قصيرة قال لبثت على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم يأت عليه السنون لان السنين اذا لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار مسانهة وقيل اصله يتسنن اما من السن وهو التغير قال تعالى من حمأ مسنون اي متغير منتن واما من السنة ايضا بناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة يجوز ان يكون سننة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى التقديرين ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضي البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن ابي علي الفارسي ان السن هو الصب فقوله لم يتسنه اي الشراب بقي بحاله لم يتصبب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنه واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل بظاهره على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم فالجواب ان الشبهة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا

وهو الحمار غير انه فرغ من طول مدة لبثه بان شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل على البتة لان القادر على احياء الحيوان قادر على
اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام و
لنجعلك آية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية لان الله تعالى بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى و
المفارق وقيل انه كان يقرأ التورية عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك
من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقال الفراء انما
دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام
بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اي كيف نحييها وقرئ كيف نَنشُرها من نشر الله الموتى
بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان الحيوة يكون لها انبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل
يحييها الذي انشاها اول مرة ومن قرأ بالزاي فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها
ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشرها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على
ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى
احيى راسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى اجزاء عظام نفسه فرآها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا
كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا بمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وايضا
قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو ذات الجملة التي اماتها وقيل في عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وقال بعضهم تعليمه فلما تبين له
ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا والتقدير فلما تبين له ما
اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنا علمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه
انه عند التبيين امر نفسه بذلك او الله تعالى امره بذلك كما في آخر قصة ابرهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر الذي
انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار عن انه حصل فجائز
قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء آخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر
على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا اوردت القضية كلية نعم لو قيل ان الله قادر على
احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر حينئذ يعود الى شيء آخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستانف
من الزمان لكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيما بعد وذلك كقولك للمتحرك تحرك اي واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري
كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءات السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة الثالثة
قوله عز من قائل واذ قال ابرهيم التقدير واذكر وقت قول ابرهيم وقيل معطوف على قوله الى الذي اي الم تر الى وقت قول ابرهيم وههنا دقيقة
وهي انه لم يسم عزيرا في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابرهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال في الابتداء انى يحيي هذه الله بعد
موتها وابرهيم اثنى على الله اولا بقوله رب وايضا ان عزيرا استبعد الاحياء فاري ذلك في نفسه وابرهيم التمس ودعا بقوله ارني فاري ذلك
في غيره ومعنى ارني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابرهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة
مطروحة على شط البحر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت
فقال ابرهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال ان
يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا احيي واميت
فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابرهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لينكشف هذه المسئلة عند نمرود
واتباعه ويزول الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسال الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي اي بنجاتي من القتل
او ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله
تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابرهيم عليه الصلوة والسلام وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت
بدعائه فلما عظم مقام ابرهيم صلوات الرحمن عليه في درجات العبودية واداء الرسالة خطر بباله اني لعلي اكون ذلك الخليل فسال
الله احياء الموتى فقال الله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على اني خليلك الرابع لا يبعد ان يقال انه لما جاء الملك الى ابرهيم واخبره

بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على ان الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع في الصحف المنزلة عليه ان الله
تعالى يحيي الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس اقل منزلة عند الله من عيسى وانه من اولاده السادس امر بذبح الولد فسارع
الى ذلك فقال الهي امرتني ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فمرني ان تجعل بدعائي فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصه الله بهذا
التشريف في الدنيا فان جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الآخرة الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما
ان ابرهيم عليه السلام كان شاكا في المعاد فلا ينبغي ان يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى وكيف يظن ذلك بان ابرهيم صلوات
الرحمن عليه وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه
والذي جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك
ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لابرهيم على نفسه نحن احق بالشك منه و
المعنى انه لم يشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله اولم تؤمن للتقرير كقوله شعر الستم خير من ركب المطايا
وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيب بما اجاب به ليعلم السامعون انه صلوات الله عليه كان مؤمنا بذلك عارفا به وان المقصود من هذا
السؤال شيء آخر واللام في قوله ليطمئن يتعلق بمحذوف اي ولكن سألت ليزداد قلبي سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وقد يعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا
قلنا ان الغرض شيء آخر فلا اشكال فخذ اربعة من الطير عن ابن عباس هي طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل
النسر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره ويصيره اي املهن واضممهن اليك وقال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة
امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتامل اشكالها وهيآتها وحلاها كيلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك
وفي الآية حذف كانه قيل املهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا وقيل معنى صرهن قطعهن فلا اضمار روي انه امر بذبحها ونتف
ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال التي بحضرته
وفي ارضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن
كل جثة الى راسها وانكر ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابرهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قرب به الامر
عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اي فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر
مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن لان الطيور لا الاجزاء ياتينك سعيا وزيف قول
ابي مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظاهر الآية يدل على انه اجيب الى ما سال وعلى
قوله لا يكون الاجابة حاصلة وكان قوله على كل جبل منهن جزءا دليلا ظاهرا على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر
قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة
عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدي وابن
جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم وكانت سبعة اما قوله ثم ادعهن ياتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك
ابلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كان او طيرانا واحتج
الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي
والعدو وقال القاضي دلت الآية على انه لا بد من البنية من حيث اوجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المقارنة
لا يدل على وجوب المقارنة اما الانفكاك عنه في بعض الاحوال فيدل على ان المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية
على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست شرطا للحيوة واعلم ان الله عزيز غالب على
جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التأويل ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا قبله
ادعى الربوبية وما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان بحسن استعداده للطلب وغاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في
طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا ووكل الى نفسه مال الى عالم الحس بموافقة السيرة الطبيعية لانه خلق من تراب و
طبعه الميل الى السفل فيرى الكمال في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم في الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر
ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فقال انا احيي واميت وليس للعالم رب الا انا جهلا بالكمال وذلك عند
فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية النبي صلى الله عليه وسلم او من ينوب منابه وهو الشيخ قال

ليس في الوجود سوى الله وهذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعني فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر الذنب
حسبان وجود غير وجوده فافهم جدا وان لم يكن مجدا فان المجد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يومن بالله ويكفر بطاغوت
وجوده ووجود كل ما سوى الله قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب باعتراض على قول الكافر انا احيي واميت والمراد
ان ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن طلوع شمس الروح من افق البدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا ياتي منك فامسكها عندك
وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه آية القيامة من مات فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه ان امكنه ان يدعي الاحياء بمعنى الابقاء
وهو طلوع الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعي الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة
عذراء لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعي في محاجة عقيب
الدعوى بقوله تعالى او كالذي مر على قرية وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت
من حبس الاشباح وتفوزت بالعلوم الكلية التي استفادتها من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبي اذا استفاد
العلوم في المكتب وكبر وعظم وقعه لم يحتج ان يرجع الى المكتب وحال الصباء فهو سبحانه لكمال فضله ورأفته دفع هذه التسويلات
النفسية ودفع هذه الشبهات الفلسفية بان امات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى كما احيى عزير
الروح احيى معه حمار الجسد وكما ان عزير الروح يكون على الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من
كوثر تجلي صفات الجمال والجلال وسقيهم ربهم شرابا طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض
فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس مشربهم شعر شربنا واهرقنا على الارض فضلها ٭ وللارض من كاس الكرام نصيب ٭ ثم
اكد حديث الحشر بقصة عن خليله صلوات الرحمن وذلك قوله رب ارني فيفوح منه رائحة قول موسى رب ارني انظر اليك الآن موسى
لم يحفظ الادب في الطلب فما رأى غير النصب والتعب وادب بتاديب الخاطب الجاني وعزله بتعريك لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان
الخليل صاحب ري وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر شربت الحب كاسا بعد كاس ٭ فما نفد الشراب وما رويت
فسكر موسى كان يبسط انه مع الحق بقوله رب ارني انظر اليك ويعربد اخرى بقوله ارني الا فلتنك ومن كمال صحو الخليل ما زل قدمه في
ادب من آداب العبودية في الحضور والغيبة فلاجرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة انه اول ما شاب شيبة ابرهيم ويحرم غدا
بالكسوة انه اول من يكسى ابرهيم ولما ابتلى في ماله فبذله للضيفان وابتلى بولده فاسلم وتله للجبين وابتلى في نفسه فاستسلم لمنجنيق ابن
كنعان وابتلى بجبرئيل فقال اما اليك فلا فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من دق باب طلب
الحق وقال هذا ربي واول من سلك طريق الحق وقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر
الشوق وقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول من اظهر العداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول
من اشتاق وسال الرؤية وقال رب ارني ولا يظن ان اشتياقه الى الرؤية انما كان وقت سواله شعر ولست حديث العهد شوقا وانما
حديث هواكم وحشاي قديم ٭ ولكنه من حفظ آداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي
الى ان ساقه القدر الى حسن التدبير وساله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود هل
رايت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة لما مول فادرج في السوال السول فاخفى سره وهو ارني في علنه وهو كيف تحيي الموتى وهو يعلم
انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان سمعه من كلامه بفضله وجوده وقال اولم تومن فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن
ثلثة معان مضمرة اولم تومن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا او لم تومن لميعاد رويتي في الجنة فاريك
ثم او لم تومن بما طلبت من الاحياء مضمر في كل منها الاثبات في لفظي النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة بلى من ان بشرى بلى
امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي الايمان والايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني
سالت ليطمئن قلبي بما بدا ولى آمنت بميعاد رويتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برويتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق
واضطراب قلبي من غاية يقيني اولى لكنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سالتك عن الاحياء وانما سالتك عن كيفية الاحياء ففي
ضمن ذلك يحصل مقصودي كما ان من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه
يعلم ان الدلال في الجمال وان العزة والحسن توامان وفي مذهب المليح الطلب رد والتسبيل سد فيقول ارني كيف تخيط الثياب
فكل صانع فاتن في صنعته يريد ان يرى جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا احتجاب وهو يخيط الثوب ويقول انظر الى كيف اخيطه
فالعاشق ينظر بجملته الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الخليل من اضطراب قلبه

واضطراره بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاه وقال فخذ اربعة من الطير والمراد انه محجوب بك عني فتجلى
صفاتي عن صفاتك محجوب بحجاب ذلك عن ذاتي مصنوع فيهما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتي واذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي
فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان بها فتولدت من ازدواج كل عنصر
مع قرينه صفة فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان يتوحلان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب و
الشهوة ولكل واحد من هذه الصفات زوج خلق منها لتسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه
الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين لانه كالمعشوق بين الصفات فيعلق بها كل صفة فمن الابواب السبعة للدركات السبع من
جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى
خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلولم زين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص ويكون من حرصه وديك
الشهوة ومن الغضب لرفعه في الطيران وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطع منه متولداتها ما بقي له
باب يدخل من النار فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما والمبالغة في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو
اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يد ابرهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل من الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها
النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلثة الحيواني والطبيعي والانساني الملكي فهذه الجبال كالاشجار والزروع واجزاء الطيور كالتراب
المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد منها وكلهم تربي بتربيتها فيتصرف فيها الروح الانساني فيجعلها بنور
هو من خصائص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات منسلخة عن اوصافها متحلية باخلاق روحانيات هذا لخواص الخلق الذين انما لب
على احوالهم الروح واما خواص الخواص ولمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد خمود هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيي فيحيي هذه
الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد في تلك الحالة حيا بحيوته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما ان اميا يقول لكاتب اري كيف تكتب
فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي ويأخذ بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب
كقوله شعر عجبت منك ومني افنيتني بك عني ٭ ادنيتني منك حتى ظننت انك اني ٭ فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي يعلم الامي انه امي والكاتب
هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي ذنب حسبانك انك كاتب وانت امي عرفني
ما وصلت اليه وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى وان تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي لربه [illegible]
كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الروية لنفسه رب ارني والحبيب
طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هي وذلك لعلو همته ورفعة مرتبته وكمال معرفته ولعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء
فانه فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود وكان قول الخليل بالنسبة الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا
طلب كمال الروية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب روية الماهية فقال كما هي وهذا هو الملك الحقيقي
الذي لا يكسبه كنهه ثم قل للخليل واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته والله اعلم

مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت
داستان آنانکه صرف میکنند مالهاء ایشان را در دین خدای چون داستان دانه ایست که برویاند
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن
هفت خوشه را که در هر خوشه ازو صد دانه و خدای افزونی دهد مر آنرا که
يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل
خواهد و خدای بسیار عطا و دانا باستحقاق هر کسی آنانکه نفقه میکنند مالهاء ایشان را در کار دین
الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند
خدای پس از پی در نمی آرند آنرا که داده اند منتی و نه رنجی مر ایشانراست مزد ایشان نزد
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف و
پروردگار ایشان و هیچ ترس نیست بر ایشان در آخرت و نه ایشان اندوهگین شوند بازگردانیدن سایل بگفتار نیکو

مغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين

وعفو از او اگر ابرام کند بهتر است از صدقه‌ای که از پی درآید آزار رنج و خدای بی‌نیاز است بحلم ناشتابنده بعقوبت ای آنکسانی که

امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله

ایمان آوردید باطل مکنید صدقه‌های خود را بمنت نهادن و رنجانیدن چون آنکسی که دهد مال خود را

رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان

برای نمایش خلق و نگروید بخدای و روز بازپسین پس داستان او چون داستان سنگی است که

عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على

بر او بود خاکی پس رسید بدان باران بزرگ قطره پس بگذارد آنرا پاک از غبار توانا نباشند بر

شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين و

چیزی از آنچه حاصل کرده باشند و خدای راه ننماید گروه کافران را و

مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من

داستان آنانکه نفقه میکنند مالهای ایشان را برای جستن خشنودی خدای و برای ثابت گردانیدن

انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها

نفسهای خود چون داستان بستانی است بر زمین بلند که رسید بدان بستان باران بزرگ قطره پس داد آن بستان بار خود را

ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ايود

دو نوبت پس اگر نرسد بدان باران بزرگ قطره پس باران خرد قطره و خدای بآنچه میکنید شما بیناست ای دوست دارد

احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري

یکی از شما که باشد مر او را بستانی از خرمابنان و انگورها میرود

من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه

از فرود آن جویها مر او را در آن بستان از هر میوه [illegible] و حال آنکه رسید بدان شخص

الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار

پیری و مر او را بود فرزندان ضعیف پس رسید بدان بستان باد گردی که در آن بود آتشی

فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون

پس بسوزد آن بستان همچنان بیان فرماید خدای برای شما آیتها را تا مگر شما اندیشه کنید در صلاح خود

القراءة ابتغاء بسبع وبابه بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل يضعف وبابه ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف رئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد والشموني والخزاعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمز الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه وقتيبة ورويس وليس عن يعقوب وكذلك ما كان محله النصب او الجر في كل القرآن بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع ووافق ابو عمرو فيما اتصلت بالهاء والالف بما تعملون بصير بالياء على المغايبة ابو عمرو عن قتيبة الباقون بالتاء على الخطاب الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ه عند ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون ه اذى ط حليم ه والاذى لا لتعلق كاف التشبيه اي ابطالا مثل ابطال الذي الآخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ه ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير ه الانهار لا لان ما بعده صفة الجنة ايضا الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء ص والوصل اولى والوقف على فاحترقت ط للشاعي مقصود الاستفهام والمعنى ايحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا في حالة كذا تتفكرون ه التفسير انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه ببيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الآية تلك الاضعاف وانما ذكر بين الآيتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال لمن رغبه في الانفاق يا من عرفت اني خلقتك واكملت نعمتي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت

قدرتي على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعدما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولابد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي تملكها العباد الا بالانفاق اتبعه احكامه فقال مثل الذين ولابد من اضمار ليصح التشبيه اي مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب ولكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد في الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلاثة قروء في انه اقيم جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين في الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافا لمن يستحق ذلك في مشيئته والله واسع كامل القدرة على المجازاة لانه فضله غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل له عنده ثم لما عظم امر الانفاق اردفه ببيان الامور التي يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم وهذا قيل صنوان من منح سائله ومن منع نائله وضن وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير من تغيره وتحاشيه عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعم نعمة الله والعباد عباده وان المعطي هو الله واذا كان العبد في هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الخفية وكان في درجة البهائم التي لا تترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما ازال اليه ويقول له لست الا مبرما ومالك الا الثقيل وباعد الله ما بيني وبينك ومعنى ثم التراخي في الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما لانهما ذكرا في سياق النفي لهم اجرهم وقال فيما بعد فلهم اجرهم لان الموصول ههنا لم يتضمن معنى الشرط وضمنه ثم وفرق معنوي وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنا الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار وكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنا انسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالآية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل والثاني ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق احسن او عدة حسنة ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول لانه اذا رد بغير مقصود فربما حمله ذلك على بذاء اللسان او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل بان يعذر المسؤول اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الايذاء الاعطاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضر واما القول المعروف ففيه انفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان اولى ومن الناس من خص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير وعن ابن عباس بالمن على الله والاذى للفقير كالذي اي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرى بعمله غيره ولا يريد رضا الله وثواب الآخرة فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المان المرائي بالمنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثوا

ثم ان المن والاذى ان لا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذي والمنافق كالصفوان
ويوم القيامة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان شبيه بما اذا طرح بذرا في صفوان صار عليه غبار قليل فاذا
اصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا الاشئ فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شئ الضمير
فيه عايد الى معلوم غير مذكور اي لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي فوق على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به
فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيامة وناهيك بكون المان والمنافق مطرودين في قرن شناعة شان المن والاذى
وقيل الضمير عايد الى الذي لما ان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذي واما لانه اشير بالذي الى الجنس والجنس في
حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شئ مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب
وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اي يوطنون انفسهم
على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه وبعضد
قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحياة
العاجلة والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه
الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين ان
الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يتثبتون انفسهم
تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل
ان اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمان قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه
فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البغتة
والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورانيتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها
عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشئ يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة النفس والربا في
المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما يضربه
الرياح كان الوهاد لكونها مصب المياه قلما تخس ريعها فاذن البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ
وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و
ربت ويمكن ان يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما ان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي ان يكون هذه الارض
بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اي ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كانت تعهد منها وقيل مثلي ما يكون في غيرها فان لم يصبها وابل فطل
فطر صغير القدر يصيبها ولا ينقص شئ من ثمرها لكرم منبتها والمراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة
لوجه الله لا يضيع كسبه وهو مراد مردود ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما ان كل واحد
من المطرين يضعف اكل الجنة وكذلك نفقتهم زلفى في النعام وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاقات وكيفياتها والامور الباعثة
عليها بصير فيجازي بحسب النيات وخلوص الطاعات ثم ان من تمام الترغيب في الانفاق والتنفير عن المبطل الجامع لشرايطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا
آخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اي لن يود وقرئ له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل
واعناب فكان الجنة انما تكون منهما لكثرتهما فيها الثاني تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك مما يزيد في رونقها وبقائها الثالث
فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب اولا بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع قال في الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع
التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الى هذه
الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اي صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء
كالعمود فيه نار فاحترقت اي المجموع ولا يخفى ان هذا المثل والمقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية الكمال وكان هو في نهاية
الاحتياج الى المال وذلك وان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون في قلبه من الحسرة
وفي عينه من الحيرة فكما الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيامة فاذا اتبع الانفاق النفاق والمن والاذى كان ذلك
كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورث الخيبة والندامة التأويل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ازواجهم

١٦٧

وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير يأخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى
قلبه الى الله فهو يربيه بان اصبع جلاله حتى يصير اعظم من العرش بثمانية وانهم قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال باسا وصفاء الاوقات ومؤنسات
الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق للقيام بامورهم في تشقي ما في صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا
لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غرض والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا
نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ووجب لي عليك اجر ولا اذى بان يطلب من الله
غير الله رأى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند ربهم منزلهم في رتبة العندية
عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له وان لم يكن عنده
ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل اذى طلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار في الطلب غيره
ولو لا حلمه لما التراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى في المعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها
نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد ابطل حقوقه في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان
فضلك في الصدقة طلب الحق لما منت على الفقير لكنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا
الفقراء لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني لان الفقير يأخذ منه الدنيا ويعطيه
الآخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالآخرة لا ينفق للآخرة
فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون
على شئ مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله لا يهدي القوم الكافرين نعمة طلب شهود جماله فخرموا عن دولة وصاله ومثل الذين ينفقون ابتغاء
ونخليصا نياتهم في طلب الحق ومرضاته من حظوظ انفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات
الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فآتت اكلها ضعفين ضعفا من نعيم الجنة وضعفا من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي اهل الآخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الآخرة وكذلك
يعطي اهل الله نصيبا من الآخرة بالتبعية ولا يعطي اهل الآخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء
المرضاة او لاستيفاء اللذات واستيفاء الحظوظ ثم ضرب مثلا لروح الانساني وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعد
لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس السليمة متوحدا بحمل الامانة منفردا برتبة الخلافة جنة من منظور نظر العناية تجري
من تحتها انهار الهداية واصاب لصاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها
فاصابها اعصار من اعمال الرفيه فيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية
بالنفسانية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بانتباه الاستعداد
الفطري فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم في طلب آمالكم واستعدوا للموت قبل حلول آجالكم الله حسبي ونعم الوكيل

يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما
اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون و
لستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي

الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
دانش واعمال خیر از اکه می خواهد و هرکه داده شد دانش و خصال نیکو پس بحقیقت داده شد او را نیکی
كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم
بسیار و پند نگیرد مگر خداوندان عقول و آنچه هزینه کنید شما
من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من
از هزینه یا نذر کنید شما از چیز نذرکردنی پس بدرستی خدای داناست بآن و نیست ستمکاران را از هیچ
انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها و
یاری دهنده اگر ظاهر کنید صدقات را پس نیکو چیزیست آن و اگر پنهان دارید آن را و
تؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم
بدهید آن را بدرویشان پس آن بهتر است مر شما را و بپوشانیم از شما چیزها
من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك
از بدیها و خدای بآنچه میکنید شما دانا و آگاه است نیست بر تو
هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من
راه یافتن ایشان ولیکن خدای راه می نماید آنرا که می خواهد و آنچه هزینه کنید از
خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا
مال پس ثواب آن مر شما را و نفقه نکنید مگر برای جستن رضای خدای و آنچه نفقه کنید
من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين
از مال تمام ادا کرده شود بشما ثواب از او و شما را ستم نکنند ثواب شما را این صدقات که گفتیم درویشانی راست
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم
که محبوس اند در طاعت خدای نمی توانند رفتنی بسبب اشتغال بطاعت بجهاد در زمین بجهت تحصیل معاش پندارد
الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون
بحال ایشان نادان توانگران از نگاه داشتن ایشان خود را از سوال شناسی تو ایشان را بعلامات ایشان نخواهند
الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين
از مردم بطریق ابرام و الحاح و آنچه نفقه کنید از مال پس بدرستی خدای بدان داناست آنانکه
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
نفقه میکنند خواستهاء خود را بشب و روز نهان و آشکارا
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
مر ایشان راست مزد ایشان نزد پروردگار ایشان و هیچ ترس نیست بر ایشان و نه ایشان اندوهگین شوند

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اي من يؤته الله الباقون بالفتح فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخزاز الباقون فنعما هي بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعا ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي وخلف ابن شاذان عن خلاد مخير وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى الوقوف من الارض ز لعطف المتفقتين تغمضوا فيه ط حميد ه بالفحشاء ج وان اتفقتا لفظا ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم ه و قيل بالوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ه الالباب ه

نعلمه ط انصار ه فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي وجه الله ط لا تظلمون ه في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف ز لان تعرفهم يصلح استينافا والحال اوجه اي يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسألون الناس على الحال وقد يجعل لا يسألون استينافا فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ه عند ربهم ج يحزنون ه التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورديء اموالهم فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة في اربعة في التمر والزبيب والحنطة والشعير ليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق وبل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعي رضي الله عنه بالقث وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يستنبتونها وايضا لا يجب الزكوة في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق فقال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الآية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور مذكور في الفروع ولذلك ونظائرها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب في الآية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الرديء لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذال اموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والآية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم بآخذيه وانتم تعلمون انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستثناء فلكونه شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا وجب ان يكون الماخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للآية لان الماخوذ في هذه الحالة لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد ورديء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكوة من رديء مالك ولا يكلف ايضا جيده لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب حينئذ هو الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الآية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكون قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال اممته وتممته وتاممته كله بمعنى قصدته ومحل ينفقون نصب على الحال وقدم منه عليه ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه ينفقون وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع اغمض لي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمضتم بصر البائع اي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي او حامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين

الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن ان يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالكامل الانفاق وهو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا لا الجيد ولا الردي والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد نقله من الافضل الى الاخس فمن خفي حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يمكن ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هو التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية ويتم التدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعد الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن اولى بالقبول لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هرم بخلاف الانتفاع بما في الاخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الاخرة فانه باق لا يزول وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في اية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات او ان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق ازالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل الخلف قادر على انجاز ما وعد عليم بحال من انفق نفقة بوعد ويجازي من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما يرجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية المقدار متناهية العدد متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل والصواب ولذلك سال ابراهيم صلوات الرحمن عليه رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلام انني انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكي عن عيسى انه قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة راي فعيل بمعنى فاعل او حكيم بمعنى مفعول فيها يفرق كل امر حكيم اي محكوم وفي الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي باعطاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعطاء كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء الى البداية وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات بل لم ينسبوا هذه الاحوال الى

انفسهم لم يرقوا الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا يفيد بنفسها وانما ينتفع بها المراد اذا تدبر وتذكر فعرف ما له وما عليه وعند ذلك يقدم او يحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلتزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم ومنه الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه عليه بتعليق التزام قربة بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او اكلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه او دخل او لم يخرج وللعلماء ثلثة اقوال الاول يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزم الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنى ونذر المراة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكر فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة على الجنائز والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم وايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل من الركوب وهو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع او السجود والقراءة في الفرايض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا قائما في الشمس فسال عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او للرياء او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كاصحاب في صاحب او جمع نصير كاشراف في شريف وقد تمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله لا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره اذا اخبر على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكماله في ايمانه فنعما هي من قرا بسكون العين فمحمول على انه اوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما يروى في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما بالمال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرا بكسر النون والعين فلتحصيل التناسب ومن قرا بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة شعر نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تاويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال

ابو علي الجبائي في مثله اي نعما ابداؤها او بل شي لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان مخصوص المدح والتقدير نعم شيا ابدا الصدقات
حذف المضاف لدلالة او نعم شيا ابدا الصدقات اولئك الخصلة وهي الابدا قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها
وتوتوها الفقرا فهو خير لكم والاخفا في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس فيكون اكثر
ثوابا ولانه ابعد عن الريا والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب
المعطي في ملاء من الناس يطلب الريا وقد بالغ قوم في الاخفا واجتهدوا ان لا يعرفهم الاخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الاعمى
وبعضهم يلقيها في طريق الفقير او في موضع جلوسه حيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل
الى الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ايضا ان العبد ليعمل
عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب في الريا وقال
صدقة السر تطفي غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر الناس على الفقير اخذ
تلك الصدقة لظن الاستغنا به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للاخذ واهانة له واذلال
المومن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وربما لا يدفع
الفقير اليهم شيا فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهرها اقتدى غيره به لم يبعد والحالة هذه ان يكون الاظهار
افضل وروى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان
اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى منه الخلق ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يردد
عليه ذكر روية الخلق والقلب ينكر فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع بفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان لله عبادا راضوا انفسهم
حتى من الله تعالى عليهم بانوار هدايته وذهب عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار
عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل
غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون وجعلنا للمتقين اماما فهولا ائمة الهدى واعلام الدين
وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة
لطلب الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان اكثر صلواته في البيت
الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى
يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفا له افضل ولا سيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله
خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من ابعد [?] وانما قيل وتوتوها الفقرا لان المقصود من بعث المتصدق
ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقرا مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت
الفضيلة فلهذا شرط في الاخفا ان يحصل بعد ايتا الفقرا واما في الابدا فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر
عنكم من قرا بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد لان الاصل في الشرط والجزا ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزا فعلا مضارعا
مع الفا كان خبر مبتدا محذوف تقوله فهو خير في تاويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف
اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة ومن قرا مجزوما فهو عطف على محل الفا وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان
تخفوها يكن اعظم اجرا واما من قرا ويكفر بيا الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر في النون والضمير لله او للاخفا وقري وتكفر بالتا
مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرا الحسن بالنا والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم
خيرا لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله من سيئاتكم يحتمل ان يكون من للتبعيض
لان السيئات كلها لا تكفر وانما يكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها ولحسن احوال العباد ان
يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها
زايدة والله بما تعملون خبير كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفا الذي هو ابعد من الريا عن الكلبي ان اعتمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمرة القضا فكانت معه اسما بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسالانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما
شيا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هديهم

وامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما
قال الكلبي ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة
واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم
وارادوهم على ان يسلموا واستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد ابن جبير قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتصدقوا الا على اهل دينكم فانزل الله ليس عليك
هديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على اهل
الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء
اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فتكون الاية مخصوصة بالتطوع
وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره ومعنى الاية ليس
عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق
عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحرص على اسلامهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا
الى الله تعالى ومبينا للدلايل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا اليك فالهدى
ههنا بمعنى الاهتدا فسوا اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك
عنهم وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجيهم الى الاهتدا بواسطة توقيف الصدقة
على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان
طوعا واختيارا ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي
اولا هو الهداية اي الاهتدا على سبيل الاختيار وكذا الثاني ومنه يعلم ان
الاهتدا الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير
هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين
الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك
الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع
فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هديهم خطاب مع النبي صلى الله
عليه وسلم ولكن المراد به هو وامته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات
وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فلا يضركم
كفرهم او فلا تمنوا به على الناس ولا توذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون
الا وجه الله من صلة رحم او سد خلة مضطر قد علم الله هذا من قلوبكم
وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا الله وقيل معناه لا تكونون منفقين مستحقين
لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم
الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه
مثله الى الله وفايدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف
من قولك فعلته له لان وجه الشي اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به
عن الشرف مطلقا وايضا قول القائل فعلت هذا الفعل له احتمل
الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا
يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه في الاخرة اضعافا

مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وانتم
لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين انه يجوز صرف الصدقة
الى اى فقير كان اراد ان تبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال
للفقراء اى ذلك الانفاق لهولاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل فيقول عاقل لبيب
اى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون
للفقراء اذ المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت في الفقراء المهاجرين
وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة
كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القران ويصومون ويخرجون في كل غزوة فمن
كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقى من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا
بما فيه فانه من رفقاى فانه تعالى وصف هولاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله
الذين احصروا في سبيل الله اى حصروا انفسهم ووقفوا على الجهاد في سبيل الله
لان سبيل الله مختص بالجهاد في عرف القران ولان وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان اكد فكانت الحاجة
الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد فوضع الصدقة
فيهم يكون اوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد ابن المسيب واختاره
الكسائي ان هولاء قوم اصابتهم جراحات في الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن
عباس هولاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون
ضربا في الارض اى سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يتفرغون للكسب
والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه
الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم من لم يختبر امرهم اغنياء
من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف اظهار
العفة وهو ترك الشئ والكف عنه الرابعة تعرفهم اى انت يا محمد او كل راء بسيماهم
السيما والسيميا العلامة التى يعرف بها الشئ من السمة العلامة فوزنه عفلى قال مجاهد
سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدي اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع
ابو زيد رثاثة ثيابهم وقيل المهابة في العيون وقيل اثار الفكر روى انه صلى الله عليه وسلم
كان كثير الفكر الخامسة لا يسالون الناس الحافا اى الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطى والتزاب
يدل على الستر كانه لزم المسئول لزوم التراب للمستور عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف
ويبغض البذى السائل الملحف قيل معنى الاية انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحوا ورد عليه انه
ينافى التعفف الذى وصفوا به وقيل فالوجه ان يراد نفى السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة
الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والاخر طياش خفيف واردت ان تمدح
احدهما وتذم الاخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار
لم يكن غرضك من قولك ليس بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف
الحسنة يغنى عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثانى وقيل معناه لا نتركون
السؤال الا بالحاح شديد منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله ولى نفس اقول لها اذا
ما تنازعنى لعلى او عسانى وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفى

السؤال عنهم راسا لان كل سائل لا بد ان يلح في بعض الاوقات كانه يقول اذا رفت ما وجهى فلا ارجع بغير مقصود وقيل لعل الكتاب
عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون في حال سكوته انطق ما يكون في خرق القلوب له فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون
الى ذلك السؤال من رثاثة الحال واثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق
عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لان ياخذ
احدكم حبلا يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسال الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب الانفاق الذى هو اعظم
الصارف لا يكسبه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الاية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على اهل الاديان قال في اخره وما تنفقوا من خير
يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذى حسن عبادته موقع خدمته انى بحسن خدمتك عالم ولحقك عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك
واصل اليك ثم ارشد في خاتمة الايات الى كمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية وذلك ان الذين يتحرون الاوقات والاحوال
بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام فلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها متعللين بتوقيت وحال
والباء بمعنى في اوقات الليل والنهار وسرا وعلانية سيقولون على الطريقة ايضا اى في اوقات السر والعلن او على وصف المصدر اى انفاقا سرا او على الحال
لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل لما نزلت للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة فنزلت
فنزلت ذلك وفي تقديم ذكر الليل بتقديم السر على العلانية دليل على ان صدقة على كان اكمل وعن ابن عباس ما كان لعلى يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدنى ربى
فقال ذلك وانزلت الاية وقيل نزلت في ابى بكر الصديق حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة
في العلانية وقيل في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس سمين قرا هذه الاية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال لطيف
انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه اصلاح الفعل من وجهين احدها لو فسر الطيب بالحلال فيقبل الله منها ولو فسر بالجودة فليجر بغلة وجيل
جوده وثانيها ليثاب على التعظيم لامر الله ليثبت على الشفقة على خلق الله ليثاب على الايثار ويؤثرون على انفسهم وخامسها ليستحق ان
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليثبت على زيادة الايمان فان المتصدق في صدقته كالزارع في زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانا
حصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانا بالنصب والجزاء زاد في جودة صدقته لتحققه ان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها او قدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وفى الاية
معنى اخر لطيف انفقوا من طيبات ما كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم في تحلية سرائركم بمكارم
الاخلاق ولكن النفقة طيبة من حيازة الشبهات طيبا انفاقها من حيازة الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من حيازة الاغيار والنظر
في الانفاق الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فالله يقبله طيب عن الوسائط فياخذها بيمينه فيربيها قبل ان يقع بيد الفقير واذا كانت اليد
طيبة في انفاقها فالله يقول طيب فانها ابلغ عند الله من علمها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فالله يقول طيب عن
الاغيار بين اصبعين من اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولستم تاخذين هذا الخبيث لانى اصل
الفطرة ولانى عهد اللطف لانكم خلقتم من اصل طيب وطينة طيبة فالروح من اطيب الاطائف لانه اقرب الاشياء الى حضرة رب العالمين والجسد
من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم احلكم بالاعيان ولتحبيبه جعل طيبة ثم رزقكم من الطيبات ما رزقكم فليس لكم شئ خبيث في
الظاهر والباطن الا ان تعضوا فيه فيستقلوه ومن كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه لم يكن الخبائث ذاتية لكم لسان
بل كانت طارية عليه عارية لديه انزلنا لله تعالى كلمة طيبة في لا اله الا الله لتطيب بالمواظبة عليهما اخلاقهم وتستحقوا يوم القيمة ان
يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا ان الله غنى فمن كمال غنائه اراد ان يغنيكم بثواب الانفاق حميد على ما انعم بهذا
التكليف يتوسل به الى الكمال الابدى الشيطان يعدكم الفقر ظاهرا ويامركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل و
الحرص والياس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتسلى القلب
بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو راس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسة
سوف يبتلى بهذه الافات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق افاض عليه سحاب غفرانه وبحار فضله واحسانه فالمغفرة تكفير
الذنوب والاثام والفضل ما لا يدرك بالاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال يؤتى
الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يعرفوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات
فالمعقولات تكتسب بالبرهان وهى مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء

نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وما يذكر الا اولو الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى عالم النور ثم اخبر عن توفيته
الاجور للمنفق في المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الريا من انصار ولا ناصر
بالحقيقة الا الله ومن ياذن له الله ابداء الصدقات ضد اخفائها واخفاؤها تخليصها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله في ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اي عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون في ظل الله
قال صلى الله عليه وسلم ان المرء يكون في ظل صدقته يوم القيامة اي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله بان كانت للجنة ففي ظل الجنة وان كانت للهوى
كان في ظل الهاوية معنى قوله ان تبدوا الصدقات اي تظهروها لطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب صوب حظ فنعما هي فانها مرتبة الابرار ان الابرار
لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لانه توجها لقاء الله ثم
اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاء وان الله فيها ولي الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء الفضيلة
وانت سيد الاولين والآخرين وانت كرم الخلائق على رب العالمين ولكن ليس عليك هديهم ولكن الهداية من خصائص شاننا ولوائح برهاننا انت
تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي احصره المحبة في الله عن طلب المعاش لا الذي احصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف
اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له في المشرق مذهب ولا له في المغرب مصيب ومنه الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فما
يزداد طولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن نظر اهل العزة او يحابي تحت
قباب لا يعرفهم غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلست غيري وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان بسيماهم لا يرى الا بالبصر
بل يرى بالنور الرباني فمن سيماهم في الظاهر من ظهور اثار احوال الباطن انهم لا يسألون الناس الحافا لا بالقليل ولا بالكثير لان اثار الوداد
قلوبهم الكسب على سرائرهم منقرت بالتعفف نفوسهم فاصحح ظلمة فقرهم وفاقتهم وما ينفقوا من خير من المال والحال او خدمة بالفقراء
اكرام او ارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استخفافا او اجلالا استخفافا او اذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم انهم اذا وجدوا المال لا يمسكونه
الفقر بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون في الدنيا على ما يفوتهم لانهم زكوا
الله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا في الآخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور والله اعلم بالصواب

الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل
الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله
ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب
كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا

فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى
ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف هذا اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين
كقوله وما آتيتم من ربوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين شدده مكسورة الدال حمزة وحماد وابو بكر غير ابن غالب
والبرجمي حمزة يقف بغير همز بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل
الباقون بالعكس ميسرة بضم السين نافع ميسرة بضم السين واشباع الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا بخفيفا عاصم الباقون
بتشديد الصاد الادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف
من المس ط مثل الربوا م لئلا يظن ان ما بعده من قولهم وان امكن جعل واحل حالا الا انما يفيد وحرم الربوا ط ابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف ط الى الله ط
الجزاء النار ج خالدون ط الصدقات ط اثيم عندربهم ج يحزنون مؤمنين ورسوله ج اموالكم ج مستانفا وحالا عامله بمعنى الفعل في لام التمليك
ولا تظلمون ميسرة ط تعلمون لا يظلمون التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا
مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص مامور بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف المكسب الحرام
وهو الربوا والحلال وهو البيع ويناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين ياكلون الربوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات الا انه عبر عن الشيء بعظم
مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا من الربوا لا يمكن ان يتوكل ولكن يصرف
الى الماكول فيوكل فالمراد التصرف فيه والربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امالها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو
مخير في كتابتها بالالف والواو وفي الكشاف كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
ثم الربوا قسمان ربوا النسية وربوا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان ياخذوا كل شهر
قدرا معينا ثم اذا حل الدين طلب المديون براس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يباع من الحنطة بمنوين منها
المروي عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربوا الا في النسية ويجوز ربوا النقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت
ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروى له الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير
بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى الآخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اواني واياك ظل بيت
ما دمت على هذا فروي انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة اما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما
كنت استحللت الصرف براي ثم بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا اني حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله
تعالى احل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقدا وقوله حرم الربوا لا يتناوله لان كل زيادة ليست بحرام فوجب ان يبقى على الحل ولا يحرم
الا العقد المخصوص الذي كان متعارفا بينهم ربوا وهو ربوا النسية وقد تاكد هذا الراي بما روي عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الربوا في النسية وفي رواية لا ربوا الا فيما كان يدا بيد وذكر ابو المنهال انه سال البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نساء فلا يصلح
واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين اما النسية فبالقرآن واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الاشياء
الستة المذكورة والمطعومات الاشبعة لا شك ان الربوا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه اما الاشياء
الاربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روي عن معمر بن عبد الله قال كنا نسمع رسول الله صلعم يقول الطعام بالطعام مثلا
بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والحد المعلق

باسم الربو والقديم ان العلة فيهما الطعم مع الكيل او الوزن لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل
فعلى هذا ثبت الربو في كل مطعوم بكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات
فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربو وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربو في الجص والنورة وعن احمد روايتان
كابي حنيفة والاخرى كالجديد واما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما عينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية
الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منهما ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء
العلة وقال احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها لك الفقه واما
السبب في تحريم الربو فهو ان من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيا يحصل له زيادة درهم من غير عوض واخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله
صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد
لا يحصل واخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان
صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربو من تحصيل الدرهم الزائد نقدا او نسيا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لما يفضي الى
انقطاع المعروف بين الناس من القراض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربو قد ثبتت بالنص ولا يجب ان يكون
حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان
قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس اي مسه الجن فاختلط عقله
وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا ارادوا تقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طلعها
كانه رؤس الشياطين فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة المؤدية التي تحدث عنده والفزع فيصرع كما يفزع الضعاف في
الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل
والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية اقوال احدها ان اكل الربو يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف
وقوله من المس يتعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه قال ابن قتيبة
يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربو فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربو فارباه الله في بطونهم
واثقلهم وقيل ان ماخذه من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وان الشيطان يدعو الى الهوى والملك يجره الى التقوى
فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربو على ذلك اورثه الخبط في الآخرة واوقعه في ذل الحجاب بينه وبين الله
تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربو وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربو انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع و
الا كان حق النظم في الظاهر ان يعكس فيقال انما الربو مثل البيع لان الكلام في الربو لا في البيع ومن حق القايس ان يشبه محل الوفاق ثم انهم كانوا يقولون
وتحليل الربو على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا ونسيئة فهذا حلال فكذا اذا اعطى العشرة باحد عشر الى وقت
من الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال ويحصل له اموال كثيرة في
المال فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله
احل الله البيع وحرم الربو وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض بالقياس فان ذلك من عمل ابليس امره الله تعالى بالسجود فعارض النص
بالقياس وقال انا خير منه ثم ظاهر الاية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربو دون الاقدام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى
هذا التقدير لا تمسك بهذه الاية في كون اكل الربو من الكبائر وبحث فيه بل معتمد الاية ان المراد من اكلهم الربو استطابته واستحلاله
كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من يتصرف في مال الربو لا على
وعيد من يستحل هذا العقد وقيل ويحتمل ان يكون قوله واحل الله البيع وحرم الربو من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين
على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار او على الرد او على قول المسلمين والاضمار خلاف
الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم لم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لائقا بالمقام وايضا المسلمون
لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية فلولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يقع منهم الاستدلال بها وههنا بحث للشافعي
وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية
فيكفي في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادته العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله البياعات بلفظ الجمع ومع ذلك
فقد تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم الا ان اللفظ المستغرق

ذلك

على الاغلب عرف مشهور وايضا روي ان عمر رضي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سالناه عن الربو ولو كان هذا
اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك وايضا قوله واحل الله البيع يقتضي ان يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربو يقتضي ان يكون كل بيع حراما لان الربوا
هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا ووجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ
من ربه فانتهى امتنع من استحلال الربو وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم او للتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون سالفا
ذنبا فالمراد له فيما اكل من الربو وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج
من عصيرها وامره الى الله لانه ان انتهى عن اكل الربو كما انتهى عن استحلاله فهو المقرب عند الله العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن
الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربو وانه مثل
البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا واما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربو ثم انه تعالى
لما بالغ في الزجر عن الربو وكان قد بالغ في الاي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك الربو وفعل الصدقة فقال يمحق الله الربوا
ويربي الصدقات اما في الدنيا واما في الاخرة وذلك ان الغالب في المرابي وان كثر ماله ان يؤول عاقبته الى الفقر ويزول البركة عن ماله عن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربو وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه وبغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان
وربما يطمع الظلمة في ماله ظنا منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا
صلة ثم ان مال الربو لا يبقى عند الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال
الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربو المثل الذي ضربه فيما تقدم مثل صفوان عليه تراب ونظير
قوله تعالى ويربي الصدقات المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل
الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق يزداد كل يوم
جاهه وذكره الجميل ويميل القلوب اليه وينقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء ويستدخله الفقراء بنيته
ان الربو وان كان زيادة في المال الا انه نقصان في المآل والصدقة وان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي
به الحس والطبع ويعول على ما يذهب اليه العقل والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة
للمزاولة كتمار وقوال والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو ايضا للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربو فيكون جاحدا و
وجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم الى الاكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى الاكل للربو ويكون تغليظا في امر الربو وايذانا
بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الاية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم يسلب المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على
الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربو فان استحلاله كفر وهو في نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من
الاكراه والالجاء فبقيت الاية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل آخر
ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام لا يستاهل محبة الله تعالى وذلك لا حاجة في السكوت عن حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب
الترهيب على عادته من ذكر الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان كما
مر واجيب بانه قال في الاية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاصل حمل كل لفظ على
فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فبقي في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع بالنقد
وذلك النقد حاضر متى شاء البائع اخذه الثاني جار مجرى المبيع في الذمة نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس
فيما يستقبلهم من احوال القيامة ولا هم يحزنون بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته
من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم
لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا
انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منهم طاعة ازيد مما صدر حتى صاروا بها مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة
وههنا سؤال وهو ان المراة اذا بلغت عارفة بالله وكما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت او الرجل بلغ عارفا بالله وقبل ان يجب
عليه الصلوة او الزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال
والجواب ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى

عن الربوا فله ما سلف كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا
فبين ان حرم اخذ ما بقي من الربوا دونهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب من هذا كما يقال ان كنت اخا فاكرمني
معناه من كان اخا اكرم اخاه او معناه اذ كنتم مؤمنين وان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان او يا ايها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من
الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى اجتنب كل الكبائر
واجيب ان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا يدل على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله تعالى على ذلك لان المنتظر لحلول الاجل
اذا حضر الوقت وطن نفسه على ان تلك الزيادة قد حصلت فقطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون بانقياده فانهى عنه ومن
الآية اصل كبير في احكام الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا ينفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا
تناكحوا على تجويز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على محرم فقبضته المراة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها
مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب الشافعي واما سبب نزول الآية فعن ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف
وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة
الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب
عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو
ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله وقال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ
قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي ان انتما اخذتما كله فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد كانا شريكين في
الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل ربوا
من ربوا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فاذنوا اصل خطاب مع الكفار المستحلين للربوا ومعنى قوله
ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا اي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر
شريعة واحدة من شرايع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرايعه وعلى هذا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين
على معاملة الربوا لان الآية خطاب مع قوم متقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين امنوا ومعنى قوله فاذنوا عبد عن جعله من
الايذان اعلموا انكم بسبب عن الربوا بحرب من الله فالمفعول له محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم
دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة في الابلاغ آكد ومن قرأ فاذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة
مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله فقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطاع
الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربوا ان
كان شخصا قدر الامام عليه واجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه وان كان ذا شوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية
وكما حارب ابو بكر رض مانعي الزكوة وكذا القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربوا
وعن معاملة الربوا فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم
من غرمائكم ذو اعسار على ان كان هي التي تسمى تامة بمعنى وجد الشيء وحدث في نفسه لا بمعنى صار متصفا بشيء فانها حينئذ تكون ناقصة
يحتاج الى خبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم او المديون ذا عسرة والقراءة المشهورة اولى لئلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المسمى في
الآية وغيره من ارباب العسرة والعسرة اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود من المال والنظرة التاخير والامهال وفي الآية حذف فالتقدير فالحكم
او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرئ عطاء فناظره على الامر اي فسامحه بالانظار وناظره اي صاحب الحق منتظره او ذو نظرته
مثل مكان عاشب اي ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف
التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربوا او عام في الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الآية
في الربوا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس اموالنا ولكم الربوا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل عسرة فاخرونا الى ان ندرك الثمرة
فابوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص
فلا يمنع من حمل الآية على سائر الصور لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء مالك وابي حنيفة والشافعي والاعسار في الشرع

هو ان لا يجد في ملكه ما يؤدي بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه فمن وجد دارا وثوبا لا يعد من ذوي العسرة اذا امكنه بيعهما
واداء ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يوم لنفسه وعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه ان يؤجر نفسه من
صاحب الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول واما من له بضاعة كسدت عليه فيجب عليه ان يبيعها بالنقصان
ان لم يمكن الا ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما له عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له
ريبة في اعساره جاز ان يحبسه الى ظهور الاعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض
فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك وان لم يكن عن عوض كالاتلاف وضمان وصداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان
الاصل هو الفقر وان تصدقوا اي على المعسر بما عليه عن الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر رأس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض
بعده او تعلمون ان ما يامركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب
ثم ان العاملين بالربوا كانوا اصحاب ثروة وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاج الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم احكام
الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدايد والاهوال واتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصي وفعل الاوامر
في الدنيا فهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تاهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء
يوم ترجعون فيه الى الله اي الى ما اعد لكم من ثواب او عقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى
كونه جنينا لا يملك نفعا ولا ضرا فلا تصرف فيه الا الله الثانية خروجه الى الفضا وهناك يرى الابوين لغيرهما تصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله تعالى
فكانه عاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء ذلك والمكتسب هو الجزاء كما يقال لكسب الرجل ما يحصله بتجارته
والمراد ان كل مكلف فانه يصل الى جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل
يقول كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون ان العبد هو الذي اوقع نفسه في تلك الورطة
لان الله تعالى امكنه وازاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه واجمل هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو اشارة ان الله
تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزل بها جبرئيل وقال ضعها على رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا و
عشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله اعلم التاويل اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى فمثل اكل
الربوا كمثل من له جوع الكلب ياكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرع عن ثقل بطنه ومثله
قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها
استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي ياكل ولا
يشبع وفي الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضي به الى الهلاك في الدنيا والعقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل
حبطا او يلم وذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال
فتنشق امعاؤها فتهلك او يقارب الهلاك والمثل الآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول و
جيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلا الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى
الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر الذي يكتسب المال بطريق البيع والشرى ويؤدي حقه وان كان له حرص في الطلب والجمع ولكن لما كان
بامر الشرع وطريق الحل ما اضر واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون ما ازال الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمته ارتكاب النهي فمرتكب الربوا
في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية وامره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره
اثيم حامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمانا التصديق بالتحقيق مقرونا بالنور
ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلوة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا بانوار ايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية
الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الى الظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوات انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل
الايمان المجازي فقال يا ايها الذين آمنوا باللسان اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من

الربوا ان تركوا ما بقي الله فطلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا الكل بالزيادة تمعكم فاذنوا بحرب من الله ورسوله يبعد منهما وبعض
وان تبتم من كسب عزة فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم ويحبونه لا يظلمون بوضع محبتي في غير موضعها وان كان
ذو عسرة لم يصل اليه اعد لاحله عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه اجلا وان تصدقوا تبذلوا ايضا ما تمنون من صوفية ... في الدنيا
والعقبى على قدر تمكنكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين ثم انه سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب جمع في خاتمة الوحي خلاصة اي القرآن واتقوا يوما الآية وذلك ان
فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين النجاة عن الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجاب الاوصاف
وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته
والبقاء بهويته فقوله فاتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الحق ومباشرة ما يقربك
اليه فتقوى العام الخروج بسبب الايمان بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات
وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى الخاص يخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب اوصافهم الى درجة تجلي صفات الحق
يستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيتمتعون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص يخرجهم العناية
بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبداية انوار القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف
ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله ... وجود ذلك النفخة وآخر حالات الجنين وبها اصطفى آدم وكرم بنيه ولهذا ام بقوله ولقد
كرمنا بني آدم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن
كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد
بشارة الاولياء ووعيد وانذار الاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القربة ...
قيام عن حجاب نفسه ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة وضيقه ولا
الشمس عليه شحا اذ ذاك فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والله اعلم

يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان
يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله
ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او
ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا
شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر
احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا
ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله

واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا
اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا
فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل
شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا
فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي
اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم

القراءة ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل الباقون
بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وحيله فتذكر بالرفع من الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار وبالنصب ابو عمرو و
سهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء
والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ط شيئا بالعدل ط من رجالكم ط
للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول اجله ط الا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط
ويعلمكم الله ط عليم ه مقبوضة لابتداء شرط واستيناف معنى آخر ربه ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم التفسير وسبب النظم ان الحكمين
المتقدمين وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمال رأفته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه
عن التلف والبوار ودعا الى وجوه الاحتياط وان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية واطنب وعن ابن عباس
ان المراد والسلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا و
قد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا
او آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني
بيع الدين بالدين وهو باطل وبقي ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما
داخلان تحت الآية واما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله
بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة او التأكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه او ليعم اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدته
رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولا تراب ان التفريع الدين الى مؤجل وحال الغاية
كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم
ليكون نصا في العموم ان الكلية تفهم من بيان العلة وقوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل فيكون الحكم حاصلا في الكل او نقول لعله هي
التداين والعلة لا تنفك عن معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة
عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم
الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل من المتداينين اوثق وامن من النسيان والتفاوت

والمخالف وفي مقدار الدين وفي انقضاء الأجل وفي سائر ما تشارطا عليه وهذا الأمر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور
المجتهدين على أنه للندب لإجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالأثمان المأخوذة من غير كتبة ولا إشهاد ولأن في إيجابهما حرجا وتضييقا وقيل
كانا واجبين فنسخا بقوله فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة إنما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس
كل أحد لوجود من لا يحسن الكتابة بل المراد استشهاد الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك أيضا على الإطلاق ولكن يجب أن يكون الكاتب
متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص أحدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الألفاظ المجملة التي يقع
النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها أديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل أن يكون
ما يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا إلى إبطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب
وهو معنى التنكير في كاتب أن يكتب وقوله كما علمه الله إما أن يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب أن يكتب مثل ما علمه الله تعالى
فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تأكيدا للأول أي فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى إياها أو بما بعده فيكون الأول نهيا عن الامتناع مطلقا
والثاني أمرا بالكتابة المعينة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تأكيدا للأول فإنما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب
إنما هو على سبيل الإرشاد والأولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله وأحسن كما أحسن الله إليك وقيل إنه على
سبيل الإيجاب ولكنه فرض كفاية بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي أنه فرض كفاية فإن لم يجد إلا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وإن
وجد أشخاصا فالواجب كتابة أحدهم وقيل متعلق الإيجاب هو أن يكتب كما علمه الله يعني بتقدير أن يكتب فالواجب أن يكتب كما علمه الله وأن
لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم بإهماله واعلم أن الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا تتم إلا بالإملاء
من عليه الحق ليدخل في جملة إملائه اعترافه بمقدار الحق وصفته وأجله إلى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والإملال والإملاء لغتان قال
الفراء أمللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني أسد وأمليت لغة تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه ولا يبخس منه شيئا والبخس النقص
فإن كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو
غير مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي أمره ويقوم بمصالحه من وصي إن كان
سفيها أو صبيا أو وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة تأكيد المتصل بالمنفصل في قوله أن يمل هو أنه غير مستطيع
بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع أن الضمير في وليه عائد إلى الدين أي الذي له الدين وليملل
ففيه بعد لأن قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فأي حاجة إلى الكتبة والإشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن
بالشهيد من التوصل إلى تحصيل الحق فلهذا قال تعالى واستشهدوا أي أشهدوا والاستشهاد بمعنى الإشهاد يقال أشهدت الرجل واستشهدته أن يشهد
شهيدين فعيلا بمعنى فاعل وإطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا إنزال لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم أي من رجال أهل ملتكم وهم
المسلمون وقيل يعني الأحرار وقيل من رجالكم الذين تعتدونهم للشهادة من أهل العدالة فإن لم يكونا أي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان أو فليكن رجل
وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على أنه ليس كل أحد صالحا للشهادة و
الفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عادلا عالما بما يشهد به ولا يجر بتلك الشهادة منفعة إلى نفسه ولا يدفع
مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي كرم الله وجهه لا تجوز شهادة
العبد في شيء وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وذلك لأنه تعالى قال ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا والإجماع منعقد على أن العبد لا يجب عليه
الذهاب ويحرم عليه ذلك إذا لم يأذن له السيد فيعلم منه أن العبد لا يجوز أن يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين وأحمد تجوز شهادة العبيد
قالوا لأن العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند أبي حنيفة تجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل أن تضل
إحداهما أي تنسى إحداهما الشهادة بأن يغيبها الغفلة أو البرد والرطوبة على أمزجتهن أو إحدى النفسين فإن الإنسان لا يخلو عن النسيان فتذكر إحداهما
الأخرى وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل قال في الكشاف فإن قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا
للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال
المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط
فأدعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه وفي التفسير الكبير فيهنا غرضين أحدهما حصول الإشهاد وذلك لا يتأتى إلا بتذكير إحداهما الأخرى
بأن فضل الرجل على المرأة حتى يقيم المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى إلا بضلال إحدى المرأتين فلهذا
صار كل من الغرضين مرادا فجعله ومن قرأ إن على الشرط والجزاء فلا إشكال وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال فتذكر معناه فتجعل

إحداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم أن الشهادة خبر قاطع ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد أو فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به
إلا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج إلى أزيد من اثنين إلا في الزنا لقوله تعالى ثم لم يأتوا بأربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم
يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري أنه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا يقبل شهادة
النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنا إما عقوبة أو غيرها فإن كان عقوبة فلا يثبت إلا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي
فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص والقذف وأما غير العقوبات فما ليس بمال ولا يقصد به المال إن كان
مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والإسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود
وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت إلا برجلين أيضا وإن كان مما يختص بمعرفته النساء فيقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي
عن الزهري أنه قال مضت السنة أن تجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض
والرضاع وعيوب المرأة من برص وغيره تحت الإزار ولا يثبت شيء من ذلك بأقل من أربعة نسوة لأن كل اثنتين منهن بمنزلة رجل وما يثبت بهن
يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الأولى وأما ما هو مال أو يقصد به المال كالأعيان والديون والعقود المالية من البيع والإقالة والرد
بالعيب والإجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين ونص القرآن منزل إلى
هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين وأنكره أبو حنيفة ولا يأب
الشهداء إذا ما دعوا قيل أي إلى أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق إليها وقيل إلى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال فإن كما أمر
الكاتب أن لا يأبى الكتابة أمر الشاهد أن لا يأبى تحمل الشهادة وقيل أمر بالتحمل إذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الأمرين أولا والأداء ثانيا والقول
الأول أصح لأنه أطلق عليهم لفظ الشهداء والأصل في الإطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل إليه إلا لضرورة وأيضا التحمل غير
واجب على الكل بخلاف الأداء بعد التحمل وأيضا الأمر بالإشهاد يتضمن الأمر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء إلى الأمر بالأداء
أولى ليفيد فائدة جديدة ومتى أن الشاهد إن كان متعينا وجب عليه أداء الشهادة وإن كان فيهم كثرة كان الأداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا
لا تضجروا ولا تملوا أن تكتبوه إلى الدين أو الحق لتقدم ذكرهما على أي حال كان الحق صغيرا أو كبيرا مما جرت العادة بكتبه لا كالحبة والقيراط فإن
القليل من المال ربما أفضى إلى نزاع كثير وإنما نهى عن السآمة لأنها من الكسل والكسل صفة المنافق وأيضا من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل
وأيضا من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغيرا وكبيرا فربما مل كثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه والهاء ويجوز أن يكون الضمير
للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا تخلوا بكتابته إلى أجله إلى وقته الذي اتفقا على تسميته ذلكم الكتب أو ذلكم الذي أمرتكم به
من الكتب والإشهاد أقسط أعدل عند الله وأقوم للشهادة أعون على إقامة الشهادة وبناؤهما من أقسط وأقام فيكون مجيئهما على قولهم
أفلس من ابن المذلق وأما من قويم وقاسط بمعنى ذي قسط على طريقة النسب لا من القاسط الجائر ولا يصح ذلك المعنى هاهنا يقال قسط إذا
جار وأقسط أي عدل وأدنى أن لا ترتابوا أقرب من انتفاء الريب رتب الله تعالى على الكتبة والإشهاد ثلاث فوائد الأولى تتعلق بالدين
لأنه إذا كان مكتوبا كان إلى اليقين أقرب وعن الجهل أبعد فيكون أعدل عند الله والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه أبلغ في الاستقامة التي هي
ضد الاعوجاج وأعون للحفظ والذكر والثالثة أنه يدفع الضرر عن نفسه بأن لا يضل في أمره ولا يتردد وعن غيره بأن لا ينسبه إلى الكذب
والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها في الضبط والترتيب إلا أن تكون تجارة حاضرة قيل هو راجع
إلى قوله إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه فإن البيع بالدين قد يكون إلى أجل قريب وقد يكون إلى أجل بعيد فاستثنى عن المداينة ما يكون
أجله قريبا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله ولا تسأموا أن تكتبوه وقد يقال إنه استثناء منقطع والتقدير لكنه إن كانت التجارة حاضرة
فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الإضراب عن الأول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح سواء كانت المبايعة بدين أو بعين
فالتجارة حاضرة فإذن المراد بالتجارة هاهنا ما يجري فيه من الأبدال ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد والمعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا
يدا بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة أو الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت
الكتاب بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أي إذا كان اليوم يوما والبوم الأشنع هو الذي ارتفع شره وعلا وذو كواكب أي
شديد ويقال في التهديد لأرينك الكواكب نهارا وقال الزجاج تقديره إلا أن تكون المداينة تجارة حاضرة أي تجوز دينا قريب الأجل فليس
عليكم جناح ألا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الإثم وإلا لزم أن تكون الكتابة المذكورة أولا واجبة وقد ثبت خلاف ذلك
وإنما رخص تعالى في هذا النوع من التجارة لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة والإشهاد في كل لحظة حرج عليهم مع أن خوف التجاحد في مثله قليل

قليلا واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع عليهم الكتابة في التجارة الحاضرة تكرير الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا
كتابة خفيف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان البايع او كاليا لانه احوط عن الحسن ان شاء اشهدوا ان شاء لم يشهد وعن الضحاك
هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرا عمر وعليه اكثر المفسرين
والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهى الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرف او يترك الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه
فسوق بكم فان التحريف الكاتب والشهادة فسوق واثم وعن ابن مسعود وعطا ومجاهد ان التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قرا ابن عباس وانه نهى للمتبايعين
عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يعجلا عن مهم ويلزا ولا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عنه من الضرار وكل
ما نهيتكم عنه من الضرار او كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية او ترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار وارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته
ومعنى بكم اي ملتبس بكم واتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل
المبايعات في هذا المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال
وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه في غير سفر ولا كتابة ووردت الاية على الغالب فان الغالب ان لا يوجد الكاتب في السفر او لا يوجد ادوات الكتابة
ولهذا قال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا لم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الاية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل
الرهن من الدوام وهو الثبوت اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت
عنده رهانا لم يكن انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما يقال رهنت ثوبا ولهذا جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف
ورهان مثل كلب وكلاب وقيل ان احدهما جمع للاخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة
او الذي يستوثق به رهن وعلم من قوله مقبوضة ان الراهن لا بد في لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن
عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية
الراهن او وكيله بينه وبين المرتهن او وكيله وتمكينه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص
بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من التقدير ايضا بوزن او كيل او ذرع ولو نقل من جانب من دار الراهن الى
بيت آخر باذنه او وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان امن بعضكم بعضا
فان امن بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد الذي اؤتمن امانته فليكن المديون عند ظن
الداين به وسمي الدين امانة وان كانت مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا
الدين مع الامانة الشرعية في وصف وجود الامانة اللغوية اطلق احدهما على الاخر والايتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدور في خلده
الخيانة وفي الاية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من
قال هذه الاية ناسخة للايات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه
الاحتياط وهذه الاية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال ليس في آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة فيه وجوه الاول عن القفال
انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطأ وان يخرج المديون جاحدا
للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان الى ان يشهد لصاحب الحق تلك الشهادة ام لا فلا فيه بان
جاء ام الطلب وتركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر
العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان في ذلك ابطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا
بالغ في الوعيد وقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر وآثم مرتفع بانه خبر ان وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة
خبر ان وذكر القلب وتخصيصه لان الاثم لا قلبه وجهه هو ان افعال الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي و
الصوارف فاسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاثم ومعدن الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني
وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر جسده واذا فسدت فسد بها سائر الجسد
الا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين ان الفاعل والعارف والمامور والمنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تهديد للكاتم وتهديد له عن ابن
عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة **التأويل** انه تعالى لما امر العباد ان يكتبوا كتاب

المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فكذلك كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به واشهد الملائكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى لكمال
امركم ان لا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا او الملائكة ان يكتبوا اعمالكم الصغيرة والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا تجعلون ذلك
في اعناقكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ثم تؤدى من سرادقات الجلال يا قوي الظلم ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
ثم ان الكتاب يكون الامين املاه وانه بالقليل والكثير مما لي تخاطب وبالنقير وبالقطمير على ما يميل عن الحق تعاب فليحاسب نفسه قبل
ان يحاسب فعليه ان يملي الحق بالحق فان كان الذي عليه الحق سفيها جاهلا باملاء الحق للحق لاشتغاله بالباطل او ضعيفا عاجزا مغلوبا
بغلبات نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في انهائها الا بجهده
يسره فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان الى السرور ومن الايحان الى القصور ومن الجحود ومن العجز والفتور الى القوة
والحضور الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من ارباب القلوب اثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة
اليكم رجال وانتم نساء فان لم يكونا رجلين من ارباب القلوب فرجل منهم وامرأتان اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من اهل
الولاية في غاية الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه ان تضل احديهما عن جادة
الاستقامة في بادية النفس المملوءة من شياطين الهوى فتذكر احديهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون
والسائرون والمراد بالواقف من وقف في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون سيره من عالم المعاملات
البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى
متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق
والهمة في فضاء الحقيقة وفي رجله جلاجل الشريعة فالاشارة في قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذي يخلص من سجن الجسد
وقيد الحواس وحمله التوكل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفني صاحب
اليمين وقال املي علي شيئا من معاملات قلبك لاكتبه فاني اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل
لمن لم يؤد حق صاحب الحق او يكون هاربا منه فاما الذي اناء الليل واطراف النهار يغدو ويروح في طلب غريمه وما يبرح في حريمه فلا يحتاج الى
التوكيل والتقييد فالذي هو موكل على الهارب يكون وكيلا حفيظا للطالب له معقبات له من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله السائرين
رهان مقبوضة عند الله رهان قلوب ليس فيها غير الله قبض واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن واما الطيار الذي هو عاشق
مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السير فلا يطالب بالرهن فانه مسطور بطشة الشديد منتهاه ضاق مذهبه في هوى من عز
مطلبه كل امرئ في الهوى عجب وخلاص منه اعجبه وانما يحتاج الى الرهن المبهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد في السموات والارض
ولا في الدنيا والآخرة امين يؤتمن لحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها وطار حولها واني يحملها
فلا يحملها وليستحسن منه ما يقود به من اصحابه جاءته من الحضرة الغائب نفسه في البداية الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا امر عجيب ونقش غريب من له يطمع في حمل الامانة
وان لست الى الكتابة والطاعة والامانة مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل الامانة وان نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين
احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة
العاشق وثانيهما ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر لصلاح كتمان امر الامانة وقد يخص عند المؤتمن بحسن الثناء
عليه ليكون عزيزا في الظاهر وذليلا في الحقيقة بذلك على حقيقة هذا السر خطاب الحق والادم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون
فان امن بعضكم بعضا كما اخترتك من بين خليقة واصطفيتك على البرية لحمل الامانة فليؤد الذي اؤتمن امانته ولا تكتموا
الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق لاقرار قبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم طالبكم باداء حقها فادوها الى مستحقه
بلطائف التقوى الايمان عرفان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك مع غير شواهد ربك هذا من نتائج خيانة قلبك
في امانة ربك بربك فلا تشاهد الا شواهد ربك ولا تؤدي ربك حقيقة امانة ربك الا بربك الى ربك لربك والله اعلم واحكم

لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في

آنچه در آسمانهاست وآنچه در زمين است اگر

انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله على كل شئ قدير ○ آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله و
قالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت و
عليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او
اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين

القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء فى اللام ابو عمرو وحمله اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب
برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرا حمزة عن ابى عمرو والحلوانى عن قالون وابن مجاهد وابو عون وابو ربيعة
عن البزى وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو ويدغم يعذب من يشاء كل القرآن وكتابه حمزة وعلى وخلف الباقون وكتبه
جمعا لا نفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل فادارأتم الوقوف وما فى الارض ط به الله ط لمن قرا فيغفر
بالرفع على الاستيناف اى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمومنون ط لمن لم يقف على من ربه المصير
وسعها ط ما اكتسبت ط او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ويكون لكن لو او لعطف السؤال على السؤال لنا به واعف عنا
ج
وفيه واغفر لنا كذلك للتفصيل بين انواع المقاصد والاعتراف بان اطماعنا غير واحد الكافرين التفسير انه تعالى لما جمع فى
هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهى دلائل التوحيد دلائل التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرايع
والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع و
البيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دال على كمال ملكه وهو قوله لله ما فى السموات وما فى الارض وعلى كمال علمه وهو قوله
وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير
وذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن ابى مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان من
كان خالقا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها
وقيل لما امر بالوفاء بترك الكتمان والاشهاد والرهن ذكرها علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال
الشعبى وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان لله ما فى السموات وما فى الارض فيجازى على الكتمان والاظهار وعن ابن
عباس وابى هريرة واللفظ له لما نزلت وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك
هذه الاية لا نطيقها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فلما اقراها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله فى اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا يكلف
الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم ان
العلماء اتفقوا على ان الامور التى تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يواخذ بها لانها تجرى مجرى تكليف ما لا يطاق
واما الخواطر التى يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها فى الوجود فقد قيل انه يواخذ بها لقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم
كما يواخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب قال بعضهم انما يواخذ بها فى الدنيا لما روى الضحاك عن عايشة انها قالت ما حدث العبد
به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه فى الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الاخرة لم يسال عنه ولم يعاقب وردت انها سالت
النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان فى القلب مما لا يدخل فى العمل فانه فى محل العفو لما روى انه صلى الله عليه
وسلم قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتى ما حدثوا به انفسهم ما لا يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما
فى انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك العمل فى الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه
حسيبا ومحاسبا كونه عالما بما فى الضماير والسراير فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو تخصيص من غير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى
كل عاقل ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ومراضيه محترزا عن مساخطه ومناهيه يستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه والمومنون فان كمال الربوبية فى الواجب يستلزم كمال العبودية فى الممكن ليستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الى آخر السورة او نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يومنون بالغيب فبين فى آخرها ان الذين مدحهم فى اول السورة
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
وقال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالاخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم ربنا لا تواخذنا الى آخر
السورة كما قال هنالك اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او نقول انه سبحانه لما ذكر فى هذه السورة انواع الشرايع والاحكام
بين ان الرسول اعترف بمعجزة دلت له على صدق الملك او وحى من الله وصل اليه وان الذى اخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف
وليس بشيطان مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المومنين بذلك المعجزات اظهرها الله تعالى على يد الرسول حين استدلت بها على انه صادق فى دعواه
وهى المرتبة المتاخرة ومن تامل فى نظم هذه السورة وفى بدايع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه
وهو ايضا معجز بحسب اسلوبه ازدواده ذلك ثم ههنا احتمالان احدها ان يكون تمام الكلام عند قوله والمومنون فيكون المعنى
ان الرسول بما انزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون ضمير الذى التنوين نايب عنه فى كل عايدا الى الرسول والمومنين اى كلهم آمن
بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمومنين آمن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز ان يفرد بمعنى كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله
وكل اتوه داخرين وعلى هذا الاحتمال يشعر انه صلى الله عليه وسلم ما كان مومنا بربه ثم آمن فيحمل على عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه
عرف بما ظهر من المعجزات على يد جبريل عليه السلام ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء
الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثانى ان تم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتدأ من قوله والمومنون كل آمن
ففى هذا الاحتمال اشعار بان الذى حدث هو ايمانه بالشرايع التى نزلت عليه كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله على الجمال فقد كان حاصلا منذ خلق بل من اول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل
حتى قال فى المهد انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذى انزل اليه من ربه قد يكون متعلق
الشريعة الغير بعرفه فيمكنه ان يومن به وقد يكون فيخلا بعلمه سواه فيكون هو صلى الله عليه وسلم مختصا بالايمان به ولا يمكن الغير الايمان
به واعلم ان الاية دلت على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ
والرسول يتوقف على وجود المبلغ والمرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسايط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده علمه شديد القوى الثالث الكتاب مانزل الوحى الذى يقلبه الملك ويوصله الى النبى فمثال الملك فى عالم الصور جرم

المقرو شال الوحي نور القمر كما ان القمر يستفيد من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك ياخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل
في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما يفصح كونه عالم التكليف والوسايط والانفصال لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل يعلو
لنبينا صلى الله عليه وسلم وهذا سر نطلع منه على اسرار اخرى ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه
وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو ان نعلم وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا القول فالمجسم لا يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف
معهم في ذات الله واما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان
بصفاته فالصفات اما ثبوتية او سلبية او اضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى بها وما لا يصح وكذا في تفسير اية الكرسي واما
الايمان بافعاله فان نعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات وذلك ان مشية الانسان محدثة
منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان نعلم انها غير
معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوايد وان نعلم ان المقصود من شرعها منافع عايدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار
وان نعلم ان له الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان نعلم انه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شيء وانه في الاخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب
من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه فهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كتب انبيائه المرسلة
وقد مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية
محضة او جسمانية محضة او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذلك منه
مقام العلماء الراسخين في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته
وطاعته وانهم وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طايفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا
العالم واما الايمان بالكتب فان نعلم ان كلها وحي من عند الله وليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من تلقاء نفسه ولا سيما في القرآن العظيم
وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل
على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان نعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ
وفي الفتاوى وفي الاخلاق والافعال كما مر في قصة آدم وان نعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض
كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء
ان الملائكة السماوية افضل منهم وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم ايضا وان نعلم ان شرعهم وان كان منسوخا
الآن نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الآن انبياء ورسل كما كانوا وناقش بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل واما ان يراد به
جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا
الاحلال شايع في جميع الصيام قال العلماء قراءة الجمع اولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل
من استغراق لفظ الجميع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب ومن قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء
فلان الفعل للكل ولا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر ودخل احد في معنى الجمع اي بين احد منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك
صلح لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان
بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسبما عاينتموه والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يفرقون بين نبوة موسى
وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا تفرقوا ما جمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا واعلموا ان قوله آمن الرسول الى قوله من احد من
رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة
الكاملة او نقول ان للانسان ازمنة ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدا واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط والغد والبحث عنه يسمى
بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدا وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك
المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو معرفة المبدا لان الكمالات الحقيقية ليست
الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر كله فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو
علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب وتفويض الامور كلها الى مسبب
الاسباب وهو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي ليوم عنده ستحصل اليك فيه نتايج اعمالك ومثله سبحان

ربك رب العزة عما يصفون فهو معرفة المبدا وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد كقوله وآخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار انما يكون بخلاصه من ضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار وقوله والمؤمنون كل آمن بالله اشارة
الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي سمعنا قوله واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة
ومعنى ههنا اولى ليفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر يجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى القبول اي سمعناه باذان عقولنا
وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال واطعنا ليدل على انه كما صح اعتقادهم
في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما وعملا غفرانك مصدر منصوب
باضمار فعله اي اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تعدموا جزاءه وفي الكشاف اي
نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسألك غفرانك فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال وللاستغناء
عن فعله نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو ان القوم لما قبلوا التكاليف وعملوا بها فاي حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا
ان يكون فرط منهم تقصير فيما ياتون ويذرون او لعلهم كانوا يترقون في درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين وقد حمل قوله صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع
الطاعات في جنب ما يجب من حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى عن اهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم اي انت منزه
عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين لك الحمد له وانا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا
ثم انه طلب هذا الغفران مقرونا بامرين احدهما بالاضافة اليه والثاني بقوله ربنا اما القيد الاول فمعناه اطلب المغفرة منك وانت
الكامل فهذه الصفة والمطبوع من الكامل في صفة ان يعطي عطية كاملة وما ذاك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات او
يكون الاضافة اشارة الى ما ورد في الحديث ان الله تعالى مائة جزء من الرحمة فقسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات
فبها يتراحمون ويتعاطفون وادخر تسعة وتسعين جزءا الى يوم القيمة ولعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر اثرها
في محل معين فلولا الوجود بعد العدم لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وجرم الابق لما ظهرت آثار مغفرتك ولطفك
فانا اطلب الغفران الذي لا يمكن ظهوره الا في حقي وفي حق امثالي من المذنبين واما القيد الثاني فمعناه ربيتني اذ اوجدتني مع اني لم
ترني في ذلك الوقت لم تتضرر به لاني كنت ربك ولان لم تربني تتضرر به فاسألك ان لا تهملني او ربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك ان لا تربيني وقد افنيت عمري في توحيدك او ربيتني في الماضي فاجعل تربيتك الى الرتبة فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه
واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له الخيار وله
المشيات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه النظم انهم قالوا كيف نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلف الا
في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى ابتداء فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا المغفرة دل على انه لا يصدر عنهم ذلك الا
على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوة الخمس وصوم
رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر والحج اكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته
وشمول رأفته واعلم ان المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الآية فاستنبطوا منها اصلين الاول ان العبد موجد لافعال نفسه
اذ لو كانت بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون
تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا كان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق واما الاشاعرة
فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين
امر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجة قوية عنده خصص الآية بانها وردت في
التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل النار على انه لو جعلت من قول المؤمنين
لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره و
الاكتساب ما يكتسب لنفسه خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على ان العبد لا يؤاخذ من السيئات
الا بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف
الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى لونه وطوله فيشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولا يتعلق

بالتكليف وقد سبق تحقيق المباحث مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب
بالآية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من
طرو احدهما زوال الآخر وقال الجبائي تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره بالتوبة وانما اضمر هنا
الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالآية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها
في اثبات ان الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله
لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وشيء منهما لا يوجب زوال الملك بدليل الولد والمدبر ومنها ان الشفعة للجار لان المقتضي لبقاء
الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود
المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكري وجوب الزكوة في الحلي احتجوا بها والجواب
ان دليل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطانا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد امكن من نفسه
وطرق السبيل اليها بفعله وصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذ
بالعفو والكرم اي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك الفعل
لتاويل فاسد كما ان الخطأ هو ان يفعل لتاويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا العمل له فتركهم واما اصل الكلام فقد دل عليه
ان النسيان والخطأ متجاوز عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من
وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا يعذر فمن رأى دما في ثوبه واخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذا
كان لزمه المبادرة الى ازالته وكذا الغافل عن تعاهد القرآن حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف من لم يواظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وقد
روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يذكر حاجة شد خيطا في اصبعه فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب
التذكر فاذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والاغفال الثاني ان
هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كان يصدر عنهم ما لا ينبغي الا على وجه الخطأ والنسيان فكان وصفهم بالدعاء
بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث ان العلم بالنسيان معفو لا
يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله اما الاستدامة واما الاعتداد بتلك النعمة او بمزيد ذلك
كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسي
غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك
به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى الى طلب ترك
المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطأ لا بد ان يفسرا بما فيه العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي
اذ لو فسرا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين
ان يدعوا بترك المؤاخذة على نفس المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو صاحب الكبيرة مرجوا النوع الاول من الدعاء
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم سمي العهد اصرا لانه ثقيل والاصر ايضا العطف لان من عطفت عليه
ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما تاصرني على فلان اصرة اي ما تعطفني عليه والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا
من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان علماؤهم
مع ذلك في التيه فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي المسخ و
الخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة وقيل معناه ولا تحمل علينا عهدا وميثاقا
يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم في
التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالبة عليهم كانت مصالحهم في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم
الخلق غالب عليهم فكانت مصالحهم في التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود لم خصت بغلظ الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس
الينا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ومن الاصحاب من تمسك
به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا اي ما يشق فعله

لا الذي لا قدرة لنا عليه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي لا يشق عليه وزيف
بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله سلمنا انهم سالوا
الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان قوله رب احكم بالحق لا يدل على جواز ان يحكم بالباطل
وكذا قول ابرهيم صلوات الرحمن عليه ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على اخزاء الانبياء جاز ان قيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي لا
قدرة عليه بالتحميل واجيب لان الشاق فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل قيل لما طلب ان لا يكلفه بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان
المناسب طرح هذا الدعاء لا قلب عكس الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر اي لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة
التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سالوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا
مقبلا وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سالوا ان لا يكلفهم بما التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم
ام لا وقيل الاول طلب ان لا نشدد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاستغراق بمعرفة الله وخدمته
وطاعته وشكر نعمه اي لا تطلب مني حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك واما الفائدة في حكاية
هذه الادعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا ولا تحمل علينا فلذلك انه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله اوحى النوع الرابع من الدعاء واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد وتركه يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء بان
مقام القرب والزلفى من الله والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له
عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عليه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني
والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان جسماني وهو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله
وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله انت مولانا وفيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة ينالونها
وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا يتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذي لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح
مولاه وبهذا الاعتراف يتحقق الوصول من عرف نفسه اي بالامكان والنقصان عرف ربه اي بالوجوب والتمام اذا وصل الى الحق اعرض
بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين انصرنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها وعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها الا البطلة قيل وما
البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم اوتيت خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله انزل آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة
من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء اعطي
خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله آمن الرسول فسله وارغب اليه فعلمه جبرئيل عليه السلام
كيف يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا اؤاخذكم فقال لا تحمل علينا
اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت
عنكم وغفرت لكم ونصرتكم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا
يقولون آمين التأويل الانسان مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملائكة وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك
ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه بعالم بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليها بانوار الارواح وحاصل السوء الشيطان
عكس هذه القصة واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم مودع من انوار الاخلاق الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن
باحوال الحقيقة او تخفوه بانوار ظلمات الاوصاف النفسية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله
بطهارة النفس بوصول انوار الروح او بتلوث الروح بقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق
ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بدركات السعير وروحه بنور فرقة العلي الكبير والله على كل شيء قدير من اظهار اللطف والقهر على تركيب
عالمي الامر والخلق قلبه لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاجاب بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن
الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال من كمال رأفته بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا واطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون في
جزاء السمع والطاعة فقال النبي غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الآن تسرهم بشرى الافضال ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك

كما كان يجري اليك لا الى من سواك قال الله في جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك في مقام لا يبلغك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا
قال لك جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طايفة منهم في سماء واقفون حيث هم
ومتى كلا يخرقهم سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف اكلف امتك المدينة المرحومة بهذا المصير وانا اضعف حالهم بصيرة وانما بلغك هذا
المقام حتى جاوزت الرسل الكرام اني اتخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك وان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك
اختصاص بمحض انعامهم ما داموا في متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما كسبت امتك من انوار متابعتك يستحق المصير
الى الحضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن نظر متابعتك يستاهل المصير الى دركات السعير فبان لمسكرة لذة هذا
واحرى لحية سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تعاقبنا متى ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم
ان يحبوك ولا يحبوا غيرك او اخطات طريق طلبك ولكن ما اخطات طريق عبوديتك فلم نعبد غيرك وانت قلت ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا اسير النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوة
كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به الصبر عن شهود جمالك واعف عنا حجاب انانيتنا واغفر لنا بشواهد
هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولينا ووليك في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات
عنايتك واعتاقي المصير اليك على قمع كفار الانانية التي تمنعنا من وصالك بيني وبينك اني يزاحمني فارفع بجودك اني من البين حسبي الله ونعم الوكيل

الخطاب

سورة آل عمران آياتها مائتان كلماتها ثلثة الاف واربعمائة وثمانون حروفها اربعة عشر الف وخمسمائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۝ الله لا اله الا هو الحي القيوم ۝ نزل عليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل ۝ من قبل
هدى للناس وانزل الفرقان ۝ ان الذين كفروا بايات الله
لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ۝ ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء ۝ هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ۝ هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله و

الراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا
اولوا الالباب ۝ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب
لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ۝ ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ۝ ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم
وقود النار ۝ كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا
فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ۝
بس عذاب فرمود خداى ايشانرا بسبب گناهان ايشان وخداى سخت عقوبت است

القراءة

الم الله مقطوع الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولا بفتح الميم الوردية مما له حيث كان ابو عمرو وحمزة
وعلي وخلف والبخاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كما اب حيث كان بعيرة ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني
عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف الوقوف الم ٥ كوفي مختلف فان غير الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الا هو
القيوم ط والانجيل لا الفرقان ط شديد ط انتقام لا في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ج متشابهات ط لاستيناف تفصيل وابتغاء تاويله
لان الواو تصلح استينافا والحال الا الله م عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تاويل المتشابه كما يعلمه الله ومن يجوز
من هذا وجعل المتشابه من صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس والتاويل وجعل المحكمات الاصول النصوص المجمع عليها عطف
قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له ان لا يقف على الا الله امنا به لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم
من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ٥ رحمة ج للابتداء بان ولاحتمال لام التعليل او فاء التعقيب للتسبب
الوهاب ٥ فيه ط الميعاد ٥ شيئا ط النار لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط باياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط
العقاب ٥ التفسير اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول منه الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني ان يكون ذلك
على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه قولان الاول قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء
الحروف موقوفة الاواخر يقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدانا به نثبت
الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدا
بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها الثاني قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى الساكنين ضرورة سقوط الهمزة
في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هي المنقولة من همزة
الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف نقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم
واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رايهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث مدبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم يقال له
ابو حارثة بن علقمة احد بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران
ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت
تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا بمحمد لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز و

كان ضرع الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقول
عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون بقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير
فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت
وقضيت وحان وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله دعوهم فصلوا الى المشرق فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتاكلون الخنزير
قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك اول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها ثم اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا
بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلاه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم
تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ووضعته كما تضع المراة وغذي كما يغذى
الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فسكتوا ثم ابوا
الا جحودا ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة
سيجيء في آية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب ولسوابق وذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما
ان ينازعوا في شان الاله او في امر النبوة **اما الاول** فالحق فيه معه لانه تعالى حي قيوم كما مر في تفسير آية الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان
ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه فهذه الكلمة اعني قوله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الابطال
على بطلان قول النصارى بالتثليث **اما الثاني** فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره
انكم وافقتمونا على ان التورية والانجيل كانا من عند الله لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم في
كون القرآن نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كما فعل المسلمون اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد
والزام بنحو بعد ذلك عذر لمن ينازع في دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن
بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد هنالك
نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق فيما تضمنه من الاخبار عن الامم او انما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على
ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من
العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل
له عوجا لو جدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله
من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة مغيرا استحال ان يسلم من التحريف والخلاف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى التوحيد و
تنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ مما
صار مطلقا في معنى التقدم او لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكام
اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على ان احكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت
موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها واما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ
لا تختلف والتورية والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء تكلف
ذلك فقال الفراء التورية معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح وظهرت النار قال واصلها تورية بفتح التاء والراء وطي قلب الياء
الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طي فانهم يقولون في بادية باداة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية
فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل
من نجلت الشيء استخرجته اي انه تعالى اظهر الحق بسببه ابو عمرو الشيباني التناجل التنازع سمي بذلك لان القوم تنازعوا فيه وفي معنى قوله
من قبل انه قبل القرآن وهدى للناس يحتمل ان يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التورية والانجيل بانه هدى لانهما لم
يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق في نفسه سواء
قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلثة وهو قول الاكثرين وانزل

الفرقان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق بين الحق والباطل وقيل اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال الى
الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقيل اي الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما
هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ من الزام الاحكام المعلومة فيؤول الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم
الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلث بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز القاهر الذي يدل على
صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى وكل
من اعرض عن دلائله فان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد
والله عزيز لا يغالب اذ لا احد لقدرته ذو انتقام له انتقام عقاب شديد ولا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم والنقمة ذاك فانه عقوبة
بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل
قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء لما ذكر انه حي قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما
بجميع حاجاتهم وكيفياتها وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على تحصيلها **والاول** لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات اشار الى ذلك
بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء **والثاني** لا يتاتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات واشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى
وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع يتوقف على العلم
بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام هذه البنية
العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها اوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم
بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان
قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية واشرفها تعديل المزاج واشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار
الى ذلك بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب ويحتمل ان يكون نزول هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا
في ذلك على نوعين من الشبهة **احديهما** يتعلق بالعلم وهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم **والثانية** يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهما فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله
لا يخفى عليه شيء فمن المعلوم بالضرورة من احوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه
ليس باله ولكن احاطته ببعض المغيبات لا يدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحي او الالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم
وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن
قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات اولئك الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماته بعض الاشخاص
او احياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء
والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المتساهلية الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقونا
على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله ايضا هو الذي يصوركم لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة
الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وايضا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم الست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه
ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات
فوجب رده الى التاويل او تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك الكتاب الآية فظهر انه ليس في المسئلة حجة ولا شبهة الا وقد
اشتملت هذه الآيات على دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلنا الغرض تفهيم
العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما في الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك اكمل
وهذه فائدة ضرب الامثال في العلوم قال الواحدي التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التاليف بين اجزائه
واصله من صاره اذا اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع رحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمي
رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وفي تصوركم اي يصوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال اراد طويلا
او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى
القائلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان
العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل **الاولى** القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب

عليك م

احكمت آياته الر تلك آيات الحكيم والمراد كون كله كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لفظا ومعنى وبلاغة
وذلك على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة عن التناقض والتناقض ثم انه في هذه الآية
هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فيعني
ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والماول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام
في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه
من الفساد وسميت الحكمة لانها تمنع الا ما ينبغي واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدي الانسان اليه
متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات الموافقة
لمذهبه محكمة ويقول لخصمه متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه والسني يقلب
الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من قانون يرجع اليه
فيقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا البتة لتوقفه على نقل
اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي
وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ
عن معناه الراجح الى معناه المرجوح الا بالدلائل القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف
انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان السبيل
الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما
المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض في تعيين التأويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه
عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلث في سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي
كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كأوائل السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه
وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لا تخفى كأنشاء الخلق في قوله خلقنا النطفة
علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتأمل كآيات البعث فان التأمل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى
الاصم بوضوح الدلائل رجحانها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والماول وان عنى بالوضوح
ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب
ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تأثير الكواكب ولعل الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل
كل ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة وبمقادير الثواب
والعقاب في حق كل مكلف فذاك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال
كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيمة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ونافيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى
والنافي ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على البعض الى وجوه
ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه لكان اقرب الى حصول الغرض والجواب
انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وايضا لو كان كله محكما
كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ
يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة
للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية
فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمأنينة وافتقر ايضا الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان
واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب اقوى وهو
ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس
بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه ويخلط مخلوطا بما

يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات
قوله هن ام الكتاب الام في اللغة الاصل الذي يتكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة لذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة
المحكمات فلا جرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب لتطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد
هو اصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة واخر ومنه آيات اخر متشابهات
فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى فقالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من
الحروف المقطعة في اوائل السور وقال قتادة والزجاج هم منكروا البعث لانه قال في آخره وما يعلم تأويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة
فانه تعالى اخفاها عن الخلائق حتى الملائكة والانبياء عليهم السلام والتحقيق انه عام لكل مبطل تشبث باذيال المتشابهات لان اللفظ عام و
خصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة
فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولوما تأتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب
استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب
وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى
العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا تسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك
الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز
للعاقل ان يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية تخالفها فهي المتشابهة والانصاف
ان الآيات ثلثة اقسام الاول ما يتأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا الثاني التي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذاك
هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره الثالث الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد
الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي مختلف فيه ايضا بحسب ما رتبه كل فريق وتخيله صادقا في ظنه مادة وصورة فكل فريق يدعي
بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه وتأكد الظاهر الذي تعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوي ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين الاول ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا
والرجل مفتون بابنه وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عنه بحيلة البتة
وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في البين صار
بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الثاني ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع اليه
اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد دل عليه في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين الاول ان يحملوه على
غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة الثاني ان يحكموا بالحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم قال عز من قائل وما يعلم تأويله
الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فمعناه لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن انس
والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما جعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا
عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس و
اكثر المتكلمين وقد يروى عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا
انما يستقيم لو قيل واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان
مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصح الاستدلال
به في المسائل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية
ما اشعر به ظاهرها الا ان في مجازات هذا اللفظ كثرة ولا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز
باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية
ذم لطالب تأويل المتشابه حيث قال واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة
ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال في اول البقرة فاما
الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم

كل من عند ربنا ان كل من عرف شيا على التفصيل فانه لا بد ان يومن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلايل القطعية ان الله تعالى
عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا اية ودلت الدلايل القاطعة على انه
لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى
اي شي كان فهو الحق والصواب فهولاء هم الراسخون في العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعيهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم
بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردود اشبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون
آمنا به كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند
مزيد توضيح وتوكيد وتفخيم لشان القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم
الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كلامه ويحتمل ان يكون قوله يقولون حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي يتقدم ذكره وههنا قد تقدم
ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب ما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين
يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق ظاهره دلايل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس فيكون متشابها ثم يعتقدون
ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين
بالقاء الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ
هديتنا التي بعد وقت هدايتنا الثاني قولهم وهب لنا من لدنك رحمة سالوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مايلة الى الاباطيل والعقايد
الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة وزين جوارحهم واعضاءهم بزينة الطاعة ونكر رحمة ليتناول جميع انواعها فاولها ان يحصل في القلب
نور الايمان والتوحيد والمعرفة وثانيها ان يحصل في الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة
اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السوال والظلمة
والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العتاب والخطاب وغفران السيات وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ودوية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من
عنده وتوكيد في قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك ولتعد الى ما
يتعلق بالدعاء اولها قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية يخلقها الله فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد
باب اسباب الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية
الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المومن بين اصبعين من اصابع
الرحمن يعني الداعيين ومما يوكد ذلك ان الله تعالى مدح هولاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يومنون بها على سبيل الاجمال وترك
الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى المحكمات وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية كليهما من الله
تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلايل على ان الازاغة لا يجوز ان يصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال
الجبائي واختاره القاضي المراد لا تمنع قلوبنا الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب
عند كم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الالهية ولصار محابيا وقال الاصم لا تبتلنا بلوى تزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من
العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القايل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اصير عنده بايذائك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان
علم الله تعالى انه اثر في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فايدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزايغ كما يقال
فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دايرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه وقال الجبائي
ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا انه يحمل على شي آخر وهو انه تعالى اذا علم انه مومن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية
لكفر اماته في هذه السنة وهو دعليه انه لو كان علمه بانه يكفر في هذه السنة الثابتة يوجب عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يومن قط ويبقى
على الكفر طول عمره يوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم
مناسبته لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن
الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السوال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية وانما الغرض ما يتعلق
بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا
يخلف الميعاد فقيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المومنين لقيل انك لا تخلف لان الاجرا على الالتفات ومعنى

ان الالهية ينافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة و
الوقت والموضع قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق
فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء
دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده وان وعد الضراء فالعفو مانعه وناظر ابو عمرو
بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما يقول في اصحاب الكباير فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك
اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب يعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد شعر واني وان اوعدته او وعدته
لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك
هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب
في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المومنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني اعلم انه رسول الله حقا
ولكنني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا يدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة لكن
خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المولمة اما الاول
فاليه الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور التي يفزع المرء عند الخطوب واذا لم يفد اقرب الطرق الى دفع
المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات
الصالحات خير واما الثاني فاشار اليه بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان يشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس
ومعنى قوله من الله البدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله او طاعته شيا وفي
الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد ابو علي شعر
فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد قلت يحتمل ان يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور
متعلق حالا من شيا او من زايدة لتاكيد النفي التقدير لن تغني عنهم عذاب الله شيا من الغناء اي لن يدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني
عند الله شيا قوله تعالى كداب آل فرعون يقال داب فلان في عمله اي جد وتعب دابا ودوبا فهو دائب واداب به انا والدايبان الليل والنهار و
الداب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنع وحالة وفعل وحركة واصله من داب ثم اطلق الاسم الخاص على العام اي جد هولاء الكفار و
اجتهادهم او شانهم او صنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كداب آل فرعون مع موسى عليه السلام ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم فكذلك نهلك
هولاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سوال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا المعجزات الدالة على صدق
رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم اي صاروا اعند نزول العذاب كالماخوذ الماسور الذي لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كداب الله في آل
فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل ان يكون الاية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة
الى الكفار كانه قيل ان عادة هولاء الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك هولاء كعادتنا
في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الداب والداب اللبث والدوام والتقدير دوبهم في النار كدوب آل فرعون وقيل اشتقهم وتعبهم في النار
كشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه هو ان
اموالهم واولادهم لا تنفعهم في ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم
ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد نزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم الاموال والاولاد ويحتمل ان يكون وجه
التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام العذاب وهو قوله والله شديد
العقاب فسينزل بمن كذب محمدا امران احدهما المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد
قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدايم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد التاويل الم الالف الهادي
الوحدة مطلقا ذاتا او صفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب ومنفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف
ولسر باستقامته وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من
استقامته يخرج كل حرف معوج ثم في اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اثبات ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية
وذلك قسمان قسم لم يكن وكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان القسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي ما زال كان ولا يزال

يكون واليه الاشارة بالالف واما اللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون ايضا وهو عالم الصورة والملك والاجساد
فوقوعه في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى تغيره وزواله
والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك ان الميم اول حرف من اسمه المبدئ
وآخر حرف من اسمه القيوم فيشير الى انه كما ابداه المبدئ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر الالف اشارة الى
وجود حقيقي قايم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك له ما في السموات والارض والنفي في لا النافية اي لا
لشي بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى الاثبات ونفي فالاثبات ميم اسمه القيوم والنفي ما النافية اي ما في الوجود حقيقة الا هو
ودليل الوجهين في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشريك عن وجوده واثبات وحدته
في وجوده والحي القيوم اثبات جميع صفات كماله ونفي جميع سمات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الآية في قوله الم فمعنى
قوله الله اودع في اول حرف من حروفه وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع في اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم
اودع في آخر حرف من حروفه وهو الميم وانما اودع في آخر حروفهما ليكون المشهود عافي الآية من اول حرفها الى آخر حرفها مكنونا فيهما
بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من اوله دالا على المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من اوسطها دالا على المعنى الذي
في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من آخرها دالا على المعنى الذي مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم
كما روي عن سعيد بن جبير وغيره وهو سر القرآن وصفوته كما روي عن ابي بكر الصديق وعلي رضي الله عنهما ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الم
المودع في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم اظهر الطاف ربوبيته المكنونة في استار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال
نزل عليك الكتاب بالحق اي نزل حقايق القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن ذلك فصرت مشاهد
اسرار الله المودع في الم وهو الذي بين يديه الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فافهم اذا لم
تعلم ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطيرات بعد صحة لامر الطيارين ولامر السيارين وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا
تظنن يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره باسرار وحقايق بيني
وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحايف والواح يقرأها كل قارئ
ويستوي في هذا الانبياء والامم قاطبة هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانزل الفرقان الذي يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء ويفرق بين تعلمك القرآن
وبين تعلمهم الكتب فانهم كانوا ابدا رسوم الكتب فانك تخلقت بالقرآن فشتان النبيين نبي يجيء وهو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين ومن يجيء من الكتاب قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبي تشرف بكتاب الموعظة له في الالواح و
كتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرف امته بكتاب الايمان لهم في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله ليستر عن تجلي
الغفلات ويتبع الشهوات قلوبهم فعمي عن مشاهدة هذه الآيات البينات لهم عذاب شديد بعد هذا العمى والحرمان وهم في خسران من
الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز اهل العوام بنيل المرام وينتقم من اهل الشقاق بحجاب العزة ثم اخبر عن كمال علمه بقوله ان الله
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم
فيما جرى من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفي الآية اشارة الى انه اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب
مريد صادق ليستسلم التصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ ويختار
الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حركة عنيفة او يجد رايحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف
ولاية الشيخ المؤيدة بتأييد الحق [illegible] ويعين عليه شرايطها حوطا من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظاير القدس ورياض الانس
التي منها صدر اي عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في ارضه فينبغي الآن ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبياء واولياء
يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح تكون آدم وقته فيسجد له الملائكة
الملائكة كلهم اجمعون الآيات المحكمات [illegible] شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص وخواص
الخواص لاختفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ البست قلوبهم بغطاء الريب وحرموا انوار الغيب وهم اهل الاهواء
والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس باهوائهم والراسخون في العلم يقولون آمنا به لما
شاهدوا من انوار الحق في تحقيق التاويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي

صلى الله عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم النفساني الى نور الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى
حقايق الباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الآية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات
واشهدهم بشواهد الربوبية الست بربكم فبشهود تلك الشواهد ذكر حملة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كما قال وعلم آدم
الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم تقلبت الى الارحام وتقلب بقدم الابعيات من حال الى حال
ومن مقام الى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع حملها وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به الى اسفل السافلين القالب محجبة
بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والنطق بها ثم ابواه يذكران تلك العلوم بالرموز والقراين حتى يذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية
واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي اجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك
جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب ذلك الوجود المستمع المجيب في الميثاق وسمعه قشر ذلك الذي استمع خطاب الحق وبصره قشر
ذلك البصر الذي ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمها من الحق فالنبي صلى الله عليه و
سلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكران قشرها كما قال فذكر انما انت مذكر فالمذكر عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال
وما يذكر الا اولوا الالباب انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات ظلمات طباعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى الحضرة
جلالك ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب ابصارنا لب التاويل وذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك
رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك حالا بل يكون الى الابد لانا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لطالب
طالبه وان بعد هذه الدار دارا هي دار القرار يوفي فيها جزاء الابرار والفجار بحصول الادب بقدر رعاية الادب في الطلب ومقاساة التعب و
النصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغني عنهم
طاغوت اموالهم واولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لا نار
الجحيم التي لا تحرق الا قشور الجلود ولا تخلص الى القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب حرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم
الحيوة الى سموم الممات شعر ففي فؤاد المحب نار هوى ٭ احر نار الجحيم ابردها وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم
بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم
والله شديد العقاب بالم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشواقه شعر بالنار خوفني قومي فقلت لهم ٭ النار ارحم من في قلبه نار

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد
بگوی ای محمد آنانرا که کافر شدند زود باشد که غلبه کنند بر شما ... و گرد آرند شما را تا دوزخ و بد آرامگاهی است آن
قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله
بحقیقت هست شما را معجزه در دو گروه که بهم رسیدند روز بدر یکی از آن دو گروه آنکه کارزار میکنند در طاعت خدای
واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره
و گروهی دیگر کافر میدیدند ایشان را که مسلمانان اند دو چندان ... و خدای قوت میکند آنرا که
من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين للناس حب
میخواهد بدرستی که در این که گفتیم مر آینه محل اعتبار است مر خداوندان بینایی را آراسته شده است برای مردمان دوستی
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
از زنها و پسران و مالها و بسیار گرد آورده از زر
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع
و نقره و اسبان نشان کرده و شتر و گاو و گوسفند و کشاورزی آنچه شمردیم برخورداری
الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم
زندگانی نزدیک است و خدای نزد اوست نیکویی باز گشتن بگوی ای محمد آگاهانم شما را
بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من
بچیزی بهتر از آنچه گفتیم مر آنانراست که پرهیزکاری نمودند نزد پروردگارشان بوستانهای که میرود از

تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله
بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقا
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو
والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك
فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما
عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بايات
الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
الم تر الى الذين اوتوا الكتاب يدعون الى كتاب الله نصيبا من
ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه و

ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

و تمام داده شود همه تنی را آنچه اندوخته باشد و ایشان ستم کرده نباشند

القراءة سيغلبون ويحشرون بالياء الغيبة حمزة وعلي وخلف عباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الياء سهل ويعقوب وكذلك ما اتفق قبل الياء مثل يجتبيهم رأي العين بغير الهمز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بهمزة ساكنة اؤنبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس واوقيه وابن شعيب ونافع غير قالون آونبئكم بالمد لواو المضمومة يزيد وقالون وعباس واوقيه وابو شعيب ونافع غير قالون الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وابو يحيى وحماد الا في من اتبع رضوانه في المائدة ان الدين بفتح ان علي الباقون بالكسر وجهي بفتح الياء ابو جعفر وابن عامر ونافع غير قالون في الوصف ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية ابي علي بن ابي نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس الوقوف جهنم ط المهاد ه التقتا ط لان الفئتين مبهمة اوا حديهما العين ط من يشاء ط الابصار ط والحرث ط الدنيا للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين الماب ه من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من الله ط بالعباد ج للاية علي جعل الذين خبر مبتدا محذوف اي هم الذين او مدحا او اعني الذين ولجواز انه نعت للعباد او للمتقين النار ج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف احسن نصبا علي المدح بالاسحار ط الا هو لا للعطف ولو وقف احترازا عن وهم دخول الملائكة واولي العلم في الاستثناء والمشاركة في الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الا من قرا ان بالفتح علي البدل من انه الاسلام بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ه ومن اتبعن ط لابتداء امر يشمل اهل الكتاب والعرب والاول مخص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة جزاء الشرط اسلمتم ط لتناهي الاستفهام الى الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط اخر مع العطف البلاغ ط بالعباد ه لمن قرا ويقاتلون لعدول المعنى من قوله يقتلون اليم ه والاخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين ه معرضون ه معدودات ص لان الواو للعطف والحال يفترون ه لا يظلمون ه التفسير عن ابن عباس في رواية ابي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وارادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر من قرا بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر اي لفظا اراد ومن قراه بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي قل لهم قولي لك سيغلبون وفي الاية حجة للقائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو امنوا واطاعوا الانقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله سيغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ونظيره في حق عيسى عليه السلام وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم اية في فئتين التقتا يوم بدر فئة اي احديهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة اخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة اية من وجوه الاول ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعين بعيرا منهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتاهبوا ومنها ان ذلك ابتداء عادة في الحرب لانها اول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل في المشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلا فيهم ابو سفيان وابو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخيل كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا اقدموا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة الثاني انه صلى الله عليه وسلم كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى في قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش او عير ابي سفيان وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجز الثالث امداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة الرابع قوله يرونهم مثليهم وفيه اربعة احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير في مثليهم الى كل منهما فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رات المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين الثاني انها رات المسلمين مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرا ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين جميعا ان عود الضمير في يرون الى الاقرب وهو الفئة الكافرة اولى لانه سبحانه جعل هذه الحالة اية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم اية فوجب

ان يكون الراؤن هم الكفار حتى يكون حجة عليهم ولو كانت الاية مما شاهدها المؤمنون لم يصح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك ان يهابهم المشركون
ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين وكانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم
كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهار الاية الاحتمال الثالث ان الرائين هم المسلمون والمرئيين هم
المشركون فالمسلمون راوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قدر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلثة امثالهم فظنوا انهم كانهم جبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع ان يكون الراؤن هم المسلمين ثم انهم راوا المشركين
على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والاية تنافي ذلك وفي الاية احتمال
خامس وهو ان اول الاية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون ايها المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمال الاول
والثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب ان يكون الموجود والحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة
فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وعلى هذا يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال ومعناه
رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة يكون
الادراك عندهم جائزا لا واجبا والزمان كان زمان خوارق العادات واما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند اجتماع الشروط وسلامة
الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتامل البالغ فقد يرى البعض دون البعض ولعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض او خلق
الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر او يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون له الواحد
اثنين وكل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكر من الاية لعبرة نوع عبور من
المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم الاولي الابصار ذوي العقول التي تبصر القضايا ما معها كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان
لعبر الانسان وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والاخرة وهي عالم الروحانيات خير وابقى وانها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال
الحميدة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد الا انه يمنعه من اتباعه حب
المال والجاه وروينا ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدد
والعدة فبين الله تعالى في هذه الاية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والاخرة خير والمزين هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق
افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند جمهور المعتزلة فللحكمة الابتلاء انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ولانها سائل الى منافع الاخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها على طاعة الله او يشتغل بشكرها
كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات اذا تركها واقبل على
اداء وظائف الخدمة كان اشق له واكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا او مباحا فالمزين فيه من الله
تعالى وكل ما كان حراما فالمزين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه في الاية
بانه اطلق الشهوات فيدخل فيه المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا
بمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل اؤنبئكم
بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا
على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للقدرة مقدور وللرجو رجاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة عند
الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الاية
دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من افعال العباد وهي ان يجعل الانسان
كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه وقد يعتقد مع ذلك
ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمن عليه السلام اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب
ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام لجميع الناس و
لا شك انه موجود في الاغلب وفي اكثر الاوقات فلا يبعد التعميم نظرا الى ان الاغلب حكم الكل على ان من تجرد عن محبتها معقود على
طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع الاحيان على ذلك الخاطر ممتنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهاة
فذكر ما هي الامهات ورتبها في جميع مراتب الاول النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الشهوتان الثاني الاولاد ولا سيما البنين ولهذا
خصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كانها حالة غريزية ولولاهما لم يحصل بقاء النسل للحيوانات الثالث قناطير
المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ماخوذ من عقد الشيء واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان الانسان يتوثق

بها في عقد النوائب ابو عبيدة انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر الف اوقية انس عنه الف دينار ابي بن كعب عنه
هو الف دينار ابي بن كعب عنه هو الف ومائتا اوقية ابن عباس الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبي
ان القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد
كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلاثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين
لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء فكل الصيد يوجد في جوف الفرا الغني لفلان جلت قدرته وصفة المالكية هي القدرة وانها
صفة كمال والكمال محبوب لذاته الرابع الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس
خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيتها وسمي الخيال خيالا لجولان هذه القوة في استحضار الصور والمسومة قيل المرعية اسمت الدابة وسومتها
اذا ارسلتها في مرجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة
فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل
مطهم وفرس مطهم اي تام كل شيء على حدته فهو بارع الجمال الخامس الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم
الا للابل خاصة فانها غالب عليها السادس الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما
ان يكون من نوعه او من غيره السابع اصل وهو المرأة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لشرفهم اما ان يكون
من المعدنيات واكثرها فائدة واعمها حاجة الجوهران النقدان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو الخيل او للحمل
واللحم وهو الانعام واما ان يكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة وانما تعرض للعدد والقصور لانها لم يكن معتادة عند العرب والقرآن
يخاطب اولا معهم والله عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق
الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا
والمقصود ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب وافسح من بطن الام فكذلك الاخرة افسح واوسع من الدنيا او انه لما عدد النعم بين ان منافع الاخرة خير
منها فقال مستعينا على ميل النفس قل اؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددنا ثم استانف بيانه وتفريعه فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات
كما تقول هل ادلكم على خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان
النعم وان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينقص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم ان تكامل طيبها الا انه بقي تحصيل الانس ثم
وصف الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمنفرات بعد ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله ويندرج
فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى لم يتصور منصب اجل منه واعلى وكان المولى ما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر
ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على الخبر
اي هو جنات ويعضده قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام في هذه القراءة يتعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم
يحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى لا لاجل
فيه الامر كان مؤمنا في علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختاره لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم
فيه من امور الدنيا او بصير بهم فيثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم فيدل ذلك
على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله في النار قبيحا عندهم ليكون ممتنع الوقوع
من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب دفعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم
انه حاصل له اظهارا لذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا فصورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع في حيز القبول فعلى
المتقي ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله في مواجب الغفران ثم عدد من اوصاف نعم عباده خمسة ووسط العاطف بينها لدلالته على كمالهم في كل واحد
منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفي في استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اي في اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات
وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلي فقال اي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال
الصبر مع الله فقال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كاد يتلف روحه والصادقين اي في الاقوال وفي الاحوال بان لا ينصرف
عنها قبل تمامها وفي النيات ان يمضي العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات المواظبين عليها والمنفقين ما تيسر على من يستحق
بشروطه ومصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اي فيها والسحر قبيل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل
حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذاك نهارهم وللاستغفار بالاسحار مزيد اثر وانوار لان السحر وقت النوم
والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لم يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند

طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بنوار المعارف واثار اللطايف واما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل ادا جميع التكاليف لان الانسان
قد يستلزم من هو نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل
الخيرات امر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال و
ذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله المنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار الشام فلما ابصر المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي
الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا انا
نسالك عن شهادة فان انت اخبرتنا امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله
فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا اننا امنا بين
ان دلايل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولي العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك الاول
فتقريره من وجهين الاول ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله تعالى وفي حق الملائكة وفي
حق اولي العلم اما من الله فذلك لانه اخبر في القران انه اله واحد لا اله الا هو وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسي وغيرهما والتمسك بالدلايل
السمعية في هذه المسئلة جايز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولوا العلم الذين عرفوا وحدانية الله
تعالى بالدلايل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له الثاني الوجهين ان يحمل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى اظهر ذلك و
بين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولوا العلم بالخبر وادلة ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء للعامة الحكم التفاوت انما وقع في
الشى الذي به حصل الاظهار والبيان فمعنى واحد في حق الكل وكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى قد ثبتت بشهادة الله وشهادة جميع
المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المتين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد على
ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام القول الثاني فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلايل الدالة على توحيده
وشهادة الملائكة واولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه فالصلوة
من الله تعالى غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعي للتنبوة للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعي شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة
الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلايل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلايل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشدوا
غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اي شى اكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قايما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله قايما بالقسط
او لا اله الا هو قايما بالقسط وهذا ارجح ليكون للالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة هذا ابو لك عطوفا او لا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون
حالا من اولي العلم اي حال كون كل واحد منهم قايما بالقسط في اداء هذه الشهادة الثاني ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله الا هو قايم
بالقسط الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة كقوله شعر ويأوي الى نسوة عطل •
وشعثا مراضيع مثل السعالي ومعنى كونه قايما بالقسط قايما بالعدل كما يقال فلان قايم بالتدبير اي يجريه على سنن الاستقامة او قيما
للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وفيما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان
وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات وعدم
الافتقار بوجه من الوجوه الى شى من الاشياء وعدم النقص والنقص في شى من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا
ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شى الا على وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل ما يخيل
الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور او القبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة
الاسباب والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلقة العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر
معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلايق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع
بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى لا يخلو مستعد الادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في ذلك الخوض
فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد
لان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شى من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا هو جل وخالقه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن نسبه الى الجور في فعل من الافعال
فهو الجاير لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من
الازل الى الابد الاباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا او شرا في اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيته و
ارادته فقد كذب بان خالق الا انه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا اخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة

وقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله تعالى ومتى
كان كذلك فقد صح وحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد ان يقولوا وفق شهادة الله والملائكة واولوا العلم لا اله الا هو والاعلام فان هذه
الكلمة يحتاج ان يكررها المسلم ما امكنه مصراع هو المسك ما كررته يتضوع • ثم الكونه متفردا بالالوهية وقايما بقوله العزيز الحكيم فالعزيز
اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم التفرد القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على
المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة تسمى دينا لانه سبب الجزاء
الاسلام في اللغة سبب الانقياد والدخول في السلم او السلامة او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشى اي خلص له والاسلام في عرف
الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد الكلي وهو
المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في صفة
من الصفات كما شهد هو به واما العدل فان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي
عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قايم بالقسط ومن قرا بفتحان ففيه وجوه عند البصريين ان ذلك الاول بدل الكل فكانه قيل
شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شى وقيل التقدير شهد الله
انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق
هو الاسلام لان دين الاسلام يشتمل على هذه الوحدانية وقرى الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم
ذكر انه اوضح الدلايل وازال الشبهات والقوم ما اصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود
واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب وفاته سلم التورية الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما
مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعدما جاءهم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في
امر عيسى عليه السلام بعدما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله و
قالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب الا من بعد ما
جاءهم التورية فعينا العلم اي الدلايل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله
في التفسير الكبير ومن يكفر بايات الله سريع الحساب لا يحصل عليه عدا افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة والمراد انه سيصل الى الله
سريعا فيحاسبه اي يجازيه على كفره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما تقوله في محاجتهم فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال
الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه في معنى العمل وقيل اي اسلمت وجه عملي لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر مني من الاعمال
فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت وجهي لله نفسي لله وليس في العبادة مقام
اعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن الفصل او مفعول
معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان الاول ان هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه وسلم كان قد اظهر المعجزات
كالقران ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقدح في صدر هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد ثم بين نفي الضد والند والصاحبة
والولد بقوله شهد الله فذكر ان اختلاف هولاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول اما انا ومن اتبعني فمنقادون للحق
مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في اخر كلامه الثاني ان قوله اسلمت محاجة
وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة وكانه قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه
وداعي الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون عبادة
الاوثان فهولاء هم المدعون وعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقوله ابرهيم صلوات الرحمن عليه اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه قيل
فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب التمسك
بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم مشركوا العرب الذين لا كتاب
لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفايدة التعبير بالاستفهام وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تال جهدا في سلوك طريقة الكشف و
البيان هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء فان
اسلموا فقد اهتدوا الى ما هديناهم الله اليه والى الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام والاتباع لك فانما عليك البلاغ ما علينا الا
ان تبلغ الرسالة وتنبيه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من شاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولين بصفات ثلاثة
اردفه بوعيد ان الذين يكفرون بايات الله اي بعضها المعهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه وتوحيده

من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض آيات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم
ولا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم يوقعهم ويقتلون او يقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس عن الحسن ان في الآية دلالة على ان الآمر بالمعروف والناهي
عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الجهاد افضل
فقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لا في الحال لانه وعيد
لمن هو في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا الا ان الله تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال الستم قاتل من زعم ان شأنه ان وجد
القاتل اذ يقول وصفوا ابيرم اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل
قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة
فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت
الفاء لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب
الآلام والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي
والقتل والجزية واما في الآخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو
قوله وما لهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت
المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال
على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبي
في اللذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف يجيء القصة في المائدة مفصلة وقيل
دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ابو ابائهم والنصارى الى الآيات الدالة على صحة نبوته من التورية او منها ومن الانجيل فابوا فنزلت ومعنى قوله اوتوا
نصيبا اي حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القرآن من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها
وقيل اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم ثم من سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله كما هو التورية كما مر في اسباب
النزول ولانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون صحته وهو التورية وعن
ابن عباس انه القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجة على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب بينهم اي بينهم وبين رسول الله فيعرف
الثاني للعلم به او يراد الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين ولهذا رجعوا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يكون
عندهم رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجهان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم
دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق وهم الرؤساء والاحبار او الذين لم يسلموا
من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتي الدعاء والتولي وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم ودأبهم والضمير في هم اما ان يرجع الى الفريق اي هم
جامعون بين التولي والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم فيكون تقديره صنف
العلماء والرؤساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل اعراض علمائهم وتقليدهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب اي هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق
ذلك التولي والاعراض او ذلك العقاب او الوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون في امر العقاب ولا يتحققون ما يتعلق بوعيدها فقالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودات هي ايام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه الاول استقصار مدة العذاب ومن اين لهم العلم بذلك
الثاني ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق بها الكافر عذابا دائما الثالث ان استثناء مدة العذاب على الايام المعدودات فقط فيه دليل
على انهم استحقوا بالتكذيب بمحمد والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه او من قولهم لن تمسنا
النار الا اياما او من قولهم نحن اولياء النبوة من قديم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون وكيف يصنع حالهم وفي هذا الحذف
فخامة للجملة من تخريجات النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء اجمعوا اليوم الخميس بمعنى جمعوا الفعل وجد
في يوم الخميس اما اذا قلت جمعوا في يوم الخميس فلا تضمر فعلا وايضا من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب
ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب او عقاب او جزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد
ثلثة اناسي وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار التأويل
يتعلون الشارع الى الجنة بالكفر مغلوب الحكم الازلي الشقاوة ربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا
بتقلبات النفس والهوى الى اسفل سافلين الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه في قعر جهنم وبئس المهاد معاده

فصل

في معاشه قد كان لكم آية في فئتين التقتا ان الله تعالى فئتين في الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين في الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها
الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب جنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة
ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس واعلم ان الله
خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم اصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم ارباب
الارواح والغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم بلفظ الولي الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان الجحيم
سبع دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة
الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الطبيعة للجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثماني للخواص منها التقوى للذين اتقوا
والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجري من
تحتها انهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التي يتولد منها فاذا عاش في الجنات مات وحشر كذلك ثم اشار الى
خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلولي لهم الدنيا يا دنيا غري غيري او لباني ولا وقعوا
عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا رب المولى الذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلي عن علمه السرمدي على ذاته الاحدي وكونه
الصمدي انه لا اله الا هو وهي شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكما انه في ذاته لا يشبه الذوات
وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات تشهد بجلال قدرته على كل شيء حين لا حين ولا مكان ولا عقل ولا جهل ولا عين ولا اثر و
لا عرش ولا فرش ولا جنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذي كان عما كان
كما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح ولربوبيته موضح
على انه شاهد ولكن ينبوع ماء التوحيد هو القدم فجرى في مجاري انهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة وان كان ما ظهر ماء التوحيد كما
كان اولوا العلم ولكن اخص اولوا العلم بمشربه والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها شعر لي سكرتان وللندمان واحدة ؛ شيء
خصصت به من بينهم وحدي ، فحقيقة معنى الآية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة
واولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائدة الى اولي العلم الذين لهم شركة مع التوحيد الملائكة في ظهر به ماء التوحيد بالشهادة
ولهم اختصاص بمشربه لماء التوحيد شاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذي لا يشاهد عزته الا اعزته من بين البرية الحكيم الذي بحكمته
اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف في الصورة من نتائج تباكي الارواح في عالم المعنى فالارواح فما
تعارف منها في الميثاق لتقاربهم في الصفاء وتقابلهم في المحل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم في الصفاء وتدابرهم في المحل اختلف الا من
بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد ولكن المحمود منه ما يخرج باسم الغبطة ويقتلون النبيين ان الانسان خلق مستعد القبول فيض صفات
لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان في قبول فيض اللطف ان يعدي نفسه في متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه في قبول فيض القهر ان
يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا يحبط اعماله ولا يرجى توبته ويرجى توبة ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة
الى من اوتي حظا من العلم فعليه اذا دعي الى حكم من احكام الله او الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا كان معرضا بالدنيا
متغيرا في الدعوى وهذه حال اكثر من اوتي نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله [illegible]

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
بگو بار خدای خداوند مطلق پادشاهی میدهی پادشاهی ازانکه میخواهی و دور میکنی پادشاهی ازانکه
تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على
میخواهی و عزیز میکنی ازانکه میخواهی و خوار میکنی ازانکه میخواهی بقدرت تست همه نیکی تو بر همه
كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في
چیز توانایی درآری شب را بجای روز و درآری روز را در
الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من
شب و بیرون می آری زنده را از مرده و بیرون می آری مرده را از زنده و روزی میدهی ازانکه می
تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
خواهی بی شمار باید که نگیرند مومنان کافران را دوستان

عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فخرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها فكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانه يفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسال ان يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون ونبه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي نصيب الذي قسمت له واقتضيت حكمتك فالاول عام شامل والآخر بعض من الكل وهذه الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم وعليهم ان يقتلوا من ارادوا من المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقول النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقد عرفنا في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب او بانه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يعودوا اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس وجيها عندهم مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور ولو كان بالحيل الغنى لوجدتني *شعر* بنجوم اقطار السماء تعلقي * لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق وكذا الكلام في نزع الملك من الظالم فقد ينزعه عن العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدر والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله صلعم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعقل والعلم والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد لى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدين او في الدنيا والاخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كالاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسيره تعالى وتقديره بيدك الخير اي بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله فكلها خير او لان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول على الثاني والاحتراز عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار او بالعكس فعن كل منهما قوام العالم ونظامه او تاتي بالليل عقيب النهار فتلبس الدنيا ظلمة بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم تاتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر ومن كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس واخراج النبات من الارض تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة والنخلة من النواة وبالعكس

من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان

از غير مؤمنان و هر كه كند اين را پس نيست از دين خداى در هيچ چيز مگر كه

تتقوا منهم تقيه ويحذركم الله نفسه والى الله المصير

ترسيد شما از ايشان ترسيدنى و مى‌ترساند شما را از عقوبت خود و با خداى است بازگشتن

قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في

بگو اگر نهان داريد آنكه در سينهاى شماراست يا آشكار كنيد آنرا ميداند آنرا خداى و ميداند

السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد

آنكه در آسمانهاست و آنچه در زمين است و خداى بر همه چيز توانا است روزى كه

كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان

بيابد هر نفسى آنكه كرده باشد از نيكى حاضر كرده و آنكه كرده باشد از بدى دوست دارد آن نفس كه اگر باشى

بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله

ميان او و ميان آن روز بودى مسافت دور و مى‌ترساند شما را خداى از غضب خود و خداى

رءوف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

مهربانست به بندگان بگو اگر هستيد شما دوست مى‌داريد خداى را پس متابعت كنيد مرا تا دوست دارد شما را خداى

ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله

و بيامرزد براى شما گناهان شما و خداى آمرزگار است مهربان بگو فرمان بريد خداى را

والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله

و پيغامبر را پس اگر اعراض كنند پس بدرستى كه خداى دوست ندارد كافران را بدرستى كه خداى

اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على

برگزيد آدم را و نوح را و فرزندان ابراهيم را و فرزندان عمران را كه موسى و هارون بودند

العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

يا پدر مريم بر جهانيان فرزندانى را برخى از آن از برخى اند و خداى شنواست و دانا

القراءة الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد على فعيل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وعلي عاصم عن ابي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل ثم تقيه بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة الوقوف من تشاء لتنامي الجملتين المتضادتين معنى الى جملتين مثلهما وتذل من تشاء الخير قدير في الليل لفصل بين الجملتين المتضادتين من الحي لعطف المتفقتين حساب المؤمنين تقيه نفسه المصير نصف الخمس يعلمه الله وما في الارض قدير محضرا والاجود ان يوقف على سوء لتقدير وما عملت من سوء وكذلك بعيدا نفسه بالعباد ذنوبكم رحيم والرسول لابتداء الشرط مع التعقيب الكافرين العالمين لان ذرية بدل من بعض عليم لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين اي سميع دعاءها وعلم رجاءها حين قالت واصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال النصب اذ باضمار اذكر التفسير انه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند سيبويه يا الله والميم عوض من يا وانما اخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص هذا الاسم كما اختص بدخول التاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من ام وزيف بان التقدير لو كان لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم اغفر لنا وبالجاز ان يتكلم به على اصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء وباجتماع اللهم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه خلاف ما لو جعل الثاني تفسير الاول فيكون اكد وبان الاصل كثير ما يصير نسيا منسيا كما في مثل ما اكرمه فانه لا يقال لشيء اكرم في التعجب مالك الملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كالا يوصف نحوه من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا ملكعان وقيل وجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وانس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق

والاخراج النبات من الارض يستوي احيا يحيي الارض بعد موتها وترزق من تشاء بغير حساب تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على
ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله وتقول لما ذكر انه مالك
مالك الملك وبيده العز والذلة والخير كله بيده انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المومنون الكافرين
بالجنة ولكن كسر الذال للساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرا والجزم والطلب يقام كل منهما مقام الاخر وقوله من دون
المومنين يعني ان لكم في موالاة المومنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا توثروهم على المومنين عن ابن عباس قال الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق
وقيس بن زيد وهولاء من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك
النفر اجتنبوا هولاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك عنه نزلت في عبادة بن
الصامت الانصاري وكان بدريا تقيا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي
خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا
يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية ونهى
المومنين عن مثل فعلهم وقد تكرر ذلك في ايات اخر كثيرة لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله وكون المومنين موالين للكافر يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن
المومن فلا يدخل تحت الاية لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر لقرابة او صداقة قبل الاسلام
او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر
الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخص بالموالاة دون المومنين فلا جرم هدد
فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله اي من دينه في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله من دون
المومنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المومنين في الموالاة غير متصور لان هذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال
تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على
العدوين مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه محب لهما فان اراد احد ان يعم الحكم لا بد له ان يزيد عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة
الا ان تتقوا منهم تقية قال الجوهري يقال اتقى تقية مثل اتخم تخمة وتقاوها واو اكثرت فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي و
يجوز ان يجعل تقية مفعولا مثل رماة فيكون حالا موكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا متضمنا معنى تحذروا او تخافوا ولهذا عدي بمن و
يحتمل ان يكون التقاة او التقي بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء او انتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار
الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اي كن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل
في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول لما امكن فان التقية تاثيرها
في الظاهر لا في احوال القلب ومنها انه رخصة فلو ترك كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة
ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الاخر وقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه
الاية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعادات وقد تجوز ايضا فيما يتعلق باظهار
الدين واما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنى وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على
عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوز بين الكفار محاماة على النفس ومنها انها
جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون
ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد
كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المومنين وروى عوف عن الحسن انه قال التقية جائزة الى يوم القيمة وهذا ارجح عند الائمة
ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب عظمة
المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي
ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمائركم
لان القلب في الصدر مجاز اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا لما اشفق فقال

يعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال تتميما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي
عامله وجوه قال ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في
قدرة الله تعالى تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكر والاظهر ان العامل فيه يود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس
يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم امدا بعيدا والامد الغاية
التي ينتهي اليها مكانا كانت او زمانا والمقصود تمني بعده كقولك يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما كتب
فيه العمل من الصحائف حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في
بينه يعود اليه واحتمل ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدا من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية و
تود جزاء له وهو قليل كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقرات عبد الله ودت يحملها على السواء الا ان الحمل
على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تاكيد للوعيد والله رءوف بالعباد قال الحسن ومن رافته
ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويحتمل ان يراد انه رءوف
بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي وهو وعد كما ان التحذير وعيد او المراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله اي كما هو
منتقم من الفساق وتحذيرهم نفسه والله رءوف بالمطيعين والمحسنين ثم انه دعا القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق اخر سوى طريق التهديد
والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا
نحب ربنا فانزل الله هذه الاية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم
وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها السيوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا
على الاسلام فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه
فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين
زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل
من يدعي محبة الله تعالى من فرق العلماء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على
نبوة محمد وجب متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره فمن احب الله كان راغبا فيه لان المحبة
توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في تفسير قوله والذين امنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة فانها
من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور
في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي رحيم في الاخرة يثيبه على مثقال الذرة من الحسنة يروى انه لما نزلت قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله
بن ابي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت
وجوب متابعته ثم ان المنافق القى شبهة في البين امر الله تعالى ان يقول انما اوجب الله عليكم متابعتي لا لما يقوله النصارى في عيسى بل لكوني
رسولا من عند الله ومبلغ تكاليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا على ان يكون التاء الاولى محذوفة ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم فانه لا
يحب الكافرين محبة الله لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم والعقاب وهما ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته
لا تتم الا بمتابعة الرسول بين علو درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين منهم
تمثيلا بما يشاهد من الشيء الذي يصطفى وينقى من الكدورة وذلك استخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء
عليهم السلام يخالفون غيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي مدركة او محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة او
الباطنة اما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله صلى الله عليه وسلم اقيموا صفوفكم وتراصوا
فاني اريكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابرهيم صلعم وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا
في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس مستبعدا فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان
النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مسافة فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء و
مثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثل ما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم تكلم مع الذيب ومع البعير وقد وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ايام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني
انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا
ادراك ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل النار سلاما للاعجاز

او خاصة اودعها في الساق حتى يصير ملايما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكا قال علي رضي الله عنه
علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب وان كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما
القوة المحركة فكمعراج النبي صلى الله عليه وسلم وعروج عيسى الى السماء وكرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية
العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لساير النفوس وكالمخالفة صفاء ونورية والجذابا الى عالم الارواح فلا جرم
يجري عليها الانوار الفايضة من المبادي العالية اتم من ساير النفوس واكمل ولهذا بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين
واصطفاه على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من البشر او من سكان السموات عند من يرى البشر افضل الخلق
ثم ان القران دل على ان اول الاشياء اصطفاء ادم صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد ادم
وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم صلوات الرحمن عليه شعبتان اسماعيل واسحاق فجعل اسماعيل مبدا
الظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدا الشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك
في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد نقل نور النبوة ونور الملك اليه وبقي الدين والملك في امته الى
يوم القيامة فالمراد بال ابرهيم اولاده وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما ال عمران فصل اولاد
عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بال عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك
انه عمران بن ماثان جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يديه فالله يقول ان ذلك
باصطفاء الله تعالى اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة
لقوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية بدل من نوح وآدم بعضها من بعض قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير ادم كانوا متولدين من ادم وقيل يعني ان الاولين ذرية واحدة متسلسلة
بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب
من اسحق وكذلك عيسى بن مريم ومريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشي بن يهوذ بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان ما بين
ماثان وسليمان قوما اخرين وكذلك بني ايش ويهوذا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمايرهم واعمالهم فيصطفي من خلقه من يعلم استقامته
قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه تعريضا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون
اول الكلام تشريفا للرسلين واخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع عليم لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك
ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما في الوقوف **التاويل** مالك الملك هو مالك الوجود فلا موجود بالحقيقة الا الله تؤتي الوجود من تشاء و
تنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلة للفناء كالنبات والحيوان
غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل العيض القهري بيدك الخير انك على كل شيء قدير تضمين للدعاء
بذكر النسب كما يقال للجواد انت الذي تقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضر تولج ليل ظلمات الصفات
البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بالحيوة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن
الحيوة الحقيقية من النفس الحية الحيوانية بما ير الحيوانية لا يتخذ القلب المومن والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله
في شيء الا ان يخافوا من هلاك النفس ... فيركب الروح فتواسوها كيلا يعجزها عن السير في الرجوع وتهلك في طريق من شدة الرياضات وكثرة
المجاهدات ويحذركم الله نفسه ... قل ان تخفوا ما في صدوركم من معاداة الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم
وما في ارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت اثار الخير والشر ظاهرة في ذات المرء وصفاته وبحسب ذلك يبيض وجه قلبه او يسود ولكنه
في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمن نام لدغته حية تحت الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نايما نوم
الغفلة فاذا مات انتبه واحترق اخر ... طريق الوصول انه في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة ايضا ثلث درجات
ولمحبة الله والمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من روية احسان
المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهولاء في الاعمال الذين يطمعون اجرا على ما يعملون وفيه
قال ابو طيب وما انا الباقي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغي عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه
اعظاما واجلالا ولانه اهل لذلك كما قالت رابعة احبك حبين حب الهوى وحب لانك اهل لذاكا ويضطرهذا المحب في هذه الدرجة
الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال لعابد الله لا ارجو مثوبته لكن تعبدا اعظاما واجلالا
والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشية من الجذبة الالهية في مكامن كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق
لاعرف ولعل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية غذينا بالمحبة يوم قالت له الدنيا ائتنا طابعتنا وحقيقة هذه

المحبة

المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية غذينا بالمحبة يوم قالت له الدنيا ائتنا طابعتنا وحقيقة هذه المحبة ان يفني المحب بسطوتها
ويبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار تفني الحطب بسطوتها وتفني النار بلا هو فان المحبة نار لا تبقي ولا تذر واما درجات المحبة الله للعبد فاعلم ان كل
صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوق حتى الوجود فانه واجب لخالق والمخلوق
الان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وافعاله قرا القاري بين يدي الشيخ ابي سعيد بن ابي
الخير رحمه الله تعالى قوله يحبهم ويحبونه فقال الحق يحبهم ويحبونه ... لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو ... يهوي صنيعه والصانع
اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه كان موردها على ... في تلك ... خلقه مراتبها
مع انها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المع... في قوله فخلقت الخلق لاعرف
لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة وشرب بهم الاعمال فيقبل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحبب... كم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم
يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات وشرب بهم الاحوال ... لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله
يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته ... بصرا ولسانا وبيا فهم بين روضة
المحو وغدير الاثبات لحياة غير اموات ويكون في هذا المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الراي ... به يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته
فيكون الراي والمرئي والروية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدق ... محبته لكم ان الله اصطفى ادم وذلك ان الله تعالى
خلق العالمين بجميعه انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح ... جمع في ادم جميع الانواع وخصه بتشريف ثم شرفه
تشريف ونفخت فيه من روحي فهو المظهر لجميع اسمائه وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق ادم على صورته ثم ذكر خواص اولاد
آدم نوحا وآل ابرهيم وآل عمران والمراد بالال كل مومن تقي بعضها من بعض في الولاية الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كالجسم وقرنها
اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ورضاهم بهم يبطرون وبهم يرزقون الله حسبي وكفى الله شكور لمن اطاع غفور لمن اذنب

اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل
آن وقت که گفت زن عمران ای پروردگار من ... که من نذر کردم برای تو آنرا که در شکم منست حال آنکه آزاد شود پس قبول کن
مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
از من ... که تویی تو شنوای دانا پس آنگه که نهاد آنرا ... گفت ای پروردگار من نهادم
انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها
حال آنکه ماده است و خدای داناتر است ... و نیست پسر چون دختر ... و من نام کردم
مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها
او را مریم و من او را و فرزندان او را پناه می آرم بتو از دیو رانده از رحمت پس پذیرفت
ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكرياء
پروردگار او دختر را بپذیرفتنی نیکو و برویانید او را رویانیدنی نیکو و ضامن مصالح او گردانید زکریا را
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم
هر گاه که در آمدی بر او زکریا در غرفه ... یافتی نزد او روزی گفت ای مریم
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
از کجا است ترا این روزی گفت آن از نزد خدا است ... روزی میدهد آنرا که میخواهد بی شمار
حساب هنالك دعا زكرياء ربه قال رب هب لي من
شمار در آن زمان یا مکان دعا خواند زکریا پروردگار خود را گفت ای پروردگار من ببخش برای من از
لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو
نزد قدرت تو فرزندی پاک از اخلاق ذمیمه که تو اجابت کننده دعایی پس آواز دادند او را فرشتگان حال آنکه
قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله و
او ایستاده بود نماز میگذارد در محراب بیت المقدس که خدای مژده میرساند ترا بیحیی نام حال آنکه باور دارنده است کتاب خدا را
سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون
و مهتر قوم و بازدارنده خود را از زنان و پیغمبری از اولاد نیکان گفت ای پروردگار من از کجا حاصل شود

برای خدمت بیت المقدس خادم او
و مریم در لغت ایشان عابد و خادم
و کسی ... آید کرمنی

لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله

مرا كودكى وحال آنكه مرا رسيده بزرگى سال به نود و نه و زن من نازاينده است نود و هشت ساله گفت خداى چنان فعل كند

يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم

كه آنچه خواهد از زنان عادت گفت زكريا اى پروردگار من بگردان براى من نشانى كه وقت حمل بدان بشناسم گفت نشان تو آنست كه سخن نگوئى

الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار

با مردم سه شبانروز مگر بطريق رمز و ياد كن در آن ايام پروردگار ترا ياد كردنى بسيار و نماز گذار يا تسبيح گوى در زوال تا وقت غروب و از صبح تا چاشت

القراءة يعني ابك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة و
اني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم
غير ابي بكر وحماد وقرأ ابو بكر وحماد بالمد والنصب الباقون بالمد والرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التانيث
في المحراب بالامالة حيث كان مخفوظا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة
وعلي الباقون بالتشديد لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير **الوقوف** منها للابتداء ولاحتمال الاتيان العليم
انثى لمن قرأ بما وضعت بتاء التانيث الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت كالانثى للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام
واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم حسنا لمن قرأ وكفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب و
قد يتعدى الى مفعولين كقوله اكفلنيها المحراب لان وجد جواب كلما رزقا لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا من عند الله حساب ربه لما كلما
في … طيبة للابتداء … الدعاء في المحراب لمن كسر لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ما يشاء آية رمزا
والابكار **التفسير** انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول زوجة عمران بن ماثان بن فاقوذ اخت ايشاع التي
كانت تحت زكريا روي ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت طائرا يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت
اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت
ذلك بالهام الله تعالى كما الهم ام موسى بقذفه في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق وتحرير الكتاب اذا اصلحه
وخلص من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي وكان في دينهم ان
الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلون الاولاد
محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له
بعد ذلك ومن لم يكن الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت
مطلقا اما بناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن عباس وعن ابن قتيبة
المعنى نذرت لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها بعين لما في بطني لانها كانت انثى في علم الله او على تاويل النفس او النسمة او الجبلة والحبل
بفتح الباء مصدر بمعنى المحمول كما سمي الحمل ثم اذا دخلت عليه الهاء للاشعار بمعنى الانوثة فيه ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما
سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير انه يكون انثى قالت رب اني وضعتها الحال لكونها انثى ومن قرأ والله اعلم بما وضعت على الحكاية
مجموع الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار من اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع
الذي يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها خافت ان يظن بها انها قالت ذلك للاعلام الله تعالى فقال
والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث ولا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم ولأنه
يمكن الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان يكون
عارفة بالله والشفقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب ان وضعتها انثى والكل اعرف واعلم بحال ما وضعت فلعل الله فيه
سرا وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لانه لا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الانثى للعهد الحاضر ذهني
لكنها في الذكر لحاضر ذهني تقدير الدلالة ما يطلق عليه صفنا وفي الانثى لحاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة الانثى ومن قرأ بما وضعت
بسكون تاء التانيث فالجملتان من قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت لما علق به
من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زادها ايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت
لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب
والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها والنداء ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها فقبلها ربها الضمير يعود الى امرأة عمران

ظاهر الدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انه كان رباها في بطن امها فيه ربها
بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكي انه لم يسمع غيره وجاز الفراء والزجاج
قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي تقبل نوع تكلف فكأنه انما حكم بالتقبل بواسطة
القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بامر ذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في
النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم من يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط
به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل المراد نماؤها في الطاعة والعفة والصلاح
والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس
كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانوا بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم
وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون
بها التوراة والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات وفي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذ زكريا فعلى هذه
الرواية يكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور
والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها غرفة او هو غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف
المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس
يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء
وذلك قوله عز من قائل كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت
في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا
من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فذلك لدعاء حنة واني اعيذها بك ومنها تكلمها
في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم
آثرته بها فرجع اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي لها انى لك هذا
قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها
وفي امثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجز والكرامة ان صاحب الفعل والخارق في الاول
يدعي النبوة وفي الثاني يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم
الانبياء مامورون باظهار المعجزات والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد
مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على علم فاعله فلا جرم لا يوجد في غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال
المولود صارخا من الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل
مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما
حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت و
عجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح
وبزمان المكاشفة بعيد العهد من عالم الفعل والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت آخر ويصح على ان اثر مس الشيطان ونخسه
يظهر في هيئة النفس واحوالها وانها امور لا يحس بها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام يستدعي فهما واستعدادا آخر
غير المعلوم الظاهرة قال الجبائي لا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله
اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى لك هذا فقالت هو
من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عندها رزقا معتادا الا انه كان ياتيها
من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا لا
نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيئا من ذلك خاف ان
ذلك الرزق اتاها من حيث لا ينبغي فكان يسألها عن كيفية الحال … لامثال هذه الشبهات توجيها الشك في القرآن وفي الحديث

او العصبية المحضة على ان تقول لو كان تحير زكريا بالكان بادونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وايضا
كيف فرع بمجرد اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه
اصطفاها على نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها اية للعالمين واقعة زكريا عليه السلام وذلك قوله سبحانه هنالك اي في
ذلك المكان الذي كانا فيه في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا
القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين يقتضي ان يكون قد عرف في ذلك الزمان او المكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من
العلماء المحققين على ان زكريا راى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء والعكس وراى ذلك خارقا للعادة فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد
من شيخ كبير ومن امراة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى غير مجوز لوقوع الخوارق فان حسن الادب رعاية
الوقت المناسب في الطلب واما المعتزلة فلم ينكروا كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما راى اثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة
في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فحينئذ يصير دعوته
مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفيه الاذن في الدعاء على
الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر النادر على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه
انه لو لم يكن اصلح لنفسه فاقوض فيه عنه ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة كانت مفقودة
في حقه فكانه قال اريد منك ان تزيل بعض الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسط الاسباب والذرية النسل
تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد هنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ
الذرية في الظاهر فالتذكير والتانيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا في اسماء الاجناس بخلاف الاسماء فانه لا يجوز ان يقال
جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء يعني سامع اجابة وذلك لما عهد من
الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة ظاهر اللفظ الجمع وهذا في باب المشهور عظم
ثم ما روي ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل وياكل الاطعمة النفيسة اي يركب من هذا الجنس وياكل منه او لان جبريل
كان رئيس الملائكة فلما بعث الا ومعه اخرون يبشرك بيحيى هو ولذلك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى و
عيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب
على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة
من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت اشعرت اني حبلى فقالت مريم واني ايضا حبلى قالت امراة زكريا فاني
وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من امن به وصدق
بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهي كن بغير واسطة انه ونوع كالمسمى
المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه منشا الحقائق والاسرار كالكلمة والمناسبة وجاء ايضا لانه سبب لحياة الارواح و
قد يقال السلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم
كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم اذا حدث نقلت قد جاء قولي وكلامي اي ما كنت اقول واتكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق
قومه في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم بالخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال
عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء لضعف في الالة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق في معرض
المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل فهو الذي لا ياتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس منعا وفيه دليل على ان ترك النكاح
كان افضل في تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه وارد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة
لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا يعنيه روي انه
مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا مجموع الامرين فانه ليس بعدهما الا النبوة ثم قال
من الصالحين اي من اولاد ادم لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين او لان صلاح احد كان ثم بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم فيه ان الختم على الصلاح هو الغرض الاعظم والغاية
القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
ثم ان الملائكة لما نادوه بما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر ادركتني السن العالية واثر في
طول العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز بلغت
الكبر وبلغني الكبر كما لو ان الطالب للانسان فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغني البلد في موضع

بلغت البلد ليس الا لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامراتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء ويقال رمل عاقر اي لا ينبت شيئا فان
قيل لما كان زكريا هو الذي سال الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما الوجه تعجبه واستبعاده بقوله انى يكون اي من اين يحصل لي غلام فالجواب
على ما في الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل
البشارة بستين سنة فكان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع
وتسعون عن السدي ان الشيطان جاء عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه كان من مصالح
الدنيا ولم يتاكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسال ما سال والجواب المعتمد ان زكريا لم يسال ما سال استبعادا او تشككا في قدرة الله تعالى و
انما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقمها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء
وهو اما جملة واحدة اي الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او جملتان فيكون
كذلك الله مبتدا وخبرا اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه عليه السلام لفرط
سروره وثقته بكرم ربه وانعامه سال عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر فقال
تعالى ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام اي لياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلث ليال ومعنى الا تكلم الناس قال المفسرون اي لا تقدر على التكلم مع
الناس حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مستعملا بذكر الله وبالطاعة والشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير
الشيء الواحد علامة على المقصود واداء الشكر لتلك النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الاية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح
والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم
ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عليه السلام عوتب بذلك حيث سال بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام
قلت وحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الاية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب
علامة للعلوق واحتمل ان يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين فصار حبس لسانه اية العلوق ودلالة على الفعل الخارق
جميعا مع مناسبته للواقعة حيث سال ما كان من حقه ان لا يسال وزعم ابو مسلم ان المعنى ايتك ان تصير مامورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال
بالذكر والتسبيح الا رمزا اشارة بيد او راس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز البحر وهو استثناء
منقطع وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكلف وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل
وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلم واذكر ربك
كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مع البشر وقيل المراد مطلقا وسبح حمله بعضهم على
صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلوة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه بالعشي مصدر على فعيل وهو من زوال
الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر ابكارا اذا خرج للامر من اول النهار ومنه الباكورة لاول الثمار وقرئ
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التاويل ان الله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها اسرارا لا يعلمها الا الله
فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن اطعام طاير وجه وماذا اظهر من الايات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة بواسطة مريم وعيسى فتقبل
مني انجح الى المحرر لا الى المحرر ان تقبلها مني اي يكفلها وترتيبها ترتيب المحررين فتقبلها ربها ان رباها بقبول حسن كقبول ذكر او قولا اخرج منها
مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال رافته انه جعل كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهمة
وجد عندها رزقا اي من فتوحات الغيب الذي يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند انفسهم ولا عند الخلق كقوله صلى الله
عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ما لم يكن في حسابها من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن
المعجزات بلا نبوة ومن العلوم الدينية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما ان اطعام الطاير فرخه سبب تحريك قلب حنة بطلب الولد
فكذلك حال مريم وما كان ياتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي ولدا يكون
روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب والواسطة الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الرابع
الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم يصلي بها رسم في الملكوت محاربة نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام
اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلي بموت لا يموت القلب بالمعاصي ولا يموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم
يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا اي حرا من رق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من
الصالحين من اهل الصف الاول رب انى يكون لي غلام لم يكن استبعاده من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة ايتك
الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة يكون مغلوبة في تلك
الحالة بشواهد الحق في الغيب لا يفرغ لاجراء عادتها في الشهادة بالكلام الا رمزا ولهذا يقوى الروح الحيواني ويستمد منه القوة البشرية

تعالى الى الشهوة المباحة فضلا عن الشهوة الميتة التي احياها الله حتى لا تستمر بهذه الحالة في الايام الثلثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا

واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك على نساء العالمين

يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون

اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ

قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح

عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين

ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى

يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا

قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة

والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية

من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون

طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله و

انبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك

لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل

لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله

واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون

نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما

انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا

ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك

ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك

فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم

فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا

شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين

امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين

ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ان

مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم

قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين

القراءة ويعلمه بياء الغيبة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل والفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد كنية تشديد الياء يزيد وحمزة في الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغني ان خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون طيرا فيكون بتاء التانيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك في المائدة الباقون طيرا انصاري الى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرا قتيبة وابو عمرو وطريق ابي الزعراء بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون الوقوف العالمين ٥ الراكعين ٥ اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقين يختصمون ٥ منه ق قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا ومكلما او كائنا من الصالحين المقربين ٥ الصالحين ٥ بشر ط يشاء ط فيكون ٥ والانجيل ج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على من الصالحين او منصوبا بمحذوف اي ونجعله رسولا والوقف اجوز لتباعد العطف من ربكم لمن قرا اني اخلق بالكسر باذن الله والثاني كذلك كذلك التفصيل بين المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون ج فاعبدوه ط مستقيم ٥ الى الله ط انصار الله ج لان وبالله والوقف اجوز لتباعد العطف واطيعون فاعبدوه لان ما في نظم الاستئناف مع انكار الحال اي وقد امنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ٥ الشاهدين ٥ ومكر الله ط الماكرين ٥ القيامة ج لان ثم لترتيب الاخبار والاخرة للابتداء بالنفي مع ان النفي تمام المقصود ناصرين ٥ اجورهم ط الظالمين ٥ الحكيم ٥ ادم ط لان الجملة لا يتصف بها المعروف فيكون ٥ الممترين ٥ التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ هاهنا هو ما في قوله اذ قالت امرات عمران لكان العطف والمراد بالملائكة هاهنا جبرئيل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسل جبرئيل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجزة لزكريا عليه السلام وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما في حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاء ان بمعنى واحد لكراهة التكرار فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور في اول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها انثى ومنها قبول الحسن

ما عذبها انها طرفة عين بل الحقها الى زكريا وكان رزقهما من عند الله ومنها انه فرّغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى
غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة في حقها واما التطهير فطهرها عن الكفر والمعصية كما قال في حق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
واهل بيته ويطهركم تطهيرا او عن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء
الثاني فهو ما اتفق في اخر عمرها من ولادة عيسى لغير اب وشهادته ببرائتها عما قذفها اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها المروي
انه صلعم قال كمل من نساء العالمين اربع مريم واسية امراة فرعون وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك
النعم فقوله اقنتي امر بالعبادة على العموم واسجدي امر بالصلوة تسمية للشيء بمعظم اركانه كما في قوله وادبار السجود وفي الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين
ولا ريب ان السجود اشرف الاركان لقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعي مع الراكعين فالاول
امر بالصلوة مطلقا والثاني امر بالصلوة في الجماعة وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما التفنن لعبارته وقد يسمى الشيء باحد اركانه وتسمية
الشيء بمعظم اركانه بناء على ما قبله ان الركوع افضل من السجود لان الراكع حامل نفسه في الركوع فالمشقة فيه اكثر او للنهي عن صلوة اليهود وقيل واركعي مع
الراكعين امر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتي الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدي واركعي استعمال
كل منهما في وقته اللائق به والواو به يفيد التشريك لا الترتيب والمراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل
مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجال اولى روي ان مريم بعد ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما اللهم لا تؤاخذنا
بالرجولية ونحن اقل في خدمتك من احدى النساء ذلك الذي سبق من حديث حنة وزكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب
بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بامر خفي من اشارة او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل
وقال ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبي بواسطة جبرئيل بحيث يخفى على
غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفي استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم
علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة في حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله
في القرآن غير عزيز وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور يلقون اقلامهم ليظهر او ليعلموا او ليقولوا ايهم يكفل مريم حذف متعلق الاستفهام
لدلالة القاء عليه وظاهر الاية تدل على انهم كانوا يلقون الاقلام في شيء على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض في استحقاق ذلك المطلوب و
ليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي عن الخبر انهم كانوا يلقونها في الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جري الماء فاليد له ثم
ان حصل هذا المعنى لزكريا عليه السلام صار اولى بها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر عن الربيع انهم القوا عصيهم في الماء
الجاري فجرت عصا زكريا على جرية الماء فغلبهم وقال ابو مسلم بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون
ما يكتبون عليها اسماءهم فمن خرج له السهم سلم له الامر قال فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما
سميت تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى اصل الاشتقاق الا ان
العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون على التكفيل قيل هم
خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي ولا شبهة في انهم كانوا من الخواص واهل الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم المراد بهذا
الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقراع وان يكون اختصاما اخر حصل بعد الاقراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشانها و
القيام باصلاح مهماتها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا اداء حقوقه واما لاجل الدين حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة ولما
لانهم وجدوا في الكتب الالهية ان لها ولابنها شانا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى اذ ذكر طرف من عجائبه اذ قالت الملائكة يعني جبرئيل
كما مر ويتعلق اذ هو يتعلق واذ قال لا بهذا بل من ذلك ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام و
البشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا تعني ان لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا للكل منهما فيكون الثاني
بدل الكل من الاول ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر
وان كان ذلك من كراماتها جاز ان يرد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر الى ان يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص
من نطفة الاب امر ممكن في نفسه وكيف لا وقد نشاهد حدوث كثير من الحيوانات على سبيل التولد كالفار من المدر والحيات
من الشعر المعفن والعقارب من الباذروج غاية الاستبعاد عن العادة وهذا لا يوجب عند الحكماء طعنا في الفضل عن العلم ثم ان الصادق اخبر
عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصدقه ومما يزيد في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون اسبابا لحدوث الحوادث كحصول حمرة الوجه عند
الغضب وكحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل
في بيان جواز المعجزات والكرامات فالمانع ان يقال انها لما تخيلت صورة جبرئيل كفى ذلك في انعقاد الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا
لاجل العقد فاذا حصل لانعقاد المني المرأة بوجه اخر امكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى

لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة اب صار تاثير كلمة كن في حقه اظهر و
اكمل فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة
كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع اما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض
الذي تعلوه حمرة فبعيد واما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال احمد بن يحيى لانه
كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا يجوز ان يقال له مسيح بالتشديد كشريب وقيل لانه مسح من الاوزار والاثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص وكان ممسوح القدم
وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك تمسح به الانبياء ولا تمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين
يولدون وقيل لان جبرئيل مسحه بجناحيه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي
بذلك لانه ممسوح احدى عينيه او لانه يمسح الارض اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال لدجل في الارض اي قطعها وقيل الدجال من
دجل اي موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم تنبيها على انه لا اب له
حتى ينسب اليه كما في سائر الانبياء فلا ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى به مذكر وانما قيل اسمه
المسيح عيسى ابن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلثة وجيها
ذو الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب و
الاخرة بشفاعة امته المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما في الوقوف
اي تبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته الى الملائكة والمهد قيل حجر امه وقيل الآلة المعروفة
لاضجاع الصبي وكيف كان فالمراد انه يكلم الناس ويقتل الدجال في الحالة التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف اي يكلم الناس
في الصغر وفي الكهولة في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات اي قوي روي ان عمره بلغ ثلثا وثلثين ثم رفع الى السماء ولا ريب
ان اكمل احوال الانسان ما بين الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد ان يكون كهلا بعد ان ينزل من السماء
وانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في
ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد وحال كونه كهلا على حد واحد صفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز و
قيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبي الى الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة وقال الاصم المراد انه يبلغ حال
الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب اخر وهنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك ان مثل
هذه الواقعة يحضرها جمع عظيم وتتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان اولى الناس بمعرفتها
النصارى لانهم افرطوا في محبته حتى ادعوا الالهية لكنهم لما اطبقوا على انكاره علمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره
ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما كان لتبرئة امه مما نسب اليه من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا ولا يبعد
في مثلهم التواطؤ على الاخفاء وتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا
لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى ان نطق القران بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك يحيى وفيه ان الدخول
في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا
او تشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيب بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل ههنا
بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق المولود بغير اب ولهذا اكده بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره
في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه
ويحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المذكورات في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه امور اربعة اولها
الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها التورية لان البحث عن اسرار الكتب الالهية
لا يمكن الا بعد الاطلاع على العموم للخمسة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله بذلك وشرفه بان انزله عليه وهذه هي الغاية القصوى
والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل
اي اليهم كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد اليهود القائلين انه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم متعلق بمحذوف يدل عليه لفظ
الرسول اي ناطقا باني قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف باية
اي مع اية والتقدير جئتكم مصاحبا لاية من ربكم ومصدقا لما بين يدي وجئتكم لاحل وفي الكشاف تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة
ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق لما بين يدي وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا باني قد جئتكم باية
من ربكم والمراد بالاية الجنس لا الفرد لانه عدد انواعا من الايات ثم ابدل عن الاية قوله اني اخلق فمن قرأ بفتح اني ويحتمل ان يكون مع

ما بعده مرفوعا أي هو أخلق ومن قرأ أني أخلق فللاستئناف أو البيان كقوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من
تراب وهذا أحسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيأة الشيء وأصلحه فأنفخ فيه أي في ذلك الطين المصور الذي
المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى أنه خلق أنواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة
من قرأ طائرا وذلك أنه لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين
السماء والأرض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا بإذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين
دلت الآية على أن الروح جسم رقيق كالريح وكذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو أنه هل يجوز أن يقال إنه تعالى أودع في نفس عيسى خاصية
بحيث أنه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشيء حيا وذلك أنه تولد من نفخ جبريل في مريم وجبريل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا
لحصول الأرواح في الأجساد أو يقال ليس الأمر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على
سبيل إظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة لقوله حكاية عن إبرهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت
فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وأبرئ الأكمه والأبرص ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن الأكمه هو الذي يولد أعمى وقيل هو
الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وقيل الأكمه من عمي بعد أن كان بصيرا وعن الخليل
وعن مجاهد أنه الذي لا يبصر بالليل وأما البرص فبياض يظهر في ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو إلى البرودة وغلبة البلغم على
الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة عن تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الأصداف فيحيل الدم الصائر إليه
إلى مزاجه ولونه وإن كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم حارا أو مودا غير عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والآخذ
في الازدياد والذي يبقى بعد من البرص ما إذا دلك احمر بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض وإذا
أخذ جلده بالإبهام والسبابة وأشيل عن اللحم وغرزت فيه الإبرة خرج فيه دم أو رطوبة مودة ولا شك أن إبراء مثل هذا المرض من قبيل
الإعجاز روي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده
وأحيي الموتى بإذن الله روي أنه أحيا عازر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهو ينظر فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره
حيا ورجع إلى أهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بيا حي يا قيوم وكرر قوله بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه
الإلهية وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل إنه كان من أول أمره يخبر بالغيوب روى السدي أنه كان يلعب مع الصبيان ثم كان
يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبي إلى أهله ويبكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء ثم قالوا لصبيانهم
لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال فمن في هذا البيت قالوا خنازير فقال
عيسى عليه السلام كذلك يكونون فإذا هم خنازير وقيل إن الإخبار عن الغيوب إنما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك أن القوم نهوا عن الادخار
فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من الدخر قلبت كل من التاء والذال دالا والأول ادغم واعلم أن
الإخبار عما غاب معجز دال على أن ذلك الخبر صار معلوما بالوحي ما لم يستعن فيه بآلة ولا تقدم مسئلة خلاف ما يقول المنجمون و
الكهان فإن ذلك استعانة من أحوال الكواكب والجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا لما في المعجزات الباهرة وبين كونه رسولا من
عند الله ذكر أنه لماذا أرسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التورية وذلك أنه يجب على كل نبي أن يكون مصدقا لما تقدمه من الأنبياء
لأن الطريق على ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يديه المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الأغراض في بعثة عيسى عليه
السلام تقرير أحكام التورية وإزالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا في بعثه فقال ولأحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التورية لأن معنى التصديق هو اعتقاد أن كل ما فيه حكمة وصواب وإذا لم يكن التأبيد مذكورا
فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته وإذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التورية فمجيء عيسى يكون تصديقا لما في التورية وعن وهب
بن منبه أن عيسى صلوات الله عليه ما غير شيئا من أحكام التورية وإنما وضع الأحد بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم
فسر الإحلال بأمرين أحدهما أن الأحبار كانوا قد وضعوا من عند أنفسهم شرايع باطلة ونسبوها إلى موسى فجاء عيسى ورفعها وأعاد الأمر
إلى ما كان والثاني أن الله تعالى كان قد حرم بعض الأشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت
لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات منهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر
فأحل لهم عيسى السمك والطير ما لا صيصة له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله إن الله ربي وربكم لأن جميع الرسل
كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض وإنما جعل القول آية من حيث إن الله تعالى جعله له علامة
يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل ويجوز أن يكون تفسيرا لقوله إني قد جئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة إني جئتكم بآية
بعد أخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير أب فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون فإن طاعة الرسول من أوامر ربي

ثم

ثم ختم كلامه بقوله إن الله ربي وربكم إظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المخرفين عن الصراط المستقيم

الفصل الخامسة ذكر عاقبة أمر عيسى ثم شرع في بيان أن عيسى عليه السلام لما شرع لهم تلك المعجزات فهم ماذا عاملوه فقال فلما أحس أي علم عيسى
منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس أو أنهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك بإذنه قال السدي لما بعثه الله تعالى رسولا إلى بني
إسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان أمر عيسى في قومه كأمر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج
هو وأمه يسيحان في الأرض فاتفق أنه نزل على رجل في قرية فأحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة ملك جبار فجاء ذلك الرجل
يوما حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال إن من عادة هذا الملك أنه جعل على كل رجل يوما يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي
والأمر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال يا أمت إني إن فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد أحسن وأكرم ولا بد
من إكرامه فقال عيسى عليه السلام إذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم أعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخا وما
في الخوابي خمرا فلما جاء الملك أكل وشرب وسأله من أين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى أخبره بالواقعة فقال
إن من دعا الله حتى جعل الماء خمرا إذا دعا أن يحيي ولدي أجاب وكان ابنه قد مات في تلك الأيام فدعا عيسى وطلب منه ذلك فقال عيسى لا تفعل فإنه إن عاش كان شرا فقال لا
أبالي ما كان فدعا عيسى الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار أمر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد
اليهود قتله وأظهروا الطعن فيه وقيل إن اليهود كانوا عارفين أنه هو المسيح المبشر به في التورية وأنه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من أول الأمر
إلى أن قصدوا قتله قال من أنصاري إلى الله قيل إنه لما دعا بني إسرائيل إلى الدين وتمردوا عليه فر منهم وأخذ يسيح في الأرض فمر بطائفة من صيادي السمك فيهم
شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى أنتم تصيدون السمك فهل لكم أن تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الأبد فطلبوا
منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئا فأمره عيسى بإلقاء شبكته في الماء مرة أخرى فاجتمع في تلك الشبكة من
السمك ما كادت تتمزق فاستعانوا بأهل سفينة أخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل إن اليهود لما طلبوه في إرادة القتل وكان
هو في الهرب منهم قال لأولئك الاثني عشر من الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فأجابه إلى ذلك بعضهم
ومما يذكره النصارى في إنجيلهم أن اليهود لما أخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان لرجل من الأحبار عظيم فرمى بأذنه فقال له عيسى
عليه السلام حسبك ثم أخذ الأذن فردها إلى موضعها فصارت كما كانت والحاصل أن المراد من طلب النصرة إقامتهم على دفع الشر عنه
وقيل إنه دعاهم إلى القتال مع القوم كما قال في موضع آخر فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا
ظاهرين ومعنى إلى الله قيل من يضيف نصرته إياي إلى نصرة الله عز وجل إياي وقيل من أنصاري إلى أن أظهر دين الله فالجار على القولين من صلة أنصاري
مضمنا معنى الإضافة وقيل من أنصاري حال ذهابي إلى الله وحال التجائي إليه وقيل من أنصاري فيما يكون قربة إلى الله ووسيلة إلى رحمته وفي
الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا ضحى اللهم منك وإليك أي تقربا إليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل إلى
بمعنى اللام وقيل بمعنى في أي في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن أنصار الله أعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته
ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونقائها بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره الحوالي
وهو الكثير الحيلة وعن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب بيضتها والحواري
واحد ونظيره وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة أخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي
يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب وأما أن الحواريين من هم فقيل هم الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا
وقيل إن أمه دفعته إلى صباغ فكان إذا أراد أن يعلمه شيئا كان هو أعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد
أعلمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الألوان فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كوني بإذن الله كما
أريد فرجع الصباغ وسأله فأخبره بما فعل فقال قد أفسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا أحمر وثوبا أصفر كما يريد فتعجب
الحاضرون منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى وكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الأرض
فيخرج لكل واحد رغيفان وإذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الأرض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا
وإذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا الحواريين وقيل
إن واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فذكروا هذه الواقعة
لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا إليه بعيسى فقال من أنت قال عيسى ابن مريم قال فإني أترك ملكي فأتبعك فتبعه ذلك الملك
مع أقاربه فأولئك هم الحواريون قال القفال يجوز أن يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين
وسموا جميعا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى والمخلصين في طاعته ومحبته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن أنصار الله فإن الإيمان
بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أوليائه والمحاربة عن أعدائه واشهد بأنا مسلمون منقادون لما تريد منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون

لامر الله تعالى فيه او هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يقولون
يوم القيامة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل
يزيد على فضل الحواريين قال ابن عباس اي مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد في قومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك
بالصدق وفيه تنبيه على ان نتشرف بذكرك في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا
يبالي باصل الناس المشاق والالام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك او اكتب ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة
المقربين كقوله ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكروا المكر في اللغة السعي في الفساد
خفية ومناجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله من اجتماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان
المكر رايا محكما قويا مصونا عن جهات النقض والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه
الى السماء وما مكنهم من ايصال الشر اليه روي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبرئيل لا يفارقه ساعة فامر جبرئيل
ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبرئيل من تلك الروزنة وكان قد القي شبهه على غيره وكل به ليقتله غيلة فاخذ
وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل الحواريون كانوا
اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى عليه السلام فاخذوه وتابعهم على دينهم
وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته
فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال
لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل
المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا
الملك طباريس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له ططس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو
من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله
تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل
اعداءه وهم اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر عبارة عن الاحتيال في ايصال
الشر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يأول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه
عاملهم معاملة من يمكر فهو عذاب على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه غير ممتنع في
حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر يا عيسى اني
متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الآن بل ارفعك الى سمائي واصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي
مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الي وهذا القول يروى عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات
ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه نوم ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف
ورعب لخبر من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي آخذك بروحك وجسدك جميعا
ورافعك الي دفعا لوهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقيل
اجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف
محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا
يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في الكلام تقديم وتأخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى
اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله
تعالى ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة
فوجب حمل الظاهر على التأويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابراهيم اني ذاهب الى ربي وانما ذهب من العراق الى الشام
وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم او التعظيم او المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في
الارض ملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا للبشارة ما لم يتيقن الثواب والكرامة
والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الاية دلالة
على اثبات المكان له تعالى ثم انه تعالى كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين

كفروا اي من جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد
اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيامة ولعمري
انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد متبعي المسيح الذين كانوا يؤمنون
بانه عبد الله ورسوله ثم آمنوا بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في
اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القرآن دل على انه تعالى حين رفعه القى
شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد عليه بعض الملحدين اشكالات الاول انه يوجب رفع الامان عن
المحسوسات فانه اذا رايت ولدي ثم رايته ثانيا فحينئذ اجوز ان هذا الذي رايته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان آخر القي شبهه عليه و
كذا الصحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمدا انسانا آخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال
التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس واذا جوزنا وقوع الغلط في المبصرات نفتح هذا الباب
اوله سفسطة وآخره ابطال النبوات الثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في
منع اولئك اليهود وانه عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء
الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه
على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه
لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى
اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان
المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك لاشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من
اثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني وعن
الثالث ان ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور قد ازاله لانه تعالى عيسى الخاص عن معرة العالم
بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع لان اولئك كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والواسطة
وعن الخامس ما روي ان الذي القي عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلم يناصبه على انا نقول قد ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلى الله عليه
وسلم في كل ما اخبر عنه فهذه الاحتمالات لا تمنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية ثم قال ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
وفيه بشارة لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين وبين الجاحدين له وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة
وانواع المصائب والرزايا التي لا ثواب عليها والآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشيء في غير موضعه التكذيب في التصديق والعمل السيء مكان العمل وذلك لان المحبة
عبارة عن ايصال الخير اليه وهو ما اراد بكفر الكافر انه لا يوصل الثواب اليه وقالت المعتزلة المحبة والارادة واحد والمعنى انه لا يريد ظلم
الظالمين ذلك الذي سبق من نبا عيسى وغيره هو مبتدا خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما يؤل الى معنى واحد هو ذكر الشيء بعضه
على اثر بعض جعل التلاوة للملك لما كانت بامره كنتلو ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمراد بها آيات القرآن ويحتمل
ان يراد انه من الآية الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ فبقي
ان يكون من الوحي ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم القرآن وصف بصفة من هو بسببه كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى
المحكم احكمت آياته اي عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبر انه
انزل هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول
قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب
فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب اي حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه ان كلا
منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير اب وام اغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغي ان يكون اقوى
حالا من المشبه في وجه الشبه ثم فسر كيفيته آدم خلقه من تراب اي قد جسده من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس
سمي آدم لانه خلق من اديم الارض كلها احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل
انه اسم عجمي كآزر وعازر فاعل لا افعل والضمير عايد الى آدم الموجود كقولك هذا الكون اصله من الطين ثم قال له لذلك المقدر كن
فيكون وهذا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر وانما لم يقل فكان لان ما لا حكاية حال ماضية وانما تصوير للحالة العجيبة كقوله شعر

ناصرينها بلا دهش فخرت او المراد اعلم يا محمد ان ما قال له ربك فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم لتراخي الخبر عن الخبر لا لتراخي المخبر عن المخبر كقول
القائل اعطيت زيدا الفا اليوم ثم انا اعطيته امس الفين اي ثم انا اخبركم اني اعطيته امس الفين فكذا قوله خلقه من تراب اي صيره بشرا سويا
ثم انه يخبركم انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد
بكن ادخاله في الوجود قالت الحكماء وانما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة
فيها ولما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوأ الاجرام السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء
الذي هو ارق الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج مياه البحار وابقاها معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب الذي
هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا امتزاج وعلاج وخلق
البشر من التراب لا طفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء وخلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور
الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا اني خالق بشرا من طين ثم انه سلّ من الطف اجزاء الطين ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين لازب ثم يبسه وغيّر الجسد ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال
لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل
ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق
يعني الذي انبأتك من شأن عيسى لا الذي يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار او الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من
الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانباري اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا وفي هذا النهي
ترغيب له في زيادة الثبات والطمأنينة ولطف للامة وقد مر نظائره في سورة البقرة والله اعلم التأويل الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء
على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن له جنس حين خلقه واسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على
الكائنات لقوله لولاك لما خلقت الافلاك قال صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي ولمريم ان الله اصطفيك لالطافه لك ما وطهرك عن الالتفات بغيره واصطفيك على نساء العالمين لنيل درجة الكمال
وان لم يكن ذلك من شأن النساء ان الله يبشرك بكلمة حال صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة
كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة
كالعالم الكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا المقام مخصوص بالانسان الكامل المزكي بتزكية
الشريعة المرقي بتربية ارباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم اعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه تخلق
مستعد لهذا الكمال في بدو امره فهو من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من
اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني
وحدثته فاذا اشغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع وسمي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذراته ذرية لم يرده
الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرية عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان تدبيره
عليه اسم المسيح الى الممسوح وكهلا اي حالة النبوة لان بلوغ الانبياء عند كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحيته قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال
جميع الانبياء عليهم السلام ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في الارض رضيه قابل لجميع انوار
الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الايات التي هي من نتايج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد
الكاين من العناصر واحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنع عن قبول انوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة
استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمة فيظهر على النبي آيات على المعجزات وعلى الولي امارات الكرامات ولما كان روح عيسى عليه السلام
وذرته طينة المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل
انوار الصفات في بدو امره فكلم الناس في المهد ويكتب ويقرأ التورية والانجيل من غير تعلم ويحيي ويبرئ الاكمه الى غير ذلك من الايات فلما احس
عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته
نحن انصار الله امنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه
ربنا امنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطايف والحقايق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات الطافك فاكتبنا مع الشاهدين
لانوار جلالك ومكروا اي النفس وصفاتها والشياطين واتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير
الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع قهرها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك من الصفات النفسانية والسمات الحيوانية
ورافعك الى بجذبات العناية كما اسري بعبده الى قاب قوسين او ادنى ومن خواص الجذبة الربانية جنود الصفات البشرية ثم الي مرجعكم باللطف

اوالقهر

او القهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطرار عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله و
الاخرة بالقطيعة والبعد عن الله تعالى والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون انفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله ثم قال له كن فيكون هذه سنة
في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها في تكوين آدم من تراب بلا اب وام وخلق حواء منه بلا ام وخلق عيسى من ام
بلا اب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ورغما بانف من قال بالايجاب في الايجاد فلا تكن من الممترين في الكينونة قاله في الازل فما كان من المكون لا يكون

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و
بس هركه ستيزه كند با تو در كار عيسى از بس انكه امد بتو از دانش بكار عيسى بس بكوي بياييد تا خوانيم بسران مارا و
ابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل
وبسران شمارا وزنان مارا وزنان شمارا وانا را كه بمنزله نفس مانند وانا را كه بمنزله نفس شما اند بس جهد كنيم در دعا بس كردانيم
لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله
نفرين خداى بر دروغ كويان و دورى از رحمت خداى بدرستى انكه اين قصه كه بتو خوانديم سخن راست است ونيست هيچ خداى مكر خداى
وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
بدرستى خداى اوست غالب وهمواره درست كار بس اكر اعراض كنند بس بدرستى خداى داناست بحال تباه كاران
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد
بكوي اى خداوندان دانش بتوريت و انجيل بياييد سوى سخن يكسانست در ميان ما وميان شما كه نپرستيم
الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
مكر خدايرا و انباز نكردانيم بعوض ان و با سبب هيچ چيز را و نكيرد بعضى از ما بعضى را خدايان از غير خداى
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم
بس اكر اعراض كنند بس كويند كواه باشيد بانكه ما بر دين اسلام ايم اى يهود و نصارى چرا حجت ميكنيد
تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
در دين ابراهيم وحال انكه فرستاده نشد كتاب موسى و عيسى را مكر بس
افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم
از زمان او اى در نمى يابيد شما اين اكنه اين كروه حجت ميكوييد در انچه شما راست بكان دانش بس چرا
تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان
حجت ميكوييد در انچه نيست شمارا بدان دانش يعنى از ملت ابراهيم وخداى ميداند وشما نميدانيد نبست و نبود
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
ابراهيم بر ملت موسى و نه بر دين عيسى وليكن بود مايل از ملتهاى باطل بر قوانين اسلام و نه بود
من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا
از بت برستان بدرستى سزاوارترين مردم بدين ابراهيم هر اينه انانند كه متابعت نمودند او را و اين
النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل
بيغمبر و انانكه ايمان آورده اند از امت او وخداى يار مومنانست دوست داشت كروهى از يهود كه اكر
الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون
كمراه توانيد كرد شمارا وكمراه نكردانند مكر خود را و نمى دانند
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
اى خداوندان دانش بتوريت چرا كافر شويد بانشانهاى خداى وشما كواهيد بر صحت ان
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون
اى خداوندان دانش بتوريت چرا مى آميزيد صواب را و باطل و نهان مى داريد صواب را و شما مى دانيد

القراءة ها انتم بالمد وغير الهمز حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل هانتم على وزن فعلتم
الباقون بالمد والهمز الوقوف الكاذبين ه القصص الحق ج الا الله ط الحكيم ه المفسدين ه من دون الله ط لتنافي جملتي واحد

الى ابتداء شرط مسلمون ○ من بعده تعقلون ○ ليس لكم به علم ○ لا تعلمون ○ مسلما ○ المشركين ○ والذين امنوا ○ المؤمنين ○ لو يضلونكم ○ يشعرون ○
تشهدون ○ تعلمون ○ التفسير روي انه صلى الله عليه وسلم لما اورد على النصارى انه تعالى امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا
ابا القسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان
الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت
فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على
وجه الارض نصراني الى يوم القيامة ثم قالوا يا ابا القسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلوات الله عليه فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك
على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على
ذلك قال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل
الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط
الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي عليهم السلام ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم
من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحي والتنزيل فقل تعالوا هلموا والمراد المجي بالراي والعزم كما تقول
تعال نفكر في هذه المسالة وهو في الاصل تفاعل من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على التلال واعالي الجبال فكانوا ينادون تعال لي
يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجي وصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه وبات هو بنفسه
ومن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة
ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وتدعي افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله
على الكاذب منا اي لعنته ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من رحمته ومنه قولهم ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها بل هي
مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها او اخذ لبنها الا قوم بها على الدفع من نفسها فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي
وقوتي وخلاني من كلاته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعا يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم
التكرار اي ثم نجتهد في الدعا فنجعل اللعنة على الكاذب بان يسال الله ان يلعنه وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت
يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من
ساير الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما اخصه الدليل وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم
ان عليا افضل من ساير الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على
ان ذلك الغير كان علي ابن ابي طالب فاذن نفس علي هي نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من ساير الانبياء فكذا علي قال ويؤكده
ما يرويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرى ادم في علمه ونوحا في طاعته وابرهيم في خلته وموسى في قربته و
عيسى في صفوته فلينظر الى علي ابن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على
ان محمدا افضل من ساير الانبياء فكذلك انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي افضل من ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان
نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص في حق محمد فكذا في حق ساير الانبياء واما فضل اصحاب الكسا فلا شك في دلالة الاية على ذلك ولهذا
ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يجترء على تعريض اعزته
وخويصته وافلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته لما احجموا عن مباهلته
واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما فليس من قبيل المباهلة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض
نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعا ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وما
من اله الا الله هو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
الحكيم فيه جواب عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحيا ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل
يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بجميع المعلومات فاعلم ان
اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين ودنياهم ولغرضهم الفاسد

فيجازيهم باعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما اورد على نصارى نجران من الدلايل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخذلوا ورضوا
بالصغار وقبلوا الجزية امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب
يعني نصارى نجران لان الاية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القران يا حافظ كتاب الله
وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير
فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى
هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسوا هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطا النصف
وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه او المراد الى كلمة مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيه القران والتورية والانجيل وتفسير
الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة
او رفع على الخبر هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله هو المسيح واشركوا به غيره لانهم قالوا
اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح واقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا
كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين والا لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث اثبتوا
ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقا انفسهم من غير [illegible]
وبيان لانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهوى النفس ورؤية الامور من الوسايط افات من اتخذ الهه هواه ولان مذهبهم ان الكامل
في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا
انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء فان قبل
المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشتراك ايضا ضايع واذا لم يكن الحكم الا لله
وجب ان يرجع في التحريم والتحليل والانقياد والايمان الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم و
يحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت بغير القبلة فان تولوا عن
التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب لمغلوبه في جدال او صراع لزمتك الحجة فاعترف
باني انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه اعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا او
نصرانيا الا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام وانما الاسلام انما انزل بعده بزمان طويل مما بينه
وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القران اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن انما كان حنيفا وليس في الكتابين انه كان
يهوديا او نصرانيا وظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابرهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وايضا لا شك
في ان اليهود والنسخ جاءت في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى
يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد او ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة
انما اراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش ها انتم اصله ءانتم
على الاستفهام فقلبت الهمزة ها ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتكم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كانت حال هذه الشرايع في
الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين عن اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح فان قيل قولكم ابرهيم على دين الاسلام
ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان
مقررا للشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث والقول
عزير والمسيح ابنا الله الى غير ذلك من قبايح اضالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع
موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع
روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة واستقرت بهم
الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا
ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا اموالا واهدوها الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده
من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي ارائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا

الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هولاء القوم
الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب
بارضنا لا يدخل احد منا عليهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد دينك وملكك و
فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة
عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصايح فليعد كلامه ففعل جعفر
فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساهما ذلك
ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها
من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها
الله لنا وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر
انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين
فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص
منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال
عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمنا نحن فبعثنا
الينا قومهم لندفعهم اليهم فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي تبعتموه اصدقني قال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره
كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر
لقد تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من امن به
فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرا علينا كتاب الله ويامر بالمعروف
وينهى عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي شيئا مما يقرا عليكم فقرا عليهم سورتي
العنكبوت والروم ففاضت عين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو
ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما يقولون في عيسى وامه فقرا جعفر عليهم سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع
النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم
بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب
ابرهيم قال هولاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم في دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو و
اصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير
دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابرهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله ان اولى
الناس بابرهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا في اخر الزمان والله ولي المومنين
بالنصر والتاييد والتوفيق والتسديد ومعنى اولى الناس احقهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في
اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي خليل ربي ابرهيم ثم قرا ان
اولى الناس الاية ثم بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المومنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة
وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرناه في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال
او وما يقدرون على اضلال المومنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المومنين ثم وبخهم على قبائح
افعالهم بطريق الاستفهام فقال لم تكفرون بايات الله قيل اي بالتورية والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد وان ابرهيم كان حنيفا
مسلما وان الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتورية والانجيل اما الكفر بما يدلان عليه فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول
او الكفر بنفس التورية لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وانتم تشهدون
انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التورية والانجيل على نعت محمد واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها
وعلى هذا فيكون في الاية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل بايات الله في القران وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل بايات الله جملة
المعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم يعني تشهدون انكم تعرفون بدلالة المعجز على صدق المدعي ثم وبخهم على الغواية اردفه
التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلايل وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد
حرفوا التورية فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس انهم هموا بالاسلام اول النهار ثم رجعوا عنه في اخره تشكيكا للناس وقيل انه في

الكتاب ما يدل على نبوة محمد والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القران فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالاخر كما
يفعله كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان شرع موسى حق ثم ان التورية دلت على انه لا ينسخ وذلك
القاء الشبهات واما كتمان الحق فهو ان الايات الدالة في التورية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر
والتامل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعله المبتدعة في زماننا وانتم تعلمون انكم انما تفعلون
ذلك عنادا وحسدا او تعلمون انكم من اهل العلم او تعلمون حقيتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم الله حسبي وعليه التكلان

وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا
و گفتند گروهی از خداوندان کتاب ایمان آرید بدانچه فرستاده آمد بر آنکه ایمان آوردند
وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع
عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل
الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا
يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في
الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من
اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم و
ان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
ويقولون هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا

الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون

فرشتگان را و پیغمبران را خدایان آیا فرماید شما را بکافر بودن پس از آنکه شما مسلمان باشید

القراءة

ان يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤدي ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل و عباس وسهل وزيد عن يعقوب وقراءة ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو وفي رواية اليزيدي طريق ابي ايوب الهاشمي بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر بحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد عن المفضل وقراءة ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب

الوقوف

يرجعون ه للعطف دينكم ط هدى الله لا لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرأ ان يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم ط بيد الله ط لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعله عائدا الى الله من يشاء ط عليم ط لاحتمال الاستئناف والصفة من يشاء ط العظيم ه اليك الاولى لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل لان الواو للاستئناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون ه المتقين ه يزكيهم ص اليم ه وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون ه تدرسون لا لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون ه

التفسير

هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل ان يراد كل ما انزل عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل فقول الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء ومنه وجه الثوب لاوله ما يبدو منه وروى ثعلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد للربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا يندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار فعنى الشاعر ان من كان مسرورا فليأت تنغيظا ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب وقد تفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل والبحث التام انه كذاب فيكون هذا الطريق تشكيكا لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال ابو مسلم يعني وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم فيرجعوا عن دين الاسلام والرغبة فيه فقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلاة الصبح وآخره صلاة الظهر وتقريره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلاة الظهر قال كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلاة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك وازعا لهم وفيه ايضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى آخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فههنا احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عدت الاية من المواضع المشكلة واما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ وكذا الامر الحق في هذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى الان اي من اجل ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعدد ذنوبه عليه وقد احسن اليه امن قلة الاحسان اليك امن اهانتي لك والمعنى امن هذا فعلت ما فعلت ومن ذلك ونظيره قوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم

ولا تؤمنوا

ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الا نبيا يقرر شرايع التوراة فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التوراة فلا تصدقوه وهذا هو مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل ان يقال المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم فقيل للنبي قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل بالايتاء عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربهم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لم يؤمنوا به ثبت لهم حجة واما من لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير لما كما سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والخبر قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى وتم الكلام محذوف اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول لفعل محذوف وهو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له ان يؤتيه ما يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى ما اوتيتموه او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بيان ويضمر لا بعد ان مثل ان تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الآخرة لانه يظهر لهم في الآخرة انكم محقون وانهم ضالون واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود فقوله قل ان الهدى هدى الله هو الهدى جملة معترضة ومعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف اراد اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتاب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك فلم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم اي سترتكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكدا للاعتراض الاول وهو اعتراض اخر حسن بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم كان اعظم من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا عند خواصكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله عندما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة آمنت بالله او لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كمال هدايته وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكم والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه يؤيده قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله وان لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح ومواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما اتيتكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى اعم واجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما آتاهم بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فانهم كانوا

المستقبحة في جميع الاديان ونقض للكذب والعهد على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الاية فيها دلالة على انقسامهم قسمين اهل
للامانة واهل للخيانة فقيل ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من
خالفهم في الدين واخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس
من ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار هو فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هي فيمن يوتي كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه
ثقة بالله توكلا عليه واكتفاء به وفيمن يحرص بالدنيا فيكون همته مقصورة عليها معرضا عمن سواها غير مؤد حقوقها ويقال امنته بكذا وعلى كذا فمعنى
الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة
الى التعيين واما الاقوال فيه فقد مرت في اوايل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار و
الدينار العين والدين لان الانسان يأتمن على غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الاية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس
انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقل عنه ايضا انها نزلت في
الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا
معه ملازما اياه فان انظرته واخرت انكر ومنهم من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان الطالب للحق
يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى امة قائمة اي عاملة بامر الله غير تاركة له وقال ابو علي الفارسي القيام في اللغة الدوام والثبات و
منه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده
بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال العرب سبيل للخطاب والعتاب اما لانهم بالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف
اخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا
اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا
تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلاجرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون من هذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة ويعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن
ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة فنقول ليس علينا في ذلك بأس قال
هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام
ههنا لانه اثبات لما نفي قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استيناف قال غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس علينا
جناح قائم مقام قوله نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقوى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه ان
اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء ولو انهم اوفوا بالعهود واوفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذ الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي آخر
الزمان وهو محمد عليه صلوات الرحمن ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قام مقام الضمير العايد الى المبتدأ
والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الاية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم الاخلاق
فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتميمها ومن نهاحتى ياتي بها على وجه الكمال
من غير شايبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين او الموفين المتقين
فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة لا تتمشى فيها الا بالايمان الكاذبة غالبا لاجرم اردفها بالوعيد عليها
وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في اموال الناس والخيانة فيها فلاجرم قال ان الذين يشترون الاية فاختلفت الروايات
في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الايات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والرواية هذه قال عكرمة نزلت في ابي
رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا
بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم
سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا فقالوا فانا
نشهد انه عبد الله ورسوله فقال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عليكم فقالوا فانه شبه
لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسايلوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه
اذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت
عن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال

من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الاية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد
اعطي بها ما لم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهد الله مواثيقه واليمين هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر اسم الله تع
او صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة
انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة
ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقربة وقوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الالام وضروب
الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك لسخطه عليه
وقد يأمر بحجبه عنه ويقول لا اكلمه ولا اري وجهه واذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل قال في الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم
تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه فمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار
عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر
وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئي
التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الاية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية
والا لزم من هذه الاية ان لا يكون الله تعالى رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر المعهود وهو الذي سيخص الله تعالى به اولياءه
من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم من نفي رؤية يراه
العباد دايما وقتئذ نفي رؤية لا يرونه حينئذ وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية
وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب قال القفال معناه ان يعمدوا
الى اللفظ فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب
فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وقال الكشاف
اي يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف اقول وذلك ان لي اللسان شبيه بالتشدق والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله تعالى عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل
بلي اللسان ذما لهم وتقبيحا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي دل عليه يلوون
ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله
وما هو من عند الله نفي اولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه النفي العام ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس من سنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق
عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من احكام المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب
ساير الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خائفين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية
فان وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب ساير الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها فالذين
اقدموا على ذلك يجب ان يكونوا طايفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان بمعنى تشويش دلالة تلك الايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحققون باية من كتاب الله تعالى لم يبعد
اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالاية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والا صدق اليهود في قولهم هو من عند
الله لكن الله كذبهم والغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله وبخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله او هو حكم من احكامه
فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما في الاية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم
زعموا ان عيسى كان يدعي الالهية ويأمر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الاية وقيل ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد
من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله
فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد
لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم ان الله
ان كان الامر كما ذكرتم وجب ان لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الاية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك لمنعهم الله منه نظيره
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي
تبليغ الاحكام عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على صدقه والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات لا
يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول تنزيل الكتاب السماوي عليه والحكم

ومو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه ماموراً بتبليغ ما فهم الى الخلق وما احسن هذا الترتيب واذا كان
كاملاً بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله مثل هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى امره صرف القلوب والارواح
من الخلق الى الحق فكيف يفعل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عباداً لي من دون الله انه يحرم عليه هذا الكلام
لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلاً
له ان فلاناً لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذباً له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان لله ان يتخذ من ولد على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على
وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي ان يغل ومعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن
كونوا ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالماً به ومواظباً على طاعته كما يقول رجل الهي اذا كان
مقبلاً على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني
للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس
بتعليمهم واصلاحهم والقيام بامورهم والالف والنون كما في ريان وعطشان للمبالغة لا لحال النسبة والربانيون بهذا التفسير يشمل الولاة ايضاً
قال القفال يحتمل ان يكون الوالي يسمى ربانياً لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الاية ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكاً وعلماء
باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية وسواء
كانت عربية او عبرية تدل على الانسان الذي علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس
اليوم مات رباني هذه الامة والباء في قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم او العلم على القراءتين فيعلم منه ان التعليم
او العلم والدراسة وهي القراءة توجب على صاحبها كونه ربانياً والسبب لا محالة مغاير للسبب فهذا يقتضي ان يكون كونه ربانياً امراً مغايراً
لكونه عالماً ومعلماً ومواظباً على قراءة العلم وما ذلك الا بان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة
لا لهذا الغرض خاب وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعاً وكان مثله كمن غرس شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع وفي الاية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء تامل تفهم باذن الله
تعالى ولا يامركم ومن قرا بالنصب فوجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد النفي المتقدم اي ما ينبغي لبشر ان نصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص
الله بالعبادة ثم يخالفه الى ان يامر الناس بعبادة نفسه ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا
يستخفني وثانيهما ان يكون حرف النفي زائداً فيرجع المعنى الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود
واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فحيث قالوا له انتخذك رباً قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن
عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين غيره كانه اخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرا بالرفع على
الاستيناف وظاهر ويتضح قراءة عبد الله بن مسعود ولن يامركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد وقال لعيسى وانما
خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح ايامركم اي البشر وقيل الله بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اي انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يسجدوا له قلت وضع الشيء ابتداء اسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون المراد ما ذكر ولا يعقل ان يامر
النبي امته بعبادة نفسه اولاً ما استثني فكيف يعقل ان يامرهم بذلك بعد العلم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى والايمان الله حسبي

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ
أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ
إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا
وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ

القراءة لما بكسر اللام حمزة والخراز الباقون بفتحها آتينا على صيغة جمع المتكلم ابو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بياء
الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنياً للمفعول ابو عمرو وغيره عباس وقرا عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرا يعقوب يبغون بياء
التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنياً للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمز الارض بغير الهمز روى البخاري عن ورش وروى الاصفهاني عنه
بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما **الوقوف** ولتنصرنه ط اصري ط اقررنا ط الشاهدين ه الفاسقون ه يرجعون ه من ربهم ص منهم ز
مسلمون ه منه ج للعطف المختلفين الخاسرين ه البينات ط الظالمين ه اجمعين لا فيها ج ينظرون ه للاستثناء رحيم توبتهم ج الضالون افتدى
به ط ناصرين ه **التفسير** الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعاً لاعذارهم
واظهاراً لعنادهم من جملتها اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن واذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب و
اضافة الميثاق الى النبيين اما ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد كما يقول ميثاق الله وعهد الله **اما الاحتمال الاول** ففيه ما يشعر به
ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والماخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن علي رضي
عنه انه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما روي انه صلى
الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهم
انهم لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والا فالميت لا يكون مكلفاً وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف
او انه النبيين فقد عد كثيراً في القرآن لفظ الامر ويراد به النبي كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم وقيل النبيون اهل الكتاب وقد ورد
على زعمهم تهكماً بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة ابي وابن مسعود واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب **واما الاحتمال الثاني** فالمعنى عليه ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد
عليه السلام فانه يجب عليهم ان يؤمنوا ويؤكده انه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا قوماً فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق

بالام ويروى عن ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرءون واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرا واذ اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما اتيتكم من قرا بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن به واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في اتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما اتيتكم والتقدير للذي اتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط ان يقال اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وما هي المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا الايمان والنصرة فلا جرم في هذا المقام ان يجعل المذكور جواب القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط يكون مستغنى عنه لان جواب القسم يسد مسده ومن قرا بكسر اللام للتعليل ففيه ايضا وجهان احدهما ان تكون ما مصدرية اي اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ولمجيء رسول موافق لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الانبياء وثانيهما ان يكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل اصله لمن ما اي لمن اجل ما اتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذف احدها للتخفيف فهو لما بمعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراءات قيل لا بد من اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما اتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار فكانه قيل واذ اخذت او اخذنا ولما في اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع اخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف اشرفهم والكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم او جعل الداعي الى الكتاب والى العمل به كالذي انزل عليه الكتاب ومن للبيان والتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم معناه اي في زمانكم وان كان المراد من النبيين اولادهم او امهم فلا اشكال والمراد تصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرايع فاما تفاصيلها وان وقع الخلاف فيها فذلك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق في زمان محمد ليس الا شرعه ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد اما ما ذكرنا او ان نعته وصفته واحواله مذكورة في الكتب المقدسة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم فالظاهر ان المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم وقيل يحتمل ان يكون الميثاق اشارة الى ما ركز في عقولهم من الدلايل الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته في كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت احواله مطابقة لما جاء في الكتب الالهية وجب الانقياد له وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم وامهم او ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجيء في زمان الماضي فيكون معنى الاية ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول قد جاء قبله موافقا لما معه وينصر دينه بان يظهر حقيقته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقايد وفي قواعد مكارم الاخلاق فيكون هذه الاية تمهيدا لما يجيء بعد من قوله قل امنا بالله الاية قال الله تعالى لكل نبي ولامته مستفهما بمعنى الامر اقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم بما قلتم على ذلك اصري عهدي والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها عدل اي لا يقبل وياخذ الصدقات اي يقبلها سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار قوله وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا اشهاد الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به واصله ان الشاهد هو الذي يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالمشاهد للشيء المعاين له او يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله يبغون ويحتمل ان يراد اتتولون فغير دين الله تبغون ويحتمل ان يراد اتتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرا بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب في اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرا بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل افيبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فايدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما

بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يمكن لكفرهم سبب الا تمردهم عن قضية العقل وكيف لا وقد اخلص له الانقياد وخص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فهو لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدره في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا ونظير الاية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد عن الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال الا انهما من جنس الفعل اي طايعين وكارهين كقولك اتاني ركضا اي راكضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون منقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره واما الكافرون فينقادون في الدين كرها اي خوفا من السيف او عند الموت او عند نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض اقول وذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره بلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون اي الى حيث لا مالك سواه ظاهرا او باطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق كل رسول كان قبله امر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية امتثاله اما وحد الضمير في قل فظاهر بناء على ما قلنا واما وجه الجمع في امنا فلتشريف امته بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن الايمان او ليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن بالله وملائكته او للاجلال تقديرا حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقايد ثم ذكر الايمان بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة اهلها الا بالفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا وزعموا انهم ليس من الدين في شيء حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد اخذ الميثاق على محمد بان يؤمن بكل رسول قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجوز ان يعدى بانزل على تارة كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القران باعتبارين جميعا وقيل عدي هنالك بالى لكان قولوا فان الوحي ياتي الامة بطريق الانتهاء وعدي ههنا بعلى لكان قل فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الاستعلاء وزيف في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القايل لم يدع ان هذه المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع وانما ادعى اعتبارها في الموضعين ليصلح جهة التخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فايدة تقديم الجار ان يعلم ان هذه المناسبة يجب الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شيء اخر من طلب المال والجاه كاحبار اليهود الذين يشترون بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شيء ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الاخرة من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكباير عند المعتزلة وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد به الاقرار باللسان فالفرق بينهما على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد تارك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية اخرى انها نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة واخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التايب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملها اليه رجل من قومه فقراها عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله لاصدق منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الاية ان اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلايل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لا يهدي هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشيء اخر سوى نصب الدلايل قالوا فالمراد بهذه الهداية منح الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد مرت السنة في باب التكليف وفي دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى

قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي الله قوما احتجبوا بالصفات الانسانية و
الطبايع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل اذ هو في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز
ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الاية يؤل الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان
وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره وبعد ما جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القران وغيره لكن الشهادة
هو الاقرار باللسان فيكون من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغاير المعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين الشي في غير
موضعه وذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات يوجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في اخر الزمان لا الكفر والعناد
وفيه دليل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح في اخر الاية بانه لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الاية ثم ارده بغاية الوعيد
قايلا اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع
دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم
مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور في
الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفر وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب
امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر
عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليظاتهم وقيل ان اليهود كانوا امنوا بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران و
هذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون
وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول التوبة
المرتدين وحكم في هذه الاية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم
قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل هو محمول على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضي والقفال
وابن الانباري هي من تمة قوله الا الذين تابوا انه يريد انه لو كفر بعد التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة عن تلك الزيادة لا
تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه اولا ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود و
المرتدين المصرين على الكفر مايتون على الكفر لما في علمهم من قساوة القلوب والافضاء الى الرين والانجرار الى الموت على حالة الكفر و
فايدة هذه الكناية تصوير كونهم ايسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما يحمل
الموت على حالة الكفر وفايدة هذه الكناية تصوير كونهم ايسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم
فنقول انما لم يحمل الموت على الكفر لان ازديادكم الكفر لان القضية حينئذ لا تكون كلية فكم من مرتد او يهودي مزداد للكفر لا
بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفي بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى يرد الكلام في معرض الكناية
ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لا بد للعدول من فايدة فصح ان يبين فايدة العدول على وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شان
اولئك المفرقين من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف
لاجل الياس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مخففهم ان لا
تقبل توبتهم واولئك هم الضالون الكاملون في الضلال لضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم
الانابة واعلم ان الكافر على ثلثة اقسام الاول الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سبق لاجله الاية التي ردفها الاستثناء والثاني
الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه والثالث الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الاية الاخيرة
وملء الشي قدر ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وهو بما يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما الا انه يكون مبهما كقولك عندي عشرون
عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل ان يعلم ان الكلام مبني على الشرط والجزاء واما ترك الفا
في الاية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا
عن تخصيص كل موضع بما خص به فبماذا يجيبون ولعل عقيدتهم في امثال هذه المواضع انها من الاسولة المغلقة وعندي ان السر في تخصيص هذه
الاية لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للتندم وتغليظا في الوعيد الله اعلم اما الواو في قوله
ولو افتدى به فانها تشبيه عطف الشي على نفسه كما لكن فلهذا كثر اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري انها للعطف و
التقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فا

اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية
فاذا لم يقبلوا الفدية كان غاية الغضب ونهايته التسخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل فلن
يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اي مثل ضربه ابو يوسف وابو حنيفة تريد مثله كانه
يراد في قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في اغلب الامور فكانا في حكم شي واحد فان قيل من
المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيامة شيا وبتقدير ان يملك فلا يقع في الذهب هناك نفع فما فايدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض
والتقدير والذهب كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان في بذله نفعا
للاخذ وان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب ربه ثم صرح بعقابهم ونفي من يشفع لهم فقال اولئك
لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال ———— اهل التحقيق وماتوا اي ماتت قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم موت القلب
وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين من احياء القلب بنور المعرفة الله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به
هرگز نیابید حقیقت نیکی را تا نفقه نکنید برای خدا از آنچه دوست میدارید و آنچه نفقه کنید از هر چیزی پس بدرستی خدای
عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
داناست بحال آن همه طعامها بوده حلال مر پسران یعقوب را مگر آنچه حرام گردانید یعقوب
على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان
بر خود از گوشت و شیر شتر پیش که فرو فرستند توریت را بگو پس بیارید توریت را پس بخوانید آنرا
كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
اگر هستید شما راست گویان پس هر که از خود بستاید بر خدای دروغ را از آن پس بیان کردیم
فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما
پس آن گروه ایشان اند ستمکاران بگو راست گفت خدای پس پیروی کنید دین ابراهیم را حال آنکه مایلست از ملتهای
كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
باطل و نبود از اهل شرک بدرستی نخست خانه که نهاده شد برای عبادت مر جای مردمان هر آینه که بمکه است حال آنکه
وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان
با خیر و بارست و راه نمونی مر جهانیانرا در آن خانه است نشانهای روشن قدرت جایگاهی که نشان پای ابراهیم و هر که در آید در آن
امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر
باشد ایمن و مر خدایرا بر مردمان قصد زیارت کعبه هر که تواند راهی بسوی آن خانه بوجدان زاد و راحله و هر که کافر شود
فان الله غني عن العالمين قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات
پس بدرستی خدای بی نیازست از طاعت جهانیان بگو ای خداوندان دانش توریت و انجیل چرا انکار میکنید قرآنرا با معجزات
الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن
خدای و خدای گواه حاضرست بر آنچه میکنید شما بگو ای خداوندان نامه آسمانی چرا باز میدارید از
سبيل الله وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان
دین خدای راستی آن و خدای آگاهست از آنچه میکنید ای آنانکه ایمان آوردند
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
اگر فرمان برید گروهی را از آنکه دادند ایشانرا توریت و انجیل باز گردانید شما را پس از ایمان آوردن
كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
شما حال آنکه کافر باشید و چگونه کافر شید و حال آنکه میخوانند بر شما

ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم

[illegible] ٥ [illegible] ٥ [illegible] ٥ [illegible]

القراءة ان نزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف الجزء الرابع يحبون ط عليم ط التورية ط صادقين ط الظالمون ه حنيفا ط المشركين ه للعالمين ه لان ما بعده يصلح حالا واستينافا ابرهيم ج للابتداء بالشرط مع الواو ولان الامن من الايات امنا ط سبيلا ط العالمين ه بايات الله قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون ه شهداء ط تعملون ه كافرين ه رسوله ط لتناهي الاستفهام الي الشرط مستقيم ه التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به في الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة انه سبحانه وتعالي سمي جوامع خصال الخير برا في قوله تعالي لكن البر من امن بالله الاية وذكر في هذه الاية لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون فالمعني انكم وان اتيتم بالخيرات لن تفوزوا باجزاء خصلة البر ولن تبلغوا حقيقتها حتي يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله يروي انها لما نزلت جاءت ابو طلحة فقال يا رسول الله حائط لي بالمدينة يعني بيرحي وهو احب اموالي الي صدقة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح واني اري ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي بن كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الاية بفرس كان له يحبه وجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة فوجد زيد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الي ابي موسي الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مداين كسري فلما راها اعجبته فقال ان الله تعالي يقول لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما انما يصيرون ابرارا ليدخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم فيكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من امن وجعلها التقوي لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وثانيهما الجنة اي لن تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالي ان تبروا وتقسطوا ومن في قوله تعالي مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالي وانه لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام علي حبه ويؤثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو طيب المال وارفعها كما روي عن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتي تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب علي المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن هو كل ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في شيء للبين يعني اي شيء كان طيب او خبيث فان الله به عليم فمجازيكم بحسبه او يعلم الوجه الذي لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلايل الدالة علي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة علي اهل الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة للقوم وتقريره ذلك من وجوه الاول انهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلي الله عليه وسلم علي انكار النسخ فاورد عليهم ان الطعام الذي حرمه اسرائيل علي نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلي اولاده وطعن النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان ذلك كان حراما من لدن ادم ولم يحدث نسخ فامر النبي صلي الله عليه وسلم بان يطالبهم باحضار التورية التي يشهد ان ما قالوه وتفضيحا ودلالة علي صحة نبوة محمد لانه كان اميا فامتنع ان يعرف هذه المسالة الغامضة من علوم التورية الا بخبر السماء الثاني ان اليهود قالوا له انك تدعي انك علي ملة ابرهيم فكيف تاكل لحوم الابل والبانها وقد كانا حراما في دين ابرهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابرهيم واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه علي نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامرهم بالرجوع الي التورية الثالث لما نزل قوله تعالي فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الي غير ذلك من الايات الدالة

علي انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم علي بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمازوا واشمعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وعيرهم ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه هي وما هي الا محرمة قديم فنزلت كل الطعام اي المطعومات كلها لدلالة كل علي العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلي بالالف واللام يفيد العموم اولا والطعام اسم لكل ما يطعم ويحكي عن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم للبر خاصة ويرد عليه ان المستثني في الاية عن الطعام كان شيئا سوي الحنطة وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحا لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود في وقت نبينا انها كانت محرمة علي ابرهيم صلوات الرحمن عليها وعلي هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل وكذا استوي فيه الواحد والجمع قال تعالي لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل علي نفسه فروي ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر انه شفاه الله لا ياكل الطعام شيئا من العروق وجاء في بعض الروايات ان الذي حرمه علي نفسه زوايد الكبد والشحم الا ما علي الظهر وههنا سوال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالي فكيف صار تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله وابتداء وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المراة والجارية وايضا الاجتهاد جايز علي الانبياء لعموم فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فلا يلزم ان يكون للانبياء منها نصيب اوفر لا سيما وعلو فهمهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفي وتوفيق الله وتسديده معهم اوفر ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم علي الامة مخالفتهم في ذلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه الله علي اسرائيل فلما اضاف الي اسرائيل دل علي انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الي هذه الملذة الانواع فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالي ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعني قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا الي اخر الاية ثم ان القوم نازعوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فامروا بالرجوع الي كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا علي اخراج التورية وبهتوا فلزمت الحجة عليهم وظهر اعجاز النبي صلي الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قيل فمن افتري علي الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم ولا نفسهم ولمن يقتدي بهم من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبهة الثلث وفيه تعريض بكذبهم فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي التي محمد ومن تبعه حتي تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجاتكم الي تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات التي احلت لابرهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه علي ان محمدا صلي الله عليه وسلم علي دين ابرهيم صلوات الرحمن عليه في الفروع لما ثبت ان الذي حكم بحله حكم ابرهيم بحله في الاصول لان محمدا وابرهيم كليهما صلوات الله عليهما لا يدعوان الا الي التوحيد والبراءة عن كل معبود سوي الله تعالي خلاف اليهود وخلاف عبدة الاوثان والكواكب وقوله سبحانه ان اول بيت قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخري لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الي الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وقيل ان الاية متقدمة سبقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الي الكعبة وقيل ما انجر الكلام في الاية المتقدمة فاتبعوا ملة ابرهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصاري انه علي ملة ابرهيم فبين الله تعالي ما يدل علي كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابرهيم واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق ولو اشتري في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعني كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا

وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كونه اول تقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم
من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول
بيت وضع للناس يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يراد انه اول في الوضع وان كان متاخرا في البناء فلا جرم
حصل فيه للمفسرين قولان الاول انه اول في بنائه ووضعه جميعا وروى الواحدي رحمه الله تعالى في البسيط باسناده
عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق
شيئا من الارض بالفي سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليهم السلام عن ابائه فقال ان الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في
الارض ان يطوفوا كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق ادم وقد ورد في كتب سائر التفسير عن عبد الله بن عمر و
مجاهد والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله تعالى قبل الارض بالفي عام وكان
زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابرهيم ثلثه صفوح منها كتاب في
الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي
الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو
بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول لما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها و
لانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في اديان جميع الانبياء وايضا
قال تعالى في سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم الى قوله خروا سجدا والسجدة فلا بد لها من قبلة فلو كان
قبلتهم غير الكعبة لم يكن اول بيت وضع للناس هذا محال لخلف الثاني روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما فقال اربعون سنة قال علي كرم الله وجهه ان رجلا قال له اول بيت
قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركه واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر
هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير لاولية البناء في هذا المقصود الا ان الارجح ثبوت الاولية
ايضا كما روينا انفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار فمن فضائل البيت ان الامر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبريل
وبانيه ابرهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات و
الطاعات ومنها مقام ابرهيم كما يجي ومنها قلة ما يجتمع من الحصى والجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسمائة
الف انسان كل واحد منهم سبعون حصاه ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي
يرمى اليه مسيل ماء ومهب رياح شديدة وقد جاء في الاثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت جمراته الى السماء ومنها ان الطيور
تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوان المضادة في الطباع لا يؤذي بعضها
كالكلاب والظباء ومنها ان سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم الكعبة وخرب مكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه
بخت نصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجي في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه تعالى وصفها بواد غير ذي زرع
لفوايد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كذلك يجبى اليه
ثمرات كل شيء وذلك بدعوة خليله ابرهيم صلوات الرحمن عليه وانه من اعظم الايات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة
لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع الشريف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود ارباب الهمم
الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل ياتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى اظهر بذلك شرف الفقر
حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا فكما لا اجعل
كعبة المعرفة الا في قلب اهل البلد الامين لاجعلهم في الاخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة الا في موضع
خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا الذي بكة قال في الكشاف وهي علم للبلد
الحرام ومكة وبكة لغتان كراتب وراتم وضربة لازم ولازب مما تعتقب فيه الميم والباء لتقاربهما في مخرجيهما وقيل بكة البلد و
بكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما الاشتقاق فبكة من قولهم بكه اذا زحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير

سميت بكة لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول بن محمد علي الباقر ومجاهد وقتاده وقال بعضهم رايت محمد بن علي
الباقر يصلي فمرت امراة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا يمر المرء بين الرجل وهو يصلي
والرجل بين يدي المراة وهي تصلي ولا باس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هناك
وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الاية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشي لا يكون مظروفا لنفسه وقيل
سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم تقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما مكة فاشتقاقها من قولك امتك
الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقطر او لقلة مائها كان
ارضها امتصها او قيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف
البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل
فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شي ثبت ودام فقد برك و
منه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال البيت
مبارك لما يحصل من حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلوة في
مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل
في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعمري انها غير محصوره
كالدواير المحيطة بالمركز ولا شك انه يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم
نورانية وضمايرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة
الحسية اتصلت انوارهم او لتلك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال رحمه الله تعالى يجوز
ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شي فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة
بالدوام فلا شك انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل ان يفرض فانه
صبح لقوم وظهر لاخرين وعصر لغيرهم او مغرب او عشاء فلا يخلوا الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على
هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق
محمد صلى الله عليه وسلم بما فيه من الايات والاعاجيب او لانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج
وجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فيه ايات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددنا من بعض فضايله ويكون قوله
مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكانه قيل فيه ايات بينات ومع ذلك فهو مقام ابرهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله
فيه وقال الاكثرون ان الايات بيانه وتفسيره قوله مقام ابرهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لانه معجز رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكل معجز ففيه دليل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته وحيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات
فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابرهيم كان امة واما بان يجعل المقام مشتملا على ايات لان اثر القدم
في الصخرة الصماء اية والانه بعض الصخرة دون بعض اية فابقاء هذا الاثر دون اثار سائر الانبياء اية لابرهيم خاصة وحفظه
مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين الاية قال الزجاج ومن دخله كان امنا من تتمة تفسير
الايات وهذه الجملة وان كانت من مبتدا وخبر او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه ايات
بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا كان معناه فيه اية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني
على ان الاثنين جمع كما قال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القران هذان خصمان وقيل ذكر ايتان وطوى ذكر
غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابرهيم وامن
من دخله ولله على الناس حج البيت وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقامات ابرهيم وهي ما اقامه من المناسك فالمراد بالايات
شعائر الله الحج وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد قال في الكشاف وفيه
تاكيد لكون مقام ابرهيم وحده بيانا واما حديث امن من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا

وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرة مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجون بها وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت جهنم منه مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضايل البيت اردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة حجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز ان ينوي الاستيناف بمن والجزاء او الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه و التقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هو امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم المؤمن لا يصلح معارضا و مخصصا لهذا العموم لان الدهري يكلف بالايمان بمحمد صلى الله عليه مع ان الايمان بالله الذي هو شرط صحة الايمان بمحمد صلى غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالاية على ان الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق واجابت الاشاعرة بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصوله وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون بالتكليف به فايدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحتج لما روي عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام اقرع بن حابس فقال افي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع فقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد هو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز وحينئذ يحجهما لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بامراة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر وعن جابر قال حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زايد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كساير العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كساير العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زايدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم ايما صبي حج الاسلام وايما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج كما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة لوجوب حجة الاسلام شرط زايد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالاية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرته بنفسه و استطاعة تحصيله بغيره **الاول** يتعلق بامور اربعة **الاول** الراحلة والناس قسمان **الاول** من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة او يلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد شريكا يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا **الثاني** من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة او معها ومع المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل او باجرة المثل وكذا في المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجود المتعلق **الثاني** الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في سفره مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل او عشيرة يحج اليهم او لا يحب الوطن من الايتيان وكذا الراحلة للاياب واجرة البدرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودايع ونفقة من يلزمه نفقتهم حينئذ بالعود وبعد مؤنة النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق

به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له راس مال يتجر فيه وينفق من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات ترتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال ولا عبرة بخوف الفقر في الاستقبال المتعلق **الرابع** الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع او عدو والامن على المال من عدو او رصدي وان رضي بشيء يسير والامن على البضع للمراة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف الدابة **الخامس** البدن و يشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قايد وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرايط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة اهل بلده بالخروج فيه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي لكنه ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال مالك واحمد وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة واخر النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما **السادس** فهو استطاعة الاستنابة وانها جايزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت او الكبر او لزمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله تعالى فهو احق بالقضاء وعنه ان امراة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة فاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفرقة الزكوة وعند ابي حنيفة واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو كان استاجر كان ثواب النفقة للامر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني واعطيك نفقتك وهذا جايز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان يكون معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس اي حق واجب له عليهم لكونه الها يجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها ايراد الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد نظيره قوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه او فاني وانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد عام في كل من كفر لا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود قالوا ان الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تاكيد امر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه اي يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي ما امهلوا بعقوبتهم ويستاصلوا ثم انه سبحانه لام اهل الكتاب في الخطاب فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد بعد ظهور البينات ووضوح الشبهات او بعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته ودلالتها على نبوة محمد ثم انه لما كفر انكر عليهم في ضلالتهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من آمن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله

القاء الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكاران نعت محمد في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكذم
او بتذكير ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله ومحل تبغونها عوجا اي عوجا نصب على الحال او بدل
وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة
ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام
مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام فالتقدير تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي
صدت لك ظبيا والضمير عايد الى السبيل وانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم
ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا ليس بذلك المنعوت في كتابنا او المراد انكم تبغون انفسكم
في اخفاء الحق واخفاء ما لا ياتي لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا لا بمعنى ذا عوج وذلك انهم
كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها
الا ضال مضل قاله ابن عباس وانتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او انتم شهداء بين اهل
دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على
الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم اوعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد انكر
طريقته لا يخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان
ذلك فيما اظهروه من الكفر بنبوة محمد وهذا فيما اضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبه في تكرير الخطاب في الاية بقوله
يا اهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال و
الاضلال وعن عكرمة ويروى عن زيد بن اسلم وجابر ايضا ان شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان
بينهم في الجاهلية من العداوة قال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث ويوم
اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم
القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن
صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا و
قالوا فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا
عليها في الجاهلية واصطفوا الى القتال فنزلت يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
الايات فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقراءها ورفع صوته فلما سمعوا صوته انصتوا له وجعلوا يستمعون فلما
فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن معه
من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا
وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل بالايات قال جابر بن
عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا فما كان شخص
احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رايت يوما اقبح ولا اوحش اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون
استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول غضة في
كل واقعة وبين اظهركم رسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر
فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا في كل ما يعن لكم الى الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي فان كان قد مضى الى
رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر ايضا
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اني فيكم تارك الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء
ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وعنايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيامة
ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه او يلتجي اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى

صراط مستقيم والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة اما المعتزلة فتحت لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله وهدايته
بل قالوا انه بفعل العبد وتاولوا الاية بان المراد بالهداية الزيادة في الالطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال
في الكشاف فقد هدي اي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه
حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده التاويل لن تنالوا البر
وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم ان الفراش لا ينال من نور الشمع وهو شعلته حتى ينفق مما احبه وهو نفسه
كل الطعام كان حلا الخلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي
وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلين وغذاؤه لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة
والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اصناف اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته
حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو الذكر وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه و
قوي روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلالا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه
بموت النفس وحيوة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله
في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا ملة ابرهيم وكانت ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان و
تسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع للناس لا لله لانه غني عن العالمين
وان انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا عليه وهدى يهتدي به
جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح له واتسع فيه يسمع ويبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه
يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابرهيم
وهو الخلة التي يوصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد ورضا خليله كان آمنا من نار
القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد
شرائط السلوك وامكانه وآداب السير واركانه منها الاحرام بالخروج من الرسوم والعادات والتجرد عن الطيبات والمالوفات
والتطهير عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات والمالوفات و
منها الوقوف بالعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف
بالخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة
الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وترسانة المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا
يتعرض لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله
غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما هم يستكملون منه قل يا اهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء
الذين يبيعون دينهم بدنياهم لا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن اتباع الهوى الا منه والله حسبي

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون

اى آنانكه ايمان آورده‌ايد بترسيد از خداى چنانچه حق ترسيدن اوست و بايد كه نباشد اجل شما مگر در آن حال كه مسلمان باشيد

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت

و تمسك نماييد بعهد خداى يا بكتاب خداى همه و در ميان ايشان مختلف مباشيد و ياد كنيد نيكويى

الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته

خداى را بر شما دشمنان پس مهربانى بديد كرد ميان دلهاى شما پس شويد به بركت عنايت خداى

اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها

برادران دينى و بوديد بر كنار كوى از آتش يعنى دوزخ پس خلاص داد شما را از آن

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم
همچنان بیان کند خدای برای شما دلایل خود را تا مگر راه یابید و باید که باشید از شما
أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و
گروهی که خوانند سوی نیکی و فرمایند کارها کردنی بحرف شرع و بازدارند از کارهای ناشایست
أولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
و آنان ایشانند رستگاران و مباشید چون آنانکه جدایی نمودند در اعتقاد و خلاف کردند از آن پس که
ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود
آمد بدیشان دلایل روشن و ایشان مر ایشانراست عذاب بزرگ در روزی که سپید شود بنور ایمان رویها و سیاه شود
وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا
رویها و سیاه شود بظلمت کفر رویها پس اما آنانکه سیاه شد رویهای ایشان گویند ایشانرا ای کافر شدید پس از ایمان شما در ازل پس بچشید
العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي
الم عذاب را بدانچه بودید که کافر شدید و اما آنانکه سپید شد رویهای ایشان پس
رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق
در بهشت خدای اند ایشان در آن بهشت جاودان باشند آنچه گفتیم آیاتهای خدای از وعده و وعید بخوانیم آنرا بر تو بصدق و صواب
وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الأرض و
و نخواهد خدای هیچ ستمی برای جهانیان و مر خدایراست آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است
الأرض وإلى الله ترجع الأمور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
و با حکم خدای باز گردانند کارها را هستید شما بهترین گروهی که بدید آورده اند برای مردمان میفرمایید بکارها
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل
شرعی کردنی و باز میدارید از کارها ناکردنی و ایمان می آرید بخدای و بدانچه فرموده و اگر ایمان آوردندی
الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا
یهود و نصاری آن ایمان بهتر بودی ایشانرا از ایشانند باورداران گروهی اندک و بیشتر ایشان خارج اند از فرمان خدای هرگز نتوانند رسانید شمارا مگر
أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون
رنجانیدنی بزبان و اگر کارزار کنند با شما برگردانند بشما پشتها را یعنی منهزم شوند پس یاری کرده نشوند ایشان

القراءة حق تقاته بالامالة وعلي تفرقوا بالتشديد البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ولا تفرقوا لعطف المتفقين
اخوانا لاحتمال الواو والحال والاستيناف منها تهتدون المنكر للعدول المفلحون البينات عظيم لتعلق الظرف
لهم علي الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه واسودت وجوههم لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ففي

رحمة الله خالدون بالحق للعالمين ما في الارض الامور وتؤمنون بالله خيرا لهم الفاسقون قيل لا وقف
عليه وعليه وقف لان المعرف لا ينصف بالجملة الا اذى الادبار لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم
لا ينصروا لا ينصرون التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الايات بمجامع الطاعات ومعاقد
الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوي عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصي طرفة عين
وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسي او هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا ياخذه في الله لومة لائم
ويقوم بالقسط ولو علي نفسه او الوالدين والاقربين شق ذلك علي المسلمين فنزل فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور علي انها غير منسوخة
لان معني حق تقاته واجب تقواه وكما يحق ان يتقي وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض
المعاصي ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف والصادر علي سبيل الخطا والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها فعلي هذا لم يبق فرق بين الآيتين ولمتاخري القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته
وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يومر بالاتقاء والاغلظ والاخف ثم
ينسخ الاغلظ ويبقي الاخف وتنزيل هذه الآية بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا
عن الموت وانما هو نهي ان يدركهم الموت علي خلاف حال الاسلام وتقدم في البقرة مثله ثم انه تعالي امرهم بما هو كالاصل لجميع
الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع علي التمسك بدين الله والاتفاق لاجل الايات الاراء علي اعلاء كلمته فقال واعتصموا بحبل الله
جميعا حال كونكم مجتمعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع
بحبل وثيق يامن انقطاعه لان وجه الشبه وصف غير حقيقي ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام
لوثوقه بالعهد بناء علي ان في الكلام تشبيهين ويجوز ان يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان
طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مامون ان تزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ما يتوسل به الي الثبات علي الحق وان كانت عبارات
المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القران كما روي عن علي ابن ابي طالب عن
النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما
بينكم وهو حبل الله المتين وروي ابن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم هذا القران حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي
صلي الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي حبل متين ممدود من السماء الي الارض وعترتي اهل بيتي وقيل انه
دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالي عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا
وما بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال صلي الله عليه وسلم ستفترق امتي علي نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل
ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروي السواد الاعظم وروي ما انا عليه واصحابي قال صلي الله عليه وسلم لا تجتمع امتي علي الضلالة
وقد تمسك بالاية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية وان احتج فيها الي الدلايل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس فان اقتصر
فيها علي الدلايل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهي عنه واجيب بان الدلايل الدالة
علي وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالي ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم
الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين متناصحين
ذلك ان من كان وجهه الي الدنيا فقل ان يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاعراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الي
الخلق فانه يري الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا امرهم بمعروف او نصح
لا يعنف ويعير وكان حبه لحزب الله ونظرائه في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاخوين
والاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل يريد الاخوان في النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان
بينهما العداوة والحروب وبقيا علي ذلك مائة وعشرين سنة الي ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم
الله تعالي تلك النعمة وفيه دليل علي ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالي حيث خلق
فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل
واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زايد علي ما
ذكره ثم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم علي شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة

وشفقتها حرفها بالتذكير والتأنيث ومنه يقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده وطرفه وانقذه واستنقذه
وخلصه ونجاه والضمير في منها للحفرة او للنار او للشفا اما الاخير فلمعنى الشفة واما للاضافة الى الحفرة وهو بعضها كقوله شعر
كما شرقت صدر القناة من الدم ﴿ قال بعضهم الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بي
ضلالة حين قال له قومه انا لنريك في ضلال مبين اي ليس بي صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الاية انكم كنتم مشرفين بكفركم
على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير
مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرفي الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة
معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبسائر الطافه حتى آمنوا وقال اهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين
المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ
فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى
او لتكونوا على رجاء هدايته فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر في اوائل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين في
تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرم
ومكروه ثم انه فلا جرم اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم
للتبيين او للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن ضده اما بيده او بلسانه
او بقلبه وكيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا
كقولك فلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان
واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال الآخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر
فيخص العلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الاولى في اقامتها وكيف يباشر فان
الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في
موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان
هذا بالحقيقة ايجابا على بعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف
على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث تجمع
شرايطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوز ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم
بصلوة العيد والثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا
يعترض على من اخرها والوقت باق وثانيهما ما يتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه او انهدم
سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن امر ذوو المكنة برعايتها
والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة
كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما
لا تطيق ومن النهي عن المنكر تغيير هيآت العبادات كالجهر في الصلوة السرية وبالعكس او يزيد في الاذان فيمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ
وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تأويل او تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا رأى رجلا واقفا
مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن
مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله منها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الآدميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء
صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات
والسوقي المختص بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فليتحقق الداعي الى الخير في حال مكلف وغيره حتى الصبيان ليتمرنوا
والمجانين كيلا يفسدوا ويدعو الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا
لا سمعة ولا رياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك لان هذه الدعوة منصب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاء
الراشدين بعده ومن مذاهب الضحاك ان المراد من المذكورين في هذه الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الذين

الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه
وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله
غضب الله له وكفى بقوله تعالى اولئك هم المفلحون اي الاخصاء بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الامر بالمعروف الناهي عن
المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامرأة ان يأمرها
بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي وانكار المنهي واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين
لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل
فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن المنكر والحق في هذه القضية ما قيل شعر
وغير تقي يأمر الناس بالتقى ﴿ طبيب يداوي الناس وهو مريض ﴿ والقرآن نعى عليه لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم اذلك الم
اصل لك ام صم الم افعل كذا وكذا فاجيب بلى يا عبد الله ولكن انك اذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين
تفرقوا في النظم وجهان احدهما وثانيهما انه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة انه بين في التورية والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام
ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحتالوا في القاء الشكوك في تلك النصوص ثم اجرى الكلام الى انه امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام
بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص واستخراج التأويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الآية
من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالامر بالمعروف والنهي عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف
وفي الناس ظلمة ومتغلبين فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا واختلفوا فيتسود امرهما واحد والتكرير للتأكيد وقيل معناهما مختلف
تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله او
تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم تدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف
ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم
الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة او اولئك الذين افترقوا من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
وفي تعليق الظرف بقوله لهم فايدتان احدهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان تبيض بعض الوجوه
وتسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه
الالوان للمفسرين قولان احدهما واليه ميل ابي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما اسلم الحسن بن علي الامر لمعوية قال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر
سوف يجيء ان شاء الله تعالى في تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب شعر يا بياض القرون سودت وجهي ﴿ عند بيض
الوجوه سود القرون ﴿ وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة فمن كان من
اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم
بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت بها الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف
فيعظمونهم او يصغرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور او ويل وثبور وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا
انه يحصل له في الآخرة احدى الحالتين ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه ان الحسنات و
الاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منها لا يظهر آثارها كما هي الا بعد المفارقة الى الآخرة
انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة بالآية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه
ليس هيهنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيامة الى قسمين بيض الوجوه وهم المؤمنون وسود الوجوه وهم الكافرون لقوله
تعالى في آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه ان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه و
ايضا لفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وايضا المذكور في الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي
من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لم لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد
اسلم وقت استخراج الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وايضا انه جعل موجب العذاب في آخر الآية هو الكفر

من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو
الترتيب انه بدا بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية
حسن المطلع والمقطع انه فن بديع في الفصاحة والمراد بهولاء الذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا
وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب
الايمان وهو ما نصبه الله من دلايل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب امنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم وكفروا بعد بعثته وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما راي ابو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال
كلاب النار هولاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هولاء فقال له ابو غالب اشي تقوله برايك ام
شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شانك دمعت
عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا واعاذك الله
منهم هذا ما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة
والاستفهام في قوله اكفرتم بمعنى الانكار وقال القاضي وفيه وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على الكفر منهم لا من الله وقالت
المرجية فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما قوله ففي رحمة الله فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم
فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة
الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفي اضافة الرحمة
الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا خالدين ايضا دلايل فاشيات الى
جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب لا وقد اردفه بقوله تلك الاحكام التي وردت في خبر الوعيد والوعد وانقضى ذكرها
آيات الله نتلوها عليك متلبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه والمسيء باساءته او متلبسة بالمعنى الحق لان المعنى المتلو
حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن مصالح الخلق لا ينتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق
دفعا للكذب عمن هو اصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب ان لا يريد شيئا مما يكون ظلما سوا
في منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرده لم يفعله اذ لو كان فاعلا لشي من الاقسام الثلثة كان مريدا له هذا خلف
فثبت بهذه الاية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبايح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح
بانه لا يريد ذلك فالتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشي وصح منه كونه مريدا له فدلت الاية على انه قادر على الظلم وعلى ان
يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر ولهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض وايضا لما ذكر انه لا يريد الظلم
والقبايح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز او الحاجة وكل ذلك على الله محال لانه مالك لكل ما في
السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الاية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان
يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البري من الذنب اشد العذاب لم يكن
ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم فلا
يلزم منه مدح الثاني ايضا محال على قولكم لان كل ذلك بارادة الله وتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الاية على وجه صحيح
في مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور تلك الشي منه بدليل
قوله لا تاخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولو توقف التمدح بذلك على صحة النوم والاكل عليه الثاني انه تعالى ان عذب
من ليس يستحق العذاب لم يكن ظلما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق في
هذا المقام ان الظلم وضع الشي في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضروريات صفات الكمال فوضع كل منهما في مظهره يكون وضع
الشي في غير موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى
لانها من جملة ما في السموات وما في الارض اجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد
انه مملوكه لا انه مفعوله وايضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان ظرفا والمظروف لذلك من صفات الافعال التي هي اعراض
وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله تعالى

دفعا

دفعا للتسلسل والترجيح من غير مرجح قال الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى
الاسباب السماوية ولا شك ان احوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه فيكون الجبر ايضا لازما من هذا الوجه والى الله
اي الى حيث لا مالك سواه ترجع الامور فالاول اشارة الى انه مبدا المخلوقات كلها وهذا اشارة الى ان معاد الكل اليه
قوله عز من قايل كنتم خير امة في النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امر ونهاهم عما نهى عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد
والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي داعيتهم في ان لا يبطلوا على انفسهم هذه المزية وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية
وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين يعني
انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير امة اي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا
بها في الاخرة لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وبملكه ابداعا
واختراعا وان منتهى الكل اليه اتبع ذلك مزية هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية اذ جعلهم مظهر الالطاف وذكر
بعدها ذلة اهل الكتاب ليعرف انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل
ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان
ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذه الاية كان قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير
امة على الحال اي حدثتم ووجدتم خير امة والاكثرون على انها ناقصة ثم انهم كانوا موصوفين بالخيرية في زمان الماضي دون
ما يستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طاري بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم
في علم الله او في اللوح المحفوظ خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في
الانجيل وقال ابو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في
الجنة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف
حاصلا لكلنا ولكنه مخصوص بقوم معينين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل
صنيعهم وقيل انها زايدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن الانباري بان الزايدة لا تقع في اول الكلام ولا تعمل كقول العرب
عبد الله كان قايم وعبد الله قايم كان ولا يقولون كان عبد الله قايم على ان كان زايدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى
لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار اي صرتم خير امة واصل الامة الطايفة المجتمعة على الشي الواحد وامة محمد هي الطايفة
الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة في قول العلماء اجمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من
جمعتهم دعوته انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما ان يتعلق
باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل
بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اي كنتم للناس خير امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستيناف بقوله تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما يقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالاية على
ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم يكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم
آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات
الثلثة كانت حاصلة لساير الامم فذلك لان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه
القاء النفس في خطر القتل واعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فالجهاد
على الدين تحمل لاعظم المضار لغرض ايصال الخير الى اعظم المنافع وتخليصه من اعظم المضار وكان من اعظم العبادات ولما كان امر
الجهاد في شرعنا اقوى منه في ساير الشرايع انا نبي السيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك
موجب الفضل هذه الامة على ساير الامم هذا معنى ما روي عن ابن عباس في تفسير قوله كنتم خير امة تامرونهم ان يشهدوا
ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر المنكر وفايدة
القتال على الدين لا ينكره منصف فان اكثر الناس يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة ولا يتاملون في الدلايل التي تورد
عليهم فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق متكرها الى ان يالفه متدرجا واما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة اكمل لانهم

آمنوا بكل ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او ثواب او عقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبساير ما عدد والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا
نفي عن اهل الكتاب في قوله ولو آمن اهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل
الطاعات لان الاية سبقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتاكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويامرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكانت تقديمه اهم وليعلم ان التكميل افضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول
الثاني دون العكس ولان التكميل تضمن الكمال فكان في تاخر الايمان بالله تكرير له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا
يفيد الترتيب وايضا اراد ان يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا يتبين
فيه الخيرية لكن الاية سبقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم
اتبع ذكر الايمان بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد و
لا ينقص وعلى ان ايمان اهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله
وبساير ما لا بد منه من الامور المعدودة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او حصلت لهم من
الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعدوا من
ايتاء الاجر في الآخرة مرتين وعلى ما هم فيه ليس الا استتباع بعض الجهلة من العوام من العوام وشي نذر من الرشي وبعد ذلك خلود في
النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للمعهود
السابق واكثرهم الفاسقون الخارجون على طاعة الله تعالى وعن دينه وتقارب الكفر او يراد فيه او المراد انهم ليسوا بعدول في
معتقدهم دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوايف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم وكان كما قال وهو من
الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا اذى الا ضررا لا يبالي واذى يقول كطعن في الدين او تهديد او تحريض او القاء
شبهة او اظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح والاذى مصدر كالاسمي يقال آذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع
من الضرر فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا يتبين ان الاستثناء ليس بمنقطع
على ما ظن وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم ليلا يتقيد النصر بقتالهم
بل يرفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا ويكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم يهزموا
ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتف عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار
بتسليط الخذلان عليهم لما كان اعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد
لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الآيات مخصوصة باليهود واسباب النزول تدل على ذلك وكان كما اخبر من حال بني قريظة
والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني بهذه الحال وفي الآية تشجيع للمؤمنين وتثبيت
لمن آمن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتخويفاتهم التاويل اتقوا الله حق تقاته لاهل العزايم وقوله فاتقوا الله
ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وانتم مسلمون لا بنفس وجودكم المجازي الا وقد
سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان
اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لانه شرب هم الاعمال فقيل لهم اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يتوصل به الى الله من
اعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب اذ مشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو موليكم مقصودكم او ناصركم
ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض
وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم بالهداية والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين آياته للاوس والخزرج حتى صاروا
اخوانا يبين لكم ايها الطلاب آياته وهي الجذبة الالهية وتجلي الصفات ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الافعال دون
الاقوال واولئك هم المفلحون من وصد من يامر بالمعروف ولا ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب
كقوله يوم تبلى السرائر اي يحصل ما في الضماير على الظواهر اكفرتم بعد ايمانكم هم ارباب القلوب الطلب السايرين الى الله انقطعوا في
بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقري فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات
الانقطاع والاعراض فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاق مع اهل الله هم فيها خالدون في الآخرة لانه

يموت على ما عاش عليه ويحشر عليه على ما مات تلك الاحوال آيات الله مع خواصه نتلوها عليك بالحق نظهرها على قلبك بالتحقيق وما الله يريد
ظلما للعالمين بان يضع السواد او البياض في غير موضعها كنتم خير امة اخرجت من العدم الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة
الخيرية تخفيف التكليف وضمان الضعيف ومنها عاقب مطيعهم بشوم عصاتهم وغفر عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها انهم
يغفرون لانا [illegible] رحمة ومنها شكا منهم الينا وشكرنا اليهم قبل وجودنا ولو آمن اهل الكتاب يعني علماء القوم لن يضروكم الا اذى من طعن
الانكار والحسد وان يقاتلوكم بنازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق بيانكم ثم لا ينصرون لانكم اهل الحق حزب الله وان حزب الله هم الغالبون

ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا من الله وحبل من
لازم گردانیده شد بر ایشان خواری هر کجا یافت شوند مگر از خدای و عهدی از
الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك
مردمان بالتزام جزیه و سزاوار شدند بارادت انتقام از خدای و لازم گردانیده شد بر ایشان بیچارگی آن عقاب بسبب انکار ایشان
بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة
کفتیم بسبب آنست که نافرمانی کردند و بودند از حد در گذشتند نه اند اهل کتاب برابر از اهل کتاب جماعتی بر شریعت
قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله
بر شریعت ایستاده میخوانند آیتهای خدا را در ساعات شب ایشان نماز میکنند ایمان می آرند بخدای
واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
و بروز قیامت و میفرمایند بکارهای نیک و باز میدارند از کارهای ناکردنی و می شتابند در
في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن
طاعات نیکیها و ایشان از جمله نیکان اند و آنچه کنند از هر نیکی پس هرگز منع نکنند از شما ثواب
تكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني
و خدای داناست بحال پرهیزکاران بدرستی آنانکه کافر شدند هرگز باز ندارد
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك من الصالحين
از ایشان خواستهای ایشان و نه فرزندان ایشان از عذاب خدای هیچ چیز را و ایشان
النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا
آتش اند ایشان در آن آتش جاویدان باشند داستان آنچه نفقه میکنند کفار در این زندگانی نزدیک چون
كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته و
داستان بادیست که در آن باد سرمای سخت که رسید بکشت زار گروهی که ستم کردند بر خود بعصیان پس هلاک کند آن باد
ما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون يا ايها الذين آمنوا لا
کشت را و ستم نکرد بر ایشان خدای ولیکن بر نفس خود ستم کردند بعدم اخلاص بکفر ای آنانکه ایمان آوردند
تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد
مگیرید دوست خالص نه از اهل ملت شما تقصیر نمیکنند در حق شما فساد را دوست داشتند در مشقت افتادن شما را
بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم
بحقیقت پیدا شد دشمنی از دهنهای ایشان در اثنای مجادلات و آنچه نهان میدارد سینهای ایشان بزرگتر است بحقیقت بیان کردیم برای شما
الآيات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم
آیتها را اگر هستید که در یابید اینک شما ای گروه بی جرم دوست میدارید ایشان را و دوست نمی دارند شما را
وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا
و ایمان می آرید بجمیع کتاب آسمانی همه آن و چون ملاقات کنند شما را گویند ایمان آوردیم ما و چون خالی شوند بالتنهائی

عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات
بگزند بر شما سر انگشتها را از غایت خشم بگوی بمیرید بخشم خویش بدرستی خدای داناست بضمایر
الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان
سینها اگر برسد شما را نیکویی اندوهگن کرداند ایشان را و اگر برسد شما را بدی شاد شوند بدان و اگر
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط
صبر کنید بر عداوت ایشان و پرهیزکاری کنید گزند نرساند شما را بد خواهی ایشان هیچ چیز از گزند بدرستی خدای بآنچه میکنند داناست

القراءة ويسارعون وبابه كسارعوا ونسارع بمالة قتيبة وابو عمرو طريق ابن عبدوس ما يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص ابو عمرو ومخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم وبابه من كل همزة مجزوم ومنه بغير همز الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم ما تم محركا لالتقاء الساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون ه قيل لا وقف عليه ووقف لان ضمير ليسوا يعود الى ما يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء ط يسجدون ه قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر اوصاف لهم مطلقة غير مختصة بحال السجود الخيرات الصالحين تكفروه ط المتقين ه شيئا ط النار ج خالدون ه فاهلكته ط يظلمون ه خبالا ج عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون ه كله للعطف مع الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم آمنا ج قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حالهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور ه تسؤهم ز للابتداء بشرط آخر والوصل اجوز اذا الغرض تعريب تضاد الحالين منهم بعد جواب ط لتناهي وصف الذم لهم والابتداء شرط على الحين شيئا ط محيط ه التفسير هذا خبر آخر من مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل والسبي والنهب اينما وجدوا الا معتصمين او متلبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فحينئذ يكون دمهم محقونا وما لهم معصوما وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد واما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا ينفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك بوأ فلان منزله كأنها والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية عنهم زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال آخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا او لا رئيسا مطاعا ولكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقي الاية قد مر تفسيره في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن العلة مع ان ذلك لما بعده من جمع السلامة كالذين والصابئين وغيرهما ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الآخرين بغيا عليهم وتقطيعا لشأنهم ولمثل هذا عرض الحق ثم نكر في المواضع الباقية اي بغير ما حق اصلا لا في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وقد منهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كلام مستأنف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر ذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء باحد الضدين لحظوره بالبال معا قال ابو ذويب شعر دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها اراد ام غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل ذكي فيغني هذا عن ان يقال وعبد الله ليس كذلك وقيل وهو اختيار ابي عبيدة ان امة مرفوعة بليس على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو بدل من الضمير على نحو واسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة في تفسير اهل الكتاب قولان احدهما وعليه الجمهور انهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد الا اشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم قد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت وعن عطاء انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من اهل الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا غيره فنزلت وعن عطاء انها نزلت وصدقوا على محمد صلى الله عليه وسلم وثانيهما انهم كل من اوتي الكتاب من اهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة

فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فتبشر فقال انه لا يصلي هذه الصلوة احد من اهل الكتاب فانزل الله هؤلاء الايات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله تعالى لا يبعد ان يقال اولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمني اهل الكتاب فقيل ليس يستوي من اهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقاموا صلوة العشاء في الساعة التي نام فيها غيرهم من اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد ايضا ان يقال المراد كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسماهم الله اهل الكتاب كانه قيل اولئك الذين سموا انفسهم باهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى باهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان فيكون الغرض من هذه الاية تقرير فضيلة اهل الاسلام تاكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير امة كقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل اي في الصلوة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة له غير مضطربة وقيل اي مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام ومعنى وههنا نكتة وهي ان الاية دلت على المسلم قائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دل على ان المولى قام بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم الثانية يتلون اي امة قائمة تالون آيات الله آناء الليل والتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع فكان التلاوة هي اتباع اللفظ وآيات الله القرآن وقد يراد بها اصناف مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها اني مثل معي وانى واني مثل نحي ونحى الثالثة وهم يسجدون يحتمل ان يكون حالا من يتلون كانهم يقرؤون القرآن في السجدة تخشعا الا ان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا يأباه وان يكون كلاما مستقلا اي يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن يريد راسه بقدميه وقدميه براسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وان يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلوة تسمى سجدة وركعة وسجدة وان يراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا مانع من كونه حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الآخر والصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف معرفة المبدأ والمعاد ولا يخفى ان غيرهم من اهل الكتاب ليسوا من الفيلين في شيء بسبب تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة الخامسة والسادسة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق التمام وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اي المذكورات كلها وهي من صفات المدح لان المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت في التاخر آفات وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان مخصوصة بهذه الاية على انها لا تقيد كليتها حكم لان القضية اهملت اهملت الا كيف والامور شتى ان منها ما يجد فيه التأخير لكونه مما يحصل على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعي ولكونه غير معلوم العاقبة فيفتقر الى مزيد تدبر وتأمل ومنها ما يجد فيه التعجيل الضد ما قلنا فينتهز فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحين وذلك ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تعالى فاذا اخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تاكيدا للاخبار عنهم بقوله واولئك من الصالحين فقال وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوا فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا يتعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمي منع الجزاء كفرا كما سمي ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله عليم بالمتقين مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لو عدم عن عبوديتهم الحق القادر الغني الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بثيب هذا شانه ثم بين احوال الاشقياء بقوله ان الذين كفروا الاية وقد سبق تفسير مثله في اول السورة انه لما بين ان اموال الكفار لا تغني عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال احد ان الذي ينفقون منه وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الاية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث وعلى هذا فمثل الاية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وعن ابن جني في الكشاف ان يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا

بمعنى قر وفيه اصر كما تقول برد بارد على المبالغة او يكون في تجريدية كما يقال رايت فيك اسدا اي انت اسدا وان صنعني فلان ففي الله
كاف كافل وقيل الصر السموم الحارة روي ابن الانباري باسناده عن ابن عباس في صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من
التشبيه حاصل وسواء كان بردا مهلكا او حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي مر ذكره في
اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد
ما كانوا ينفقون في اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله في
هذه الحيوة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما وقيل ما ينفقون يعني ابا سفيان واصحابه من سفلة اليهود
المنفقين على احبارهم في ايذاء رسول الله وفي جميع العساكر عليه في كونه مبطلا لما اتوا به قبل ذلك من اعمال البر كمثل ريح فيها صر
في كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير في ينفقون عائدا الى جميع الكفار وذلك ان انفاقهم اما ان يكون المنافع الدنيا فلا يبقى له اثر
في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الاخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات
والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذا قدموا الاخرة راوا كفرهم مبطلا لاثار تلك الخيرات
وكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو
معصية كانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم في ديار تخريب المسلمين ولا يبعد ايضا تفسير الاية بخيبتهم في الدنيا
فانهم انفقوا اموالا كثيرة في تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم واظهر الله الاسلام واعز اهله
فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في
الاخرة كقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات اما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار على قوله اصابت
حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عين وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه
اذا اصابته جائحة في الدنيا ابدله الله خيرا منه في الدنيا او في الاخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما
الذين عصوا الله فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة لهم فحرثهم هو الذي لا يتصور منه بعد الاهلاك فائدة اصلا ويحتمل ان يراد بالظلم
ههنا وضع الزرع في غير موضعه فان من زرع لا في موضعه وفي غير اوانه ثم اصابته الافة كان اولى بان يصير ضائعا والضمير في وما ظلمهم
للمنفقين اي ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث اي ما ظلمهم
باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال المؤمنين والكافرين
شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواصلون
رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم
وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره اي بسوره اللاصقة بالقلب المهمة له والواحد شقر واصله من البطن
خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق
وقوله من دونكم يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم والاول اولى
لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير ابناء جنسهم واهل ملتهم بطانة وانهم يقدمون
الايتم والذي بهم بيانا ناعتى ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يالونكم خبالا يقال لا الو في الامر بالواو اذا قصر فيه
ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا وجهدا على التضمين اي لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان
ومنه رجل مخبول ومختبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون
جهدهم في مضرتكم وفساد حالكم ودوا ما عنتم اي عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في امر شاق ومنه يقال للعظم
المجبور اذا اصابه شيء فهاضه قد اعنته والمراد احبوا وتمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين
انهم لا يقصرون في افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب ذلك غير زائل من قلوبهم قد بدت البغضاء هي شدة
البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط حذفت الهاء تخفيفا واقيمت الميم مقام
الواو لانها حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لفشهم العصاوكثرهم من الاتيان وعدم التقية في تكذيب النبي
والكتاب واما من المنافقين فذلك ان المداجي لابد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد
بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين فذلك ان المداجي لابد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته

وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما تخفي صدورهم اكبر لان فلتات
اللسان متناهية وكوامن الصدور تكاد يكون غير متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال
العقل في مدلولات هذه النصائح فقال قد بينا لكم الايات ان كنتم من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه
العدو والولي ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير اليكم خبالا
وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا والاحسن من ذلك والابلغ ان يكون الجمل مستانفات كلها على وجه التعليل
للنهي كما قلنا فكانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم تفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما
اية ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا التقدير احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف
ولا عاطف هنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ها انتم
اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو
خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف الدين
او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحب محبوب
ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم
لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحوادث
هذه الاعتبارات واشباهها ما لا يكاد تنحصر داخلة في الاية ثم ذكر سببا اخر مما يابى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب
كله واضمر قرينه وهم لا يؤمنون به لان ذكر احد الضدين يغني عن الاخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم
في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم
كله وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا امنا احدثنا الدخول
في الايمان واذا خلوا عضوا ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر منهما
الدخول فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو الغضب لما راوا من ائتلاف المؤمنين
وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك
يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح ان يظهر دين الاسلام وعز
اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح ان يظهر دين
الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سببا لغيظكم فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله انه عليم
بذات الصدور اي بصواحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة
المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يهلككم او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو
اخفى مما تسرونه وهو مضمرات القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك
على اسرارهم فاني اعلم ما اضمر الخلائق ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول لفظا بل يراد حدث
نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بتطييب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا
اخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر
على الاعداء والائتلاف بين الاحباب تسؤهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد ما عددنا يفرحوا بها
ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول يشبه ان يكون المس اقل من الاصابة وانه
ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة قلما توجد
اذا اصاب العدو بلية عظمى كما قيل شعر عند الشدائد تذهب الاحقاد • الا ان يكون ثمة غاية الحقد • واذا كان
حال القوم مع المسلمين في القضيتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين
في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم وان تصبروا على اوامر الله
تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه قال ابن عباس هو العداوة شيئا من
الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه ارشاد من الله تعالى الى انه يستعان على دفع مكايد الاعداء بالصبر

النفوي فمن كان لله كان الله له وفي الكلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا من نفسك وقال بعضهم
شعر اذا ما شئت ارغام الاعادي ٭ بلا سيف تسل ولا سنان ٭ فزد في مكرماتك فهي اعدي ٭ علي الاعداء من نوب الزمان
ان الله بما يعملون علي عداوتكم او بما تعملون انتم من الصبر والتقوي محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التأويل ضربت
عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان يعتصموا بمحبة الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء
يميتون سفههم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمداهنون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا
اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء
الهوي فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهي اهل المحبة
عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث وقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم
والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشهواتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم او فرحوا بما فاتكم من الجاه
والتزام الفقر والصبر علي المكاره قد بدت البغضاء من افواههم باعتراضاتهم الفاسدة وتخفي صدورهم الكاسدة من الغل والحقد
اكبر تحبونهم بمحبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في
القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور ان تمسسكم تهان الغيظ والحسد ان تمسسكم
حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن والله حسبي ونعم الوكيل

وَاذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله

و یاد کن آن وقت را که بامداد کردی از میان اهل خانه خود از مدینه فرود آوردی مؤمنان را در مواضع ایستادن برای کارزار و خدای

سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله

شنوا داناست آن هنگام که قصد کردند دو طایفه از شما که بد دلی نمایند و خدای

وليهما وعلى الله فليتوكل المتوكلون ولقد نصركم الله

یار ایشان بود و بر خدای باید که توکل کنند مؤمنان و بتحقیق یاری فرمود شما را خدای

ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول

ببدر و شما ضعیف حال بودید پس بترسید از خدای تا شما سپاس داری کنید و یاد کن چون میگفتید

للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف

مؤمنان را آیا بسنده نبود مر شما را که مدد فرماید شما را پروردگار شما به سه هزار

من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من

از فرشتگان فرو فرستادگان آری اگر صبر نمایید و بپرهیزید از مخالفت رسول و بیایند شما را آن کفار از

فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة

ساعت ایشان این ساعت مدد فرماید پروردگار شما به پنج هزار از فرشتگان نشان کرده

مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم و

و نگردانید آن مدد را خدای مگر بشارتی مر شما را و تا آرام یابد دلهای شما بدان و

ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من

نیست یاری کردن مگر از نزد خدای غالب توانا درست کار درست گفتار تا ببرد طرفی از

الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك

آنان که کافر شدند یا ذلیل گرداند ایشان را پس بازگردند در حالی که نومید باشند نیست مر ترا از کار

من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون و

خدای در واقعه احد هیچ چیز تو به یا عذاب کند ایشان را که بدرستی ایشان ستمکارانند و

لله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء

و مر خدای راست آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است می آمرزد مر آنکه خواهد

ويعذب من يشاء والله غفور رحيم

و عذاب میکند مر آنرا که خواهد و خدای آمرزگار است مهربان

القراءة تبوئ المؤمنين بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن
عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالفتح الوقف
عليم لان اذ بدل من اذ غدوت تتعلق بالوصفين او بقوله تبوئ ان تفشلا لان الواو للحال وليهما المؤمنون ٭ اذلة تشكرون ٭
منزلين لتمام المقول لي لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به الحكيم لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ٭
ربع الجزء ظالمون ٭ ما في الارض من يشاء رحيم التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا خلاف
ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين
للقتال فلما خالفوا امر الرسول انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا
على خصومهم ووجه آخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن سلام ابي بن سلول
المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم
آية في فئتين التقتا اي قد كان لكم مثل تلك الآية اذ غدا الرسول تبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار
اذكر عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت
في واقعة احد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء
فاستشار رسول الله وهو قول ابن عباس والسدي صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله
الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم دخلوا فاتلهم
الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني رايت في منامي بقرا تذبح حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب
سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس
لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقالوا
اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة
قالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من اهلك عن مجاهد والواقدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم
السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في
جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا
وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام
ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خالف راي عبد الله بن ابي شق عليه ذلك وقال اطاع الصبيان وعصاني ثم قال
لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه وقد وعد اصحابه ان اعداءه اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداء انهزموا فيتبعونكم
فيصير الامر على خلاف ما ذكر محمد فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل اولادنا وانفسنا
وكان جملة عسكر الاسلام الفا وقيل تسعمائة وخمسين وبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة الاف فقواهم الله مع ذلك
مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما راوا انهزام القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان يكون هذه الواقعة كواقعة
بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم وارادوا ان يظفروا يوم بدر كما ظفروا

ولله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فرع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة
في العسكر ان محمدا قد قتل فاشرف ابو سفيان وقال افي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال افي القوم
ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه قال افي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا ولو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه
فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان مرتجزا اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه
قالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول
قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول
قال قولوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع الى التفسير بوأته منزلا وبوأت له منزلا انزلته فيه ومقاعد اي
مواطن وقد اتسع في قعد وقام حتى استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك
اي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما امرهم ان يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك
ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو فيقومون فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع
لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من
الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر انها ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها
كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها الى الثبات والصبر فلا
باس بل افضل وعن معوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبت مني الا قول عمرو بن الاطنابة
شعر اقول لها اذا جشأت وجاشت • مكانك تحمدي او تستريحي • ومما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان
قوله تعالى والله وليهما ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان
ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون والتوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه
وفيه اشارة الى ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن
جابر فينا نزلت اذ همت الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقوله والله وليهما اخرجاه في
الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله تعالى ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله
ببدر وهو ماء بين مكة والمدينة عن الواقدي ان اسم الماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة
انما جاء بجمع القلة دون الذلان الذي هو للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم كانوا قليلي العدد ايضا كما مر في
تفسير قوله قد كان لكم آية لم يعن بالذلة ها هنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين او لعل المراد انهم كانوا
اذلة في زعم المشركين وفي اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل ولعل الصحابة كانوا قد
شاهدوا الكفار في مكة وغاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية
في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة
اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل
يوم بدر فيكون العامل في اذ قوله نصركم او حصل يوم احد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت الاول قول اكثر المفسرين لان
الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والمدد يوم بدر اظهر وكان الاحتياج الى المدد اكثر الثاني مروي عن ابن عباس والكلبي
والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق لان المدد يوم بدر كان بالف ثم زيدوا الفين فصاروا ثلثة الاف ثم زيدوا الفين اخرين فصاروا
خمسة الاف فكانه قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف وهو كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
ايسركم ان تكونوا ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجو ان تكونوا شطر
اهل الجنة وايضا لعل اهل بدر انما امدوا بالف ثم بلغتهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك
عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله ان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الاف من الملائكة ثم انه لم يأت قريشا ذلك
المدد بل انصرفوا حين بلغتهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر
الفا والمسلمون على الثلث منهم فانزل الله الفا من الملائكة بعدد الكفار ايضا ثم وعدهم ان يجعل الثلثة الالاف خمسة

الالف

الاف ان صبروا واتقوا واجيب بان هذا تقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك قال تعالى ويأتوكم من فورهم و
يوم احد هو الذي كان يأتيهم الاعداء فيه اما يوم بدر فان الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجمعوا وقصدوا
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان اتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة الاف ثم قالوا
في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم
فلقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة احد ثم انزال الخمسة الاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا
عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط واما انزال ثلثة الاف فانه صلى الله عليه وسلم
وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصلوا المشروط روى الواقدي عن مجاهد انه حضرت الملائكة
يوم احد ولكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في
صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه
وسلم انه ملك امد به وعن سعد بن ابي وقاص انه قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه وما كنت اعرفه
فظننت انه ملك هذا تقرير حاصل القولين واختلفوا ايضا في عدد الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد
لان الوعد بامداد الثلثة الاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الاف مشروط بالصبر والتقوى ومجيء الكفار من فورهم
فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف في موضع آخر فيكون المجموع تسعة
الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد
الفان فصح ان يقال وعدوا بثلثة الاف ثم زيد الفان آخران فوعدوا بخمسة الاف واجمع اهل التفسير وارباب
السير انه تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انهم لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما
سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار
وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم واما ابو بكر الاصم فانكر امداد الملائكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك
اهل الارض كما فعل جبرئيل بمداين قوم لوط فاذا حضر يوم بدر فاي حاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير
حضوره فاي فائدة في ارسال سائر الملائكة ايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل منهم كل من الصحابة معلوم وايضا
لو قاتلوا فاما ان يكونوا بحيث يراهم الناس اولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلثة الاف واكثر ولم يقل احد بذلك
ولانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل
ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم حز الرؤس وتمزيق البطون واسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل
هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم والموافق والمخالف وايضا انهم لو كانوا
اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول واعلم ان هذه الشبهة لا
يليق ايرادها بقوانين الشريعة وبمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فكان يليق بالاصم
ايرادها مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير لما رجعت قريش من احد جعلوا
يتحدثون في انديتهم بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا
المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك او بلا سبب
وكذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد اشادة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف
فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى فله الحمد على ما اولى وله الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء
تكليفهم وهو حين نزول البأس فلا جرم اظهارا لقدرته جعل عاليها سافلها وفي حرب احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم
اظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه لو جرى الامر في احد كما جرى في بدر لاشبه ان يفضي الامر الى
حد الالجاء وينافي التكليف ونوط الثواب والعقاب به ولمثل ذلك امد بالملائكة حين امد على عادة الامداد بالعساكر
والا فملك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد
بنزول الملائكة ليقوي قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة
الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر

ومعنى الكفاية سد الخلة والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل
امده يمده وما كان على جهة الزيادة قيل مده يمده وقرئ منزلين بكسر الزاي وبمعنى منزلين النصر ثم بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى
يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور
مصدر من فارت القدر اذا غلت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور لا
للتراخي سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث يمددكم ربكم بخمسة آلاف فشرط
ثلاثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور فلما لم يوجد هذه الشرايط بكلها او بجلها فلاجرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان
يتعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر التنزيل عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل
النصر والفتح ان صبروا وعزموا على القيام واتقوا مخالفة الرسول وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء
ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال
الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول واذنابها وعن مجاهد
مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين
من اسامة الابل وسومتها ارسلتها للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لتقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم
على المشركين ليهلكوهم كما يهلك الماشية النبات في المراعي وما جعله الله الضمير عائدا الى المدد والامداد دال عليه
الفعل وقال الزجاج وما جعله الله ذكر المدد الا بشرى بمعنى اسم من البشارة اي الا لتبشروا بانكم تنصرون ولتطمئن
قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا اكثروا
ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصر ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان
ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على منشيها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم
اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اي طائفة وقطعة من الذين كفروا و
انما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال او لم يروا انا
نأتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه وفسره
الائمة هاهنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم
قيل الخيبة لا يكون الا بعد التوقع ونقيضه الظفر واما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء في اللزام الى ليقطع
يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله وليطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف
لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بحاجتي قوله
عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان **احدهما** وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ودمي وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول
الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحارث
بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه او يتوب عليهم فتاب على هؤلاء فحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة
بن عبد المطلب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلاثين فنزلت وقيل
اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك وهي عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين
الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقع يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية في الكل القول الثاني واليه ذهب
مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جمعا من خيار الصحابة زهاء سبعين الى بني عامر ليعلموهم
القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعد ما يرفع راسه من الركعة الثانية في
الصبح اللهم العن بني لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين

بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا
يخفى ان نظام الاية يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال بان ذلك الفعل
ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قادح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب ان المنع من الفعل
لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط
ولعله شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله
تعالى على المنع تقوية لعصمته وتأكيدا لطهارته ولئن سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد
الى اختيار الافضل وايضا ان دعاء النبي لا يكون الا بعد الاذن الشرعي وانما هو يطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسئوله وقد
وقع فهو بالحقيقة سؤله ولهذا سأل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الا
شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي والمراد الامر الذي هو خلاف النهي
اي ليس لك من امر خلقي شيء الا ما يكون امري وحكمي قوله او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف اما على
الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم ويجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منعه صلى الله عليه
وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض العبد في اسرار ملكه
وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام
الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما يقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم واما ان يهلكهم
او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى
ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق
الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل وانما قلنا هذا لظاهر برهان عقلي وهو ان الندم معناه
على ما مضى كواهد تحصل في القلب عما سلف منه والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل
العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى وتسلسل فهو اذن يخلق الله تعالى واما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف
او بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل لحسن التعذيب بسبب شركهم وعصيانهم ثم اكد ما ذكره من قوله ليس لك من الا
شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما والحقائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم فيهما الا لله ثم ذكر لازم الملك و
الحكم يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة
المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه الشرط شرعا وعقلا والا لا يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة والمغفرة
غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الاية يهب
الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وايضا هذا النقل بدليل عقلي شبيه ما مر آنفا وهو ان الارادات
كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد
او معصيته بفعل الله وفعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة فناقضوا في ذلك وحكوا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة
ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق ان للعذاب لازم
ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان يريد غير ذلك فممنوع والله تعالى اعلم **التأويل** اخبر عن النصر بعد
الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في طلب الحق
والرجوع الى المبدأ من اهله اي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفات الروحانية مقاعد لقتال
النفس والشيطان والدنيا والله سميع عليم لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة نية الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق
اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا يعني القلب واوصافه والروح واخلاقه والله وليهما ليخرجهما من الظلمات البشرية
الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان
نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشياطين ومجاهدة النفس ومكايدة الهوى في الركون الى زخارف
الدنيا وثلثة آلاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا يدركها الحواس كقوله وانزل جنودا لم
تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يمددكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعض الصفات

النفسانية التي هي منشا الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم نوره وما النصر الا من عند الله يعز بحكمته
من يشاء على ما يشاء كيف يشاء متى شاء بما يشاء الله حسبي وكفى الله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله
لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين و
اطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ و
العافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون
اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا
تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح
فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس و
ليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب
الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين

القراءة: سارعوا بغير واو للعطف ابو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير
حفص وجبلة الباقون بالفتح. الوقوف: مضاعفة ص لعطف المتفقين تفلحون ه للعطف للكافرين ج ترحمون ه ومن قراها بغير

واو فوقفه يطلق والارض لا لان ما بعده صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين ه لان الذين صفتهم عن الناس المحسنين ه
لان الذين يصلح مبتدا وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف
على يعلمون لتصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله واللاحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على الذنوب
للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا احد يغفر الذنوب الا انت
خالدين فيها العاملين ه مبين ه لتعقب لام الاعتبار بعد الاخبار بالنبا المكذبين ه للمتقين ه مؤمنين ه مثله ط بين الناس ج
لان الواو مقحمة وعاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء الظالمين ه للعطف على ليعلم الكافرين ه التفسير قال
القفال رحمه الله تعالى يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من
الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا كي
يجمعوا الاموال وينفقونها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه
الايات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى الاصلح في امر الدين في باب الجهاد وليس المراد
النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا لما علم انه منهي عنه مطلقا وانما هو نهي عنه مع توبيخ بما كانوا عليه في الغالب والمعتاد
من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى استغرق بالشيء الطفيف مال المديون
واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح
ويعلم منه ان الربوا من الكبائر لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف
آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع
دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان اكثر اهل النار الكفار فغلب جانبهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين
لم يمتنع ان تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان و
المجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول فلهذا تمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في
شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغيرهم يحمل الاية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قراه بغير الواو
فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به في ان ظاهر الامر
يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة
المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات
وهذا قول عكرمة وعن علي ابن ابي طالب هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات
وعن ابي العالية انها الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة وقال الاصم بادروا الى التوبة من الربوا لانه
ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها
حصول الثواب ولا بد للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون
عرضها للجنة فالمراد كعرض السموات كقوله في موضع اخر كعرض السماء والغرض المراد المبالغة في صفة الجنة فشبهت باوسع ما علمه
الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد
انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل
البعض ببعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها
عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلا بد له ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها
هكذا وقال ابو مسلم العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة و
الاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك
بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطاين في العادة يكون ادون حالا من الظهاير واذا كانت البطانة كذلك فكيف
الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق
ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها
كعرض السماء واجيب بعد تسليم كونها الان مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس

سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سال النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعوا الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار
قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب
من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل انس بن مالك عن الجنة في الارض
ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم قال في ذكر صفة المتقين حتى
يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الغنى والفقر لا يخلون
بان ينفقوا اما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عايشة انها تصدقت بحبة عنب وكان الفقير انكر عليها
فقال الحب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس او حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا يخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون
الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم
بان كان مخالفا له فانهم لا يتركون وفي افتتاح بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة او لانه كان اهم في
ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذ ملاها وشد
فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن
الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه
انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ايضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله
والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة
الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم غضب عن المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى
كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا اجنى عليهم احد ولم يواخذوه قال
صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى ابن مريم صلوات الرحمن عليه
ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافات انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون
اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هولاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هولاء وذلك ان من انواع
الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس
شعر والجود بالنفس اقصى غاية الجود ❁ ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى
وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الاخرة بان تبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الاية
دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب
قال ابن عباس في رواية عطاء ان نبهان التمار اتته امراة حسنة تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت واذا فعلوا فاحشة الاية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا
آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة
في السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امراة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت
في نفسه فدخل ولم يستاذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر
راجعا فقال سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب
الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي
قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاساله عن ذنبك لعل الله ان يجعل لك فرجا
وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا ام للناس عامة
فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ابنو اسرائيل كانوا اكرم على الله
منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع انفك اجدع اذنك افعل كذا فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من ذلك فقراها عليهم وبين انهم اكرم على الله
منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار الفاحشة نعت محذوف اي فعلوا

فعلوا

فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنى لقوله تعالى ولا
تقربوا الزنى انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة
هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالاستغفار واستغفر
لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغاير بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه وانهم سايلهم او نهيه او جلاله الموجب
للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان
وذهب اليه الضحاك ومقاتل والواقدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل
المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم فقالوا استغفر الله لذنبه
ومن ذنبه بمعنى فالمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل
فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا اثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه
منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب وكمال رحمته وعفوه
يقتضي ازالة ذلك العقاب عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولاسيما
اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي
يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا
ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي قال حدثني ابو بكر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرا والذين اذا فعلوا فاحشة
الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا لم يقيموا على قبيح فعلهم
غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس اذنيه ضمهما الى راسه فاصر ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل اصروا وحرف النفي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب
واردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل اصروا وحرف النفي
منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب واردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم
بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل
ولا يعذر العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلى الله عليه وسلم
رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي الاصرار في حال العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت في المثال المذكور نفي المجيء في
حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي اشارة الى ازالة العقاب وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وهذه اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال
ان الثواب بفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء وللقايل ان
يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان اهل الجنة هم المتقون والتايبون دون المصرين لعدم تلك
ولم يصروا والجواب ما مر ان يكون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا يدخلها غيرهم بفضل الله ورحمته ثم ذكر
ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل احوال القرون الخالية قال قد خلت من قبلكم سنن واصل
الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة
والمثال المتبع وهو فعله بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه وكانه اجراه على نهج واحد او من سننت النصل احدته او
من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل
قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر
وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب الى الاخرة هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمومنين فان الدنيا

ما يثبت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن يبقي له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر يبقي له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين لان التامل في حال احد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الاخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم
وذلك انما يحصل بالتامل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت
هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الي السير لان لمشاهدة اثار الاقدمين اثرا اقوي من
اثر السماع كما قيل شعر ان آثارنا تدل علينا ٭ فانظروا بعدنا الي الاثار ٭ هذا بيان المشار اليه بهذا اما ان يكون جميع ما تقدم من
الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث علي الايمان وما يستحق
به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم ولما البيان
والهدي والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان
احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الي ما ينبغي في الدين وهو الهدي وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو
الموعظة وخص الهدي والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدي والموعظة خاصا بالمتقين
لان الهدي اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الي البغية واقول يشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين وباي طريق كان من طرق
الدلالة والهدي يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الي سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم مثمر لما بين هذه المقدمات وبهذها
ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لاهل
الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا علي من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون
شانا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة الحميدة لقوله والعاقبة
للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله
ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا تضعفوا لقتالكم بان الله سيتم
هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك
بهذه البلدة غير هولاء النفر فانزل الله هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتي هزموهم
فذلك قوله وانتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اهكذا تفعل برسولك يوم احد كئيبا
حزينا جعلت المراة تجي بزوجها وابنها مقتولين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهكذا تفعل برسولك فنزلت ان
تمسسكم قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضَعف والضُعف والجَهد والجُهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل
بالفتح مصدر وبالضم اسم قال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة قال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة
توهم انها جمع قرحة ومعني الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال
فانتم اولي بان لا تفشلوا ولا تخنعوا او تطرح فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد
وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة
خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في اول النهار كما يجي من قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتي اذا فشلتم و
تنازعتم والمماثلة في العدد والقتل والجرح غير لازمة وانما يكفي المماثلة في نفس القتل والجراحة وتلك الايام موصوفا وصفة
مبتدا خبره نداولها او تلك مبتدا والايام خبره كقولك هي الايام تبلي كل جديد فان الضمير لا يوصف ويكون تلك
اشارة الي الوقايع والاحوال والعجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات من الظفر
والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشي من واحد الي اخر ويقال تداولته الايدي
او تناقلته والدنيا الدول اي تنتقل من قوم الي اخرين لا يدوم مسارها ومضارها فيوم يحصل فيه السرور والغم لعدوه
ويوم آخر بالعكس فلا يبقي شي من احوالها ولا يستقر اثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة ودلوة
واخري فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالي تارة ينصر المؤمنين واخري ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله
الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة علي الكافرين واخري علي المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة علي الكفار في جميع الاوقات
وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب

في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلايل الدالة علي صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله والي هذا اشير في
قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب ويعتبر الفوايد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت
وكيت وليعلم تنبيه ايانا بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم ومسيئتهم سنها ان
يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الاية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا علي انه تعالي لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد
سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالي واذا ابتلي ابرهيم ربه وتاويل الاية ان اطلاق لفظ العلم علي المعلوم والقدرة علي المقدور مجاز
مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه او مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله
تعالي محال فمعني الاية ليظهر معلومنا وهو المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلم
علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة تقع علي الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء
الله فاضاف الي نفسه تفخيما لهم وعلي الاقوال العلم بمعني العرفان ولهذا تعدي الي مفعول واحد وقيل انه بمعني فعل القلب الذي
يتعدي الي مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين من غيرهم ويحتمل علي جميع التقادير بان يضمر متعلق وليعلم بعد معناه وليتميز الثابتون
من الايمان من المضطربين ما فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة علي الامم يوم القيمة كقوله
لتكونوا شهداء علي الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر علي ما ابتلوا به من
الشدايد او المراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمي
شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا دار السلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا
بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم قاله ابن عباس وقيل أي الانباري لان الله وملائكته شهدوا
لا يحب من ليس من هولاء الثابتين علي الايمان الصابرين علي البلوي وهو اعتراض بين بعض المعللات وبعض وفيه ان دولة الكافر
علي المؤمنين للفوايد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين والمحص في اللغة التنقية والمحق
النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشي كله حتي لا يري منه شي قال الزجاج معني الاية انه ان حصلت الغلبة للكافرين علي
المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة
لان تمحيص هولاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج ومهل ليقطع طرفا
نقصها من اطرافها التاويل لا تاكلوا الربوا ما يودي الي الحرص علي طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الي ما لا يتناهي فلا يملا
جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوي الله
ويظفرون بالوصول الي الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسايط بقوله واتقوا اي بالقناعة النار اي نار الحرص التي توري
منها نار القطيعة وجدوا في تقديم طاعة الله وطاعة رسوله ثم اخبر عن المسارعة الي الجنان بمسارعة النفس والجنان عرضها السموات
والارض لان المسافة بين العبد وبينها هذا القدر لان الوصول بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسي انه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج
عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية اي ينفقون اموالهم في السراء
والضراء في الضراء بل ما سوي الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي روية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق بما سوي الله ذكروا
الله بالنظر اليه وبرويته ومن يغفر ومن يستر بكشف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا علي ما فعلوا من
من روية الوسايط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شي ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون لمقامات القرب
من ربهم وجنات من اصناف الطاقة تجري من تحتها انهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من
قبلكم ام لهم سنن مسير واو في ارض نفوسكم الحيوانية العبور علي اوصافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف
كان المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية ولا تهنوا ايها السايرون في السير الي الله ولا تحزنوا علي ما فاتكم
من اللذات الفانية وانتم الاعلون من اهل الدنيا والاخرة لانكم من اهل الله ان تمسسكم في اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد
مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السايرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة
ويتخذ منكم شهداء ارباب المشاهدات والمكاشفة وليمحص الله فيه اشارة الي ان كل الظلم الوصب يصيب المومن فهو تطهير
لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغني ومني فهو سبب للكفرانه ومزيد لطغيانه وموجب آخر البلاء له

تمحيص القلوب عن ظلمات الغيوب وتنويرها بانوار الغيوب ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات اخلاقهم
الفاجرة ليتخلصوا من قفص الاشباح الى حظاير الارواح والله اعلم واحكم بالصواب واليه المرجع والمآب

امحسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
یا نه که پنداشتید شما که در آییم در بهشت و حال آنکه هنوز ظاهر نشد دانش خدای آنانرا که جهاد کردند از شما
ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل
و دانستن او صبر کنند کانرا و بحقیقت بود شما آرزو می برید اسباب موت را یعنی جهاد را از ان پیش که
ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول
ببینید از پس بحقیقت دیدید انرا و شما می نگرستید بدان و نیست محمد مگر پیغامبر فرستاده
قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على
بحقیقت گذشته پیش از زمان او پیغامبران اگر پس اگر وفات یابد یا شهید شود باز گردید
اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا و
بر پاشنهای شما یعنی عود کنید تا حالت کفر و هر که مرتد شود بر دو پاشنه خویش هرگز زیان نرساند خدای را چیزی از گزند و
سيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا
زود بود که پاداش دهد خدای سپاس داران را و نباشد هیچ تنی را که بمیرد مگر
باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته ومن يرد
بفرمان خدای نبشته شده موت نبشتنی موقت هر که خواهد پاداش نیکی در این جهان بدهیم او را چیزی از ان و هر که خواهد
ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين
پاداش نیکی در ان جهان بدهیم او را چیزی از ان و زود بود جزا دهیم سپاس داران نعمت اسلام را و چند ا
من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم
پیغمبران که کارزار کردند و با ایشان بودند جماعت بسیار پس بد دلی ننمودند بر آنکه رسید بدیشان
في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب
از مشاعب در راه دین خدای و ضعیف حال نشدند و فروتنی ننمودند اعدا را و خدای دوست دارد
الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
صبر کنندگان را و نبود گفت ایشان جماعت مگر آنکه گفتند ای پروردگار ما بیامرز برای ما
ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
گناهان ما را و از حد در گذشتن ما را در کارها و ثابت دار در مواقف جهاد قدمهای ما را و یاری ده ما را بر گروه
الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله
کافران پس داد ایشانرا خدای نیکی پاداش این جهان و نیکی پاداش نیکو در آن جهان و خدای
يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم
دوست دارد نیکوکاران را ای آنانکه ایمان آوردند اگر فرمان برید آنانرا که کافرند باز گردانند شما را
على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين
بر پاشنهای شما پس باز گردید شما را با حالت زیان کاری در دو جهان بلکه خدای یار شماست و او بهترین یاری دهندگانست

القراءة رايتموه بغير همز يعني بالياء ليين ونحوه رايت وراوه روى هبة الله بن جعفر عن الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يدوبا
وبابه مدغما ابو عمرو وسهل وحمزة وعلي وخلف نوبة مثل يوده وكاين بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن
كثير وقرا يزيد وكاين بالمد بغير همز وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي بغير نون في الوقف وكاي الباقون وكاين في

الحالين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين ٥ تلقوه لطول
الكلام الرسول ج لان ما بعده يصلح صفة واستينافا الرسل ط عقابكم ط لتناهي الاستفهام شيئا ط الشاكرين ٥ مؤجلا لابتداء الشرط
منها ج للعطف منها ج الشاكرين ٥ قتل ط ليكون قتل النبي لازما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل
والتقدير معه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرا قاتل فله ان لا يقف كثير ج لابتداء النفي مع فاء التعقيب
ما استكانوا ط الصابرين ٥ الكافرين ٥ الآخرة ط المحسنين ٥ الخاسرين ٥ مولاكم ج الناصرين ٥ التفسير انه سبحانه لما ذكر فوايد
مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك
مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الآخر تقول ما علم الله في
فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا بعد وانما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب
الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تاكل
السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله صادقا ولكن الفيصل
تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير اظننتم ان يدخلوا
الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين وان يعلم الصابرين ووجه آخر وهو ان يكون مجزوما ايضا لكن الميم لما حركت التقاء الساكنين حركت بالفتحة
اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم
بالجزم على العطف وروي عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب
فيه للذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت
سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن ان
يتمنى الكفر او يريده او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب
النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق لصناعته قالت الاشاعرة هنا من اراد شيئا
اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا
ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء ولن يصيروا شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار
وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رايته بعيني اي رأيتموه
معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رايتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم
وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد
وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم
بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل
علي رضي الله عنه طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم
مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما راوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب
ميمنة الكفار فلما راى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة
الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب
الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن عبيد الله صلى الله عليه وسلم ودافع عنه ابو بكر وعلي رضي الله
عنهما وظن ابن قمئة انه قتل رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ الشيطان ففشا في
الناس خبر قتله فانكفاوا وجعل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول
الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت وما محمد الا رسول ايه سهل قال ابو علي وقد يكون الرسول
في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فخلوا كما

خلوا كما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين اممهم ابدا افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين الاول ان الحاجة الى الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله او موته الادبار عما كان عليه هو من الدين وما يلزمه كالجهاد الثاني القياس على موت ساير الانبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات ولم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الاخرة باي طريق كان بدليل وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي ينقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى او هو الترديد والتشكيك اى سواء فرض وقوع الموت او القتل فلا تاثير له في ضعف الدين ووجوب الاداء او الارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تاتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفين وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولاء وابرا اليك مما جاء به هولاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم نفي اسالهم قال تعالى سيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل او فيه تحريض المومنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم المعارك او العرض ببيان حفظه وكلاته لنبيه فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظا لنبيه ولم يقدر في ذلك الوقت اجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه انهم قد قصروا في الذب عنه وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه لا يحدث شيء الا بمشية الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فاقيم القابل مقام الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا تموت احدا الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا ان يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين احد ليقتله ولكنه جعل من بين يديه ومن خلفه رصدا ليشد على يديه بلاغ ما ارسله به فلا تهنوا في غزواتكم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم اي لن تموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الاية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغير الاجال ممتنع ولهذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا موجلا وهو مصدر موكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه اى كتب الموت كتابا موجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقيل الكتاب الموجل هو المشتمل على الاجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة وقال القاضي الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى واما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلم من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او محمودا والجواب ان هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان ياتي هو بالايمان و

الا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ فما معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم احد من يريد الاخرة كما اخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها اي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنايم وباقي الاية مدح للفريق الاخر الاخروي وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله سنجزي الشاكرين فابهم الجزاء واضافه الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانه كما يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الاية وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك ان المؤثر في جانب الثواب والعقاب المقصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت الظهر والشمس امامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان بالايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف واذا المقصود بها الاشارة فكاين مثل كذا في كونهما مجهولين مبهمين عند السامع الان في ذا المعنى في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف اي فانه للعدد المبهم ومميزها منصوب مفرد على الاصل والاكثر ادخال من في مميز كاين وبه ورد القران والتمييز بعد كذا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من اي جنس هو ولم يتبين العدد المبهم فاي في الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون اخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة له خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كاين مثل كاعن وربما ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا قرئ بهما وفيه لغات اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرا بها ولعلك تجدها في كتب الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل وقاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى وربيون معناه الالوف او الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبه اصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء في النسبة ويقال تربوا اي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الايمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرا قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي ان يكون لكم فيه اسوة حسنة فيكون المقصود من الاية حكاية ما جرى لساير الانبياء ليقتدي هذه الامة بهم ومن قرا قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح فما وهنوا لعل هذا يكون الغرض من الاية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال ومما يويد هذه القراة ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان يرجح القراءة الاولى على هذه الرواية ايضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون ولا استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هولاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا الاية ولابد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفين وقيل استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلق اختلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك الضعف والعجز واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اي بعيد يراد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كان صاحبه وتغير من كون الى كون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك النصر والجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان تقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه وعدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجا اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم النفس واستقصار لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المومنين فاذا لم يحصل النصر وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك ظاهرا على صدور ذنب وتقصير من المومنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب اولا الصغاير والكباير بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكباير بقولهم واسرافنا فان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه والمراد

بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة
والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء واحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في
وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية تاديب وارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوايب جهادا كان او غيره
فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة وهو الجنة وما فيها من المنافع
واللذات وذلك غير حاصل في الحال فالمراد انه حكم لهم بحصولها في الاخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم
مثل اتى امر الله اي سياتي قال القاضي ولا يمتنع ان الاية مختصة بالشهداء وانه في الجنة عند ربهم كما قال احياء وثواب
الاخرة كله حسن فما ظنك بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدورتها وصفوها بالانقطاع
والزوال قال القفال يحتمل ان يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود و
عدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نؤته منها
في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم
لم يذكروا انفسهم بالعيب والقصور ولم يسالوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلاجرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل
على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وههنا سر وهو
انه تعالى وصفهم بالطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعناية الله وفضله يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم
والمعنى ان تستكينوا لهم وتستامنوهم وعن علي رضي الله عنه هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا
الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ولا سيما عند هذه
الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا ما غلب ولما اصاب اصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما
عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافي العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم
وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر بعد الاسلام والانقياد للاعداء الذي
هو اشق الاشياء لذي العقلاء وفي الاخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله موليكم ناصركم وهو
اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطاء وجهالة لانهم
عاجزون مثلكم متحيرون وغير الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة على النصر لانه خبير
بمواقع الحاجات قدير على انجاح الطلبات ينصر في الدنيا والاخرة بلا شائبة علة من العلات ونصر غيره لو فرض فانه مخصوص
بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه التاويل ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة اي لجوار عالم الملكوت لم تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس و
تصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة ليتجلى الارواح بالانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب
الطلب تمنون الموت موت النفوس عن صفاتها بتزكية لها من قبل ان تلقوا المجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها
عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر طالما او في الجهاد الاكبر هنا فقد رايتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تغضون
ابصاركم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بارواحكم واشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار
له فينقلب المقلد عن ايمانه عند انعدام المقلد من الوالدين او الاستاد وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سؤال الملكين في قولهما
له من ربك فيقول هاه لا ادري فيقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان له
لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر الشرع
والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت من اوصافها الدنية واخلاقها الردية وتخلص عنها بطبعها الا باذن الله وجذبه واشراق
نوره كما ان ظلمة الليل لا تنمحي الا باشراق طلوع الشمس ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق فقد راى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة
له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه انشد شعر خليلي هل ابصرتما او سمعتما ٭ باكرم من مولى تمشى الى العبد ٭ اتى زائرا من
غير وعد وقال لي ٭ اصونك من تعذيب قلبك بالوعد ٭ ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه في الاخرة وسنجزي الشاكرين

اي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل معه اعدى العدو الذي بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا
لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة لذو الالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا
اي النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم والله اعلم بالصواب

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل
زود بود كه افكنيم در دلهاي آنانكه كافر شدند ترس را بسبب آنكه انباز گردانيدند با خداي آنرا كه فرو نفرستاد
به سلطانا وماويهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم
خداي باشراك آن هيچ حجتي وجاي ايشان آتش است وبدا جاي مشركان آن وبحقيقت راست گردانيد براي شما
الله وعده اذ تحسونهم حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم
خداي وعده خود را چون ميكشتيد شما ايشان را بفرمان او تا چون بد دل شديد ومنازعت نموديد با يكديگر در كار قتال ونافرماني كرديد
من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من
از آن پس كه نمود خداي بشما از آنكه دوست مي داشتيد از نصرت وغنيمت از شما بود كسي كه ميخواهد ثواب اين جهان را واز شما بود كسي كه
يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم
ميخواست ثواب آن جهان را پس باز گردانيد شما را از ايشان تا صورت آزمايش نمايد شما را بتميز منافق از موافق وبحقيقت عفو كرد از
والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على
وخداي خداوند بخشايش است بر مؤمنان چون دوري رفتيد در زمين راه گريختن وملتفت نميشديد بر
احد والرسول يدعوكم في اخريكم فاثابكم غما بغم
هيچ كس وپيغمبر ميخواند شما را در جماعت بازپسين پس جزا داد شما را غمي كه غلبه اعداست بسبب غمي
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون
كه برسول رسيد از عصيان تا اندوهگين نشويد بر آنچه فوت شد از شما ونه بر آنچه رسيد بشما از شدايد وخداي آگاه است ودانا بآنچه ميكنيد شما
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طايفة
پس فرو فرستاد بر شما پس از آن غم ايمني را خوابي كه مي آيد بگروهي
منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن
از شما كه مؤمنان بگروهي كه منافقان اند اندوهگين گردانيده بود ايشان را مصالح نفسهاي خود گمان مي بردند بخداي گماني ناراست گمان
الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله
اهل شرك وجهالت مي گويند هيچ هست مارا از كار نصرت هيچ چيز بگوي بدرستي فرمان همه آن خداي را
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر
پنهان مي دارند در ضماير ايشان آنرا كه آشكارا نميكنند براي تو مي گويند اگر بودي مارا از كار حقيقت دين
شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين
چيزي كشته نشدندي ماران اينجا بگوي اگر بوديد شما در خانهاي خويشتن هرآينه بيرون آمدندي آنانكه
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم
نبشته اند برايشان كشتن تا آن مواضع كه قتل ايشان آنجا تقدير رفته وتا بيازمايد خداي آنرا كه در سينهاي شماست
وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين
وتا پاك گرداند آنرا كه در دلهاي شماست از وساوس وخداي داناست بآنچه در سينها نهانست بدرستي آنانكه
تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
منهزم شدند از شما در آن روز كه بهم رسيدند دو گروه بدرستي بگناه داشت ايشان را ديو بسبب آنچه

ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين امنوا لا
آنچه کسب کرده بودند و بتحقیق عفو نمود خدای از ایشان بدرستی خدای آمرزگارست تحمل نماینده ای آنانکه ایمان آوردید

تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا
مباشید چون آنانکه کافر شدند و گفتند مر برادران ایشان را چون بیرون رفتند

في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
در زمین یا بودندی قاصد دشمنان دین اگر بودندی نزد ما نمردندی و کشته نشدندی

ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون
تا گرداند خدای این گفتار را اندوه در دلهای ایشان و خدای زنده میگرداند و میمیراند و خدای بآنچه میکنید بیناست

بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
و اگر کشته شوید در راه دین خدای یا بمیرید هر آینه آمرزش از خدای و بخشایش

خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
بهتر است از آنچه گرد می آرند از زخارف دنیوی و اگر بمیرید یا کشته شوید هر آینه سوی حکم خدای گرد آرند شما را

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
بسبب بخشایش از خدای نرم خوی آمدی برای ایشان و اگر بودی تند خوی سخت دل هر آینه

لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
متفرق شدندی از جوانب تو پس جرم درگذار از ایشان و آمرزش خواه برای ایشان و مشاورت کن با ایشان

في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
در کار حرب و مانند آن پس چون تصمیم عزم کنی پس اعتماد نمای بر خدای بدرستی خدای دوست دارد آنان را که کار با او گذارند

ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن
اگر یاری دهد شما را خدای پس هیچ غلبه کننده نیست مر شما را و اگر فرو گذارد شما را پس کیست

ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون
آنکه یاری دهد شما را پس از آن خذلان و خاص بر خدای باید که اعتماد نمایند مومنان

القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين وما يهم وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل تغشى بتاء فوقانية والامالة حمزة وعلي وخلف الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب بما يعملون بصير بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب ابن كثير وعباس وعلي وحمزة وخلف وافق حفص لا ههنا الجوار متم بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل الباقون بتاء الخطاب. الوقوف سلطانا لعطف المختلفين النار ط الظالمين ه باذنه ج لان حتى يحتمل ابتداء الحس ووجه الابتداء اظهر لان ان اذا مع حذف الجواب اي اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر ومنعكم نصره والوقف على تحبون في الوجهين الاخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفا عنكم ط المؤمنين ه اصابكم ج تعملون ه طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو مقحم او عاطف على محذوف اي لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في صدوركم الصدور ه الجمعان لا لان انما خبر ان كسبوا لاحتمال الواو حالا او استينافا عنهم ط حليم ه وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد تعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير ه يجمعون ه تحشرون ه لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك والوصل اولى ليعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر بفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله المتوكلين ه لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده المؤمنون ه التفسير انه تعالى يذكر في هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك

ان هذا من معاظم اسباب الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم احد الا انا سنلقي في قلوب الكفار الرعب بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى انه مخصوص بيوم احد لوروده في سياق تلك القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفين والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب وفروا منهم من غير سبب حتى روي ان ابا سفين صعد الجبل من الخوف وقال اين ابن ابي كبشة يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجاب عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبودهم يصح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا الهة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه استخرج بالقهر قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله مصراع ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من بالغ فيقول لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في دفع هذا الاحتياج الحاجة الى اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا استند النافي بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه اما اذا استند النافي بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال ماواهم اي المكان الذي ياوون اليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم تستاصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه وراسه اذا اصاب راسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلى الله عليه وسلم راى في المنام يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكر من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان هذا كان مشروطا بالصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء هذا ليس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل لان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال آخرون انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه الاول قول البصريين انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه الثاني قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي تفهموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالث قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقط وقيل جوابه ما يدل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما انهزم المشركون ورأوا امامهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر اما ان يكون بمعنى الشان والقصة اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا في انفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم

تنازعوا من طريق القول في ان اهل يذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية
بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الاخرة وفايدة قوله من بعد ما اراكم ما تحبون
التنبيه على عظم شان المعصية لانهم لما شاهدوا اكرام الله بانجاز الوعد كان من حقه ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم الله
ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وجالت الريح
دبورا وكانت صبا حتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر
بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد
اضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يحسن معاتبة
القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الاية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا
فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا لطلب الغنايم وبعضهم بقوا هنالك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك
لقتلهم العدو من غير فايدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتنحوا عن ذلك الموضع الى موضع يتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي
صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه وتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جايزا اضافه الله تعالى الى نفسه بمعنى انه
كان بامره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هنالك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين
ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبابهم من اعظم انواع الابتلاء فان قيل الاية
مشتملة على معذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وقوله ولقد عفا عنكم يرجع الى غير
المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم
من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب
الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا
فيه امر من اعلمهم انه قال عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغاير
ان يضف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكباير فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة
اذا لم يتب لم يكن من اهل العفو وقالت الاشاعرة لا شك ان ذلك الذنب كان من الكباير لانهم خالفوا صريح نص الرسول
صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الاية دل على انه
تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لان التوبة غير مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن اصحاب الكباير والله ذو فضل على
المومنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان
النصر رحمة وقد يستدل بالاية على ان صاحب الكبيرة مومن لانه تعالى سماهم مومنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مومن
ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما استيناف باضمار اذكر واما ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم
من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب افترض وقوع العفو ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعادكم
والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال ابو معاذ النحوي كل شي له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة يقال فيه
اصعد اذا اخذ من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا يلتفتون اليه واصله
ان المعرج على الشي يلوي اليه عنقه او عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة
فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو في اخريكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وبقي هو في الجماعة المتاخرة يقال جيت في آخر الناس واخراهم كما
تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف
على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل اذ يقال ثاب اليه اي رجع والمراة تسمى ثيبا لان واطئها عايد اليها فاصل الثواب كل
ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله كان خيرا او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام
بلا تاويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم تحية بينهم ضرب وجيع اي جعل مكان
ما يرجون من الثواب الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر بهجة اللذة والسرور والباء في غم يحتمل
ان يكون بمعنى المعاوضة تحويت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة والتقدير اثابهم غما مع غم ففيه وجوه قال الزجاج

انكم لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيان امره اذاقكم الله غم الانهزام وقتل الاحباب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن
يريد غم يوم احد للمسلين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام
وكما غمكم ما نزل من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغير ذلك غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانهزام في سلك العصاة لطلب
الغنيمة ثم الحرمان عنها ففيه وجهان الاول ان يكون هناك غمان الثاني ما اصابهم عند الفشل والتنازع الثالث
ما حصل عند الهزيمة او الاول غم فوات الغنايم والثاني ان ابا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا
منهم جماعة عظيما او الاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم في انفسهم واموالهم
والثاني غم الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او الاول خوف عقاب المعصية والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعود
الى المحاربة واذا امر بالمعاودة بعد القتلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الاخرة
ان يراد به مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المتعددة وما يخرط في سلكها اللام في
قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان في عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون
المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدايد فلا يحزنوا فيما بعد على فايت من المنافع
ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم
مغمومين يوم احد في مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصايبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوايدها
قالت الاشاعرة معنى اثابته الغم ان الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شي واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه
اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمصايب وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه يخلق الله فالي غاية
المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض ان لا يبقى في قلوب المومنين اشتغال بغير الله
ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا يحزنوا
على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما في قول الزجاج او المراد انكم تلتم تعتبا
في هذا المكان وامتلاتم غما في غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول وطالبتم الغنيمة وقعتم في غموم اخرى كل
واحد منها اعظم من ذلك فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة اخرى ثم كما زجرهم عن تلك المعصية بزاجر
دنيوي زجرهم بزاجر آخر اخروي فقال والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر
ان الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد فريقان الاول الجازمون بحقية هذا الدين وان هذه الواقعة لا تنادي
الى الاستيصال الاخبار الصادق ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا واراد هولاء بقوله تغشى طايفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور
في اوايل النوم وانتصاب امنة على انها حال مقدمة من نعاسا مثل رايت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه
حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة على انها حال مقدمة من نعاس مثل رايت رجلا راكبا رجلا او مفعول له على انه جمع
امن كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط
من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد
الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ههنا
وعن ابن مسعود النعاس في القتال امنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وكان في ذلك النعاس فوايد منها ان شموله للمومنين كلهم لا في
الوقت المعتاد معجزة ظاهرة تجديدة لهم موجبات لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في
الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاط ومنها اشغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة و
الاحبة ومنها ان الاعداء كانوا احراصا على قتلهم فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من ادل الدلايل
على انه حفظ الله وكلاته معهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير
ضرورة مع ان فيه ابطال الفوايد والحكم المذكورة واعلم ان من قرا تغشى بالتاء فللعود الى النعاس ونصره كونه اقرب وكون
البدل في حكم المبدل منه وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب يقول غشيه النعاس وقلما يقول
غشيه الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيا واحدا كان التذكير اولى الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في

في ثلث من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة
قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي والمسلمين والهم الامر الشديد ويقال اهمه ذلك الامر اي اقلقه
وحزنه فالمعنى اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد
اشتغاله بالشيء واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عندهم هو النفس وكانت اسباب الخوف على
النفس هنالك موجودة والمانع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن لهم هنالك الا هم انفسهم يظنون بالله
غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب ان غير
الحق اديان كثيرة واردؤها مقالات اهل الجاهلية فذكر اولا انهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين انهم اختاروا من الاديان
اردلها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول
غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للملابسة اي الظن المختص بالملة الجاهلية كقولك
حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للملابسة اي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام او اريد
ظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك الظن هو انهم كانوا
ينكرون الا له العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول النبي ان الله
يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد محقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل
السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه باخرى واما عند
من يعتبر المصالح في افعاله واحكامه فلا يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصايب حكم خفية ولو كان كون
المؤمن محقا يوجب زوال المصايب عنه اضطر الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكليف واستحقاق الثواب والعقاب
وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلايل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية
صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية لشبهة تمسك بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار
وانما يحتمل وجوها الاول هل لنا من التدبير من شيء يعنون راي عبد الله بن ابي واصحابه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل
قوله حين امرهم ان يسكنوا في المدينة ولا يخرجوا منها ونظيره حكاية عنهم لو اطاعونا ما قتلوا الثاني من عادة العرب انه اذا كانت
الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة
شيء الثالث انطمع ان يكون الغلبة على هؤلاء والغرض منه تعيير المسلمين على التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله
قل ان الامر كله لله والحوادث باسرها مستندة الى قضائه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة
بالشهادة فلا مفر من ذلك وقدر ايضا اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان وتم لا محالة يخفون في انفسهم في ضمايرهم
او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اي لو كان هذا الدين حقا لما سلط
الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم الذين قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده
فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم تخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على البروز
الى هذه المضارع لا يخلو عن الفوايد وذلك قوله ليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص
بما في القلوب اما الاختلاف فللعبارة واما الابتلاء فعلة القلب الذي في الصدر مورده الحيات والعقايد التي في القلب
واعلم ان نسق هذه الاية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ واهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره
محذوفا اي وثمة او ومنهم طائفة واهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على
وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما صح وقوع الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان
سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع
فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر لله وقوله يقولون
استئناف وقوله ليبتلي تقديره ذكرت في لو قعدتم واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك
الظن بانهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدأ والمعاد

وفي القضاء

وفي القضاء والقدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان
سؤالهم ذلك مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين نفاقهم كيلا
يغتر بهم المؤمنون فقال يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل ان يسأل
ما الذي يخفون في انفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي مطاع
لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدايرة بين السني والمعتزلي
فذاك يقول الطاعة والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فامر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يجيب عن هذا الاعتقاد بان ما قضى الله فهو كاين والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يرد التقدير ثم بين
المصالح ففايدة الابتلاء وهو ان تميز الموافق عن المنافق كما في المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن
وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور بضمايرها وهي الاسرار والضماير ليعلم ان
ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
يعني يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان
اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعده رجال ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل اغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين
لم يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من
ذهب الى ساير الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوايل
المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ايضا عثمان انهزم وهو مع رجلين من الانصار
يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم
فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد
الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر
وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا
بايعوا يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن
المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ابن عيينة انه اصيب بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحو من ثلثين كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم
الشيطان يقول زللت اي فلان تزل زليلا اذا زل في طين او منطق والاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه
اليها والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم جنايات فبواسطة تلك
الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على
جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد
الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة المركز اوقعهم الشيطان
بشؤم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب
كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لان الكسب قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت او
لان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال الحسن استزلهم
بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض
الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا ولذلك منعتهم
التاييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما
يكون اعمالا اخر اما في هذه الغزوة او قبلها ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وتركوا دينهم لان العفو عن الكفر
لا يجوز بقي البحث في انه اي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وجه عليه ثم الاية قد سبقت لاجله ثم انه من الصغاير
او من الكباير قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغاير فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكباير فلا بد من

قالت المعتزلة كلاهما فلا بد من اضمار تقديم وان كان غير مذكورة في الآية قال القاضي الاقرب انه من الصغاير لانه لا يكاد يقال في
الكباير يقال انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا الطلب الغنيمة والخطاء في
الاجتهاد ليس من الكباير وقالت الاشاعرة انه من الكباير لانهم خالفوا النص وحيث عفا عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الآثار
غلب على الظن ان العفو عن الكباير واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد رغبتهم في الجهاد فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا قيل انه علم وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس عبارة
عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يتميز المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم مثل وقال الذين
كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يتكلم وعلى
تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة الاشتراك النسب فلعل بعض المنافقين
صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والغاز
غاز والجمع غزى مثل ضارب وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا او حين ضربوا ليشاكل في المضي قوله وقالوا
لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض والكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
فمن اخبر عنهم بعد ذلك لا بد ان يقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه
لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله وفيه دلالة على نحتهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقد بلغ الغاية وكان هذا
المستقبل كالكاين الواقع ويمكن ان يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي ليعلم ان المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه
الشبهة قال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى
ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او
كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اما اللام في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ففي تعلقه وجهان الاول انه قالوا اي قالوا
ذلك الكلام والتقدير ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فيكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه قيل لان اقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا
في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت او لم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد
في ان الحيوة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم
تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيامة
اذا راوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما اعلم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم
في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الثاني ان متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك
اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون
مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لمقالتهم وجواب عن شبهتهم اي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال والله اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور على وفق اقضيته واحكامه ونقضه
وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة وطعنة وها انا ذا اموت كما يموت
العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي رضي الله عنه يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي
بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله مقلب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت
قلوب اعدائه بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للذين كفروا ويكون وعيدا
لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن مثلهم لانه سبب التقاعد
عن الجهاد وتنفر الطبع عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله شيء من مغفرته ورحمته خير مما يجمعون فاللام
الاولى هي الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الآية الاخرى والمعنى ان القتل او الموت في السفر غير لازم الحصول
لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان ذلك خير مما يجمعون من
الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا
قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا او ورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خيرات لهم انما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان

المال الذي يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء
المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل ما نعا من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام
ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها عن الشوايب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الآخرة اصفى وانقى وابقى ولا
سيما منافعها العقلية واي نسبة لانتفاع الحمار بلذة فبقية ووذبذبة الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم
بنوع آخر فقال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت او القتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا
مع اللذات الخسيسة الحسية والخيالية فتركتموها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو اعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس
والمال في دين الله وصلتم الى اعلى درجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الآية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء
والختم على ما هو افضل او لان الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين
يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب
على احوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا فالمعتبر انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطايف منها تقديم
الجار على الفعل لافادة الحصر وانهم لا تحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل
على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها
بناء يحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره
ومنها اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم ان القاتل
والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر
في الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه
والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهو اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما احسن هذا النسق
يروى ان عيسى صلوات الله عليه مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيما الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا
نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فرأى عليهم تلك الآثار فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال
هو من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى عليهم سمات العبودية اكثر فقالوا نعبد لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة
فقال انتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الآية دليل على ان المقتول ليس بميت والا كان قوله لئن متم
او قتلتم عطفا للشيء على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم
في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وكان النبي
وعلى بعض السلاح فقالت ما فعل ابن عثمان اما والله لا تجدونه الام القوم فقال لها علي الا ان عثمان فضح الذمار اليوم فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مه وروي انه قال انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغايط فلا يستقبل
القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لا حكم احب الى الله من حكم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل
امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما واحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو
التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه ورأوا فيه آثار الشفقة وامارات النصيحة وعن
بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا على الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة
لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما
وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف ان الله سر في القدر هانت عليه
المصايب فانه يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا غاية
مغلوب لا يغضب واذا حصل له مطلوب لم يابه به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع
احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب
العشرة مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم اكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث لتتميم مكارم الاخلاق وجب
ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم
بزيادتها للتوكيد اما الحكم بزيادتها فلينظر الى اصل المعنى وحصل حرف الجر بما بعدها وكانه قال فبرحمة فبرحمة واما افادتها

التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة واذ كان لينه
ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو لان كل رحيم
سواه فانه يستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب او الطمع في الثواب والثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية
الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا من بعد مواتاة سائر الاسباب السماوية
من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وبتوفيقه وبربطه على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في
لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق واصله فظظ كحذر وقد فظظت يا رجل بالكسر فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا
لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد والتركيب يدل على التفرق ومنه
فض الختام وقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنهم من حمل الاية على واقعة احد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم احد
حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب شافهتهم بالملامة على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء
بسبب ما كان منهم وكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من
حق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزاني ولا تأخذكم بهما
رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم فعلم
من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شيء في موضعه وان طرفي الافراط
والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى واحتجت الاشاعرة بالاية في مسألة القضاء والقدر وذلك ان حسن
خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في جميع المكلفين فكل ما فعله محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة
والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين
اشقى الاشقياء فلا يكون لاختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الاية فاذن جميع افعال العباد
بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد
فعله في حق المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذاك بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم
ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وفي فاء
التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو عنهم في الحال كما انه تعالى قد عفا عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت
عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله تعالى بهذه الامة ثم قال
وشاورهم في الامر والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل اي اجتنيته واستخرجته من موضعه وقيل من شرت الدابة شوارا اذا عرضتها
على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوار يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار والتركيب
يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الآراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس
واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شأنهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك ذلك النوع من الاهانة والفظاظة
وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يخطر ببال احد ما لم يخطر ببال
ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن
به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطأوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر من تلك
الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان يصير النفوس الطاهرة متطابقة على تحصيل اصلح
الوجوه فيكونوا اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر
في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى ما امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم
ليعلم انهم الآن اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم
ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يكن للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما قال
اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص
بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه من الوحي بالاتفاق فهو اذن لمعهود سابق ولم يعرف ذلك الا ما جرى
من امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن منذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار

اليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا فقبل منهما وخرق
الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة على الباقي وكيف لا وانه كان مأمورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه
وحي لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين
وقد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد روي للشافعي انه حمله
على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم البكر تستأمر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا
لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر و
التدبير والرأي الحسن وعن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اي اذا ارشدتك الى شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور
بعد ذلك ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
من بعده اي من بعد خذلانه لدلالة الفعل عليه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل
ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم من بعده من الانبياء والاولياء
فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اياه التوكل لما علم ان الامر كله
له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان حال نفسه بالكلية
ويرفض الوسايط والاسباب كما يتصوره الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو ان يراعي الاسباب
الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتأييده وتوفيقه وتسديده **التأويل** ولقد صدقكم الله ايها الطلاب
وعده الامر بطلبي وجدي اذ تقتلون جنود صفات البشرية بأمره لا على وفق الطبع حتى اذا فشلتم في قتال النفس وخالفتم في امر الطلب
وعصيتم الدليل المربي من بعد ما اراكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم
من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الاخرة وفي هذه الآية عند الشبلي صاح صيحة وقال لما كان من احد
يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات
وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعني بعد ابتلائكم عفا
عنكم عن التفاتاتكم الى الدنيا والاخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق
طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا يلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والاخرة والرسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادي
فجازاكم بدل غم الدنيا والاخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا لما اصابكم من نعيم الاخرة والله خبير
بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والاخرة في طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفي جزاءكم ثم اخبر عن انزال الحقايق اصناف الطائفة
على عباده في صور مختلفة فانزل الامن في صورة النعاس على الصحابة واخرج جواهر الوقايع السنية لارباب القلوب و
المكاشفات من معدن النعاس فان اكثر ما يقع بين النوم واليقظة وطايفة من ارباب النفوس ومدعي الاسلام لا هم لهم
الا هم انفسهم من استيفاء حظوظها واستبقاء لذاتها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه ولا
قدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على ايدي حزب الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم
ايها المنافقون لان الصدور معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان وتزعمون ما في صدوركم من غل يوسوس في صدور
الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمينان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب
ونسبة الاسلام باللسان والايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان
خلق من نار فلهذا يخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم
ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان الله تعالى في كل شيء من الخير والشر اسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال
لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد
او سلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معهما
ما ماتوا بفناء الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار
المشاهدة فلا يصبرون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وعليه صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقي الحقايق
تقدمت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني لانه

لان برحمته ولصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا
ذلك لاضمحلت تلك القوى وانفضت من الجوانب وتلاشت واختلت حكمة التمدن وتعذرت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ان الكلام
في ان هذا اللين لابد له من الغلظة التي لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما تقدم الله حسبي وكفى

وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى
و نیست هیچ پیغمبری را که خیانت کند در غنیمت و هر که خیانت کند بیاید بآنچه خیانت کرده روز قیامت پس تمام داده شود
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء
هر تنی را جزای آنچه کرده و ایشان ستم کرده نشوند ای پس آنکه متابعت نموده خشنودی خدای را چون آنکس بود
بسخط من الله وماويه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله
که سزاوار شود بخشم از خدای و جای او دوزخ بود و بد جای بازگشتن است ایشان که اهل ثواب و عقاب‌اند اصحاب مراتب نزد خدای و خدای
بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
بیناست آنچه می‌کنند بحقیقت انعام فرمود خدای بر مؤمنان چون فرستاد در میان ایشان پیغمبری فرستاده
من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
از جنس ایشان که میخواند بر ایشان قرآن او را و پاک میکرداند از شرک و اخلاق ذمیمه و می‌آموزد ایشان را قرآن و بیان شرایع
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة قد
و بدرستی که بودند از پیش هر آینه در گمراهی هویدا آیا گردید در روز احد آنچه گردید و آنگاه که رسید بشما
اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على
دوران روز رسیده بودند بحقیقت بدو چندان گفتید از کجی است این بگو آن نزد شماست که اختیار حرب گردیدنی فرمان رسول بدرستی خدای بر
كل شيء قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم
همه چیز تواناست و آنچه رسید بشما در آن روز که بهم رسیدند دو گروه پس بفرمان خداست بود تا ظاهر
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل
گرداند خدای مؤمنان را و ظاهر گرداند آنان را که نفاق کردند و گفته شد مر ایشان را که بیایید تا کارزار کنید در دین
الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ
خدای یا دفع کنید خصمان را گفتند اگر دانستیمی کارزاری را هر آینه متابعت نمودیمی شما را ایشان برای کافری در آن روز
اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم
نزدیکتر بودند در ایشان برای مسلمانی می‌گویند بدهنهای ایشان آنچه نیست در دلهای ایشان و خدای داناتر است
بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا
بآنچه نهان میدارند آنانکه گفتند برای برادران ایشان در حالیکه قاعد شدند اگر فرمان بردندی
ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
ما را کشته نشدندی بگو پس دفع کنید از خویشتن مرگ را اگر هستید راست گویان
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
و مپندار آنان را که کشته شدند در راه خدای مردگان نه که ایشان زندگان‌اند نزد پروردگار
يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
روزی داده میشوند حال آنکه شادند بدانچه داد ایشان را خدای از فضل خود و شادمانه میشوند بآنانکه نرسیدند
بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون
بایشان پس از زمان ایشان که هیچ ترس نیست بر ایشان و نه ایشان اندهگین شوند شادمانه میشوند

بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين
بنیکوی از خدای و فزونی ثواب و بآنکه خدای ضایع نکند مزد مؤمنان را آنانکه
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا
اجابت نمودند مر خدای را و پیغمبر را در معاودت قتال از آن پس که رسید بایشان خستگی مر آنانراست که نیکی کردند
منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
از ایشان و پرهیزکردند از مخالفت مزد تمام آنانکه گفتند مر ایشان را مردم منافق که بدرستی مردم مشرک بحقیقت جمع کردند
لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
لشکرها را پس بترسید از ایشان پس بیفزود آن گفتار ایشان را ایمان و گفتند بسنده است ما را خدای و نیکا کارگزاری او
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان
پس بازگشتند با نعمت سلامت از خدای و فزونی ربح تجارت نرسید بایشان هیچ بدی و متابعت نمودند خشنودی
الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف
خدای را و خدای خداوند بخشایش تمام است بدرستی آن دیو می‌ترساند شما را
اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
از دوستان خود پس مترسید از ایشان و بترسید از من اگر هستید شما از اهل ایمان

القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح
على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف
وان الله بالكسر علي الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد
واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف الوقوف ان يغل لابتداء الشرط يوم القيامة لانتهاء جزاء الشرط مع العطف
لا يظلمون نصف الجزء جهنم المصير عند الله بما يعملون والحكمة لمكان العطف بين مثليها الانا استفهام
الانكار دخل على قلتم هذا انفسكم قدير وليعلم المؤمنين نافقوا لاحتمال العطف والاستيناف والوصل اولى
على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا لاتبعناكم للايمان لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم يكتمون لاحتمال كون الذين
بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدا محذوف ما قتلوا صادقين امواتا عند ربهم يرزقون لان فرحين حالهم من فضله
للعطف من خلفهم لتعلق ان يحزنون للاية واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون و
فضل لان التقدير وقد قيل لهم او ادفعوا لاتبعناكم للايمان لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم يكتمون لاحتمال الكون الذين
بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدا محذوف ما قتلوا صادقين امواتا عند ربهم يرزقون لان فرحين حالهم من فضله للعطف
من خلفهم لتعلق ان يحزنون للاية واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفضل لان التقدير
وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المؤمنين لان الذين يصلح للمؤمنين ومبتدا خبره للذين احسنوا او
نصبا على المدح والاول اوجه لاتحاد الصفة القرح لمن لم يقف على المؤمنين عظيم لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا
محذوف ايمانا والوصل اولى للعطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل للعطف رضوان الله عظيم
اولياء، لوصل الخوف عن النهي عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل
الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في
الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر
بالاشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال ايضا
هدايا الولاة غلول يغل غلولا اي خان واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال
ابو عبيد الغلول في المغنم خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكباير عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين والصحيحين عن ابي هريرة

قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقال يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك ومعنى الاية فيمن قرا بفتح اليا وضم الغين ما كان لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الاخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات افلا يكون امينا في الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرا يغل بضم اليا وفتح الغين ففيه وجهان الاول يخان اي يوخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوايد منها ان المجني عليه كلما كان اجل منصبا كانت الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الاخرة فضيحة الدنيا ان المسلمين في ذلك الوقت فكانت تلك الخيانة وقتئذ اقبح الثاني يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب اكفرت الرجل جعلته كافرا او نسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها وقد طعن بعضهم في هذه القراءة مطلقا وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن في يده غل رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما اسباب النزول اكثرها يروى انها تأخرت قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنايم بشي زايد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث طلايع فغنم بعدهم غنايم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت مبالغة في النهي لرسوله يعني ما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة منهم ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس اذا قال يمثل ذلك الشي في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك وقتئذ يكون انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشي وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل

ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير مخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل ما اجمل فقال افمن اتبع الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره امن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بسببه بشدة ارادة انتفاع لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر النبي حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله والكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب ليكون الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأويه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا يجوز في الحكمة ان يسوي بين المحسن والمسيء والا كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا انه قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لان لهم درجات وقيل المراد هم ذووا درجات ثم الضمير الى اي شي يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأويه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويويده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب وانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منهم لمن ضحضاحا وعمر وقال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب وهل يعذب احد عذابي والاوجه ان يكون عايدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب حسب تفاوت اعمال الخلق وقد يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد من الله على المومنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشا فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة ومنها كانه تعالى قال لا اكتفي في وصفه بان انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه باقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول الاول ان الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلايل الكمال وينزع علل السوء في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطنتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند سطوع الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمومنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المومنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابرهيم صلوات الرحمن عليه كان مشتركا بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتورية والانجيل وما كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زايدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنس الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس اميل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة عليهما السلام انهما قرأ من انفسهم بفتح الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المومنون عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم واما سائر اوصافه من قوله يتلوا عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة تقدم تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من
قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها
اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعظم نفعا واتم وقعا ثم لما اجاب عن نسبة النبي الى الغلول حكى عنهم
شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم
فالواو في قوله او لما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف
لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم وقوله قلتم انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم
ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على
الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين
يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في العدد القتلى
والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاول من يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين
حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على
حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند انفسكم وفيه
تعريض وجهان ان هذه المصيبة بشوم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول في امره في الخروج عن المدينة وكان رايه في الاقامة
في المقيل وفي التنازع في مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال
جاء جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى
وقد امرتهم ان تخيرهم بين ان تقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا ناخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو
ونرضى ان يستشهد منا بعدتهم فقتل يوم احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم
الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان للعبد اختيارا في الفعل والترك وانه من عند نفسه وعارضهم
الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد
امتنع من الله ان يقدر عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي اسناد الكل الى مسبب الاسباب
ويؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لانه حكم
بالقضاء الازم وقيل بتخليته لان الاذن مخل بين الماذون او مراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرتم المصالح فذلك
قد وقع ليعلم المؤمنين لان القضاء بالرضا لازم اي ليتميزوا عن اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين
لفظا لان الغرض تصويرانهم شرعوا في الاعمال اللايقة بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها وانه عطف على الصلة وقيل لهم
قال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام
الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان
في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم غنم الآخرة وطلب مرضاة الله اي كونوا من رجال
الدين او من رجال الدنيا قال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة
فالرهب ثم انه كان بعد انساب فاذا اجاب المنافقون عند المؤمنين ايام الى القتال فقيل تعالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
كانهم جعلوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة والمراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بايديكم
الى التهلكة وخلك ان راي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في الجواب فاسد
الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قائم
مقام العلم ولا امارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة
ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولما كذبوا بهم قال هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المنبي عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول فما قال اكثر العلماء انه

تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر اذا قال الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف
او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الآتي بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول
بتكفيرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة
قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله اعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وبسائر مجاري احوالهم فيما بينهم وذلك ان المؤمنين
قد علموا بعض ذلك بالقراين والامارات وهو تعالى اعلم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات الذين قالوا
منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز ان يكون
مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او سكنى في الدار او في
الجنسية في النفاق والقايلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه واعترض الامام بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف
بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد تعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال وهو الجبن عنه وترك الاتيان في
الخروج لو اطاعونا في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة
وكراهة الموت ومن يسمع بخل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود ونفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى
بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر لا يغني عن القدر وان سلامتكم كان بسبب قعودكم لا بغيره
من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات
يوم بدر قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يحترز منه لو امكنه لكنا
لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب للرسول او لكل احد ومن قرا على الغيبة
فالضمير للرسول او المراد لا تحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم
امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور كلاهما كما حذف المبتدا في قوله بل احياء اي هم احياء للدلالة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة تحت العرش في ظل فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من
يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل هذه
الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك
دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك قال
اسئلك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي فنزلت
قال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة او سرور
تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم
احياء متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فمن طائفة انها على سبيل المجاز فقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في
الدنيا والثواب الجزيل في العقبى روي ان عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلمه وفقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك
ومن هذه الطايفة من قال مجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روي انه لما اراد معاوية
ان يجري العين الى قبور الشهداء امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطابا لينا
فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانقطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طايفة من
متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر
ثابت فالثواب اولى وبانه نهى عن حسبانهم امواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال القيمة فان ذلك محتمل الا
يشك النبي والمؤمنون فيه وبما روينا عن ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا و
الاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية
وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان
اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد في نفسه انه شيء واحد باق من اول
عمره الى آخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم

معاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشي المغاير لهذا البدن المحسوس سوا كان جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد بان ينفصل
بعد موت البدن حيا او اماته الله فيعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر وثوابه ويزول الشبهات ومن تامل في
الامور الواردة عليه وجد احوال النفس المضادة لاحوال البدن ووجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر كما ان البدن
يضعف عند النوم وتقوي النفس علي مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب
واقبلت علي مطالعة العالم العلوي زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها
المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع علي انهم احياء في الحال بحيوة جسدانية ثم منهم من قال انه تعالي يصعد اجسادهم الي السموات و
الي قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحيها ويوصل هذه السعادات
اليها ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقي في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من
السفسطة والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تتعلق علي بدن اخر وتعرض
عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من ان النفس تقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تتلذذ او تتالم بما اكتسبت
من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقايد الباطلة والملكات الذميمة والذي اقوله ان النفس في عالم قد تنزع بدنها
لا بالتحريكات واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتالم والتعقل ونحوها وليس ببدع ان تتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان
يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب
الاعمال والملكات وانه يفتقر الي تحريكات الاعضاء واعمال الجوارح والالات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة
الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما علي الاخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتالم والادراك
فقط الي ان يقوم القيامة الكبري وهذا القدر لا ينافي كون البدن ساهيا في القبر من غير تحريكات ولا احساس ونطق ويؤيده
ما روي انه صلي الله عليه وسلم علي قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكما الله ورسوله
حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم
باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفي
بهذا القدر من التصرف انه كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيامة الكبري ينافي تكليف ساير الاحياء وافضي الامر الي
الالجاء وهو السر في اخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله
تعالي لمزيد التلذذ بنعيم الاخرة كما قتلوا تعجيلا للثواب كما عجلوا في الانقطاع من طيبات الدنيا ومشتهياتها فان لكل
طايفة ينبغي ان يناسب عملهم وافهم هذه الاسرار فانه علي مظنة وبه يثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعني
عند ربهم انهم مقربون ذوو كرامة كقوله فالذين عند ربك او المراد بحيث لا يملك احد سوي ربهم او المراد في علمه وفي
حكمه كما قال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق ساير الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء
ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما اتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما اختصهم
به من التفضيل علي غيرهم من تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دايمة مقرونة بالتعظيم
فقوله يرزقون اشارة الي المنفعة وقوله فرحين اشارة الي الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة
الي كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الي ابتهاجها بالنظر الي ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون
بالذين باخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا فلم يلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعني من خلفهم انهم بقوا
بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان
الله بشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون امنين يوم القيامة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو مشوش لتمام فاكمهم الله
تعالي بازالة ذلك التعلق بان اعلمهم امن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سعدان من قبل حالهم في انفسهم وذلك قوله
فرحين بما اتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا
المعني لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزايد وهذا هو سعدهم بسعادة
انفسهم وان الله اي بان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سعدهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالي مدح المؤمنين بغزوتين

متصلتين بغزوة احد تعرف اولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغري **الاولي** فما روي ان ابا سفيان واصحابه
لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالعود فبلغ ذلك بالرجوع
فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الي الخروج في
طلب ابي سفيان وقال لا اريد الان ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من اصحابه حتي بلغوا حمراء الاسد
وهي من المدينة علي ثمانية اميال فالقي الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما اصابهم القرح للذين احسنوا بالاتيان بجميع المامورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته
وان بلغ الامر بهم الي الجراحات روي انه كان فيهم من يحمل صاحبه علي عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخري وكان
فيهم من يتوكا علي صاحبه ساعة ومن في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم
واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي صلي الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم علي
المشركين حتي كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلي عليهم النبي صلي الله عليه وسلم و
دفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الي اخيها حمزة فقال صلي الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة
اخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالي فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت
له وجاءت امراة قد قتل زوجها وابوها واخوها وابنها فلما رات رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة
بعدك هدر **الثاني** فروي ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف من المدينة الي مكة نادي يا محمد موعدنا موسم
بدر الصغري فنقاتل بها ان شئت فقال صلي الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل
خرج ابو سفيان مع قومه حتي نزل مر الظهران فالقي الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد
قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان يلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعي فيه الشجر ونشرب
فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم
احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلي الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الي ان وصلوا الي بدر الصغري وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون
فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلي الله عليه وسلم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا
السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا ونحوها واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الي المدينة سالمين غانمين و
رجع ابو سفيان الي مكة فسمي اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فانزل الله في المؤمنين الذين
قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرنا وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب
الخيل وماله الا فرس واحد ولان الواحدي اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك
الفعل الي الكل كقوله تعالي اذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون
جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بابي سفيان فدسهم الي المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم
عليه جعلا حمل بعير من زبيب وقال السدي هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد
جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم نعيم او
قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عند النية والعزم علي الجهاد واظهروا حمية الاسلام وكان ذلك اثبت
ليقينهم واقوي لاعتقادهم واستدل بالاية من قال ان الطاعات داخلة في مسمي الايمان وانه يزيد وينقص بحسب زيادتها
ونقصانها واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فتاويله ان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان
مجازا وقد مر تحقيق الكلام لنا في هذا المعني في اوايل الكتاب وكما انهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل صلوات
الرحمن عليه حين القي في النار فاظهروه باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل
الكافي او الكافل او الموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه فقال فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل وهو الربح
بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح ووصف بانه حصل لهم الملايم

ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روي
انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فنال تعالى واتبعوا رضوان الله ليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حتى قضوا ما عليهم ثم قال
والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته عليهم ولن ينجي احدا عمله الا
ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف الا احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان
لعتوه وتمرده واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه او الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول
الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على
خوف الناس الذين هم اولياء الشيطان والاولياء هم ابو سفيان واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف
والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باولياءه كقوله ويخوفونك بالذين
من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو علي وزيفه ابن الانباري بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى المفعولين
فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر والله حسبي وكفى **التأويل** قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالان نقول
ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تعجيل اذاقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد كثير
منهم وتبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا اجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم
بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة الطاعنين وبحر هموم مخالفات النفس ومكايد الشيطان حتى
ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتالم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج باليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة والذي جاء فيه
ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله تعالى
من ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى
الجنة باذن الله تعالى واما كون الطير خضرا فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف في
وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين اللذين
يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير
والتاويل وارجوا ان اكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله اعلم بمرادهما الله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن
يضروا الله شيا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة
ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن
يضروا الله شيا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المومنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم

على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فامنوا بالله
ورسله وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر
لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات
والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك
بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين
قالوا ان الله عهد الينا الا نومن لرسول حتى ياتينا
بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءو بالبينات
والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما
توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من
عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

اموالكم

لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به

هر آینه هویدا کنید آن کتاب را برای مردمان و نهان نکنید احکام آنرا پس افکندند آنرا باز پس پشتهای ایشان و بدل کردند بدان

ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا

بهای اندک را پس بد آنچه خریدند مپندار آنانرا که شادی می شوند بآنچه کردند

ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب

و دوست می دارند که بستایند ایشانرا بآنچه نکرده اند پس مپندار ایشانرا بجای رستن از عذاب و مر ایشانراست عذابی

اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شي قدير

دردناک و مر خدایراست پادشاهی آسمانها و زمین و خدا بر همه چیز تواناست

القراآت ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين آمنوا وقرا يزيد
على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاي ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلاثة بعدها بالتاء التحتانية
مع ضم الياء في تحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها
بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة والاخريان على الخطاب يميز بالتشديد
حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس يخبر الباقون خفيفا بفتح الياء وكسر الميم يعملون خبير بتاء الغيبة
ابن كثير ويعقوب وابو عمرو لقد سمع ربه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء و
فتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم برفع اللام
ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على المتكلم ونصب اللام وفي قتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب
الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح عن مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران
ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير رويس وابو بكر وحماد الباقون بتاء
الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف في الكفر ج للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام او الفاء شيئا ط في الآخرة ج
لعطف الجملتين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ه شيئا ج لما ذكر في الآخرة اليم ه لانفسهم ط اثما ج لما ذكر ايضا مهين من الطيب ط و
رسله ط عظيم ه خير لهم ط شر لهم ط القيامة ط والارض ط خبير ه اغنياء م كيلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرا بضم الياء فوقفه مطلق
بغير حق ج لمن قرا ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا يعطف على قوله سيكتب مع اتساق المعنى
الحريق ه للعبيد ج لاحتمال الصفة وان يكون المراد هم الذين والوقف اولى لانه لا يليق القيد مطلقا الا للعبيد الموصوفين
نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير حتى تاكله النار ط صادقين ه المنير ه الموت ط يوم القيامة ط لابتداء شرط في
امر معظم فقد فاز ط الغرور ه كثيرا ط الامور ه ولا يكتمونه ز لان الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق
باخذ الميثاق فلم يضف الى الظرف ثمنا قليلا ط يشترون ه من العذاب ج لما ذكر اليم ه والارض ط قدير ه التفسير نزلت في كفار
قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان
كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة احد وقيل ان قوما من الكفار اسلموا
ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق هو
ضرر بك ونصر بعضهم هذا القول بان المسارعة وهي الشدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان لا المستمر على
الكفر وبان ارادته ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة انما يليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم احبط وبان الحزن انما يكون على فوات امر
مقصود وذلك ما قصد النبي صلى الله عليه وسلم من الانتفاع بايمانهم او انتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى انه لا يلحقه بسبب
فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الآية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية
العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب انه نهى عن الاسراف في الحزن بحيث ياتي عليه وتظهر لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين او المراد لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله اي دينه شيئا من الضرر
اي شيئا من الضرر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير

والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن
ارادة عدم الجعل اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الحد اذ ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خالص خلوص لم يوجد
صارف البتة ثم انه في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الآية والغرض تاكيد تقوية قلب
الرسول كانه قيل ان اكثر بيان عونك في الدين لا لاجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا
القدر وهو ان يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الآخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير ولو
قيل ان الآية في المرتدين فالمعنى ان اختيار دين بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الراي والانسان
المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد
شهداء احد لا خير فيه فقال لا يحسبن من قرا بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرا
بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول اول وان مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يغن عن الاحد المفعولين لان المبدل
في حكم المنحى الازالة تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك والتقدير ولا يحسبن الذين
كفروا ان املائي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا تحسبنهم اصحاب ان الاملاء خير لهم
او لا يحسبن الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واملى له اي طول له وامهله
قال ابو عبيدة ومنه الملا للارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اي حينا و
برهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب اولا بالعظم ثم بالاليم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من النكتة
والخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة هاهنا ان اطالة المدة من فضل الله لا محالة والآية دلت على انها ليست بخير فيه دلالة على انه
سبحانه فاعل الخير والشر وانه نص على ان الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبر
عنهم انه لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون منه الا على ازدياد البغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم مجبورون
على ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا الاملاء ليس خيرا من موت الشهداء اذ الآية من تتمة قصة احد
لا انه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكر الاسم المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي
كونه خيرا من شي آخر وعن الثاني بان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله و
جعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الاضلال ويقال ما كانت موعظتك الا للزيادة في تماديك في الغي اذا كانت عاقبة
الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم مزدادون اثما
على تقدير الامهال علة فاعلية لازدياد ثم انما كان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير وتقديره
لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر انما الاولى وفتح
الثانية ورد بان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر
انه لا يجوز في حكمته ان ترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الآخر بالقاء
الحوادث وابتداء الوقائع كما في قصة احد شعر لله در النائبات فانها ● صدأ اللئام وصيقل الاحرار ● فقال ما كان
الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان في حكمة الله ان يترك
المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما لغتان ميزت الشي بعضه من بعض اميزه ميزا وميزته تمييزا وفي
الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة وحجة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين
من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه فيعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فان الميز يقع على الادون
والاهون ثم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم
من القروح فبمثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وفل شوكة المخالفين
ليظهره على الدين كله وقيل بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله اي يصطفي
ويختار من رسله من يشاء ومبنى الكلام على ثلاث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استاثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل
احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثاني ان الرسول ايضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه و
بخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن وذاك منافق الثالث ان هذا

ايضا مخصص بعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالرسل ان تشهدوا لهم
بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان
يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلان منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل
الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك
منافق او يختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي بمثلها يتميز الفريقان ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء او المراد ما كان الله
ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف
الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة
كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرضت على امتي في صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤوا وقالوا زعم
محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين الآية وقال الكلبي قالت
قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا
بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فنزلت وقال ابو العالية نزلت حين سأل المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن و
المنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا
تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل
فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف للدلالة اي لا يحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا
وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكوة لترتب الوعيد عليه و
سوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا يعد بخيلا ولم يخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال ويدخل في حكم
الزكوة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين
اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة
احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب ويعضده ان كثيرا من آيات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان
الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار والمعنى
فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل ما بخل
من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه ويقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب
الله عز وجل ولا تحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي لا
يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه اي يطوقه يقول انا كنزك واما ان
يكون على طريق التمثيل الا على ان شدة اطواقا اي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء
بهنة تبقى بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيامة ويعضده ما روي عن ابن عباس انه كان
يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال مجاهد معناه سيكلف المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه
حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله
ما فيهما مما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال
فلان ورث علم فلان اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا فيه ومثله وورث سليمان داود اي تفرد بذلك الامر بعد ان كان
داود مشاركا له فيه او غالبا عليه والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم كلا بمنعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب
فللالتفات وهو ابلغ في الوعيد لان الغضب كانه تنامى الى حد اقبل على الخطاب وشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين
في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما امر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في ان الله تعالى يطلب منا المال

فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وقولهم ايضا لو كان نبيا انما يطلب المال لاجل ان يجيء نار من السماء
فتحرقه كما كان في الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في الآية تعيين القائلين
الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم في موضع آخر يد الله مغلولة وعنوا انه بخيل وذلك الجهل
يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات
واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني وروي عن عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله
قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمائهم ان ربنا يستقرض منا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء
فغضب ابو بكر ولطمه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما الذي حملك
على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال كذا فجحد فنحاص فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر رضي الله عنه وايضا
ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب
منهم الجهاد ببذل الاموال كانوا قد قالوا لو كان الاله غنيا فاي حاجة به الى اموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما يستقيم
قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه سبحانه لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد
اهل السنة فبان يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يأمر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على
قوانين المعتزلة فبان في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال من القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض
للبعض فبذلك يرتبط امور التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة وروده في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة
عن الغنى المطلق حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم
شك في كمال غناه وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولي الالباب وانما استأهل صنوفا من
العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت
المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيامة ثم عطف عليه
قتلهم الانبياء ليدل على انهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوا فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما
فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعل كالاليم بمعنى المولم او سميت باسم صاحبها اي ذات حرقة
والمعنى ننتقم منهم فنقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل ان يقال عند الموت
او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب او الوعيد بما قدمت ايديكم
من السب والقتل وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان
او بسائر الجوارح والآلات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك شيء كما في سورة الحج قال الجبائي قوله و
ان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب كان ثم كان يكون ظلما لو تقدير ان لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول
المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم
حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى
انه مالك الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتب العذاب عليه لا يكون
ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان
ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين
واقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرنا انه مالك الكل فله ان يتصرف في ملكه
كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم ان يصدر عنه كانه قال ان خيل لكم ان في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم من ان الحكيم
قد يصدر عنه الشر القليل تبعية الخير الكثير فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من الشر القليل الذي في ضمنه
خير كثير او نقول اراد نفي الشر القليل واصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه

بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف و
مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازورا وحيي بن اخطب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله قد عهد الينا في التورية الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله
حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب
واطائب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون
حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان وهو البر الذي الى الله واصله مصدر
كالكفران والرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان
اي ما يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه وللعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قول السدي ان هذا الشرط جاء
في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار الا المسيح ومحمدا
وكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه مفترى لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة واية لصحة
النبوة سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة فان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا ان
يجي بهذه الاية المعينة وحينئذ لا يكون ساير المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها
ان مدعي النبوة يطالب بالمعجزة اية كانت وحينئذ يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود و
العناد فقال قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بدلوله وموداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الالزام
يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر مجي الرسل بالبينات ولم تقتصر على مجي القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل
ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط
فلو اكتفي بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة
واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة والنبوة او في قولك ان الانبياء الاقدمين جاءوهم بالبينات وبالقربان
فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك واي رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات
الباهرات والزبر وهي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه ان
يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب والمنير الموضح او الواضح
المستنير وعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانما لم تكن معجزاتهم والاعجاز من
خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب لوصفه بالانارة او الاستنارة اشرف من مطلق الزبور
تخصيص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل
والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت ان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الهموم والاحزان الدنيوية وكذا
العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسي ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس كل ذات فالقضية لا يمكن
اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وكذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون
في دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة
مات اهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على المقتول ميت وعلى ان النفس
باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه
الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية ثم ان الحرارة الغريزية تؤثر في تحليل الرطوبة
الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال ان يستمر هذه الحالة الى ان يفنى الرطوبة الاصلية
فينطفي حرارته الغريزية فيحصل الموت بهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذا الحيوة قالوا واما الارواح المجردة لا موت لها
ونافقهم المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في كلمة التوفية اشارة الى ان بعض الاجر يعطى قبل ذلك اليوم قال
صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزحزحة التنحية والابعاد والزحزحة
تكرير الزح فقد فاز لم يقيد الفوز بشي لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له

هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه فالاول غاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق
العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام الناس ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها
تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر او الغار المدلس الشيطان عن علي ابن ابي طالب لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا
ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير ان هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ
لتبلون في اموالكم اللام جواب لقسم المقدر والنون دخلت موكدة وضمت الواو لالتقاء الساكنين ولمجانسة ما قبلها من الضم والمراد ما نالهم
من الفقر والمرض والقتل والجرح او التكاليف الشاقة البدنية والمالية من الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه
من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف واهليه واغراء المخالفين وتحريضهم واغواء المنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به
وتتقوا المخالفة او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من
معزوماتها التي لا يترخص العاقل في تركها لكونها حميدة العاقبة بين الصواب او من عزائم الله وبالرشد الاخذ به قال
الواحدي كان هذا قبل نزول اية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخة باية السيف والمراد
الصبر على ما يؤذون به الرسول صلى الله عليه وسلم على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير الاحوال
والامر بالقتال لا ينافي الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن الاحبار ما لك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان
يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط
المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه
ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك ونزلت الاية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب
على حمار واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله
بن ابي وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين واليهود والمشركين وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما
غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه فقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل ودعاهم الى الله وقرا عليهم القرآن فقال عبد الله بن ابي ايها المرء لا احسن مما تقول ان كان حقا ان لا تؤذينا به
في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا
نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار
حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة
يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه
البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانزل الله هذه الاية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق بهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة
به وايضا من جملة ايمانهم بالرسول انهم كانوا يكتمون نعته وصفته ظاهرا قال واذ اخذ الله باضمار اذكر والضمير في لتبيننه قيل
لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود
الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا
تكتمونه قيل الواو للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن موكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهي عن
الكتمان لكنه صرح به للتاكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشي المطرح الملقى وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على
الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا
تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله
اشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوصلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون وهو يتناول في الوعيد
كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم
او لتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود واوعدهم عليه وسلى رسوله
بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الخطاب في قراءة التاء للرسول او لكل احد واحد المفعولين الذين

يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب
فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع الياء فالغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اي ولا تحسبن انفسهم الذين يفرحون
فائزين والثاني للتاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا او في خفا يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا
ومعنى مفازة من العذاب بنجاة منه اي بمكان الفوز وقال الفراء اي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين ان مروان
قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له ان كان كل امرئ منا فرح بما اوتي واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا ليعذبن اجمعون
فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسالهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا
اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الايتين وقال
الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليهود اليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس نبي الله
فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي جمع
كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة ونحن اولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما اتوا بما فعلوا و
يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا
اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا عنه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فانزل الله هذه الاية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد ووصفه بسداد السيرة وحسن
السريرة ونحن اذا انصفنا من انفسنا وجدنا اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسال الله العصمة والهداية ثم ختموا الكلام
بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجوا النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب التاويل هو خيرا
لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والجود بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا او بالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه
يحيط بالقلب ومنه منشا معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا
راس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون والوارث اذا مات
من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته
فميراثه لله ان الله فقير ونحن اغنياء فيه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد
والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة صفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة انا ربكم
الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار قالت يهود صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية
لا ينقاد لرسول اي لخاطر رحماني او الهام رباني حتى ياتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها نسيكة لله عز وجل تاكله نار الله
الموقدة التي تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا تاكله نار الله
قل اي واردات الحق قد جاءكم رسل من قبلي اي واردات الحق بالبينات بالحجج البالغة وبالذي قلتم اي يجعل الدنيا قربانا
فلم قتلتموهم غلبتموهم ونحوتموهم حتى لم يبق اثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولابد
لها من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر
ولتسمعن من اهل العلم الظاهر ومن اهل الريا اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس
وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور اي من امور اولي العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الله حسبي وكفى

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق

السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا انك لا تخلف المعاد فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم
من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده
حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في
البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله واليوم الاخر
ما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا
اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين
امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

القراءة الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائي والنجاري عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد والنقاش في جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلي وخلف وقاتلوا وقتلوا ابن كثير وابن عامر وقاتلوا وقتلوا مشددة الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس اليافعي بالتشديد لا حيث كان بالاختلاس عباس الوقوف الالباب لاحتمال الذين صفة او مستانفا نصبا او رفعا على المدح بتقدير اعني الذين او هم الذين والوصل اشبه والارض ج لحق المحذوف اي يقولون ربنا باطلا ج للابتداء بسبحانك تعظيما الا والمقول متحد وفاء التعقيب متعقب النار اخزيته ط انصار فامنا قد قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على فامنا اي اذا امنا فاغفر الابرار للآية والعطف يوم القيامة الميعاد انثى لاتحاد الكلام ولا بعضكم مبتدأ من بعض الانهار لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط للابرار الله لان ما بعده حال اخر قليلا عند ربهم الحساب تفلحون التفسير انه لما طال الكلام في تقرير القصص والاحكام عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والارواح بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل تسوك ثم نظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى ان عد ثمانية بدلائل وههنا اقتصر منها على الثلثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى اخر كالبصر اذا احدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو عادي قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها اقهر وابهر والعجايب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله ايسر وانما قال في تلك السورة لايات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لايات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير تقدم هنالك ثم بعد دلايل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان يكون باللسان وبساير الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال آخر اي معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية ساير الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طيبا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في حالة الاستلقاء اكثر فذلك وضع الغافلين وقال ابو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو خف قعد قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالتفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن حصول صورته في النفس فيكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها

ولا

ولا يحيط بالواجب شيء الا انه بكل شيء محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته ولا سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوايد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهته شيء من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك اي انزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق في بحار العظمة والجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكاينات واقعة في حضيض عالم البشرية مخالطة بالطبايع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي ابلغت في اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفي كلامهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا اننا سمعنا مناديا الاية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والايات على على وجه التحقيق في زعمي والله اعلم باسرار كلامه عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه ينظر الى النجوم الى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق او الى السموات والارض بتاويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شانه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال باطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانه جملة معترضة نزه بها نفسه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ووجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا لمرجح عام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزايل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد انه خلقهما خلقا محكما متينا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما في غاية شدة التركيب وبصدد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع سكان العالم السفلي قالوا لانها لو لم يكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فايدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسايط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن وهو مع النبي مخزى

ان لا يكون غيره وهو مؤمن مخزي وايضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين
ادخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله يوم لا يخزي لقوله يوم لا يخزي الله
النبي والمدخل في النار مخزي بهذه الآية والمقدمات بأسرها يدخلها المنع اما الاولى فلاحتمال ان لا يسوي بعد القتل مؤمنا
وان كان قبله مؤمنا واما الاخرى فلان مخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما يقرب اتفاق وقد تمسك حكماء الاسلام بهذا في ان
العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد تمسك المعتزلة
بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع
والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تأثير للشفاعة الا باذن الله فهو
معنى الآية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا فلا يلزم تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين العفو فلهم هذه الجنة
بخلاف الفساق وايضا ادلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له و
عورض بالآيات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل
وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقوله ادع الى سبيل ربك ادعوا الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي
كأنه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعوا من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي
ويعظ لدلالة تصاريفه قال شعر يا واضع الميت في قبره • خاطبك الدهر فلم تسمع • ويقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه
وله وهداه للطريق والى الطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا
على التقديم والتأخير اي سمعنا مناديا ينادي للايمان ينادي كما يقال جاء مناد للامير ينادي بكذا وقيل معناه لاجل الايمان
ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة معناه اي آمنوا او بان آمنوا والفائدة في الجمع
بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من رفع شان المطلق والمجمل وكونه
حينئذ اوقع في النفس واعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية وانما
الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء وقيل الاول الكبائر
والثاني الصغائر وقيل الاول المكاثر اريد بها ما تقدم منهم والثاني المستأنف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم
بكونه معصية وذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي معدودين منهم ومن اتباعهم
او مشاركين لهم في الثواب او على مثل اعمالهم ودرجاتهم كقولنا الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اي مساو له في
ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالآية على ان العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل
بدون التوبة بدلالة فاء التعقيب في فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى اجابهم الى ذلك لقوله فاستجاب لهم ويعلم منه
ثبوت شفاعة النبي لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك لانها
مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وعقيب قوله وهو آمنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد
كقولك وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان
الرسل يحملون ذلك فانما حمل عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل
النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في آخر الادعية لان معظم الغرض
في الدعاء اظهار سيماء العبودية او المراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا لوعدك واعصمنا عما به نكون اهلا للاخزاء
او طلبوا تعجيل النصر على الاعداء او المراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع الآخرة
بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة لان
التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الآيات انهم نظروا في المصنوع فعرفوا انه الصانع فقالوا ربنا
ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تأملوا في غاية العذاب ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل

ووجدوا عاقبة التكليف الجنة او النار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والخلاص من النار ولان دفع الضرر
اهم من جلب المنفعة جعلوا اول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب لان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب
الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت
الارض والسماء انك واهب العطاء وكاشف الغطاء عن الامام الناطق جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الآيات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال
فاستجاب لهم ربهم اني باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من في منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين
وفي من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم و
اناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الآخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال
فلان مني اي على خلقي وسيرتي قال صلى الله عليه وآله وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه
جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت
يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الشركة الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما
لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع الرسول او بعده باختيارهم واخرجوا من ديارهم
الجاءهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي بسبب طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير ويكون القتل فيهم
اي قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا واما لان الواو لا يفيد الترتيب والترتيب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا
ورب الكعبة اذا ظهرت امارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اي قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن
جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي
طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة اي ثوابا يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره
ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اي انا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته ثوابا نصب على المصدر المؤكد
اي اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وقال الكسائي هو منصوب على القطع اي على
الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه
القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات الغني عن جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في
دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان الله تعالى حكم اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله
بالكلية ولا يهمل جانب العمل باسا من الحسن اخبر الله تعالى انما استجاب لهم الا انه اتبع ذلك اداب الدعاء وما يستجاب له
ولا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في
الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف بعينه
اي لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله اوله والمراد هو فلعل
السبب في عدم اغتراره هو تلاوة امثال هذه الآيات عليه قيل ان مشركي مكة لا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال
فنزلت والمراد تقلبهم تبسطهم وتصرفهم في المكاسب والمزارع والمتاجر ذلك التقلب او الكسب والربح متاع قليل في
ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او هو قليل في نفسه اذ لا نسبة لمدته الى ما بين
الازل والابد ومع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة
لم يكن في الحقيقة نعمة فلهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل
ما يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلابد من
شيء آخر يكون اصلا بالنسبة اليها فلك ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب
الذي لا يوازنه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل
النازل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه
قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار

من حال مؤمني اهل الكتاب فقال كلهم فقال وان من اهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله بن سلام
واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا في دين عيسى عليه السلام فاسلموا وعن جابر
بن عبد الله وانس وابن عباس وقتاده نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي
مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قال ومن هو قال النجاشي فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له الى المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات و
استغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل
الله الاية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل كما في الاية وما انزل اليكم القرآن وما
انزل اليهم الكتاب وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بايات الله
ثمنا قليلا كما لم يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم واولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شأن هذا الوعد حسبما
اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي الكل احد من جزاء الحسنات
والسيئات او المراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة
الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامر فيه بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر و
الاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر
على شدائد الدنيا وآفاتها ومخاوفها والثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل او المدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل
الاخلاق الرديئة من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة
وبالسيف واللسان او باللسان ثم انه لا بد للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية
الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في
جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام
على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه وظهر ان هذه الاية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لاداب الدين والدنيا
ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع
كاحكام الحج والجهاد والزكوة وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما
اصابكم يوم احد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله
تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة ففيها قولان
احدهما ان يربطوا هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك ايضا خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال
الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في
سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما
روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة
خلف الصلوة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلك الرباط ثلث مرات والله تعالى اعلم
التأويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصفاتها
ونهار الروحانية وانوارها الايات لاولي الالباب الذين عبروا بمعابر الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى لب
الوجود الروحاني وشاهدوا بعيون البصائر وتواطئ الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا
وانا بالوافر والمراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال الظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات
ويقولون ما خلقت هذا باطلا اي خلقته لاظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك نزهناك عن الشبه بالخلق
فقنا باعتنائنا عذاب نار قهرك والبعد عنك فيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في
استجلاب فضل الربوبية ربنا اننا سمعنا مناديا من هاتف الحق في الغيب بسمع الحقيقة ينادي بالمغفرة لذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء
بالارادة القديمة لا بسعينا قبل ان خلقتنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى
على قدر همتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم

من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا النفس
وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد و
الورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة
والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والغنى والقدر والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق
تجري من تحتها انهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن ثواب لا يكون عند الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب
من علماء الظاهر علما سمعيا يكون الماس من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات
والكشوف وما انزل اليهم من الخواطر النفسانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى لشيء خضع له لا يشترون
بما اوتوا من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية بجذبة وفاتهم اصبروا على جهاد النفس
وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاآت ورابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون فيفوزوا بالبقاء بالله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين

سورة النساء مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداى بخشاينده مهربان

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

اى مردمان بترسيد از پروردگار آنكه بيافريد شما را از تنى

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

يكانه وبيافريد از آن نفس جفت او را وپراكنده كردانيد از آن هردو مردان بسيار

ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله

وزنان بسيار وبترسيد از خداى آنكه سوگند ميخوريد بيكديگر در طلب حوايج باو وبترسيد از قطع ارحام بدرستى خداى

كان عليكم رقيبا واتوا اليتامى اموالهم و

هست بر شما نگاهبان وبدهيد اوليا واوصيا يتيمان را چون ببلوغ رسند مالهاء ايشان

لا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى

وبدل مكنيد حرام را بجاى پاك ومخوريد مالهاء ايشان را با

اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما

مالهاء خود بدرستى كه پس اگر ترسيد اى اوليا كه عدالت نگاه نداريد در كار يتيمان پس بزنى خواهيد

طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فان خفتم الا تعدلوا

او را كه خوش آيد شما را از زنان دو دو وسه سه وچهار چهار پس اگر ترسيد كه داد نكنيد در ميان زنان

فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا

پس بخواهيد يكى زن يا آنچه مالك باشد دستهاء شما آن يك زن يا سريت نزديك ترست كه جور نكنيد

واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء

وبدهيد زنان را مهرهاء ايشان عطايى از طيب نفس پس اگر خوش دل شوند زنان براى شما از چيزى

منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا السفهاء اموالكم

از آن مهر از روى نفس بى منت بخوريد او را خوش وگوارنده ومدهيد كم خردان را مالهاء شما كه خداى

التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم
گردانید خدای از برای سبب تعیش و خورش دهید ایشانرا از تجارت در آن اموال و بپوشانید و بگوئید ایشانرا
قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم
گفتاری نیکو و بیازمایید یتیمانرا تا چون برسند بحد زناشوهری پس اگر بینید
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا
از ایشان صلاحی در معاش پس تسلیم کنید بایشان مالهای ایشان و مخورید آن مالها را حال آنکه مسرف باشید
وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان
و شتاب نمایید که بزرگ شوند و هر که باشد توانگر پس باید که بی نیازی نماید و هر که باشد
فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم
درویش پس باید که خورد بعرف شرع پس چون تسلیم کنید بایشان مالهای ایشان
فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب
گواه گیرید بر ایشان و بسنده است خدای شمار کننده مر مردانراست بهره
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء مما ترك الوالدان و
از آنچه گذاشت پدر و مادر ایشان و نزدیکتران و مر زنانراست از آنچه گذاشته پدر و مادر ایشان و
الاقربون مما قل او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة
نزدیکتران ایشان از آنچه اندک است یا آنچه بیش است بهره فریضه گردانیده و چون حاضر آیند در قسمت ترکه
اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه و
خداوند خویشی و یتیمان و مسکینان پس روزی دهید ایشانرا از آن مال
قولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من
و بگویید ایشانرا گفتاری پسندیده و باید که بترسند آنانکه اگر بگذارند پس از
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا
پس از وفات ایشان فرزندانی خورد را بترسند بر حال ایشان پس باید که بترسند از خدای و باید که بگویند
قولا سديدا ان الذين ياكلون اموال اليتامى
گفتاری با صواب بدرستی آنانکه میخورند مالهای یتیمانرا
ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
بستمکاری جز این نیست که میخورند در شکمهای ایشان آتش را و زود بود که در آیند در آتش افروخته

القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف وعباس مخير الباقون بالتشديد اي بادغام التاء الثانية في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب بالامالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون بالنصب فنعما بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على ايهما وقف واذا انفرد هنيا همزها كل القرآن يزيد قيما ابن عامر ونافع الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعد والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة على اصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها **الوقوف** ونساء لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والآية رقيبا بالطيب ج الى اموالكم ط كبيرا ه ورباع ج ايمانكم ط الا تعولوا ط لابتداء حكم اخر نحلة لان الشرط خارج عن اصل الموجب مريا ه معروفا ه النكاح ج اموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف ج بالمعروف ط للعود الى اصل الموجب بعد تصحيح الفلاح عليهم ط حسيبا ه الاقربون الاول ص او كثر ط تقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا ه خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ط سعيرا ه **التفسير** لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم اليهم ومن الامر بالصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرها الى غير

ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرايب القرآن فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي الرابعة من سورة والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سورة ثم التي في النصف مصدرة بذكر المبداء والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد ثم انه به علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما **القيد الاول** وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شان العبد امتثال امر مولاه في كل ما يامر وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما **الثاني** وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة او لعلة موجبة كان كلهم على حد واحد وفيه واحدة ثم في هذا القيد فوايد اخر منها انه يامر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد وارومة واحدة اعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر امر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا له صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا كتابا واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة هو آدم والتانيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فايدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان المراءة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبايعيين بالآية على ان الحادث لا يحدث الا من مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من حدوث شيء في صورة واحدة من الحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي انشاها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي خلقكم من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفانية والحصر اقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يلزم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم الدخول الواو ولان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب ان يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا من ان الترتيب والتفصيل والتركيب موكول الى قضية العقل فافهم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم وكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولادهما جماعة اخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قراء بالنصب فللعطف على اسم الله اي واتقوا الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله شعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابو علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء فاحفظوها وصلوها ومن قراء بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المنفصل من تتمة ما قبله لا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها فالقياسات نحو بيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها يقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالآباء وههنا حلف والا بالله ثم قرن به الرحم كان احدهما
من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا نهي عنها لكن لا نسلم انها نهي عنها مطلقا وانما النهي لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلون
في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والفتاء له وهو سوال البعض البعض اسالك بالله وبالرحم وانا شدتك الله والرحم وقري و
الارحام بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها ينبغي ويتسا له به فان قيل لم قال اولا اتقوا ربكم ثم
قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتاكيد كقولك عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في
الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكانه
قيل انه ربك واحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء في الآية دليل على جواز المسئلة
بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سالكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الآية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهي عن قطعها حيث قرن
الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف رضي
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من
وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا قطعت رحمه
وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة
وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا جعل بني اصحاب ابي حنيفة على هذا
الاصل مسئلتين ا ان الهبة لذي الرحم المحرم الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال
لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام بالاجماع ايحاش وقطيعة رحم ٢ ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع
فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع
اعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى اموالهم واصل
اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم فاليتيم لغة يتناول الصغير
والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا
يجري عليه احكام الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم
في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع امواله اليه لم يبق يتيما
فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم فنقل الجواب طريقان ا ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة
او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا
دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم تستامر
اليتيمة في نفسها ولا تستامر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية اشارة الى لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا
ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما رواه مقاتل عن الكلبي انها نزلت في
رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه
في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده قيل
لانه كان مشركا ب ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامى في الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم اموالهم او آتوهم
من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء و
الزجاج اي لا تتبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه
مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار ولا تتبدلوا الامر الخبيث وهو

الحرام اموال اليتامى والاعتزال عنها حتى يتلف بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل
هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد ان الباء
في بدل تدخل على الماخوذ وفي تبدل على المعاني ولما كان الماخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقا له فياخذ
منه عجفا مكان سمينه من مال الصبي فيكون الباء في موضعه وقيل معنى الآية ان ياكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله بعد
ذلك فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم منضمة الى اموالكم في الانفاق تسوية بين المالين في الحل انه اي الاكل
حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدل على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم
ما يقع لاجله التصرف وقيل ههنا بمعنى مع والفايدة في زيادة قوله الى اموالكم واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتشنيع
لانهم كانوا مستغنين عنها بما لهم من الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى
عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم وان خفتم الا تقسطوا اقسط الرجل عدل وقسط جار قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط
وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من قولهم قاسطته فقسطته اي غلبته على قسطه واذا قالوا اقسط
بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل انصف اذا اتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم ان قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا
جواب له ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه ا ما روي عن عروة انه قال قلت
لعايشة ما معنى قول الله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل
في مالها وجمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يذب
عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وان خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم
من العدد قالت عايشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله بعد هذه الآية فيهن فانزل الله ويستفتونك في النساء الآية
فقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد منه هذه الآية وهي قوله وان خفتم الا تقسطوا وعبر في الكشاف
عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره
فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم
ان خفتم الا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ب وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك
والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة وما في اكل مال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء الحوب
الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خايفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في
العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج ج
كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان تحرجتم ذلك فكونوا خايفين من الزنا ايضا وانكحوا ما طاب
لكم من النساء د روي عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق مال نفسه على النسوة اخذ
في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ذلك فكونوا خايفين من الزنا وايضا ان تظلموا اليتامى باكل اموالهن عند كثرة
الزوجات فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع لئن ولي هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزايد
وهو الاربع والناقص وهو الواحد ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قال ان خفتم الاربع فمثلاث وان خفتم فاثنتان وان خفتم
فواحدة فذكر الطرف زايد قال الظاهريون النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالى
ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بقوله حالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على
الاطلاق وايضا الآية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه
اراد به الجنس لانه يقول ما عندك فيقال رجل او امراة يريد ما ذلك الشي الذي عندك او ما تلك الحقيقة ولان
الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم ولانهن وما تتعاقبان قال تعالى والسماء وما
بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما سيجي واعترض
عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فلو كان المعنى الحل لم يجب لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك لا سلمنا

لكن الاية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس ميل
القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص وانه اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص
والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشي ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم
وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعد ما اخرجه التحريم فلا اجمال اما قوله
مثنى وثلاث ورباع ولم يوجد في كلام الفصحاء الاحد واحاد او موحد وحيد وثنى والى عشار او معشر قياسا على قول الكميت
شعر ولا يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على انها عدلا محققا وذلك ان فايدتها
تقسيم امر ذي اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد يكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرات الكتاب
جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة فكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا
للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلثة ثلثة فهذا سبب
منع صرف مثل هذا للعدل والوصف الاصلي فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه
عدلا مكررا من حيث اللفظ لان اصله كان ثلثة ثلثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلث ثم مثلث وقيل ان فيه العدل
والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جري على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعدم جريانه على المعارف و
لو تم عد حالا معني الاية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم
الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة فمن قراء بالنصب اراد فاختاروا او فانكحوا واحدة ومن قراء بالرفع اراد فكفت واحدة
او حسبكم واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فايما وجد فتوخوا عليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم فسوى في
التسهيل بين الحرة الواحدة وبين ما شاء من الاماء لانهن اقل تبعة واخف مونة من المهاير على المرء اكثر منهن او اقل
عدل بينهن في القسم ام لم يعدل عزل عنهن ام لم يعزل ولمكان التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعي في بيان ان نوافل
العبادات افضل من النكاح لان الزايد على احد المتساويين يكون زايدا على المساوي الاخر وللمانع ان يمنع التسوية فان قول
الطبيب مثلا للمريض كل التفاح او الرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي لم تجد التفاح فكل الرمان فانه
قريب منه في دفع الحاجة الضرورية ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا
وههنا مسئلتان آ اكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا
متى طابت له امراة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه وايضا انه قال فان خفتم
الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتالية
على نسق واحد فبعد ان يخل التقييد في اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الاية ومن العلماء من سلم ان ظاهر
الاية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق
والعدة لما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر ب ذهب الى جماعة الى انه يجوز التزوج
باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد لصحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث
ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل يقول ذكرها
بدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان
كان تنصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيه على حصول
الاذن في جميعها وان سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها واما السنة
فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد امرنا باتباعه في قوله فاتبعوه واقل مراتب الامر الاباحة و
قد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران آ الخبر كما روي
ان نوفل بن معوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم امسك اربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل
على عدم الحصر ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جايز وبانه الامر بمفارقة الزايدة فقد يكون لمانع النسب او الرضاع وقوله

ان القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جايز وايضا قوله امسك اربعا
على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرهما وهذا في نظاير هذا الحديث ب اجماع
فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ والجواب
ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعبا به والقرآن لما يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجه مبين
في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جايز
بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع والفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ ان لا يجوز النكاح
الا على احد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان ياتي بالتثنية ولفريق ثان بالتثليث ولاخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع
بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وذلك ادنى ان لا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا
او تجوروا وكلا اللفظين يروى عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قام عال الميزان وعال الحاكم في
حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه ان لا تفتقروا ورجل عايل
اي فقير وذلك انه اذا قلت عياله قلت نفقاته فلم يفتقر نقل عن الشافعي ان معناه الا يكثر عيالكم وطعن فيه بعض
القاصرين ان هذا في اللغة معنى تعولوا يقال اعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس ان لا تعيلوا وايضا انه لا يناسب
اول الاية وان خفتم الا تقسطوا وايضا ذهب انه يقال العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقل عند اختيار التسري
ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى اشار الى الشي بذكر لازمه
اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف
على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك
ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر
اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم
وهو كثرة العيال وعن الثاني ان حمل الكلام على ما يلزم منه تكرار اولى وبتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يوول الى تفسير
الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى
مولاهن ايضا فكانه لا عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهاير فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم المهر
اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جايز بغير اذنهن فكان مظان قلة الولد بالاضافة الى الزوج وآتوا النساء صدقاتهن
اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل
خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له
ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تاخذ مهرها فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي وتعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة
ما ياخذ الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله تعالى عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح
واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكون امرا بدفع المهور التي قد
سموها لهن ويحتمل ان يراد الالزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى ان الفروج
لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي ذلك او لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الموهوبة قال ويجوز ان
يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي شريعة ودينا فيكون مفعولا
لها او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة
والايتاء بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن
لان ما يوخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان
الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المراة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك
ولا النحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم
امر الزوج بان يوتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات اباح لهم جواز قبول ابرائها
وهبتها فانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن لا انهن انفس ولو جمعت الجاز والضمير في منه للصداق

او المذكور في قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التبيين دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان
يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج عملهن على
ذلك وبعثهن على تقليل الموهوب ولهذا ايضا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه و
لو انث لتناول لظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحد منها او اكثر ومن هذا الغرض يظهر ان من في قوله منه
للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب مع فايدة البعث المذكور لا لانه لا يجوز هبة كل الصداق اذا طابت نفسها عن المهر
بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان
من هنوء الطعام ومروء اذا كان سايغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه
ومنه يقال المري لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب
وبالجملة فهو عبارة عن التحلل والمبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال
من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على قوله كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدرين كانه اي
هنيئا مريئا اي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا
وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طايعة غير مكرهة لا يقضي به
عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى
منهم خفاف الاحلام وان بلغوا اوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء
فورد ان الانسب ان لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى
الوحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل
بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا ههنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية
حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي
في حسن الاضافة ادنى سبب وقيل خطاب للآباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم
فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ الاموال المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان
يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته وقد يرجح الاول بان ظاهر النهي للتحريم واجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب
لاولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم على الولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وايضا قوله وارزقوهم فيها
الآية وهذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء واقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة في اموالكم لا
تفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملك او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء
ازواجا كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما
خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امراة اطاعت قيمها وقد يجمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال
الزهري وابن زيد هم الاولاد لخفاء العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل ان امراته
سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس له
عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي له باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق
وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل الدين والعلم بمصالح الدارين ويضيع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم
قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فاصله حذف الالف كما
يعني قياما كما جاء عوذا بعوذ (?) واصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون
المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير
خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا و
مجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني منها فقد
صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله

وفي الفقر مخذلة والغنى مجذلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح
وقال ابو العتاهية شعر اجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غني في العيون جليل * اذا مالت الدنيا على المرء رغبت
اليه ومال الناس حيث يميل * وليس الغنى الا غنى زين الفتى * عشية يقري او غداة ينيل * وقد اختلفت اقوال الناس في تفضيل
الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير
تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور
اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين ومن كلفته النفس فوق كفايتها
فما انقضى حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال
الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظ المال ههنا وفي آية المداينة
حيث امر بالكتاب والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فيا لها من حسرة
وندامة ثم انه تعالى امر بعد ذلك بثلاثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها وانما لم يقل منها لكيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم
رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل امر بان يجعلوها مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروها حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من اصول
الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج و
مجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان تقول اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان
غنمت اني جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك و
قال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه
ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر
العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت
اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فهو منكر ثم بين ان السفهاء متى
يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين آ بلوغ النكاح ب ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم فيصلح للنكاح
عنده ولطلب ما هو المقصود منه وهو التوالد ومناط الاحكام بخروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قمرية
او يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وههنا ان يستر كان من الغلام والجارية و
لها امارتان اخريان الحيض او الحبل وللطفل لكنها امارة زايدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس ففي اللغة
الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا
احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء
المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف
لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه الموقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار
عقله واستبراء حاله حسب ما يليق بكل طايفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف ذلك البايع او المشتري
منه وما فيهما من المصالح او المفاسد وقد يدفع اليه ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي يعقد لليتيم
العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف بما يتعلق بحرفته والمراة في امر
القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد
من مرتين واكثر على ما يليق بالحال ويفيد غلبة الظن انه رشيد نوعا من الرشد يختص بماله لا الرشد من جميع الوجوه وعلى الكمال
يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على خدعه
ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء
لصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله الرشد عن فرعون في قوله وما امر
فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا وتتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه
ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف
فعند اصحاب ابي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند ابي حنيفة يدفع

لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان
لقوله مروهم بالصلوة لسبع اليه ماله او لم يونس رشدا ولم يونس قال ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مصدران في
موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد و
الاسراف والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة اي عظم نهاهم عن
الافراط في الانفاق كما يشتهون قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه
وفي السين زيادة مبالغة كانه طلب مزيد العفة ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل
له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان ياخذ قدر ما يحتاج اليه ويقدر باجرة عمله لان النهي في الاية عن الاسراف
مشعر بان له ان ياكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له
ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا
منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد
رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله وربعها لعثمان الا واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي
مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وايضا قياسا على الساعي في اخذ الصدقات
جميعا فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان ياخذ بقدر
ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقراض
انما جاء في اصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب
فصالح له اذا كان غير مضر بالمال وقال ابو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا ياخذ على سبيل القرض ولا
على سبيل الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا احتج بقوله وآتوا اليتامى اموالهم واجيب بانها عامة وقوله فلياكل بالمعروف
خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل الوصي مال
اليتيم ظلم اولا قال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع
المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا
في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه تصدق بيمينه كسائر
الامناء وقال مالك والشافعي لا تصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم وظاهر الامر الوجوب ولانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة
كالاب ثم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفير الناس عن قبول الوصاية
وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا كالشريب بمعنى المشارب وفيه تهديد للولي واليتيم
ان يتصادقوا ولا يتكاذبوا والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا
شرع في بيان المواريث والفرايض قال ابن عباس ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها ام كحة وثلاث
بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا وكانوا في
الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا نعطي الا من قاتل على ظهور
الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن
ثابت مات وترك على بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة
ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئا فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا
عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفا فانزل الله للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون الاية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا فلم يبين حتى يبين
الله فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وسبب الاجمال في الاية ثم التفصيل
فيما بعد هو ان الفطام من المالوف شديد والتدرج في الامور من آداب الحكمة وهكذا قد نزل الاحكام والتكاليف شيئا
بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي مما قل منه او كثر بدل من ما ترك بتكرير العامل نصيبا مفروضا

نصب على الاختصاص تقديره اعني نصيبا مقطوعا مقدرا لابد لهم ان يحوزوه او على المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة احتج
اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد البنات لان الكل
من الاقربين غايته ما في الباب ان مقدار انصبائهم غير مذكور ههنا الا اذا ثبت بالاية استحقاقهم لاصل النصيب وتستفيد
المقادير من ساير الدلايل واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق
فعرفنا انه غير مراد من الاية وايضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد آدم فيه
فالمراد اذن اقرب الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين كدخول النوع في
الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه تعالى لما ذكر في الاية ان للنساء اسوة بالرجال في ان لهن حظا في
الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث فيهم ومن لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة
اولوا القربى الاية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها
منسوخة باية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها
محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق و
الذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك
فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا اي هذا الرضخ يستحب اذا كانت الورثة كبارا اما اذا كانوا
صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما
عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة
وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا
من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون و
قوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية
وهي لو مع ما في حيزه صلة الذين والمعنى وليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما المخشي
فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على
ذريتهم لو تركوهم ضعافا وامروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا يكون القول
السديد اي الصواب القصد هو ان لا يؤذوا اليتامى وان يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم بيا بني
يا ولدي وهذا القول اليق بما تقدم وتاخر من الايات الواردة في باب الايتام بعثهم الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم
اذا تصوروها ليكون ذلك احد ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القايل شعر لقد زاد الحيوة الي حبا
بناتي انهن من الضعاف ٭ احاذر ان يرين البوس بعدي ٭ وان يشربن رنقا بعد صاف ٭ وقيل هم الذين يجلسون
الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك ولا يزالون يامرونه بالوصية للاجانب الى
ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد انفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون
الاية نهيا للحاضرين عن الترغيب في الوصية والقول السديد ان يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية لا تجحف باولادك
مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس
افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان تتصل الاية بما قبلها فيكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون
القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سالت مقسما عن الاية
فقال هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان
ذلك الانسان يحب ان يوصي له وعلى هذا يكون نهيا عن النهي عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا ثم اكد الوعيد في باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اي ظالمين او على وجه
الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما ياكلون في بطونهم نارا اي ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وقال
السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس
انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي

بي قبوالهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من النار يخرج من اسافلهم فقال جبريل هؤلاء
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قراه بفتح اليا من صلى فلان النار بالكسر يصلي صليا احترق ومن قراه بالضم فمعناه
الالقاء في النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد السعر النار وسعرت النار والحرب هيجتها والهبتها
فهي سعير اي مسعورة والتنكير للتعظيم اي نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة لا يجوز ان يدخل تحت هذا
الوعيد اكل اليسير من ماله بل لا بد ان يكون مقدار خمسة دراهم لان القدر الذي وقع عليه الوعيد في اية الكنز في منع الزكوة
ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم
كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم مالك لما له
فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر او على السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه اظهر
فهذا من كمال عنايته تعالى بالضعفاء فيرجى ان يرحم ذلتنا وضعفنا بعزته وقوته التأويل ذكر الناسين بدو خلقهم
بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد قال اول ما خلق الله روحي فهو ابو الارواح وخلق من
الروح زوجه وهو النفس خلقها من ادنى شعاع من اشعة انوار روح محمد وبث منهما رجالا كثيرا ارواحا كاملين ونساء ارواح
ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به اي اتقوه ان تسالوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم رحمتي بصلة غيري وآتوا اليتامى
اموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية
عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا اثما عظيما فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية
بالعفو ذلك ادنى الا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل
والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية
يتامى القلوب والنفوس باتياء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة
حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوع واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا
كلوا اكلت رزق الله فادى شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه واذب طعامك بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا
طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اي قلوب السائرين بادنى توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا
مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يستعدوا بذلك التوسع على السير ويزدادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد
اشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام جائز التصرف في ممالك سيده كالعبد الماذون ولهذا قال
ههنا اموالهم ولا تاكلوها اسرافا اي فان آنستم يا اولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في اصحاب الارادة
فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخية ما كان لكم فيهم ونيطة عليهم ان يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من
قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف من الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فلياكل بالمعروف
فلينتفع باعانته ولخزله بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فاشهدوا
عليهم الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم اخبر عن نصيب كل نصيب فقال للرجال
وهم الاقوياء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيبا مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ ثم اوصوهم برعاية حقوقها
مع الله والخلق من الخلق والاخوان في الله وتركهم تركتهم وانوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اي محافل
صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من انوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب
بركاتكم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتعريفهم ان الدنيا عند الله وعند اهل الله في النار وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسط المريدين او المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر او موت فليتقوا
الله او يوصوهم بالتقوى وان تقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصل العبد
الى الله ان الذين ياكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ووظائف النصيحة انما ياكلون في بطونهم نار
الحسرة والغرامة يوم لا ينفع الندامة الله حسبي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان
وصيت ميكند شما را خداي در باب فرزندان شما نرينه را است مانند بهره دو مادينه پس اگر
كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة
باشند از آن فرزندان زنان زيادت از دو پس مرايشانراست چهار دانگ از آنچه گذاشت و اگر باشد ورثه يك دختر پس
فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك
مر اوراست نيم از تركه و مر پدر و مادر اوراست مر يك از ايشان بخش از آنچه گذاشت
ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث
و اگر باشد آن ورثه فرزند را فرزندي پس اگر نباشد مر او را فرزندي و وارث مانند از و پدر و مادر او پس مادر او راست سه يك مال
فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها
پس اگر باشد مر او را برادران و زيادت پس مادر او راست شش يك از پس وصيتي كه وصيت كرده باشد به آن
او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
يا وامي پدران شما و وصيت كننده بهتر است در مصلحت آخرت و پسران شما نمي دانيد شما كه كدام از شما
اقرب لكم نفعا فريضة من الله وكان الله عليما حكيما
نزديكتر است براي شما بمنفعت آنكه وصيت فرض كرد خداي فريضتي از خداي بدرستي كه هست خداي دانا صحيح امر صحيح قول
ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
و مر شماراست نيم آنچه گذاشت زنان شما اگر نباشد ايشانرا
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من
فرزندي پس اگر باشد ايشانرا فرزندي پس مر شماراست چهار يك از آنچه گذاشتند از
بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم
پس وصيتي كه وصيت كرده باشند بدان يا وامي و مر زنان راست چهار يك از آنچه گذاريد
ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
اگر نباشد شما را فرزندي پس اگر باشد شما را فرزندي پس مر زنان راست هشت يك از آنچه
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان
گذاشته باشيد از پس وصيتي كه وصيت كرده باشيد بدان يا وامي و اگر باشد
رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد
مردي كه ازو ميراث برند و آنكه فرزند نبود يا زني چنان و مر او را برادري باشد يا خواهري مادري پس مر هر يكي را
منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
از آن برادر و خواهر شش يك مال پس اگر باشند افزون از آن پس ايشان انبازانند
في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية
در سه يك مال على السويه بعد از وصيتي كه وصيت كرده شده باشد بان و امي حال آنكه وصيت ضرر رساننده نبود وصيتي فرموده
من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله
خداي با اين احكام از نزد خداي و خداي دانا است اينست مواضع امر و نهي خداي و هر كه فرمان برداري نمايد خداي را
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
و رسول او را در آورد او را در بوستانهاي كه روان بود از زير درختهاي آن جويهاي حال آنكه جاويد باشند
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
در آن جنات و آن فيروزي يافتن بزرگست و هر كه نافرماني نمايد خدايرا و پيغمبر او را و تجاوز نمايد

حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفهن
الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم
فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا
رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان
الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان
ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم
عذابا اليما يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن
الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج واتيتم احديهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا
اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا

ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد
سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا

القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها
حمزة وعلي الباقون بالضم يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل وافق الاعشى في الاولى
وحفص في الثانية الباقون مبنيا للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر الباقون بالياء وكذلك في
سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك هذان وهاتين وارنا اللذين واشباه ذلك
واما قوله فذانك ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وعباس مخير الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي
وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر الوقوف الانثيين ما ترك فلها النصف
لانتهاء حكم الاولاد ان كان له ولد فلامه الثلث او دين وابناؤكم لتقديره ولاحتمال كون اباؤكم مبتدأ وخبره لا
تدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد دين لم يكن لكم ولد دين منهما السدس دين لان غير حال عامله يوصى مضار
لاحتمال نصب وصية كما يجيء من الله حليم لان تلك مبتدأ حدود الله خالدين فيها لان ما بعده اعتراض مقرر
للجزاء العظيم خالدا فيها لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين اربعة منكم لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فاذوهما عنهما
رحيما عليم حليما السيئات لان حتى اذا يصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت ويصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار
اليما كرها للعدول عن الاخبار الى النهي تبعية للعارض من المنفيين بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف ومقتا
سبيلا التفسير انه سبحانه لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك
الا بيانا جملة احكام الميراث او يقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم
الله اي يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد
اما النسب فكانوا يورثون الكبار ولا يورثون الصغار ولا الاناث كما مر واما العهد فالحلف او التبني كما سيجيء في تفسير قوله
والذين عاقدت ايمانكم وكان التوريث بالعقد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين اخرين الاول الهجرة وكان المهاجر
يرث المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه الثاني المواخاة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواخي بين اثنين منهما فيكون سببا للتوارث والذي تقرر الامر عليه في الاسلام ان اسباب
التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورث بنت حمزة من مولى لها وورا هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه
بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يحملون عليه الدية قال صلى الله عليه وسلم انا وارث
من لا وارث له اعقل عنه وارثه قال ابو حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن
ابن عم وان بعد فالتحق بالمال الضايع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده
اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد واجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلث ذكور واناث معا او اناث فقط
او ذكور فقط القسم الاول فبيانه قوله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام
ثلثة الاول خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة فله سهمان ولها واحد الثاني خلف ذكورا واناثا فلكل ذكر سهمان ولكل انثى
سهم الثالث خلف مع الاولاد جمعا اخرين كالزوجين فهم ياخذون سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب انثيين
وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن
فضل احد ادخل في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل لهم كفى الذكور
تضعيف النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال اقل من نصيب الرجال

فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن ولكثرة الشهوة فيهن
فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل **شعر** ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء اي مفسدة نكيف حال المرأة ومن
الامام الناطق محمد بن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت حفنة اخرى
وخبأتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى ادم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل
نصيب المرأة نصف نصيب الرجل **القسم الثاني** فهن اكثر من اثنين او اثنتان وواحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان
التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما ان يعود الى النساء وجاز لعدم الالتباس بدليل واحدة واما ان يعود
الى غايب حكمي اي كانت البنت او المولودة وقراءة النصب اوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع ايضا حسنه لئلا يحتاج
الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهمة ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما
على ان كان تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الاية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس
ان فرضهما النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لا يوجد المشروط
بالوحدة واقول لعله نظر الى ان الاثنين اقرب الى الواحد من الاعداد غير المحصورة فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل
على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث
بالاية فيلزم ان يكون للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد اخر انثى هو
الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان للذكر مثل حظ الانثيين دالا على حكم الانثيين فذكر بعد
ذلك انهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يتجاوزن الثلثين ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى
يقول في آخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم
يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين
وقيل لفظ فوق صفة نساء او خبر بعد خبر للتاكيد ولئلا يخرج اقل الجمع وهو اثنان زايد كقوله فاضربوا فوق الاعناق
وقيل فيه تقديم وتاخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها
فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس وقالت سعد بن الربيع قتل معك يوم احد وقد استفاء عمهما مالهما و
ميراثهما فقال يقضي الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها فقال
لعمهما اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك **القسم الثالث** وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الاية
لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل و
واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا
بينهم بالسوية وايضا قال صلى الله عليه وسلم وما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر
ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص ساكت عن ولد الولد فقيل
اسم الولد يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني ادم يا بني اسرائيل وقيل قيس ولد الولد لما انه كولد الصلب في
الارث والتعصيب ولكنه لا يستحقون شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحقون اذا لم يوجد الولد الصلب راسا
او لا ياخذ ولد الصلب كل الميراث فحينئذ يسام الباقي واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور
منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل الملتين والمرتد ماله في بيت المال
سواء اكتسب في الاسلام يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة وروي ان فاطمة عليها
السلام لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله
تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من ال يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث للمال وورثة
العلم او الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس
وهؤلاء كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين فاما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر
بباله انه يرث الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له

الى معرفتها اشد الحاجة وايضا يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة
فذلك الشيء لا يورث والمراد الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فايدة تخصيص الانبياء بذلك انهم
اذا عزموا على التصدق بشيء فبمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر
بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر والله اعلم جميع ما ذكرنا انما هو حالة انفراد الاولاد اما حالة اجتماع
بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب
الاب لشرفه ومثله من التغليب في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق
الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لاوهم
قسمة السدس عليهما بالتساوي او بالتفاوت ولو قيل لكل واحد من ابويه السدس لفاتت فايدة الاجمال والتفصيل
والابهام والتفسير في قوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلث احوال
الاول ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى فههنا ثلثة اوجه **الاول** ان يحصل معهما ولد
ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية **الثاني** ان يحصل معهما بنتان او اكثر فالحكم
كما ذكر **الثالث** ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الاية والباقي
للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد اكثر
ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبى
فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
وايضا ولد الولد ولد وترفيه حال الولد احب عند الوالدين من ترفيه حالهما **الحالة الثانية** ان لا يكون معهما احد من الاولاد
ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي
يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفريضة والنصف بالعصوبة
ولانه تعالى قيد فريضة الثلث للام بان يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه
مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى الزوجة نصيبها وللام الثلث
بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب
الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع الثلث مما بقي للام الى الام والباقي الى الاب ليكون للذكر
مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار
شيء منه مستحقا بقي الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وايضا الزوج انما ياخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة
فاشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين انه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة
والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج والابوين لانه اذا دفع للزوج
الى الزوج النصف والى الام الثلث بقي للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله للذكر مثل
حظ الانثيين **الحالة الثالثة** ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا
على ان واحدا من الاخوة او الاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلثة منهم يحجبون لكن الاثنين
مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما في الثلثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد
في التثنية فما فوقها فصح ان يتناول الاخوة الاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين
الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محي الدين الاعرابي في الفتوحات
انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فساله عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلم ان اقل الجمع في
الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان
فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى في البلدان فاشار
اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون
لهم حتى يبقى للاب الثلثان او لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول

وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر بالحجب فوجب ان يبقى المال بعد حصول
هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصي بها او دين حتى لو استغرق
الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق اذا لم يكن او كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فان اوصى الميت وصية اخرجت
من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله عن علي ابن ابي طالب انكم لتقرون الوصية قبل الدين وان الرسول
صلى الله عليه وسلم قضى الدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقدم في الذكر لان كلمة او لا تفيد الترتيب البته
وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ فاين وفايدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها
ماخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه وكان في تقديمها
ترغيب لهم في ادائها ولهذا جي بكلمة او للدلالة على التسوية بينهما في الوجوب ولان كل ما لا يحصل فيه الا من ان يجي بالواو
الفاصلة ليدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وان كان وكذلك ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة
ان سهام اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في
انصباء اصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال
القلوب واقول من العجايب ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان ايهم مفعول لم مبنيا لحذف صدر
الصلة نحو لننزعن من كل شيعة ايهم اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصباءهم وبين قوله
فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع
لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة
بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب
واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في
الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن
ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من
ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في
الجنة بهذا اكثر ام بذلك وقيل قد فرض الله الفرايض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كمية تلك التقديرات
فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض
في الدنيا من جهة الانفاق والذب عنه فلا يدري ان الابن يحتاج الى ان ينفق الاب عليه او الاب سيفتقر الى الابن
وقيل المقصود رجاء ان يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول
فريضة من الله نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما حكيما بكل المعلومات فيكون
عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يامر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار
الزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم قال سيبويه ان القوم لما شاهدوا
علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كذلك اي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا
بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو النسب او الزوجية فهذه ثلاثة اقسام
القسم الاول قرابة التوالد الفروع والاصول وهو اشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة
والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف
ما ترك ازواجكم الى قوله توصون بها او دين ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث
كلالة فما احسن هذا النسق وكما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين كذلك جعل في الموجب السببي وهو
الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الاية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني
مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولدين بين الذكر والانثى
ولا بين الابن وبين ابن الابن ولا بين البنت وبين بنت الابن فتخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة

قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم وقال ابو حنيفه
لا يجوز لانها ليست زوجته ولو كانت زوجته يحل له وطيها القول الاعلى ازواجهم واجيب بانه لو لم يكن زوجته لكان قوله ما
ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجته مع انه لا يحل له وطيها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما قال
ابو حنيفه بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطي كزمان الحيض والنفاس ونهار
رمضان وعند اشتغالها في الصلوة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة من الوطي بالشبهة وايضا حل الوطي ثابت على
خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شي من تلك المصالح فعاد الى الاصل الحرمة اما حل الغسل ففيه مصلح فوجب
القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق انه سئل عن الكلالة فقال اقول برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان
خطاء فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه
في رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لان يكون بينهن الرسول صلى الله عليه وسلم لنا احب الي من الدنيا وما فيها
الكلالة والخلافة والربوا وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما يقول ما صمت
عن عي قال الفرزدق شعر ورثتم قناة الملك لا عن كلالة ٥ عن ابني مناف عبد شمس وهاشم ٥ والمختار الصحيح من الاقوال
قول ابي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى شعر
فاليت لا ارثي لها من كلالة ٥ ولا من وجى حتى تلاقي محمدا ٥ فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة
الى قرابة الاصول والفروع كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالراس اما
قرابة الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال شعر نسب تتابع كابرا عن كابر ٥ كالرمح انبوبا على انبوب ٥
وايضا فانه تعالى قال في اخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك والجواب انه
حكم في تلك الاية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة والاخوات لا يرثون حال
وجود الابوين فيلزم ان لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين وايضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الايات
المتقدمة ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا
للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك من الاعمام
بل عن الاباء فسمي العم الكلالة وهو ههنا مورث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت
منه على الموت فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة واراد به انه ليس له والد ولا
ولد ويقال الرجل كلالة وامراة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث
او الموروث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي اي من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال
رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث فيه احتمالان الاول وهو عطاء والضحاك ان
يكون ماخوذا من ورث الرجل يرث فيكون رجل هو الموروث منه ويكون ينتصب كلالة على الحال او على انه خبر كان و
يورث صفة الرجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة الثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون
مبنيا للمفعول من اورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة على وجوه المذكورة قيل ما السبب في انه قال
وان كان رجل يورث كلالة او امراة ثم قال فله اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المراة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى
واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا يقول من كان له ولد اخ او اخت فليصله او
فليصلها والتذكير للترجيح بالشرف معارض بالتانيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير
في الاية اولى اما لان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما بتاويل احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان
المراد من الاخ والاخت من الام او من ام فلكل واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا
على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عايد الى الرجل
والى واحد من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد
سوى بين الذكر والانثى ثم قال وان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين ان نصيبهم كيف ما كانوا لا يزداد على الثلث
وقد يسند الاجماع الى هذا بيانه انه قال في اخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل

وههنا اثبت للاخوة وللاخوات السدس عند الاجتماع فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الاية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة ان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الاية خاصة كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرا يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي اذ علم ان ثم موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه المورث او الى الميت الدال عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة ان يوصي بازيد من الثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا لوجه الله وتعالى او يقر بان الدين الذي كان له على غريمه قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على قانون العدالة وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد او على انه مفعول مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه وان على الثلث او وصية من الله الاولاد ان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما ان الوالد يقبل على ولده ويؤدبه في امر مخصوص ثم يحذره مخالفته ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله خالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له وكان يلزم حينئذ ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة الاية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فاذن المراد تعدي اي حد كان و الاية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود واجيب بانا بين ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا اخر وهو عدم العفو وبان الاية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ اي ومن يعص الله في كذا وفي كذا وذلك لا يتحقق الا في حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلي كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الاية مخصوصة بالكافر قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي فيها هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله سبحانه واللاتي ياتين الفاحشة وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المامور به في الايات المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل والانصاف و الاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات اللاتي بالهمز واللواتي فكانهما جمع الجمع وقد يحذف الياء من الاربعة وقد تسهل همزة اللائين الهمزة والياء لكونها مكسورة كقراءة ورش اللاء يئسن من المحيض وقد يقال اللائي بياء ساكنة بعد الالف من غير همزة وقد يقال اللوا بحذف الياء والتاء معا وقد يقال اللاآت كاللاتات قال ابن الانباري العرب يقول في الجمع من غير الحيوان التي ومن الحيوان اللاتي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الاية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من لا يفرق هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنا ههنا قال المحققون خص هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وما اشبهها وهذه اخس الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من

الحرائر او من نسائكم المؤمنات او الثيبات اقوال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنا والمراد بقوله منكم اي رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود فان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رايناه ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم لا لمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل عام كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكن حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان ياتيانها منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فاذوهما فوبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما لكما في النكاح مندوحة عن هذا فان تابا واصلحا او الحد فان تابا او قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن التعرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الايتين نقل الحسن ان الثانية مقدمة في التنزيل امروا بايذاء الزانيين اولا ثم امروا بامساك النساء في البيوت الى ان تبين احوالهن وقال السدي المراد بهذه الاية البكر من الرجال والنساء وبالاية الاولى الثيب وعن ابي مسلم ان الاية الاولى في السحاقات وحدهما الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنا بين الرجل والمراة فحده مذكور في سورة النور حده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الايات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الاية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الاية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه بين في الاصول ان استنباط تاويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكميته ذلك وليس في الاية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحد وجمهور المفسرين على ان الايتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد لذلك وجهه فانزل عليه ذات يوم ولقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر مائة جلدة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الاية صارت منسوخة باية الجلد وعن اصحاب ابي حنيفة ان اية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد واية الجلد نسخت بدلالة الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا تكون الاية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الاية ولا في الحديث وذلك ان الاية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الاية لا ناسخا وصار ايضا مخصصا لعموم اية الجلد والله اعلم ثم اخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد ان يكون جاهلا بكونها معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان النائم او الساهي لا يستحق العقاب لانه اتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا اما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الاية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كان التوبة على هذا الجاهل واجبة فلان يكون واجبة على العامد اولى لانه عالم بقبح تلك المعصية اما قوله ثم يتوبون من قريب فقد اجمعوا على ان المراد من هذا القرب حضور زمان الموت وتزول سلطانه ومعاينة اهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لان الاجل آت وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت الى جنب الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان لا يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في قريب لابتداء الغاية اي يجعل مبدا توبته من زمان قريب

من المعصية او للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضرت الموت زمانا قريبا فما قلنا
ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تايب من قريب والا فهو تايب من بعيد الا تري الي قوله حتي اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب
ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفايدة في قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة
على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك او المراد
بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما اتي بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة و[الغضب]
والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت وهو وقوعه في الشدايد بحيث يغلب
علي ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة
بل التوبة حينئذ اولى بالقبول لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من القبول معاينة سلطان الموت ومشاهدة
احواله واهواله بحيث يصير معرفته بالله ضرورية كاهل الاخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار
وانقضى الامر الي حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان اهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا احيا بعد
ان كانوا امواتا ويشاهدون ايضا اهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا
وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد
يقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا ينفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وايضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه
تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري
مانعا من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة
في بعض الاوقات وبعدله اخبر عن عدم قبول التوبة في وقت اخر وله ان يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود
مقبولا ولا يسال عما يفعل واقول التحقيق فيه انه تعالى مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله وامره حق وقد
عين لعبيده الصالحين دنياه وعقبى وقد اخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم
لم يعكس الامر ثم ان لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد ان لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف
ويكون عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا
توبتهم الي حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما ان
المايت على الكفر قد فاته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الي حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة
او المعنى انه كما ان التوبة عن المعاصي لا يقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب منه او المراد ان الكفار
اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الاخرة لا يقبل توبتهم اولئك اعتدنا لهم اي اعددنا في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب
الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطايفة الثانية
كفار فالاولون فساق لكنهما اشتركا في العذاب الاليم فثبت ان حكمهما واحد واجيب بان اولئك اشارة الي اقرب
المذكورين وبعضهم ان الكفار اشنع حالا من الفساق او الطايفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت
كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قال سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها من هنا شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب
من البلاء وذلك انواع النوع الاول قوله لا يحل لكم ان ترثوا النساء وفيه قولان الاول الوراثة يعود الي المال اي لا يحل
لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا من اموالهن كارهات لاساكم الثاني انها ترجع الي اعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله
امراة وجاء ابنه من غيرها او بعض اقاربه فالقي ثوبه عليها وقال ورثت امراته كما ورثت ماله فصار احق بها من نفسها
ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان زوجها من انسان اخر واخذ صداقها
ولم يعطها منه شيئا فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن قال اكثر المفسرين كان الرجل منهم
يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسئ العشرة معها ويشق الامر عليها حتى تفتدي نفسها بالمال وتختلع منها فنهي عن ذلك وقيل
انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزوج بمن شاءت واراد كما كانت تفعله امراة الميت ما احدث من الميراث كما كان

يفعله اهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المراة او للازواج كما مر في البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن
النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه وصاحب
الكشاف نظر الي ما قبله وذهل عما بعده الا ان ياتين بفاحشة مبينة من قرا بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة
وانما الله تعالى هو الذي بينها او الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرا بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت صارت اسبابا
للبيان كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن اسبابا للضلال ثم انه استثناء مما ذا قيل من اخذ الاموال اي لا يحل
له ان يحبسها ضرارا لتفتدي الا اذا زنت فحينئذ حل لزوجها ان يسالها الخلع وكان الرجل اذا اصابت امراته فاحشة
اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل استثناء من العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد وجود
الفاحشة ومن هولاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ باية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق
اي لا يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون حينئذ في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال
النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن
وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم الي المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على
المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول
ولد نجيب ومال كثير يمن في صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشوم في المراة والفرس والدار وقيل الشوم في المراة والغرس
والنار وقيل المعنى ان رغبتم في مفارقتهن وربما جعل الله تعالى في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان يتخلص من زوج
سيئ العشرة ويجد زوجا اخر او فوسعه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك
انه لما اذن في مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم الضرار في غير حالة الفاحشة يروي ان الرجل منهم كان اذا مال
الي التزوج بامراة اخرى رمي زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجيها الي الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الي تزوج المراة
التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال على المنبر
الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امراة وقالت يا ابن الخطاب الله تعطينا وانت تمنع وتلت هذه الاية فقال عمر كل
الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل ان يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الرخصة
وهو في موضع الحال اي قد اتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم ان النشوز
ان كان من قبل الزوجة حل اخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو خالع كما ان البيع وقت
النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك اتاخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو ان يستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه
وهو بري منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وفي الحديث اذا واجهت اخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في
موضع الحال اي باهتين واثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض اي بهتان وقيل بفعل مضمر
اي تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكانه يقول ليس
ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا ياخذه منها فاذا اخذه صار القول
الاول بهتانا اي باطلا او كان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر
واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن في ذاتها من حيث انه يشعر بانها
قد اتت بفاحشة وتحض على المال فهو بهتان من وجه وظلم من وجه اخر وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما
ياكلون في بطونهم نارا واثما مبينا ثم عجب من الاخذ مستفهما فقال وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الي بعض عن ابن عباس رض
ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذا الفضاء الساحة
ويقال افضيت اذا خرجت الي الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها
وهو قول الكلبي واختاره الفراء ويوافقه مذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعي
بان الكلام ورد في معرض التعجب وهو انما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو
الجماع لا مجرد الخلوة وايضا الابتداء ان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الي لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك
اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الي الاخر فان قيل على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا

ان تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القايل قايلان قايل بتفسير الافضاء بالجماع وقايل
بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرير المهر بتقرير الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة او الجماع فوجب الرجوع الى ما
قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرير المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدي و
عكرمة والفراء هو قولهم زوجتك المراة على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعلوم انه
اذا الجاها الى ان بذلت المهر فقد سرحت بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق وانما
اشار في الحديث واستحللتم فروجهن بكلمات الله وقال اخرون اخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا وصفه
بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج **النوع الخامس من**
التكاليف المتعلقة بامور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج
ابائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي
حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطي لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد لقوله وابتلوا اليتامى
حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطي لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية وقوله صلى الله عليه وسلم ناكح
اليد ملعون فيدخل الاية في الاية المزنية لانها منكوحة اي موطوءة وعورض بالايات الدالة على ان النكاح هو العقد
لقوله وانكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي ولا شك ان الوطي من حيث هو وطي
ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا سفاح وبان من حلف من اولاد الزنا انهم ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطي
مسمى بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الاية على ما ذكرتم اولى من حملنا على ما ذكرنا مع اجماع المفسرين على ان سبب
نزول الاية هو العقد لا الوطي قالوا في الوطي مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطي لا في العقد وانما
اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب فيحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه
معا فيكون الاية نهيا عن الوطي وعن العقد معا ولا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو
الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن اللون يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه
خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا
ان النكاح بمعنى الوطي ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير
لا تنكحوا نكاح اباءكم فان انكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت موقتة وعلى جهة القهر فنهوا عن مثل هذه الانكحة قال محمد
بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح اباؤكم ولكنا لا نسلم ان من يفيد العموم واذا لم يفد العموم لم يتناول
محل النزاع ولا غيره نصيصا سلمنا انه يتناول زوجات الاباء بالاجماع فيبقى غيره في خبر الاجمال سلمنا انه يتناول محل
النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم ولكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عنده لا يدل على الفساد
كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم ان يستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله
تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية هي ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية
على الاطلاق مزنية كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا ساير العمومات لقوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم و
كقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام
لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء فتحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر
الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطي حمدت به ووطي رجمت به فكيف يشتبهان
اما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على العرف لان النهي يدل
على المواخذة بارتكاب المنهي عنه فكانه قيل انتم مواخذون بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول اية التحريم
فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد
سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وتعلقه
حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد
تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا

ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى
وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم اقرهم عليهن مدة ثم امر بمفارقتهن وانما فعل ذلك
ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما اقر احدا على نكاح امراة ابيه وان كان
في الجاهلية وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث ابا بردة الى رجل عرس بامراة ابيه ليقتله وياخذ ماله انه اي ان هذا النكاح
كان قبل النهي فاحشة اعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب او هذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام و
لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر قبيح ارتكبه
صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلث في العقول وفي الشرع
وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح العادي وساء
فعل الذم وفاعله ضمير مبهم تفسيره المنصوب بعده والله تعالى اعلم **التاويل** الوارثة الدينية ايضا سبب ونسب
فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا
مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشاة الثانية من صلب ولايتهم ومن هنا قال صلى الله
عليه وسلم الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية
والنسبية والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد ويتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله صلى الله
عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وكقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي ياتين الفاحشة
من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون
وهي التراب ومن خواصها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللينة والانوثة والنار والهواء ومن خواصه الحرص والحسد
والبخل والشهوة والنار ومن خواصه الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من النفوس
فامسكوهن في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن الموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها
او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان ياتيانها اي النفس والقالب باتيان من الفواحش
ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا
عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة اي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي
المعصية فحسب فالعمل السوء اذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقبه التوبة كما يقال ثم يتوبون من قريب
اي عقيب المعصية قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان يقال من قريب اي
قبل ان يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي امهات المتصرف فيها اباؤكم العلوية الا ما قد سلف
من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله اعلم

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم و
حرام كرده شد بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و
عماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت
خواهران پدر شما و خواهران مادر شما و دختران برادر و دختران خواهر
وامهاتكم التي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة و
و مادران شما آنانكه شير دادند شمارا و خواهران شما حال آنكه از خواهرى از شير خوردن بود و
امهات نسائكم وربائبكم التي في حجوركم من نسائكم
و مادران زنان شما و دختران زنان شما آن دختران كه در تربيت شما باشند از زنان شما
التي دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين
آن زنان كه دخول كرده باشيد بايشان پس هيچ بزه نيست بر شما خواستن و دختران و زنان كه بوده باشد كه حلال بر آن شما كرده باشند آنانكه

من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان
غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن
فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم
يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما
ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات والله اعلم بايمانكم بعضكم
من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف
محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان
اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك
لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور
رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم
والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما والله يريد ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين
امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان
تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم

ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا

القراءة والمحصنات كل القران بكسر الصاد الا الاول والمحصنات من النساء على الباقون بالفتح واحل مبنيا للمفعول يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد تجارة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون بالرفع الوقوف دخلتم بهن الاولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم ز كذلك فان جملة الشرط معترضة اصلابكم للعطف سلف ط رحيما للعطف لجزم الخامس ايمانكم ط لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل مصدر محذوف اي كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا له اي حرمت لكتاب الله من قرا واحل بالفتح لم يحسن الوقف له على عليكم للعطف على كتب ومن قرا واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين ط لابتداء حكم المتعة فريضة ط الفريضة حكيما ه فتياتكم المومنات ط بايمانكم ط من بعض ج لعطف المختلفتين اخدان ج لذلك من العذاب ط العنت منكم ط خير لكم ط رحيم ه ويتوب عليكم ط حكيم ه عظيما ه يخفف عنكم ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اي يخفف لضعفكم ضعيفا ه انفسكم ط رحيما ه نارا ط يسيرا ه التفسير انه سبحانه نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبعة من جهة النسب وهن الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والاباء وهذه في الاية المتقدمة والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذه الاية مجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الاية فليست اضافة هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات اولى من بعض وهذا معنى الاجمال والجواب من المعلوم بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان المراد منه تحريم نكاحهن لا سيما وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى خصال ثلث فانه لا يشتبه ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم ان قوله حرمت انشاء للتحريم كقول القائل بعت او طلقت لا اخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا يشتبه ان المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور والخطاب لاولئك الحاضرين بالذات ولمن عداهم من الامة بالتبعية والاصل في كل حكم هو الاستمرار والتابيد لم ينسخه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تعالى حرم على كل احد امه خاصة وبنته خاصة واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان ادم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان بلى ان زرادشت نبي المجوس عندهم قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان ادم عليه السلام وذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى تزوج بهن ابناء ادم ويرد عليه ان هذا النسل حينئذ لا يكون عن اولاد ادم وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب حينئذ تحريم الامهات والبنات ان الوطي اذلال واهانة فلا يليق بالاصل والجزء والامهات جمع الام والهاء زائدة ووزن الفعل ام فعل او اصليه ووزنه فعلة وقد يجيء جمعه على امات وقد يقال الامهات للانسان والامات لغيره وكل امراة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك بدرجة او درجات باناث رجعت اليها او بذكور فهي امك ولا شك ان لفظ الام حقيقة في التي ولدتك اما في الجدة فيحتمل ان يكون حقيقة ايضا وحينئذ يكون اللفظ متواطئا فيهما ان كان موضوعا بازاء قدر مشترك بينهما ويكون الاية نصا في تحريمهما او يكون مشتركا بينهما وحينئذ ان جوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالاية نص في تحريمهما ايضا والا فطريقان الاول ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع الثاني انه

تعالى تكلم بهذه الآية مرتين لكل من المفهومين وكذا الكلام ان قلنا ان الام حقيقه في الوالده مجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج
الرجل امه ودخل بها يلزمه الحد وقال ابو حنيفه لا يلزمه حجة الشافعي ان وجود هذا النكاح وعدمه بمثابة واحدة لكونها محرما قطعا
في حكم الشرع فيكون وطيها زنا محضا **النوع الاول** من المحرمات البنات ويراد بهن كل انثى يرجع نسبها اليك بالولاده بدرجة او
بدرجات باناث او بذكور والكلام في ان اطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة او مجاز كما مر في الامهات قال
ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنى تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم على الزاني لانها ليست بنتا له شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم
الولد للفراش وهذا يقتضي حصر النسب في الفراش ولانها لو كانت بنتا له لاخذت الميراث ولثبتت له ولاية الاجبار عليها ولوجب
عليه نفقتها وحضانتها ولحل الخلوة بها لكن التوالي باطلة بالاتفاق فكذا المقدم وايضا ان ابا حنيفة اما ان يثبت كونها بنتا له بناء
على الحقيقه وهي كونها مخلوقة من مائه او بناء على حكم الشرع والاول باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه لو اشترى جارية
بكرا واقتضها وحبسها في داره الى ان تلد فهذا الولد معلوم انه مخلوق من مائه قطعا مع انه لا يثبت نسبه الا عند الاستلحاق و
اما العكس فهو ان المشرقي لو تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه قطعا والثاني باطل ايضا
باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزنى من الزاني ولو انتسب اليه وجب على القاضي منعه **النوع الثاني** الاخوات و
يشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب فقط ومن الام فقط **النوع الثالث** العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك
اليه فاخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الام وهي اخت ابي امك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد
يكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ابي امك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الاب
وهي اخت ام ابيك ولا يحرم اولاد العمات واولاد الخالات **النوع الرابع** بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول
في بنت الصلب **النوع الخامس** قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات امهات تفخيما لشانهن كما سمى ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم امهات لحرمتهن وليس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم
والا كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي يتحقق به الامومة ويعلم من تسمية المرضعة
اختا انه اجرى الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات وخمس
بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة
واحدة تنبيها بها على الباقي منهما فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم انه صلى الله عليه وسلم اكد هذا
البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا بيان لطيف فامك
من الرضاع كل انثى ارضعتك او ارضعت من ولدك من الآباء والامهات او ولدت المرضعة او الفحل
الذي منه اللبن بواسطة وبنتك من الرضاع كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدت من الابناء او البنات واختك
من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعتها بلبن ابيك او ولدتها المرضعة او الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك من
الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اخت الفحل الذي ارضعت بلبنه ومن جهة
الام كل انثى هي اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي
اخت امك من الرضاع او اخت من ارضعتك من النسب او الرضاع من جهة الاب كل انثى هي اخت انثى ارضعت اباك من
الرضاع او النسب او ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكذلك حكم بنات اولاد من ارضعته اختك او ارضعت
بلبن اخيك من الرضاع او النسب وكذلك بنات من ارضعته امك او ارضع بلبن ابيك وبنات اولادهما من الرضاع او النسب
والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه وللرضاع اركان **الاول** المرضع ويجب ان تكون
امراة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى اللذين شربا منه وكذا لبن الرجل وان يكون حية وعند ابي حنيفة و
مالك واحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين **الثاني** اللبن ويتعلق به التحريم
ولو تغير بحموضة او انعقاد او غلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض او اقط او ثرد فيه طعام او عجن به دقيق وجبن او خلط
بمايع حلال او حرام **الثالث** المحل وهو معدة الصبي فلا اثر للحقنة ولا بعد الحولين الهلاليين ولا للوصول الى معدة
الصبي الميت ولا بد مع ذلك من خمس رضعات لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحرم المصة والمصتان ولا الرضعة و
الرضعتان ولما روت عايشة خمس رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كافيه **النوع السادس** قوله وامهات

٢٥٦

نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام **النوع السابع** وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت
امراة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها في حجره عبارة عن تربيته وهو
بناء للكلام على الغالب ومثله هو في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في
بيوتكم وعن علي رضوان الله عليه انه جعل كونها ربيبة له وكونها في حجره شرطا في التحريم وهو استدلال حسن واما سائر
العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل بالمراة حرمت ابنتها عليه سواء كانت في تربيته او لم
تكن اما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا
يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول وذهب جمع من الصحابة ان ام المراة انما تحرم بالدخول بالبنت كما ان الربيبة
انما تحرم بالدخول بامها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى
ذكر حكمين وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب
ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين جملة مستقلة بنفسها ولم يرد دليل على عود ذلك الشرط اليه
اذ الظاهر تعلق الشرط بالثانية واذا تعلق باحدى الجملتين فلا حاجة الى تعليقه باخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى
وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال
اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض امكن الاتصال
في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان
هذا التفسير فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا ربائبكم يكون حينئذ مبتدا وقوله
من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفات فاصلة لان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت كما امر جهة
المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا ومما يدل على ان الجملة الاولى مهملة ما روي عن
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل امراته فلا يحل ان يتزوج امها
دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح
ام المراة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع
الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المراة وعن سعيد بن المسيب
ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امراته قبل الدخول واراد ان يتزوج امها فله ذلك وان ماتت عنده لم يتزوج امها
اقام الموت مقام الدخول في التحريم كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب
عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة عند ابي حنيفة يقوم مقام الدخول
وقد تمسك ابو بكر الرازي بالآية في اثبات ان الزنى يوجب حرمة المصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطي من نكاح
كان او من سفاح ورد بان تقدم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطي بالحلال **النوع الثامن** وحلائل ابنائكم الذين من
اصلابكم فخرج المتبنى وكان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم وحكم ابن من الرضاع حكم الابن من النسب في تحريم حليلته لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب وان كان ظاهر قوله وحلائل ابنائكم وظاهر قوله واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فههنا قد يخصص عموم القران
بخبر الواحد واتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة على الدخول وما روي عن
ابن عباس انه قال ههنا ابهموا ما ابهم الله اراد به التابيد الا يرى انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب انها المبهمات اي
من اللواتي تثبت حرمتهن على سبيل التابيد واتفقوا ايضا على تحريم حليلة والد الولد على الجد اما جارية الابن فقد قال
ابو حنيفه يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من
الحلول بمعنى ان السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه
لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما تصدق على زوجته انها حليلته فيتناولها
الحرمة بالآية **النوع التاسع** وان تجمعوا بين الاختين اي حرمت عليكم الجمع بينهما والتانيث للتغليب او للاكتساء او تاويل

الخصلة ويمكن ان يقال الواو نايب عن الفعل المطلق من غير اعتبار تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما
اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب بطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع واما الجمع بينهما بملك اليمين
او بان ينكح احديهما ويشتري الاخرى فقد اختلفت الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن
عمر لا يجوز الجمع بينهما لاطلاق الاية ولانه لو جاز الجمع فقد اختلفت الصحابة فيه فقال بينهما في الملك يجاز وطيهما معا
لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو سلم ان الاية يدل على الجواز فالاحوط
جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي وارد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطي
احديهما حرم وطي الثانية عليه ولا يزول هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال
ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في عدة الاخت الباين لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم
النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زايل بدليل لزوم الحد بوطيها واما وجوب العدة ولزوم النفقة فيقول
حتى حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها حصول النكاح لان استثناء عن التالي لا ينتج واذا اسلم الكافر وتحته
اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا
مخاطبين في فروع الشرايع في احكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفه بالفروع ما دام كافرا نعم يعاقب بترك الفروع
في الاخرة كما يعاقب على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي ما روي ان فيروز الديلمي اسلم على ثمان نسوة فقال
صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا وفارق سائرهن اطلق ولم يفحص عن الترتيب وقال ابو حنيفة ان تزوج بهما معا
تركهما وعلى الترتيب فارق الثانية لان الخطاب في قوله وان تجمعوا عام يتناول المؤمن والكافر مخالف اصليه
حيث جعل النهي دالا على الفساد والكافر مخاطبا بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر
في احكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي وشهود او على سبيل القهر والغصب فبعد الاسلام يقر بذلك
النكاح اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد تقدم تطبيق
واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المراة على عمتها ولا خالتها وضبط
العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع
بين المراة وبنت اختها وبنات اولاد اخيها وكذلك بين المراة وبنت اختها وبنات اولاد اختها سواء كانت العمومة والخؤولة من
النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح حليلة مولام زوجها ولا نكاح المراة وبنت زوجها لانه لا توجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحد منهما
وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لمكان المصاهرة حينئذ بخلاف ما لو فرضت المراة ذكرا فانه لا يكون بينهما
قرابة ولا رضاع وقد ضبط تحريم الجمع بعبارتين اخريين الاول يحرم الجمع بين كل امراتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية
الثاني يحرم الجمع بين كل امراتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت تلك الوصلة بينك وبين امراة لحرمت عليك
النوع العاشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القران لمعان الاول الحرية والذين يرمون المحصنات فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب الثاني العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها الثالث الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره
اذا اسلمن الرابع كونها ذات زوج والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي
وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة مانعة صاحبها من الافات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير
فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته من كثير من الامور والزوجة مانعة للزوج
من الوقوع في الزنى ويقرى بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالتزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن
ازواج في دار الكفر من حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شري الامة وانها
يجاورثها فان كلا منهما لا يوجب الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك فيحض
والاول اقوى فظهر الفرق وقيل ان ذوات الازواج حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن
وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحراير والمعنى حرمت عليكم الحراير الا العدد الذي جعله الله ملكا لكم وهو الاربع والا ما اثبت
الله لكم ملكا عليهن بحصول الشرايط المعتبرة من حضور الولي والشهود وغير ذلك والقول هو الاول لما روي عن ابي سعيد
الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحصنات

من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن ثم اكد تحريم المذكورات بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون منصوبا
باسم فعل ويكون مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول
الصريح او بدلالة جلية او خفية او ببيان النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين وغيرهما وقد دخل بعد
هذه العناية في الاية تخصيصات اخر منها ان المطلقة ثلاثا لا تحل دليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح
زوجا غيره ومنها المحرمية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن
ومنها ان من في نكاحه حرة لم يجز له ان ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل
فمن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع ومنها الملاعنة بقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل بما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال كونكم محصنين لا في حال
كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم يجوز ان يكون تبتغوا بدلا من وراء
ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى
محصنين متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لانه لا غرض الزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر
باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل
والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزع الفرد على الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى
مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى امراة في نكاح كف
دقيق او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القران لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان الابتغاء
بالمال اسم للاعيان لا للمنافع وكذا قوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والايتاء والاكل
صفة من الاعيان ولو تزوج امراة على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال
الشافعي الاية يدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا وايضا فقد خرج الخطاب مخرج الاغلب
الاعم فلا يدل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تاجرني ثماني حجج و
الاصل في شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها لما لم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها شيئا قال
صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القران قال نعم سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القران ومنه يعلم
جواز عتق الامة صداقا فالمال اسما وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه من
خواصه ممنوع فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فاتوهن
اجورهن اي عليه فاسقط الراجع للعلم به ويجوز ان يراد بما النساء ومن للتبعيض او للبيان لا للابتداء الاستمتاع ويكون
رجوع الضمير اليه في به على اللفظ وفي فاتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار
والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او اقيمت مقام ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد
اي فرض ذلك فريضة ولا يخفى انه ان استمتع بها بدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر
نصف المهر قال اكثر علماء الامة ان الاية في النكاح المؤبد وقيل المراد بها حكم المتعة وهي ان يستاجر الرجل المراة
بمال معلوم الى اجل معلوم ليجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على انها كانت مباحة في
اول الاسلام ثم السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت و
يروى هذا عن ابن عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا
نكاح قلت فما هي قال متعة كما يقال قال قلت هل لها عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية
اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاستبعاد في المتعة قال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكني قلت انها تحل
للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له وروي انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي
في الصرف والمتعة اما عمران بن الحصين فانه قال نزلت اية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها اية تنسخها وامرنا بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برايه ما شاء يريد ان عمر نهى عنها وروى
محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي كرم الله وجهه انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمته

المتعة ان الوطي لا يحل الا في الزوجة او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المراة ليست بمملوكة
ولا زوجة ولا يحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة عليها بالاشهر والتوالي باطلة باسرها بالاتفاق وروي عن
عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه احد منهم فلو سكتوا العلمهم عن شهادة فذاك ولو سكتوا لجهلهم
بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة
وذلك محال منهم وما روي عن عمر انه قال لا اوتى برجل نكح بامراة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان
الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جايز للامام عند المصلحة الا ترى انه
قال صلى الله عليه وسلم من منع منا الزكوة فانا اخذ وها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال من مانعي الزكوة غير جايز لا
السياسة وروى الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن ابيه قال
غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قايم بين الركن والمقام مسند ظهره الى الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا وان الله قد حرم عليكم الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شي فليخل سبيلها ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيا
القايلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمراة على سبيل التابيد وعلى سبيل التوقيت
بل الاية مقصورة على نكاح المتعة لما روي ان ابي ابن كعب كان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فاتوهن
اجورهن وبه قرا ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور لمجرد الاستمتاع
الى التلذذ وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد وايضا قال في اول السورة فانكحوا ما طاب
ان يحمل هذه الاية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت
المتعة ما جاء في الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر واكثر
الروايات انه صلى الله عليه وسلم اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك ان اصحابه شكوا اليه يومئذ
طول العزوبة فقال استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل
به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض عن هذه الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان ثابتا في عهده لم يمكن نسخه بقول عمر كما اشار اليه عمران بن الحصين
واجيب بان المراد من قول عمر وانا انهى عنها انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم
وقد سلموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا الاية على بيان
حكم بالنكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج في ان تحط عنه شيئا او تبراه عنه
بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شي وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان يهب المراة للزوج مهرها او يهب الزوج للمراة
تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جايز لان التراضي قد يقع على الزيادة
وقد يقع على النقصان نحو هي ثابتة ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها
نصف المسمى في العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة الهبة فان قبضها ملكته بالقبض وان لم يقبضها بطلت و
الدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو التحقت بالاصل فاما ان ترفع العقد الاول ويحدث عقدا ثانيا وهو باطل
بالاجماع واما ان يحصل عقدا مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا الاية على حكم المتعة قالوا
المراد انه ليس للرجل سبيل على المراة من بعد الفريضة ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا فضلا
في المال وسعته ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح يتعلق بطولا
يقال طال الامر اذا غلبه فمكن من نيله والمحصنات ههنا الحراير والمعنى ومن لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح الاماء
التي ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه فالفتيات
المملوكات تقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل
فتاي وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى شرط في نكاح الاماء ثلث شرايط ثنتان في الناكح الاول فقد طول
الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد ما يحج به فاذا كان كذلك

جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن **الثاني** خشية العنت
كما يجي في آخر الاية **الاول** في المنكوحة وهو ان يكون الامة لمسلم ومع ذلك تكون مومنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المومنات
الثاني مستفاد من قوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين
الثالث من وصف الفتيات بالمومنات اما فايدة القيد الاول فهي ان الولد تابع للام في الحرية والرق وحينيذ يتعلق
الولد رقيقا على ملك الكافر لان هذا القيد الغاه اكثر الايمة لان الولد اذا رق للكافر يبع عليه في الحال اما فايدة القيد
الثاني فالحذر من اجتماع النقصانين الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي واما ابو
حنيفة فانه يقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على الوطي ويقول المراد
ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح الامة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها ولكن نكاح الامة المومنة افضل فيحمل
التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحراير ايضا بالمومنات
واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك في ان الاية
دالة على الحذر من نكاح الاماء وان الاقدام عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لتبعية الولد الام في الرق ولانها
ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة فربما تعودت بسبب ذلك الفجور والوقاحة ولما للمولى عليها من حق الاستخدام فلا تخلص
لخدمة الزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على هبة
مهرها من زوجها ولا ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانهم مكلفون بظواهر
الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم اولاد آدم فلا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم
مشتركون في الايمان وهو اعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت اليه وفيه توهين ما كانوا عليه
في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب والتانيس بنكاح الاماء اذا كن مومنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن باذن
اهلهن ولذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن
ولان التزوج بها يعطل على السيد اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقتصر على الامة واما العبد فقد
ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا تزوج العبد بغير اذن سيده فهو عاهر واستدل
الشافعي بالاية على ان المراة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء
والامة ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق صفة زايلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زايلة يبقى بعد
زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث فعند زوال الرق عنها وهي
حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ثبت في ساير الصور ضرورة انه لا
قايل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الاية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمراة ان
تزوج امتها واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضى المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه
وايضا ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امراة سلمنا ان الاهل
هو المولى لكنه عام خصصه قوله صلى الله عليه وسلم العاهر هي التي تنكح نفسها اذ يلزمه ان لا يكون لها عبارة في نكاح مملوكها
ضرورة انه لا قايل بالفرق ثم الانصاف ان استدلال الشافعي لا يتم فللقايل ان يقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية
من حيث هي امة وان سلمنا ذلك فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الاية يبقى بعد زوال صفة الرق وكونها
مثل قول القايل لا اتكلم هذا الشاب ممنوع فمن المعلوم عرفا ان المراد به ذات الشاب من حيث هو ولكنه كقول الحالف
لا اتكلم شابا فحينئذ لو كلم زيدا وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث واتوهن اجورهن اي مهورهن
وفيه دلالة على وجوب مهرها اذا نكحها سمى لها المهر او لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد
وغالب الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل والمراد بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة
عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب نفقتها
وكفايتها كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة
لقبض مهرها وان المولى اذا اجرها للخدمة وكان هو المستحق للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله واتوهن اجورهن

واما الجمهور فقالوا ان مهرها للمولى لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي كون المملوك مالكا لشيء اصلا
ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا لفظ
الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهور فالجواب انها من بضاعهن فلذلك اضيف الاجور اليهن و
ليس في قوله وآتوهن ما يوجب كون المهر ملكا لهن وجب ان المهر ملك لهن ولكنه صلى الله عليه وسلم قال العبد وما يملكه لمولاه
او المراد وآتوا اليهن بحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفايف وهو حال من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي
حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة
هي التي تواجر نفسها اي رجل ارادها والمتخذة الخدن هي التي لها صديق معين وكان اهل الجاهلية يفصلون بين الحكمين و
ما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلاجرم افردهما الله تعالى بالذكر
تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي يخادنك اي يكون معك في كل
امر ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن اي بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او
بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر الحال ايمانهن في النكاح
في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم ذكر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان
المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يريد بها الحراير المتزوجات او الحراير الابكار وعلى
الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا واجب في زنى الامة محصنة
كانت او لم تكن وقد علق ذلك في الاية بمجموع الامرين الاحصان والزنى والجواب انا نختار القسم الاول ويسقط الرجم
عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف او الثاني والمراد بيان تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يغلظ عند التزوج
فهذه اذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا القدر اولى اعلم ان
الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كانت على
الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا
هذه الاية اصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان كان من الامور ما لا يجب ذلك فيه كالصلوة
والصوم ونحوهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معناه الوقوع في
امر شاق والمفسرون ههنا قولان الاول ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة ربما يدعو الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا
وفي العذاب الاليم في الاخرة الثاني ان الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كوجع الوركين والظهر والوسواس
وكاختناق الرحم للنساء والاول اليق ببيان القران وعليه اكثر العلماء وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد
شرطه المبيحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحراير صلاح البيت و
الاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تاكيد لما ذكر من ان الاولى ترك النكاح الا انه اباحه لاحتياج المكلفين فهو من
باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم قيل اقيمت اللام مقام ان في قولك اريد ان يقوم وقيل زيدت اللام و
قدر ان وذلك لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في ابا لك اضافة الاب وقيل في الاية اضمار والاصل
يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم مناهج
من كان من قبلكم قيل المراد ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شان النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرايع والملل
وقيل بل المراد ان الشرايع والتكاليف وان كانت مختلفة في نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سنن
من كان من قبلكم من اهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما اراد منا نفس الطاعة فلاجرم بينها و
ازاح الشبهة عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط وفي الاية اشعار بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة
لكلنا وليس كذلك فوجب ان المراد التوبة في باب نكاح الامهات والبنات وساير المنهيات المذكورة في هذه الايات
وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستحقون
به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن الحق الى القصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل
المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة والعمة

والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت بقوله يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال
نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه ولم يثقل اما ضعف تكليفه خلقته بالنسبة الى كثير
من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر ولهذا اشتد احتياجه الى التعاون والتمدن والاغذية والادوية والمساكن والملابس والدثار
والمعاملات الى غير ذلك من الضرورات واما ضعف عزائمه ودواعيه فاظهر ولهذا لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات
ولا سيما عن النساء عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت
احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف على النساء عن ابن عباس ثماني ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم
لا تحرمنا مواعيدك انك لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر ابتغاء النكاح بالاموال وامر بايفاء المهر والنفقات بين عقيب
ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
وقد سبق مثله في آخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال المستفادة بنحو الهبة والوصية والارث
واخذ الصدقات والمهور واروش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق متعلق بالتجارة ويدخل تحت هذا النهي اكل
مال الغير بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال
ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول المالك فذلك
غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك الحقيقي وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا والاية فرقت بين قوله
لا تبيعوا اهولهم الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال ابو حنيفة
خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الاية قد حصل وقال الشافعي لا شك ان هذا
التراضي تقتضي الحل الا انا نثبت بعد ذلك للمتبايعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا
ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين نفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين
ما يعرضه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه اسهل عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب بن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال
شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل
الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل له يا رسول الله الذي قلت له آنفا انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا
وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت
ولكن به جراحات شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر
اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في
نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا
وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت
ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي
منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل
شيئا وقيل معنى الاية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته
نهاكم عما يضركم عاجلا وآجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا
لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا وظلما لا خطاء ولا اقتصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل و
الاكل بالباطل وعن ابن عباس انه عايد الى كل ما نهى الله تعالى من اول السورة وتنكير النار للتعظيم او للنوع وكان ذلك على الله يسيرا
مثل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه التاويل حرمت عليكم
امهاتكم الاية كلها اشارة الى النهي المتعلق ومنع التصرف في الامهات والسفليات والمتولدات من اوصاف الانسان
وصفات الحيوان ان الله كان غفورا بانوار مغفرته ظلمات صفات الانسانية التي تتولد من تصرفات الحواس في المحسوسات عند

الضرورات بالامر لا بالطبع رحيما بالمومنين فيما اضطرهم اليه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هي
الدنيا التي تصرف فيها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا محصنين حمائر من الدنيا
وما فيها غير مسافحين في الطلب سياه وجوهكم فما استمتعتم به من الضروريات فاعطوا حقوق تلك الحظوظ بالطاعة والشكر
والذكر ثم ان الله تعالى احب نزاهة قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما احب نزاهة فراشه فقال ومن لم يستطع اي من لم يقدر ان
يحرز عجوز الدنيا الصالحة باسرها ويجعلها منكوحة له وتحصينها بتصرف شرايع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما
فليتصرف في القدر الذي ملكت يمينه من الدنيا ولم تملك قلبه لانها مامورة لها بالخدمة كما قال صلى الله عليه وسلم حكاية
عن الله تعالى يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك محصنات بالصدق والاخلاص غير مسافحات بالتبذير والاسراف
ولا متخذات اخدان من النفس والهوى فاذا احصن بالاخلاص في العطاء والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة هي غلبة شهواتها
على القلب فليبذل نصف ما ملكت من الدنيا في الله جناية وغرامة جذبها كما ان حد عجوز الدنيا اذا احصنها ذو الطول
من الرجال فاتت بفاحشة ملكها بالكلية بالبذل في الله كما كان حال سليمان عليه السلام اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد لما شغلته عن الصلوة واتت بفاحشة حب الخيل طفق مسحا بالسوق والاعناق ذلك التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي
ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا واشتغالها عن قبول الاوامر والنواهي وان تصبروا عن التصرف فيها بالكلية خير لكم كما
قال عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركها خير والبر يريد الله ان يخفف عنكم فلكم المعونة ولغيركم المؤنة قال ابرهيم
اني ذاهب الى ربي واخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا صلى الله عليه وسلم سبحان الذي اسرى
بعبده وعن هذه الامة بقوله سنريهم آياتنا فالمعونة هي الجذبة التي توازي الثقلين فلا جرم كان لغير نبينا الوصول
الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى قاب قوسين او ادنى ولامته القرب لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه والفرق بين النبي والولي ان النبي مستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وتسليكه وخلق الانسان ضعيفا
ظهيفا اعني بالجذبة حتى يصل بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان بسعيهم الى الابد وضعفه بالنسبة الى جلال الله
وكماله والا فهو اقوى في حمل الامانة من سائر المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر
الصبر يحمد في المواطن كلها ۞ الا عليك فانه لا يحمد ۞ وكان ابو الحسن الخرقاني يقول لولا نفسا لم ابق وغير الانسان يصبر
عن الله لعدم المحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلي كما انه صلى الله عليه وسلم كان يغان على قلبه
وكان يقول كلميني يا حميراء وكان الشبلي يقول لا معك قرار ولا منك فرار المستغاث بك منك اليك وضعف الانسان
سبب كماله وسعادته فانه ساعة يتصف بصفة البهيمية وساعة يتسم بسمات الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء
في الحديث الرباني انا ملك حي لا يموت ابدا فاطعني عبدي اجعلك ملكا حيا لا يموت ابدا الا ان يكون تجارة اي تجارة تنجيكم
من عذاب اليم الاية ولا تقتلوا انفسكم بصرف اموالكم في شهواتها فان ذلك سمها القاتل انه كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الآفات
ودلكم على منافع التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى تعديا عن امر الله وظلما على نفسه والله تعالى اعلم

ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان
الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك

الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم
نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم
فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي
تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان
اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا
كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله و
حكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله
كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين و
الجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن
السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان
مختالا فخورا الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل و
يكتمون ما آتيهم الله من فضله واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس و
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما

ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
بدرستی که خدای ستم نکند هم‌وزن یک مورچه خرد و اگر باشد آن مثقال ذره نیکویی زیادت گرداند ثواب آنرا
ويؤت من لدنه اجرا عظيما القراءة يكفر عنكم ويدخلكم
و دهد از نزدیک خود مزدی بزرگ
بياء الغيبة المفضل الباقون بالنون مدخلا
بفتح الميم وكذلك في الحج ابو جعفر ونافع الباقون بالضم وسلوا وبابه مما دخل عليه واو العطف او فاء بغير همز ابن كثير وعلي
وخلف وسهل وحمزة في الحج الوقف عقدت من العقد عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب
يزيد الباقون بالرفع والجار بالامالة ابرهيم ابن قتيبة ونصير وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر والبخاري عن
ورش والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث كان حمزة وعلي وخلف والمفضل عباس
غيرا الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير
وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها بالالف الوقوف كريما علي بعض ط مما اكتسبن ط من فضله ط عليما والاقربون ط
بناء على ان ما بعده مبتدا نصيبهم ط شهيدا من اموالهم ز لان ما يتلوه مبتدا بما حفظ الله ز واضربوهن ط لابتداء الشرط مع
فاء التعقيب سبيلا كبيرا من اهلها ج لان ان الشرط مع اتحاد الكلام بينهما خبيرا وابن السبيل للعطف ايمانكم ط فخورا بناء
على ان الذين بدل من فضله ط مهينا ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والعطف باليوم الاخر ط وان جعل الذين مبتدا لان
خبره محذوف اي فاولئك قرينهم الشيطان قرينا رزقهم الله ط عليما ذرة ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى اي لا يظلم بنقص
الثواب ومع ذلك يضاعف عظيما التفسير هذا كالتفسير للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب و
المعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة ومن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان
الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او منكر القدر وضعف بان الذنوب لو
كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها ولو بانه صلى الله عليه وسلم نص على ذنوب باعيانها انها كبائر وبقوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق و
العصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر العصيان حجة ما روي عن ابن عباس ان الذنب
انما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصي فيه ولجلالته ولا شك ان نعمه تعالى غير متناهية وانه اجل الموجودات فيكون
عصيانه كبيرا وعورض بانه ارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين وكل ذلك يوجب خفة الذنب وان
سلم ان الذنوب كلها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها او باعتبار فاعلها ذهب الى كل واحد طايفة فمن الاولين
من قال ويروى عن ابن عباس كل ما جاء في القران مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى واكل مال
اليتيم ونحوها وزيف بانه لا ذنب الا وهو يتعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذلك كبيرا وهو
خلاف المفروض وعن ابن مسعود ان الكبائر مما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر في
سائر السور ايضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بانه ان اراد بالعمد انه ليس بساه عما هذا حاله فهو الذي
نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد ابطلناه وان اراد بالعمد ان يفعل المعصية مع العلم بانها معصية فلا يكون كفر
اليهود والنصارى كبيرا وهو باطل بالاتفاق واما الذين يقولون الكبائر تمتاز عن الصغائر باعتبار فاعلها فوجهه
ان لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا وجد للانسان طاعة ومعصية فالتعادل بين
الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا انه غير ممكن بحسب السمع والا لبقي مثل ذلك المكلف لا في الجنة
ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح احدهما ويلزم حينئذ الاحباط والتكفير
والبحث في هذه المسئلة وعليه الاكثرون بعدما اعترفوا باثبات قسمة الذنب الى الكبير والصغير انه تعالى لم يميز
جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه الآية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف
جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترا على الاقدام على الصغائر اما اذا عرف انه لا ذنب الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا
المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظيره هذا في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة
ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روي انه صلى الله

وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال
اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين
اقرب وفي رواية الى السبعمائة وعن ابن عمر انه عد منها الالحاد في البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود زيادة القنوط من
رحمة الله والامن من مكر الله وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة
واما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال هي التي يوجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب الله او
سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ويراد
بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر والاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القسم الكعبي بالآية على القطع
بوعيد اهل الكبائر لانها تدل على انه اذا لم يجتنب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب ان استثناء نقيض المقدم لا
ينتج ويؤيده قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته واداء الامانة واجب امن او لم يامن سلمنا
ان الآية رجعت الى قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته فغايته انه يكون عاما في باب الوعيد والجواب
عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة
ان عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في
الاجتناب عن الكبائر الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب ايضا كبيرة وندخلكم مدخلا من فتح الميم اراد مكان الدخول
ومن ضمها اراد الادخال ووصفه بالكريم اشعارا بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم او هو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال
بالباطل وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن او يقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضا
بالقضا وتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني
قول القائل ليته كان كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لو اراد
من الكافر ان يؤمن مع علمه انه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول
المعارف والحقائق او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء
وكثرة العشائر والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات
وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة
العوائق وتحصيل الموجبات وتوفيق الاسباب فلاي سبب يكون السعي والجد مشتركا فيه والفوز بالبغية و
الظفر بالمطلوب غير مشترك فيه واذا كان كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح
الجمهور فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا
وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي
وليطلب ربا سوائي قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة
فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي
وعن الحسن لا يتمن احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال اما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله
يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين
قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الاخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما
على الرجال وفي رواية فلنحن احوج لانا ضعفاء وهم اقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل اتت واحدة النساء الى النبي
صلى الله عليه وسلم رب الرجال والنساء واحد وانت الرسول الينا واليهم وابونا آدم وامنا حواء فما السبب في
ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم
ان للحامل منكن اجر الصائم القائم واذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من الاجر فاذا ارضعت كان لها بكل مصة
اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الاخرة فينبغي ان يرضوا بما قسم لهم وكذا للنساء

او لكل فريق جزاء مما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بحسب بسبب الحسد المذموم وتخصيصه لا تضيعا للتمني ما الغير
او للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن
والقيام بمصالح البيت واسئلوا الله من فضله تعدم من ذخاير الانعام مالا ينفد مطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزاين كرمه
وطوله ان الله كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك
اقرب الى الادب واوفق الطلب قوله سبحانه ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يمكن تفسيره بحيث يكون الوالدان
والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا عنهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كانه قيل ومن
هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل واما على الثاني فاما ان يكون
في الكلام تقديم وتاخير اي لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة
لكل بل المحذوف والعايد محذوف وكذا المبتدا والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
كما يقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك لمعان منها المعتق لانه ولي نعمته
في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه وهذا كما يسمى الطالب غريما لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى
المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة
ومنه المولى للناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا ومنها العصبة وهو المراد في الاية اذ هو الاليق بها كقوله
صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمؤمنين من انفسهم من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا فانا وليه اما قوله
والذين عاقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع قوله فاتوهم خبره واما ان يكون معطوفا على الوالدان
والايمان جمع اليمين اليد او الحلف ومن الناس من قال الاية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول
دمي دمك وهدمي هدمك اي ما يهدر وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب
بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض و
قوله يوصيكم الله وايضا ان الواحد منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا له وهم الادعياء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي
بين كل رجلين منهم فكانوا يرثون بالتبني والمواخاة فنسخ ومن المفسرين من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف
على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فله وارث هو اولى به فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث
فيكون الضمير في فاتوهم للموالي قال ابو علي الجبائي او المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا بين ميراث
الزوج والزوجة بعد ميراث الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب
الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد بايتاء نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد النحفة بالشيء القليل
كقوله واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن
زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا العتيق فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي صلى الله عليه
وسلم الى الغلام لفقره وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاملا ويتوارثا صح وورث
بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى لا قطع ان منع الموالاة لا يصح عند ابي حنيفة ايضا الا بين العرب دون العجم
لرخاوة عقدهم في اسودهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيامة
بكل ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث
ونحوه فذكر في هذه الاية ما يشتمل على اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون يقال هذا قيم المراة وقوامها بناء مبالغة
للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء
جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء قيل وفيه دليل على
ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر مما ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة
والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والخلافة
ومنهم الاقتداء بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق

وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه والجمالة وتحمل الدية في القتل الخطاء والقسامة والولاية في
النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة
وههنا سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن من اموالهم مهرا ونفقة عن مقاتل ان سعد بن
الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت اية
القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبرئيل اتاني وانزل الله هذه الاية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص ولهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل
وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم
النساء قسمين فوصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله او للزوج حافظات للغيب قائمات بحقوق الزوج
في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومن واجب حفظ غيبة الزوج ان يحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها
ولئلا يلتحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان يحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعا وعرفا
عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الاية ما في قوله بما حفظ الله موصولة والعايد محذوف اي بالذي حفظه الله لهن اي عليهن ان
يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن في قوله فامساك بمعروف
او تسريح باحسان فقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات
للغيب بحفظ الله اياهن فانه لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا بتوفيق الله او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة و
اوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرا بما حفظ الله بالنصب فما ايضا موصولة اي بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته
وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المراة لولا انها
تحاول رعاية تكليف الله وتجتهد في حفظ اوامره والا لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون
تعرفون بالقراين والامارات نشوزهن عصيانهن والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة
فعظوهن وهو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن
في المضاجع اي في المرقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع اي في بيوتهن
التي يبتن فيها اي لا تباتوهن وفي ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في هجر الكلام على ثلث فاذا
هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فترك النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك
دليلا على كمال نشوزها فيباح الضرب حينئذ وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن فقال صلى الله عليه
وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا
ممن لم يضربوا واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها لا يوالي به في موضع واحد
ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين وقيل دون عشرين لانه حد كامل في شرب العبد ومنهم من لا يرى
الضرب بالسياط والعصى وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب ولهذا قال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه يعظها بلسانه فان انتهت
فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون هذا الترتيب مرعي عند
خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع عند الكل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا كبيرا الا بالجهة كبيرا الا بالجثة
فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم وارقائكم روي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب
غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وفيه
انه مع علو شانه وكبرياء سلطانه تعصونه فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو اذا رجع الجاني عليكم او انه مع علوه وكبريائه يكتفي
من العبيد بالظواهر ولا يهتك السراير فانتم اجدر بان لا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض اذا اصلح حالها في الظاهر او انهن

ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا المحاكمة
فقال وان خفتم قال ابن عباس اي علمتم وذلك لاصرارها على النشوز حيث لم يتأثر فيها الوعظ والهجران والضرب واعترض
عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى الحكمين واجيب بان الشقاق معلوم الا الشقاق في الاستقبال ومعنى شقاق
بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين
شاقا مثل نهاره صائم والضمير للزوجين يدل عليهما مساق الكلام او ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا
رضي يصلح لحكومة الاصلاح بينهما ويهتدي الى المقصود من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام ويستحب
ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما وتسكن اليهما نفوس الزوجين فيبرزان لهما ما في ضمائرهما
من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات كل من الامرين وينبغي ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المراة بالمراة فيعرفان
ما عندهما وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف احدهما عن الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او منصوبان
من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه للشافعي قولان اصحهما وقال به ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج
والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فان خفتم وفي قوله فابعثوا للصالح للامة لانه يجري مجرى دفع الضرر
فلكل احد ان يقوم به وثانيهما وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روي ان عليا كرم الله وجهه
بعث حكمين من زوجين فقال اتدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا تفرقا
وعلى الاول يوكل الرجل الذي هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع والمراة الاخر ببذل العوض وقبول
الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شيء ادب الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا
يشترط رضى الزوجين في بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه اربعة اوجه ان يريد الحكمان خيرا يوفق
الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير ان يريد الزوجان اصلاحا بدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا ان يريد الحكمان اصلاحا
يؤلف الله بين الزوجين ان يريد الزوجان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل
الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا في الخير والطاعة وفيه انه لا يتم شيء من الاغراض الا بتوفيق الله تعالى وتيسيره
ان الله كان عليما خبيرا فيوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لمقتضى علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين والحكمين في سلوك
ما يخالف طريق الحق ووعد على الجد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله واشرك به شيئا اخر فقد حبط عمله وضل سعيه وبالوالدين احسانا [illegible]
واحسنوا بهما احسانا فيقال احسن بفلان والى فلان وبذي القربى واليتامى والمساكين وقد مر تفاسيرها في
البقرة قال ابو بكر الرازي ان اضطر الى قتل ابيه بان يخاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتل والجار ذي القربى
الذي قرب جواره والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه
الا ان الجوار اربعون دارا وعن الزهري انه اراد اربعين من كل جانب وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب
والجار الجنب الاجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنبان لبعد كل منهما عن الاخر ومنه
الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما لم يغتسل ومن قرا الجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق
او المراد ذي الجنب فحذف المضاف والصاحب بالجنب وهو الذي حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا
واما شريكا في تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او في مسجد او غيره للتمن ادنى صحبة اتفقت بينه وبينك
فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة تكون معك
وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذي انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن علي ابن ابي طالب
انه كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما يقال مشيت
برجلي والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن ويعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم الطعام
والكسوة ما يليق بحالهم في كل وقت وكان في الجاهلية يسيئون الى المملوك فيكلفون الاماء البغاء وهو الكسب
بفروجهن ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله
طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها جهولا يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه وعن الالتفات

والتفقد لهم والتحفي بهم ويانف من اقاربه اذا كانوا فقراء او من جيرانه اذا كانوا ضعفاء واصله من الخيلاء الكبر والفخور
المتطاول الذي يعدد مناقبه عن ابن عباس هو الذي يفخر على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولعل هذا يجوز على سبيل
التحدث بالنعم فقط الذين يبخلون البخل في اللغة منع الاحسان وفي الشرع منع الواجب وفيه اربع لغات البخل مثل الفقر
والبخل بضم الباء وسكون الخاء وبضمها وفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى الاصناف المذكورين انما يكون في الاغلب بالمال
فذم المعرضين عن ذلك الاحسان لحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم
مقتا للسخاء وهذه نهاية البخل وفي امثالهم ابخل من الضنين بنائل غيره وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما اتاهم من فضل الغنى
حتى اوهموا الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان تخالفوا سنة نبي الله حيث قال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يحب ان يرى على عبده اثر نعمته وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فتموه عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان
الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه
يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله تعالى ولا يرضى بقضائه فلذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد
كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الاية في اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يخالطونهم وينتصحون لهم يقولون
لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وعنه ايضا انهم كتموا صفة محمد ولم يبينوها للناس ثم لما ذم الذين لا
ينفقون اموالهم ولكن رياء وفخارا وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله ومثل هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله
واليوم الاخر والا لانفق لله او للاخرة ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا امرا بالبخل والفحشاء فساء قرينا في الاخرة يقترن به
في النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم اي تبعة ووبال عليهم او ما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق
في سبيل الله والمراد التوبيخ والا فكل منفعة ذلك كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما يضرك لو كنت بارا
وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب وردع عن دواعي الرياء والنفاق
السمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو امنوا مشعر بان الاتيان بالايمان
في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان الاستدلالي التفصيلي لا الاجمالي وكان
جمهور المعتزلة لو كانوا قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمراة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان
جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسال عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة قائلا ان الله لا يظلم مثقال
ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعها
ثم نفخ فيها ثم كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه
مفعول ثان اي لا ينقص الناس مثل ذرة او على المصدر اي ظلما قدر مثقال واراد نفي الظلم راسا الا انه اخرج الكلام
على اصغر المتعارف وهذه الاية ما يتمسك به المعتزلة فانه تعالى غير خالق لاعمال العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه و
في ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا كان متصرفا في ملكه كيف شاء فلا
يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب ههنا على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان
مزيلا للطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي تعدم وعيد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما مخلدا لزم ابطال
ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم ثم قال وان تك حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين
لاجل التخفيف وكثرة الاستعمال من قرا حسنة بالرفع فعلى كان التامة ومن قرا بالنصب فالتانيث في ضمير المثقال لكونه
مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير المتناهي محال بل
المراد المضاعفة بحسب المقدار كما انه يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلثين عن ابن مسعود انه قال
يؤتى بالعبد يوم القيامة وينادي مناد على رؤوس الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليات الى
حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب ومن اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في اعماله الصالحة
فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضل رحمته ومصداق ذلك في كتاب الله
وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن الوعد بالمضاعفة احب عند العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة الف حسنة
لان هذا يكون مقداره معلوما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله تعالى وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله

لا يظلم مثقال حسنة يعطي بمعاني الدنيا ويجزي بمعاني الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى
الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان لدن اكثر تمكنا يقول الرجل
عندي مال وان كان المال ببلد آخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا المضاعفة على القدر المستحق
وهذا الثاني على الفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى اللذات الروحانية
والله اعلم **التأويل** جملة الكبائر مندرجة تحت ثلاث **الاول** اتباع الهوى وينشأ منه البدع والضلالات وطلب الشهوات
وحظوظ النفس وترك الطاعات **الثاني** حب الدنيا ويتشعب منه القتل والظلم واكل الحرام **والثالث** رؤية غير الله وهو الشرك و
الرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان الذين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال المجتهدين في الله نصيب
مما جدوا في طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب على قدر همتهم في الطلب واسئلوا الله من فضله فيه
معنيان سلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما او سلوه منه ولا تسئلوا
منه غيره ولكل جعلنا موالي ولكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك والله واقربوه طلبه لعدم
الاستعداد والمشية والذي جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة في الله فاتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم
الذي قدر لهم الرجال قوامون على النساء بمصالح دينهن ودنياهن بتفضيل الله وهو استعداد للخلافة والوراثة وبما انفقوا
من اموالهم اي بتجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات التي يصلحن للكمال قانتات مطيعات لله بقلوب
حافظات الواردات الغيب بما حفظ الله عليهن حقائق الغيب واسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا دارت عليهن كؤس
الواردات كما قيل **شعر** فاسكر القوم دور كاس ○ وكان سكري من المدير ○ فعظوهن باللسان وحوخوهن بالهجران كما
السكران واضربوهن بسوط الانفصال وفراق الاخوان كما كان حال الخضر مع موسى عليهما السلام حيث قال هذا فراق بيني
وبينك هذا قانون ارباب الكمال اذا دنا ومن اهل الارادة امارات او عربدة من غلبات الاحوال وان خفتم شقاق
بين الشيخ الواصل والمريد المتكاسل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين ومن السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا والعقبى ليتخلقوا باخلاق الله
وتحسنوا الى الوالدين وغيرهم احسانا بلا شرك ورياء وفخر وخيلاء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا و
عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله
حديثا يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة و
انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا
الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على
سفر او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم

وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا
السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى
بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا
ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا و
اطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن
لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين
اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من
قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما
لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله
فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم
بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف
يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء
اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله

ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على
ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فمنهم من امن به و
منهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين
كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
ان الله كان عزيزا حكيما والذين امنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا

القراءة تسوى بادغام التاء الثانية في السين ابو جعفر ونافع وابن عامر تسوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة وعلي وخلف الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية لمستم من اللمس وكذلك في المائدة حمزة وعلي وخلف و المفضل الباقون لامستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسر الى الضمة نحو متشابه انظر وبرحمة ادخلوا وخبيثة اجتثت وعذاب اركض واشباه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما حمزة وعلي وخلف وهشام وابو عمرو والوقوف شهيدا ط الارض ط حديثا ط تغتسلوا ط من ايديكم ط غفورا ط السبيل ط باعدائكم ط نصيرا ط في الدين ط واقوم لا لاتصال لكن قليلا ط السبت مفعولا لمن يشاء ج عظيما ط يزكون انفسهم ط فتيلا ط الكذب ط مبينا ط سبيلا ط ربع الجزء لعنهم الله ط نصيرا ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار نقيرا ط للعطف من فضله ج لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفاء عظيما ه صد عنه ط سعيرا ط نارا ط العذاب ط حكيما ه ابدا ط مطهرة ز لاستئناف الفعل على انه من تمام المقصود ظليلا ه التفسير انه سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق ليكون الالزام اتم والتبكيت اعظم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرا القران علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكى فرحا لما شرفه الله تعالى بكرامة قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتم وقد عرفت احوالهم من مردة الكفرة كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد قد

عصوا

عصوا اما الظاهر ان الواو للعطف وحينئذ يقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يخص الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله او يقال انه عام وافرد ذكر قسم منه اظهارا لشرف الرسول وتفظيعا لشان الجحود به او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى بهم لو تدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء او يصيرون البهائم ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او الحال والمراد ان المشركين لما راوا يوم القيامة ان الله لا يغفر الا لاهل الاسلام دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فحينئذ يختم على افواههم ويتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فهنالك يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوا وتوهموا ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم الخيرات فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سبب نزوله في البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان الاول ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه ذهب الشافعي وليس فيه الا حذف المضاف اي لا تقربوا موضع الصلوة الثاني وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى معنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين الاولى حالة السكر وذلك جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى المسجد فانما ياتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها الثانية حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز في المسجد بان كان طريقه الى الماء فيه او كان الماء فيه ووقع الاحتلام فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ايضا الا اذا علموا ما تقولون ومعنى قربان الصلوة غشيانها والقيام اليها الثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجيء من تفصيل منها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه بعد ان الجنب المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا خص بالذكر اولا وسكارى جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحالة ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه وسكارى جمع الواحد والجمع المذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان السكر عبارة عن سد الطريق ومنه سكر السيل سد طريقه والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فعند النوم يمتلي مجاري الروح من الابخرة الغليظة فتنسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح الباصر والسامع الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله تعالى وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وايضا اجمع المفسرون على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول لا يمتنع ان لا يكون مرادا من الاية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الاية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان تصير بحيث يعلم ما يقول والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في اية المائدة على الاطلاق فيكون ناسخة لبعض مدلولات هذه الاية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن الشرب المخل بالفهم عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا يكذبه ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق فكانوا لا يشربونها في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما تقولون الى ان نزلت اية المائدة فقالوا انتهينا يا ربنا والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما او توجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت

وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهمه الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين
في حال الحدث نحو او لامستم بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وعليهما على
ساير الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليهم فلهم ان يتيمموا وكذلك
الذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا اماء ليس قيدا في حكم المرضى لانهم في الرخصة
وان وجدوا ماء ثم عمم على كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف صبع او عدو او عدم آلة استقاء او انحصار مكان
لاماء فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذور كبطء برء وشين
فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية لا ان يتالم ولا يخاف وروي ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة
عظيمة فسال بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك و
داود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض وفي معنى المرض البرد المؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما في حديث عمرو بن العاص
في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم الطويل والقصير اعني مسافة القصر وما دونها لاطلاق قوله او على سفر والغايط
المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غايطا من الارض يغيب فيه عن اعين الناس
فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغايط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر اما اللمس او الملامسة ففيه قولان
الاول ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي
واليه ذهب الشافعي **الثاني** المراد به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة
لما ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فخرير رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله
حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشمل الآية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي قال
بعض اهل الظاهر انما ينقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه ينقض وضوءهما معا لاشتراك اللامس
والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل
وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق
وقال ابو حنيفة لا يجب بدليل قوله ولم نجد له عزما وسبق الطلب في حقه تعالى محال واجيب بان مبنى الكلام على المجاز
للمبالغة كانه طلب شيئا لم يجد واجمعوا على انه لو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عند الائمة انه يستعمله او يصبه ثم يتيمم
ليكون عاملا بظاهر الآية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض
ترابا كان او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان صخر لا تراب عليه وضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال
الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم التصاعد فيه وليلتصق بيده فيمكنه المسح ببعضه كما جاء في المائدة وامسحوا بوجوهكم و
ايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت براسه من الدهن الا معنى التبعيض ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو الذي
يحتمل الانبات لقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته ولانه صلى الله عليه وسلم خصص التراب بهذا المعنى فقال
جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه واليد فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقرب
منه مذهب مالك لان المسح يكتفى فيه باقل ما ينطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى
المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الابط لان اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الآية بقوله ان الله كان عفوا غفورا
وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين كان اولى بالترخيص للعاجزين عن عايشة رضي الله عنها
قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله واضع راسه على
فخذي قد نام فقال احبست رسول الله والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله
ان يقول فجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام
رسول الله حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هي باول
بركتكم يا آل ابي بكر قالت عايشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة
الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من اثار المتقدمين واحوالهم لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد

السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك اي الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التورية وهم احبار اليهود وانما ادخل من
التبعيضية لانهم عرفوا من التورية نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام
واضرابه فقد وصفهم بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين
جميعا يشترون الضلالة يختارونها الا ان من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قاله الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم
لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام
بعد وضوح الآيات لهم على صحته ويريدون ان تضلوا السبيل ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا والا قبح من جمع بين هذين الامرين
الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الآية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه
فيثبطهم عن الاسلام وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا باموالهم الشبهة
والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في امركم
واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لامور العبد وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تاثيرا في
القلب واكثر مبالغة وزيدت الباء في الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره وكان الباء للسببية وقال
ابن السراج التقدير اكتفاؤك بالله وقيل فايدة الباء وهي للالصاق ان يعلم ان هذه الكفاية صدرت من الله تعالى بغير واسطة
وقوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى آخر الآية معترضات بين البيان والمبين
واما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستانف
على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع
حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف استبدال لفظ مكان لفظ كوضعهم
آدم طوال مكان اسمر ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واحتج عن المدلالة على الامالة والازالة واما في المائدة فقيل من بعد
مواضعه نظرا الى ان الكلم كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف
القاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة كما يفعله في زماننا اهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول اصح لاستبعاد
المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر بشروطه من التورية ممنوعة وقيل كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن امر
فيخبرهم به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهالاتهم انه صلى الله عليه وسلم كانوا اذا امرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وفي الباطن عصينا او كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للعناد والمردود والكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه
وسلم واسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين اما احتماله للمدح فلقول العرب اسمع فلان فلانا اذا اسبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع
مكروها كان مدحا وتوقيرا ونصحا واما احتماله للذم فبان يكون معناه اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لان من كان اصم فانه لا
يسمع فلا يسمع او بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اي غير مسمع جوابا يوافقك او بان يراد اسمع غير مسمع كلاما ترتضيه
وعلى هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه ومنها قولهم صلى الله
عليه وسلم راعنا وقد عرفت احتمالاته في البقرة وانما جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على ح
لان المواجهة بالعصيان اهون خطبا في العرف من المواجهة بالسب ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاول دون
الثاني ليا بالسنتهم مفعول لاجله او مصدر لمحذوف او ليقولون لانه في معنى اللي ايضا وعينه واو بدليل لويت فقلبت وادغمت
والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون
بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا او لعلهم كانوا يفتلون اشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام
سخرية وطعنا على عادة المستهزئين فبين الله تعالى انهم يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين ونبه بذلك على ما كانوا يقولونه
فيما بينهم انا نشتمه ولا يعرفه ولو كان نبيا لعرف باظهار ذلك عليه فانقلب ما جعلوه طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته لان
الاخبار عن الغيب معجز ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل قولهم سمعنا وعصينا اذ وضح لهم الآيات وثبت قولهم البينات كرات
بعد مرات واسمع دون ان يقال معه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم اعدل واشد من قولهم
ربعقوم اي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بالله وبالتورية وبعض الانبياء
دون سائر رسله او الا قليلا منهم امنوا الان قليلا قد يراد به الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا او اراد بالقلة العدم ثم

زجرهم عن كفر الجحود والعناد بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية والطمس المحو يقال طريق طامس ومطموس ومفازة طامسة
الاعلام وطمست الكتاب محوته وهو في الاية حقيقة او مجاز قولان والمعنى على الاول محو تخطيط صورها واشكالها من عين
وحاجب وانف وفم والفا في فنردها على ادبارها اما للتسبيب اي فنجعل الوجوه بسبب هذا الطمس على هيئة ادبارها مطموسة
مثلها لان الوجه انما يتميز عن ساير الاعضا بما فيه من الحواس والتخاطيط فاذا ازيلت ومحيت لم يبق فرق بينها وبين القفا
واما للتعقيب على ان العقوبة شيان احدهما عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى الخلف والاقفاء الى قدام وانما كون
هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما قال في حق اهل النار واما من اوتي كتابه وراء ظهره على ان وجوههم
مردوده الى اقفائهم فدرك في الكتابة ويقرا من هنالك واما المعنى على القول الثاني فعن الحسن نطمسها عن الهدى فنردها
بالخذلان على ادبارها اي على ضلالها لانها وشبهاتها وذلك ان المتوجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الاقبال على ذلك
يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام اجلاء بني قريظة والنضير
والطمس على هذا اما تقبيح الوجه واما ازالة آثارهم عن ديار العرب وقيل الطمس القلب والتغيير والمراد بالوجوه روساءهم ووجهاؤهم
اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم والضمير في قوله او نلعنهم
اما للوجوه ان اريد بها الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب
على طريقة الالتفات فان قيل فاين وقوع الوعيد فالجواب انه مشروط بعدم ايمان جميعهم ولكنه قد آمن ناس من علمائهم
كعبد الله بن سلام واصحابه حكي انه لما نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
ان ياتي اهله واسلم قال يا رسول الله ما كنت اري ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وايضا انه ما جعل
الوعيد عن الطمس بعينه بل اياه او اللعن فان كان الطمس تبديل احوال روساءهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين
وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو
منتظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير المخاطبين من ابناء جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود
قبل يوم القيامة وقيل ان قوله امنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حيوتهم فلزم ان يكون قوله من قبل ان نطمس وجوها
واقعا في الاخرة فالتقدير آمنوا من قبل ان يجي الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان امر الله مفعولا
لانه لا راد لحكمه ولا يتعذر عليه شي يريد ان يفعله وهذا يقال في الشي الذي لا يشك في حصوله هذا الامر مفعول وان لم
يفعل بعد فاذا احكم بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد بالامر الشان والفعل الذي تعلق ارادته به لا الامر
الذي هو احد اقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالاية على ان كلامه تعالى مفعول اي مخلوق ثم بين ان مثل هذا
التهديد من خواص الشرك والكفر فقال ان الله لا يغفر وفي الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع
لاتصالها بما قبلها ولانها دلت على ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالاجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم
لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص عن قاتله واستدل الاشاعرة
بالاية على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني لمن تاب كما
ان الاول مختص بالاجماع لمن لم يتب قالوا ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء والمعنى
لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله والمشية يكون قيدا في الكبيرة فيستوجب الغفران وروى الواحدي
في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا
انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس بحضرة عمر اني لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل
كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق
ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل
منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس بحضرة عمر اني لارجو ا
كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله تعالى و
الذين لا يدعون مع الله الها اخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الاية فنزل قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا
شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزل

قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق وافتعل اثما عظيما لانه ادعى
ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء
ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل فيهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيه كل
من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وقبول الطاعة والزلفى عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي التي يعتد بها كما اخبر عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله اني لامين في السماء امين في الارض وكفى باظهار المعجزات على يده تزكيته له و
تصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا هو ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير
للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون على زكاتهم من غير نقص شي من ثوابهم ثم عجب
النبي صلى الله عليه وسلم من فريتهم وادعاء زكاتهم ومكانتهم عند الله فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اي بزعمهم
هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم قال المفسرون خرج كعب بن الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى
مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على ابي سفيان والاخرون في دور قريش فقال
لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا
لهذين الصنمين وآمنوا بهما فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجي منكم ثلثون ومنا ثلثون
فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك
امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق انحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم
فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف
به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب
انتم والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه فلما رجعا الى
قومهما قال لهما قومهما ان محمدا يزعم انه قد نزل فيكما كذا وكذا قالا صدق والله ما حملنا على ذلك الا بغضه وحسده وقد مر
معنى الطاغوت في تفسير آية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وليس من محض
العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم ان اصله جبس فابدلت السين تاء والجبس
هو الخبيث الردي وقال الكلبي الجبت في الاية حيي بن الاخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون
اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في اغواء الناس واضلالهم فلما فلا جرم جزاهما الله تعالى بقوله اولئك الذين لعنهم
وبالحري اذ جعلوا انفسهم اضل من النعام واذل من الانعام حيث رضوا بعبودية الاصنام اهدى سبيلا وافضل حالا من
الذين هم اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا
وعيد لهم بلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد لنبيه وللمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم الى يوم القيمة
والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب يفرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما
شر الخصال لان البخيل يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد يتمنى ان يزول عن الغير ما اوتي من الفضيلة وام قيل انها متصلة
وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للمشركين انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امن ذلك تتعجب ام من قولهم
نصيب والاصح انها منقطعة كانها لما تم الكلام الاول قال بل الهم نصيب من الملك ومعنى الاية انهم كانوا يقولون نحن اولى
بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان ويخرج من
اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم يقدرون على دفع نبوتك لو كان التمليك
اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات وقال ابو بكر الاصم كانوا اصحاب
بساتين واموال وكانوا في عزة ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت الاية فيهم
وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على انهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم
نصيبا من الملك فكانه تعالى جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان البخل والملك لا يجتمعان كما قيل البر يستعبد الحر

والانسان عبيد الاحسان فالبخيل تنفر الطباع عن الانقياد له فلا تتيسر له اسباب المملكة وان اجتمعت بالتدريج فسوف تضمحل
واما لم يعمل اذن لدخول الفاء عليه وذلك ان ما بعد العاطف من تمام ما قبله بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فيجزم
تصدره فكانه متعمد فرح الفائدة وارتفاع الفعل بعدها جاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يوتوا الاعمال وليس يقوى والنقير
نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها تنبت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل فان قيل كيف يعقل انهم لا يبذلون نقيرا
وكثيرا ما نشاهد منهم بذل الاموال قلنا المدعي عدم ايتاء النقير على تقدير حصول الملك ويراد بالملك الظاهر كالملوك الدنيا
او الباطن كالعلماء الربانيين او كلاهما كالانبياء وحصول شي من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضربت عليهم من الذلة والمسكنة ولئن
فرض حصول شي منها فما يدريك لعل الشح يغلب عليهم حينئذ حتى لا نشاهد منهم بذل نقير كما اخبر عنه علام الغيوب واما على
الاصم فلعل المراد انهم لا يبذلون شيئا نسبته الى ما يملكون كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح
عليهم والله اعلم بمراده هذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله ام يحسدون وهي منقطعة والتقدير بل ايحسدون الناس
يعني النبي والمومنين فان كان اللام للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار الحسد
واستقباحه والمراد بالفضل ما آتاه الله من اشرف المناصب وهو النبوة والخاتمية وكان ينضم اليها كل يوم من النصرة والغنيمة
والاستيلاء والاستعلاء والفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم على ما زيل التعجب من شان محمد فقال
فقد آتينا آل ابرهيم الذين اسلاف محمد الكتاب الذي هو بيان الشرائع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل
بما يقتضي صلاح الدارين وآتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان فليس ببدع ان يوتى
انسان ما اوتي اسلافه وقيل من جملة حسدهم انهم استكثروا نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع
كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل
ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم
من آمن بابراهيم ومنهم من كفر والمعنى ان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم فيهم ان بعضهم بقوا على كفرهم وانت يا محمد
لا تتعجب مما عليه هولاء والغرض تثبيت النبي او تسليته وكفى بجهنم لعذاب هولاء الكفار المتقدمين والمتاخرين سعيرا
ثم اكد وعيد الكفار بقوله ان الذين كفروا باياتنا ويدخل فيه كل ما يدل على ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واسمائه
والملائكة والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا كونها آيات او يغفلوا عنها ولا ينظروا فيها او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او
ينكروها مع العلم بها عنادا او حسدا وبغيا ولددا وههنا سوال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء معذبين من غير ان
يحترق جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسال عما يفعل كما انه قادر على ايصال الالام اليهم من غير ادخالهم
النار مع انه لا يمكن ان يقال لم عذبهم بادخالهم النار وسوال آخر وهو انه كيف يعذب مكان جلود العاصية جلودا لم
تعص والجواب يجعل النضج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة ويويده قول اهل اللغة تبديل الشي تغيير
فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد بهذا التبديل هو تغيير
الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعله انما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقايل ان يقول المغايرة اعم من ان
يكون في الذات او في الصفات فما ادريك انها في الآية مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعضده نقل صحيح فيكون
الجواب عن السوال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته وانما هو سبب لوصول العذاب اليه او يقال المراد
الدوام وعدم الانقطاع ولا نضج ولا احتراق اي كلما ظنوا انهم احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث
ظنوا انهم الآن حدثوا ووجدوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلدا آخر وفي هذا التاويل بعد لان لحمه متناه فعند نفاده
لا بد من طريق آخر في تبديل الجلد فيعود ذلك السوال وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك
الظاهر وان السرابيل لا يوصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي
ادام لك عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلدة الجديدة العذاب والمراد بالذوق ان احساسهم بذلك العذاب
في كل حال يكون كاحساس الذائق المذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم
قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين آمنوا الآية وقال الواحدي الظليل ليس ينبي على الفعل حتى يقال انه
بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل وحسل اذا لم يكن في الجنة شمس يوذي

بحرها فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل اليها نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواءها عفنا فاسدا فما معنى وصف
هواء الجنة بذلك والجواب المنع من انه لا شمس هناك حتى يوجد ضوء ثان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي
منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج لالتفاف الاغصان ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد عند الحكماء بالمراد بالظل
الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا عندهم صار موعودا لهم التاويل
لو تسوى بهم الارض اي تمنون ان يحلوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة
كما ان السكران ممنوع من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات
الاحوال فان التكاليف حينئذ زايلة ولا جنبا بالالتفات الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة ويستثنى من الحالة الاولى
حالة الشعور ومن الثانية حالة العبور كن في الدنيا كانك غريب او عابري سبيل فهذا القدر من الالتفات من الحظوظ
التي يلجئها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء
شهوة من الشهوات او لمستم عجوزة الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا فتمعكوا
في تراب اقدام الكرام فانه طهور ذنوب العظام من الذين هادوا يعني داب علماء السوء قريب من داب الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه يأولونها على حسب اراداتهم ويقولون سمعنا ما في القرآن بالمقال وينكرون على ارباب المقامات
والاحوال يقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذي وجهين ليا بالسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا
علم الكتاب ظاهرا ولم يوتوا علم باطن الكتاب آمنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر
لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الاولياء لانه لا يناسب
عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرين الى الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين
في الميثاق الى ربها او يلعنهم نمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى
اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به للشرك ثلث مراتب وكذا
للمغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام وعبدة الكواكب والاصنام ولا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات
الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فلا
يغفر الا بالوحدانية وهو افراد الواحد للواحد وشرك اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة
وهو فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية الم تر الى الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة يعلموا العلم ليباهوا به العلماء
او ليماروا به السفهاء فيحصل لهم صفات ذميمة اخرى مثل المباهات والممارات والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه
والرياسة وغلبة الاقران والابناء بل الله يزكي من يشاء بتسليم نفوسهم الى ارباب التزكية من العلماء الراسخين والمشايخ
المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فاذا اسلموا انفسهم اليهم وصبروا على تصرفاتهم رأوا اكثر الزكاء فيهم ولن يضيع سعيهم
يومنون بالجبت يعني النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هولاء
اهدى من الذين آمنوا بكل ما امر الله به ورسوله ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد آتينا آل ابرهيم يعني اهل الخلة والمحبة
الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن وآتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه لان من
العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب ان الذين كفروا باياتنا باولياءنا الذين هم مظاهر آيات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نار الحسد و
الغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطعت بعض اماني نفوسهم الامارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن
استعارة الجلود لاثار الشي من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فان دواعي الحرص
الغضب والشهوة لا يتناهى البتة ما دامت النفس على صفة الامارية فلن يزال اسيرا في يد الشهوات ذا يقين لعذاب
التعلقات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم اي نجذبهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها
الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشهود وعسل الكشوف لهم فيها ازواج من تجلي صفات الجلال والجمال مطهرة
من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس علم الوجود يوم لا ظل الا ظله اللهم اجعلنا منهم آمين
يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا وشفيعنا وشفيع جميع ذنوبنا ابو القاسم محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم
بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله
كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه
إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
ذلك خير وأحسن تأويلا ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم
آمنوا بما أنزل إليك خير وأحسن تأويلا ألم تر إلى الذين
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا
أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا
بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول
رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم
مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا
إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا و
ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا
أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا كتبنا
عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم
ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما
يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا
وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم
صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك
الفضل من الله وكفى بالله عليما

القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم
فلا حركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن
عامر على احتمال الاستثناء او بمعنى الا فعلا قليلا او الا قليلا الباقون بالرفع على البدل وهو اكثر الوقوف الى اهلها لان
التقدير يامركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل ط اذا حكمتم بين الناس بالعدل يعظكم به ط بصيرا منكم لابتداء الشرط مع فاء
التعقيب واليوم الآخر ط تاويلا ان يكفروا به بعيدا صدودا للآية مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون قد قيل على ان
ما بعده ابتداء القسم والاولى تعلق الباء بيحلفون وتوفيقا بليغا باذن الله ط رحيما تسليما قليل منهم ط تثبيتا لا
عظيما لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما والصالحين لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا من الله ط عليما التفسير لما
شرح بعض احوال الكفار وعاد الى ذكر التكاليف وايضا لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق وقالوا للذين كفروا هؤلاء
اهدى من الذين آمنوا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات
او من باب الدنيا والمعاملات وايضا فقد وعد في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها
الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن
الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى
علي بن ابي طالب عليه السلام يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين
فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفعه

الى العباس ثم قال يا عثمان خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان يا علي اكرهت واذيت ثم جيت
ترفق فقال لقد انزل الله في شانك فقرأ عليه هذه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم
فجاء جبرئيل عليه السلام وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال صلعم خذوها يا بني ابي طلحة
بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول الاية عند
نزول هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فاولها الامانة مع الرب تعالى في كل ما امر به
ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق
فرج الانسان وقال هذا امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله في
الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش والاكاذيب وكذا القول الى غيرها وغيرها وامانة العين ان لا
يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب وكذا القول في
ساير الاعضاء ثم الامانة مع ساير الخلق ويدخل فيه رد الودايع وترك التطفيف ونشر عيوب الناس وافشاء
اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم
عن العقايد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة ويشمل الزوج للزوجة في ما لا ريب في بضعها وامانة الزوج للزوجة في اداء
حقوقها وحظوظها وامانة السيد للمملوك وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود
عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح في الدين والدنيا وان لا يوقعها بسبب اللذات
الفانية في التبعات الباقية وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون وقال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر بمعنى المفعول ولذلك جمع ثم لما امر
باداء ما وجب لغيرك عليك امر باستيفاء حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل وفي قوله اذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شروط
النيابة العامة الاسلام والبلوغ والعقل والذكورة والحرية والعدالة والكفاية واهلية الاجتهاد بان يعرف ما
يتعلق به الاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ
والمنسوخ ومن السنة المتواتر والاحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا
وجلي القياس وخفيه وصحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا وخصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل
في استنباط الاحكام الشرعية من مداركها وكفى بما في هذا المنصب من الخطر انه منصب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم الخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي لذلك ان يتادب بادابهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء القاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين
اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجاير وعنه صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة
واين اعوان الظلمة فيجتمعون كلهم حتى من برا لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص
بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيا يعظكم به ذلك المامور من اداء الامانات
والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد
اصناف الوعيد للعاصي ثم انه لما امر سبحانه الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الاية المتقدمة بالشفقة على الرعاة
فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله الاية عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله
ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك حق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة و
قالت الاشاعرة والطاعة موافقة الامر ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المامور به كايمان ابي لهب هل
يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان
وعند المعتزلة لا يامر الا بما يريد والخلاف بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه آية شريفة مشتملة على
اكثر علم اصول الفقه لان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة واشار اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول

وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل على امر الله ثم نعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل على امر الرسول ثم
لا محالة نعلم منه امر الله والاجماع والقياس واشير الى الاجماع بقوله واولي الامر لانه تعالى امر بطاعتهم على سبيل الجزم فوجب
ان يكون معصوما لانه تعالى لو احتمل اقدامه على الخطاء والخطاء منهي عنه لزم اعتبار اجتماع الامر والنهي في الفعل
الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها على ما يقوله الشيعة من ان المراد بهم الائمة المعصومون او على
ما زعم بعضهم انهم الخلفاء الراشدون او على ما روي عن سعيد بن جبير وابن عباس انهم امراء السرايا كعبد الله بن حذافة
السهمي او كخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما اختلاف فنزلت
الاية او على ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك انهم العلماء الذين يفتون بالاحكام الشرعية ويعلمون الناس
دينهم لكنه لا سبيل الى الثاني واما ما زعمه الشيعة فلانا نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام
المعصوم والاستفادة منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته اذا صرنا
عارفين به وبمذهبه صار هذا الايجاب مشروطا وظاهر الاية يقتضي الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة
فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم ان يكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم
عندهم في كل زمان واحد ولفظ اولي الامر جمع وايضا انه قال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وعلى هذا
ينبغي ان يقال فردوه الى الامام واما ساير الاقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق و
صواب وذلك الدليل ليس الا الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما ان وجوب الطاعة الزوجة للزوج
والتلميذ للاستاد داخل في طاعة الله وطاعة الرسول اما اذا حملناه على اجماع اهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما
تقدم اذ الاجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وايضا قوله فان تنازعتم في شيء مشعر باجماع تقدم يخالف
حكمه حكم هذا التنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الاية يقتضي الاطلاق
واذا ثبت ان حمل الاية على هذه الوجوه غير مناسب تعين ان يكون ذلك المعصوم كل الامة اي اهل الحكمة والعقد
واصحاب الاعتبار والاراء فالمراد بقوله واولي الامر ما اجمعت الامة عليه وهو المدعى واما القياس فذلك قوله فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اذ ليس المراد من رده الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع
والا كان تكرارا لما تقدم ولا تفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت عنه لان الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال
وتفضي الى قطع مادة الشغب والخصومة فيها بنفي او اثبات ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل
فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول فاذن المراد ردها الى الاحكام المنصوصة في الوقايع المشابهة لها وهذا
معنى القياس فحاصل الاية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوى اهل
الحل والعقد بطاعتهم ثم امر اهل استنباط الاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة
ما ان يستخرجوا لها وجها من نظايرها واشباهها فما احسن هذا الترتيب ثم في اطلاق الاية دلالة على ان الكتاب والسنة
مقدمان على القياس سواء كان القياس جليا او خفيا وانه لا يجوز معارضة النص ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب
ايضا في قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والقران مقطوع في متنه والقياس مظنون
والقران كلام لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الانسان الذي هو عرضة الخطاء والنسيان
وقد اجمع العلماء على ان ابليس خصص عموم الخطاب في قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا بقياس هو قوله خلقتني من نار
وخلقته من طين فاستحق اللعن الى يوم الدين والسر فيه ان تخصيص النص بالقياس يقدم القياس على النص وفيه ما فيه
ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب فههنا يدل على الوجوب ظاهرا
لانه ختم الاوامر بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وهو وعيد والظاهر انه قيد في جميع الاوامر لا في قوله
فردوه وحده وايضا مجرد الندبية وهو اولوية الفعل معلوم من تلك الاوامر فلا بد للاية من فايدة خاصة فيحمل على
المنع من الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب ثم هذا الوجوب يكون دايما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان
لم يكن غيره كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملناه على العموم كانت الاية مبينة والا
كانت مجملة والمبين اولى من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو لكونه الها والالهية

دايمًا والوجوب دايم وانما كرر لفظ اطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين ونعلم من اطلاق وجوب طاعة اولي الامر
ان الاجماع الحاصل عقيب الخلاف حجة وانه لا يشترط انقراض العصر ومن اطلاق قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ان القياس
يجوز اجراؤه في الحدود والكفارات ايضا والمراد بالتنازع قال الزجاج هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كان كل واحد
منهما ينتزع الحق الى جانبه ذلك الرد او المامور به في الاية خير لكم واحسن تاويلا اي عاقبة من آل الشيء اذا رجع وقيل
الرد الى الكتاب والسنة خير مما تاولون انتم ثم انه سبحانه لما اوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين
الذين في قلوبهم مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال الم تر الى الذين يزعمون الاية قال الليث قولهم زعم فلان معناه لا يدرى
انه صدق او كذب ومنه المثل زعموا مطية الكذب وقال ابن الاعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الاية
الكذب بالاتفاق قال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على ان الزاعم كان منافقا من اهل الكتاب مثل ان يكون يهوديا اظهر الاسلام
على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق اما سبب
النزول ففيه وجوه والذي عليه اكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الاشرف وذلك ان اليهودي
كان محقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقضي الا بالحق لجلالة منصبه عن قبول الرشوة وكان كعب يبطل الحقوق بالرشى فما
زال اليهودي بالمنافق حتى ذهبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال
ينطلق الى عمر ابن الخطاب فاقبلا الى عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه
وزعم انه مخاصم اليك وتعلق به فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل
عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وهرب
اليهودي فنزلت الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق وعلى هذا
الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية
اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا من تمر
وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك
فقال بنو النضير لا قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه وقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية
ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد ولا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال
المسلمون لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي ليحكم بينهم فقال
اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقال لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فاني اخاف ان نفرت النضير قتلتني
قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوساق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه الاية
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم كاهن اسلم الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنيه ادركا
اباكما فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا
ينادي الا ان كاهن اسلم قد اسلم وعلى هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له
على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم يترجم الاباطيل عن الوثن
فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت
هو الوثن ثم ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان
بالله ورسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تشككا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم
ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على
الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجيب فان لقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم واردته منهم
بل التعجب من هذا التعجب اولى وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان الاول
وهو قول الحسن واختاره الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول

رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك يعني انهم في اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك و
يحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق وجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم الى الطاغوت وانهم يصدون
ثم اتبعها بما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والاخرة الثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه
اذا كانت نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك
ثم جاؤك كرها يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك الجناية الا الخير والمصلحة واما المصيبة فقيل انها قتل عمر
صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج وقال
الجبائي هي ما امر الله تعالى رسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك في وقت المصيبة
يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما كان منا من مواساة الكفار الا اصلاح الحال وقال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان
المنافقين سيصيبهم مصائب يلجئهم اليه والى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب عند التبشير والانذار ان يقولوا كيف
انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدلك
على التوسط ويامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الاخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهما الموافقة
ثم اخبر الله سبحانه عما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وذلك ان من اراد المبالغة
في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكبره وعظم حاله لا يقدر احد على معرفته الا هو ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامر بثلثة
اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او لانه لا يهتك سترهم ولا يظهر
لهم انه عالم بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم فيزجرهم
عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه الاول ان في الاية
تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبكم
فلا يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم عن دنس النفاق والا فسينزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك و
اغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم مشارا لهم بالنصيحة فان النصح بين الملا تقريع وفي السر نفع وانجع قولا مؤثرا
فيهم وقيل قول البليغ يتعلق بالوعظ وهو ان يكون كلاما حسنا وجيز المباني عزيز المعاني يدخل الاذن بلا اذن مشتملا على
الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول
اكثر النحاة على ان من صلة يفيد تاكيد النفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل مفعول محذوف والتقدير وما ارسلنا
من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الاية من اقوى الدلائل على بطلان مذهب المجبرة لكونها صريحة في ان معصية الناس
غير مرادة لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة لله تعالى على ان قوله باذن الله اي
بتيسيره وتوفيقه واعانته ويدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول وقيل
في الاستدلالة على ان لا رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم ومنها دلالة
على ان الرسل معصومون عن المعاصي وانما يجب اتباعهم في جميع اقوالهم وانما لهم لو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوه فاستغفروا الله من رد قضاء رسوله واستغفر لهم الرسول انتصب شفيعا
لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من ايذائه برد قضائه لوجدوا الله لعلموه توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات
عن الخطاب الى ذكر الرسول تنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فالاية على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال
ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه
جبريل فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى استغفر لهم
فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا فلان حتى عد اثنا عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا
عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى
الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي
والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله
في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب

يغضون به اعقابنا ويستنصرون منه للفوق الثالث
وقل لهم في انفسهم للفتنة وقلوبهم

وقال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر من الجدار واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في
هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في
السقي على وجه المسامحة فلما اساء خصمه الادب ولم يعرف حق ما امره به الرسول عليه الصلوة والسلام من المسامحة لاجله امره
باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق في قوله فلا وربك قولان الاول ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والتقدير فوربك الثاني
انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك
ثم استونف القسم بقوله وربك لا يؤمنون والثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب وهذا الوجه لا يمشي فيما اذا كان
الجواب مثبتا ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج
الضيق او الشك لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويسلم لامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة
لحكمه من المغلبية من تمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر
ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور بل الحكم غير كلي والتقليد
في جميع الاحكام غير مرضي واعلم ان الرضى بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون رضا في الظاهر دون القلب فلهذا
قال ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق والصدق ثم من عرف
بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فقد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد لمن يتوقف في ذلك القبول بعدم الحرج اشارة الى
الانقياد في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطاء في الفتاوى والاحكام
وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النفس حرج قالت المعتزلة انها لو كانت المعاصي بقضاء الله تعالى لزم التناقض
لان الرضا بقضائه واجب فالرضا بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا في تركها ويلزم الرضا
بالفعل والترك معا وهو محال واجيب بان المراد من قضاء الله التكوين والايجاد والرضا بقضائه ان يعتقد كون الكل بايجاده
والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول فاين ذا من هذا من قوله ولو انا كتبنا عليهم
روي ان خاطب لما احتظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوعب الزبير حقه في صريح الحكم خرجا فمر على المقداد
فقال لمن كان القضاء فقال ان خاطب قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن اليهودي مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون
انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال
اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان
الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول
الله والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك ونزلت فالضمير في قوله منهم يعود الى الناس والمراد
بالقليل المؤمنون ومنهم عن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل والخروج عن الوطن على
هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذا لم يفعل بهم ذلك
بل كلفناهم بالاشياء السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم ما فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله
ورسوله وسمي التكليف وعظا لاقترانه بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من
غيره او خير الدنيا والآخرة لان خيرا يستعمل في الوجهين جميعا او اشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم على الايمان والطاعة
لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل وايضا الانسان يطلب الخير اولا
فاذا حصل يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب الخير فقال واذا لاتيناهم
من لدنا اجرا عظيما ثوابا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم
من لدنا اجرا عظيما وفي ايراد صيغة التعظيم في آتينا ولدنا وفي قوله من لدنا وفي وصف الاجر بالعظم وفي تنكير الاجر من المبالغة
ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق والطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد استحقاق الاجر
ثم اكد الامر بالطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سبب نزولها

وجوها قال الكلبي نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم
وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير
اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك الا
اني اعرف انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك
ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار قال للنبي صلى الله عليه وسلم اذا خرجنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك
فما ينفعنا شيء حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل الله هذه الآية فلما توفي
النبي صلى الله عليه وسلم اتى الانصاري ولده فاخبره بموت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده
فعمي مكانه وقال السدي ان ناسا من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف
نصنع وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك تقتضي التسوية بين الفاضل
والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب
اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع فيها ولا
تدافع بل ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة اذا كانا على سمت متقابلين ثم انه تعالى ذكر
اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا شك في تغايرها متداخلة كانت او متباينة والمراد
بالتداخل ان لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما يتلوه كان يكون النبي صديقا وشهيدا وصالحا والصديق شهيدا و
صالحا وقد مر تفسير النبي في اوائل البقرة واما الصديق فمبالغة الصادق وهو من غلب على اقواله الصدق وانه لخصلة
مرضية في جميع الاديان ومحققه للنطق الذي هو من مقومات الانسان وكفى به منقبة ان الايمان ليس الا التصديق
وكفى بنقيضه مذمة ان الكفر ليس سوى التكذيب وذكر المفسرون اكثرهم ان الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين
لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال قوم هم افاضل اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة للناس كابي بكر وعلي واشباههما
رضي الله عنهم ولا واسطة بين الصديق والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابرهيم
انه كان صديقا نبيا يعني انك ان ترقيت من الصديقين وصلت الى النبوة وان نزلت من النبوة وصلت اليهم واما
الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسبب الكفار من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو
شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد وفي رواية بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة و
البيان واخرى بالسيف والسنان واقول لا يبعد ايضا ان يدخل كل هذه الامة في الشهداء فقوله تعالى فكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فهو الذي فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة
لا ينبغي ان ينحط عنها مرتبة المؤمن ثم قال في معرض التعجب وحسن اولئك رفيقا كانه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق
والخليط في استواء الواحد والجمع فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز
وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة لين الجانب ولطافة الفعل فسمي الصاحب رفيقا
لارتفاقك به وبصحبته ومنه الرفقة والسفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا
له فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته
ذلك مبتداء والفضل صفته ومن الله خبره قالت المعتزلة ذلك اشارة الى الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم الانبياء
وهذا شيء تفضل الله به عليهم تبعا لثوابهم الواجب على الله او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه
بتمكينه وتوفيقه ولولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار والموانع لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار
ذلك بمنزلة من وهب من غيره ثوبا لينتفع به فاذا باعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من
الواهب وقال اهل السنة ذلك اشارة الى جميع ما تقدم ولا يجب على الله شيء البتة بل الثواب كله فضل من الله
وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق القدرة والداعية وايضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند

الترك وانه ينافي الالهية وايضا كل ما فرض من الطاعات فانه في مقابلة النعم السالفة التي لا تعد ولا تحصى فيمتنع كونها
موجبة للثواب في المستقبل فمعنى الاية ان ذلك الثواب بكمال درجته كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك
الثواب المذكور هو من الله لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب للمكلف على اكمال
الطاعة والاحتراز عن التقصير فيه التاويل الوجود المجازي امانة من الله تعالى كما ان وجود الظل امانة من الشمس فلا جرم
اذا تجلت شمس الربوبية لظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاغيار وانمحت الاثار وبقي الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح
والقلب والنفس ان تحكموا باداب الطريقة فيراقب القلب شواهد اللقاء ويلازم الروح عتبة الفناء والسر سلطان
وارد البقاء يا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا على الحقيقة وطاعة القلب لله ان يحب الله وحده
وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود اما الرسول فهو الرسول الوارد من الحق في
الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم لوابصة بن معبد استفت قلبك يا وابصة ولو افتاك المفتون واولي الامر منكم يعني
مشايخكم ومن بيده امر تربيتكم فان تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس القلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة
او يريد منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة تراعيا من قصور الفهم والدراية فردوه الى الله لمراقبة القلوب
شواهد الغيوب والى الرسول وارد الحق بصدق النية وصفاء الطوية ذلك الايمان الايقاني به شهود نور الرباني
خير من تعلم الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن حال اهل القال المتحاكمين الى طاغوت الهوى والخيال
من اهل البدع والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الاية اصابتهم مصيبة اي ملامة من الخلق او سياسة من السلطان
فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه سيضرب على محك الاعتبار وهو تحكيم
الشرع لا الطبع والنبوة لا النبوة والمولى لا الهوى وورادة الحق لا موارد الخلق فيما اختلفت اراؤهم وتحيرت عقولهم
ثم لا يجدوا في مرآة انفسهم صورة كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والصديقين الذين لهم قدم صدق عند
ربهم والشهداء اهل الجهاد الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله حسبي وكفى

يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات
او انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا و
لئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم
وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله

فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل
لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين امنوا
يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في
سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد
الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع
الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج
مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و
ان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من
عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا

من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك
آن کس که فرمان برد پیغمبر را پس بدرستی که فرمان برد خدای را و آن کس که برگشت از فرمان پس نفرستادیم ترا
عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك
بر ایشان نگهبان و می گویند کار ما فرمان برداریست پس چون بیرون آیند از نزد تو
بيت طائفة منهم غير الذي يقول والله يكتب ما
شبکاری می سازند گروهی از ایشان خلاف آنچه تو گویی و خدای می نویسد و نگاه می دارد
يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
آنچه شب می سازند پس روی بگردان از ایشان و اعتماد کن بر خدای و بسنده است خدای نگهبان و کارساز

القراءة ليبطئن ونحوه مثل ليبطئن ولنبوئنهم بالياء الخالصة والشموني وحمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء الفوقانية ابن كثير وحفص والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بياء الغيبة لغلبة السوق وبابه نحو ان تعجب فعجب اذهب فمن تبعك مدغما ابو بكر وحمزة غير خلف وعلي وهشام ولا يظلمون بالياء التحتانية ابن كثير وعلي وحمزة وخلف وهشام ويزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء الخطاب بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لابتداء الشرط مع فاء التعقيب شهيدا عظيما الآخرة عظيما اهلها وليا كذلك للتفصيل بين الدعوات نصيرا في سبيل الله للفصل بين القضيتين المتضادين اولياء الشيطان لاحتمال الابتداء وتقدير الفاء واللام ضعيفا الزكوة لان جواب فلما منتظر ولكن التعجب في قوله الم تر واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى القتال لان قوله لولا اي هلا استفهام اخر مع اتحاد المقول قريب قليل للفصل بين وصف الدارين فتيلا مشيدة للعدول لفظا ومعنى من عند الله للفصل بين القضيتين من عندك من عند الله حديثا فمن الله فصلا بين القضيتين فمن نفسك رسولا شهيدا اطاع الله لحق العطف مع ابتداء شرط حفيظا لاستيناف الفصل بينهما طاعة لابتداء الشرط مع ان المقصود بيان نفاقهم لانهم بعد بقول يبيتون لاختلاف الجملتين مع الاتصال اي اذا كنت الله ما يبيتون فاعرض ولا تهتم على الله وكيلا التفسير انه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها يناط تقوية الدين فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز عن المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه مما يتقى به ويحذر فان قيل فاي فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن والمهم فضل قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط المرتبطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما قدر فمن امتثل وترتب عليه الاركان تقديره ومن اهمل حتى فات عنه السلامة كان ايضا بقدر وهكذا شان جميع التكاليف اذا اعتبرتها فانفروا الى قتال عدوكم انهضوا لذلك قال صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي عوضت الهاء عن الياء المحذوفة والتركيب يدل على الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي يجتمع عنده الماء وثبيت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قال الشاعر طاروا اليه زرافات ووحدانا والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اي ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو ديدن المنافق عبد الله بن ابي ثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اي ابطأ ليتثاقلن ويتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمنادى محذوف اي يا قوم ليتني وجوز ابو علي دخال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوبا باضمار ان اي ليت لي كونا معهم فالفوز والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين آمنوا لاطه

ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا فلعله جعله من المؤمنين من حيث الجنس والنسب او الاختلاط ولانه كان حكمهم حكم المؤمنين وظاهر الايمان والمراد يا ايها المؤمنون في زعمكم ودعواكم كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في البين ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن وقال جمع من المفسرين ان هؤلاء المطوعين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل كقوله يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون معناه يشترون او يبيعون فعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا ويختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا الدنيا لاجل الآخرة والمراد لو بطأ اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المؤمنون على التقدير الاول ايضا لان الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله تخلف نفسه فاشتراها من نفسه لسعادة الآخرة لتقدر على انفاقها في سبيل الله او لعله اريد اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي او المراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة من حاله على اي تقدير كان فيقدم ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله والمستضعفين وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون او الاعسار والضعف عن الهجرة فيقولون الظهيرهم اذ لا يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع ولد كخربان في خرب وقيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان والعبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالاباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات ايضا عن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فاشبه القرية في الاعراب وبقي مذكرا لاسناده الى الاهل والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لا لتانيث الموصوف بل لجواز تانيث الاهل جاز وانما اشترك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم ارغاما لابائهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة فاخراجهم في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اي كن انت لنا وليا وناصرا ودل علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن اسيد اميرا لهم وكان الولي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وكان النصير عتاب بن اسيد كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا بان اخبرهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت وهو الطاغوت والشيطان فلا بد وليهم الا الشيطان وان كيده اوهن شيء واضعفه والكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان ان يعلم انه منذ كان موصوفا بالضعف والذلة الا ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حيوتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا رسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم فيه قولان الاول انها نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجر الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كره بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الاول بان رغبتهم في القتال اولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ما هو اباء القتال واحتج اصحاب القول الثاني بانهم كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله تعالى بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحقون

الحيوة الدنيا على الاخرة فلهذا قيل لهم قل متاع الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة
عن القتل من لوازم الطباع وهو المعني بالخشية والاعتراض محمول على تمني تخفيف التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا
قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاقوى حمل الاية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله في شانهم بلا خلاف وفي الاية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو ايضا ترتيب
مطابق لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على التوجيه والقتل في سبيل الله واذا في اذا فريق
للمفاجاة وهو مجرد عن الظرفية والعامل فيه المعنى المفاجاة اي فاجاء وقت خشية فريق زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية
الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف عليه من قوله او اشد ونصب خشية على التمييز
والتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة انتصب
خشية الله على المصدر لانه تقول خشي فلان اشد خشية بالاضافة وانت تريد المصدر ولا تكن ان يقول اشد خشية
بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية
اشد خشية منها وكلمة او ليست للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال ولكنها بمعنى الواو او المراد ان كل خوفين
فان احدهما بالنسبة الى الاخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فبين في الاية ان خوفهم من الناس ليس بانقص
من خوفهم من الله فبقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه تعالى شاكا فيه ولكنه يوجب انتفاء الابهام
في هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الاية في المؤمنين فهم انما قالوا لا اعتراضا
على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في مدة الكف واستمهالا الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى
اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوه لك بناء
على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع
الدنيا قليل والآخرة خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافرين والفاسقين مالك نيرانا واهوالا ومن هنا قال صلى الله
عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واما ترجيح الاخرة فلان نعم الدنيا قليلة ونعم الاخرة كثيرة ونعم الدنيا
منقطعة ونعم الاخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاكدار ونعم الاخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع
بها ونعم الاخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخاشين بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة
والبروج في كلام العرب القصور والحصون واصلها من الظهور ومنه تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها والغرض
انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت فوقوعه على هذا الوجه
اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود
ونفاق المنافقين امسك الله تعالى عنهم بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا في قرية من نبي الا
اخذنا اهلها بالباساء والضراء فعند هذا قالت اليهود والمنافقون ما راينا اعظم شوما من هذا الرجل نقصت ثمارنا و
غلت اسعارنا منذ قدم فقوله تعالى وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه قال قوم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب
لا يقدح في عموم اللفظ فكل ما ينتفع به فهو حسنة فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالها وان كان
منتفعا به في الاخرة فهو الطاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم اجابهم الله تعالى بقوله قل كل
من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الذوات والافعال والصفات لا بد من استنادها الى الواجب الذات ولهذا
تعجب من حالهم وقال فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم
قالت المعتزلة بل هذه الاية حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بخلق الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى التعجب
البتة لانه تعالى ما خلقها والجواب انه لا يسال عما يفعل واما المعارضة بالعلم والداعي وقالت المعتزلة ايضا الحديث
بمعنى مفعول والمراد به الآيات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القرآن محدثا والجواب بعد تسليم ما ذكروا انه

لانزاع

لانزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي الجبائي السيئة
تارة تقع على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الاية الاولى قل كل من
عند الله واضافها في هذه الاية الى العبد بقوله وما اصابك اي يا انسان خطابا عاما من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق
وازالة التناقض وما ذاك الا بان يحمل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى المعصية قال صلى الله عليه وسلم وانما قسمت
الحسنة والسيئة في هذه الاية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد
عندنا لان الحسنة انما يصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه واما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله لا
بانه فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه رغب فيها قال في الكشاف ما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان
فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها
بما اكتسبت يداك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا
بذنب وما يعفو الله اكثر وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باي معنى فرض فانها من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث
اليه لكنه قد يظن بعض الظاهريين ان اضافة السيئة الى الله تعالى خروج عن قانون الادب فصرح في الاية ان كل ما يصيب
الانسان من سيئة حتى الكفر الذي هو اقبح القبائح فان ذلك بخلق الله تعالى والوجه فيه ان يقدر الكلام استفهاما على
سبيل الانكار ليفيد ان شيئا من السيئات ليست مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيئته ويؤيده ما روي انه قرئ
فمن نفسك بصريح الاستفهام ومما يدل دلالة ظاهرة على ان المراد من هذه الآيات اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد
ذلك وارسلناك للناس رسولا اي ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على
جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما تحصيل الهداية فليس اليك بل الى الله قال علماء المعاني قوله
رسولا حال من الكاف اي حال كونك ذا رسالة وللناس صفة رسولا لا متعلق بارسلناك ولا قيل الى الناس فاصل النظم
وارسلناك رسولا الى الناس فلا بد للمتقدم من خاصية هو التخصيص على ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه على بقاء حقيقته
او عرفا لا عما عداه مطلقا وبعد تقديم هذه المقدمة فاللام في قوله للناس اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق
والاول باطل لان معهود الخارجي حصة معينة من الافراد فيلزم اختصاص ارساله ببعض الانس لو فرع بعض الناس في مقابلة
كلهم عرفا فيكون مناقضا لما في الايات الاخر كقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وبقوله بعثت الى الخلق كافة والثاني
وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص ارساله بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة
التقديم ينفي الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه صلى الله عليه وسلم
مبعوث الى الثقلين بقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم
لكل فرد من افراد الانسان ويحصل موجبة كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من سالبة جزئية انه
ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم مثلا وانه رسول العرب خاصة وعلى هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه
الاية مدلولة بدليل آخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافيا لدلالة هذه الاية لان التقديم قد استوفى حظه
من الخاصية من غير التعرض للجزء ثم لما بين انه لكل فرد فرد من افراد الناس رسول اوجب طاعته بقوله من يطع الرسول
فقد اطاع الله لان طاعة الرسول لكونه رسولا فيما هو فيه رسول لا يكون الا طاعة لله قال مقاتل في هذه الاية ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد
قارف الرجل الشرك وهو ينهى ان تعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه
الاية وهو من اقوى الدلائل على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم يكن طاعته فيما
اخطا طاعة لله ومن تولى قيل هو المتولي بالقلب اي حملك يا محمد على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو
التولي بالظاهر ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فما ارسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي فان من اضله الله
لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولي كقوله لا اكراه في الدين ثم نسخ باية الجهاد
ثم حكى سيرة المنافقين بقوله ويقولون اي حين ما امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز
بمعنى اطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فلهذا اوثر فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم

غير الذي تقول اي دبرت خلاف ما امرت به وما ضمنت من الطاعة قال الزجاج كل امر يتفكر وافيه كثيرا وتاملوا في مصالحه
ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفي اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس في بيته في الليل فهناك
يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلاجرم سمي الفكر المستقصي تبييتا الثاني قال الاخفش اذا اراد العرب قرضوا الشعر بالغوا
في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من ابيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وذكروا
في التخصيص وجهين احدهما انه ذكر من علم انه بقي على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه
الطائفة كانوا قد سهروا ليلهم في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلاجرم لم يذكروا قلت وجه الثالث وهو
ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل في عدم الانكار والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحايف اعمالهم ويحاسبهم عليه
او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك منهم اذا قوي امر
الاسلام وعزت انصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ باية الجهاد والاخرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة الى التزام
النسخ والله الحليم **التاويل** خذوا حذركم وهو ذكر فانفروا ثبات مجاهدا بالرياضات من عالم النفس وهو عالم الحيوانية
انفروا جميعا من عالم الجسمية وهو عالم الروحانية الى عالم الوجود وان منكم ايها الصديقون لمن ليبطئن من المريدين المتكاسلين في
السير القانعين بالاسم النازلين على الرسم مصيبة شدة ومجاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ورتبة عند الخواص
وقبول عند العوام يشرون الحيوة الدنيا يشترون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل نفسه بسيف الصدق او يغلب عليها
بالظفر فعلم على ربه والمستضعفين على الرجال اي الارواح في القلب لتصرف الروح في الروح والولدان الصفات الحميدة
المتولدة بين الروح والقلب من هذه القرية قرية البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا شيخا مهيبا الم تر الى
الذين قيل لهم من اهل السلامة كفوا ايديكم عن الاعتصام بحبل اهل الملامة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فانكم لستم اهل العزائم
اهل الملامة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فانكم لستم اهل العزائم فاقنعوا بدار السلام لارباب العزائم اهل الملام اذا فريق
يخشون الناس ويخافون لومة الناس اذ كان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم ولا يبالوا بلومة لائم فيبقوا عن فريقهم
في زي الطلبة الذين غلب عليكم حب الدنيا الى اجل قريب فنموت بالاجال فان لنا كل لحظة موتة في ترك حظ فيا
ايها البطالون في زي الطلبة الذين غلب عليكم حب الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى اينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل
ان تموتوا اختيارا ولو كنتم في بروج مشيدة اجساد قوية مجسمة وان تصبهم يعني لاهل البطالة حسنة من فتوحات غيبية
يقولوا هذه من عند الله لا من الشيخ فيها عليهم حقا وان تصبهم سيئة من الرياضات والمجاهدات يقولوا للشيخ هذه من عندك
اي بسببك وسعيك قل كل من عند الله القبض والبسط والفرح والترح ما اصابك من فتوح وموهبة فمن الله فضلا وكرما وما
اصابك من سيئة وعناء وبلاء فمن شؤم صفات نفسك الامارة والتحقيق فيه ان للاعمال اربع مراتب التقدير والخلق وهما ثابتان
من الله تعالى والفعل والكسب وهما من العبد وان كان العبد بفعله وكسبه كلها مخلوقة خلقها الله فافهم وارسلناك للناس رسولا
يهتدون بهدايتك ويتبعون خطاك ويقولون اذا كانوا حاضرين في صحبتك بانعكاس اشعة انوار النبوة عليهم ويضعون باذانهم
الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وهبت اليهم رياح الهوى عاد الطبع المشؤم الى اصله
وهكذا حال اكثر مريدي هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب اي يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم وتوكل على الله فلعل الله يصلح بالهم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم

ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا
قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين
عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا و
اشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب
منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان
الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو
ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله
حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما
كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون
سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان
تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان
اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم

ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان

واايمن شوند از قوم خويش هرگاه كه باز گردانند ايشان سوى فتنه هلاك كرده شوند دران فتنه پس اگر

لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا

جدا نشوند از شما وطلب نكنند از شما صلح را وباز ندارند

ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم

دستهاى خويش پس بگيريد ايشان را وبكشيد ايشان را انجا كه بيابيد ايشان را

واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا

وايشان اند كه گردانيديم شما را بر ايشان حجتى آشكار

القراءة من اصدق كل ساكنة بعدها دال باسم الزاي علي ورويس وحمزة غير العجلي حصرت صدورهم وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرا سهل ويعقوب والمفضل حصرة صدورهم بالنصب والتنوين الوقوف القران ط لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا ه اذاعوا به ط منهم ط قليلا ه في سبيل الله لان قوله لا يكلف يحتمل الاستيناف والحال الى اي قاتل غير مكلف الا نفسك ولعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المومنين ج لان عسى مستانف لفظا ومتصل معنى كفروا ط تنكيلا ه نصيب منها ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف كفل منها ط مقيتا ه نصف لجهودها ط حسيبا ه الا هو ط لا ريب فيه ط حديثا ه بما كسبوا ط من اضل الله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا ه في سبيل الله ط وجدتموهم ص نصيرا لا او يقاتلوا قومهم ط فلقاتلوكم ج السلم لان ما بعده جواب فان سبيلا ه قومهم ط اركسوا فيها ج ثقفتموهم ط مبينا ه التفسير لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه صلى الله عليه وسلم غير محق في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور وادبارها ومنه قول اكثم لا تدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت ما في صدر امري ما عرفته من عاقبته وظاهر الاية تدل على انه احتج بالقران على صحة نبوة محمد والا انقطع النظم ودلالة القران على صدق النبي من ثلاثة اوجه الفصاحة والاشتمال على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من المكايد والرسول يخبرهم بها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه واظهر انواع الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد تجاذب معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة موصوفة بعزة ولو كان من عند غير الله لم يخل من تناقض واضطراب والذي يظن به التناقض كقوله لا يسال عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسالنهم اجمعين او كقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانه جان ليس بذلك عند التدبر وملاحظة شرائط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد صحة نظمه وكون كله بل كل جزء من اجزائه وابعاضه بالغا حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القران كذلك علمنا انه معجز من عند الله تعالى وفي الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال اعني التدبر فيما اليه سبيل وقال الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلامه غير متفاوت ولا مختلف ان لا يكون افعال مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن الاختلاف وهو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية قد يكون بحيث تطرد لا بحسب الامر نفسه ثم حكى عن المنافقين رذيلة عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم اخبار من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوه وافشوه اذاع السر واذاع به لغتان ويكون ان يكون معنى اذاعوا به فعلوا الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافعال من الضرر من جهتين ان الارجاف لا ينفك عن الكذب الكثيرة ومن جهة ان تلك الزيادات ان كانت في جانب الامن ولم يقع اورث شبهة لضعفة المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها عن الرسول فان كان في جانب الخوف حصل الخطر

في الضعفة ووقعوا في الحيرة وايضا الباعث الى الارجاف موجب ظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال او بحيث ضنوا وفي معنى الاية اقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر منهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو يخرج الماء من البئر اول ما يحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله والى اولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فيعود اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر كانوا كان لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تدبيره وكيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى يسمعوه من الرسول والى اولي الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول والى اولي الامر ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الآية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقايع الى اولي الامر من المستنبطين ودراية النص لا يكون استنباطا فهو اذن رد واقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الامر بل هم المذيعون كما في القول الثالث سلمنا لكن الآية نزلت في الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الوقايع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقايع الشرعية فان قسمتم احد البابين على الآخر كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس الشرعي داخل في الآية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المذيعين ليس بالقوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرف احكام الحروب بالقياس الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقايع اذ لا قايل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث ان شيئا من ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان ذلك الله في الاصل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كما انه تعالى قال اذا غلب على ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا لا هو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فههنا تناقض وجوه الاول ان الاستثناء راجع الى قوله اذاعوا به كانه اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى الذين يستنبطونه منهم الا القليل قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وحرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك قال الزجاج هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر كذلك يراد كذلك فالاكثرون يعرف منه الا البالغ في البلادة والانصاف ان الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف كلام الزجاج صحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كان من الحق ما ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو ظاهر الوضع الا ان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص وفيه وجهان الاول قول جماعة من المفسرين ان المراد انزال القران وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القران لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قيس بن ساعدة وورقة بن نوفل كانوا مومنين بالله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الثاني قول ابي مسلم ان المراد بالفضل والرحمة هما نصرته تعالى ومعونته اللتان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير

لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لو لم تركت الدين الا القليل منكم وهم اهل البصاير والعزايم من افاضل المؤمنين
الذين يعلمون انه الحق من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ولا
انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل
قيل انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل كانه تعالى قال ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل
بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين والمعنى ان من اخلاق المنافقين كذا وكذا فلا يعتد بهم ولا يلتفت اليهم بل قاتل فانك
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا اديت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول
صلى الله عليه وسلم انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث والاحماء عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة
التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شي واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب على
الظن انه يفيد لم يجب بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك
من الناس وبدليل قوله هيهنا عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وعسى من الله حتم لان الرجا عليه محال فهو اطماع و
اطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه صلى الله عليه وسلم قال في بدر الصغرى لاخرجن وحدي
وتبعه سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف باس المشركين والقى الرعب في قلوب ابو سفين
واصحابه حتى ندموا وتركوا الحرب في تلك السنة وفي الاية دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الخلق لانه تعالى
لم يامره بالقتال وحده الا انه كذلك وقد اقتدى به ابو بكر رضي الله عنه حيث حاول الخروج وحده الى قتال
مانعي الزكوة ومن عرف ان الامر كله بيد الله وانه لا يحدث شي الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان بمعزل عن تقية
الموت والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب الله دايم وعذاب غيره غير دايم وعذاب غير الله تخلص
منه وعذاب الله لا يقدر على احد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع الابعاض
والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذا طرف من الفرق والله اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عقابه قوله سبحانه من يشفع
شفاعة حسنة وجه نظمه يعرف من تفسيره وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على الجهاد
لانه اذا كان يامرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفيعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد وايضا التحريض هو الحث
على سبيل الرفق والتلطف لا التهديد فجاري مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق اخر في ان ياذن
له الرسول في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن اخر عند مؤمن ثالث ان يحصل له عدة الجهاد فنزلت
ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة هيهنا هي ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان
يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة الله للمسلم كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب و
الدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي
روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب اليه خير وابتغي بها وجه الله لم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جايز لا في
حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة خلاف ذلك وعلى هذا الوجه النظم ان التحريض على الجهاد
بعث على الفعل الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع
له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة
الكفل ايضا النصيب فهل لاختلاف اللفظين فايدة فاجيب بان الكفل اسم النصيب الذي عليه يكون اعتماد ا
لانسان ومنه يقال كفل البعير واكفلته سنام كساء وركب والكفيل الضامن لان المعتمد العزيز اعتمد عليه والمتعلق
من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد اليه ويكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض انه قادر على كل
المقدورات حفيظا جميع المعلومات فيجازي كل شفيع بما يليق حاله ثم لما امر المؤمنين بالجهاد امرهم ايضا بان العدو لو رضوا
بالمسالمة او بالقوا اليكم المبارزة بالسلام فاتلوهم بالاكرام والسلام ايضا السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة
والتحية المعلومة ويجي مصدر الناقص من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية او تعزية لكنه ادغم هيهنا لاجتماع المثلين
وكانت العرب تقول عند التلاقي حياك الله دعاء بالحيوة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان

الحيوة ان لم يكن مقرونة بالسلامة لا يفيد بها بل لعل الموت خير منها ولان السلام من اسماء الله تعالى فالابتداء به اولى لان دفع
الضر راجح من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمنين في اثنا عشر موضعا في الازل وهنا سمى نفسه بالسلام وعلى لسان جبريل
تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربه معك والمراد امة محمد وسلم على لسان جبريل وتنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربه معك والمراد امة محمد وسلم على لسان جبريل ربهم من كل امر سلام قال المفسرين انه عليه السلام خاف على امته ان يصيروا مثل امة
موسى وعيسى فقال الله لا تهتم لذلك فاني زاد صنيعك من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الى امتك كل ليلة قدر
ويبلغهم السلام مني وسلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم عليك على لسان محمد قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى وامر محمدا بالسلام عليك واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامر المؤمنين بالسلام عليك واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك على لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربه من كل امر سلام قال
المفسرين انه عليه السلام خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى فقال الله لا تهتم لذلك فاني زاد صنيعك من الد
الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الى امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني وسلم عليك على لسان موسى والسلام
على من اتبع الهدى وسلم عليك على محمد قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وامر محمدا بالسلام عليك واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامر المؤمنين بالسلام عليك على لسان ملك الموت الذين تتوفيهم الملائكة طيبين
يقولون سلام عليكم وقيل ان ملك الموت يسلم في اذن المسلم السلام يقريك السلام ويقول اجبني فاني مشتاق اليك و
اشتاقت الجنات والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت لا بد من هدية ولا هدية اعز من
روحي فاقبض روحي هدية لك وسلم عليك من الارواح الطاهرة واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وسلم عليك على
لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان اهل الجنة تحيتهم
يوم يلقونه سلام عليكم الى الابد سلام عليكم قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام يحيى عليه السلام وعده بالسلام
في مواطن ثلثة هي اشد الاوقات حاجة الى السلامة فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
ولما ذكر تعظيم محمد قال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله
بن سلام قال لما سمعت بقدوم الرسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت في غمار الناس فاول ما سمعت عنه يا ايها
الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وبركات تحية
النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله و
تحيتهم للملوك انعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته وفي هذا دليل على
ان هذا الدين اشرف الاديان كلها ومما يدل على فضيلة السلام عقلا ان الوعد بالنفع قد يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا
يقدر واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو افضل انواع التحية قال بعض العلماء من دخل
بيتا وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقال عليه السلام افشوا السلام
والامر للوجوب ولان السلام بشارة بالسلامة وازالة الضرر وهو واجب بقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه
من شعائر الاسلام واظهار شعار الاسلام واجب وعن ابن عباس والشافعي واكثر العلماء ان السلام سنة واما الجواب فواجب
بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها فظاهر
الاية للوجوب وعن ابن عباس ما من رجل يمر على قوم مسلمين فسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملائكة قال العلماء الاحسن ان يزيد في جواب السلام الرحمة وان ذكر في الاول في الابتداء السلام والرحمة
في جوابه البركة وان ذكر المجموع اعادها فقط فان منتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لان هذا
القدر هو الوارد في التشهد وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك يا رسول الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث
وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك ابي فعصي فاين قول الله فحيوا باحسن منها فقال عليك مثله فقوله
تعالى او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام كره وجعه اما اشارة الى هذه الصورة وتهاونه رد الجواب فرض على

الكفاية اذا قام بعض سقط عن الباقين والاولى ان يقوم بالكل اكثارا للاكرام والاحسن ان يدخل حرف العطف فيقال وعليكم
السلام وهو واجب على الاصح بقدر ما يعهد بين الايجاب والقبول في العقود فان اخر عن ذلك وكان بسلام لا جوابا
واذا ورد عليه السلام في كتاب فجوابه بالكتبة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا وبين تعالى انه اذا امنا السلام
وجب البيان بفعل قال العلماء المبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام
بذكر الله فان خلاف المبتدي فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلام عليكم بل قالوا انه اولى من المعرف لان المنكر في القران
اكثر ولان المنكرات وردت من الله والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت تسليم الانسان على نفسه قال موسى والسلام
على من اتبع الهدى وقال عيسى عليه السلام السلام على يوم ولدت وايضا المعرف يدل على اصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف
الكمال ومن السنة تسليم الراكب لزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر احتراما
للجماعة والقايم لانه الواصل الى القاعد ولان القايم اهيب ومن السنة الجهر بالسلام لانه اقوى في ادخال السرور في القلب
ومنها الابتداء باظهار التواضع ومنها الابتداء باظهار التواضع ومنها الامشاء والتعميم لان التخصيص لجاس والمصافحة
عند السلام عادة النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تحات ورق الشجر ومن استقبله
رجل وامراة فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم عليهما ردا السلام عليه ومن سلم عذاب الله ومن دخل
بيتا خاليا فليسلم ويكون كانه سلم سلم من الله على نفسه او سلم على من فيه من مؤمني الجن او طلب السلامة بتبرك اسم السلام
ممن في البيت من الشياطين والموذيات ولو قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون
المبتدي بالسلام على الطهارة وكذا المجيب روي ان واحدا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قضاء الحاجة
فقام وتيمم ثم رد الجواب واذا دخل الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم لاشتغال الناس بالاستماع فان سلم ورد
بعضهم فلا باس ولو اقتصر على الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام فراى الناس متزرين سلم عليهم فان لم يكونوا
متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلام على القاري كيلا ينقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب وكذا القول فيمن كان
مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة العلم او بالاذان والاقامة ولا يسلم على المشغول بالاكل هكذا اطلق وحمله بعضهم
على ما اذا كانت اللقمة في فمه ولا تسليم على قاضي الحاجة قال ابو يوسف ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام
وكل من كان مشتغلا برعاية الحديث ومذاكرة العلم او بالاذان والاقامة ولا يسلم على المشغول بنوع معصية ولا منع من
السلام على من هو في مساومة او معاملة واذا دخل الرجل بيته سلم على امراته فان حضرت اجنبية هناك لم يسلم عليها
واذا سلمت الاجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب عليها تهمة او فتنة لم يجب الرد بل الاولى ان لا يفعل وحيث
قلنا لا تسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لانه اتى بفعل نهي عنه وكان وجوده كعدمه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تبدا اليهودي بالسلام وعن ابي حنيفة انه قال لا تبدا بسلام لا في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا
تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه ورخص بعض
العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة اما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقول وعليك
لما روي ان اليهود يقول للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله
فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة
الله يعيش واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثاب منها
فلا رجوع له فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد ليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالاية وذلك
ان التحية تحتمل جميع انواع الاكرام فيشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد المراد الى بصرفها بلا او بالاحسن لا اقل من الجواب
وقال الشافعي هذا الامر محمول على الندب بدليل انه لو اثيب بما هو اقل منه سقطت مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر
الاية يقتضي ان يثاب بالاحسن ثم احتج الشافعي على قوله بما روي عن ابن عباس وابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يحل للرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله على كل شيء حسيبا فيحاسبكم
على محافظة حقوق التحية وغيرها فكونوا على حذر منها فلما قدم الكلام في الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول
توحيد والثاني عدل كانه تعالى يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا سلامته واكرموه وعاملوا معه بناء على الظاهر فان

البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما هو يكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيها الاولون
والاخرون للجزاء والحساب وقوله الله لا اله الا هو اما خبر لمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم والتقدير الله يجمعنكم الى يوم القيمة
اي ليضمنكم اليه ويجمع بينكم وبينه نار بعثكم فيه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب
قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من
صفات الكمال للواجب اولى واحق واقدم والاثم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب
لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب بجر منفعة او دفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل او هو سبعة لا يفرق بين الصدق
والكذب على الشهادة بايهما نطق وربما كان الكذب حلي على حكم من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم فصح يجب
تنزيهه عنها واعلم ان المسايل قسمان الاصولية منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم بصحته كعلمنا بافتقار العالم
الى صانع العالم كل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقران والخبر والا وقع الدور ومنها غير
ذلك كاثبات الحشر والنشر وانه يمكن اثباته بالقران والحديث فاعلم ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين فقال
وما لكم في المنافقين من فئتين وهو منصوب على الحال والعامل معنوي مثل ما لك اي ما تصنع وقيل نصب على انه خبر
كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار لا اختلفوا في كفرهم ولكن اقطعوا انفاقهم
فقد ظهرت دلايل ذلك وانكشفت حيلة الحال وذلك انها نزلت على قوم من العرب اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة فاسلموا واصابوا وباء المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج الى الصحراء فاذن لنا فيه فاذن لهم
فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم مسلمون
فبين الله نفاقهم وقال مجاهد وقتادة هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم ورجعوا وكتبوا الى النبي انا على دينك ما اخرجنا الا اجتواء
المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن
بعضهم في هذا القول بان نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يا باه اذ الهجرة يكون من مكة لا من المدينة وعن
عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسار
اموال النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين وان اظهروا الكفر
باعتبار حالهم التي كانوا عليها والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة
خسيسة وهي حالة النجاسة ويسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي
والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا
يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيته وهذا ظاهر في المقصود والمعتزلة يقولون قوله اركسهم
بما كسبوا اي بسبب كسبهم وفعلهم ينفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فاذن المراد من اضلال الله حكمه بضلالهم
كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد اضلالهم عن طريق الجنة او هو مفسر بمنع الالطاف
ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر الى ان تمنوا ان يصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم
وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المتيقنة
وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاعراض العاجلة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم اقام بين اظهر
المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد ونية وعن الحسن ان حكم الاية ثابت في كل من اقام في دار
الحرب فراى فرض الهجرة الى دار الاسلام قايما قال المحققون الهجرة في سبيل الله يشمل الانتقال من دار الكفر الى دار
الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واتم لقوله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر
ما نهى الله عنه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم ساير المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
في الحل او في الحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى شانا من مهامكم ولا نصيرا ينصركم على اعدايكم بل جانبوهم مجانبة
مجانبة كلية ثم لما امر بقتال هولاء الكفار استثنى عنه موضعين الا الذين يصلون اي ينتهون ويتصلون الى

قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال
وقد يدخل في الآية ان يقصد قوما حضرت الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلجئوا الى قوم بينهم
وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه والقوم هم الاسلميون وذلك انه صلى الله عليه وسلم وادع وقت خروجه
الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على انه لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل
الذي لهلال وقال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد بن سنان كانوا في الصلح وقال مقاتل هم خزاعة وخزيمة وههنا نكتة وهي انه
تعالى رفع السيف عن الملتجئ الى الكفار الصالحين فليدفع النار عن الملتجئ الى محبة الله ومحبة رسوله كان اولى وعن عبيدة المراد
بالوصلة الانتساب يقال وصل الى فلان واتصل به اذا انتمى اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا يتصلون
بالرسول صلى الله عليه وسلم من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء قوله او جاؤكم في العطف وجهان
احدهما ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال لا لكم
ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يصلون بالمعاهدين هذا انسب لقوله في صفتهم فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم الى آخر الآية انه قد بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستحقاق لا بواسطة الاتصال
ومعنى حصرت صدورهم ضاقت والحصر الضيق والانقباض وهي في موضع الحال باضمار قد بدلالة قراءة من قرأ حصرة وجعله
المبرد صفة للموصوف على الحال اي جاؤكم قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجائون من الكفار
او من المؤمنين قال الجمهور من الكفار بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ كان الكفار
وان تركوا القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثناء من له عذر وهما طائفتان الذين
قصدوا الرسول صلعم للهجرة والنصرة الا انهم في طريقهم كفار غالبون فصاروا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد فاقاموا عندهم
الى ان يمكنهم الخلاص من صار الى الرسول ولا يقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم
اقارب اولاده فبينهم يخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم
يوجد منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا معنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم
ان اقدمتم على مقاتلتهم على سبيل الظلم وعلى الاول فمعناه ان ضيق صدورهم عن قتالكم لان قذف الله الرعب في قلوبهم
ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم فلقاتلوكم وهو جواب وعلى التكرير او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل
وهذا يبنى عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل انه فعل الظلم واراده والنزاع فيه فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم
والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين
هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا
عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي ردوا مقلوبين منكوسين فيها و
هذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في حفرة منكوسا تعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا
اي ولم يلقوا ولم يكفوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على انهم اذا اعتزلوا
قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط عدم
عند عدم الشرط اما قوله سلطانا مبينا معناه حجة واضحة لانكشاف حالهم في الكفر والعدوان وتسلط ظاهر حيث اذن لكم في قتلهم

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة
الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم

وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله
وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله
فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة
كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما
تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي
الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل
الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه و
مغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان
الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم
قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنم و
ساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء

والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا

و کودکانی که نتوانند و نیابند راهی

فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا

پس ایشان شاید بود خدای که عفو کند از ایشان و هست خدای بخشنده

غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما

گناه آمرزگار و هر که هجرت کند در راه خدای یابد در زمین جای هجرت

كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله

گردن بسیار و فراخی رزق و آنکه بیرون آید از خانه او هجرت کننده بسوی خدای و پیغمبر او

ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان

پس در یابد او را مرگ پس بتحقیق افتاد مزد او بر خدای و هست

الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض

خدای آمرزگار مهربان و چون روید در زمین

فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم

پس نیست بر شما هیچ بزه که کوتاه کنید از نماز اگر ترسید که

ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين لكم عدوا مبينا

رنجه کنند شما را آنانکه کافر شدند بدرستی که کافران هستند شما را دشمنی پیدا

القراءة فتبينوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين السلم مقصورا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف غير بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف والمفضل وسهل الباقون غير بالرفع الذين توفيهم مشددة التاء البزي وابن فليح الوقوف الاخطاء تصدقوا لابتداء حكم آخر مؤمنة كذلك مؤمنة متتابعين لاحتمال كون توبة مصدرا لفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا له من الله حكيما عظيما مؤمنا لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا الدنيا لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة فتبينوا بصيرا والقسم على الاولى درجة الحسنى عظيما لان ما بعده بدل رحمة رحيما فيم كنتم في الارض فتهاجروا فيها لان ما بعده من الاستفهام بجوابه جهنم مصيرا للاستثناء سبيلا عنهم غفورا وسعة على الله رحيما من الصلوة والاصح انه شرط تقليب في حال المسافر كفروا مبينا

التفسير لما لم يكن بد في مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة واشكالها في هذه الآيات اما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاخطأ المسلمون وظنوا ان اباه اليمان واحد من الكفار فضربوه باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك زاد وقع حذيفة عنده ونزلت الآية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه ذكر الواقعة للرسول صلى الله عليه وسلم فقال هلا شققت عن قلبه وندم ابو الدرداء والذي عليه اكثر المفسرين ما ذكره الكلبي ان عياش بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم ان امه اسماء ابنة مخرمة جزعت جزعا شديدا واقسمت لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل والحرث ابنا هشام وهما اخواه لامه حتى قدما المدينة فقالا له ان امك ليس يظلها سقف وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب ولا تدخل بيتا حتى ترجع اليها ونحن نعطيك عهدا ان لا نتعرض لك ولا نكرهك على شيء فلما خرجا به من المدينة اوثقاه ثم جلده كل واحد منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله ثم اعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه الحرث بن زيد وقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة لقد دخلت الان فيه فغضب عياش من مقالته وقال

هذا

له هذا اخي يعني ابا جهل فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة واسلم الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما راه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا استقام وما كان له فيما اتاه من ربه وعهد اليه او ما كان له في شيء من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من اول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له والا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو احد رؤساء المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير فعليه اعتاق رقبة اي نسمة مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وعبر عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية وهي مخصوصة ببدل النفس دون سائر المتلفات وقد يستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد والتصدق الاعطاء والمراد ههنا العفو ومحله النصب على الظرف او الحال والعامل مسلمة او عليه كانه قيل يجب عليه الدية او يسلمها الا زمان التصدق او الا متصدقين وههنا مسائل الاولى القتل على ثلاثة اقسام عمد وخطأ وشبه عمد واما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاؤه الى الموت سواء كان جارحا او لم يكن واما الخطأ فضربان احدهما ان يقصد رمي مشرك او طائر فاصاب مسلما والثاني ان يظنه مشركا بان كان عليه شعار الكفار فالاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد واما شبه العمد فهو ان يضربه مثلا بعصا خفيفة لا تقتل غالبا فيموت منه فهذا خطأ في القتل وان كان عمدا في الضرب الثانية قال ابو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطأ او شبه عمد فيكون داخلا تحت الآية فيجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي انه عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي انه قتل عمد عدوان اما انه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يعني القبطي اذ وكزه موسى فقضى عليه واما انه عمد عدوان فظاهر فلان من ضرب راس الانسان بحجر الرحى او صلبه او غرقه او خنقه ثم قال ما قصدت قتله عد الاحمق واذا ثبت انه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله كتب عليكم القصاص في القتلى وان المقصود من شرع القصاص صون الارواح عن الاهدار والاهدار في المثقل كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل بان التفاوت في آلة الاهدار غير معتبر حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم الا ان قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا فيه مائة من الابل وهذا عام سواء كان السوط والعصا صغيرا او كبيرا واجيب بان العصا والسوط يجب حملها على الخفيف فان من ضرب راس انسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت قصدت قتله لم يعذر بقوله الثالثة قال ابو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لانه شرط في الآية ان يكون القصد خطأ وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجب لما روي ان واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله في صاحب لنا اوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار وايضا نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمدا في الحرم وفي الاحرام على الخاطئ بالاتفاق وههنا نص على الخاطئ فان يوجب على العامد كان اولى لانه اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء عمدا فلزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق ممنوع من تصرفات الاحرار كما ان الميت ممنوع من التصرف مطلقا وتحقيق هذا المعنى اوجبوا ان يكون الرقبة كاملة الرق وان كان سليمة عن عيب يخل بالعمل كهرم وعمى وجنون الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا يجزي الرقبة الا اذا صام وصلى لانه تعالى اوجب تحرير الرقبة مؤمنة والايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع واما التقديرات فالكل فائت عن الصبي وقال الشافعي ومالك وابو حنيفة والاوزاعي يجزي الصبي اذا كان احد ابويه مسلما لان حكمه حكم المؤمن الخامسة انه تعالى اوجب الدية في القرآن ولم يبين كيفيتها وانما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان في النفس مائة من الابل وهذه المائة اذا كان القتل خطأ مخمسة منها عشرون بنت مخاض وعشرون ابن مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وبه قال لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في دية الخطأ بمائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وابدل ابو حنيفة واحمد ابناء اللبون بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة الاصلية وقال

غيرهما انما الخاص غير معتبرة في باب الزكوة فيجب ان لا يعتبر في الدية التي سببها اقوى من السبب الموجب للزكوة وانفقوا على
ان الدية في العمد المحض مغلظة من ذلك التثليث في الابل وهو ان يكون ثلثون حقة وثلثون جذعة وثلثون خلفة في بطونها
اولادها ومنه الحلول على قياس ابدال سائر المتلفات خلاف دية الخطاء فانها مؤجلة الثلث في السنة الاولى والثلث الآخر
في السنة الثانية والباقي في الثالثة استفاضوا من ذلك من الخلفاء الراشدين ولم ينكرهم احد فكان اجماعا ومنه ثبوتها في ذمة
الجاني لا تحملها العاقلة خلاف دية الخطاء فانها يكون على العاقلة لما روي ان امراتين من هذيل اقتتلتا فرمت احديهما الاخرى
بحجر وروي بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد فالتحمل في
الخطاء اولى وجهات التحمل ثلث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على حاشية النسب وهم الاخوة
وبنوهم وقال ابو حنيفة ومالك يتحمل الاباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات فيقدم الاقرب فالاقرب فان كان
فيهم وفاء والا وزع عليهم لكثرتهم او لقلة المال والاثار كهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال ابو بكر الاصم وجمهور الخوارج
الدية في الخطاء ايضا يجب على القاتل كما ان تحرير الرقبة ايضا عليه ويؤيده عطف الدية في الآية على التحرير وايضا الجناية صدرت
عنه فلا يعقل تضمين غيره كما في سائر الاتلافات وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير جائز واجيب باجماع الصحابة على ذلك السادس
مذهب اكثر الفقهاء ان دية المراة نصف دية الرجل باجماع المعتبرين من الصحابة ولان المراة في الميراث وفي الشهادة نصف
الرجل فكذلك في الدية وقال الاصم وابن علية ديتها مثل دية الرجل بعموم قوله ومن قتل مؤمنا السابع اذا وجدا الابل فالواجب
عند الشافعي في الجديد الرجوع الى قيمة الابل بالغا ما بلغت وانما يقوم بغالب نقد البلد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقوم الابل على اهل القرى فاذا غلت رفع قيمتها واذا هانت نقص من قيمتها وقال ابو حنيفة الواجب حينئذ الف دينار
او عشرة الاف درهم وعند مالك الدراهم اثنى عشر الفا الثامن لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الاموال في انه تقضى منها
الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على فرائض الله لما روي ان امراة جاءت في ايام عمر تطلب نصيبها من دية
الزوج فقال عمر لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر ان يورث الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية دين ولا ينفذ وصيته وعن ربيعة
الغرة لام الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية ان من قتل مؤمنا خطاء فعليه تحرير الرقبة و
تسليم الدية ثم قال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت عن ايجاب الدية
في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها وفيما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم المعنى بقوله من قوم عدو لكم اما ان يكون ان هذا المقتول من سكان دار الحرب
او انه ذا نسب منهم مع انه في دار السلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل هذا المسلم يورث الدية البتة فتعين الاول وانما
سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب يحوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من اشخاص قطان
دار الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب المشقة والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى
فيهم واما الكفارة فانها حق الله تعالى لانه لما اهلك انسانا مواظبا على طاعة فيلزمه اقامة اخر مقامه يمكنه المواظبة عليها اما قوله وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق ففيه قولان احدهما ان المراد منه الذمي نعن ابن عباس هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن
هم المعاهدون من الكفار والقدير وان كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي على دينهم ومذهبهم وثانيهما ان المراد
منه المسلم انه عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير عائد الى ما تقدم وهو المؤمن نكنا ههنا ما اعترض عليه
بلزوم عطف الشيء على نفسه لان المؤمن المقتول خطاء الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب لان من حكمه سقوط ديته وههنا
لا غرض في الافراد تكرارا محضا وايضا اذا كان المراد ذلك لما كان الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان كونه
منهم سهما مجملا لا يدري انه منهم من اي امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع النص عليه وهو
حصول الميثاق بينهما واجيب بانه لما افرد حكم المؤمن المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكرتم اعاد ذكر المؤمن المقتول
فيما بين المعاهدين تنصيصا على الفرق بينه وبين ما قبله وتنبيها على التسوية بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام
فاما اهله فهم المسلمون الذين يصرف ديته اليهم واما الابهام فنزول اذا حمل من بعض في كما في الآية المتقدمة عليه وههنا
مسئلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة وقال الدية الذمي مثل دية المسلم بقوله تعالى وان كان اي المقتول من قوم بينكم

وبينهم ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمسها هكذا روي من قضاء
الصحابة ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة لا يتم على الثاني من قول المفسرين في الآية وعلى القول الاول ايضا لم لا يجوز
ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاول وههنا سؤال وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الآية الاولى
وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفائدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية وايضا لنفع الافتتاح
والاختتام بحق الله تعالى ويترتب على التحرير قوله فمن لم يجد اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام
شهرين متتابعين ومتى يعتبر الاعسار فيجوز له العدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت
الوجوب واما شهران هلاليان البتة نعم لو ابتداء في خلال شهر تمم المنكسر ثلثين والمراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو
افطر ولو بالمرض وجب الاستيناف الا ان يكون الفطر بحيض ونفاس وعن مسروق ان الصوم بدل من مجموع الرقبة والدية
توبة من الله اي شرع لكم ما شرع قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطاء انه
لا يخلو من ترك احتياط ومن ندم واسف على ما فرط منه ويجوز ان يكون المعنى بقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا
منه لان التخفيف من لوازم التوبة وكان الله عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما بحكم الفعل لا يواخذ الانسان بما لا اختيار
ولا يتعمد وعند المعتزلة الحكيم ان افعاله واقعة على قانون الحكمة وقضية العدالة ثم لما ذكر حكم القتل الخطاء اردفه
بيان حكم القتل العمد وله احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة ومالك والقصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر
ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الآية من التخويف والتهديد فلا جرم تمسكت الوعيدية بها في القطع
بخلود الفاسق في النار واجاب الواحدي بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا روى
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان مقيس بن ضبابة وجد اخاه قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلى الله عليه و
سلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رسولا في فهر وقال له ائت بني النجار فاقرأهم السلام
وقل لهم ان رسول الله يامركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا انه قاتلا ان تدفعوا
اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع وطاعة لله وللرسول والله ما نعلم له قاتلا ولكنا
نؤدي اليه ديته فاعطوا مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا
فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل
الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه فركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل يقول في شعره قتلت به
فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت
الآية فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس في السوق فقتلوه الوجه الثاني
انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وبان ما قبل الآية وما بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن فكذا هذه الآية وبان ترتيب الحكم على الوصف المناسب
شعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد قتل العمد وبان الكفر بالاستقلال موجب لهذا الوعيد فاي فايدة
في ضم القتل اليه وان لا اثر للقتل في هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من تنفس لحرارة جهنم وزيف
وجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر واذا جاز الكذب فيه لغرض اظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار
وغير ذلك لغرض المصلحة وفتح الباب يفضي الى الطعن في الشرع قال القفال الآية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر
وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل كذا الا اني لا افعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لدلالة سائر الآيات
من يعمل سوء يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على انه يوصل الجزاء الى المستحقين البتة ولان قوله وغضب الله عليه ولعنه و
اعد له عذابا عظيما صريح في انه تعالى سيفعل ذلك لا سيما وقد خبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع ولتاكد هذه المعاني
نقل عن ابن عباس انه لا توبة من اقدم على القتل العمد العدوان وعن سفيان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة وحمله
الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب يمحوه التوبة حتى الشرك ههنا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا
الشرك لقوله تعالى ومغفرته ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله
المتفعل ههنا بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام

وهو السلام بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية يعني سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فكان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله باكيا ويسلم عليهم ولم يهرب معه باسلامه فقتله اسامة واستاق غنما كان معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره فقال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وان ذلك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا يطلبون فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجلا متبعا رجلا من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكيف اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن لتعلم وذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال وكيف اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن لتعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم عادوا فحفروا له فامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوا عليه الحجارة قال الحسن ان الارض تجن من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشرع احدكم الرمح الى الرجل فان كان سنانه عند نقرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الاية وقال ابو حنيفة اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو يجب عليه لكان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو الرسول الحق منتظر بعد عائد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود بين المسلمين حق يبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيد جميع متاع الدنيا عرض حاضر ياخذ منها البر والفاجر سمي عرضا لانه عرض رجل يظهر الاسلام متعوذ لتاخذوا ماله وقيل يريد ما اعد لعباده من حسن الثواب في الاخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه الشبه فقال الاكثرون يريد انكم ما دخلتم في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا امنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان وتحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان كان عاما فيهم وفي التفسير الكبير انكم في اول الامر حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء قد حدث لهم ميل ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل رغبتهم فيه ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدمه وذلك ان القوم نهاهم عن قتل من تكلم لا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبين مبالغة في التحذير ثم حذرهم عن الاضمار بخلاف الاظهار فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه ولما عاتبهم الله تعالى على ما صدر منهم وبدا منهم كان مظنة ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد فذكر فضل الجهاد ما يزيح علتهم ويزيد رغبتهم ويقول لما نهاهم عما نهاهم ابتعد فضيلة الجهاد لئلا يغلوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل وقال لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت

عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فغشي النبي صلعم في مجلسه الوحي ثم اتكأ على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان في البنية كعمى وعرج ومرض وبسبب عموم الاهبة من قرأ غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرأ بالرفع فعلى انه صفة القاعدون ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولي الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وعنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى ان يبرأ ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال وذكروا ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن من دوامه على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي ادركه في مدة حيوته وقيل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبايع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها اشد فالبايع اخر فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر وفائدة نفي الاستواء معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان هي تذكير ما بينهما من التفاوت ليهتز القاعد للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبة المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم ثم ان عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب ذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة يدل على التفضيل وقيل حال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولو الضرر وفي قوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة جنسها الذي يشمل الكثير بالنوع وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايعه واباءه وشجاعته وحماسته اجاب اهل السنة بان جهاد ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر وحين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام في ذلك قويا والحق انه لا يدل الاية الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين اما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا قد ظهر من الاية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة المثوبات لكن لا لذاته بل بجعل الشارع ذلك العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله وفضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح قاعد عن الاشتغال بالجهاد المندوب افضل منه بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه وعيد القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفيهم ويحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التائين فيكون الوعيد اما في كل من كان في هذه الصفة قال الجمهور معنى توفيهم يقبض ارواحهم عند الموت ولا منافاة بينه وبين قوله يتوفى الانفس قل يتوفيكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة الا ان الرئيس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم

الى النار اما قوله ظالمي انفسهم فمنصوب على الحال عن مفعول توفيهم والاضافة فيه لفظية وكذا لم تفد تعريفا فصح وقوعه
حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به
المعصية فمنهم ظالم لنفسه والمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت
الهجرة فريضة وفي خبر ان وجوه الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف لدلالة اي قالوا لهم والثاني فاولئك فيكون قالوا
حالا من الملائكة بتقدير قد الثالث الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شي كنتم من
امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضا بالسكنى في دار الكفر وهو بالحقيقة النفي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شي
ولهذا لم يجيبوا بقولهم كنا في كذا او لم نكن في شي بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بانهم كانوا قادرين
على المهاجرة من ارض مكة حتى يكون في شي ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم قايلين الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض
الحبشة ثم استثنى من الوعيد المستضعفين اعتذارهم وبجوابه اعتلالا من الرجال والنساء والولدان فان قيل لم عد الولدان من جملة
المستثنين من اهل الوعيد ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لو لم يخرج وليس الولدان من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا
من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال
والنساء حتى توجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في السقوط الوعيد هو العجز
وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين
وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون
على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق
ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك
الهجرة امر ضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يعفو الله عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان
او بما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون في الواقع كذلك لان الفطام عن المالوف شديد والفراق عن الاوطان شاق
فلعل حب الوطن يحمله على تاويل غير شديد ومع قيام هذا الاحتمال ان يحصل الجزم بالعفو هذا من جانب العبد واما من الرب
فهي اطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه ورد على لفظ العفو انه لا يتقرر الا مع الذنب ولا ذنب
مع العجز وجوابه ايضا يخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال قال الزجاج اي كان
في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة اجراها في حق خلقه وايضا لو قال
انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على
كونه حقا وصدقا قالت الاشاعرة اخبر عن العفو والمغفرة مطلقا غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو يرجى من غير
التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة بما نزل فيهم من القرآن فكتب اليهم
ان الذين توفيهم الملائكة الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني
لست من المستضعفين واني لاهتدي الى الطريق فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف الى الموت
فصفق يمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك به رسولك صلى الله عليه وسلم
ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله فيه ومن
يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته
وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون رغم انفه يريدون انه وصل اليه شي
يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلده فاذا استقام
امره في بلد اخرى رغمت انوف اهل بلدته بسبب سوء معاملتهم معه واعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لا
يمنع الانسان عن هجرة الوطن ومن الجواب عنه والمانع امران الاول ان يكون له في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف
زوال ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك خوفا من ان تقع في
المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يصير سببا لرغم

الوف اعدائك ويصير سببا لسعة عيشك وانما قدم في الآية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بذلك
انه من حيث انه ساء سعة رزقه وعيشه المانع ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد والمهاجرة الى الله
ورسوله في معناه فمن طلب علم او حج او فرارا الى بلد يزداد فيه طاعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فربما وصلت
اليه وربما لم اصل اليه فالاولى ان لا اضيع بالراحة الحاضرة لطلب شي مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله قال بعضهم يكتب له اجر قصده واجر ما يقدر الذي اتى به من
ذلك العمل فاما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد ان من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فان له ثواب تمام تلك الطاعة
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك
الى ان يبرأ وايضا من المعلوم ان كل من اتى بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الآية ما يدعو الى الترغيب
في الهجرة وايضا لا يكون الآية جوابا عن قول الصحابة وجندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا قالت المعتزلة في الآية دليل على
ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ
الاجر وكلمة على يؤكد ان ما قلنا واجيب بانا لا ننازع في ان الثواب يقع البتة ولكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل
بعض الفقهاء بالآية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان قسمة الغنيمة تتوقف على
حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يعفو ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال اجر المجاهدين ومما يفتقر
المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا انه
ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او في كيفية ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة
يكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب والصبح بحالهما وعن ابن
عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعنه ايضا ان المراد
التخفيف في كيفية الاداء كما يؤتى به عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام
الركوع والسجود وقد يؤكد هذا الراي بقوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما
يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما يزول بالتجوز والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر
ابن الخطاب كيف تقصر وقد امنا قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت
منه فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا
من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويؤيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير
هيئة الصلوة يجيء بعيد ذلك فحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى اما تقييد القصر بحالة الخوف فلان الآية نزلت على
غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز
القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب آخر على ان كل محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة
كسائر الرخص السفر فان شاء اتم وان شاء اقصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب ولما روي عن عائشة
قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي
قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة
عليه وقال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته وظاهر
الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب
الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم
اذا قال الشارع لهم رخصت لكم في هذا القصر انما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم وجعلته
مفسدا للصلوة فلا يخطر هذا الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عمر وابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على
ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعارض الآية لان تقرير الصلوة على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض

الظاهر وداود زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على ان
السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص من الاوزاعي وانس وعن ويروي عن عمران القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد
على يوم وليلة قصر وقال انس بن مالك المقيم ستة فراسخ وقال الحسن مسافة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد
بن جبير من الكوفة الى المدينة وهو ثلاثة ايام وهو قول ابي حنيفة قياسا على مدة جواز المسح للمسافر واما اصحاب
الشافعي فانهم تولوا على ما روي مجاهد وعطاء ابن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا
تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان والمراد بالبريد اربعة فراسخ كل فراسخ ثلثة اميال بالميال هاشم
جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة
فان كل ثلثة قدم خطوة قالت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط
بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب السفر في هذه الاقاويل يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا في وجب
الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا يريد ان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديمة فكونوا على حذر منهم
اما علم التاويل يعني ليس للمؤمن الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطاء وذلك ان الروح اذا خلص
عن حجب ظلمات النفس الصفات البشرية بتجلي الروح للقلب فيتنور ربانيا بالروحانية ثم ينعكس ارواح الروح عن
مرآة القلب الى النفس الامارة فيموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية ويحيى بالصفات الروحانية الحميدة الروحانية
وتطمئن الى ذكره اطمينان القلب به ففي بعض الاحوال تتايد الروح بنور روح قدسي رباني ويتجلى في تلك
الحالة الروح القلب فيحي مؤمن القلب صعقا مينا بسطوة تجلي الروح القدسي الرباني ويجعل جبل النفس دكا فكان
قتله خطا لانه مقصوده في القتل في هذا التجلي وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس الكافر ومن قتل مؤمنا
اي قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي الرقبة السر الروحاني فتخصيص رقبة السر محررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة
الى اهله يعني يسلم العاقلة هو الله تعالى دية القلب الى اهل القلب وهم الاوصاف الحميدة الروحانية من جمال
كمال الطافه ليصير الاوصاف بها اخلاقا ربانية الا ان تصدق الاوصاف هذه الدية على سلكين اوصاف
النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتل بالتجلي من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مؤمن اي بهذه
الصفة قد آمنت بانوار الروح القدسي دون اخوانها من الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة القلب يصير
محررا عن رق حب الدنيا لاجل القتل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول
احكام الشرع ظاهرا وترك المحاربة مع القلب واوصافه فدية مسلمة على عاقلة الرحمة الى اهل تلك الصفة
المقتولة وهم بقية صفات النفس كما قال تعالى الا ما رحم ربي وتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة الروح يصير محررة
عن رق الكونين فمن لم يجد رقبة مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون رقابهم قد تحررت عن رق ما سوى الله
فصيام شهرين متتابعين اي فعليه الامساك عن مشارب العالمين على التتابع الدوام مراقبا قلبه لا يدخله شيء من الدنيا
والآخرة مراعيا وقته فلو تأذى بشيء من المشارب كلها يستانف الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله تعالى قال قائلهم
شعر لقد صام طرفي عن شهود سواكم ٭ وحق له لما اعتراه نواكم ٭ يعيد قوم حين يبدو هلالهم ٭ وعيدي هلال الصب
حين اراكم ٭ توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية
بينهما ففي حيوة احديهما موت الآخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار
الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا
مقام الشيخوخة فتبينوا من حال المريد في الرد والقبول ولا تقولوا له لست مؤمنا صادقا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف
في النفس والمال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي لا تتهمونه لاجل رزقه فان الضيف اذا نزل نزل برزقه كذلك كنتم ضعفاء
في الطلب محتاجين الى الصحبة في بدء الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة هم
العوام الذين ظلموا انفسهم بتدسيتها فيم كنتم اي في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري و
في اي واد من اودية الهوى تهيمون وفي اي روضة من رياض الدنيا ترتعون اكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتبيعون
التراب الطهور والساقي مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب

واسعة فتهاجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف
الحال لا يستطيعون سبيلا الى صاحب ولاية وهؤلاء المستضعفون ثم الخواص المقتصدون واما خواص الخواص وهم السابقون
بالخيرات فهم المجاهدون الجهاد الاكبر وقدم ومن يهاجر عن بلدة البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في ارض الانسانية
مراغما متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة في تلك العوالم من رحمة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعني ارضي
ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فافهم يا بصير النظير كثيرا لفكر قليل العين والله اعلم

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة
منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين
كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم
أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا
حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا فإذا
قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن
تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما إنا أنزلنا إليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا
تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان

غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله
آمرزگار مهربان وخصومت مکن از جهة آنانکه خیانت میکنند با تنهای خویش بدرستی که خدای
لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا
دوست ندارد آنکس را که باشد خیانت کننده بزه مند پنهان میشوند از مردم و پنهان
يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول
نمی توانند بود از خدای و خدای با ایشانست بعلم چون شب تدبیر میکنند آنچه خدای نمی پسندد از گفتار
وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم
و هست خدای بانچه ایشان میکنند دانا اینک آید شما گروه مردم که همی خصومت کردید
عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة
از برای ایشان در زندگانی این جهان پس کیست که خصومت کند با خدای از برای ایشان در روز رستاخیز
ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم
یا کیست که باشد برایشان نگهبان و هر که بکند بدی یا ستم کند
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب
برتن خویش پس آمرزش خواهد از خدای یابد خدای را بعلم آمرزگار مهربان و هر که کسب کند
اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن
گناهی پس بدرستی که کسب میکند بر تن خود و هست خدای دانا درست کار و هر که
يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا
کسب کند صغیره یا کبیره پس بیندازد آنرا بگناهی پس بدرستی که برگرفت دروغی
واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
و بزه آشکارا و اگر نه افزونی لطف خدای بودی بر تو و بخشایش او قصد کردندی گروهی
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
از ایشان که گمراه کنند ترا و گمراه نمی کنند مگر تنهای خویش را و زیان نمی رسانند ترا
من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
هیچ زیانی و فرو فرستاد خدای بر تو کتاب قرآن و دانش دگر دادرست و بیاموزانیم ترا
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك كبيرا
آنچه ندانستی یعنی احکام شرع و دانش غیب و هست افزونی خدای بر تو بزرگ

القراءة عن السلحتكم واستعتكم عباس بان اختلاف الطمانتتم وبابه بعنيهم ابو عمرو بن زيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بن سابالتشديد بن زيد وحمزة على الوقف **الوقوف** من ورائكم ج واسلحتهم ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واسلحتكم ط حذركم ج معينا ه وعلى جنوبكم ط للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلوة ج لاحتمال فان ولان موقوتا ه القوم ط تالمون ج لاحتمال الواو والاستيناف او الحال ما لا يرجون ه حكيما ه اريك الله ط لان ما بعده استيناف خصيما لا للعطف واستغفر الله ط رحيما ه للاية مع العطف انفسهم ط اثيما ه لاحتمال ما بعده الوصف من القول ط محيطا وكيلا ه رحيما ه على نفسه ط حكيما ه مبينا ه يضلوك ط من شيء ط تعلم ط عظيما **التفسير** ابو يوسف والحسن بن زيد صلوة الخوف كان خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي لفضيلة الصلوة خلفه فبقي لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان ائمة الامة نواب عنه في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم يوجب كون الرسول مخصوصا به دون الائمة من بعده وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف

محتجا بانه صلى الله عليه وسلم لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الآية عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فراوه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى آخر الاية اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي باحديهما ركعة واحدة ثم اذا فرغوا من الركعة سلموا عنها ونهضوا الى وجه العدو وياتي الطائفة الاخرى ويصلي بهم الامام بهم مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم تذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وياتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء معترض بمتنفل لان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز ذلك اختلاف بين العلماء وقال الشافعي وقت السجدة حرست فرقة اما صفا او فرقة من صف الى ان يفرغ الامام وغير الحارسة والمقتدين بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام باركان السجدتين والجلسة بينهما واحتمل لحاجة الخوف وظهور العذر وبمثله صلى بعسفان واما ان لم يكن العدو في وجه القبلة او كانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار المسلمين صلى الامام في الثنائية كالصبح او الرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان عار الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو فصلى بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها سلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف باجارا الصف المقام الى امام وهو ينتظرهم واقتدوا بهم به في الثانية فاذا جلس بتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا بهم قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابو داود والنسائي عن صالح عن سهل بن حثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو فيأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم يعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلوتهم بقراءة والفرق ان الطائفة الاولى تركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم يدرك اول الصلوة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بهذه الصلوات او مات مختلفة بحسب المصالح انما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل والاشد موافقة لظاهر الاية اي هذه الاقسام قال الواحدي ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تاتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابو حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من الصلوة ولانهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم لطائفة واحدة لكنا السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية او معنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال وايضا الذي اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها ما في غيرها من زيادة الذهاب والرجوع وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والانتظار الامام بالطائفة الثانية مرتين وان كانت الصلوة مغربا فصلى الاولى ركعتين وبالثانية ركعة يجوز العكس ان كانت رباعية فيصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع فرق ان مسه الحاجة اليه فان لا يكفي نصف المسلمين بعددهم واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع ليست عزيمة بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره فيصلي الاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة ويتنافسون في الاقتداء به فامر الله تعالى بترتيبهم هكذا ليحوز احدى الطائفتين فضيلة التكبير معه والاخرى فضيلة التسليم معه فالخطاب في قوله واذا كنت للنبي اذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم فاقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك يصلي بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا حذرهم جعل الحذر وهو التيقظ آلة يستعملها الغازي وفيه رخصة للخائف في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة وانما امر هذه الطائفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه في اول الصلوة بكون المسلمين في الصلوة بل

يظنونهم قياما للمحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم وسجودهم الاولين وربما ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلاجرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير مسيلة واحدة شدة واحدة ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا اصابه بلل المطر فيسود ويفسد حدته وجدته او ثقل على المرء اذا كان محشوا او حين كان الرجل مريضا فيشق عليه حمل السلاح ولكنه اعاد الامر باخذ الحذر لان الغفلة عن كيد العدو لا تجوز بكل حال قال بعض المسلمين اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب لان ظاهر الامر للوجوب ولان رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة بحيث لا يتاذى به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ياتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة فيها على خلاف نص القرآن وكما ان الآية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن الامر بالحذر رعاية والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها وهنا ختم الآية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا انه تعالى نبه على هذا الحذر كون الكفار مقهورين وكان كما اخبر اما قوله فاذا قضيتم الصلوة ففيه قولان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله واظهار الخشوع والتجاليه والثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوة قياما حال اشتغالكم بالمسابقة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال اشتغالكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز وان المعنى يصير حينئذ فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال ان المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة في شدة التحام القتال واعلم ان الآية مسبوقة بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف وقوله فاذا اطمانتم يحتمل ان يراد به فاذا صرتم مقيمين فاقيموا الصلوة تامة من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف والثالث سكون القلب فاتموا الصلوة تامة من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد التي كنتم تعرفونها من غير تغيير شيء من هيئاتها ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقتة محدودة باوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وفي دليل الشافعي لايجاب الصلوة على المحارب في حالة المسابقة والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن فاوقات الصلوات الخمس مشهورة وقد يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان يكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار فهي زائدة على الثلاث ولو كان الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاذا اقلها خمس وسوف يجيء آيات اخر دالة على اوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة لدلوك الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى في مواضعها قال المحققون ان للانسان خمس مراتب من اول تمام من الشباب وسن الوقوف وهو ان يبقى ذلك الشخص على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان سن الكهولة ويظهر فيها نقصان خفي في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيها نقصان خفي في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيها نقصانات جلية فيه الى ان يموت ويهلك واما المرتبة الخامسة فهي اخباره وآثاره الى ان يندرس وينطمس ويصير كان لم يكن وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق لا يزال يزداد ضياؤها الى الطلوع حرها يزداد ارتفاعها شيئا بعد شيء الى ان تبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحر الى وقت العصر حين يصير ظل كل شيء مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير في زمان لطيف ظل كل شيء مثليه ثم ازداد الى ان تغرق ثم يبقى آثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم ينمحي حتى كان الشمس لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يقدر عليها الا خالقها وخالق جميع الاشياء وهي موافقة الاسنان الانسان فلهذا تعقب اوقاتها للعبادة والاقبال على المعبود الحق تعالى وحده ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بما يقلقهم ثم الزمهم الحجة فقال ان تكونوا تالمون والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم منكرون المعاد فانتم اولى بالصبر على القتال والجد فيه منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء

ما وعدهم

ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه و انهم يعبدون الاصنام التي لا خير من يرجى ولا شر من يخشى ويروى ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما انجر منه الكلام وهو حديث المنافقين وفيه ان الاحكام المذكورة كلها بانزال الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضى قوم وفيه ان كون الكافر لا يبيح مساهلة في النظر له وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه بما انزل الله تعالى على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فكلموه في ذلك وسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح و برئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات الى قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وفي الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله بما اراك الله ليس منقولا بالهمزة من رؤية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب ولا اقتضى ثلثة مفاعيل وليس في الآية الا اثنان احدهما الكاف والآخر الضمير العائد الى المحذوف فهو اذن بمعنى الاعتقاد معناه بما علمك الله وسمي ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقولن احد قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه والرأي منا ظن وتكلف قال بعض العلماء في الآية دلالة على انه ما كان يحكم الا بالوحي والنص ان الاجتهاد ما كان جائزا له وحينئذ يجب ان يكون حال الامة كذلك لقوله فاتبعوه واجيب بان العمل بالقياس عمل بالنص ايضا فكانه تعالى قال مهما غلب على ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا تكن للخائنين اي لاجلهم خصيما مخاصما واصله من الخصم بالضم والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه فكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم السلام لولا ان الرسول صلعم اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب والا لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه صلعم ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهود توقف وانتظر الوحي لعله امر بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا بسرقة اليهود وبراءة طعمة ولم يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى في مصدوقة الحال اولعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه على قومه من علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه والعاصي خاين نفسه لانه يحرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة والعموم ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم للخائن قط ولا تجادل عنه ان الله يحبه وايضا كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة والركوب المأثم روي انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره لا يشك في حاله وقالت العقلاء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الآية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء وهو معهم بالعلم والقدرة والرؤية وكفى هذا

ابرا للانسان من المعاصي اذ يبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد بيته وان
ويحلف ببراءته وتسمية التدبير وهو معنى في النفس قولا ليس فيها اشكال عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم
فمجاز ولعلهم اجتمعوا في الليل وزينوا كيفية المكر فسمى الله كلامهم ذلك بالقول الثابت المبيت الذي لا يرضاه
الله او المراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعدها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر
وقوله جادلتم جملة موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك والمراد انتم جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا
يذبون عن طعمة وقومه لانهم في الظاهر المسلمون والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يخاصم عنهم في
الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام على الاول وكلاهما
للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال ومن يعمل سوءا قبيحا يتعدى يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة
واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب فانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ايصال الضرر الى
الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله الى فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل
الضرر الى نفسه وقد يستدل باطلاق الاية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او
غصبا للاموال بل على ان مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار لا ينفع مع الاصرار فلا بد من اقترانه بالتوبة
يجد الله غفورا رحيما اي له محذوف هذا الرابطة لدلالة الكلام عليه لانه لا معنى للترغيب في الاستغفار الا اذا كان
المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا اي ذنبا دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث يطمع على الاستغفار و
التوبة ليلزم ما يحتج مع العلم او بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد
جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك والمقصود منه ترغيب العاصي في الاستغفار وكانه
قال الذنب الذي اتيت به انما يعود وباله وضرره اليك لا الي فاني منزه عن الضرر والنفع فلا تيأس من قبول التوبة
وكان الله عليما حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة او صغيرة او اثما كبيرة وقيل
الخطيئة الذنب القاصر على فاعله والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء
كان بالعمد او الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد ثم يرم به اي باحد المذكورين او بالاثم او بذلك الذنب لان
الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بكسب الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو
جامع بين الامرين فلا جرم يحق الذم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله بالفضل وهو النبوة
وبالرحمة لهمت طائفة من بني المظفر او طائفة من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل
وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من
شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما امرت الانبياء الا بالاحكام على الظواهر او هو وعد بادامة العصمة له مما يريدون في
الاستقبال من ايقاعه في الباطل ثم اكد الوعيد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي انه لما امر بتبليغ الشريعة
الى الخلق كيف يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات وعلى الاول يكون المراد واوجب في الكتاب
والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك بناء الامر عليه وعلمك ما لم تكن تعلم فيه معنيان احدهما ان يكون
كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما ووقفك
على حقائقهما وانت ما كنت قبل ذلك عالما بشيء منهما خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تكن تعلم
من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله
عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسرها قليلا الصلوة صورة جذبة
الحق ومعارج العبد فلهذا فرضت في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوب
العناية على الدوام واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي دمت لهم لان النظر اليك عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر فانت تنهاهم عن الفحشاء والمنكر فلتقم طائفة منهم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله كقوله
لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا يعني طائفة من بقية القوم اسلحتهم من الطاعات والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان
فاذا سجدوا يعني من معك وترقوا الى مقامات القرب فليكونوا اي هؤلاء العوام من ورائكم في المرتبة والمقام والتابعين لحفظكم

باشتغالهم بامور الدنيا وبه نحو احكم الضرورية للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا
حذرهم وهو اداب الطريقة واسلحتهم وهي اركان الشريعة ود الذين كفروا بهم من صفات النفس وصفاتها ان كان بكم اذى
من مطر يعني اشتغال الدنيا وضرورات حوائج الانسان يطرء عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعات و
الاركان ساعة فساعة وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراقبة الاحوال وحفظ وحضور مع الله وخلو السر عن
الالتفات بغير الله ورعاية التسليم والتفويض الى الله فاستمداد من عظائم الدين والالتجاء الى ولاية النبوة ان الله
اعد بهذه الاسباب للكافرين من كيد كفار النفس والشيطان عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله
في جميع حالاتكم ان الصلوة في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا الى الابد كما اشار اليه بقوله انا فتحنا لك اي لك بابا
من القدم الى الحدوث ليغفر لك الله بما فتح عليك ما تقدم في الازل على ذنبك ان لم تكن مصليا ويتم نعمته عليك
بان يجعل سيئاتك وهي عدم صلوتك في الازل والابد مبدلة بالحسنات وهي الصلوة المقبولة من الازل الى الابد
ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد وعبادات الرياضات والعادات
فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لانهم
النفر الدنية لا يجاوز مقصودها الدنية المجازية الفانية بما اريك الله حين وحي اليك بلا واسطة ما اوحى وارينا الاية الكبرى

لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف
نیست نیکی در بسیاری از راز ایشان مگر آنکس بفرمود بصدقه یا نیکی
او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
یا بمصالحه میان مردمان وهر که کند آنرا از بهر جستن خوشنودی خدای
فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من
زود بود که دهیم اورا مزدی بزرگ وهرکه خلاف خصومت کند با پیغمبر از
بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
پس آنکه پیدا شد اورا راه راست وپی روی کند جز راه گروندگان
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر
بازگذاریم اورا بدانچه اختیار کرد و اندرآریم اورا بدوزخ وبدست دوزخ جای بازگشتن بدرستی که خدای نیامرزد
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
که انباز گیرند باو ویبامرزد آنچه کمتر از آن است آنکس را که خواهد وآنکه انباز گیرد
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا
بخدای پس بدرستی که گمراه شد گمراهی دور نمی خوانند از جز خدای مگر
اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال
ماده پیمانانرا یعنی بتان و نمی خوانند مگر دیوی سرکش که لعنت کرد بروی خدای وگفت دیو
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم و
هرآینه فرا گیرم من از بندگان تو بهره پدید کرده وهرآینه گمراه کنم ایشانرا و
لامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم
فرا آرزو کردن دارم ایشانرا وبفرمایم ایشانرا که ببرند گوشهای چهارپایان وبفرمایم ایشانرا
فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
تا بگردانند آفرینش خدایرا وهرکه گیرد دیو را یار از جز خدای
فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان
پس بدرستی که زیان کار شد زیان کاری هویدا وعده میدهد ایشانرا وبآرزو میدارد ایشانرا و وعده نمی دهد ایشانرا دیو

الاغرورا اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا

مگر فريفتن ايشان اندكه جاى ايشان دوزخ است ونيابند از دوزخ جاى گريختن

والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري

وآنانكه ايمان آوردند وكردند كارهاى نيكو زود بود كه درآريم ايشانرا در بهشتهاى كه ميرود

من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن

زير درختان آن جويها حال آنكه جاويد مانند در آن جنت هميشه وعده دادة خداى وعده درست وكيست

اصدق من الله قيلا ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب

راست تر از خداى بگفتار نيست كار بآرزوهاى شما ونه بآرزوهاى جهودان وترسايان

من يعمل سوءا يجز به ولا يجدون له من دون الله وليا

هر كه كند بدى پاداش آن داده شود بآن بدى ونيابد از بهر خويش از جز خداى دوستى

ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى

ونه يارى وهر كه كند كردارهاى نيكو از نرى يا ماده

وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا

واو گرويده باشد ايشان اندكه درآيند در بهشت وستم كرده نشوند بمقدار گوى كه بر پشت استه خرما

ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة

وكيست نيكوتر بدين از آنكه بسپرد روى خود را براى خداى واو نيكوكردار است وپى روى كرد كيش

ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ولله ما في

ابراهيم پيغمبر را مايل از اديان باطل وگرفت خداى ابراهيم را دوست وخداى راست آنچه در

السموات وما في الارض وكان الله بكل شي محيطا

آسمانهاست وآنچه در زمين است وهست خداى بهر چيزى دانا

القراءة يدخلون بالياء ابو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل نؤده سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم وحم المؤمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد الاخرون بالعكس ابرهام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان الوقوف بين الناس عظيما جهنم مصيرا لمن يشاء بعيدا اناثا لانتهاء النفي مع واو العطف مريدا لان ما بعده صفة له لعنه الله لاني وقال عز معطوف على لعنه مفروضا للعطف خلق الله مبينا كيلا يصير بعده ثم وصفا للخسران ويمنيهم غرورا محيصا ابدا حقا قيلا الكتاب يجز به للعطف نصيرا نقيرا حنيفا خليلا وما في الارض محيطا التفسير ثم اشار الى ما كانوا يتناجون به حينئذ يبيتون ما لا يرضى من القول فالنجوى سر بين اثنين وكذا النجي يقال نجوته نجوا اي ساررته وكذلك ناجيته قال الزجاج قد يكون النجوى اسما مصدرا والاية وان نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر وفي محل من وجوه مبنية على معنى النجوى فان كان النجوى التناجي فان يكون في موضع النصب لانه استثناء الشيء من خلاف جنسه الا ان ابى ومعناه لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او في موضع الرفع كقوله الا اليعافير والا العيس وابو عبيدة جعله من باب حذف المضاف معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقال لا خير في قيامهم الا قيام زيد اي في قيامهم وعلى هذا يكون الاستثناء في من نفسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محله ايضا مجرورا من كثير او من نجواهم كما لو قلت لا خير في جماعة من القوم الا زيدا ان شئت اتبعت زيدا الجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لا خير في كثير مع انه صدق الحكم كليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله اجتلابا

للقلوب وليكون ادخل في الاعتراف به وليخرج عنه الخطأ او النسيان وما استكرهوا عليه واعلم ان قوله الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان كان من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخيرات ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر ان كانت مستحسنة في الظاهر الا انه لا يقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كيلا يكون من زمرة اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر والمراد ومن يامر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال او المراد بقوله من امر من فعل لان الامر يلزم منه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين له بما اطلعه الله من امره ما دله على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول واظهر الخلاف وارتد على عقبيه واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين وسبيلهم ومعنا نوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف ولا سيما في المرتد والظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم يلزمه اياها وساءت مصيرا على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود على ما في الذهن لا الى المذكور يحكى ان الشافعي سئل عن اية في كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرا القرآن ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الاية ووجه الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين مشاقة الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب كموالاة الرسول وفي الاية دلالة على وجوب عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء باقواله وافعاله والا وجب المشاقة في بعض من الاموره وهي منهي عنها في الكل قيل في الاية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا معنى ليبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبين الدليل فيكون تبين الدليل معتبرا في صحة الدين واقول الموقوف على النظر هو معرفة وجود الواجب لذاته وصحة نبوة النبي والقول في يكفي في اعتقاده اخبار الصادق على ان اخبار الصادق ايضا دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به للتاكيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان اجلى كان نقيضه ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان تعبدون ما يعبدون من دونه الا اناثا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى فاللات تانيث الله والعزى تانيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة الا اوثانا وقراءة ابن عباس الا اثنا جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو ابدلت همزة كاجوه وقيل المراد الا امواتا لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث بقولك هذه الاحجار تعجبني كما تقول هذه المراة تعجبني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون هن في اصنامهم من بنات الله وقيل ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم ينبت له لحية قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان تتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت طاعتهم الشيطان عبادة له لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا ابليس لانه وصف بقوله لعنه الله وقال لاتخذن جواب قسم محذوف فاي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع وهو الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال المراد بلعنه الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم ابيت اللعن اي لا تفعلن ما تستحق به ومعنى نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع على الاعذار وقد فرضتم لهن فريضة جعلتم لهن قطعة من المال والفرض الجندي رزقه المقطوع المعين قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين وذلك لما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال اخرج بعث النار قال وما بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعين وتسعين الحديث وههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون

خطوا به من الكفار والفساق لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ المنصب مع انه لا يتناول الا القسم الاول والجواب
ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر اما اذا ضم الملائكة اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا و
غيرهم وان كثروا ولاضلنهم يعني من الحق قالت المعتزلة فيه دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون
الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال وان الشيطان بالاتفاق لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا
كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسئلة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله لاضلنهم لاغوينهم
واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال او اقتحام الاهوال وانتظام
الاحوال فلا يكاد يقدم على التوبة والاقبال على تهيئة زاد الاخرة حتى يصير قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد
به هاهنا قطع اذان البحاير كانوا يشقون اذان الناقة اذا ولدت خمس ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع
بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون اذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه
في نفسه كفر وفسق وقوله فليبتكن صيغة غائب للغائبين واللام لجواب القسم قسما اخر والله ليبتكن فلما دخلت النون
الثقيلة سقطت واو الجمع لالتقاء الساكنين واكتفاء بالضمة والفاء للتسبيب والايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها والجملة
كالتفسير لقوله ولامرنهم ومثله في الاعراف قوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير اما المعنوي واما الحسي
فمن الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدي انه تغيير دين الله
بتبديل الحرام حلالا او بالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرة الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثاني
قال المفسر المراد ما روي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك
ان المرأة يتوصل بهذه الافعال الى الزنا اما وشم اليد فهو ان يغرزها بالابرة ثم يذر عليها النيل والوشر تحديد الاسنان
والتنمص نتف شعر الحاجب وغيرها وقال انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء وقطع الاذان وفقاء
العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهائم مباح عند عامة العلماء واما في بني ادم
فمحظور وعند ابي حنيفة شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقال ابن زيد هو التخنث
تشبه الذكر بالانثى وعلى هذا والسحق داخل في الاية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق
الانعام لتركبوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب وخلق الشمس والقمر مسخرين للناس ينتفعون بهما فعبدوهما
تغيير خلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلثة اوجه التشويش والنقصان والبطلان فادعى الشيطان
لعنه الله القاء اكثر الخلق في ضرر الدين وهو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولامنينهم وهو الضرر من جنس التشويش
لان صاحب الاماني يتشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية
والشيطانية وقوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اشارة الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل
في طلب الدنيا صار فاتر الراي ضعيف العزم في طلب الاخرة وقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان
لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يتزايد ميله وركونه الى الدنيا حتى
يتغير قلبه بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الاخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان فعل ما امره الشيطان به وترك
ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذا فاته اشرف المطالب بسبب الاشتغال باخسها والسبب فيه ان الشيطان
يعدهم ويمنيهم فيقول للشخص انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا
دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه
وان طال العمر ونال مأموله على احسن الوجوه فلا بد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان
الذ واشهى وكان الالف معه ادوم وابقى كانت مفارقته آلم وانكى وايضا لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا حساب
ولا جزاء ولا عقاب فاجتهدوا في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا فرصة الحيوة الزائلة فلذلك قيل اولئك مأواهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا او معدلا وله معنيان احدها لابد لهم من ورودها والثاني التخليد يعني الدوام للكفار
او طول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات

سندخلهم

سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرر فاذن هو
طول المكث المطلق وقوله ابدا يفيد التأبيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله
سندخلهم وعد منه تعالى ومضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو
وعد يحتمل ان يكون وان لا يكون فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث لبعض
من جعل الاستفهام المتضمن لذلك وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء امانيه الفارغة
والتنبيه على ان قول اصدق القائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن
السكيت ان القيل والقال اسمان لا مصدران عن ابي صالح قال ان جنس اهل الكتب اهل التورية والانجيل واهل
القران كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج
المسلمون اهل الكتاب فقال نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون
نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناواهم
من اهل الاديان بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا الاية وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان
واما نيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وان اعترفوا فالهتهم يشفعون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى نحن ابناؤا الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر فقيل اي ليس وضع الدين على امانيكم
وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
اي اثر فيه وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله
وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا فمن هاهنا استدلت المعتزلة بالاية على القطع بوعيد الفساق وعلى نفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص
بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا انه مخصوص في حق المؤمن بقوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤه الالام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه لما نزلت
الاية قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفلاح بعد هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر
الست تمرض الست يصيبك اللاواء فهو ما تجزون عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا قرأ هذه الاية فقال انا لنجزى بكل ما نعمل
لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وبما يؤذيه وعن ابي
هريرة لما نزلت الاية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت لنا هذه الاية شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا
فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه سلمنا ان الجزاء انما
يصل اليه في الاخرة لكنه روي عن ابن عباس انه لما نزلت الاية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا
لم يعمل سوءا فكيف الجزاء فقال صلى الله عليه وسلم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة
واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره وايضا
المؤمن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل
الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن واجيب بنحو قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اما حديث نفي
الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة والانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال
في الكشاف في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف
الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال ومن في
من ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى
الصالحين فقط وذكره عند احد الفريقين يغني عن ذكره عند الاخر والمسيء مستغن عن هذا القيد فمن المعلوم ان ارحم الراحمين
لا يزيد في عقابه واما النقصان فالفضل في الثواب وكان محتملا فازال ذلك الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط
به الفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبيان الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية
والخضوع والانقياد لله واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة

وحسن العمل والاخلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عايد الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات
وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا تحصيل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق واظهار التبري من
الحول والقوة من الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبايع وغيرها كما يناسب كان الوجه الثاني ان محمدا
صلى الله عليه وسلم انما دعى الخلق الى ما يشبه دين ابيه ابراهيم عليه السلام ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعوا
الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل ما كان مائلا عن الملل الباطلة بعيدا عنها بعيد
المركز عن جميع اجزاء الدائرة ولهذا شرف بقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم
من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال
اموره واسراره وقد دخل حبه في خلال قلبه ولما اطلع الله ابراهيم عليه السلام على ملكوت الاعلى والاسفل ودعى القوم
مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده
للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى يوم الدين كان
خليلا لان خلته عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد
قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله فلما بلغ ابراهيم صلوات الرحمن عليه في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه
من تقدمه فلاجرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل فلما كان
ابراهيم منقادا لكل ما امر به ونهى عنه فكانه ساير ورافق اوامر الله تعالى ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا وجه
الاشتقاق واما من قبل اسباب التسمية فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل لما اتخذ الله ابراهيم
خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن ان ابراهيم فجاءه فراى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال
ابراهيم عليه السلام باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه فقال له ملك الموت ان ربك اتخذ من عباده خليلا
قال ابراهيم ومن ذلك فقال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس اصاب الناس سنة جهد فيها فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له
بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة فقال خليله لو كان ابراهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له
ولكنه يريد للاضياف وقد دخل علينا ما دخل الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم فمروا ببطحاء فقالوا لو انا حملنا من
البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا لنستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملأوا تلك الغراير ثم انهم اتوا ابراهيم وسارة نائمة
فاعلموه ذلك فاهتم ابراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغراير ففتحتها فاذا هي اجود
حوارى تكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا
الطعام فقالت من خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله فيومئذ اتخذه الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك
في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله
فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك
وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلاجرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن
ابن عباس ان جبرئيل وميكائيل لما دخلوا على ابراهيم في صورة غلمان حسان الوجوه فظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم
عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل انت خليل الله وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن
حبيبي على خليلي ونجيي قلت وذكرت الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم ثم ذكر
قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالمعارف القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس لا
يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يسكن الا الى الله فهذا الشخص يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله ونوره تخللت في
جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لم يجز اطلاق الابن على الآخر لمثل ذلك
والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله
ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ليعلم انه لم يتخذ ابراهيم خليلا للمجانسة والاحتياج ولكنه اصطفاه لمجرد

الفضل وفيه انه مع جموع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا لله داخلا تحت ملكه وملكوته وفيه ان من كان في الفقر والتسخير
بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابرهيم اسلمت لرب العالمين وايضا
انه لما ذكر الوعد والوعيد لانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل بجميع الكليات والجزئيات
اشار الى الاول بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على
العلم لان الفعل على الثاني وقال بعضهم الاحاطة ايضا ههنا بمعنى القدرة واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها ولا يلزم
تكرار لان الاول لا يدل الا على انه مالك لكل ما في السموات والارض قادر عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على
جميع الاشياء وان فرضت خارج السموات والارض وعلى ان سلسلة الامر القضاء والقدر في جميع الممكنات انما تنقطع
بايجاده وتكوينه وابداعه التأويل لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان الا من امر الخيرات وهو ما الله
بالوحي وبالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف لا لهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين
بان يتبع الهوى وتسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته جهنم الصفات
البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك به ولو كان نفعوا لم يشرك به ومن يشرك الآن فقد
ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالاضلال الازلي فانهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات ذميمة يتولد منها
الشرك وان يدعون الا شيطانا مريدا هي الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله
وما والاه والنصيب المفروض طائفة خلقهم الله اهلا للنار ولاضلنهم كذب عدو الله فانه مزين وليس اليه من الضلالة
شيء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت مبلغا وليس الي من الهداية شيء وعد الله حقا وهو قوله هؤلاء الى الجنة ولا ابالي
ليس باماينكم يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال واني لغفار لمن تاب و
آمن وعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب علماء السوء الذين يغترون العوام بالرياء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب
والاجتهاد فليس يتمنى نعمته من غير ان يتعنى في خدمته كمن يتعنى في خدمته من غير ان يتمنى نعمته من يعمل سوءا يجز به
في الحال باظهار الرين على مرآة قلبه كما قال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب عبد ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب
ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر
على النفس الامارة من ذكر او انثى اي من قلب او نفس ومن احسن دينا اي من محمد حين اسلم سره وروحه وقلبه ونفسه
وشيطانه كما قال اسلم شيطاني على يدي ومن اسلام نفسه يقول يوم القيامة امتي امتي حين يقول الانبياء نفسي نفسي
وهو محسن يعني انه من اهل المشاهدة يعبد الله كانه يراه ولانه احسن الدين بخلقه العظيم الى ان بلغ حد الكمال والختم
واتبع ملة ابراهيم بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا قيل المجنون من عامر ما اسمك قال ليلى الخليل وقيل لمحمد ما اسمك
قال الحبيب وكان محمد صلى الله عليه وسلم حبيبا خليلا اي فقيرا من الخلة الحاجة لانه افتقر بالكلية الى الله في كل احواله و
الفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب ان اتخذ الالهة عدوا في الله وقال فانهم عدو لي الا رب العالمين والحبيب اتخذ
نفسه عدوا في الله وقال ليت رب محمد لم يخلق محمدا وهذا مقام الفناء في الفناء بل البقاء بعد الفناء فلاجرم
يقول بالرب عن الرب ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله عليما حكيما الله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى
وفتوى از تو ميخواهند در شان زنان بگو خداى ميدهد شما را در ايشان وآنچه خوانده ميشود
عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا
بر شما در قرآن در بي پدران زنان از زنان كه نمى
تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين
دهيد ايشانرا آنچه واجب كرده شده ايشانرا از ميراث وصداق ورغبت ميكنيد كه بزنى كنيد ايشانرا وضعيف شمرده گان
من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير
از ولدان يعني فرزندان وآنكه برخيزيد مر بي پدرانرا بعدل وداد راستى وآنچه كنيد از نيكى

فان الله كان به عليما وان امراة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها
كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما و
ان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما و
لله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا
ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله
على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على

انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين امنوا امنوا
بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله و
الكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين
امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان
لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من
دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله
جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات
الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين و
الكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان

لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان
شما را گشایش و ظفری از خدای گویند ای نبودیم با شما و اگر
كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم و
باشد مر کافران را بهره از فتح و ظفر از خدای گویند آیا نه غلبه کردیم بر شما و
نمنعكم من المومنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة
باز داشتیم شما را از گروندگان پس خدای حکم کند میان شما روز رستاخیز
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون تصالحا من التصالح وادغام التاء في الصاد اني نشاء حيث كان بغير همز الاعشى واوقية وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة والباقون بالواوين نزل وانزل كلاهما على ما لم يسم فاعله من التنزيل والانزال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل من التنزيل والانزال وقد نزل مشددا مبنيا للفاعل عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوقوف في النساء فيهن لا للعفاى الله والملو يفتيكم الولدان للعطف ايضا اي في يتامى النساء وفي المستضعفين في ان يقوموا بالقسط عليما صلحا خير الشح كالمعلقة رحيما سعته وما في الارض ان تقوا الله وما في الارض حميدا وما في الارض وكيلا باخرين قديرا والاخرة بصيرا والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا الذلك خبيرا من قبل بعيدا سبيلا اليما لان الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على الذم المؤمنين جميعا غيره لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لان ما بعده صفة المنافقين لكم لابتداء الشرط مع انه بيان التربص معكم لترجح جانب العطف وانما بيان النفاق نصيب لان قالوا جواب ان المؤمنين القيمة سبيلا التفسير احسن الترتيبات اللايقة بالدعوة الى الدين الحق وبالبعث على قبول التكاليف ما عليه القرآن من اقتران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب وضم الايات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى وهما وضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل كانه قوى ببيانه ما اشكل فشب وصار فتيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل انه في الاوصياء وقيل في توفية الصداق لمن كانت اليتيمة تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت دميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله اي يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا نحو ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى كما سلف في اول السورة جعل دلالة الكتاب على هذا الحكم افتاء من الكتاب وثانيها وما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الاية وان العدل بها والانصاف من رعاية حقوق اليتامى ظلم لا يتهاون بما عظمه الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم بمعنى التعظيم ايضا كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه معطوف على المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بشديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتيكم الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء

انما يكون في المسايل وقوله في يتامى النساء على الوجه الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن او بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن والاضافة في يتامى النساء قال الكوفيون انها اضافة الصفة الى الموصوف واصله في النساء اليتامى وقال البصريون انها على تاويل جرد قطيفة وسحق عمامة وجوز بعضهم ان يكون المراد بالنساء امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت في ميراث اليتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الشهوة اي ترغبون في ان تنكحوهن لجمالهن او ترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالاية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن اذا بلغن ولان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قدامة انا عمها ووصي ابيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر ولانه ليس في الاية اكثر من ذكر رغبة الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم قيل ويجوز ان يكون وان تقوموا منصوبا اي ويامركم ان تقوموا ومن جملة ما اخبر الله تعالى انه يفتيهم في النساء لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امراة خافت ارتفاع امراة بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظاهر انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول الرجل انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم ثم بين انه كما لا جناح فيه فكذلك فيه خير كثير ثم حث على الصلح وجعل مادة الخصومة راسا فقال وان تحسنوا وتتقوا لاعراض ما يؤدي الى الاذى والخصومة المحوجة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك ومنها الخطاب للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان تحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمر بن الحطان الخارجي كان من آدم بني آدم وامراته من اجملهم فاجالت يوما نظرها الى وجهه ثم قالت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا ان تعدلوا لن تقدروا على التسوية بين النساء في ميل الطباع ولو حرصتم واذا لم تقدروا عليها بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به ومنا تفسير يناسب مذهبنا المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا كل الميل اي دفع عنكم تمام العدل وغايته ولكن اتوا ما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم وبوجه آخر لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم ولا التسوية الكلية في نتايج الحب من الاقوال والافعال لان الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها ونفقتها وساير حقوقها وحظوظها من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة كالمعلقة بين السماء والارض ولا على قرار غير ذات بعل ولا مطلقة والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتايج الميل القلبي فيعفو بالكل وبالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان وانما هو بين اصبعين من اصابع الرحمن على النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه ويعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة كانت احب اليه وعنه صلعم من كانت له امراتان فمال مع احديهما جاء يوم القيامة مع واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته برزق كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه والسعة الغنى والقدرة وكان الله واسعا من الرزق والفضل والرحمة والعلم واي كمال يفرض ولهذا اطلق حكيما قال ابن عباس رضي الله فيما حكم ووعظ وقال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض وهو كالتفسير لسعته ملكه وملكه وفيه ان الذي امر به من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان ليس لعجز وافتقار وانما يعود فايدة ذلك الى المكلف لانه الاحسن له في دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغناؤه تعالى بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الاتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التورية والانجيل والزبور وغيرها من الصحف وقوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا الكتاب وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا ويكون ان المفسرة لان التوصية في معنى

القول وان يكفروا عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه اوقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات الله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لان شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات العباد فالعدل مقدم على الشهادة نقدم الشرط على المشروط فاعلم ان يكون المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة لطلب الرضا الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامرهما ومصالحهما وكان حق النسق ان لو يقال فالله اولى به اي باحد هذين انه ثني الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الفقير والغني اي بالاغنياء والفقراء يريد بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير وكان ميله الى الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله ان يقوم بالقسط في الغني والفقير ونزلت الاية قوله وان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل ومن العدول فكانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق واحتمال آخر وهو ان مراده اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الاخر وان تلووا بواوين من لوى يلوي اذا فتل وبواو واحدة من الولاية والمعنى وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او وان توليتم اقامة الشهادة او تركتموها فلا الانسان لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردف ما ذكر بقوله يا ايها الذين آمنوا اي ... الخاص آمنوا في المستقبل اي دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين آمنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين آمنوا استدلالا جليا آمنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله آمنوا بان كنه الله تعالى وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا تنتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فانزل الله هذه الاية فآمنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بموسى والتورية وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وانه حاصل في الكل فالخطاب لليهود والنصارى او يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب فهم المنافقون او يا ايها الذين امنوا باللات والعزى امنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلاثة الايمان بالله وبالرسل وبالكتب وذكر في مراتب الكفر امورا خمسة اجيب بان الايمان بالثلاثة يستلزم الايمان بالملائكة وباليوم الاخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلاثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الاخر لتاويلات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما نص على ان منكر الملائكة والقيمة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتب مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب ... الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرسل عام له ولغيره فلم خص ذكره ولا للتشريف جعل ذكره تاليا لذكر الله لمزيد التشريف ولبيان افضليته صلعم ثم لما رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد الايمان فقال ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان تارات واطوار قال القفال وليس المراد ... على كفرهم وثانيها بسبب ذنوب اصابوها حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاعات وقت الايمان كونه اشبه ... تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فقيل عليه السلام يفيد نفي التاكيد وهذا لا يليق بالموضع انما اللايق به تاكيد النفي واجيب بان النفي تاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم افاد تاكيد النفي ... الكفر ... حينئذ تضيع الشرايط المذكورة في الاية ويبعد التوبة ... فكيف يصح النفي واجيب بان ... السلام في الذين يعهد من دوم قوم على الله خرج الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطرب الحال كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه وقع واحتشام فالظاهر من حاله انه يموت على ... فانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا يهديهم

سبيلا اي الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين تهكم كقولهم عتابك السيف وتحيته الضرب ايبتغون عندهم كان المنافقون يوادون اليهود اعتقادا منهم ان امر محمد صلى الله عليه وسلم لا يتم وحينئذ ينتفعون بودهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة فخيب الله آمالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعزة الله يستتبع عزة الرسول والمؤمنين وكقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وجميعا حال من العزة او مجوعه قال المفسرون المشركون كانوا بمكة يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن به فنهاهم المسلمون ولا يرى لهم حينئذ بالانكار عليهم ظاهر انزلت اذذاك واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره كان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين وعالمهم بعض المنافقين فقد نزل عليكم في الكتاب يعني ايه الانعام ان اذا سمعتم هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى انه اذا سمعتم آيات الله حال كونها يكفر بها ويستهزء بها وقال الكسائي المعنى اذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الايات كما يقال سمعت عبد الله بلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع على الايات يمكن بخلاف ايقاع على عبد الله انكم ايها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر اذ هنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل اي اذن يكونون مثلهم وافرد مثلهم لانها في المعنى المصدر ونحوانون لبشرين مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا امثالكم وانما لم يحكم بكفر المسلمين بمكة بمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة احبار اليهود الخائضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة وفي اوان ضعف الاسلام ولم يرد نهي بعد ومجالسة هؤلاء المنافقين كانت في وقت الاختيار وقوة الاسلام وبعد ورود النهي قال اهل العلم في الاية دليل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم والضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة يكفر بها ويستهزء بها وارادجامع بالتنوين لانه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيمة ومثله قوله صلعم المرء مع من احب يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من نصر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظهور على اليهود قالوا الم نكن معكم مظاهرين فاسهمونا في الغنيمة وان كان للكافرين اي اليهود نصيب استيلاء ما في الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ... والاستحواذ الغلبة وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب وفي الاية وجهان الاول الم نغلبكم ... لحزبنا اوجب الله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك فارفق بها واليه الاشارة بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فالروح تشح بترك حقوق الله والنفس تشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل في رفض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوي والعالم السفلي وان يتفرقا اي الروح والنفس فالروح يجذب بجذبة دع نفسك وتعال الى حضرة غنى الله في عالم هويته فيستغنى عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس تجذب عن الروح بجذبة ارجعي الى ربك الى حضرة غنى الله في عالم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايها الذين آمنوا للايمان ثلث مراتب ايمان للعوام ان يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث يوم الاخر والقدر وهذا ايمان غيبي وايمان للخواص وهو انه تعالى ذو التجلي للعبد بصفة من صفاته خضع له جميع اجزاء وجوده من آمن بالكلية وهذا ايمان عياني وايمان للاخص وهو بعد رفع الحجب الانانية جن آفناه بصفة الجلال وابقاه بصفة الكمال فلم يبق له اين ونفي في العين وهذا ايمان عيني ان الذين آمنوا اي بالتقليد اصل ثم آمنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم مشرقة بالنور الالهي ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله لهم في الازل غافرا لهم نور عند الوسوس ولا ليهديهم سبيلا لان الاصل لا يغفر بشر المنافقين اي بشرهم بان اصلهم من جوهر الكفار وهذا الكافرين اولياء فانه استلامهم ههنا نتيجة تعارف ارواحهم وكما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله

الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا و
اعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما
ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله
كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله و
رسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله و
يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين
امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم

اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما

القراءة في الدرك بسكون الراء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير الاعشى الباقون بالفتح يؤتيهم بالياء حفص وعباس الباقون بالنون **الوقوف** خادعهم لعطف المختلفتين كسالى لا يراؤن صفتهم قليلا بناء على ان مذبذبين نصب على الذم والاوجه انه حال اي يراؤن مذبذبين بين ذلك قد قيل على تقدير الابتداء اي لا هم اي هؤلاء والاوجه انه بيان المذبذبة اي هو منسوب الى هؤلاء هؤلاء الثانية سبيلا من دون المؤمنين مبينا من النار لابتداء النفي مع العطف نصيرا للاستثناء مع المؤمنين عظيما وامنتم عليما الجهر ظلم عليما قديرا بعض للعطف سبيلا لان ما بعده خبر ان وقيل ان الخبر محذوف اي هلكوا او ما يتلوه مستانف حقا لاحتمال ما بعده العطف والاستيناف مهينا اجورهم رحيما
التفسير قال الزجاج اي يخادعون رسول الله اي يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه قال ابن عباس رضي الله عنه يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين فاذا وصلوا الى الصراط انطفى نورهم وبقي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وباقي تفسير المخادعة تقدم في اول البقرة كسالى جمع كسلان كسكارى جمع سكران اي يقوموا متثاقلين متباطئين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيب نفس ورغبة وهو معنى الكسل والسبب في ذلك انهم يتقون بحالي الحال لا يرجون من فعلها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا يراؤن الناس اي لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء والسمعة ومعنى المفاعلة في الرياء ان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسان ان ذلك العمل او فاعل ههنا بمعنى فعل التشديد كقولك نعمه وناعمه ولا يذكرون الله اي ولا يصلون الا قليلا لانه متى لم يكن معهم احد من الاجانب لا يصلون واذا كانوا مع الناس فعند ذلك دخول الوقت الصلوة يتكلفون حتى يصيروا غائبين عن اعين الناس وان لم يحضر احد وحينئذ يصلون وقيل انهم في صلوتهم لا يذكرون الا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبيرات فاما الذي يخفى وهو القراءات والتسبيحات فهم لا يذكرون ونها قيل انهم لا يذكرون الله في جميع الاوقات الا ذكرا قليلا في الندرة كما ترى من بعض المتهاونين بامور الدين ولو صحبته اياما وليالي لم تسمع منه هليلة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته ويجوز ان يراد بالقلة العدم وقال قتادة يريد ان الله لا يقبل صلوتهم لان ما رده الله فكثيره قليل وما قبله الله فقليله كثير معنى المذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يرد ويدفع الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس رض مذبذبين بالكسر اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم عن ابي جعفر مذبذبين بالدال غير المعجمة والمعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة الطريقة ومعنى ذلك اي بين الكفر والايمان لان ذكر الكافرين والمؤمنين يدل على الكفر والايمان وذلك قد يشار به الى اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم ان السبب في التذبذب ان الفعل يتوقف على الداعي فاذا كان الداعي الى الفعل هو الاعراض المتعلقة باحوال هذا العالم فانها سيارة متغيرة لزم وقوع التغير في الميل والرغبة فاذا اما لكان الداعي فاذا ازال بقي الانسان في الحيرة والتردد واما من كان مطلوبه في فعاله اقتناء الخيرات الباقية واكتساب السعادات الروحانية ثم ان تلك المطالب امور باقية بريئة عن التغير والزوال لا جرم كان هذا الانسان ثابتا في ايمانه راسخا في شانه مريدا ولهذا المعنى اهل الايمان بالثبات يثبت الله الذين امنوا الا بذكر الله تطمئن القلوب يا ايتها النفس المطمئنة قيل انه تعالى ذمهم على ترك طريقة المؤمنين وطريقة الكفار الذم غير جائز قلنا انما توجه الذم لانهم عدلوا من الكفر الى ما هو اخبث وهو طريق النفاق ولهذا ورد فيه من المبالغات ما ورد من قوله فلن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وطريق الحقوق للمؤمنين اي ينهوا من ولاية المنافقين والتخلق باخلاقهم وتباعهم ومعنى سلطانا

بحجة بيته على النفاق لان ولي المنافق منافق لا محالة ومن قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فان نقر الاخر من النار
درك ودرك ومع ذلك بالاسفل فان دركات نار رمنا زلها نقيض درجات الجنة فبين ان المنافق في غاية البعد وغاية
الطرد عن حضرت الله تعالى وانه مع فرعون لان الدرك الاسفل اشد العذاب وقد قال عز من قائل ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب وقيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض قال الجوهري ابو حاتم
جمع الادراك ادراك كفرس قال ولن تجد لهم نصيرا احتج ابهنا على اهل الشفاعة في اهل النفاق والفساق من اهل القبلة
لانه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل نفي الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زاجرا عن النفاق مع انه نفاق ثم
استثنى منهم التائبين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله
ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جذب المنافع ودفع المضار تغير عن التوبة واصلاح العمل سريعا اذا كان مطلوبه
مرضاة الله وسعادة الآخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة ولم يتغير عنها وعند حصول الشرائط قال فاولئك
مع المؤمنين ولم يقل المؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين بقوله
وسوف يؤت الله المؤمنين ثم نبه على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما يرجع على المكلفين فقال ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم لان تعذيب بعض الملوك الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او لدرك الثار او لجلب المنافع او لدفع المضار وانما
هذه الامور في حقه تعالى محال وانما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى فمن امتثل
واطاع فكيف يليق بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفي ان فاعل الشكر
والايمان هو العبد والانصار تقدير يوما يفعل الله بعذابكم بان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب
سلم انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب ولا بالاثابة ولكن وقوع البعض في مظاهر اللطف والبعض في مظاهر القهر ضروري
كما سبق وايضا انتهاء الكل الى ارادته وخلقه وتكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة فيؤل المعنى الى انه تعالى لا يعذبكم
ان كنتم مظاهر اللطف وهذا كلام في غاية الصحة قال في الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة
فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن واقول ولم يكن الواو للترتيب فلا سؤال وان كانت للترتيب فلعله
انما قدم الشكر في هذه الآية خلاف اكثر الآيات التي قدم الايمان فيها على العمل الصالح وهو الاصل لان الآية مسوقة
في عرض المنافقين ولم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع في بواطنهم وافعالهم التي يصدر عنهم غير مطابقة للقول
اللساني فكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون اقواله وافعاله
على نهج سداد وسنن الاستقامة وكان الله شاكرا مثيبا على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا وفيه انه يجزي على العمل القليل
ثوابا كثيرا عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم بل كما يليق بكرمه وسعة
فضله ومرحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر منافيا للكرم والرحمة ظاهرا ذكر ما يجري
مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر بالسوء الآية يعني انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المسلمون
الذين عظم ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وايضا ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكد يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما صدر عنه
في الماضي فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مذموم وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه وعاد الى نفاقه قالت
المعتزلة في الآية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله عبارة عن ارادته وقالت الاشاعرة المحبة
عبارة عن ايصال الثواب على الفعل وحينئذ يصح ان يقال ارادة وما احبه قال اهل العلم انه لا يحب الله الجهر بالسوء
ولا غير الجهر ولكنه ذكر رجحا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا اما التبين
واجب في الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء فيه متصل او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره لا
جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الجهر يعني المجاهر اي لا يحب الله المجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني المعنى لكن المظلوم
له ان يجهر بظلامة ما لا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يرفع صوته بالدعاء على من يظلمه وقال مجاهد له ان يجهر
بظلم ظالمه وقال الاصم لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكنونة خذوا من الغيبة والريبة لكن له اظهار ظلمه بان
يذكر انه سرق او غصب وقال الحسن ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد ان ضيفا تضيف قوما فاساؤا قراه فشكاهم فنزلت الآية رخصة
في انه يشكو وقرأ الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل فقيل هو كلام منقطع عما قبله

والناس جمع الدرك
ادراك كفلس وافلس
ثم قال
ح

اي ضيفا مثله لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فانه الله
ولا يقول الا الحق ولا يقذف مستورة مرتب عليه العفو قوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهي اشارة الى ايصال النفع او تعفوا
عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر وعلى هذا انه مدار المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا غفورا وفيه وجوه قال الحسن اي يعفو
عن الثار مع قدرته على الانتقام عليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل يعفو لمن عفى واصلح بايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه
ان الله قدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك في الخبر ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه شتمه رجل فسكت مرارا ثم رد عليه
فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابي بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت فقال ان ملكا كان يجيب عنك فلما
رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلما اجلس عند مجيء الشيطان قال ثم انه سبحانه تكلم بعد ذلك باحوال المنافقين في مذهب
اليهود والنصارى والباطنية وذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء دون بعض فسلكهم في سلك من لا يقر بالوحدانية
ولا بالنبوة وهم الذين يكفرون بالله ورسله وفي سلك من يقر بالوحدانية وينكر النبوات وهم الذين يريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله في الايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود امنوا بموسى والتورية وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والفرقان
فامنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض وارادوا ان يتخذوا بين ذلك بين الايمان بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اي واسطة اولئك
اي الطوايف الثلث هم الكافرون اما الطايفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب الانبياء عليهم السلام وانكارهم
يستلزم تكذيب الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما الطايفة الثالثة فلان دليل الدال على نبوة بعض الانبياء
عليهم السلام هو المعجزة ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز والقدح في بعض من يظهر على يده المعجز هو القدح في كل نبي
فقيل وجب انه يلزمهم الكفر بكل الانبياء ولكن ليس اذا توجه الالزامات على انسان لزم ان يكون ذلك الانسان قائلا به
فالزام الكفر غير والتزام الكفر غير فالجواب ان الالزام اذا كان خفيا يحتاج فيه الى فكر وتامل فلا كما ذكرتم اما اذا كان جليا
واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد قائم حقا اي اخبرتك بهذا المعنى
فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب بان الحق ههنا الكامل الراسخ الثابت ثم ختم النوع بوعد المؤمنين ومعنى بين
احد من اثنين منهم او جميعا عند لان احدا في سياق النفي يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعيد لا التاخير المجرد ولهذا قال
سيبويه لن افعل نفي سوف افعل فالمعنى ان ايتاء الاجور كائن لا محالة ثم ان تاخر ثم ان شكرتم نعم الله عليكم وآمنتم انفسكم
من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ومن لا من الخواطر من الاخص الا
من ظلم اي يعفوا من دواعي البشرية اختيارا او ابتلاء او اضطرارا من اضطر به وايضا لا يحب الله الجهر بالقول من السوء الا
بافشاء السر الربوبية واظهار الالهية او يكشف القناع من مكنونات الغيب ومصونات غيب الغيب الا من ظلم بغلبات
الاحوال وتعاقب تعلقات الجلال والجمال فاضطر الى القال والمقال بالسان زيني لا بالسان الاناني انا الحق وسبحاني ان تبدوا
خيرا مما كنتم من الالطاف الحق تنبيها الى الخلق وافادة الحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشراب وقطاعها من المشارب
او تعفوا عن سوء مما يدعوا اليه هواء النفس الامارة او تركوا اعلان ما جعل الله فان الله كان عفوا منكم عفوا متخلفا ان الذين
يكفرون فيه اشارة الى ان الايمان لا ينقص وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت فيزيد وينقص
بسعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن بحيث يؤخذ منه في شيء آخر عند ذي الشمس والله اعلم بالصواب

يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل

وان تاخر والله اعلم الناويل ان
المنافقين يخادعون الله في
الدنيا الا يخادعهم والازل
حين دش نور وتناهره
ع

من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم
ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا
منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا
غلف بل طبع الله عليها فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم
على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم
الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله
عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم

اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا
اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين
الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم
الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب و
يونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا
قد قصصناهم عليك من قبل رسلا لم نقصصهم عليك و
كلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا
حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا

عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا

از راه خدای بحقیقت گمراه شدند گمراهی دور هر آینه آنان که کافر شدند

وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا

وستم کردند نباشد خدا که بیامرزد ایشان را ونه راه نماید ایشان را راهی

الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا

مگر راه دوزخ جاودانه در آن همیشه وهست آن بر خدای آسان

القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون العين ابو جعفر ونافع غير ورش مفتوحة العين مشددة بل طبع بالادغام علي وهشام وابو عمرو وعن حمزة بل رفعه مظهرا وبابه الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف وقتيبة الباقون بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة وخلف الباقون بالفتح **الوقوف** نظلمهم لان ثم لترتيب الاخبار مع ان ما د الكلام متحد عن ذلك لان التقدير وقد آتينا بينا غليظا غلف قليلا للعطف عظيما لان التقدير وفي قولهم رسول الله لان ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم منه الظن لاحتمال الاستيناف والحال يقينا للعقد بل نفي القتل باثبات الرفع اليه حكيما قبل موته لان الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا للاية لان قوله فبظلم راجع الى قوله فبما نقضهم وقولهم متعلق حرمنا كثيرا بالباطل اليما واليوم الآخر عظيما من بعده للعطف مع تكرار الفعل وسليمان لان التقدير وقد آتينا القصص داود بايتاء الزبور زبورا لان التقدير وقصصنا رسلا عليك تكليما لاحتمال البدل والنصب على المدح الرسل حكيما بعلمه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال يشهدون شهيدا بعيدا طريقا ابدا يسيرا **التفسير** هذا نوع ثامن من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فائتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالالواح وقيل اقترحوا ان ينزل عليهم الى فلان وكتاب الى فلان بانه رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل فان استكبرت ما سألوه فقد سألوا يعني سأل آباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وانما كان سؤال الرؤية اكبر من سؤال تنزيل الكتاب لان التنزيل امر ممكن في ذاته بخلاف رؤيته الله عيانا فانها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة وممتنعة في الدنيا عند غيرهم وفي قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجوه احدها ان البينات الصاعقة لانها تدل على قدرة الله وتعالى وعلى علمه وعلى قدمه وعلى كونه مخالفا للاجسام والاعراض وعلى صدق موسى عليه الصلوة والسلام في دعوى النبوة وثانيها انها انزال الصاعقة واحياؤهم بعد اماتتهم وثالثها انها الآيات التسع من العصا واليد وفلق البحر وغيرها ومحوى الكلام ان هؤلاء يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء فاعلم انهم لا يطلبونه منك الا عنادا ولجاجا فان موسى عليه السلام قد انزل عليه هذا الكتاب وانزل عليه سائر المعجزات القاهرة ثم انهم طلبوا الرؤية على عبادة العجل وكل ذلك يدل على تسلطا ظاهرا وهو ان امرهم بقتل انفسهم والمراد قوة امره وكمال حاله وكثرة خصومه ففيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الكفار الذين يعاندونه فانه بالاخرة يستولي عليهم ويقهرهم ثم حكى شنائع جهالاتهم واصرارهم على اباطيلهم منها انه تعالى رفع الطور بميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ومنها ضمنه دخولهم الباب باب بيت المقدس ومنها قصة اعتدائهم في السبت باصطياد السمك وقد مر جميع هذه القصص في سورة البقرة وقيل ان العدو ههنا ليس بمعنى الاعتداء وانما هو بمعنى الحضر والمراد به من العمل والكسب يوم السبت كانه قيل لهم اسكنوا عن العمل في هذا واقعدوا في منازلكم فاني الرازق ثم اخذنا منهم ميثاقا غليظا اي العهد المؤكد غاية التوكيد على ان يتمسكوا بالتورية ويعملوا بما فيها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد اي فبنقضهم وبسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا اوعية للعلم وتنبيها على انه تعالى ختم عليها فلهذا لا يصل اثر الدعوة والبيان اليها او تكذيبا لادعائهم ان قلوبنا في اكنة وذلك بحسب تفسيري الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى والتورية على زعمهم والا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الانبياء فالقلة في الحقيقة بمعنى العدم وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب وكذا نسبة انكارهم نبوة عيسى كفر ورميهم مريم بهتانا عظيما لانه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم

علي براء

على براءتها من كل سوء وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وانه تعالى جعل الذكر الحسن مكان القبيح الذي كانوا يطلقونه عليه من الساحر والفاعل ابن الفاعلة وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه اي المقتول لهم لدلالة ذكر قتلنا على المقتول او يكون شبه مسندا الى الجار والمجرور وهو لهم اي وقع لهم التشبيه ولا يجوز ان يكون في شبه ضمير المسيح لانه المشبه به وليس بمشبه قال اكثر المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة مع الناس وقيل ان اليهود لما علموا انه في البيت الفلاني مع اصحابه امر يهودا راس اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله فلما دخل عليه اخرج الله تعالى عيسى من سقف البيت والقى ذلك على الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا انه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل وكلوا بعيسى عليه السلام رجلا يحرسه وصعد في الجبل ورفع الى السماء والقى الله الشبه على ذلك الرقيب وهو يقول لست عيسى وقيل ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فهمّوا باخذه فلما هموا باخذه وكان معه عشرة من اصحابه قال لهم من يشتري الجنة بان يلقى عليه شبهي وقال واحد منهم انا فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه فاخرج وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجلا يدعي انه من اصحابه وكان منافقا فذهب الى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لاخذه القى الله شبهه فقتل وصلب ان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه ونظروا الى بدنه قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلثة النسطورية والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء ان القتل والموت يرد على الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين ان نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن وقالت الملكانية القتل وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل والصلب وقعا للمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والشك والاحكام استواء طرفي نقيضه عند الشاك وقد يطلق عليه الظن ولهذا ذم في قوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن واما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لانه عمل بالطرف الراجح ولان العلم يوجب العمل قطعي ثم قال وما قتلوه يقينا وانه يحتمل عدم يقين القتل اي قتلا يقينا او متيقنين واليقين عقد جازم مطابق ثابت لدليل ويحتمل يقين عدم القتل على ان يقينا تاكيد لقوله وما قتلوه اي حق انتفاء قتله حقا ولهذا اولى لقوله بل رفعه الله اليه وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما اذا تبالغ فيه علمه فيكون تهكما بهم لانتفاء عنهم العلم او لا تقيا كليا ثم نبه بقوله وكان الله عزيزا حكيما على ان رفع عيسى الى السماء بالنسبة الى قدرته وحكمته سهل وان فيه من الحكم والفوائد ما لا يحصيها الا هو ثم قال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته فقوله الا ليؤمنن جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف وان هي النافية التقدير وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن كقوله وما منا الا له مقام معلوم والضمير في به عائد الى عيسى وفي موته الى الاحد عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية من القرآن ما انا في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني لاوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها وعن ابن عباس رضي انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل يضرب عنقه قال لا تخرج روحه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذه الاخبار الوعيد والزام الحجة للبعث على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع لانه اذا لم يكن له من الايمان به فلان يؤمنوا به حال التكليف ليقع معتدا به اولى وقيل الضميران في به وفي موته لعيسى والمراد باهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر

الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله المسيح الدجال ويقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم توفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين قوله ينبغي ان يكون هذا عند ارتفاع التكاليف او بحيث لا
يعرف اذ لو نزل مع بقاء التكليف على تقدير ان يعرف انه عيسى فاما ان يكون نبيا ولا نبي وعزل الانبياء ولا يجوز واجيب بانه
كان نبيا بعث محمد صلعم وبعد ذلك فلما رفع الى ربه فلا يلزم عزله فلا يبعد ان يصير بعد نزوله تبعا لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال في الكشاف ويجوز ان يراد انه لا ينبغي لاحد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك
الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمان وقيل الضمير في يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد
صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بانهم كذبوا وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
وكذلك كل نبي شاهد على امته قوله فبظلم التنوين للتعظيم يعني فباي ظلم من الذين هادوا والذنوب نوعان الظلم على
الخلق وهو قوله فبظلم والاعراض عن الدين الحق وهو قوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا ومن هذا القبيل اخذ
الربوا بعد النهي عنه واكل اموال الناس بالباطل اي بالرشى على التحريف فهذه الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا
والاخرة اما في الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية واما في
الاخرة فقوله واعتدنا للكافرين عذابا اليما واعلم ان في متعلق عليه قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الاول انه محذوف
والتقدير فبنقضهم وبكذا وبكذا لعناهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استانف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوفات
بعده الثاني ان يتعلق الكل بحرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قال الزجاج ورجح الاول بان حذف المتعلق لتخويف
الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظام تلك لو جعل قوله واعتدنا
معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال اما تكرار الكفر في الاية ثلث مرات ويلزم من عطف الثالث على الاول او على الثاني
عطف الشي على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله
عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين
نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل
عيسى عليه السلام عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ثم وصف طريقة المؤمنين
المحققين منهم فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت في العلم وثبت وايقن واستبصر
حتى حصل له المعارف بالاستدلال واليقين دون التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل
فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يريد المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار والراسخون مبتداء ويؤمنون خبره
اما قوله والمقيمين الصلوة ففيه اقوال الاول روي عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمه
العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن
ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون رفع على المدح لبيان فضل الزكوة
كقولهم جاني قومك اعني المقيمين والصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر وطعن الكسائي في هذا القول
على ان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو قوله اولئك الى الاخر منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون و
لو سلم فما الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتداء او الخبر الثالث وهو اختيار الكسائي ان المقيمين خفض للعطف
على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لم ينقل شرع واحد منهم من الصلوة قال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات
واقام الصلوة والملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء الثلثة اقسام العلماء باحكام الله وتكاليفه وشرايعه
والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة واحوال المبداء والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل وبما
يجب العمل به وهم الراسخون في العلم والفهم كابر العلماء والاقسام الثلثة اشارة بقوله صلى الله عليه وسلم جالس العلماء
وخالط الحكماء ووافق العقلاء اللهم اجعلنا من زمرتهم يا مستعان ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سوال اليهود
وهو اقتراح نزول الكتاب فقال انا اوحينا اليك الاية بدا بنوح عليه السلام لانه اول من شرع الله من انبيائه من
الاحكام الحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم ولم يذكرهم
الانبياء

المقيمين عطف على المؤمنين ... [illegible]

موسى لان المقصود من تعداد هؤلاء الانبياء عليهم السلام انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما انزل عليه كتابا مثل التورية
دفعة واحدة ثم ختم ذكر الانبياء بقوله واتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله وانه ما نزل على داود
جملة واحدة وهو الزام حسن قوي والزبور كتاب داود عليه السلام ومن قرا بضم الزاء فعلى انه تعالى لما ذكر احوال بعض
الانبياء في القرآن والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب والمراد
انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام بشرف التكليم ولا يلزم منه الطعن في ساير الانبياء ولا يلزم الطعن
بانزال التورية عليه دفعة واحدة وانزال غيرها على غيره مفصلا رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يعني ان المقصود من بعثة الانبياء
احكام التكاليف بالانذار والتبشير ولا يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتاب وقد يكون انزال الكتاب مفرقا اقرب الى
المصلحة لانه اذا انزل جملة كثرت التكاليف فيثقل القبول كما ثقل على قوم موسى ثم ختم الاية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى
ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه اما هنا في القدرة وكذلك الحكمة يقتضي هذا الامتناع لانه لو جعل ذلك
لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالاية على ان معرفته لا تثبت الا بالسمع لقوله لئلا يكون للناس عليكم
على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف وقالت المعتزلة بان الرسل منبهون عن
الغفلة وباعثون على النظر فكان ارسالهم ازاحة للعذر وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدنيا وبيان احوال التكليف وتعليم
الشرايع فالمعتزلة قالوا في الاية دلالة على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون
عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض ايضا قالوا الاية تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول
اهل السنة انه لا اعتراض لاحد عليه واجيب بانه يشبه الحجة وليس بحجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد بدل من مستدرك
لان لكن لا يبتداء به وفي ذلك الستدراك وجهان احدهما ان هذه الايات باسرها جواب من قول اليهود لو كان نبيا لنزل
عليه الكتاب جملة ولهذا الكلام تضمن الى هذا القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد عليه
بانه تلك نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك بذلك فنزل
لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث عجز عن معارضته الاولون والاخرون يشهد لك بالنبوة بواسطة
هذا القرآن الذي انزله عليك ثم فسر ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب
علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بالكامل بكمال الفضل اذا صنف كتابا واستقصى
في تحريره انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف ذلك الكتاب او انزله وهو عالم
به رقيب عليه حافظ من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لانهم لا يسبقونه بالقول فشهادته يستتبع شهادتهم
ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى بالله شهيدا
وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل
عليه القرآن دفعة كما نزلت التورية على موسى وكقولهم ان الشريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون
وداود وقد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية الضلال قد ان يضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان بعثته او
عوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا انهم لا يسلكون الا الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم
القيامة الا طريقها والعاملين في خالدين معنى لا يهديهم اي يعاقبهم او يدخلهم النار خالدين فيها وكان ذلك على الله يسيرا لانه لا صارف
له عن ذلك ولا يتعذر عليه ايصال الالم اليه بعد شيئا الى غير النهاية واللام في الذين اما قوم معهودين علم الله منهم انهم
يموتون على الكفر واما للاستغراق فيجب ان يضمر شرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على اصحاب الكبائر بناء
على انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة التاويل ارنا الله جهرة لعل
ضربه موسى لن تراني كانت اليوم بشوم القوم وما كان في انفسهم من سوء ادب هذا السوال لئلا يطمعوا في مطلوب
لم يعطهم فلما انعطوا عجلا له بينهم لانهم كانوا اشقياء مردودين والسعيد من وعظ بغيره فكما زاد عنادهم زاد بلاؤهم
وابتلاؤهم كرفع الطور فوقهم وغير ذلك قال اهل الايمان شارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات
احلت لان واجهم الطيبين قبل القلوب بقدر المخالفات والاسراف في المباحات يستتبع مرصاد المنامات والقربات
لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدمي الصدق والعمل في العلم الى ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت

تفصيل ٥

علومهم الكسبية بالعلوم العطائية واللدنية انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اى بكل ما اوحينا اليهم
اوحينا اليك سوى ما اوحى الى عبده ما اوحى ورسلا قد قصصناهم من قبل اى ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك الآن في
القران منفصلة انزله بعلمه على الصفة العلمية حتى علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة فان لم يكو
نعك في الخلوة وكفى بالله شهيدا على ما يجرى فلكان ما كان سوا لا ابوح به نطق حرا ولا تسئل عن الخبر والله تعالى اعلم بحقيقة الامور

يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا
اى مردم بحقيقت آمد بشما پيغمبر براستى و درستى از پروردگار شما پس ايمان آريد
خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض و
كان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله وكلمته القيها الى مريم وروح منه فامنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله
واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا و
عملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما
الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم

برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين
امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه و
فضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك في
النساء قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له
ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن
لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان
كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم
بيدا ميكند خداى شما را تا گمراه نشويد و خداى بهمه چيز داناست

القراءة فسيحشرهم بالنون المفضل الباقون بالياء الوقوف خيرا لكم والارض حكيما الا الحق
وكلمته للاستيناف مع اتحاد المقصود وروح منه لعطف المختلفين ولكن فصل الايمان مع ابقاء البيان ورسله
ثلثة خيرا لكم اله واحد ولد لان النفي منه مطلق الولد ولو وصل وهم ان المسلمون وكذ موصوف بان لله ما في
السموات وما في الارض وكيلا المقربون جميعا من فضله اليما ولا نصيرا مبينا وفضل للعطف مستقيما
يستفتونك الكلالة ما ترك لان ما بعده مبتدا ولكن الكلام متحد البيان لها ولد لان جملة الشرط تعود الى قوله
فلها النصف وبينهما عارض مما ترك لابتداء حكم جامع الموصوفين اثنين ان تضلوا عليم التفسير لما بين مفتريات
النصارى واليهود واجاب عن شبههم عمم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق اى القران والقران
تكون حقا وبالكتاب من عند الله فاعرض عن غيره وهذا والذى تشهد لها العقول السليمة فامنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر
وكذا في انتهوا خيرا لكم ولان المقصود الحث على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحمله على امر بمعنى اقصدوا وانتهوا خيرا
لكم مما انتم عليه من الكفر وهو من التثليث وهو الايمان بالله ورسله والايمان لا شك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة
كلها به وقيل انه منصوب على خبر يكن اى يكن الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يذهب الوهم الى غيره بقرينته وان تكفروا
فان الله غنى عنكم لانه مالك الملك او قادر على نزول العذاب لان الكل تحت قهره وتسخيره وله عبيد اخر غيركم وكان الله
عليما باحوال العباد حكيما لا تضيع اجر المحسنين ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبه اليهود خاطب النصارى ومنعهم
عن الغلو في الدين وهو الافراط في شان المسيح في ان اعتقدوه الها الانبياء وحثهم على ان لا تقولوا على الله الا الحق الذى
يحق وهو وصفه به وهو تنزيهه عن الحلول في بدن الانسان والاتحاد به والاتخاذ لصاحبة وولد انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته وجوده امره من غير واسطة اب ولا نطفة القاها اى الكلمة الى مريم اى اوصلها اليه وحصلها فيه و
روح منه اى ظاهر كلطيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله او سمى بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كما لم يكن

يسمى القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح منه ولاشك ان
وجود النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للامة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم
انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو الريح يعني ان النفخ من جبريل عليه السلام كان امر الله تعالى فهو منه والتنكير للتعظيم اي
روح من الارواح الشريفة القدسية العالية وهو منه اضافة لذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فامنوا بالله ورسله اي امنوا
به كايمانكم بساير الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلثة هي خبر مبتدأ محذوف ان الله ثلثه ان كان معتقدهم ان الذات
جوهر واحد وانه ثلثه بالصفات ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب واقنوم الاهو واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة والالهة ثلثه ان كان في اعتقادهم انها ذوات قائمة بانفسها الاب
والام والابن ولعل القولين مرجعهما الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانتقال والحلول في عيسى وفي مريم وقد
جعلوها مستقلة بانفسها وهذا الزم الكفر والشرك والا فمجرد اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فالاشاعرة
اثبتوا لله تعالى صفات ثمان قدماء انتهوا عن التثليث واقصدوا خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه
سبحانه ان يكون له ولد سبحانه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به عيسى اتصال الابناء بالاباء ولكن من
حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جسدا حيا من غير اب له ما في السموات وما في الارض فكيف يكون بعض ملكه جزءا
منه على ان الجزء انما يصح في المتجزي عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا
واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات وحفظ المحدثات فلا حاجة بهم الى القول باثبات اله آخر مستقل او مشارك قال
الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء تقول قالوا تقول
انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار بعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله و
التحقيق ان الشبهة التي عليها يعولون في دعوى انه ابن الله هي انه كان يخبر بالمغيبات وياتي بخوارق العادات كاحياء
الاموات فقيل لهم لن يستنكف المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة من عبودية الله تعالى فان الملائكة المقربين
اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حمل العرش مع عظمه ثمانية منهم ثم انهم لم يستنكفوا من كونهم عباد الله
تعالى فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويانف والتركيب يدور على التنحية والازالة من ذلك نكفت الدمع انكفه
اذا نحيته عن خدك باصبعك ونكفت عن الشيء اي عدلت والقايلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الآية وقد تقدم
الاستدلال بها والجواب عنها والبحث عليها في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم اما قوله ولا الملائكة
فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز بعضهم عطفه على الضمير في يكون او في عبدا بمعنى الوصفية فيه فيكون المعنى ان المسيح
لا يانف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يانف ان يعبد الله هو والملائكة وفي المعنيين انحراف عن
الغرض فالاول اولى والمراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره ايضا عبدا او يكون الخبر عبادا وحذف لدلالة عبدا عليه
ومن يستنكف عن عبادته فسيحشرهم اليه اي يجمعهم يوم القيامة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر
ما فعل بهم بل ذكر اولا ثواب المؤمنين المطيعين فسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل
على فريق واحد فاجاب في الكشاف بان هذا كقولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به
فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل اليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في
قوله فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به او قدم ثواب المؤمنين توطئة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فيعذب فسيعذب بالحسرة اذ راى اجور العاملين وسيعاقب مع ذلك بما يصيبهم من العذاب اقول لو جعل الضمير في
قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس كما لم يحتج الى هذه التكلفات ويحصل الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز في القرآن
كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها الناس
قد جاءكم برهان الآية يحتمل ان يراد بالبرهان والنور كليهما القرآن ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد صلى الله عليه وسلم
لانه يقيم البرهان الآية يحتمل ان يراد بالبرهان والنور على تحقيق الحق وابطال الباطل وبالنور المبين القرآن لانه سبب
لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين آمنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا به تمسكوا
بدينه او لجاوا اليه في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس

الرحمة الجنة والفضل ما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اي الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين
الحنيفي والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد بالرحمة والفضل اللذات الحسية الباقية وبالهداية اللذات الروحانية
الدائمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بداها به وهو احكام المواريث فقال يستفتونك الآية قال اهل العلم ان الله
تعالى انزل في الكلالة ايتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه ولهذا يسمى آية
الصيف عن جابر قال اشتكيت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت
يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال فاجلس فقلت الشطر قال اجلس ثم خرج وتركني قال ثم دخل فقال يا جابر اني لا اراك
تموت في وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين وروي انه اخر ما نزل من الاحكام
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها
ان ماتت فنزلت هذه وقد تقدم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى المورث وهو الذي
لا ولد له ولا والد ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ
غير ذي ولد اعلم ان ظاهر الآية مطلق ولا بد فيه من تقييدات ثلثة الاول ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه
هو الذي يسقط الاخت واما البنت فلا يسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى
في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا
فللبنت النصف والباقي للاخت بالعصوبة الثاني بان ظاهر الآية يقتضي انه اذا لم يكن للميت ولد فان الاخت تاخذ
النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا والد لان الاخت لا ترث مع الوالد بالاجماع
الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر حكمهما
في اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي واخوها يرثها ويستغرق مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه
بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين او من الاب
اما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا يسقط الاخ لقوله
عليه السلام الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم قال وان كانتا يعني من يرث بالاخوة
اثنتين فانث وثنى باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك وكذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة واراد بالاخوة الاخوة والاخوات
لكنه غلب جانب الذكورة روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته الا ان الآية التي انزلها الله في سورة النساء في
الفرايض اولها في الوالد والولد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات
من الاب والام والتي ختم بها الانفال في اولي الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون المضاف محذوف اي كراهة
ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني صاحب النظم بين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها والله بكل
شيء عليم فيكون بيانه حقا وتعريضه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما انه ابتداها بكمال القدرة فبهما تتم الالهية
ويحصل الترهيب والترغيب للعاصي والمطيع والله المستعان التأويل فان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني
ان تؤمنوا يكن لكم ماله وان تكفروا فالكل له لا تغلوا في دينكم لا تميلوا الى طرفي التفريط والافراط فاليهود فرطوا في
شانه فلم يقبلوه نبيا وهموا بقتله والنصارى فرطوا في حبه فجعلوه ابن الله وكذلك كل ولي له سبحانه
يسعى بترك احترامه وطلب اذيته وقوم بالزيادة في اعظامه حتى يعتقد فيه ما ليس يرضى به كالخوارج والغلاة من الشيعة
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم وروح منه لانه يكون باسر كن من غير واسطة
اب كما ان الروح يكون كذلك قل الروح من امر ربي ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيي الاجساد الميتة اذ ينفخ فيها
وهذا الاستعداد الروحاني الذي هو من كلمة الله مركوزة في جبلة الانسان فمن يخلص جوهر روحانيته من معدن بشريته
في انسانيته يكون عيسى وقته فيحيي الله تعالى بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به اذانا صما واعينا عميا فيكون في قومه
كالنبي في امته ولا تقولوا ثلثة يعني نفوسكم والرسول والله بل انتهوا بنظر الوحدة عن رؤية الثلثة فينكشف لكم انما الله
اله واحد سبحانه ان يكون له من يحتاج اليه من شيء لما لموجود الحقيقي القايم الدايم اولا واخرا وظاهرا وباطنا كل شيء هالك الا
وجهه وكفى بالله وكيلا لكل هالك لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله لان العبدية هي حقيقة لامكان الذاتي واجبه

له وهنا نطق في المهد بقوله اني عبد الله ولا الملائكة المقربون انما ذكرهم لان بعض الكفار كانوا يقولون الملائكة
بنات الله كما قالت النصاري المسيح ابن الله قد جاءكم برهان حل العقد النبي برهانا الا انه برهان بالكلية وبرهان عيسى
كان في اشياء غير اقسام مثل ما كان برهان موسي في عصاه فمن ذلك برهان بصره ما زاغ البصر وما طغي ومنه برهان انفه
اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومنه برهان لسانه وما ينطق عن الهوي وبرهان بصاقه بصق في العجين وفي البرمة
فاكلوا من ذلك وهم الف حتي تركوه والبرمة تفور كما هي العجين وفي البرمة فاكلوا من ذلك وهم الف حتي تركوه والبرمة
تفور كما هي والعجين يخبز وبرهان تفله تفل في عين علي كرم الله وجهه وهي ترمد فبراء باذن الله وذلك يوم خيبر وبرهان
يده وما رميت اذ رميت وسبح الحصي في يده وبرهان اصبعه اشار بها الي القمر فانشق فلقتين وقد جري الماء من بين اصابعه
حتي شرب ونفع منه خلق كثير وبرهان صدره كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل الم نشرح لك صدرك وبرهان
قلبه تنام عيناي ولا ينام قلبي نزل به الروح الامين علي قلبك وبرهان كله سبحان الذي اسري بعبده اللهم ارزقنا
الاقتباس من هذا البرهان والاقتباس من انوار القرآن انك رؤف المنان وحليم الديان الحنان

سورة المائدة مدنية ايها مائة وعشرون كلمها الفان وثمانمائة واربع وفيها احد عشر الفا وثلثة وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة
الانعام الا ما يتلي عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم
ان الله يحكم ما يريد يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد
ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا و
اذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم
عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوي ولا
تعاونوا علي الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد

العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما
اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح علي النصب وان تستقسموا
بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم
يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما
امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله
سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم و
المحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن
اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر

بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يا ايها
الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان
كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او
جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا
ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم
وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله
عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم
سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين امنوا و
عملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا و

وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف
ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة وروي عن ويس الباقون بثقلة شنان في الموضعين بسكون النون ابن عامر واسمعيل وابو بكر رضي الله وحماد ويزيد طريق ابو وردا الباقون بالفتح ان صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمرو الباقون بالفتح ولا تعاونوا بالتشديد التاء البزي وابن فليح الميتة فمن اضطر كما مر في البقرة واخشوني بالياء في الوقف سهل ويعقوب وارجلكم بالنصب ابن عامر ونافع وعلي والمفضل وحفص ويعقوب والاعشى في اختياره الباقون بالجر الوقوف بالعقود لاستيناف الفعل جزم ما يريد ورضوانا الابتداء النهي ان تعتدوا للالتوام العطف وحذف النابس تعاونوا والتقوى لعطف المتفقين والعدوان كذلك واتقوا الله شديد العقاب بالازلام فسق واخشون دينا لان الشرط من تمام التحريم لاثم لا الان ما بعده جزاء رحيم احل لهم فصلا بين السؤال والجواب الطيبات للعطف اي وصيدما علمتم مما علمكم الله لفاء التعقيب مع عطف المختلفين عليه واتقوا الحساب الطيبات لان ما بعده مبتدا لكم لعطف المتفقين لكم لهم لان قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه اخدان عمله لعطف المختلفين مع ان ما بعده من تمام جزاء الكفر مع الخاسرين الكعبين لابتداء حكم فاطهروا كذلك وايديكم منه تشكرون واثقكم به لان اذ ظرف المواثقة واطعنا العطف المتفقين مع وقوع العارض واتقوا الله الصدور بالقسط لعطف المتفقين مع زيادة النون تاكيدا المؤذن بالاستيناف ان لا تعدلوا للاستيناف اعدلوا الواقفه لطيفة لان الضمير مبتدا مع شدة اتصال المعنى للتقوى واتقوا الله بما تعملون الصالحات لان ما بعده مفعول الوعد اي ان لهم عظيم الجحيم ايديهم عنكم لاعتراض الظرف بين المتفقين واتقوا الله المؤمنون

التفسير وفي بالعهد واوفى به بمعنى والعقد وصل شيء بالشيء على سبيل طريق الاستيناف والاحكام والعهد الزام مع احكام والمقصود من الايفاء بالعقود اداء تكاليفه فعلا وتركا والتحقيق ان الايمان معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فكانه قيل يا ايها الذين امنوا التزمتم بايمانكم انواع العقود اوفوا بها ومعنى تسمية التكاليف عقودا انهم مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالحبل الموثوق قال الشافعي اذا نذر يوم صوم العيد او نذر ذبح الولد لغا لقوله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفه رحمه الله يجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا بالعقود وخصص الشافعي امام الآية بقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ابو حنيفه الجمع بين المطلقات حرام فان النكاح من العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح وقال اوفوا بالعقود ترك العمل في الطلقة الواحدة بالاجماع فيبقى سائرها على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم انه سبحانه لما مهد قاعدة الكلية ذكر ما يندرج فيها فقال احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر اذا اشكل وهذا باب منهم اي مسدود ثم خص هذا بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام هي المال الراعية من الابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الانعام الحافر لانه ماخوذ من نعومة الوطء واضافة البهيمة الى الانعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة هنا لفظ البهيمة مع صحة ما لو قيل احلت لكم الانعام وقال في سورة الحج هي فائدة الاجمال ثم التبيين واما وحد البهيمة لانها اسم جمع يشتمل افرادها وجمع الانعام لان النعم مفرد يقع على الاكثر على الابل وحدها وقيل المراد بالبهيمة شيء وبالانعام شيء اخر وفي هذا وجهان

احدهما ان البهيمة الضبا وبقرة الوحش ونحوهما من الوحوش ومايماثل الانعام ويدانيها من جنس الانعام وهو الاجترار وعدم الانياب فاضيفت اليها للملابسة الشبه الثاني انها الاجنة عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس جنينها وقال هذه بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وفي ذكره ذكاتها قال التنوية ذبح الحيوانات ايلام والايلام قبيح وخصوصا ايلام الحيوان فانه ذو حس وليس له حيث لا يقدر ان يدفع عن نفسها ولم يكن له لسان يحتج على من يقصد ايلامه والقبيح لا يرضى به الا له الروف الرحيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا فلقوة هذه الشبهة تزعم البكرية من المسلمين انه تعالى يدفع الم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة ان الايلام مما يقبح اذا لم يكن مسبوق الجناية وملحوقا بعوض وههنا يعوض الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات تصرف من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه وقال بعضهم احلت لكم بهيمة الانعام يحتمل الاحتمال ان يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها او عظمها او صوفها او اوبارها والجواب ان الاحلال الانصاف الى اللذات فبين ان الانتفاع بالبهيمة يشمل اقسام الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها لكم دفء ومنافع ومنها ياكلون يدل على الانتفاع بها كل الوجوه الا ذا الحق بالاية نوعين من الاستثناء الاول الاما يتلى عليكم اي الاتحرم ما يتلى عليكم اية تحريمه واجمع المفسرون على ان الاية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الاية الثاني قوله غير محلي الصيد وانتم حرم داخلون في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل مفرد فيه يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب و النصاب غير محلي الصيد على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاية غير محلين الصيد في حالة الاحرام وفي الحرم ثم كان لقائل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام في جميع الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض على حكمه سوال بلم وكيف ثم اكد النهي عن تكاليفه بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها جمع شعيرة فعيلة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعارة ثم المفسرون واختلفوا على قولين احدهما انها عامة في جميع تكاليفه وفيه قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني انها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال احرامكم من الصيد وقيل اعمال التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وقال الفراء كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من شعائر الحج فنهوا عن ترك السعي بينهما وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا التي يطعن في سنامها وتقلد ليعلم انها هدي وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الحطم واسمه شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي صلعم من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمرة القضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هو الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر الله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال زيد بن اسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء عن البيت كما صدنا اصحابهم فانزل الله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام اي قوما قاصدين اياه والمعنى لا تعتدوا على هؤلاء العمار ان صدكم اصحابهم والشهر الحرام شهر الحج اعني ذو الحجة والمراد رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او جرم ونحوه او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدي افرد للاختصاص بالفضل كجبرئيل وميكائيل ويحتمل ان ينهى عن التعرض للقلائد ليلزم النهي عن ذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواضعها وللمفسرين خلاف في الاية فذهب كثير منهم كابن مجاهد وابن عباس والحسن والشعبي وقتادة انها منسوخة وذلك ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا من حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا

مساجد الله وهؤلاء فسروا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم على شيء من الدين و ان الحج تقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقال الاخرون انها محكمة وانه تعالى امرنا الا نخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله اي ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالاية والكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا وظاهر الامر للوجوب الا انه يفيد ههنا الاباحة لانه لما كان المانع من حل الاصطياد هو الاحرام كقوله غير محلي الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم مثل كسب من حيث المعنى ومن حيث تعديته الى مفعول واحدة تارة والى مفعولين اخرى بقوله جرم دينا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الاية والشنان بالتحريك والتسكين مصدر شنئته وكلاهما شنان والتحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة و الاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من مصادر عليه قال الجوهري ومعنى الاية في لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء او لا يحملنكم بغضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرا بكسر الهمزة فهو شرط وجوابه ما دل عليه لا يجرمنكم ومن قرا بفتح ان فمعناه التعليل اي لان صدوكم قيل هذه قراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء او على كل ما يعد برا وتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الاسلام والمعنى او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد والحاصل ان الباطل والاثم لا يصلح لان يقتدى به ويعان عليه وانما امروا بالاقتداء به والتعاون عليه هو الخير والبر والتقوى وما فيه تقوى لله سبحانه ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في الحلال تجاوزا الى الحرام ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل الاستثناء الموعود تلاوته في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة ومجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قالت العقلاء الحكمة في تحريم الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا ياكلون الفصيد وهو دم كان يجعل في معا من فصد عرق ثم يشوى فيطعم الضيف في الازمنة ومنه المثل لم يحرم من فصد له البعير وربما يقال من قزد الثالث لحم الخنزير وقالت العلماء الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي ولا بد ان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته واما الغنم فانها في غاية السلامة وكانها عارية عن جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان الرابع ما اهل لغير الله به والاهلال رفع الصوت وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى وقد مر في سورة البقرة شان ما يتعلق بهذه الانواع الاربعة فليرجع اليها النوع الخامس المنخنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وقد يتخنق بحبل الصائد وقد يدخل راسها بين عودين في شجرة فيختنق فيموت وبالجملة فبأي وجه انخنق فهي حرام السادس الموقوذة وهي المقتولة بالخشب وقذها يقذها اذا ضربها حتى ماتت ومنها رمي بالبندق فمات السابع التي تقع في الردى وهو الهلاك وتردى اذا وقع في بئر وسقط من موضع مرتفع ويدخل فيه اذا ما اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الارض فانه يحرم اكله لانه لا يعلم ان زهوق روحه بالتردي الثامن النطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بسببه ولا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فافردت بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لانها صفات الشاة بناء على اغلب ما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما انث النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخل الهاء كقوله كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف غير مذكور تقول بامرأة قتيل فلان فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه التاسع ما اكل السبع وهو اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالاسد وما دونه قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه الله وفي الاية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكل السبع فقد ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم الذكاء في اللغة تمام الشيء فمنه الذكاء في الفهم وفي السن التمام فيهما والمذاكي الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وتذكية النار رفعها وقوة اشتعالها والتذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن وقتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع والمعنى انك ان ادركت

ذكوته بان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا تركض فادرك فذبح فهو حلال لان ذلك دليل الحياة المستقرة وقيل انه يختص بقوله
وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال ومن التحريم اي حرم عليكم ما مضى
الا ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح على النصب وهو مفرد وجمعه انصاب كطنب واطناب وكل ما نصب فعبد من دون الله قاله
الجوهري وضعف بانه حينئذ يكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة
منقوشة وهذه احجار كانوا يذبحون عليها الحادي عشر وان تستقسموا بالازلام ذلك فسق اي المنكر الخارج عن الحد
فسقا معنى الميسر الظاهر واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يحيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما يخرج منها هو ارشاد الاصنام واعانتها
فلذلك كان فسقا وكفرا قبيحا وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهي كالتعبير والفال وكما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات
ثم انه سبحانه حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم قيل ليس المراد يوما بعينه كالماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانا اليوم شيخا
وقيل المراد يوم معين حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم نقل انها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر و
النبي صلعم واقف على ناقته العضباء وعن ابن عباس انه قرا الآية ومعه يهودي فقال اليهودي لو نزلت علينا يوم لاتخذناه
عيدا فقال ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد يوم الجمعة وافق
يوم عرفة اي يئسوا من ان تحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله تعالى محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه حقق
وعده باظهار هذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشوني اخلصوا اي الخشية قيل في الآية
دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه علل اظهار هذه الشرائع بزوال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم
سئل هاهنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم مواظبا على الدين الناقص
اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدو اليوم كمل ملكنا وزيف بان السؤال باق لان ملك ذلك الملك
لا بد ان يكون قبل قهر العدو ناقصا وقيل المراد اني اكملت لكم دينكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وقوانين
القياس واصول الاجتهاد وضعف بانه لا يكمل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا يحتاجون اليه من الشرائع وتاخير البيان عن وقت
الحاجة غير جائز والمختار في الجواب ان الدين ابدا كان كاملا بمعنى ان الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة
او محملة او مبينة او غير ذلك بحسب ذلك الوقت وفي آخر زمان البعثة حكم ببقاء الاحكام على حالها من غير احكام نسخ وزيادة
ونقص الى يوم القيامة قال تعالى بقاء القياس اكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا فلا فائدة في القياس و
اجيب بان اكماله هو جعل المنصوص بحيث يمكن الحكم استنباط احكام نظائرها منها قالوا تمكين كل احد ان يحكم بما غلب على
ظنه لا يكون اكمالا للدين ويكون القاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل
بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله روي انه لما نزلت الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فرح الصحابة واظهروا
السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وغيره فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال وكان كما ظنوا فانه لم يعمر بعدها
الا احدا وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي صلى الله عليه وسلم
عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتجت الاشاعرة بالآية على ان الدين سواء قيل انه العمل والمعرفة او مجموع الاعتقاد
والاقرار والعمل لا يحصل الا بخلق الله وايجاده فانه ان يكون اكمال الدين الا واصله منه والمعتزلة حملوا ذلك على ان اكمال بيان
الدين واظهار الشرائع ثم قال واتممت عليكم نعمتي اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين
ورضيت اي اخترت لكم الاسلام دينا نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى هاهنا
اعتراض اكد به معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام للناس من بين سائر
الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي في مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف منصوب باضطر او بمضمر
والنصب نسيما ما ادركت ذكوته ومنه ما يقتل فلا تدرك وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فقال احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث
منها وهو ما لم يدل على تحريمه في كتاب وسنة او قياس مجتهد والحل لكم والاخلاق الجميلة واعلم ان الاصل في الاصول تخصيص الكتاب على
تحريمه كالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية وروي عن جابر انه قال نهانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كالنبيذ فانه مسكر كالخمر فيساوي
في التحريم الرابع كل ذي ناب وذي مخلب من الطيور وقد فسر معنى السبع عن قريب فلا يحل لوجب هذا
الاصل الكلب والاسد والذئب والفهد والنمر والدب وقد يصيد بنابها الا يحل من الطيور البازي والشاهين

والنسر والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير الخامس ما امر بقتله فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان ماكولا
لجاز اقتناؤه للتسمين واعداده للاكل وقت الحاجة ومنه الفواسق الخمس روي انه صلى الله عليه وسلم قال الخمس فواسق يقتلن
في الحل والحرم الحية والفار والغراب والكلب العقور والحداة السادس ما ورد النهي عن قتله فهو حرام لانه لو كان ماكولا
لجاز ذبحه ليوكل كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الخطاطيف وكذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش السابع
الاستطابة والاستخباث كما قال احل لكم الطيبات قال العلماء فيعد الرجوع الى طبقات الناس وتنزيل كل قوم ما يستطيبون
ويستخبثون لان ذلك يوجب اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف بوضع الشرع فالاولى بالامة بلاغتها الان هم
اولاد وليس لهم ترفه وتنعم ويورث تضييق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد دون اجلاف
البوادي الذي لا تميز لهم وايضا المعتبر اصحاب اليسار والترفه دون اصحاب الضرورات والحاجات وايضا المعتبر حال
الخصب والرفاهية دون حال الجدب والشدة والحشرات باسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعلان وحمار قبان
فانه عليه السلام قال لا اكله ولا احرمه ومن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان والنجسة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر
اذا تنجس بملاقاة النجاسة كالدهن والسمن والذائب والدبس والخل ومن الاصول الكسب بمخامرة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال
عند الشافعي ومن الاصول والسم والنبات المسكر او المجنن وقوله سبحانه وما علمتم من الجوارح معناه احل لكم صيد ما علمتم على
حذف المضاف لدلالة فكلوا مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون ما شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات
والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازي والصقر قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي
كسبتم وجوز بعضهم ان يكون من الجراحة وقال ان ما اخذ من الصيد فلم يسل منه دم لم يحل وانتصاب مكلبين على الحال
من علمتم وفائدة هذا الحال مع الاستغناء عنها بعلمتم ان معلم الجوارح ينبغي ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا
بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما صادها غير الكلاب فلم يدرك ذكوته لم يحل اكله لان قوله مكلبين
يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على ان الجوارح يدخل فيه كل ما يمكن الاصطياد به من السباع قالوا
المكلب مؤدب الجوارح ورائضها لان تصطاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة فيهما المعنى في جنسه او لان سائر
السبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى
الضراوة فقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه وعن ان المذكور في الآية اباحة الصيد بالكلب لكن تخصيصه الذكر
لا ينفي حل غيره لجواز الاصطياد بالرمي وبالشبكة ونحوهما مع سكوت الآية عنها تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما
علمكم الله من علم التكليب لان بعضه الهام من الله او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان جار ان جرح
ايضا على الاشبه فيه يظهر التادب ومنها ان يسترسل بارسال صاحبه اي اذا اغري بالصيد هاج ومنها ان يمسك الصيد
لقوله صلى الله عليه وسلم تعالى فكلوا مما امسكن عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظ ولا يخليه والثاني
ان لا ياكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم فان اكل فلا تاكل فانما امسكه على نفسه وجوارح الطير يشترط فيها
ان يهيج عند الاغراء وان يترك الاكل ولكن لا مطمع في انزجارها بعد الطيران ويشترط عند الشافعي تكرر هذه الامور بحيث
يغلب على الظن تادب الجارحة بها واقله ثلث مرات ولم يقدر الاكثرون عدد المرات كانهم ردوا الى العرف مضطربا وطباع
الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطباعها وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل
فمعنى الامساك هو ان يحفظه ولا يتركه ومعنى الآية كلوا مما بقي لكم الجوارح وان كان بعد اكلها منه ومن في مما امسكن
قيل زائدة نحو كلوا من ثمره وقيل مفيد وذلك ان بعض الصيد لا يوكل كالعظم والدم والريش وقال سعيد بن جبير وابو
حنيفة والمزني يوكل ما بقي من جوارح الطير ولا يوكل ما بقي من الكلب والفرق ان تاديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتاديب
الطير غير ممكن ولا خلاف انه اذا كان الجارحة معلمة ثم صيد صيدا وجرحته وقتلته وادرك الصايد ميتا فهو حلال
وجرح الجارحة كالذبح فان قتلته بالغم من غير جرح ففي حله خلاف اما قوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير اما ان يعود الى
ما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكوته او الى ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او الى الاكل وعلى هذا فلا كلام وعلى الاول
فالتسمية محمولة على الندب عند الشافعي وعلى الوجوب عند ابي حنيفة وسيجيء تمام المسئلة في سورة الانعام ان شاء الله تعالى
اليوم احل لكم الطيبات فائدة الاعادة ان يعلم بقاء هذا الحكم عند اكمال الدين واستقراره وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم

الاكثرون على ان المراد بالطعام الذبايح لان ما قبل الآية في بيان الصيد والذبايح ولان ما سوى الصيد والذبايح محللة
قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فايدة وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد
هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه الى الذكوة وقيل انه جميع المطعومات وطعامكم حل لهم اى يحل لكم ان تطعموهم من طعامكم
لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى اطعامهم من ذبايحنا وايضا فالفايدة في ذكره ان يعلم ان اباحة الذبايح حاصلة في الجانبين
وليست كاباحة المناكحة فانها غير حاصلة في الجانبين والمحصنات الحراير والعفايف من المومنات وعلى الثاني يدخل
فيه نكاح الاماء وقد يرجح الاول بانه تعالى قال اذا آتيتموهن اجورهن ومهر الاماء لا يدفع اليهن بل الى ساداتهن و
بان نكاح المحصنات ههنا مطلق ونكاح الامة مشروط بعدم طول الحرة وبخشية العنت وبان يختص العفايف بالحل يدل
ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت انه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحراير لزم نكاح الامة ونحن نقول به على بعض
التقديرات وبان وصف التحصين في حق الحرة اكثر ثبوتا منه في حق الامة لان الامة لا تخلوا من البروز للرجال والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقهاء في انه لا يحل نكاح الكتابية الا اذا آمنت بالتورية والانجيل
قبل نزول الفرقان لان قوله من قبلكم ينافي من دان بهما بعد نزوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات اصلا متمسكا
بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقولون لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واول الاية بان المراد اللاتي
آمنت منهن فمن المحتمل ان يخطر ببال احد ان الكتابية آمنت هل يحل للمسلم التزوج بها ام لا وعن عطاء ان الرخصة
كانت مختصة بذلك الوقت لانه كان في المسلمات قلة ولان الاحتراز عن مخالطة الكفار واجب لا تتخذوا بطانة من دونكم
واي خلطة اشد من الزوجية وقد يحدث ولد ويميل الى دين الام وقال سعيد بن جبير والمسيب والحسن الكتابيات يشمل
الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن واكثر الفقهاء على ان ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب ابن عباس فانه
قال ان اعطى الجزية حل وان لم يعط لم يحل لقوله حتى يعطوا الجزية واتفقوا على ان المجوس قد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ
الجزية منهم دون اكل ذبايحهم ونكاح نسائهم اذا آتيتموهن اجورهن فيه ان من تزوج امراة وعزم على ان لا يعطيها صداقها
كان كالزاني والزنى ضربان سفاح وهو على سبيل الاعلان واتخاذ خدن وهو على سبيل الاسرار رخص بهما الله تعالى في الآية واحل
التمتع بهن على سبيل الاحصان وهو التزوج بالشروط والاركان ثم حث على التزام التكاليف المذكورة بقوله ومن يكفر
بالايمان اي بشرايع الله وتكاليفه التي هي من نتايج الايمان بالله ورسوله وقال ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الايمان
اي وبالله قال قتادة ومن يكفر بالقرآن الذي اتى فيه هذه التكاليف التي لا بد منها في الايمان فقد خاب وخسر وفيه
ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فضيلة المناكحة واباحة الذبايح في الدنيا الا ان ذلك لا يفيدهم في الآخرة لان كل من يكفر
بالله فقد حبط عمله في الدنيا ولم يصل الى شيء من السعادات في الآخرة البتة واعلم ان القايلين في الاحباط فسروا قوله
فقد حبط عمله بان عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب اعماله ومنكروا الاحباط قالوا ان عمله الذي اتى به بعد
ذلك الايمان قد بان انه لم يكن معتدا به وكان ضايعا في نفسه ثم انه سبحانه لما افتتح السورة بطلب الوفاء بالعقود وكان
العبد قال العهد الربوبية منك وعهد العبودية منا وانت اولى بتقديم الوفاء بعهد الربوبية فاجاب الله تعالى نعم انا اولى
بعهد الربوبية والكرم ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة في نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فبين الحلال والحرام من
المطاعم والمناكح وقدم المطعوم على المنكوح لانه اهم وعند تمام هذا البيان كانه قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل
ايها العبد بوظايف العبودية ولا سيما الصلوة التي هي اعظم الطاعات وبعد ما نها ولنبين تفسير الآية على مسايل
الاولى ليس المراد بقوله اذا قمتم نفس القيام والا لزم تاخير الوضوء عن الصلوة وهو بالاجماع باطل وايضا لو غسل الاعضاء
قبل الصلوة قاعدا او مضطجعا لخرج عن العهدة بالاجماع فالمراد اذا شمرتم بالقيام الى الليل قم اردتم ذلك ووجه هذا المجاز
ان الارادة الجازمة سبب لحصول الفعل واطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض والثانية ذهب قوم الى ان الامر بالوضوء
تبع للامر بالصلوة وليس تكليفا مستقلا لانه شرط القيام الى الصلوة والاصح انه عبادة براسها لان قوله فاغسلوا امر ظاهره
الوجوب غاية ذلك انه يقيد بوقت التهيؤ للصلوة وايضا انه طهارة وقد قال تعالى في آخر الآية ولكن يريد ليطهركم
وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة امتي غر محجلون من آثار الوضوء الى يوم القيامة والاخبار الواردة في
كون الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة الثالثة قال داود يجب الوضوء لكل صلوة فانه ليس المراد قمتم اى احداثا في

2-1

فى صلوة واحدة لزم الاجمال اذ لا دليل على تعيين تلك المرة والاجمال خلاف الاصل فوجب حمل الآية على العموم وايضا ذكر الحكم عقيب
الوصف المناسب يشعر بالعلية فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء عند كل قيام الى الصلوة وايضا انه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال
بخدمة المعبود وقال ساير الفقهاء ان كلمة اذا لا يفيد العموم ولهذا لو قال لامراته اذا دخلت الدار فانت طالق لم تطلق مرة اخرى
بالدخول ثانيا ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة الا يوم الفتح فانه صلى الصلوات كلها بوضوء واحد
وقال عمر فقلت له في ذلك فقال عمدا فعلت ذلك وثانيهما انه نزلت يوم الفتح والاول يوجب المتابعة والثاني مرجح
لان الفتح يقتضي زيادة الطاعة لا نقصانها وايضا التجديد احوط وايضا دلالة ظاهر القرآن قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية
اقوى واما الناصر المذهب المشهور ان يقول التيمم على المتغوط والمجامع واجب اذا لم يجد الماء لقوله او جاء احد منكم من الغائط الآية
وذلك يدل ان وجوب الوضوء قد يكون بسبب آخر سوى القيام الى الصلوة فلم يكن هو موثرا وحده واذا لم يكن موثرا استقلالا جاز
تخلف الاثر عنه نعم التجديد مستحب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده كانوا يتوضأون لكل صلوة وقال صلى الله عليه
الرابعة وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الاصح ان في الآية دلالة
على ان الوضوء شرط لصحة الصلوة لانه علق فعل الصلوة بالطهور ثم بين انه متى عدم الماء لم يصح الصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا
لم يكن كذلك وايضا انه امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بها بدون الوضوء تارك للمامور به فيستحق العقاب وهذا معنى البقاء
في عهدة التكليف الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة في الآية والزيادة على النص نسخ
ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جايز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء مامور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل مامور به يجب
ان يكون منويا لقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص النية الخالصة فاصل النية يجب ان يكون معتبرا غاية
ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيبقى حجة في غير محل التخصيص السادسة قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء
لان الواو لا يفيد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان زيادة على النص وهو نسخ غير جائز وقال الشافعي انه واجب لان فاء التعقيب في
قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم ساير الاعضاء على الترتيب وقال صلى الله عليه وسلم في الصفا ابدأوا بما بدأ الله به
وايضا الترتيب المعتبر في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس والترتيب العقلي افراد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه
تعالى ادرج الممسوح في المغسول فدل هذا على ان الترتيب المذكور في الآية واجب لان اهمال الترتيب في الترتيب مستقبح
فوجب تنزيه كلام الله عنه وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب في موضع آخر
ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله المومن لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال ولان الشرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس في
التيمم نظافة واقام المسح على الخفين مقام الغسل وانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد
لا يفيدها فاذن الاعتماد على مورد النص ولعل في الترتيب حكما خفية لا نعرفها او هو محض التعبد وقد اوجبنا رعاية الترتيب
في الصلوة مع الاركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء مع ان القرآن ناطق به اولى السابعة
قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال قدر مشترك بين ايجابها على سبيل الموالاة
وايجابها على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الآية ومفيد للطهارة والزايد لا دليل عليه وايضا روي انه صلى الله
عليه وايضا روي انه صلى الله عليه وسلم راى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ولم يامره بالاستيناف ولم يبحث عن المدة
الفاصلة وعند غيرهما شرط كيلا يتخلل بين اجزاء العبادة ما ليس منها وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضي من الزمان ما يجف
فيه المغسول مع اعتدال الهواء ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الآية
يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة كما سبق ترك العمل به عند ما لم يخرج الخارج النجس من البدن فيبقى معمولا به عند خروج
الخارج النجس وخالفه الشافعي تعويلا على ما روي انه صلى الله عليه وسلم احتجم وصلى لم يزد على غسل اثر محاجمه التاسعة مالك
لا وضوء في الخارج عن السبيلين اذا كان غير معتاد وسلم في دم الاستحاضة لنا التمسك بعموم الآية العاشرة ابو حنيفة القهقهة
في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء والباقون لا تنقض لابي حنيفة ان يتمسك بعموم الآية الحادي عشر ابو حنيفة
لمس المراة وكذا مس الفرج لا ينقض الوضوء الشافعي ينقض تمسكا بالعموم الثاني عشر لو كان على وجهه وبدنه نجاسة فغسلها
ونوى الطهارة من الحدث بذلك الغسل هل يصح وضوءه قال في التفسير الكبير ما رايت هذه المسالة في كتب الاصحاب قال
والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به واقول الظاهر انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسله

واحدة بخاستان حكمية وعينية وهنا بخلاف ما لو نوى التبرد او التنظف فان النجاسة هناك حكمية فقط الثالث عشر لو وقف
تحت ميزاب حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث هل يصح وضوءه يمكن ان يقال لا لانه لم تات بعمل ويمكن ان يقال نعم لانه اتى بما
افضى الى المقصود وهو الاغتسال الرابع عشر اذا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلدة فالاظهر وجوب غسله ليحصل الامتثال فان
ذلك الموضع غير مغسول الخامس عشر لو رطب الاعضاء من غير سيلان الماء عليها لم يكف لانه مامور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي الجنابة
يكفي لانه هناك مامور بالتطهير ولكن يريد ليطهركم والترتيب يحصل بالترتيب السادس عشر لو امر الثلج على العضو فان ذاب وسال
جاز والا فلا خلافا لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابع عشر التثليث سنة لان ماهية الغسل يحصل بالمرة
الثامن عشر السواك سنة لا واجبة لان الاية عنه ساكتة وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم
غسل اليدين على الوضوء خلافا لبعضهم التاسع عشر الشافعي لا يجب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل احمد واسحق يجب
فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي يكون مواجها وحده من مبتداء
سطح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب
ايصال الماء الى داخل العين لان العين جزء من الوجه الباقون لا يجب لقوله في آخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال
الماء في العين حرج الحادي والعشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا
لابي يوسف لنا انه واجب قبل نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده ولانه من الوجه والوجه يجب غسله كله الثاني والعشرون
ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب ايصال الماء الى ما تحت الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا
ترك العمل به عند كثافة اللحية دفعا للحرج فيبقى عند كثافتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار
الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب لانه لا جلد تحتها
حتى يغسل ظاهرها تبعا لها الرابع والعشرون لو نبتت للمرأة لحية وجب ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة لانا
تركنا العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة في الرجل دفعا للحرج ولحية المرأة نادرة وخصوصا الكثيفة فيبقى حكمها على الاصل
الخامس والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب والشارب والعذار والهدب
لان قوله فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلدة ترك العمل به في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فيبقى على
الاصل السادس والعشرون الشعبي ما اقبل من الاذن فهو من الوجه فيغسل وما ادبر فمن الراس فيمسح ورد بان الاذن غير مواجه اصلا
السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما مع اليدين وخالف مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى
الكعبين والتحقيق ان الى تفيد معنى الغاية مطلقا والمراد بالغاية جميع المسافة او حقيقة النهاية ثم ان حد الشيء قد يكون منفصلا
عن المحدود حسا كانفصال الظلمة عن النور في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون الحد خارجا عن المحدود وقد لا يكون كذلك نحو
حفظت القرآن من اوله الى آخره وبعتك هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك
ان المرفق وهو موصل الذراع في العضد سمي بذلك لارتفاق صاحبها به غير متميز في الحس عن محدودها فلا يكون ايجاب
الغسل الى جزء اولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب غسلها جميعا وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاور طرف العظم
ولا نزاع في ان ما وراءه طرف العظم لا يجب غسله وهذا الجواب اختيار الزجاج وعلى هذا فمقطوع اليد من المرفق يجب عليه
شيء لان محل هذا التكليف لم يبق اصلا الثامن والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى مندوب وليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر
الايدي والارجل في الاية من غير تقديم لاحدى اليدين او الرجلين التاسع والعشرون ذهب بعضهم الى ان ابتداء الغسل
يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرافق لان المرافق جعلت في الاية نهاية الغسل وجمهور الفقهاء
على ان عكس هذا الترتيب لا يخل بصحة الوضوء لان المراد في الاية بيان جملة الغسل لا بيان ترتيب اجزاء الغسل الثلاثون
لو نبت من المرفق ساعدان وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو نبتت على الكف اصبع زائدة الحادي والثلاثون
المراد من تحديد الغسل بالمرفق بيان الواجب فقط لما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة سنة موكدة الثاني والثلاثون
مالك يجب مسح كل الراس ابو حنيفة يتقدر بالربع لانه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وانها ربع الراس الشافعي اوجب
اقل ما ينطلق عليه اسم المسح لانه اذا قيل مسحت المنديل فهنا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما لو قال مسحت بيدي
بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل فهكذا في الاية ولا احتج في تعيين المقدار الى دليل منفصل

ويصير

ويصير الاية مجملة وهو خلاف الاصل الثاني الثالث والثلاثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحا للراس وقال
الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روي انه صلى الله عليه وسلم مسح على العمامة واجيب بانه لعله مسح الفرض على الراس والبقية
على العمامة الرابع والثلاثون اختلف الناس في مسح الرجلين وغسلهما فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وانس ابن مالك و
عكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء والمفسرين على
ان فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير
الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر في وارجلكم عطفا على رؤسكم ولا يمكن ان يقال انه كسر
على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب ولان ذلك لم يجئ في كلام الفصحاء وفي السعة وايضا انه جاء حيث لا لبس ولا عطف بخلاف
الاية واما القراءة بالنصب فيكون للعطف على محل رؤسكم حجة الجمهور اخبار وردت بالغسل وان فرض الرجلين محدود الى
الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان اخبار الاحاد لا تعارض القران ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع
فزعم الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على مفعول فاغسلوا وان كان ابعد من امسحوا وقراءة الجر تنبيه على وجوب
الاقتصاد في صب الماء لان الارجل تغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الخامس والثلاثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين
هما العظمان الناتيان من جانب الساق وقالت الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عضو مستدير موضوع تحت عظم
الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في ارجل جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة
الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعبا واحدا وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب
كانه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا لا جرم قال الى المرافق وايضا العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لا
يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتيان في طرفي الساق محسوسان لكل احد ومناط التكليف ليس الا ظاهرا
ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الصقوا الكعاب بالكعاب السادس والثلاثون الجمهور على جواز مسح الخفين
خلافا للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاحاديث وحجة الشيعة الاية وان جواز المسح على الخفين حاجة عامة فلو كانت ثابتة
لبلغت مبلغ التواتر السابع والثلاثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح
الراس فان لم يكن معه من يوضئه او ييممه سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة عليه فاذا فاتت
القدرة سقط التكليف الثامن والثلاثون قوله سبحانه وان كنتم جنبا فاطهروا الاصل تطهروا وادغم التاء في الطاء فاجتلبت
همزة الوصل والجنابة سببان نزول المني لقوله صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى الختانان وجب الغسل وختان الرجل
هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة واما ختان المرأة فان شفريها يحيطان بثلثة اشياء ثقبة في اسفل الفرج وهي مدخل
الذكر ومخرج الولد والحيض وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول لا غير والثالث جلدة رقيقة قائمة مثل
عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها ولا اطلاق في قوله
فاطهروا واعلم انه امر بتحصيل الطهارة في كل البدن والاخص تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب
تقديم الوضوء على الغسل خلافا لابي ثور وداود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحق فانه اوجب البداية باعلى البدن
وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك التاسع والثلاثون لا يجوز للجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله فاطهروا يدل
على ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امرا بتطهير الطاهر وحينئذ لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون
الاربعون الشافعي المضمضة والاستنشاق لا يجبان لقوله صلى الله عليه وسلم اما انا فاحثي على راسي ثلث حثيات
فاذا انا قد طهرت ابو حنيفة هما واجبان لقوله تعالى فاطهروا والتطهر لا يحصل الا بطهارة جميع الاعضاء ترك العمل به في الاعضاء
الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فيبقى داخلا في النص ولان قوله صلى الله عليه وسلم بلوا الشعر
يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وانقوا البشرة يدخل فيه جلدة داخل الفم الحادي والاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع
من وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهير وان منع وجب خلافا للنخعي الثاني والاربعون ان كان المرض المانع
من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه ثم يتيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان
كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان اكثره جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض اعضائه
فهو مريض الثالث والاربعون لو الصق على موضع التيمم وان كان اكثره جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في

بعض اعضائه عضو مريض لو الصق علي موضع التيمم وان كان اكثره جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض
اعضائه عضو مريض لو الصق علي موضع التيمم لصوقا منع وصول الماء الي البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق
التلف قال الشافعي يلزم نزع اللصوق حتى يصل التراب اليه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب دفعا للحرج الرابع والاربعون
قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله صلي الله عليه وسلم فليستنج بثلثة احجار وقال ابو حنيفة او جب عند المجي
من الغائط اما الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل علي انه غير واجب الخامس والاربعون لمس المراة ينقض الوضوء
عند الشافعي ولا ينقضه عند ابي حنيفة وقد مر المسئلة في سورة النساء السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المشمس لقوله تعالي
فلم تجدوا ماء وههنا قد وجد ماء وخالف مجاهد السابع والاربعون ابو حنيفة واحمد لا يكره المشمس لقوله فلم تجدوا ماء وهنا
قد وجد ماء الشافعي كره للحديث الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في آنية المشرك لانه واجد للماء
فلا يتيمم وقد توضأ النبي صلي الله عليه وسلم من مزادة مشرك وتوضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسع
والاربعون يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص الخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الي انه
يجوز الوضوء والغسل بجميع المايعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز لانهما فاغسلوا مطلق الغسل وامرار المايع علي العضو غسل
قال فما احسنها اذ يغسل الدمع كحلها لنا انه عدم الماء اوجب التيمم الثاني والخمسون الشافعي لماء المتغير بالزعفران تغيرا
فاحشا لا يجوز الوضوء به لان واجده يصدق عليه انه غير واجد للماء وخالفه ابو حنيفة لان اصل الماء موجود بصفة زايدة
كما لو تغير وتعفن بطول المكث او بتساقط الاوراق بالاتفاق الثالث والخمسون مالك وداود الماء المستعمل في الوضوء
بقي طاهرا طهورا لان واجده واجد الماء وهو قول قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور ووافقه محمد بن الحسن
وقال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه نجس لان النجاسة الحكمية كالعينية الرابع والخمسون مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم
تغير بقي طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين وقال الشافعي ان كان اقل من القلتين نجس و
قال ابو حنيفة ان كان اقل من عشر في عشر نجس حجة مالك انه واجد للماء ترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير
فيبقى حجة في الباقي ويؤيده قوله صلي الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي
مفهوم قوله صلي الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا الخامس والخمسون يجوز الوضوء بفضل ماء الجنب لان واجده
واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء المراة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب السادس والخمسون
اسار السباع طاهرة لا بد في التيمم من النية لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب الثامن
والخمسون الشافعي لا يجوز التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورة ولا ضرورة قبل الوقت ابو حنيفة يجوز قياسا
علي الوضوء ولظاهر قوله اذا قمتم والقيام الي الصلوة يكون بعد دخول وقتها التاسع والخمسون لا يجوز التيمم بتراب نجس لقوله
صعيدا طيبا الستون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدل غسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو
قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود انه لا يجوز لنا ان قوله او لمستم اما يخص الجماع او يتناول الجماع فيه الحادي والستون
الشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرضين لان ظاهر قوله اذا قمتم يقتضي اعادة الوضوء لكل صلوة ترك العمل
به في الوضوء لفعل رسول الله صلي الله عليه وسلم فيبقى في التيمم علي ظاهره ابو حنيفة يجوز اداء الفرايض به كالوضوء احمد
يجمع بين الفوايت ولا يجمع بين صلوتي وقتين الثاني والستون الشافعي اذا لم يجد الماء في اول الوقت وتوقع في آخره جاز له التيمم
لان قوله اذا قمتم يدل علي انه عند دخول الوقت ان لم يجد الماء جاز له التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة الي آخره الثالث
والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز له الشروع في الصلوة بالتيمم
وخالف ابو سلمة الاشعري والشعبي الرابع والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء لا يلزم اعادة الصلوة لانه خرج
عن عهدة التكليف خلافا لطاوس الخامس والستون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قال مالك واحمد
لانها انعقدت صلوته صحيحة بحكم التيمم فما لم يبطل صلوته لا يصير قادرا علي استعمال الماء وما لم يصر قادرا علي استعمال الماء لم
يبطل صلوته فيدور وقال ابو حنيفة والثوري والمزني يلزمه الخروج لانه واجد للماء السادس والستون لو نسي الماء في رحله
وتيمم وصلي ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة علي احد قولي الشافعي وهو قول احمد وابي يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول
مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان في حكم العجز وكذا اذا ضل رحله في الرحال بالطريق الاولي لان مخيم الرفقة اوسع من

الحادي والخمسون

رحله ولو تيقن الماء في رحله واستقصي في الطلب فلم يجده وتيمم وصلي ثم وجد فالاكثرون علي انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف و
قيل لا لان حكمه حكم العاجز السابع والستون لو صلي بالتيمم ثم وجد ماء في بئر نجسة يمكنه استعمال ذلك الماء فان كان قد علمه اولا ثم
نسيه فهو كما لو نسي الماء في رحله وان لم يكن عالما فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز الثامن والستون
اذا لم يكن معه ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز له التيمم بقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب الماء لزمه
القبول لان المنة فيه سهل ولو وهب منه ثمنه لم يلزمه القبول لثقل المنة ووجود الحرج ولمثل هذا يجب قبول اعادة الدلو لا هبته
فهذه جملة المسائل الفقهية المستنبطة من الاية سوي ما مرت في سورة النساء واعلم ان قوله سبحانه ما يريد الله عليكم من حرج اصل
معتبر في علم الفقه لانه لا يدل علي ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة قد يتمسك به نفاة القياس قالوا لان كل حادثة
فحكمها المفصل ان كان مذكورا في الكتاب والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع
فالاصل فيها الاباحة والقياس المعارض لهذين الاصلين يكون قياسا واقعا في مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد
ليطهركم ففيه تفسيران احدهما واليه ذهب اكثر اصحاب ابي حنيفة ان عند خروج الحدث تنجس الاعضاء نجاسة حكمية فالمقصود
من هذا التطهير ازالة تلك النجاسة الحكمية وزيف بان اعضاء المؤمن لا تنجس لقوله تعالي انما المشركون نجس ولقوله صلي الله عليه وسلم
المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وبانه لو كان رطبا فاصابه ثوب لم ينجس ولو حمله انسان وصلي لم تفسد صلوته بالاتفاق وبان
الحدث لو كان نجاسة الاعضاء ثم كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف
الشرايع وبان خروج النجاسة من موضع كيف يوجب تنجس موضع آخر وبان التيمم زيادة في التكدير فكيف يوجب النظافة والتطهير
وبان المسح علي الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين بان الذي يراد ازالته ليس من الاجسام والا كان محسوسا ولا من الاعراض
لان انتقال الاعراض محال وثانيهما ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة الله تعالي لا ان ايصال الماء والتراب
الي هذه الاعضاء المخصوصة ليس له فايدة يعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف تعبد محض يزيل آثار التمرد ويؤكد الاخبار
في ان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه وراسه ورجليه وليتم عليكم نعمته بالاباحة
الطيبات الدنيوية من المطاعم والمناكح بهذه النعمة الدينية وهي كيفية فرض الوضوء او ليتم برخصة كالتيمم ونحوه انعامه
عليكم بعزايمه ثم ذكر ما يوجب عليهم قبول تكاليفه وذلك من وجهين الاول تذكر نعمته يعني التامل في هذا النوع الذي
لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع وهو اعطاء نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والايصال الي الخيرات
في الدنيا والآخرة حيث يمتاز عن نعمة غيره وانه لا يقدر عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الاذعان لاوامره والانقياد
لنواهيه فان قيل اذكروا اشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها في كل لحظة ولمحة والجواب انها
صارت لتواليها كالامر المعتاد فصار من غاية الظهور كالامر المستور والمراد التوبيخ علي عدم القيام بواجبها وكانها كالشيء
المنسي الثاني ذكر الميثاق ومعني واثقكم به عاقدكم به عقدا وثيقا يعني ميثاق رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها علي
السمع والطاعة في المحبوب والمكروه وعن ابن عباس هو الميثاق الذي اخذه علي بني اسرائيل حين قالوا آمنا بالتورية وبما فيها
من البشارة بنبي آخر الزمان ومن غيرها وقال مجاهد والكلبي ومقاتل انه اشارة الي قوله للذرية الست بربكم قالوا بلي قال
السدي هو ما ذكر في العقول من حسن هذه الشريعة وهو اختيار اكثر المتكلمين واعلم ان التكاليف وان كثرت الا انها محصورة
في نوعين التعظيم لامر الله واليه الاشارة بقوله كونوا قوامين لله والشفقة علي خلق الله وحث عليها بقوله شهداء بالقسط قال
عطاء يقول لا يخاف في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا يمنع شهادتك اعداءك واضدادك وقال الزجاج تبينون دين الله
لان الشاهد يبين ما يشهد عليه ثم امر جميع الخلق بان لا يعاملوا احدا الا علي سبيل العدل والانصاف ويتركوا الظلم والاعتساف
فقال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم علي ان لا تعدلوا اي فيهم فحذف للعلم ثم استانف فصرح لهم الامر بالعدل تاكيدا فقال
اعدلوا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل فقال هو اي العدل الذي دل عليه اعدلوا اقرب للتقوي اي الي الاتقاء
من عذاب الله او من معاصيه وقيل المراد سلوك سبيل العدل مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بان لا تقتلوهم
اذا اظهروا الاسلام او لا يرتكبوا ما لا يحل من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او نحو ذلك وفي هذا تنبيه علي ان
العدل مع اعداء الله اذا كان بهذه المكانة فكيف يكون مع اوليائه واحبائه ثم ختم الكلام بوعد المؤمنين ووعيد الكافرين
وقوله لهم مغفرة بيان للوعد فقدم لهم وعدا كانه قيل اي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة او يكون علي ارادة القول اي وعدهم

وقال لهم مغفرة بيان للوعد قدم لهم وعدا كانه قيل اي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة او يكون على ارادة القول اي وعدهم وقال لهم
مغفرة او يكون وعد متضمن معنى قال او يجعل وعد واقعا على هذا القول واذا وعدهم هذا القول من هو قادر على كل المقدورات
عالم بجميع المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف اما جهل او عجز او بخل او حاجة وهو منزه
عن الكل وهذا الوعد يصل اليه قبل الموت فيفيده السرور وعند سكرات الموت فيسهل عليه الشدايد وفي ظلمة القبر فيفيده
نورا وفي عرصة القيامة فيزيده حبورا والجحيم اسم من اسماء النار وهي كل نار عظيمة في مهواة كقوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في
الجحيم واصحاب الجحيم ملازموها ابسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده مدها الى المبطوش به عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل منزلا وتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله فاغمد
الاعرابي السيف فدعا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فاخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه وقال مجاهد و
الكلبي وعكرمة قتل رجلان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من بني سليم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما
موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعلي وعثمان وسلمان وغيرهم فدخلوا
على كعب بن الاشرف وبنو النضير يستقرضهم في عقلهما قالوا نعم يا ابا القسم قد آن لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى
نطعمك ونعطيك الذي تسألنا فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر على
هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش بن كعب انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده
وجاء جبرئيل عليه السلام واخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة عسفان
حين هم الاعداء ان يواقعوهم فنزلت صلوة الخوف وقيل انها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن المراد ان الكفار ابدا كانوا يريدون
ايقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فاعز الله المسلمين وقلل شوكة الكفار وقوى دين الاسلام واظهره على الاديان والله اعلم
التاويل سماع اسم الله وهو من صفات الهيبة يوجب الفناء والغيبة وسماع الرحمن الرحيم وهما من صفات اللطف يورث
البقاء والقربة اوفوا ايها العشاق بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق ليوم التلاق فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند
بذل وجوده احلت لكم ذبح بهيمة النفس التي كالانعام في طلب المراد الا النفس المطمئنة التي تتلى عليها ارجعي الى ربك فتفرغت
من الدنيا بما فيها وهي كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال واحرام الشوق الى حضرة الجلال والجمال ان الله يحكم ما
يريد فيامر بذبح النفس اذا كانت مطمئنة بذكر الحق ومتسمة بسمات الملك تواخرين عن تعظيم الشعاير من صدق الضماير فقال
يا ايها الذين آمنوا بشهود القلوب فقصدوا زيارة المحبوب فخرجوا عن اوطان اوطار وسافروا عن ديار الاغيار لا تحلوا معالم
الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة والحقيقة وعظموا الزمان والمكان والاخوان والقاصدين كعبة الوصول الى الرحمن
الذين اهدوا القربان نفوسهم وقلدوها بقلائد التجرد الطيبة ليامنوا عن مكر الاعداء واذا احللتم تممتم مناسك الوصول فاصطادوا
ارباب الطلب بشبكة الدعوة الى الله ولا يحملنكم حسد الحساد الذين يريدون ان يصدوكم من الحق على ان تعتدوا الطالبين
فتكونوا قطاع الطريق عليهم في طلب الحق حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهي الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اي حلالها وحرامها
قليلها وكثيرها لان من الدم ما هو حلال والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل وما اهل به اي كل طاعة هي لغير الله و
المنخنقة والموقوذة يعني الذين يخنقون انفسهم بالمجاهدات ويقدعونها بالرياضات رياء وسمعة والمتردية والنطيحة الذين
يتردون انفسهم الى اسفل سافلين الطبيعة بالتناطح مع الاقران والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخوان وما اكل السبع الظلمة
المتهارشون في جيفة الدنيا تهارش الكلاب الا ما ذكيتم بالكسب الحلال ووجه صالح بقدر ضرورة الحال وما ذبح على النصب
ما يذبح عليه النفوس من المطالب الفانية وان تستقسموا بالازلام اي يكونوا مترددين في طلب المرام فاذا انتهيتم عن هذه المناهي
وتخلصتم عن هذه الدواهي فقد عاد ليلكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها من
دينكم فلا تخشوهم واخشوني فان كيدي متين اليوم اي في الازل اكملت لكم دينكم ولكن ظهر الامر في حجة الوداع يوم عرفة واتممت عليكم
نعمتي وهي اسباب تحصيل الكمال بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فمن اضطر فمن ابتلي بالتفات شيء من الدنيا والآخرة
فيها مائل للاعراض عن الحق ولكن من يترو للطالبين ورفقة للسالكين يسئلونك ماذا احل لهم لارباب السلوك اذا الدنيا حرام على
اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الله الطيبات كل ماكول ومشروب وملبوس يكون سببا للقيام باداء الحقوق فكلوا مما امسكن عليكم

تناولوا ما اصطادت النفوس المعلمة المطمئنة بعلوم الشريعة المؤدبة بآداب الطريقة المنورة بانوار الحقيقة واذكروا عند تناول كل ما ورد
عليكم من الامور الدنيوية والاخروية اسم الله اي لا تنصرفوا فيه الا بالله في الله اليوم يعني الذي فيه ظهر كمالية الدين الازلية وهو يوم
عرفة وهذه فائدة التكرار احل لكم الطيبات التي تتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهي اخلاق الله المنزهات عن
الكميات والكيفيات وطعام الذين اوتوا الكتاب وهم الانبياء عليهم السلام حل لكم اي غذيتم بلبان الولاية النبوة وطعامكم حل
لهم اي منبع لبن النبوة والولاية واحد وان كان الثدي اثنين قد علم كل اناس مشربهم والنبي صلى الله عليه وسلم وراء ذلك كله بقوله
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني والمحصنات من المؤمنات وهي ابكار حقائق القرآن والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ابكار الكتب
المنزلة على الامم السالفة اي التي ادرجت في القرآن فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اذا آتيتموهن اجورهن وهي بذل الوجود
محصنين في هذا البذل ليكون على وجه الحق غير مسافحين على وجه الطبع ولا متخذي اخدان غير ملتفتين الى شيء من الاكوان ومن يكفر
بالايمان بهذه المقامات فقد حبط عمله الذي عمل من دون المكاشفات يا ايها الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عند خطاب الست بربكم
اذا قمتم من نوم الغفلة الى الصلوة وهي معراجكم للرجوع الى مكان قربكم فاغسلوا وجوهكم التي توجهتم بها الى الدنيا وتلطخوها بالنظر
الى الاغيار بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق اي اغسلوا ايديكم عن التمسك بالدارين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق
وامسحوا برؤسكم بدون نفوسكم وارجلكم الى الكعبين من طين طبيعتكم والقيام بانانيتكم ولا يجرمنكم ولا يحملنكم حسد الحساد وعداوة
الاسلاف على ان لا تعدلوا لوامع انفسكم اذ هم قوم من الشيطان والنفس والهوى ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم بالفضل و

ولقد اخذ الله ميثاق الذين بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني
بحقيقت فرا گرفت خدای عهد را از پسران یعقوب در بار رفتن از مصر زمین شام و فرستادیم از ایشان در زمین شام
عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم
دوازده مرد نگاه داران و گفت خدای بدرستی من با شما ام بنصرت هر آینه اگر بپای دارید نماز را و بدهید
الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا
زکوة را و ایمان آورید به پیغامبران من و تعظیم نمایید ایشان را و قرض دهید برای رضای خدای قرض دادن
حسنا لاكفرن عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات
نیکو هر آینه زایل گردانم از شما بدیهای شما را و هر آینه در آرم شما را در بوستانهای
تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد
که رود از فرود اشجار آن جویها پس هر که کافر شود بعد از آن شرط و وعد مرتب بر آن از شما پس بحقیقت
ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا
گم کرد راه حق را پس بسبب شکستن ایشان عهد را دور گردانیدیم ایشان را از رحمت و گردانیدیم
قلوبهم يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا
دلهای ایشان را میگردانند احکام توریت را و دیگر سخنان از مواضع اصلی آن و فراموش کردند بهره تمام بنود از نوا ایشان را بدان
به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
از احکام توریت و ایمان محمد و همیشه باشی که دیدی بر خیانتی از ایشان مگر اندکی از ایشان چون عبد الله سلام و اصحاب او پس عفو کن از ایشان
واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
و درگذر بدرستی خدای دوست میدارد نیکوکاران را و از آنانکه گفتند بدرستی ما نصارائیم بگرفتیم
ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة
عهد ایشان را پس فراموش کردند بهره تمام از آنچه پند داده بود ایشان را پس لازم گردانیدیم بر آن ایشان که طوایف نصاری اند با سایر اهل کتاب
والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
دشمنی تا روز قیامت و زود باشد که آگاه کند ایشان را خدای بآنچه بودند که میکردند

وضمنهم وقال ابو مسلم بمعنى مفعول يعني اختارهم على علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل ونقب البيطار سرة الدابة ليخرج منها ماء اصفر والمناقب الفضائل لانها لا تظهر الا بالنقب عنها ويقال الكلب نقيب وهو ان ينقب حنجرته لئلا يرتفع صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله تعالى اختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل رجلا يكون نقيبا بهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا الى مدينة الجبارين لينقبوا عن احوالهم فرأوا اجراما عظيمة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوا ثم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعنى اني معكم اني ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف الرابط للعلم به والخطاب للنقباء او لكل بني اسرائيل والحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم فهذه مقدمة معتبرة جدا في الترغيب والترهيب ثم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الى ازالة العقاب وقوله ولادخلنكم وهو اشارة الى ايصال الثواب واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب ولكنه سد مسد جواب الشرط ايضا والعزر في اللغة الرد ومنه التعزير التاديب لانه يرده عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معنى عزرتموهم نصرتموهم لان نصر الانسان رد اعدائه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله وتعزروه وتوقروه تكرارا وههنا اسئلة لم اخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم على الاعمال واجيب بعد تسليم ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر انه لا بد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر ثم يحتمل ان يكون التقدير وقد امنتم او اخر الايمان عن العمل تنبيها على ان الايمان انما يقع معتدا به اذا اقترن به العمل كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى او هو من القلب الذي يجمع عليه امن اللباس او لعل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة وكان ذكرهما اهم سؤال اخر ما الفائدة في قوله واقرضتم بعد قوله واتيتم الزكوة واجيب بان الاقراض اريد به الصدقات المندوبة قال الفراء ولو قال واقرضتم الله اقراضا حسنا لكان صوابا ايضا لكن الا انه اقيم الاسم مقام المصدر مثل وانبتها نباتا حسنا آخر لم قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فان من كفر قبل ذلك ايضا فقد اخطأ الطريق المستقيم الذي شرعه الله لهم والجواب اجل ولكن الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به الوعيد العظيم اشنع فلهذا خص بالذكر فبما نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتلهم او بكتمانهم صفة محمد او باخلال جملة الشروط المذكورة لعناهم قال عطاء اخرجناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير وقال ابن عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية من قرأ قسية فبمعنى القاسية ايضا الا انها ابلغ كعليم وعالم ومنه قولهم درهم قسي اي رديء مغشوش لما فيه من اليبس والصلابة بخلاف الدرهم الخالص فان فيه لينا وانقيادا قالت المعتزلة معنى الجعل ههنا انه اخبر عنها بانها صارت قاسية كما يقال جعل فلانا فاسقا او عدلا يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه ونسوا حظا تركوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يريد ان تركهم التوراة واعراضهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او فسدت نياتهم فحرفوا التوراة وزلت علوم منها عن حفظهم كما روي عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ان نكث العهود والغدر لم يزل عادتهم خلفا عن سلف فقال ولا تزال تطلع على خائنة اي خيانة كالعافية والكاذبة او صفة لمحذوف مؤنث اي على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة او التاء للمبالغة مثل رجل راوية الشعر الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واشباهه او هم الذين بقوا على الكفر من غير عهد ونقض لعهودهم فاعف عنهم بعث على حسن العشرة معهم قيل منسوخ بآية الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل بناء على ان القليل هم الباقون على العهد منهم ان المراد لا تؤاخذهم بالصغاير ما داموا باقين على العهد وهذا قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس معناه فاذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فاحبك الله وعلى قول ابي مسلم فالمراد بهؤلاء المحسنين هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله وفي هذا التفسير بعد والله تعالى اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم انما سموا انفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصارا للشيطان حيث اختلفوا وخالفوا الحق اخذنا ميثاقهم ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى

يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
ای خداوندان کتاب بحقیقت آمد بشما فرستاده ما حال آنکه بیان میکند برای شما بسیاری از آنچه هستید که
تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور و
پنهان میداشتید از احکام توریت وانجیل وعفو میکند از بسیاری بحقیقت آمد بشما از خدای سبب هدایت محمد
كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
باسلام وقرآن هویدا راه می نماید بآن کتاب مبین خدای آنکه طالب گردد بسبب خشنود خدای را براههای سلامت وبیرون می آرد ایشانرا
من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد
از تاریکیهای کفر وجهالت بنور ایمان ومعرفت بفرمان خود وراه می نماید ایشانرا سوی راه راست بحقیقت
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا
کافر شدند آنانکه گفتند که بدرستی خدای اوست عیسی پسر مریم بگوی پس کدام کس مالک شود از خدای چیزی را (از عذاب)
ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا
اگر خواهد که هلاک کند عیسی پسر مریم ومادر او را وآنکس که در زمین است همه
ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل
ومر خدایراست پادشاهی آسمانهاست وزمین وآنچه میان هر دو است می آفریند خدای آنچه خواهد وخدای بر همه
شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
چیزی تواناست وگفتند جهودان وترسایان ما پسران خدایم ودوستان او
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر
بگوی پس چرا عذاب کند شما را بسبب گناهان شما نه که شما مخلوقی چندید از جنس آنچه آفریده می آمرزد
لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما
مر آنرا که خواهد وعذاب میکند آنرا که خواهد ومر خدایراست پادشاهی آسمانها وزمین ومر چه میان آسمان وزمین است
واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
وبسوی حکم اوست بازگشت همه ای خداوندان کتاب یعنی یهود ونصاری بحقیقت آمد بشما پیغمبر فرستاده ما بیان میکند شما را شرایع دین
على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد
بر زمان فتور وانقطاع از پیغمبران برای عدم اراده آنکه گویند نیامد بما هیچ مژده دهنده وبیم نماینده بحقیقت
جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير
آمد بشما مژده دهنده وبیم نماینده وخدای بر همه چیزی تواناست

القراءة قسية حمزة وعلي والمفضل الباقون قاسية **الوقوف** بني اسرائيل ج للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة نقيبا ط للعدول عن الحكاية الى الاخبار معكم ط لان ما بعده ابتداء قسم محذوف جوابه لاكفرن الانهار ج السبيل ط قاسية ج لاحتمال الاستيناف والحال اي لعناهم محرفين مواضعه لا لان ما يتلو حال اي وقد نسوا ذكروا به ج للعدول عن الماضي الى المستقبل مع الواو واصفح ط المحسنين ذكروا به ج لعطف المتفقين يوم القيامة ط يصنعون ط عن كثير ط مبين لا لان قوله يهدي وصف للكتاب الى اخر الآية مستقيم المسيح ابن مريم الاول ط جميعا ط وما بينهما ط ما يشاء ط قدير ط واحباؤه ط بذنوبكم ط لتناهي الاستفهام الى الاخبار ممن خلق ط من يشاء ط وما بينهما ز للفصل بين ذكر الحال والمال المصير ط ولا نذير للعطف مع وقوع العارض ونذير ط قدير ط **التفسير** انه سبحانه لما خاطب المؤمنين بذكر نعمته وميثاقه اردفه بذكر ميثاق بني اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك تحذيرا لهذه الامة من مثل ما فعلوه وفعل بهم بوجه آخر لما ذكر تقدير اليهود وانهم ارادوا ايقاع الشر بالنبي صلى الله عليه وسلم لولا دفع الله تعالى اردفه بذكر بيان فضائحهم ليعلم ان ذلك لم يزل دابهم والنقيب العريف فعيل بمعنى فاعل لانه ينقب عن احوال القوم فيكون شاهدهم

ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في افعال الخير والايمان بالرسل فاغرينا الصقنا والزمنا منه الغراء الذي يلصق به ومنه غري بالشي لزمه ولصق به بينهم بين فرق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يا اهل الكتاب ووحد الكتاب لانه اخرج مخرج الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله وكصفة الرجم وهذا معجز لانه لم يقرا كتابا وقد اخبرهم باسرار كتابهم ويعفو عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما لا يمس اليه حاجة في هذا الدين وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يواخذكم به قد جاءكم من الله نور محمد او الاسلام وكتاب مبين هو القران لابانته ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القران والمغايرة اللفظية كافية بين المعطوفين ولا شك ان القران نور معنوي يتقوى به البصيرة على ادراك الحقايق والمعقولات يهدي به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذي اتفق بحسب هواه سبل السلام طرق السلامة او طرق دار السلام او سبل دين الله ان الله هو المسيح ابن مريم بناء على جواز الحلول فمن يملك من الله شيئا من الذي يقدر على دفع شي من افعال الله ومنع شي من مراده وقوله ان اراد شرط جزاؤه محذوف يدل عليه ما تقدم والمعنى ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم المدعو الها وغيره فمن الذي يقدر على ان يدفعه عن مراده ويقدر عليه والمراد بعطف من في الارض على المسيح ولله انهما من جنسهم وشكلهم في الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وساير الاعراض فلما سلم كونه تعالى خالقا لهما وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين او النوعين وقوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق تارة من ذكر وانثى وتارة من انثى فقط كما في حق عيسى وتارة من غير ذكر وانثى كادم وثانيهما ان عيسى اذا قدر صورة الطير من الطين فان الله يخلق فيهما اللحمية والحيوة معجزة لعيسى وكذا احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص نحن ابناء الله واحباؤه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل هذا عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان المضاف محذوف اي نحن ابناء رسل الله او اريد ان عناية الله تعالى بحالهم اكمل واشد من اعتناء الاب بالابن او اليهود زعموا ان عزيرا بن الله والنصارى ان المسيح ابن الله وقد يقول اقارب الملوك وحشمه نحن الملوك وغرضهم كونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه ومما يتلوا النصارى في الانجيل الذي لهم ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فسئل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا وحينئذ يمكن المعارضة بوقعة احد وبقتل احباء الله كالحسن والحسين رضي الله عنهما او عذاب الاخرة فالقوم ينكرون ذلك ولو كان محمد اخبار محمد كاذبا لكان محمد اخباره بانهم كذبوا في ادعاء انهم احباء الله كاذبا وتصير الاستدلال ضايعا واجيب بان محل الالزام عذاب عاجل والمعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم الاحباء لكنهم لم يدعوا انهم الانبياء او عذاب آجل واليهود والنصارى معترفون بذلك وانهم تمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى ليكون الاحتجاج عليهم شي قد دخل في الوجود فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر من جملة خلقه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب ان يغفر له ولا قدرة تمنعه من ان يعذب وباقي الاية تاكيد لهذا المعنى يبين لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان ان يقدر المبين وهو الدين والشرايع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لبيان الشرايع او هو ما كنتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعنى يبذل لكم البيان وحذف المفعول اعم فايدة وقوله على فترة متعلق بجاءكم او حال آخر قال ابن عباس اي على حين فتور بين ارسال الرسل وفي زمان انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله تعالى فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرايع وكان بين عيسى و محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون او ستمائة سنة وعن الكلبي بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة الف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي واما العنسي فهو المتنبي الكاذب والمقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وتطرق التحريف والتغيير الى الشرايع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فمن الله تعالى عليهم بارسال هذه العلة وذلك حق لان تقولوا اي كراهة ان تقولوا ما جاءنا

من بشير ولا نذير فقد جاءكم اي لا تعتذروا فقد جاءكم والحاصل ان الفترة توجب الاحتياج الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شي فكان يجب في حكمته ورحمته ارسال الرسل في الفترات الزمانية واقامة البينات التاويل جعل في امة موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا وجعل من هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال صلى الله عليه وسلم يكون في هذه الامة اربعون على خلق ابرهيم وسبعة على خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد وقال ابو عثمان المغربي البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب والقطب عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو الامام الاولياء وهكذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا نقص من الثلثة واحد جعل مكان واحد من السبعة من غيرهم واذا نقص من الاربعين واحد بدل مكانه واحد من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى قطب الذي به قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلاثة هكذا الى باذن الله تعالى في قيام الساعة لئن اقمتم الصلوة بان يجعلها معراجك الى الحق في درجات القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام يتخلص عن حجب الاوصاف الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار وبالركوع يتخلص عن حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهو من خاصية الهواء وبالسجود يتخلص عن حجب طبيعة النبات واعظمها الشهوة من خاصية الهواء وبالسجود يتخلص عن حجب طبيعة النبات واعظمها الحرص على الجذب للنشو والنماء وهو من خاصية الماء وبالسجود يتخلص عن طبع الجماد واعظمها الجمود وهو من خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه واتيتم الزكوة بان تصرف ما زاد من روحانيتك بتعلق القالب في سبيل الله وآمنتم برسلي استسلمتم بالكلية لتصرفات النبوة والرسالة وافرضتم الله بالوجود كله قرضا حسنا وهو ان ياخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما يقول لاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقي عنكم سيات الوجود المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خاينة منهم لان العصيان يجرالى العصيان فاغرينا بينهم العداوة حيث نسوا حظ الميثاق وابطلوا استعداد الفطري صاروا كالسباع يتهارشون ويتجاذبون يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يجعل اقواما مظهر لطفه وفضله وآخرين مظهر قهره وعدله وهو اعلم بعباده بعلمه وقدرته

واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل

و یاد کن آن وقت را که گفت موسی مر گروه خود را ای گروه من یاد کنید انعام و نعمت خدا را بر شما چون پدید کرد

فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتيكم ما لم يؤت احدا من

در میان شما پیغمبران و گردانید بعضی از شما را پادشاهان و داد شما را آنچه نداد کسی را از

العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله

اهل زمان شما ای گروه من در روید بر زمین پاک گردانیده بیت المقدس یا مجموع شام که بنوشت از خدای و تقدیر کرده

لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا

برای سکون شما و باز مگردید بر پشتهای شما که باز گردید حال آنکه زیان کاران باشید گفتند

يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا

ای موسی بدرستی که در آن زمین گروهی گردنکشانند و بدرستی که ما هرگز در نیاییم با آن تا بیرون آیند

منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان

ایشان پس بدرستی که ما باشیم از وی درآیندگان گفتند دو مرد کالب و یوشع از جمله

من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب

از آنان که دارد کار می ترسند از خدای انعام فرمود خدای بر ایشان در روید بر ایشان ای گروه از در شهر

فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان

پس چون در روید از آن در پس بدرستی که شما غلبه کنان بر خدای بخصوص توکل کنید اگر

كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا

اگر هستيد از اهل ايمان گفتند اى موسى ما هرگز در نيابيم در ان زمين چندانكه باشند

فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال

ايشان در ان پس برو تو و پروردگار تو پس كارزار كنيد هر دو ما اينجا ييم نشستگان گفت موسى

رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم

اى پروردگار من هر آينه من مالك نيم مگر تن خود را و برادر خود را پس جدائى افكن ميان ما و ميان گروهى

الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى

خارج از طاعت گفت خداى پس هر آينه آن زمين كردانيده شد حرام برشما چهل سال حيران ميگردند در بيابان آن

الارض فلا تاس على القوم الفاسقين

زمين پس اندوه مخور بر گروه از فرمان خداى

القراءة جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو حيث كان فلا تاس بغير همز حيث وقعت ابو عمرو ويزيد والاعشى و
ورش وحمزة فى الوقف **الوقوف** ملوكا جبارين ق قد قيل بشبهة الابتداء بان ولكن كسر الف ان لمجيئه بعد القول معطوفا على الاول
حتى يخرجوا منها لابتداء الشرط مع فاء التعقيب داخلون ه الباب لذلك غالبون مؤمنين قاعدون الفاسقين سنة لانها
تصلح ظرفا للتيه بعده وللتحريم قبله الفاسقين **التفسير** وجه النظم انه سبحانه كانه قال اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وذكرهم
موسى نعم الله وامرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا فى الكل من الله تعالى عليهم بامور ثلثة **اولها** قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه
لم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء **وثانيها** قوله وجعلكم ملوكا قال السدى اى جعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد
ما استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكان لهم اموال كثيرة وخدم يقومون بامرهم ومن
كان كذلك كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه وقيل الملك هو الصحة والاسلام والامن والفوز و
تمام النفس وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا فى مصالحه الى احد فهو ملك وقيل كان فى اسلافهم واخلافهم
ملوك وعظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك انتم ملوك مجازا وقيل كل نبى ملك لانه يملك امر امته وينفذ فيهم حكمه **وثالثها**
واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق و
العظايم وقيل اراد عالمى زمانهم روى ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما
ادركت بصرك فهو مقدس وميراث لذريتك وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله اسكان ارض الشام وكان بنو اسرائيل
تسمون ارض الشام ارض المواعيد ثم بعث موسى عليه السلام اثنى عشر نقيبا من الامناء ليتجسسوا لهم من احوال تلك
الاراضى فلما دخلوا تلك البلاد راوا اجساما عظيمة هايلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء لتجسس راهم واحد من
اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم فى كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا
للملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء الى موسى فاخبروه بالواقعة
فامرهم ان يكتموا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلان هما كالبين يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم
بن يوسف فانهما قالا هى بلاد طيبة كثيرة النعم واجسام قومها عظيمة الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم
اوقعوا الجبن فى قلوب الناس حتى اظهروا الامتناع من غزوهم والارض المقدسة هى المطهرة من الافات وقيل من الشرك ورد
بانها لم تكن وقت الجبارين كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها ما هى عن عكرمة و
السدى وابن زيد هى اريحا وقال الكلبى دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل
الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم او خط فى اللوح المحفوظ انها لكم او امركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم
بشؤم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اى مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما
لم يوجد الشرط وقيل حرم عليهم اربعين سنة يتيهون فلما مضى الاربعون حصل ما كتب وفى قوله كتب الله لكم تقوية لقلوب
القوم وان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا عن الدين الصحيح الى الشك فى

نبوة موسى واخباره بهذا النصر او لا ترجعوا عن الارض التى امرتم بدخولها الى التى خرجتم عنها فقد روى ان القوم
كانوا قد عزموا على الرجوع الى مصر فتنقلبوا خاسرين فى الاخرة بفوت الثواب ولحوق العقاب او فترجعوا الى الذل وتموتوا فى
التيه غير واصلين الى شىء من مطالب الدنيا ومنافع الاخرة والجبار فعال من جبر على الامر بمعنى اجبر عليه وهو العاتى الذى
يجبر الناس على ما يريد وهو اختيار الفراء والزجاج قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا فى حرفين جبار من اجبر ودراك
من ادرك وقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدى اليها والقوم كانوا فى غاية القوة ونهاية العظم
فجبن قوم موسى عنهم حتى قالوا على سبيل المبالغة فى الاستبعاد انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال رجلان هما يوشع وكالب من الذين يخافون الله وقد انعم
الله عليهما اى بالهداية والثقة بقوله والاعتماد على نصره مرفوع صفة لرجلان ويحتمل ان يكون جملة معترضة قال القفال
يجوز ان يكون الضمير فى يخافون لبنى اسرائيل والعايد الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم
الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبارين ادخلوا عليهم الباب مبالغة فى الوعد بالنصر والظفر كانه قال متى دخلتم باب
بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموا ظنا او يقينا من عادة الله فى نصرة رسله عامة ومن
صنعه لموسى فى قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا الفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها المعنى لما وعدكم الله النصر
فلا ينبغى ان تصيروا خائفين من عظم اجسادهم بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القدير موقنين بصحة نبوة
موسى انا لن ندخلها نفوا دخولهم فى المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وزاد فى التاكيد بقولهم ابدا ما داموا فيها فاذهب انت
وربك قالت العلماء لعلهم كانوا مجسمة يجوزون الذهاب والمجىء على الله تعالى او انهم لم يقصدوا حقيقة الذهاب كقولك كلمته
فذهب يجيبنى يريد القصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هرون وسموه ربا لانه اكبر من موسى وقيل التقدير اذهب
وربك يعينك بن عملك ولكن لا يحاربه قوله فقاتلا ولا يبقى لقوله انت فايدة واضحة ولا يخفى ان هذا القول منهم
كفر او فسق قال موسى على سبيل الشكوى والبث رب انى لا املك الا نفسى واخى كذلك او نسقا على الضمير فى املك اى لا املك
انا واخى الا انفسنا والنصب على انه نسق على الياء اى انى واخى لا نملك الا انفسنا او على نفسى اى لا املك الا نفسى ولا املك
الا اخى لان اخاه اذا كان مطيعا له فهو مالك طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما او لعله قال ذلك
تقليلا لمن يوافقه او اراد من يواخيه فى الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله
ونجنى من القوم الظالمين او المراد فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لكل منا بما نستحق وهو فى معنى الدعاء عليهم بدليل فاء التسبيب
فى قوله فانها اى الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم فتحها الله لهم من غير محاربة او المراد انهم يتيهون اربعين سنة
ومعنى يتيهون يسيرون متحيرين عن مقاتل ان موسى لما دعا عليهم فاخبر الله بانهم يتيهون اربعين سنة ومعنى يتيهون يسيرون
قالوا له لم دعوت علينا وندم على ما عمل فاوحى الله اليه فلا تاس اى لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فانهم احقاء
بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اى لا تحزن على قوم لم يزل مخالفة
الرسل ديدنهم واعلم ان المفسرين اختلفوا فى ان موسى وهرون هل بقيا فى التيه ام لا فقال قوم انهما ما كانا فى التيه لانه دعا
ان يفرق بينه وبينهم وكل نبى مجاب ولان التيه عذاب والانبياء لا يعذبون ولان سبب ذلك العذاب التمرد وانهما
لم يتمردا وقال اخرون انهما كانا مع القوم الا ان الله تعالى سهل عليهما ذلك العذاب كما ان النار كانت على ابرهيم بردا وسلاما
ثم من هؤلاء من قال ان هرون مات فى التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر وكان
ابن اخت موسى ووصيه بعد موته ومات النقباء فى التيه بغتة بعقوبات غليظة الا كالب ويوشع ومنهم من قال بل
بقى موسى عليه السلام بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم واخذ الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا
ايضا فى التيه وهى المفازة التى تاهوا فيها فقال الربيع مقدار ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ فى ثلثين فرسخا وقيل ستة فى
اثنى عشر وقيل كانوا ستمائة الف فارس ثم الاكثرون على ان قوله فانها محرمة تحريم منع كانوا يسيرون كل يوم على الاستدارة
جادين حتى اذا امسوا واسوا اذا هم حيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك نعمة الله عليهم من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغير ذلك متظاهرة كالوالد الشفيق يضرب ولده ويؤديه ليتادب ويتثقف ولكن لا يقطع عنه معروفه ولهذا ربما يشكل
هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى ذلك القدر الصغير من المفازة سنين متطاولة بحيث لا يتفق لاحد

منهم ان يهتدي طريقا البتة ولو بامارات حركات النجوم والجواب ان هذا من الخوارق التي يجب التصديق بها كسائر المعجزات
التي تستبعد وتوقعها وقال بعضهم ان التحريم تعبد وانه تعالى امرهم بالمكث في تلك المفازة اربعين سنة عقابا لهم على
سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال **التأويل** اشار موسى الروح الى القوى البدنية اذ دخلوا ارض القلب المقدسة
التي كتبها الله تعالى للانسان المستعد في الفطرة فابوا تحمل اعباء المجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقال لهم
رجلان النفسان اللوامة والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد والطلب تتبدل الراحة بالتعب ثم بعد ما بقولهما
فحرم الله تعالى ذلك عليهم اربعين سنة هي مدة استيفاء حظوظ النفس الامارة وانكسار سورة قواها في الاغلب كقوله حتى
اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وفي الآية نكتة هي ان موسى لما ظن انه يملك نفسه واخاه ابتلاه الله في الحال بالدعاء
على امته لان المرء انما يملك نفسه اذا ملكها عند الغضب وشتان بينه وبين من قال حين شج راسه وكسر رباعيته اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون اللهم صل عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك يا ارحم الراحمين

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من
احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما
يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار و
ذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه
فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سواة اخي فاصبح من النادمين من
اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير
نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف

او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم
فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم
تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل
منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن
تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور
رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
يعذب من يشاء والله على كل شيء قدير

القراءة لاقتلنك بالنون الخفيفة روي المعدل عن زيد يدي اليك بفتح الياء المتكلم ابو جعفر ونافع من
اجل بكسر النون يزيد وقرأه ورش بفتح النون بوصوله رسلنا بسكون السين حيث كان ابو عمرو **الوقوف** بالحق ج
على ان اذ معمول اذكر محذوفا ولو وصل لاوهم انه معمول اتل وهو محال من الآخر ط قال لاقتلنك ط المتقين ه لاقتلك
لاحتمال اصحاب اللام او الفاء العالمين ه النار ج لاختلاف الجملتين الظالمين ه لاجل الفاء الخاسرين ه سوأة اخيه ط اخي
لطول ما اعترض بين المعطوف والمعطوف عليه النادمين ج من ذلك كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق باصبح وكتبنا
جميعا ط في الموضعين بالبينات ز لان ثم لترتيب الاخبار لمسرفون ه من الارض ط عظيم لا عليهم ج لتنافي الاستثناء مع الجواب اي لا
تعذبوا التائب فان الله غفور رحيم ه تفلحون ه منهم ج لتنافي الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم ز عنها لا لاتحاد المقصود
مع اختلاف الجملتين مقيم ه من الله ط حكيم ه يتوب عليه ط رحيم ه لمن يشاء ط قدير ه **التفسير** في النظم وجوه منها انه رجع
الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم وكانه تعالى ذكر لاجل تسلية نبيه قصصا كثيرة كقصة النقباء وما انجر اليه
الكلام من اصرار اهل الكتاب وتعنتهم بعد ظهور الدلايل القاطعة ثم ختمها بقصة ابني آدم وان احدهما قتل الآخر حسدا
بغيا ليعلم ان الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه

القصة وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التورية ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اي لا ينفعهم كونهم
من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع قابيل والمراد اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر ابني آدم من صلبه هابيل وقابيل تلاوة ملتبسة
بالحق والصحة من عند الله تعالى او ملتبسة بالصدق موافقة لما في التورية والانجيل او بالغرض الصحيح هو تقبيح الحسد والتحذير من
سوء عاقبة الحاسد او اتل عليهم وانت محق صادق لا مبطل هازل كالاقاصيص التي لا غناء فيها اذ قربا قال في الكشاف نصب
بالنبأ اي نبأ ذلك الوقت على حذف المضاف والمقصود اذ قرب كل واحد منهما قربانا الا انه جمعهما بالفعل اتكالا على
قرينة الحكاية او لان القربان في الاصل مصدر ثم سمي به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة يروى ان آدم عليه السلام
كان له في كل سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن آخر فولد قابيل وتوأمته اقليما وبعدهما هابيل
وتوأمته لبودا وكانت توأمة قابيل احسن واجمل فاراد آدم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل وانا احق بها وليس هذا من الله
وليس هذا من الله وانما هو رايك فقال آدم لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل قربانه زوجتها منه فقبل الله قربان هابيل بان نزلت
نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن والضحاك انهما ما كانا
ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ومن البين ان صدور الذنب من
احد ابني آدم لا يصلح ان يكون سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وزيف بان الآية تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول
حتى تعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف عليه قال مجاهد اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك
علامة القبول وقيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكانت النار تنزل من السماء فتاكله
وانما صار احد القربانين مقبولا والآخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب
المبطل انما يتقبل الله من المتقين وذلك انه لما كان الحسد هو الذي حمله على توعده بالقتل فكانه قال له ما لك لا تعاتب نفسك
ولا تحملها على طاعة الله التي هي السبب في القبول قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانا احسن ما كان معه وكان صاحب
غنم والآخر جعله ارداء ما كان معه وكان صاحب زرع وقيل اضمر حين قرب انه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل ولم يقبل
وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى وفي الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلني قال لان قربانك صار
مقبولا فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك فذكر الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفي دلالة على انه لا يفعل ما
يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم
خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وهذا وجه قوله اني اخاف الله رب العالمين وقيل المعنى لا ابسط يدي اليك
لغرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر فالايسر وليس له ان يقصد
القتل بل يجب عليه ان يقصد الدفع ثم ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فسئل
انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة وزر اخرى فقال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة
اي بحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال الزجاج ترجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل
قربانك وقال في الكشاف انه يحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت الى يدك اليك يدي
سؤال آخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه وكونه من اهل النار والجواب ان هذا الكلام انما دار بينهما عند ما
غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على ايقاع القتل فكانه لما وعظه ونصحه قال له وان كنت لا
تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان ترصد القتل في وقت غفلتي وحينئذ لا يمكنني ان ادفعك عن قتلي الا
اذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذا مني كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان يكون فاعل هذه المعصية انا وبين
ان تكون انت فانا احب ان يحصل هذه الكبيرة لك لا لي ومن البين ان ارادة صدور الذنب من الغير في هذه الحالة لا
يكون حراما بل هو عين الطاعة او المراد تريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب
الظالم وروي ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه اخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان
يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي يحمل عليك يوم القيامة اذا لم تجد ما ترضيني باثمك في قتلك اياي وهذا يصلح جوابا
عن السؤال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته ورخصته وسهلت من طاع له المرتع واطاع اذا اتسع ولاجل

زيادة الربط كقولنا القائل حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته فقتله والتحقيق ان الانسان يعلم ان القتل العمد العدوان من
اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوع النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقاد لها وخضع ولضمن
التطويع والتمرين الى النفس لا ينافي كون الكل مضافا الى قضاء الله فتنبه يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس واخذ
طيرا وضرب راسه بحجر فتعلم قابيل ذلك منه ثم انه وجد هابيل يوما نائما فضرب راسه بصخرة فمات وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا يقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الكفل من دمها وذلك انه اول من سن القتل فاصبح من الخاسرين دينه واخي
لانه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيامة ثم يلقى في النار حكا ان قابيل لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن الى عدن فاتاه
ابليس وقال له وانما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فبنى بيت نار وهو اول من عبد النار
وروي ان هابيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وروي
انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث
آدم بعده مائة سنة لم يضحك وانه رثاه بشعر وهو هذا شعر تغيرت البلاد ومن عليها ۝ ووجه الارض مغبر قبيح ۝
تغير كل ذي لون وطعم ۝ وقل بشاشة الوجه المليح ۝ قال في الكشاف انه كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون
عن الشعر وصدقه في التفسير الكبير وقال ان ذلك الشعر من غاية الركاكة بحيث لا يليق بالاحاد فضلا عن الافراد و
خصوصا من علمه حجة على الملائكة اقول اما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل دعوى العموم لا يمكن فيه وكانه
من خصايص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا اثنى الله تعالى عليه بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له واما انه من الركاكة
بالحيثية المذكورة فمكابرة مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر المصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه
لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير فبعث الله غرابا وروي
انه بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فتعلم من الغراب وقال
الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يحثي على المقتول فلما راى القاتل ان الله تعالى كيف يكرمه بعد موته ندم وقال ابو
مسلم عادة الغراب دفن الاشياء فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه ليريه اي الله او الغراب اي ليعلمه وذلك انه
كان سبب تعليمه كيف يواري محله نصب على الحال من ضمير يواري والجملة منصوبة بيري مفعولا ثانيا اي ليريه كيفية
مواراة سواة اخيه اي عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل اي جيفة اخيه والسوءة السواء الخلة القبيحة يا ويلتي كلمة
عذاب يقال ويل له وويله ومعناه الدعاء بالاهلاك وقد يقال في معرض الترحم وانما طلب اقبال الويل ههنا على سبيل
والندبة اي احضر حتى تعجب مني ومن فظاعتك او احضر فهذا اوان حضورك والالف بدل من ياء المتكلم اعجزت استفهام
بطريق الانكار ان اكون اي عن اكون مثل هذا الغراب اي في الفعلة المذكورة ولهذا قال فاواري بالنصب على جواب الاستفهام
من النادمين الندم وضع للزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن ندمه توبة لانه لما تعلم الدفن من الغراب صار من
النادمين على ان حمله على ظهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته او ندم لانه تركه بالعراء استخفافا
وتهاونا وكان دون الغراب في الشفقة على مقتوله حتى صار الغراب دليلا وقد قيل اذا كان الغراب دليل قوم من اجل ذلك اي
بسبب ذلك القتل قيل هو من اجل شرا ياجله اجلا اذا جناه كتبنا على بني اسرائيل انه كان القاتل والمقتول من بني اسرائيل
والمناسبة بين الواقعة وبين الوجوب القصاص عليهم ظاهر وان كانا ابني آدم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما في
القصة من انواع المفاسد كخسران بالنادين وكندم على الامور المذكورة اي من اجل ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشية
من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد
المذكور في الآية وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت الا على بني اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم
فانهم مع علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي
عزموا فيها على قتله ثم القائلون بالقياس استدلوا بالآية على ان احكام الله تعالى قد تكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة
معللة بتلك المعاني المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها دلت على ان الاحكام الله تعالى معللة بمصالح
العباد ويعلم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ينافي مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم
الاستكمال والتحقيق ان استتباع الفعل الغاية الصحيحة لا ينافي الكمال الذاتي وقد سبق مرارا بغير نفس اي بغير قتل نفس هو

وهو ان يقع لا على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض كالكفر بعد الايمان وكقطع
الطريق وغيره من المهدرات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهي ان التشبيه لا يستدعي التسوية بين المشبه والمشبه به من كل
الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس فان الجن لا يعقل انه مساو للكل فالغرض استعظام امر القتل العمد العدوان
فاشتراك القتلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب الاليم ولو قتل الناس جميعا
لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة
واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل واحد بل بالاضافة الى الكل لان انسان يدلي من الكرامة والحرمة
بما يدلي به الاخر وفيه ان جد الناس واجتهادهم في دفع قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جدهم في دفعه لو علموا
انه يقصد قتلهم باسرهم ومن احياها استنقذها من مهلكة كحرق او غرق او جوع مفرط ونحو ذلك فالكلام في تشبيه احياء
البعض باحياء الكل كما تعرفه في القتل ثم ان كثيرا منهم اي من بني اسرائيل بعد ذلك وبعد مجيء الرسل لمسرفون في القتل لا يبالون
بهتك حرمته وبعيد ثم تراخي الرتبة ثم انه سبحانه بين ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله استدل بالاية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن
حملها على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال انا نحمل هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والتقدير انما جزاء الذين يخالفون
احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا انتصب على الحال اي مفسدين او على العلة اي للفساد او على المصدر الخاص لخروج القهقرى
لان الفساد عن قتادة عن انس ان الاية نزلت في العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم وامر بقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم وتركهم حتى ماتوا فكانت الاية
ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقران كان الناسخ لتلك السنة سنة اخرى ونزل هذا القران مطابقا
للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي بردة الاسلمي وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فمر بهم
قوم من كنانة يريدون الاسلام وابو بردة غائب فقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذي حكى الله
تعالى عنهم انهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول اكثر الفقهاء وقالوا ولا يجوز حمل الاية على
المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض ولانه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد
او النفي ولان حده يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها ولان الصلب غير مشروع في حقه ولان اللفظ عام وشرطوا في هذا
المحارب بعد كونه مسلما مكلفا ان يكون معتمدا التوجه القوة في المغالبة مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون و
المعتمد على الهرب وكذا المتعرض للعدد على الاستغاثة بمن يغيثه واتفقوا على ان هذه الحالة اذا حصلت في الصحراء كان قاطع الطريق
فاما في نفس البلد فكذلك عند الشافعي لعموم النص وخالفه ابو حنيفة ومحمد لانه يلحقه الغوث في الغالب فحكمه حكم السارق
والعلماء في لفظ او في الاية خلاف عن ابن عباس في رواية علي عن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد
انها للتخيير ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان شاء قطع الايدي والارجل وان شاء نفى وعنه في رواية عطاء ان
الاحكام تختلف بحسب الجنايات فمن اقتصر على القتل قتل واخذ المال قدر نصاب السرقة قتل وصلب ومن اقتصر
على اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم ياخذ المال نفي من الارض واليه ذهب الشافعي والاكثرون
والذي يدل على ضعف القول الاول انه ليس للامام الاقتصار على النفي بالاجماع ولان هذا المحارب اذا لم يقتل ولم ياخذ المال
فقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فتقدير الاية ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان جمعوا
بين القتل والاخذ او يصلبوا ان جمعوا بين القتل والاخذ او يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على الاخذ
والتشديد في هذه الافعال للتكثير او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي ايضا يؤيد هذا التفسير لان
القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به
قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف اي يده اليمنى ورجله اليسرى فان عاد فالباقيان قيل وانما قطع هكذا
لئلا تفوت جنس المنفعة قلت هذا ايضا من باب التغليظ لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في الركوب
وان جمعوا بين القتل والاخذ جمع بين القتل والصلب لان بقاءه مصلوبا في ممر الطريق اشهر والزجر فان اقتصروا على

مجرد الاخافة اقتصر الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان يقتل فقط
او يقطع ثم يقتل ويصلب وعند الشافعي لا بد من الصلب لاجل النص وكيفية الصلب ان يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا ثلثة
ايام وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده اي صليبه وهو الودك وعند ابي حنيفة يصلب حيا ثم يمزق بطنه برمح حتى يموت
او يترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم ان انزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك حتى يتهرى فلا غسل ولا صلوة
واما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا واخذوا المال فالامام ان ظفر بهم اقام عليهم الحد وان لم
يظفر بهم طلبهم ابدا فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني الذين يحضرون الواقعة
ويعينونهم بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما اخذوا المال فالامام ياخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد
بنفيهم هو هذا الحبس وقال ابو حنيفة واحمد واسحق النفي هو الحبس لان الطرد جميع الارض غير ممكن والى بلد اخرى استضرار بالغير
والى دار الكفر تعرض للمسلم بالردة فلم يبق الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من المحبوسات طيبات الدنيا فكانه
خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال لبثه شعر خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ٭
فلسنا من الاموات فيها ولا الاحياء ٭ اذا جاءنا السجان يوما لحاجة ٭ عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ٭ ذلك لهم خزي اي ذل وفضيحة
في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الاحباط قالت الاشاعرة بل يشترط
عدم العفو الا الذين تابوا قال الشافعي ان تابوا بعد القدرة عليه لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لانه متهم
حينئذ بدفع العذاب عنه وفي سائر الحدود بعد القدرة عليه قيل يكفي التوبة اظهارا كما يكفي اظهار الاسلام تحت ظلال
السيوف والاصح انه لا بد مع التوبة من اصلاح العمل لقوله تعالى في الزنى فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة
فمن تاب من بعد ظلمه واصلح لعل الفائدة في هذا الشرط ان ظهر ما يخالف التوبة اقيم عليه الحد انما يسقط بتوبة قاطع
الطريق قبل القدرة عليه تحتم القتل فالولي يقتص او يعفو بناء على ان عقوبة قاطع الطريق لا يتمحض حدا بل يتعلق
بها القصاص وهو الاظهر اما اذا محضناه حدا فلا شيء عليه وان كان قد اخذ المال وقطع سقط الصلب وتحتم القتل وفي
القصاص وضمان المال ما ذكرنا وان كان قد اخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان الاظهر السقوط ايضا
بناء على انه جزء من الحد الواجب فاذا لم يبق الكل لم يبق شيء من اجزائه بالاتفاق والثاني انه ليس من خواص قطع الطريق
لانه يجب بالسرقة ففي سقوط الخلاف في سائر الحدود ثم انه سبحانه لما بين كال جسارة اليهود على المعاصي وغاية بعدهم
عن الوسائل الى الله وآل الكلام الى ما آل عاد الى ارشاد المؤمنين ليكونوا بالضد منهم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة وايضا انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن ابناء الانبياء وكان افتخارهم باعمال آبائهم فقيل
للمؤمنين ليكن مفاخرتكم باعمالكم لا باسلافكم فقوله اتقوا الله اشارة الى ترك المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة عبارة
عن فعل المامورات وان كان ترك المناهي ايضا من جملة الوسائل الا ان هذا التفريق مناسب والفعل والترك ايضا يعتبران في
الاخلاق الفاضلة والذميمة وفي الافكار الصائبة والخاطئة واهل التحقيق يسمون الترك والفعل بالتخلية والتحلية او بالمحو
والصحو او بالنفي والاثبات او بالفناء والبقاء والاول مقدم على الثاني فالم يفن عما سوى الله لم يرزق البقاء بالله والوسيلة فعيلة
وهي كل ما يتوسل به الى المقصود ولهذا فلا يسمى المرقة توسلا والواسل الراغب الى الله قال لبيد شعر بلى كل ذي لب الى الله
واسل ٭ والتوسيل والتوسل واحد يقال وسل الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل قالت التعليمية
انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء مؤخر عن الايمان لقوله يا ايها
الذين آمنوا فعلمنا ان المراد بالوسائل هي العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس
ثقيلا على الطبع لان العقل يدعو الى الخدمة لله والنفس تدعو الى اللذات الحسيات والجمع بينهما كالجمع بين الضرتين والضدين
اردف التكليف المذكور بقوله وجاهدوا في سبيله والمراد بهذا القيد ان يكون العبادة لاجله لا لغرض سواه وهذه
مرتبة السابقين ثم قال لعلكم تفلحون الفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب وهذه دون الاولى لان غرضه
الرغبة في الجنة والهرب من النار وكلتا المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة الناقصين بقوله ان الذين كفروا وخبر ان مجموع
الجملة الشرطية وهي قوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور او الواو بمعنى مع والعامل في المفعول
معه وهو المثل ما في ان من معنى الفعل اي لو ثبت من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم الغرض التمثيل وان ملء الارض ذهبا اكثر

تقتدي به فيقول نعم فيقال له قد سألت ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اي يتمنون الخروج من النار او يقصدون ذلك قيل اذا رفعهم لهب النار الى فوق فهنالك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ورفعها اياهم عممه المعتزلة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه الاشاعرة بالكفار لدلالة الآية المتقدمة ثم انه تعالى لما تمم حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو الماخوذ على سبيل الخفية لا المحاربة فقال والسارق والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والاخفش والتقدير فيما فرض او فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا بتاويل واما اذا نصبت فانه يكون من باب الاضمار على شريطة التفسير والفاء يكون مؤذنا بتلازم ما قبلها وما بعدها مثل وربك فكبر وضعف قول سيبويه بانه طعن في قراءة واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذي ذهب اليه هو خلاف الاصل والمثل الذي مال اليه الفراء ادل على العموم واوفق لقوله سبحانه فانه تصريح بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء واما البحث المعنوي في الآية فان كثيرا من الاصوليين زعم انها مجملة لانه لم يبين نصاب السرقة وذكر الايدي وبالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد يقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا لم يحنث بلمسه باصابعه فانه يحنث ويقع على الاصابع مع الكف وعلى الاصابع والكف والساعدين الى المرفقين وعلى ذلك الى المنكبين وايضا الخطاب في فاقطعوا اما للامام الزمان كما هو مذهب الاكثرين او لمجموع الامة او لطائفة مخصوصة فثبت بهذه الوجوه ان الاية مجملة وقال المحققون لفظ الآية ولا سيما في تقدير الفراء عموم القطع بعموم السرقة الا ان السنة خصصته بالنصاب او نقول ان اهل اللغة لا يقولون لمن اخذ حبة انه سارق والمراد بالايدي الايمان مثل فقد صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب قطعهما معا ولا الابتداء باليسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو الى المنكب ولهذا قيل في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهبت الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين لظاهر الآية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الاية عامة لكنها خصت بدلائل منفصلة فيبقى حجة في الباقي وهذا اولى من جعلها مجملة [illegible] اصلا ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى ان القطع لا يجب الا عند شروط كالنصاب والحرز وخالف ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج تمسكا بعموم الآية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالذي يستقله الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان علي مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل لاحتمال ان يريد انه عظيم عند الله [illegible] ولما طعنت الملحدة في الشريعة كيف ينبغي ان يقطع في قليل مع ان قيمته خمسمائة دينار من الذهب اجيب عنه بان ذلك عقوبة من الشارع له على دناءته واذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا منا في ايجاب القطع على القليل والكثير واما اختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجيء يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم متعارضة فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ودعوى الاجماع على ان القطع مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق اما المسروق فمن شروطه عند الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص وما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم وقال مالك ربع دينار او ثلاثة دراهم وعن احمد روايتان كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وفي مواعظه اخذ من قطع يدك في درهم ومنها ان يكون المسروق ملكا لغير السارق لدى الاخراج من الحرز فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن والمستاجر او طرأ ملكه في المسروق قبل اخراجه من الحرز بان ورثه السارق او اتهبه وهو فيه سقط القطع ومنها ان لا يكون محرما كالخمر او خنزير ومنها ان يكون الملك تاما قويا والمراد بالتمام ان لا يكون للسارق فيه شركة او حق كمال بيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا كالمستولدة والوقف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق رب الدين من مال المديون فان اخذه لا على قصد استيفاء الحق وهو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء من اخذ من جنس حقه او لا من جنسه واذا سرق احد الزوجين

من مال الاخر وكان المال محرزا عنه فعند ابي حنيفة لا يجب القطع وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله صلى الله عليه وسلم لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل ولا في اواه فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وحرز كل شيء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب وان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة في الدار وعرصتها حرز للاواني وثياب البذلة دون الحلي والنقود فان العادة فيها الاحراز في الصناديق والمخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز لمال فهو حرز لكل مال واما السرقة فهي اخراج المال عن ان يكون محرزا ولا بد من شرط الخفية فلا قطع على المختلس والمنتهب المعتمد على القوة ولا على المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط فيه التكليف والتزام الاحكام والاختيار فيقطع الذمي والمعاهد ولا يقطع المكره وانما يثبت السرقة بشاهدين او باليمين المردودة او بالاقرار او بشهادة رجلين ويتعلق بهما حكمان الضمان والقطع وقال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وسلم على اليد ما اخذت حتى تردي يوجب الضمان وقد اجتمع في هذه السرقة امران وحق الله لا يمنع حق العباد ولهذا يجتمع الجزاء والقيمة في الصيد المملوك ولو كان المسروق باقيا وجب رده بالاتفاق حجة ابي حنيفة قوله تعالى جزاء بما كسبا والجزاء هو الكافي فهذا القطع كان في جناية السرقة ورد بلزوم رد المسروق عند كونه مسروقا قائما اما كيفية القطع فقد روي انه صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطع يمينه قال الشافعي فان سرق ثانيا تقطع رجله اليسرى فان سرق ثالثا فيده اليسرى فان سرق رابعا فرجله اليمنى وبه قال مالك وروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي حنيفة واحمد لا يقطع في الثالثة وما بعدها لما روي عن ابن مسعود انه قرا فاقطعوا ايمانهما وضعفه الشافعي بان القراءة الشاذة لا تعارض ظاهر القرآن المقتضي لتكرار القطع بتكرار السرقة واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم والسيد يملك اقامة الحد على مماليكه لعموم قوله فاقطعوا ولم يجوزه ابو حنيفة واحتج المتكلمون بالاية في انه يجب على الامة نصب الامام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب وانتصاب جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل فاقطعوا وان شئت على المصدر من الفعل الذي دل عليه فاقطعوا اي جازوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح اي يتوب بنية صالحة وعزيمة صحيحة خالية عن الاغراض الفاسدة فان الله يتوب عليه وعند بعض الائمة يسقط العقوبة ايضا وعند الجمهور لا يسقط وباقي الآيات قد مر تفسيرها وانما قدم التعذيب على المغفرة طباقا لتقدم السرقة على التوبة **التأويل** ان آدم الروح بازدواجه مع حواء القالب ولد قابيل النفس وتوأمته اقليما الهوى ثم هابيل القلب وتوأمته ليوذا العقل فكان الهوى في غاية الحسن في نظر النفس فيه تميل الى الدنيا ولذاتها وكان في نظر العقل ايضا في غاية الحسن فيه تميل الى طلب المولى وكان العقل في نظر النفس في غاية القبح لانها به تنزجر عن طلب الدنيا وكذا في نظر القلب لانه بالعقل يمنع من طلب الحق والفناء في الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال فحرم الله تعالى الازدواج بين التوأمين لان الهوى اذا كان قرين النفس انزلها اسفل سافلين الطبيعة واذا كان قرين العقل كان عشقا يوصله الى الله على فراديس القرب واذا كان العقل قرين القلب صار عقالا له واذا كان قرين النفس حرضها على العبودية ورغبها بل القلب راعيا لقوانين الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية فقربا الصفة البهيمية وهي احب الصفات اليه لاحتياجه اليها لضرورة التغذي والبقاء ولانها بالنسبة الى الصفات السبعية والشيطانية نوع صافية بانها على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فحملت الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار ولم تاكل قربان قابيل النفس لانها ليست من حطبها بل هي حطب نار الحيوانية فتوعد بانه [illegible] اي انم وجودي وانم وجودك فان الوجود حجاب بيني وبين محبوبي فقتل قابيل النفس هابيل القلب بالقهر [illegible] عن القلب فاصبح من الخاسرين اما في الدنيا فبالحرمان عن الواردات والكشوف واما في الاخرة فبالبعد عن جنات الوصول فبعث الله غرابا هو الحرص في الدنيا ليشتغل بذلك عن فعل [illegible] في تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العباد باي طريق شاء فيزول تعجب الملائكة والرسل باختصاصهم بتعليم الخلوة في الارض لمسرفون اي في ارض البشرية انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله ان يقتلوا بسكين الخذلان او يصلبوا بحبل الهجران على جذع الحرمان او تقطع ايديهم عن اذيال الوصال وارجلهم من خلاف عن الاختلاف او ينفوا من ارض القربة والايلاف يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله جعل الفلاح الحقيقي في اربعة اشياء في الايمان وهو اصابة رشاش النور في مبدأ الخلقة وبه تخلص العبد من ظلمة الكفر وفي التقوى وهو منشأ الاخلاق المرضية ومنبع الاعمال الشرعية وبه الخلاص عن ظلمة المعاصي وفي ابتغاء الوسيلة وهو افناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية وبه يخلص من ظلمة اوصاف الوجود وفي الجهاد في سبيله وهو محو الانانية في اثبات الهوية وبه يخلص من ظلمة الوجود ويظفر بنور الشهود وما هم بخارجين منها لانهم خلقوا مظاهر القهر السارق والمسروق كان مقطوع الايدي عن قبول رشاش النور فكان تطاول ايديهما اليوم الى اسباب الشقاوة من نتائج قصر ايديهما عن قبول تلك السعادة جزاء بما كسبا الان في عالم الصورة نكالا من الله تقديرا منه في الازل والله اعلم بالصواب

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب
سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله
فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب
اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين
وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون
من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى ونور
يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار
بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس
واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين و
الانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن

تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه
من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه
من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون

القراءة للسحت بضمتين ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد الباقون بسكون العين واخشوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل والعين وما بعده بالرفع على وافق ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد في والجروح بالرفع والاذن واذنه بسكون العين نافع وليحكم بالنصب حمزة والباقون بالجزم **الوقوف** قلوبهم ج اي ومن الذين هادوا قوم سماعون وان شئت عطفت ومن الذين هادوا على من الذين قالوا امنا ووقفت على هادوا واستانفت بقوله سماعون راجعا الى الفريقين والاول اجود لان التحريف محكي عنه وهو مختص باليهود اخرين لان ما بعده صفة لهم لم ياتوك ط مواضعه ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف فاحذروا ط شيئا ط قلوبهم ط عظيم ه للسحت ط لان المشروط غير مخصوص بما يليه اعرض عنهم ج شيئا ط بالقسط ط المقسطين ه ذلك ط لتناهي الاستفهام بالمؤمنين ه ونور ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف شهداء ج لاختلاف النظم مع فاء التعقيب قليلا ط الكافرون ه بالنفس ط لمن قرا العين وما بعده بالرفع بالسن ط لمن قرا والجروح بالرفع قصاص ط لابتداء الشرط كفارة له ط الظالمون ه من التورية الاولى ص لطول الكلام ونور لا لان الحال بعده معطوف على محل الجملة قبله الواقعة حالا للمتقين ط لمن قرا وليحكم بالنصب فيه ط الفاسقون ه **التفسير** خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي في مواضع ولم يخاطبه بقوله يا ايها الرسول الا ههنا وفي قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ولا شك ان الخطاب تشريف تعظيم شرف به في هذه السورة التي هي آخر السور نزولا حيث خففت رسالته في الواقع اما وجه النظم فهو انه سبحانه لما بين بعض التكاليف والشرايع وكان قد علم مسارعة بعض الناس الى الكفر فلا جرم صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحمل ذلك وعلمه ان لا يحزن عليهم ويكيده شرهم والمراد بمسارعتهم في الكفر تهافتهم فيه وحرصهم عليه حتى اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها آمنا بافواههم فيه تقديم وتاخير اي قالوا بافواههم آمنا سماعون للكذب قابلون لما يفعله احبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من قولك الملك يسمع كلام فلان اي يقبله سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي قابلون من الاحبار ومن الذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة البغضاء وافراط العداوة ويحتمل ان يراد نفس السماع واللام في الكذب لام التعليل اي يسمعون كلامك لكي يكذبوا عليك بتبديل وتغيير سماعون لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا وجواسيس من بعد مواضعه اي التي وضعها الله فيه من امكنة الحل والحظر والفرض والندب وغير ذلك او من وجوه الترتيب والنظم فيحلونها بغير مواضع بعد ان كانت ذات مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن موضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا روي فيه ابطال عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمما مجلودا فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم

قال نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك
نشدتني لم اخبرك نجد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه
الحد فقلنا تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله الآية الى قوله ان اوتيتم هذا يقولون ائتوا محمدا فان افتاكم بالتحميم
والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا وفي رواية اخرى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما
الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم
فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا
فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون
والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت
ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله عن اشياء كان يعرفها من علاماته فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
انك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده قال العلماء القائلون
برجم الثيب الذمي وهو مذهب الشافعي ان كان الامر برجم الثيب الذمي من دين الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المقصود وان كان شيئا
ثبت في شريعة موسى فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه بهذا الطريق اجمع العلماء على ان قوله وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس حكمه باق في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الآية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود
وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلالته فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه
دليل على انه تعالى لا يريد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لآمن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله
يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا والمراد ومن يرد الله اختباره فيما يبتليه من التكاليف ثم انه يتركها
ولا يقوم باداءها فلن تملك له من الله ثوابا ولا نفعا ثم قالوا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بالالطاف لانه تعالى علم انه
لا فائدة في تلك الالطاف لانها لا تنجع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج والغم والوحشة الدالة على كفرهم او هو استعارة
عن سقوط وقعه عند الله تعالى وانه غير ملتفت اليه بسبب قبح افعاله وسوء اعماله ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب
اكالون للسحت وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه من سحته واسحته اي استاصله لانه مسحوت البركة ومال مسحوت اي مذهب قال
الليث السحت يحصل الحرام منه العار وذلك انه يسحت فضيلة الانسان ويستاصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا
يلقى الا جائعا ابدا كانه يستاصل كل ما يصل اليه من الطعام والسحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفحل وكسب الحجام
وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستكساب في المعصية روي ذلك عن علي وعمر وعثمان وابن عباس
وابي هريرة ومجاهد وزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار بحيث يخفيه
صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى
خصمه فكان يسمع الكذب ويأكل السحت وقيل كان فقراؤهم ياخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية فكانوا
يسمعون اكاذيب الاغنياء ويأكلون السحت وقيل سماعون للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التورية اكالون للربا لقوله
تعالى واخذهم الربا فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خيره الله تعالى بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا التخيير مختص
بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امر خاص وهو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وقيل في
قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف وكانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل الدية سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الآية عامة في كل من جاء
من الكفار وان الحكم ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وهو مذهب الشافعي ان
هذا التخيير منسوخ في حق غير المعاهدين بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله فيجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل
الذمة اذا تحاكموا اليه لانه في امضاء حكم الاسلام عليهم صغار لهم واما اهل الحجاز فبعضهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون
الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول

الجزية ثم انهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الاسهل والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق
عليهم وعادوه فامنه الله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط
كما حكمت في الرجم وكيف يحكمونك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تحكيمهم لوجوه منها عدولهم عن حكم كتابهم ومنها رجوعهم
الى حكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة ونهاية العناد والواو في قوله و
عندهم للحال من التحكيم والعامل ما في الاستفهام من التعجب اما قوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التورية على ضعف
وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها والتقدير عندهم التورية ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر وان لا يكون
لها محل ويكون له جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كقولك عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع
بغيره وانث التورية لما فيها من صورة تاء التأنيث ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم لتراخي الرتبة اي ثم يعرضون من بعد تحكيمك
عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبار بانهم لا يؤمنون ابدا والمراد انهم غير مؤمنين بكتابهم كما يدعون او المراد
انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغب اليهود في ان يكونوا كمتقدميهم من انبيائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا
التورية فيها هدى ونور والعطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الاحكام والشرايع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقال
الزجاج الهدى بيان الحكم الذي جاؤا يستفتون فيه والنور بيان ان امر النبي صلى الله عليه وسلم حق وقيل فيها هدى يهدي
للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام فهما عبارتان عن معنى واحد وقد يستدل بالآية على ان شرع من قبلنا يلزمنا
لان الهدى والنور والعدل لا بد ان يكون احدهما متعلقا بالفروع والآخر بالاصول والا كان تكرارا وايضا انها نزلت في الرجم ومورد
الآية لا بد ان يكون داخلا فيها سواء قلنا ان غيره داخل او خارج ويمكن ان يجاب بان التكرار بعبارتين غير محذور وبان في
الكلام تقديما وتاخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون اما قوله الذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم
فما الفائدة في هذا الوصف واجيب بانها صفة جارية على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه تعريض باليهود انهم بعداء
عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء قديما وحديثا لان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ادعاء الاحكام بالتورية
اخذ الرشى من العوام فالفريقان متباينان ولهذا اردفه بقوله للذين هادوا اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف قوله تعالى الذين
اسلموا للذين هادوا اشارة الى ان اليهود بمعزل عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان يكون مغايرة لصفة المحكومين
ولقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لا يكفي مغايرة العام للخاص وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي المراد
بالنبيين هو محمد كقوله ان ابرهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كان متفرقة في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا
والحكم بالتورية فمن الانبياء من لم يكن شريعتهم شريعة موسى والربانيون قد مر تفسيره في آل عمران والاحبار عن ابن عباس هم
الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة او حبر بالكسر من ذلك ايضا لقولهم
حسن الحبر بالكسر ايضا وفي الحديث يخرج رجل من النار وقد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وتحبير الخط والشعر تحسينه او
من هذا الحبر الذي يكتب به لكون العالم صاحب كتب قاله الفراء والكسائي وابو عبيد ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل
على انهم اعلى حالا من الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين من الاحبار كآحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان
يكون من صلة يحكم اي يحكم بها الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا
بما سالهم انبياؤهم حفظه من كتاب الله للنبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء ان يحفظوا كتابه من وجهين احدهما
ان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرايعه وكانوا اي هؤلاء النبيون
والربانيون والاحبار عليه على ان كل ما جاء في التورية حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل ويحتمل ان يعود ضمير
استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ من الله اي يحفظهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود المعاصرين
عن التحريف لرهبة فقال ولا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة فقال ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا هو الرشوة وابتغاء
الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتج الخوارج بالآية على ان كل من عصى الله فهو كافر وللمفسرين
في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود ورد بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظة من في معرض الشرط
للعموم فلا وجه لتقدير ومن لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء هو كفر دون
كفر وقال طاوس ليس بكفر ملة ولكن بكفر واليوم الآخر فلعل هذا اراد كفران النعمة وضعف بان الكافر اذا اطلق اريد به الكافر

في الدين وقال ابن الانباري المراد انه ضاهى الكافر لانه ضل ضلال الكافر وزيف بانه عدول عن الظاهر وقال عبد العزيز بن يحيى
الكناني معناه من انه ضد حكم الله تعالى في كل ما انزل فيخرج الفاسق لانه في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا و
اعترض ان سبب النزول يخرج حينئذ لانه نزل في مخالفة اليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال الجزئي داخل في الكلي وقال عكرمة انما
يتناول الآية من انكر بقلبه وجحد بلسانه اما العارف والمقر اذا اخل بالعمل فهو حاكم بما انزل الله تعالى ولكنه تارك فلا يتناول
الآية ثم انه سبحانه لما بين ان حكم الزاني المحصن في التورية هو الرجم واليهود غيروه اراد ان يبين ان نص التورية هو قتل النفس
بالنفس وانهم بدلوه حيث ضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرا المعطوفات
كلها بالنصب فظاهر ومن قرا ما سوى الاول بالرفع فللعطف على محل النفس اذ المعنى وكتبنا عليهم في التورية النفس بالنفس اما لاجراء
كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها واما على سبيل الاستيناف والمعنى على جميع التقادير
وفرضنا عليهم فيها ان النفس مقتوله بالنفس اذا قتلها بغير حق والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع في الانف والاذن مصلومة
بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اي مقاصة وهذا تعميم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل والمراد منه كل ما يمكن الاقتصاص
فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والاليين والقدمين واليدين ومن الجراحات المضبوطة كالموضحة مثلا وهي التي توضح العظم
وتبدي وضحه وهو الضوء والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر والبطش فاما الذي لا يمكن القصاص فيه
كرض في لحم او كسر في عظم وخدش او ادماء في جلد ففي ذلك ارش او حكومة وتفاصيلها في كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له
الضمير في به يعود الى القصاص وفي هو الى التصدق الدال عليه الفعل وفي له وجهان احدهما انه يعود الى العافي المتصدق
لما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه
وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به والثاني انه يعود الى الجاني المعفو عنه اي لا يواخذه الله تعالى بعد
ذلك العفو واما العافي فاجره على الله تعالى وقفينا على آثارهم اي على آثار النبيين بعيسى ابن مريم اي عقبناهم به فعديته الى
المفعول الثاني بالباء وقوله على آثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفى على اثره فقد قفى به اياه مصدقا لما بين يديه اي مقرا بان
التورية كتاب منزل من عند الله تعالى وانه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الانجيل المصدق ايضا لكونه
مبشرا ببعث محمد صلى الله عليه وسلم كالتورية اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف والهدى الاول
اصول الديانات كالتوحيد والنبوات والمعاد والهدى الثاني اشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم لان ذلك
سبب اهتداء الناس الى نبوته واشتمال الانجيل على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهر وخص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون
بذلك من قرا وليحكم بالجزم واما اخبار عما قيل لهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الانجيل اي وقلنا لهم ليحكموا بما فيه واما امر
مستانف للنصارى بالحكم بما في كتابهم من الدلايل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او مما لم يصر منسوخا بالقران ومن قرا
بالنصب فلانه علة فعل محذوف يدل عليه ما تقدمه اي ولاجل حكمهم بما فيه آتيناهم كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى
وموعظة ايضا غرضين معطوفين للحكم والله اعلم اما قوله تعالى الكافرون الظالمون الفاسقون للمفسرين فيه خلاف قال القفال
هو كقولك من اطاع الله فهو المؤمن من اطاع الله فهو المتقي لان كل ذلك اوصاف مختلفة حاصلة لموصوف واحد فهذه كلها
نزلت في الكفار وقال آخرون الاولون في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك وقال الاصم الاول والثاني في اليهود والثالث
في النصارى **التأويل** سماعون لكذبات الشيطان في وساوسه والنفس في هواجسها سماعون لقوم آخرين يسنون السنن
السيئة لغيرهم يحرفون بغيه وبفتوى قوانين الشريعة وحالهم من ولي القرآن والاحاديث على وفق اهوائهم سماعون للكذب
اكالون للسحت لان الاخلاق الردية اولئك تولد الاعمال الدنية فالاخلاق نتايج الاعمال والاعمال نتايج الاخلاق وكلها
من نتايج استعداد الفطري فان جاؤك فاحكم بينهم مداويا لعلاتهم ان رايت التداوي سببا لشفائهم او اعرض عنهم ان رايت
اعوان الشقاء لشقائهم فان حكمت فاحكم بينهم بالقسط داوهم على ما يستحقون من دائهم بما استحفظوا من كتاب الله الذي من بني
اسرائيل وبين هذه الامة انهم استحفظوا التورية فضيعوها وحرفوها وقال في حقنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم
كما ان في اهلاك النفس هلاك نفس المهلك ففي احيائه نفس الطالب خبوع الدين حتى تشرحها في معالجة عين قلبه وانف قلبه واذن
ومن قلبه معالجة هذه الاعضاء من هذه الادواء التي تصدق بهذه الاحياء فهو كفارة له فيما فرط في احياء نفسه ومعالجة قلبه ومن
لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتحليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق نعوذ بالله من الغفلة والشرور والعمى

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
و فرستاديم سوى تو قرانرا بصدق و ثواب حال آنكه موافقت در اصول هر انرا كه پيش ازان بود از جنس كتب سماوى
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
و حال آنكه شاهد است و حاكم بران پس حكم كن در ميان ايشان بدانچه فرو فرستاد خداى و متابعت مكن
اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم
راههاى باطل ايشانرا ازانچه آمد بتو از راستى براى هر طايفه براى شما آدميان پديد كرديم
شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما
دين و راه روشن و اگر خواستى خداى هرآينه گردانيدى گروهى يگانه در دين
آتيكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل
الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم
الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا
يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح

كثيرا عددهم حاضرا نصرهم واني ابرا الى الله والى رسوله من ولاية يهود واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر
ولا ابرا من ولاية اليهود فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه
قال قد قبلت فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تعاشرونهم معاشرة المومنين ثم علل النهي بقوله
بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس
يريد انه كافر مثلهم وفيه من التغليظ والتشديد ما فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فوضعوا
الولاء في غير موضعه عن ابي موسى الاشعري قال قلت لعمر ابن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله الا اتخذت
حنيفا اما سمعت هذه الآية قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله
قلت لا يتم امر البصرة الا به قال مات النصراني والسلام يعني انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الآن فترى الذين في
قلوبهم مرض يعني امثال عبد الله بن ابي يسارعون فيهم في موالاة اليهود والنصارى يهود بني قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا
اهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهماتهم ويقرضونهم يقولون يعتذرون عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدي
هي الدولة ومنها صروف الزمان ونوائبه وقال الزجاج يعني ان لا يتم الامر لمحمد فيعود الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله و
المومنين بقوله فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده عسى من الله الكريم اطماع واجب والفتح اما فتح مكة او مطلق دولة الاسلام
وغلبة دينه وقوله او امر من عنده المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم من
الكفار وقيل هو ان يومر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم من النفاق و
الشك في امر الرسول نادمين ويقول الذين آمنوا قال الواحدي حذف الواو ههنا كاثباتها طهنا لخاء في مصاحف اهل
الحجاز والشام بغيرها واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان في الجملة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله اهولاء اشارة الى الذين
يسارعون فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان ووجه العطف مع النصب ظاهر ووجه ذلك مع الرفع على انه
كلام مبتدا اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت ووجه الفصل هو ان يكون جواب سائل يسال فماذا يقول المومنون حينئذ وانما
يقولون هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون
لهم بالمعاضدة والنصر كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اي باغلاظ الايمان نصب على الحال اي يجتهدون
جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قوله تعالى او من جملة قول المومنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها
رياء وفيه معنى التعجب اي ما احبط اعمالهم فما اخسرهم حيث بقي عليهم التعب في الدنيا والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه
اي من تولى الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى ياتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقال الحسن علم الله تعالى
ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه فتكون الآية اخبارا عن الغيب وقد
وقع فيكون معجزا روي في الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشر فرقة ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج و
رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله الى معاذ بن
جبل وسادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض
رسول الله من الغد اتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد
رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه
بجنود المسلمين وقتل على يد وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي
واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه
وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة ابن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة
القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية التي
زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحاربهم ابو بكر رضي الله
عنه وكفى الله امرهم على يديه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت ذات يوم
بعد ان كان اسلم على يد عمر فراى رجلا جار ازاره فلطمه فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل

فلم يزل يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة الاف فابى الرجل الا القصاص فاستنظر فانظره عمر فهرب الى الروم وتنصر وتغيير المحبة
في سورة البقرة في قوله يحبونهم كحب الله وانما قدم محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته الازلية اياهم فتلك اصل وهذه فرع و
الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة جمع ذليل لا من ذلول لان الذل
نقيض الصعوبة لا يجمع على الاذلة وانما يجمع ذلك وليس المراد انهم مهانون عند المومنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب
فان من كان ذليلا عند انسان فانه لا يظهر الكبر والترفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدي بعلى دون اللام كانه قيل عاطفين
عليهم او المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم واستيلائهم على المومنين خافضون لهم اجنحتهم ليضموا الى منصبهم فضيلة التواضع اعزة
على الكافرين يظهرون الغلظة والترفع عليهم من عزه يعزه اذا غلبه ونحو هذه الآية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو في قوله
ولا يخافون فاما ان يكون للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اوليائهم اليهود واما يكون
للعطف كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام • اي هم الجامعون بين المجاهدة لله وبين الصلابة في الدين اذا شرعوا في امر من امور
الدين لا يرعهم اعتراض معترض وفي وحدة اللوم وتنكير اللائم مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك الذي
ذكر من نعوت الكمال من المحبة والذلة وغيرها فضل الله احسانه وتوفيقه قالت الاشاعرة انه صحيح صريح في ان الاعمال مخلوقة
لله تعالى والمعتزلة حملوه على فعل الالطاف وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلا بد للتخصيص من فائدة والله واسع عليم تام الفضل
كامل العلم يعلم اهل الفضل فيؤتيهم الفضل واعلم ان للمفسرين خلافا في ان القوم المذكورين في الآية من هم قال الحسن وقتادة
والضحاك وابن جريج ابو بكر واصحابه لانهم الذين قاتلوا اهل الردة وقال السدي نزلت في الانصار وقال مجاهد هم اهل اليمن لانها
لما نزلت اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقال آخرون هم الفرس لما روي انه صلى الله عليه
وسلم سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس
وقالت الشيعة نزلت في علي كرم الله وجهه لما روي انه صلى الله عليه وسلم دفع الراية الى علي يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية
الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ولان ما بعد هذه الآية نازلة فيه باتفاق اكثر المفسرين قال الامام فخر الدين
الرازي هذه الآية من ادل الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين اتفقوا على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة
علي لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد كان فرقة الشيعة
مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص ولمناصر مذهب الشيعة ان يقول ما يدريك انه تعالى لا يجيء بقوم يحاربهم ولعل المراد
خروج المهدي هو ذلك فان محاربته من دان بدين الاوائل هي محاربة الاوائل وهذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل
فان اعتقاد ارتداد الصحابة الكرام امر فظيع والله تعالى اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الآي المتقدمة عن موالاة الكفار امر بعد ذلك
بموالاة من يجب موالاته فقال انما وليكم الله ولم يقل اولياؤكم ليعلم ان ولاية الله اصل والباقي تبع الله ورسوله والذين آمنوا
وفيه قولان الاول ان المراد عامة المومنين لان الآية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة بن الصامت وروي ايضا
ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت
هذه الآية فقالوا رضينا بالله تعالى وبرسوله وبالمومنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة ومحله رفع على البدل او على هم
الذين يقيمون او نصب بمعنى اخص واعني وفي الكل مدح والغرض تمييز المومن المخلص عمن يدعي الايمان نفاقا وهم
راكعون قال ابو مسلم اي منقادون خاضعون لاوامر الله تعالى ونواهيه وقيل وقيل المراد ومن شانهم اقامة الصلوة وخص الركوع
بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند نزول الآية مختلفين في هذه الصفات منهم من قد اتم الصلوة ومنهم من دفع المال الى الفقير
ومنهم من كان بعد الصلوة راكعا فنزلت الآية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين وجيء به على لفظ الجمع
ليرغب الناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر وروى عطاء عن ابن عباس انه علي روي ان عبد الله
بن سلام قال لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله انا رايت عليا تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه وروي عن ابي ذر
انه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلوة الظهر فسال سائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء
وقال اللهم اشهد اني سالت في مسجد الرسول فما اعطاني احد شيئا وعلي كان راكعا فاوما اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل
السائل حتى اخذ الخاتم فراه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ان اخي موسى سالك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله و
اشركه في امري فانزلت قرانا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي

صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ازري قال ابوذر رضي الله عنه فما اتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال يا محمد اقرا انما وليكم الاية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو علي ابن ابي طالب لان الولي هو الوالي المتصرف في امور الامة وانه علي برواية ابي ذر وغيره واجيب بالمنع من ان الولي ههنا
هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وفيما بعدها هو بهذا المعنى فكذا الولاية المامور
بها وايضا ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الاية وانها تقتضي ظاهرا ان يكون الولاية حاصلة في الحال وايضا اطلاق لفظ
الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين آمنوا المؤمنين فان بعضهم يجب ان يكون ناصر
البعض كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الاية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما مر انه هو الذي حارب المرتدين
فالمناسب ان يكون هذه ايضا فيه ثم ان علي ابن ابي طالب كان اعرف بتفسير القران من هؤلاء الامامية فلو كانت الاية دالة على
امامته على الاحتجاج بها كما احتج بما ينقلون عنه انه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضايله ولو ثبت
انها دالة على امامته لكنه ما كان نافذ التصرف في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول
بموجبه ولكن بعد الشيوخ الثلثة ومن ابن قلتم انها يدل على امامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير فصل وايضا انهم
كانوا قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله ان من كان الله ورسوله
ناصرين له فاي حاجة به الى طلب النصرة والمحبة من غيره واذا كان الولي مستعملا بمعنى النصرة فقد امتنع ان يراد به معنى التصرف
لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه معا فكانه تعالى قسم المؤمنين قسمين وجعل احدهما انصارا للاخر و
ايضا الزكوة اسم للواجب لا للمندوب ومن المشهور ان عليا ما كان يجب عليه الزكوة ولو سلم فاللايق بحاله ان يكون في الصلوة
مستغرق القلب بالله فلا يتفرغ لاستماع كلام السايل ولا الى دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون الخاتم سهل المأخذ او كان
قد اومى به الى السايل فاخذه السايل والجواب انه ان صحت الرواية فللاية دلالة قوية على عظم شانه علي رضي الله عنه والمناقشة
في امثال ذلك تطويل بلا طايل الا ان اصحاب المذاهب لما تكلموا فيها اوردنا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار ومن يتول الله
ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله من اقامة المظهر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون وحزب الرجل اصحابه المجتمعون
لامر حزبهم وقال الحسن جند الله ابو روق اولياء الله ابو العالية شيعة الله وقيل انصار الله الاخفش هم الذين يدينون بدينه
ويطيعونه فينصرهم صاحب الكشاف يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين اي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد
بمن لا يغالب ثم عمم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عن ابن عباس كان رفاعة بن زيد وسويد بن
الحرث قد اظهر الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يناسب اتخاذكم
اياهم اولياء بل يجب ان يقابل ذلك بالشنان والبغضاء وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان اهل الكتاب ايضا كفار والعطف يقتضي
المغايرة لانه اراد بالكفار المشركين الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم به
اظهارهم ذلك باللسان دون مواطاة الجنان واتقوا الله في موالاة الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحقيقي يابى موالاة
اعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة فقام المسلمون اليها قالت اليهود قد
قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة
وهذا بعض ما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا اردفه الاية المتقدمة الكلية وقال السدي نزلت في رجل من النصارى
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نايم واهله نيام
فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقال آخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع به
فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير
كان اولى الناس به الانبياء والرسل قبلك فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه
الاية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده ولو قيل
لو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتقرير بنص الكتاب كان اصوب ذلك الاتخاذ بانهم قوم لا يعقلون ما في الصلوة من المنافع لانها
التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ولا يفهمون ما في اللعب والهزء من السفه والجهل قال بعض الحكماء اشرف

٢١٧

الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام التاويلات نزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل ساير
الكتب في الالواح والصحف فلهذا كان خلقه القران وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا لما قال الانبياء بحيث يشاهد قلب المنزل
عليه بنوره حقايق جميع الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقايق الكتب ومعانيها لكل
جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة تشرع فيها بالبيان ومنهاجا يسلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الامم فيما آتيكم من البيان والتبيان
والحج والبرهان والعزة والسلطان فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي الناسون
بالبيان ويفيد العالمون بالبرهان ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى و
يسلك المشتاقون بنفي المنى ويجذب العارفون بترك العدى ويصلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من
هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق او اضطرارا بحلول الاجل فان تولوا عن قبول الحق فاعلم بمطالعة القضاء انما
يريد الله في حكم القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعراض فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويقدمهم وتركهم
بغير التصريف فالتكليف فيما اوجب والتصريف فيما اوجد والعبرة بالايجاد لا بالايجاب لفاسقون لخارجون عن جذبات العناية
افحكم الجاهلية يبغون يطلبون سنن ان يحيدوا عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدين وسطعت براهين اليقين وانجلت سحاب
الريب واستنار القلب بانوار القلب فيسارعون فيهم لان شبيه الشيء منجذب اليه ان ياتي بالفتح فتح العيون القلب وامر من عنده
وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين ويقول الذين آمنوا بانوار الغيوب في اسرار القلوب فاصبحوا خاسرين بابطال الاستعداد
الفطري بقوم يحبهم ويحبونه هم ارباب السلوك افنام عنهم سطوات يحبونهم ثم ابقاهم به عند هبوب نفحات يحبونه فان
محبة الله للعبد افناء الناسوتية في ابقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله ابقاء اللاهوتية في افناء الناسوتية والشيخ نجم الدين المعروف
بداية رضي الله عنه قد عكس القضية فلعله فهم غير ما فهمنا ثم قال تعالى يحب العبد بصفة ذاته ازلا وهي ارادة القديمة المخصوصة
بالعناية والعبد يحب الله بتلك الصفة ابدا اذلة على المؤمنين لارتفاع الانانية اعزة على الكافرين ببقاء اللاهوتية واثبات
الوحدانية يجاهدون في سبيل الله في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لايم عند غلبات الوجد في الوسط لدوام
الشهود ذلك يعني صدق الطلب في البداية وغلبات الوجد في الوسط والاختصاص بالمحبة في النهاية والله واسع كرمه قادر
على ان يتفضل على كل احد لكنه عليم بحال كل احد فلا يتفضل الا على من يستاهله ويقيمون الصلوة يديمونها مراقبين حقوقها في
الباطن بمراعاة السر ويؤتون الزكوة ما ركاس وجودهم وهم العناء في الله وهم راكعون راجعون الى الله بالانحطاط من قيام البشرية
الى قيام القيومية هم الغالبون على اهوايهم وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسلو المستهزئين
باهل المحبة والقرب من الذين اوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والكفار يعني الفلاسفة ومقلديهم لانهم بمعزل عن العلوم
اللدنية والكشفية واذا ناديتم الى الصلوة دعوتهم الى محل القرب والنجوى لا يعقلون بالوهم والخيال لذاذة شهود ذلك الجمال

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد
الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم

قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا

يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان و

اكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون

والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل

يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل

اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء

الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون

في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب

آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم

جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما

انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم

منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا ايها الرسول

بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله

يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل

يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية و

الانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا

منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم

الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى

من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

القراءة هل تنقمون وبابه مدغما حمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم البا وخفض الدال وجر الطاغوت حمزة الباقون بنصب الطاغوت على ان عبد فعل ماض عطفا على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان ثل وزاده بصطة وتقدم في البقرة رسالته ابو عمرو وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون رسالاته **الوقوف** من قبل لا لعطف وان اكثركم على ان اسنا فاسقون عند الله ط لتناهي الاستفهام والتقدير هو من لعنه الله ومن جعل محله جرا على البدل من شر كم يقف الطاغوت ط السبيل ط خرجوا به ط يكتمون ط السحت ط يعملون ط السحت ط يصنعون ط مغلولة ط وقيل لا لئلا يتصل قوله غلت وهو جزاء قولهم يد الله مغلولة بما قالوا لئلا يوهم ان قوله بل يداه مبسوطتان لا مفعول قالوا مبسوطتان لان قوله ينفق من مقصود الكلام فلا يستانف كيف يشاء ط وكفرا ط يوم القيامة ط اطفاها الله لا قال السجاوندي لان الواو للحال اي وهم يسعون وفيه نظر فسادا ط المفسدين ط النعيم ارجلهم ط مقتصدة ط يعملون ط من ربك ط رسالته ط من الناس ط الكافرين ط من ربكم ط وكفرا ج لاختلاف النظم مع فاء التعقيب الكافرين ط يحزنون **التفسير** لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا قال لهم ما الذي تنقمون من اهل هذا الدين نقمت على الرجل انقم بالكسر اذا عتبت عليه ونقمت بالكسر لغة ونقمت الامر ايضا اذا كرهته وانكرته وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وليس هذا مما يوجب عتبا وعيبا لان الايمان بالله تعالى راس جميع الطاعات واما الايمان بمحمد وجميع الانبياء فهو الحق الذي لا محيد عنه لان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجز فانه حاصل في الكلام فلا وجه للايمان ببعض والكفر ببعض ثم عطف عليه وان اكثركم فاسقون والمراد هل تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم كانه قيل ما تنكرون منا الا مخالفتكم فانا وما فقنا مسلكم وفيه من حسن الازدواج والطباق ما فيه كقول القايل هل تنقم مني الا اني عفيف وانك فاجر ويجوز ان يعطف على المجرور اي تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم خارجون من الدين ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي ما تنكرون منا الا الايمان بالله وبما انزل

وبان اكثركم خارجون من الدين ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي ما تنكرون منا الا الايمان مع فسقكم لان احد الخصمين اذا كان متصفا
للصفات الحميدة مع اتصاف الاخر بالصفات الذميمة كان ذلك اشد تاثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل ان يكون
تعليلا معطوفا على تعليل محذوف اي ما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم ولاجل فسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم
نقمتم ذلك علينا ويجوز ان ينتصب بفعل محذوف يدل عليه ما قبله اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع بالابتداء
والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت محقق عندكم الا ان حب الجاه والمال يدعوكم الى عدم الانصاف وانما خص الاكثر بالفسق مع ان
اليهود كلهم فساق تعريضا باحبارهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال والتقرب الى الملوك والمراد ان اكثرهم في دينهم
فساق لا عدول فان الكافر والمبتدع قد يكون عدل دينه او ذكر اكثرهم لئلا يظن ان من امن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس اتى نفر
من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم
واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا
شرا من دينكم فانزل الله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك يعني المنقوم وهو الايمان ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره
بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومثوبة نصب على التمييز من شر وهي من المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمجلود
ومثلها المثوبة وقرئ مثوبة كما يقال مشورة والمثوبة ضد العقوبة واستعمال احد الضدين مكان الاخر مجاز رخصة
ارادة التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم وقد اخرج الكلام ههنا على حسب قولهم واعتقادهم والا فلا شركة بين المسلمين وبين
اليهود في اصل العقوبة حتى يقال ان عقوبة احد الفريقين شر ولكنهم حكموا بان دين الاسلام شر فقيل لهم هب ان الامر
كذلك ولكن لعن الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك قال المفسرون عني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة
عيسى عليه السلام ويروى ان كلا المسخين كان في اصحاب السبت لان شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير ولهذا
كان المسلمون يعيرون اليهود بعد نزول الاية ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اما قوله
وعبد الطاغوت فقد ذكر في الكشاف فيه انواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها لشذوذها الا قراءة حمزة و
الوجه فيه ان العبد بمعنى العبد الا انه بناء مبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال الشاعر
شعر ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد ٭ ابني لبينى لستم الا يدا الا يدا ليست لها عضد ٭ وقيل هما لغتان مثل سبع و
سبع وقيل ان العبد جمع عباد والعباد جمع عبد كثمار وثمر الا انهم استثقلوا الضمتين فابدلت الاولى فتحة وقيل
ارادوا اعبد الطاغوت مثل فلس وافلس الا انه حذف الالف وضم الباء لئلا يشبه الفعل والطاغوت ههنا قيل هو
العجل وقيل الاحبار والظاهر انه كل من عبد من دون الله وكذلك من اطاع احدا في معصية فقد عبده احتجت الاشاعرة بالاية
على ان الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقولك وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او انه خذلهم حتى عبدوها اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا من المؤمنين قال ابن عباس
ان مكانهم سقر ولا مكان شر منه قال علماء البيان هو من باب الكناية لان ذكر المكان واريد اهله الذي هو ملزوم المكان
واضل عن سواء السبيل قصده ووسطه كان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان
نفاقا فاخبر الله نبيه بشانهم وانهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء من النصيحة والموعظة قط وقوله بالكفر وبه حالان
اي ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وليفيد التوقع ايضا وذلك ان امارات
النفاق كانت لائحة على صفحات احوالهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله اسرارهم والعامل في معنى الحال
قالوا وفي الاولى دخلوا وخرجوا اي قالوا امنا وحالهم انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وانما ذكر عند الخروج كلمة هم لتاكيد اضافة
الكفر اليهم ونفي ان يكون من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فعل اي لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم ما يوجب كفرا فتكون
انت الذي القيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار انفسهم وههنا استدل المعتزلة على صحة مذهبهم ان الكفر من
العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله اعلم بما كانوا يكتمون فيه ان حسدهم وخبثهم لا يحيط به الا الله فما اعظم ذلك وابلغ
الاثم الكذب لقوله بعده عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم وقيل الاثم
كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الاية فوائد منها ذكر كثير لان كلهم كانوا لا يفعل ذلك اذ بعضهم يستحيي فيترك ومنها
ان المسارعة انما تليق بالخيرات وانهم كانوا يستعملونها في المنكرات ومنها ان الاثم يتناول جميع المعاصي فذكر بعده العدوان

واكل السحت ليدل على انها اعظم انواع الاثم والكلام في معنى السحت وفي تفسير الربانيين والاحبار تقدم في سورة عن قريب وقال
الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وانما قال ههنا لبئس ما كانوا يصنعون وفي الاول يعملون لان الصنع
ارسخ من العمل فلا يسمى العامل صانعا ولا العمل صناعة الا اذا تمكن فيه وتدرب وينسب اليه وكان ذنب العلماء اذا
تركوا النهي عن المنكر اشد واعظم واثبت وارسخ وتحقيقه ان المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته واحكامه فاذا
حصل هذا العلم ولم تزل المعصية دل على ان مرض القلب في غاية القوة والشدة كالمرض الذي شرب صاحبه الدواء فما
زال وعن ابن عباس هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة
قيل في هذه الحكاية اشكال لان اليهود مطبقون على انا لا نقول ذلك كيف وبطلانه معلوم بالضرورة لان الله اسم لموجود
قديم قادر على خلق العالم وايجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع ان يكون يده مغلولة وقدرته قاصرة والجواب ان الله تعالى
صادق في كل ما اخبر عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل القوم قالوا هذا على سبيل الالزام فانهم لما سمعوا قوله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالوا من احتاج الى القرض كان فقيرا عاجزا مغلول اليدين او لعلهم لما راوا اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غاية الفقر والضر قالوا ان اله محمد كذلك وقال الحسن ارادوا انه لا يمسهم النار الا اياما معدودة
الا انهم عبروا عن كونه تعالى غير معذب لهم الا هذا القدر من الزمان بهذه العبارة الفاسدة فاستوجبوا اللعن لفساد العبارة
وسوء الادب وقيل لعلهم كانوا على مذهب بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته وان حدوث الحوادث عنه لا يمكن
الا على نسق واحد فعبروا عن عدم اقتداره على غير ذلك النسق بغل اليد وقال المفسرون رحمهم الله كان اليهود اكثر الناس
مالا وثروة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة
عن العطاء على جهة النعت بالبخل والجاهل اذا وقع في البلاء والشدة قد يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد وبسطها مجاز
مستفيض عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد
آلة لاكثر الاعمال لا سيما لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد
سبط البنان رطب الانامل وللبخيل بتر الاصابع مقبوض الكف جعد الانامل ولا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع
مجازا عنه حتى انه يستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا بالاشارة بل يقال للاقطع ما ابسط يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح
اليد كقول لبيد شعر قد اصبحت بيد الشمال زمامها ٭ فجازاهم الله تعالى بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم
بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم دعا به عليهم تعليما لعباده كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين وكما علمهم الدعاء على المنافقين في قوله فزادهم الله مرضا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب
ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة او اخبارا قال الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين
باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل فغلت ايديهم مع ان الجزاء يناسب فاء
التعقيب ليكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدا به فيدل على قوة ووثاقة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام
به وقوة الاعتناء بتقريره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الاخرة في النار ومما وقع في عصرنا من اعجاز القران
ما حكي ان متغلبا من اليهود مسمى بسعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع بهذه الاية فاتفق ان وصل الى بغداد فنزل
بالمدرسة المستنصرية ودعا بمصحف كان مكتوبا باحسن خط واشهر من خطوط كتاب الماضين وكان يعلم ان اهل هذا العصر لا يقدرون
على كتابة مثله ثم قال اين هذه الاية يعني قوله غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا فاروها اياه فحاها فلم يمض اسبوع الا وقد
سخط السلطان عليه فبعث في طلبه وامر بغل يديه مغلولة وحملوه اليه فامر بقتله ثم انه سبحانه رد اليهود بقوله بل يداه
مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة وهو ظاهر وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكرها له وعلى القوة اولي هنا
بيد فلان اي ملكه قال تعالى بيده عقدة النكاح وقد يراد به شدة العناية قال لما خلقت بيدي ويقال يدي لك رهن بالوفاء
اذا ضمنت له شيئا ولا شك ان اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال للدليل الدال على انه ليس بجسم ولا ذي اجزاء
خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا باس بها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم تفويض معرفتها الى الله وقد جاء
في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي
والمراد تخصيص آدم بهذا التشريف ونص القران ناطق باثبات اليد تارة يد الله فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى مما عملت

ابدينا انعام ووجه التوحيد والجمع ظاهر واما وجه التثنية فلذلك ان من اعطي بيديه فقد اعطي على اكمل الوجوه وكان ابلغ في رد
كلام القوم خذلهم الله او المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع او نعمة الدفع او نعمته
اهل اليمين ونعمته على اهل الشمال بل لطفه في حق اولئك وقهره في شان هؤلاء او المراد مبالغة في وصف النعمة نحو لبيك وسعديك
معناه اقامة على طاعتك بعد اقامة واسعادا بعد اسعاد ثم اكد الوصف بالقدرة والاختيار فقال ينفق كيف يشاء وفيه انه لا
ينفق الا على مقتضى الحكمة وقانون العدالة وعلى حسب المشية والارادة لا مانع له ولا مكره فمن اوجب عليه شيا او اعترض
على فعل من افعاله فقد نازعه في ملكه وحجر تصرفه وقيده وغلله ونسبه الى ما لا يليق به وليزيدن جواب قسم محذوف كثيرا
منهم يعني علماء اليهود ما انزل اليك من ربك من القران والحجج طغيانا وكفرا مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان البدن
غير النقي كلما غذوته زدته شرا والقينا بينهم بين اليهود والنصارى قاله مجاهد والحسن او فيما بين اليهود العداوة والبغضا
الى يوم القيامة لا يأتلف كلمهم ولا يتساعد افئدتهم فمن اليهود جبرية وقدرية وموحدة ومشبهة ومن النصارى ملكانية
ونسطورية ويعقوبية وكل ذلك الاختلاف يوجب السخط واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولتفرق اهوائهم
وتشعب ارائهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله فلا يهمون بامر من الامور الا وقد رجعوا بخفي حنين وقيل كلما
حاربوا رسول الله غلبوا وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم اذل الناس ويسعون في الارض فسادا يستخفون كيد الاسلام
وذويه والله لا يحب المفسدين فلا يجعل لهم سعي قيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم
فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى يوم القيامة ثم لما بالغ في تهجين سيرتهم
ذكر انهم مع ما عدد من مساويهم لو امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا المنكرات التي كانوا يأتونها ليكون توبتهم نصوحا لكفرنا
عنهم تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم من النعم خلاف البؤس اي نعيم صاحبها اوسع رحمة
الله تعالى وما اعظم عفوه وغفرانه ولو انهم اقاموا التورية والانجيل عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ومن الاقرار
بنبوة نبي اخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم او حافظوا على احكامهما وحدودهما او اقاموهما نصب عينهم لئلا ينسوا ما فيهما من
التكاليف وما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن او سائر الكتب الالهية كصحف ابرهيم وزبور داود وكتاب شعيا وحيقوق
ودانيال فان كلها مشحونة من البشارة بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانهم مكلفون بالايمان بجميعها لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اي نزل عليهم بركات السماء وبركات الارض او يكثر لهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار
يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على وجه الارض ويحتمل ان يراد به المبالغة في شرح السعة والخصب لا
ان هناك فوقا وتحتا اي لاكلوا اكلا كثيرا متصلا وفيه ان يكون هذا اشارة الى ما جرى على بني قريظة وبني النضير من قطع
نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن اوطانهم والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان بما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم وتمام السعادة الاخروية بقسميها وهما دفع العقاب وايصال الثواب لشرفها ثم فصل حالهم فقال
منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة في الغلو والتقصير وذلك ان من عرف مقصوده فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم
ومن غير انحراف ولا اضطراب بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب متحيرا يمينا وشمالا فجعل الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي
الى الغرض ثم من هم فيه قولان **احدهما** الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدولا في دينهم ولا يوجد فيهم عناد شديد
ولا غلظة كاملة **والثاني** منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعين من النصارى وكثير منهم ساء ما
يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل ما اسواه عملهم لكونهم اجلافا متعصبين لا ينجع فيهم القول ولا يؤثر فيهم الدليل قيل
هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين ولا يتخوف مكرهم
فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الاية نزلت في فضل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه
عمر رضي الله عنه وقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن
عازب ومحمد بن علي وروي انه صلى الله عليه وسلم نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم
فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه
الشجرة حتى انتثر دماغه ونزل والله يعصمك من الناس وقيل لما نزلت اية التخيير يا ايها النبي قل لازواجك فلم يعرضها

عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا نزلت يا ايها الرسول بلغ وقيل نزلت في امر زينب بنت جحش وقيل لما نزل ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عيب الهتهم فنزلت اي بلغ معايب الهتهم ولا تخفيها وقيل انه صلى الله عليه وسلم
لما بين الشرايع والمناسك في حجة الوداع قال هل بلغت قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم فاشهد فنزلت وقيل نزلت في قصة الرجم
والقصاص المذكورتين قال الحسن ان نبي الله قال لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني واليهود و
النصارى يخوفوني فنزلت الاية مزيلة للخوف وقالت عائشة سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما
شانك قال الا رجل صالح يحرسني الليلة قالت فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفة جئنا
نحرسك فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من قبة
ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس فكان يرسل معه ابو طالب
كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه فقال يا عماه ان الله تعالى قد عصمني
من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك وان لم تفعل ما امرتك به كما امرتك به فما
بلغت رسالته من قرا على الوحدة فلان القران كله رسالة واحدة لان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجميع ومن جمع فلان
كل اية او حكم رسالة فان قيل معنى قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته ان لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته فما وجه صحته
فالجواب ان هذا جار على طريق التهديد والمراد ان تبلغ منها ادنى شيء فانت كمن لم يبلغ شيئا منها لان اداء بعضها ليس اولى
من اداء البعض الاخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب
فوضع السبب موضع المسبب ويعضده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى
الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قيل اين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى
فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد والمراد انه يعصمه من القتل وعليه يحمل كل ما دون النفس والناس الكفار بقوله
ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اي شيء كان طاب للسامع او ثقل عليه امره ان يقول
لاهل الكتب لستم على شيء اي على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء تريد تحقير شانه وباقي الاية مكرر للتاكيد ومعنى
تاس لا تاسف ولا تحزن عليهم بسبب زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عائد عليهم او لا تاسف بسبب نزول اللعن والعذاب
عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسي على مصيبته بالكسر ياسى اسى اي حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب
ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد منقبة ولا سعادة الا اذا امن وعمل صالحا وذلك ان
كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد اعني الايمان بالله واليوم الاخر وكمال القوة العملية انما يحصل بتعظيم المعبود
والشفقة على المخلوق اعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا
لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله
والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون انه معطوف على محل الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله فان
كان قبل ذكر الخبر فنحو انك وزيد ذاهبان وان لم يجز ان زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون الى عدم جواز ذلك
مطلقا لانه يؤدي الى اعمال ان واعمال معنى الابتداء معا في قائمان فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال
فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون
كذلك فيكون هذه جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا
التقديم على ان التوبة مقبولة البتة وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا لانهم صبوا اعني الاديان كلها اي
خرجوا فكانه قال جل هؤلاء الفرق اذا اتوا بالايمان والعمل الصالح قبلت توبتهم حتى الصابئون ولو قيل والصابئين لم يكن
من التقديم في شيء لانه ثابت في مركزه الاصلي وانما تطلب فائدة التقديم للمزال عن موضعه والراجع الى اسم ان محذوف و
التقدير من امن منهم كما في البقرة **التاويل** ثم الفريقين من جعله الله مستعدا لقبول فيض القهر من اللعن والغضب و
جعل صفة القردية والخنزيرية اعني الحيلة والحرص والشهوة من خصايصهم اولئك شر مكانا من القردة والخنازير لان استعداد
هم وهؤلاء قد ابطلوا استعدادهم الفطري ومثله اولئك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الربانيون
مشايخ الطريقة والاحبار علماء الشريعة غلت ايديهم كانت ايديهم من اصابة الخير مغلولة ومشاهم عن تحصيل [illegible]

الصدق مركومة فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء يترشح بما فيه ولكن الذي ادركته العناية الازلية وسلبت عنه صفات الظلومية
والجهولية صلى الله عليه وسلم قال يمين الله ملاى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء بيدي اللطف والقهر على المؤمنين
من الهداية والاحسان وعلى الكافرين من الغواية والخذلان والقينا بينهم العداوة فلا يوجد الا وبينه صاحبه الى ان يتوارثوا بطنا
بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعتراض ولو انهم عملوا بمنفقات الكتب المنزلة
ومستحسناتها لاكلوا من فوقهم رزق من الواردات الروحانية ومن تحت ارجلهم الى على مقاماتهم من العلماء الظاهرية امة
مقتصدة ان لم يكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم المتقي والمريد الصادق دون السابق وهو الواصل الكامل العالم الرباني بلغ ما انزل
اليك يندرج تحته الوحي والالهامات والمنامات والوقايع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار والاخلاق
والمواهب والحقايق ومعاني النبوة والرسالة فالرسول ان لم يبلغ بعض من الحقايق الى العباد لم يمكنهم الوصول الى الله فلا يحصل
مقصود ما ارسل به فلم يبلغ رسالته الا ان للتبليغ مراتب كما انزل اليه فتبليغ بالعبارة وتبليغ بالاشارة وتبليغ بالتاديب وتبليغ
بالتعليم وتبليغ بالتزكية وتبليغ بالتخلية وتبليغ بالهمة وتبليغ بجذبات الولاية وتبليغ بقوة النبوة والرسالة وتبليغ بالشفاعة وللخلق
ايضا مراتب بحسب قبول الدعوة بحسب الاستعدادات المختلفة انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك باوصاف
لاهوتية عن اوصاف ناسوتيتك لتتصرف في الخلق بقوة اللاهوتية فتوصلهم الى الله ولا ينقص فمن فيك فيقطعوك عن الله ما اربا
العلوم الظاهرية لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تقيموا ظواهركم وبواطنكم بالاعمال والاحوال الواردة في الكتب الالهية
ولذلك لمقدمتين واربع نتايج فالمقدمتان الجذبة الالهية ونتيجتها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تربية الشيخ
ونتيجتها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الفاضلة والله حسبي ونعم الوكيل

لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما
جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله
عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون •
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال
المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة وماويه النار وما للظالمين من انصار
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد

وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم • افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله
هو السميع العليم • قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
عن سواء السبيل • لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون • ترى كثيرا
منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط
الله عليهم وفي العذاب هم خالدون • ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون • و
لتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان

منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ۝ واذا سمعوا ما

از ایشانند علما و زهاد و آنکه ایشان متکبر نمی نمایند و چون شنوند آنرا که

انزل الی الرسول تری اعینهم تفیض من الدمع مما عرفوا من الحق یقولون

فرو فرستاده اند سوی پیغمبر بینی تو چشمهای ایشانرا میرود از اشک از آنچه شناختند آنرا از سخن حقیقت می گویند

ربنا امنا فاکتبنا مع الشاهدین ۝ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا

ای پروردگار ما ایمان آوردیم پس بنویس ما را با اهل شهادت و چیست ما را که ایمان نداریم بخدای و آنچه آمد بما

من الحق ونطمع ان یدخلنا ربنا مع القوم الصالحین ۝ فاثابهم الله

از سخن ثواب و حال آنکه طمع میداریم در آورد ما را پروردگار با گروه نیکوکاران پس جزا داد ایشانرا خدای

بما قالوا جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها وذلک جزاء

بسبب آنچه گفتند بستانهای که می رود از فرود اشجار آن جویها جاوید باشند در آن و آن پاداش

المحسنین ۝ والذین کفروا وکذبوا بایاتنا اولئک اصحاب الجحیم ۝

نیکوکاران و آنانکه کافر شدند و باور نداشتند آیتهای ما را ایشان ملازمان دوزخ اند

القراءة ان لا تکون بالرفع ابو عمرو وسهل ویعقوب وعاصم وحمزة وعلی وخلف غیر سهل وحفص وابی بکر وحماد الباقون بالنصب

الوقوف رسلا ط انفسهم لا لان عامل کلما ردّوا کذبوا یقتلون کثیر منهم ط بما یعملون ۝ ابن مریم ط وربکم ط النار ط من انصار ۝ ثلثة م الثلاثة ج ان ما بعده من قول الکفار واحد الیم ۝ ویستغفرونه ط والوصل ایضا احسن بناء علی ان الواو للحال ای هلا یستغفرون ومن غفور رحیم ۝ رسول ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستیناف الرسل ط لان الواو للاستیناف لا للعطف صدیقة ط لان ما بعده لا یصلح للصفة لان الضمیر فی کانا شنی الطعام ط یوفکون ۝ ولا نفعا ط والوصل یحسن علی ان الواو للحال ای یعبدون ما لا ینفع ولا یضر والحال ان الله یسمع دعاء المضطرین ویعلم حاجاتهم العلیم ۝ السبیل ۝ ابن مریم ط یعتدون ۝ فعلوه ط یفعلون ۝ کفروا ط خالدون ۝ فاسقون ۝ اشرکوا ج لطول الکلام والفصل بین الوصفین المتضادین نصاری ط لا یستکبرون ۝ الشاهدین ج لاحتمال ما یلیه الحال والاستیناف الشاهدین من الحق لا لان الواو بعده للحال الصالحین ۝ خالدین ط فیها ط المحسنین ۝ الجحیم ۝ **التفسیر** افتتح الله السورة بقوله اوفوا بالعقود وانجر الکلام الی هنا والآن عاد ثانیا بدا به والمقصود بیان عتو بنی اسرائیل وشدة تمردهم ای اخذنا میثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادی الی کیفیة الاستدلال وارسلنا الیهم رسلا لتعریف الشرایع والاحکام قال فی الکشاف کلما جاءهم رسول الی آخره جملة شرطیة وقعت صفة لرسلا والراجع الی الموصوف محذوف ای رسول منهم ویقول الاسوب جعلها جملة مستانفة جوابا لسائل یسال کیف فعلوا برسلهم ولهذا کان الوقف علی رسلا مطلقا اما جواب الشرط فاختار فی الکشاف انه محذوف لان الرسول الواحد لا یکون فریقین ولانه لا یحسن ان یقال ان اکرمت اخی اخاک اکرمت فالتقدیر کلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فریقا کذبوا جواب قایل کیف فعلوا واقول اما ان الترکیب المذکور غیر مستحسن فعین النزاع واما ان الرسول الواحد لا یکون فریقین فغلط لان قوله کلما یدل علی کثرة مجیء الرسل فلهذا صح جعلهم فریقین ومعنی بما لا تهوی انفسهم بما یضاد شهواتهم لرغبتهم عن التکالیف وفایدة تقدیم المفعول وایراد تقتلون مضارعا ذکرنا فی سورة البقرة ونعم فی التفسیر الکبیر انه ذکر التکذیب بلفظ الماضی لانه اشارة الی معاملتهم مع موسی علیه السلام فی التیه وتمردهم عن قبول قوله وقد انقضی من ذلک الزمان ادوار کثیرة وذکر القتل بلفظ المستقبل لانه رمز الی ما فعلوا بزکریا ویحیی وعیسی علی زعمهم وان ذلک الزمان قریب فکان الحاضر وحسبوا ان لا تکون فتنة قال علماء الادب الافعال علی ثلثة اضرب فعل یدل علی ثبات الشیء کالعلم والتیقن فیقع بعده ان المشددة الدالة علی ثبات الشیء ایضا لتاکید مقتضاه کقوله ویعلمون ان الله هو الحق المبین فان خففت ودخل علی الفعل لم یجز الا ان یکون مع فصله قد او حرف او السین او حرف

نفی لیکون کالعوض من احدی النونین وقیل من حذف ضمیر الشان مثل علم ان سیکون وفعل یدل علی خلاف الثبات والاستقرار نحو الطمع والاشفاق والرجاء فلا یجیء بعده الا الخفیفة الناصبة للفعل کقوله والذی اطمع ان یغفر لی وفعل یحتمل المعنیین فیجوز فیه کلا الوجهین کقوله وحسبوا ان لا تکون قرئ بالنصب علی ان یغفر لی وفعل یحتمل المعنیین ان المصدریة وکون الحسبان بمعنی الظن وبالرفع علی ان المخففة ای انه لا تکون فتنة خففت ان حذف ضمیر الشان ونزل حسبانهم لقوته فی صدورهم منزلة العلم وما یشتمل علیه صلة ان وان من المسند الیه سد مسد المفعولین وکان تامة والمعنی وحسب بنو اسرائیل انه لا یقع فتنة وهی محصورة فی عذاب الدنیا وعذاب الاخرة وعذاب الدنیا اقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فیما بینهم ومنها الادبار والنحوسة وکل ذلک قد وقع بهم وقد فسرت الفتنة بکل ذلک وحسبانهم ان لا یقع فتنة یحتمل وجهین **الاول** انهم کانوا یعتقدون ان لا نسخ لشرع موسی وان کل رسول جاء بعده یجب تکذیبه **الثانی** انهم اعتقدوا کونهم مخطئین فی التکذیب والقتل الا انهم کانوا یقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الآیة یدل علی ان عماهم عن الدین وصممهم عن الحق حصل مرتین فقال بعض المفسرین انهم عموا وصموا فی زمان زکریا ویحیی وعیسی علیهم السلام ثم تاب الله علی بعضهم حیث وفقهم للایمان به ثم عموا وصموا کثیر منهم فی زمان محمد صلی الله علیه وسلم فانکروا نبوته الا بعضهم کعبد الله بن سلام واصحابه وقوله کثیر منهم بدل عن الضمیر کقولک رایت السقوم اکثرهم وقیل انه علی لغة من یقول اکلونی البراغیث وقیل خبر مبتدا محذوف ای اولئک کثیر منهم بدل وقال بعضهم عموا وصموا حین عبدوا العجل ثم تابوا عنه فتاب الله علیهم ثم عموا وصموا کثیر منهم بالتعنت وهو طلب رؤیة الله جهرة وقال القفال انه یجوز ان یکون اشارة الی ما فی سورة بنی اسرائیل فاذا جاء وعد اولیهما فاذا جاء وعد الاخرة وقرئ عموا وصموا بالضم ای رماهم الله وضربهم بالعمی والصمم کما یقال رکبته اذا ضربته بالرکبة ثم انه سبحانه لما استقصی الکلام مع الیهود شرع فی حکایة کلام النصاری فحکی عن فریق منهم انهم قالوا ان الله هو المسیح ابن مریم وهذا قول الیعقوبیة القائلین ان مریم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالی حل فی ذات عیسی او اتحد به ثم حکی عن المسیح ما حکی لیکون لهم حجة قاطعة علی فساد ما اعتقدوا فیه وذلک انه لم یفرق بین نفسه وبین غیره فی ان ربیته فی ظهور دلایل الحدوث علیه ثم اکد ذلک المعنی بقوله انه من یشرک بالله ای فی العبادة او فی تجویز الحلول او الاتحاد او فی اجراء وصفه فی المخلوقین او بالعکس فقد حرم الله علیه الجنة التی هی دار الموحدین ای منعه منها وما للظالمین من انصار من کلام الله تعالی او من حکایة قول عیسی لهم وقد مر تفسیره فی آخر سورة آل عمران وفیه تقریع لهم کانوا یعتقدون ان لهم انصارا کثیرا انما یقولون ویعتقدون فی الله تعالی او عیسی ذلک الزعم وان کانوا یریدون بذلک تعظیمه قال المفسرون ثالث ثلثة معناه ثالث الهة ثلثة لیلزم الکفر والا فما من شیئین الا والله ثالثهما یحکی ان النصاری یقولون اب وابن وروح قدس والثلثة اله واحد کما ان الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الکلمة وبالروح الحیوة قالوا ان الکلمة التی هی کلام الله اختلطت بجسد عیسی اختلاط الماء بالخمر وزعموا ان الاب اله واحد والابن اله واحد والروح اله واحد والکل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبدیهة لان الثلثة لا تکون واحدا والواحد لا یکون ثلثة فلا جرم رد الله تعالی علیهم بقوله واحد وما من اله الا اله واحد فزاده من الاستغراقیة والمعنی ما اله قط فی الوجود الا اله موصوف بالوحدانیة لا ثانی له ولا شریک ثم زجرهم بقوله وان لم ینتهوا عما یقولون لیمسن الذین کفروا قال الزجاج یعنی الذین اقاموا علی هذا الدین لان کثیرا منهم تابوا عن النصرانیة فمن فی قوله منهم للتبعیض ویجوز ان یکون للبیان والمراد لیمسنهم ولکن اقیم الظاهر مقام المضمر تکریرا للشهادة علیهم بالکفر ورمزا الی انهم من الکفر بمکان حتی لو فرض الکفار المعذبون عذبوا بذلک خاصته ومعنی عذاب الیم نوع شدید الالم من العذاب افلا یتوبون قال الفراء انه امر بلفظ الاستفهام وفیه تعجب من اصرارهم علی الکفر بعد الوعید الشدید ثم احتج علی ابطال معتقدهم بقوله ما المسیح ابن مریم الا رسول وهذا ترتیب فی غایة الحسن لانه منعهم من الکفر اولا ثم حثهم علی الاسلام ثانیا ثم شرع فی حل شبهتهم ثالثا ومن هنا قیل ان المرتد یستتاب بلا مهل ومناظرة ان عنت له شبهة بل یسلم اولا ثم یحل شبهته ثانیا والمعنی ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضین بلا مهل ومناظرة ان عنت له شبهة بل لا تخطی الرسالة الی الالهیة کما لم یتخطوا فان خلق من غیر ذکر فقد خلق آدم من غیر ذکر ولا انثی وان ابراء الاکمه والابرص واحیاء الموتی فقد جعل العصا حیة تسعی الی غیر ذلک من آیات ربه الکبری وامه صدیقة کبعض النساء المؤمنات بالانبیاء کانت من القانتین ای من الذین صدقوا ما عاهدوا الله علیه وهم المجتهدون فی اقامة مراسم العبودیة ففیه تکذیب النصاری المفرطین فیها اذ جعلوها الها وفیه تکذیب للیهود المفرطین فی شانها حیث نسبوها الی الحنات والی الکذب فی ان عیسی خلق

من غرائب وجه ان من كان له ام فقد حدث بعدان لم يكن وكان مخلوقا لا الها ثم اكد حدوثهما وعجزهما بقوله كانا ياكلان الطعام
فان المحتاج الي الاغتذاء يحتاج الي ما يتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر علي حدوثهما وانهما
في حيز الامكان ثم تعجب من غاية عوايتهم فقال انظر يا محمد او كل من له اهلية انظر كيف نبين لهم الايات الادلة الظاهرة علي بطلان
قولهم والعامل في كيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع الجملة بل مضمونها اي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها ومثله ثم انظر اني يوفكون كيف
يصرفون عن الحق افكه بالفتح يافكه بالكسر افكا بالفتح والسكون صرفه عن الشي ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق
وارض مافوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجبين اي بينا لهم الايات بيانا عجيبا ولكن اعراضهم عنها
اعجب ثم الصارف عن تامل الحق هو الله او العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق فيها مرارا
ثم اقامة حجة اخري علي فساد قول النصاري فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك اي شيئا لا يستطيع والذي لا يقدر علي
مثل ما يضركم به الله من البليات والمصائب او ينفعكم به من الصحة والخصب بواسطة او بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه
فان اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدر علي دفعهم ومن مذهب النصاري ان اليهود صلبوه ومزقوا اضلاعه ولما عطش
وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عليه السلام مصروف الهمة الي عبادة الله ولو كان الها كان معبودا لا عابدا
والله هو السميع العليم يسمع اباطيلهم ويعلم ضمائرهم فيجازيهم عليه وفيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الي مخاطبة الفريقين فقال
يا اهل الكتاب لا تغلوا الغلو مجاوزة حد الاعتدال وانه شامل الطرفي الافراط والتفريط وان كان قد يخص بطرف الافراط ويجعل
مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو الاول فاليهود فرطوا فيه حتى نسبوه الي الزني والكذب والنصاري افرطوا فيه حيث
ادعوا فيه الالهية قال في الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر اي غلوا غير الحق ولمن يرد القول بان الغلو في الدين غلوان حق
وهو ان يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقايقه وباطل وهو ان يتبع الشبهات علي حسب الشهوات والثاني منهي عنه دون
الاول واقول لما كان الغلو مجاوزة الحد وكل شي جاوز حده تم شانه ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القايل مصراع
كلا طرفي قصد الامور ذميم ● فالاصوب ان يقال انتصب غير الحق علي انه صفة قائمة مقام المصدر اي لا تغلوا غلوا كقوله ولا
تعثوا في الارض مفسدين اي افسادا او كقولهم تقال حابيا وقم قائما ولو سلم ان المصدر محذوف كان غير الحق صفة موكدة مثل
نفخة واحدة واسل للنابر لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا اهواء قوم هي المذاهب التي تدعوا اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي
ما ذكر الله تعالي لفظ الهوي في القران الا ذمه ولا تتبع الهوي فيضلك وما ينطق عن الهوي ارايت من اتخذ الهه هويه قال ابو عبيد
لم نجد الهوي موضع الا في الشر لا يقال فلان يهوي الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي هوي لانه يهوي بصاحبه في النار
وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي علي هواك فقال ابن عباس كل هوي ضلالة قد ضلوا من قبل يعني ائمتهم في
في النصرانية واليهودية قبل بعثة النبي صلي الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم علي التثليث او التفريط في شان مريم و
ابنها وضلوا عن سواء السبيل عند بعث النبي فكذبوه والغرض بيان استمرارهم علي الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال
الاول عن الدين والضلال الثاني عن طريق الجنة وقيل الضلال الثاني اعتقادهم في ذلك الاضلال انه ارشاد الي الحق
لعنهم الله في الزبور علي لسان داود وفي الانجيل علي لسان عيسى وفيه تعيين لهم حيث ادعوا انهم اولاد الانبياء وقد
لعنوا علي السنتهم وقال كثير من المفسرين ان اصحاب ايلة كما سيجي في الاعراف لما اعتدوا في السبت وقال داود اللهم العنهم
واجعلهم اية فمسخوا قردة وخنازير وان اصحاب المائدة لما اكلوا منها ولم يومنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلي الله عليه وسلم
ولعنا من يكذبه وذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون للتناهي معنيان احدهما
وغلبة الجمهور بانه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهي بعضهم بعضا عن ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من رضي عمل قوم فهو
منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم وذلك ان في التناهي المامور به حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما الثاني انه
بمعنى الانتهاء اي لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه لان النهي بعد الفعل لا يفيد او المراد لا يتناهون
عن منكر ارادوا فعله واحضروا الاته ولا ينتهون او لا ينتهون عن الاصرار علي منكر فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم موكدا بالقسم
المصدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف اسلافهم بما وصف شرع في نعت الحاضرين وانهم كثير منهم يتولون المشركين
والمراد كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد مر في سورة النساء عند

قوله

قوله اهولاء اهدي من الذين امنوا سبيلا لبئس ما قدمت لهم انفسهم من العمل لمعادهم ومحل ان سخط رفع علي انه مخصوص بالذم اي
بئس الزاد الي الاخرة سخط الله يعني موجب سخط الله وسببه ولو كانوا يومنون بالله والنبي وهو موسي وما انزل اليه في التورية كما
يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك متاكد في شريعته موسي ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم تحصيل
الرياسة والجاه باي طريق قدروا عليه لا تنقيد بدين موسي ويحتمل ان يراد ولو كان هولاء اليهود المنافقون مومنين بالله
ومحمد والقران ايمانا خالصا ما اتخذوا المشركين اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال
القفال ولو ان هولاء المشركين يومنون بالله وبمحمد ما اتخذهم اليهود اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصاري فقال
لتجدن يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلقت به اللام في قوله للذين امنوا كما تعلقت بالمودة فيما
بعد وظاهر الاية يدل علي ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين وكيف لا وقد نبه علي قدم قدمهم في العداوة بتقديمهم علي الذين
اشركوا وعن النبي صلي الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله ولكنه روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء و
السدي ان المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وامنوا به ولم يرد جميع النصاري
مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال اخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الي من يخالفهم في الدين باي طريق كان
بالقتل وبغصب المال او بنوع المكايد والحيل وليس النصاري مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام فهذا هو وجه التفاوت
بالعداوة والمودة وقد اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب وفي الاية من الفايدة ان التمرد والمعصية عادة
لهم ففرغ قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم ولا تحزن علي كيدهم ثم ذكر سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
القس والقسيس اسم لرئيس النصاري في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشي وطلبه قال قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما
وقع فيه الوفاق بين اللغتين وقال عروة بن الزبير ضيعت النصاري الانجيل وادخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم
علي الحق والدين يسمي قسيسا فمن كان علي هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان في راكب وفارس في
راكب وفارس وقيل انه واحد وجمعه رهابين كقربان وقرابين ولكن النظم يا باه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالي
وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة قساوة اليهود وغلظتهم والا فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالي ورهبانية ابتدعوها
وقوله صلي الله عليه وسلم لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصاري حيث انهم ينازعون في الالهيات والنبوات
جميعا اغلظ في الحقيقة من كفر اليهود لانهم لا ينازعون الا في النبوات الا بعضهم القائلين بان عزيرا ابن الله ثم ان النصاري لما
لم يشتد حرصهم علي طلب الدنيا وعلي الحيوة واقبلوا علي العلم والبراءة من الكبر خصهم الله تعالي بالمدح وذم اليهود حيث قال
ولتجدنهم احرص الناس علي حيوة غلت ايديهم فتبين صحة قوله صلي الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة قال ابن عباس
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم خاف علي اصحابه من المشركين فبعث جعفر بن ابي طالب وابن مسعود في رهط من اصحابه الي
النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه اكرمهم و
قال لهم هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرؤا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرؤا انحدرت دموعهم
مما عرفوا من الحق وقال الاخرون قدم جعفر بن ابي طالب من الحبشة هو واصحابه ومعهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وهم بحيرا الراهب وابرهة وغيرهما
فقرا عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم سورة يس الي اخرها فبكوا وامنوا فنزلت والخطاب في تري لكل راء وقد وضع الفيض
الذي هو سبب الامتلاء موضع الامتلاء واصله تمتلي من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون ان معنى
دمعت عينه وقصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء كان الاعين تفيض بانفسها ومعنى مما عرفوا من الحق اي مما نزل علي محمد
وهو الحق فمن الاولي لابتداء الغاية علي ان فيض الدمع نشا من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض يعني انهم عرفوا
بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله واحاطوا بالسنة ربنا امنا المراد انشاء الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا مع الشاهدين
مع امته وقد مر مثله في ال عمران وما لنا انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع حصول موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم
دار ثوابه مع الصالحين قالوا ذلك في انفسهم او فيما بينهم او في جواب قومهم حين رجعوا اليهم ولاموهم ومحل لا نومن نصب علي الحال
نحو ما لك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي ما نصنع غير مومنين وهو العامل ايضا في ونطمع ولكن مقيدا بالحال الاولي لانك لو حذفت
قلت وما لنا ونطمع لاختلت ويحتمل ان يكون ونطمع حالا من لا نومن كانهم انكروا ان لا يوحدوا الله وهم يطمعون في الثواب

وان يكون عطفا على لا نؤمن اي ومالنا نجمع بين التثليث وبين الطمع او ومالنا لا نجمع بين الايمان وبين الطمع فاثابهم الله بما قالوا ظاهره
يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول ولكن فيما سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلما جرم لما
اضاف اليه القول كل الايمان ويحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده ومذهبه وروي عطاء عن ابن
عباس ان المراد بما سالوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين قال اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب
وصاحب الكبيرة له المعرفة والاقرار فلابد ان يؤل حاله الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا ان الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب
ولكن بشرط عدم الاحباط **التاويل** لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذريات ذريات ادم عليه السلام وارسلنا اليهم
رسلا بالاحسان في عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا يعني الالهامات والواردات وفريقا
يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا النصارى ارادوا ان يسلكوا الطريق الحق فتاهوا في اودية الشبهات وامة محمد صلى الله عليه
وسلم سلكوا الطريق باقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية فاسقط عنهم براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا
كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل انت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال فتحقق لهم ان
عيسى بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما ان المرايا المحرقة يحرق بما قبل
من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى
ابن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل المستحق للخلافة قوله قول الحق ورده رد الحق لا يتناهون عن منكر يعني العصيان
منكرا لانه يوجب المنكر كما ان الطاعة معروف لانها توجب المعرفة ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا يعني تعارف الارواح يوجب
ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم تحبب لهم القربة والمودة من اهل الايمان و
عرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فامنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله ويشاهدونه بلوايح
المعرفة وطوالع المحبة فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والله ولي التوفيق ومنه الهداية الى هذا الطريق

يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم

اي آنانكه ایمان آوردید حرام مکردانید پاکیزها و خوشهای آن چیز که حلال کرد خدای برای شما

ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين فكلوا مما رزقكم الله

واز حد مگذرید بدرستی که خدای دوست ندارد از حد گذرندگان را وبخورید از انچه روزی داد شما را خدای

حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا

حلال حال آنکه پاک بود وبترسید از خدای آنکه شما باو گروندگانید

يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم

نگیرد شما را خدای بآنچه بی اختیار زبان آید در سوگندهای شما ولیکن بگیرد شما را

بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين

استوار کردانید بقصد ونیت سوگند را پس محو کننده بزه آن سوگند خورانیدن ده بیچاره است

من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة

از میانه آنچه میخورانید کسان شما را یا جامهای ایشان یا آزاد کردن بنده

فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم

پس هر که نیابد پس روزه بود سه روز داشتن روزه این مذکور پوشاننده بزه سوگندهای شماست چون سوگند بخورید وحانث

واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون يا ايها

ونگاه دارید سوگندهای شما را همچنان بیان فرماید خدای برای شما آیتهای خود را تا مگر شما شکر کنید ای

الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل

آنانکه ایمان آوردید بدرستی که می وقمار وآنچه نصب کنید آنرا برای عبادت یا سنگهای وتیرهای که بدان فال گیرند پلید است از کار

الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع

دیو پس دور باشید از تناول او تا مگر شما برهید وظفر یابید بدرستی که میخواهد دیو که افکند

بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن

در میان شما دشمنی وکینه در کار می وقمار وباز دارد شما را از یاد کردن خدای واز

الصلوة فهل انتم منتهون واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا

نماز پس هیچ خواهید باز ایستادگان از گناهان وفرمان برید خدای را وفرمان برید پیغمبر را وحذر کنید از مخالفت

فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين

پس اگر اعراض کنید پس بدانید که بدرستی بر پیغمبر است پیغام رسانیدن هویدا نیست بر آنانکه

امنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا

ایمان آوردند وکردند کارهای نیکو پس بر تقوی مداومت نمایند وثبات نمایند بایمان پس بر تقوی مداومت نمایند ونیکو کنند با ایشان

والله يحب المحسنين يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء

وخدای دوست میدارد نیکوکاران را ای آنانکه ایمان آوردید هر آینه شبهه آزمایش نماید خدای شما را بچیزی

من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن

از شکاری یعنی بحرام کردن برسد بران دستهای شما ونیزهای شما تا ظاهر کند خدای آنرا که برسد از خدای حال آنکه غایبست پس هر که

اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا

تجاوز کند از حد فرمان پس از آن شرع که حرمت در حرم پس مر او راست عذابی دردناک ای آنانکه ایمان آوردید مکشید

الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من

شکاری را وحال آنکه شما باشید محرمان وهر که کشد صید را از شما بقصد پس جزو باشد بدلی مانند آنچه کشته باشد از

النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة

چهارپایان حکم کند بآن بدل دو خداوند عدل آن شما حال آنکه آن جزا قربانی بود رسنده بکعبه یا کفارت

طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما

خورش بیچارگان

سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام احل

بخشید خدای بیچیزی گذشت و هر که باز گردد پس انتقام کشد خدای از او وخدای غالب خداوند عقوبت حلال کردانیده شد

لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم
براى شما شكار دريا و حيوان ماكول او براى انتفاع و برخوردارى مر شما را و مر روندگان را و حرام گردانيده اند بر شما
صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل
شكار بيابان دران مدت كه باشيد محرمان و بترسيد از خداى كه سوى جزاء او گرد آورده خواهيد شد گردانيد
الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي و
كعبه را خانه حرام را ايستادنى براى مردم در دين و دنيا و ماه حرام را و ذوالحجه يا مطلق و قربانى را و خاصه انها كه
القلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
بقلاده نشان كرده باشد آن حفظ حرمت تا بدانيد كه بدرستى خداى ميداند هر آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمين است
از هتر ان قربانى حرام براى آنست
وان الله بكل شئ عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله
و آنكه خداى بهمه چيزى داناست بدانيد كه بدرستى كه خداى سخت عقوبت است و آنكه خداى
غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون
آمرزگار است مهربان نيست بر پيغمبر مگر رسانيدن پيام و خداى ميداند آنچه آشكارا ميكنيد
وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك
و آنچه پنهان ميكنيد بگو برابر نباشد حرام و حلال و اگر چه بشگفت آرد ترا
كثرة الخبيث واتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون
بسيارى پليد پس بترسيد از خداى اى خداوندان خرد تا رستگارى يابيد

القراءة بما عقدتم بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفصل وقرا ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد نرا وسط مثل مصوطنان نجزاء بالتنوين طعام بالرفع فيما بغير الف ابن عامر مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفصل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة بالتنوين طعام بالرفع فيما بغير الف ابن عامر **الوقوف** ولا تعتدوا ط المعتدين ه طيبا ص لعطف المتفقين مؤمنون ه الايمان ج لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب رقبة ط ثلثة ايام ط حلفتم ط للاضمار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم ط تشكرون ه تفلحون ه ومن الصلوة ج وعن الصلوة لابتداء الاستفهام لاجل التحذير مع دخول الفاء فيه منتهون ه واحذروا ج المبين ه واحسنوا ط المحسنين ه بالغيب ج اليم ه وانتم حرم ط وبال امره ط سلف ط منه ط انتقام ه وللسيارة ج لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتين مع وقوع العارض تفلحون **التفسير** انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتابيين عاد الى بيان الاحكام فبدا بحل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم وهذا الذي قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم

وافطر واكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام الطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع وانزل الله هذه الاية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فهذا وجه اتصال الايات فان قيل ما الحكمة في قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان في اللذات والطيبات يمنعه عن الاستغراق في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا اشبعت الاجسام صارت الارواح اجسادا واذا اجاعت الاجسام صارت الاجساد ارواحا فالجواب ان الرهبانية المفرطة مما يوقع الآفة في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التامل في الجواهر الروحانية ومباديها على ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الترهب مع رعاية وظايف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحليل المحلل وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله ولا تظهروا باللسان تحريمه او لا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى او لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب او الطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه يحرم الكل والطيبات الملذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن تحريم الطيبات تارة اخرى فقال ولا تعتدوا ويجوز ان يراد لا تتعدوا عما احل لكم الى ما حرم عليكم او يراد النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا امر اباحته وتحليل مما رزقكم الله في ادخال من التبعيضية ارشاد الى الاقتصاد والاقتصار في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وفيه انه تعالى هو الذي يرزق عبيده ويتكفل برزقهم قال في التفسير الكبير قوله حلالا طيبا ان كان مفعولا متعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن في اكل كل ما رزق الله تعالى وانما ياذن في اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالماكول اي كلوا من الرزق الذي يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يؤذن بان الرزق قد لا يكون حلالا اقول وهذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب اتقاءه في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم آنفا وقد تقدم معنى يمين اللغو في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان فمن قرا بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرا بالتشديد فان ابا عبيدة اعترض عليه بان التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقدها بقلبه ولسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الآخر فلا كفارة ومن قرا بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك عاقبت اللص وعافاه الله والمعنى على القراءات ولكن يؤاخذكم بعقد الايمان او بتعقيدها او بمعاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم به او المراد بنكث ما عقدتم بحذف المضاف فكفارته اي الفعلة التي من شانها ان يكفر الخطيئة اي تسترها احد هذه الامور ويسمى بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان لكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باي واحد شاء منها فانه يخرج عن العهدة ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء آخر هو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي نصيب كل مسكين مد اي ثلثا من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والقاسم لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا في العرف فثلثا من من الحنطة اذا جعل دقيقا وخبز فانه يصير قريبا من المن وذلك كان لواحد في يوم واحد وان كان المراد ما كان متوسطا في الشرع فمقدار الا ما جاء في قصة الاعرابي المفطر ان النبي صلى الله عليه وسلم امره باطعام ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال له صلى الله عليه وسلم اطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المسكين بربع

الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلف لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الاهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها قال لان الاوسط هو الاعدل وما ذكره الشافعي هو ادنى ما يكفي واما الاعدل فيكون بادام وهكذا روي عن ابن عباس مد ادامه والادام يبلغ قيمته مدا آخر ويزيد في الاغلب اجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقدار ما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الاهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم ولقائل ان يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لاجل كيفية الاطعام قال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزئ الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعبد الذي لا يعقل معناه فيجب الوقوف على مورد النص قال في الكشاف او كسوتهم عطف على محل من اوسط ووجه بان البدل هو المقصود وكانه قيل فكفارته من اوسط واقول الاظهر ان يكون من اوسط مفعولا آخر للاطعام وسواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزئ في الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازار او رداء او قميص او سراويل او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي عن ابن عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب يجمع يداه الى رقبته فاذا اطلق حل ذلك الحبل فك رقبته ثم اجري ذلك على العتق وكذا قيل في اصل هذا المجاز ومذهب اهل الظاهر ان جميع الرقاب مجزئة وقال الشافعي لا يجزئ الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت او كبيرة ذكرا او انثى بعد ان كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شراء القريب في تقديم الاطعام على العتق افضل تنبيه على التخيير فان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل لان الحر الفقير قد لا يجد الطعام ولا يكون هناك من يعطيه فيقع الضر اما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التاخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد احد الامور الثلثة فصيام فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك انه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلث فعند وجدانها وجب ان لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لان ذلك ضروري وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فبقي الآية معمولا بها في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلثة مشروط عند ابي حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات فان قراءتهما لا تختلف عن روايتهما وقال الشافعي في اصح قوليه ان التفريق جائز والقراءة الشاذة لا يعتد بها لانها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له علي ايام من رمضان افاقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك قال بلى قال فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق في صوم رمضان ففي غيره اولى وايضا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

مسئلة من صام ستة ايام عن يمينين اجزاه ولا حاجة الى تعيين احدى الثلثتين لاحدى اليمينين لان الواجب عن كل منهما ثلثة ايام وقد اتى بها فيخرج عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وللتنبيه على ان الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعي واحمد موافقا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك ثم ائت بالذي هو خير ولان الكفارة حق مالي تعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود احد السببين كتعجيل الزكوة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب وان كان الحنث بارتكاب محظور كان حلف ان لا يشرب الخمر اجزاه التكفير قبل الشرب ايضا لوجود احد السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لا اثر لها فيه جميع ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي اما عند ابي حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا واحفظوا

ايمانكم

ايمانكم فلا تتركوها ولا تكثروا منها او احفظوها اذا حلفتم عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان مخصصة بالتي الحنث فيها معصية كمن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن فانه لا يؤمر حينئذ بالحفظ عن الحنث وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان الشافي يبين لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم تشكرون نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك في سلك التحريم الانصاب والازلام وقد ذكرناها في اول هذه السورة واعلم انه كانت تحدث قبل تحريم الخمر اشياء يكرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قصة علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روي في الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني شارفا من الخمس فلما اردت ان ابني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي لا دخرا اردت ان ابيعه الصواغين فاستعين به في وليمة عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفي قد جبت اسنمتها وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رايت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب من الانصار غنت قينة فقالت في غنائها **شعر** الا يا حمز للشرف النواء ● وهن معقلات بالفناء ● ضع السكين في اللبات منها ● فضرجهن حمزة بالدماء ● واطعم من شرائحها كبابا ● ملوحة على وهج الصلاء ● فانت ابا عمارة المرجى ● لكشف الضر عنا والبلاء ● فوثب الى السيف فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما قال علي فانطلقت حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله الذي لقيت فقال ما لك قلت يا رسول الله ما رايت كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه ثم انطلق يمشي واتبعته انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه فاستاذن فاذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل واذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال وهل انتم الا عبيد ابي فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا وكانت هذه القصة من الاسباب الموجبة لنزول تحريم الخمر قالت العلماء هذه الآية تدل على تحريمهما من وجوه منها تصديرها بالجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا الرجس وعمل الشيطان ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال في موضع آخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس لعمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي العقاب والغضب وكانه ابدال الرجس والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير فلهذا سمي العمل القوي الدرجة في القبح رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها انه تعالى امر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير في فاجتنبوه عائد الى الرجس او العمل او الى المضاف المحذوف اي انما تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منها من التعادي والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلوة خصوصا وفيه ان غرض الشرب من الاجتماع تاكد الالفة والمودة ثم انها تورث نقيض المقصود لان العقل اذا زال استولت الشهوة والغضب ويؤدي الى التنازع واللجاج وكذا القمار يفضي الى افناء المال والى ان يقامر على جبته واهله وولده وكل ذلك يورث العداوة والفتن فهذان من مكايد الشيطان ومضادان لمصالح الانسان وايضا الخمر تهيج اللذة الجسمية والقمار يورث لذة الغلبة الخيالية وكلتاهما توجب الاشتغال عن اللذات الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فرضهما اولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها على انها جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افردها لان الكلام مسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون سوى هذين ومنها سوق الكلام بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولهذا قالوا انتهينا يا رب اذ فهموا التحريم المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم من الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الآية والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ

وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله المنتقم وعن انس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة وما شرابهم
الا الفضيخ البسر والتمر فاذا منادي ينادي الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال ابو طلحة اخرج فارقها
مال فارقتها فقالوا قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
الطعم خلاف الشرب في الاغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر
ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يوكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب اطعم اي ذق ونظير هذه الآية قوله في
نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا ياثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم
شربوها حين كانت محللة والمراد ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان
وزعم بعض الجهلة ان هذا الحكم متعلق بالمستقبل والاول لم يكن او ما كان جناح مثل وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على
من طعمها اذا لم يحصل معه العداوة والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل معه انواع المصالح من الطاعة والتقوى و
الاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا وهي للمضي تاباه وايضا ان سبب نزول الآية يكذبه روي ابو بكر الاصم انه
لما نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا القمار وكيف بالغايبين عنا في البلاد
لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل لكن في حق الغايبين الذين لم يبلغهم هذا
النص ثم ان سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون
الاول لفعل الاتقاء والثاني دوامه والثبات عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم وقيل الاول اتقاء جميع
المعاصي قبل نزول الآية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية والثالث اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه
الآية وهذا قول الاصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكباير ثم الصغاير وقال القفال الاول الاتقاء من القدح في صحة النسخ
ليثبت تحريم الخمر بعد ان كانت مباحة والثاني الاتيان بالعمل المطابق للآية والثالث المداومة على التقوى مع الاحسان
الى الخلق ثم انه تعالى استثنى بعض الصيد من المحللات فقال على سبيل توكيد القسم ليبلونكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر وفي
التنوين للتحقير وفيه انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها الاقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال فامتحن الله امة محمد
بالصيد البري كما امتحن اصحاب ايلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير
تغشاهم في رحالهم فيقدرون على اخذها بالايدي وصيدها بالرماح وما راوا مثل ذلك قط فنهاهم الله تعالى عنه ابتلاء
قال الواحدي الذي تناله ايديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد
للبيان او للتبعيض وهو صيد البر او صيد الاحرام والمراد به العين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله اليه ليعلم الله ليظهر
معلومه وهو خوف الخائف او ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او ليعلم اولياء الله ومحل بالغيب النصب على الحال اي يخافه
حال كونه غايبا عن رؤيته او عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا
عن ابن عباس هو ان يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه ولا تقتلوا الصيد قال الشافعي انه البري المتوحش الماكول
الحم اما الاول فلقوله تعالى بعد ذلك احل لكم صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبي وان صار مستانسا ويخرج
الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه ماكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فعلم منه انه
ما يحل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يوكل لحمه ضمن وسلم انه لا يجب الضمان في قتل الذئب وفي
قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم قتل جميع الموذيات لا سيما وقد جاء خمس يقتلن في الحل و
الحرم الغراب والحداة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية بزيادة السبع العادي واحتج لابي حنيفة بقول
علي رضي الله عنه شعر صيد الملوك ارانب وثعالب ٭ فاذا ركبت فصيدي الابطال ٭ وزيف بان الثعلب عندنا
حلال وانتم حرم اي محرمون بالحج او العمرة ايضا على الاصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل هما مرادان بالآية وهو قول الشافعي
فقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له ان يتعرض للصيد ما دام محرما او في الحرم بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب
والطيور سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم من قرا جزاء بالتنوين ومثل
بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته كذا ومن قرا بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول فعليه اي فعليه ان يجزي مثل
ما قتل قال بعض العلماء المثل مقحم للتاكيد اذ الواجب عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم انا احب مثلك اي احبك

وقيل الاضافة بمعنى من اي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطا لا يلزمه شيء وهو قول داود لان النهي
ورد عن التعمد وهو ان يقتله ذاكرا لاحرامه او عالما ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو
يظن انه ليس بصيد او رمى غير صيد فعدل السهم فاصاب صيدا فهو مخطي لا شيء عليه لفقدان القيد المذكور ويتاكد هذا الراي
بقوله ليذوق وبال امره وقوله ومن عاد اي الى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام ايضا يناسب العمد لا الخطاء وقال
جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء قتل عمدا او خطاء قياسا على سائر محظورات الاحرام كحلق الراس وغيره وكما في ضمان مال المسلم
فانه لما ثبتت الحرمة لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا او لا وانما وردت الآية بالتعمد لان العمد اصل والخطا ملحق
به للتغليظ ولما روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد
وانت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء قال صلى الله عليه وسلم
في الضبع كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة اطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطاء ثم العلماء اختلفوا
في المثل فقال الشافعي ومحمد بن الحسن الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال ابو حنيفة وابو
يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا
بالغ الكعبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن
عمر رضي الله عنهم انهم حكموا في امكنة مختلفة وازمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار
الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة
وفي الحمام بشاة ويعني به كل ما عب وهدر كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء بمرة والهدير ترجيع صوته وتغريده
وفيه دليل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلفت باختلاف الاسعار والظبي
الذكر من هذا الجنس والغزال الشاة والجفرة من اولاد المعز اذا انفصلت من امها والعناق الانثى من اولاد المعز وايضا المقصود من الضمان
جبر الهلاك فكلما كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل المسألة الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا فالشافعي واحمد واسحق لا يجب عليهم
الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد ابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم جميعا
وكذا لو حلف كل منهم ان لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة واجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعبدي وتعدد
الكفارة لتعدد الايمان الثانية المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن كما لم يجب بالدلالة كفارة القتل ولا الدية وكما لو
دل على مال المسلم وذلك ان الدلالة ليست بقتل ولا اتلاف ابو حنيفة يضمن لما روي ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن
عباس اوجبوا الجزاء على الدال الثالث الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو
الاسهل لانه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة وقال داود لا ضمان
الا بالقتل لظاهر الآية حيث ينط الجزاء بالقتل فقط الرابع اذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء آخر
خلافا لداود وينقل عن ابن عباس وشريح حجة الجمهور ان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار
فهي طالق فدخلت واحدة مرتين فانه لا يقع الا طلاق واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد فينتقم الله
منه فانه جعل جزاء العايد الانتقام لا الكفارة الخامس قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور اليد او الرجل فداه بمثله
والصحيح احب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدي بالذكر والانثى والاولى ان لا يغير تحقيقا للمماثلة فالانثى افضل لانها
تلد والذكر افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه اطيب وصورته احسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن
عباس اي رجلان صالحان فقيهان من اهل دينكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا احتج من نصر قول ابي
حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد واما الخلقة والصورة فشاهد لا يفتقر الى الاجتهاد ورد بان وجه المشابهة
بين النعم والصيد ايضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر انه ضرب ظبيا في الاحرام فمات فسال عمر وكان الى جانبه
عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك فاذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت الى صاحبي و
قلت ان امير المومنين لم يدر ما يقول حتى سال غيره قال فما لجاءني عمر وعلاني بالدرة وقال اتقتل في الحرم وتسفه الحكم
قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روي انه صلى الله
عليه وسلم قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة او التابعين او من اهل عصر آخر من النعم انه مثل الصيد

المقتول تتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لان بحثهم اوفى ونظرهم اعلى وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم
وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لانه تورد الفسق والحكم موصوف بالعدالة وان كان خطاء او كان
مضطرا اليه وكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روي ان بعض الصحابة اوطا فرسه ضبا فسال عمر فقال
احكم فيه فقال انت خير مني واعلم يا امير المؤمنين فقال انما امرتك ان تحكم فيه ولم آمرك ان تزكيني فقال الرجل اري فيه جديا
فقال عمر فذلك فيه وايضا فانه حق الله تعالى فيجوز ان يكون من عليه امينا فيه كما ان رب المال امين في الزكوة ولو حكم عدلان
بانه له مثل واخران بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان بمثل واخران بمثل فاصح الوجهين انه يتخير والآخر
انه يغلظ باخذ بالاغلظ قيل في الآية دلالة على ان العمل بالاجتهاد والقياس جائز واجيب بانه لا نزاع في الصور الجزئية كما لا
في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات واروش الجنايات وعمل العامي بالفتوى وكالعمل
بالظن في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع قام في حق جميع المكلفين باق على وجه الدهر والانصاف ان تجويز الاجتهاد في
القبلة وفي تعيين مثل الصيد المقتول امر كلي ايضا وانتصب هديا على انه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لانه حينئذ اقرب
من المعرفة او بدل عن محل مثل عند من اضاف او حال عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية
تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم لان الذبح والنحر
لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غاية القرب والتلاصق منها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعي
يجب عليه ان يتصدق به في الحرم ايضا لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال
ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء لانها لما وصلت الى الكعبة فقد خرج عن العهدة قوله او كفارة عطف على محل فجزاء
وطعام مساكين بيان له ومن اضاف فظاهر انه ايضا اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة او عدل ذلك الطعام صياما نصب
على التمييز كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك اذا كان
غلاما يعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه يصوم بكل مد يوما ومذهب ابي حنيفة انه
يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك بحسب الاختلاف في طعام مساكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة
انه يوجب قيمة الصيد بتقويم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين
ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر وصاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وحاصل مذهب
الشافعي ان الصيد قسمان ما له مثل من النعم وما ليس كذلك والاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله
فيتصدق به على مساكين الحرم اما بان يفرق اللحم او يملك جملته اياهم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق
بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها طعاما وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان
الثاني وهو ما ليس مثليا كالعصافير وغيرها وبالجملة كل ما دون الحمام او فوقه فيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء
تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان انكسر مد في القسمين صام يوما لان الصوم لا يتبعض فالجزاء في القسم الاول
ثلثة اركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام متى او هما على التخيير في ظاهر المذهب لا على
الترتيب ووافقنا مالك وابو حنيفة لان او للتخيير غالبا وخالفنا احمد وزفر فقالا انها في الآية للترتيب لان الواجب هاهنا شرع
على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على ان الخيار في تعيين هذه
الثلثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الآية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن
الصيد مثليا فالمعتبر في القيمة محل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة و
ان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالمعتبر في قيمته بمكة يومئذ لانها محل الذبح لو كان
يذبح ولا جزاء على المحرم باكل الصيد سواء ذبحه بنفسه او اصطيد له او بدلالته لانه ليس بنام بعد الذبح ولا يؤول الى النماء
فلا يتعلق باتلافه الجزاء كما لو اتلف بيضة مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك واحمد
يلزمه القيمة بعد ما اكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك واحمد وابو حنيفة لانه
يكون ميتة كذبيحة المجوسي ويجب لو كان مملوكا مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال الاحرام اظهر الوجهين
لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح اما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق ويحتمل ان

يتعلق بمحذوف اي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدور على الثقل ومرعى
وبيل اذا كان فيه وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع وعلى المعدة والامور الثلثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث
وهو الصوم ثقيل على البدن ايضا فكل منها نوع عقوبة عفا الله عما سلف في الجاهلية كانهم متعبدون بشرع من قبلهم او عما سلف
قبل التحريم في الاسلام وعلى مذهب داود عفا الله عما سلف في المرة الاولى بسبب اداء الجزاء ومن عاد فانه اعظم من ان يعفى بالجزاء
فينتقم الله اي فهو ينتقم الله منه والا لم يحتج الى دخال فاء الجزاء لارتباطه بنفسه احل لكم صيد البحر اي مصيداته ويعني بالبحر
جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلثة اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وفيما سوى
هذين خلاف فقال ابو حنيفة حرام وقال ابن ابي ليلى والاكثرون حلال اما قوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه
يروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان الصيد ما صيد بالحيلة حال حيوته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه الماء
من غير معالجة في اخذه وقال الجمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد
بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها واسنانها فالمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل الماكول منه وعن
سعيد بن جبير ان الصيد هو الطري والطعام القديد منه وفي الفرق ضعف قول الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لانه
طعام البحر وقد قال تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا لكم
في الحضر طريا وللسيارة في السفر مالحا وانتصب متاعا على انه مفعول له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج انه مصدر مؤكد لان
قوله احل لكم في معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البحر هو الذي لا يعيش الا في الماء اما الذي لا
يعيش الا في البر والذي يمكنه ان يعيش في البر تارة وفي البحر اخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير
الماء كل ذلك من صيد البر ويجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه الصيد الذي صاده اما الذي صاده الحلال
فعن ابن عباس وعلي وابن عمر وسعيد بن جبير وطاوس والثوري واسحق ان الحكم كذلك لاطلاق الآية ولما روي عن علي ان النبي
صلى الله عليه وسلم اهدي اليه حمار وحش وهو محرم فابى ان ياكله وقال مالك والشافعي واحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرط ان لا
يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى ابو داود في سننه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صيد البر لكم حلال
ما لم تصيدوا او يصاد لكم وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد انهم اجازوا للمحرم ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر و
كذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه لما روي عن ابي قتادة انه اصطاد حمار وحش وهو حلال في اصحاب
محرمين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اشرتم هل اعنتم فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فاخذها
النبي صلى الله عليه وسلم فاكلها وهذان القولان مفرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف اخذ ابو حنيفة
بالمفهوم فكانه قيل وحرم عليكم ايها المحرمون ما صدتم في البر فيخرج منه صيد غيركم ويرد عليه ان المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة
والاجتناب من المعاصي بقوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد في الحرم
وفي الاحرام فقال جعل الله اي حكم وبين الخطاب والتعريف او صير بخلق الدواعي العظيم في القلوب قياما للناس وهم
العرب ووجه المجاز ان اهل بلد اذا قالوا الناس فعلوا كذا ارادوا اهل بلدتهم فنطق القرآن على مجرى عاداتهم وبيان القيام ان
قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعله بحيث يجبى اليه ثمرات كل شيء واما بدفع المضار وقد صيره حرما آمنا واما بحصول الجاه
والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء ابرهيم صلوات الرحمن عليه فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ثم المنافع
الدينية الحاصلة من مناسكها وشعائرها اكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى وانتصب البيت الحرام على انه عطف بيان على
جهة المدح لا على جهة التوضيح اذ الكعبة من ان توضح ويحتمل ان يراد بالناس عامة الناس لما تم لهم من امر حجهم وعمرتهم
وتجاراتهم وانواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوا عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا وتفسير الشهر
الحرام والهدي والقلائد تقدم في اول السورة وانما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم لانه اذا دخل الشهر الحرام
كان يزول خوفهم ويقدرون على الاسفار وتحصيل الاقوات قدر ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمته ذلك لهلكوا من الجوع
وايضا هو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج واقامتها واما الهدي فانه نسك للمهدي وقوام المعايش للفقراء
وكذا القلائد فكان من قلد الهدي او قلد نفسه من لحاء شجرة الحرم لم يتعرض له احد وكل ذلك لان الله تعالى اوقع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس او من حفظ حرمة الاحرام والحرم مشروع لتعلموا ان الله

يعلم ما في السموات وما في الارض وذلك انه علم في الازل ان مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة وكان ذلك مما
يفضي الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سببا للامان في بعض الامكنة وفي بعض الازمان
فيستقيم مصالح الانسان ولا ريب ان مثل هذا التقدير والتدبير لا يتيسر الا من يعلم الكليات واسبابها وغاياتها بل يعلم المكونات
باسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عاليها وسافلها ما وجد منها وما سيوجد وذلك قوله وان الله بكل شيء عليم فما احسن هذا
الترتيب ثم خوفهم واطمعهم بقوله اعلموا ان الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وان الله غفور رحيم لمن حافظ عليها
وذكر الوصفين في جانب الرحمة دليل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر ان الرسول ما كان مكلفا
الا بالتبليغ فاذا ابلغ خرج من العهدة وبقي الامر من جانبكم وانه يعلم جهركم وسركم وفيه من الوعيد ما فيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عبادة الاوثان وشرب الخمر والطعن في الانساب الا ان الخمر لعن شاربها وعاصرها
وساقيها وبايعها واكل ثمنها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله اني كنت رجلا كانت هذه تجارتي واستفدت من بيع الخمر
مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل
عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وانزل الله عز وجل تصديقا لقول رسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب و
هو عام في حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها ورديء النفوس وجيدها واخبث
الخبائث الروحانية الجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته والبون بين الصنفين في العالم
الروحاني ابعد منه بين جنسيهما في العالم الجسماني لان اثرهما في عالم الارواح ابقى وادوم واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث يا
انسان بالطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في التحقيق قلة ولذته في الآخرة ذلة ونقده زيف وصرف العمر في طلبه
حيف **التأويل** لا تحرموا على انفسكم بالاستمتاعات النفسانية طيبات ما احل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب
الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله اجتهدوا في طلب ما اختصكم به الله من تجلي جماله وجلاله
حلالا طيبا لحل فيكم بريئا من سمات النقائص بالعفو في ايمانكم ان تحلفوا بالاية عن الترهب ولا تئمة لملال النفوس وكلال القوى
واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في اثناء المجاهدات واعوان المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عزمتم على الهجران وتعرضتم للخذلان
فكفارته حينئذ اطعام عشرة مساكين الظاهرة الباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهي القلب والسر والروح والخفي طعام
الشوق والمحبة والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف او وسط الذكر والذكر والفكر و
التفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجا شغل الحواس العشرة بهذه الامور او تكسوهم لباس التقوى او تحرير رقبة النفس
من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد السالك في اليوم الماضي عما عزم عليه وفي اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن
العود اليه ومن لغو اليمين عند ارباب اليقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه
بجماله وجلاله ان يرزقه شمائل اقباله ووصاله وذلك في شريعة الرضى يعود في مذهب التسليم سهوا ولكن يرجى له عفو فلا
يؤاخذه بمقاله لعلمه بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد من تجديد العهد وتاكيد العقد كقول بعضهم **شعر**
وحقك ما نظرت الى سواكا ۝ بعين مودة حتى اراكا ۝ فان هذا يتنافي التوحيد وان في الدار ديارا كلا بل هو الله الواحد
القهار ليس على الذين امنوا التقليد وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا
ما اتقوا الشبهة والاسراف وآمنوا بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب
عما سواه ومن تحليته بالاحوال المضادة للهوى كالصدق والاخلاص والتوكل والتسليم وما عداه ثم اتقوا شرك الانانية
وآمنوا بهويته ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفناء في الفناء واحسنوا وهو البقاء به فانهم جعل الله البلاء لاهل الولاء كاللهب
للذهب فقال يا ايها الذين آمنوا ايمان المحسنين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال واحرموا بحج الوصول
وعمرة الوصال ليبلونكم الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية تناله
ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الخيالية فله عذاب اليم الرد والصد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني
من احرم لزيارة كعبة الوصال فعليه حسم الاطماع من الحرام والحلال تعمدا اي عالما بما في الالتفات اليه من المضار مثل
ما قتل من النعم يجازي نفسه برياضة ومجاهدة بما يناسب ما تلك اللذة ذوا عدل هنا القلب والروح يحكمان على شعار الاسلام

وعلى حسب همة السالك بتقليل الطعام والشراب او ببذل المال او بترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا
عن الخلق لاجل الحق او طعام مساكين من العقل والقلب والروح والسر والخفي كانوا محرومين عن اغذيتهم الروحانية فيطعمهم من المقامات
الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والفطام عن المالوفات ومن الشكر والرضا وغير ذلك او عدل ذلك صياما هو
الامساك عن الاعيان والركون الى الواحد القهار ليذوق النفس الامارة وبال امرها فان كل هذه الامور على خلاف طبعها ذوقا
ينتقم من احباته بنقاب الدلال ومن اعدائه بحجاب الملام والملال احل لكم صيد بحر المعارف والكشوف يتنعمون
بالواردات ويطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادات صيدا بر ما يسنح للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اي في
المحو لا في حال الصحو جعل الله الكعبة كعبة الظاهر قياما للعوام والخواص يستبيحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب
قواما للخواص ولخواص الخواص يلوذون بها بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى تعلموا ان لا موجود الا هو ولا معبود الا الله البيت الحرام
ان يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام الطلب حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي
هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع قلائدها كان الشريعة فيذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها
فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار ان الله ما في السموات وما في الارض شديد العقاب بتبدل الحجاب
لغير الاحباب غفور رحيم للصادقين في الطلب بفتح الابواب الا البلاغ ما لقال يتلوا عليهم آياته وبالحال تزكيهم ما
تبدون بتقرير اللسان وما يكتمون من تصديق الجنان الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل
الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وينبغي ذلك كثره ۝ الله ولي التوفيق ومنه الهداية الى هذا الطريق

يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم
اى آنانكه ايمان آورديد مپرسيد از چيزهاى كه اگر پيدا كنند شما
تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا
اندوهگين گرداند شمارا واگر بپرسيد ازان ايه انگاه كه فرو ميفرستند قران را يعنى در ظاهر گردانيد براى اندوه گردانيد شما
الله عنها والله غفور رحيم قد سالها قوم من قبلكم ثم
خداى ازان سؤال وخداى آمرزگار است تعجيل نا نماينده بعقوبت بحقيقت پرسيدند آن گروهى از پيش شما پس
اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
گشتند بسبب آن از اهل كفر نكرد خداى هيچ بحيرة ناقه گوش بريده آنكه وهيچ ناقه بحر اگذاشته
ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله
ونه هيچ گوسفند ماده كه باز ونه هيچ فحلى كه از صلب او ده نتاج حاصل آيد وليكن آنانكه كافر شدند ميگويند بر خداى
الكذب واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
دروغ را وبيشتر ايشان عقل ندارند وچون گويند ايشان را بياييد سوى آنچه فرو فرستاد
الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو
خداى وسوى پيغمبر گفتند بسنده است ما را آنچه يافتيم ما بران پدران ما را واگرچه
كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا ايها الذين امنوا
باشد پدران ايشان كه ندانند چيزى را وراه ننمايند اى آنكه ايمان آورديد
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم
ملازم باشيد اصلاح حال خودرا زيان نكند شمارا آنكه بى راه باشد چون راه يافتيد شما سوى خداست بازگشت شما

جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ يا ايها الذين امنوا شهادة
بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم
او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة
الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري
به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين
فان عثر على انهما استحقا اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على
وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا
والله لا يهدي القوم الفاسقين ۝ يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ۝ اذ قال الله
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني
فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ

تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم
بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد
باننا مسلمون ۝ اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان
كنتم مؤمنين ۝ قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا
ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ۝ قال
عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين
قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه
عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ۝ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال
سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك
انت علام الغيوب ۝ ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله

ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
پروردگار من و پروردگار شما و بودم برايشان گواه آن مدت كه بودم درميان ايشان
فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد
پس چون از ميانه ايشان برگرفتي مرا به آسمان بودي تو نگاهبان برايشان يعني بر تو و بر اعمال و اقوال ايشان و تو بر همه چيزي گواهي
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
اگر عذاب كني ايشان را بدرستي كه ايشان بندگان تواند و اگر بيامرزي ايشان را پس بدرستي كه تويي تو غالب توانا درست كار درست گفتار
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري
گفت خداي اينست روزي كه سود كند راستگويان را راستي ايشان مر ايشان راست بوستانهاي كه ميرود
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا
از زير اشجار ان جويها حال آنكه جاويد باشند دران هميشه خوشنود است خداي از ايشان و خشنود ند ايشان
عنه ذلك الفوز العظيم له ملك السموات والارض
ازو آن رضاي خداي فيروزي بزرگ مر خداي راست پادشاهي آسمانها و زمين
وما فيهن وهو على كل شيء قدير
و آنچه در آسمان و زمين است و او بر همه چيزي تواناست

القراءة

ترك لهن الازال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد روح وزيد الباقون بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين جمع الاول نقيض الآخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولي الاحق الغيوب بكسر الغين حيث كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشموني والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر وكذلك في هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتا الخطاب ربك بالنصب علي والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص لي ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع الباقون بالرفع **الوقوف** توركم لا لابتداء شرط لزم مع واو العطف تبد لكم عنها ط حليم ٥ كافرين ٥ ولا حام لا للاستدراك الكذب ط لا يعقلون ٥ اباءنا ط ولا يهتدون ٥ انفسكم ط لاحتمال الاستيناف او الحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم ط تعملون ٥ مصيبة الموت ط ترتابون لا لان قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة لمن قرأ آلله بالمد الآثمين وما اعتدينا لظالمين والوصل وجه لتعلق اذا بقوله وما اعتدينا الظالمين ايمانهم ط لابتداء الامر واسمعوا ط الفاسقين ٥ اجبتم ط لنا ط الغيوب ٥ والدتك م لئلا يوهم انه ظرف اذكر بل عامله محذوف والتقدير واذكر اذ ايدتك وكهلا ج والانجيل ج والابرص باذني ج لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق به اذ الاول ويمكن كل واحد محذوف آخر لتفصيل النعم عيسى بن مريم الجنة برسولي لاحتمال ان قالوا استيناف وعامل في اذا وحيث مسلمون من الهما لا وليحق من الشاهدين وآية منك لانفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين عليكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين من دون الله ما ليس لي بحق قد قيل وهو تعسف لان المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على حق علمته نفسك الغيوب وربكم على ان الواو للاستيناف او الحال اي وقد كنت فيهم لان عامل المتاخر وفاء التعقيب دخلها عليهم لان الواو لا يحتمل الحال للتعميم وكل شيء شهيد عبادك لابتداء الشرط مع الواو الحكيم صدقهم لاختلاف الجملتين بلا عطف ابدا عنه العظيم وما فيهن قدير

التفسير عن انس انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسئلوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله

من ابي فقال ابو حذيفة ابن قيس وقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لتركتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله هذه الاية فهي عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كانه قال ما آتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا في غيره فلعله يجيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخرى كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الاية وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فمنعوا من ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم انكرت استحق العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسئلوا عن اشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم والنحويين في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل اصلها شيئا على وزن حمراء فهو اسم جمع لكن استثقلوا الهمزتين في آخره فقلبوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء وبناء على ان شيئا مخفف شيء كما يقال هين في هين وقد يجمع فيعل على افعلاء كبين وابيناء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وزنها افعال ومنع الصرف تشبيها لها بحمراء ولا يلزم منه صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الاشياء ربما ادى الى ظهور احوال مكتومة ظهورها وربما ترتب عليها تكاليف شاقة صعبة فالذي سال عن ابيه لم يامن ان يلحق بغير ابيه فيفتضح والسائل عن الحج كاد ان يوجبه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله تعالى فاقبلوه وقال ابو ثعلبة ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم لما رتب المفسدة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور او التكليف والحاصل انهم ان سالوا عنها ابديت لهم وان ابديت لهم ساءتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سالوا عنها ساءتهم وقيل السؤال قسمان **احدهما** السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فنهى عنه بقوله لا تسئلوا **والثاني** السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسئلوا رفعا للحرج وتمييزا لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسؤول عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسئلوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة ام لا تبد لكم والمراد ان يطلب الرخصة في السؤال اولا ثم يسال عفا الله عنها اي عما سلف من مسئلتكم واعناتكم للرسول فلا تعودوا اليها والمراد بالعفو انه ما اظهر تلك المسائل بما يشق عليهم من التكاليف وقيل الجملة صفة اخرى للاشياء كما ان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسئلوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي خففت عنكم باسقاطها قد سالها يعني المسئلة التي دل عليها لا تسئلوا قوم من قبلكم سال الناقة قوم صالح فعقروها وسال الرؤية قوم موسى فصارت وبالا عليهم وسال المائدة قوم عيسى فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سالها الى الآية فكان امة محمد صلى الله عليه وسلم سالوا عن احوال الاشياء والمتقدمين سالوا نفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلهذا اختلفت الاسولة اختلفت العبارة الا ان كل واحد من القسمين اشتركا في وصف هو الخوض في الفضول والفضول فيما لا يعني فتوجه الذم عليهما جميعا ولما منعهم عن امور تكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها وبعضهم جعلها احكام ذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق بحر ناقته اذا شق اذنها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن وكان آخرها ذكرا شقوا اذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لآلهتهم لا تجز ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها المعيي لم يركبها تحرجا واما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب الى حيث شاءت قال ابو عبيدة كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرها فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام البحيرة

ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم

پروردگار من و پروردگار شما و بودم بر ایشان گواه آن مدت که بودم در میان ایشان

فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد

پس چون از میانه ایشان برداشتی مرا به آسمان بودی تو نگاهبان بر ایشان یعنی بر تو بود بر اعمال و اقوال ایشان و تو بر همه چیزی گواهی

ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم

اگر عذاب کنی ایشان را بر بی‌گناهی ایشان بندگان تواند و اگر بیامرزی ایشان را پس بدرستی که تویی تو غالب توانا درست کار در گفتار

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري

گفت خدای اینست روزی که سود کند راستگویان را راستی ایشان مر ایشان راست بوستانها که میرود

من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا

از زیر درختان جویها حال آنکه جاوید باشند در آن همیشه خوشنود است خدای از ایشان و خشنود ایشان

عنه ذلك الفوز العظيم له ملك السموات والارض

از او آن رضای خدای فیروزی بزرگ مر خدای راست پادشاهی آسمانها و زمین

وما فيهن وهو على كل شيء قدير

و آنچه در آسمان و زمین است و او بر همه چیزی تواناست

القراءة

من لدنا الانزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد روح وزيد الباقون بالاضافة استحق على
البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين جمع الاول نقيض الآخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف
وعاصم غير حفص والاعشى في اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى الاحق الغيوب بكسر الغين حيث كان حمزة وحماد وابو
بكر غير الشموني والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر وكذلك في هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء
الخطاب ربك بالنصب علي والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو
سهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص لي ان بالفتح
ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع الباقون بالرفع **الوقوف** توكم لا لابتدا
شرط آخر مع واو العطف تبد لكم ط عنها ط حليم ◦ كافرين ◦ ولا حام لا للاستدراك الكذب ط لا يعقلون آباءنا ط ولا يهتدون انفسكم ط
لاحتمال الاستئناف او الحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم ط تعملون مصيبة الموت ط قربى لا لان قوله ولا نكتم
من جواب القسم شهادة لمن قرأ آلله بالمد الآثمين وما اعتدينا لظاهر ان والوصل وجوز لتعلق اذا بقوله وما اعتدينا الظالمين ◦
ايمانهم ط لابتداء الامر واسمعوا ط الفاسقين ◦ اجبتم ط لنا ط الغيوب ◦ والدتك م لئلا يوهم انه ظرف اذكر بل عامله محذوف
والتقدير واذكر اذ ايدتك وكهلا ج والانجيل ج والابرص باذني ج لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق به اذ الاول ويمكن كل واحد
بمحذوف آخر لتفصيل النعم عن بعض مبين ◦ ربع الحزب برسولي لاحتمال ان قالوا استئناف وعامل في اذا وحيت مسلمون من الحالين
الاولى مؤمنين الشاهدين وآية منك لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين عليكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين
من دون الله ما ليس لي بحق قيل وهو تعسف لان المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته نفسك الغيوب
وربكم على ان الواو للاستئناف او الحال اي وقد كنت فيهم لان عامل لما متأخر وفاء التعقيب دخلها عليهم لان الواو لا يحتمل الحال
للتعميم فيكل شيء شهيد عبادك لابتداء الشرط مع الواو الحكيم صدقهم لاختلاف الجملتين بلا عطف ابدا عنه العظيم وما فيهن
قدير **التفسير** عن انس انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسألة فقام على المنبر فقال فاسئلوني
فوالله لا تسئلوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله

من ابي فقال ابوك حذافة ابن قيس وقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم
لوجبت ولو وجبت لتركتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم
واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر
فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله هذه الآية فهي عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كأنه قال ما آتاكم
الرسول فخذوه ولا تخوضوا في غيره فلعله يجيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله
حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الآية وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فمنعوا من ذلك لان
طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم انكرت استحق العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم
قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن اشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم والنحويون في
منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل اصلها شيئا على وزن حمراء فهو اسم جمع لكن استثقلوا الهمزتين في آخره فقلبوا الهمزة التي هي لام
الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء وبناء على ان شيئا مخفف شيء كما يقال هين في هين وقد يجمع
فعيل على افعلاء كنبي وانبياء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وزنها
افعال ومنع الصرف تشبيها له بحمراء ولا يلزم منه منع صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل اطراده ولكنه يكون
مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الاشياء ربما ادى الى ظهور احوال مكتومة ظهورها وربما ترتب عليها تكاليف شاقة
صعبة فالذي سأل عن ابيه لم يأمن ان يلحق بغير ابيه فيفتضح والسائل عن الحج كاد ان يوجبه وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم
فما احل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله تعالى فاقبلوه وقال
ابو ثعلبة ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن اشياء من
غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم لما رتب المنارة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور او التكليف والحاصل انهم ان سألوا عنها ابديت
لهم وان ابديت لهم ساءتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سألوا عنها ساءتهم وقيل السؤال قسمان **احدهما** السؤال عن شيء لم يجر ذكره
في الكتاب والسنة فنهى عنه بقوله لا تسألوا **والثاني** السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال
غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسألوا رفعا للحرج وتمييزا لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى
الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسؤول عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسألوا عن تلك السؤالات
هل هي جائزة ام لا تبد لكم والمراد ان يطلب الرخصة في السؤال اولا ثم يسأل عفا الله عنها اي عما سلف من مسألتكم واعنائكم
للرسول فلا تعودوا اليها والمراد بالعفو انه ما اظهر تلك المسائل لما يشق عليهم من التكاليف وقيل الجملة صفة اخرى للاشياء
كما ان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسألوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث
عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي خففت عنكم باسقاطها قد سألها يعني المسألة التي دل عليها لا تسألوا قوم من قبلكم سأل الناقة
قوم صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم موسى فصارت بالا عليهم وسأل المائدة قوم عيسى فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سألها الى الاشياء
فكان امة محمد صلى الله عليه وسلم سألوا عن احوال الاشياء والمتقدمين سألوا نفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت
الاسولة اختلفت العبارة الا ان كل واحد من القسمين شره كان في وصف هو الخوض في الفضول والفضول فيما لا يعني فتوجه
الذم عليهما جميعا ولما منعهم عن امور تكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم
بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر ناقته اذا شق اذنها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل
الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن وكان آخرها ذكرا شقوا اذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لآلهتهم لا تنحر ولا
يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها المعيي لم يركبها تحرجا واما السائبة فانها فاعلة من ساب
اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب الى حيث شاءت قال ابو عبيدة
كان الرجل اذا مرض وقدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرها فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام البحيرة

كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها
الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها في انها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام
اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل هي
العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا
وصلت اخاها واما الحامي فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال السدي هو الفحل الذي يضرب في الابل عشر سنين فيخلى
وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى ان يموت فان قيل
اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب ان الانسان مخلوق لعبادة الله تعالى فاذا ازيل
الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله اما البهائم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضي تفويت كمالها عليها وايضا
الانسان اذا اعتق قدر على تحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جلب الملايم ودفع المنافي في الاغلب فاعتاقها
يفضي الى ضياعها فظهر الفرق ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك
مكة وكان اول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال صلى الله عليه
وسلم في حقه لقد رايته في النار يؤذي اهل النار ريح قصبه والقصب الامعاء وهذا حال رؤسائهم واكثرهم لا يعقلون
يعني العوام والاتباع ثم رد الى اهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الآية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة ونفي العقل عنهم
هناك والعلم ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز الا بالعاقل العالم المهتدي لابتناء قوله
على الحجة والدليل لا على التقليد والاضاليل قال اهل البرهان العلم ابلغ درجة من العقل ولهذا يوصف الله تعالى بالعلم
ولا يوصف بالعقل وكان دعواهم ههنا ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب ان ينفي عنهم العلم الذي هو ابلغ ثم ذكر ان هؤلاء
الجهال مع علمهم بما تقدم من انواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل اصروا على جهالتهم
وضلالتهم فلا جرم قال يا ايها المؤمنون ان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه
تقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا يعدونها الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وحضرك
عمرو فخذه وليس المراد في عليك انه حرف جر مع مجروره متعلق بمحذوف بل الجار والمجرور معا منقولان الى معنى الفعل نقل الاعلام
ولهذا سمي اسم فعل فان قيل ظاهر الآية يوهم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الآية لا تدل
الا على ان المطيع لا يؤاخذ بذنب العاصي ولهذا خطب ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها
في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راوا المنكر فلم ينكروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله
بن المبارك ان هذه اكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم احفظوها والزموا اصلاحها بان
يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والسيآت لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامرتم بالمعروف ونهيتم
عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية
مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه وعلى عرضه وعلى ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر
من اثنين فقد فر ومن فر من ثلثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ ويؤكده ما روي
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقر مجوس هجر بالجزية قال منافقوا العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه
ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل هجر ما رد على مشركي العرب
فانزل الله تعالى الآية اي لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل
العناد من الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الآية
قرئت عنده فقال ان هذا في آخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سالت عنها
خبيرا سالت رسول الله عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر
خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ
النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس ان تميما الداري واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما

٢٢٧

بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الى الشام مرض بديل فكتب فيه كتابا فيه نسخة جميع ما معه
واخفاه بين الاقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة
فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء
فجحدا فرفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ومعنى شهادة بينكم اي بين المتنازع والمتشاجر وانما اضيفت الشهادة الى التنازع
لان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل على ان الوصية
مما لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات الموت فكان وقتهما واحد وهما مشتملان زمانا وارتفع اثنان على انه قائم
مقام الخبرية اي شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم ان تشهد اثنان وفي قوله
منكم ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء اي منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنى ان وقع
الموت في السفر ولم يكن معكم من اقاربكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم بحال الميت وارأف
به وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن جريج ان
منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم من اي كافر كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشافعي مرض رجل من المسلمين
في الغربة فلم يجد احدا من المسلمين يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري
وكان واليا عليها فاخبراه بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم فحلفهما في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا واجاز شهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان
الخطاب في منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد بهما
مشروطا بالسفر لجواز ذلك في الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه
البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان
الضرورات تبيح المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة والمسلم اذا قرب اجله ولم يجد مسلما ولا يقبل شهادة الكفار
ضاع اكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وعليه ودايع وله مصالح ولهذه الضرورة جوزنا شهادة النساء
فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين ان يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر السفر
ليس لاجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف منسوخ
بالريبة وقد روي عن علي انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما وبان سبب النزول لا يلزم ان ينطبق على الحكم حذو
القذة بالقذة وبان قصة ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذرهم في السفر
غالبا ومما يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الآية ولم يجز ان يكون ناسخا لها عند من يرى ان المائدة من آخر القرآن نزولا
قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولا
كذب اعظم من الفرية على الله وعلى رسله وانما يقبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام ومن
تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما استيناف كانه قيل فكيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن
عباس من بعد الصلوة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلوة العصر لان هذا الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعدها
ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع الاديان يعظمون
هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال
الحسن المراد بعد الظهر او بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يعتقدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وقال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف
بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقد
يغلظ بالتكرير والتعديد كما في القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات وقال ابو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان
او مكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للآية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى وقوله ان ارتبتم
والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من نقسم له قريبا منا وادوا
ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم وكفى له شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة

بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله التي امر بحفظها وتعظيمها وادائها انا اذا لمن الآثمين اي اذا كتمناها كنا من الآثمين ونقل عن الشعبي انه
وقف على قوله عز وجل شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد
على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول الله احد كان كذا والمعنى بالله فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه
غيره ومن يسمى العثار لان العاثر انما يعثر بشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كناية عن
الخيانة والحنث في الحلف فآخران خبر مبتدأ محذوف اي فالشاهدان آخران او فيشهد آخران او فشاهدان آخران يقومان مقامهما من
الذين استحق عليهم قال في الكشاف اي الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي التفسير الكبير اي لما
وصف سوالي الميت بذلك لانه اخذ مالهم وكل من اخذ ماله وغرم فقد حاول ذلك الغير ان يكون تعلقه بذلك المال مستعليا
عليهم تعلق ملكه به فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال وارتفع الاوليان على انهما خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل ومن الآخران فقيل هما الاوليان ويجوز ان يكون بدلا من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفع
باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال قاله في الكشاف ومعنى
الاوليان الاقربان الى الميت والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما او الاحقان باليمين اما على تقدير الرد و
ذلك عند الشافعي وكل من يرى رد اليمين على المدعي واما الانقلاب القضية عند من لا يرى ذلك كابي حنيفة واصحابه
فان من اقر لآخر بدين ثم ادعى انه قضاه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين اولا لانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه
وفي هذه القصة ادعى الوصيان ان الميت باع منهما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حقا لهم ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى
انه نعت للذين استحق عليهم او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة او التقدم في الذكر في قوله يا ايها
الذين آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم وكذا قبل قوله او آخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاوليان فقد قال
في الكشاف معناه من الورثة الذين استحق عليهما الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما
كذب الكاذبين وفي التفسير الكبير الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما اولى من غيرهما بسبب ان الميت عينهما للوصية ولما
خانا في مال الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان اي خان في مالهم الاوليان روي انه لما نزلت
الآية الاولى صلى صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو لم يوجد لنا خيانة
في هذا المال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعاه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة اظهروه
فبلغ ذلك ورثته فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه منه فقالوا الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقلتم لا فقالا لم يكن عندنا بينة
فكرهنا ان نقر وكتمنا فرفعوا القصة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب
بن وداعة فحلفا بالله تعالى بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال وفي نسبتهم الى الكذب والخيانة
فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق
رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى ان اسلم تميم الداري فقال
حلفت كاذبا وقد بعت الاناء انا وصاحبي بالف وقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه خمسمائة اخرى و
دفع الالف الى اولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي بيناه اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
اي كما هي في الواقع ويخافوا ان ترد في مثل هذه القضية ايمان على الورثة بعد ايمانهم وهذا تقييد من يرى رد اليمين واما من لا يرى
ذلك فالمعنى منه ان تكرر ايمان شهود آخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم يصير
باعثا للشهود على اداء حق الشهادة للداعي او الصارف واتقوا الله في الايمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم
الفاسقين الخارجين عن مناهج شرائعه واحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال المفسرون هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا
ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الآية اعضل ما في هذه السورة من الاحكام ولهذا ذهب
اكثر الفقهاء الى ان حكم هذه الآية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيامة وذكر بعض ما سيجري هناك من الخطاب
والعتاب جريا على عادته في هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل
قال الزجاج تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه ظرف لانهم غير مامورين بالتقوى في ذلك اليوم ولكن على انه بدل اشتمال
من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ او منصوبا باضمار اذكر او ظرفا لما بعده وهو

قالوا وعلى هذين الوجهين يكون الآية منقطعة عما قبلها وماذا منصوب باجبتم ولكن انتصاب المصدر على معنى اي اجابة
اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بما اجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد ثم ظاهر قوله
لا علم لنا يدل على ان الانبياء لا يشهدون لاممهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد مشكل فالجمع من المفسرين
ان للقيامة زلازل واهوالا تزيل العقول فالانبياء عندها ينسون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت اليهم
عقولهم شهدوا للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم لان مواقف القيامة مختلفة و
لان عدم الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة اولا وقال آخرون المراد منه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك هو
المقصود من السؤال كما يقول الواحد لغيره ما تقول في فلان فيقول انت اعلم به مني وكانك قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة
لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار تشكي الانبياء ممن كذبهم وعاداهم وقال ابن عباس نفوا العلم عن انفسهم عند علام الغيوب
لنعلم ان علمهم هنالك كلا علم وقيل المراد نفي العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما الامور بخواتيمها وقال في التفسير
الكبير ان الذي عرفوه منهم في الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر فكان ظنا غالبا والاحكام في الآخرة
مبنية على حقايق الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في القيمة مع ان السكوت وتفويض الامر الى الاعلم
الاعدل اقرب الى الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انت الموصوف بالجلال
والكبرياء ثم نصب علام على الاختصاص او على النداء ثم عدد انواع نعمه على عيسى واحدة فواحدة تنبيها على انه عبد وليس
باله وتوبيخا للمتمردين من الامم واولى الامم بذلك النصارى الطاعنون في ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع
اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذاك اذ قال الله او نصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم الجمع وانما ذكر القول بلفظ الماضي
دلالة على قرب القيامة حتى كانها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب اتيانهم او ورد على الحكاية كقول الرجل
لصاحبه كانك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا ومحل يا عيسى مضموم على انه مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف بابن مضاف
الى علم وهو المختار للتخفيف وكثرة الاستعمال نعمتي عليك اراد الجمع ووحدت لانه مضاف يصلح للجنس وانما قال وعلى والدتك
لان النعمة على الولد نعمة على ابويه ولان مكارم الاخلاق دليل على طيب الاعراق اذ ايدتك بدل من نعمتي اي قويتك
بروح القدس اي بجبريل لما القدس هو الله كانه اضافه الى نفسه تعظيما له او بالروح الطاهرة المقدسة وقد تقدم في البقرة
تكلم الناس حكاية حال ماضية في المهد وكهلا في حالتين الحالتين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخط او جنس الكتب و
الحكمة النظرية والعملية والتوراة والانجيل يعني الاحاطة بالاسرار الالهية بعد العلوم المتقدمة او لم فتنفخ الضمير للكاف لا
للهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فيكون والكاف مؤنث بحسب المعنى لدلالتها
على الهيئة التي هي كهيئة الطير ومذكر في الظاهر فلهذا عاد الضمير اليه مذكرا تارة كما في آل عمران ومؤنثا اخرى كما
في هذه السورة وكرر باذني اي بتسهيلي ليعلم ان الكل باقدار الله وتمكينه واظهار الخوارق على يديه والا فهو عبد كسائر عبيده
واذ كففت يروى انه لما اظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى برفعه الى السماء ان هذا الا
سحر مبين من قرأ بغير الف اشار الى ما جاء به او اراد انه ذو سحر او طلق عليه الحدث مبالغة ومن قرأ بالالف اشار الى الرجل و
اللام في البينات يحتمل ان يكون للجنس ويحتمل ان يراد به المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في حقه ان هذا الا سحر
مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن ان يراد بذلك تعداد النعم ايضا لان كل ذي نعمة محسود فطعن الكفار
فيه يدل على علو شانه وسمو مكانه شعر واذا اتتك مذمتي من ناقص . فهي الشهادة لي باني كامل . ولا بهاجة
بهذه النعم الجسام والمنن العظام كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب
ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان كانوا انبياء فظاهر والا فالوحي بمعنى الالهام كقوله واوحى ربك
الى النحل واوحينا الى ام موسى وهذا ايضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم
من اعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل يستطيع ربك من قرأ
بالتاء وبالنصب فظاهر والمراد وهل تستطيع سؤال ربك اي هل تسأله ذلك من صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرأ
بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالى حكى عنهم انهم قالوا آمنا فكيف يتصور مع الايمان شك في اقتدار الله تعالى واجيب
بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين

ومنها انهم طلبوا من بعد الايقان والطمانينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنهم انهم ارادوا اهل هو جائز في الحكمة ام لا وهذا على اصول
المعتزلة من وجوب رعاية الاصلح او ارادوا اهل قضى بذلك وعلم وقوعه ام لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها
قول السدي ان السين زائدة وكذا التاء اي هل نطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب جبرئيل لانه كان يربيه ومنها ان المراد بالاستفهام
التقرير كمن ياخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا يريد ان ذلك امر جلي لا يجوز للعاقل ان يشك فيه وقال الزجاج
المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكانها تميد بما عليها وذلك انها لا تسمى مائدة الا اذا كان عليها طعام فاذا لم يكن عليها طعام فهي
خوان وقال ابن الانباري هي من ماده اذا اعطاه كانها تعطي من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هي بمعنى مفعوله مثل عيشة راضية
اي مرضية كان صاحبها اعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجز فانه كالتحكم وايضا اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات
كثيرة تعنت اذا امرهم بالتقوى ليتوسلوا بها الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاجاب
الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكنا نريد ان ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما آخر فقد يروى انهم
سالوها في مفازة على غير ماء ولا طعام وان نزيد يقينا وعرفانا وطمانينة فان التي شاهدناها منك معجزات ارضية وهذه سماوية
فيكون اعجب واغرب وان نعلم صدقك في دعوى النبوة او فيما وعدتنا وذلك انه كان قال لهم صوموا ثلثين يوما واذا اتم صومكم
فكل ما سالتموه الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجز كنا عليها من الشاهدين الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين
لله تعالى بالقدرة ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة او استيناف وقرئ بالجزم جوابا للامر كانت تنزل يوم الاحد فلذلك
اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود اليك في وقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لاولنا واخرنا بدل من لنا
بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا او ياكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم المقدمين منا والاتباع وقرئ
لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق واتيل علينا انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون
لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله وآية منك اشارة الى كون
المائدة دليلا لاصحاب النظر والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس واخروا
الاغراض الدينية وان عيسى بدا بالاشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى
الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراق
بعميم فضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد التكثير وبالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه
احدا قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير وقيل جنسا من العذاب لا يكون مؤخرا الى الاخرة وعذابا نصب على المصدر اي تعذيبا والضمير
في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء في الموضعين فقيل اعذبه بعذاب لا اعذب به
احدا واراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلف في ان عيسى سال المائدة لنفسه او سالها لقومه وان كان اضافها الى نفسه في الظاهر
وكلاهما محتمل اما نزولها فقد قال الحسن ومجاهد ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها
وكذا هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا لاولهم وآخرهم فلو نزلت لبقي العيد الى يوم القيمة وقال الجمهور المفسرين انها
نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله اني منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم وروي ان
عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم ليقم احسنكم عملا ويكشف عنها ويذكر اسم الله وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت
اولى بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل
دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى
الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة
قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة الغالبة كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله
لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يسرفوا في الاكل ولا تدخروا فاسرفوا فمسخوا واذ
قال الله معطوف على مثله والصحيح ان هذا القول ايضا يوم القيامة لقوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع وقيل هذا عند رفع عيسى

تطرا الى ان اذ للماضي وقد مر توجيه ذلك انت قلت استفهام بطريق الانكار والغرض منه توبيخ النصارى قال بعض المتكلمين
ان احدا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى وانه مع القول بنفي الهية الله تعالى واجيب بان
لا اله هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله تعالى
سبحانه في ذلك مدخل فبهذا التاويل صح ما حكي عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اي بعد الله فيكون الرد على
التثليث او المراد انه دل البرهان على تعدد الاله فمن قال بالهية عيسى او امه لزمه القول بنفي المعبود الحق تعالى عن ذلك ولهذا قال
عيسى سبحانك اي تنزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ثم لم يجب باني قلت او ما قلت لان ذلك يجري مجرى الطهارة والتبرية
بل اجاب بقوله ما يكون اي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الامر الى علمه المحيط بالكل
فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وذكر النفس ثانيا
لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي او تعلم ما عندي ولا اعلم ما تقول وتفصيل عبارات المفسرين ثم اكد ما ذكر
بقوله انك انت علام الغيوب ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه لكليهما اما فعل القول
فيحكى بعده الكلام بلا ان فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتني بقوله فيكون
تفسيرا لصريح القول المقدر ومصرح القول المقدر كالفعل المأول بالقول في عدم الظهور حتى يجوز توسيط ان واما فعل الامر
فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها
على الطلبية فان كان بدلا من ما امرتني والمبدل في حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم لان العبادة لا تقال وان جعلته
بدلا من الهاء في به لم يصح ايضا لانه يؤول المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما امرتني بان اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا عائد
فاذن الوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي
فيبقى الموصول بلا عائد فاذن الوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتني به حتى وربكم الا انه وضع القول
موضع الامر رعاية للادب كيلا يجعل نفسه وربه آمرين ودل على الاصل بذكر ان المفسرة قال في الكشاف ويجوز ان يكون ان مصدرية
عطف بيان للهاء لا بدلا وحينئذ يبقى العائد بقوله وكنت عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من التدين بما يوجب التكفير
ما دمت فيهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كنت انت الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم وانت على كل شيء شهيد
من الشهادة او من الشهود الحضور وان تغفر لهم فيه سؤال وهو انه كيف جاز لعيسى هذا القول والله تعالى لا يغفر الشرك والجواب
ان قوله لعيسى انت قلت للناس يعني ان قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا
فقط ولو سلم انه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب وليس في اسقاطه
على الله تعالى مضرة بل كلما كان الجرم اعظم كان العفو احسن الا ان الدليل السمعي في شرعنا دل على انه لا يكون فلعل هذا الدليل لم يكن
موجودا في شرع عيسى او لعل عيسى جوز ان يكون بعضهم قد تاب عنه اما من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء
فلا اشكال اصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذلك وان اخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور
الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لاحد عليك وفي مصحف عبد الله
فانك انت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام مقام
هذا لا ذاك وعن بعضهم ان ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة اما العزة والحكمة فلا يوجبان الا التعالي عن جميع جهات
الاستحقاق فحصول المغفرة بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون ادل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلما
في الاية نوع شفاعة من عيسى لفساق امته فلان يثبت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لفساق امته اولى هذا يوم ينفع من قرا بالرفع فظاهر
وانه في تقدير الاضافة اي هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرا بالنصب فاما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدا والظرف
خبر اي هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع في هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت قال الفراء يوم اضيف الى ما ليس باسم فبني
على الفتح كما في يومئذ وخطاه البصريون وقالوا انما يبنى الظرف اذا اضيف الى المبني كالماضي في قول النابغة على حين عاتبت المشيب
على الصبى او مثلا في قوله تعالى يوم لا تملك واجمعوا على ان هذا اليوم يوم القيامة والمراد ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيامة
كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا
في الدنيا وفي الاخرة فنفعه صدقه وفي هذا الكلام تصديق من الله تعالى لعيسى في قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به رضي الله عنهم

ورضوا عنه مما سئلا زمانا لان رضي الله عنه عن العبد في رعاية وظايف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا اضاف الانسان
نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار فيكون ارادته مغموسة في ارادة ربه ذلك الفوز العظيم اشارة الي جميع المذكور اشارة
الي الجزء الاشرف الاقرب وهو الرضوان وما فيهن ليحتمل ومن فيهن ليكون ادل علي العموم ولينبه علي ان عقول ذوي العقول وعلوم
ارباب العلوم بالنسبة الي علمه كلا علم واناهم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله اوفوا بالعقود وهو
الشريعة والبداية ختم السورة بهذه الاية الدالة علي فناء الكل في جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق
ايضا في السورة بيان الشرايع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك جميع الممكنات
والكاينات موجد لجميع الارواح والاجساد ليصح التكليف علي اي وجه اراد وليكون ردا علي اليهود بحكم المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع
شريعة محمد وليكون ردا علي النصارى في ان عيسى ومريم داخلان في المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا معني للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن
فناء وجود الجاري لمن سوء عاقبة مجيب فاجاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل
في هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه والله تعالى اعلم باسرار كتابه **التأويل** اخبر عن كثرة السوال انها تورث الملال و
ذلك ان علوم القال غير علوم الحال والصنف الاول يحصل فيه السوال والثاني يذم فيه اذ يحصل بالعيان لا بالبرهان كما كان حال الانبيا
عليهم السلام مع الله وكذلك نري ابرهيم لقد راي من آيات ربه الكبرى وقال صلى الله عليه وسلم ارنا الاشياء كما هي وقال
الخضر لموسى عليهما السلام فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء وقال موسى في الثالثة ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فان تعلم
العلم اللدني بالحال في الصحبة والمتابعة والتسليم وفي السوال الانقطاع عن الصحبة وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن اي ان
كان لا بد لكم من السوال عن حقايق فاسلوا عنها بعد نزول القرآن عن القرآن ليخبركم عن حقايقها علي قدر عقولكم والله غفور حليم
لمن تاب من طلب علوم الحقايق بالقال حليم لمن طلب بالحال فيصدر عنه في اثناء الطلب سوال قد سالها قوم من قبلكم كفلاسفة
الفلاسفة اعرضوا عن متابعة الانبياء واقبلوا علي مجرد القيل والقال فوقعوا في اودية الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة
قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية والقلندرية يشقون آذانهم وذكرهم يجعلون فيها حلق الحديد ويحلقون
لحيتهم ولا سايبة هم الذين يضربون في الارض خليعي العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة
هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاقارب لاجل العصبية والعناد ولا حام
وهو المعروف بانه يظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الي ما انزل الله من الاحكام والي
الرسول لنتابعه قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اي مشايخنا واهل صحبتنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الشريعة والطريقة
ولا يهتدون الي الحقيقة عليكم انفسكم اي اشتغلوا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغريق الذي لم يتعلم السباحة اذا تشبث
به مثله هلكا معا الي الله مرجعكم جميعا الطالبين بجذبات العناية والمضلين بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر احدكم الموت
اي النفس توت عن صفاتها الذميمة بالرياضة والمجاهدة فوصي بصفاتها لوث شهادهم القلب وادوصافه والوصيان اثنان ذوا عدل
منكم هما العقل والسر من الروحانيات او آخران من غير الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان الحق
وان كان علي ذي قرابة من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم في
السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اي نصيب النفس جذبة الحق فموت تحبسونهما ان كنتم في بعد من الروحانيات من بعد الصلوة
من بعد حضور مجامع الله وتوجههما الي الحق ومراقبة تامة فيشدد علي الشاهدين بالقسم والتخويف بالله ان يرديا شهادة الحق ويدعيان
تركة النفس وهي صفاتها الي ورثتها وهم القلب وصفاته ولا يصرفانها في شيء من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس
كان صفة ذميمة فاذا استعمله القلب صار وصفا محمودا كالحرص اذا استعمله النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا
مذموما واذا استعمله القلب في طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فان عثر علي انهما استحقا اثما بان مالا الي حظوظ الحظوظ
السفلية فآخران من صفات القلب هما التذكر والتفكر الصايب ينظران في عواقب الامور ويشهدان علي ان الآخرة
خير من الدنيا والباقي خير من الفاني لشهادتنا احق من شهادتهما لان الوهم والخيال مالا الي الحظوظ بكتمان الحقوق بترك
الحظوظ ان ياتوا بالشهادة علي وجهها اي العقل والسر يابيان في بدو الامر باستعمال صفات النفس للسعادات الاخروية
او يخافان عواقب الامور بان يشددوا علي انفسهم بالاستعمال وتضييع الزمان وافساد الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر
يرد الامر الي وجوب رعاية الحقوق فيحتاجان الي كثرة الرياضة ما دام الجسد كالوا هم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا

اي ببواطن الامور وحقايقها الي الحواريين اي في عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب التعارف في عالم الاشباح آمنا ان
بعض الحواريين المقلدين في الايمان قالوا يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك فما راعوا الادب مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله
او يا روح الله ولا مع ربهم حيث تشككوا في كمال قدرته ثم اظهروا دناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى من واهب المواهب
مائدة جسمانية لا فايدة روحانية فقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاسرار والحقايق من سماء العناية علينا الطعم الهداية
يكون لنا اي لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لاولنا لاول انفاسنا وآخرها فان اهل الحق يراقبون الانفاس لتصعد مع الله
وتهوي مع الله وانت خير الرازقين لان الذي ترزقه رزق منك ورزق غيرك رزق من غيره فمن يكفر بعد منكم بان لا يقوم
بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فاني اردده من المراتب الروحانية الي المهالك الحيوانية وهو المسخ الحقيقي ويوم القيامة
ايضا يحشرون علي صفاتهم التي ماتوا عليها كما قال صلى الله عليه وسلم يموت الناس علي ما عاش فيه ويحشر علي ما مات عليه
انت قلت للناس الخطاب مع الامة الان من سنته سبحانه ان لا يكلم الكفار فكلم عيسى بدلا منهم او المراد بالقول امر التكوين
فالمعنى انت خلقت فيهم اتخاذك وامك الهين ام انا خلقت ذلك فيهم خذلانا لهم انك انت علام الغيوب ما غاب عن
الخلق ويحتمل ان سيعلمه الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم ان يعلموه الا الله تعالى الله حسبي وكفى

سورة الانعام مكية حروفها اثني عشر الفا واربعماية واثنان وعشرون كلمها ثلثة الاف واثنان وخمسون اياتها ماية وخمسون وستون

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداى بخشاينده مهربان

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات و
شكر وستايش مر خداىرا كه آفريد آسمانها وزمين وبديد آورد تاريكيها

النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم
وروشنى را از شب وروز پس آنانكه كافر شدند به پروردگارشان برابر ميكنند بتان را اوست آنكه بيافريد شما را

من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو
از گل پس حكم كرد وقت مرگ را ووقتى نام برده از موت نزد علم اوست پس شما شك ميكنيد در يگانگى او واوست

الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما
معبود بسزا در آسمانها ودر زمين ميداند نهان شمارا وآشكار شمارا وميداند آنچه

تكسبون وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها
كسب ميكنيد از ايمان وطاعت ومعصيت ونيامد بايشان يعنى كفار هيچ دليلى از دلايل قدرت خداوندشان مگر كه بودند از آن روى

معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما
گردانندگان پس بحقيقت باور نداشتند قرآن او شرع را چون آمد بايشان پس زود بود كه آيد بديشان خبرها آنچه

كانوا به يستهزؤن الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم
بودند كه بوى ميخنديدند آيا نديدند كه بسيار هلاك كرديم پيش از ايشان اهل زمانى را جون قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم

في الارض ما لم نمكن وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار
در زمين ومكنت وآنچه جايي نداريم شمارا وبفرستاديم ابر را بر ايشان حال آنكه ريزان بود وپديد كرديم جويهاي آب را
تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين
كه همي رفت از زير قصور ايشان پس هلاك كردانيم ايشانرا بسبب كناهان ايشان وپديد آورديم از پس ايشان اهل زماني ديكر را
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا
واكر فرو فرستاديمي بر تو عليك مصطفي نبشته را در صحيفه وكاغذي چنانكه الواح موسي پس بساويدندي آنرا بدستهاي ايشان هر آينه كويند آنها كه كافر شدند نيست
ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا
اينكه جادوئي مكر جادوئي هويدا وكفتند چرا نفرستادند بر محمد فرشته كه كواهي دهد بر معجزات او واكر فرو فرستاديمي ملكي را
لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
هر آينه كزارده شدي كار هلاك ايشان پس مهلت داده نشدي واكر فرو فرستاديمي ملكي را هر آينه كردانيديم آنفرستاده را بصورت مردي وهر آينه مشتبه كردانيم
عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
بر ايشان آنچه مشتبه كردانيد بر خود از حقيقت كار وبحقيقت فسوس داشته شد به پيغمبران پيش از تو آنچنانكه پس فرود آمد
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل سيروا
بآنها كه فسوس كردند از ايشان انبيا را وبال آنچه بدان افسوس مي نمودند بكو سير برويد
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
در زمين پس بنكريد كه چكونه بود سرانجام دروغ داركنندكان

القراءة وانشانا بغير همز حيث كان ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرا يزيد والشموني وحمزة في الوقف بغير همز الباقون بغير همز مطلقا لحاق بالامالة حيث كان لحمزة **الوقوف** والنور ط لان ثم لترتيب الاخبار يعدلون ○ اجلا ط تمترون ○ وفي الارض ط وقيل لا وقف ليصير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وفيه تعديل المعنى وهو المستحق للعبودية في اهل السموات واهل الارض تكسبون ○ معرضين ○ لما جاءهم ط للابتداء بالتهديد به يستهزءون ○ مدرارا ص لعطف المتفقين آخرين ○ مبين ○ عليه ملك ط لا ينظرون ○ يلبسون ○ يستهزءون ○ المكذبين ○ **التفسير** عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزلت من الملائكة سبعون الف ملك فملاؤا ما بين الخافقين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى آيات معدودات وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد بعث بها الي جبرئيل مع خمسين الف ملك او خمسين الف ملك تحفها حتى اقرؤها في صدري كما يقر الماء في الحوض ولقد اعزني الله تعالى واياكم بها عزا لا يذلنا بعدها ابدا فيها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ولهذا جملة ذهب علماء الكلام الى ان علم الاصول مع جلالة قدره يجب تعلمه على الفور لا على التراخي بخلاف الاحكام فانها تنزل كفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذكور في اوائل سور خمس واختص كل منها بصفة [illegible] ففاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور تفاصيل لهذه الجملة اثنى الله سبحانه على نفسه بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض والثناء على النفس قبيح في الشاهد ففيه دليل على انه لا يمكن قياس الحق على الخلق فكما انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد عليه والتحقيق فيه ان استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد في الممكن صفة كمال الا وهي مشوبة بالنقص والاخلال

ادناه الافول في افق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا ينبغي ان يمدح الا هو ولا يثنى الا عليه ولا ان يشكر ويحمد الا له ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف شعر

اساميا لم تزده معرفة   وانما لذة ذكرناها

وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على حسب علمه الازلي قال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السموات وجمع السموات حقيقة وكذا افراد الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجيء تقريره للتشبيه في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين فان تخصيص حجم الفلك بمقدار معين وتخصيص كل اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد معين من السرعة والبطؤ وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وايضا ان لحركة كل فلك اولا لان حقيقة الحركة انتقال من حالة الى حالة فيقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل حركة اولا فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فحصول هذا العالم في الحيز الذي حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج الى مرجح وهو مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تأثير الاثيريات وهي الاباء في العنصريات وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبته اعلى واجل من رتب الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشاء ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم يقل وخلق لانه اراد التضمين معنى انشاء شيء من شيء كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الآخر وقيل لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات او لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحد وهو منها والظلمة والنور ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة ولقرينة ذكر السموات والارض عن ابن عباس ان الظلمة ظلمة الشرك والنفاق والنور نور الاسلام واليقين وعلى الاول فانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة او لانه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون اي يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم انتم تمترون تراخي الرتبة واستبعاد مضمون الجملتين احديهما عن الاخرى ثم ذكر دليلا آخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من آدم لانه مخلوق من الطين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم توليد النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل والقلب والدماغ والكبد والعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت الحيوان فتكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوة فيها وذلك دليل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يرد بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التأخير ومنه الآجل نقيض العاجل ثم ان صريح الآية يدل

على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول آجال الماضين لانهم ماتوا فصارت آجالهم معلومة والثاني آجال الباقين لانها
غير معلومة بعد وانما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا آخر له ولا يعلم احد كيفية الحال
في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول
النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني ما بقي من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل
الطبيعي الذي يمكن بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الآفات الخارجية والثاني الاجل الاخترامي الذي يحصل
بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى مسمى اي مذكور باسمه في اللوح
المحفوظ ومعنى عنده اي في حكمه وعلمه كما يقول هذه المسئلة عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا وارتفع الاجل بالابتداء وجاز
ذلك مع تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة وانما لم يقل وعنده اجل مسمى تعظيما لشان هذا الاجل وكانه قيل واي اجل مسمى
عنده والمرية والامتراء والشك ومعنى ثم تبعيد الامتراء عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة لليقين في امر المبدا والمعاد ثم قرر انه
سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز اجزاء بدن زيد
عن اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله في السموات فزعمت المجسمة بهذا وبنحو قوله أأمنتم من في السماء انه سبحانه مستقر
في السماء قالوا ويؤكده وقف بعض القراء على السموات والابتداء بقوله وفي الارض يعلم اي يعلم سركم الموجودة في الارض
ولو سلم ان لا وقف فالاجماع حاصل على انه ليس موجودا في الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر
من غير دليل ونوقض بانه تعالى قال في مواضع لله ما في السموات فلو كان هو في السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا
النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شيء قدير وبانه اما ان يراد كونه في سماء واحد وهو ترك الظاهر او في جميع
السموات وهو يقتضي كونه اجزاء او حصول المتحيز الواحد في مكانين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استصحاب المكان الافتقار
اليه ولا التجسيم والتجزئة وهو دقيق يفهمه من وفق له وبانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا
للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا ويرد عليه انه لم لا يجوز ان يكون في السموات وفوقها
الى ما لا يتناهى لا سيما عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقدر على عالم آخر فوقها لزم
تعجيزه وان قدر عليه فعل يحصل تحت ذلك العالم والقوم ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال
غير المجسمة المراد وهو الله في تدبير السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون في السموات
خبرا بعد خبر او يوقف على اسم الله ثم يبتدا بما بعد ذلك ويكون المعنى انه يعلم في السموات والارض سرائر الملائكة والانس والجن
او المراد وهو المعبود فيهما او المعروف بالالهية او المتوحد بها او هو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك له في هذا الاسم والسر من
صفات القلوب وهي الدواعي والصوارف والجهر من اعمال الجوارح ولان الاول مقدم على الثاني طبعا فلا جرم قدم عليه
وضعا والجملة اعني قوله يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او هي خبر ثالث او كلام مبتدا ويعلم ما تكسبون الكسب اخص من الاعمال
السرية والجهرية لانه الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وافراد الاخص بالذكر
بعد الاعم للتقرير والتاكيد او لكونه اهم حسن لا يلزم منه عطف الشيء على نفسه والمراد انه عالم بما يستحقه الانسان على
افعاله من ثواب او عقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع في النبوات فرتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلث مراتب
الاولى كونهم معرضين عن التامل في الدلائل وذلك قوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية
للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط
غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه اشد مما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذب فقد اعرض وزاد قال
علماء المعاني هنا حذف كانه قيل انهم كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية وهو الحق قال ابن عباس انشقاق القمر
بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم
معه الاستهزاء كان غاية في الغواية وذلك قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس
المراد نفس الانباء بل العذاب الذي انبا الله تعالى به كقوله ولتعلمن نباه بعد حين والحكيم اذا توعد وربما قال ستعرف نبا هذا
اذا نزلت [illegible] وذلك ان الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الآية سيعلمون باي

شيء استهزؤا وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند نزول العقاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره او في الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض
والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة والنصيحة بتذكير احوال الامم الماضية والقرون الخالية والقرن
القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان في الاغلب ستون سنة وقيل سبعون وقيل
ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى القرن ولعل المراد
ان صدق الكفار محمدا في هذه الاخبار لانهم بصدد التكذيب فيكذبونه فيها ايضا انما المراد ان ما يختص بالمتقدمين منهم مشهور بين
الناس فيبعد ان يقال انهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلاثة اوصاف
الاول تمكينهم في الارض جعل له مكانا ومكنه فيها اثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الآية والمعنى لم يعط اهل مكة نحو
ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال واسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني الغيث او
السحاب والخضراء لان المطر ينزل من ذلك والصوب والمدرار الكثير الدر ودر اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ومدرارا
نعت المطر ويقال ايضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث فان قيل الهلاك غير مختص
بهم وانما يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا فلا بد لدفع هذا الاشكال فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي
والآثام لا يكون الا بالعقاب والايلام ثم نبه بقوله وانشانا من بعدهم قرنا آخرين على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته
واستعلائه كقوله ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده بيده التخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد
ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وجه لا يعول
معه الا على قانون الجهل والعدل فمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الآية وفيه ان اللذات ذاهبة وعذاب الكفر باق
وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء وجعلها
من قبيل السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة
فراوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب
المعجزات لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم يكن
عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز ان يكون نزول ذلك من قبل بعض الشياطين او من بعض الملائكة الذين لم يثبت عصمتهم
فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الآية ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم تقوى الادراك
البصري بالادراك اللمسي وبلغ الغاية في القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين في ان ذلك الذي راوه ولمسوه هل
موجود ام لا وذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الآية دليل على وجوب اللطف لانه
بين انه انما لا ينزل هذا الكتاب من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فيفهم منه انهم لو قبلوه وآمنوا به لانزله
لا محالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد
الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من
الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر آية قاهرة
وحينئذ ربما لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت ارواحهم الا ترى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف
ابرهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وان جبريل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان
مفاجاة الشدة اقطع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد من جهة اخرى وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا ارسل
اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم اكثر وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم
وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو اسرع افضاء الى المطلوب فاجاب
الله تعالى عن شبهتهم بقوله ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه رجلا لان انزال الملك آية قاهرة جارية مجرى الالجاء وازالة
الاختيار وذلك مناف لغرض التكليف ولان الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيق رؤية الملك ولان طاعة الملك كثيرة
فيحقرون طاعات البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصي فلا يعذرونهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه آخر

وذلك ان اي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة
والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لاشتبه الامر على القوم لبسه لبسا اذا اشبهه عليهم وجعله
مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير فعلهم في التلبيس وانما
كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك او يظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم
ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال ابدا ويبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا
مطلقا ويجوز ان يراد لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فيكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة
الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كان فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من
قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدل على الاحاطة ومنه الحوق
بالضم ما استدار من الكرة ما كانوا اي الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق الذي جاء به محمد اسند الحوق اليه حيث هلكوا
لاجل الاستهزاء به ويحتمل ان يراد بلفظة ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله وهم يستهزئون بذلك ثم امر
رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا آثار الامم السالفة والذين كذبوا
رسلهم وتركوا ما نزل فان الاسفار تورث الاعتبار وتفيد الاستبصار واعلم انه سبحانه قال هنا ثم انظروا وفي موضع آخر
فانظروا فالفاء تجدد اعتبار ترتب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب وايضا
شتان بين السير الصوري بتقدم الاشباح وبين السير المعنوي بتقدم الارواح **التاويل** حمد نفسه القديم الازلي بكلامه
القديم الازلي على ان خلق السموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس
والنور في القلوب وهو صفاتها الملكية والروحانية فخص الجعل بالمعاني التي من عالم الامر والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة
ولهذا لما ذكر صورة آدم قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه قال اني جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل
والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوا عدلا لربهم ثم قضى اجلا للروح المفارق عن
حضرته لايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال
كما يمتري اهل الفراق وهذا محال وهو الله في سموات القلوب وفي ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم
الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السري والجهري في المامورات والمنهيات في الخير والشر وما تاتيهم آية
من آيات ربهم في الآفاق وفي انفسهم مكناهم في طلب الحق من قهر النفس واسباب الخيرات والطاعات وارسلنا مطر
الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت تطرهم فاهلكناهم مع هذه المقدمات ارواحهم
بسموم ذنوب طلب الدنيا ما لها وجاهها وانشانا من بعدهم قرنا آخرين من الطلاب الصادقين الثابتين المستقيمين لجعلناه
رجلا ليفهم خطابه ويكون واقفا على احوال البشرية فيعالجهم بما فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا الآية قل سيروا في ارض النفوس بعدم
التقوى وبغى الفقر الهوى الى ان يبلغوا سواحل بحار القلوب فيشاهدوا انوار الله المودعة فيها عاقبة من هلكوا في بوادي القطيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة
بگو مر كراست آنچه در آسمانها و زمين است بگو اگر ساكت شوند مر خدايراست واجب كرد بر خويشتن بخشايش خلايق
ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم
هر آينه فراهم آرد شمارا سوى روز رستخيز هيچ گمان نيست در وقوع آن ايشان كه زيان كردند وجود خود را علم
فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع
پس ايشان نگروند در آيد ومر او راست موجودات در شب و روز و او شنواست
العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم
دانا بگواى جز خدايرا فراگيرم يار و دوست آفريدگار آسمانها و زمين و او روزى ميدهد خويش

ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن
و نه دهند او را خورش كه بگو بدرستى كه من فرموده اند از نخستين كسى كه مر اگر باشم مسلمان بود چه سابق بود برامت و فرموده اند مرا كه مباش حاجت ندارد
من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
از اهل شرك بگو بدرستى كه من ميترسم اگر نافرمانى كنم خداوند خويش را از عذاب روزى بزرگ
من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان
هر كه بگرداند خداى از و دران روز قيامت عذاب را پس بحقيقت بخشود او را و آن صرف عذاب يا رحمت آنست فيروزى و اگر
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو
برساند بتو خداى زيانى را پس هيچ بازدارنده نيست مر آنرا مگر او و اگر برساند بتو نيكى را پس او
على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي
بر همه چيزى تواناست و اوست غالب بتدبير بر زبر بندگان خويش بمرتبه و اوست حاكم در امر و تدبير خود آگاه بگو كدام
شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي
چيزى بزرگتراست بگواهى دادن بگو خداى او گواهست ميان من و ميان شمارا و وحى فرستاده اند سوى من
هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان
اين قرآن تا بيم كنم شمارا اى اهل مكه بان قرآن و آنكس را كه بدو رسيد اى شما گواهى ميدهيد كه با معبود
مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء
بيزار است خدايانى چند ديگر بگو من گواهى نميدهم بر خداى ديگر بگو بدرستى كه اوست معبود يگانه و بدرستى كه من بيزارم
مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
از آنچه انباز ميگيريد آنانكه داديم ايشانرا توريه و انجيل بشناسيد او را كه محمد است چنانچه
يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن
مى‌شناسيد پسران خود را آنانكه زيان كردند وجود خود را پس ايشان ايمان نيارند و كه باشد
اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون
ستمكارتر از آنكس كه بگويد از خود يا بر خداى دروغ را يا دروغ دارد آياتها او را بدرستى كار آنكه نرهند ستمكاران
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم
و ياد كن آن روز كه گرد آريم ايشان را همه پس گوييم مر آنرا كه انباز گرفتند كجا اند انبازان شما يعنى آن آنانكه شما كه دعوى
تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف
ايشان ميكرديد پس نبود عاقبت كفر ايشان مگر آنكه گفتند بحق خداى پروردگار ما نبوديم ما از اهل شرك بنگر كه چگونه
كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
دروغ گفتند بر خويشتن و غايب شود از ايشان آنچه هستند كه دعوى شفاعت و الهيت ان

القراءة اني امرت بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع اني اخاف بفتح الياء ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو والباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل
سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول ائنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف
وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة ائنكم بالياء بعد الهمزة ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد ائنكم بالمد و
الياء ابو عمرو ويزيد وزيد وقالون بري بغير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نحشرهم ثم نقول بتاء الغيبة فيهما
يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التانيث حمزة وعلي وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع
ابن كثير وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون
بالجر على البدل او البيان **الوقوف** والارض ط قل لله ط الرحمة ط لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف
وليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب وفيه نظر لان كتب وعد ناجز وليجمعنكم وعد منتظر لا ريب فيه ط بناء على ان الذين مبتدأ فيه
معنى الشرط لا يؤمنون ٥ والنهار ط العليم ٥ ولا يطعم ط من المشركين ٥ عظيم ٥ رحمه ط المبين ٥ الا هو ط قدير ٥ عباده ط الخبير ٥ شهادة ط
ومن بلغ ط اخرى ط لانتهاء الاستخبار الى الاخبار قل لا اشهد ج لاتساق الكلام بلا عطف تشركون م ابناءهم م الذين لا يؤمنون م ان جعل
وصف لا يؤمنون نصف السبع باياته ط الظالمون ٥ تزعمون ٥ مشركين ٥ يفترون ٥ **التفسير** انه سبحانه لما برهن على
اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد وانجر الكلام الى الامر باعتبار احوال الغابرين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق
الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان آثار الحدوث وسمات الامكان لائحة على صفحات السموات والارضين حتى بلغ في
ظهوره الى حيث لا يقدر منكر على انكاره فكان في السؤال تبكيت وافحام وفي الجواب تقريع والزام اي هو لله بلا امتراء وشقاق ولن يتم
الملك والملك الا اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابداء ولن يحصل حكمة الاعادة الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
ولن يحسن ايصال الثواب والعقاب الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل فلاجل ذلك قال كتب على نفسه الرحمة اي بنصب
الادلة وازاحة العلة ايجاب الفضل والكرم وقيل هذه الرحمة هي انه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستيصال او فرض
على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب واناب وصدقهم وقبل شريعتهم او تلك الرحمة انه يجمعهم الى يوم القيمة
كانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كانه قيل لما علمتم ان كل ما في السموات والارض لله تعالى
وانه مالك الكل فاعلموا ان الملك الحكيم لا يهمل امر عبيده ولا يجوز في حكمته التسوية بين المطيع والعاصي والغافل والساهي
ومعنى ليجمعنكم ليحشرنكم وقيل فيه حذف اي ليجمعنكم الى المحشر في يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل
ليجمعنكم في الدنيا خلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيامة قال الاخفش الذين خسروا بدل من ضمير المخاطبين في ليجمعنكم وقال الزجاج
انه مبتدأ خبره فهم لا يؤمنون فان قيل الذين خسروا انفسهم اي في علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون في طرف الابد فكان
امتناعهم الان عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال في الكشاف الذين خسروا نصب او رفع على الذم
بمعنى اريد الذين او انتم الذين ثم لما بين ان له المكان والمكانيات اردفه في البيان كما هو شان الترتيب التعليمي لما هو
اخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال وله ما سكن في الليل والنهار عن ابن عباس ان كفار مكة اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا قد علمنا انه انما يحملك على ما تدعونا اليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من اموالنا حتى تكون
من اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزل وما سكن الاية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل
تقيكم الحر اي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر للقرينة والاصوب ان يقال اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان يسكن
بلد كذا اي حل فيه والمراد كل ما حل في الوقت والزمان سواء كان متحركا او ساكنا او ثابتا وذلك ان الدخول تحت الزمان يستلزم
التغير والحدوث فلا بد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان وهو السميع العليم الذي يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات
المضطرين فيوصل كل ممكن الى الكمال اللائق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم ان يزعم ان الذي يتعالى عن المكان وعن الزمان
قد يكون ممكنا في نفسه كالمفارقات التي يثبتها الفلاسفة فلا جرم قال قل اغير الله اتخذ منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم
المفعول لكونه اهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل لتوجه الانكار الا الى نفس اتخاذ الولي وانه غير مهم
فاطر السموات عطف بيان من الله او بدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى
اتاني اعرابيان يختصمان فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقال ابن الانباري اصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله
فاطر السموات والارض اي خالقها ومنشئها بالتركيب الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم الاشياء

الى بعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من فطور واذا السماء انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اي هو الرازق لغيره ولا يرزقه
احد والاطعام وان كان شعارا ان والا لم يحسن العطف في قوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون الا انهما متقاربان
فجعل احدهما كناية عن الاخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم ولا يطعم
كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله والله يقبض ويبسط او الثاني بمعنى لا يستطعم وحاصل الاية انه يجب شغل
القلب كله بالله وقطع العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذي يهب لا لغرض ولا انتفاع ثم لما بين ان النبي ايضا داخل
في تكليف المعرفة بل هو اسبق قدما في ذلك فقال اني امرت ان اكون اول من اسلم وقيل لي لا تكونن من المشركين وفيه ان الواعظ
يجب ان يتعظ اولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره بصدد المواخذة
على تقدير المخالفة فقال قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الفرض قد يتعلق
بالمستحيل كقولنا ان كانت الخمسة زوجا منقسم بمتساويين من قرا من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله والمفعول
وهو العذاب محذوف لكونه معلوما او مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز ان ينتصب يومئذ على انه مفعول به ليصرف اي
من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله ومن قرا على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب ولم يسم الفاعل هو الله تعالى للعلم به فقد
رحمه اي الله الرحمة العظمى كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يعني كمال الاحسان او المراد فقد ادخله الجنة فان من
لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا او استيجابا قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان ايصال الثواب على الطاعة غير واجب
وانما هو ابتداء فضل واحسان والا لم يحسن ذكر الرحمة ههنا الا ترى ان الذي يقبح منه ان يضرب زيدا فاذا لم يضربه لا يقال
انه رحمه وذلك اي صرف العذاب وايصال الثواب على سبيل التفضل او الاستيجاب الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمقصد
الاسنى لكل مكلف ثم اكد المعنى المذكور وهو انه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض
او فقر او غير ذلك من البليات فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير عمم الحكم ليندرج تحته
كل خير والحاصل ان اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده
وتكوينه فان الذكر الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ورأس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل
نفرة الكفر وداعية الايمان الا منه فيقدره تعالى وكل ما يتصور بانه قد نفع او ضر من الجمادات او المختارات فان ذلك ينتهي الى
تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع او الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال
وهو القاهر فوق عباده وهو اشارة الى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وهو اشارة الى كمال العلم والحكمة اعم من العلم لانها علم وعمل
وكونه خبيرا اخص من العلم لانه العلم ببواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل
بظاهر الاية من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم فان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من
جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها متجزئا والجواب انه لم لا يجوز ان يكون نورا قائما
بذاته غير متناه ولا متجزيا او لا متبعضا قاهرا لجميع الانوار غالبا على جميع الاشياء لا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده واما انه
كيف يتصور نور بلا نهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فمجرد استبعاد فلا يصلح حجة واستعداد كل شيء من هذا النور يحتاج الى نور
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب ان هذا كلام
مخيل فلا يستعمل في البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء
فحصوله في جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون سائر اجزائه يحتاج الى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب
انا ذكرنا ان نور الانوار لا يتناهى وانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها انه سبحانه موجود قبل الخلاء
والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين الانتقال
ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام باعيانهم وحينئذ يلزم ان يكون تحت اقوام من يقابلهم واما ان يكون
فوق الكل فيكون فلكا محيطا بسائر الافلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب الالزامي بعد تسليم تقابلهم واما ان يكون فوق الكل
كون العالم كرة انا نختار القسم الاول ولا يلزم التحتية لان التحت من جميع الجوانب هو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء او القسم
الثاني ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر الافلاك واما التحقيق فحذر ومنها ان لفظ الفوق في الاية مسبوق
بالقهر ويراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وانه مشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب ان يراد بالفوق ايضا

بوقيته القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد ان القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين ليس اولى من العكس بل
لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهومي القاهرية والفوقية وليس حمل احدهما على الاخر اولى من عكسه وثانيها ان الآية سيقت ردا
على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب ان الفوقية بالوجه الذي قررناه في
جواب الاعتراض الاول تفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب ان يكون التعويل عليه في كل الامور اذ لا وجود ولا ظهور لشيء من
الاشياء الا بفيضه وجوده وقد يلوح للمتأمل في هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد اسرار غامضة
شريفة ان كان اهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى احدا يصدقك بما تقول من امر الرسالة
ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول كما تزعم فنزلت
قل اي شيء اكبر شهادة الآية قال العلماء انها دلت ان اكبر الشهادات واعظمها شهادة الله ثم بين ان شهادة الله حاصلة
الا انها لم تدل على ان تلك الشهادة لاثبات اي المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكر من سبب
النزول والمعنى قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله
شهد لي بالنبوة بان اظهر على وفق دعواي معجزا هو القرآن الذي عجز عنه معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل ان حصول
هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى وذلك ان الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى
قل الله شهيد بيني وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه واوحي الي هذا القرآن لانذركم
به وابلغكم ان الدين هو التوحيد والشرك مردود واستدل الجمهور على انه يصح اطلاق الشيء على الله تعالى وخالف جهم محتجا
بقوله الله خالق كل شيء اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فالتخصيص انما يجوز في صور شاذة لا يلتفت اليها لقلة اعتبارها فيطلق
لفظ الكل على الاكثر تنبيها ان البقية جارية مجرى العدم فلو كان الباري تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء واشرفها فيكون
اخراجه من هذا العموم محض الكذب وايضا احتج بان الشيء يطلق على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله والشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فالشيء لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه فالجواب عن الاول ان اخراج
الاكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقي وعن الثاني ان
لفظ الشيء اعم الالفاظ ومتى صدق الخاص والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها
لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم قلنا قل اي شيء سؤال ولا بد له من جواب وهو اما مذكور اي قل الله اكبر الاشياء شهادة
ثم ابتدئ فقيل شهيد اي وهو شهيد بيني وبينكم او محذوف والمعنى قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه
اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله شهيد علم جزما ان اكبر الاشياء شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف
على ضمير المخاطبين والعائد الى من محذوف اي لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من
الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل من بلغ اي
من احتلم وبلغ اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهمهم مبكتا فقال ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
وصف الجمع بصفة الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلث جمل **اولها** قل لا اشهد اي بما تذكرونه
من اثبات الشركاء **وثانيها** قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر **وثالثها** واني بريء مما تشركون ومن هنا قالت
العلماء والمستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويضم اليهما التبري عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركوا
مكة انهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا انه ليس عندنا ذكر كذبهم الله تعالى بقوله الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه اي يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم
ولا يشتبهون بغيرهم انما نعتوا الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين
واما ابتداء والكلام جملة مستأنفة شاملة لجميع الجاحدين من اهل الكتاب والمشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذي
يحصل لهم بسبب الكفر وقيل وما من احد الا وله منزلة في الجنة الا من كفر صارت منزلته الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله ان
وردت منزلته ضرب توبيخ بسبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم وذلك انهم جمعوا بين امرين متنافيين
اثبات الباطل وهو الاعتراض الافتراء على الله ونفي الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول ان المشركين كانوا يقولون للاصنام
انها شركاء الله والله امرهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون

ان التورية والانجيل ناطقان بعدم النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم و
من الثاني قدحهم في القرآن وفي صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشيء في غير موضعه الباطل مكان
الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف من حالهم يوم القيامة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اي ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك
ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في الوعيد ويحتمل ان يكون مفعولا اذكر او معطوفا على محذوف اي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم
الحشر اين شركاؤكم الهتكم التي جعلتموهم شركاء الذين كنتم تزعمون انهم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع
والتبكيت ويجوز ان يشاهدهم الا انهم حيث لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ويجوز ان يحال بينهم وبين آلهتهم في وقت التوبيخ
ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفاعتهم لكم وانتفاعكم بهم والغرض من
جميع الوجوه ان يتقرر في نفوسهم ان الذي يظنونه مأيوس منه فيصير ذلك تنبيها لهم في دار الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم
لم تكن فتنتهم من قرأ بالرفع على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فالعكس مما
قلنا والتقدير شيء الا ان قالوا واما مع تأنيث تكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك او بتأويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار
قراءة من قرأ بالنصب لان ان اذا وصلت بالفعل لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك
كنت القائم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تأويل هذه الآية تأويل حسن في اللغة لا يعرفه الا من
وقف على معاني كلام العرب وذلك انه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين في حبه فذكر ان عاقبة كفرهم الذي لزموه
اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا لم يكن الا الجحود والتبري والحلف على عدم التدين به ومثاله ان ترى
انسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك لفلان الا ان تبرأت منه و
تركته فعلى هذا فتنتهم هي شركهم في الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز ان
يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب قال القاضيان الجبائي وابو بكر ان اهل القيامة لا يجوز اقدامهم
على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون ان ذلك لا ينفع
منهم حينئذ فلا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز ان يقال انهم لما عاينوا القيامة
اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب او انهم نسوا كونهم مشركين في الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى ان يوبخهم
ثم يحكي عنهم ما يجري مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان تجويز نسيان امر كان عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة
وايضا انهم لو كذبوا في موقف القيامة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا على نوعين من القبيح فان عوقب على ذلك
صارت الآخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى في ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فاذن الوجه في الآية
ان يقال ان القوم كانوا يعتقدون في انفسهم وظنونهم انهم موحدون فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اي في اعتقادنا
وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين عند انفسهم فبحسب تأويل قوله تعالى انظر كيف كذبوا
على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم على الصواب وان ما عليه هم ليس بشرك وان آلهتهم شفعاؤهم عند الله
ولهذا قال وضل عنهم اي وانظر كيف غاب عنهم في الآخرة ما كانوا يفترون اي يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الآية
سيقت لبيان تضاد حالهم في الدنيا وفي الآخرة بالكذب وبالصدق ولكن حيث لا ينفعهم الصدق لان الصدق في الآخرة
انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذا جملة كلام القاضيين وقال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا
مشركين في اعتقادنا وكيف كذبوا على انفسهم في الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون في القيامة كقوله تعالى يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الى قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا ان الممتحن ينطق بما ينفعه
وبما لا ينفعه حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا
انه لا يقضي عليهم واختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في سائر الاوقات **التأويل** ما في الكون
سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسأل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل لله وله ما سكن في ليل البشرية اي التمتعات
الحيوانية وفي نهار الروحانية اي المواهب الربانية وهو السميع لانين من يشتكي اليه العليم بحنين من اشتاق اليه قل اغير الله اتخذ اليوم
وليا وقد اتخذني الله في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين
طعام المشاهدات ويسقيهم كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالذرات اقل [illegible] اسلم

لانى خلصت من جنس الوجود ... ان عصيت ربى ... عذاب يوم عظيم [illegible]

ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه

و از ايشان كسى است كه گوش فرا دارد بسوى تو و كرده ايم بر دلهاى ايشان پوششى براى عدم ادراك آنكه دريابند

وفى اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك

و در گوشهاى ايشان گرانى و اگر ببينند هر معجزه را ايمان نيارند بدان تا چون آيند بتو

يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين

جدال كنند با تو گويند آنانكه كافر شدند نيست اين قرآن مگر افسانهاى پيشينيان

وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما

و ايشان باز ميدارند مردم را از متابعت رسول و خود دور ميشوند و هلاك نميكنند مگر خود را و نمى دانند

يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد

و اگر ببينى چون بازداشته شوند بر آتش پس گويند كاش ما باز گردانيده شويم

ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم

و تكذيب نكنيم آيتهاى پروردگار ما را و بوده باشيم از اهل ايمان بلكه پيدا شد مر ايشان را

ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم

آنچه بودند كه پنهان ميكردند پيش ازين و اگر باز گردانند ايشان هر آينه عود كنند با آنچه باز داشته شده اند از آن و بدرستى كه ايشان

لكاذبون وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين

هر آينه دروغگويانند و گفتند نيست اين زندگانى مگر زندگانى دنيا و نيستيم ما برانگيختگان

ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا

و اگر ببينى چون بازداشته شوند بر پروردگار خود گويد آيا نيست اين براستى گويند آرى بحق پروردگار ما

قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا

گويد پس بچشيد عذاب را بسبب آنچه بوديد كافر ميشديد بتحقيق زيان كردند آنانكه تكذيب كردند

بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على

رسيدن بجزاى خداى و ديدار او تا آنگاه كه بيايد بايشان قيامت ناگهان گويند اى حسرت ما بر

ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء

آنچه تقصير كرديم در آن و ايشان برميدارند بارهاى گناه خويش را بر پشتهاى خود آگاه باشيد بد است

ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو

آنچه بار ميكشند و نيست زندگانى اين جهان مگر بازى و لهو

وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد

و هر آينه سراى آخرت بهتر است مر آنها كه پرهيزند آيا پس در نمى يابيد بتحقيق

نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك

ميدانيم كه بدرستى كه اندوهگين ميكند ترا آنچه ميگويند پس بدرستى كه ايشان دروغ زن نميدارند ترا

ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولقد كذبت رسل

وليكن اين ستمكاران آيتهاى خدا را منكر ميشوند و بتحقيق دروغ داشته شدند پيغمبران

من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا

پيش از تو پس صبر كردند بر آنچه دروغ داشته شدند و رنجانيده شدند تا آمد بديشان يارى ما

ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباى المرسلين و

و هيچ تبديل كننده نيست مواعيد خدا را و بتحقيق آمد بتو چيزى از خبرهاى پيغمبران فرستاده و

ان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا

اگر باشد كه گران آيد بر تو روى گردانيدن ايشان پس اگر توانى كه بجويى جاى در زمين

فى الارض او سلما فى السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم

در زمين يا نردبانى در آسمان تا بيارى بديشان معجزه اى پس بكن و اگر خواستى خداى هر آينه گرد آوردى ايشان را

على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين

بر راه راست پس مباش البته از آنانكه نادانند بدرستيكه اجابت ميكنند آنانكه

يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا

ميشنوند و مردگان برانگيزد ايشان را خداى پس بسوى او باز گردانيده شوند و گفتند

لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل

چرا فرو فرستاده نشد بر او معجزه اى از پروردگار او بگو بدرستى كه خداى تواناست بر آنكه فرو فرستد معجزه را

اية ولكن اكثرهم لا يعلمون

معجزه را وليكن بيشتر ايشان نميدانند

القراءة ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص ويعقوب وافق ابن عامر في ونكون والباقي بالرفع ولدار الآخرة
بالاضافة ابن عامر بتأويل الساعة الاخرة والباقون بتعريف الدار ورفع الاخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع
وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الاعراف يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا علي ونافع والاعشى
في اختياره والباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب ان ينزل بالتخفيف ابن كثير الوقوف وقرا ط الاولين ط
وينأون عنه ج لابتداء النفي مع واو العطف وما يشعرون من المؤمنين ه من قبل ه لكاذبون ه بمبعوثين ه نصف الخبر ربهم ط بالحق ط
ونا تكفرون ه بلقاء الله ط لان حتى للابتداء فيها لان الواو للحال على ظهورهم ط يزرون ط ولهو ط يتقون ط تعقلون ط يجحدون ه نصرنا ج
لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله ج المرسلين ه باية ط من الجاهلين ه يسمعون ط يرجعون ط من ربه ط لا يعلمون ه
التفسير لما بين احوال الكفار في الاخرة اتبعه بعض اسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك وقال ابن عباس
حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية و
ابي ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما ادري ما يقول
الا اني ارى تحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر
كثير الحديث عن القرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الآية والاكنة جمع كنان وهو كل ما وقي
شيئا وستره من الاغطية والفعل منه اكننت وكننت وان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه والوقر الثقل في الاذان و
التركيب يدور على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار وفي الآية دلالة على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان ويحول
بين المرء وبينه وقالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم
في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التأويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائي ان القوم كانوا يسمعون لقراءة الرسول
ليتوسلوا بسماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والغفلة وعلى آذانهم الثقل
وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه وبان قوله وان يروا كل آية اي كل دليل وحجة لا يؤمنوا
بها لا يناسبه الثاني ان المكلف الذي علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة ليستدل
الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع انها في نفسها ليست بمانعة عن الايمان الثالث يقال انه جبل
على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدي وفوض امورهم
الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت
هذه الادلة بالعلم والداعي وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علمه محال وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم
داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو المعني بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم في اول سورة البقرة في قوله
ختم الله على قلوبهم والافراد في يستمع والجمع في قلوبهم اعتبار للفظ من تارة ولمعناه اخرى حتى اذا جاؤك هي حتى الابتدائية التي
تقع بعدها الجمل كقوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء اعني قوله اذا جاؤك يقول ويجادلونك في موضع
الحال ويجوز ان يكون جارة اي حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال يجادلونك ويقول تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى حالة
الجدال ثم فسر الجدال بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا في صف ومنه
سطر الكتاب وسطر من نخيل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير وقال الزجاج واحد الاساطير اسطورة كاحاديث واحدوثة
وقال ابو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن عباس معناه احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اي يكتبونها ومن فسر
الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى والتفسير
ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزا كان تلك الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة
والجواب ان هذا ينفرون بالتحدي وقد عجزوا عن آخرهم دون تلك فظهر الفرق ثم اكد طعنهم في القرآن بقوله وهم ينهون
عنه قال محمد بن الحنفية وابن عباس في رواية السدي والضحاك اي عن القرآن وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأي
البعد نأيت عنه ونأى الرجل اذا بعد والنأي في ناي وحمله على القلب لان المصدر يجيء الاعلى النأي وقيل عن الرسول
والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين قبيحين النأي والنهي فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس انها
نزلت في ابي طالب كان ينهى المشركين ان يؤذوا رسول الله ويتباعد عما جاء به روي ان قريشا اجتمعوا الى ابي طالب يريدون

سوء بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو طالب شعر والله لن يصلوا اليك بجمعهم ٭ حتى اوسد بالتراب دفينا ٭
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ٭ وابشر وقر بذاك منك عيونا ٭ وعرضت دينا لا محالة انه ٭ من خير اديان البرية دينا ٭
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ٭ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ٭ لولا الملامة او حذاري سبة ٭ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ٭
وضعف هذه الرواية بان قوله وان يهلكون الا انفسهم يعني بما تقدم ذكره النهي عن اذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن ان يجاب
بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي مع النأي كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولو سلم فلم لا يجوز
ان يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين انه كيف يعود الضرر اليهم فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وجواب لو محذوف اي
لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاء حذفه للعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشأن وهو الذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك
والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لاضربنك و
لمثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي مع اذ الدال على المضي كان هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه ان يخبر عنه بلفظ
الماضي اي وقفوا على ان يدخلوا النار وهم يعاينونها او وقفوا عليها وهي تحتهم او هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقوفا
اي عرفوا حقيقتها تعريفا والمراد انهم في جوف النار غائصين فيها فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها تحت
بعض فلا تخلو من معنى الاستعلاء يا ليتنا نرد هو داخل في حكم التمني واما قوله ولا نكذب ونكون فمن قرأ بالنصب فيهما فانهما
على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكون من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان احدهما ان التمني
يتم عند قوله نرد ثم ابتدأوا ولا نكذب ونكون اي ونحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء
حصل الرد او لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا
معطوفين على نرد او حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا
الوجه ان المتمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا تمن قد تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق
به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا تمن في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كذب
لانه كان قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله
تعالى عليهم بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من
العذاب الذي شاهدوه وعاينوه فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين
ان المشركين في بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم
بالكفر فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقائدهم واعمالهم وسوء عاقبتها وذلك ان
كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيامة وقال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور بدليل
قوله بعد ذلك وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا قول الحسن وقيل انها في المنافقين كانوا يسرون الكفر
فيظهر نفاقهم على رؤوس الاشهاد يوم القيامة وقيل هو في اهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمون من صحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم والاولى حمل الآية على الكل لان يوم تبلى السرائر فلا جرم يظهر الفضائح والقبائح وينكشف الاسرار وينهتك الاستار اللهم
كفر عنا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قيل كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى حينئذ بالضرورة
وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا يبقى المعرفة ضرورية
فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض
عودهم الى حالة التكليف زال التعجب كما هو الآن فاذن لا تخلو العقدة الا بان يقال المراد تأكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث
لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم سألوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم ينجع ذلك فيهم وانهم لكاذبون فيما
وعدوا في ضمن التمني او في كل شيء الى ضمير جمع المتكلم اي ما الناحية الا هذه الحياة التي هي اقرب الينا وما نحن بمبعوثين بعدها و
قبل ان تفسير الآية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولانكروا البعث وله قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ثم لما حرم بانكارهم كشف
عن حالهم يوم القيامة ولو ترى اذ وقفوا على ربهم تمسك بعض المشبهة بهذا على انه تعالى بحضرة تارة ويغيب اخرى ورد بان استعلاء
شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تأويل الآية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين
يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف اي على جزاء ربهم او وعد او اخباره بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من

قوله وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قال اليس هذا الذي عاينتم من حديث البعث والجزاء بالحق الذي حدثتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار صيؤول الى الاقرار ثم كان لسائل ماذا قيل لهم بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى هذا العالم الجسماني الكثيف واعطي الالات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي تعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع راس المال ولا ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الآخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هنالك الا الله بخلاف الدنيا فانه قد يظن ان للانسان تصرفا واختيارا وملكا وسلكا وحمل اللقاء على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي دام بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجي الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة تلوح على صفحات احوال المكلف من وقت موته وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيامة الساعة لسرعة الحساب فيه فكانه قيل ما هو الا ساعة الحساب او لانها تجاء الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجاءة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجاه او على المصدر العام اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البغت نوع من المجي قالوا اعامل اذا يا حسرتنا اي احضري فهذا وقتك على ما فرطنا اصله يدل على الترك والهمزة في الافراط لازالة ذلك وقولهم فرطت القوم اي سبقتهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل الى التقدم اما الضمير في فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الاية بدلالة العقل لان موضع التفريط هو الدنيا وقال الحسن اي في الساعة على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران وقيل الى ما في فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الآثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لانه يحمل ثقل صاحبه والوزر الملجا لانه يدفع عنه ما اصابه فكانه جملة اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي وقال الزجاج الثقل قد يذكر في الحال والصفة ثقل عن خطاب فلان اي كرهه والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم وقيل كقولك شخصك نصب عيني اي ذكرك لازم لي وقال الجم من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شي هو احسن الاشياء صورة واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شي هو اقبح الاشيا صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم قال قتادة والسدي الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وذمهم ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس يريد حيوة اهل الشرك والنفاق لان حيوة المؤمن يحصل فيها اعمال صالحة فلا يكون لعبا ولهوا وقال اخرون هو عام في حيوة المؤمن والكافر وذلك ان متاع اللهو واللعب وكل شي يلهيك ويشغلك مما لا اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومتاع هذه الحيوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا بد ان يتناهيا في اكثر الامر الى شي من المكاره ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتالهون وللدار الاخرة قال ابن عباس هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي وقال الاصم التمسك بعمل الاخرة خير وقال آخرون نعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة باقية مصونة عن شوائب الافات والمخافات امنة من نقص الانقضاء والانقراض للذين يتقون فيه ان هذه الخيرية انما يحصل لمن اتقى الكفر والمعاصي فاما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر افلا تعقلون قال الواحدي من قرا بتاء الخطاب فالمعنى قل لهم افلا تعقلون انها كذلك وانها خير ومن قرا بالياء فمعناه افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الاخرة خير لهم من هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشاركنا فيها سائر الحيوانات بل ربما كان امر تلك الحيوانات فيها اكمل فالجمل اكثر اكلا والديك والعصفور اكثر وقاعا والذئب والنمر والحيات اقوى غضبا وقهرا وكل من وقف همه على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء قدر وكل من صرف همه في تحصيل الكمالات الباقيات

والسعادات الباقيات كان له في العيون مهابة وفي القلوب قبول وذلك دليل على شهادة الفطرة الاصلية بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب ان النوعين تشاركا في الفضل والمنفعة اليس المعلوم افضل من المظنون وان خيرات الآخرة معلومة قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة وصار تحت التراب عشية وكم من متمول اصبح اميرا كبيرا ثم امسى فقيرا حقيرا وهب انه وجد بعد هذا اليوم يوما آخر فلن يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فقلما تخلص من شوائب المكاره والآفات كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق قيل وما هو يا رسول الله قال سرور يوم بتمامه وهب ان الدست له قد دام اليس مآل كل ذلك الى الزوال والانقراض وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال **شعر** كمال العيش عندي في سرور ه تيقن عنه صاحبه انتقالا ه ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة فيه كما مر في قوله قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشان وكسرت بعد العلم لمكان لام الابتداء في ليحزنك وما ذلك المحزن قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل تصريحهم بانهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وثعلب اكذبه وكذبه بمعنى وقيل اكذبت الرجل الفيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب ورواه وكذبته اذا اخبرت انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى كذبته قلت انه كذبت ومعنى كذبته ان الذي اتى به كذب في نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك الكذب واتى به على سبيل الافتعال والقصد فمن قرا بالتخفيف نظر الى ان القوم يعتقدون ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل تخيل صحة ذلك وذلك بين الا ان تخيله باطل ثم ان ظاهر الاية يقتضي انهم لا يكذبونك محمدا صلى الله عليه وسلم ولكنهم يجحدون بآيات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه **الاول** ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القران في نبوته ويؤكده رواية السدي ان الاخنس بن شريق وابا جهل بن هشام التقيا فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق ام هو كاذب فانه ههنا ليس احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا الصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فاذن هذه الآية نظير قوله تعالى في قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا **الثاني** في تاويل الاية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعد انك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض له نوع خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه او لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد **الثالث** انه لما ظهرت المعجزات على يده ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال له ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكانه قيل لا تحزن لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو اهم واستعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه **الرابع** قيل في التفسير الكبير اي لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق مطلقا ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم في جحودهم لان من وضع التكذيب مقام التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذية القوم فقال ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا فانت اولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلائق فاصبر كما صبروا واظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في نحو قوله لاغلبن انا ورسلي وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبا المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح انها للتبعيض لقلة مجي زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل وان كان كبر اي شق عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القران فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية فافعل انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب في الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلاليم التي يرتقى

عليها واصله من التلامة كانه يسلك الى صعدك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع ان ياتي باية من تحت
الارض او فوق السماء لاتي بها وبكل ما اقترحوا رجاء ايمانهم ويجوز ان يكون ابتغاء النفق او السلم هو الاية كانه قيل لو استطعت
ذلك لفعلت لعل ذلك يكون لك اية يؤمنون عندها ثم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على
انه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشية الالجاء المنافي للتكليف والالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا
غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون الى الايمان مثاله ان يحصل شخص بحضرة السلطان وهناك خدمه وحشمه فيعلم انه لو هم بقتل
ذلك السلطان لقتلوه في الحال فيصير هذا العلم مانعا له من القتل ويعرض بالعلم والداعي كامن مرارا اما قوله فلا تكونن من الجاهلين
اي من الذين يرومون خلاف ما امر الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتاكيد الامتناع
عن الجزع والاضطراب والحزن والاسف على ايمان من لو يشاء الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان
فقال انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين حرصوا على قبول ايمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون كقوله انك لا تسمع
الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد انه تعالى هو الذي يقدر على احياء قلوب هؤلاء
الكفار بحيوة الايمان وانت لا تقدر على ذلك او المعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل
ذلك فلا سبيل الى اجتماعهم اما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلان حيوة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما ان حيوة الجسد بالروح
ثم ذكر شبهة اخرى للطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو انه ما جاء باية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم طعنوا في كون
القران معجزا على سبيل العناد او قياسا على سائر الكتب السماوية او طلبوا معجزات تقرب الى حد الالجاء كالنتق الجبل وفلق
البحر فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من تسبيح الحصا وانشقاق القمر ليست باقل منها او اقترحوا مزيد الايات بطريق
التعنت واللجاج او المراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر
على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فاعليته ليست الا بحسب محض المشية عند اهل السنة او على وفق المصلحة عند المعتزلة
لا على موجب اقتراحات الناس ومطالباتهم او انه لما ظهرت المعجزة الباهرة والدلالة الكافية من القران وغيره لم يبق لهم عذر ولا
علة فلو اجابهم الى مقترحهم طمعهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضي الى ان لا يستقر الدليل ولا يتم الحجة
وهذا خلاف المقصود ولا يعلمون انه لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستيصال او لا يعلمون انهم لما طلبوا ذلك
على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ونيله لاعطى مطلوبهم على اكمل
الوجوه **التاويل** ومنهم من يستمع اليك واخبارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حجابا عن عين الانكار وفي اذانهم
وقرا من فساد الاستعداد الفطري وان يروا كل اية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب واعوان نور الايمان فيها وهم ينهون
الطالب عن الحق وان يهلكون بتغير الخلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد عن اهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقي
ولو ترى اذ وقفوا على النار ان ارواح الاشقياء بعد الخلاص عن حبس الطبيعة عن قوى الطبيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم
الصورة بلباس البشرية ولو ردوا الى عالم الصورة لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعدادهم مرة اخرى وانهم
لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق ولهذا نسوا انا شاهدنا يوم الميثاق من الالطاف و
الاعطاف وقولهم بلى في جواب خطاب الست بربكم اذ وقفوا على ربهم عن غوار بوبية ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم يذوقوا عذاب
البعد في العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة هي الساعة التي يجذب البعد فيها عن اوصاف البشرية بجذبات الحق فجاءه
وهي قيامة اخرى لان فيها تبدل ارض البشرية غير الارض واشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الساطع
الى ايام ضاعت عنه في طلب غير الحق فيتاسف عليها كما يقول ايها القارض ما احسنت صيد الظبيات فاتك السرب وما
تعودت عن الخزان وهم يحملون اثقال التعلقات الزايدة على ظهور وجودهم فان الوجود على السالك ثقل مانع عن السلوك
فكيف ما يزيد عليه الالعب ولهو كلعب الصبيان وللدار الاخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض
عما سواه خير للذين يتقون غير الله فلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشان لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك
من ضيق نطاق البشرية انه في جيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات وقد حكم لقدرته التي قدرها ودبرها في الازل
الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم في عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون
الحكمة في جعل البعض مظاهر اللطف والبعض مظاهر القهر والنهي في حقه صلى الله عليه وسلم هو الامتناع من الكينونة اي خلق

في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على ان ينزل اية في كل لحظة و
لكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكاينات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على الصانع وكاين من اية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شئ اية تدل على انه واحد الله لا سواه ولا تعبد الا اياه

وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
و نيست هيچ جنبنده در زمين و نه هيچ پرنده مي پرد به بال خود در هوا مگر جماعتها اند مانند شما در قسمت ارزاق و اجال
ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون والذين
اهمال نكرديم در لوح محفوظ در كتاب ذكر هيچ چيز پس باخداي پروردگار ايشان گرد آرند ايشان را و آنانكه
كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من يشاء الله يضلله
تكذيب نمودند آيتهاي مارا ناشنوا اند حق را و ناگويا در تاريكيهاي شبهات مانده هر كرا خواهد خداي گمراه گرداند او را
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل ارايتكم ان اتيكم
و هر كه را خواهد ميگرداند او را بر راه راست بگو خبر دهيد مرا اگر آيد بشما
عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين
عذاب خداي يا آيد بشما قيامت آيا جز خدا را درين حالين خوانيد اگر هستيد راست گويان
بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون
بلكه او را [illegible] و فراموش ميكنيد آنرا كه شريك مي آريد
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم
و بحقيقت فرستاديم سوي گروههاي پيش از تو پس گرفتيم ايشان را بسختي و عذاب و گرند از قحط و تنگيها تا مگر ايشان
يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم
زاري نمايند و توبه كنند پس چرا چون آمد بديشان عذاب ما زاري نكردند و ليكن سخت شد دلهاي ايشان
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
و آراسته است براي ايشان ديو آنچه بودند كه كردند پس چون فراموش كردند پندي داده مي شوند گشاديم بر ايشان
ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
درهاي هر چيزي از خير و نعمت روزي و صحت تا چون شاد شدند [illegible]
مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل
[illegible]
ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير
خبر دهيد مرا اگر فرا گيرد خداي گوش شمارا و چشمهاي شمارا و مهر نهد بر دلهاي شما هيچ نداريد و نه بينيد كدام
الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون
خدايست آرد بشما آنرا بنگر چگونه بيان ميكنيم دلايل را پس ايشان اعراض ميكنند
قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم
بگو خبر دهيد مرا اگر آيد بشما عذاب خداي نهان پوشيده يا آشكارا [illegible]

الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن و
ستمکاران ونفرستادیم پیغمبرانرا مگر مژده دهندگان وبیم نمایندگان پس هرکه ایمان آرد
اصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
وسامان آرد کاررا پس هیچ ترس نیست برایشان ونه ایشان اندوهگین شوند وآنانکه تکذیب نمودند
بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول
آیتهای مارا رسد بایشان عذاب بآنچه هستند که خروج می نمایند از طاعت بگو نمی گویم
لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني
شمارا نزد منست خزاینهای خدای ونمی گویم که میدانم پوشیده را ونمی گویم مر شمارا بدرستی که
ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون
من فرشته ام متابعت نمی کنم مگر آنچه وحی فرستاده شود بمن بگو آیا برابر نابینا وبینا آیا پس اندیشه نمی کنید

القراءة ارايتكم وبابه بتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف اريتكم وبابه بغير همز علي الباقون ارايتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر انظر بضم الهاء روي الاصفهاني عن ورش **الوقوف** امثالكم ط يحشرون ه في الظلمات ط يضلله ط لابتداء شرط آخر مستقيم ه تدعون ه لان جواب ان منتظر محذوف تقديره ان كنتم صادقين ه فاجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين ه يشركون ه يتضرعون ه يعملون ه كل شيء ط مبلسون ه الى تتفكرون ه **التفسير** لما بين ان انزال سائر المعجزات لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك اكده بما يؤذن ان آثار فضله واحسانه ولطفه وامتنانه واصلة الى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين في اظهار تلك المعجزات القاهرة الملجئة لفعل ذلك البتة وفيه ايضا مزيد تقرير لامر البعث وانه حاصل لجميع الحيوان فضلا عن الانسان فان الحيوان اما ان يكون بحيث يدب او يكون بحيث يطير وانما خص من الدواب ما في الارض بالذكر دون ما في السماء او في الماء لان رعاية مصالح الادون يستلزم رعاية مصالح الاشرف ويمكن ان يقال الماء ايضا من جملة الارض لانهما جميعا كرة واحدة قال علماء المعاني انما وصف الدابة بكونها في الارض والطائر بانه يطير بجناحيه ليعلم انهما باقيان على عمومهما اذ بينهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل ان يقدر فيهما صفة نحو يرتع او يصيد فتخصصا اولاهم ان المراد بهما الجنسين المتعارفين لقوله بعد الا امم امثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر في حاجتي والمراد الاسراع قال الحماسي **شعر** طاروا اليه زرافات ووحدانا ه وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذووا الاجنحة فان المراد ذكر من هو دون حالا وقيل ان الوصف للتأكيد كقولهم نعجة انثى وكما يقال مشيت اليه برجلي وانما جمع الامم مع افراد الدابة والطائر لان النكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها واما وجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر فنقل الواحدي عن ابن عباس انه قال يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن ابي الدرداء بهمت عقول البهائم الا عن معرفة الاله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة كونها جماعات وكونها مخلوقة لله تعالى بحيث يشبه بعضها بعضا ويانس بعضها ببعض ويتوالد بعضها من بعض وضعف بان هذا امر معلوم مشاهد لا فائدة في الاخبار عنه وقيل هو انه دبرها وخلقها وتكفل برزقها واحصى احوالها وما يجري عليها من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة دليله قوله عقيبه ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل انها تحشر يوم القيامة ويوصل اليها حقها جاء في الحديث يقتص للجماء من القرناء لكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفيان بن عيينة ما في الارض من آدمي الا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعال الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير لو القي اليه الطعام الطيب تركه واذا قام رجيعه ولغ فيه وكذلك تجد من الادميين من يسمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة منها وان اخطأ مرة واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا نادى فيه واعلم يا اخي انك تعاشر البهائم والسباع فبالغ في الحذار و

ظلموا ط العالمين ه بايتكم ط يصدفون ه الظالمين ه ومنذرين ه يحزنون ه يفسقون ه اني ملك ج للابتداء بالنفي مع اتحاد القايل والمقول الي ط والبصير ط صح

وذهب اهل التناسخ الى ان ارواح البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى ابدان الملوك وربما قالوا انها تصل الى مخالطة عالم الملائكة وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقا فانها تنتقل الى بدن حيوان اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا بقصة النمل وحديث الهدهد ونحو ذلك وفي تعداد مذاهب ارباب التناسخ طول والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ما فرطنا في الكتاب من شيء من مزيدة للاستغراق اي ما تركنا وما اغفلنا شيئا قط وقيل للتبعيض اي ما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع احوال العالم على التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذي يسبق اليه الاذهان ويناسب اهل الايمان واورد عليه انه ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا حاصل مذاهب الناس ودلائلهم في علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل الا فيما يجب ان يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تتناهى وما علم الا وفي القرآن اصله ومنه شرفه وفضله كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا للطب وكقوله وهو اسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين للاخلاق واما تفاصيل علم الفروع فذكر العلماء ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من دليل منفصل وكل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او التضمن او الالتزام لم يكن ذلك تكليفا او يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان **الاول** قول الاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب لا لان ايصال العوض اليها واجب بل بمجرد المشية والارادة ومقتضى الالهية **الثاني** قول المعتزلة انه يحشر الطيور والبهائم لايصال الاعواض اليها لان ايصال الآلام اليها من غير سابقة جناية لا يحسن الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الالم وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره في الآخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك فرع آخر كل حيوان اذن الله تعالى في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي اذن في قتله لكونه مؤذيا او آلمه بمرض او سخره للانسان لاجل حمل الاثقال واما اذا ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير ماكلة فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير ماكلة والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لا سبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح رضيت به آخر مذهب القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك يصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال ابو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها يوجب الالم وذلك الالم يوجب عوضا آخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له واجيب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام آخر البهيمة اذا استحقت عوضا على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه يوصل ذلك العوض الى المظلومة والا فانه تعالى يتكفل بذلك العوض وهذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام وهو سبحانه اعلم ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما ينادي على عظمته ويشهد لربوبيته وينبئ على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلال ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيته وارادته وتخليقه وتدبيره فقال من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم والجبائي اول الآية بان المراد انهم كذلك في الآخرة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا في حال الكفر او هو محمول على الشتم والاهانة اما قوله من يشا الله يضلله اي عن طريق الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين او المراد بالاضلال منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله في البليات وقال ارايتكم هو منقول من رايت بمعنى ابصرت او عرفت كانه قيل ابصرته وشاهدته بحالة العجيبة او اعرفتها اخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء فهذا من باب ايقاع السبب على المسبب لان

لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة والعرفان اما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء يكون بلفظ واحد في التثنية
والجمع والتانيث ويختلف هذه المعاني على الكاف نحو ارايتك ارايتكما ارايتكم ارايتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف
حرف الخطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة وليست الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع ايضا لان التاء
فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها ان هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين نحو ارايتك زيدا ما
شانه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض ارايت
نفسك بل ارايت غيرك ولذلك تقول ارايتك زيدا وزيد غير المخاطب ولا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على انه
مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتانيث في التاء نحو ارايتماكما وارايتموكم وارايتموكن وقد ذهب الفراء الى انه اسم مضمر
منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريفا للتاء فاما مفعولا ارايت في الاية فقيل هما محذوفان تقديره ارايتكم عبادتكم الاصنام هل
تنفعكم عند مجي الساعة ودل عليه قوله اغير الله تبغون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول
واما جواب الشرط فما دل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقديره ارايتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الاية قل يا محمد لهولا
الكفار ارايتكم ان اتاكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة اتخصون الهتكم بالدعوة ام تدعون دون الله دونها بل
اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعونه الى كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا يكشف عن المشركين
وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا ولو علقت المشية بكشف العذاب في الدنيا وقوله
ادعوني استجب لكم ايضا مقيدا بالمشية وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونهم لعلمكم انها لا تضر
ولا تنفع ويجوز ان يراد ولا يذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان اذهانهم مغمورة بذكر الله وحده والمقصود من الاية
تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند تزول الشدايد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون عبادتها وفيه ان
مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وسلم بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا
في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا واصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون
الى الله في الشدايد ويحتمل ان يقال ان حكم الطائفتين واحد لان التضرع والالتجاء الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل
الاخلاص غير معتبر وفي الاية محذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذناهم بالباساء و
الضراء الامراض والاوجاع والرزايا لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة
فهو ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبائي بالاية على انه تعالى انما ارسل الرسل وسلط الباساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا
ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب بان الترجي في حقه تعالى محال فانهم يحملونه على الارادة ونحن نحمله
على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي والترجيح على ان الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفرضونه لا بد ان ينتهي الى
خلق الله وتكوينه اما قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا
التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم يجع فيهما المواعظ والزواجر
نقلهم من الباساء والضراء الى الراحة والرخاء ففتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب
المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه اخرى ومعنى كل شي اي كل شي كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفا اخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال
صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله تعالى يعطي العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الراحة
والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فات من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون ايسون من كل خير قال الفراء المبلس الذي انقطع
رجاؤه ويقال للذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا ههنا للمفاجاة وهي
ظرف مكان وهم مبتدا ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر القوم التابر للشي من خلفه كالولد للوالد دبر
فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان اخرهم ابو عبيدة دابر القوم اخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع الله
دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على ان لم يترك منهم احدا واستاصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على
اولئك الرسل او على اولئك لها الكبر كلا يزيد واكفرا وعنادا فيزدادوا عقابا او حمد على ما انعم عليهم قبل ذلك وهو
ان كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل واختبرهم بالباساء والضراء ثم نقلهم الى الالاء والنعماء الا

انهم

انهم لم يزدادوا الا انهماكا في الغي والضلال فطهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك
من جملة الالاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل ارايتم ان اخذ الله ووجه
ذلك ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما مر مستوفى في اوائل الكتاب ولا ريب ان القادر على تحصيل قواها
فيه وصونها عن الافات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والسلاح ياتيكم به اي بذلك الذي اخذ من السمع والبصر
والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكر بحكم الاستعمال يلزم ان يكون لذي عقل ولو فرضنا والاحسن ان
يقال انه ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مونثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مونثا علم انه اراد المذكور
مطلقا فتعين ان يشار اليه بذلك ثم انه اقام الضمير المذكر مقامه او يعود الى ما اخذ وختم عليه وصح من غير التكليف المذكور
بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نصرف الايات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون
كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الى المطلوب ومعنى ثم التفاوت بين الحالين ويصدفون اي يعرضون ويقال
امراة صدوف للتي تعرض وجهها عليك ثم تصدف اي تعرض والصدف ميل في الحافر الى الشق الوحشي وصدف الدنيا
غشاوها الميل فيه قال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصد لم ينكر ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لو لا منع الله تعالى
الخ فيهم الدلايل القاطعة للاعذار ثم عمم الدليل بقوله قل ارايتكم ان اتيكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه
فوجب ان لا يكون معبود الا هو ثم العذاب المفروض اما ان يجي من غير سبق امارة تدل على ذلك وهو البغتة واكثر ما يكون
ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة واكثره بالنهار ولهذا قال الحسن معناه ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون
اي لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط
مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا جزيلا فهو لهم بلاء في الظاهر والاء
بالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان امر المومن خير كله ان اصابته ضراء
فصبر كان خيرا له فان اصابته السراء فشكر كان خيرا اليه واعلم انه ذكر ههنا ارايتكم مرتين فزاد خطابا واحدا لان عذاب
الاستيصال ما عليه من مزيد فناسب زيادة الخطاب لاجل التاكيد وفيما بينهما قال ارايتم حيث لم يكن كذلك وكذلك في
في يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الايات وانزال المعجزات التي اقترحوها
في قوله وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه وان ذلك يفوض الى مشية الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين
بالثواب على الطاعات ومنذرين العقاب على المعاصي فمن قبل قولهم واتى بالايمان الذي هو من افعال القلب والعمل
الصالح الذي هو من افعال البدن فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال في الكشاف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من
الالام وفيه نظر لان المس ليس من خواص الاحياء نعم انه من خواص الاجسام فلو ادعيت المبالغة من هذا الوجه لم يكن بعيدا قال
القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا واقول هذا من باب ايهام العكس فان كل كافر فاسق
ولا يلزم العكس ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينفي من نفسه امورا ثلثة فقال قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وهي جمع خزانة
المكان الذي يخزن فيه الشي وخزن الشي احرازه بحيث لا يناله الايدي ولا اعلم الغيب قال في الكشاف محله النصب عطفا
على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول اي لا اقول ذلك ولا هذا تلك ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اي قل لا
اعلم الغيب فيكون فيه دلالة على ان الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبي صلى
الله عليه وسلم يحتمل ان يكون له هذان المقامان ولكن لا يظهرهما واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد
اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود والنصارى في المسيح عليه السلم
وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وانه لا يستقل بايجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل اي لا ادعي سوى النبوة والرسالة ولا ادعي الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا
لكم بخلاف سورة هود حيث قال ولا اقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في
الاية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب ان ذلك يدل على
ان الملك افضل وان كان المراد نفي قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على افضلية الملك انا اتبع الا ما يوحى

اي قيل هذا النص يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يحكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد في شيء من الاحكام ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل
الا بالوحي النازل عليه لقوله فاتبعوه ولا يجوز العمل بالقياس واكد هذا الحكم بقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير وذلك ان العمل
بغير الوحي يجري عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون تنبيها على انه يجب على العاقل ان يعرف
الفرق بين هذين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلال والاية مثل للضال والمهتدي او لمن ادعى
المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين كالعميان او فتعلموا ان ما ادعيت سوى ما يليق
بالبشر **التاويل** وما من دابة تدب في ارض البشرية ويتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا امم امثالكم في
السؤال عن احوالهم واعمالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك عنه مسؤولا ما فرطنا ما تركنا في القرآن من شيء يحتاج اليه الانسان
ظاهره وباطنه ذاته وصفاته في السير الى الله من الاوامر والنواهي والندب والاداب ثم الى ربهم يحشرون هنا بالسير وجذبات العناية
وهناك بالسلاسل والاغلال يسحبون في نار القطيعة على وجوههم لان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا باياتنا بدلايلنا
الموصلة الينا صم اذان قلوبهم عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة الحق في ظلمات صفات البشرية والاخلاق
الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعه الى ربه مركوز في روحانيته ولقد ارسلنا الى امم اي ارسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف و
الامن فشغلوا بها عنا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة فدعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالباساء والضراء
التي هي حجة موجبة للالتجاء فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وعلموا ان حقايق الطافنا مدرجة في دقايق صور قهرنا وتحققوا ان درر
محبتنا مستودعة في اصداف شدايد باسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع في الدعاء فلما نسوا بسبب القساوة ما ذكروا
به من معارضة الباساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وتؤدي الى رؤية المنعم فتحنا عليهم ابواب كل
شيء من البلاء في صورة النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة
من فتوحات الغيب واشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتصرفاته فشرعوا في الطلب على وفق
هواهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال والاشتغال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون في تيه الغرور الحمد لله على اظهار اللطف لاربابه و
القهر لاصحابه ليعلم ان الكل بقدره كما قال قل ارايتكم الاية الا القوم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبودية المولى في
عبادة الهوى فاما من ابتلى بعذاب الله من الافات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء فتاب ورجع فهو غير هالك على الحقيقة
قل لا اقول لكم لم يقل ليس عندي خزائن الله ليعلم ان خزائن الله وهي العلم بحقايق الاشياء وماهياتها عنده بارادة سنريهم آياتنا في
الافاق وفي انفسهم باستجابة دعائه في قوله ارنا الاشياء كما هي ولكنه نكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اي لا اقول لكم هذا
مع انه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم في قصة ليلة المعراج قطرت في حلقي قطرة علمت ما
كان وما سيكون ولا اقول لكم اني ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبرئيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت
ان اتبع الا ما يوحى الي ان اخبرهم وقل معهم قل هل يستوي الاعمى والبصير فلا يستوي الاعمى كلام البصير فكيف اخبركم عما اعمى الله
بصائركم عنه وانا به بصير   الله حسبي وكفى حسبنا الله نعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير غفرانك ربنا واليك المصير

وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من
وبیم کن بدانچه وحی فرستاده اند بسوی تو که بترسد که برانگیزند ایشان را سوی جزای خداوند شان نیست مر ایشان را از (یعنی قرآن آنان را)
دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين
غیر خدای هیچ یاری و نه هیچ شفاعت گری تا مگر ایشان بپرهیزند از شرک یا از گناه و مران و دور مکن از نزد خویش آن درویشان را
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك
که میخوانند خداوند خود را بامدادان و اواخر روز همی خواهند رضای او نیست بر تو
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
از شمار عمل ایشان هیچ چیزی از تبعه و نیست از شمار عمل تو بر ایشان هیچ چیزی از وبال که برانی ایشان را پس باشی

من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء
از ستمکاران و همچنین ابتلا نمودیم بعضی از ایشان را ببعضی دیگر تا گویند کفار که آیا این طایفه اند
من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك
که انعام کرد خدای بر ایشان از میان ما کرامت ای نیست خدای داناتر بسپاس داران و چون آیند بتو (باسلام یا بسعادت ایمان)
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه
آنانکه بگرویدند بایتهای ما پس بگوی سلام بر شما واجب کرد خداوند شما بر ذات مقدس خود
الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح
بخشایش را که کار آنکه بکند از شما بدی بنادانی پس توبه کند از پس آن گناه و بسامان آورد کار (تباه خود را)
فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الايات ولتستبين
پس بدرستی که او آمرزگار است مهربان و همچنانکه درین صورت تمیز کردیم بیان کنیم آیتها را و تا پیدا آید و روشن شود
سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من
راه گناهکاران بگو بدرستی من باز داشته اند مرا که پرستم آنانکه می پرستید شما از
دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين
غیر خدای یعنی بتان بگو متابعت نمیکنم رایهای باطل شما را بحقیقت گمراه باشم آنگاه و نه باشم من از راه یافتگان
قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به
بگو بدرستی که من بر حجتی هویدا ام از خداوند من یعنی بر دین خودم و بدروغ داشتید آن را نیست نزدیک آنچه شتاب میکنید بآن از عذاب
ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان
نیست داوری و فرمان مگر خدای را قصه میگوید آنچه گفتنی است و اوست بهترین فصل کنندگان حکومات بگو اگر آنکه نزد
عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين
نزدیک من بودی آنچه شتاب میکنید بآمدن عذاب هر آینه گذارده شدی میان من و شما و خدای داناترست بحال ستمکاران
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما
و نزد اوست کلیدهای اسرار پنهانی نداند آن اسرار مگر او و میداند آنچه در خشکی و دریاست و نیفتد
تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب و
هیچ برگی از درخت مگر که داند آن را خدای و نه دانه در تاریکیهای طبقات زمین و نه هیچ تری و
لا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما
نه هیچ خشکی مگر که اندر کتابیست هویدا که آن لوح محفوظست و اوست آنکه قبض روح میکند شما را بشب و میداند آنچه
جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم
کسب کردید بروز پس برانگیزد شما را ... تا گذارده شود ... پس بسوی اوست بازگشت شما پس آگاه کند شما را

تعملون
که میکنید

القراءة

بالغدوة مضمومة الغين ساكنة الدال مفتوحة الواو وكذلك في الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف انه بالفتح فانه بالكسر
ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين بياء الغيبة يزيد وحمزة وعلي وخلف
وعاصم غير حفص المفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب ابو جعفر ونافع وزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وابو جعفر
ونافع وعاصم الباقون يقضي الحق **الوقوف** يتقون وجهه الظالمين من بيننا الشاكرين الرحمة لمن قرا انه بالكسر لا
رحيم المجرمين من دون الله اهواءكم لتعلوا اذا ابتغاء ما قبله اي توصلت اذا ابتعت المهتدين وكذبتم تستعجلون به لله الفاصلين
وبينكم بالظالمين الا هو والبحر مبين سمي لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تعملون **التفسير** لما وصف
الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال وانذر به قال ابن عباس و
الزجاج اي بالقران وهو المذكور ضمنا في قوله ان اتبع الا ما يوحى الي وقال الضحاك اي بالله قيل والاول اولى لان الانذار والتخويف
انما يقع بالقول وفيه نظر لان الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا كقوله وانذرهم يوم الازفة فانذرتكم نارا
تلظى ولو زعم ان المراد وانذرهم النار والعذاب بواسطة القران فلنا ان نقدر مثله ههنا والمعنى انذرهم العذاب بقول ينبئ عن شدة
سخط الله وعقوبته اما الذين يخافون ان يحشروا فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا
بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار فامر ان ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم قال هذا القائل ولا يجوز
حمله على المؤمنين لانهم يعلمون انهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس كافة لعدم الجزم
بالثواب وقبول الطاعة ان كانوا مقرين بحقية الحشر والنشر فالظاهر ان الضمير لهما وللكل لان العاقل لا بد ان يخاف الحشر سواء
كان جازما به او شاكا فيه وايضا انه مامور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون في العمل فينذرهم بما
اوحي اليه لعلهم يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقيل هم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه و
قضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا
اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل
اذا كانت باذن الله تعالى فانها تكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ولا بد من هذه الحال لان الحشر
مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا صلا
لعلهم يتقون قال ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى
والطاعة واجيب بان الترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا اردفه بنهي المتقين وامر بتقريبهم واكرامهم
روي عن ابن مسعود ان الملا من قريش مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء
المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اتريد ان نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وسلم
ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر قال له
لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت و
لا تطرد الاية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا
وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى
ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون
ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس اي يصلون صلوة الصبح والعصر وقيل اي يذكرون ربهم طرفي النهار وقيل المراد بالغداة والعشي
الدوام والغداة لغة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونها
معرفة غير منصرف وفيه كلام ومحل يريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما ارادوا بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله
يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته كما يقال
هذا وجه الراي وذاك وجه الدليل وايضا المحبة يستلزم طلب الرغبة الوجه فلهذا السبب حسن الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا
ثم علل النهي بقوله ما عليك من حسابهم من شيء قيل الضمير عائد الى المشركين اي لا تؤاخذ بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك
ايمانهم ويحملك ذلك الى ان تطرد المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم
الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد لانهم قبلوا دينك ولا رسولك لاجل الماكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر

على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لمعنى
مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب
رزقهم من شيء ولا من حسابك رزقك عليهم من شيء وانما الرازق لك ولهم هو الله سبحانه فدعهم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب
النفي في ما عليك وفي فتكون وجهان **الاولى** انه جواب النهي **والثاني** انه عطف على فتطردهم على وجه السببية لان
كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع الشيء في غير موضعه ومن ههنا طعن بعض الناس
في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم او لفظا هذا معناه والجواب
انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما افرد لهم مجلسا ثانيا لتألف قلوب المشركين وتكثير سواد الاسلام
مع علمه انه لا يفوت الفقراء بهذه المصالحة امر مهم في الدنيا ولا في الدين فغايته ذلك انه يكون من باب ترك الاولى والافضل
وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين وهم الكفار يرى الاخر متقدما عليه في المناصب الدنيوية
فيقول اهؤلاء المسترذلون من الله عليهم من بيننا كقوله اانزل عليه الذكر من بيننا والفريق الاخر يرى الاول سابقا عليه في الخيرات
العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول هذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون الذين يعلمون ان كل ما فعله الله
فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الاصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا يجتمع في انسان واحد البتة
بل هي موزعة على الخلائق كلها محجوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما آتاه الله تعالى من صفة الكمال ومن عرف سر القدر
رضي بنصيب نفسه وسكت عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والاخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار و
الامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا و
قالت الاشاعرة في الاية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لان تلك الفتنة التي القاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض
عليه كفر فهو تعالى خالق للكفر وايضا من الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد كان
العبد هو المان على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل امرهم الى ان قالوا فيكون اللام لام العاقبة
وزيف بانه عدول عن الظاهر مع ان اسناد الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يعرف
كل ما انعم به عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر اضلاله على حسب معلوم الله تعالى وقال في الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر
فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله
نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان اذا راهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابداهم بالسلام
وقال   ان الحنفي اتى قوم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف
فما اخاله رد عليهم شيئا فلما ذهبوا وتولوا نزلت الاية وقال في التفسير الكبير الاقرب ان تحمل الاية على عمومها فكل من آمن بايات الله
تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم ابدى اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة
واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من آي هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في
ان تنزل السورة دفعة وينزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقائق التنزيل واعلم بدقائق التاويل
لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب مزاولة الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله تعالى وانها لا تكاد تنحصر
فيجب على المكلف ان يكون مدة حياته كالسائح في تلك القفار ليكون دائما مترقيا في معارجها مترقبا ان يعرض عليه الانوار من ملك جبار
فيستعد لبشارة سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج
سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بان يسلم من الافات في نفسه ودينه واما ان يكون
جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يتاتى في المعرف لا في المنكر كتب ربكم من جملة المقول
لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه الرحمة اوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت
المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظلما وايجاب الرحمة ينافي القول بانه منع الكافر
من الايمان ثم امره حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ذلك الايمان واجيب بانه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرا بالفتح
فعلى الابدال من الرحمة ومن قراه بالكسر فعلى الاستيناف فكان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم سوءا بجهالة وهو في موضع
الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه لا من اهل

بلغ تصحيح

الحكمة والندم بما فاته جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده بان يندم على ما فعله واصلح
العمل في المستقبل فانه غفور رحيم يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب اليه من قرا بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قراه بالفتح فعلى
ان الخبر والمبتدا محذوف اي فعفرانه كاين او فامره انه غفور قيل ان الاية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم
انها مفسدة وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلايلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر نفصل الايات ونميزها لك في تقرير
كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق ولتستبين او متعلق بمحذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين
فصلنا ذلك التفصيل البين من رفع السبيل قرا لتستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قراه لتستبين
بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته واستبانة سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين
فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون
اصناف يشتبه امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى منهم قبول الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده
فينبغي ان يستوضح سبيلهم ليعامل كل منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهي عن عبادة معبوديهم وذلك قوله اني نهيت اي صرفت بالدلايل
العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لان عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد
وعين الهوى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اثبت الضلال اذ ذاك ونفى الهدى مع انهما متلازمان للتقرير والتاكيد وفيه
تعريض بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندي بدليل
وقيل اي على حجة من جهة ربي وهي القران وكذبتم اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل القران او البيان ما عندي ما تستعجلون
به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن
الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ايتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقالت
الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع منه فعل الكفر الا اذا اراده الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضي
الحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يقال
ان جميع احكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي القضاء الحق او
مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله ومن قرا يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص
اي يقول الحق ويتبعه من قص اثره وهو خير الفاصلين اي القاضين وانما كتب يقض في المصاحف بغير ياء لانها سقطت في اللفظ
لالتقاء الساكنين وليوافق قراءة يقص قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر امر الاهلاك
بيني وبينكم عاجلا غضبا لربي والله اعلم بالظالمين فيؤخر عقابهم الى وقته وانا لا اعلم من يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره
فان قلت اما يناقض هذا قوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافي الحرص على الايمان لان من حرص
على ايمان احد حرص على طول حياته طمعا في ايمانه قلت لا بل يؤكده لاشتراك كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للبشرية في قوله
وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه اعلميته بقوله على سبيل الاستعارة وعنده مفاتح الغيب اراد انه المتوصل الى المغيبات وحده
كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح او جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
قال الحكيم في بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة
او بوسايط فعلمه بذاته يوجب العلم بجميع آثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت او جزئيات وعلمه بذاته لا يحصل الا لذاته
فصح ان يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب آخر لكانت مفاتح
الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا الحصر ولا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما
دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية عقلية مجردة
والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقران انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة
الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لها تعين لحد العقل فقال ويعلم ما في البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة
عظمة ذلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن
والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيها من العجايب والغرايب ايضا ثم اورد من هذه المحسوسات قسما
فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا تتغير حال ورقة الا وهو يعلمها ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدركات الى التعجيب من

صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب لانه اذا
كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة
بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل
في حكمها كانه قيل وما يسقط شيء من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها
ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل ثناؤه اثبت كيفية المعلومات
في كتاب من قبل ان يخلق الخلق ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه شيء فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة
الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له ولانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب
على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب او الجهل فيصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع
تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفيكم اي يتوفى انفسكم التي بها
يقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الحساسة تغور حالة النوم من الظاهر الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال
واما عند الموت فيصير جملة البدن معطلة من كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت فصح اطلاق لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه
ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثم يبعثكم فيه اي يرد اليكم ارواحكم بالنهار
ليقضى اجل مسمى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت ثم لما ذكر انه يميتهم ولا يتركهم فيظهر
ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الامانة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيمة ثم الى ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الاية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم
بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار يتقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب فيه بل
على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم
يبعثكم في النهار الآتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل
عن التفسير الى ان قال وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف والانسداح
الانبطاح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي قطعتم به
اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فتقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل
الذي سماه والضرب لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب والاصوب عندي ان
يقال الخطاب عام وكذا الكسب في النهار ينبغي ان لا يقيد بالآثام اما الضمير في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب
والبعث هو البعث من القبور الى آخرها قال والله اعلم التاويل اي بهذه الحقايق والمعاني الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا
الى ربهم بجذبات العناية ويتحقق لهم ان ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يعني من الانبياء لان الوصول
لا يمكن الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلساؤه بالغدوة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم
عن مجالستك فانهم يطلبوني في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهه وكل له سؤل ودين ومذهب وسؤلكم
سؤلي وديني رضاكم قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب بسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب
الارادة لا يهدا ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شيء يعني الذي لنا
معك في الحساب من المواصلة والوحيد في الخلوة فانهم ليسوا في شيء ذلك ليكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شيء اي الذي
لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة لتثقل عليهم فتطردهم فيكسر قلوبهم بالطرد فتكون من
الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليشكر الفاضل وليصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كليهما نعم العبد مع قدرة سليمان
على اسباب الطاعة وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤية فضله على المفضول او تحقيره ومنع حقه عند
فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه في منع من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله وفيهما ان
لا يرى الفاضل مستحقا للفضل فيقول اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء
اجلهم محل الاكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم كن مبتديا بالسلام عليهم وفي الاخرة قال لهم الملائكة ان يسلموا

عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته سلام قولا من رب رحيم ولك ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة الخلقة باصابة رش النور
في الازل ولهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة العامة كما في الحديث الرباني الجنة
انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عمل منكم اي من المومنين سوء بجهالة اي بجهالة الجهولية التي جبل الانسان عليها لا بجهالة
الضلالة التي هي نتيجة اخطاء النور فانه لا توبة لها ثم تاب من بعده اي رجع الى الله بقدم السير من بعد افساد استعداد الفطرة
واصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني نهيت في الازل باصابة النور والمرشش ما عندي ما تستعجلون به من عبادة الهوى
تقضي الامر بيني اي القتال والخصومات ولاسترحت من اذيكم لان الشيء انما ينفعل عن ضده لا شبهه وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم العقلية
التي هي سبب فتح باب صور عالم الشهادة كالنقاش يثبت الصور في ذهنه ثم يصورها في الخارج وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب
عالم التكوين وهو واحد في جميع الاشياء وفي الملكوت كثرة ويعلم التكوين يعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب وبهذا
العلم ما يسقط من ورقة من شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها ومسقطها ولا حبة في حبة الروح في ظلمات صفات ارض النفس او حبة
المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب الموجود في الحال واليابس ما سيصير موجودا وما قد صار او الرطب الروحانيات
واليابس الجمادات والرطب المومن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل والرطب العارف واليابس الزاهد والرطب اهل
المحبة واليابس اهل السلوك او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنفسه وهو
الذي يتوفيكم بالليل ليل الفنا ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار البقا او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة

وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء
احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا
الى الله موليهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من
ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه
لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم
انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او
من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر
كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون
واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث

غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع
القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن
ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل
نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان
تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما
كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا
بعد اذ هدينا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض
حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو
الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة
واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ
في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير

القراءة نوفيه واستهوته بما لنحمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس
الباقون بالتشديد وخفية بالكسر حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالضم انجانا بما لنحمزة وعلي وخلف انجانا بدون
الامالة عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد حمزة وعلي وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض
انظر واشباه ذلك بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكوان
ينسينك بالتشديد ابن عامر **الوقوف** حفظة ° لا يفرطون ° الحق ° الحاسبين ° وخفية ° لاحتمال الاضمار
اي يقولون لئن انجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه اي الشاكرين ° تشركون ° بأس بعض ° يفقهون ° وهو الحق ° بوكيل
مستقر للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى يعلمون غيره ° الظالمين ° يتقون ° ولا تشفيع للشرط مع العطف
منها كسبوا لانقطاع النظم مع اتصال المعنى ولاحتمال ان يكون الذين صفة اولئك وقوله لهم شراب حمر الهدى ائتنا
الهدى ° العالمين ° لان التقدير وامرنا ان اقيموا واتقوه يحشرون ° بالحق ° فيكون ° في الصور ° والشهادة ° الخبير °
التفسير من الدلايل الدالة على كمال قدرته وحكمته وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة
والتسخير كما يقال امر فلان فوق امر فلان اي انه علي وانفذ منه ولا ريب ان الممكنات باسرها تحت تصريف الواجب
ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كن او سفليات ذوات او
صفات نفوسها او ابدانا اخلاطا او اركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده لضبط اعمالهم من
الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على اقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم
لقوله يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب كالجهل والعلم وليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس
ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة
قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله ان يتوب عنها فان لم يتب كتب عليها قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة
ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة كان
ذلك زجرا له عن القبائح ومنها ان توزن تلك الصحائف يوم القيامة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد
على المكلف ان يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة
النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبايعها المتضادة على امتزاجها وقال بعض القدماء منهم النفوس
البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكا
والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي لها كالاب
المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات اخرى
فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى بالطباع
التام لان تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق تامة كلها وهذه الارواح السفلية المتولدة منها اضعف منها
لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس
المفارقة تميل الى ما يناسبها ويساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فيحفظها وتعينها حتى
اذا جاء احدكم الموت اي وقته او امارته توفته رسلنا اي باذننا وتوفيتنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى
لما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل اتباع ملك الموت في قوله قل يتوفيكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم
ام غيرهم فيه قولان اشهرهما الثاني ليكون ملائكة الروح والريحان وهم الروحانيون غير ملائكة الكرب والاحزان
وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف
عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي الى
حكمه وجزائه موليهم الحق صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت اولئك الملائكة او الى البشر اي
انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب
فاذا ماتوا تخلصوا الى تصرف مولى الحق وفيه اشعار بان الانسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان الهيكل يبقى ميتا و
الانسان مردود اليه تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد

الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح بجذبة ارجعي الى ربك الا له الحكم كقوله ان الحكم الا لله وهو اسرع الحاسبين حسابا قيل
تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملك باذن الله تعالى
لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات
والهيات على النفس في ان قطع التعلق قليلة كانت او كثيرة حميدة او ذميمة وبعد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو اغلب وبحسب
ذلك يكون الثواب او ضده وذلك انه لا يحصل للانسان لحظة ولا لمحة ولا حركة ولا سكون الا ويظهر منه في جوهر نفسه
اثر من آثار السعادة او ضدها قل او كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائي ههنا لو كان كلامه قديما لوجب ان يكون متكلما
بالمحاسبة الآن وقيل خلقه وذلك محال لان المحاسبة يقتضي حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد
وبعد وجوده صار عالما بانه وجد وهو لا يلزم منه تغير العلم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
مجازا عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كانه اظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات
بالحقيقة وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه في موضع الحال تضرعا وخفية مفعول
لاجلهما او تمييزا ومصدر خاص والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدائد يأتي بامور **احدها** الدعاء **الثاني** التضرع
الثالث الاخلاص بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية **ورابعها** التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا من هذه الظلمة والشدة لنكونن
من الشاكرين فبين الله سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه وجب
ان يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم
ان ذلك الانسان يقدم على الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان والخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا
الخوف اخلصوا واذا انتقلوا الى الامن والفراغة اشركوا ثم ذكر نوعا آخر من دلايل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال
هو القادر واللام للعهد او للجنس فيفيد انه هو الذي عرفتموه قادرا او هو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من
فوقكم كالمطر او الحجارة مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون
وقيل من قبل اكابركم وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا
هي جمع شيعة اي يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان يوقع القتال بينهم
فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة
في قوله او يلبسكم شيعا دلالة على ان الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس
بعض اشارة الى ان المعاصي وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على انه تعالى قادر على
القبيح والنزاع في انه هل يفعل ذلك ام لا واجيب بان الآية دلت على ان القدرة على هذه الامور مختص به وهذه الامور
واقعة فيكون هو فاعلها بالضرورة انظر كيف نصرف الآيات نقررها بالدلايل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل والتقدير
انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به اي بالعذاب المذكور في
الآية السابقة قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم وقيل اي بالقرآن وهو الحق لانه كتاب
منزل من عند الله وقيل اي بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل اي محافظ حتى
اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلايل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبره الله تعالى مستقر استقرار او موضع
استقرار والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمقصود ان لعذاب الله تعالى او الاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل
والاسر والقهر وقتا ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك
المكذبين ان ضموا الى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال فاذا رأيت
ايها السامع الذين يخوضون في آياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللغو والعبث وقريب منه قول
المفسرين انه في الآية الشروع في آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم
بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان غير القيام عن مجلسهم
فانه يحسن المصير اليه هنا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة ثم كل ما وجب على المسلمين

صلى الله عليه وسلم فعله وجب عليه سواء ظهر اثر الخوف او لم يظهر والا لزم الاعتماد على التكاليف التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانه مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على ان تكليف ما لا يطاق لا يقع ويدل على ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت الرخصة ان تقعدوا معهم وتذكروهم وتفهموهم بقوله وما على الذين يتقون اي الشرك والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليه من شيء ولكن ذكرى اي ولكن يذكرونهم تذكيرا ولكن عليهم ان يذكروهم او ولكن الذي تامرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم ووصفهم بوصفين **الاول** انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وفيه وجوه اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او اتخذوا ما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او اتخذوا ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر والسوائب والمراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرع الله تعالى قاله ابن عباس وهو اشارة الى من جعل من الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه **الوصف الثاني** وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر به اي بالقرآن او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد اي تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء فعلها واصل البسل المنع والمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس في جهنم وعن ابن عباس تفضح ليس لها اي للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفادي يعدل المفدى بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله فلا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الاخذ بالقبول كما في قوله ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق اولئك المتخذون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين ما بهم صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام قل اندعوا من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا اي لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اذ نرجع الى الشرك بعد اذ انقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام فان الردة عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اي انكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اي سقوطه من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد في الامر بحيث لا يهتدي الى مخرج منه ومنه تحيرت الروضة بالماء اذا امتلات فتردد فيها الماء له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى اي الى ان يهديه الطريق المستوي فيكون مصدرا او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا او الدعاء في معنى هذا القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان وتستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمة تابعا للجن غير ملتفت اليهم وقيل ان لذلك الكافر اصحابا يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروي ان الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه كان يدعو اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله هو الهدى وهو الاسلام هو الذي يجب ان يسمى هدى وما وراءه غي وضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تاويل ليستقيم العطف فالتح

وامرنا بالنسك ولان نقيم او وامرنا ان اسلموا وان اقيموا وقيل والسر في العدول عن الظاهر ان المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الآية ان متعلق الامر اما ان يكون من باب الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح ورئيس اعمال القلوب الايمان بالله والاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما يظهر في يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قائما او ملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك انه اودع في هذه الاجرام قوى وخواص وآثارا تتضمن مصالح الايمان ومناجح نوع الانسان وهكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق والمعنى انه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبايع والعناصر والمواليد وخلق يوم القيامة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز ان يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا استئنافا او قوله الحق مبتدأ ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال اي القتال واقع يوم الجمعة والمراد ان قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعيب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود انه لا ملك في ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن ونفخ في الصور فصعق من في السماء ففزع فاذا نقر في الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطأه الائمة قالوا لو كان جمعا على لفظ الواحد فهو احد من زيادة هاء فيه كالصوف اما اذا استوى الواحد والجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فاحسن صوركم ومن اسكن فقد اخطأ ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعالى لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم انشأناه خلقا آخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اي هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وهو الحكيم المصيب في افعاله وانما له الخبير النافذ علمه في بواطن الحقائق من غير اشتباه والتباس فان امر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق **التاويل** وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء قهرا وبوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو ارادت نفسه الخروج عن قيد مجاهداتها قهرها سطوات العتاب فردتها الى بذل الجهد وان اراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة الى توديع البهجة ولو اراد روحه استرواحا من الحرقات قهرته بوادة التجلي فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون في افناء الاوصاف ثم ردوا الى الله الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب آفة وفتنة ثم انتم تشركون حتى يتجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما اعظم شاني عذابا من فوقكم يسدل حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم او من تحت ارجلكم حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هم الصديقون ومن قائل هم الزنادقة ويذيق بعضكم باس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف آيات المعارف للسائرين الى الله لعلهم يفقهون بزيادات السير ولا يقفون في مقام دون الفناء عن كلية الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لا سلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبأ مستقر اي لكل سائر وواقف مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رأيت الذين يخوضون في احوال الرجال ولا حظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غير تلك الطامات التي هي ريح في شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لان همهم في الخرقة والتزيي بزي الطالبين انما هو الدنيا وقبول الخلق ان تبسل نفس اي كراهة ان يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعوا من دون الله انطلب غير الله الذي هو النافع الضار والنفع الحقيقي هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقي هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام الاثنينية التي كنا فيها بعد اذ هدانا الله الى الوحدة كالذي اضلته شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى حيران من اغوائهم وامرنا لنسلم بترك الوجود كالكرة في ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة لمحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء به عن غيره ليحشر اليه لا الى الجنة او النار كما قال الا من طلبني وجدني وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي

اي الاظهار صفاته فجعل المخلوقات مراة لجماله وجلاله واذا اراد ان يري عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون
ولن تصريا تبجد سعيه لان قوله في حق الانسان كن رائيا هو الحق وفي ملك الارادة وملك الرؤية بنفخ الارادة في صور القلب هو
الحكيم فيما اختص الانسان بارادة الايات الخبير بمن يخصه من بين الناس بالارادة والله تعالى اعلم واحكم

واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما الهة اني اريك و

و ياد كن چون ابراهيم مر پدر خود را آزر نام اي همي گيري بتان را خدايان بدرستي كه مي بينيم ترا و

قومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت

گروه ترا در گمراهي هويدا هويدا وهمچنان نموديم ابراهيم را پادشاهي

السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل

آسمانها وزمين وتا باشد از ارباب يقين كرديم آنچه كرديم پس چون بر ابراهيم شب در آمد

راكوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين

ديد ستاره را گويند زهره يا مشتري گفت اين پروردگار منست پس چون فرو شد آن ستاره گفت دوست نميدارم غايب شوندگان را

فلما راي القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني

پس چون ديد ماه را بر آينده گفت اين پروردگار منست پس چون فرو شد گفت هر آينه اگر راه ننمايد مرا

ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راي الشمس بازغة

پروردگار من هر آينه باشم از گروه گمراهان پس چون ديد آفتاب را بر آينده

قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما

گفت اين پروردگار منست اين بزرگتر است از كواكب و قمر پس چون فرو رفت گفت اي گروه من بدرستي كه من بيزارم از آنچه

تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات

انباز ميگيريد بدرستي كه من خالص گردانيده ام عبادت خود را و دين خود را مر آنرا كه بيافريد آسمانها را

والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال

و زمين را حال آنكه مايلم از ملتهاي باطل و نه ام من از انباز گيران وخصومت كردند و حجت گفتند گروه او در توحيد و نفي شرك گفت

اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء

اي خصومت ميكنيد مرا در يگانگي وبحقيقت راه نمود مرا بتوحيد ايمان و نمي ترسم از آنچه انباز ميگيريد شما بدان مگر كه خواهد خداوند

ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون

من چيزي از گزند بشما و شامل است پروردگار من همه چيزي را بدانش اي پس پند نميگيريد

وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله

و چگونه ترسم من از آنچه انباز گرفته آيد و نمي ترسيد شما كه شما انباز گرفتيد بخداي

ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان

آنچه فرو نفرستاد خداي باثبات آن بر شما هيچ حجتي پس كدام يك باشد از دو گروه موحد و مشرك سزاوارتر بايمني از عذاب

كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك

اگر هستيد كه ميدانيد آنانكه ايمان آوردند بخداي و نياميختند ايمان ايشان را بشرك بحقيقي ايشانند كه

لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم

ايشان راست ايمني وايشان راه يافتگانند وآن استدلالهاي حجتهاي ماست ابراهيم را داديم ما آنرا بابراهيم

علي قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم

بر گروه او بلند ميكنيم درجهاي آنرا كه ميخواهيم بدرستي كه پروردگار تو دانا

القراءة اني اراك بفتح اليا ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم علي النداء يعقوب راي كوكبا بامالة الهمزة
ابو عمرو وغير عباس والبخاري عن ورش وكذلك راه وراك وقرا حمزة وعلي وخلف ويحيي وعباس وهبيرة من طريق الحماني بكسر
الراء والهمزة ووافق ابن ذكوان في راي نفط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف والهاء في سورة النجم ووافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة
وكسر الراء في سورة اقرا باسم وراي الشمس ونحوهما بكسر الراي وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصير ويحيي وعباس والحماني وراي خلف
عن يحيي بكسر الراي والهمزة اتحاجوني بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب في نون الوقاية وقد
هدان بالامالة علي وقرا سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الحالين ووافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل درجات
من بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف الهة لا للابتداء بان مع اتحاد القول مبين ه الموقنين ه راي كوكبا ه
لان جواب لما قوله راي مع اتحاد الكلام بلا عطف ربي لا جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الافلين ه منا ربي ه لذلك
الضالين هذا اكبر ه لذلك يشركون ه المشركين لاحتمال الواو والحال اي وقد حاجه قومه هدان لانتفاء الاستفهام شيئا
علما تتذكرون ه سلطانا لا استفهام بعد تمام الاستفهام بالامن لان جواب ان منتظر محذوف التقدير ان كنتم تعلمون فاجيبوا
مع اتحاد الكلام تعلمون لتناهي الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله مهتدون ط علي قومه من نشاء عليم ط التفسير
انه سبحانه كثيرا ما يحتج علي المشركين مشركي العرب باحوال ابرهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعرف بالفضل والتقدم عند جميع
الطوايف والملل وذلك انه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر
الاية يدل علي ان اسم والد ابرهيم هو آزر ومنهم من اسمه تارخ وقال الزجاج لا خلاف بين النسابين ان اسمه تارخ فمن الملحدين من طعن
في هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابة لا عبرة به لان ذلك ينتهي الي قول الواحد والاثنين مثل وهب
وكعب او غيرهما سلمنا ان اسمه كان تارخ لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والاخر اسما اصليا او يكون آزر صفة
مخصوصة في لغتهم كالمخطي او المخذول وقيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن
علي الفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم ويجوز ان يتنبز به للزومه عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل
اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقال الشاعر شعر ادعي باسماء نبزا في قبايلها كان اسماء
اضحت اسمائي او اراد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابرهيم كان تارخ وكان آزر
عما له والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق ومعلوم ان اسمعيل
كان عما ليعقوب ومما يدل علي صحة ظاهر الاية ان اليهود والنصاري والمشركين كانوا حراصا مستهالكين علي تكذيب
الرسول صلي الله عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا
ان النسب صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان احدا من اباء الرسول صلي الله عليه وسلم ما كان كافرا وفسروا قوله و
تقلبك في الساجدين بانه نقله من ساجد الي ساجد واكدوه بما روي انه صلي الله عليه وسلم قال لم ازل انقل من اصلاب
الطاهرين الي ارحام الطاهرات وان آزر كان عم ابرهيم وما كان والدا له لان ابرهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله
اني اراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرا
آزر بالضم والنداء بالاسم من دليل الاستخفاف ولهذا لم يقرا بالضم في قوله وقال موسي لاخيه هرون اخلفني و

اجيب بان قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها اخر سوف يجي ذكرها وبان قوله لم ازل انقل محمول على انه لم يقع في نسبه
ما كان سفاحا والتغليظ من ابرهيم انما كان لاجل اصرار ابيه على الكفر كما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه لا لاجل السفه
والجفاء لقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب ثم ان ابرهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام لقوله منكرا على آزر وقومه اتتخذ اصناما
الهة اي معبودين وذلك ان الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك
على عجزها وان كثرت احتج بعضهم بالآية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى ان وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع
لان ابرهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال واجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين عليه و
كذلك اي مثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نريه ملكوت السموات والارض والنكتة فيه ان التخلي عن غير الله
يوجب رفع الحجاب وبقدر ذلك يكون حصول التجلي بالله وانما لم يقل اريناه بلفظ الماضي لانه اراد الحكاية كانه قيل كيف بلغ
ابرهيم هذا المبلغ في قوة الدين والذب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت من وقت طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين زمان
بلوغه او المقصود بيان ارتقائه في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت
متناهية في الذات وفي الصفات الا ان جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله
غير متناهية ومعلوماته في كل تلك المعلومات ايضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل
ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل وكل تلك الاحوال التقديرية معلوم الله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على
حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية
واما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة
قال بعضهم انه سبحانه اراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى راى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له
الارض الى ما تحت الثرى حتى راى ما فيهما من البدايع والعجايب عن ابن عباس انه لما اسري بابرهيم الى السماء واري ما فيها
وما في الارض من العجايب راى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادي فهم بين
خلال ثلث اما ان اجعل منهم ذرية طيبة او يتوبون فاغفر لهم او النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت
بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت
ضايعا وايضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدل بتغير الاجرام و
امكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالاخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه
وايضا الاراءة بالعين تفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في
الآخرة وايضا لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء
وبتقدير البقاء يكون شاغلة للرائي عن الله اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن محتاج
الى الصانع الحق الواجب فكانه بهاتين المقدمتين قد طالع صحف الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج
والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زايلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة
لجميع الموحدين لقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من
مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واصنافها واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا يحصل الا لاكابر الانبياء و
لهذا قال صلى الله عليه وسلم في دعايه اللهم ارني الاشياء كما هي ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج
شبهة فيه فاذا كثرت الدلايل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تاثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد
ويزداد النفس بكل منها نورية واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث ابيح
لها من الارتقاء والتصاعد بعد ذلك فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابرهيم وقوله وكذلك
نري جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل واجنه الليل والتركيب يدل على الستر ومنه
الجنة والجن والجنون والجنين وقيل جن عليه الليل اي اظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من غير
تضمين معنى اظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان راى رؤيا فعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه
في ملكه فامر بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابرهيم عليه السلام وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف

في جبل ووضعت ابرهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام فوضع اصبعه في فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده
جبريل عليه السلام وكانت الام تاتيه احيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسال الام فقال لها من ربي
فقالت انا فقال ومن ربك فقالت ابوك فقال لابيه من ربك فقال ملك البلد فعرف ابرهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك
الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فراى النجم الذي كان اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى آخر القصة ثم منهم
من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه
منها ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز من الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابرهيم كان قد عرف ربه قبل هذه
الواقعة لان الله تعالى اخبر عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات
وفي هذا الموضع اباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة
كانت بعد ان اراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها انه تعالى وصفه بقوله اذ جاء
ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل اي من اول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة
وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون مع انه ما كان في
الغار قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد ان خالط قومه ورآهم
يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا احب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده قوله وكيف اخاف
ما اشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومنها ان
تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل اولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وساير
الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم والحامهم والابتداء بافول الكوكب لانه اتفقت
مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى ان طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا
كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله ان تقول في مناظرة من يزعم قدم الجسم الجسم قديم فاذا كان
كذلك فلم نشاهده ونراه مركبا متغيرا فقولك الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لا لزام الحجة عليه او المراد هذا ربي في زعمكم
واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي وقال
ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك وكان صلى الله عليه وسلم يا آل الالهة في زعمهم او المراد منه الاستفهام على سبيل
الانكار الا انه اسقط حرف الاستفهام لدلالة الكلام او اضمار القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ
يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء او انه عليه السلام قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد
طباعهم عن قبول الدلايل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا
لهم مع ان ابرهيم كان مطمينا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة الماجور بها طريقا سوى
ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص واحد لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلان يجوز ذكرها
لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدي كان اولى قالت العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق
الاجر اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلوة
والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة فراى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب
عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم
النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابراهيم على هذا الطريق في الظاهر مع انه كان بريا عنه في الباطن ليتوصل بذلك
الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح من الله تعالى اظهار خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله
يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها على من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يروج حينئذ فكذا ههنا قوله
هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلايل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج لهم لقبول الدليل فكان جايزا الثاني
انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فراى النجم فقال هذا
ربي فلما افل قال لا احب الآفلين ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر فقال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون

واعلم ان القصة التي ذكرناها من ان ابرهيم عليه السلام ولد في الغار وتركته امه وكان جبرئيل يربيه محتمله في الجملة لان الارهاص
وهو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز عندنا ولم يجوزه القاضي الا اذا احضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك
الخوارق معجزة لذلك الرسول قال في الكشاف فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال
قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وانا اقول الاحتجاج بالبزوغ في الاية لا يصح لانه تعالى بين انه نظر
الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس دليله انه لم يقل راى
القمر بزغ بل قال بازغا ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول
الامكان فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط
فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول
الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما
في الباب ان يقال ان لها تاثيرات في احوال العالم السفلي ولكن تلك التاثيرات لما لم يكن لها لذاتها لزم استناد الكل
الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم النيرات فيجب ان يكون قادرا على خلق البشر
وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى بل غاية ما في الباب ان تكون آفلا وانه لا يصح عليه المجي والذهاب والتحول والصعود ولا الصفات
المحدثة وفيه ان معارف الالهية الانبيا استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا النظر و
الاستدلال اما قوله فلما راى القمر بازغا يقال بزغ القمر والشمس اذا ابتدا بالطلوع واصل البزغ الشق كانه يشق بنوره
الظلمة شقا قاله الازهري وفي قوله لئن لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة
حملوها على التمكين وازاحة الاعذار ونصب الدلائل وزيف بان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك
لا بد ان يكون ذلك زائدا عليهما فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي اراد هذا الطالع او هذا المرئي او ذكر بنا ويل
ضياء النور باعتبار الخبر وهو الرب مع رعاية الادب وهو ترك التانيث عند اللفظ الدال على الربوبية كما لم يقولوا
في صفة الله علامة وان كانت بنا مبالغة هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما ونورا وقد برهن في الهيئة على انها مائة و
ستة وستون مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس اولا مع انه يلزم منه عدم ربوبية ما دونها من القمر
والكوكب لانه اراد الاخذ من الادون الى الاعلى لمزيد النفي بعد النصوص يا قوم اني بري مما تشركون قيل لا يلزم من نفي
ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب ان القوم لم يثبتوا غيرها الا في الصور المذكورة فلما اثبت انها ليست اربابا ثبت
بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي وجهت عبادتي لاجله فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره
فانه يتوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق والورد
اذا ظهرت هنا والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في صلوته ثم ان قومه
حاجوه متمسكين بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا آباءنا على امة وكقولهم للرسول صلى الله عليه وسلم اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشي عجاب ومخوفين اياه بالاصنام اخرى فاجابهم بقوله اتحاجوني في الله وقد هداني اي لما ثبت بالدليل الموجب
للهداية صحة قولي فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على
النفع والضر الا ان يشاء الا وقت مشية ربي شيئا يخاف فحذف المضاف اي الا ان اذنبت فيشاء انزال العقوبة او لا
ان يريد ابتلائي بمحنة او الا ان يمكن بعض تلك الاصنام من ضرري مثل ان يرجمني بكوكب او كان قد اودع فيها طلسم
فيصيبني مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شي من المكاره في الايام المستقبلة لم
يحمله الحمقى والجهلة على قدرة الاصنام وسع ربي كل شي علما افلا يفعل الا الخير والصلاح افلا تتذكرون ان نفي الانداد
عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان الصحيح لا يساوي الفاسد والعاجز لا يساوي
القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا اذ لا سلطان
فيه نزل وقيل انه لا يمتنع عقلا ان يؤمن باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه لم يؤمن به والمعنى
ما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ثم قال فاي الفريقين يعني فريقي المشركين
او الموحدين ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم اجتنابا عن تزكية نفسه والغرض اي احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم

استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الاية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون بكمال القوة النظرية
وسنامه الايمان وبكمال القوة العملية وهو وضع الاشياء في مواضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم
بظلم قالت الاشاعرة شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا في الايمان لم يكن لهذا التقييد
فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط في حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل
الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا واجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه
مع الايمان بالصانع ممكن وحينئذ يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا في المعبودية
ويؤيده ان القصة وردت في نفي الاضداد والانداد وايضا لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدي
واعلم ان المحاجة في الله تارة يكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابرهيم وتارة يكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير
الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابرهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى هنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا آتيناها
ارشدناه اليها وفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرا بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرا بالتنوين فيكون
كقوله ورفع بعضهم درجات وقد مر في البقرة واختلف في تلك الدرجات فقيل اعماله في الاخرة وقيل تلك الحجج درجات
رفيعة لانها تقتضي ارتقاء الروح من حضيض العالم الجسماني الى اعلى العالم الروحاني وقيل نرفع من نشاء في الدنيا بالنبوة والحكمة
وفي الاخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم يرفع الدرجات بمقتضى الحكمة
والعلم لا بموجب التشهي والجزاف والله اعلم **التاويل** راى ابرهيم ملكوت الاشياء اي بواطنها ليكون من
الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع في آزر وقومه فلما جن عليه ظلمة ليلة البشرية اصطحاب
العناية غيث والهداية على قلبه فانبت بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فراى نور الرشد في صورة الكوكب طالعا من
افق سماء روحانيته فقال هذا ربي انا دره بشره الكوكب لا الكوكب وان لم يشعر به نفسه كما قيل هوى فؤادي ولم يعلم
به بدني فالجسم في غربة والروح في وطني فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب هذا ربي ما كذب الفؤاد ما راى فلما احتجب
كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخلقة عند رجوعه الى اوصافه ووافقه كوكب السماء بالغروب قال لا احب الافلين
فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية فرآه القمر قال هذا ربي فلما افل عند رجوعه
الى اوصافه ازداد الشوق قال لئن لم يهدني ربي برفع حجب الاوصاف وسقيني على وجود الخليقة لاكونن من القوم الضالين
عن الحق كآزر وقومه فلما انخرق حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال
هذا ربي فلما افلت شمس الهداية تعززا وتعظما ليتربى ابرهيم عليه السلام عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب
ليست تغرب تبرا عن الاضداد والانداد ونزعته همة الخلة عن الجهات وتخلصه تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال
يا قوم اني بري مما تشركون وقد يرد في الخلدان ابرهيم صلوات الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر اولا في عالم الاجسام فوجدها
آفلة في افق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها آفلة في افق الاستكمال فكان حكمها حكم
ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها آفلة في افق الامكان فلم يتولّ الا الواجب الوجود ومن الناس من حمل الكوكب
على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المدركة الثلاثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم
قاهر مستول عليها وحاجه قومه ليستنزلوا اسقوه شبههم على شموس عرفانه وقد هداني اليه بالعيان بعد تولي البرهان الا ان يشاء ربي
شيئا من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربي كل شي علما افلا علم باهل العرفان وباصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم تبرك
الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبرئيل اما اليك فلا وتلك يعني رؤية الملكوت وشواهد الربوبية في مرآة الكواكب وصدق
التوجه الى الحق والتبري عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقي بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات
آتيناها ابرهيم بلا واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبي وكفى

ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا

من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى و

از پیش ابراهیم و از فرزندان نوح یا ابراهیم راه نمودیم داوود و سلیمان را و ایوب را و یوسف و موسی ابن عمران و

هرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى

هارون را و همچنین جزا دهیم نیکوکاران را و زکریا را و یحیی پسرش و عیسی پسر مریم

والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا و

و الیاس را هریک ازین انبیا بودند از نیکان و هدایت دادیم اسمعیل را و یسع را و یونس بن متی را و لوط را

كلا فضلنا على العالمين ومن اباىهم وذرياتهم واخوانهم و

و هریک از ایشان را تفضیل نهادیم بر اهل زمانه خود و فضل دادیم بعضی از پدران ایشان را و فرزندان ایشان را و برادران ایشان را و

اجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله

و برگزیدیم ایشان را و راه نمودیم ایشان را سوی راه راست که اسلام است آن توحید است دین خدای

يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا

راه نماید بدان آنرا که خواهد از بندگان خود و اگر شرک آوردندی آن انبیا هرآینه ضایع شدی از ایشان ثواب

يعملون اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر

آن اعمال خیر که میکردند آن انبیا ایشانند آنانکه دادیم ایشان را جنس کتب سماوی و حکمت و پیغمبری پس اگر کافر شوند بان

بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك

با نبوت تو اهل مکه پس بحقیقت برگماشتیم بتصدیق آن گروهی را اهل مدینه اند نیستند کافران آن انبیا

الذين هدى الله فبهديهم اقتده قل لا اسئلكم

آنانند که راه نمود شان خدای پس راه راست ایشان در اصول اقتدا کن یا محمد بگو نمیخواهم از شما

عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين

برین تبلیغ رسالت هیچ مزدی عاجل نیست این قرآن مگر پندی و موعظتی مر جهانیان را

القراءة واليسع بتشديد اللام حمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلواني عن هشام بحذف الهاء في الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل الوقوف ويعقوب كلا هدينا ج لان ونوحا مفعول لما بعده ولو وصل التبس بانه مفعول لما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون ط المحسنين ط للعطف والياس من الصالحين ط للعطف ولوطا ط العالمين ط للعطف واخوانهم ط لبيان ان قوله واجتبيناهم يعود الى قوله كلا هدينا كقوله ومن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو والحال اي وقد اجتبيناهم وذكر هديناهم بعده مستقيم ط من عباده ط يعملون ط والنبوة ط بكافرين ط اقتده ط للعالمين التفسير لما حكى عن ابرهيم صلوات الله عليه في التوحيد والذب عن الدين الحنيفي عدد وجوه نعمه واحسانه عليه بعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال على العظمة كما يقوله عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك انه جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو ايضا ابنه لصلبه لان المقصود بالذكر ههنا انبياء بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحق ويعقوب واما اسماعيل فانه لم يخرج

من صلبه احد من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذكر محمد في هذا المقام لانه امر محمدا ان يحتج على العرب بان ابرهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد شرفه الله بالنعم الجسام في الدين والدنيا ومن جملة ذلك ان اتاه اولادا كانوا ملوكا وانبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمدا امتنع ان تذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق اما قوله ونوحا هدينا من قبل فالمقصود منه بيان كرامة ابرهيم بحسب الاباء اعني نسل نوح وادريس وشيث واما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لانه اقرب ولانه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن اخي ابرهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولان ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل عليه السلام ما كان من ذرية ابرهيم وكان من ذرية نوح ولان يونس عليه السلام لم يكن من ذرية ابرهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابرهيم لانه هو المقصود بالذكر في هذا المقام واعلم ان الله تعالى ذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابرهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر نبيا داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوط فالمجموع ثمانية عشر وانه لم يراع الترتيب بينهم في الاية لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلك على ان الواو لا يفيد الترتيب وقال في التفسير الكبير وجه الترتيب انه تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبياء بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد اعطى داود وسليمن من ذلك نصيبا عظيما والمرتبة الثانية البلاء والمحنة وقد خص ايوب بذلك والثالثة استجماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي اولا ثم اوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحين السادسة الانبياء الذين ليس لهم في الخلق اتباع ولا اشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط وما المراد بقوله هدينا ونوحا هدينا قيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله وكذلك نجزي المحسنين فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد ان يقال المراد الهداية الى الدين والمعرفة لانهم اجتهدوا في طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز ان يكون النبوة جزاء على عمل واستدل بعضهم بقوله وكلا فضلنا على العالمين على ان الانبياء افضل من الملائكة وذلك ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة وكذا الاولياء وقيل فضلناهم على عالمي زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضي ويمكن ان يقال المراد وكل من الانبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام في ان اي الانبياء افضل من بعض كلام اخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم وانه معطوف على كلا اي وفضلنا بعض آبائهم فالاباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على انه تعالى خص كل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فقوله من آبائهم وكلمة من للتبعيض يدل على انه قد كان في آباء هؤلاء الانبياء من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اي اصطفيناهم من جبيت الماء في الحوض وجبوته اي جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا لحبط وفيه دليل على ان الهداية من الله تعالى ليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك يعني الانبياء الثمانية عشر الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لا بد بحكم العطف من تغاير الامور الثلثة ووجهه بان الحكام على الخلق ثلث طوايف الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلثة اشارة الى هذه الاصناف الثلثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما في هذا الجنس والعلم المحيط بحقايقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحي والتنزيل كصحف ابرهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اي بالامور الثلثة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي ليسوا كافرين بها ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن اليوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعني الملائكة وضعف بان اسم القوم قلما يقع على غير بني آدم وفي الآية دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد فكان اخبارا بالغيب فصح اعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة

علي انه تعالي خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفضل الالطاف مشترك بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب
الكعبي بانه زاد المؤمنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله وتفديره ان يسوي فاذا لم ينتفع به الكافر صح بحسب الظاهر ان يقال انه
لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الي الايمان يشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبان الوالد لما سوي بين
الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول احد ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهديهم اقتده
من حذف الهاء في الوصل فعلي الاصل ومن اثبتها في الوصل كما في الوقف اراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط واما قراءة
ابن عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط وجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل
والتقدير فبهديهم اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في ان امر محمد صلي الله عليه وسلم
بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدي فمن الناس من قال المراد الامر الذي اجمعوا عليه وهو القول بالتوحيد
والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد به الاقتداء بهم في شرايعهم الا ما خصه
الدليل وعلي هذا قيل شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل علي الكل الا ما خصه الدليل المنفصل قال القاضي هذا بعيد لان
شرايعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الايتان بالامور المتناقضة معا ولان الهدي عبارة عن الدليل دون نفس العمل ودليل ثبات
شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه وانه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب
تخصيصه في الصور المتناقضة فيبقي فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل اصيل في ذلك الحكم فلا معني للاقتداء بالدليل
الا اذا كان فعل الاول سببا لوجوب الفعل علي الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه اجل من منصبهم لانه امر باستجماع خصال
الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في داود وسليمن والصبر في ايوب والزهد في زكرياء ويحيي و
عيسي والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسي وهرون ولهذا قال لو كان موسي حيا لما وسعه
الا اتباعي ولما امر بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم ان لا يطلبوا الاجر والجعل في ايصال الدين وابلاغ الشريعة
قيل له قل لا اسئلكم ايها الامة عليه علي البلاغ اجرا ان هو يعني القران الا ذكري للعالمين يريد كونه مشتملا علي كل ما يحتاجون اليه
في المعاش والمعاد وفيه دليل علي انه صلي الله عليه وسلم كان مبعوثا الي الناس كافة لا الي قوم دون قوم والله اعلم بالحكم
التاويل ومما رفعنا به درجات ابرهيم انا وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله افرد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلي الله عليه وسلم
كيلا يقع ذكره تبعا لموهبة ابرهيم فان الكاينات تبع لوجود محمد ومن آبائهم الي آدم وذرياتهم الي محمد واجتبيناهم في الازل
لهذا الشان وهديناهم الي الابد ولو اشركوا بان لا حظوا غيرنا فاثبتوا شيئا من دوننا ونسبوا شيئا من الحوادث الي غير قدرتنا
او لم يبدلوا انا نعتهم في صحوتنا لحبط عنهم لتلاشي عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهديهم اقتده لانهم سلكوا حتي انتهي
سير كل منهم الي ما قدر له آدم الي السماء الدنيا ويحيي وعيسي في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في
الخامسة وموسي في السادسة وابرهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الي سدرة المنتهي وانت يا محمد الي مقام قاب قوسين او ادني
قل لا اسئلكم ايها الانبياء علي الاقتداء اجرا ان هو الا ذكري للعالمين ليعلموا ان الطريق الي الله لا يسلك الا بالاقتداء او لا
اسئلكم ايها الامة علي دعوتكم الي الحق اجرا ان هو الا ذكري للعالمين حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولي ونعم النصير

وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله علي بشر من شئ

و نشناختند و تعظيم ننمودند خدا را حق معرفت و تعظيم او چون گفتند فرو نفرستاد خداي بر هيچ آدمي هيچ چيزي را

قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسي نورا وهدي للناس

بگو يا محمد ايشان را كه ام كس فرو فرستاد توريت را كه آورد او را موسي حال آنكه روشنايي بود و راه نماينده مردم را

تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا

مي گردانيد او را دفترهاي متفرق ظاهر ميكردانيد آن را و نهان ميداريد بسياري را و آموخته اند شما را آنچه نميدانستيد شما
اي يهود بر زبان محمد

انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون

و نه پدران شما بگو اگر ايشان جواب ندهند خداي پس بگذار ايشان را در باطل خودشان كه بازي ميكنند
نه هند گو فرو فرستاد

وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام

و اين قرآن كتابيست كه فرو فرستاديم آن را با بركت بسيار و منافع و فوايد موافق كتابهاي پيش از خود كه نازل شده و فرو فرستاديم تا بيم كني

القري ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم

اهل مكه را و آنان را كه گرد مكه باشند از اهل مشرق و مغرب و آنان را كه بگرويدند بدان جهان بگروند بقرآن و ايشان

علي صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا

بر نمازشان مداومت نماينده اند بوقت و كيست ستمكارتر از آنكس كه بربافت برخداي دروغ را

او قال اوحي الي ولم يوح اليه شئ ومن قال سانزل مثل ما

يا گويد وحي فرستاده شد سوي من و حال آنكه وحي فرستاده نشد سوي او چيزي و كيست كه گويد زود باشد كه فرو فرستم مانند آنچه

انزل الله ولو تري اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة

فرو فرستاد خداي و اگر ببيني تو كه ستمكاران نفس خود در گردابهاي شدايد مرگ باشند و فرشتگان

باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب

بازوها و دستهاي خود را بزخم عمود گويند بيرون كنيد ارواح شما را تا قبض كنيم امروز پاداش دهند شما را عذاب

الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون

خواري تمام بدانچه كه ميگفتيد بر خداي آنرا كه سزا نبود و بوديد از قبول آيتهاي او كه تكبري مينموديد و نمي گرويديد

ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم اول مرة وتركتم

و بحقيقت آمديد شما بما حال آنكه تنها آييد چنانچه بيافريديم شما را نخستين بار در رحم مادر تنها و گذاشتيد شما آنچه

ما خولناكم وراء ظهوركم وما نري معكم شفعاءكم

داديم شما را از نعمتها از پس پشتهاتان در دنيا و نه بينيم با شما شفيعان شما كه پرستيد شان

الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم

آنانكه دعوا كرديد كه ايشان در ميان شما انباز اند خدا را بحقيقت بريده شد وصلت در ميان و غايب شد از شما

ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوي يخرج الحي من

آنچه بوديد كه دعوي ميكرديد بدانيد كه خداي شكافنده دانه است و دانه خرما بيرون مي آرد زنده را از

الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فاني تؤفكون

مرده و بيرون مي آرنده مرده است از زنده آنكه گفتيم معبود بسزا است پس از كجا مصروف ميكردانند شما را از من

فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا

بيرون آرنده عمود صبح است از ظلمت شب و گردانيد شب را آرامشي براي خلقان و آفتاب را و ماه را شمار كردن را يعني آنچه حساب اوقات ايشان معلوم كنند

ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم

آن حكم تقدير آن خداي غالب داناست و اوست كه ساخت براي شما ستارگان را

لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات
تا راه بیابید بدان در تاریکیهای دشت و دریا بتحقیق بیان روشن کردیم آیتها و حجتها را برای
لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر
گروهی که دانند حقیقت آنرا و اوست آنکه بیافرید شما را از تنی یگانه یعنی آدم پس شما راست قرارجایی
در صلب پدر و روی زمین
ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون وهو الذي
و امانت جایی در رحم مادر بتحقیق بیان روشن کردیم آیتها را برای گروهی که دریابند و فهم کنند و اوست آنکه
انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا
فرو فرستاد از آسمان آبی را پس بیرون آوردیم بسبب آن نامیات هر چیزی را از دانهها و میوهها و غیر آن پس بیرون آوردیم
منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان
از ایشان چیزی سبز را که بیرون می آوریم از آن نبات بر دانه بر هم نشسته را و از درخت خرماست از شکوفه آن خوشهای نزدیک
دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها
بتف دل و بیرون آوردیم بوستانهایی از انگور و زیتون را و نار را حال آنکه بعضی ازین مانند یکدیگرست
وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم
و بعضی نه بنگرید بمیوه هر یک چون بیرون آید و بتمام رسانیدن آن بدرستی در آنچه گفتیم
لايات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا
هر آینه دلالتست مر گروهی را که ایمان آرند و پدید کردند برای خدای انبازان پری را و حال آنکه خدای آفریدست ایشان را و بدروغ پدید کردند
له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون
برای او پسران چون عیسی و عزیز و دختران چون ملائکه بی دانشی پاکست او و برترست از آنچه وصف میکنند او را کافران

القراءة تجعلونه يبدونها ويخفون بياء الغيبة ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة ابو بكر و حماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون ابو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ المضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون جاعل الليل على لفظ اسم الفاعل والاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في آخر السورة وفي يس الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في آخر السورة وفي يس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف **الوقوف** من شيء ج كثيرا ج لمن قرا تجعلونه بتاء الغيبة ومن قرا بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم آباؤكم ط قل الله ط لان قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ه ومن حولها ط يحافظون ه اوحي الله ط ايديهم ط لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف اي يقولون اخرجوا انفسكم ط لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ط ظهوركم ج لاتحاد المقول والوقف اوضح لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء ط تزعمون ج والنوى ط من الحي ط تؤفكون ه فالق الاصباح ج لمن قرا وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير خلق وجعل او وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل في فالق حسبانا ط العليم ه والبحر ط يعلمون ه ومستودع ط يفقهون ه ماء ط للعدول مع اتحاد المقصود متراكبا ج لمن قرا وجنات بالرفع للعطف على قنوان لفظا لانه تخفه على ابتدوا لا للعطف وعنهم ان جنات من جملة النخل ومن خص نوقفه على متراكبا جاز العطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه ط وينعه ط يؤمنون ه بغير علم ط يصفون ه **التفسير** اعلم ان مدار القرآن على اثبات التوحيد والنبوة

والمعاد فبعد ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس اي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما آمنوا ان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوه حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي باللطف باوليائه او في القهر لاعدائه وقال الجوهري قدر الشيء مبلغه وقدرت الشيء اقدره قدرا من التقدير اي حزره وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما ان يدعي انه تعالى ما كلف احدا من الخلائق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح باسرها واما ان يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب هب ان الامر كذلك الا انه يمتنع تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على السنة الرسل لان اكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور من خارج كضوء الشمس او السراج وايضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع و التشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الآراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطاء في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون التعيين من الله سبحانه لكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الاية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش والبراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان قوله تجعلونه قراطيس ساع الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله على بشر من شيء بل يقرون بنزول التورية على موسى والانجيل على عيسى وايضا الاكثرون اتفقوا على ان السورة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مدنية فكيف يمكن حمل الاية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على يد موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان مجرى ذلك مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش اولا ولاهل الكتاب آخرا واما ان كانوا اهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فالوجه ما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما تاذى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول وانه ما انزل عليه من شيء البتة فامر ان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي لما سلمت ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل علي شيئا غايته ما في الباب ان تطالبني بالمعجز والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على يد موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا ارادت المراة ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فاجيب عنه بان السورة مكية الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة من الاية ان قوله ما قدروا الله حق قدره يفيد ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع آخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم يكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة ويعلم منه ان قول من يقول

ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا لبطلت حجة الله تعالى في هذه الاية فان لليهودي حينئذ
ان يقول معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف وقال حاصل الاية يرجع الى ان
موسى انزل الله عليه شيا واحد من البشر ما انزل الله عليه شيا فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال
وليس منع الاستحالة بسبب شكل القياس ولا بسبب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم
ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان دلالة هذه الاية على المطلوب انما يصح عند الاعتراف بصحة الشكل
الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة
فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا قال ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي ذات قراطيس اي تودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض
الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم
او شيء من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الاقدمون الذين
كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه مختلفون وقيل كانوا يقرؤن الايات المشتملة على
نعت محمد وما كانوا يفهمون معانيها الى ان بعث الله محمدا ظهر ان المراد منها هو البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن آمن من
قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل السليم والطبع المستقيم
يشهد بان الكتاب الموصوف المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله والمقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم به او لم يقر فالغرض حاصل
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان
يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار
هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ قيل انها منسوخة باية السيف وفيه نظر لانه مذكور لاجل
التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الاية ثم لما ذكر حال التوراة اعقبه بذكر القرآن فقال وهذا
كتاب انزلناه وفايدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب
القرآن على هذا النوع من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل عليه السلام
مبارك كثير خيره دايم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد
جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز في الدنيا وسعادة في الاخرة وقد جربت فوجدت كذلك مصدق
الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه بحسب الازمنة و
الامكنة واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ويحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها
انما تبقى في وقت ظهوره ثم يصير منسوخة ولتنذر من قرا بتاء الخطاب فظاهر ومن قرا على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب
مجازا لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحي وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة والتصديق بما تقدمه
من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى لان الارضين دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا
فصارت هي الاصل وساير البلاد تبعا وايضا الناس يجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة
اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي اهل ام القرى ومن حولها وقيل
المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر
لا يدل على نفي ما عداها لا سيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى العالمين ويحتمل ان يقال ما حول مكة
يتناول جميع البلاد والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف
حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقرير مسالة البعث والقيامة مثل محمد وفيه ان كفار مكة بعد منهم قبول هذا الدين
لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر وهم على صلوتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي و
بالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كاد المحافظ عليها ان يأتي
بالخيرات كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرية وامتراء فقال

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما
يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين الذين
انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كان مسيلمة يقول محمد
رسول الله في بني قريش وانا رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى
ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القرآن وهو قوله ولو نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي
سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما كتب غفورا رحيما
فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وصل الى قوله انشاناه خلقا آخر عجب عبد الله
من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد
صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا فلقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله
مكة فر الى عثمن وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامن له ثم
له ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو ترى الآية وجوابه محذوف اي لرايت يا انسان امرا عظيما اذ الظالمون يعني
الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس فيندرج هؤلاء فيه وغمرات الموت شدايده
وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم قيل انه لا فرق
لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفايدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا
الى غمرات الموت في الآخرة اذا ادخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع الشدايد والتعذيبات
والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يبكتونهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها
ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم
يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدايد وخلصوها من هذه الآفات والالام ومنها هاتوا ارواحكم واخرجوها الينا من
اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم
الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي ما لي عليك ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر
وانما هو وعيد وتقريع كقول القايل امض الان لترى ما يحل بك والتحقيق ان نفس المؤمن حال النزع ينبسط في الخروج الى لقاء
ربه ونفس الكافر تكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لانها تصير الى اشد العذاب واليه الاشارة في الحديث من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار تكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المالوف
وفي الآية دلالة على ان النفس الانسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد وقت
الاماتة او الوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة
لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدل
على قلة المبالات بالشيء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشيء اي خف واهانه استخف به والاسم الهون بالضم
والهوان والمهانة والحاصل انه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون
يعني ان هذا العذاب الشديد انما حصل بمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الايمان بها قال
الواحدي وكنتم عن آياته تستكبرون اي لا تصلون له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد
بري من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل ان يكون معطوفا على قول الملائكة واخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون
بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل ان يكون القايل هو الله تعالى لا نجوزنا انه يتكلم مع الكفار فرادى جمع
فرد ولا فرق بين ولا تون واحدة قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة وقيل في ردف ورداني وهم
الحفاة والاعوان لانه اذا اعين احدهم خلفه الاخر كما خلقناكم اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وحيثما مثل خلقناكم اول
مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثاني انهم
عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فطلبوا الفضة وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد

ليكون البدن آلة لها في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم
خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى اي منفردين عما حببتم من الاعمال والعقائد ثم انها مع ذلك
اكتسبت اشياء قد علق رجاءها بها لانه افنى العمر في تحصيلها وانها ليست مما يبقى معها فلاجرم استحق التقريع بقوله و
تركتم ما خولناكم اي اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني انها كالشيء الذي يبقى وراء ظهر الانسان فلا يمكنه
الانتفاع به وربما بقي معوج الراس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اي ليسوا معكم حتى ترونا او ليسوا معكم
بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الاية من قرا بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله
وتقطعت بهم الاسباب يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع
وصلكم بينكم كقولهم اذا كان غدا فاتني اي اذا كان الرخاء او البلاء غدا فاتني فاضمر لدلالة الحال ومن قرا بالرفع فلانه
اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما تقول قوتل خلفكم وامامكم لان المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله في معنى الوصل
مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه كقولهم بيني و
بينه شركة وبيني وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم
جد جده فاذن العاقل من يكتسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال في وجوه التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد وصلة ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد
والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته ليعلم ان حاصل المباحث العقلية و
النقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اي بالنبات والشجر وعن مجاهد
اراد الشقين اللذين في الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجهه بان العقل
يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فاخراج الشيء من العدم الى الوجود شق لذلك العدم وفلق لحجب
التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم مر بها قدر من المدة اظهر الله في اعلاها شقا ومن
اسفلها شقا اما العالي فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الهابطة في الارض وهي المسماة
بعروق الشجرة وههنا عجايب منها ان طبيعة الشجر ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة
الى الهواء وبالعكس فاتصال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن
الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى
على النفوذ والغوص في جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد
من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار واثمار وللثمر قشر اعلى وقشر اسفل وفيه اللب وفي اللب الدهن
الذي هو المقصود الاصلي فتولد هذه الاجرام المختلفة في طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع تساوي تاثيرات
النجوم والطبايع في المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها انك قد تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة
فالاترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضته باردة يابسة وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب
ومنها انك تجد احوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته
المطلوبة في الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون لنواها حب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض
الفواكه يكون مطلوبا كله كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المخالفة تتضمن حكما وفوائد لا يعلمها الا مبدعها
ومنها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجرة وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في
بدن الانسان ولا يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل من ذلك الخط خطوط دقاق اصغر من الاول فكانه
سبحانه اوجد ذلك ليقوى به الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك
المجاري الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك
الشجرة اكثر وعلمت ان عنايته بخلق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي
خلق لاجله النبات والحيوان ويصير ذلك مرقاة لك الى معرفة الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب

والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في
حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب والنوى قوله ومخرج الحي قال ابن عباس يخرج من
النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابرهيم
والكافر من المؤمن كنوح وابنه او المطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص و
الناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقي الافيون في الشراب ليموت فلما تناوله ظن القوم انه
سيموت فرفعوه وجعلوه في بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الافيون
ونقل عن عبد القاهر الجرجاني رحمه الله ان قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا
لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذلك الفعل في كل وقت بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد
انه يرزقكم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحي اشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل ليدل على ان الاعتناء
باخراج الحي من الميت من العكس ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيي المميت فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادة غيره ام
كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فيها
وهو الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في آخر
الليل فكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور والمعنى
فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد فالق الاصباح ببياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق
عمود الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق
كما مر وقد سلف لنا تفسير الصبح في البقرة في تفسير قوله عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل و
النهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض في جانبه الشرقي لا ينافي كون الله سبحانه فالق
الاصباح بالحقيقة كما ان وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان
يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول و
المنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار النوع الثاني من الدلايل الفلكية الدالة على التوحيد
قوله وجاعل الليل سكنا حجة من قرا باسم الفاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرا بصيغة الفعل ان قوله بعد ذلك
والشمس والقمر منصوبان ولا بد من عامل وما ذاك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن
اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المونسة لانها تستانس بها والليل يطمئن الليل اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه كما قال لتسكنوا فيه فالليل والنهار من ضرورات
مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعالى وآيتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله والشمس والقمر حسبانا
اي بحسبان لان حساب الاوقات يعلم بسير هما ادوار هما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف والشمس والقمر قرئا بالحركات
الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل اريد به ههنا الاستمرار كما
يقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فيكون الاضافة غير حقيقية فيكون لليل محل قلت وهذا مناقض لما ذكره
في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه
الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدا ان حذف خبرهما اي والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا ذلك الجعل تقدير
العزيز الذي قهرهما العليم الذي دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهياتها المحدودة
واوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو
الذي جعل لكم النجوم عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث
لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات
بر التعطيل وبحر التشبيه فان اختصاص كل هذه من الكواكب بمحال وصفة اخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على
مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاد والانباض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهة بالاتفاق دليل على تنزيه الله

سبحانه من هذه النبات ولهذا قال قد فصلنا الايات لقوم يعلمون فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد
الى الغايب ثم عدل عن الايات الافاقية الى آيات الانفس فقال وهو الذي انشاكم اي خلقكم بطريق التنشو والنماء من نفس
واحدة هي ادم وحوا المخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ وهي من آدم فمستقر
من قرا بكسر القاف فالتقدير ومنكم مستقر ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرا بفتح القاف
فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمي مكان او مصدرا وذلك ان استقر لازم فلا يجي منه المفعول به بلا
واسطة فينبغي تفسير مستودع فيكون ايضا بما يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله
ونقر في الارحام ما نشاء ولان اللبث في الرحم اكثر فيكون لفظ القرار بذلك انسب بخلاف المستودع فانه في معرض
الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان المني في الاصلاب فانه بصدد الاراقة في كل حين واوان وقيل المستقر صلب الاب
والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان
هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته او شقاوته تبقى وتستقر
على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب
وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى ودخل في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر
من قرار الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة
انما تستقر في صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب
في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاخلاق والامزجة فذلك اذن
بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال قد فصلنا الآيات بينا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الفايدة تعود اليهم
وان كان الارشاد عاما لان آيات الانفس اقرب الى الاعتبار واهون للذي الاستبصار ختم الاية بالفقه وخص خاتمة الآية
الاولى بالعلم ليعلم ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة ابين فيه من كونه آية فقال
وهو الذي انزل من السماء ماء قيل اي من جانب السماء وقيل اي من السحاب لان العرب يسمي كل ما فوقك سماء كسماء
البيت وقال اكثر اهل الظاهر اي من السماء ماء قيل اي من جانب السماء وقيل اي من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار على
خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس
يريد بالماء ههنا المطر ولا ينزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة
للتنزل والميل الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك بموجب الطبع والمتكلمون ينكرونه نبات كل شيء
قال الفراء اي نبات كل شيء له نبات فيخصص نبت كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي ذلك الآية
التفاتان الاول من الحكاية الى الغيبة حيث لم يقل نحن الذي انزلنا الثاني من الغيبة الى الحكاية وانت خبير بان
نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو ديدن الملوك ثم لما بين ان السبب
وهو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى
فاخرجنا منه اي من النبات خضرا اي شيئا اخضر طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه اي من ذلك
الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو العود الاخضر
ويكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة اجسام دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها
ان يمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما نبت من الحب اتبعه ذكر ما ينبت من النوى فقال ومن النخل
وهو خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير
ومخرجة من طلع النخل قنوان وهي جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب والطلع
اول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية ممن تجنيها وعنه ايضا انه اراد
قصار النخلة اللاصقة عذوقها بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان ذكر احد القسمين يغني عن الآخر كما قال
سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة
المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر

الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب ومن قرا بالرفع فعلى انه مبتدا محذوف
الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب نخرجه ولا يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف
اذ يصير المعنى وحاصلة او ومخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من اعناب اما قوله والزيتون والرمان بالنصب فللعطف
على المنصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم انه
سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر
يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن فضايلها ان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه
وانه ينتفع به من اول ظهوره الى آخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبايخ منه ثم يظهر الحصرم
وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل
ومنافع كل منها لا يحصى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخر ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات نافعة
للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم غناؤه واما الرمان
فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فبالضد
من هذه الصفات وانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج
الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه فكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه اكمل و
انواع النبات اكثر من ان يفي بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه
ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم
والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة
وبعضها غير متشابهة وذلك انك قد تاخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة
فانها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد يقال اشتبه الشيئان وتشابها
كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها
وغير متشابه والرمان كذلك كقوله شعر رماني بامر كنت منه ووالدي ٭ بريا ومن اجل الطوي رماني انظروا
الى ثمره من قرا بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرا بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب
قال تعالى كانهم خشب مسندة او على انه جمع ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اثمر اذا اخرج ثمره وينعه يقال
ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال ثمر كل شجر اول حدوثه وفي آخر حالها
فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت في اول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم
تصير حارة الطبع وقد تخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم تؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات
والتغيرات لا بد له من سبب مستقل في التاثير سوى الطبايع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا سبب الاول
ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون قال القاضي المراد ان يطلب الايمان بالله لانه آية
لمن آمن ولمن لم يؤمن ويحتمل ان يقال تخص المؤمنين لانهم المنتفعون بذلك دون غيرهم او المراد ان هذه الدلالة على قوتها
وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا لله
شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله خالق الحب والنوى تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس
والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس
هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل عليه من عند الله يسمى
بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات
فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على ان اهرمن محدث
ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكة نفسه واستعظمها فحصل نوع من العجب فتولد
الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي و

والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات
والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا
السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اثبتوا لله شركاء الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب
الجن على انه بدل او بيان لشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا وفايدة تقديم المفعول الثاني
على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كاينا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن
بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة الى التبيين وقيل ان الاية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة
بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة
لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن وطايفة من المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول
بالشرك فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشريك والضمير فيه اما ان يعود الى
الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فتقريره ان الاكثرين منهم معترفون بان ابليس
محدث ولو لم يعترفوا بذلك فالبرهان العقلي قايم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث
فيقول حينئذ كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه يثبت ان اله الخير
قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها نزلت في كفار العرب القايلين الملائكة
بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم يتولدوا منه تولد الولد من الوالد وان عاد الضمير الى الجاعلين
فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم
ان يتخذوا من لا يخلق شيئا كالخالق والجملة في موضع الحال اي وقد خلقهم وبسكون اللام اي اختلاقهم للافك يعني جعلوا الله
خلقهم حيث نسبوا قبايحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم اخرين نوعا اخر من الاشراك فقال وخرقوا
له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا نعلم ضعف قول من قال وجعلوا
لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فايدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه واخترقه بمعنى قال الحسن
كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب
اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فكالتنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته
استحال ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قايما بذاته لا تعلق له
في وجوده بالاخر تعلق الفرعية وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب فكان عبدا له لا ولدا و
ايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفناء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء
الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال سبحانه وعلى هذا
لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل
قوله عما يصفون **التاويل** وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو اعترفوا
بذلك ايضا لم يعرفوه حق معرفته لان المحاط لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفته بازدياد معرفة اوصافه تجعلونه قراطيس اي
في القراطيس وما يحصلونه في قلوبكم بالتخلق باخلاقه وعلمتم بتعليم محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب و
الحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سره الذي يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسر واضمارا باضمار والذي
علم النبي هو الله في خلوة ما سوى الله ولهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى
ربهم وعلى خواص الخواص بوصولهم الى ربهم وتخلقهم باخلاقه وفي كتاب المحبوب شفاء لما في القلوب مصدق الذي بين
يديه لانه يصدق حقايق جميع ما في الكتب ولتنذر ام القرى يعني الذرة المودعة في القلب التي هي المخاطب في الميثاق
ومن حولها جميع ارض القلب من حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفواد والصفات والاخلاق
بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا باخلاقه والذين يومنون بالاخرة فيستعملون الادوات والالات في امور
الدنيا والاخرة لا في الدنيا الفانية وشهوات النفس وهم به يومنون بالقران وهم على صلاتهم بالترقي من صفاتهم الخلقية
باخلاق القران يداومون فان الصلوة معراج المومن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجيد والحالات رياء

ومراده من غير ان يكون له منها نصيب وقال اوحي الي اشارات ولم يلهم نفسه شيئا منها ومن قال متشدقا متفيهقا سانكلم بمثل
كلام الله من الحقايق والاسرار فيظهر بصرة ظلمته وافترايه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن
القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جيتمونا
فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها وفرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم اول مرة في اول خلقه الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم
بالتجريد عن الدنيا وبالتفريد عن الدنيا والاخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى شفعاءكم معكم الاعمال والاحوال
التي ظننتم انها توصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها الى الله عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبريل عند سدرة المنتهى وحينئذ لا
يصل الى الوحدة الا بجذبة ارجعي الى ربك ولو لم يدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير في الله بالله وبقي السدرة
وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله فالق حبة الذرة التي اخذ منها الميثاق المودوعة في حبة القلب عن نبات المحبة
وفالق النوى ذكر لا اله الا الله في ارض القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة يخرج نبات المحبة التي هي من صفات الحي
القيوم من الذرة والمحبة الانسانية ومخرج الافعال الطبيعية التي هي من صفات الكفار الموتى من المومن الحي في الدارين وايضا
يخرج نخل الايمان الحي من نوى الحروف الميتة من كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق من الكلمة الحية لا اله الا الله فالق الاصباح
فالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحلوم والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسماني
بتخليص نفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة
مدبر المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح
ليسكن فيه نفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعني تجلي شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب
لئلا ينهدم امر القلب والقالب وايضا تجلي شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا ينهدم امر الدين و
الدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شمس المعارف والشهود انه انا الحق وسبحاني وفي تفريطه انا ربكم الاعلى وعبادة
الهوى ذلك تقدير العزيز العليم بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذي جعل لكم نجوم انوار الغيوب في سموات القلوب
ليهتدوا بها في ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذي انشاكم من روح واحد وهو روح محمد
صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحي كما خلق اجسادكم من جسد واحد هو جسد آدم ابي البشر فمن الارواح ما تعلق بالاجساد
واستقر وما هو بعد مستودع في عالم الارواح وايضا من الارواح هو مستقر فيه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات
الحق ومنها ما هو مستقر في انانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع انانيته بالفناء ومنها ما هو مستقر ببقاء الحق باق وما
هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول والوصال لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذي انزل من
السماء ماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شيء من انواع المعارف فاخرجنا منه خضرا من المعاني والاسرار نخرج منه من
الحقايق ما يركب بعضها بعضا فترتب بعضها على بعض ومن النخل يعني اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولاياتهم ما هو متدان
للطالبين اي منهم من يكون مربيا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد ارباب
الزهد والتقوى الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد والزيتون الاصول والرمان الفروع مشتبها اي متفقا في
الاصول والفروع وغير متشابه اي مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولاية كيف ينتفع بها الخواص وينعه اي الى الكامل منها
ان في ذلكم لايات لقوم يومنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم وجعلوا لله اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب
لارباب انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالات الله حسبي وكفى

بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة
نو آفریننده آسمانها ست و زمین از کجا باشد او را فرزندی و نبوده مر او را جفتی
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله
و بیافرید همه چیز را و اوست بهر چیزی دانا آن موصوف معبود شما است پروردگار شما هیچ خدای نیست
الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
مگر او آفریننده هر چیزی پس پرستید او را و او بر همه چیزی نگاه دارنده و کارگذار

لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير

در نیابد او را ابصار بطریق احاطت بیناییها واو دریابد بطریق احاطت بیناییها را واو بی کیفی است آزاد از ادراک او قاصر اند وآگاهی
که ابصار و ابصار که هیچ ادراک برو متعذر نشود

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها

بحقیقت آمد بشما سبب بیناییی دلها از پروردگار شما پس هرکه دید او را و بدانست برای خود دید وهرکه نابینا شد پس هم اوست وبال آن

وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الايات وليقولوا

ونه ام من بر شما نگهدارنده اعمال وهمچنان تقریر بلیغ مکرر میکردانیم حجتها وآیتها را وتا گویند آموختی

درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما اوحي اليك من ربك

از یهودان وتا بیان کنیم آنرا برای گروهی که دانند ودریابند متابعت کن ای محمد آنرا که وحی فرستاده شد سوی تو از پروردگار تو

لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا

هیچ خدای نیست مگر او وروی بگردان از اهل شرک واگر خواستی خدای شرک نیاوردندی

وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا

ونه گردانیدیم ترا بر ایشان نگاهبان اعمال ونیستی تو بر ایشان کارگذار ودشنام مگویید

الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك

آنانرا که می پرستند از غیر خدای پس ناسزا گویند خدای را از روی ستم تمام بی دانش همچنان

زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا

آراسته کردیم برای هر گروهی کردار ایشانرا پس سوی جزای پروردگار بازگشت ایشان پس آگاه کند ایشانرا بانچه می بودند

يعملون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن

که می کردند وسوگند خوردند بخدای غایت سوگندهای ایشان که هرآینه اگر آید بدیشان معجزه هرآینه ایمان آرند

بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت

بآن بگو جز این نیست که آیتها نزد قدرت خداست وچه داناگردانید شمارا که آن معجزات چون بیاید ایشان

لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به

هم نگروند وهمی گردانیم بطریق تحیر ونرد دلهای ایشانرا وچشمهای ایشانرا چنانکه نگرویدند به آن

اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون

نخستین بار وفرو گذاریم ایشانرا در نافرمانی ایشان سرگشته می باشند

القراءة

وليكن بياء الغيبة قتيبة درست بتاء التانيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو الباقون بتاء الخطاب درست من الدارس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونطيعها ابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة الوقوف والارض ط صاحبة ط كل شيء ط لاحتمال الواو الحال والاستيناف عليم ربكم ج لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو ج لان قوله خالق يحتمل البدل من الضمير المستثنى وخبر ضمير محذوف فاعبدوه ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف وكيل لا يدركه الابصار ز لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ج لاحتمال الواو الاستيناف والحال اي يدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير من ربكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه

لذلك مع الواو وعليها ط حفيظ يعلمون من ربك ج لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة ط الا هو للعطف مع العارض المشركين ما اشركوا ط حفيظا للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل بغير علم ط تعملون ليؤمنن بها وما يشعركم ط لمن قرا انها بكسر الالف لا يؤمنون يعمهون التفسير لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الاية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدا والجملة بعده خبره وتقريره الدليل انكم اما ان تريدوا ما يكون عيسى واما انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا اب وحينئذ يلزمكم القول بانه والد للسموات والارض لكونه مبدعا لهما وهذا باطل لا تفق الامر كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يجتمع في رحمها وهذه الاحوال انما تثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحاجة والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل والى هذا اشار بقوله وخلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون ازليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي ان يكون حادثا فنقول انه تعالى عالم بكل المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة لتعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد ازليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فثبت ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد والانداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى اخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان دفع الشرك اهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظه ويرزقه ويراقبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم زيف طريق من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع واحد والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد آخر فيلزم الهة لا نهاية لها او القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات وكل فعل يفعله احدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للاخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد سببا لعجز الاخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال اولا وعلى الاول فلا بد ان يصلح الامتياز بامر والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال لم يكن جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع ان الدليل النقلي في التوحيد كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد قالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنا والكفر واللواط وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة به على نفي الصفات وعلى ان القران مخلوق اما الثاني فلان القران شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القران واما الفرق بين قوله وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك ان الاول يتعلق بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين ان شيئا من القوى المدركة لا يحيط بحقيقته وان عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار هذه الاية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رايته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه ذكر الاية في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا لقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيد وانما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى تمدح بنفي الظلم

عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من الادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه في
اصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي لملحقون وقوله حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه
وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت واذ قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر
رؤية مع الاحاطة ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن
الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فاين ذاك من هذا وانما قلنا
انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما تحمل على الاستغراق فقد تحمل على المعهود السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار
يفيد انها لا تدركه في الدنيا وانما تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الاخرة او يقول قول القايل لا تدركه
جميع الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار كما يقال ان محمدا
ما امن به كل الناس فانه يفيد انه امن به بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى
بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي او يقول سلمنا ان الابصار لا تدركه
فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الاية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما
حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته
لغاية جلاله ونهاية جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري
بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تاخذه سنة
ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا تاخذه سنة ولا نوم الا ان هذا النفي في حق الباري
تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان يفيد المدح الا اذا دل
على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية عليكم
لا لكم لانها افادت انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم يقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المومنين يرونه يوم القيمة
لان القائل قائلان قائل بجواز الرؤية مع ان المومنين يرونه وقائل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول
بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال
لطيف ثم ان القاضي استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفسير لايقة بالاصول الاول ان الحاسة اذا كانت سليمة
وكان المرئي حاضرا وكانت الشرايط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد وارتفع الحجاب
وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا جاز ان يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها
ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه
تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان
حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته وحيث لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان
ذاته تعالى مخالفة لساير الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشي ثبوت مثله فيما خالفه وثانيها لو صحت رؤيته لاهل
الجنة لرآه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لم لا يجوز ان يخلق الله تعالى
الرؤية في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم
المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بمنع الكلية وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود
الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة يلزم ان يروه في كل حال حتى عند الجماع
لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لم لا يجوز ان يخلق الله تعالى منزه عن ذلك واجيب بمنع الكلية
وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا
ان اهل الجنة يلزم ان يروه في كل حال عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وعند
ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق بحال اهل الجنة واجيب بانهم لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال
كساير الملاذ والمنافع وفي تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية منها هذه الاية كما بينا ومنها ان موسى عليه السلام
طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها

قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية
ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الايات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس
نزلا والاقتصار على النزل لا يجوز فالزايد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد راه نزلة اخرى و
سوف ياتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى وكقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فيكون المومنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهي الانفس ولا شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب
معرفة الله تعالى على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فيمن قرا
بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته
والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه
وسلم هل راى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب فدل ذلك على انهم كانوا مجمعين على امكان الرؤية
اما قوله تعالى وهو يدرك الابصار ففيه دليل على انه سبحانه يبصر المبصرات ويرى المرئيات مطلع على ماهياتها عليم بعوارضها
وذاتياتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام
بل المراد لطف صنعه في تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة ثم المنافذ الضيقة التي لا يعلمها
الا مبدعها او المراد انه لطيف في الانعام والرحمة لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه لا ينسى
عليهم بالطاعة ولا ينقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان يدركه الابصار الخبير بكل لطيف فلا يلطف
شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصاير اي موجبات او البصيرة للقلب بمنزلة البصر العين
فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد
يتمكن من الامرين الفعل والترك وعورض بالعلم والداعي وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا
منذر والله حفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله وكذلك اي مثل ذلك التصريف البليغ نصرف الايات نأتي بها
متواترة حالا بعد حال وليقولوا عطف على محذوف اي لتلزمهم الحجة وليقولوا او متعلق بما بعده اي وليقولوا درست
نصرفها ومعنى درست قرات وتعلمت من الدرس ومن قرا دارست اي قرات على اليهود وقرؤوا عليك وجرت بينك
وبينهم مدارسة ومذاكرة واما قراءة ابن عامر درست فهي من الدروس بمعنى ان هذه الايات تقدمت وعفت اي مضت
الاخبار التي تلوتها علينا من جملة اساطير القرون الخالية قال العلماء التركيب يدل على التذليل والتليين لان
من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد لان فكانه تعالى ذكر الوجه الذي
لاجله صرف الايات وهو امران احدها درست والثاني قوله ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة
في هذا التصريف ان يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للايات لانها في معنى القرآن او يعود الى القرآن
وان لم يجر له ذكر للعلم به او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل نحو ضربته زيدا اي ضربت الضرب زيدا واما
الاول فقد اورد عليه ان قولهم للرسول درست كفر منهم بالقرآن والرسول وعلى هذا فيعود مسئلة الجبر والقدر اما
الاشاعرة فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا
كفرا على كفر وتثبيته لبعض فيزدادوا ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائي
منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي تحريف لكلام الله فتح هذا الباب يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا
انه مناف للمقصود لان انزال الايات نجما نجما هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما اتى بالقرآن على سبيل
المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذي ذكره انما يصح لو كان
التصريف علة لان يقولوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام
على الحقيقة اولى ثم انه لما حكى عن الكفار انهم نسبوه في شان القرآن الى الافتراء والى انه تدارس اقواما واستفاد
هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى انه نزل عليه من الله اتبعه قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول
سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه بسماع تلك الشبهة ونبه
بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فانه يجب طاعته ولا يجوز

الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الآية بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة
بآية القتال وضعف بان المراد ترك مقابلتهم فيما يأتون من سفه وان يعدل صلى الله عليه وسلم الى الطريق الذي يكون اقرب
الى القبول وابعد عن التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر
واجيب بعد المعارضة بالعلم والداعي بان الايمان الاختياري هب انه انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم
ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان يخلق فيه الايمان القهري كي يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب
كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص في البحر ولا تطلب اللآلي فانك لا تجدها
واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يامره بالغوص في البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك فان
ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان بين له قدر
ما جعل اليه فذكر انه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليه وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول
صلى الله عليه وسلم الى انه جمع القرآن بطريق المدارسة وكان لا يبعد ان يغضب له المسلمون بسبب ذلك فيسبوا آلهتهم نهى الله
تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك ان المسلمين اذا شتموا آلهتهم فربما غضبوا وذكروا الله
بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك ان تقدم على مشافهته بما يجري مجرى
كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم قال المشركون لئن لم ينته عن سب آلهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب
الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته
فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف
وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب فقالوا انت كبيرنا وسيدنا ان محمدا
قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له ابو طالب قد انصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم
هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها
وعشر امثالها فما هي قولوا لا اله الا الله فابوا واشمأزوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك قد فزعوا
منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك
آلهتنا او لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فانزل الله تعالى هذه الآية قال العلماء ان القوم مقرين بوجود الاله تعالى
فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي بهذا
النوع من السفاهة او لعل المراد هو شتم الرسول فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان شيطانا يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك
الشيطان بانه اله محمد وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه
والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان
يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة ويقتضي تنفيرهم عن قبول الدين وادخال
الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى
الى زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب وفيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد
في المطلوب فان وصف الاوثان بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال
عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما متجاوزا للقدر قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى
فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بضم العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر
به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو الذي زين للكافر
الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصي المعصية وزيفه الكعبي بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت فاذن المراد انه تعالى زين لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار

سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم وامهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناهم في زعمهم
وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم والداعي بان قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله فيسبوا الله
مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا و
جهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول والا لما
اختار الجهل الثاني ولا يذهب الجهالات الى غير النهاية فلا بد ان ينتهي الى جهل اول يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك
الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القرآن كيف
ما كان من امره فليس من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لآمنا بك واكدوا هذا
المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر
الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب فمعنى الاقسام ازالة القسمة بجعل الناس كلهم
مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد بن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان
موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان كان عيسى كان يحيي الموتى وان صالحا كانت له ناقة
فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا تجعل
لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعك اجمعون فقام رسول الله يدعو فجاءه
جبريل عليه السلام فقال ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن لم ارسل آية فلم يصدق بها الا انزلت العذاب وان
شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركهم حتى يتوب تائبهم فانزل الله الآيات
الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا في
الايمان والمراد بقوله لئن جاءتهم آية ما روينا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض الآيات وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم بان عذاب الاستئصال كان ينزل بالامم المتقدمين
فالمشركون طلبوا امثالها قل انما الآيات عند الله اي هو مختص بالقدرة على امثال هذه الآيات لان المعجزات لا يحصل الا بتخليق
الله تعالى او المراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب لا
يعلمها الا هو والمراد انها ان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تتحكموا في طلبها كقوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهام مبتدأ والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي
القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال
سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا تحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا
يفعل هو انه يفعل فمعنى الآية انها اذا جاءت آمنوا وذلك يوجب مجيء هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذرا في طلبها
لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها احدها قال الخليل ان بمعنى لعل بقول العرب
ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان تجعل
لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في
ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون واما قراءة لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار قال القاضي
والجبائي في الآية دلالة على انه تعالى يجب ان يفعل كل ما في مقدوره من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون
عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه وايضا لو كان الايمان بخلق الله تعالى
ولم يكن لفعل الالطاف اثر في حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر واجيب بان تأثير المعجزات
عندكم مبني على وجوب اللطف فلو اثبت اللطف به لزم الدور وبان الآية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم و
ابصارهم يدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة والابصار هو انهم اذا جاءتهم
الآيات القاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا ان الله تعالى يقلب القلوب تارة من دواعي
الخير الى دواعي الشر وبالعكس ثم انما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان مواضع الدواعي والصوارف

هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر آلتان للقلب ولهذا السبب وقع الابتداء
بتقليب القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على لهب النار وحرها لتعذيبهم وزيف بان قوله ونذرهم
انما يحصل في الدنيا وهذا يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين
من الفوايد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم عن هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانه انما استحق الحرمان من تلك الالطاف و
الفوايد بسبب اقدامه على الكفر فهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب وقال
القاضي القلب باق على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب والتبديل في الدلايل واعترض بان تقليب القلب نقله من
صفة الى صفة ومن حالة الى حالة اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الايات
كما لم يؤمنوا بظهور الايات اول مرة يعني اول مرة اتتهم ايات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به اما عايدة الى القرآن
او الى محمد او الى ما طلبوا من الايات وقيل الكاف للجزاء اي كما لم يؤمنوا به اول مرة وكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم
عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول عليهم وقالت الاشاعرة انا نقلب افئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم في ذلك
الطغيان والضلال والعمه **التاويل** قد جاءكم بصاير دلالات السعادات الباقية ممن ابصرها بنظر البصيرة فاشتغل
بتحصيلها واقبل على الله لسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي فعليها العكس ولا تسبوا الذين تدعون
لا تخاطبوا اهل الضلال على مواجب تنازع النفس والطبيعة فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم
بلسان الجذب والتزام الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم
السلطان ومما ينبي وضوح الاداء لمن يدركه سوابق الرحمة ونقلب افئدتهم عن الرحمة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد
المولى الى مشاهدة النفس والهوى كانهم لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلنا الست بربكم قالوا بلى الله يكفي

ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى و
واگر آنستی که فرستیم ما سوی ایشان فرشتگان وسخن گفتی با ایشان مردگان و
حشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
گرد آوردیمی بر ایشان هر چیزی را که خواستندی روی بر روی بودندی که ایمان آوردندی مگر که خواستی خدای
ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل
ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند وهمچنان که ترا دشمنانند گردانیدیم مر هر
نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض
پیغمبری دشمن دیوان آدمی وپری را که وحی میفرستند بعضی از آن شیاطین سوی بعضی
زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم و
دیگر آراسته گفتار را از فریب واگر خواستی پروردگار تو نکردی آنرا پس بگذار ایشان را و
ما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة
وانچه بربندی آرند از دروغ وتا میل کنند سوی وی دلهای گفتارهای باطل آنانکه ایمان نیارند بقیامت
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو
وتا اختیار کنند این دین باطل وتا کسب کنند انچه ایشان کسب کنندهاند ای پس جز خدای را جویم حاکم حال آنکه حاکم بود میان ما و میان شما واو
الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم
آن خدایست که فرو فرستاد سوی شما قرآنرا جدا کرده حق را از باطل وآنانکه دادیم ایشانرا

٢٢٢

ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا
ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم
الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
توریت وانجیل میدانند که آن قرآن فرستاده است
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك
از پروردگار تو بصدق وصواب پس مباش البته از شک آرندگان وتمام شد سخن پروردگار تو بوعد و وعید وتحریم وتحلیل
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان
راستست بر قانون عدالت هیچ تغییر کننده نیست مر سخنان اورا واو شنواست دانا واگر فرمان
تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا
بری بیشتر کسانی راکه در زمین اند گمراه گردانند ترا از دین خدای متابعت نمی نمایند مگر
الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
گمان خود را ونه اند ایشان مگر که دروغ گویند در قول و فعل بدرستی که پروردگار تو او داناتر است آنرا که گمراه است از دین او
وهو اعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان
واو داناتر است بحال راه راست یافتگان پس بخورید از آنچه یاد کرده شد نام خدای برو در حالت ذبح اگر
كنتم باياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم
هستید بآیتهای او ایمان آرندگان وچیست شمارا که نخورید از آنچه یاد کرده شد برو نام
الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه و
خدای در حالت ذبح وبحقیقت بیان فرمود شمارا آنچه حرام کرده است بر شما مگر بناچار آرند شمارا سوی تناول آن محرم و
ان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
بدرستی که بسیاری از آن مردم هر آینه گمراه میکردانند براهای باطل بی دانشی بدرستی که پروردگار تو او داناتر است بحال تجاوز نمایندگان
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما
ودست بدارید بزه ظاهر را و بزه نهانی را بدرستی آنانکه می اندوزند بزه را زود بود که پاداش دهند ایشان
كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
هستند که کسب میکنند ومخورید از آنچه ذکر نکرده باشند نام خدای بر آنجا
وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وبدرستی آن خوردن هر آینه خروجیست از طاعت خدای وبدرستی که دیوان هر آینه فرا دل میدهند سوی دوستان ایشان تا خصومت کنند با شما

وان اطعتموهم انكم لمشركون

القراءات

قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك
عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصفهاني من تفسير فصل على البناء
للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرا ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص
جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح **الوقوف**
يجهلون ه غرورا ط يفترون ه يقترفون ه مفصلا ط الممترين ه وعدلا ط لكلماته ج لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو للحال اي
لا مبدل لكلماته وهو السميع ويعلم العليم ه عن سبيل الله ط يخرصون ه عن سبيله ج بالمهتدين ه مؤمنين ه اليه ط بغير علم ط بالمعتدين ه
وباطنه ط يقترفون ه لفسق ط ليجادلوكم ج لمشركون ه **التفسير** هذا شروع في تفصيل ما اجمل قوله انها اذا جاءت
لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث الزهري
والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة يشهدون
بانك رسول الله او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم احق ما تقول ام باطل او ائتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا على
ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان اوتوا هذه المقترحات قال ابو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى
واحد وهو المواجهة رواه الواحدي وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روي عن ابي ذر قال
قلت النبي صلى الله عليه وسلم اكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل
ومعناه الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش في تفسيره اي قبيلا قبيلا او جماعة
الكفيل والعريف من قبل به يقبل ويقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شيء كفلوا بصحة ما يقول ما آمنوا وموضع الاعجاز فيه ان
الاشياء المحشورة منها ما نطق ومنها ما لا ينطق ومنها حي ومنها ميت فاذا احشرها الله تعالى على اختلاف طبايعها مجتمعة في
موقف واحد ثم انطقها واطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب
عليهم الايمان كما لو لم يامرهم به لم يجب ولو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر في كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد
ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يامر به ولجاز ان يامرنا بان نريد الكفر فالمراد من الآية انه شاء من الكل الايمان
الاختياري وما شاء الايمان القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون
وزيف بان الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفي الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بخلق الله تعالى فكان
لا اختيار قال الجبائي قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهي الشرط لزم من حصولها حصول
المشروط واجيب بانها قديمة الا ان تعلقها باحداث الحدث في الحال اضافة حادثة ثم ختم الآية بقوله ولكن اكثرهم
يجهلون قالت الاشاعرة اي لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يبقون كفارا عند
ظهور الآيات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم او ولكن اكثر المسلمين
يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم الاختياري لمجيء الآيات المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه منسوق
على قوله وكذلك زينا اي وكما زينا لكل امة عملهم جعلنا وقيل ان المشار اليه محذوف اي وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك
فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة
الثواب والاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شر فالآية تدل على انه خالق الخير والشر
والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائي المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان
قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبي انه امر الانبياء بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم
صاروا اعداء للانبياء لان العداوة تكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم بانه لما ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك
المعجزات صار ذلك التخصيص سبب الحسد والعداوة والبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم اعداء ثم زيف بان الافعال مستندة

الى الدواعي وهي من الله تعالى وبان العداوة والمحبة تتعلق بالطبع لا بالارادة والتكلف فلا يقدر عليهما الا الله تعالى وانتصاب
شياطين كما مر في قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانباري عدوا في معنى الجمع ولقايل ان يقول لا حاجة الى
هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا واحدا اذ ليس يجب ان يحصل لكل واحد من الانبياء اكثر
من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين
ومن الانس شياطين وان شيطان الجن اذا اعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه
عليه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال وهل للانس
شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا ان الذي يوسوس الانس يسمى شيطان الانس والذي
يوسوس الجن يسمى شيطان الجن وزيف بان المقصود من الآية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين
وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس
يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا ومعنى الايحاء الايماء والقول السريع اي يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك
بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير وزخرف القول
ما زينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد في امر من الامور نفعا او تعالم
يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق والالهام وكان صادرا من الملك والا كان زخرفا
اي يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا وقال الواحدي غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف من القول في معنى الغرور
ولو شاء ربك ما فعلوه استدل الاشاعرة به ظاهرا والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على انه
مفعول معه او مفعول به اي واتركهم وما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تهديد
من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب
بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو في اللغة الميل يقال في المستمع انه مصغ اذا مال بحاسته الى ناحية
الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى قال الجوهري
صغى يصغو ويصغى صغوا اي مال وكذلك صغي بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام في ولتصغى لا بد له من متعلق
فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبي لتميل اليه اي الى قوله المزخرف افئدة الكفار
فيبعدوا بذلك السبب عن قبول دعوة النبي وليرضوه وليختاروه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا من الآثام ما هم مقترفون
وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وزيف بان حمل
لام كي على لام الامر تحريف وقال الكعبي هي لام العاقبة تقديره ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة
الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابي مسلم انه معطوف على موضع غرورا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول ليغروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب الى الاراء الفاسدة هو
عين الاغترار فيلزم عطف الشيء على نفسه وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحياة فالحي هو الجزء الذي
قامت الحياة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالت المعتزلة الحي والعالم هو الجملة لان ذلك الجزء حجة الاشاعرة
انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في الآية هو القلب لا جملة الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق الاول للنفس هو
القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الآيات التي اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغي حكما
الآية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل فالزايد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته
قد حصل لوجهين **الاول** ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة
والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا الوجه بقوله افغير الله ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تحكمون
في طلب الزيادة من المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يقول ان ذلك غير جائز **الثاني**
اشتمال التورية والانجيل على ان محمدا رسول الله حقا وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله واشار اليه بقوله والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اي اذا ظهرت
الدلايل فلا ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب للرسول في الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة

المراد والتهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم ثم قال الواحدي الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التأويل الحكم اكمل من
الحاكم لان الحاكم كل من يحكم وهو الحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن معجز قال وتمت كلمة ربك اي القرآن وقوله
صدقا وعدلا مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة دالة على صدق محمد او كافية
في بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا او المراد بالتمام انها ازلية لا تحدث بعد ذلك لشيء واعلم ان كل ما
حصل في القرآن نوعان الخبر والتكليف اما الخبر فكل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته
اعني كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تاخذه
سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله تعالى وكيفية تدبيره الملكوت في السموات والارض وفي عالمي الارواح
والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء
الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال القيامة والحشر وصفات اهل الجنة والنار والخبر عن احوال
المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهي توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او
بشرا او شيطانا وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرايع الانبياء المتقدمين او في مراسم الملائكة المقربين الذين هم
سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراءه مما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك
صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقيل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد
ووعيد وعقاب وثواب فهو صدق لانه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لان افعاله منزهة عن ان يكون
بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه في كون القرآن دالا على صدق محمد الا ان تلك
الشبهات لا تاثير لها في هذه الدلالة البتة لجلاء الدلالة ووضوحها او المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها
مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها مبراة عن التناقض كما قال ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او المعنى ان احكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها ازلية والازلي لا يزول
وهذا الوجه احد الاصول القوية في اثبات الجبر اذ يلزم منه ان لا ينقلب السعيد شقيا وبالضد ثم لما اجاب عن شبه
الكفار بين ان عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من في
الارض يضلوك عن سبيل الله والمضل لا بد ان يكون ضالا ولا يعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين عنادا طعنا بصحة
مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة ويحللون الميتة
فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء
او يكذبون في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالاية
من قبل توجه الذم على تتبع الظن لان المذموم من اتباع الهوى هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار والمستند الى التقليد
اسلافهم فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو اعلم من يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمراد انك بعد ما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيدهم بل فوض امرهم
الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدي من هو والضال من هو فيجازي كل احد بما يليق بعمله او المراد ان هؤلاء
الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى اعلم عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم مطلع
على تحيرهم في اودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون افعل التفضيل لا يعمل في مظهر فبقي الكلام محذوف اي يعلم
من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوي بالباء كما في القلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وعدل الى لفظ
المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان اكثر ما يستعمل افعل من يستعمل مع الماضي نحو اعلم من دب ودرج واحسن من
قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم
ان يكون من للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى ثم قال فكلوا والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين
يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان

تاكلوا

تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى باسم الله
فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع في اكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها
والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا
يحرمون اكل المذكاة ويبيحون اكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبقوله ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه او يقول المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا يكون المراد تحريم الميتة
فقط والله اعلم اما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في اول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة و
الدم الى آخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من آخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي ان يكون المفصل
مقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال المراد قوله بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى آخرها فان هذا القدر
من التأخير غير ضائر وقوله الا ما اضطررتم اليه اي دعتكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة
في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين
لانه اول من غير دين اسمعيل عليه السلام واتخذ البحائر والسوائب واكل الميتة وقوله باهوائهم بغير علم يريد ان عمرو
بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها
ويحتجون عليها بقولهم اذا احل ما تذبحونه انتم فلان يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان
والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الآية دلالة على ان القول في الدين بمجرد التقليد حرام ان ربك هو اعلم بالمعتدين
فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر آية جامعة فقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فقيل ظاهره الزنى في الحوانيت
وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل
على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم من
جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال
المراد النهي عن الاثم مع بيان انه لا يخرج من كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم
قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح
وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني و
الندم على افعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون اي يكتسبون من الآثام ومنه الاقتراف نحو الاعتراف كما يقال التوبة تمحو الحوبة
وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب واهل السنة على
انه اذا لم يتب احتمل العفو ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى من طعام
او شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا اما لك كل ذبح
لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من
المتكلمين ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا او سهوا حلال اذا كان
الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والضمير عائد الى الاكل الذي دل عليه الفعل والى الموصول على انه في نفسه
فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اي وان اكله لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لا يفسق باكل
ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة
كانت في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم
ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله ان الشياطين
هنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين
يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل
فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام
فوقع في نفس ناس من المشركين شيء فنزلت الآية ثم قال وان اطعتموهم يعني في استحلال الميتة انكم لمشركون قال

وقال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله تعالى وحرم شيئا مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله تعالى
ثم قال الشافعي الفسق في آية اخرى وهي قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فيفسر بها اهل به لغير الله
فعلمنا ان الفسق في هذه الآية ايضا مفسر بما ذكرنا من هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه يوجد ذكر الله هاهنا لما روى
انه صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله مع المسلم سواء قال او لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب او يقول هب ان هذا الدليل
يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل في الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة
على الحل كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا كلوا واشربوا ولانه مستطاب وقد قال احل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد
نهي عن اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالاولى بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبي في
الآية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا واجيب بانه لم لا يجوز ان يراد بالشرك
هاهنا اعتقاد ان لله شريكا في الحكم التأويل وكلمهم الموتى اي قلوبهم الميتة وحشرنا اي اريناهم جميع الآيات المودعة
في المكونات الا ان يشاء الله فان المشية تغير السحبة والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن اكثرهم يجهلون ان الهدى ليس
بالمنى وانه بمشية المولى ثم اخبر ان البلايا للسائرين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس هي
النفس الامارة التي هي اعدى الاعداء والذين آتيناهم الكتاب هم بنور الكتاب الى حضرة الجلال فلا تكونن من الممترين في
الازل وتمت كلمة ربك كلامه وقضاؤه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة و
الرد والقبول والخير والشر والحسن والقبح والايمان والكفر فاحسن شيء كلمه هو الانسان لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وكذلك شر شيء هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه اسفل سافلين ولاهل الكمال ترق في كمال الحسن الى الابد
ولاهل النقصان تسفل في القبح الى الابد ايضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم
بسائله كل موجود وان تطع اكثر من في الارض وهم اهل الاهواء واقلهم اهل الحق وان هم الا يخرصون في دعوى طلب
الحق فان سبيل الحق لا تسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهوى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فمن امارات الايمان ان ياكلوا
الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويسموه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم بذكر الله فالاكل على
الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان من الجنان وقد فصل لكم ما احل الله ما حرم
عليكم وهو الدنيا وما فيها والآخرة ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضرورات البشرية في الدارين بامر المولى لا بالطبع و
الهوى ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم يعني الاعمال الطبيعية
وباطنه يعني الاخلاق الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لان الاخلاق الظلمانية توجب صداء مرآة القلب ورينها
الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تاكلوا طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله وفي طلب الله لئلا يدفع بنور الذكر
ظلمة الطعام وشهوته وانه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى ظلمة النفسانية وان الشياطين
ليوحون فان الشيطان مجالا في الوسوسة اذا كانت النفوس في المجادلة مع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى

اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
ای آنکس که هست مرده بکفر پس زنده کردیم او را باسلام و پدید کردیم برای او روشنی یقین که رود بدان نور در میان مردم
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين
تمیز کند بدان چون آنکس باشد که در ظلمات شبهت و ضلالت تو نیست بیرون آینده از ظلمات کفر همچنان آرایش بی حقیقت
للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل
آراسته شد برای کافران آنچه بودند که میکردند و همچنانکه در مکه جای مجرم اند پدید کردیم در هر
قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم
شهری بزرگان گناهکاران ایشان تا بدفعلی نمایند در آن شهر و بدبختی نرسانند مگر بتنهای خویش و نمی دانند که

وما يشعرون وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
و بال آن مکر بایشان عاید شود و چون آید بدیشان معجزه گویند هرگز تصدیق نکنیم تا که و چندما را مانند
ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب
آنچه داده اند بپیغمبران فرستاده خدای خدای داناتر است بدان آن موضع را که گرداند محل رسالت خود زود بود که رسد
الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا
بآنانکه گناه کردند خواری از نزد خدای و عذابی سخت بسبب آنچه هستند که
يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
بدسیرتی میکنند پس که خواهد که خدای راه نماید او را گشاده گرداند سینه او را برای قبول اسلام و هرکه را خواهد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء
که گمراه کند او را گرداند سینه او را تنگ گرفته ممتنع از قبول ایمان گویی بر شدن خواهد در آسمان
كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا
همچنانکه میگرداند خدای بی توفیقی را بر آنانکه نگروند و این دین اسلام
صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون
که توبرانی راه فرموده پروردگار تو است بحقیقت روشن گردانیدیم آیتها و حجتها برای گروهی پند گیرند باینها ای ما
لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون
مر ایشان راست سرای سلامت نزد پروردگار ایشان و او یار و دوست ایشانست بسبب آنچه بودند که میکردند از طاعت
ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال
و یاد کن آن روزی که گرد آریم ایشانرا همه گوییم ای گروه پری بحقیقت بسیار طمع حاصل کردید از آدمی و گویند
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا
دوستان ایشان از آدمی ای پروردگار ما برخورداری گرفت بعضی از ما ببعضی دیگر و برسیدیم بدان وقت
الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا
که تعیین فرموده بودی برای ما از نزول بعث گوید خدای آتش است جایگاه شما حال آنکه جاوید باشند در آن آتش مگر
ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض
آنچه خواهد خدای بدرستی که پروردگار تو درست کار است درست گفتار دانا به خبرها و همچنین تقویت دهیم و مسلط کنیم بعضی را
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن و
از ستمکاران بر بعضی بسبب آنچه هستند که میکنند ای گروه پری و
الانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم
آدمی آیا نیامد بشما پیغمبرانی از میان شما که قصه میکنند بر شما

ءاياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا
آيتهاى مرا و بيم مينمودند شما را از فرارسيدن روز شما اين روز گويند اقرار كرديم برتنهاى خود تبليغ ايشان و تكذيب ما
وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
و فريفت ايشانرا زندگانى دنيا و گواهى دادند بر تنهاى خود كه ايشان بودند كافران

القراءة ميتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب والتوحيد ابن كثير و حفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا بابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الاخرون بالنون الوقوف بخارج منها ط يعملون ه فيها ط وما يشعرون ه رسل الله ط رسالاته ط يمكرون ه للاسلام ج لابتداء شرط آخر مع العطف في السماء ط لا يؤمنون ه مستقيما ط يذكرون ه يعملون ه جميعا ج للحذف اي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس ج الاول لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا ط قال النار تغلظ الصوت على النار اشارة الى النار مبتدا بعد القول وليست فاعله شاء الله ط عليم ه يكسبون ه يومكم هذا ط كافرين ه التفسير سبحانه بعد ان ذكر المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمن كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وابا جهل وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء او من كان ميتا اشارة الى اولى مراتب النفس الانسانية وهي استعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فاحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا يكون حاضرة بالفعل بل يكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل اي الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من الامرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس او السراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي ولهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن في الظلمات ليس بخارج منها وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فانا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة والله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله تعالى بالحقيقة او المجاز اولى بدليل قوله وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا في مكة صناديد

ليمكروا فيها كذلك جعلنا اي كما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الاكابر جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة في حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة ويكفي بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا على اصله عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال في معرض التهديد وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصر ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم آية اي معجزة قاهرة او وحي قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة وللمفسرين في مخرجهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين ومخدومين لا خادمين وثانيهما نقل عن ابن عباس والحسن ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن يامرهم باتباع محمد قالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى ابي جهل والى فلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا آيات قاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستئناف الله اعلم حيث يجعل رسالاته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الآيات فلو اظهر الله تلك المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية نورانية وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانية فالنفس ما لم يكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل ايضا مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة ومنهم ذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من آمن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار امره على التغليظ والتشديد وفي الآية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لا بد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم ولهذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله في الآخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل او المراد من عند الله بحذف او قوله عند الله مستانف اي نعد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لا بد فيه من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا واعرضوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وسلم طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد ذلك بسبب مكرهم ونكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسألة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه وسلم يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لا بد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الآخرة زائد النفع والخير والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضرر والشر والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد في

الدنيا والرغبة في الآخرة اما قوله حرجا فمن قرا بكسر الراء فعلى نعت ومن قراه بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج
الحرج في اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا ينا له الراعية حكى الواحدي
باسناده عن ابن عباس انه قرا هذه الآية وقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير
الاشجار المستمسك الذي لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء
فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في نفوره عن الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد
ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقوله تباعد ما بين الارض والسماء وكذلك يجعل اي كما جعل ضيق الصدر في قلوبهم كذلك
يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان سلطه الله عليهم
وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة
قالت الاشاعرة في الآية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى بيانه ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته
بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح لداعية ولا معنى للداعية الا علمه او اعتقاده او ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على
مصلحة زائدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل
فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقادا ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق في
قلبه اعتقادا ان الايمان سبب للمفسدة الدينية والدنيوية نابطبعه عنه وبقي على الكفر فحاصل الآية ان من
اراد الله منه الايمان قوي دواعيه اليه ومن اراد منه الكفر قوي صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة
في الآية على قولكم لانه ليس فيها اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها انه
اراد ذلك او لم يرد نظيره قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين انه كيف يفعل اللهو لو اراده ثم انه
لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم انه اراد ومن يرد ان يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه يوم القيامة
الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت له وتفسير الشرح هو ان يفعل به الطافا تدعوه الى البقاء على الايمان و
الثبات عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقي في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في
بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور نصرة المؤمنين ووجدوا الذل والصغار في الكافرين وايضا لم لا يجوز
ان يقال المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام في ذلك الوقت الذي يهديه فيه الى الجنة لما
راى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فيزداد رغبته فيه ومن يرد ان يضله
يوم القيامة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد الذي ناله عند الحرمان من الجنة والدخول
في النار وقال في الكشاف فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره
للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله اي يخذله
ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى لتسو قلبه وينبو عن قبول الحق
وينسد فلا يدخله الايمان واجيب عن قولهم ليس في الآية انه اراد ذلك او لم يرد ان قوله في آخر الآية كذلك
يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف في التشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج
في صدره كذلك يجعل وفيه ايضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد ان يضله هو انه يضله عن الدين وتفسير
الضيق والحرج باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالآخرة كان من ايضاح الواضحات
فمن المعلوم ان كل احد ممن يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف
ما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان يحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى
وكذا القول في جانب الكفر فان سمى الداعيتين احدهما اللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في
تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه قال تذاكرنا امر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا
فاذا كان يوم القيامة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل اين خصماء الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى انهم الذين
ينسبون افعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاي ذنب لنا حتى نعاقب انت الذي خلقته

فينا واردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا ييسر لنا غيره فهؤلاء لا بد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا
ان الله تعالى مكن وازاح العلة فانما اتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون
لله تعالى لا خصماء هذا كلام القاضي وتعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا توجه
من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه
الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعي عليه وجوب الثواب والعوض ويقول
لو لم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من واظب على الكفر سبعين سنة
مصونة ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق
مجلس استاده ابي علي الجبائي وترك مذهبه وكثر اعتراضه على اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان ابا علي عقد مجلس
التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ ابو الحسن مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز انا اعلمك
مسألة فاذكريها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلاثة من البنين واحد في غاية الزهد وآخر في غاية الفسق والآخر الثالث كان
صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني ايها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات الجنة واما
الكافر ففي دركات النار واما الصبي فمن اهل السلامة فقال قولي له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك درجات العالية
التي حصل فيها اخوه الزاهد فهل يمكن منه فقال الجبائي لا لان الله تعالى يقول انما اخوك وصل الى تلك
الدرجات لانه اتعب نفسه في العلم والعمل واما انت فليس معك ذلك فقال ابو الحسن قولي له لو ان الصبي يقول
يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي فلو ابلغتني فربما زدت على اخي الزاهد في الزهد فقال
الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال ابو
الحسن قولي لو ان الاخ الكافر الفاسق رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين
ويا ارحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا
الحسن فعلم ان المسألة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسين البصري جاء بغداد واكثر تعجبا عن الجبائي قائلا لا ترتضي
بهذا الجواب مبني على مسألة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا فقال البصريون
انه غير واجب ولكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب وعلى الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني
طولت عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على احد بشيء ان اتفضل على غيره بمثله و
على قول البغداديين لله ان يقول ان اطالة عمر اخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم
فعلته اما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته فظهر الفرق
واورد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه
ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد
كمن منع غيره من النظر في مرآته المنصوبة على الجدار لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا
فليكن ههنا ايضا مقبولا والا فلا تقبل في شيء من الصور وبطل كلية مذهبكم واورد على الشق الثاني ان قولنا تكليفه
يتضمن مفسدة ليس معناه ان ذات التكليف تتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق
فمعناه ادعت انه تعالى علم انه اذا كلف هذا الشخص فان انسانا آخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى
هذا القدر بان يترك الله تكليفه وجب ان تقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام
مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق منا فيما سلف فتذكر ثم قال وهذا صراط ربك وفي المشار اليه وجوه
منها انه المذكور في الآية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية
من الله تعالى فيكون الفعل من الله تعالى ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة فالمراد هذا
الذي قررنا طريقته التي اقتضتها الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا
مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل فيها اسم الاشارة من معنى الفعل او هو محذوف اي احقه وعن ابن عباس
يريد هذا الذي انت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا فصلا

بحيث لا يختلط شيء منها بالآخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات كثيرة من هذه السورة
متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر في عقل كل واحد ان احد طرفي
الممكن لا يترجح على الآخر الا لمرجح فكانه يقول للمعتزلي تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى تزول
الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي مع الدواعي طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء في
كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفي الصانع وابطال القول بالفعل والتاثير والمؤثر لما بين عظمة نعمته في الصراط
المستقيم بين ما اعده وهيأه للمتذكرين فقال لهم دار السلام اي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قال الله قيل
الكعبة بيت الله او دار السلامة من كل آفة وكدر والسلام مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل
السلام جمع السلامة لان انواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده وفي ضمانه كما يقال لفلان عندي
حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها وهو وليهم اي قريب منهم بالرحمة والرضوان او مواليهم
ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر المقتدر الا هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا
هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا
بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل بجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اي بسبب
اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون الى ان لا ينقطع العمل ولا يتكلوا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا
وكما ان الهيئات النفسانية قد تؤثر في البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس
فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة
ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفه بذكر من تعلق بضده فقال ويوم نحشرهم والمراد واذكر يوم كذا او يوم نحشرهم
قلنا او شيء قدمه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما ان يعود الى
الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى يبعثهم
من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى
بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا في الدنيا انتهى حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف
وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد
استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اي الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس والمراد قد
استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود اما قوله وقال
اولياؤهم من الانس فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال الجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس ايضا مثل ذلك
توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا
استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان
احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض منفردا او خاف على نفسه قال اعوذ بالله بسيد هذا الوادي من
سفهاء قومه فيبيت آمنا في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانس اذا عاذ بالجني
كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجن يقول قد سدت الجن لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا
قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثانيهما
ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس بالخادم
واما انتفاع الانس بالجن فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي ايقنوا عنده بسوء عاقبتهم
وهذا اختيار الزجاج والقول الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من
حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت باجله لانهم
اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيامة قال
الله تعالى النار مثويكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوي اسم للمصدر دون

في جحيم النار

المكان

المكان لان قوله تعالى خالدين فيها واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان تقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل
المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم
ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه و
سلم وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة الذين يحشرون فيه وقيل
المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وروي انهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم
يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف يكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل
يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عليك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت
من اشد الوعيد مع تهكم لانه اطماع محض وياس كلي وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى
الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذي سميته لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الآجال الاخترامية
ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب ومثاب وجوه المجازاة عليم بما يستاهله كل طائفة وكانه تعالى يقول لهؤلاء
بعذاب الابد لعلمي انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتولى بعضا بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه
فقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح احد الجانبين لا يكون الا
بداعية يخلقها الله قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه سبحانه ولي اهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان اولياء اهل النار
من يشبههم في الظلم والخزي والنكال واشار بقوله بما كانوا يكسبون اي بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذه مناسبة
في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم كالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الآية دلالة على ان الرعية متى كانوا
ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم سلطانا ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال
جاء في بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة
لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الي اعطفهم عليكم ثم بين انه كما ان الثقلين لا يكون لهم الا الجحود يوم القيامة سبيل
وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم امر ألم يأتكم رسل
منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالآية وبقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا
كالانس ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن
رسول البتة انما كانت الرسل من بني آدم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف
واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء
ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الآية تقتضي ان رسل الجن والانس يكون بعضا من ابعاض هذا المجموع فكان
هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره ولا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال الرسل كانوا من الانس ثم
كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس وينذرون قومهم بذلك كما قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقد يسمى رسول
الرسول رسولا لانه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار
الثقلين بهذه الآية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب انه ارسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى
الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدي اراد رسل من احدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
اي من احدهما وهو الملح الذي ليس بعذب وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم آياتي فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتاويل والتلاوة وينذرونكم
لقاء يومكم هذا اي يخوفونكم عذاب هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب في انهم
اقروا في هذه الآية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو انهم اختلفت الاحوال في يوم القيامة يضطربون
فتارة يقرون واخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم في الدنيا
بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم في الآخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم
في القيامة زجر امثالهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن
لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة التاويل او من كان ميتا في حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اي الحال التي

لا يموت وجعلنا له نورا الوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس في الظلمات الطبيعة وكذلك
جعلنا في كل قرية اي كل قالب اكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع مثل
ما اوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره اي ينظر الى قلبه بنظر العناية فينور بنور جماله وهو نور الايمان فينشرح
الصدر بضوء النور الواقع في القلب وهذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاشتداد الى ان يصير
الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عيانا ضيقا لتزاحم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كانما يصعد
في السماء لانه سفلي بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذي بينا من الهداية والضلالة صراط ربك باللطف والقهر فهذا
اللطف يهدي السعيد وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام اي السلام عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة
بعد الخروج عن الاثنينية ويوم نحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اي الصفات الشيطانية
قد استكثرتم من الانس اي غلبتم على صفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض
واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء ادم وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان ينقضي بقضائك وقدرك فاجابهم بان النار مثويكم في النار بقضاء الله
الا ان يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة وباهل النار وكذلك اي كما جعلنا مردة
الجن والانس بعضهم اولياء بعض فكذلك نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري الم ياتكم رسل منكم
يعني الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اي وقع اعتقادهم من السعادة العظمى انهم بذنوبهم كانوا اصداء مراة قلوبهم وان ليس للانسان الا ما سعى

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون

كار آنست که گفتیم برای آنکه نباشد پروردگار تو هلاک کننده اهل بلاد بی سزا و حال آنکه اهل آن باشند غافلان از

ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون و

و هر یک از مکلفان مراتبست از جزای آنچه کردند و نیست پروردگار تو غافل از آنچه میکنند بلکه آگاهست و

ربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف

خداوند تو بی نیاز است از خلق خداوند بخشایش است اگر خواهد بعدم برد شما را و عوض آورد

من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم آخرين انما

پس از فنای شما آن مخلوق که خواهد چنانچه آفرید شما را از فرزندان گروه دیگران

توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم

وعده داده میشود شما را آینده است و نه آید شما را از آن آنکه از عذاب فوت بگوی ای گروه من کار کنید بر حالت که هستید

اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا

من نیز کار کننده ام پس زود بود که دانید آنکه خواهد بود او را نکوئی عاقبت سرای جزای بدرستی کار آنکه

يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا

رستگاری نیابند ستمکاران و بخشیدند برای خدا از آنچه آفرید از کشت زار و شتر و گاو و گوسفند بهره

فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم

پس گفتند این نصیب خداست بدعوی ایشان و این نصیب دیگر برای بتان پس آنچه هست مر انبازان ایشان را

فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما

پس نرسد بمصارفی که از بهر خدای تعیین کرده اند و آنچه هست برای خدای پس آن رسد بمصارف بتان ایشان بد است آنچه

يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل

حکم میکنند بدان و همچنان شیطان آراسته است برای بسیاری از آن مشرکین کشتن

اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء

فرزندان ایشان را انبازان ایشان تا هلاک کنند ایشان را و تا پوشانند بر ایشان دین ایشان را و اگر خواستی

الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث

خدای نکردندی آن پس بگذار ایشان را با آنچه بافتراء دروغ می گویند و گفتند این شتر و گاو و گوسفند و کشت زار است

حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام

منع کرده شده نخورد آنرا مگر آنکه خواهیم باعتقاد ایشان و ستوران چند دیگر است که حرام گردانید پشتهاشان از شتران او ستوران دیگر

لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا

که یاد نمیکنند نام خدا را بر آن برای دروغ بر حکم خدای زود و جزا دهیم ایشان را بآنچه هستند که

يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا

دروغ میکنند بر خدای و گفتند آنچه در شکمهای این ستوران است یعنی بچه خالص است و حلال برای مردان ما

ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم

و حرام است بر زنان ما و اگر باشد مرده پس ایشان درو انبازانند زود جزا دهد ایشان را

وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا

جزای آن صفت کردن ایشان بدرستی او با حکمت است دانا بحقیقت زیان کردند آنانکه کشتند

اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله

فرزندان خود را از بی خردی بی دانش و حرام کردند آنانرا که روزی کرد ایشان را خدای

افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين

برای دروغ گفتن بر خدای بحقیقت گمراه شدند و نبودند ایشان راه یافتگان

القراءة عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من
يكون بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء التانيث بزعمهم بضم الزاي علي وكذلك ما بعده الباقون بالفتح
زين على البناء للمفعول قتل اولادهم بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الاخرون زين على البناء للفاعل
قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التانيث ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير
وابن عامر وقرا يزيد ميتة بالتشديد الباقون بالتخفيف **الوقوف** غافلون ه مما عملوا ط يعملون ه ذو الرحمة ط
آخرين ه لآت لا لان الواو بعده للحال بمعجزين ه عامل ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب يعملون لا لان ما بعده مفعول
سواء كان من استفهامية او موصولة عاقبة الدار ط الظالمون ه لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله ج للفصل بين المتضادين

معني مع الاتفاق نظما شركائكم ط يحكمون ۰ دينهم ط يفترون ۰ افتراء عليه ط يفترون ۰ اذ ولجئنا للشرط مع العطف شركاء ط
وصفهم ط عليم ۰ علي الله ط مهتدين ۰ التفسير ذلك اشارة الي ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر
مبتداء محذوف اي الامر ذلك ويحتمل ان يكون مبتدا خبره ان لم يكن وهو التعليل والمعني الامر ما قصصنا عليك وذلك
الذي ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القري وان هي الناصبة للافعال او مخففة من الثقيلة وعلي هذا يكون ضمير الشان محذوفا
لان الشان والحديث كذا ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ومعني قوله
بظلم اي بسبب ظلم اقدموا عليه وهذا اليق باصول الاشاعرة او المراد ظالما لهم فيكون من فعل الله وهذا انسب باصول المعتزلة
ومعناه انه تعالي لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لم ينبههم برسول ولا كتاب كان ظالما لهم فيكون من فعل الله وهذا وعلي هذا التفسير
يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظالما ولكنه يكون في صورة الظلم علي نفسه مجازا والا فهو تعالي يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد في شيء من افعاله واما قوله واهلها غافلون فليس المراد من هذه الغفلة ان يتغافل
المرء عما يوعظ به وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وان لا يزيل عذرهم وعللهم قالت الاشاعرة في الاية دلالة علي
انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان الفعل المحض لا يدل علي الوجوب البتة لانها تدل علي انه تعالي ما يعذب احدا علي امر من
الامر قبل بعثة الرسل لكن بعدها فالمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر علي تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان
عايدا الي العبد دل علي انه يمكن ان يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عايدا الي الله تعالي فقد تم الاعتراف
بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل درجات اي ولكل عامل في
عمله درجات وعلي حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعني مما عملوا اي من جزاء اعمالهم و
قيل ان اول الاية مختصة باهل الطاعة لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية يكون الدركات واليها الاشارة
بقوله وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة في الاية دليل علي مسئلة الجبر والقدر فانه تعالي حكم لكل واحد
بدرجة معينة في وقت معين وبحسب فعل معين واثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملائكة وخلاف
علمه واثباته واشهاده محال ثم بين انه ليس يحتاج الي طاعة المطيعين ولا ممن خل عليه نقص بمعصية العاصين فقال
وربك الغني ذو الرحمة اما انه غني في ذاته وصفاته وفي افعاله وفي احكامه عن كل ما سواه فلوجوب وجوده
وان ما سواه ممكن لذاته مفتقر في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان
كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق
وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل علي ان الخير غالب كالصحة في الشبع والسمع والبصر وما ذلك الا لرحمته الكاملة
ورافته الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد وداعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكين
الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالي ومن هنا يعلم تنزهه تعالي عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف
الخلايق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدايمات ثم لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا
وموضعا معينا فبين تعالي بقوله ان يشا يذهبكم انه قادر علي وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر علي ان يخلق قوما اخرين
ويضع رحمته فيهم وعلي هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعني الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ
التكليف ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا علي طريق البدل من فايت وقوله ما يشا
اي خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا آخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا
ثالثا خالفا للثقلين ليكون اقوي في الدلالة القدرة ثم بين سبب قدرته علي ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم آخرين
لان من قدر علي تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة قدر علي تصويرها بصور اخري مخالفة لها وقال
في الكشاف المعني كما انشاكم من اولاد قوم آخرين لم يكونوا علي مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام ثم ذكر حال
المعاد فقال انما توعدون لآت قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيامة ويحتمل ان يقال انما توعدون
لآت اشارة الي لطفه اي كل ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا
وحكمنا اشارة الي قهره يقال اعجزه الشيء اي فاته والجزم في جانب الوعد والتعريض في جانب الوعيد دليل علي ان جانب
الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلي الله عليه وسلم بتهديد منكري البعث فقال يا قوم اعملوا علي مكانتكم قال

الواحدي قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكن وبمعني المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعني الاية اعملوا علي تمكنكم من امركم واقصي استطاعتكم وامكانكم
او اعملوا علي جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل علي مكانتك يا فلان اي اثبت علي ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل
علي مكانتي التي انا عليها والمعني اثبتوا علي كفركم وعداوتكم فاني ثابت علي الاسلام وعلي مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه علي
سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون انا يكون له العاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعاد
اي قل اعملوا فستجزون وهكذا في سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فصار استينافا ومحل من نصب
ان كان بمعني الذي او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعني اي وعاقبة الدار العاقبة الحسني التي خلق الله هذه الدار
لها وهي مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وادب وثوق بان المنذر محق ولهذا
قيل له فان الكافر يكون العاقبة عليه لا له ثم حكي انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها علي ضعف عقولهم وقلة
محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الي اقوال امثالهم فقال وجعلوا قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم
نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها
عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الي الله وما كان لله فهو يصل الي شركائهم وفي تفسيره وجوه قال ابن عباس كان
المشركون يجعلون لله تعالي من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموه
الضيفان والمساكين ولا ياكلون منه البتة ثم ان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني
عن هذا وان سقط شيء مما جعلوه للاوثان في نصيب الله تعالي اخذوه وردوه الي نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما
ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شيء اخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل
ذلك فيما لله تعالي وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للاوثان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان علي ضد ذلك
تركوه وقال قتادة اذا اصابهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الي شركائهم وقال المقاتل ان زكا ونما
نصيب الالهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الالهة وقالوا لو شاء زكي نصيب نفسه واما ان زكا نصيب الله ولم يزك
نصيب الالهة فانهم قالوا لا بد لالهتنا من نفقة فاخذوا نصيب الاله تعالي فاعطوه السدنة فمعني فلا يصل الي الله انه
انه لا يصل الي الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قري الضيفان والتصدق الي المساكين ومعني الوصول الي شركائهم
انهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء علي سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرا فيه ان الله تعالي كان اولي
بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذراه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء
فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام في الرعاية والحفظ علي جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث
لله وبعضه لغيره مع انه تعالي هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم احدثوه من قبل نفسهم ولم يشهد بصحته عقل
ولا شرع واشار اليه بقوله بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب الكل جور ومدار الخامس
لا تاثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها علي الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث
النوع الثاني من احكامهم الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر
او من التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما نذر عبد المطلب علي ابنه عبد الله والشركاء
علي الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية الله تعالي وعلي الثاني هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد
والثاني الكلبي وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او مثل
ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم
بالواو والنصب ثم ان وجه القراءة الكثيري ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به واما قراءة ابن
عامر فخطاها الزمخشري من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد يجوز بالظرف كقوله
در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وحملوه علي ضرورة الشعر
مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القران حجة علي غيره وليس غيره حجة عليه والقراءات السبع كلها متواترة
فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القران المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت

وان لا يلتفت الى نه هل ورد له نظير في اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثير ام لا ومع ذلك فقد وجهه بعض
الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله بين ذراعي وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة
من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على تقدير عرض الآخرة فتقدير الآية قتل شركائهم اولادهم قتل شركائهم ومعنى ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمولة على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة
التعليل ان كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوا عليهم ويشبهوا دينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا
الذي اتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة اراد ان يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا
عليه وقيل وليوقعهم في دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشياطين او السدنة
التزيين او الارداء او اللبس او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعنى لحملوا هذه المشية على
مشية الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على قانون قوله واعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على المأمور
بانه لا يأتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذه الآية ولو شاء الله ما فعلوه لانه وقع عقب آيات فيها ذكر
الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآيات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما فاولها
ان قالوا هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل الحجر المنع وسمي الحجر لمنعه من القبائح وفلان في حجر
القاضي اي في منعه كانوا اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم
الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي
وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام
وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل افتراء
عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء ثم قال سيجزيهم بما
كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد النوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام
يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا هذا ان ولد حيا وان يكن ميتة فهم فيه
شركاء اي اشترك فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقدير وان يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ
بالرفع فعلى ان كان تامة اولان التقدير وان لم يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتأنيثه لان
تأنيث الميتة غير حقيقي او لان الميتة لكل ميت ذكرا وانثى فكانه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا
في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم على الله الكذب
في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف انث
خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي
الاول وجهان آخران ان يكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وان يكون مصدرا كالعافية والعاقبة اي
ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح احكامهم واخبارهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم
الاهتداء فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الآية وذلك ان الولد نعمة عظيمة من الله يبقى
ذكره ونسله فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر او نحوه او لفائدة موهومة هي القربة
الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه يوجب لخسران الدارين وكذا تحريمهم ما احل الله من الطيبات بالهوى
والتقليد بل بمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب واكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم اخرا بالضلال
ثم بعدم الاهتداء ليحصل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن والله اعلم التأويل مهالك
القربى اي قرى خواص الانسان بظلم وعوض الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية واهلها
غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وتلك الغني عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة ذو الرحمة خلقهم
ليرحم عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم اي على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه قتل اولادهم
شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع

الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع من مجاهدة النفس لا يكون له نور اذا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا
اولادهم لان ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول
مراتب اهل القرب وما كانوا مهتدين لا خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات اليقين وحقائقه كثرة العيال
على بساط التوكل

وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل
و او خدايست كه آفريد بوستانها سقف بديد كرده از چوب و بر زمين افتاده برگ و باران و خرما بنان را
والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير
و كشت زار حال آنكه مختلف است بار او از رنگ و بوی و طعم و زيتون را و انار را مانند يكديگر در قدر و طعم و لون و نه مانند
متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده
يكديگر بخوريد از ميوه آن چون آغاز بيرون آمدن كند و بدهيد آنچه واجبست از آن در روز درويدن آن
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا
و از حد اعتدال تجاوز منماييد بدرستی كه او دوست نميدارد مسرفان را و آفريد از شتر و گاو و گوسفند آنچه بار را شايد و آنچه ذبح را شايد
كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه
بخوريد از آنچه روزی داد شما را خدای و متابعت منماييد آثار اقدام ديو را بدرستی كه او
لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز
مر شما راست دشمنی هويدا هشت و عدد اند از ميش نه دو و از بز نه
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
دو بگو ای دو نر نه را حرام كرده يا دو ماده را يا آنچه كرد آمده است بر آن
ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل
رحم اندامهای دو ماده خبر دهيد مرا بدانش اگر هستيد راست گويان و از شتر
اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
دو و از جنس گاو دو بگو ای دو نر را حرام كرده يا دو ماده را
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ
يا آنچه گرد آمده است بر آن رحم اندامهای آن دو ماده يا نه كه بوديد حاضران چون
وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
وصيت فرمود شما را خدای باين حكم پس كيست ستمكارتر از آنكه از خود بربافت و بر خدای دروغ را
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل
تا بيراه كرده اند مردم را بی دانش بدرستی كه خدای راه ننمايد گروه ستمكاران را بگو

لا اجد فيما اوحي الي محرما علي طاعم يطعمه الا ان يكون
نمي يابيم در آنچه وحي فرستاده شد بسوي من حرام كرده شده بر خورنده كه خورد آنرا مگر كه باشد از چيز
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا
مرده يا خوني ريخته يا گوشت اين جانور كه پليدي كه خبيث است يا باشد سببي فسقي
اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور
كه رفع صوت كرده باشند با آن پس هر كه بيچاره آيد آنرا نه تجاوز كننده از غير و نه ستم كننده پس بدرستي كه پروردگار تو آمرزگار است
در وقت ذبح مر غير خدايرا — مقدار حاجت بر مضطر يا كم
رحيم وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر و
مهربان و بر آنانكه جهود شدند گردانيديم هر حيوان باناخن را
من البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
و از گاو و از گوسفند حرام گردانيديم بر ايشان فربهي آن دو صنف مگر آن چربي كه برداشته اند
ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم
پشتهاي آن دو يا امعاء آن دو يا آنچه آميخته باشد باستخواني آن جزا پاداش داديم مايشانرا
ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم
بسبب ظلم ايشان و بدرستي كه ما هر آينه راست گوييم پس اگر تكذيب نمايند ترا پس بگو پروردگار شما
ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين سيقول
خداوند مهرباني بسيار است و باز گردانيده نشود عذاب او از گروه گناهكاران زود بود كه گويند
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
آنانكه شرك آوردند اگر خواستي خداي شرك نياوردي ما و نه پدران ما
ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتي ذاقوا
و نه حرام گردانيدمي هيچ چيزرا همچنان تكذيب نمودند آنانكه پيش بودند تا كه چشيدند
باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون
عذاب مارا بگو هيچ هست نزد شما از دانش و حجتي بر صحة دعوي شما كه بيان كنيد آنرا از براي ما متابعت نميكنيد
الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو
مگر گمانرا و نه آيد شمارا مگر كه دروغ ميگوييد بگو مر خدايراست حجة تمام بر خلق پس
شاء لهديكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين
اگر خواستي هر آينه راه نمودي شمارا همه بگو حاضر كنيد گواهان شما آنانكه
يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا
گواهي دهند كه خداي حرام گردانيد اين را پس اگر گواهي دهند پس گواهي مده با ايشان يعني سخن ايشانرا تصديق مكن

يعدلون
برابر ميكنند بتانرا

تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم
و متابعت مكن آرزوهاي آنانرا كه تكذيب نمودند آيتهاي مارا و آنانكه ايمان نمي آرند بآخرت و ايشان بپروردگار خود

القراءة حصاده بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضان بغير همز ابو عمرو وغير شجاع والاوقيه والاعشي والاصبهاني عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس طريق ابن دوحي عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر ويزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا بالامالة علي وحمزة وخلف تذكرون بالتخفيف والرفع ابن عامر ويزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا بالامالة علي وحمزة وخلف نظل ذلكم وبابه نظير الحلواني عن قالون والبرجمي **الوقوف** متشابه ط حصاده ز ولا تسرفوا ط المسرفين لا لان قوله حمولة منصوب بانشا وفرشا ط الشيطان ط مبين لا لان ثمانية منصوب بانشاء ازواج ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعني اثنين ط ارحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين ط لان اثنين منصوب بانشاء ايضا ومن البقر اثنين ط ارحام الانثيين ط لان ام في قوله ام كنتم بمعني الف استفهام توبيخ بهذا للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعني علم الظالمين ه لغير الله ط رحيم ه ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعني بعظم ط ببغيهم ز للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا وللوصل وجه لان المعني وانا الصادقون فيما اخبرنا من التحريم ببغيهم واسعة ط لاختلاف الجملتين المجرمين من شيء ط باسنا ط لنا ط تخرصون ه البالغة ج للشرط مع الفاء اجمعين ه حرم هذا ج كذلك معهم ج لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون **التفسير** انه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم علي تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضا والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهي الكلام الي شرح احوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الي تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم اتبعه حكاية اقوالهم الركيكة تنبيها علي ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الي ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلائل علي اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشا الآية انشاء الشيء ينشئه انشاء اذا اظهره وابتدعه والله ينشئه انشاء الظهور ونضجه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب تعرش وبعضها يبقي علي وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الي ان يتخذ له عريش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة ساقه من التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فبقي غير معروش والنخل والزرع قال ابن عباس الزرع جميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله والاكل ما يوكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفي باعادة الذكر علي احدهما كقوله اذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شيء منهما طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة اي انشاه مقدرا اختلاف اكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الآية المتقدمة اعني نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الآية انظروا الي ثمره تنبيها علي ان الامر بالاستدلال بها علي الصانع الحكيم متقدم علي الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زايلة وفايدة هذا الامر الاباحة الاكل علي اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم علي المالك تناوله لمكان شركة المشاركين فيه وفي الآية اشارة الي ان خلق هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكون حق النفس مقدما علي الثاني لان حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق ولان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به علي ان الاصل عدم وجوب الصوم وان من ادعي ايجابه فهو المحتاج الي الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر لا يلزمه قضاء ما مضي وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر يفيد ترجيح جانب الفعل فحملها علي الاباحة والوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفايدة قوله اذا اثمر وقد علم

انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه حتى ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا
ادرك واينع اما قوله وآتوا حقه يوم حصاده ففي ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن و
طاوس والضحاك ان الآية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا فكيف تؤدي الزكوة يوم الحصاد والحب في
السنبل والجواب ان المراد اعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء
وقال مجاهد الآية مكية وان هنا حقا في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم
منه واذا داسته واذا ذريته واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وزيف بقوله صلى الله عليه وسلم ليس في المال حق سوى الزكوة
وبان قوله وآتوا حقه وانما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد
بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر او نصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ والقول الاول
اصح ثم ان ابا حنيفة بالآية على وجوب الزكوة في الثمار لانه تعالى قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع وهو العنب و
النخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة
عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو ايضا بها على ان العشر واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب
ان بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسير
فعن ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فهذا سرف كما جاء
في الخبر ابدا بنفسك ثم بمن يعول وروي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فاخذها فقسمها
في يوم واحد ولم يدخل الى منزله شيئا فنزلت الآية ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله ولو امسك الصدقة فقط اسرف
وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال غيره سرف المال
ما ذهب منه في غير منفعة وعلى هذا فقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري لا تنفقوا
في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما
في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير
ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المسرفين والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله تعالى فانه من اهل النار
لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي وانشأ من الانعام
هذين الجنسين فالحمولة ما تحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر
بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة
اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احلها لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان و
لا تسلكوا الطريقة التي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين
العداوة وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول
كلوا والعرب يسمي الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد فيهما زوجا وهما زوجان
قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين اي زوجين
اثنين ومن المعز اثنين وفي الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضان خلاف الماعز
والجمع يعني اسم الجمع الضان والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضان ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف
انه قرئ بافتح العين والضان ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منهما قل آلذكرين حرم ام الانثيين
نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضان وهو الكبش
والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الانثى من الضان وهي النعجة والانثى من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية
والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تشتمل
عليه ارحام الانثيين اي مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر انه من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيين
منهما الناقة والبقرة وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف
ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة من خلط تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي

ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله
يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام
لمنافعهم وبا باحتها لهم الا انه فصل بين بعض المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي
جملة معترضة جيء بها تاكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء
فام منقطعة اي بل اكنتم ومعناه الانكار ونحواه اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون
ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة ومعناه الانكار ونحواه فتهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى امثالهم بالظلم بقوله
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة
اسمعيل وبحر البحاير وسيب السوايب والاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء
الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله في مسايل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات
وفي المعاد قال القاضي في الآية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى واجيب
بانه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبيد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم
مذموم منا دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا يهديهم الى الثواب والى زيادات الهدى التي يختص
المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه انه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة
الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح في الباب فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم
يطعمه على اكل ياكله الا ان يكون ذلك الماكول اما الموجود او الطعام او دما مسفوحا مصبوبا سايلا قال
ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي احياء وما يخرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال
لجمودهما ولا ما يختلط باللحم من الدم فانه غير سايل وسئل ابو مجلف عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر الذي يرى
فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما النهي عن الدم المسفوح وبلي في الآية ظاهر مما سلف في امثالها وانتصاب فسقا
على انه معطوف على المنصوبات قبله واهل صفة له منصوبة المحل سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق كما يقال فلان فيكم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير
في به يعود الى ما رجع اليه المستكن في يكون قال العلماء ان هذه مكية وقد بين في الآية انه لم يجد فيما
اوحي اليه قرانا او غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة
على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما اكل
السبع الا ما ذكيتم من اقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة
من اولها الى اخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات
فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس وههنا علل تحريم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريمه
الاكل فكل نجس فانه يحرم اكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبايث والنجاسات وان جوزنا تخصيص عموم
القرآن بخبر الواحد كما روي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل
المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شيء خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين
سبحانه انه حرم على اليهود اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول
انه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات ضم الفاء والعين وهي الفصحى وكسرهما وهي قراءة ابن السماك والضم مع
السكون وهي قراءة الحسن واختلف في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء انه الابل فقط وعنه في رواية اخرى وهو
قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة
وزيف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحات لهم كما يجيء مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر
على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا عم التحريم فعموم التحريم خاص بهم وهذا قدم الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك
على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر مبينا للآية لا مخالفا

كما ظن صاحب التفسير الكبير **النوع الثاني** قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد
اخذت ماله تريد بالاضافة يعني اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر
كله ومن البقر والغنم بعضهما وذلك شحومهما فقط وهذا ايضا ليس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا
ما علق من الشحم فاني لم احرمه وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور
والجنوب من السحفة وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه
يحتم عند الهزال ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني قوله او الحوايا
قال الجوهري الحوايا الامعاء واحدها حوية وفي معناها حاوية البطن وحاويا البطن وقال الواحدي هي المباعر والمصارين
والنحوي او ما اشتمل على الامعاء يعني ان الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث او ما اختلط
بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم الالية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والراس وفي العينين والاذنين
فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا
غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا او ما اختلط
بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى
كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص هذا واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات
جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبايح افعالهم
وانا الصادقون في هذا الاخبار او فيما نوعده العصاة قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على
جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان واجيب بان المنع من الانتفاع يمكن ان
يكون لمزيد الثواب ويمكن ان يكون لشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في اخبار ابعاد العصاة وزعموا ان الله واسع
الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد باسه اذا جاء
وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني المكذبين وعلى اصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع ذلك عن الذين
ارتكبوا الكبائر فما توا قبل التوبة ثم حكى اعتذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا آباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلا الزايدة
لتاكيد النفي اخبر الله تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء وانما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك
يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما
العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييد
بقوله من دونه ولما حذف من الآية لفظة من دونه مرتين حذف معه نحن ليطرد الآية في حكم التخفيف اما تفسير
الآية فزعمت المعتزلة انها تدل على قولهم في مسئلة ارادة الكاينات من سبعة اوجه **الاول** ان الذي حكى عن الكفار
في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله ما اشركنا ان لا اشراك لم نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما
الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله
عز وجل اركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشية القبايح وارادتها والرسل اخبروا بذلك
فمن علق وجود القبايح من الكفر والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله ورسله ونبذ
ادلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب
الانبياء وفي دفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشية الله تعالى **الثالث** قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل
على انهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى في هذا المذهب **الرابع** قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على
سبيل الانكار اي لا علم لهؤلاء القايلين ولا حجة **الخامس** ان تتبعون الا الظن **السادس** وان انتم الا تخرصون
السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقتدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة
له عليكم وذلك انكم تقولون لو اتينا بعمل على خلاف مشية الله لزم ان يكون الا له عاجزا مغلوبا وهذا الكلام فيه

لان الله قادر على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والاجبار الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف
وهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة الكاملة
عليكم فان تعليقكم دينكم تقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت
الاشاعرة بانا قد بينا بالدلايل القاطعة من اول القران الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تاويل هذه الآية دفعا للتناقض
فنقول ان القوم تمسكوا بمشية الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء فان التكليف عبث فبين الله تعالى ان ذلك من تكذيب
الكاذبين وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء الكفر
من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روي عن ابن
عباس اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكذبون
بالقدر مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر الآية معنا وهو قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وحمل المشية على مشية الالجاء و
القسر تعسف والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم ومعناه اذا كان
لازما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله لم من قولهم لم الله شعثه اي جمعه كانه قال لم نفسك الينا اي
اقرب وها للتنبيه واستعطاف المامور حذفت الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد
والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي هلممن والاول افصح وقد يوصل بالى
كقوله تعالى والقايلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى
ام اقصد وقيل ان اصل استعماله ان قالوا هل لك في الطعام ام اي اقصدتم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء
اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهداء يشهدون لانه ليس الغرض
احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم
ولهذا قال فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم
محض الهوى والتعصب ولاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا
عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقي الآية فيعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء
مقبولة **التاويل** هو الذي انشا جنات في القلوب معروشات من نجم الاسلام والايمان والاحسان و
وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة و
الحلم والعلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان
الاخلاص متشابها اعمالها وغير متشابه احوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص
بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي والقيل والقال وآتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة
الحسنة ويوم حصاده وان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك
الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل اوانه ومن
الانعام اي ومن الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها
ما هو مستعد للاكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقق من حيث
البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التجرد عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان
فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط الى ضد المقصود ثم ان
صفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محالها
وبمقدار ما ينبغي من الضان اثنين ومن المعز اثنين والضان والمعز من جنس الفرشية كما ان الابل والبقر
من جنس الحمولية والذكر من الضان والمعز هما صفة شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق
عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية والجهولية وانثاهما
الحمولية ولا استسلام للاستعمال فبهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات
عن حملها وبين ايضا محله عرش القلب فافهم وقد احل الله استعمالها واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة

والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وفضلها بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما اشركنا الكلام في نفسه حق وصدق الا انهم
ذكروه في معرض الالزام دفعا للاذية والالام كذبوا ايضا قالوا الله حسبي وكفا

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به
بگوييد تا خوانم انرا كه حرام گردانيد پروردگار شما بر شما آنچه شريك مگردانيد با و

شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن
هيچ چيز را و نكوى كنيد با در و پدر نيكويي كردني و مكشيد فرزندان شما يعني دختران از خوف درويشي ما

نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا
روزي ميدهيم شما را و ايشان را و نزديكي مشويد بكارهاي زشت آنچه آشكارا است از ان و آنچه پنهانست و

تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به
مكشيد آن تني را كه حرام كرد خداي قتل او را مگر باستحقاق آنچه گفتيم وصيت فرمود شما را خداي

لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي
بكاه داشتن آن مگر شما دريابيد و نزديك مشويد بمال طفل بي پدر مگر بخصلتي و حالتي كه آن

احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط
نيكو بود تا برسد بهنگام قوت خود يعني بلوغ و تمام بدهيد پيمانه را و ترازو را براستي

لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان
تكليف نفرماييم هيچ تني را مگر بمقدار طاقت و توانايي و چون سخن گوييد بر فانون عدالت باشيد و اگرچه باشد آنكه سخن
در حكم شهادت و روايات او گوييد

ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم
خداوند قرابت و بعهد خداي وفا نماييد آنچه گفتيم و وصيت فرمود شما را خداي بان تا مگر شما

تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
پند گيريد و بدرستي آنچه گفتيم راه دين منست حال آنكه راستست پس متابعت نماييد و متابعت مكنيد

السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون
راه هاي مختلف كه جدا گرداند شما را از راه دين حق آنچه گفتيم وصيت فرمود شما را خداي بدان تا مگر پرهيزكاري نماييد

ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى
پس داديم ما موسي را تورية براي تمام نعمت بر آنكه نيكوكار باشد و براي بيان نمودن هر چيز را و راه راست

ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه
و بخشايشي تا مگر ايشان برسيد جزاء پروردگار ايشان ايمان آرند و اين قرآن نامه ايست كه فرستاديم ما آنرا

مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل
بسيار منافع پس متابعت نماييد او را و پرهيز كنيد تا مگر شما رحمت كرده شويد
آنكه گوييد فرستاده شده

الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم
نامه آسماني بر دو گروه يهودي و نصاري پيش از ما و بدرستي كه آنكه بوديم ما از خواندن كتاب ايشان

لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
مرآينه بيخبراني يا چنين گوييد اگر آنستي كه ما فرستاده شدي بر ما نامه آسماني هرآينه بوديمي راه يافته

منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة
از ايشان پس بحقيقت آمد بشما حجتي روشن از پروردگار شما و راه راستي و بخشايشي

فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي
پس كيست ستمكارتر از آنكه بدروغ نسبت كرد آيتهاي خداي را و اعراض كرد از ان زود بود كه جزا دهيم

الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون
آنانرا كه روي گردانيدند از آيتهاي ما بدي عذاب را بسبب آنچه بودند كه اعراض ميكردند

هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك
هيچ چشم ميدارند مگر آنكه آيد بديشان فرشتگان موت يا عذاب آيد فرمان پروردگار تو

او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات
تا آيد يعني از آيتهاي تا آيد يعني از آيتهاي پروردگار تو يعني علامت قيامت روزي كه آيد بعضي از آيتهاي

ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او
پروردگار تو سود نكند هيچ تني را گرويدن او كه نبوده باشد بگرويدن از پيش او يا

كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون
كسب كرده در ايمان او نيكي را بگو چشم داريد كه ما نيز چشم دارنده

ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء
بدرستي آنانكه مختلف گردانيدند دين ايشان را و بودند اصحاب مذاهب مختلف نه تو از كار حساب ايشان در چيزي از عقاب

انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء
بدرستي كه كار ايشان مفوض است بحكم خداي پس بياگاهاند ايشانرا بانچه بودند كه ميكردند هر كه آرد

بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا
يك خصلت نيكو را از طاعت پس مر او راست ده در ثواب مانند آن و هر كه آرد بدي را پس جزا داده نشود مگر

مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط
مانند آن و ايشان ستم كرده نشوند بگو بدرستي راه نمود مرا پروردگار من بسوي راه

مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من
راست يعني ديني با عدالت كه آن كيش ابراهيم است احال آنكه مايل است از ملتهاي باطل ونبود از
المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
اهل شرك بگو بدرستي نماز من وقربان من وزندگاني من ودر وفات من
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت و
مر خدايراست كه پروردگار جهانيان است هيچ انباز نيست مر او را وبآن توحيد واخلاص فرموده اند مرا و
انا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل
ومن نخستين مقتداي مسلمانانم بگو آيا جز خدايرا جويم پروردگاري واو پروردگار همه
شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة
چيزيست وكسب نكند هيچ تني مگر وبال آن بروي بود ونه بردارد هيچ نفس بردارندگان
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم
نفسي ديگر پس بسوي پروردگار شماست بازگشتن شما پس بگاهاند شمارا
بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف
پروردگار شما بآنچه هستيد كه دران خلاف مينمايند واو آنست كه گردانيد شمارا بجاي ديگراستان
الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم
در زمين وبرافراشت بعضي از شمارا بر بالاي بعضي مراتب ودرجها در علم وعمل تا صورت آزمايش نمايد شمارا
فيما اتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم
در آنچه داده شمارا بدرستي كه پروردگار تو زود عقوبت كننده است مر گناهكارانرا واو آمرزنده است مهربان

القراءة تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وحفص احدى الذالين الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل في الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطي بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي تفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح ان ياتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل علي وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين امثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء المتكلم ابو عمرو وابو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي و خلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون ومماتي بالفتح ابو جعفر ونافع الباقون بالعكس وانا اول بالمد نافع وابو جعفر **الوقوف** شيئا ط لحذف اي واحسنوا بالوالدين احسانا ج لابتداء النهي مع احتمال العطف اي وان لا تقتلوا من املاق ج للعطف مع العارض وما بطن ج للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد الايصاء بالاحكام تعقلون ه اشده ج للفصل بين الحكمين بالقسط ج

لاحتمال

لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف ذا قربى ج لتناهي جواب اذا وتقدم مفعول اوفوا تذكرون ه لمن قرا وان هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين يعني مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون ه يؤمنون ه ترحمون ه لا لان التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا ان قبلنا لغافلين لا للعطف اهدى منهم ج للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها يصدفون ه بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون ه في شئ ط يفعلون ه امثالها لابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء و صدف عنها يصدفون لا شرط آخر مع العطف لا يظلمون ه مستقيم ج لاحتمال ان دينا نصب على البدل من محل الى صراط او على الاغراء اي الزموا حنيفا ج لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين ه العالمين ه لا شريك له ج المسلمين ه كل شئ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار الا عليها ج لتفصيل الامرين على التهويل مع اتفاق الجملتين اخرى ج لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ه آتيكم ط العقاب ز للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف اوضح رحيم ه

التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم اتبعه البيان الشافي في الباب فقال قل تعالوا وهو من الخاص الذي صار عاما لان اصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اي اتل الذي حرمه ربكم فالعايد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا باتل او بحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا راجع والمعنى اتل اي شئ حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله في قوله ما حرم فيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط او الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتداء فقال عليكم ان لا تشركوا او ان مفسرة اي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح واما الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب اعني الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة احسن بيان وذلك ان منهم من جعل الاصنام شركاء لله تعالى فاشار اليهم بقوله واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الافلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة ان جعله تاليا للتوحيد ثم وجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى من املاق اي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الآية الاخرى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات احياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك ازيل ذلك الوهم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال شمر املق لازم ومتعد املق الرجل اذا افتقر واملق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الآية من املاق بكم نحن نرزقكم واياهم وهناك زيدت الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم افرز من جملة الفواحش قتل النفس التي حرم الله تنبيها على فظاعتها ولم يناط بها الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم يصدر عنها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق ويدخل في سلكه جزاء قاطع الطريق و الحاصل ان الاصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا لامر منفصل ثم لما بين النواهي الخمسة اتبعه الكلام الذي يقرب الى القلوب القبول لذلكم وصيكم لما في لفظ التوصية من الرافة والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا ثم ذكر اربعة انواع آخر من التكاليف وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي اي بالخصلة او الطريقة هي احسن وهي السعي في تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة

لاجله كما مر في اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اي احفظوا ماله الي هذه الغاية اي اوان الاحتلام ولكن بشرط ان يونس
منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شد في القياس وشد ولم يسمع وقال ابو الهيثم الواحد شدة كالنعمة في نعمة والشدة
القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كانك ولا نظير لهما واوفوا الكيل والميزان بالقسط
بالعدل والسوية وايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان اي الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن
هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطي بايفاء ذي الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه
من غير طلب الزيادة ثم قال لا نكلف نفسا الا وسعها ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة والسوية لا التحقيق
المؤدي الي الحرج والعسر فزعمت المعتزلة زعمنا ان هذا القدر من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر
الايمان مع انه لا قدرة له عليه او يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم
والداعي كما تقدم مرارا واذا قلتم فاعدلوا ولو كان المقول له او عليه ذا قربى حمله المفسرون على اداء الشهادة او على
الامر والنهي والاولى ان يحمل على الاقوال كلها فيدخل فيه قول الرجل في الدعاء الى الدين وتقرير الدلايل عليه بان يذكر
الدليل ملخصا عن الحشو ومبرا عن النقض ويجرد عن العصبية والجدال على مقتضى الهوي والتشهي وكذا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوي فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر
الا رضا الله وختم الاوامر بقوله وبعهد الله اوفوا كما قال اوفوا بالعقود ويندرج في هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع
المذكورة وان هذا صراطي من قرا بالفتح والتخفيف فاعمله في ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم واتل ان هذا
صراطي وكذا من قرا بالتشديد وبالفتح الا ان ضمير الشان لا يقدر وان شئت جعلتها حفضا متعلقا بما قبله اي ذلكم
وصيكم به وبان هذا او بما بعده والتقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلان الثلاوة في معنى القول او على
الاستيناف اي المعنى اتبعوا صراطي انه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وساير البدع والضلالات فتفرق بكم الباء للتعدية اي فيفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الاسلام
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا
ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية فهذه الاية بالحقيقة اجمال لما في الاثنين
المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوي التي هي ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولي بقوله لعلكم تعقلون لانها
امور ظاهرة جلية يكفي في تعلقها ادني مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكورة فيها امور
خفية يحتاج الي التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او يقول الامور الخمسة المذكورة في
الاية الاولي كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بما في الانسان من اشرف
السجايا وهو العقل الذي امتاز به الانسان عن ساير الحيوان واما المذكورة في الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها
فكانت الوصية بها تجري مجري الزجر والوعظ فختمها بقوله يذكرون اي تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله
ثم آتينا موسى الكتاب معطوف على وصاكم فيقال كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل
واجيب بان التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف بحسب اختلاف الشرايع كما روي عن ابن عباس
ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن
دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التورية واما الشرايع التي
كانت التورية مختصة بها فهي انما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني آدم قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان في الاية حذفا تقديره
ثم قل يا محمد انا آتينا والمعنى اتل ما اوحي اليك ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم
قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله تماما على الذي احسن مفعول له اي لتتم نعمتنا على
الذي احسن اي على من كان محسنا صالحا او المراد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ
كل ما امر به او تماما على الذي حسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشي اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه
وقري احسن بالرفع اي على الذين الذي هو احسن دين الاسلام وارضاه وتفصيلا لكل شيء فيدخل في ذلك بيان

نبوة رسولنا صلى الله عليه وسلم وصحة دينه وشرعه وهدي دلالة ورحمة لكي يؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب
وعقاب وهذا كتاب انزلناه لا شك انه القرآن مبارك كثير الخير والنفع او ثابت لا ينظر اليه النسخ كما في الكتابين
فاتبعوه واتقوا لكي ترحمون لان الغرض من التقوي رحمة الله تعالى او اتقوا لترحموا جزاء على التقوي او اتقوا مخالفته
على رجاء الرحمة قال الفراء قوله ان تقولوا مفعول واتقوا وقال الكسائي التقدير انزلناه لئلا يقولوا وقال
البصريون انزلناه كراهة ان تقولوا والخطاب لاهل مكة انما انزل الكتاب اي التورية والانجيل على طائفتين
من قبلنا اليهود والنصاري وان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام في لغافلين هي الفارقة بينها وبين النافية والا
وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدي منهم لحدة اذهانهم وكثرة حفظهم لايام العرب ووقايعها و
خطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم قال فقد جاءكم بينة من ربكم
فيما يعلم سمعا وهدي فيما يعلم سمعا وعقلا ورحمة من الله في صلاح المعاش والمعاد فمن اظلم من بعد هذه المعجزات
والبينات ممن كذب بآيات الله وصدف عنها اي منع غيره منها لان الاول ضلال والثاني اضلال ثم ختم الاية
باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة العذر لا يؤمنون البتة وشرح احوالا توجب
المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هل ينظرون اي ينتظرون ومعنى الاستفهام النفي وتقدير الاية انهم لا يؤمنون
بك الا عند مجيء احد هذه الامور مجيء الملائكة او مجيء الرب ويعني به عذابه وباسه كما سلف في البقرة او مجيء المعجزات
القاهرة قال في الكشاف الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب او يجيء الرب ويعني به عذابه وباسه كما سلف
في البقرة او يجيء المعجزات القاهرة مجيء كل اياته ثم قال يوم ياتي بعض ايات ربك واجمعوا على ان المراد بهذه الايات
علامات القيامة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر امر الساعة اذ اشرف النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما تذاكرون قلنا الساعة قال انها لا تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج
من عدن والمراد انه اذا بدت اشراط الساعة ذهب اوان التكاليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن امنت
من قبل ايمانها ولا نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم اوعدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسوله صلى الله
عليه وسلم بقوله ان الذين فارقوا دينهم او فرقوا ومعنى القراءتين في الحقيقة واحد لان الذي فرق دينه
بمعنى انه اقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه اي تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون الملائكة
ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا اي فرقا
واحزابا في الضلالة والشيعة كل فرقة تشيع اماما لهم وقال مجاهد وقتادة هم اليهود والنصاري تفرقوا
فرقا وكفر بعضهم بعضا او اخذوا بعضا وتركوا بعضا كقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وعن مجاهد
ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدي وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصاري على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية
الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة لست منهم في شيء اي انك بعيد
من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل مقصور عليهم لا يتعداهم اليك وقال السدي معناه
لم تؤمر بقتالهم فلما امر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر به في وقت آخر
فلا نسخ انما امرهم الى الله بالاستيصال والاهلاك ثم ينبيهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي
الاية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة ليستاهلوا الثواب الجزيل كما قال من جاء بالحسنة
قيل لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملهما على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المميز مقام
الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها كقراءة من قرا عشر امثالها بالرفع والتنوين قيل هذا اقل الموعود
وقد وعد سبعمائة وبغير حساب وقيل ليس المراد التحديد بل اراد الاضعاف مطلقا كقول القائل
لئن قال عن الله تعالى الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفرها فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره
بعشرة امثاله وفي الوعيد لئن كلمتني واحدة لاكلمنك عشرا روي ابو ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله

تعالى اذا هم بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها وان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اي لا ينقص
من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم اسوله ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان للامم اعمار طويلة وطاعات
كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خير من الف شهر واضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل
حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وايضا ان الخصماء يتعلقون
بهم يوم القيامة فيذهبون باعمالهم الى ان يبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه ليس من فعلهم هو من رحمتي فلا اقبض
منهم ابدا آخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب الابدي
بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم يكون عقوبته منقطعة وايضا الذي
جهله الكافر وهو ذات القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه آخر اعتاق الرقبة
الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام ثلاثة آخر احدث
في راس انسان موضحتين فوجب ارشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة واحدة فههنا ازدادت
الجناية وقل العقاب آخر قد يجتمع بسبب اطراف تبان ولطايف تزال ديات متعددة اذا حصل الاندمال
وقد ترتقي الى نيف وعشرين الاذنان او ابطال حسهما العينان او البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان
او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر والانثيان او الحلمتان والشفران الاليتان الرجلان العقل السمع الشم
الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال لذة الطعام الافضاء البطش المشي وقد تضاف اليها
موجبات الجوايف والمواضح وساير الشجات فان عاد الجاني قبل الاندمال وحز الرقبة او قده بنصفين لم يجب
الا دية النفس وكل ذلك يدل على ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسولة الثلثة ان
هذه الامور من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل لعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل
الاطراف لما يستقر بالاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط ذلك والجزاء الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله اعلم
قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لان الثواب
هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا يكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب
غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة
وقال آخرون لا يبعد ان يكون الواحد ثوابا الا انه يكون اعلى شانا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله انواع الدلايل
والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية اباطيلهم امره بان
يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا يحصل الا بالله عز وجل وقيما فعيل من قام كسيد من ساد ومن قرا قيما
فعلى انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم او من
الملة والمعنى هداني وعرفني ملة ابرهيم حال كونه او كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابرهيم وما كان
من المشركين ردا على من زعم عليه شيئا من ذلك ثم عرفه الدين القويم والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤديه
فقال قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي وتقربي كما روى ثعلب عن الاعرابي انه قال النسك سبائك الفضة كل
سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث و
قيل المراد بالنسك ههنا الذبائح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي اخذا من مناسك
الحج ومحياي ومماتي اي حيوتي وموتي مصدران ميميان وقال في الكشاف المراد وما آتيه في حيوتي او موت
عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل لا بد ان يكون جميع
حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم
على اسلام امته وقال في التفسير الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وساير عباداته وحياته ومماته
كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان المحيا والممات بخلق الله فكذا الصلوة والنسك و
بذلك من التوحيد امرت ثم لما امر نبيه بالتوحيد المحض امره ان يذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل اغير الله
ابغي ربا وتقديره ان طوايف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب من اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون

بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد لهؤلاء اغير الله اطلب ربا مع ان هؤلاء الذين اتخذوا من دونه الهة مقرون
بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى وبوجه آخر الموجود اما واجب
لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب
لذاته فهو اذن رب كل شيء وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم
لما بين الدليل القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليه من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها
ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تؤخذ نفس آثمة باثم نفس اخرى وهذا كالرد لقولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء المشركين الى موضع لا حاكم هناك الا الله تعالى فقال ثم الى ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط والمعاد على سبيل الاجمال
فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قيل الخطاب لبني ادم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه خاتم النبيين فخلفت امته ساير الامم وقيل الخواص لامة الذين هم خلفاء الله في
ارضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس ورفع بعضكم
فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبهة الابتلاء والامتحان ف
لظهور الموفر من المقصر وتبيين المطيع من العاصي حسب ما يقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف
نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم
فادخل اللام في قرينة الترغيب واسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف و
الرحمة يفيض عنه بالذات والقهر والتعذيب يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا قال
سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت قريب وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب
في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك قد ورد عقيب ذكر المسخ فناسب التاكيد باللام وانما
اختير قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون ادل على كمال رافته وعموم احسانه التاويل
من املاق فيه ترك التوكل على الله وعدم الثقة بالله واوفوا الكيل واوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية
واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله اوفوا بان لا تعبدوا ولا
تحبوا ولا تريدوا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط
محمد صلى الله عليه وسلم تماما على الذي احسن اي على من احسن من امتك اسلامه وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرايع
الانبياء عليهم السلام كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام ولهذا امر بان يقتدي بالانبياء ليجمع بين هداه و
هداهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه وسلم والاحسان ان تعبد الله كانك تراه انزلناه مبارك
وبركته انه انزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم
الى الله اتم واكمل مما جاء في الكتاب فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة
عيانا ويوقفهم الى الله قهرا والجاء او ياتي ربك اليهم اذ لم ياتوا اليه في متابعتك قل انتظروا المتجليات انا
منتظرون للمعاد ومن المعاد ان الذين فارقوا الدين الحقيقي الذي فيه كمال الانسان وكانوا شيعا فرقا
مختلفة من المبتدعة والزنادقة والمتزهدة ورياء وسمعة وعلماء السوء والملاحدة المتفلسفة لست منهم في شيء
لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما امرهم الى الله في بدء الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم
يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قبل ذلك حتى يقدر على الاتيان بتلك الحسنة ومن
حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق
وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة
الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في
الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس و
النفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في ارض القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج

نبانه باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات والمايات وبعد
ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهي فكذلك للانسان اربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة
النفس اي اذا صدرت عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائة وفي مرتبة السر
يكون بالف الى اضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهي وهذا سر ما جاء في القرآن والحديث من
تفاوت الجزاء للحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل انني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية
ونسكي اي سري على منهاج الصلوة معراج المؤمن ومحياي اي حيوة قلبي وروحي ومماتي اي موت نفسي لطلب رب
العالمين والوصول اليه وانا اول المستسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال اول خلق الله نوري قل اغير الله كيف اطلب
غير الله وهو حسبي والمحب لا يطلب الا المحبوب واذا هو رب كل شيء فيكون ماله لي وان طلبت غيره دونه يكون ذلك
الغبن علي لا لي كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها الا لها ولا تزر وازرة
وزر اخري فان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا
يواخذ بمعاملة النفس ولا بتاله بعنائها وانما يكون النفس فقط ماخوذة بوزرها معاتبة بما هي اهله وان كان القلب
متقلب الحال وان اعز الله تعالى باصبع القهر ليمحا ذاته النفس فصار مرآة القلب بصفات النفس واخلاقها
فيتبع النفس وهواها فيزين ويزول عنه الصفات والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل
والصدق والاخلاص ورعاية وظايف العبودية فيكون ماخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو الذي جعل كل واحد من بني
آدم آدم وقته وخليفة ربه في الارض وسر الخلافة ان صورة على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا
مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق بالخلافة منكم القائم بر وبا وامر في
العباد والبلاد ومن الذي رجع القهقري الى صفات البهائم وابطل الاستعداد للخلافة ان الختم والطبع والحبس في سجن الطبيعة غفور رحيم

سورة الاعراف مكية حروفها اربعة عشر الفا وثلثمائة وعشر كلماتها ثلثة الاف وثلثمائة وخمس وعشرين اياتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداي بخشاينده مهربان

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج

منم خداي ميدانم وسخن مفصل ميكويم اين كتابيست كه فرستاده سوي تو پس مباد در سينه تو تنكي

منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل

ازان تا بيم نمايي بدان وبراي موعظت مر اهل ايمانرا متابعت نماييد ازانكه فرو فرستاده شد

اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا

سوي شما از پروردگار شما ومتابعت منماييد ازغير خداي دوستاني را از شياطين اندكي

ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا

پند ميكيريد وبسا اهل ديهي كه هلاك كرديم ايشانرا پس آمد بايشان عذاب ما

بياتا او هم قائلون فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا

حال آنكه شب باوران حال كه ايشان خفته بودند نيم روز پس نبود تضرع وگفتار ايشان چون آمد بايشان سختي عذاب ما مگر آنكه

ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل

گفتند بدرستي كه ما بوديم ستمكاران پس هر آينه پرسيم آنانرا كه فرستاده شد

اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما

سوي ايشان انبيا و هر آينه پرسيم پيغمبرانرا از اداء رسالت پس هر آينه قصه كنيم حال هر يك بر ايشان بدانش ونه

كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئكهم

بوديم ما غايب از احوال ايشان ووزن اعمال دران روز راست درست پس هر كه گران آيد ترازوي اعمال او پس ايشانند ايشان

المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا

رستگاران وهر كه سبك برآيد ترازوهاي اعمال او پس ايشانند آنانكه زيان كردند

انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون ولقد مكناكم في

تنها خود را بانچه بودند بايتهاي ما جحود مينمودند بجاي اقرار وبدرستي كه تمكين كردانيديم وجاي داديم بر

الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون

در زمين وبرآورديم شما را دران زمين اسباب زيستن از مطعم ومشرب وملبس اندكي شكر ميكنند

القراءة يذكرون بياء الغيبة ثم تاء الخطاب ابن عامر الباقون كما مر في آخر الانعام **الوقوف**
المص ه كوفي للمؤمنين ه اولياء ط تذكرون ه قائلون ه نصف الحزب والربع الثاني من القرآن ظالمين ه المرسلين لا
للعطف غائبين يومئذ الحق ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون ه يظلمون ه معايش ط يشكرون **التفسير**
قد تقدم في اول الكتاب مباحث هذه الحروف المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافصل
وقال السدي معناه انا المصور وقيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد
في الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها للاعراب وان كانت اسما
للسورة جاز ان يكون المص مبتدا وكتاب وعني به السورة خبره والجملة بعده صفته له وجاز ان يكون المص خبر مبتداء
محذوف وكذا كتاب اي هذه المص هو كتاب انزل اليك والدليل على انه منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ استاذ
ولا تعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى نحو من ذلك اربعون سنة ثم
ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الاولين والاخرين فلن يبقى شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القائلون
بخلق القرآن زعموا ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب بان موصوف
بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض
غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول
اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا
صلى الله عليه وسلم ثم قال فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر

حرج كما ان المتيقن منفسح الصدر منشرحه ومعنى منه اي من شان الكتاب اي لا تشك في انه منزل من عند الله او من تبلغه
اي لا يضيق صدرك من الاداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم الا اريتك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك
سبب رويته ومثله قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره امر للمشركين فانه في الحقيقة امر للمومنين بان تغلظوا
على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتاخير اي انزل اليك
لتنذر به فلا تكن في صدرك حرج وفايدة التقديم والتاخير ان الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا
عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي واللام بمعنى كي والتقدير فلا تكن في صدرك
شك كي تنذر على اننا بغيرك لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار
لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان
يطفئوا وفي موضع اخر ليطفئوا والتقدير لا يضيق صدرك ولا يضعف عن ان تنذر به وقيل ان تقدير الكلام
هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا
تكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل
بالابلاغ فلا انذار اشتغال الرجال الابطال ولا تبال باحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمومنين
قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين به وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر وقال الليث الذكرى
اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا
والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وانما لم
يقل على محل لتنذر لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا وصح ذلك لكان محله النصب
لا الجر وخص الذكرى بالمومنين كقوله هدى للمتقين والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن
عالم الغيب غريق في بحر اللذات الجسمانيات فيحتاج الى الاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب
الى عالم القدس لانها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى
انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى
تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم يحتج الا الى تذكير
وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طايفة وذكرى في شان طايفة
ثم لما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على
الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقرآن والسنة جميعا عن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة
رسوله وفي الاية دلالة على ان تخصيص عموم القرآن بالقياس غير جايز لان معاملة المنزل واجبة فلو عمل
بالقياس لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس لكونه مستفاد امن القرآن وهو قوله فاعتبروا عمل بالقرآن
وايضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء اولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم
اكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اي لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس
فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا
من دون دين الله دين اولياء احتج نفاة القياس بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله
تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل الله فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبروا
لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون وقد اجمعت الامة على عدم تكفير اجاب مثبتوا القياس بان كون القياس ثبت باجماع الصحابة
والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف بانكم اثبتم ان الاجماع حجة
بعموم قوله ويتبع غير سبيل المومنين تامرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه
وسلم لا يجتمع امتي على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث

والاجماع لما تعاضدت العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلايل
العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القران حجة موقوف على صحة التمسك بها فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع
معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما في ترك المتابعة من الوعيد
فقال وكم من قرية فوضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اي كثير من القرى اهلكناها مثل زيد ضربته
وتقدير النصب ايضا غير جيد وفي الاية حذف لان القرية لا تهلك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك
اهلها ولكنه يقال التقدير وكم من اهل قرية لقوله فجاءها باسنا فالباس لاهل انسب ولقوله او هم قايلون لان الزجر والتحذير
لا يقع للمكلفين الا باهلاكهم ولان معنى البيات والقيلولة لا يصح الا منهم وانما قال فجاءها رد الكلام على اللفظ او كما يقال
الرجال فعلت وههنا سؤال وهو انه قوله فجاءها باسنا يقتضي ان يكون الاهلاك متقدما على مجي الباس ولكن الامر بالعكس والعلماء
اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها او اردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك
ومعنى مجي الباس واحد كانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح والعطف
يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجي للتفسير كقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الطهور
مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجي الباس جار
مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه
قول الفراء لا يبعد ان يقال الباس والاهلاك يقعان معا كما يقال اعطيتني فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء
ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير اهلكناها فحكمنا بمجي الباس كان الاهلاك
امارة للحكم بوصول مجي الباس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه امن الالباس كقولهم عرضت الناقة على
الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيتنا العدو اي اوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل
بياتا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بايتين او مبيتين ثم قال او هم قايلون والجملة حال معطوفة على
بياتا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بايتين او قايلين وانما حسن ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا
لان واو الحال قريب من واو العطف لا سيما استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرفي العطف وشبهه جمع بين المثلين
وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا
وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال
الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما
اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا باسباب الفراغ والرفاغ والامن والسكون فان عذاب الله انما يجي دفعة من غير سبق
امارة شعر يا راقد الليل مسرورا باوله ٭ ان الحوادث قد يطرقن اسحارا ٭ فقوم لوط اهلكوا وقت السحر
وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجي الباس فقال فما كان دعويهم اي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم
وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم
واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرارهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم يقوم مقام الدعاء حكى
سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء
لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعواهم وعلى عكسه محل ان قالوا ويجوز ان يكون
نصبا او رفعا كما سبق في اعراب قوله فلم تكن فتنتهم الا ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا اجلا فقال
فلنسئلن الذين ارسل اليهم نسال المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
ونسال المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسال المرسلين عما اجيبوا به
كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فلنقصن عليهم اي على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين
باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفايدة في سؤال
المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا مقصرين ظالمين سئلوا بعد

ذلك من حيث الظلم والتقصير تفسير يعاون وتوبيخا فان قيل ما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة
قلنا ليلتحق كل التقصير بالامة فيتضاعف اكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف
اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس
ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لعلهم لا يسألون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها
ولكنهم يسألون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها او المراد نفي سؤال الاستفادة والاسترشاد
واثبات سؤال التوبيخ والاهانة فلا تناقض وفي الآية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار
وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك و
فيها انه غير مختص بحيز من الاحياز والجهات والا كان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة احوال يوم القيامة وزن الاعمال
فقال والوزن هو مبتدا خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدا اي الوزن العدل يوم يسأل الله الامم ورسلهم وقيل لا
يجوز الاخبار عن شيء وقد بقيت منه بقية فيجب علينا ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة
وفي كيفية الميزان قولان الاول ما جاء في الخبر انه ينصب ميزان له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن اعمال العباد
خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان احدها ان المؤمن يتصور اعماله بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن
تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التي يكون فيها اعمال العباد مكتوبة يروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يوزن يوم القيامة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين
الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احديهما
لوسعتهن وجبريل آخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى
برجل يوم القيامة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان
ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيوضع في الاخرى فترجح قال القاضي
يجب ان يحمل هذا على انه يأتي بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية ورد بانه خلاف الظاهر
وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوزن من سائر الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف الطاعات
الاعمال وروى الواحدي في البسيط انه اذا خفت حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجرته
بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي
صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك محمد وهذه صلواتك التي كنت تصليها
علي قد وفيتك احوج ما تكون اليها القول الثاني قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتأخرين ان المراد
من الميزان العدل لان العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل
ومما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها
واما قول الموزون صحايف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فيقول المكلف يوم القيامة
اما ان يكون مقرا بانه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بانه عدل
وصواب واما ان لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان اجاب الاولون
بان جميع المكلفين يعترفون يوم القيامة ان الله تعالى منزه عن الظلم والجور ولكن الفائدة في وضع الميزان ظهور الرجحان
لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر واختلف العلماء في كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر
هنالك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وقال آخرون بل يظهر الرجحان في الكفة واختلف
ايضا في الموازين فقيل انها جمع موزون والمراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان
فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فيقول خرج فلان الى مكة على الافراس او البغال قاله الزجاج وقال الاكثرون
كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب لترك الظاهر
والمصير الى التأويل قال الحسن من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وايضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان
ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم ان المرجئة الذين يقولون ان المعصية لا تضر مع الايمان قالوا

قالوا ان الله تعالى حصر اهل الموقف في قسمين منهم من يزيد حسناته على سيئاته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم
اهل الكفر لانه حكم عليهم بان الذين خسروا انفسهم بسبب الظلم بآيات الله اي التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن
سلم ان العاصي معاقب لكنه معاقب اياما ثم يعفى عنه ويتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه
بل فاز برحمة الله ابد الآباد من غير زوال ولا انقطاع وقيل في الآية دلالة على ان الذي يكون حسناته وسيئاته متعادلتين
متساويتين غير موجود والله تعالى اعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب الآجل رغب الخلائق في قبول دعوة الانبياء
بطريق آخر وهو تذكير النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال ولقد مكناكم في الارض اقدرناكم على التصرف فيها و
جعلنا لكم فيها معايش هي جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك
بالجملة وجوه المنافع التي تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالاثمار او بواسطة كالاكتساب والوجه في معايش تصريح
الياء لانها اصلية لا زائدة كصحايف بالهمزة في صحيفة وعن ابن عامر او نافع في بعض الروايات الهمز تشبيها بصحايف
واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بانهم لا يقومون بشكر نعمته كما ينبغي فقال قليلا ما تشكرون
وفيه اشارة الى انهم قد يشكرون وقليل من عبادي الشكور التأويل المص هو آله من لطفه افرد عباده بالمحبة والمعرفة
وانعم عليهم بالصدق والصبر لقبولها كالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب انزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم
يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما انزل على الكتب في الالواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطن فالقى الالواح وكما شرف
نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن شرف امته بان امرهم باتباع ما انزل اليهم ليتخلقوا باخلاق الله وكم من قرية
قلب افسدنا استعدادها فجاءهم باسنا اي ذاقت قلوبهم باسيع القهارية واهلها نائمون على فراش الحسبان قائلون في نهار
الخذلان فما كان ادعاؤهم الا ان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الادب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف اليهم الى انفسهم
ولو علموا ان الله تعالى يقلب افئدتهم وابصارهم فلنسألن الذين ارسل اليهم وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما
امرتم ام لا فيكون السؤال سؤال تعنيف وتعذيب اوهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب
ولنسألن المرسلين سؤال انعام واكرام هل بلغتم وهل وجدتم امما قابلي الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فيعلمون انا ما ارسلنا الرسل
اليهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظيم وخطب جسيم وما كنا غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل
اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روي انه يؤتى يوم القيامة
بالرجل العظيم الطويل الاكول والشروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة
والاحوال الكاملة اولئك هم المفلحون من شأنا نتيجتهم وانما جمع الموازين لانه لابد لكل مكلف ميزانا يوزن به اعماله
ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به اوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن
به احواله ولخفيه ميزانا يوزن به اخلاقه والخفي لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم ما وضع في الميزان شيء اثقل من حسن الخلق وذلك انه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو خلق لرب العالمين والعباد
مأمورون بالتخلق باخلاقه فمن خسروا انفسهم افسدوا استعدادها لقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات
والملك وجعلنا لكم خاصة معايش لكل صنف من الملك والحيوان معيشة صفة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية
والحيوانية والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هي معيشة روحه ومعيشة الحيوان وهي معيشة بدنه ومعيشة الشيطان
هي معيشة نفسه الامارة بالسوء وقد جعل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم يكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان
وهي القلب والسر والخفي فمعيشة قلبه هي الشهود ومعيشة سره هي الكشوف ومعيشة خفيه هي الوصال والوصول

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا

وبحقيقت بيافريديم شمارا يعنى آدم را از كل پس بنگاشتيم شمار را از آب پس گفتيم مر فرشتگان را سجده كنيد

لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك

آدم را پس سجده كردند مگر ابليس نبود ابليس از سجده كنندگان گفت خداى چه بازداشت ترا

الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
سجده نكردي چون فرمودم ترا گفت من بهترم ازاو آفريدي مرا از نار نوراني وآفريدي او را
من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك
از گل ظلماني گفت خداي پس فرود آي از جنت يا از ملكوت آسماني پس نيست ترا كه بزرگي نمايي در جنت كه آن جاي مطيعانست
من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
پس بيرون آي بدرستي كه تو از اهل خوار شدگاني گفت مهلت ده مرا تا روزي كه برانگيزاني خلق را گفت خداي بدرستي كه تو از مهلت دادگاني
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
گفت ابليس بسبب آنچه گمراه گردانيدي مرا هر آينه بنشينم براي ايشان بر راه راست تو پس آيم به ايشان
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
از جهت پيش ايشان و از جانب پشتهاي ايشان و از جانب دستهاي راست ايشان و از جانب دستهاي چپ ايشان و نيابي تو بيشتر ايشان را
شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم
سپاس دارندگان گفت خداي بيرون آي از جنت نكوهيده و دور از رحمت هر آينه آنكه متابعت نمايد ترا از ايشان
لاملان جهنم منكم اجمعين ويا ادم اسكن انت وزوجك
هر آينه پر گردانم دوزخ را از شما همه واي آدم ساكن شو تو و زن تو
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
در بهشت پس بخوريد از جاي كه خواهيد و نزديكي مجوييد باين درخت كه باشيد
من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما
از ستمكاران پس مكر كرد و انديشه سخن نهاني را براي هر دو ديو تا آشكارا كند براي ايشان آنچه مستور و پوشيده بود يعني آدم و حوا از ايشان
من سواتهما وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
از عورتهاي ايشان و گفت ديو منع نفرمود شما را پروردگار شما از خوردن اين درخت مگر براي عدم
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن
ارادت آنكه باشيد دو فرشته يا باشيد از آنكه جاويد در بهشت باشيد و سوگند خورد ابليس با ايشان بدرستي كه من شما را ام
الناصحين فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
هر آينه از نصيحت كنندگان پس فرود آورد ايشان را از مرتبه بفريفتن بدروغ پس چون چشيدند آن درخت را ظاهر شد مر ايشان را
سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ونادهما
عورتهاي ايشان و در ايستادند وصل ميكردند بر خود از برگهاي درخت بهشت و ندا داد ايشان را
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان
خداي ايشان آيا منع نفرمودم شما را از آن درخت و نه گفتم مر شما را كه بدرستي ديو

لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
شما راست دشمني هويدا گفتند آدم و حوا بار خدايا ستم كرديم تنهاي خود را و اگر نيامرزي ما را
وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض
و نبخشايي ما را هر آينه باشيم ما از زيانكاران گفت خداي فرود آييد از جنت بعضي از شما مر بعضي ديگر را
عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال
دشمني خواهيد بود و مر شما راست در زمين آرامگاهي و برخورداري تا هنگام اجل گفت خداي
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
در زمين بزاييد و در آنجا بميريد و از آنجا بيرون آورده شويد از جهت جزا

القراءة لاملان بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج الوقوف الا ابليس ط لانه معرفة فلا يصلح الجملة صفة الساجدين ٥ اذ امرتك ط منه ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى القول طين ٥ الصاغرين ٥ يبعثون ٥ المنظرين ٥ المستقيم ٥ لا للعطف شمائلهم ط شاكرين ٥ مدحورا ط لان ما بعده ابتداء قسم محذوف اجمعين ٥ الظالمين ٥ الخالدين ٥ الناصحين ٥ لا بغرور ج جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة ط لان الواو للاستيناف مبين ٥ انفسنا سكتة للادب الخاسرين ٥ عدو ج لعطف المختلفين الى حين ٥ تخرجون ٥ التفسير اعلاما بانقطاع الجحد قبل ابتداء الحاجة من جملة نعمة الله تعالى علينا ان خلق ابانا آدم فجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكير النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل خليفة في الارض سجود الملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله تعالى في سبعة مواضع في البقرة وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي ان امر الملائكة بالسجود لادم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر في الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عليه السلام اصل البشر نظيره قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم بالحزم ومنها ان المراد خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم اذ قلنا للملائكة ومنها ان قد تقدم هذا القيل وانما قيله احدهم ومنها ان الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيته بتخصيص كل شيء بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما انه ثبت صور كل كائن كما جاء في الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى آدم وامر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رحمه الله عليه و التأويل عندي اقرب الوجوه وتأويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا فقد تقدم في اوايل سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك الا تسجد فظاهره يقتضي انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رحمهم الله اقوال اوليهما وهو الاشهر ان لا صلة زايدة كما في

لا اقسم وكما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادته توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل في لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب وفي ما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله اراد ان زيادة لا اشارة الى نفي ما عدا المذكور ليلزم تحقق المذكور وثانيها ان اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار اي لم يمنعك من ترك السجود شي كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي ادينك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه الامور فما امتنعت من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع واراد الداعي وكانه قال ما دعاك وانما يكون متعلقه الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشي مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك ان لا تسجد واقول يمكن ان لا يعلق قوله ان لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا والتقدير ما منعك من السجود ان لا تسجد اي لان لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ امرتك امر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه واظهار معاندته وجحوده واستدل العلماء بالاية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب والا لم يترتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والا لم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استانف اللعين قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر به وتلك الخيرية هي التي منعته من السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوية التاثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهي مادة الحياة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس تناسب الموت والحياة اشرف من الموت وايضا سن النمو والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان بخلاف وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية والمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفي الارض الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به ردا لكلامه واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان من النار والتكليف يتناول الجن بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق وقد قال ائتوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفي كلام الحكماء العاقل من يحظى بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز ان الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال او تشريف المفضول والرفع من قدره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس اخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في زمرة المتكبرين على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة اولى بابليس من القياس فعصى ربه وقاس واول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشي من رايه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار بسجود من كان مخلوقا من الارض لكان قبح امر من كان مخلوقا من النور المحض بسجود من هو مخلوق من الارض اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان الشرع اذا رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك ولا باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح امره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف

اوقال

او قال على لسان بعض الملائكة فاهبط يعني اذ لم يمتثل امري فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في الجنة جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المفسرين لذا امر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان فقال الرجل صاغر اذا اهين وفي ضده قمر واشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار كما قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله ذلك بل قال مطلقا انك من المنظرين قيل ان هذا المطلق مقيد لقوله في موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال آخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا اقترب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تابى ذلك لا تقال والله بزيد لامرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شي من معمولها لضعفها وانما تتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي بسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء انه من جملة آثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن قال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب اصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني صفات الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فيقال يرحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شي اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن ويرد على هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله تعالى وفي قوله فبعزتك لاغوينهم اضاف الاغواء الى نفسه والاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجابت المعتزلة عن قوله فبما اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى اضاف الغي الى الله تعالى وقد يقال ان لا تخليني على ضلالي اي لا تفعل ما اضربت عنه او المراد بالاغواء الاهلاك واللعن قالت الاشاعرة نحن لا ننازع في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف ما كان يرجع الى حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لا بد له من مغوي وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور والتسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود اما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله شعر

لدن بهز الكف يعسل متنه • فيه كما عسل الطريق الثعلب •

قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم اي لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من اراد المبالغة في تكميل امر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود واعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قال بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن قال بالثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم

ان ضدع هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب وهو المعنى بكفر العناد ويمكن ان يجاب بانه اراد بالاغواء ايضا بزعم الخصم فان
الاشاعرة في الاية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه والا لم يمهل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد
والغوايل المترتبة على ذلك ومما يويد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى الكفر و
الضلال ثم انه امات الانبياء دعاة الخلق الى الحق وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال
الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم
ابليس لكان ضل ايضا بدليل قوله تعالى ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد
لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة
من المشقة توجب الزيادة في الثواب وضعف قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا حصل عنده جلساء
السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا
التحسين فكذا الشيطان المزين للقبايح في قلوب الكفار والفساق وزيف قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة بحجة
اخرى لنا في انه تعالى لا يراعي المصلحة وتقرير الحجة ان خلق تلك الزيادة يوقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك
الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة شي لا حاجة اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب
فلو كان الله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التي لا ضرورة اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه
وجوه **الاول** من بين ايديهم اي اشككهم في صحة البعث والقيامة ومن خلفهم القي اليهم ان الدنيا قديمة ازلية **والثاني**
من بين ايديهم افترهم عن الرغبة في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوي رغبتهم في لذات الدنيا وطيباتها فالاخرة بين
ايديهم لانهم يردون اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها **والثالث** قول الحكم والسدي من بين
ايديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الاخرة لانها تاتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم
وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم عن الحسنات
وعن شمائلهم اقوي دواعيهم الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب يقول اجعلني في يمينك
اي من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اي من المؤخرين وعن الاصمعي هو عندنا باليمين اي بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس
وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوت السعادات الروحانية **احدها** القوة الخيالية
التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم ومن خلفهم
وثانيها الشهوة ومحلها الكبد التي عن يمين البدن **ورابعها** الغضب ومنشاه القلب الذي هو في الشق الايسر فالاشياء
الخارجة ما لم تستعن بشي من هذه القوى الاربع لم يقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية
على التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبه المجسمة واما في الافعال كشبه المعتزلة والتجويز والتحسين والتقبيح
لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه فيحضر منه فيعتقد ان الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات
اهل التعطيل لانها في مقابلة الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل
المنهيات وعن شقيق رحمه الله ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا
تخف ان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر
فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين واما من
شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
قعد لابن ادم باطرقة فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال
له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه
فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والرصد من الجهات مثل الوسوسة اليهم وتسويله بكل ما يمكنه وتيسير له كقوله
واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك تبقى ههنا وهو انه كيف قال من بين ايديهم و
من خلفهم بحرف الابتداء وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف قد تختلف حروف الظروف كما تختلف
حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه ومعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى

عليه ومعنى عن انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول
به رميت على القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا
جلس بين يديه وخلفه بمعنى الا نهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئته من
الليل تريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعيد والمباينة وعلى جهتي اليمين والشمال
ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا بد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت
الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كامر والناشي منهما العقايد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم
الشهوة والغضب والناشي منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق
لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول
وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية
هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت
قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات فاوحى
الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهتا الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته
على الارض بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا
يمكنه ان يدخل في بدن ابن ادم ويخالطه لانه لو امكنه ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق قلت هذا مناف
لما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فسئل انه من باب
الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد راه في اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال
اخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات
فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدقه الله تعالى في ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوى
السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو النفس
الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من
استيلاء واحدة لا سيما وهن في اول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة فمن حجة
فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين قال الله تعالى في جوابه ان كان هذا عزمك فاخرج منها مذؤوما
مدحورا الذام العيب الذم يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفي المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك
موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا
الوعيد وهو قوله لاملان جهنم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم وانهم على هذا فقوله لاملان
في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كما ان الكافر يتبعه وكذلك الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول
الفاسق النار واجيب بشرط عدم العفو قوله ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الاية فيها من المسائل ان قوله
اسكن امر تعبد واما اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف فان زوج ادم وهي حواء وان تلك الجنة
كانت جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنات الارض وان قوله وكلا امر اباحة لا امر تكليف
وان قوله لا تقربا نهي تنزيه او نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت
وان ذلك الذنب كان صغيرا او كبيرا وان الظلم بقوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل
نبوة ادم او بعدها وغير ذلك قد قضينا الوطر عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان
الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب والمصدر الوسواس ايضا بكسر
الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله
ومعنى وسوس اليه القاها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرر ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما قيل اللام
لام العاقبة لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما ال امرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبيانه

وبدت العورة زوال كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي غرضه او لعله راي في اللوح المحفوظ او سمع من الملائكة
انه اذا اكل الشجرة بدت عورته وينفي ذلك سقوط حشمته وقوله ووري اي ستر والسواة فرج الرجل والمراة ثم بين وسوسة
ابليس بانه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا اي الا كراهة ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع
ابليس ادم في ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين له معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه
الواقعة كانت بعد النبوة وبعد سجود الملائكة له ان هنا احتمالا بناء على ان الملائكة الذين سجدوا لادم هم ملائكة الارض
اما ملائكة السموات وملائكة العرش والكرسي والملائكة المقربون فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التطميع فاسدا او ربما
يجاب بانه اراد ان يصير مثل الملك في البقاء والدوام وزيف بلزوم التكرار من قوله او تكونا من الخالدين قال الواحدي
كان ابن عباس يقرا ملكين بكسر اللام كان الملعون اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى و
اعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان ادم لعله رغب في ان يصير
من الملائكة في القوة والقدرة والبطش والخلقة بان يصير جرما نورانيا مثل حملة العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال
للحسن ان ادم وحواء هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن ان تصديق الخلود
يوجب انكار البعث والقيامة وانه كفر ويمكن ان يقال لو اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود
مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من ادم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك
الدليل السمعي لم يصل الى ادم وحينئذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من ادم لا قطعا ولا ظنا وانما اقدما
على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان
الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير
سؤال المقاسمة من الجانبين فكيف تصور التقاسم بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له
اتقسم بالله انك ناصح او اقسم لهما بالنصيحة واقسم بقوله او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد
المقاسم فدليهما بغرور اي اوقعهما فيما اراد من تغرير واصله ان الرجل العطشان يدلي رجليه في البئر لياخذ الماء فلا
يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه وقيل اي جراهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدلي على اقرانه
في الحرب كالبازي يدلي على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابن عمر رض
انه كان اذا راى من بعض عبيده طاعته وحسن صلوته اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك
فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما تناولا اليسير قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في اية
اخرى فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من غير اكل بدت لهما سواتهما ظهرت عوراتهما اي عورتاهما
مثل صغت قلوبكما مكان قلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق ككاد قال الزجاج اي يجعلان
ورقة على ورقة ليسترا بها كما تخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل
ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة
الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسرة في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة
احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة
بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه
هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير لحان المتشابهات الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله قال ما منعك وفي
ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر يا ابليس ما لك حذف المنادي في هذه السورة لانه مضى ذكره هنا بقرب فلم يحتج الى اعادة اسم
اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ الا في السورة لانه لما حذف النداء
زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال
ما منعك ان تسجد وما لك ان لا تسجد وحذف ان تسجد وحذف ما لك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما
منعك ان لا تسجد قوله انا خير منه الاية وفي ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا انه نادى في الحجر بلفظ
الكون فقال لم اكن لاسجد لبشر ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل فما لك الا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم

يبعثون وفي ص وفي الحجر فانظرني لانه لما اقتصر في السؤال مطابقا للسؤال حيث قيل فما لك الا تكون مع الساجدين قوله
انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف
السورتين واما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان داعية الفاء ما تضمنه النداء من ادعو او انادي نحو قوله
ربنا فاغفر اي ادعوك فاغفر فلما حذف النداء في هذه السورة فلان تركت الفاء وكذلك قوله قال انك من المنظرين ليطابق
الجواب والسؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع
النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذؤوما وليس في القران غيره وانما اختص الموضع بذلك
لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى اخره فبالغ الله عز وجل في ذمه اذا الذام اشد الذم فكلا بالفاء
وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ المواضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ
والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلا يصلح الا بالواو وان معنى اجمعا بين
الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تاخير الاكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما
زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل في الجواب عن هذه المسائل ان اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد به اداء
الالفاظ باعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادى المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة
التسهر الى السحر التاويل ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا ارواحكم اجسادا كما جاء في الحديث ان
الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الفي عام والتصوير للاجساد بدايته وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسطه يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهايته هي حالة الكهولية في الاغلب
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وانتم في صلبه وهنا من التمكين ايضا فسجدوا للاستعداد الفطري للسجود ولائتمارهم بامر الله
الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود لما فيه من الاستكبار الناري ما منعك خطاب الامتحان لجرم ابليس ليظهر
باستحقاقه للعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تقديرك وقضاؤك ولكنه كان اعور بعين اليمنى بصيرا
بالعين التي يرى بها انانيته فقال انا خير منه اي معنى خيريتي منه ان اسجد لمن هو دوني واستدل على خيريته
بانه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان النار
من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من خواصه النشو والانماء والاستمساك الذي تقويته بصير الانسان مستمسكا
للفيض الالهي ونفخ فيه من روحه فاستحق سجود الملائكة لانه صار كعبة حقيقية فلما ابتلى ابليس بالصغار وطرد من الجوار
اخذ في النوح وليس من الروح ومني بالعناد والطمأن بالحيوة فقال انظرني فاجيب الى ما سال ليكون وبالا عليه وزيد
في شقوته ولكن لم يجبه بان لا يذيقه الموت لقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن
حوالة الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم لاقعدن ثم لاتينهم من الجهات
التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل الطعن
في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن ايمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء
بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او الم
من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل الصلف والعجز وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد
والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال ومن بين ايديهم من قبل الاعتراض
على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم
من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اثر عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق
ومن خلفهم اثر عليهم اباءهم وامهاتهم وعن ايمانهم اثر عليهم احباءهم وعن شمائلهم اثر عليهم اعداءهم وحسادهم
ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطبعة المحنة فتكونا من الظالمين على انفسكما ان للمحبة نارا ونورا
فمن يرد نارها يجد نورها ومن دنا نارها احترقت انانيته فيبقى بلاهوتية نفسه مع هوية ربه فههنا يجد نور المحبة
ويعرف ربه كقوله يحبهم ويحبونه فثمر المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل ادم كما خمر طينة ادم بيده لاجل هذه
الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان حريص على ما منع ولم يكن الشجرة طعمة لبني ادم واولاده الا

الان يكونا ملكين اي من اهل السلوك ملكين في زوايا الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة كالحور والرضوان فسقاهما
ابليس في كاس القسم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما فلما غرقا في الجنة بحر المحبة وذاقا الشجرة المحبة بدت لهما سوآت
نار المحبة مثل نورها وهي نار فرقة الاحبة وفي البداية وطفقا الاشتغال نار المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على
نار بيهما فلما التهب احترقت ملطاها باحبة الفاصلة ونعق غراب البين بالفرقة فبينا نحن في لهو وفي طرب
بالاحباب فراق صوبه هطل وان كنت مشعوفا بطلعته مضى وافترسه الزيم والطلل فالصبر منخل والوجد متصل والدمع
منهمل والقلب مشتغل وناديهما ربهما نداء العزة والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل وتزيل النعيم وتذهب
الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة خفية تظهر ولو بعد حين قالا ربنا
من وجهي في باب دارهم واذا قيل لي مغضبا من انت يا رجل فانغسل بماء الخجلة منهما رعونات البشرية ولوث العجب
الانانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لربه وعلما ان لا منجا ولا ملجا منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها
في شبكة المحنة المحبة تعيننا ولا المحنة تعيننا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال لنكونن من الخاسرين
الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو النفس عدو
القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم لنفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة
باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين يصير النفس مطمئنة يستحق لخطاب ارجعي من الهبوط وارتقي بعد السقوط
ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا لا تياس وان طال مطالبه اذا استعنت بصبر ان
يرى فرجا اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا قال فيها اي في المحنة تحيون صدق والهم ودفع
باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة والله تعالى اعلم

يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم

ای پسران آدم بتحقیق فرستادیم بر شما آب را که سبب حصول جامه است تا پوشاند عورتهای شما را و

وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله

وجامه که برای زینت و پوشش ورع و ترس آنست بهتر از فرستادن جامه از آیتهای خدای

لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان

تا مگر ایشان پند گیرند ای پسران آدم باید که بی راه نکند شما را و زود بفریفکند دیو

كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما يواري

چنانکه بیرون کرد پدر و مادر شما از بهشت حال آنکه کشیدن بود از ایشان پوشش ایشانرا

ليريهما سواتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا

تا بنماید ایشانرا عورتهای ایشان بدرستی که می بیند شما را او و اتباع او از انجا که شما را نمی

ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون و

بینید ایشانرا بدرستی که ما گردانیدیم دیوانرا دوستان و یاران آنکسانرا که نگروند و

اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها

چون کنند کافران گناه کاری بغایت زشت گویند یافتیم بر آن خصلت پدران خود را و خدای فرموده مارا بر آن

قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون

بگو بدرستی که خدای نفرماید بخصلت بد ای میگویید بر خدای آنچه نمیدانید

قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد

بگو فرموده خدای من بعدل و راستی و بگو متوجه گردانید رویهای خود را بکعبه نزد هر نمازی

وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا

و بخوانید و بپرستید خدایرا حال آنکه خالص گردانیده چنانکه آغاز فرمود شما را دوم بار باز آیند گروهی را راه نمود و گروهی را

حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من

ثابت شد بر ایشان گمراهی بدرستی که ایشان گرفتند دیو را دوستان از

دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بني آدم خذوا

غیر خدای و همی پندارند ایشانرا که ایشان راه یافته گانند ای فرزند آدم فرا گیرید

زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

لباس آرایش خود را نزد یک هر نماز و بخورید و بیاشامید و اسراف مکنید

انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج

بدرستی که خدای دوست ندارد مسرفانرا بگو بکدام کس حرام گردانید لباس خدای از زینت آنکه بیرون آورد

لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا

برای بندگان خود و پاکیزها و لذیذها از روزی بگو آن زینت و طیبات مر آنانراست که ایمان آورند در زندگانی این جهان

خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم

حال آنکه خالص ایشان بود روز قیامت همچنین بیان میکنیم به بیان مشروح آیتها را برای گروهی که

يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن

میدانند بگو بدرستی که حرام گردانید پروردگار من کارهای زشت را آنچه ظاهر است از آن و آنچه پنهانست

والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به

و بزه را و ستم بر مال و نفس بی استحقاق و آنکه شریک گردانید با خدای آنرا که فرو نفرستاد بانبات آن

سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء

هیچ حجتی و آنکه گویید بر خدای آنچه نمیدانید و مر هر گروهی را آخر وقتست پس چون آید

اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون

وقت آخر ایشان متاخر نشوند ساعتی و متقدم نشوند

القراءة وريشا ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي الباقون
بالرفع خالصة بالرفع نافع الاخرون بالنصب زين الفواحش مرسلة الياء حمزة **الوقوف** وريشا لمن قرا ولباس مرفوعا
ومن قرا النصب وقف على التقوى خير ط يذكرون ه سواتهما ط لا يؤمنون ه امرنا بها ط بالفحشاء ما لا تعلمون ه الدين ط
تعودون ط على جواز الوصل لمرد النهاية الى البداية الضلالة ط مهتدون ه ولا تسرفوا ج لاحتمال الفاء فيها ولا يستقدمون
لما ذكر ان الارض مستقر لبني ادم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني ادم قد انزلنا وايضا لما ذكر
واقعة ادم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان التستر
باب من ابواب التقوى ومعنى انزال اللباس انه قضي به وكتب او انه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته
اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم
فيها جمال ومن قرا رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش كاللبس
واللباس وهو اللباس الفاخر ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان
ومنه قولهم رشت فلانا اصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق
على سائر الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قرا بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع على الابتداء وخبره
اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضماير في صلوح العود سبيبها
واما المفرد الذي هو خير لكم وذلك بدل او عطف بيان او صفة بتاويل لباس التقوى المشار اليه خبره
المعدول الى الاشارة اما للتعظيم للباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس التقوى هو اللباس المواري للسوآة
اي مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس
اي اللباس الذي انزله الله تعالى ليواري به السوأة هو لباس التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون
بالعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفت الصدق في ابواب البر والصدق
خير لك من غيره فتعبد به او المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب او يراد الملبوسات
المعدة لاجل اقامة الصلوات ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان
وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو
عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء
وقيل هو ما ظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الاية ان لباس التقوى
خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب به الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الى
التقوى كما اضيف الى الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من آيات الله الدالة
على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفون عظيم النعمة فيه ثم حذر اولاد ادم من قبول وسوسة
الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان
الفتنة الامتحان يقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق ومر دينار مفتون
اي قصته محرقة قال تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب
عهده من فيضان ربه فهو على اولاده ان لا يدخل الجنة اقدر ومحل كما اخرج نصب على المصدر اي فتنة
مثل اخراج ابويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا
لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام في ليريهما سواتهما لام العاقبة او لام الغرض كما تقدم في قوله
ليبدي لهما قال ابن عباس يرى ادم سوأة حواء وترى حواء سوأة ادم وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الاخر عن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني وحمله العلماء على الكراهة لا على التحريم واختلفوا في
اللباس الذي نزع عنهما فقيل النور الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار
وقيل اللباس الذي هو من ثياب الجنة قال الكعبي في الاية على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان

واجيب بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي واكد التحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اي
جماعته الثلاثة فصاعدا والقبيلة بنو اب واحد وقال ابن قتيبة اي اصحابه وجنده وقال الليث اي هو وقبيله اي جماعته من حيث
لا ترونهم اي يكيدونكم ويغتالونكم من حيث لا يشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام
الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله تعالى في قوة ابصارنا
لرايناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لرايناهم وهذا الادراك في عيون الانس
قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول اوقات الاستقبال وان زعم من يدعي رؤيتهم ترد شهادته ولو قدر الجن على تغيير
صورهم انفسهم باي صورة شاؤوا لارتفع الوثوق عن معرفة الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط الناس وازالة العقل
عنهم لكان اولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس اشد وعن مجاهد قال ابليس اعطينا
اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى والضمير في انه للشان وهو تاكيد ليصح العطف على
المرفوع المتصل ثم قال انا جعلنا الشياطين اولياء واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذي سلط الشيطان عليهم حتى
اضلهم واغواهم ويتاكد هذا النص بقوله انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اعتذر القاضي بان المراد من الجعل
الحكم بان الشيطان ولي لمن لا يؤمن او المراد التخلية بينهم وبينهم كمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل
واجيب بان حمل الارسال والجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم ذلك فهل يمكن مخالفة حكم الله وبان الارسال انما يصدق
على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحائر والسوائب وقيل في الطواف
بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزايدة في القبح اعني الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هي في انفسها
فواحش ويعتقدون انها طاعات فنعى على ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين **الاولى** التقليد ولم يذكر جوابها
لظهور بطلانها عند كل عاقل **والثاني** ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء قالت المعتزلة ان
الشيء انما يقبح لوجه عائد اليه وان كونه في نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهي به ولهذا اكد هذا المعنى بقوله اتقولون
على الله ما لا تعلمون والجواب ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء ومشيئتها ونحن لا ندعي الا انه تعالى مريد لجميع
الكائنات وان شيئا منها لا يخرج عن حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يامر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربي بالقسط
قال عطاء والسدي اي بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة
الله تعالى بذاته وافعاله واحكامه واقيموا ليس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم اي استقبلوا
القبلة او استقيموا واخلصوا عند كل مسجد في كل وقت سجود او كان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلوة الى الكعبة
وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم لا اصلي الا في مسجدي ثم لما امر
بالتوجه الى القبلة امر بعده بالدعاء والاظهر ان المراد به اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء
والذكر ويمكن ان يقال بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد لتحقيق الجزاء
فقال كما بداكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدا خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون احياء وعن
ابن عباس المراد كما بدا خلقكم مؤمنا او كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في اول
الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت
عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثاني
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل او اضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا امررت به قال القاضي المعنى فريقا
هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي يحق عليهم
دون غيرهم اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يامر انبياءه باضلالهم عن الدين كما يامرهم باقامة
الحدود المستحقة واجيب بان قوله هدى وحق ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة او الضلالة
عنها لا بد ان يكون محكوما به في الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة اعني السبب
القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوة
ولم يتاملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم بين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم مهتدون وفيه

وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملته امر
اللباس والماكول والمشروب وايضا امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها لا جرم قال يا بني آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس
قال كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المراة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها
سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذباب وهي تقول شعر اليوم يبدو بعضه او كله
وما بدا منه فلا احله وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء
المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك
تفاؤلا ليعروا من الذنوب كما يعروا من الثياب وقال الكلبي كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما
في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك فانزل الله الاية قال اكثر المفسرين المراد
من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى لا يبدين زينتهن يعني الثياب وايضا الزينة لا تحصل الا بالستر التام للعورات
ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب فوجب حمل
الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب
ثم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالاية تقتضي وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به في القدر الذي لا يجب
ستره من الاعضاء اجماعا بقي الباقي داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب في الصلوة واذا فقدت صلوته قال اصحاب
ابي حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على قصد وجوب الطهارة اخذ الزينة فيكفي في صحة الصلوة واجيب بان الامر
في قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه صلى في الثوب
المغسول بماء الورد واما قوله وكلوا اي اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة
ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد
يكونان واجبين ايضا في الجملة وهما لا يشملان جميع الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا تسرفوا وجهان اولهما
انه ياكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه
الثانية وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم
وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم في وقت الحج ما احلها الله تعالى لهم قال بعض العلماء ان حمل الاسراف
على الاستكثار فيما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك
خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب
المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله
في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم
شيء من الطب فقال قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله
المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك بقوله قل من حرم
زينة الله قال ابن عباس وكثير من المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال الاخرون انها تتناول جميع انواع الزينة من
الملابس والمركب والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من الماكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال مهلا يا عثمان فان خصاء امتي
الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب قال ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات قال تحدثني نفسي بالسياحة قال
سياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولى ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم
المسكين واليتيم وتعطيه ما افضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال
فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها قال ان المسلم اذا غشي اهله وما ملكت يمينه فان لم يصب من وقعته تلك ولد لكان له وصيف
في الجنة وان كان له ولد مات قبله او بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة
يوم القيامة قال فان نفسي تحدثني ان لا اكل اللحم قال مهلا اني اكل اللحم اذا وجدته ولو سالت الله ان يطعمنيه كل يوم فعله قال

فان

فان نفسي تحدثني ان لا امس الطيب قال مهلا فان جبرئيل امرني بالطيب غبا وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمن لا ترغب عن
سنتي فانه من رغب عن سنتي ومات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة
تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضر او يتساوى ضرها ونفعها فوجب الحكم في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا
وجب لاطلاق الاية وان كان الضر خالصا وكان تركه خالص النفع فليحق القسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا
يقابل المثل بالمثل وبقي القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه
نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الاية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا ان يجد خاصا في الواقعة
نقضي به تقديما للخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا
لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس مخصصا لعموم هذا
النص فيكون مردودا الا ان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فاذن القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى
اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحيوة الدنيا لاجل المومنين بالاصالة والكفرة بالتبعية كقوله ومن
كفر فامتعه قليلا واما في الاخرة فانها خالصة لهم فقال هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة من قرا بالرفع فلانه خبر بعد
خبر قال ابو علي او على الخبر وللذين آمنوا متعلق به والتقدير هي خالصة للذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم القيامة على هذا
يكون ظرفا للخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيامة غير خالصة بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون
في الحيوة ظرفا للمحذوف اي هي للذين آمنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي خالصة يوم القيامة ومن قرا بالنصب فعلى الحال
وباقي التقدير كما ذكرنا نفصل الايات لقوم يعلمون اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم
النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في ستة انواع لان الجناية اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما
حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون على العقول وهي شرب الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل
الفواحش الكباير والاثم الصغاير وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه خصص اولا ثم عمم
واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليه الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا
يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فحينئذ يخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية
على الاديان اما بالطعن في التوحيد واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لا سلطان
حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله
تعالى عنها فيصير تقدير الاية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفايدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة
عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم شدد امر التكاليف بالاجال المحدودة
والانفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت رسولها
الى وقت لا يعذبهم قبل ذلك ولا يؤخرهم عنها والمقصود وعيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتاخر
سواء الهالك والمقتول واورد على القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعذبهم في نزول عذاب
الاستيصال وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال ولكل انسان واحد اجل ويمكن ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان
والمعلوم من حالها التفاوت في الاجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص
ولا يقدر على ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا وصيرورته
كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اخبر بان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل
ما يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا يوم بليلته قيل عند
حضور الاجل امتنع عقلا وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون واجيب بان معنى الاجل محمول
على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة
والتاخر عنه اخرى والله اعلم **التاويل** قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوآت الافعال
القبيحة في الظاهر وسوآت الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية بآداب الطريقة في الباطن وريشا زينة و
جمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى

هو الصدق في طلب المولى يتوارى به سوآت الطمع في الدنيا يتوارى به سوآت الطمع الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى
هو محبة المولى يتوارى به سوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى يتولى بها رؤية غير المولى
ولباس الخفي من البقي بقاؤه بهويته المولى يتوارى بها هويته غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالتقوى وهو الشريعة
ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك لمن آيات الله اي اثر الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان
بالدنيا وما فيها وبمتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وحجاب الحق ينزع عنهما لباسهما
من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوآتهما من مخالفة الحق وما علما ان في هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كل كمال
ونقصان كان مستورا فيهما فاراهما بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعني الروحانيين الذين لا صورة لهم في الظاهر ما نهم يرون
بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي يتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا في آدم وقالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها من حيث لا ترونهم اي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشاها الصفات الحيوانية وانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم
لا من حيث الروحانية التي هي منشاء علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور
الرباني انا جعلنا الشياطين اولياء خلقناهم مستعدين بالتولية لاهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب
الدنيا وجمعها قالوا انا وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بكسب
الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما
بداكم لطفا او قهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة تعودون
اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار
والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية
والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبدية كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا
بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرايع
آثارها وزين النفوس بالآداب واسرارها وزين القلوب بالشواهد وانوارها وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين
الاسرار بالطوالع وآثارها فمن تصدى لطلب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تاخير وقصور وخطر ومنع والطيبات من
الرزق ما لم يكن مشوبا بالحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشوائب الآفات النفسانية
وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل
الفواحش ما يقطع على العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن خطورها بالبال
وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع ما لانفسهم نصيب ولو بذرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر
منها ترك ادب من الآداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون الى شيء في الدارين والالتفات الى غير الله من
العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي هو حب غير الله فانه وضع في غير موضعه وان يستغيثوا بغير الله ما لم
يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وان يقولوا بفتوى النفس وهواها او بنظر العقل على الله ما لا يعلمون حقيقتها او يقولوا في
معرفة الله وبيان احوال السائرين ما لستم به عارفون ولكل امة من السائرين الى الله والى الجنة مدة مضروبة في الازل
وعد للاولياء واسماء الله لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم الله حسبي وكفى

يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم

ای فرزندان آدم اگر آیند بشما پیغمبرانی از شما که خوانند بر شما

آیاتی فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

نشانهای من پس هرکه بترسد وکار بصلاح آرد پس هیچ ترسی نیست بر ایشان ونه ایشان اندوهگین شوند

والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب

وآنانکه بدروغ داشتند نشانهای مارا وگردنکشی کردند ازان ایشانند خداوندان

النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله

دوزخ ایشان دران جاوید باشند پس کیست ستمکارتر ازانکه فرا بافت بر خدای

كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب

دروغ را یا بدروغ داشت آیتهای خدای را ایشانند که برسد بایشان بهرهٔ ایشان از نامه

حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون

تا بیاید بایشان رسولان ما بر داشتن جان ایشان گویند رسول کافرانرا کجاست آنچه بودید شما که می‌خواندید

من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا

از جز خدای گویند بجواب گم شدند از ما وگواهی دهند بر تنهای خود بدرستی که ایشان بودند

كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن و

ناگروندگان گوید خدای اندر آیید در گروهانی که بگذشتند از پیش شما از پری و

الانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا

آدمی در آتش هرگاه که در آیند در دوزخ گروهی لعنت کنند بر دیگر گروه تا چون

اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا

در یکدیگر رسند در آتش همه گویند گروه بازپسین ایشان مر گروه پیشین ایشانرا ای بار خدا این گروه اند که گمراه کردند مارا

فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف

پس بده ایشانرا عذابی دو باره از آتش گوید خدا ایرا مر هر گروهی عذابی افزونست

ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم

ولیکن نمیدانند وگویند پیشین ایشان مر پسین ایشانرا که نیست مر شمارا

علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون

بر ما هیچ افزونی پس بچشید عذاب را بسبب آنچه بودید که کسب میکردید

ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم

بدرستی آنانکه بدروغ داشتند نشانهای مارا وگردنکشی کردند ازان نگشایند مر ایشانرا

ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط

درهای آسمان ودر نشوند در بهشت تا آنکه در شود شتر در سوراخ سوزن

وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم

وهمچنین پاداش دهیم گناهکارانرا مر ایشانرا باشد از دوزخ بستر واز زبر ایشان پوششها

غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا و

از آتش وهمچنین پاداش دهیم ستمکارانرا وآنانکه ایمان آوردند و

عملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب
دکردند کارهای نیک کار سخت ننهیم بر هیچ نفس مگر آنچه طاقت او باشد ایشانند خداوندان
الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من
بهشت ایشان در بهشت جاوید باشند وبیرون کشیم آنچه در سینهای ایشانست از
غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي
کینه میرود از زیر ایشان جویها وگویند چو بهشت رسند مر خدایرا آنکه
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
راه نمود مارا این راه ونبودیم ما که راه یابیم اگر نه آن بودی که راه نمودی مارا
الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان
خدای بحقیقت آمدند پیغمبران خداوند ما براستی وآواز دهند شان که این
تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
که این نان بهشت است میراث دادند شمارا بدانچه بودید که میکردید

القراءة حتى اذا ادركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدي تداركوا بالتاء سهل مخير وكذلك البا في قوله تعالى انا فلتم وقالوا الطرنا وافق الكسائي في شا فلتم اخريهم لاوليهم بالامالة الشديدة ابرهيم بن حماد وحمزة و علي وخلف وقرا ابو عمرو غير ابرهيم بن حماد اوليهم بالامالة اللطيفة اخريهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق البخاري والخزاز عن هبيرة في اخريهم بالامالة الشديدة فانهم بضم الهاء روبس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعله الافوله ومن يولهم لا يعلمون بياء الغيبة ابو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التانيث والتخفيف ابو عمرو وقرا حمزة وعلي وخلف بفتح بياء تحتانية وبالتخفيف الباقون بتاء التانيث والتشديد غواشي بالياء في الوقف يعقوب وكذلك كل كلمة سقطت الياء او الواو لاجل التنوين او لاجتماع الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد ما كنا بغير واو العطف ابن عامر الاخرون بالواو اورثتموها وبابه بادغام الثاء في التاء ابو عمرو و حمزة وعلي وهشام **الوقوف** آياته لان الفاء بعد لجواب الشرط ولام يحزنون النار خالدون باياته من الكتب يتوفونهم لان ما بعده جواب اذا من دون الله كافرين في النار اختها جميعا لما ثلثا من النار لا يعلمون يكسبون الخياط المجرمين غواش الظالمين وسعها وجعل اولئك خبر الموصول اوجه بناء على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة الجنة خالدون الانهار للعطف مع العارض هدانا الله لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق لابتداء النداء بانها جزاء بعد انتهاء الحمد والثناء على انها عطاء تعملون **التفسير** لما بين احوال التكليف وان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر بين انهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرايع الحقة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان كانوا متمردين وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني آدم اما ياتينكم واعرابه مثل ما في سورة البقرة فاما ياتينكم مني هدى والجزاء محذوف اي فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون اقطع لعذرهم واقرب الى الفهم والانس ومعنى آياتي احكامي وشرايعي الدالة على صحة المبدا والمعاد ثم فظع شان الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كاقوال اصناف المشركين وطوايف المتدعة والثاني انكار حكم وجد من نبي او كتاب ثم اخبر عن عاقبة امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب

قيل اي العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اي انواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من السلاسل و الاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا ان ننصفهم ولا نتعدى عليهم وان نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال كانه سبحانه بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا ان ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا او يتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام وانه ههنا جملة شرطية فدل على ان مجي الرسل المتوفون كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الاخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفونهم عدتهم عند حشرتهم الى النار اي يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم احد وفي الكشاف ما وقعت موصولة باين في خط المصحف قلت واني رايت النقل على العكس كما ذكرته في المقدمة السابعة من مقدمات الكتاب ومعنى الاية اين الالهة التي تدعون اي تعبدونهم او تدعونهم في الشدايد قالوا على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف ضلوا عنا اي غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم وشهدوا على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اي الله وعن مقاتل هو من كلام خازن النار وهذا مبني على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سخط ادخلوا في امم قيل اي ادخلوا في النار مع امم والاولى ان لا يلتزم الاضمار والمجاز والمعنى دخلوا كاينين في جملة امم تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودي اليهودي والنصراني النصراني وكذا المجوس وساير اديان الضلالة تطيرها فلان يلعن غيرها اولى حتى اذا اداركوا يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار وادرك بعضهم بعضا فاستقر معه قالت اخريهم دخولا في النار لاوليهم دخولا فيها او اتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنا ان لام لاوليهم عندي لان المضل لا بد ان يكون مقدما على الضال في دخول النار واللام بمعنى لاجل ولام وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم الفاء للجزاء عذابا ضعفا اي مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه في اعينهم والسعي في اخفاء الدلايل قال ابو عبيدة الضعف مثل الشي مرة واحدة وهو قول الشافعي في رجل وصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدي يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الزهري العرب تريد بالضعف المثل ما زاد وليس بمقصود على المثلين بدليل قوله عز من قايل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا واقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وانما قال الشافعي رضي الله عنه ما قال لان ذلك متيقن وما فوقه مشكوك اي الله او خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم فدعوا امرهم سئل ههنا او تضعيف العذاب الذي يستحقه الشخص ظلم واجيب في التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل المحصل فانه يعقبه حصول الم اخر الى غير النهاية قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف و لا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زايد على مقدار ما يستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من حيثية لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن قرا على الخطاب والمعنى لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب ولا تعلمون يا اهل الكتاب الدنيا ما مقدار ذلك وقالت اوليهم لاخريهم اذا قد حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان اي فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مواخذون بالاتباع كما نحن مواخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال في التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب

لان الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار يوم القيامة و
الكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيامة الا ان
هذا الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم في النار فقال
ان الذين كذبوا بآياتنا وهي الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اي ترفعوا عن قبولها
لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن عباس اي لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقال السدي وغيره لا تفتح لارواحهم
ابواب السماء التي هي موضع بهجة الارواح واماكن سعادتها كما جاء في الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء التي هي
فيستفتح لها ابوابها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى ينتهي الى السماء السابعة
ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة في السماء معناه لا يؤذن
لهم في الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل اي لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب
السماء بماء منهمر ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج
الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلث وقد قرئ بها ثقب الابرة
وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال
الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل اعظم الاجسام المشهورة عند العرب
كما قال **شعر** لا عيب بالقوم من طول ومن عظم * جسم الجمال واحلام العصافير * وكان سم الابرة مثلا في ضيق المسالك
حتى قيل اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر وقف الله
تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله
قول العرب لا افعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل على وزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل ومعناه
لانه القلس وان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الآية بان الارواح
كانت في ابدان البشرية لما عصت واذنبت فانها بعد موت الابدان تردد من بدن الى بدن ولا تزال يبقى في التعذيب
حتى ينتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فينتقل في سم الخياط وحينئذ تصير مطهرة عن تلك الذنوب فيدخل الجنة و
يصل الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون
المار ذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم
لا يدخلون الجنة ذكر انهم يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد اي فراش ومن فوقهم غواش هي جمع غاشية وهي كل ما يغشاك
اي يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين في غواش
مثلها في جوار اعني انها للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء
او عن اسكان الياء وكذلك نجزي الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال
والذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره في آخر سورة البقرة اعتراض بين
المبتدأ وخبره وليس بلغو [illegible] وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها تحصل بالعمل السهل من غير حرج وضيق
وبعيدا لمن فاته [illegible] ومن جعله خبرا فالعائد محذوف اي لا نكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا
ما في صدورهم من غل نزع الشيء قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدل على الاخفاء ومنه الغلول كما مر في تفسير قوله وما
كان لنبي ان يغل وللآية تفسيران **احدهما** ازلنا الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط
الوساوس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد
والتعاطف عن علي كرم الله وجهه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم **الثاني** ان درجات اهل الجنة متفاوتة
بحسب الكمال والنقص فالله تعالى ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة
فيكون هذا في مقابلة ما ذكر الله تعالى من تبري بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببديع ولا بعيد
من حال اهل الجنة فان اولياء الله تعالى في دار الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهدايته

كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى روحه وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب
الارض والسماء فيموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة اولئك الكرام تجري من تحتهم الانهار
وهذه من جملة اسباب التنزه والترفه ان اجري على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان اريد بها انواع المكاشفات
واصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعي ومنع الصوارف
او بان اعطى العقل ونصب الادلة وازاح العلة وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله من قرأ بترك العطف فظاهر ومن حذف
الواو فلانها جملة تقرب معناها من معنى الاولى وكانها تفسيرها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب
الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعله واسطة لهدايتنا وقيل يقولون ذلك فيما بينهم سرورا و
اغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا لان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم بانه تلكم الجنة
والضمير للشان والحديث ويجوز كونه بمعنى اي لان النداء في معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها في الدنيا
وكانه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها ويجوز ان يكون التبعيد للتعظيم ومعنى اورثتموها صارت اليكم ميراثا كما
يصير الميراث الى اهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحي كما يقال هذا الفعل يورثك
الشرف او العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب في الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل
اهل النار لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له في الجنة والنار منزل
فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه
منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا اهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة
قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح
هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك والمنادي هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك
التأويل يا بني آدم اما يأتينكم رسل الهامات من انفسكم من طريق قلوبكم واسراركم وفيه ان بني آدم كلهم
مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول اكرمني الله بالكرامات والمقامات ولم يعط
او كذب بمقامات اعطاها بعض اوليائه اولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذي كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الالهامات
الالهية والواردات الربانية بعد ان كان [illegible] البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف
البشرية قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا [illegible] المجرمون المحرومون انهم كانوا
ساترين الحق بالباطل فهداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لانه
الله فقال خلق اولا بني الجان منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت امة في اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة في
تلك الاعمال لانهم سنوها حتى اذا اداركوا الكل في الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لان من سن سنة فله
وزرها ووزر من عمل بها لكل ضعف لان المتأخر ايضا يقلد المتقدم الذي يتلوه ويسن سنته ولكن لا تعلمون انكم تقلدون
لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب الى الحضرة
ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة في سم خياط احكام الشريعة وآداب الطريقة
وحتى تصير بالتربية فيه ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله ادق من الشعر بالفناء فيلج في سم خياط
الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزي المجرمين الذين صارت انفسهم في حمل الاولى كالجمل لهم من جهنم المجاهدة
والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفة النفس وترك الهوى لحاف فوقهم ويحرق انانيتهم لا يكلف نفسا الا وسعها
[illegible] عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسيرا لعبوديته بحسن التوفيق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا
و آواز دهند خداوندان بهشت خداوندان دوزخ را كه بحقيقت يافتيم آنچه وعده داد ما را
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم
پروردگار ما درست و راست پس هيچ يافتيد شما آنچه وعده كرد خداى شما براستى گويند دوزخيان آرى

فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
بانگ بزند پس آواز دهنده میان ایشان که نفرین خدای بر ستمکاران باد آنانکه بگردانند
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون
از دین خدای و میخواهند او را کژی و ایشان بدان جهان ناگروندگانند
وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا
و میان ایشان هر دو حجاب باشد و بر بالا که میان بهشت مردانی باشند که بشناسند هریک بنشان روی ایشان و آواز دهند
اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون و
خداوندان بهشت را سلام بر شما باد در نرفتند در بهشت و ایشان طمع میدارند در رفتن آن و
اذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا
چون بازگردانیده شود چشمهای ایشان فراسوی خداوندان دوزخ گویند ای پروردگار ما مگردان ما را
مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
با گروه ستمکاران و آواز دهند خداوندان بالاها میان بهشت و دوزخ مردانی را که می‌شناسند ایشانرا
بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون
ایشان روبهای ایشان گویند سود نکرد از شما گرد کردن مال و فرزند و آن کردن کشی که میکردید از ایمان
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف
آیا ایشانند آنانکه شما سوگند خوردید که بدیشان نرساند خدای بخشایش اندر شوید در بهشت هیچ ترس نیست
عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان
بر شما و نه شما اندوهگین شوید و ندا دهند دوزخیان بهشتیانرا که
افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على
بریزید بر ما از آب یا از آنچه روزی داد شما را خدای گویند اهل بهشت بدرستی که حرام طعام و شراب
الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة
بهشت بر کافران آنانکه گرفتند دین خود را محل بازی و مشغولی ضایع و فریفت ایشانرا زندگانی این
الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا
این جهان پس امروز قیامت ترک کنیم ایشانرا در عذاب چنانکه ترک کردند ایشان ایمان و عمل صالح را امروز و چنانکه بودند که
بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على
بنشانهای قدرت ما انکار میکردند و هر آینه بحقیقت آوردیم ایشانرا یعنی قرآن که تبیین کردیم بعضی آنرا که از بعضی بر
علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله
دانش هدایت و سبب رحمت مر گروهی را که ایمان بیاورند بدان هیچ چشم میدارند کافران مگر عاقبت کار این

کتاب از ظهور و صدق او

يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق
گویند آنانکه ترک کردند ایمان و عمل بدان کتاب از این پیش بحقیقت آمدند پیغمبران پروردگار ما براستی
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
پس هیچ هست ما را از وجود شفاعت کنند که شفاعت کنند ما را یا بازگردانند بدنیا تا کنیم جز آن عملی را که بودیم که میکردیم بجای
قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
بدرستی که زیان کار شدند در نفس خود و گم گشت از ایشان آن بتانی که بودند که بدان افترا و کذب میکردند

القراءة نعم بكسر العين حيث كان علي الباقون بالفتح موذن بغير الهمز البخاري عن ورش و يزيد و الشموني وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة بالنصب الوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالنادين على التعظيم الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستيناف والحال كافرون لان ما بعده لم يدخل في النادين ولم يجز ان يكون حالا حجاب لتناهي حال الفئتين اتفاق الجملتين بسيماهم يطمعون اصحاب النار لان ما بعده جواب اذا الظالمين يستكبرون برحمة لتناهي الاستفهام والاقسام يحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هنا انما مصدرية كما في كما نسوا والتقدير تنساهم اشياءهم وجحودهم يجحدون يؤمنون الا تأويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء التعقيب كنا نعمل يفترون التفسير ولما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تتجدد بين الفريقين فقال ونادى وانما ذكر بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه موجب لتحققه وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم نسلم في الغايب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لان الجمع اذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد ولكل فرد من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما مر في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والناذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في الدنيا حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وهذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في ساير الافادة انما حذف المفعول انما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعيد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير احوال القيامة قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي يستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم التصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فتقول نعم كان معناه قام زيد او الم يقم زيد ملت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن عباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا وهذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قال اليس لي عليك دين فقلت نعم الزمت الدين بناء على العرف الطاري بعد الوضع وكنانة بكسر العين من نعم وروي عن عمر رضي الله عنه انه سال قوما عن شيء فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل فقولوا وانكر هذه الرواية ابو عبيدة فاذن مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يامر الله فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى التاذين النداء والتصويت للاعلام بالصلوة وبوقتها والظالمون في الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن

عن سبيل الله اي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة او القاء الشكوك والشبهات في الدلايل وهو المراد بقوله ويبغونها
عوجا وقد مر في آل عمران والكفر بالآخرة كلها من اوصاف الكفرة وانما قدم بالآخرة تصحيحا لفواصل الآي ولم يزد
لفظة هم هنا على القياس واما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله على الظالمين وقيل
عليهم والقياس ذلك النبس انهم هم غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال
وبينهما يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل
اي حاجة الى ضرب هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بان بعد احدهما عن الاخر لا
يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع العرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف
الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف في الآية يفسر بالمكان
تارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعالي السور المضروب بين الجنة و
النار يروى عن ابن عباس وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم
فيه قولان **احدهما** انهم اقوام تكون في الدرجة العليا من الثواب **الثاني** انهم في الدرجة النازلة وعلى الاول
فيه وجوه فقال ابو مجلز هم ملائكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال
وانت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ويرد عليه ان الرجل يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه
انثى بل يطلق على الذكر من بني آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا
لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول
الثاني قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار
ثم يؤول عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وخصصه بعضهم فقال
هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن آبائهم فاستشهدوا فاوقفت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال
عبد الله بن الحارث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف
واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجال
يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا ادري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع
التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة ومبيضة
واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل الحشر فلا وجه لتخصيص اهل
الاعراف بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة ابين وقال المحققون انهم كانوا يعرفون
اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشر والكفر والفساد وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى
اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل احد بما يليق به ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر على سبيل الاستيناف ان اهل الاعراف
لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كان سائلا سأل عن حالهم او على انه صفة اخرى لرجال في دخولها فان قلنا ان اصحاب
الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى اخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى
الدرجات العلى في الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون
الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابرهيم والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذه العبارة من حسن الآداب وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال
لانهم يطمعون لفضل الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يأت من المصادر على تفعال
بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء واما في الاسم فكثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت ابصار اصحاب الاعراف
على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى انه لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا صرفوا فائدة
هي ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا فيتوجهوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من الاكابر

اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما لا يليق الا بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى
عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم نادوا
في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم وربما استهزؤا بهم وانفوا من مشاركتهم في
دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم قوله ادخلوا الجنة الى آخر الآية فمن قول الله
تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملائكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحبسوا او يحبسوا ويقولوا قال
المفسرون الرجال ههنا الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان
وعمارا وامثالهم يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا خدمنا ورعاعنا اقسموا ان لا يختصهم بفضل
دونهم فناداهم اصحاب الاعراف ثم ختم المناظرين بقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة قال ابن عباس لما صار
اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج بعد اليأس فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فائذن لنا حتى
نراهم ونكلمهم فامر الله الجنة فتزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر اهل الجنة
الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم
وقالوا افيضوا علينا من الماء طلبوا الماء اولا لما في بواطنهم من الاحتراق الشديد وفي الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة
اعلى مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال آخرون بل مع اليأس لانهم عرفوا
دوام عقابهم ولكن الآيس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله او مما رزقكم
الله قيل اي سائر الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل اي من الثمار او الطعام والمراد والقوا علينا من الطعام
والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون في الآية دلالة على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كان لسائل ان يسأل
فما اذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم
عليه فهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منهما ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
وغرتهم الحيوة وقد مر تفسير الوصفين في اواسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين و
جملة الامر ان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء
يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا في بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيامة على سبيل الحكاية فقال فاليوم
ننسيهم اي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قاله الحسن ومجاهد والسدي والاكثرون وقيل اي
نعاملهم معاملة من نسي تركهم في النار كما فعلوهم في الاعراض عن آياتنا فسمي جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة
سيئة والحاصل انه لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وعن ابي الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع
حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة
ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما في هذه الآية فيقول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون
لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا فيها ولا
تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يرون الله
عز وجل في كل جمعة ولمنزل كل واحد منهم الف باب فاذا رأوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة
قال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال
القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث
فناهيك لا تتهافت والله الموفق ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم ليكون حاملا للمكلف
على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدي الى الرشد ويؤمن من الغلط والتخليط وانما فعلنا ذلك
لا كيف اتفق بل على علم بما في كل فصل من تلك الفصول من الفوايد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بريئا من كل خلل و
قدح معجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه ويحتمل ان يكونا
مفعولا لهما لقوم يؤمنون لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب

للهداية والرحمة بين بعد ما ضل من كذب به فقال هل ينظرون الا تأويله والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع كيف ينتظرون مع جحدهم
وانكارهم الجواب لعل فيهم اقواما انشكوا او توقفوا فلهذا السبب انتظروه وايضا انهم جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث
ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تأويله للكتاب اي الا عاقبة امره وما يؤول اليه من بيان صدقه
وظهور صحة ما نطق به الوعد والوعيد او يريد عاقبة ما وعدوا به على السنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل
مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يؤول يوم تأتي يريد يوم القيامة وانتصابه على انه ظرف يقول ومعنى نسوه تركوا
العمل له والايمان به او انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي ملتبسين بما هو الحق الى آباء
للتعدية والمراد اقرارهم بثبوت الحشر والنشر واحوال القيامة واهوالها اذا عاينوا فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع بشفاعة او هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل نوحده تعالى
بدلا من الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الاخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن
يتبعه والا لو سالوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون في الحال ثم حكم بان ذلك التمني لا يفيدهم شيئا وان
مطلوبهم لا يكون البتة وقال قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي لا ينتفعون بالاصنام التي عبدوها في
الدنيا وليس يفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها والله اعلم **التأويل** نادى اهل الجنة اهل القطيعة ان قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيري لم يجدني فاذن مؤذن
العظمة والعزة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبهم الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله
وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وبينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية
فلا يرى اهل النار اهل الجنة وكذا بين اهل الجنة وبين اهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية
والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية ينصرفون فيما
سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا ينصرف فيهم شيء منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان في حظاير القدس عند الرحمن
يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
يعني هنيئا لكم ما انتم فيه من النعيم والحور والقصور ثم اخبر عن همة اهل الاعراف فقال لم يدخلوها الى الجنة ونعيمها
ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون في الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتلاء
ليعرفوا انه تعالى من آية دركة خلصهم وباي كرامة خصصهم ومن هذا القبيل لا يكون ما يسنح لارباب الكمالات
من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعني اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل النار من الطاعات
ويا اهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير في حقيقة لا اله الا الله اهؤلاء الذين اقسمتم يعني ان من الموحدين
والعلماء بعلم الظاهر في بعض الاوقات من يقول الوفا رحمة لاهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا
الجنة يعني الجنة المضافة اليه في قوله ادخلي جنتي في حظاير القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم
تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان الله تعالى خاطب بالقدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم وقطع
الملائكة المقربين فافهم يحكى عن ابي جعفر الابهري انه دخل على ابي طاهر الهمداني فقال اين كنت فاني حضرت البارحة
مع الخواص على باب الله فما رايتك ثمة فقال يا ابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما
رايتني افيضوا علينا من الماء كانوا في الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما
ماتوا وان اهل الجنة لما جعلوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم في الجنة بشهوات النفس والصحابة فقالوا
ان الله حرمهما على الكافرين يعني في الحقيقة اباحتهما عليهم في الازل فلم يوفقوا المعاملات تورث الجنة هل ينظرون الا
تاويله اي ما يؤول اليه عاقبة في شانهم ظلمهم بكشف الغطاء وسوء الغطاء ولاهل المحبة الفرقة والافتراق وعقاب النار

ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة

بدرستی که پروردگار شما معبود بحق است که آفرید آسمانها و زمین را در مقدار شش روز

ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا

روز پس مستوی شد بر عرش بتدبیر و تقدیر شب را بروز بار روز را باشب طالبست روز شب را با عکس شتابان

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق و

و آفرید آفتاب را و ماه را و ستارگان را در ان حال که منقاد اند بمقتضای تدبیر او بدانید که خدا یراست عالم خلق و

الامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم

عالم امر با ثبات و دوام است بسیار پروردگار جهانیانست بخوانید پروردگار خود را در ان حال که

تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في

با تضرع باشید و نهان گردانیده و عابد کسی که خدا دوست ندارد از حد گذرندگان را و تباهی مکنید در

الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان

زمین پس از اصلاح آن و بخوانید خدای را در حال ترس از عذاب و طامع باشید از ثواب بدرستی که

رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل

بخشایش خدای نزدیکست از حال نیکوکاران و اوست آنکه میفرستد

الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا

بادها را مژده دهندگان پیش از آمدن رحمت او که بارانست تا چون برگیرند آن بادها را ابرهای گران بار

ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به

گران بار از باران رانیم آن ابر را از برای زمین مرده که دران هیچ نباتی نباشد پس فرو فرستیم بسبب آن ابر باران پس بیرون آریم بسبب آن آب

من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون

از هر نوع میوه ها همچنان بیرون آوردن ثمرات بیرون آریم مردگان را از زمین تا مگر شما پند گیرید

والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا

و زمین پاک خوش بیرون آید نبات او به تیسیر پروردگار او و آن زمین پلید باشد بیرون

يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون

نیاید نبات او مگر آنکه در او چیزی نباشد همچنان تصریف کنیم آیات قدرت خود را برای گروهی که سپاس دارند

القراءة يغشي بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب غير روح الشمس والقمر والنجوم مسخرات
كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة
وعلي وخلف وابو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير ابي زيد الباقون بضم النون والشين
ميت بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون بكسرها **الوقوف**
حثيثا لمن قرأ والشمس وما بعده مرفوعات بامره والامر العالمين وخفية المعتدين العطف مع الآية وطمعا
المحسنين رحمته الثمرات يذكرون باذن ربه للابتداء مع العطف نكدا يشكرون **التفسير** لما بالغ في حجاج

في تقرير امر المعاد عاد على عادته الى بيان المبداء وهو ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تأكيدا للمعاد والمعنى ان الذي
يربيكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكاره هو الذي بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق
هذه الاجسام الجسام واودع فيها المنافع واصناف الفوائد فكيف يليق ان يرجع الى غيره في طلب الخيرات ويقول على غيره في تحصيل
السعادات قال علماء الادب اصل ست سدس بدليل سديس واسداس ثم ان العرب كانوا يخالطون اليهود والظاهر انهم
سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذي سمعتم من عقلاء
الناس انه هو الذي خلق السموات والارض على غاية عظمتها ونهاية جلالتهما في ستة ايام قيل انه تعالى كان قادرا على
ايجادها دفعة واحدة فما الفايدة في ذكر انه خلقهما في ستة ايام في اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجيب بانه اراد
ان يعلم عباده الرفق والتاني في الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تاخير الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال
ان الشي اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق اما اذا احدث
الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى في الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث
حكيم عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى يخلق العاقل اولا ثم يخلق السموات والارض لان خلق ما لا ينتفع به في
الحال يجري الى العبث والجزاف ثم ان ذلك العاقل ملكا كان او جنيا اذا شاهد في كل ساعة وحين حدوث شي اخر على
سبيل التعاقب والتوالي كان ذلك اقوى في افادة اليقين لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلايل لحظة فلحظة واما
تقدير المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على اي مقدار فرض وقيل ان لعدد السبعة شرفا عظيما
ولهذا خصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل
كيف يعقل حصول الايام قبل خلق الشمس التي نيط تقدير الازمنة بطلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات
والارض في مقدار ستة ايام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا صباح
ثمة ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الاخرة كل يوم الف سنة مما تعدون والاكثرون على انها ايام الدنيا
لان التعريف بما يقع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ونقول يمكن ان يحمل الايام الستة على الاطوار الستة التي
للاجسام هيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيواني والله تعالى اعلم بمراده اما
اما قوله سبحانه ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان
استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يفتقر
لا محالة الى محدث ومخصص فلا يكون واجبا وللقايل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد
غير استقراره على العرش بلا تناهيه احاطته بجميع الجوانب ونفوذه في الكل لا كاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي
ولا كنفوذ النور بالمحسوس بل على نحو اخر يعجز العبارة عنه ومنها انه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون
غير متناه من كل الجهات او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات
ومع ذلك فالشيء الذي محل السموات اما ان يكون عين الشيء الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون
السماء والارض حالتين في محل واحد فهما شي واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب والتجزية في ذاته تعالى واما
ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا
فردا لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لمقابلتها
وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشي المحدود من جانب او جوانب قديما ازليا
فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب اخر وايضا يصح على الشي المتناهي ان يكون غير متناه
وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقي فيصح النمو
والذبول والزيادة والنقصان والتفرق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما وللقايل ان يقول
انه غير متناه ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشي للمحل غير كونه نفس المحل ومفتقرا
الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لا اصل له عند الرجل البرهاني ومنها انه لو كان الباري تعالى
ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس

واعترض بان ذلك ايضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب بان مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح
الظاهر من الجسم المحوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض وللقايل ان يقول الجهة مقطع الاشارة
الحسية وهذا في حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك
لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري
تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها الى الغير فيكون ممكنا والجواب
ما مر من ان استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ المحض ولان هذا المفهوم
واحد فالاحياز باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار
وكل ما كان فعلا لفاعل مختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف
وللقايل ان يقول ما لا يتناهى لا يعقل له حيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر
الشي الى ما تاخر وجوده عن وجود ذلك الشي والمعية بعد ذلك لا تضر ومنها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه
بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا لكان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان يقال ان اله العالم جزء من الف
جزء من راس برغوث ملتصقة بذنب نملة او قملة وللقايل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم
كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وبابي في الكلام لا نستحق الجواب ومنها كل ذات قايمة
بالنفس مشار اليها بحسب الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغاير الجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر
ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا له او اصغر منه
والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزايد عليه لان القدر
الذي فضل به عليه مغاير لما سواه وللقايل ان يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الايمان الانوار ويستحيل هذه
التقادير منه ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان
تناهي الابعاد وللقايل ان يقول ان براهين تناهي الابعاد لا تتم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد
ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول جسم اخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى
مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه اخر صح عليه ما صح عليها من التغيرات
وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا
بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما يكون محلا لما به المخالفة او حالا منه او لا هذا ولا ذاك
فان كان محلا له كان البعد جوهرا قايما بنفسه والامور التي بها حصلت المخالفة اعراض وصفات واذا كانت الذوات
متساوية في تمام الماهية وكل ما يصح على بعضها يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو
والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته وان كان ما به المخالفة محلا وذاتا وما به المشاركة حالا او صفة فذلك المحل
ان كان له ايضا اختصاص بحيز وجهة فيجب اشارته الى هؤلاء الى نهايته والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا او امتدادا
هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان اجنبيا مباينا فيكون ذات الله تعالى مساوية لتمام الاجسام في الماهية ويصح عليها
هذا محال وعلى التقدير الثاني وهو ان ذاته تعالى لا يمنع من حصول جسم اخر في حيزه لزم سريانه في ذلك الجسم وتداخل
البعدين كما مر والكل محال والمقدم وهو كونه تعالى في حيز محال وللقايل ان يقول كون الباري تعالى في الحيز مغاير لكون
الجسم في الحيز فاين الاشتراك فلو سلم فالاشتراك في اللوازم لا يوجب الاشتراك في الملزومات فمن اين يلزم التركيب
قوله فان كان محلا له كان البعد جوهرا قايما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قايما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا
قوله الامور التي بها حصلت المخالفة اعراض وصفات لجواز ان قيام العرض بالعرض كالبطوء والسرعة القايمين بالحركة
قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بل من وجوه والكلام في سريانه
في الموجودات قد مر ومنها لو انه كان في حيز فان امكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه
فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن المحدث اولى بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه
كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع حركتها

عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكامنية ينا عدون على انه كفر ولقائل ان يقول ان الحركة
والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى الاحياز فاما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون والكامنية ينا عدون
على انه كفر ولقايل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه باحدهما فلم لا
يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لا يصح وصفه بالتخلل ونحو ذلك فيستحيل عليه
الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز اخر ولان العالم النوراني الذي لا نهاية له مملو منه فكيف يتصور خلو
حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان
اله العالم جبلا حجريا واقفا في الحيز العالي وان كان نورا محضا جاز ان نفرض هذه الانوار التي يشرق على الجدران
الها وايضا ان كان له طرف وحد فان كان ذا عمق وثخن كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا في غاية الدقة مثل
قشر الثوم بل ادق منه الف الف مرة قلت ان امثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لا يفرق بين النور المعقول
والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادي والشيء القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب ان هذا
المستدل قد سمع من جمهور العقلاء ان اجرام الفلكية لا يطلق عليها الصلابة واذا جاز ان يكون في انواع الاجسام
نوع لا يمكن ان يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف باحدهما فلم لا يجوز ان يكون
فيما هو اشرف من ذلك النوع شيء لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد
متناه او غير متناه وعلى الاول فان لم يكن بحيث فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم التركيب وان كان مباينا ببعد متناه
فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى مرتبة ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم ان يكون غير
المتناهي محصورا بين الحاصرين ولقايل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصلح
عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل واشباه ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجرمية
كلما كانت اقوى كانت الفاعلية والتاثير اضعف وبالعكس ولهذا كان تاثير الارض اقل من تاثير الماء وتاثير الماء
من تاثير الهواء وتاثير الهواء من تاثير النار بالاحراق والطبخ وتاثير النار من تاثير الافلاك المؤثرة في العنصريات ثم انه
لا قدرة ولا قوة اشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريا من الحجم والجرم والكثافة والرزانة قلت في الاستقراء
نزاع انه صحيح تام اولا ولكن لا نزاع في ان واجب الوجود تعالى شانه بري عن الجسمية والكثافة وعن كل شيء يقدح
في قيوميته وهذه حجج قد اوردت في اوايل سورة الانعام في تفسير قوله سبحانه هو القاهر فوق عباده وقد عرفت
ما عليها فهذه حجج عقلية صال بها الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير وقد اوردنا عليها ما كانت ترد من المنوع
والاعتراضات لا لاعتقاد التشبيه والتجسيم او تقليدا لاولئك الاقوام بل تشحيذا للذهن وتمرينا الى المعارف
والحقايق وجذبا لطبع المتامل في المضايق والمزالق فليختر المنصف ما اراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف
المقال عنها غير الخيال والله اعلم بحقيقة الحال ثم قال رحمه الله واما الدلايل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى
قل هو الله احد والاحد مبالغة في كونه واحدا والذي يملأ منه العرش ويفضل العرش يكون مركبا من اجزاء وذلك
ينافي كونه احدا واجيب بانه ذاته واحدة حصلت في كل الاحياز دفعة واحدة فزيفت من هذا المعلوم الفساد
بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال لجميع العرش الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا ان
ذلك الجزء الذي لا يتجزى حصل في جملة الاحياز فيظن انه اشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان الجزء الذي لا يتجزى
لصغره غير الشيء الذي لا يقبل التجزية والانقسام لذاته وايضا المتحيز الذي مقداره ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين
كل منهما ذراع في ذراع بل لزم منه ان لا يشغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما مر فتذكر ان
انوار الانوار قيوم في ذاته حاصل في جميع الاشياء لا منفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط فلا متصل بها اتصال
العرض السارى في الاجسام ولهذا لا يلزم منه انقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
ويلزم منه ان يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب انك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغني
فوجب ان يكون غنيا مستغنيا عن المكان والجهة والجواب ان الاستيعاب غير الافتقار ومنها ان فرعون طلب حقيقة
الاله فقوله وما رب العالمين ولم يدع موسى على ذكر الاوصاف واما فرعون فقد طلب الاله في السماء قوله
فاطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع في ان حقيقته ذاته
كما هي لا يعلمها الا هو والبسايط المحضة لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله
في السماء قوله فاطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت
لكم من اله غيري ومنها هذه الاية لانها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل ذلك
مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذ اخلق ما خلق من عالم الاجسام والاختلاط بقي ما
وراءه نورا محضا ومنه قصة ابرهيم وتنزيهه من الافلين ولو كان جسما لكان افلا في افق الامكان والجواب
ان نور الانوار جل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاحياز ومع سواها ان يكون في مرتبة الاجسام بل النفوس
والعقول ومنها ان اول الاية اعني قوله ان ربكم الله خلق السموات والارض تدل على قدرته وحكمته وكذا قوله
يغشي الليل والنهار الى اخر الاية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس
من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته
على الملك والملكوت حتى يصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستواء بالتفسير الذي ذكرناه
ادل شيء على المدح والثناء وحديث البق والبعوض خرافة وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود
بقا او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم في ايات كثيرة بانه ان
سماء لساكني العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا
لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار انه نور او جسم ان ذاته سبحانه مخصوص
بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شيء هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الاية قولان الاول القطع بكونه
متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تاويل الاية وتفويض علمها الى الله الثاني الخوض في التاويل وذلك
من وجوه احدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالعلاء بالاستعلاء اي استعلى على الملك وثانيها ان استوى
بمعنى استولى كقول الشاعر شعر قد استوى بشر على العراق ه من غير سيف ودم مهراق وثالثها ذكروا ان
العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على سرير
ملكه اذا استقام له امره واطرد وفي ضده ثل عرشه اي انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية
تدبيره للعالم بالوجه الذي الفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقرت عظمة الله تعالى في قلوبهم الا ان ذلك مشروط
بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شيء ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكر
وروية ولا باشتغال حاسة واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكاينات وتكوين الممكنات ثم عرفوا انه
غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الالات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول
في كل من صفاته واذا اخبر ان له بيتا يحج على عباده حجه فهموا منه انه نصب موضعا يقصدونه لمادبهم وحوايجهم
كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا
لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم
انه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم
استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقهما استوى على عرش فهموا منه انه بعد ان خلقهما استوى على عرش
الملك والجلال ومعنى التراخي انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان التاثير الفاعل لا يظهر
الا في القابل وقال ابو مسلم العرش لغة هو البناء والعارش الباني قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد
ان خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قال سبحانه يغشي الليل النهار قال
صاحب الكشاف يلحق الليل النهار او النهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال القفال لما اخبر وقدم ذكر
استوائه على العرش وان امر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيته اراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وقدم ذكر الليل والنهار لما في تعاقبهما من المنافع الجليلة فنهما يتم
الليل والنهار بالليل يحتملهما امر الخلوق ثم وصف الحركة التي يحصلان منه بالسرعة حتى انهاي نقضا ربما يقول واحد واحد بحركات الفلك وسعتها

واثنين وثلثين في خامس مقعر فلكه والله اعلم بحركات محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما الاولى فمستأنفة كانه قيل فماذا فعل بعد
خلق السموات والارض فاجيب يغشي الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف لما يحتمل ان يكون هذه الجملة
مبنية واما الثانية ففي محل النصب على الحال من الملحق كان حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الملحق بعينه ثم قال و
الشمس والقمر والنجوم مسخرات من قرأها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا
استفهام ان يقال زيد مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال في الكشاف
سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر وهو الكلام وعلى هذا الاية يبعد ان يكون بامره
متعلقا بخلق بما ان الشمس لانه سلطان الكواكب وثني بالقمر كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر
سلطان الليل تاثيرها بالتسخين والقمر تاثيره في الترطيب والتوليد بخاصية عجيبة وتاثير غريب لا يعلمه بتمامه الا مبدعه
وخالقه واعلم ان الاجسام متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور القاهر والتسخين الشديد والتدبيرات
العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات ومن الثوابت بنوع اخرى لا بد ان يستند الى
فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق
الى المغرب وسيرا آخر سريعا بسبب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشي الليل النهار تنبيه على ان حدوث الليل والنهار انما هو
بحركة الفلك الاعظم المسمى بالعرش اودع في جرمه قوة قاسرة قاسرة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها
من المشرق الى المغرب وايضا ان اقسام الاجسام ثلثة متحركات الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحركات عن الوسط
وهما الخفيفان ومتحركات على الوسط وهي الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز و
لا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولاجله اكثر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة
باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس واحوال الشمس والقمر
والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والعبرة بالتفكر فيها قائلا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اولم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من
صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمتفقون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد
كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب ان اعتقاد الفريق الثاني يكون
اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات
الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال عالم العلوي والسفلي على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان
الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان يصير المامعقولا مضاهيا لما عليه الوجود
ولمثل هذه الفوايد والاغراض والغايات اشتمل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية
الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل الا له الخلق والامر فالخلق عبارة عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم و
جسماني لانه مخصوص بمقدار معين وكل ما كان بريئا من الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر كن من
غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا
مسائل ذكرها العلماء **الاولى** انه تعالى متكلم امر ناه مخبر مستخبر لان قوله الا له الخلق والامر يدل على ان له الامر فوجب
ان يكون له النهي وسائر انواع الكلام ضرورة انه لا قائل بالفرق **الثانية** لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم
الخبر يفيد الحصر ولو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادته انه خالق بعض الاشياء وحينئذ يثبت المطلوب لان افتقار
المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة الحاجة الى موجد معين فجميع الممكنات محتاجة الى
ذلك المعين فالذي يكون موثرا في جميع الممكنات **الثالثة** قال الاشاعرة كل اثر يصدر عن فلك او ملك او جني او انسي
فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا كان الثاني مدبرا
وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبائع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة واصحاب
الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى وان القول بان العلم يوجب العالمية والقدرة يوجب القادرية
باطل كل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى **الرابعة** كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان

كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق
كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارضه الكعبي بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه
لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله تعالى
مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الكلام الامر كلام الله تعالى بل المراد نفاذ ارادته والظهار قدرته
وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق و
الايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية ومعنى قوله الا له الخلق انه ان شاء
خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر ويلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان
قديما لم يكن الامر بحسب مشيته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف واجيب بانه
لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا **الخامسة** في الآية
دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب
وايصال الالم لا يوجب العوض **السادسة** دلت الآية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح بوجه عائد اليه والا لم يامر الا بما حصل
فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف **السابعة** طلق الخلق وجه القبح
فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد والامر يعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب
في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات **الثامنة** قال قوم الخلق صفة من صفات الله
تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر لله انه صفة له فكذا الخلق صفة قائم بذاته فلا يكون مخلوقا
واجيب بان الخلق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر
الى خلق آخر وتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث **التاسعة** له الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول
النبي صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لامره في الحقيقة هو امر الله تعالى
العاشرة في الآية دلالة على ان الله تعالى امرا ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف
معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر
المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم
الحكيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة فلا بد ان يعود الى المكلف لانه
سبحانه غني وجميع الفوايد منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف
كان توسيطه التكليف اضرارا محضا والجواب ان اول الآية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا
لهم كانوا كالملك له وتصرف المالك في ملكه كيف شاء مستحسن ويحسن منه تعالى ان يامر عباده بما شاء لمجرد كونه
خالقا لهم لا كما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صالحا او من كونه موجب عوض او ثواب ولما بين ان له الامر و
النهي والحكم والتكليف ذكر انه مستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين والبركة تفسير ان **احدهما** الثبات
والدوام ولا ريب انه الواجب لذاته الدائم القائم بذاته الغني بذاته وصفاته واحكامه عن كل ما سواه **وثانيهما** كثرة
الآثار الفاضلة ولا شك ان كل الخيرات والكمالات فايضة من جوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار
فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان
به على تحصيل المطالب والمآرب الدينية والدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال في الكشاف نصب على الحال
اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل
وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم او الكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار
وعطف الشيء على نفسه وقوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب
بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه
وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضى بالقضاء وقد يطلب ما ليس نافعا له وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل
عليه ما لا يخفى والجواب ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسايط والروابط ولو لم يكن فيه

الامر فذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فايدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وسلم ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الريا واليهما اشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرايطه
في سورة البقرة واذا سالك عبادي عني ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المعتدين وللمسلمين اتفاق على انه ليس معنى المحبة
عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصال الثواب او ارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة
ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء نظير ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا
ثم يقولون ان تلك الرؤية مخالفة لرؤية الاجسام والالوان ومعنى المعتدين المجاوزين ما امروا به فيشمل كل من خالف
امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر
الامر للوجوب وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة في السر تعدل سبعين
دعوة في العلانية وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وسلم سيكون قوم
يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في العبادات
الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الريا وقيل الاولى الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث
صار امنا لاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على نفسه من الريا فالاولى
الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شائبة الريا فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فايدة الاقتدا
قال الشافعي اظهار التامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا
وخفية فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل
فيه خمسة اشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنى واللواط
والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله ولا تفسدوا منع عن ادخال
ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعه ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على
الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين او المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وتفصيل
الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن
في الارض وفي الاية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به
تقديما للخاص على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان دفعه بعد
ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص
فجميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الاية الدالة على ان الاصل في المنافع واللذات الاباحة والحل وكل واحد
من الايتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء وبعدم المنافي وهو
الافساد بالوجوه الخمسة ذكر ان فايدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض عليه
بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت لمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الهنا وكوننا عبيدا له فاقتضى ان يحسن
منه ان يامر عبيده بما شاء كيف شاء ولا اعتبار بكونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انما وردت لانها
في انفسها صلاح فعلى القولين من لا ياتي بها الا للخوف من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها بوجه وجوبها فوجب
ان لا يقع واجيب بان المراد من الاية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء
ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع اعمالكم ولا تقطعوا انكم
وان اجتهدتم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية التكليف
من الامر غايته من المامور … ان الغاية الاولى هي المصلحة او الالهية والعبودية فلم يجوز ان يكون الغاية الثانية
الخلاص من العقاب والوصول الى الثواب ثم ختم الاية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقال قريبة
ثم ذكروا في حذف علامة التانيث وجوها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو
والانعام بمعنى واحد ولان المراد بالرحمة الترحم وقيل انه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او شبه بفعيل الذي بمعنى

مفعول كما شبه ذلك به فقيل فعلاء واسراء وقيل انه بزنة المصدر كالنقيض صوت العقبان او الدجاجة والضغيب صوت
الارنب وقيل المراد ذات مكان قريب كلابن وتامر وروى الواحدي باسناده عن ابن السكيت يقول العرب هو قريب
مني وهما قريب مني وهي قريب مني لانه في تاويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد
بعدا عن الماضي وقربا من المستقبل اي الاخرة التي هي مقام رحمة الله تعالى ويمكن ان يقال المراد به قرب الوصول سواء كان
في الدنيا او في الاخرة كقوله الا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا
يحصل للكافر والفاسق منها شيء والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه
الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من آمن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع على ان الصبي
اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على ان قوله
ماهية الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه قليلا
ثم انه سبحانه لما ذكر دلايل الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي اتبعه ذكر الدلايل من احوال هذا العالم وهي الاثار
العلوية والمعادن والنبات والحيوان ومن جملتها احوال الرياح والسحب والامطار لما اقام الدلالة في الاية الاولى على وجود
الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة في هذه الاية على صحة القول بالحشر والنشر بالاثنين تقرر المبدا والمعاد
فقال وهو الذي يرسل الرياح الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم ذاته والا دام بدوام الذات فهو بتحريك
الفاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح ان يرتفع من الارض اجزاء ارضية لطيفة تسخنت تسخينا فبسبب تلك السخونة
ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى القرب من الفلك فان الهواء الملتصق بمقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود بل
يردها عن سمت حركتها فتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك فحينئذ يرجع الادخنة وتتفرق في الجوانب بسبب
تفرقها يحصل الرياح وكلما كانت تلك الادخنة اكثر وكان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح
وزيف بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة
الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة
لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة وايضا ان حركة تلك الاجزاء
لا تكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها ونحن نرى هذه
الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت اشد وجب ان يكون حصول
الاجزاء الغبارية الارضية اكثر وليس كذلك فقد يوجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شيء من الغبار ويمكن ان
يجاب بان الحكم بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء
الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء حدث فيما يجاوره من الهواء تحرك واضطراب وتموج شبه ما يحدث
في الماء اذا القي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب معين الى موضع معين
من البروج ريح عاصفة وزيف بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلاني
انما يوجب تحرك الهواء لتسخين او تلطيف او تكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك القابل
مكانا اكثر او اقل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك الهواء المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا ينتهي الى ان
يتحرك جميع كرة الهواء المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يتدافع الى ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء
الهواء ثم يستقر كل في موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره
وانما قال في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانما
يناسبان المستقبل واما في الروم فليناسب ما قبله ومن اياته ان يرسل وقال في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي
ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما قبله وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبني على اول السورة فاطر السموات و
الارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر
وانتصابه اما على الحال بمعنى منتشرة واما لان ارسل ونشر متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرا نشرا بضمتين فلانه
جمع نشور كرسول ورسل وقد يخفف كرسل ومن قرا بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر

جمع بثير و معنى بين يدي رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما
لا يتقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعمل اليدين بدل تقدم وامام مجازا لان اليدين من الحيوان يتقدمان
على الرجلين حتى اذا اقلت حملت و رفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذي يقدر على حمل الثقيل يزعم ان ما رفعه
قليل سحابا جمع سحابة ولهذا قال ثقالا على الجمع جمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب على اللفظ وضمير المتكلم في سقناه
على اصله اما الذي في قوله وهو الذي فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقال لغير ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر
للمياه العظيمة انما يبقى معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا و لتلك الحركات فوايد منها
ان اجزاء السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى معلقا في الهواء لانه تعالى ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب
الكثيف الماطر ثم يصير متفرقة ومنها ان يحرك الرياح يمنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية الراسبة عن النزول فيبقى
معلقا في الهواء ومنها ان ينساق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزرع والاشجار
ومكملة لما فيها من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلة لها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها
مهلكة للحر الشديد كالسموم او البرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل
جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد يشاهد ان غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح
في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وحينئذ يعظم هبوب الرياح في وجه البحر و
عن ابي عمرو الرياح ثمان اربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات
والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب
عن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب
ثم انه تعالى يبسطه في السماء فينزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهي المطر ومعنى لبلد ميت
لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء
قال الزجاج وابن الانباري اي بالبلد وجاز ان يراد به السحاب او بالمسوق فالباء للسببية فاخرجنا به قال الزجاج
اي بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد اي بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى اودع في الماء قوة وطبيعة توجب
حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما
اجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات
نخرج الموتى والتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيى هذا البلد وانبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر فكذلك
يحيي الموتى بعد ان كانوا اتمابا لان من قدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة
في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر على الاجساد الميتة يروى
انه يمطر على اجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد يمطر السماء
عليهم حتى تشقق عنهم الارض كما تنشق الشجر من النور والثمر ثم يرسل الارواح فيعود كل روح الى جسدها قال العلماء
ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء
من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والممزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الآية بقوله
لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالانهار والثمار
والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر
على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القرآن بالمطر و ذلك ان الارض الحرة
اذا نزل بها المطر حصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر
القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها انوار القرآن ظهرت عليه
انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا خفي صفر وقيل ليس المراد من الآية تمثيل
المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب
نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن طلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم

الموعود به في الدار الآخرة بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها اداء الطاعات كان اولى وفي الآية دلالة على ان السعيد لا ينقلب
شقيا وبالعكس لا يتبادلت على ان الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان يعرف الحق بذاته
والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا ينبت لدغبه الاشجار
والازهار والثمار ومما يقوي هذا الكلام ان النفوس تراها مختلفة في سبيل الله فمنها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ومنها
مايلة الى الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين في المال
من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من على العكس ومما يؤكد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره
وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لوقوعه في طباق نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقدير الآية ونبات
البلد الخبيث او البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه وهو الضمير
الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا من قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد
كذلك مثل ذلك التصريف نردد الآيات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فايدة التصريف تعود عليهم وانما ختم
الآية بالحث على الشكر لان الذي سبق ذكره هو ان الله تعالى الرياح النافعة فجعلها سببا للمطر الذي هو سبب الملاذ
والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقدرته ومن الوجه الثاني على عظيم نعمته وقدرته فوجب
من هذا الوجه مقابلتها بالشكر **التأويل** عرف ذاته للحق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية
والحكمة والاستوائية فقال ان ربكم الله وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات الارواح الانسانية المكونات منها
الملائكة والجن والشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة النفوس السماوية والارضية
الاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار الاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر الاجسام
الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما
فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدا الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحماني والاستواء كالعلم صفة من صفاته لا يشبه
علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة الروح يتصرف في النطفة ايام الحمل فيجعلها عالما صغيرا فبدنه كالارض وراسه كالسماء
والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى ساير المخلوقات
نفسي اي يستولي ليل ظلمات النفس وصفاتها على انوار القلب وبالعكس الا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم
تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب او تضرعا باداء حق العبودية وخفية بمطالعة احوال الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين
يطلبون منه سواه ولا تفسدوا في ارض القلوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا
في الاصطناع او خوفا من الاثنينية وطمعا في الوحدة اي خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال من المحسنين الذين لا يريدون
سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية حتى اذا اقلت سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فانزلنا به ماء المحبة فاخرجنا به
المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج الموتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حيوتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض
القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي يخلق بخلافه الحميدة كذلك نصرف الآيات الى النفوس وصفاتها الى الوصال القلب ذ الاخلاق

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله

وبحقيقت فرستاديم نوح پيغمبر را سوى گروه او پس گفت نوح اى گروه من پرستش كنيد معبود بسزا را بنيت

ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم

مر شما را هيچ خدايى جز او بدرستى كه من ميترسم بر شما از عذاب روزى

عظيم قال الملأ من قومه انا لنريك في ضلال مبين

بزرگ گفت اشراف از گروه او بدرستى كه ما هر آينه ميبينيم ترا در گمراهى هويدا

قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين

گفت ای قوم من نیست بمن هیچ گونه گمراهی ولیکن من پیغمبری ام فرستاده از پروردگار جهانیان

ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون

تبلیغ میکنم شما پیغامهای پروردگار خود را و نصیحت میکنم شما را و میدانم از جهت تعلیم خدای آنچه شما نمیدانید

اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و

ای شگفت داشتید آنکه آمد بشما وحی از پروردگار شما بر زبان مردی از جنس شما تا بیم کند شما را و

لتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك

تا بپرهیزید و تا مگر شما رحمت کرده شوید پس دروغ نسبت کردند او را پس رهانیدیم او را و آنها که با او بودند در کشتی

واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد

و غرق گردانیدیم آنها را که تکذیب کردند پیغمبران ما را و معجزات ما را بدرستی که ایشان بودند گروهی کوردلان از توحید و فرستادیم

اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون

سوی قوم عاد برادر ایشان را هود را گفت ای قوم من بپرستید خدای را نیست شما را هیچ خدای جز او ای پس آیا نمیترسید از عقاب

قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة وانا

گفتند گروه اشراف آنها که کافر بودند از گروه او بدرستی که ما هر آینه می بینیم ترا در بیخردی و بدرستی که ما هر آینه

لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني

گمان میبریم ترا از دروغ گویان گفت ای گروه من نیست بمن هیچ بیخردی ولیکن من

رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا

پیغمبرم فرستاده شده از پروردگار جهانیان میرسانم شما را پیغامهای پروردگار من و من

لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل

مر شما را نصیحت کننده ام با امانت ای شگفت داشتید که آمد بشما وحی از پروردگار شما بر زبان مردی

منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح

از شما تا بیم کند شما را و یاد کنید آن وقت را که گردانید شما را ملوک از پس گروه نوح

وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم

و بیفزود شما را در آفرینش بسطت اجسام شما را پس یاد کنید نعمتهای خدای را تا مگر شما

تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد

رستگاری یابید گفتند ای آمدی بما که پرستیم خدای را به یکتایی و ترک کنیم عبادت آن بتانی که بودند پدران ما

میکردند

اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد

پدران ما پس بیار بما آنچه وعده کردی ما را از عذاب اگر هستی تو از راست گویان گفت هود بتحقیق

وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء

نازل شد بر شما از پروردگار شما عذابی و خشمی ای مجادله میکنید با من در نامهای بتان

سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان

که نام نهادید شما و پدران شما فرو نفرستاد خدای بآن هیچ حجتی و برهانی

فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه

پس منتظر عقوبت باشید بدرستی که من با شما از منتظرانم پس رهانیدیم او را و آنها که با او بودند

برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين

ببخشایش از ما و ببریدیم اثر نسل آنها که بدروغ داشتند آیتهای ما را و نبودند گروندگان

القراءة غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلي الباقون بالرفع حملا على محل من اله اني اخاف بفتح اليا ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير ابلغكم بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بصطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخيرة **الوقوف** غيره ط عظيم ٥ مبين ٥ العالمين ٥ لا تعلمون ٥ ترحمون ٥ باياتنا ط عمين ٥ هودا ط غيره ط تتقون ٥ الكاذبين ٥ العالمين ٥ امين ٥ لينذركم ط لتناهي الاستفهام بسطة تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون ٥ اباؤنا ط للعدول مع فاء التعقيب الصادقين وغضب ط من سلطان ط لانتهاء الاستفهام الى امر التهديد المنتظرين ٥ مؤمنين ٥ **التفسير** لما ذكر في تقرير المبدا والمعاد دلايل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوايد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الدلايل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العبرة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في انه اخبار بالغيب لانه لم يقرا الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة فمن القصص **اولها** قصة آدم وقد مرت في اول السورة **وثانيها** قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا فندم او حين راجع ربه في شان ابنه او حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فعوتب على ذلك فقال الله تعالى له اعبتني اذ خلقته ام عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا يفيد صفة في المسمى والصحيح انه اسم اعجمي قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال آخرون معناه انه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير يكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع لانه اصل قال في التفسير الكبير وهذا البحث مبني على مسئلة اصولية هي ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض من بعثه مجرد تاكيد ما في العقول وهذا الاختلاف يتفرع على قول المعتزلة لتوامرهم نوح بعبادة الله تعالى ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم هو القيامة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوي الثلث لان قول النبي بعد ظهور المعجزة حجة او لعله قد ذكر الحجة

وما حكاها الله تعالى لانه قد علم من القران ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يامر قومه بالتقليد المحض وايضا قد مر دلايل التوحيد والنبوة وصحة القران من اول السورة البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هنا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن عبادة الله قبل العلم بانه واحد لانا اذا جوزنا التعدد لم نعين المنعم فيقع العبادة ضايعا والاله معناه المستحق للعبادة والافهو في الازل غير معبود ومعنى الخوف في الاية قال بعضهم الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا واجلا وقال آخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب او لعل السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب على جواز انه تردد في وصف العذاب بالعظم لا في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف التحذير وجملة قوله اني اخاف بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون الاصنام فقال الملا من قومه اي الاشراف وصدور المجالس الذين هم بعض قومه في جواب نوح انا لنريك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والبديهة نسبوه الى الضلال فيما ادعوه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال ليكون ابلغ لعموم السلب فانه قال ليس بي نوع من انواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسب اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها فاستدرك قايلا ولكني رسول من رب العالمين و هذا الاستدراك يسمى في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهالتهم وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذي لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان في موضع الضرورة جايز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران **الاول** تبليغ الرسالة **والثاني** تقرير النصيحة فقال ابلغكم الاية الجملة استيناف بيانا لكونه رسول رب العالمين او صفة لرسول وانما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غايب نظرا الى المعنى كقوله انا الذي سمتن امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او ما اوحي الي في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح مقاديرها وان كان جايزا ولكن يقول نصحت لك قال في الكشاف وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوايب المكروه ومعنى الاية ابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب وادعوكم الى ما دعاني الله تعالى واحب لكم ما احب لنفسي واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم انكم ان عصيتموه عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم في الاخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من صفات جلاله ما لا تعلمون فيكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم او عجبتم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به وقال آخرون الذكر المعجز كتابا او غير كتاب وقيل هو الموعظة على رجل اي على لسان قال ابن قتيبة ونظيره آتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع كقول القايل جاءنا الخير على وجهك ومع وجهك كلاهما جايز وقيل اي منزل على رجل ومعنى منكم من بني نوعكم كانهم استبعدوا ان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة فيه للمعبود لتعاليه ولا للعابد لتضرره في الحال واما في المال فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا ان رسول العقل كاف في معرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وبتقدير انه لا بد من الرسول فان ارسال الملايكة اولى لشدة بطشهم وقوة عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم من الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا خاملا لا يصلح للنبوة فانكر نوح عليه السلام كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس اسكن وقد مر في اول الانعام ثم بين ما لاجله بعث الرسول فقال لينذركم الاية وانه ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار ومن الانذار التقوى ومن التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائي والكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لم يرد من المبعوث اليهم الا التقوى ومن التقوى الفوز بالجنة دون الكفر والعذاب وعورض بالعلم والداعي

كما مر مرارا فكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف واصروا قال بعض العلماء ما في حق العقلاء من التكذيب فبغير الباء نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا باياتنا والمحققون ان المراد كذبوا رسلنا برد آياتنا فانجيناه والذين استقروا معه في الفلك وانجيناهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا وامراة وقيل كانوا تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به وانما قال في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من ادل على العموم ولهذا تقع على الواحد والتثنية والجمع المذكر والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن المعرفة والتوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال الرجل عم في البصيرة واعمى في البصر لعمى يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث **القصة الثالثة قصة هود** وذلك قوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا والتقدير لقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم هودا واتفقوا على ان هودا ما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة والجن وقيل راد واحدا منهم قاله الكلبي وهو من قولك يا اخا العرب للواحد منهم ونحو واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه وامانته وقيل معناه صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهود اعطف بيان لاخاهم واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم ان الفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين اسرارها الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة واما هود فما كان تجدد الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة واقعة هود فانها كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على قوله افلا تتقون اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملا من قومه قصة هود قال الملا الذين كفروا من قومه اما ان هذا وصف وارد للذم لا غير واما انه لم يكن في اشراف قوم نوح من يؤمن وكان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنريك في ضلال مبين وقالوا قوم هود قالوا انا لنريك في سفاهة اي متمكنا فيها تمكن المظروف من الظرف وذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة مدة طويلة فنسبوه بضعف الراي والبعد عن السداد ولما هود فما ذكر شيئا الا ان يسفههم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوا في مثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة وقيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج انهم كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك والتجويز في اصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم وقول هود وانا لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة وصيغة الفعل على التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى آخر الايات واما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عليه السلام قال اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلا جرم امسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه امينا ثقة اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي ان اوصف بالكذب والغش او المراد تقرير الرسالة فانها تدور على الامانة اي انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل تلك التخصين مع جلالة قدرهما دليل على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبني على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر في قصة نوح ان فايدة الانذار هي حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم تكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك شيئا آخر يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي اذكروا وقت جعلكم خلفاء فزادكم في الخلق بسطة فالخلق التقدير وقلما يطلق الا على الشيء الذي له مقدار وجثة والمراد حصول الزيادة في اجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم يذكر في معرض الامتنان قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال آخرون تلك الزيادة هو مقدار ما يبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من قال الخلق الخلقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين فاذكروا

الآء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والآء الله نعمه واحدها الى ونحو انى واناء كعنب واعناب
قال الجوهري واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب الياء استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالآية قالوا انه
تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر واجيب بان الآيات الدالة على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا
آلاء الله واعملوا عملا يليق بتلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم بنبيهم نعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة
نهاية التعظيم ولا يليق الا لمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شيء من النعيم لانها جماد والجماد لا قدرة له اصلا
فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الهمزة لانكار
اختصاص الله وحده بالعبادة وفي المجيء اوجه منها ان يكون لهود معتزل يتحنث فيه اي يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا انهم ان الله لا يرسل
الا ملكا فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك ومنها ان يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب
كانهم قالوا تعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي وقعت حالا بتأويل
ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا كما يقول الموحد لا اله الا الله وحده وقال الله وحده لان الفرض انهم مشركون
ثم ان قول هود فيما قبل افلا تتقون كان شعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب
وذلك قولهم فأتنا بما تعدنا فاجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحملا على معنيين متغايرين
لمكان العطف اما الغضب في حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا واما الرجس ضد التطهير كما قال سبحانه
في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت بايقاع السوء كما سبق مرارا ويطهركم تطهيرا وقال القفال
الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص اما قوله قد
وقع ولا يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى احدث ارادة
في ذلك الوقت وقيل اراد هو ذاته اخبر بنزول العذاب وقيل جعل المتوقع الذي لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك
لمن طلب لك حاجة قد كان تريد ذلك تريد انها ستكون البتة وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو
طفل فجاء اباه يبكي فقال يا بني ما لك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا
بني قد قلت الشعر ثم انكر عليهم قبيح فعالهم فقال اتجادلونني في اسماء تناظرونني في شأن الهة اشياء ما هي الا
اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي لا حجة على حقيقتها فيتنزل والحاصل انها اسماء
بلا مسميات ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا احدا بالعزى مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عزا اصلا وسموا
آخر منها باللات وليس فيها من الالهية اثر وانما قال في هذه السورة نزل وفي غيرها مما سيجيء انزل لان نزل للتكثير
فيكون للمبالغة ويجري ما بعده مجرى التفصيل للجملة وانواع التحذير والله اعلم ثم انه عليه السلام ذكرهم وعيدا مجددا
فقال فانجيناه والذين آمنوا معه برحمة بسبب رحمة كانوا يستحقونها منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم
عن آخرهم وتقدم مثله في الانعام وفائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات ربهم
ان يكون تعريضا بمن آمن منهم كمرثد بن سعد وغيره كانه قيل وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم عن
آخرهم وتقدم مثله في الانعام وفائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات ربهم
ان يكون تعريضا بمن آمن ولم يكونوا مثل من آمن منهم او يعني وما كانوا مؤمنين في علم الله تعالى اي لم يكونوا من المكذبين
او لو بقوا لآمنوا قال في الكشاف وان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها
صدا وصمود والهبا فبعث الله هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا و
تجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك
عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معوية
بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما
سلما على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية احديهما وردة والاخرى جرادة فلما راى طول مقامهم وذهولهم

عما قدموا لاجله اهمه ذلك وقال لقد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به
ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية شعر الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما • ويسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا ما يبينون الكلاما • الهينمة اخفاء الكلام في الدعاء وغيره ومعنى
يسقينا يجعله ساقيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اي لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا ان
قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله
لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقال لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة
فانه قد اتبع دين هود ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد
من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا **التأويل** لقد ارسلنا نوح الروح الى قومه بلاد القوالب وهم القلب و
صفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتهما الى الله وعبوديته ومن
صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصيحته والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوح الروح فانجيناه والذين
معه في الفلك الشريعة واغرقنا النفس وصفاتها في بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول
اليه ونادى كم في الخلق بسطة كما اوقع التفاوت بين الشخصين وتخص فيما يعود الى المباني اوقع التباين بين قوم وقوم فيما
يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي مقالتكم تدل على حالتكم انه اصابكم سطوات العذاب فمن امارات
الاعراض ورد العبد الى شهود الاعيان وتغريقه اياه في بحار الظنون والاوهام والخلال ونعوذ بالله من الجهل والغرور والضلال

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله

و فرستاديم سوى قبيلهٔ ثمود برادر ایشان را صالح نام گفت ای قوم من پرستش نمایید معبود بسزا را نیست مر شما را هیچ خدایی

غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية

جز او بحقیقت آمد بشما معجزه و حجتی بید از پروردگار شما بر صدق دعوی من برسالت اینست ناقهٔ خدای در آن حال که مر شما راست معجزه بر حقیقت نبوت من

فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم

پس دست بدارید او را تا همی خورد در زمین خدای و مرسانید با این ناقه هیچ ایذایی که بگیرد شما را

عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم

عذابی دردناک و یاد کنید آن وقت را که گردانید شما را پادشاهان پس از هلاک

عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون

عادیان و جای او شما را در زمین که فرا میگیرید و میسازید از زمین های نرم آن کوشکها و همی تراشید

من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض

از کوهها خانهها را پس یاد کنید نعمتهای خدای و فساد مکنید در زمین

مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين

فسادکننده گفتند اشراف آنان که بزرگی نمودند از گروه او مر آنانی

استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا

که ضعیف شمرده بودند ایشان را مر آن کسانی که ایمان آوردند از ایشان آیا میدانید شما که صالح پیغمبر فرستاده شده است از پروردگار او گفتند

إنا بما أرسل به مؤمنون   قال الذين استكبروا إنا بالذي
آن ضعيفان قوم بدرستی که ما بدانچه فرستاده شد او را بدان گرویدگانیم   گفتند آنانکه بزرگی نمودند بدرستی که ما بدانچه
آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا
گرویدید بدان کافرانیم   پس بکشتند ناقه را و تجاوز نمودند از فرمان پروردگار ایشان و گفتند
يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم
ای صالح بیار آنچه وعده میدهی ما را   اگر هستی از پیغمبران فرستاده   پس بگرفت ایشان را
الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين   فتولى عنهم وقال يا قوم
زلزله زمین پس گشتند در سرایهای خویش مردگان   پس اعراض کرد از ایشان صالح و گفت ای گروه من
لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
بحقیقت رسانیدم شما پیغام پروردگار من و نصیحت کردم شما را   ولیکن دوست نمیدارید نصیحت کنندگان را
ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها
و فرستادیم لوط پیغمبر را در آن وقت که گفت مر گروه خود را ای همی کنید آن خصلت بغایت زشت را   پیشی نگرفت شما را   بآن فاحشه
من أحد من العالمين   أئنكم لتأتون الرجال شهوة من
هیچ یک از جهانیان   گروه خود را   ای بدرستی شما مجامعت میکنید با مردان از جهت شهوت نفس از
دون النساء بل أنتم قوم مسرفون   فما كان جواب قومه إلا
جز زنان   نه که شما گروهی اید از حد تجاوز کنندگان   و نبود جواب گروه او مگر
أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون   فأنجيناه و
آنکه گفتند بیرون کنید ایشان را یعنی لوط و اهل او را از دیه شما بدرستی که مردمانند که پاک میشوند از لواطه کردن   پس رهایی دادیم لوط را
أهله إلا امرأته كانت من الغابرين   وأمطرنا عليهم
و اهل او را مگر زن او که بود از باقی ماندگان در عذاب کافره بود   و بارانیدیم بر ایشان
مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
نوعی از باران   پس بنگر یا محمد   که چگونه   بود   سرانجام   آن گنهکاران

القراءة وقال الملا بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص وسهل انكم بهمزتين ابن عامر وخلف وعاصم غير حفص هشام يدخل بينهما مدة انكم بالمد وبالياء ابو عمرو و زيد انكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب ويزيد غير زيد **الوقوف** صالحا لئلا يظن ان صالحا صفة لاعلم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب وغيره من الاعلام العربية غيره من ربكم اليم بيوتا لما مر في قصة هود في بسطه مفسدين من ربه مؤمنون كافرون المرسلين جاثمين الناصحين من العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم لاحتمال

التفسير **القصة الرابعة**
التعليل استهزاء لا اخبارا ولاحتمال الاستئناف والاشبه انها حال المراة من الغابرين مطر المجرمين
قصة صالح مع قومه ثمود قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى انه لا ينصرف تارة بتاويل القبيلة وينصرف اخرى بتاويل الحي وباعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخو جديس وطسم وقد ورد القران بالصرف ومنعه جميعا قال تعالى الا ان ثمود اكفروا ربهم الا بعدا لثمود قد جاءتكم بينة آية ظاهرة دالة على صدقي وكانه قيل ما تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه عليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصص اولئك الاقوام بها مع انها آية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبقت سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث خارقة مكونة من غير مادة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما يقول آيات الله وبيت الله والحقيقة هي آية تشتمل على آيات فخروجها من الجبل آية وكونها لا من ذكر وانثى آية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل آية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام في قوتها المناسبة للماء وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط وروي ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى او قيل لانها حجة الله على القوم فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارض ربها ومما انبت ولا تمسوها بسوء من الضرب والطرد وسائر الانواع الاذى اكراما لآية الله فياخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستيلاء والاستيصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفسيره كما في قصة هود وبواكم في الارض اترككم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولة الارض قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا واجرا وبعضا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما يقول خط هذا الثوب قميصا لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة ويجوز ان يكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما جاءت في موضع آخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهي عن عقر الناقة والاية حمله على العموم واعرابه وتقدم في اوايل سورة البقرة قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا اي المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله لمن آمن منهم بدل من قومه للذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير في منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل ان المستضعفين فريقان مؤمنون وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان يحتقرهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الآية دلالة على ان الفقير خير من الغني لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق والانقياد ينشآن من قلتهما اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا على سبيل التهكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب وانما الكلام في وجوب الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا في جوابهم انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم نفسا وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه اي دينه المراد ما امر به صالح من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى صدر عتوهم عن امر ربهم بتركها كان هذا السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين اطلقوا الوعد واراد وا ما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم للعذاب انما كان لاجل تكذيبهم بكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة

قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل
وكما ترجف الشجرة اذا ارجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع آخر انهم اهلكوا بالطاغية وفي آخر انهم اهلكوا
بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب
ان الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في آية
اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار ما لكل واحد منهم له الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة
جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها ابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين موتى لا حراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس
والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء
النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتولى عنهم ثم الفاء للتعقيب والظاهر انه اذا دبر عنهم بعدما ابصرهم
جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة بخلاف ما مر
في قصتي نوح وهود لان المراد هنالك اشياء كانا يامران بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع في آخر القصة فاراد بها
مجموع ما اداه من الرسالة واراد بذلك اداء حديث الناقة فقط ونصحت لكم كرر الجهد في النصيحة ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية الحال الماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى واجيب بانه قد يقول
الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني حتى القيت نفسك
الى التهلكة والفائدة في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل ايضا يتسلى بذلك و
يزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قليب قتلى بدر
وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فقيل له كيف تتكلم مع هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم
ولكنهم لا يقدرون على الجواب وتفسير آخر وهو ان يكون تولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى
العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض
فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كانوا يبني المسكن المحكم فينهدم في حيوته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في
سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا
قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقالوا
اية آية تريد قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب
لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا
نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم
حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بركها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت
ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان
عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي
تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم وكانت
الناقة في القوم اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد
كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر
من ابنائهم ثم ولد العاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام فقال الغلام ما لكم في ان اعقر هذه
الناقة فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فدقوها عليه فلما مرت به تناولها
فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر قاله ظهر واحينئذ كفتوهم وقيل زينت لهم عقرها
امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت الناقة بمواشيهما وكانت كثيرة المواشي فعقروها

لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا وكان صالح قال تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم
فهلكوا واستبعد بعضهم ان العاقل مع مشاهدة هذه المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند
مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وان يكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا
من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف
امره وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي
رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عقرهم الناقة كان يوم
الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراي الدخان ساطعا
فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ويروى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين
الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال
الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك **القصة**
الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه تقديره ارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكر
لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان
سكون وسطه قاوم احد السببين اتاتون الفاحشة اتفعلون الخصلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها قال في الكشاف
الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اي ما عملها قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء فيه
مثله في قولك كتبت بالقلم او في قوله تبت بالدهر اي ما سبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة
لتاكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله اتاتون
الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها وهو جواب مقدر كانه قيل لم لا تاتيها فقال ما سبقكم بها
احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني وههنا سؤال
وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق في هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم
كانوا يستقذرونها او ينفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات او المراد ان الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجد
في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في ديارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن
عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض انكم لتاتون الرجال بيان لما اجمله في قوله اتاتون الفاحشة
وكلا الاستفهامين للانكار وفي الثاني اكثر ولهذا زيد فيه ان ومثله في النمل اتاتون الفاحشة ائنكم لتاتون
الرجال فجمع بين ان واللام لموافقة آخر القصة انا منجوك انا منزلون وانتصب شهوة على انها مفعول له اي لا حامل
لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا افعال شيء يشتهى بل انتم قوم مسرفون
اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الناجزة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود
في كل شيء ختم هذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التي تقدمت وهي لعالمين الناصحين جاثمين المرسلين
وفي النمل قال بل انتم قوم تجهلون اما العدول من الاسراف الى الجهل فلتعم العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل
اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فلعطف على ما قبلها من الآيات وكلها افعال يبصرون تتقون يعلمون
واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد
لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة
العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى
النسل ولا ينقطع النوع فوقع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الفخ والغرض ابقاء النوع

11

الانساني الذي هو اشرف انواع الحيوان وكل لذة لا يؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر و
لزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى
الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب ان الفاعل يلتذ
بذلك العمل الا انه سعى في الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل وعلى الحاق الضرر به بكل
طريق يقدر عليه وذلك لتنفر طبعه عن رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمراة فانه يوجب زيادة الالفة
والمحبة كما قال خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى اودع في الرحم قوة
جاذبة للمني حيث لا يبقى شيء منه في مجاريه واوعيته اما اذا وقع الذكر فانه يبقى شيء من اواخر المني في المجاري فيعفن و
يفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يقتضي حل وطي المملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله اتاتون
الذكران من العالمين لان كلا من الايتين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون
مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احديهما الان كلا من الايتين اعم من بالاخرى ترجيح غير صحيح بل الترجيح لجانب الحل بمقتضى الاصل
ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد اولى من شرع لوط والجواب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد
صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه بالواو كيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفي النمل
تجهلون فما كان وفي العنكبوت وتاتون في ناديكم المنكر فما كان لصحة تعقيب الفعل الفعل الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم وفي النمل اخرجوا آل لوط لتكون ما في النمل تفسير الهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف
فيكون قد صرح في الاولى وكنى في الثانية قال في الكشاف يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام
من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته
من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون
سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم
ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر
وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والاثام فانجيناه واهله اي انصاره واتباعه و
الذين قبلوا دينه وعن ابن عباس اراد المتصلين به في النسب بدليل قوله الا امراته يقال امراة الرجل اي زوجته
ولا يقال مرء المراة يعني زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين وفي النمل قدرناها من الغابرين اي كانت
في علم الله من الغابرين وان قلنا بتاخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين صارت من الغابرين والغبور المكث
والبقاء اي من الذين بقوا في ديارهم وهلكوا والتذكير لتغليب المذكر وكانت كافرة موالية لاهل سدوم روي انها
التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال امطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت
المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل مطر عليهم ثم خسف عليهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم
فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر يا محمد او كل له اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة
المجرمين وهذه الامة وان امنت من عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي ان يغفل
عنه على ان عذاب الاخرة اشد وابقى ولنرجع الى مسائل فمذهب الشافعي ان اللواطة توجب الحد لانه ثبت في شريعة
لوط فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف
للحكم فالاية دلت على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير
لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما انه عقوبة
القتل محصنا كان او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول
واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطي فيختلف فيه البكر
والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف كالمرتد والثاني به قال مالك واحمد

يرجم تغليظا ويروى عن علي ايضا والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق ليموت اخذا من عذاب قوم لوط واما المفعول
فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طايعا فيقتل بما يقتل
به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امراة في دبرها ولا
ملك ولا نكاح والاظهر انه لواط لانه اتيان في غير المأتي فهي في الفاعل والمفعول كما ذكرنا وقيل انه زنى لانه وطي انثى فاشبه
الوطي في القبل فعلى هذا حده حد الزنى بلا خلاف ويرجم المراة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح
ولو اتى امراته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة التأويل هذه ناقة الله معجزة
الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشرا وشقت سر السر وهو الخفي وناقة الله تحمل امانة معرفته ويعطي
ساكني بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الالهية فذروها فوقع في رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها
بمخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فياخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء
مستعدين للخلافة وبواكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان
والجنان تنحتون من جبال اطوار القلب بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا آلاء الله النعماء والاخلاص فالاول
يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب تلويح السر فالترويح بوجه المبادي والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في الارض
القلب بالفساد للاستعداد الفطري الذين استكبروا من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا من
اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسلا بنفخة الحق الى بلد القالب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف
السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا اي النفس وصفتها ناقة وسر القلب لتكون مخالفات الحق
فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دارهم جاثمين والله العزيز الحكيم الرحيم العليم العظيم

والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
و فرستاديم سوى قبيلهٔ مدين يكى از ايشان شعيب نام گفت اى گروه من بپرستيد خدا را نيست شما را
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم واوفوا الكيل
هيچ خدايى جز معبود بحق بحقيقت آمد بشما معجزه از پروردگار شما پس تمام بپيماييد پيمانه را
والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد
و ترازو و مكاهيد مردمان را حقهاى ايشان و تباهى ميكنيد در زمين پس
اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل
از اصلاح اهل آن آنچه فرموديم بهتر است شما را اگر هستيد باور دارندگان و منشينيد بر سر
صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها
راهى در آن حال كه ميترسانيد و باز ميگردانيد از دين خداى آنكس را كه ايمان آورد و ميجوييد او را طلب ميكنيد دين خدا را
عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف
كجى يعنى وصف ميكنيد آنرا به كژى و ياد كنيد آن وقت را كه بوديد شما اندكى بعد پس بسيار كرد خدا شما را و بنگريد كه چگونه
كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
بود سرانجام تباه كاران و اگر هست گروهى از شما كه ايمان آورند بدانچه

ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو
فرستاده شده ام من بدان و گروهی ایمان نیاوردند پس صبر کنید تا حکم کند خدای میان من و شما بهلاک شما و نصرت ما و او
خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
بهترین حکم کنندگانست گفت گروه اشراف آنانکه بزرگی نمودند از ایمان آوردن از گروه او هر آینه بیرون کنیم ترا
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال
یا شعیب و آن کسانی ایمان آوردند با تو از دیه ما یا هر آینه باز گردید در دین ما گفت
اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
شعیب ای باز گردانید ما را و ان که باشیم ما بکراهیت بدرستی که از خود بر خدای دروغ را اگر باز گردیم ما در دین شما
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
پس از آنکه برهانید ما را خدای از ان ملت و نباشد و نزد ما را که باز گردیم در ان ملت مگر که
يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا
خواسته باشد خدای پروردگار ما فراخ است پروردگار ما هر چیزی دانش بر خدای اعتماد کردیم ای پروردگار ما
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ
حکم کن میان ما میان گروه ما براستی و عدل و تو بهترین حکم کنندگانی و گفت اشراف
الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
آنانکه کافر شدند از گروه او مر ضعیفانرا هر آینه اگر پی روی کنید شما بدرستی که شما هر آینه از زیان کاران
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا
پس بگرفت ایشانرا لرزهٔ زمین پس گشتند در سرایهای ایشان مردگان آنانکه تکذیب کردند
شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
شعیب را گویی هرگز نبودند در دنیا آنانکه تکذیب کردند شعیب را بودند ایشان
الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
زیان کاران بر خود پس روی بگردانید از ایشان شعیب گفت ای گروه من بحقیقت رسانیدم شما را پیغامهای
ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين
پروردگار من و نصیحت کردم شما را پس چگونه اندوه خورم بر گروه کافران که تکذیب کردند

القراءة ... الوقوف شعيبا ط فيهم ٧ اصلاحها ط مؤمنين ج لعطف المتفقين وقوع العارض ادرك الآية عوجا لاتساق الجملتين مع طول الكلام فكثركم لعطف المتفقين المفسدين ، بيننا لاحتمال الواو والحال والاستئناف الحاكمين ، الجزء التاسع ملتنا كارهين ، قيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان

اقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه منها الله ربنا علما توكلنا للعدول الفاتحين ، لخاسرون ، جاثمين ج لان يوصل وقف على كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا عن الضمير في اصبحوا وكان لم يغنوا حال بمعنى الفعل في جاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا عن الذين الاول وقف على شعيب او يستانف وكانوا الاغلوين تعقيب الخاسرين ونصحت لكم لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين
التفسير القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن نويبة بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرايع جميع الانبياء الثاني تصديق ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اي معجزة دالة على نبوتي ففي الآية دلالة مجملة ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي نبوة والا كان متنبيا غير ان معجزته ولم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه يحكى انه دفع الى موسى عصاها اسود وسائرها ابيض وتعد وجنتها منك وكان الامر كما اخبر عنه وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى وتسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الآية واعلم ان للانبياء ان يبدءوا في الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف وكانه يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل المكيال ووزن الميزان والميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال ثعلب وان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة ضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجزء من خص اولا ثم عمم ليشمل جميع انواع الضيم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال يروى انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهم الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها ثم اخذوها بالنقصان الظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة دنيوية ومعنى بعد اصلاحها بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف او هو كقوله بل مكر الليل والنهار اي بعد الاصلاح فيها بعث اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين بشرائعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقة ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتننكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين قعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد مكان كذا اي لتصق به وعلى مكان كذا اي علا ذلك المكان وفيه اذا حل بمعنى حرف الجر متعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معالم وحدود واحكام كثيرة كل منها في نفسه سبيل وكانوا اذا رأوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التقبيح والتفظيع ومنه ومعنى وتبغونها عوجا تطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم اي وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة العدد بعد الفقر والنزارة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف ولذلك قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء وصاروا اكثرين في العدة والعدة والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد

ما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم اولا ثم رهبهم وثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة
الآية وفيه وعيد الكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى
العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المتجبرين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا اي احد الامرين كائن لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء عال
فكيف تصدق بعوده اليه وجب ان قول الكفار ليس بحجة انما ليس قول شعيب بحجة حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان
الكلام بني على التغليب وان شعيبا اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على
العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق الايهام او انه كان في اول امره يخفي مذهبه فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة
التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله شعر وان تكن الايام احسن مرة ° الي فقد عادت لهن ذنوب
قال شعيب في جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ثم صرح بانه
لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا ذلك وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة
عن الكذب والعود في ملتكم يناقي ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانها
او المراد نجى قومه فغلب او المراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه
وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني ان يكون قسما
على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا اي ما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء
الله ربنا قال اهل السنة في الآية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم يزل الانبياء
والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل صلوات الرحمن عليه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف
عليه السلام توفني مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضية شرطية اي من شاء يعود وليس فيه بيان
انه شاء ام ابى والثاني ان هذا على طريق التبعيد والاحالة كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث
لعل المراد ما لو اكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزا صح ان يكون مراد الله تعالى
كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى القرية كانه قال ان اخرجتمونا
من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشية عند اهل السنة لا توجب جواز الفعل فانه تعالى يريد
الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشية ههنا الامر فيكون التقدير الا ان يامرنا
ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد ان يامر الله تعالى بالعمل به مرة اخرى السادس قال الجبائي
المراد من الملة الشريعة التي لا يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام
الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا ان يشاء الله تعالى بقاء بعض تلك الملة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم
من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعالى
وجوده كان فعله جائزا مادونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مراد الله تعالى وثانيهما ان قوله لنخرجنك او لتعودن لا
وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه قلت للسني ان يلتزم ذلك اما قوله وسع ربنا كل شيء
فوجه تعلقه بما تقدمه على قول الجبائي هو ان التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف
المصلحة في تلك العبارات فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق
هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو ان نبقى
في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اي لا على غيره و
انتصاب علما على التمييز وفي قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج
شيء من مقتضى علمه وهو معنى جفاف الاقلام وطي الصحف وتقدم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من علوم
كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم انه لو كان كيف فهذه اقسام اربعة يقع منها على اربعة اوجه
لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا او معدوما محضا فانه كيف يكون وكذا الكلام

في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس ونوع او صنف او شخص من الجواهر ومن الاعراض صار
مبلغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون اول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق
التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء قائلا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم
واقض وعن ابن عباس ما ادري معناه حتى سمعت ابنة ذي يزن يقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وجوز الزجاج
ان يكون معنى الآية اظهر امرنا حتى يتضح ما بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين
وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان
فتح باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان هو العبد لكان خير الفاتحين هو العبد والمعتزلة
ان يقولوا لولا الالطاف المرجحة الداعية لم يوجد الايمان من العبد فصح ان الله هو خير الفاتحين ثم بين ان رؤساء
قوم شعيب لم يقتصروا على الضلال قائلين لمن دونهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اي في الدين او في الدنيا لانه يمنعكم
من ازدياد الاموال بطريق البخس والتطفيف فاخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها
يقال غني القوم في دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغاني المنازل اذا كان فيها اهلها وقال الزجاج اي كان لم يعيشوا
فيها مستغنين من الغنى الذي هو ضد الفقر وعلى التفسير من شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار
كقوله شعر كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ° انيس ولم يسمر بمكة سامر ° قال في الكشاف الذين كذبوا مبتدا
خبره كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا في ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران
العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء والتكرير مبالغة في رد مقال الملأ لاشياعهم
وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم تلك والعرب قد تكرر للتفخيم والتعظيم فيقول
اخوك الذي ظلمنا اخوك الذي هتك اعراضنا وايضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين
تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الآية فوائد اخر منها ان ذلك العذاب انما حدث بخلق
فاعل مختار وليس ذلك اثر الكواكب والطبيعة والا لحصل في اتباع شعيب كما حصل في حق الكفار ومنها ان ذلك
الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها كونه معجزة كيف حيث وقع ذلك العذاب
على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولي جاز ان يكون بعده قال الكلبي خرج
من بينهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان
يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على
الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا
نصيحتي فكيف آسى عليكم لانكم لستم محقين لذلك التاويل ولا تبخسوا فيه الخساسة والدناءة والحرص والظلم
من الصفات التي يجب ترك تحليه النفس النفور عنها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويبغض سفاسفها ولا تفسدوا في
الارض الطيبة التي جبل الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريقة على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ
كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في الامور بكثرة العدد نعمة تامة ان يصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة
منكم طائفة اي الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب
تبعا للنفس الكافرة في العذاب واذا وقع الهجران او لتعودن في ملتنا اشارة الى ان كل جنس لا يميلون الى اشكالهم فالاتحاد
في بابه من اين نبع اضرابه بعد اذ نجانا الله منها في القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت
من خاتمة الخير والظهار وما قدرت من خاتمة السوء فاخذتهم الرجفة فصارت صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا اجاثي
الارواح في ديار الاشباح كان لم يغنوا فيها الا الباطل زاهق لا محالة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء

و نه فرستاديم ما در هيچ ديهي هيچ پيغمبري را مگر كه بگرفتيم اهل آن ديه را به تنگي در اموال

لعلهم يتضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا و
تا مگر ایشان زاری کنند و ایمان آورند پس تبدیل کردیم بجای بدی نیکی را تا بسیار شدند و طاغی گشتند و

قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
گفت بحقیقت رسید بر پدران ما مضرت غنا کی و شادی فراخی پس عقوبت کردیم ایشان را ناگهان و حال آنکه ایشان نمی‌دانستند که عذاب

ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و
و اگر آنکه مردمان دیهها بگرویدندی بمبدا و معاد و پرهیز بودندی هر آینه بگشادیمی بر ایشان برکتها و منافع بسیار از آسمان یعنی باران

الارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن
و زمین یعنی نبات و لیکن تکذیب کردند رسولان پس بگرفتیم ایشان را بسبب آنچه بودند که کسب میکردند از اعمال آیا پس از این

اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله
ایمن شوند مردمان دیهها که آید بایشان عذاب ما در چاشتگاه و ایشان بازی کنند آیا ایمن شدند از عذاب

فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون
پس ایمن نباشند از عذاب خدای مگر گروه زیان کاران آیا منکشف نشد و راه ننمود مر آنان را که میراث میبابند

الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على
زمین را از پس هلاک آن زمین آنکه اگر خواستیمی عقوبت کردیمی ایشان را بسبب گناهان و مهر نهیم بر

قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها
دلها ایشان پس ایشان را نمیشنوند آن دیههای مذکور قصه میخوانیم از خبرهای آن

ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
و بحقیقت آمد ایشان را پیغمبران ایشان با معجزات روشن پس نبودند ایشان تا ایمان آوردندی بدانچه تکذیب کرده بودند

به من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما
از پیش همچنان مهر نهادن مهر می‌نهد خدای بر دلهای کافران و نیافتیم

وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
دنیا مر بیشتر ایشان را از هیچ پیمانی و بدرستی که یافتیم بیشتر ایشان را هر آینه بیرون شوندگان از طاعت

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر و يزيد اوامن بسكون الواو ابو جعفر و نافع غير ورش و ابن عامر وقرا ورش بنقل حركتها الى الساكن الذي قبلها اولم يهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون يكسبون نائمون لمن قرا اوامن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان للعطف يلعبون مكر الله للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء للتعقيب الخاسرون بذنوبهم للفصل بين الماضي والمستقبل والتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون من انبائها للعطف المختلفين بالبينات لان الضمير لما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء

توجب الانفصال من قبل الكافرين من عهد لعطف الجملتين المختلفتين لفاسقين التفسير انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجمع القوم فتشمل المدينة ايضا وتقدير الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذب به اهلها الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء قال الزجاج الباساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل بالعكس لعلهم يتضرعون اي يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى ليحطوا اردية الكبر والاستكبار ويتبعوا انبياءهم ثم بين ان تدبيره في اهل القرى لا يجري على نمط واحد فقال ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبه الحسنة وهي كل ما يستحسنه الطبع والعقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كما هو داب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر في اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وامن بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب للحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية امنوا بما يجب الايمان في باب المبداء والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لاتيناهم بالخير من كل وجه او اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسر اسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا تيسرت القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والاية بينهما اعتراض والتقدير ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى ولهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افامنوا مكر الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى ولهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرا او ساكنة الواو فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احد هذه العقوبات واما الاضراب فكما تقول انا اخرج ثم تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج والاثبات للاقامة اي لا بل اقيم ومعنى بياتا قد تقدم في اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة تذكر على انه المفرد كصرد لان ذلك كاللعب في انه يضر ولا ينفع ومكر الله قد تقدم في آل عمران انه عذاب بعد الاستدراج او سمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات يعني المذكور في الاية الاول لجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا او مجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال اولم يهد من قرا بالياء ففاعله ان لو نشاء والمعنى اولم يهد للذين يخلفون اولئك المتقدمين فيرثون ارضهم وديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي نعاقبهم كما اصبنا من قبلهم ومن قرا بالنون فقوله ان لو نشاء منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين على القراءة الاولى محذوف والتقدير اولم يكشف لهم الحال الشان المذكور اما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجري مجرى تحصيل الحاصل ولقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين فاقتراف الذنوب غير الطبع لانه يذنب اولا ويكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو شئنا لزدنا في طبعهم او لادمناه والله سبحانه اعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهي مبتداء وخبر وقوله نقص حال والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فيرجع الفائدة الى الحال والخبر الثاني كما ترجع الى الصفة في قولك هو الرجل الكريم فالحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم تنبيها على الاحتراز

عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام لتاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر آدم اقروا باللسان وانكروها واضمروا التكذيب وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك وردد ناهم الى دار التكليف بما كذبوا كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجي الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب من لدن مجي الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الايات كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والقساوة والصدا والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو ان يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شان مقدر والتقدير وان الشان والحديث علمنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والاية اعتراض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر التاويل الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء الولي تتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعبد ويذهل على الحق ولا يرجع اليه ولو ان اهل القرى يعني صفات النفس آمنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا من متشابهات النفس لفتحنا عليهم اسباب العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعذاب اليم البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وموافقات الطبع امانى صورة القهر ضحى في صورة اللطف بسطوت الحبيبا وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر هم الذين خسروا الدنيا والعقبى ونحوا المولى ولذلك لم لامرهم

ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها

پس بفرستادیم پس از پیغمبران و امم مذکوره موسی را با معجزات ما سوی فرعون و اشراف قوم او پس ستم کردند بان آیات

فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون

پس بنگر یا محمد که چگونه بود سرانجام کار تباهی کنندگان و گفت موسی ای فرعون

اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا

بدرستی من پیغمبری ام فرستاده از پروردگار جهانیان منم سزاوار برآنکه نگویم بر خدای جز

الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال

درست و راست هر آینه بیاوردم بان معجزه را از پروردگار شما پس بفرست با من پسران یعقوب گفت فرعون

ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه

اگر هستی که آورده نشانی و معجزه پس بیار آنرا و بنمای اگر هستی تو از راست گویان پس بینداخت عصای خود را

فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال

پس آنگاه شد آن عصا اژدهای هویدا و بیرون کشید دست خود را از گریبان پس آنگاه آن دست سپید بود با شعاع تمام گفتند مر بینندگان را

الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم

اشراف از گروه فرعون بدرستی که این مرد جادوی دانا است میخواهد که بیرون کند شما را

من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين

از زمین شما که مصر است پس چه میفرمایید شما گفتند باز دار او و برادرش را و فرست در شهرها جمع کنندگان

حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون

سحره را تا بیارند هر جادوی دانا و بیامدند جادوان سوی فرعون

قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم

گفتند ای بدرستی ما راست هر آینه مزدی اگر باشیم ما غلبه کنندگان گفت فرعون آری

وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان

و بدرستی که شما هر آینه از نزدیکان باشید نزد من گفتند سحره ای موسی یا آنکه بیفکنی تو و یا آنکه بیفکنیم ما

نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم

انداز کنندگان گفت موسی بیفکنید پس چون بیفکندند جادو کردند چشمهای مردم را و بترسانیدند شان

وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي

و آوردند جادوی بزرگ را و وحی فرستادیم سوی موسی که بیفکن عصای خود را پس بیفکند پس آنگاه آن عصا

تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون

فرو می برد آنچه ایشان بدروغ ساخته بودند پس ثابت شد حق که آن نبوت موسی بود و باطل شد آنچه بودند که میکردند

فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين

پس مغلوب شدند آنجا که مجمع بود و بازگشتند خوار شدگان و روی افکنده شدند جادوان سجده کنان

قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال

گفتند ایمان آوردیم به پروردگار عالمیان پروردگار موسی و هارون گفت

فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه

فرعون ای ایمان آوردید به موسی پیش از آنکه دستوری دهم شما را بدرستی که این هر آینه حیلتی است که حیلت کردید

في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم

در شهر مصر تا بیرون کنید از این مدینه اهل آن را پس زود باشد که بدانید عاقبت هر آینه ببرم من البته دستهای شما

وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون

و پاهای شما را از خلاف یعنی از هر طرفی پس هر آینه بر دار کنم شما را همه گفتند بدرستی که ما بسوی پروردگار بازگردنده ایم

وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ

ودچه عیب میکنی تو از ما غیر از انکه ایمان آوردیم بمعجزات پروردگار ما در ان زمانکه آمد بما معجزات ای پروردگار ما بریز ان

علينا صبرا وتوفنا مسلمين

بر ما شکیبایی را بر آنچه با ما میکنند و بمیران ما را در حالی مسلمان باشیم

القراءة حقيق علي بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف بمعنى الباء حيث كان تخفض ارجه باسكان هاء الضمير حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون ارجهي بالاشباع نافع غير قالون وعلي وعباس وخلف والمفضل ارجئه بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني ارجئهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش وعن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقراءة قتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ائن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة وقلب الهمزة ياء ابو عمرو ويزيد ابن بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل آمنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص انتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص آمنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وابي عون والسرندبي عن قنبل فرعون وآمنتم بالواو الخالصة الهاشمي عن قنبل وآمنتم بالواو وبحذف الهمزة الاولى ابن مجاهد وابو عون والسرندبي عن قنبل

الوقوف فظلموا بها ط للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ه العالمين لا وقف على بالتشديد اي واجب علي ومن قرا مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل ط الصادقين ه مبين لا للفصل بين الجملتين والوصل اجوز للجمع بين المعجزتين الناظرين ه عليم لا لان ما بعده وصف للساحر من ارضكم ج لاحتمال ان ما بعده من تمام قول الملاء فرعون وجنده والجمع لتعظيم او له ولعظماء حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون الى فماذا تامرون ه تامرون ه حاشرين لا لان ما بعده جواب الامر عليم ه العليم ه المقربين ه الملقين ه الحوالق للعطف عظيم ه عصاك ج لحق المحذوف لان التقدير فالقاها او له العظماء حضرتهم فاذا هم يافكون ج وكذلك يعملون ج صاغرين ج لكان حروف العطف ساجدين ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين لا للبدل وهرون لان ثم للابتداء مع اتحاد القايل اهلها ج لان سوف للتهديد مع العطف تعلمون ه اجمعين ه منقلبون ج للاية مع اتحاد القول جاءتنا ط للعدول عن الحكاية الى مناجات المسلمين

التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى عليه السلام

وذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قوم ما اعظم وافحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته اقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل او الامم المذكورين وفي قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل او الامم المذكورين وفي قوله باياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها اي بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار في موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع الشيء في غير موضعه او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها فانظر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين وكيف فعلنا بهم وهذه اجمالية ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اي اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا اقول من قراء بالتشديد بمعنى حقيق اما بمعنى فاعل اي واجب علي ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اي حق على ذلك تقول العرب ان لمحقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة حقيق على من صلة الباء ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة ابي حقيق بان لا اقول اي انا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الثابت الدائم والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا الحق وثالثها

ان يضمن حقيق بمعنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذي يتجه عليه الاعتراض لا الالتباس فيؤول المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا في الوصف ومبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اي واجب عليه ان اكون انا قايله والقايم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به وسادسها ان يكون على هذه هي التي تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ويقال جاء في فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية لم اتحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى الا الله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اي معجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباب غلبت فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فيه سوالان احدهما لفظي وهو ان ههنا شرطين فاين جوابهما والجواب ان المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى نظيره قول القايل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت باية وقوله فات بها كليهما واحد في المعنى فكيف يفيد تعليق احدهما بالاخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى عليه السلام باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا انه امر ظاهر لا يشك في انه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات او المراد انه ابان قول موسى عن قول المدعي الكاذب والمشهور في اللغة الحية الضخم الذكر روي انه كان اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذه البطن يومئذ اربعمائة مرة وكان لم يرمنه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس وانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا والنزع في اللغة القلع والاخراج اي اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك تخرج روي انه اري فرعون يده وقال له ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجايب واعلم ان القول بتجويز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطرب اقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا في الانسان وساير انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان يبصر في ظلمة الليل البقة التي تكون باقصى المشرق وفي سليم البصر ان لا يرى الشمس في كبد السماء من غير حايل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان ينقلب العصا ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم زاعم ان هذه الامور يختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المختص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل يقع في تيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلايل توجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان حجة موسى كانت قوية ظاهرة فمن حيث ان الحجة ابطلت اقوال المخالفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يافكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت باليد البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا وغير ذلك امور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة في الجسمية فكل ما يقع على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تاويل ودفع ثم ان السحر كان غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين

وذلك فزع اتباع فرعون ان موسى عليه السلام لكونه في النهاية من علم السحر اتى بتلك الصنعة وانه كان يطلب بذلك الملك
والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى
الله تعالى في سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون
قاله ابتداء فتلقنه الملأ منه فقالوه لغيرهم او قالوه عنه لسائر الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا راوا رايا ذكروه للخاصة
وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تامرون من كلام فرعون اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى
او لانه من قولهم امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأي ولهذا قال الملأ قالوا في جوابه ارجه واخاه اي اخر امره
وامر اخيه ولا تعجل بقضاء في شأنهما فيصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجيت الامر اخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبي وقتادة
ان المعنى احبسه وزيف بانه خلاف اللغة الا ان يقال حبس المرء نوع من التاخير في امره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر
على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا وارسل في المداين المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به ولهذا
اطبق القراء على همز مداين لانه كصحايف وقيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القايل لا يهمز مداين وقال المبرد
اصلها مديونة من دانه اذا اقهره وساسه فعل بها ما فعل بنحو مبيع في مبيوع وليس المراد مداين الارض كلها ولكن
المقصود مداين صعيد مصر قال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مداين الصعيد حاشرين جامعين ياتوك بكل سحار الباء
بمعنى مع او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وسبعين الفا وقيل ثمانين الفا وقيل
كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وانما جاء بعد موسى
وفي الاية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا له في الحقيقة كما ان الطب
لما كان غالبا على اهل زمن عيسى كان معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر
نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى وهي القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وبيان ما يتعلق به قد مر في سورة
البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء للكلام على سؤال مقدر كان سائلا سأل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب قالوا
ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصد الكثرة قال نعم ان لكم لاجرا
وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما
يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما
صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الاية اشارة الى ان اهل
السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا لما طلبوا الاجر ذهبا بل قلبوا املاك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل ان لا
يغتر باكاذيبهم ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب بتخيير موسى اولا وتقديمه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو داب المناظرين والمتصارعين مع ان في قولهم واما ان نكون نحن الملقين ما يدل على رغبتهم
في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او اقحام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وان في هذه الاية
بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع امر بالاختيار اعني في موضع نصب كقول القايل اختر ذا او ذا
كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الاية فان الامر لا يصلح هناك وقال موسى للسحرة القوا جعل لهم ما تراغبوا فيه ازدراء
لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بان الامر الالهي يغلب ولن يغلب فان قيل ان القاء الحبال والعصي معارضة المعجز بالسحر وذلك
كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا في فعلهم ان يكون حقا فاذا لم يكن
كذلك فلا امر البتة كقول القايل اسقني الماء من الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة فههنا انما يكون امرا بشرط
والثاني ان موسى عليه السلام علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ووقع النزاع في التقديم والتاخير والثالث انه اذن لهم
في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليجيب عنها ويكشف عن ضعفها يقول له
هات وقل مراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا
قد سحروا قلوبهم لا اعينهم فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم قلبوا الاعين عن صحة ادراكها
بسبب تلك التمويهات وروي انهم اتوا بالحبال والعصي ولطخوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل العصي فلما اثر
تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم اي رهبوهم بالسين زايدة كانهم

استدعوا رهبتهم وقال الزجاج استدعوا رهبة الناس فبعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك ايها الناس احذروا فهذا هو
الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كانهم زعموا ان ذلك سحر لا تطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى عليه السلام ان حبالهم
وعصيهم حيات مثل عصا موسى فاوحى الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي عنه ان المراد بالوحي ههنا الالهام
وههنا اضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت الشيء بالكسر القفه لقفا وتلقفته ايضا تناولته بسرعة
وما في ما يافكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك
بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق وفتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من حبالهم
وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك
الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن وقال القاضي معناه فوقع الظهور
بحيث لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك
قوله وبطل ما كانوا يعملون اي الذي عملوه او عملهم فغلبوا هنالك اي حين التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار
اعظم في حق المبطل من دحوض حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى و
صارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم لاجل كمالهم في السحر
ميزوا السحر عن غيره فانقلبوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل في علم التوحيد والشريعة والحكمة في
قوله والقي السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعي والقدر وقال الاخفش
من سرعة ما سجدوا صاروا كانه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على
السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم قالوا آمنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود
قالوا ذلك وانهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا
باللسان بعد تصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياي يعنون فلما قالوا رب موسى
قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم آمنوا باله السماء وكفروا
بفرعون وقيل افردا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما
وتشريفا ثم ان فرعون لما راى ان اعلم الناس بالسحر اقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند
قومه فالقى في الحال شبهة في البين بعد ما انكر عليهم ايمانهم اما الانكار فذلك قوله آمنتم له من لم يدخل حرف الاستفهام
فعلى انه اخبار توبيخا اي فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرأ بحرف الاستفهام فعلى انه اخبار ثم توبيخا اي فعلتم هذا الفعل الشنيع و
من قرأ بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار وفي قوله قبل ان آذن لكم دلالة على مناقضة فرعون في ادعاية الالهية
لانه لو كان الها ما جاز ان ياذن لهم في ان يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والدحوض الذي يظهر على المبطلين واما الشبهة
فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي هذه حيلة احتلتموها انتم وموسى وتواطأتم عليها الغرض
لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير عن السدي في حديث ابن عباس وابن مسعود و
غيرهم من الصحابة ان موسى وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارأيتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به حق
فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك قال ثم التواطؤ فسوف
تعلمون وعيد اجمالي وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون
هل وقع ذلك منه ام لا فمن قائل لم يقع لانهم سألوا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر
وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملأ انهم قالوا لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك
اولئك السحرة لذكروهم ايضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب عند نزول البلاء وقد
يجاب عن الاول بانهم دخلوا تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم
الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا
عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اي نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك او ننقلب الى الله
يوم الجزاء فيثيبنا على شدايد القطع والصلب وانا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة

مستون ضايقد ران تفعل بنا ما لا بد منه وما تنقم منا قال ابن عباس ما اتينا بذنب تعذبنا عليه وما نعيب منا الا ان آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها الا الله تعالى وهذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم
كقوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • ثم لجأوا الى الدعاء كما هو داب الصديقين
حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا ما يحال الثبات على متابعة الدين او على ما توعدنا به فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الذين جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا وسالوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان تستدل بذلك
على ان الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالآية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والامام يطلبوا ذلك منه
والمعتزلة يحملون امثال ذلك على منح الالطاف واعلم ان مبنى القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على
التطويل فلهذا قيل هناك يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فلسوف
تعلمون وفي كل ذلك زيادة واما قوله ههنا وارسل في المداين وهناك وابعث فلان الارسال يفيد معنى البعث مع العلو
فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب به فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم به في طه والشعراء آمنتم له بالآلام
لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي سورتين الى موسى وقيل آمنت به وآمنت له واحد وقال ههنا لاصلبنكم
لانه لما افاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا واكثر من متشابهات هذه السور الثلث يعود الى رعاية الفواصل
التأويل فظلموا بها بان جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد
بالركون الى الدنيا ولذاتها حقيق على ان لا اقول لاني قائم بحقايق الحق فان عن الخلق وآثار التفرقة فاذا هي ثعبان لا نه اضاف
العصا الى نفسه في قوله هي عصاي ويعلم منه ان كل شيء اضفته الى نفسك وجعلته حاجاتك فانه ثعبان ولهذا قيل
القها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه الايدي قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية نورانية لروحانية لموسى كانت روحانية
في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا ما اظهرها الله تعالى في بعض الاوقات خرقا للعادات
على يد الجسمانية يريد ان يخرجكم لا شك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الى النور الروحاني
توهموا ان التاخير وحسن التدبير يغير شيئا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم ان
لنا لاجرا لو يعلموا ان اجرهم في المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجرى الله تعالى ههنا على لسان موسى فرعون حقا
وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسى اما ان تلقي اكرموا موسى التقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان
بسحر عظيم اي عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمه ثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يافكون فيه ان
عصا الذكر اذا القيتها عند الفناء سحرة صفات النفس تبتلع نعم لا النفي جميع ما سحروا به اعين الناس فوقع الحق
باثبات الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا في العيون فغلبوا اي سحرة صفات النفس بنور الذكر
وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت اوامر الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين اي صارت صفات النفس بعد التمرد منقادة
للعبودية موسى الروح وهرون القلب واعلم ان صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان ولكن النفس
بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل اللهم الا عند غرقها في بحر الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي
القصة دلالة على انه تعالى قد يبرز العدو في صورة الولي مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان آذن لكم هذا من جملة
جهل فرعون ظن ان الايمان لا باذن الله لمكر مكرتموه في تواففقد موسى الروح في مدينة القالب ليخرجوا منها اهلها وهو
اللذات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها

وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في
كفتند اشراف از كروه فرعون آيا تو ميكذاري موسى را وكروه او را تا تباهي كنند در
الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
زمين وبكذارد ترا با خدايان تو كفت فرعون زود بود كه بكشيم پسران را وزنده بكذاريم زنان ايشان را

وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
وبدرستي كه ما بالاي ايشان قهر كنندكانيم كفت موسى مر كروه خويش را كه ياري خواهيد از خداي وصبر كنيد بر آزار ايشان
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا
بدرستي كه زمين مصر بلكه مطلق زمين خداي راست ميراث دهد آنرا آنكس را كه خواهد از بندكان خود وسرانجام حميده مر پرهيزكارانست كفتند كروه موسى
اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان
با موسى آزرده شديم ما از پيش آنكه تو بيامدي بما واز پس آنكه آمدي بما كفت موسى شايد بود پروردكار شما كه
يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
هلاك كند دشمن شما را وبجاي ايشان بدارد شما را در زمين مصر پس به بيند كه چكونه عمل ميكنيد
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم
وبدرستي كه عقوبت فرموديم ما فرعونيان وفرعون را بقحط وتنكي بسالها وكم كردن از ميوه هاي ايشان تا مكر ايشان
يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم
پند كيرند وايمان آرند پس چون بيامدي بايشان نيكي وفراخي نعمت كفتندي ماراست اين حسنه باستحقاق واكر برسيدي بايشان بدي
سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم
بدي فال بد ميزدندي بموسى وآن مومنان كه با او اند بدانيد بدرستي كه شوم ايشان نزد خدايست وليكن بيشتر ايشان
لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك
نميدانند وكفتند يا موسى هر آنچه بياوري تو بما آنرا از معجزه بزعم تو تا جادويي كني ما را بآن پس نيستيم ما مر ترا
بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
باور آرندكان پس فرستاديم ما بر ايشان باران عذاب را با مرك فجاءه وملخ جهنده را وكبار كنه را وكيك وشپش وبزغها را
والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
وخون را معجزه هاي جدا كردانيده از يكديكر بزمان پس بزركي نمودند وبودند كروهي كنه كاران
ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
وچون واقع شد بر ايشان هر يكي ازين عذابهاي پنجكانه كفتندي اي موسى بخوان از بهر ما پروردكار ترا در ان حال كه متوسل باشي يعني بنبوة نزد تو
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
هر آينه اكر باز بري تو از ما اين عذاب را كرويم البته بتو وهر آينه بفرستيم با تو پسران يعقوب را
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم
پس چون باز برديم از ايشان عذاب را تا زماني كه ايشان رسنده بودند بدان
ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا
ميشكستند عهد را پس كينه كشيديم از ايشان پس غرقه كرديم ايشان را در دريا بسبب آنكه تكذيب نمودند

بآياتنا وكانوا عنها غافلين ۝ واورثنا القوم الذين
آيتهاى ما را و بودند از آن آيات غافل شوند كان وبميراث داديم از قبطيان آن گروه را كه آنانكه
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا
بودند كه ضعيف شمرده ميشوند بقتل ابناء واستحياء نساء برآمدن جايهاى آفتاب زمين مصر و شام و فرو رفتن جايهاى آفتاب آن زمينى كه با منافع
فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
بسيار كردانيديم و تمام شد وعده پروردگار تو آن كلمه نيكوتر كه اهلاك عدو بود و استخلاف ايشان بر پسران يعقوب بدانچه صبر كردند
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون
و هلاك كرديم آنچه بود كه ميكرد فرعون و گروه او از عمارات و قصور عاليه و آنچه بودند كه سقف بر مى‌كردند از چوب از بوستانها
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام
و بگذرانيديم ما پسران يعقوب را از دريا پس آمدند بر گروهى كه مقيم بودند بر پرستيدن بتانى كه ايشان را بر صورت
لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم
گاوان گفتند اى موسى بديد كن از براى ما خداى يعنى بتى كه تقرب كنيم چنانچه مر ايشان را خدايانند كه مى‌پرستند گفت موسى بدرستى كه
قوم تجهلون ۝ ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا
شما گروهى جاهلانيد بدرستى كه عابدان آن بتان گروهى اند كه هلاك كرده شده است آنچه ايشان در آنند و ناچيز است
يعملون ۝ قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين
آنچه هستند كه ميكنند گفت موسى ايشان را اى غير خداى بجويم تان خدايى و حال آنكه افزون داد شما را بر اهل عالم شما
واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم
و ياد كنيد آن زمان كه برهانيديم شما را از فرعون و فرعونيان رنج مينمودند شما را بدترين عذاب ميكشتند پسران شما
ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۝
و زنده ميگذاشتند زنان شما را و درين نجات دادن از تعذيب شما ابتلا نعمتى بود يا محنتى از پروردگار شما بزرگ

القراءة سنقتل بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع يورثها بالتشديد الخراز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد في رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وعلي وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الآخرون انجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف نافع **الوقوف** والملك ط نساءهم ج للابتداء بان العطف واتحاد القائل قاهرون ۝ واصبروا ج لما قلنا من عباده ط للتقين ۝ ماجئتنا ط تعلمون ۝ يذكرون ۝ لنا منه ج لبيان تباين الاضافين على الناقص وسعه لا يعلمون ۝ بمؤمنين ۝ مجرمين ۝ بما عهد عندك ج لان لئن منتظم مع اتحاد القائل بني اسرائيل لان جواب لما منتظم مع دخول الفاء فيه ينكثون ۝ غافلين ۝ باركنا فيها ط للعدول عن الحكاية وكذلك بما صبروا ط لعكسه يعرشون ۝ اصنام لهم ج لاتحاد القائل بلا عطف آلهة تجهلون ۝ يعملون ۝ العالمين ۝ سوء لاحتمال كون ما بعده مستانفا او حالا نساءكم ط عظيم ۝
التفسير ان فرعون بعد وقوع الواقعة لم يتعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لانه كان كلما رأى موسى خافه اشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا اتذر موسى اتركه وقومه ليفسدوا في الارض اي

يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا او قوله والهتك منقول معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع الهته فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى ايكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك والهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بانه لعله كان يتخذ اصناما على صور الكواكب على ان الكواكب مدبرات العالم السفلي واما مخدوم الخلق في هذا العالم والمربي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فكانه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي مستعلون عليهم ما كنا نحتاج الى قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه سيظهر بعد قال موسى لما وصل ما جرى بين فرعون وملائه اليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من عرف انه لا مدبر في العالم الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم بامرين فقال ان الارض يعني ارض مصر او جنس الارض فيتناول ارض مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده ويعني بالتوريث جعل الشيء للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من كلام المنصف والا فمعلوم ان القبط لا تقوى لهم او المراد ان كل من اتقى الله تعالى وخاف مقام الله الغني الكريم يعينه في الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم في قوله سنقتل ابناءهم الى غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب في ان عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وازال ما خامرهم من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره بوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الرؤية الازلية به عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب بتعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشؤم التكذيب والتمرد فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة غلبت على سنة الجدب كالدابة والنجم وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحول والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورايت سنينا فيعرب النون ومنه قول الشاعر **شعر** دعاني من نجد فان سنينه ۝ لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا ۝ والسنون من الجوع المصحح الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ونقص الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم ينقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فيتنبهوا فيرجعوا الى الانقياد والطاعة فان من الضر ما يلين الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية وقال القاضي في الآية دلالة على انه تعالى اراد منهم ان يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر واجيب بانه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار في الحقيقة ولا اختيار ولا برعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء وارادو من يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون بذلك ولم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان ظنا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمته وان تصبهم سيئة اضداد ما ذكرنا يطيروا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم الطاء في التاء لقرب مخرجهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل **شعر** لقد عددت ايام البلاء ۝ فهل عددت ايام الرخاء ۝ الا انما طائرهم عند الله

يقال للشوم طاير وطيرة وعن ابن عباس طايرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا اي حصل ووقع ذلك في حظه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفال ولا يتطير لان الفال الكلمة الحسنة والتطير ضد الفال قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى
وذلك ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى
الآية ان كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل بمشيته وتقديره فيقولون
هذا بيمن فلان او بشومه وقد تشامت اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا منذ اتانا
قال في الكشاف ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله
ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكي عنهم انهم لجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم الا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم
لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا للتمويه مهما تاتنا به الآية وفي مهما قولان فعن البصريين ان اصلها ما الشرطية
زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية فكرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي انه بمعنى اكفف وما للشرط
كانه قيل كف ما تاتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى اي شي تحضرنا تاتنا به ومن آية بيان لمهما والضمير في به وكذا في بها يعود الى مهما
لان البيان كالزيادة فلا يعود اليه شي ما امكن العود الى المبين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وانث اخرى حملا على المعنى
وسموها آية تهكما وتمويها اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان
القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع بهم فبقي
في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر واصله ما طاف وغلب من مطر او سيل ارسل الله عليهم السماء
حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم
فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم
تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله عليهم
الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شي حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شي
ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو
الحمنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقرا الحسن القمل بفتح
القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل
بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلي قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه
موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري وصاحوا وصرخوا
وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد شهر
فدخلت بيوتهم وامتلات منها آنيتهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكان يمتلي منها
مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود ودعا
فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد
فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار
ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله آيات مفصلات نصب على الحال من المذكورات
ومعناها ظاهرات لا يشكل على عاقل انها معجزات او فصل بين بعضها وبين بعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايوفون بالعهد
ام ينكثون كما روي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات ولا شك ان كل واحد
من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبطي دون الاسرائيلي معجز آخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين
على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد
بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا غير
مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء تتعلق بادع تعلق القلم
بالكتبة في قولك كتبت بالقلم اي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق المقسم به بالفعل فيكون باء الاستعطاف

اي اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو ان يكون قسما مجابا
بلنؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي نخليهم وشانهم تذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا في جميع الوقايع بل الى اجل هم بالغوه
لا محالة ومعذبون فيه اذا هم ينكثون جواب لما اي لما كشف عنهم فاجاوا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة
عنهم بالعذاب فاغرقناهم في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمي باليم لان المنتفعين
به يتيممونه اي يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب التكذيب وبانهم كانوا عنها اي عن الآيات وقيل عن
النقمة بدلالة انتقمنا اي وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اي معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان
حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام في الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعني ارض مصر والشام لانها هي
التي كانت تحت تصرف فرعون ولقوله التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل
المراد جملة الارض لانه خرج من بني اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمن وتمت كلمة ربك الحسنى تانيث الاحسن وصفه
للكلمة قيل يريد بالكلمة قوله في سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الآيتين
ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا امضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذي تقدم باهلاك
عدوهم واستخلافهم في الارض لان الوعد بالشي جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اي بسبب صبرهم
وفيه ان الصبر عنوان الظفر وضمين بالنصر والفرج ودمرنا اي اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن
عباس يريد المصانع وقال غيره يعني العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعاني والاعيان وما كانوا يعرشون
من الجنات كقوله وهو الذي انشا جنات معروشات وقيل وما كان يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان
وغيرهم وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى على بني اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي
انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فاتوا على قوم اي فمروا بقوم يعكفون
يواظبون على اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزولا بالرقة عن قتادة
وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا
دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد في المعبود انه اله او اعتقد انه مقرب الى الله
ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشاهير بني اسرائيل وعظمائهم كالسبعين
المختارين ولكنه صدر من عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الآيات العظمى
فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن علي رضي الله عنه اختلفنا عنه لا فيه ثم قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء
يعني عبدة تلك التماثيل متبر اي مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون
اي يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذي هم عليه فيصير الى الزوال والاضمحلال وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وفي تقديم
خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا على شي البتة وان مصيرهم الى التبار لا محالة قال
اغير الله ابغيكم الها انتصب غير على الحال المتقدمة التي لو تاخرت كانت صفة كما يقول ابغيكم الها غير الله وانتصب الها على
المفعول به قال الواحدي يقال بغيت فلانا شيئا وبغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب
لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم
مغمورين في نعم الله فان الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام و
الانعام والآية الباقية قد مر تفسيرها في البقرة والفايدة في اعادتها ههنا التعجب والتعجيب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم
وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب قوله سنقتل ابناءهم **التاويل** وقال الملا من قوم فرعون من
الهوى والعجب والكبر بفرعون النفس اتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا في الارض البشرية
ويذرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعني اعمالهم الصالحة نبطلها

بالرياء والعجب ويستحيي نساءهم اي الصفات التي تتولد الاعمال نورثها يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف
بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تاتينا بالواردات الروحانية
قبل البلوغ كنا نتاذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد
البلوغ نتاذى من دواعي البشرية عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى ان الواردات الروحانية لا
يكفي لافناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من تجلي صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكفود لا يرى النعم وكذا الملول اذا ارسلنا
تطيعه سل الوصال وقال لكان وكانا ولكن اكثرهم لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة وعيونهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا
عليهم الطوفان فان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل والالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات
والرياضات آيات مفصلات وتتابعوا وقت وجماعت حين فاستكبروا عن قبولها والعمل وكانوا قوما مجرمين في الازل
ولهذا لم يقدم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة فاغرقناهم في يم الدنيا وشهواتها وما كانوا
يعرشون اي يرفعون بالتجبر والتكبر انفسهم يقال عرش الطاير اذا ارتفع بجناحيه على فرخه وجاوزنا بصفات القلب من
بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام لهم من المعاني المعقولة والمعارف
الروحانية فاستحسنوها وارادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الى الروحانيات
انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته فعلم ان هؤلاء يعني صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء
المعاني المعقولة وباطل ما كانوا يعملون في غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان
والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقائق الالهيات

وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه
ووعده فرموديم موسى را سى شبانروز از ماه ذوالقعده تمام كردانيديم سى شب را بده ديكر از ذى الحجه پس تمام شد وقت پروردكار او
اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح
چهل شب وكفت موسى مر برادر خود را هرون بجاى من باش در كروه من وسامان ار كارها
ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
ومتابعت مكن راه تباه كاران را وآنكه آمد موسى تعيين كرده ما وسخن كفت با او پروردكار او
قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى
كفت موسى اى پروردكار من بنماى خود را بمن تا نكرم سوى تو كفت خداى نتوانى ديد مرا وليكن سوى كوه نظر كن
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل
پس اكر قرار كيرد كوه بجاى خود با ظهور تجلى من پس زود باشد كه بينى تو مرا پس آنكه كه ظاهر شد امر پروردكار او
جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك و
كردانيد او را پاره پاره وبروى افتاد موسى حال آنكه بيهوش بود پس چون بيهوش باز آمد منزه ميدانم ترا از آنچه نشايد توبه كردم سوى تو از طلب
انا اول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
رويت در دنيا ومن نخستين كرويدكانم كفت اى موسى بدرستى كه من بركزيدم ترا بر مردم زمانه تو به پيامهاى من
وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في
وبسخن كفتن من پس بكير آنچه دادم ترا از پيام وكلام وباش از سپاس داران ونبشتيم ما براى موسى در

الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة
ما براى موسى در تختها از هر چيزى كه بنى اسرائيل بدان محتاج بودند پندى وبيانى مر هر چيزى را پس كفتيم فرا كير آن را بجد وعزيمت
وامر قومك ياخذوا باحسنها ساوريكم دار الفاسقين
تمام وبفرماى كروه خود را تا بكيرند وعمل كنند بآنچه نيكوترين آنست زود باشد كه بنمايم شما را سراى فاسقان يعنى مصر يا دوزخ
ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
زود باشد كه بكردانم از قبول آيات من آن كسانى كه بزركى نمايند از ايمان آوردن در زمين بناحق
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا
واكر بينند هر معجزه را ايمان نيارند بآن واكر بينند راه راست را
يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا
نكيرند آنرا راهى واكر بينند راه كمراهى كيرند آنرا راهى
ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين والذين
واين بسبب آنست كه ايشان بدروغ داشتند آيتهاى ما را وبودند ازان بيخبران وآنانكه
كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون
بدروغ داشتند آيتهاى ما را ورسيدن بقيامت ضايع شد كردارهاى ايشان هيچ پاداش كنند ايشان را
الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا
مكر آنچه بودند كه ميكردند وكرفتند براى عبادت كردن كروه موسى از پس رفتن او بطور از زيورهاى ايشان صورت كوساله
جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
تنى بى لحم ودم كه او را بود آوازى آيا نديدند كه او سخن نكويد با ايشان ونه راه نمايد ايشان را
سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم و
هيچ راه حق كرفتند او را بعبادت وبودند ستمكاران بر تن خود وآنكه كه افتاده شد در دستهاى ايشان
راوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
ودانستند كه ايشان بحقيقت كمراه اند كفتند اكر نبخشد پروردكار ما ما را ونيامرزد ما را هر آينه باشيم از
الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما
زيان كاران وچون بازكشت موسى سوى كروه خود خشم آلود در غايت غضب از بهر دين خداى كفت بد
خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ
جانشينى ... نشستيد بجاى من ... آيا شتاب كرديد فرمان پروردكار ... بيفكند تختها را ... وبكرفت سر برادر

براس اخيه قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني

سر برادر خود را هرون گفت هرون اي پسر مادر من بدرستي كه گروه ضعيف شمردند مرا وخواستند كه بكشند مرا

فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ۝ قال

پس شادكام مگردان بسبب من دشمنان مرا ومگردان مرا با گروه ستمكاران گفت موسي

رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ۝

اي پروردگار من بيامرز مرا وبرادر مرا ودرآر ما را در بخشايش خود وحال آنكه تو مهربانتري

ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في

بدرستي آنانكه گرفتند بعبادت گوساله زود باشد تا بايشان كه رسد از اوت از پروردگار ايشان وخواري در

الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ۝ والذين عملوا

زندگاني اين جهان وهمچنين جزا با دهيم دروغ بدبدكننده را وآنانكه كردند

السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور

كارهاي بد پس توبه كردند از پس آن توبه هر آينه آمرزگار است

رحيم ۝ ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح و

مهربان وچون ساكت شد از موسي حالت خشم فرا گرفت تختهاي توريت را و

في نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ۝

ودر كتابت آن بود رهنمائي وبخشايش مر آنانرا كه ايشان مر پروردگار خود را ترسكاري كنند

القراءة ۝ اربي انظر بسكون الراء وفتح الياء ابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكا بالمد حمزة وعلي وخلف اني اصطفيتك بفتح ياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو برسالتي على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون برسالاتي آياتي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلي وخلف الباقون بضم الراء وسكون الشين حليهم بفتح الحاء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد الياء حمزة وعلي الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب والنداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدي اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وقال ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام في طه الوقوف اربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ربه لا لان ما بعده جواب لما اليك ط فسوف تراني ج صعقا ج المؤمنين ۝ الشكرين ۝ لكل شيء ج للعدول مع فاء التعقيب باحسنها ط الفاسقين ۝ بغير الحق ط بها لا للابتداء شرط آخر ولبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج كذلك سبيلا ط غافلين ۝ اعمالهم ط يعملون ۝ خوار ط سبيلا ۝ لئلا يصير الجملة صفة السبيل فان ضمير الجعل ظالمين ۝ ضلوا لا لان ما بعده جواب الخاسرين ۝ اسفا لا لان بعدي ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القائل امر ربكم ج لان قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه ط يقتلونني والوصل اولى لان الفاء للجواب اي اذا هم هموا بقتلي فلا تشمتهم بضربي الظالمين ۝ في رحمتك ز الاولى ان يوصل لان الواو للحال اي ادخلنا في رحمتك الراحمين ۝ الدنيا ط المفترين ۝ امنوا ط لظاهر ان والوجه الوصل لان ما بعده خبرها والعايد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور رحيم الالواح لا لاحتمال ما بعده الحال يرهبون التفسير لما امتن الله سبحانه اعادي بني اسرائيل بما نال

موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذي وعده فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فائدة التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهاني من الجائز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضرة موسى وحده والوعد الثاني لحضرة المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوايد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة انا لله وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر فصار ثلثين والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر فصار ثلثين والفرق بين الميقات ما قدر عليه والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدر ام لا وانتصب اربعين على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع انه شريكه في النبوة بدليل واشركه في امري والشريك اعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تاكيدا واطمينانا والا فانه لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددنا له كما يقال اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه للناس في كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول تحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لانه لا يبعد رؤيته عندنا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف العلماء ايضا في ان الله تعالى كلم الناس موسى وحده وهو ظاهر الآية او مع السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهوره لهذا المعنى لغيره قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك واجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك واراك عن ابن عباس ان موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارني انظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سال الرؤية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سالها قال القاضي فللمحصلين من العلماء في هذا المقام اقوال احدها قول الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم ان يكون موسى ادون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت على الله تعالى وبانهم يدعون العلم الضروري بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابي علي وابي هاشم ان موسى عليه السلام سال الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكدرون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بانه لو كان كذلك لقال موسى ارهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبان ذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يكن تاخيره مع انهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار ابي القسم الكعبي ان موسى سال ربه المعرفة الضرورية بحيث يزول عندها الخواطر والوساوس كما في معرفة اهل الآخرة ورد بانه تعالى اراه من الآيات كالعصا واليد وغيرهما ما لا غاية بعدها فكيف يليق به ان يقول اظهر لي آية تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يوجد لموسى فلم سعد الله تعالى عن ذلك ولقائل ان يقول منعه في الدنيا الحكمة عرفها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد تاكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل امر مطلوب للعقلاء وضعف

بانه كان الواجب عليه حينئذ ان يقول اريد يا الهي ان يقوي امتناع رويتك بوجوه زايدة على ما ظهر في عقلي ولقايل ان يقول هذا
تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الي لتناسب قوله انظر اليك والجواب لان موسى
لم يطلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل قوله ارني ومن حجج الاشاعرة انه تعالى علق رؤيته على امر جايز هو
استقرار الجبل والمعلق على الجايز جايز ورد بانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه للجبل ومنه جلوت
العروس اذا ابرزتها وظهر للجبل اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق
اخوان ومن قرا بالمد اراد ارضا دكا مستوية ومنه ناقة دكا مستوية السنام والدكاء ايضا اسم الرابية الناشزة من الارض كالدكة
والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتاييده قالت المعتزلة الرؤية امر محال
لقوله لن تراني وكلمة لن ان لم تفد التابيد فلا اقل من التاكيد وايضا الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه ان النظر الي محال فلا
تطلبه ولكن عليك بنظر الى الجبل الشاهد تدكك اجزائه وتفرق ابعاضه من عظمة التجلي واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان
قالت الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى حينئذ في الجبل حيوة وعقلا وفهما ورؤية وايضا قوله وخر موسى صعقا
اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه
فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك
انزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك اي تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح هو تنبيه
القوم على استحالة ذلك بنص مسموع من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الاشاعرة
وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سال الرؤية ومنعه الله اياها اخذ في تعداد
سائر نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى اني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا
دليل على جواز الرؤية في نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة
قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى وكان الغرض انه خصه من دون الناس بمجموع امرين الرسالة والكلام وساير
الرسل فقط وانما كان الكلام بلا توسط سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المماثلة لنا شتان بين من اتخذه
الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقربا وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب
والمراد بالرسالات ههنا اسفار التورية فخذ ما اتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بان تشتغل
بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم
النحر ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد
جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من
صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج
الى النقل الصحيح والا وجب السكوت عنه اذ ليس في الآية ما يدل على ذلك واما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها
جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل ايضا كما قلنا من كل شيء مفعول كتبنا ومن
للتبعيض نحو اخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل في الموعظة كل ما يوجب الرغبة في الطاعة و
النفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام الاحكام ويجوز
ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا له في الالواح موعظة من كل شيء وتفصيلا لكل شيء قيل انزلت
التورية وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي
كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على ارادة القول اي وكتبنا فقلنا
له خذها او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالة او للتورية بقوة بجد
وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما في التورية وجب كون الكل
مامورا به وظاهر قوله ياخذوا باحسنها يقتضي ان فيه ما ليس باحسن وانه لا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بان

منها ما هو حسن ومنها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان ياخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب
فيكون كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن و
كلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد ياخذوا
بما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من الشتاء ثم ختم الآية بالوعيد والتهديد فقال ساريكم دار الفاسقين قال
ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في اذهانكم لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة
والفراعنة الخاوية بالشام ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما اصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد و
ثمود واقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد بالوعد والبشارة بان الله تعالى سيرزقهم ارض اعدائهم ويؤيده ما قرئ ساورثكم
وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر بانه يعامل الفاسقين المتكبرين فقال ساصرف عن آياتي الآية فاحتج
الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله ساصرف للاستقبال والمصروفون الموصوفون
بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على
وجه العقوبة على التكبر والاعتساف ولا يكون العقوبة عن المعاتب عليه فوجب تاويل الآية فقال الكعبي وابو مسلم الاصفهاني
ان هذا الكلام تمام لما وعد الله به موسى من النصر والعصمة اي اصرفهم عن اياتي فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما انزل اليك الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل هؤلاء ساصرف هؤلاء المتكبرين عن
نيل ما في آياتي من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى
العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الايات آيات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا فقد
صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بها بعد ذلك فحينئذ يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه آخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم انه
اذا شاهد تلك الايات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن
ان من الكفار من يبالغ في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه مات قلبه وبني بالطبع والخذلان فالمراد بالصرف هؤلاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت
بركة الوحي قوله بغير الحق اما ان يكون حالا اي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله ليظهر العظمة
والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذي لا اصل له منه يعلم ان للمحق ان يتكبر
على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قاله الكسائي وفرق
ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وبفتحتين الاستقامة في الدين قال تعالى مما علمت رشدا
وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية انما كان لامرين كونهم مكذبين بآيات الله وكونهم غافلين عنها
ومحل ذلك الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب انهم كذبوا وكذا ثم بين ان اولئك المكذبين محرومون
من الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي جحدوا المعاد حبطت اعمالهم ثم قال
هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول ابي هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد ترك الواجب
وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا الآية دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك الواجب ليس بعمل اجاب ابو هاشم باني لا اسمي
ذلك العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزي اي يكفي في المنع عن المنهي وفي الحث على المامور به لكن العقاب على ترك الواجب كاف
في الزجر عن ذلك الترك فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلي فاستعاروها منهم
فاغرق الله القبط فبقيت تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة الاستعارة ايضا يصحح الاضافة
والحلي جمع حلي كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سالوا
موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك فقال قوم كان قد اخذ ترابا من حافر
فرس جبريل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم واله
موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل فانقلب لحما ودما مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وجه
مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الرياح فظهرت منه صوت يشبه خوار العجل وقال آخرون انه جعل ذلك التمثال
اجوف وجعل تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده

لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه او لان المراد باتخاذ العجل هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد
مضيه الى الطور وقال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الآية ولقول موسى في الدعاء رب اغفر لي ولاخي ولو كان غيرهما
اهلا للدعاء لاشركهم في ذلك وقال اخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقي ذهبا كما كان قال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار
والجسد اسم للجسم ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا لصورته واستبعده بعضهم ونازع في ان الجسد مختص بذي الروح ثم قال
ان ذلك الصوت لما اشتبه بالخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرا علي كرم الله وجهه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح
وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على فساد كون ذلك العجل الها بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون
متكلما هاديا الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا فمن كان مضلا اولى ان
لا يصلح ان يكون الها قالت الاشاعرة لو صح ان الاله يلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاد الها والحق ان الملازمة ممنوعة
فان الدعوى ليست الا ان كل اله فانه يجب ان يكون متكلما هاديا والموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي
في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن
عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج
اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال لحصل في يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي
النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وقال في الكشاف ان من شان من اشتد ندمه ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه
وقع فيها فاصل الكلام سقط فوه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فيه كما يحذف الفعل ويبنى للمفعول به في قولهم مر بزيد
وهذا من باب الكناية لانه عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل من عمل عملا يقدم الى ما عليه فذلك لاعتقاده ان ذلك العمل خير وصواب
وانه يورثه رفعة ورتبة فاذا بان ذلك العمل باطل وكان اخطا وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطا كان ذلك
منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ النادم كانه يتدارك الحالة التي لاجلها حصل الندم وكانه قد سقط في يده نفسه من حيث
انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وحكى الواحدي انه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه
الثلج فمن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من
سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف
ضد يده ورجله لمن لا يهتدي الى صلاحه وقيل انه يعني على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطاطئ راسه ويضع على
يده تحت ذقنه ثم قال تعالى وراوا انهم قد ضلوا اي تيقنوا ضلالهم كانهم ابصروه بعيونهم قال القاضي الكلام على التقديم والتأخير
لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطا والترتيب الاصلي لما راوا انهم قد ضلوا سقط في ايديهم ويمكن ان يقال الواو
لا يفيد الترتيب او يقال الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطا فاسد موجب للندم بكامل العلم فيظهر انه خطأ جزما ثم انهم
اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر ابونا آدم وحواء لئن لم يرحمنا ربنا الآية ولما رجع موسى الى قومه قال
بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول ابي مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله
غضبان اسفا فانه يدل على هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه
دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الميقات والاسف الشديد الغضب وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج عن
ابن عباس والحسن والسدي انه الحزين وقال الواحدي هما متقاربان واذا جاءك ما تكره ممن دونك غضبت واذا جاءك ممن هو
فوقك حزنت فكان موسى غضبان على قومه اسفا من فتنة ربه بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل او وجوه القوم هرون والمؤمنين
حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف التقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رايتم من توحيد الله ونفي الانداد او من بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف
عن اتخاذ الاله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله
فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء
قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشيء في اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم
فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لما اتى على راس الثلاثين ليلة فقد مات

وروي ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا
وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه
واعجله عنه ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به والقى
الالواح التي فيها التورية لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله اخي موسى ما الخبر كالمعاينة لقد اخبره
الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبره الله تعالى به حق وانه مع ذلك يتمسك بما في يده وروي ان التورية كانت سبعة اسباع فلما
القى الالواح ثابت القران فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا لانه جراة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء واقول الجراة تحصل بنفس الالقاء
لا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره فكل ما يحصل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسر واخذ براس اخيه اي بشعر راسه
يجره اليه بذوابته واعلم ان موسى عليه السلام كان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما القاء الالواح والآخر اخذ براس اخيه جاره اليه فزعم قوم ممن لم يثبتوا عصمة الانبياء
انه جر براس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل الاهانة والاستخفاف ثم انه عرف هرون خاف ان يتوهم
جهال بني اسرائيل ان موسى يفعل ما فعل به اهانة فقال ابن ام من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال
او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى ان امهما واحدة على ما روي انه كان اخاه لابيه وامه ليكون
ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفوني
استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني حين نهيتهم عن عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء الذين عبدوا
العجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال او لا تعتقد
اني واحد منهم ولا يخفى ما في بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر من الحدة قبل جلية الحال ولاجل ان عتابه فرط
في شان الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا فالغضب
ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وفي وقت نزول
الآية كان القتل واقعا واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على
وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز ان يكون الآيتان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك
الا ان يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الآية محذوف والذين اتخذوا
آباؤهم العجل يعني الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية
او غضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما قال بني قريظة والنضير او المقصود ان الذين اتخذوا العجل سينالهم لاولادهم وكذلك
نجزي المفترين اي كل مفتر في دين الله جزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن انس ما من مبتدع الا ان يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الآية
والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ظاهر الآية يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان
فما اصعب شان المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من اتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين
لعفو ستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت الا ان عفوه وكرمه اعظم واجل
ولما بين ما كان من موسى مع الغضب بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون الاستعارة
فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول الق الالواح وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء ومن حكم منهم ان المعنى سكت موسى
عن الغضب فقلب كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ
الالواح التي القاها تنبيها على زوال غضبه لانه اولى ما تقدم من امارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ
الكتب اي وفيما نسخ منها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى باعيانها بعدما القاها او قلنا انها تكسرت
واخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله تعالى
الالواح وفيها عين ما في الاولى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في المفعول لتقدمه فان تاخر
الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء و
سمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام نحو ردف لكم **التاويل** ثلثين ليلة لئلا يستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية
واتممناها بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى لاخيه هرون القلب عند توجه

لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين
من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في ذوق الروح من ذوق القيام الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى
ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع عليه كاسات الشرب اثر فيه سماع الكلمات فطال لسان انبساطه عند التمكن على
بساطه فقال رب انظر فقيل هيهات انت بعد في بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن تراني بعد انانيتك وخر موسى صعقا
بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها فقد كان ما كان من سر الالواح بر فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر
فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفة عند الفناء بالتجلي لما
امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استعد بالتجلي ولا بالتحلي كما نهم فلما افاق من غشية الانانية
بسطوع تجلي الربوبية قال موسى بلا صوتية سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلوتيات وانا اول المؤمنين بانك لا ترى
بالانانية وانما ترى بنور صوتيك برسالاتي وبكلامي دون رؤيتي من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سألت من الرؤية
لان الشكر يورث الزيادة والزيادة هي الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اي بقوة الصدق والاخلاص او
بنوة واعانة سأريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الآخرة او الدنيا ساصرف عن آياتي فحجاب التكبر
يحرم المتكبر رؤية الآيات واتخذ قوم موسى ان سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلي
زينة الدنيا وعورات البشرية التي استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعوا
الخلق به الى نفسه ولما سقط في ايديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى
ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص لم قائلة ان لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الآية غضبان مما عبدت صفات القلب
عجل الدنيا اسفا على ما فات لهما من عبودية الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل وانه من غير ان يامركم
به ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا في اثناء الطلب اللهم الا اذا قطعوا مفاوز
النفس والهوى ووصلوا الى الكعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعني ما لاح
للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعي واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء
طبيعة الروحانية قال ابن ام هما من اب وام واحد لوجهما الامر وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعها
وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني اوصاف البشرية استذلوني بالغلبات عند غيبتك وكادوا يقتلونني
فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فيه ان صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات
النفس وبعومانها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض تغير صفاته كما ان النفس لا
تتغير من حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والمطمئنة والرجوع الى الحق
ولو وكلت الى تسعطاطرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة الى ان الروح والقلب محل استعداد قبول الجذبة الالهية
يدخلهما بالسبق في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون ان الله اعطاهم قوة لا يضرهم عبادة الهوى والدنيا وشهواتها

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال

وبرگزيد موسى از گروه خويش هفتاد مرد را از براى وقت محدود ما پس گرفت ايشانرا بسبب هلاك زلزله گفت موسى

رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء

پروردگارا من اگر خواستى كه هلاك گردانى ايشانرا ازين پيش و مرا اى هلاك ميكنى ما را بانچه كردند آن نادانان

منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا

از ما نيست اين حالت مگر صورت آزمايش تو گمراه ميگردانى باين فتنه هر كرا ميخواهى و راه مينمائى هر كرا ميخواهى توئى دوست و ياور ما

فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه

پس بيامرز ما را و ببخشاى بر ما و تو بهترين آمرزگارانى و بنويس براى ما در اين

الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به

جهان نيكوئى و دران جهان نيز بدرستى كه ما بازگشتيم بتو بطاعت گفت خداى عذاب خود ميرسانم بآن

من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون

هر كرا خواهم و بخشايش من فراخست در دنيا و هر چيزى را پس زود باشد كه بنويسم آن رحمت را براى آنكسانى پرهيزكارى نمايند

ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون والذين

و بدهند زكوة و آنانكه ايشان بآيتهاى ما ايمان مى آورند و آنانكه

يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل

متابعت مينمايند پيغمبر فرستاده را كه نانوسنده آنكه مى يابند نعت او را نبشته نزد ايشان در توريه و انجيل

يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات

ميفرمايد ايشانرا بكار كردنى و باز ميدارد ايشانرا از كار ناكردنى و حلال ميكرداند بر ايشان لذيذها و آنچه در جاهليت بر خود حرام كردند

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي

و حرام ميگرداند بر ايشان چيزهاى كه خبيث است چون ميته و غيران و مينهد از ايشان بار تكليف ايشان و بندها كه بود

كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور

بر ايشان از كفار يا غير آن پس آنانكه ايمان آوردند باو و تعظيم نمودند او را و يارى كردند او را و متابعت نمودند

الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس

قرآن كه فرو فرستاده شد با نبوة او ايشان ايشانند رستگاران بگو اى مردمان

اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض

بدرستى كه من پيغمبر فرستاده خدايم سوى شما همه آن خدايى كه مر او راست پادشاهى آسمانها و زمين

لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي

هيچ خدايى نيست جز او زنده ميگرداند و مى ميراند پس ايمان آريد بخداى و پيغمبر او پيغمبر نانويسنده كه

يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون

ايمان آورد بخداى تعالى و كتابهاى او و متابعت نمائيد او را در آنچه فرمايد تا مگر شما راه راست يابيد

ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون

و از گروه موسى گروهى اند كه راه مى نمايند بصدق و صواب و بحق حكم ميكنند

القراءة عذابي اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون
على التوحيد **الوقوف** لميقاتنا للابتداء بكلم الجزاء مع فاء التعقيب واياي منا ليقدران النافية مع اتحاد القائل فتنتك
لان ما بعده مستانف ويهدي به من يشاء الغافرين اليك من اشاء للفصل بين الجملتين نظما ان تناسبها مع الاتفاق في

اللفظ كل شي للنبيين واختلاف الحلين والفاء الاستيناف وعدل على الخصوص يؤمنون لاحتمال ما بعده النصب او الرفع على المدح والجر
على البدل والانجيل لان يامرهم يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو يامرهم وان يكون نعتا اي مكتوبا امرا او بدلا من مكتوبا
او مفعولا بعد مفعول اي يجدونه آمرا او يكون التقدير الامي الذي يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة كانت عليهم ان لا بعد لان ما بعده
خبر فالذين المفلحون والارض لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اي استحق ملك السموات غير مشارك ويميت لطول الكلام والا فالفاء
للجواب اي اذا كنت رسولا فامنوا اجابته تهتدون يعدلون التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشي اذا اخذ
خيره وخياره ومن هنا سمي فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل
خيرا له من تركه قال النحويون اصله واختار من قومه فحذف الجار واوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى الى المفعول
الثاني بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا
استغفرت الله من ذنبي واستغفرته ذنبي وجوز بعضهم في الاية ان مراده بالقوم المعشرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو
المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا او بيانا قيل من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا
اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه
لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم
يجاوزوا الاربعين قد ذهب منهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات
ربه وللمفسرين خلاف في ان هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية ام غيره فالذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امره ربه
ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي
المراد من الرجفة في هذه الاية والذاهبون الى الثاني حملوا القصة على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد
ذكرنا هنالك ان منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس تقربة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل
واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم تمم الكلام بهذه
القصة فنظام الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا لخرم التناسب وعن علي رضي الله عنه ان موسى وهرون
الى شعب جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى
هرون فاحياه الله فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة حتى كادت تتفكك
مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قال في
الكشاف هذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني
قبل هذا اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما بذنوب
غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول اتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد
انه استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قيل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ناسب ان يقال اتهلكنا
بما قاله السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل وغيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير ميقات طلب الرؤية
ان هي الا فتنتك الضمير يعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند قاله الواحدي ولعله يعود الى مقدر
ذهني والمعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك او حين
اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدي به من تشاء فتثبت على الحق قالت الاشاعرة في
الاية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا
واهتدوا فكانه اضلهم بها او لعدم الايمان بانها من عند الله من تشاء وتهدي الى الجنة بها الاضداد ما قلناه من تشاء او المراد
بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت
فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكيرا ان قوله ان هي الا فتنتك جراة عظيمة فاشرك نفسه مع قومه في طلب المغفرة والرحمة وانت
خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب اوجب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الاخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقد فسرناها
في سورة البقرة واعلم انه لما كونه تعالى وليا للعبد ناسبه ان يطلب العبد منه دفع الضار وتحصيل النافع ليظهر آثار كرمه

والتمجيد وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختم بالسبب الثاني
وهو قوله انا هدنا اليك قال اهل اللغة الهود التوبة اي تبنا ورجعنا اليك وقد تم بذكر السببين عهد عزة الربوبية وعهد ذلة
العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم طلب المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين
قال الله تعالى في جواب موسى عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد علي اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب
علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه ساغ لكونه مفسدة وقراءة الحسن من اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شي
قالت الاشاعرة هذا من العام الذي يراد به الخاص وقال اكثر المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع و
لا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الاخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم
فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة
الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هنالك الم فله اعواض كثيرة واعلم
ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فساكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك
والتكليف الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم باياتنا يؤمنون فانه يجب ان يشمل كل ما
يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي ليحصل آخر وصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الاية صفات تسع
الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر قلنا لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه
فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا لقوله جاعل الملائكة رسلا وقد يكون نبيا الا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون احد الوصفين على
الاطلاق مغنيا عن الاخر ولو سلم فذكر الاخر تتميم وتصريح بما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال
صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئته يوم ولد لم يكتسب خطا ودراسة وكان
هذا من جملة معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وبيانه من وجوه الاول انه كان يقرا عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى
من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد ان يزيد فيها او ينقص فهذا المعنى من معد سماوي كقوله
سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة كان متهما بانه طالع كتب الاولين فلما اتى بهذا القران العظيم المشتمل على جلائل
العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الا الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى اتاه علوم الاولين والآخرين
وما لم يصل اليه احد من العالمين فالجمع بين هاتين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة
الذي يجدونه عندهم مكتوبا في التورية والانجيل الضمير في يجدون للذين يتبعون من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجدان
يراد به الاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا نعته في التورية اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرائعه قبل بعثته الى الخلق ويكون المراد من قوله
والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل فمن المحال ان يجدوه في الانجيل قبل انزال الانجيل وان كان المعاصرين فالمعنى
ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكوة وامن بالدلائل في زمن موسى واتبع نبي آخر الزمان في شرائعه وهذا
دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التورية والانجيل والا كان ذكر هذا الكلام من اعظم القوادح والمنفرات لاهل الكتابين
عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان يوجب نقصان حال المدعي ولا يرتكبه عاقل فلما اصر على ذلك دل على ان الامر في نفسه
كذلك الخامسة والسادسة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران ومجامع
ذلك محصورة في قوله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا
تاما وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل اي
ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعني الاشياء التي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات
وفايدة العدول ان يعلم ان كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما يستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل
يعني ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من المحرمات
وقيل كل ما يستخبثه الطبع فالاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي
يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في
شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية ولقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق

الضيام وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وعن عطاء كانت بنو اسرائيل
اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما نقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على السارية
يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفي الآية دلالة على ان الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله
عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات المذكورة اكد الايمان به وبقوله فالذين
آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه ونصروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير
الضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وعلى هذا لم يتوجه بين قوله ونصروه فرق كثير
واتبعوا النور الذي انزل معه وهو القرآن اي انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن او يتعلق باتبعوا اي اتبعوا
القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته او اتبعوا القرآن كما اتبعوا النبي مصاحبين له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون
بالمطلوب في الدارين اعلم سبحانه لما قال فساكتبها للذين يتقون بين ان من شرط نزول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين
لرسول آخر الزمان ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال
من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم العيسوية اتباع
عيسى الاصفهاني ان محمدا رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان
يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب
والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين لقوله رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى
يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده
فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم عن الاصناف الثلثة ايضا حكم عليهم فبهذا الاعتبار يدخلون
تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الآية وان دلت على انه
صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من
العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون وقد بان مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد احد
وبان ادم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان فيكون مبعوثا الى كل الناس وقيد ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين
محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية اخرى لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم
ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان ادم لم يكن مبعوثا الى كل الناس وقيد ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين
محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان
يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان ادم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرف التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقربا
ثم لما امر رسوله بان يقول للناس اني رسول الله اليكم اتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا تتم الا بتقرير اصول
اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثرا
او كان له موثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يكن القول ببعثة الرسل ومحل الذي نصب ورفع على المدح او جر بدلا او
وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الاهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الآخر
وثالثها انه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والحساب كما قال يحيي ويميت وانما لم توسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا
منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلثة ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق
بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان منفردا منزها
عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته
ايصالا له الى الجزاء والى لذة الاجر بدون كونه اجرا امتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي
اقتصر من الصفات المذكورة ههنا على الامية لانها اجل الاوصاف وادلها على حقيته وذلك لم يتفق له مطالعة كتاب ولا
مصاحبة معلم لان مكة كانت بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه
ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن الذي يشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس ذلك الا بتاييد سماوي

فيض

فيض الهي ثم وصف بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي يجب ان يكون من آمن بالله وبكتبه وانما لم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله
اني رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن ان يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان الذي
وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا
للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم ان الكمالات اما نظرية واشار اليها بقوله فآمنوا واما عملية واليها الاشارة بقوله واتبعوه
والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من اقواله والثانية اشارة الى المستفادة من افعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب
عليه فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا ان يدل
دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصايصه ومعنى الترجي في لعلكم تهتدون قد مر في نظايره لا سيما في اول البقرة في قوله لعلكم
تتقون ثم لما ذكر الرسول وانه يجب على الخلق متابعته ذكر ان في قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق اي يهدون الناس بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وهذه الامة متى حصلت وفي
اي زمان كانت اختلف المفسرون في ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله
بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شان كما اطلق على الواحد في قوله ان ابرهيم كان امة
وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل في زمن تفرق بني اسرائيل
واحداثهم البدع ويجوز ان يكونوا اقاموا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا في دينه ويجوز ان يكونوا اهلكوا قبل ذلك وقال
السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا
واعتذروا اليه وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء
الصين ثم من المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن بناء على ان خبر نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم
من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان خبر هذه الشريعة طار في كل افق وتغلغل في كل شيء فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون
يستقبلون قبلتنا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل
هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم
احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير
الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت والله اعلم التاويل واختار
موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذي اختاره الله كان مثل موسى و
انا اخترتك والذي اختاره موسى كانوا مستحقين لسوء الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي ان طلب موسى عليه السلام
لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط
القرب بقوله رب ارني انظر اليك قدم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية
فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا
فاخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار
صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله
فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنة واختبارا لهم فقال ان هي الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم
قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد صلى الله عليه وسلم فساكتبها يعني
حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نصاب هذا المقام الزكوة الى طلابه والذين هم بانوار شواهد
الآيات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى ان في امته من يكون مستعدا
لاتباعه في هذه المقامات الثلثة ومعنى الامي انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال صلى الله عليه وسلم اول
ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك الكون فاما اتباعه في مقام الرسالة فبان تاخذ منه
ما آتاك وتنتهي عما نهاك ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة
مع الخواص في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة في الظاهر يفتح بركة
ذلك احوال النبوة في الباطن فيصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية

وربما يؤول حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة لعله يصير مامورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال
كما قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتباعه في مقام امته فذلك لاخص الخواص وذلك انه صلى الله
عليه وسلم يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحي انزل في مقام التوحيد وهو قاب قوسين
ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى او ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن
يرجع بالسير من متابعته من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة انزل في مقام التوحيد ثم اختطف بانوار
المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد خطى من مقام امته مكتوبا عندهم وبالحقيقة هو مكتوب عنده في مقعد صدق يامرهم بالمعروف
وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث
الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم اي العهد الذي من الله وبين حبيبه ان لا يوصل الى مقام امته الا امته واهل شفاعته
كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابرهيم فكان هذا العهد عليهم شدة واغلال يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع
النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته واشار الى هذا المقام بقوله فالذين آمنوا به وعزروه و
وتروع باعتقاد اختصاص هذا المقام بدون سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذي معه ملك السموات
القلوب وارض النفوس لا اله الا هو يحيي ويميت يحيي قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكلماته هي ما
اوحى اليه ليلة المعراج بلا واسطة ومن قوم موسى امة يهدون بالحق يعني خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق
على موسى وبه يعدلون في الحكم بين العوام فشتان بين امة غايتهم القصوى هداية الخلق وكان منهم مجوا ايجاب الامانية عند سؤال
الروية فاجيب بلن تراني وبين امة امية بلغوا بجذبات انوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا امة امين وقال في حقهم
كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق فلهذا دعا موسى عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلني من امة محمد شوقا الى لقائه فافهم جدا

وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى
وجدا كردانيديم ايشانرا حال آنكه دوازده گروه بودند فرزندزادگان يعقوب گروه گروه و وحي فرستاديم سوي موسى
اذ استسقيه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه
چون طلب آب كردند ازو گروه او كه بزن بعصاي تو سنگ را پس روان شد ازو
اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا
دوازده چشمه بتحقيق دانست هر مردمانى آبخورش خويش را و سايه بان ساختيم
عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا
بر ايشان ابر را و فرو فرستاديم بر ايشان ترنجبين و مرغ بريان گفتيم بخوريد
من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
از حلالهاي طعامها آنچه روزي داديم شما را و ستم نكردند بر ما وليكن بودند كه بر تنهاي خود
يظلمون • واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
ستم ميكردند و چون گفته شد مر ايشانرا ساكن شويد درين ديه بيت المقدس
فكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
بخوريد ازان ديه هر جا كه خواهيد و بگوييد [illegible] و درآييد از در

سجدا نغفر لكم خطئاتكم وسنزيد المحسنين • فبدل
سجده كنان ببخشيم تا بيامرزيم مر شما را گناهان شما را و زود باشد كه زياده گردانيم ثواب نيكوكاران را پس تغيير كردند
الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم
آنانكه ستم كردند از ايشان گفتاري جز آنكه گفته شده بود مر ايشانرا پس فرستاديم بر ايشان
رجزا من السماء بما كانوا يظلمون • واسئلهم عن القرية
عذابي را از آسمان بسبب آنچه بودند كه ستم ميكردند و بپرس ايشانرا از مردمان ديه
التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم
كه بود نزديك درياي مغرب ايله يا مدين با طرف چون از حد فرمان درگذشتند در شنبه چون مى آمد بايشان
حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك
ماهيان ايشان در روز شنبه كردن ايشان حال آنكه ظاهر بودند و در آن روز كه شنبه نميبودند نمي آمدند ماهيان ايشان همچنين
نبلوهم بما كانوا يفسقون • واذ قالت امة منهم لم تعظون
بيازموديم ايشانرا بدانچه بودند كه خروج مينمودند و چون گفتند گروهي از ايشان چرا پند ميدهيد
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة
گروهي را كه خداي هلاك كننده ايشانست يا عذاب كننده ايشانرا عذاب سخت در آخرت گفتند در جواب موعظت ما عذر انگيزيست
الى ربكم ولعلهم يتقون • فلما نسوا ما ذكروا به
سوي خداوند شما و تا مگر ايشان پرهيزكاري كنند پس آنگاه كه فراموش كردند آنچه پند داده شده بدان
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
نجات داديم آنانرا كه منع ميكردند از بدي يعني ماهي روز شنبه و گرفتيم آنانرا كه ستم ميكردند بعذابي
بئيس بما كانوا يفسقون • فلما عتوا عما نهوا عنه
سخت بدانچه بودند كه نافرماني ميكردند پس آنگاه كه گردن كشيدند از آنچه باز داشته بودند ازو
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين • واذ تاذن ربك ليبعثن
گفتيم مر ايشانرا كه بشويد بوزينگان دور رانده شدگان و چون فرمان داد پروردگار تو كه هرآينه فرستد
عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع
بر ايشان [illegible]

العقاب وانه لغفور رحيم ● وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون
عقوبت کننده است و بدرستی که هرآینه آمرزگارست مهربان و متفرق گردانیدیم ایشان را در زمین حال آنکه گروهان بودند از ایشان اند بسامان کاران

ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
و از ایشان اند قومی فرود آن از کفار و فسقه و تشبه آزمایش نمودیم ایشان را بحالات نیکو و حالات بد یعنی بنعمتها و محنتها تا مگر ایشان

يرجعون ● فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
باز گردند بحق پس باقی ماند بجای ایشان بازماندگانی که بمیراث گرفتند توریة را

ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم
فرا میگیرند بطریق رشوت بر تحریف حطام و خواست این جهان نزدیکتر را و میگویند زود بود که امرزند مارا و اگر آید بایشان

عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا
حطامی مانند آنچه گرفته باشند فرا گیرند آیا نگرفتند بر ایشان عهد توریت که

يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير
نگویند بر خدای مگر راستی و صواب را و خواندند آنچه در توریة است و سرای آن جهان بهتر است

للذين يتقون افلا تعقلون ● والذين يمسّكون بالكتاب
مر آنرا که پرهیزکاری نمایند آیا پس درنمی یابند و آنانکه تمسک نمایند باحکام توریة

واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين ● واذ نتقنا الجبل
و بپای دارند نماز را بدرستی که ضایع نگردانیم مزد بسامان کاران و چون از جای برداشتیم کوه طور را

فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا
بر زبر ایشان گوییی آن سایه بانی بود و گمان بردند که آن کوه نازلست بر سر ایشان گفتیم فرا گیرید

ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
آنچه دادیم شمارا بجد و عزیمت تمام و یاد آرید آنچه در آن کتابست تا مگر شما پرهیزکار شوید

الوقوف تغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموعا جمع التكسير ابو عمرو خطيئتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطيئاتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذي يليق بجمع سلامة المؤنث يسبتون من الاسبات ابو زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئيس مثل ديم ابو جعفر ونافع بيئس على فيعل كسيد ابن عامر بئس على فيعل بفتح العين الاعشى والبرجمي الباقون بيئس على فيعل تأذن بالتليين الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك ابو بكر وحماد الاخرون بالتشديد

الوقوف اما وان اتقيت الجملتان لان اوحينا عامل اذا استسقيه دون قطعنا فان تفرق الاسباط لم يكن في زمان الاستسقاء الحجر للحذف مع اتحاد الكلام اي فضرب فانبجست عينا والسلوى ما رزقناكم لحذف جمل اي قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا يظلمون خطاياكم المحسنين يظلمون البحر كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله وسلهم فانه محال لانهم لاحتمال تعلقه كذلك به اي يوم لا يسبتون لا تاتيهم ايتانا كاتيانها يوم السبت والاصح ان كذلك صفة مصدر محذوف اي نبلوهم بلاء وكذلك نا لوقف على كذلك جائز ايضا يفسقون قوما لان الجملة بعد صفته شديدا تتقون يفسقون خاسئين العذاب رحيم نصف الحزب اما لاحتمال كون ما بعده صفته او مستانفا دون ذلك للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفته لام كان عطفا مع عارض يرجعون سيغفر لنا ياخذوه ما فيه تتقون تعقلون الصلوة على تقدير حذف اي لا نضيع اجرهم انا لا نضيع ادم المصلحون ولا نضيع اجر المصلحين وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اي لا نضيع اجرهم المصلحين السبع الثالث واقع بهم لحق المحذوف تتقون

التفسير انه سبحانه ختم قصة بني اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا وفرقا وميزنا بعضهم عن بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط نبت يعلفه الابل فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز ما عدا العشرة الى تسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثني عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله شعر تبقلت في اول التبقل ● بين رماحي مالك ونهشل ● ولهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة والمميز محذوف كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقي الاية الى قوله بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره في البقرة وكذا بيان المتشابهات فلنذكر النوع الاخر من احوالهم سبحانه وسئلهم عن القرية اي عن اهلها وليس المقصود بمعرفة هذه القصة من قبل اليهود لانها معلومة للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم بما كانوا اقدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك وليس كفرهم بمحمد اول مناكيرهم و قد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم به من لم يقرا كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا والاكثر على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا من القرية بدل الاشتمال اي وسلهم عن وقت عدوانهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر في وقت العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تاتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدل لا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شيء دان من شيء فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اي دنت من المغيب فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد ان اليهود امروا باليوم الذي امرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على من اطاع الله تعالى خفف الله احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر اسباب الشرور

النوع الثالث

قوله اذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مدمرهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شوم والمنهمك في الفساد لا يكاد يفلح قالوا معذرة من رفع فتقديره هذه او موعظتنا او قولنا ابلاء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة او وعظناهم معذرة الى ربكم اي اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجو ان ينفع بعض الابقاء فيتركوا الصيد في السبت فلما نسوا اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراءات شديد من بؤس يبؤس باساءة اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المذكور في قوله فلما عتوا تكبروا وتمردوا وابوا

عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهي عنه يكون طاعة قلنا كونوا لهم قردة خاسئين فالمراد امر التكوين والايجاد لا ان
هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله وخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في
الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان
المذنبة والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون قوما فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
بزعمكم والاعتراض على هذا القول انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقال في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب
من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح انهم ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة لم تعظون اما المذنبة فقد هلكوا
بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة عن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول فيهم ليت شعري ما فعل بهؤلاء
وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الاية بكى وقال ان هؤلاء الذين سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء
ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بان الله سيهلكهم او يعذبهم وانما تركوا
الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي ولعل
الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء ولعلهم كانوا احرص الطائفتين ولعل الامة سألوا عن علة الوعظ سؤال
المسترشدين لا سؤال المنكرين والله تعالى اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم
ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكانه يؤذن النفس بانه يفعله واجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله
ولذلك اجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد
واختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على ان لهم نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه نسخ المتعدين والحق الذل
بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر
واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره
وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وفي قريظة والنضير واذ قد اخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد
ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل والخبر المروي في ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح معناه انهم كانوا قبل
خروجه يهودا ثم دانوا بالهيته فذكروا بالاسم الاول وانما يكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين
النوع الخامس وقطعناهم في الارض امما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا
في زمن موسى يهدون بالحق والذين هم وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به دون
ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه فنحو ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كانوا دون من صلاح الاولين الا ان
قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضلالتهم الى الرشاد ومحل دون ذلك رفع على انه
صفة موضوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلي المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات بالجدب والشدائد
لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة النعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره
يدل على ان الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف من بعد اولئك الصلحاء خلف قال السدي الجوهري الخلف القرن بعد القرن
يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال الاخفش وقد تحرك ومنهم من يقول خلف سوء من ابيه بالتسكين وخلف
صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد شعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم ٭ وبقيت في خلف كجلد الاجرب ٭ والخلف
الردي من القول يقال سكت الفا ونطق خلفا اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم بخطاء ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد
سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى
يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وفي الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير وتخسيس واراد
بالدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في تحريف الاحكام والنعوت
ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه يأخذون وان يأتهم
عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن

هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ومحل ان لا
يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان للميثاق المذكور في التورية وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى او لا
يقطعوا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك خروج من ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق
ويجوز ان يكون ان لا تقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل
لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه اي انهم
ذاكرون لما اخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم لما ذكر
حال من ترك التمسك بالتورية اتبعها حال من تمسك اي اعتصم به فقال والذين يمسكون الاية والتشديد للتكثير وفي افراد اقاموا
الصلوة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا
قال ابو عبيدة اصل النتق قلع الشيء عن موضعه والرمي به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمي باولادها رميا والمعنى
واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلناه فوقهم كانه ظلة وهي كل ما اظلك من سقف او حائط وظنوا انه واقع بهم علموا وتيقنوا
انه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا روي انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية فرفع الله الطور على رؤسهم
مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا
على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة
التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التورية
الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا اي على ارادة القول اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه
واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي او من التعريض للثواب او المراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او اذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء التأويل
القرية التي كانت حاضرة البحر هي قرية الجسد الحيواني على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحاني
كصفات الروح وصنف قلبي كصفات القلب وصنف نفساني كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعي
البشرية في سبت محارم الله فلم ينتهك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع
فتهيج الدواعي في المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون اي بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن امر الله لانها امارة بالسوء
اذ قالت امة منهم هي صفات القلب قالوا الصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات والشهوات
او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانه خلقنا هكذا آمرين
بالمعروف ناهين عن المنكر فنقضي ما علينا ليعلم انا ما غيرنا من اوصافنا الروحانية والملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون فيتصف
بالمأمور به والاطمينان فانها قابلة لذلك العذاب سره هو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح الى القلوب
الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيامة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذل الخدمة
للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون القابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول
وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهي المعاصي لعلهم يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتقدم بتقديم الطاعة ويقدم ترك المعصية
ومن قيل خطوتان وقد وصلت او بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة
الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها كما كان حال آدم فخلف من بعد الارواح والقلوب لما
سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلف هم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب
من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة للعروض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات
ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة او سيغفر لنا اذا استغفرنا وهم لا يستغفرون
باللسان لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى طبعه ونفسه لا يقبل شيئا من الامور الدينية وانما يعان على
القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس اهل الطلب جبل امر الحق وهو اما التحصيل فيحصل لهم بالقدرة الى ان يأخذوا ما آتاهم
الله تعالى بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم
و یاد کن یا محمد چون گرفت پروردگار تو از فرزندان آدم از پشتهای ایشان فرزندان ایشان را و گواه گرفت ایشان را
على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا
بر نفسهای ایشان آیا نه ام من پروردگار شما گفتند آری تو خداوند مایی گواهی دادیم تا نگویند
يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين • أو يقولوا إنما
روز قیامت بدرستی که ما بودیم ازین کار بیخبران یا گویند بدرستی که
أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا
شرک آوردند پدران ما ازین پیش و بودیم ما فرزندانی از پس ایشان آیا پس هلاک میکنی ما را
بما فعل المبطلون • وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
بانچه کردند باطل کاران و همچنان تمیز میکنیم دلایل را تا مگر ایشان
يرجعون • واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
بازگردند با حق و بخوان بر ایشان خبر آنکه دادیم او را آیتهای ما پس عاری شد از آن
فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه
عمل نا کردن بر آن پس در رسید باو دیو پس شد از گمراهان و اگر خواستیمی هر آینه بلند مرتبه گردانیدیمی
بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هويه فمثله كمثل
بسبب آن و لیکن او میل کرد بسوی دنیا و متابعت نمود هوای باطل خود را پس داستان او چون
الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل
داستان سگ است اگر حمله کنی بر او زبان از دهان بیرون افکند و اگر بگذاری او را زبان از دهان بیرون افکند اینست داستان
القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
گروهی که تکذیب کردند آیتهای ما را پس قصه خوان قصه ها را باشد که ایشان اندیشه کنند
ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون
بد است از روی داستان گروهی که دروغ داشتند آیات ما را و بر تنهای خود بودند که ستم میکردند
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون
هر که را راه نماید خدای پس او راه یافته است و هر که را گمراه کند پس آن گروه ایشانند زیانکاران

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون
و بحقیقت آفریدیم برای دوزخ بسیاری را از پریان و آدمیان مر ایشان راست دلهایی که در نمی یابند حق
بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون
بان و مر ایشان راست چشمهایی که نمی بینند بان و مر ایشان راست گوشهایی که نمی شنوند
بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون • و
بان ایشان چون بهایم اند بلکه ایشان گمراه تر اند از بهایم ایشان ایشانند بیخبران
لله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه
مر خدا راست نامهای نیکو پس بخوانید او را بان نامها و بگذارید آنان را که میل میکنند از صواب در نامهای او
سيجزون ما كانوا يعملون • وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه
زود باشد که جزا داده شوند بانچه بودند که میکردند و از آنانکه آفریدیم گروهی اند که راه می نمایند بحق
يعدلون • والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من
و براستی حکم میکنند و آنانکه تکذیب نمودند آیتهای ما را زود باشد که بآهستگی بگیریم ایشان را
حيث لا يعلمون • وأملي لهم إن كيدي متين
از جایی که نمی دانند و مهلت میدهم ایشان را بدرستی که مکر من محکم است

القراءة ذريتهم على التوحيد حمزة وعلي وخلف وابن كثير وعاصم سوى المفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة في الحرفين
ابو عمرو يلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء و
الحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرأنا مظهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز
ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز **الوقوف** انفسهم لان التقدير وقال
الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم ضلا بين السؤال والجواب بلى لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق
ان بمحذوف اي فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اي قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا
فيكون منفصلا من كلمة بلى ومتصلا بان يقولوا غافلين للعطف من بعدهم لابتداء الاستفهام واتحاد القائل المبطلون يرجعون
الغاوين هويه لان قوله فمثله مبتدا ولدخول الفاء فيه كمثل الكلب لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير المثل او تتركه
يلهث بآياتنا يتفكرون يظلمون المهتدي للعطف ولان الفصل بين الجملتين ابلغ في التنبيه الخاسرون والانس والوصل
اولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها لان العطف صحيح ولكن الوقفة لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا
كرر لفظه لهم في اول كل جملة لا يسمعون بها اضل الغافلون فادعوه بها لعطف المتفقين في اسمائه يعملون
يعدلون يعملون وعطف فاملي على سنستدرجهم احسن من جعله مستانفا فيوقف على املي لهم متين **التفسير** لما
شرح قصة موسى على اقصى الوجوه ذكر ما يجري مجرى التقرير الحجة على جميع المكلفين وفي الآية للمفسرين قولان **احدهما** ما روى
مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى
خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج

منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله
بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب
وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الآية بانه تعالى اخرج
الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة
ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب
صنعه فكانه قرّرهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع
في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الشاعر امتلأ الحوض و
قال قطني وهذا القول الثاني غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فيه انما الكلام في صحة القول الاول والمنكرون طعنوا
فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم وعلى هذا فلم يذكر
تعالى انه اخذ من ظهر آدم شيئا ويمكن ان يجاب بانه تعالى يعلم ان الشخص الفلاني يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر على الترتيب
الذي علم دخولهم في الوجود فيخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر
آدم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للآية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يكن اخذ الميثاق
منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا تلك الحالة في هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه نبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك
انا اذا كنا في ابدان اخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع في مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل في اسرع
زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها ان جميع الخلق من اولاد آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع
على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا
عظيما في الجثة واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا في الحيوة والعقل فمن الجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة
اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم في ذلك الوقت او في الدنيا والاجماع منعقد على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب
والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر واجيب بانه لا يسأل عما يفعل
وان المعتزلة اذا ارادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة في تمييز السعداء
من الاشقياء في وقت اخذ الميثاق لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ومنها انه سبحانه قال
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون اولئك الذر اناسا ينافي
كون الانسان مخلوقا من الماء والطين والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرية من الماء ثم يعيدها مرة اخرى
ويعلمها الى كرّ نسلها ثم يعدم الكل او يميتها فيحصل الحيوة للانسان اربع مرات اولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها
في القبر ورابعها في القيامة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين واحد ولا ينافي هذا حكاية كلام الكفرة ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قوله ان يقولوا انا كنا فتقديره واشهدهم على انفسهم
كيلا او لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم
المخاطبون في المعنى او يقولوا يعني الكفار انما اشرك آباؤنا من قبل فاشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك وكان الذنب لاسلافنا فكيف
تعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك
بهذا العذر وعند المعتزلة معناه اشهدنا عليهم كراهة ان تقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة
على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال في الكشاف المراد ببني
آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذريتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم
المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة في شان اليهود وكذلك قوله واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اما
قوله وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق ويعرضوا
عن الباطل او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية
موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب

وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومات بما يتذكر بالتذكير وبنا لا يتذكر
واتل عليهم على بني آدم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعور وذلك ان موسى عليه السلام
قصد بلده الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم
فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يا رب
باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم
الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال ايضا انه كان
نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى عليه السلام انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم
حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه من سائر عبيده لمزيد الشرف و
الفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت
في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا ان يكون هو فلما ارسل الله محمدا
صلى الله عليه وسلم حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
ولقد كاد ان يسلم وذلك انه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض واحوال الآخرة والجنة
والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام
خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وسلم فمات هنالك طريدا
وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب وكانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسن والاصم وروى عكرمة
عن ابن عباس قال هو رجل اعطي ثلث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد و
كانت لها صحبة فقالت اجعل لي منها دعوة واحدة قال لك واحدة فماذا تامرين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل
امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا آخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة
فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها
الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس
وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثر
علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج برغبته الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال
لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها اي بيناها فلم يقبل وعري منها وتباعد
كما هو شان كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان الشيء موجودا
فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الآية نزلت في انسان كان عارفا بدين الله ثم خرج
من المعرفة اي الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان خطواته
او كفاره الاثر وغوايته اي الشيطان جعل كفاره الاثر اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه
الى منازل الابرار بها اي بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه لزم الميل الى الارض
ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال
الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض
وسائر متاعها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه انه اعرض عن
التمسك بما آتاه الله من الآيات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه اخلد
الى الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظه وتدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر
وقال الجبائي معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بان تحترمه وتزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى يسلم له الرفعة لكنا عرضناه
بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فابى ان يستمر على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان يحال بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا
ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وقال صاحب الكشاف معناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ
منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة

لها وسببه عنها كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا انه مال الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو فعله
فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في
اخس احواله وارذلها في هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في
الحالين ويجوز ان يكون تفسيرا للمثل كما من قال الليث اللهث هو ان الكلب ونحوه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر انه يدلع
لسانه من العطش وكل شيء يلهث فانه يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة
بل للطبيعة الخبيثة فمعنى الآية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ان ذلك الفعل القبيح طبيعة
اصلية له وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث
كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل واعلم ان التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو
الكلب واخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل انه يورد عليهم
انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن في قلبه
من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحال ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا
ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيثة وايضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال
والخسار عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل جميع المكذبين
الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا
يدعوهم الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرأوا نعت رسول الله
في التورية وذكروا القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب بعثته وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذ ساروا
نحو سيرته ثم ذكر تاكيدا آخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا بد من تقديره مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير
التقدير ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الآية يقتضي كون المثل
مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم بايات الله
واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على
كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا
الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم تتعدها الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال
بتقديره فقال من يهدي الله فهو المهتد فهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون فانه محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع لان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل
الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى ان ظاهر الآية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلال بل جميع الاعمال بخلق الله
تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن طريق الجنة وقال
بعضهم التقدير من يهده الله فيقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف و
زيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه بسوء اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان يؤثر
فيه فهو الخاسر وزيف بالعلم والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعل
عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالآية بعدها وهي قوله ولقد ذرانا الى آخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم
فقد علم ذلك في الازل وخلاف معلومه محال وايضا العاقل لا يريد الكفر والجهل لدخول النار فحصوله له
على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب لاستحالة انتقال العبد
انما يسعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه فظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع
في هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الايات الدالة على انه
سبحانه اراد من العبد الطاعة والعبادة من جملة كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم
لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخره ولو كانوا مخلوقين للنار مقهورين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما

كان له نعمة على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب العذاب الدائم لكن القرآن مملو من انه تعالى منعم على جميع الخلائق
وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم
في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وايضا الآية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد
فيها الا اذا قدر ولقد ذرانا لهم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره
يصح من غير حذف وعلى هذا وجب ان يأول الآية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
او يقال انه جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا في
بعض الامور والجواب اجمالا انه لا يسئل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسايط معتبرة وبان
وبان حمل اللام على العاقبة يجوز ولكن لا يصار اليه الا لضرورة تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلايل العقلية كالعلم
والداعي والنقلية كايات كثيرة على ان الكل من الله فوجب المصير الى طرف الجبر ولا سيما فان ما قبل هذه الآية وهو قوله من يهدي
الله فهو المهتد وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم يدل على ما قلنا وايضا لا ريب ان اولئك الكفار كانت
لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكانت اعين مبصرة وآذان سامعة فالمراد ما كانوا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع
الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
وفي شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يمكنه كنهه والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار
الانسان بل هو حالة حاصلة في القلب كره الانسان او اراده وحينئذ يثبت القول بالجبر وروى الشيخ احمد البيهقي في كتاب
مناقب الشافعي رضي الله عنه ان علي ابن ابي طالب خطب الناس فقال واعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة
واضدادها فان سنح له الرجاء ولهه الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له
الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته المصيبة قتله الجزع
وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط
له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال
القلب فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر
وذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت
فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري اجبنا وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت
ان تشاء شيئا شئت وان شئت ان لا تشاء لم تشاء ما اظنك تقول ذلك والا لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فلا مشيتك
بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيتك بك وانما انت مضطر في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه
والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة
الانانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح اما قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره
ان الانسان يشارك ساير الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة وفي احوال التخيل
والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي يهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا
لم يحصل هذه العلة للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون لان الذي اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة
على تحصيلها من حيث النوع كان اخس حالا ممن لا يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر
غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون
مصرون وقيل انها تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان
معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون
الكاملون في الغفلة عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول
جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب
اذا غفل عن الذكر واقبل على الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة او من طلب الى
طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا انفتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الافات وحسرات الحسرات الى معرفة رب

رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلثة مواضع اخر في بني اسرائيل وفي اوايل طه وفي آخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن
معانيها ومفهوماتها لان اسماء الله تدل على معان الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره وافتقار غيره اليه وتقدم في
تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه في مخلوقاته اكثر
كان علمه باسماء الله تعالى الحسنى اكثر والان نقول ان من تقسيمات اسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله تعالى ثلثة
انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها
في حق الله مغايرا لمعناها في حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يجعل القسم الاول بقيد مخصوص مختصا من القسم الثاني
مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان يقال من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله
يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار
يا نافع ومنها ان يقال اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة
الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم دوام
العالم بدوامه والثاني هو المعنى بكونه قادرا ثم انا بعد هذا استدل بكون افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر
العالم يمتنع ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد
بعضها من بعض ومن البين ان الاسماء الحسنى لا يكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود وكل نقص
خساسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال وجلالة فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في انه
هل يطلق عليه اسم الشيء ام لا وقد تقدم تحقيق ذلك في تفسير البسملة وفي الانعام في قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه
بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لا مرين عزة
الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريم الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات و
الجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء واكبر من ان يقال له اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد في الدين ولحد وقال غيره من اهل
اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر قال الواحدي الاجود قراءة
العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى ملحد والالحاد في اسماء الله تعالى يقع على ثلثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام
كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمي نفسه بالرحمن الثاني ان يسموه بما لا
يجوز عليه كما سمع من البدو قالوا بجهلهم يا ابيض الوجه يا ابا المكارم يا سخي بناء على ان اللحية مدح الثالث ان يا بوا تسمية بعض
اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورد الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه
عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا في حق الانبياء لا يجوز ان يقال ان آدم عاص وغاو وان ورد
وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم لما اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون
للنار حكي ان بعضا منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الاية في قصة موسى عن قتادة
وابن جريج وابن عباس ان المراد في الاية امة محمد صلعم وروى الربيع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه
لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية فقال ان من امتي قوما
على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم اعاد
ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا باياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال
من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الاية سنقربهم الى ما يهلكهم
ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك انهم كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون
بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم اغفل ما يكونون واملي لهم اطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد
ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد
في مسئلة القضاء والقدر حتى قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا آخر وحملها المعتزلة
على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الاخرة وزيف بان هذا الاستدراج والاهمال مما يزيدا الكافر

به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادة من العقوبة بل كان يجب في حكمته
ورعايته للاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه في ورطة التكليف وامهله ومكنه من المعاصي مع
علمه بان كل ذلك لا يفيد الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم الاية **التأويل**
واذ اخذ ربك لم يقل ربكم لان في الاية عموما لا يطلع عليه غيره وغير من انعم الله به عليه من خواص متابعيه وانه تعالى لم يكلم احدا
وهو بعد في العدم الا بني آدم كلمهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون بجري بالجود ما جرى لا بالوجود فهذا بيانهم والى
هذا ينتهي فيه نهايتهم بان يكون الله تعالى سمعهم وابصارهم والسنتهم انما اشرك اباؤنا بان رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى
الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات
من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اي وقع فرخ همته العلية عن ذكر طلب الحق ومحبته فادركه همزة
الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب ان لا يأمن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب
النعم والتنعم ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا وهم مظاهر القهر فادعوه بها بان تتصفوا بصفاته بالينا تالصفات
وبالاعمال الزاكيات ثم تتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا باياتنا
بان لم يعاقبوا اقوالهم افعالهم سنستدرجهم فيخطون عن مراتبه بالتدريج والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين • اولم
آيا انديشه نكردند كه بدانند كه نيست بصاحب ايشان يعني رسول چيزي از ديو انكي نيست او مكر بيم نماينده پيدا • آيا
ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء و
ننكرستند در پادشاهي آسمانها و زمين و آنچه آفريد خداي از انچه اسم شيئيت بران اوقع بود
ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون
و آنكه شايد بود كه باشد بحقيقت نزديكست بود وقت وفات ايشان پس بكدام حديث پس از قرآن ميكرويد
من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون
هر كه كمراه كند خداي پس نيست هيچ راه نماينده او را و بگذارد ايشان را در سركشي ايشان حال آنكه سركشته باشد و متحير
يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا
مي پرسند ترا از قيامت كه كي خواهد بود وقت اثبات آن بكو بدرستي دانش آن نزد پروردگار منست
يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم
ظاهر نكرداند در وقت آن مكر خداي دشوارست معرفت آن در آسمانها و زمين نيايد بشما قيامت
الا بغتة يسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن
مكر ناكهان مي پرسند ترا كويي تو دايمي آن مبالغه كنند در ازان بكو بدرستي كه دانش آن نزد خداست وليكن
اكثر الناس لا يعلمون • قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء
بيشتر مردمان نميدانند بكو مالك نيم براي نفس خود هيچ سودي را و نه زياني را مكر آنچه خواهد

الله
تعالى

ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا
و اگر بودمی که دانستمی علم نهانی را هر آینه بسیار کردمی از نیکی و نرسیدی بمن هیچ بدیی و رنجی نیستم من
الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ● هو الذي خلقكم من نفس واحدة
مگر بیم نماینده و مژده دهنده مر گروهی را که بگروند ● او آن خدائیست که آفرید شما را از یک تن تنها یعنی آدم
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا
و بدید کرد از آن تن جفت او را از پهلوی او تا بیارامد با او پس چون نزدیکی کرد آدم با حوا بار
خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا
سبک پس آمد شد کرد بدان حمل حوا پس آنگاه که گران باشد خواندند خدا را که پروردگار ایشانست اگر دهی ما را فرزندی شایسته
لنكونن من الشاكرين ● فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء
هر آینه باشیم البته از سپاس داران ● پس آنگاه که بایشان داد فرزندی پدید کردند آن دو کس او را انبازانی خدای را
فيما اتيهما فتعالى الله عما يشركون ● ايشركون ما لا يخلق شيئا
در آنچه داد ایشان را پس بلند رتبت است خدای از آنچه شرک می آرند ● آیا انباز میگردانند با او آنکه نمی آفریند چیزی
وهم يخلقون ● ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون
و ایشان مخلوق اند ● و نمی توانند مر ایشان را یاری دادن و نه خود را یاری میتوانند داد
وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم
و اگر بخوانید ای مؤمنان مشرکان را براه راست متابعت ننمایند شما را یکسانست بر شما آنکه خوانید ایشان را
ام انتم صامتون ● ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
یا شما خاموشان باشید از خواندن ● بدرستی که آنان که می پرستیدشان از جز خدای بندگان اند مانند شما
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ● الهم ارجل
پس بخوانید ایشان را پس اگر اجابت نمایند مر شما را اگر هستید راست گویان ● آیا مر ایشان راست پایهای
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها
که میروند بآن یا مر ایشان راست دستهایی که سخت گیرند بآن یا مر ایشان راست چشمهایی که ببینند بآن
ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا
یا مر ایشان راست گوشهایی که میشنوند بدان بگو بخوانید انبازان شما را پس فریب نمایید بمن پس مهلت
تنظرون ● ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
مدهید مرا ● بدرستی که دوست یاری دهنده من خدایست که فرستاد قرآن و او متولی کار نیکانست

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا
و آنکه می پرستید شما از غیر خدای نمی توانند یاری کردن شما را و نه
انفسهم ينصرون ● وان تدعوهم الى الهدى لا
خود را یاری میدهند ● و اگر خوانید ایشان را سوی راه راست
يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ●
نشنوند و بینی تو ایشان را نظر کنند سوی تو و حال آنکه ایشان نمی بینند

القراءة نباي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباس والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان انا الا بالمد ابو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد الاخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الاخرون بالضم للاتباع كيدوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل تنظروني بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل ان ولي الله بياءات رويس والبرجمي الباقون بياءين اولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة الوقوف من جنة مبين من شيء لان التقدير وفي ان عسى اجلهم لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون هادي له لمن قرا ويذرهم بالرفع على الاستيناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون مرسيها عند ربي لاختلاف الجملتين الا هو والارض بغتة عنها لا يعلمون ما شاء الله من الخير لاحتمال ان يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال ان يفسر بالجنون الذي نسبوه اليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون اليها لاجل الفاء فمرت به لذلك الشاكرين فيما آتاهما لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون وهم يخلقون والوصل اولى للعطف ينصرون لا يتبعوكم صامتون صادقين يمشون بها لان ام عاطفة مع انها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها تنظرون الكتاب والوصل اولى ليكون الولي عاطفة الصالحين ينصرون لا يسمعوا لا يبصرون التفسير انه تعالى لما بالغ في تهديد الملحدين المعرضين عن اياته الغافلين عن التامل في بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا واعلم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة الى جهة المرئي كذلك رؤية البصيرة وهي المسماة بالعلم واليقين حالة متعينة في الوضوح والانارة ولها مقدمة هي تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفي اللفظ محذوف والمقدر اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة الجنون كالجلسة كان جهال اهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما انه صلى الله عليه وسلم كان تغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي تربد وجهه وتغير لونه والثاني ان فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم عن الحسن وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم باس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون واظب على الصياح الى الصباح فامرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر في امره وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلايل القاطعة بالفاظ فصيحة عجز الاولون والاخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة لعقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على دلايل التوحيد قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اي مد لولا انهما والملكوت الملك العظيم وفي انكار عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال لاسيما للعقل اليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية

دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما في سورة البقرة عند قوله ان في خلق السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا
العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين
من الاوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها وطبعها وطعمها وساير صفاتها كل واحد من هذه الاختصاصات لابد له من مخصص ولابد من
الانتهاء الى واجب واحد في ذاته وفي جميع اعتباراته وان عسى هي مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان
وفي ان يكون ضمير الشان ايضا والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم الموت
او القيامة واذا كان احد هذين الاحتمالين قايما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف
الشديد والخطر العظيم اما قوله فباي حديث بعده يومنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم
لايبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يومنوا
ولا دلالة في اطلاق لفظ الحديث على القرآن على انه ليس بقديم لان المراد بالحديث ما يرادف الكلام ولو سلم فانه محمول على
الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء و
القدر اتبعه الكلام في المعاد فقال يسئلونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الانام
ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الفرايض ومن السايل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد
اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى
الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها
او على العكس لطولها كما يقال للحبشي ابو البيضاء او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان استفهام عن الزمان
ويختص بالامور العظام نحو ايان مرسيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه
من اي فعلان منه واي فعل من اويت اليه لان البعض ياوي الى الكل وانكر ان يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان
واين للمكان ولقلة فعال في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسي اصله اي وان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي
ايوان فادغم بعد القلب وقيل اصله اي آن يعني اي حين فخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون باي ورد بان
آنا لا يستعمل الا بلام التعريف والمرسى بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل
ومنه رسا الجبل وارسيت السفينة ولا اثقل من الساعة على الخلايق قل انما علمها اي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها
عند ربي قد استاثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر
عن المعصية كما اخفى وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها اي لا يخبر عن وقتها قبل مجيئها احد الا هو والحاصل
انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن اي ثقل مجيئها على اهل
السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى اهل الارض لان في ذلك اليوم فنائهم وهلاكهم او ثقل هذا
اليوم على الخلايق لعلمهم بما فيه من الشدايد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اي اشكل واستبهم حتى صار
ثقيلا على الافهام لا تاتيكم الا بغتة الا فجاة على حين غفلة منكم وهذه الجمل موكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته
في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده لتقومن
الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسئلونك للتاكيد ولما نيط به من زيادة
قوله كانك حفي عنها وكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها
ولهذا خص باسم الله وفي قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة هو الله واما الرب فيدل على التربية والرحمة دون
الهيبة والعزة وفي الحفي وجوه فقيل انه البار اللطيف وعن بعضهم البار اي كانك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول
الحسن وقتادة والسدي والضمير على هذا يعود الى قريش التي ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى انك لا
يكون تحفيا بهم ما داموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص
كسائر ما اوحي اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسئلونك اي يسئلونك عنها كانك حفي اي عالم بها فحذف
قوله بها لطول الكلام او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفي فعيل من حفي فلان بالمسئلة اي استقصى والمعنى

كانك بليغ

بليغ في السوال عنها لان من اكثر السوال اعلم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى في المسئلة اذا الحف
وقيل المراد كانك حفي بالسوال عنها تحبه وتوثره يعني انك تكره السوال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر الله به ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان القيمة حق وانما يقولون ان هي الا حيوتنا الدنيا او لا يعلمون
السبب الذي لاجله خفيت معرفة وقتها المعين من الخلق ثم امر نبيه باظهار ذلة العبودية حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب
من قبل عدم العلم بالغيب فقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قدرة قاصرة وعلمه قليل وكل من
كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتج الاشاعرة بالاية في مسئلة خلق الاعمال قالوا
الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصلا الا بمشية الله تعالى واجابت المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا
قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه اذ ظاهر الاية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل
مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتري فتربح وبالارض التي تريد ان تجدب فترتحل عنها الى ما
قد اخصب فانزل الله هذه الاية فالمراد بالخير في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها
من الخصب والارباح والاكساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق توثر
في هذا ولا توثر في ذاك فكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق [illegible]
صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي لقومه الا تعجبون من
هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت
وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بالشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت اما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف
ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير ان انا الا عبد مرسل للنذارة و
البشارة وما من شاني ان اعلم الغيب وقوله لقوم يومنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير وهو للكافرين
محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا الا ان المومنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر
كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد
يعبد معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث ما تقدم النفع على الضر
فذلك لسابقة لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي
الفرقان يتقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبا يتقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن على هذا
ثم رجع الى تقرير امر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها نفس ادم وقد
تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء قال المجاهد كان لا يعيش لادم وامراته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه
عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث وذلك قوله تعالى آتاهما صالحا اي ولدا سويا جعلا يعني آدم وحواء له شركا
والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد زيفها النقاد لوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع
لا التثنية ومنها قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا الى اخر الايات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس
لكان المشركون ما لا يخلق شيئا ومنها ان ادم عليه السلام كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء ام كيف لم يعرف
ان اسم ابليس كان حارثا ام كيف لم يتنبه لعداوة ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه اراد بذلك اسم علم او صفة
والاول لا يستلزم محذورا لان اسماء الاعلام لا تفيد في المسميات فايدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا
قايل بامكان نسبته الى ادم فعند ذلك ذكر العلماء في تاويله وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعالى يقول هو الذي خلقكم من نفس
واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس فذكر بعد ما انث حملا على المعنى ولان الذكر
هو الذي يسكن الى الارض ويطمئن اليها وكان التذكير احسن طباقا للمعنى فلما تغشاها اي جامعها لانه اذا علاها صار كالغطا
لها حملت حملا خفيفا قالوا اي بدء النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او على راس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر او على الدابة فمرت
به اي استمرت ومضت على ذلك الحمل من غير ادراك وقيل فقعدت وقامت وقعدت به من غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم
تلق ما يلقاه بعض الحبالي من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا اي الزوج والزوجة
الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان

الذكور من الصلاح والجودة لنكون من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرا شركا فعلى حذف المضاف
اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا او المراد احدثا لله اشراكا في الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبايع وتارة الى الكواكب
وتارة الى الاوثان والاصنام **وثانيها** ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي هو
الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا في من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة
بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك **وثالثها**
سلمنا ان الآية وردت في قصة آدم الا انه لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم
قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم عليه السلم
كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليهما ونظيره ان ينعم رجل بوجوه كثيرة من الانعام فيقال لذلك المنعم عليه قصد
ايذائك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا وكذا واحسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر و
البغي والتبعيد او نقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركاء وكذا فيما آتاهما اي آتى
اولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين او ذكرا وانثى وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون
سلمنا ان الضمير في جعلا وفي آتاهما لآدم وحواء الا انهما كان عزمهما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا
ينتفعان به في مصالح الدنيا فاريد بالشرك هذا القدر وعلى هذا فانما قال تعالى الله عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات
المقربين او نقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم عليه عبدا للمنعم ومنه
قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد صارا معاتبين بذلك والله تعالى اعلم ثم اقام الحجة
على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال اتشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع
بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واحتج الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم
بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون لهم نصرا
وهم المعونة على العدو ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل ان الاصنام
لا تنصر من اطاعها ولا تنتقم من عصاها بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا تنفع ولا تضر فكذلك لا تعلم
لها شيئا من الاشياء وانها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح والاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
بدليل قوله فيما بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واعرابه شبيه بما
تقدم في اول سورة البقرة في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا
وقعوا في مهم ومعضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم
دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم ثم اكد بيان انها لا تصلح للآلهة بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فسئل
انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد واجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها
عقلاء وفيه ايضا نوع من الاستهزاء اي قصارى امرهم ان تكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم
عليكم فلم جعلتموها آلهة لكم وارباباً ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها آلهة ولام الامر
للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للمعبودية وانها والعباد سواء بل هم اخس وادون بدليل
قوله الهم ارجل يمشون بها الآية وذلك ان كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء والآلات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة
كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة المفضول الخسيس الدني وانما قلنا
كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح لم نعدم هذه الاشياء بالنسبة اليه
فضيلة وكمال فان القادر القاهر من غير افتقار الى آلة وعدة كان اشرف ممن يفتقر في افعاله الى الآلات فضلا عمن لا فعل
له ولا آلة فلا يرد اعتراض بعض اغمار المشبهة ان الله تعالى لو لم يكن هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الالهية ثم انهم
كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتريك بعض الهتنا بسوء فقال عز من قائل
لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون امر من الكيد فكيدوا فلا تنظرون نهي من الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم

جميعا وهذا اقول وانا واثق بعصمة الله ان لا ابالي بغير الله كائنا من كان ثم لما امره بالتبري حثه على التولي فقال ان وليي اي ناصري عليكم الله
الآية وفيه ان الواجب على كل عاقل عبادة الذي يتولى تحصيل منافع الدارين اما الدينية الاخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل
على العلوم الجمة واما الدنيوية فهي المراد بقوله وهو يتولى الصالحين اي من عادته ان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك ياس
المشركين ان يضره كيدهم يحكى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لاولاده شيئا فقيل له في ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين
فوليه الله فلا حاجة له الى مالي واما ان يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح
مهماته اقول وفي التعقيب بالآية الثانية نظر لانها حكاية كلام موسى اللهم الا ان يقال التقريب في الغرض ثم اعاد وصف الاصنام
بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه الآية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة
الفرق بين من تجوز له العبادة وبين من لا تجوز كانه قيل الاله المعبود يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست
كذلك فلا يكون صالحة للالهية وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الاسماع سمع ولا اسماع اجابة وتريهم بحسبهم ينظرون اليك لتشبهوا
الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئي وقيل الضمير
في قوله وان تدعوهم الى آخر الآية يعود الى المشركين لما رد ذكرهم في قوله قل ادعوا والمراد انهم بلغوا في الجهل والحماقة الى انك
لو دعوتهم واظهرت انواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم ينظرون الى الناس واليك ولكنهم لشدة اعراضهم
عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكانهم عمي كما حقق له في موضع آخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
التاويل اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول النظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب
الولوج والكشف حصول الايقان والعيان وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي
ابدع من غير شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يعني اجل فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا فباي
حديث بعده بعد النظر يؤمنون يسئلونك عن الساعة التي يظهر الله تعالى فيها آثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى
منه داع ولا مجيب فيجيب هو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الحيوة الابدية ودفع الحاجات
البشرية خلقكم من نفس واحدة هي الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن
فكان الروح يتشمم من القلب نسايم نفحات الطاف الحق حملت حملا خفيفا في البداية نطفه ادنى اثر من آثار الصفات البشرية في
القلب الروحاني فلما اثقلت كثرت آثار الصفات خاف الروح والقلب على انفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية
النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما
آتاهما صالحا جعلا اي الروح والقلب لهما شركا اي جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد
الخميصة وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيعون لهم نصرا اي لا يستطيع الدنيا ومن فيها للروح والقلب والنفس
تقوية وتربية الا بالله ولا انفسهم ينصرون للبقاء والدوام والله الموفق والملهم **قوله عز من قائل**

خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ۝ واما ينزغنك
فرا گیر آن را که سهل بود از اعمال وفرما بکردار نیک وروی بگردان از نادانان و مکافات ایشان مشغول واگر برجهد بتو

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ۝ ان الذين
از دیو اثر وسوسه پس پناه بر خدا ای بدرستی که او شنوا است بدرستی که آنانکه

اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
ترسیدند چون بایشان رسد آینده از دیو یاد آورند خداوند را باستعاذه پس ناگهان ایشان

مبصرون ۝ واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون
بینا باشند طریق سداد را وبرادران شیاطین مدد میمایند شیاطین ایشان را در ضلالت پس هیچ نقصان نمیکنند در اغوای ایشان

واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من

وچون نیاری تو بهایشان آیتی که ملتمس ایشانست گویند چرا از نزد خود نیاوردی آنرا بگو بدرستی که من متابعت می نمایم آنرا وحی فرستاده اند بمن

ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

از پروردگار من این قرآن سبب بینایی هاست دلهای شما را ودلالتست از پروردگار شما وراه راستی وبخشایشی مر گروهی را که ایمان آرند

واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون

وچون خوانده شود قرآن پس گوش فرا دارید برای آن وخاموش باشید تا مگر شما رحمت کرده شوند

واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو

ویاد آر پروردگار ترا در دل خود از راه زاری وترسیدن وفرود بلندی از گفتار در وقت بامداد در اغلاس

والاصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا

وآواخر روز ومباش از بیخبران از ذکر یا از عمل بدرستی آنانکه نزد حضرت پروردگار تواند از ملایکه

يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

گردن کشی نمی نمایند از پرستیدن او وبپاکی یاد می کنند او را وبرای او سجده می کنند

القراءة طيف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الاخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وامر مدغما ابو عمرو وعلي قرئ بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة في الوقف الوقوف الجاهلين بالله عليم مبصرون لان قوله واخوانهم مبتدا الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان اختلاف حال الفريقين لا يقصرون اجتبيتها من ربي لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ترحمون من الغافلين يسجدون سجدة التفسير لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم ارشد الى مكارم الاخلاق فالعفو الفضل وكل ما اتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي تستوفى من الناس اما ان يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه في نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وامر بالعرف وهو المعروف والعارف هو انه كل امر عرف انه لا بد من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه ولو اقتصر في هذا القسم على الاخذ بالعفو ولم يبذل في ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما هذا فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال اهل العلم تفسير جبرئيل مطابق للفظ الاية لانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا اعطيت من حرمك فقد امرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد اعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه ليس في القرآن العزيز اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية ولبعض المفسرين في تفسير الاية طريق آخر قال خذ العفو اي ما امرت به عفوا فخذه ولا تسال عما وراء ذلك فنسخت باية الزكوة وامر بالمعروف اي باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ واعرض عن الجاهلين اي المشركين وهذه منسوخة باية القتال والحق ان تخصيص اخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكوة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان آخذ الزكوة مامور بان لا ياخذ كرايم اموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وايضا لا يمتنع ان يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقاتلهم

واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال ابو زيد لما نزل قوله واعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي نخس ونخس جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده عن ابي زيد نزغت ما بين القوم اي افسدت ما بينهم واصله الازعاج بالحركة الى الشر واكثر ما يكون ذلك عند الغضب ونزغ الشيطان وسوسته في القلب بما يسول للانسان من المعاصي وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص من حول الشيطان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على اوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجه احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب ان كلمة ان لا تفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن اين علم انه قبل تلك الوسوسة عنه ولو سلم فمحمول على ترك الاولى ثم ختم الاية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني عليم ثم بين ان حال المتقين قد يزيد على حال النبي في باب وسوسة ابليس لان النبي لا يكون الا النزغ الذي هو كابتداء الوسوسة واما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف كالخاطر وجوز بعضهم ان يكون مصدرا كالعافية ولكنه بلا تاء والاصح انه اسم فاعل من طاف يطوف او من طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرا طيفا فهو اما مصدر اي لمة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين قال في الكشاف وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان والمام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف اي تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا وفي المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر الامور اما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما اقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه تلك الحالة في الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فحينئذ يفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب وايضا انه كم اساء في العمل وقد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه وانه اذا مضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية فاذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء ومستاهلا للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات واما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت والضمير المرفوع في يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين فيكون الخبر جاريا على من هو له والمعنى واخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اي يكونون مددا لهم في الغي ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال الواحدي عامة ما جاء في التنزيل مما يستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين وامددناهم بفاكهة اتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ويمدهم في طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الفتح الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشيء قال ابن عباس اي لا يمسك الغاوي عن الضلال والمغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المد فانه يجب على العاقل اذا اقبل على غي ان يمسك عنه سريعا الا ان يتمادى فيه وينهمك ولهذا قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال واذا لم تاتهم باية وذلك انهم كانوا يطلبون آيات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ثم انه تعالى صلى الله عليه وسلم ما كان ياتيهم بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها فقال الاجتباء الشيء معناه جباه لنفسه اي جمعه اليه فاجتباه اي اخذه والمعنى هلا افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر او المراد هلا اخذتها واقترحتها على الهك ومعبودك ان كنت صادقا في ان الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك وعند هذا امر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست بمفتعل

للايات اولست بقشرح لهانا بين ان عدم الايتان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران علي وفق
دعواه معجزة بالغة قاهرة كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعنت فقال هذا يعني القران بصاير اطلاق اسم
السبب علي المسبب وذلك ان فيها حججا بينة تفيد للقلوب بصيرة وكشفا وهدي للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال
الي درجة العرفان فالبصاير لاصحاب عين اليقين والهدي لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجميع لقوم
يومنون ولما عظم شان القران بتلك الاوصاف علم المكلفين ادبا حسنا في بابه وقال واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا
والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة
القران في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن واهل الظاهر عن ابي هريرة كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت وقال قتادة كان الرجل
ياتي وهم في الصلوة فيسالهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة لحوايجهم فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان
ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام كما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا في الصلوة المكتوبة وقرا اصحابه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد
بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بان اللفظ عام فكيف
يجوز قصره علي قراءة القران في الخطبة او علي الخطبة تسميتها بناء علي انها قد يسمي قرانا لاشتماله عليه واجيب بان كلمة ان
اذا لا يفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول الدار مرة اخري
وبدليل ان الشافعي اوجب علي الماموم ان يقرا الفاتحة ورد بان الماموم انما يقرا الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال ابو سلمة للامام
سكتتان فاغتنم القراءة فيهما احداهما بين التكبير الي ان يقرا واخري بين القراءة الي ان يركع واعترض بان سكوت
الامام واجب ام لا والاول باطل بالاجماع وعلي الثاني يجوز ان لا يسكت وحينئذ يلزم ان يحصل قراءة الماموم مع قراءة الامام
يفضي الي ترك الاستماع وايضا فههنا السكوت ليس له حد محدود والماموم مختلفون بطوء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن
الماموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام في هذا السكوت يصير
كالتابع للماموم وذلك غير جايز قال الواحدي الانصات هو ترك الجهر عند العرب وان كان يقرا في نفسه اذا لم يسمع احدا واورد
عليه ان غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان حصول الاستماع مع قراءته ممنوع فان الاستماع
عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع علي الوجه الكامل ولعل الانصاف ان الاستماع علي تقدير الانصات المفسر
يمكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القران بخبر الواحد
وذلك ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعي انه لا
يجوز للماموم قراءة الفاتحة في الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة في الصلوة السرية لان الاية
لا دلالة لها علي هذه الحالة وفي الاية تفسير اخر وهو ان الخطاب في الاية مع الكفار وذلك ان كون القران بصاير وهدي
ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي اذا قرا عليهم القران عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا علي مراتبه و
معانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب ساير المعجزات ومما يؤكد هذا التفسير قوله في اخر الاية لعلكم ترحمون
والترجي مما يناسب حال الكفار لا حال المومنين الذين حصل لهم الرحمة جزما في قوله ورحمة لقوم يومنون ويمكن ان يجاب
بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القران العمل بما فيه من امر بتبعيته وامته تبعيته بالذكر
العام قرانا كان او غيره علي سبيل الدوام وذلك ان استماع القران كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك وفي الاية
قيود الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها علي ان سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل علي الطمع والرجاء
الثاني ذكر الرب في النفس ليكون ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء وقيل ذكره في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني
الاسماء التي يذكرها بلسانه لان المتكلمين الذكر النفساني هو الكلام النفسي الذي يثبته الاشاعرة الثالث والرابع
قوله تضرعا وخيفة اي متضرعا وخايفا فالتضرع لاظهار ذل العبودية والخوف اما خوف العقاب وهو مقام المذنبين
واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذكروا شغفوا بالجمال عاشوا واذا ذكروا شغفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة
بل خوف السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر
والاخفات قال ابن عباس هو ان يذكر ربه علي وجه يسمع نفسه وانما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتاثر من

القلبي لان الخيال يتاثر من الذكر القلبي فيوجب قوة في النفس ولا يزال التزايد في ذلك الي ان يجري الذكر علي لسانه بل يسري في جميع اعضائه
وجوارحه وادكان ندرسها نامعتد لاخاليا عن التكليف بما بين التعسف السادس قوله بالغدو والاصال والغدو مصدر غدا
يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال دنا الصباح اي وقته وقيل انه جمع غدوة واما الاصال فانه جمع الاصيل وهو الوقت الذي بعد
العصر الي المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدي في الشرع من اول الليل فسمي اخر النهار اصيلا لكونه
ملاصقا لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندها ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت
الي اليقظة التي هي كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الي النور الذي هي طبيعة عدمية الي النور الذي
هي طبيعة وجودية وفي الاصال الامر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب دليلان قاهران باهران علي وجود صانع قديم
وحكيم خبير فوجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن ان يكون المراد بداومة الذكر والمواظبة عليه
بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الي ان الذكر القلبي يجب ان يداوم عليه ولا يزال
الانسان يستحضر جلال الله وكبريائه بحسب الطاقة البشرية لتنور جوهر النفس وتستعد لقبول الاشراقات القدسية
فيضاهي سكان حظاير الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعني عند دنو الشرف والقرب من عنايته
والطافه لا يستكبرون عن عبادته فيعترفون علي ذلك ويسبحونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الي المعارف والعلوم
وله يسجدون يخضعون له بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يعود الي اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب علي ان الاصل في الطاعة
والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال الجوارح والمقصود من الاية ان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية
عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد مواظبون علي العبودية والطاعة فالانسان
مع كونه مبتلي بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولي بان يداوم علي ذكر معبوده ويجذب ما امكن
الي العالم العقلي ومركزه الاصلي ولتصفي مراة قلبه عن اصداء الهواجس وينتقش بالجلايا القدسية والمعارف الحقيقية والتقي
التوفيق التاويل وامر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من
الشيطان نزغ في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوي من شان القلب
كما قال صلى الله عليه وسلم التقوي ههنا واشار الي صدره طايف من الشيطان نزغ من العمل الشيطاني يراه القلب بنور التقوي
ويعرفه فيتذكر انه يفسده ويكدر صفاته فيحتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تاتهم باية الرات
القلوب باية من الله لتخبر النفوس عن تكذيبها قالوا اي النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصيتك فلبيك لتزكية النفوس
قل انما اتبع الهام الحق فلا اقدر علي تزكية النفوس الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا باذان الحكم الظاهرة وانصتوا الباطنة
لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع فمن سمع من القران من بارئه فقد سمع
من تاريه ومناشير الرحمن علم القران فهو المستعد للخطاب واذكر ربك في نفسك بان تبدل اخلاقها باخلاق الله تضرعا
في البداية وهو من باب التكليف وخيفة في الوسط ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء فان فناء سر
الربوبية كفر في غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم يحبهم
قال يوسف بن الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله ولا تكن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور ان
الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم في اخلاقه ويسبحونه وينزهونه
عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الي الابد منه المبدا واليه المنتهي والله اعلم

سورة الانفال مدنية حروفها خمسة آلاف ومائتان واربعة وتسعون
كلمها مائتان واحدي وثلثون اياتها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

بتمام فداي بخت بن محبان

يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله و
می پرسند ترا ای محمد از غنیمتها و حکم آن بگو غنیمتها مر خدا راست و پیغمبر او را پس بترسید از خدای و

اصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم
درست کنید احوالی که در میان شماست و فرمان برید خدای را و پیغمبر او را اگر هستید

مؤمنين ● انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
از اهل ایمان بدرستی که مؤمنان حقیقی کامل ایمان چون یاد آرند خدای را بترسید دلهای ایشان

واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ●
و چون خوانده شود بر ایشان آیتهای خدای زیاد کرداند ایشان را تحقیق و تصدیق بر پروردگار ایشان اعتماد میکنند
و یقین و خاص

الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ● اولئك
آنانکه بپای میدارند نماز را و از آنچه روزی دادیم ایشان را نفقه میکنند ایشانند

هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق
ایشان از اهل ایمان بدرستی و راستی مر ایشان راست مراتب بلند نزد کرامت پروردگار ایشان و آمرزشی و روزی

كريم ● كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين
با کرامت در بهشت چنانکه بیرون آورد ترا پروردگار تو از خانه تو بمدینه بحکمت و صواب بدرستی که گروهی از مؤمنان

لكارهون ● يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون
هر آینه کاره بودند جدال میکردند مؤمنان بتو در صواب که پس از آن که ظاهر شد گویی که رانده میشدند
قتال بود صواب

الى الموت وهم ينظرون ● واذ يعدكم الله احدى
سوی موت و ایشان نظر میکنند باسباب موت و چون وعده فرمود شما را خدای یکی

الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة
از هر دو گروه کاروان قریش که آن یک طایفه و دوست میداشتید که بی قوت و بی سلاح مر شما راست یعنی
با مقاتلان ایشان شما را خواهد بود که آن طایفه

تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر
کاروان مسلم شما را و میخواهد خدای که ثابت گرداند دین خود را بسخنان او که وعده و ببراند اصل
در این حال شوکتی

الكافرين ● ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ●
کافران را بموضع بدر تا ثابت گرداند صواب را و ناچیز گرداند خلاف حق را و اگر چه ناخوش دارند گناهکاران

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف
چون فریاد رسی میخواستند از پروردگار شما پس اجابت فرمود شما را و گفت که من مدد نماینده ام شما را بهزار نفر

من الملائكة مردفين ● وما جعله الله الا بشرى و
از فرشتگان از پی در آرندگان امثال خود را و بدید نکرد آن امداد را خدای مگر برای مژده دادن شما و

لتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ●
تا آرامیده شود بدان دلهای شما و نیست نصرت و یاری مگر از نزد قدرت و عنایت خدای بدرستی که خدای غالب توانا است کارساز

القراءة ● مردفين بفتح الدال ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر

الوقوف ● عن الانفال والرسول لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم مؤمنين يتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتدا والوصل اولى فيكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بحقية الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا كريم لما يجيء في التفسير بالحق لطول الكلام لكارهون ينظرون الكافرين المجرمون لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر او بقوله ويحق مردفين قلوبكم لابتداء النفي مع عند الله حكيم

التفسير ● روي عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت القسمة جاء الشبان يطلبون نفلهم فقالت الشيوخ لا تستاثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردءا لكم فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم احدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة بالعسكر والنهب فلما نفى الله العدو رجع الذين قتلوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله والله ما انتم باحق به منا نحن احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن اخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الاية فقسمها رسول الله بينهم بالسواء وعن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض اي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال الماخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وصلوة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سال والضمير في يسالونك عائد الى جميع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كانت ذنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان المراد انهم سالوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سالوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الاية دلت على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فهنا لوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد الانفال الخمس الذي جعل الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سالوا عن الخمس فنزلت الاية ثم امر بالتربيع

في الجواب فقال قل الانفال لله والرسول اي حكمهما مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله
فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الاية وضعف
بان جعل اربعة اخماسها ملكا للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم
على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة فقال فاتقوا الله اي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة
بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اي التي هي بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال
واقعة في البين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الاية بقوله ان كنتم
مؤمنين اي كاملي الايمان تنبيها على ان كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين
الكاملين فقال انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد يطمئن القلب
بعد ذلك اذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فيفزع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان يكون على ثلثة انحاء الاول
بقوة الدليل وبكثرته فان كل دليل فهو مركب لا محالة من مقدمات ولا شك في ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة و
الاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات اكثر وادوم كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من صح له
على المطلوب دليلا كان علمه اتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد ولهذا يورد العلماء دلائل متعددة على مدلول
واحد ولله در القائل شعر وفي كل شيء له آية يدل على انه واحد الثاني بتعدد التصديق وتجدده فان المعلوم ان من صدق
انسانا في شيئين كان تصديقه ازيد من تصديق من صدقه في شيء واحد ومعنى الاية انهم فلما سمعوا آية متجددة اتوا باقرار
جديد الثالث ان يقال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الاية لانه لما ذكر الامور
الخمسة قال اولئك هم المؤمنون فدل ذلك على ان الخصال داخلة في مسمى الايمان ويؤيده ما رواه ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلثة فبسبب دخول التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان و
ان لم يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متحققا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد الحصر اي لا يتوكلون الا على ربهم وهذه
الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية
عما سواه ثم لما فرغ من احوال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها راسها واساسها
وهما الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون وفي اولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات
ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبركم بذلك اخبارا حقا
وقيل انه منوط بما بعده اي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا
في انه هل يجوز له ان يضيف اليه حقا لهم درجات واعلم ان الائمة او لا بل يستثني فيقول ان شاء الله والاول مذهب ابي حنيفة
لما ورد في الاية ولان الشك في الايمان لا يجوز لان التصديق والاقرار كلاهما محقق والثاني مذهب اصحاب الشافعي واجابوا عن الاية
بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل انا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات
جزما ام لا واما حديث الشك فمبني على ان الايمان عبارة عن الاركان الثلاثة ولا ريب ان كون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة
امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاذن النزاع لفظي على ان الاسلم ان
الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب ولعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله
وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين مع انه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت
قال الايمان ايمانان فان كنت تسئلني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا مؤمن وان كنت تسئلني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا
ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا
ويحكى عن ابي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابرهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال
له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى فسكت وكان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبي فيه ما فيه ثم اخبر عن مآل

حالهم فقال درجات عند ربهم اي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع ولكن استغراق كل واحد في سعادته
الخاصة به يمنعه عن التالم من حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم
هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه نقله الواحدي عن اهل اللغة فالله
سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقران كريم لانه يوجد فيه بيان كل شيء وقال اني القي الي
كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال
بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما اخرجك يقتضي تشبيه شيء بهذا
الاخراج وذكروا فيه وجوها احدها ان المشبه مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم في كراهة
ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما راى كثرة المشركين
يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا ترغيبا لهم في القتال فلما انهزم المشركون
قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سميتهم بقي خلق كثير بغير شيء فنزلت قل الانفال لله والرسول يصنع فيها
ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفي انفس بعضهم شيء من الكراهية ثانيها ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر الفعل
المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي ثبت الحكم واستقر بان الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل اخراج ربك اياك الى القتال
وان كرهوا ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من سائر احكام الله ان القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه اقوى
في وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو ان الحكم بكونهم مؤمنين حق كما ان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل
القتال حق ثالثها قال الكسائي الكاف يتعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه
فهي له اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون
في موضع الحال اي اخراجك في حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز ان يكون الجملة بدلا او خبرا بعد خبر روي
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل
رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت
العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم رمى بها فلم يبق
بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما رضي رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت
نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير على ما قيل في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت
طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات و
المعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم
احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة
على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر
وعمر فاحسنا اي الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من
الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل
لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين
منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين
بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا و
نساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار يرون عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد
بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك

علي ذلك عهودنا ومواثيقنا علي السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقي بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك
بنا ما تقر به عينك فسر بنا علي بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا علي بركة الله و
ابشروا فان الله قد وعدني احدي الطائفتين والله لكاني انظر الي مصارع القوم ولنرجع الي التفسير قوله في الحق اي في تلقي
النفير بعد ما تبين اي بعد اعلام النبي عليه السلام بانهم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت
لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الي الموت المتيقن لمشاهدة اسبابه من قلة العدد والعدد
روي انه كان فيهم الا فارسان وانتصب باضمار اذكر قوله واذ يعدكم الله احدي الطائفتين وقوله انها لكم بدل من احدي
الطائفتين وهما العير والنفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا
حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في
محاربته ذات الشوكة من انزال الملائكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم
والدابر الآخر يعني انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الي تقوية الدين وشتان ما بين
المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف اي لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متاخرا ليفيد
معنى الاختصاص اي ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق وابطال الباطل وقيل متعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته فانه يمتنع تحصيله
بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلايل وتارة بتقوية رؤساء الحق
وقهر رؤساء الباطل فان قيل اليس في الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد تثبيت ما وعده في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء
والمراد بالثاني اعلام الاسلام ومحو الكفر والحاصل ان الاول جزئي اي انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير
والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التي حصل في ضمنها اعلا كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما
اخرجك ربك وقوله ليحق الحق علي ان الاعمال والعقايد كلها بخلق الله وتكوينه ولا يمكن ان يقال المراد من اظهار الحق وضع
الدلايل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الي المسلم والكافر وقبل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فايدة والمعتزلة
تمسكوا بالآية علي ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل
واجيب بان اللام في الحق ينصرف الي المعهود السابق اي في هذه القضية فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون
اي الكافرون والمشركون كقوله ليظهره علي الدين كله ولو كره الكافرون وفي ذكر موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون
بدل من قوله اذ يعدكم وقيل متعلق بقوله ليحق واستغاثتهم انه لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الي المشركين وهم الف والي اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه
فاخذه ابو بكر فالقاه علي منكبه والتزمه من ورائه يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ويروى انه لما
اصطف القوم قال ابو جهل لعنه الله اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بالدعاء المذكور ومعنى
تستغيثون تطلبون الاغاثة كقول الواقع في بلية اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اني اي باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين
بكسر الدال وفتحها من اردفته اياه اذا اتبعته متعديا الي مفعولين او من اردفته اذا اتبعته اي جئت بعده متعديا الي مفعول
واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم او جاعلين بعضهم تابعا لبعضهم او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او لملائكة اخرى ومعنى
الثاني تابعين بعضهم لبعض او للمؤمنين يقدمونهم علي ساقتهم ليحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال الملائكة
يوم بدر فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك علي الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة علي الميسرة وفيها علي ابن ابي طالب
في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم
الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال
من الملائكة فقال لهم ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت
ضربة بالسوط فوقه فنظر الي المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله فقال صدقت ذاك من
مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي

وقيل

وقيل لهم قاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة
في تفسير آل عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الله الآية وقدمنا هنالك وقد بقي علينا بيان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا
اذ دعا جابين الغايبين ثم ان قصة بدر سابقة علي قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعله في آل عمران
صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم **التاويل** كثرة السوال يوجب الملال وانما سالوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا علي خلاف ما سالوا
وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسوال واصلحوا ما بينكم من الاخلاق الرديئة والهمم الدنية واطيعوا الله
ورسوله بالتسليم والايثار زادتهم ايمانا بحسب تزايد الانوار كما اخرجك فيه انه اخراج المؤمن الحقيقي عن اوصاف البشرية الي مقام
العندية بجذبات العندية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلي صفات الجمال والجلال وان فريقا هم القلب والروح
لكارهون للفناء عند التجلي فان القلب محبوب عند كل ذي وجود يجادلونك اي الروح والقلب في مجي الحق بعد ما تبين محبته كانهم
يساقون الي الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الي الموت واذ يعدكم الله انها السايرون احدى الطائفتين اما الظفر
بالاعداء وهي النفوس واما غنيمة الواردات الروحانية وغنايم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي اردتم ان لا تجاهدوا
عدو النفس ذات المكر والحيلة والهوى وتستحلوا الواردات والشواهد الغيبية وذلك لان السير قسمان سير السالكين علي
اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الي صفات الروحانية وسير المجذوبين علي اجنحة عنقاء الجذبات الي ورقاء
قاف الانانية فكان موسى من السالكين الي ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين
وكان سيره علي جناح جبرئيل الي سدرة المنتهى ومنها علي رفرف الجذبة الالهية الي قاب قوسين او ادنى فكان مكانه المشاهدة
في الغاية ان لا يكل الله السالك الي ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفس
الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب من النفس الي الله عند استيلاء صفاتها بالف من الملائكة
هم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلي صفة القهارية ان الله عزيز
من عز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم في كل ما فعل بمن يفعل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء
چون میرسانید شما خدای خواب سبک را برای ایمنی ازاو و فرو میفرستد بر شما از آسمان آبی را
ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط علي قلوبكم
تا پاک گرداند شما را بآن که از احداث و ببرد از شما وسوسهٔ دیو را بتخویف از عطش و تا محکم گرداند بر دلهای شما صبر را
ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الي الملائكة اني
و ثابت گرداند به آنکه آن آب قدمهای شما را در ریگ نماید چون وحی میفرستاد پروردگار تو سوی فرشتگان بدرستی که
معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين
من با شمایم پس ثابت دارید آنانرا که ایمان آوردند زود باشد که افکنم در دلهای آنانکه
كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل
کافر شدند ترس را پس بزنید بالای گردن را و بزنید از ایشان هر
بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله فان الله
طرفی را آن عقاب بسبب آنکه ایشان خلاف کردند با خدای و با رسول او و هر که مخالفت کند با خدا پس بدرستیکه خدای

شديد العقاب ذلكم فذوقوه وانّ للكافرين عذاب النار

سخت عقوبتست آنست آن عقاب پس بچشيد آنرا و آنكه مر كافرانراست عذاب آتش دوزخ

يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم

اى آنانكه ايمان آورديد چون فرا رسيد بآنانكه كافر شدند حال آنكه انبوه باشند پس روى مگردانيد از ايشان

الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة

و پشتها و هركه روى گرداند از ايشان در ان روز پشت خود را مگر در ان حالت كه هزيمت فرانمايد بهر حيلتى براى معاودت قتال يا التجا كننده سوى گروهى از مسلمانان

فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم

پس بحقيقت باز گشت بخشمى از خداى و جاى او دوزخ است و بد جاى بازگشتنى كه آنست پس نكشتيد شما ايشانرا

ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى

وليكن خداى كشت ايشانرا بنصرت و نه انداختى تو سنگ ريزه و وادى را چون انداختى وليكن خداى آن ظاهر گردانيد چون از ضرب خارج بود

وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم و

در روى ايشان و تا دهد مؤمنانرا از انجه كرد نعمتى نيكو بدرستى كه خداى شنونده داناست آن بود غرض و

ان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم

آنكه خداى خوار كننده مكر كافر آنست اگر طلب فتح كنيد شما اى كفار در آنكه پس بحقيقت آمد شما را

الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن

فتح خطابست بطريق تهكم و اگر باز ايستيد از پس آن بهتر است شما را از عداوت رسول و اگر معاودت نمايند بانصرت او عود كنيم ما

تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين

دفع نكند از شما جماعت شما چيزى اگرچه بسيار بود و آنكه خداى با مؤمنانست

القراءة يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو يغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل وتنزل من الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو والاخرون بالتشديد رمى بالامالة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ويعقوب موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر الوقوف الاقدام لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين امنوا كل بنان ورسوله الاول العقاب النار الادبار جهنم المصير قتلهم لعطف المتفقين رمى لاحتمال ان يكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى او على محذوف اي ليتبينه وليبلي حسنا عليم الكافرين الفتح للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم لذلك نعد كثرت لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين التفسير قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وامنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي منه حاصلة لكم من عند الله ولما كان فيما ان النعاس وكذا الغشيان

ونعشيته متضمنا لمعنى يغشون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعشون لامنكم او يغشيكم النعاس فتعسون آمنا ويجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي يعطيكم ايمانا ويجوز ان ينتصب الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على ان المراد انه اناكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله او لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل وقدمت فوايد هذا النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوايد لتطهيركم لتحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاول عام وهذا خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الاية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم اتزعمون يا اصحاب محمد انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة قد عطشتم فلو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوايد واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم اي قواها ثبتت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع فيها من اليقين روي ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه موضع التراب فعظم الوحل صار مانعا لهم عن المشي والاستقرار ويثبت به الاقدام يدل مفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم او منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فثبتوا الذين آمنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه مفسر بقوله سالقي فاضربوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما يقوي به قلوبهم وتصح عزايمهم ونياتهم في القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال عن معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل وكان ايقاع الضرب فيها ازالة الراس من الجسد وقيل اراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح احوال الانسان التي يريد ان يقيمها من ابن بالمكان اي اقام به والمراد نفي الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا والآن ما فوق العنق هو الراس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه آخر الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ومن آمن قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان عبارة عن افناء آلات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به اي قولوا لهم قولي او يكون في ارداعلى الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل لهم قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب شاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير وقدر نزر في جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم في الاجل وقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي له والكاف في ذلك للرسول او لكل من له اهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم او النصب والتقدير عليكم ذلكم اي الزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا

العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير الخطاب قلت ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر اي وان
للكافرين عذاب النار حق او بالعكس اي والحكم والشان ان للكافرين وفي ذكره الذوق اشارة الى عذاب الدنيا شي قليل بالنسبة الى
عذاب الاخرة قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الامام اصل الزحف هو ان يزحف الصبي على
استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين تمشي كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى تدانيا للضراب ثم انتصابه
على الحال من الفريقين اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا الزحف الجيش الدهم الذي يرى
لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا
تفروا وانصلاء عن حال التي المدافاة والمساواه ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا
ويعني فلا تولوهم الادبار ولا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو تقدمة نهي لهم عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم
زحف من الزحوف اثنا عشر الفا في قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا
لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا اي منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من
المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا او متحيزا على انه استثناء مفرغ من لفظ العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام
نفي ظاهر اوانه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقوم او لا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف او التحيز ويجوز
ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن قولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه
من حاز يحوز فعل به ما فعل بايام ولو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا
الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون قال بل انتم العكارون وانا فئتكم والعكرة الكرة و
وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف في غير هاتين الصورتين من اكبر الكبائر واحتج القاضي بالاية على القطع بوعيد الفساق
من اهل الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص ببدر
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان اول جهاد فناسب التشديد
ولهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في جميع الحروب لان العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين
لان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا واقبلوا على التفاخر وان القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم
والفاء في جواب الشرط محذوف تقديره اي فخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة و
القى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبرئيل فقال خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا فنزلت وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول لان صورتها وجدت
منه ونفاها عنه ان اثرها فوق حد تاثير القوى البشرية قال الحكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى
الارض كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحصاة فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب
عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلى الله عليه وسلم يريد ابي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه
بحربته فسقط ابي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اجزعك انما
هو خدش فقال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات ابي الى النار قبل ان يقدم فانزل الله في ذلك وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وقيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم
يهوي حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه واصح الاقوال هو الاول كيلا يدخل في اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا
يبعد ان يدخل تحته سائر الوقائع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء
جميلا فعل ما فعل ما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء ههنا النعمة والا لكان يحتمل المحنة
اي الذي فعله تعالى يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم
عليم بضمائركم وهنا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتروا العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض اي الغرض ذلكم وان الله
موهن كيد الكافرين اعرابه كما في قوله وان للكافرين عذاب النار قال ابن عباس يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

ان

اي قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم قال السدي والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين
فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد
فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع الرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل انه
خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اي عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم
وان تعودوا المحاربته بعد نصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين اي ان تكفوا التنازع في امر القتال او عن طلب
الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الآية بقوله وان الله مع المؤمنين وتقديره على قراءة
الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك **التأويل** اذ يغشيكم النعاس امنة منه فيه تقليب الحال الى ضده بامر التكوين كما قال
كوني بردا وسلاما على ابرهيم كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام
الرباني ليطهركم من درن الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط قلوبكم بالصدق و
الاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت الاقدام على طريق الطلب اني معكم فثبتوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره وكذلك
القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها
فلا تنهزموا فينقطعوا عن صراط الطلب الا متحرفا الا طالبا يتحرف لتهيؤ اسباب القتال مع النفس او راجعا الى الاستمداد من الروح و
صفاتها او الى ولاية الشيخ او الى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم
نفى القتل عن الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه تعالى ولكن لم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد
تجلى بالقدرة كان يده بيد الله كما كان حال عيسى لما تجلى بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وليبلي المؤمنين منه فيجتهدوا في متابعته الى
ان يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا اي تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم
الفتح بالتجلي فانه تعالى متجل في ذاته ازلا وابدا وانما التغير في احوال الخلق فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح
ابوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم وتكلكم
الى انفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم شيئا من الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شيء مما اعد لاهل الله وخاصته الله حسبي

يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
اى آنانكه ايمان آورديد فرمان خداى برداريد وپيغمبر اورا واعراض مكنيد
عنه وانتم تسمعون • ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
ازاو وشما ميشنويد مواعظ قرآنرا ومباشيد چون آنانكه گفتند شنوديم وحال
وهم لا يسمعون • ان شر الدواب عند الله الصم البكم
آنكه ايشان نميشنوند بسمع قبول بدرستى كه بدترين جنبندگان نزد خداى آن كرانند وآن گنگان
الذين لا يعقلون • ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم و
كه درنمى يابند واگر دانستى خداى در ايشان نيكى را هر آينه شنوانيدى ايشانرا
لو اسمعهم لتولوا وهم معرضون • يا ايها الذين امنوا
واگر شنوانيدى ايشانرا هر آينه اعراض كنندى ايشان ومعرضانند باعراض اى آنانكه ايمان آورديد

استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا
اجابت نمایید مر خدا را و مر پیغمبر را چون خواند شما را برای آنچه زنده کرداند شما را بحیوة ابدی و بدانید
ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ● واتقوا
که خدای تعالی حجاب میشود میان مرد و دل او و آنکه با حکم او گرد آرند شما را و بترسید
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان
از بلایی که نرسد اگر رسد با آنانکه ستم کرده اند از شما و حال آنکه خاص بود بایشان بلکه عام بود و بدانید که بلکه ظالم را و غیر ظالم را
الله شديد العقاب ● واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
خدای سخت عقوبتست و یاد کنید آن وقت را که شما اندک بودید ضعیف شمرده گان
في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآويكم وايدكم بنصره
در زمین که میترسید شما که بربایند شما را دشمنان و قبایل عرب پس جای داد شما را و تقویت فرمود شما را بیاری داد خود
ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ● يا ايها
و روزی داد شما را از لذیذها و حلالهای غنایم تا مگر شما سپاس داری نمایید نعمتهای او را ای
الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
آنانکه ایمان آورده اید خیانت مکنید بشنید با خدای و پیغمبر بترک فرایض و سنتها و خیانت می نمایید در امانتهای خدای
وانتم تعلمون ● واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة و
و شما میدانید و بدانید که اموال شما و فرزندان شما آزمایشی اند از خدای تا مصلح از مفسد متمیز شود
ان الله عنده اجر عظيم ● يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله
و بدانید که خدای نزد اوست مزدی بزرگ ای آنانکه ایمان آورده اید اگر بترسید از خدای
يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله
بدهد مر شما را فرقی و عزتی و محو کرداند از شما بدیهای شما را و بیامرزد شما را و خدای
ذو الفضل العظيم ● واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
خداوند بخشایش بزرگست و چون حیلت میکردند بجهت تو آنانکه کافر شدند تا حبس کنند ترا
او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ●
یا بکشند و یا بیرون کنند ترا از مکه و فریب می نمایند در نهان و جزای فریب میدهد خدای و خدای بهترین جزا دهندگان مکر

القراءة ولا تولوا بالادغام البزي وابن فليح **الوقوف** يسمعون للاية وللعطف لا يسمعون لا يعقلون لاسمعهم معرضون لما يحييكم
لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون خاصة لما مر العقاب يشكرون تعلمون فتنة للعطف عظيم ويغفر لكم
العظيم او يخرجوك ويمكر الله الماكرين **التفسير** انه سبحانه بعد ذكر طرف من قصة بدر والغنايم ادب المؤمنين احسن
تاديب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنايم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا
عنه وعن قبول قوله وعن معونته في الجهاد او لان طاعة الرسول وطاعة الله شي واحد وكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما
كقولك والله ورسوله احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تولوا عن
هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون لم يبين انهم ماذا يسمعون الا انه تعلم من سياق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون
دعاءه الى الجهاد او المراد وانتم تسمعون الامر المذكور او وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا
يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا ينفع دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان
يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اي ان شر من يدب على الارض او ان شر البهائم
والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا انه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثاني مذكور في معرض
التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله اي في حكمه وقضائه ثم قال
لو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار ابن قصي لم
يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد
وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته
فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم انهم لا يقولون
هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وانهم لو اسمعهم كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم
ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف
يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا كيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران الثانيان علم بالمقدر
ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ
فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الاية انها على صورة قياس شرطي فاذا حذفنا الحد الاوسط بقي النتيجة
لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشي لاجل انتفاء غيره فيكون التولي منتفيا لاجل انتفاء علم الله
الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول الخير
عنهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهيم والزام القبول والمراد بالاسماع
الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي لمجرد المبالغة نعني ان كفى له صلى الله عليه وسلم نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور
الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر الله على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف ولو علم
الله فيهم خيرا اي انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا اسماع المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فكذلك منعهم
الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا
آخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر لما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وقد تمسك
الفقهاء بهذا الخبر على ان ظاهر الامر للوجوب والا فلم توجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاحياء لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة
لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حيوة القلب والكفر موته بدليل قوله
يخرج الحي من الميت اي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القران لان فيه العلم الذي به الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه
الجهاد لان وهن احد العدوين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدائمة لقوله بل

احيا عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر ينقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله و الشقي من اضله الله والقلوب بيده يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها المقصود والدواعي والعقايد حسب ما يريد وتعين بذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله واليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا ا نا بين معاقبين اما الجنة واما النار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز واما العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعالى آمن بالاستجابة لله وللرسول فلو لم يكن الاجابة ممكنة فكيف يامر بها ولو كان الامر بغير المقدور جايزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذن لا يمكن حمل الاية على ما قاله اهل الجبر فنا وليه ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اي وان الشان او الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية لشيء باسم محله فكانه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون المراد الامل او المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جاير على الله تعالى واما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمايره وان قربته من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل هو افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل على الدابة لا تطرحك وان شئت لا يطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض ومثل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او لاشتمال ذلك على نوع من اصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن للبيان كانه قيل احذر ذنبا وعقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كان الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا في يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذا قبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الاية بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به اي وقت انكم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونهم لكونهم اعداء لكم فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون اي لعلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والآلاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال ثم منعهم من الخيانة في الامانة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى الآن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه اي ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد

المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فيفشونه ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان تخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم اليها مكان الاصم قال القاضي ولا ريب انها في الغنايم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الاية ايجاب اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خان الرجل في شيء فقد ادخل عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب والكرب حبل قصير يوصل بالرشا ويكون على الدلو ويكون سمي كرما لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه والمشتار العسل اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون مجزوما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الاية على الوجه العام لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله او تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة هو محبة الاموال والاولاد ولعل ما فرط من ابي لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال انما اموالكم واولادكم فتنة اي انها سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او هي محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده في ذلك الباب وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تزهدوا في الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضي الى السعادات الروحانية الباقية ويمكن ان يتمسك بالاية في بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله افضل من الاشتغال بالنكاح لادائه الى الفتنة ثم رغب في التقوى التي توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد وعن التهالك في شانهم فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله في ارتكاب الكباير والاصرار على الصغاير يجعل لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار في الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والكبر وساير الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفي الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على اهل الاديان كلهم وفي احوال الاخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدايمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يسترها عليكم في الدنيا صغايركم ان فرطت منكم ويغفر لكم في دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشيء وفى به احسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل بذاته من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمله على ذلك رقة طبع او عصبية ولاء فلا فضل في الحقيقة الا الله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم وفيما اتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين ان قريشا اجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن يعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البختري من بني عبد الدار رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى

هو اجود كورابا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبرئيل رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه وقال له تنح يردي فانه لن يخلص اليك امر يكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ساروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويحبسوك لانه لا يقدر على الحركة وهو اشارة الى راي البختري وقوله او يقتلوك اشارة الى راي ابي جهل وقوله او يخرجوك اي من مكة اشارة الى راي هشام وانكر القاضي حديث ابليس في القصة وتصويره بصورة الانس قال لان ذلك التغير ان كان بفعل الله فهو اعانة للكفار على المكر وان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاعداء والتلبيس هذا ما حكي عن القاضي وذهب عليه ان هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجبنا عن مثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر في سورة آل عمران والحاصل انهم احتالوا في ابطال امر محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فيكل لاجرى في مكرهم فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد اي في الماكرين او المراد انه لو قدر في مكرهم خير كان الخير في مكره اكثر والمراد او في نفسه خير والله اعلم **التأويل** ان شر من دب في الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول البكم عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لا بد ان يكون ابكم فلذلك خصا بالذكر الذين لا يعقلون انهم لماذا خلقوا فلا جرم يؤل حالهم من ان يكونوا خير البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله تعالى يطلب للمحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد للحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفي في الفناء في الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحكم بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا ايها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن النفوس الظالمة فقط بل يصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فيحجبها عن حظائر القدس ورياض الانس واعلموا ان الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لم يشتد بعد لكما الصفات والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعوان التربية بالبيان آداب الطريقة ولانعدام جريان احكام الشريعة عليهم الى اوان البلوغ تخافون اي تخافون ان تسلبكم النفس وصفاتها والشيطان واعوانه فآواكم الى حظائر القدس وايدكم بالواردات الربانية ورزقكم من المواهب فتحفظوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الى الرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا اماناتكم التي هي محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالاولى فتنة يختبركم الله بها ليتميز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق يا ايها الذين آمنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا نفيض عليكم من جمال جماله وجلال الله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم الفاني ويغفر لكم يسترکم بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك اي ليثبتوا الروح في اسفل سافلين الطبيعة او يقتلوك بانعدام آثارك او يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين

وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل
و چون خوانده میشود بر ایشان آیاتهای ما گویند بتحقیق شنیدیم اگر خواستمی هر آینه گفتمی مانند
هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ● وإذ قالوا اللهم
این نیست این مگر افسانهای پیشینان و چون گفتند ای بار خدای
إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
اگر هست این قرآن او راست از نزد تو پس ببار بر ما سنگها از آسمان یا بیار بما
بعذاب أليم ● وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان
عذابی دردناک و نیست خدای که عذاب کند ایشان را و تو در میان ایشانی و نیست

من عمله
از نود و نو

الله معذبهم وهم يستغفرون ● وما لهم ألا يعذبهم الله
خدای عذاب کننده ایشان و حال آنکه ایشان استغفار کردندی و چیست مر ایشان را که عذاب نفرستد ایشان را خدای
وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن
و ایشان منع میکنند اهل حق را از مسجد حرام که مسجد مکه است و نبودند ایشان از سزاواران ولایت نیستند
أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ● وما كان
سزاوار تولیت آن مگر پرهیزکاران ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند و نبود
صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما
نماز ایشان نزد خانه کعبه مگر صفیر یعنی بانگ کردن و تصفیق یعنی دست بدست زدن پس بچشید عذاب روز بدر یا روز آخرت
كنتم تكفرون ● إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا
بسبب آنکه بودید که کافر میشدید بدرستی که آنانکه کافر شدند نفقه میکنند مالهای خویش را تا منع کنند مردم را
عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ●
از دین خدای پس زود بود که نفقه کنند آن را پس باشد آن نفقه بر ایشان سبب حسرت پس غلبه کرده شوند آخر الامر
والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ● ليميز الله الخبيث من
و آنانکه کافر شدند سوی دوزخ گرد آرند ایشان را تا جدا کند خدای پلید را از
الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في
پاک و گرداند پلید را که کفارند بعضی بر زبر بعضی پس برهم نشاند آن را همه پس گرداند آن را در
جهنم أولئك هم الخاسرون ● قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر
دوزخ ایشانند ایشان زیانکاران بگو مر آنان را که کافر شدند اگر باز ایستند از کفر آمرزند
لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ● و
ایشان را آنچه پیش کردند از گناهان و اگر باز گردند بقتال پس بحقیقت گذشت روش پیشینان که با ایشان قتال کردند
قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله
و کارزار کنید ایشان تا کس نباشد بشرک و باشد دین همه از آن امر خدای پس اگر باز ایستند بدرستی خدای
بما يعملون بصير ● فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير
بآنچه میکنند بیناست پس بدانید که خدای متولی کارهای شماست نیکو خداوند کار است و نیکو یاری دهنده او

بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف مثل هذا لا لان الابتداء بان هذا الا اساطير الاولين اليم ط
وهم يستغفرون وما كانوا اولياءه لا يعلمون وتصدية تكفرون عن سبيل الله يغلبون لان ما بعده مبتدأ يحشرون
لتعلق اللام في جهنم الخاسرون سلف لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله بصير مولاكم النصير الجزء العاشر
التفسير لما حكى مكرهم في ذات محمد صلى الله عليه وسلم حكى مكرهم في دينه روي ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى
احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل الذكر من قصص
الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن امثال الصلف تحت الراعد لانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة
ويروى عن النضر وعلى ابي جهل على ما في الصحيحين ان احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وهذا اسلوب من العناد
بليغ لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والصحيح هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة
المسومة للعذاب اي ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع آخر من جنس
العذاب الاليم ومراده نفي كونه حقا فاذا انتفى العذاب كما لو علق بامر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا
حجارة وعن معوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن
شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفي دلالة على ان تعذيبهم بعذاب الاستيصال والنبي بين اظهرهم غير مستقيم
عادة تعظيما لشان النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم اي لو
كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه و
من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل اهل المحلة فلانا وانما قتله واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا بصفة اولادهم والمعنى
وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله انه يكون لهم اولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه بل وفي علمه ان فيهم من يؤل امره
الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن آمن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الاية دلالة على ان الاستغفار
امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان نبي الله والاستغفار اما النبي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق
الى يوم القيامة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم
يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة قتل بعضهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله
وهم يصدون اي كيف لا يعذبون وحالهم يصدون عن المسجد الحرام كاصغار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب
الاخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم
الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن اكثرهم
لا يعلمون لكان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة واراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب سلب
الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية
التصفيق تفعلة من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الاصل فعيل اللام او من صد يصد مضاعفا
اي ضاح فقلبت الدال الاخيرة ياء كالتقضي في التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهري وابو عبيدة قال
جعفر بن ربيعة سالت اباسلمة بن عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل بعض اصابع
اليمين وبعض اصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تصويت يشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا
يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون فالمكاء والتصدية على هذا نوع عبادة لهم فلهذا
وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب ما لفلان عيب الا
السخاء اي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف والصلاة
عند المسجد الحرام يستهزئون به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلوة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفاي صلتي
اي اقام الجفاء مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب هذا بالقتل والاسر يوم بدر او عذاب

بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وانما الكم التي لا ينقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها شرح
احوالهم في الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الاية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا
اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري ابن هشام والنضر بن الحارث وحكيم
بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل
واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن ابزي نزلت في ابي سفين بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش
والاحبوش من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا قاله
في الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيب قريش يوم بدر فرجع كلهم الى مكة ورجع ابو سفين بعيره مشى عبد الله بن ابي
ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا اباسفين
بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي
افلت على حربه لعلنا ان ندرك منه ثارا بمن اصيب منا فانزل الله تعالى الاية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق
كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها
اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر
وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا لقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان
ثم لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الاستعداد واما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال وعدم
حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم
وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية وفيما يفعل
بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشيء يركمه اذا جمعه والقى بعضه
على بعض اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون
في عداوة رسول الله والمؤمنون من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال
الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وعلى هذا فاللام في
قوله ليميز يتعلق بقوله ثم يكون عليهم حسرة قاله في الكشاف ولا يبعد عندي ان يتعلق يحشرون واولئك اشارة الى الذين
كفروا ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل للذين
كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام
يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خاطبهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن
مسعود وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او سنة الذين تحزبوا على
انبيائهم من الامم فاهلكوا وغلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة
بالاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء
العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة بالاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر
باطل بالاتفاق بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الى ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة
في حال الردة وقبلها وفسروا ان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا في ان الزنديق هل يقبل توبته ام لا والصحيح انها
مقبولة لشمول الاية جميع الكفار ولقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة
فلو لم يقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيرها في سورة البقرة الا انه
اراد ههنا لفظ كله في قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فقط فان
انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما تعملون بصير يجازيهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب اراد فان الله بما
تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم
ناصركم ومتولي اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته التأويل

قالوا قد سمعنا و ما سمعوا في الحقيقة والالم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوقين لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم
عقب دعواهم لقلنا مثل قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان هذا حاله كيف يكون مثل القران مقالته
ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا و متعنا به و بانواره و اسراره وما كان الله ليعذبهم و انت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة
تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين
كفروا ينفقون كذلك داب كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطري في غير طلب الله وانما يصرفونها في استيفاء اللذات و
الشهوات فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها و لا اجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب
التابعة للنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التي لا تركن الى الدنيا و لا تخدع
باغتذاء النفوس فتركه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفس الخبيثة فتلقى الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح
والقلوب استتروا النور الروحاني بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم يستر لهم تلك الظلمات بنور
العرفان والارشاد وقاتلوا كفار النفوس حتى لا تكون آفة مانعة عن الوصول و يكون الدين كله لله يبذل الوجود و نضد الموجود لنيل الجود

واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى

واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله

وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على

كل شئ قدير ● اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى

والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد و

لكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ● ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من

حي عن بينة وان الله لسميع عليم ● اذ يريكهم الله في منامك قليلا

ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله

سلم انه عليم بذات الصدور ● واذ يريكموهم اذ التقيتم

في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا

والى الله ترجع الامور ● يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ● واطيعوا الله ورسوله و

لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس و

يصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ● واذ زين لهم

الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار

لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى

ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب ● اذ يقول المنافقون و

الذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم

در دلهای ایشان بیماری شکی و نفاقی فریفت ایشان را دین ایشان و هر که توکل کند بر خدای پس بدرستی که خدای غالب درست کار در گفتار

القراءة بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيي بيائين ابو جعفر ونافع
وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزي وابن فليح وزيد
بالجرم الحران عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة في رواية خلاد وابن سعد وابي عمرو وهشام اني ارى
اني اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير الوقوف وابن السبيل
لتعلق حرف الشرط محذوف يدل عليه ما قبلها تقديره فاعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير ج اسفل
منكم ط في الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حي عن بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ط مفعولا ط

لا لتعلقوا الامر من حي عن بينة عليم ؕ لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ٥ مفعولا ط الامور ٥ تفلحون ج الاية وللعطف واصبروا ط
الصابرين ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ٥ جار لكم ج اخاف الله ط العقاب ٥ دينهم ط حكيم ٥ التفسير لما امر سبحانه بالقتال في قوله
وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان ابين واشفى فقال واعلموا ان ما غنمتم الذي فزتم به من اموال
الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدا محذوف الخبر
وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه
ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت وواجب حق لازم كان الاقوى
لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الاية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على
اقوال اشهرها ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها
كالاحتطاب والاصطياد اما الخمسة الباقية فواحد منها وكان لرسول الله يصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين
كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطير وارزاق القضاة والائمة للاهم فالاهم وواحد لذوي القربى يعني اقارب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اولاد هاشم والمطلب ابني عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي
عن عثمن بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمن من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم
بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في الجاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك
بين اصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان للذكر مثل حظ الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين
وابن السبيل هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله ساقط وكذلك سهم ذوي القربى
وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول فان لله خمسه
وللرسول فان لرسول الله خمسه كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة
اسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه
صلى الله عليه وسلم كان ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه
كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وهم اليتامى والمساكين وابن
السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم
ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة
شيئا وروي عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة
لما روي عن علي كرم الله وجهه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في
سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن انس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين
الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فذلك فعلى هذا يكون معنى قوله
فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها
كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وحاصل الاية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن
العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر
لانه فرق بين اهل الحق والباطل والجمعان فريقا ما والذي انزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتاييد والله
على كل شيء قدير فنصر بذلك نصر القليل على الكثير اذ انتم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالضم والكسر شط الوادي اي جانبه و
حافته وقال ابو عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس
لان فعلى من بنات الواو يقلب ما كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا
ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو
نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدا اي مكانا اسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر

ويا دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رافته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان
فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا ففي خبار رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة
عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ نيتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن
الحرم على بذل المجهود حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم انتم واهل مكة على موضع يتلاقون فيه
لاختلفتم في الميعاد فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما يتيسر
بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل
من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات
ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لا شك في كفره وعناده كما لم يبق شك للمسلمين في حقية دين
الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب
الاشاعرة وان الله لسميع لدعائكم عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم
تدابيركم اذ يريكهم في منامك اي في رؤياك قليلا اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم وقيل في منامك اي في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم
والفشل الجبن والخور ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيحدث فيها من موجبات الاقدام والاحجام واذ يريكموهم يبصركم اياهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال لان
الرؤية رؤية العين لا رؤية القلب وقد استوفت الاراءة مفعولية فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة في تقليل
الكفار في اعين المؤمنين ظاهر مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واما تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في
ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله امرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل و
الى الله ترجع الامور يعني ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منه ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين
آداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة
بالمحاربين ونحو ذلك ثم امر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له ان يفتر عن
ذكر ربه في اي شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق ينفق امواله لله والاخر من المشرق الى المغرب ضاربا
بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم
ونحو ذلك والاولى حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات ولا
تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر النفع بان في قوله ويذهب ريحكم على القراءتين والريح
ههنا الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه على وفق المشية بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ
امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله ومنه الحديث نصرت بالصبا فذهبتم بالتنازع واختلاف الرأي
نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالاية لان القول به يفضي غالبا الى التنازع المنهي عنه وكذا
القايلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم
بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها
من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا
مثلهم بطرين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية ووصفهم باوصاف
ثلثة الاول البطر هو الطغيان في النعمة وقال ايضا سوء احتمال الغنى والمرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد
فاذا صرفها الى مرضاته الله فيها فاذا اهو الى وان تعطل بها الى لطف الفاخر على الاقران والمكاثر على الزهاد
فذلك هو البطر وثانيها رياء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطان
المعصية كما ان النفاق اظهار الطاعة مع الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون عن سبيل الله اي مفعول عن قبول
دين محمد قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله فيكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل احوالا اي بطرين مرائين

صادين او ينظرون ويراؤن ويصدون عن سبيل الله فيكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل حالا للاعلى تاويل واعترض في التفسير الكبير
بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح له كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي
لاجله عبّر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والريا فذكر بلفظ
الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما واما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا
قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع
والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار واقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين معناه واذكر اذ زين او هو معطوف
على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة
انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله ثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين ارادوا المسير
الى بدر ذكروا التي بينهم وبين كنانة من الحرب فلم يامنوا ان ياتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك
بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشيطان معه رايته وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اي لا غالب
كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب الا اياكم لانتصب كما يقال لا ضاربا زيدا واني جار لكم اي مجيركم من بني كنانة
او من كل عدو يعرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اي
التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشيء اي رجع وقال اني بريء منكم قيل كانت
يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين تخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون اي من نزول
الملائكة ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما
شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رأى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا
اغيظ من يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة الا ما رأى يوم بدر واما قوله اني اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبرئيل
خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان الوقت الذي انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في
قوله اني ارى ما لا ترون وكذب في قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس
ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول منتصب باذكر على انه كلام مبتدا منقطع عما قبله و
لهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوي الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة اقمنا في قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا
مع المشركين يوم بدر غرّ هؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى زهاء الف وما ذلك الا انهم
اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون في قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على
الله وكل امره اليه ووثق بفضله ان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوي الكثير حكيم وصل العذاب الى اعدائه
والرحمة الى اوليائه **التاويل** واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر ان ما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات واسرار
المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون خمسها في الله مخلصا وللرسول متابعا و
لذي القربى يعني الاخوان في الله مواصلا واليتامى يعني اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال
والمساكين الذين تمسكوا بايدي الارادة باذيال ارشادكم وابن السبيل يعني الصادر والوارد من اهل الصدق والارادة مراعيا
جانب كل طائفة على حسن صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا
وبما انزلنا على عبدنا في سفر فاوحى الى عبده ما اوحى يوم الفرقان الذي فيه الرحمن علم القران يوم التقى الجمعان جمع
الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي
مرسل والله على كل شيء قدير يقدر على ان يوصلكم في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ
انتم ايها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا اي بالعدوة القصوى اي الارواح بامه عالم الملكوت بارزة والركب

اسفل

اسفل منكم يعني الهياكل والقوالب في سفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم في الميعاد لما بينكم
من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضي امرا كان مفعولا وهي ايصال كل شخص الى رتبته التي استعد لها فيهلك
من هلك عن بينة من حجة ثابتة ويحيى من حي عن بينة له فالاشقياء يبقون في تيه الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء فارواحهم
في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعي الى ربك ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلي في عبادي وابدانهم في
جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي والله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالصدق والاصال عليم بمن يستحق الاذلال او يستاهل الاجلال
اذ يريكهم في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة الانسان لكن الله سلم عن الخوف للبشرى ويقللكم
في اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملائكة اذا لقيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان
واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديار اوصافهم
وتركوا الدنيا ودار البلاد وزاروا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فظنوا انهم
بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل تنفعه في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق اهل
الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وامد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف
الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها نكص على عقبيه زهوق باطله وصار مخالفا للنفس كما قال اني بريء منكم اني ارى ما لا
ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من القلوب ولو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لاحرقه ولهذا قال
اني اخاف الله وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين **قوله تعالى**

ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم

واگر ببینی تو ای محمد آن وقت که قبض روح مینمایند آنانرا که کافر شدند فرشتگان حال آنکه میزنند رویهای ایشانرا

وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم

و بر پشتهای ایشان و گویند ایشانرا بچشید عذاب آتش سوزان آن ضرب و عذاب حریق بسبب آنست که از پیش فرستاد از اعمال دستهای ایشان

وان الله ليس بظلام للعبيد كدأب ال فرعون والذين

و بسبب آنکه خدای نیست بیداد کننده مر بندگان را عادت و خوی ایشان چون خوی گروه فرعونست و آنانکه

من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله

از پیش ایشان بودند بارسل کافر شدند بآیتهای خدا پس بگرفت ایشانرا خدای بسبب گناهان ایشان بدرستی که خدای

قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها

تواناست در گرفتن دشمنان سخت عقوبت کننده آن عقوبت و عذاب ایشانرا بسبب آنست که خدا نیست تغییر کننده نعمتی که انعام فرمود آنرا

على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب

بر گروهی تا که تغییر کنند آن حالت حق که با ایشان بود و آنکه خدای شنواست اقوال ایشانرا دانا با افعال ایشان عادت خوی ایشان

آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم

چون خوی گروه فرعونست با موسی و آنانکه از پیش ایشان بودند با رسل تکذیب نمودند آیتهای پروردگار ایشان پس هلاک گردانیدیم ایشانرا

بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكلّ كانوا ظالمين • انّ شرّ
بگناههای ایشان وغرقه گردانیدیم کسان فرعون را وهریک از فرعون و دیگر گذار بودند ستمکاران بر خویشتن بدرستی که بدترین
الدّواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون • الذين عاهدت
جنبندگان نزد حکم خدا آنانی اند که کافر شدند پس ایشان ایمان نیاوروند آنانکه عهد بستی
منهم ثم ينقضون عهدهم في كلّ مرّة وهم لا يتّقون • فامّا
از ایشان پس میشکنند عهدشان در هر باری وایشان نمی ترسند پس اگر
تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلّهم يذّكّرون • و
یابی ایشانرا در جنگ پس متفرق گردان ایشانرا آنرا که بعد از ایشان تا مگر آنانکه ناقضان عهد بند گیرند و نقض عهد نکنند
امّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء انّ الله لا يحبّ
واگر دانی بامارات از گروه معاهد نقض عهد را پس بیفکن با ایشان عهد را بر همان مقدار که بدرستی که خدای دوست ندارد
الخائنين • ولا تحسبنّ الذين كفروا سبقوا انّهم لا يعجزون •
خیانت کنندگانرا ومپندار آنانرا که کافر شدند که رستند از شما چه ایشان فایت نشوند بعاقبت
واعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون
وساز دهید برای ایشان آنچه توانید از آلات حرب واز بستن اسپان که ترسانید بآنچه
به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم
باز ساخته دشمن خدا را ودشمن شمارا که اهل مکه اند ودیگرانرا از غیر ایشان نمیدانید ایشانرا خدای میداند ایشانرا
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ اليكم وانتم لا
وآنچه نفقه کنید از هرچه باشند در راه دین خدای تمام داده شود جزای آن سوی شما وشما
تظلمون • وان جنحوا للسّلم فاجنح لها وتوكّل على الله انّه هو
ستم کرده نشوید واگر میل کنند سوی صلح پس میل کن تو سوی آن واعتماد نمای بر خدای بدرستی که او اوست
السّميع العليم • وان يريدوا ان يخدعوك فانّ حسبك الله هو
شنوا اقوال ایشانرا دانا بنیات ایشان واگر خواهند که فریبند ترا بدین مصالحه پس بدرستی که بسنده تو خدا است او
الّذي ايّدك بنصره وبالمؤمنين والّف بين قلوبهم لو انفقت ما
آن خدا است که تقویت فرمود ترا بیاری خود وبمومنان والفت افکند میان دلهای ایشان اگر خرج کردی آنچه

في الارض جميعا ما الّفت بين قلوبهم ولكنّ الله الّف بينهم
در زمین است از خواسته همه الفت نیفکندی میان دلهای ایشان ولیکن خدای الفت افکند میان ایشان
انّه عزيز حكيم • يا ايّها النّبيّ حسبك الله ومن اتّبعك من المؤمنين
بدرستی که خدای عزیز است کار هرچه خواهد تواند اسب پیغمبر بسنده تو خدای است وآنکه متابعت کند ترا از مومنان یعنی عمر رضی تمام چهل تن
يا ايّها النّبيّ حرّض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون
ای پیغمبر برانگیزان مومنانرا بر جنگ کردن با کفار اگر باشند از شما بیست مرد
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
ثبات نماینده بر حرب غلبه کنند بر دویست عدو واگر باشند از شما صد مرد غلبه کنند از آنانکه از کفار
كفروا بانّهم قوم لا يفقهون • الآن خفّف الله عنكم و
کافر شدند بسبب آنکه کفار گروهی اند که در نمی یابند اکنون سبک گردانید بار خدای از شما تکلیف جهاد و
علم انّ فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
معلوم او و ظاهر شد که در شما است ضعفی در بدن پس اگر باشد صد مرد ثبات نماینده غلبه کننده بر دویست مرد واگر باشد
منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصّابرين •
از شما هزار غلبه کننده بر دو هزار از کفار بفرمان خدای و خدای باصبر کنندگان

القراءة تتوفى بتاء التانيث شامي الباقون بالتذكير ولا يحسبن بياء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الآخرون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين ابو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب و ان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلى بنيا للمفعول جملة ضعفا بالمد جمعا يزيد وقرا حمزة وعاصم غير المفصل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف كفروا الآن فاعل تتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفي هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتوفاهم الله بلا واسطة وادبارهم لحق الاضمار اي يقولون ذوقوا الحريق العبيد لتعلق الكاف فرعون للعطف من قبلهم بذنوبهم العقاب بانفسهم لعطف ان على ان عليم للكاف من قبلهم بآيات ربهم لاختلاف الجملتين مع الفاء آل فرعون لان الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين يؤمنون لاحتمال الجملة بعدها الوصف و احتمال النصب او الرفع على الذم لا يتقون يذكرون على سواء الخائنين سبقوا لمن قرا انهم بالكسر لا يعجزون من دونهم لاحتمال الجملة بعدها الوصف والاستيناف لا يعلمونهم لذلك يعلمهم لا يظلمون على الله العليم حسبك الله بين قلوبهم الاول بينهم حكيم من المؤمنين على القتال مائتين لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا مائتين باذن الله الصابرين التفسير لما شرح احوال هؤلاء الكفار في حيوتهم شرح احوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا يتوفى في خاصيته واذ نصب على الظرف قاله في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى او رايت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار لرايت امرا فظيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد

يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما
ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا اوجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلاجرم قابلهم الله بمثله في وقت نزع
الروح ومعنى عذاب الحريق مقدمة عذاب النار او عذاب النار نفسها في الاخرة تبشير لهم بذلك عن ابن عباس ان معهم مقامع
من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك بما قدمت ايديكم الآية تقدم تفسيرها في آخر آل عمران ويحتمل ان يكون هذا
حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما انزل باهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر ان هذه سنته في فرق الكفرة كلهم فقال
كداب آل فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داموا عليه كعادة آل فرعون نجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي اولئك
بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذفت النون لكثرة الاستعمال
ومعنى الآية ان ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمته على قوم حتى يغيروا ما بهم من الاحوال
والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركي مكة قد فتح الله عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب
وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلاجرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله
سميع للاقوال عليم بالاحوال فاذا بدلوا هذه النعم فيجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كداب آل فرعون وفي التكرير
بعد التاكيد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول
لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت ويشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت انسب ومنها
ان الاول اخبار عن عذاب الله لم يمكن الله احدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم و
الثاني اخبار عن عذاب يمكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كداب آل فرعون فيما
فعلوا وفي الثاني كداب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد الاول كفرهم
بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بآيات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش
اي كفروا بآيات الله كداب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كداب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل
التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله وكل كانوا ظالمين اي وكل واحد من فرق القبط وقتلى قريش
ومن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمي انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص
من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الآية لعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى
من لا يتوقع فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت
محذوف اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين معهم بيثق المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على
الماضي لفائدة الاستمرار وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن
عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم
فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة
عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم والتشريد
التفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء اكثر فيهم القتل حتى تخاف غيرهم والضمير في لعلهم
يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لم يجسر عليه احد بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم
معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد اي تخبرهم
اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك و
قيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل
فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم
معا قلت ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شان
العهد اذ ذاك او عن انكشاف حاله في النبذ قال اهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان ظهر ظهورا مقطوعا
به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في الآية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا
ابا سفين ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله فحصل لرسول الله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على

الامام

الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كيلا يبقى
حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما قال ولا يحسبن من قرأ بتاء الخطاب بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل
في ثلثمائة راكب واراد قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن انيس الى خالد
بن سفين جماعة فابتدر عبد الله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم صفه لي فقال انك اذا رايته ذكرت الشيطان ووجدت
لذلك قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة فقال لي من الرجل
قلت من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا امكنت منه قتلته بالسيف واسرعت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكرت اني قتلته فاعطاني عصاه وقال امسكها فانها آية بيني وبينك يوم القيامة وقال عكرمة انما امر الرجل ان
يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من ثلثة
فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الآية المتقدمة وانكر
ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين
في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان
الشرط غير حاصل في حق هؤلاء كقوله وعلم ان فيكم ضعفا فلاجرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا
يقتضي ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الآيتين والناسخ يجب ان
يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول ابي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ
والله تعالى اعلم ومعنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا ظهر معلومه فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند
وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك
الظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا **التأويل** يضربون وجوههم وادبارهم
لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له من جهة الخلف ويقبل على الآخرة ولا نور له يبصر ما امامه فيحصل له تالم من
قدام لم يك مغيرا لم يك مبدلا لحسن تقويم واستعداد اعطاهم بضده حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد
الفطري الذين عاهدت منهم يا روح في الازل لان نور الروح وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرد يا روح بهم من خلفهم
اي بالغ في تبديل صفات النفس وفي تزكيتها خبث نفوس تبدلها في الصفات التي وراءها فانبذ اليهم على سواء اي اظهر
عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون اي النفس الكافرة تحت تصرفي فلا تقنطوا من رحمتي في اصلاح حالهم من قوة
الروح وظلمات صفاتها واعداده بمداومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا تلتفت
الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الله الشيطان وعدوكم النفس والهوى وآخرين من دونهم من نفوس شياطين
الانس لا تعلمونهم انهم عدوكم من الاحباب والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم انهم عدو لكم كقوله ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم وما تنفقوا من شيء من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوايد من تقرب الي
شبرا تقربت اليه ذراعا والف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت ما في الارض جميعا
من السعي والجد والاجتهاد كما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله الف بين الروح وبين القلب
والقالب ليكون الشخص الانساني طلسما على كنوز وجوده ثم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم قوله تعالى

ماكان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون

نسزد پيغمبر را كه باشد او را دستگير كردگان تا آنگاه كه بسيار كند اشاعت قتل را در زمين ميخواهيد شما اي مسلمانان

عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب

نفع اين جهان را يعني گرفتن فدا و خداي ميخواهد ثواب آن جهان را كه باقيست براي شما و خداي غالبست و تواناست در كار گفتار اگر نه حكمي بودي

من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا
از خدای که سبقت یافته بعدم تعذیب شما مرآینه رسیدی بشما در آنچه گرفتید شما از فدیه عذابی بزرگ پس بخورید
مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها
از آنچه غنیمت یافتید حال آنکه حلالست و لذیذ و بترسید از خدای براستی که خدای آمرزگارست مهربان ای
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم
پیغمبر بگو مر آنها را که در دست شمااند از اسیران اگر داند خدای در دلهای شما
خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم
نیکی را دهد شما را بهتر از آنچه گرفته اند از شما یعنی فدا و آمرزد شما را و خدای آمرزگارست مهربان
وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم
و اگر خواهند اسیران که آزادشان کردی نا راستی با تو پس بحقیقت نا راستی کردند با خدای بکفر و نقض عهد از این پیش پس جای داد شما را از ایشان
والله عليم حكيم ● ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
و خدای داناست درست کار در هر چه کند براستی که آنانکه ایمان آوردند و هجرت کردند و جهاد کردند بمالهای ایشان
وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم
و تنهای ایشان در راه دین خدای و آنانکه جای دادند مهاجران را در مدینه و یاری نمودند بعضی از ایشان

اولئك
ایشان

اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
دوستان بعضی اند و آنانکه ایمان آوردند و هجرت نکردند نیست شما را از دوستی ایشان
من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم
هیچ چیز تا که هجرت کنند و اگر یاری خواهند از شما در راه دین پس بر شماست
النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ●
یاری دادن مگر بر گروهی که میان شما و میان ایشان عهدی و خدای بآنچه می کنید بیناست
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة
و آنانکه کافر شدند بعضی از ایشان دوستان بعض اند اگر نکنید آنرا که گفتیم تا باشد ظهور شرک
في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا في سبيل الله والذين
در زمین و فسادی بزرگ بضعف اسلام و آنانکه ایمان آوردند و هجرت کردند از مکه بمدینه در راه دین خدای و آنانکه جای دادند بسوی مهاجران

وجاهدوا
جهاد کردند

اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق
جای دادند مهاجران را در مدینه و یاری نمودند ایشان اند ایشان مؤمنان براستی مر ایشان راست آمرزشی و روزیی
كريم ● والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
با کرامت و آنانکه ایمان آوردند پس از هجرت نخستین و هجرت نمودند و جهاد کردند با شما پس ایشان
منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم
از شما اند و خداوندان قرابات بعضی از ایشان سزاوارند بعضی در نبشته خدای براستی که خدای بهمه چیزی داناست

القراءة ان تكون بالتاء الفوقانية ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد اسارى يزيد والمفضل الاخرون اسرى
من الاسارى يزيد وابو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو وحمزة الباقون بفتحها الوقوف
في الارض ط لتقدير الاستفهام اي اتريدون الاخرة ط حكيم ○ عظيم ○ واتقوا الله ط رحيم ○ ويغفر لكم ط رحيم ○ منهم ط حكيم
اولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ○ اولياء بعض ط كبير ط حقا ط كريم ○ منكم ط في كتاب الله ط عليم ○ التفسير
هذا حكم آخر من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة
والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين
اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب
عليهم وخذ منهم فدية يقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر
وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان من نسيب له فليضرب اعناقهم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة
وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال
لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء
الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون
درهما وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان
فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر و
سعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا في هذا المقام
بوجوه الاول ما كان لنبي صريح في النهي وقد حصل الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل
يوم بدر في قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا لكن
لشرط الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما اقل العقاب انما ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان
ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطاؤا في الاجتهاد وقوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول
الاسير بعد انهزام الكفار الثالث ان الحكم باخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم في قوله تريدون عرض الدنيا اي حطام
الدنيا بدلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر والله يريد الاخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام
باشاعة القتل في اعدائه وقوي نحو الاخرة اي عرض الاخرة على المقابل والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويقهرهم منهم
ويلجئهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه حكم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد افشاء القتل في الاعداء والجواب

ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب
احدا الخطا في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقايهم انما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولاد منهم مسلمين وان فداءهم
يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر
لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي اسلامهم بعد ذلك في الاساري حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما
فداء قال بعض المسلمين العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الايتين مختلفان وليس كذلك فان كلتيهما تدلان على انه لا بد من تقديم
الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه سيحل لكم الفدية وكان قرب الوقت من التحليل يوجب
تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق بانه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي وحاصل
هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى
لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم
ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل
لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا روي انهم امسكوا عن الغنايم او عن اخذ الفداء لانه
من جملة الغنايم نزلت فكلوا والفاء للتسبيب ومعنى الاية قد ابحت لكم الغنايم فكلوا وحلالا نصب على الحال من المغنوم او
للمصدر اي كلا حلالا واتقوا الله فيما يستقبل فلا تقدموا على شيء لم تومروا به ان الله غفور لما فرط منكم من ترك الاولى رحيم
فبذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاساري يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاساري ان يعلم الله
ان يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع
المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يوتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من المنافع العاجلة ويغفر
لكم في الاخرة والمراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسراء من بعد اتاه الله في
الدنيا خيرا الدلالة الاية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دينيا فلا شك كلهم قد وجد وذلك لان قليل الدنيا
مع الايمان اعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر
العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا ارجوا المغفرة وقال ابن عباس
نزلت الاية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من
الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى اسر فقال
العباس كنت مسلما الا انهم استكرهوني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك
فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله ان يترك ذلك الذهب علي فقال اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا قال
وكلفني الرسول فداء ابن اخي عقيل بن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد
اتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة
وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس
وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب لي ان
لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه يعني انه
صلى الله عليه وسلم لما اطلقهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن
يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ
على كل عاقل من ميثاقه فامكن اي المومنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فذاقوا وبال امرهم فسيمكن المومنين منهم مرة
اخرى ان عادوا الى الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المومنين من وافقه في الهجرة ومنهم

المهاجرون

المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف
واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين آمنوا ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الاوطان الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم
وضياعهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك العزيمة والسفر في الغزوات والمحاربات اما الجهاد
بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة
وذلك يدل على انهم ازالوا اطماعهم عن الحيوة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اقل الناس اقداما على هذه الافعال
والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة اثر عظيم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم
درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويقوي دواعيهم بما يرون منهم والمحن يخف على
القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين آووا ونصروا
اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض المتوجه عقيبه من المسلمين
المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون
القرابة ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى هذا التفسير لانه
يستلزم النسخ والتزام النسخ يجب عنه ما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان
ولي من لا ولي له وقال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فالمراد في المهاجرين والانصار بعضهم بعضا
وبينهم معاونة وتناصر انهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل لاحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه اما قوله والذين امنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجهت قراءة حمزة بان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالنجارة والقصارة كانه
بتوليه صاحب الاول امرا او باشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح
عطف وان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بانا لو حملناها على التعظيم و
الاجلال زال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض اهل الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يتولونهم
بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعله الله تعالى حكم هولاء المومنين متوسطا بين الاولين وبين
الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين
لانهم لا يبداون بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين
عن موالاتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا فلان المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان كل واحد
منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلايل على ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد
والعناد ومن حمل الولاية في هذه الولايات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على خلاف
مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يورث النصراني وبالعكس ثم قال
الا تفعلوه اي ما امرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم
موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اي يحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المومن بالكافر ووقوع
الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشان المومنين والثناء عليهم قوله والذين آمنوا وهاجروا الاية فوصفهم بانهم المومنون حقا
ولهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم
اعرضوا عن اللذات الجسمانيات فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل
السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين آمنوا من بعد
نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الاية وقيل بعد يوم بدر
والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشان
السابقين ولولا كون الفضل الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اي ذوو القرابات

بعضهم اولى ببعض اي احق بهم واجدر في كتاب الله اي في حكمه وقسمته او في اللوح او في القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة
للتوارث بالهجرة والنصرة واما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا ان تلك الولاية لما الفت الولاية
بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الآية ان ولاية الارث انما يحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة
ذلك الوهم يعني ازالة وهم من يحمل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوي الارحام
وهم ذو قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة وكل قريب يخرج عن اصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو
الام وكل جدة وجد ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام والعم للام وبنات الاعمام والعمات
والاخوال والخالات والخلاف في انه اذا لم يوجد ذو فرض او عصبة فهل يورث ذوو الارحام او يوضع المال في بيت المال
فقدمهم ابو حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعي قال ان الآية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال
في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام آية المواريث فلا يبقى
حجة في توريث ذوي الارحام واعلم انه سبحانه قال في اول هذه السورة الآيات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
وفي براءة بتقديم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة وفي قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله
لمسكم فيما اخذتم اي من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم او في قوله كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية باموالهم وانفسهم
اكتفاء بما في الاولى وحذف من الثالثة في سبيل الله ايضا اكتفاء بما في الآيتين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله
بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عبث وعيث لان العالم بجميع
المعلومات لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون والله اعلم

التأويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ماسورة وقوى موجهة الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان نصرا
بالحق حتى يثخن في ارض البشرية بقتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا
الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الآخرة منكم اي ليس للانسان من حيث طبعه ان يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله وعنايته
الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون منجذبا بالكلية الى عالم الارواح وانما يكون متوسطا بين العالمين راعيا
للطرفين لمسكم فيما اخذتم من وراء النفس الماسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد
عن عالم الشهود فكلوا مما غنمتم من اوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار بعد نزع الاستار حلالا طيبا نقيا عن لوث محبتها فكل
ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا بالله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار جوده ظلمات وجودكم
رحيم بكم حيث يفنيكم عنكم ويبقيكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من النفس الماسورة التي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء
سلطان الذكر عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات
الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق الشهودي وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفس عليه
من طبع الانحدار الى الدنيوية فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء
الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها ان الذين آمنوا ذكر الله وتجلت في
القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير
الى الله والذين آمنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن اوصافهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم لم تمسكوا باذيال ارادة
الواصلين منكم فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملاتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الا على قوم اي الا على بعض
احوالكم مما اصلحتم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها واسرتموها وآمنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح
في اوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى ان المتاخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذووا رحم
الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره

سورة التوبة مكية حروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثمانون كلمها

الفان واربعمائة وتسع وتسعون آياتها مائة وتسع وعشرون

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
اين بيزاريست واصل از خداي وپيغمبر فرستاده او بسوي آنانكه عهد كرديد شما با ايشان از مشركان وبت پرستان
فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله
پس بگوييد ايشانرا كه برويد در زمين چهار ماه ابتدا شوال تا انتهاي محرم وبدانيد كه شما فوت شونده نه ايد از حكم خداي
وان الله مخزي الكافرين • واذان من الله ورسوله الى الناس
وانكه خداي فضيحت كننده كافرانست • واين اعلاميست از خداي وپيغمبر او سوي مردم
يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله
روز حج اكبر كه خداي بيزارست از مشركان وپيغمبر او
فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله
پس اگر توبه كنيد از كفر پس آن بهترست مر شمارا در دو جهان واگر اعراض كنيد پس بدانيد كه بدرستي كه شما فوت شونده نه ايد از حكم خداي
وبشر الذين كفروا بعذاب اليم • الا الذين عاهدتم
ومژده ده آنانرا • كه كافر شدند • بعذابي • دردناك • مگر آنانكه عهد كرديد شما با ايشان
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم
از مشركان • پس كم نكردانيد شمارا • چيزي از عهد وياري • ندادند • بر شما
احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين
هيچ كسرا پس تمام اداكنيد سوي ايشان عهد ايشان را تا آخر وقت پيمان ايشان بدرستي كه خداي دوست ميدارد پرهيزكارانرا
واذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وچون بسر آيد ماههاي حرام • پس بكشيد كافرانرا • هر كجا يابيد ايشانرا
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا
وبگيريدشان • ودر بند كنيدشان • وبنشينيد براي ايشان • در هر گذرگاهي • پس اگر توبه كنند
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
وبپاي دارند نمازرا • وبدهند زكوة را • پس بگذاريد راه ايشان را • بدرستي كه خداي آمرزگار

رحيم • وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع
مهربان واكر يكى از اهل شرك زنيهار خواهد از تو پس زنيهار ده او را تا بشنود
كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون • كيف يكون
سخن خداى پس رسان او را بجاى ايمنى آن زنيهار دادن بسبب آنست كه ايشان كروهى اند كه نميدانند چكونه باشد
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند
مر مشركان را پيمانى نزد خداى ونزد پيغمبر او مكر آنانكه عهد كرديد با ايشان نزد
المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب
مسجد حرام پس مادام كه بر نهج استقامت باشند براى شما پس ثابت باشيد شما براى ايشان بدرستى كه خداى دوست ميدارد
المتقين • كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم
پرهيزكاران را چكونه باشد مر ايشان را عهدى وحال آنكه اكر ظفر يابند بر شما رعايت نكنند در حق شما
الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم
سوكندى يا قرابتى ونه عهدى خشنود ميكردانند شما را بدهنهاى خويش ودور است از آنچه كفتند دلهاى ايشان وبيشتر ايشان
فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله
خارج اند از طاعت بدل كردند آيتهاى خداى بهايى اندك را يعنى دنيا پس بازداشتند مردم را از دين خداى
انهم ساء ما كانوا يعملون • لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
بدرستى كه ايشان بد آنچه هستند كه مى كنند نكه نمى دارند در حق هيچ مؤمن عهدى يا قرابتى ونه پيمانى
واولئك هم المعتدون • فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وايشان ايشانند از حد تجاوز كنندكان پس اكر توبه كنند وبپاى دارند نماز را وبدهند حق خداى از مال
فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون • وان نكثوا
پس برادران شما اند ايشان در دين وبيان شافى ميكنيم آيتها را براى كروهى كه دانند واكر بشكنند
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة
سوكندهاى ايشان را از پس پيمان ايشان وطعنه زنند در حق دين شما پس كارزار كنيد با پيشروان
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون • الا تقاتلون قوما
كافران كه بدرستى كه ايشان هيچ سوكندى نيست مر ايشان را تا مكر ايشان باز ايستند آيا كارزار نكنيد با كروهى

نكثوا

نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم
كه نقض كردند پيمانهاى ايشان را وقصد كردند به بيرون كردن پيغمبر از مكه يا مدينه وايشان آغاز كردند با شما بقتال نخست بار
اول مرة اتخشونهم والله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين •
نخست بار اى ميترسيد از ايشان پس خداى سزاوارتر است كه بترسيد از او اكر هستيد از اهل ايمان
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
كارزار كنيد با ايشان تا عذاب كند ايشان را خداى بدستهاى شما وفضيحت نمايد ايشان را ويارى دهد شما را بر ايشان وشفا دهد
صدور قوم مؤمنين • ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من
بانتقام از كفار سينهاى كروهى اهل ايمان را وزايل كرداند خشم دلهاى مؤمنان را وتوبه دهد خداى بر هر كه
يشاء والله عليم حكيم • ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله
خواهد وخداى داناست درست كار درست كفتار يا نه كه پنداشتيد شما كه كذارند شما را وهنوز ظاهر نشده است از خداى
الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا
آنانكه جهاد كردند از شما ونكرفتند از غير خداى ونه پيغمبر او ونه
المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون •
مومنان دوستى خالص وخداى آكاهست بدانچه مى كنيد شما

القراءة ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع ائمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر و هشام يدخل بينهما مدة الباقون بالفتح بهمزة يعملون بياء الغيبة عباس مخير الوقوف من المشركين ه معجزي الله ط للعطف الكافرين ه من المشركين ه للعطف ورسوله خير لكم ط لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله اليم ه للاستثناء مدتهم ط المتقين مرصد م سبيلهم ط رحيم ه مامنه ط لا يعلمون ه المسجد الحرام ط لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ه ولا ذمة قلوبهم فاسقون لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا يعملون ه ولا ذمة المعتدون في الدين يعلمون ائمة الكفر لا للتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ه اول مرة اتخشونهم لان ما بعده مبتدا مع الفاء مؤمنين ه مؤمنين لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ه وليجة يعملون ه التفسير قد عد في الكشاف من اسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى حسبنا ان لا تدع والعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من اولها عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من آخر القرآن نزولا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكانه اراد بالمشابهة ما روي عن ابي بن كعب ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت

احدهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور ان لا يكون من بينهما من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك تفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القرآن على ما يقوله الامامية وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة تنبيها على قول من يرى انهما واحدة فضلوا اصلا يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لما لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين في ضبط الدين وحفظ القران عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة آية من كل سورة والآثار كتبناها هنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سالت علي ابن ابي طالب عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفين بن عيينه هذا المعنى واكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا فقيل له اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة هو ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما يقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصيصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار وكان قد اذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فكانه قيل للمسلمين اعلموا ان الله ورسوله قد بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روي كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا والاشهر هي الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة من الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولي عتاب بن اسيد الوقوف بالناس الموسم فاجتمع في تلك السنة في الوقت ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انزل في شيء من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين واربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل علي كرم الله وجهه وعلى تقديمه واجاب اهل السنة بانه امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي علي خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير بينهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كاخ او عم فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فلهذا ازيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما خص ابو بكر بتولية امر الموسم خص علي بهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب ولننظر الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقيهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم

جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري ان براءة نزلت في شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم او منوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حرما على التغليب لان ذي الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطت الى اربعة ومن كانت مدته اقل رفعت اليها والمقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا في انفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الجزية او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان هذه الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وفي قوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطى الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة امر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد والناكث وغيرهما ليصل الخبر الى جميع الاطراف ويشتهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يحج في السنة الآتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر بن سعد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس وابن مجاهد واحدى الروايتين عن علي وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خطب رسول الله عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه قول الشعبي والنخعي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي كرم الله وجهه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفين الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد هنا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا والتقدير ان الله بريء من المشركين قوله ورسوله بالرفع مبتدا محذوف الخبر اي ورسوله ايضا كذلك او هو معطوف على المنوي في بريء اي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار وعلى ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله و بين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثاني اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وايضا المراد بالاول البراءة من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم اعرضتم عن التوبة او بقيتم على التولي والاعراض عن الايمان فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لو فات ونالوا خلصوا عن العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيامة اما قوله الا الذين فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم

لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الى الذين عاهدتم ومعنى لم ينقصوكم شيئا لم
يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ومعنى لم يظاهروا لم يعاونوا اي لم يقدموا على المحاربة بانفسهم ولم يهيجوا اقواما آخرين وقرئ لم
ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم ادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم
تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين ولا
يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله الانصار كرشي
وعيبتي اراد انهم بطانتي وموضع سري وامانتي وظاهرهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانشد شعر لاهم اني ناشد محمدا ۞ ان قريشا اخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ذمامك المؤكدا ۞
هم بيتونا بالحطيم هجدا ۞ وقتلونا ركعا وسجدا ۞ حلف ابينا وابيك الاتلدا ۞ فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت
ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا ذكر له الحلف العهد لانه كان بين ابيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والاتلد الاقدم
ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم التي فيها ابيح للناكثين ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزءا
فجزءا الى ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه لخروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه وكلاهما ظرف فاقتلوا
المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم امنعوهم
من التصرف في البلاد وقيل قيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر و
مجتاز ترقبونهم هناك وانتصابه على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
ان حصلوا على شروطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم او اطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام وعن
التصرف في مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعي انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع
الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور لم يوجد هذا
المجموع فوجب ان يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل ولعل ابا بكر الصديق رضي الله عنه استدل بمثل ذلك
على جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان عدولا
عن الظاهر عن الحسن ان اسيرا نادى بحيث يسمع النبي صلى الله عليه وسلم اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد ثلثا فقال
صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فارسلوه قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل و
ذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من
اهلها لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان المشركين حجة الله تعالى قد تمت عليهم
وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة عللهم فينتج ذلك ان احدا من المشركين لو طلب
الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فازال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال و
ان احد من المشركين استجارك الاية قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك
كرهوا الجمع بين المفسر والمفسر والغرض بناء الكلام على الامام ثم التفسير من حيث ان من ظن ان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر
الفاعل ههنا لما اهم بيانه ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصونه من الاهدار
فقال استجرت فلانا اي طلبت منه ان يكون جارا لي اي محاميا وحافظا من ان يظلمني ظالم ومنه يقال اجارك الله من العذاب
اي انقذك والمعنى وان جاءك احد من المشركين استجارك بعد انسلاخ الاشهر لا عهد بينك وبينه فاستامنك ليسمع ما تدعو
اليه من التوحيد والقرآن فآمنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله
ان شئت وفيه ان المقصود من شرع القتال قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان
الكافر الذي تهدر دمه لما اظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان
يبلغه مامنه اما مدة مهلة النظر فليس في الاية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على
المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهله وتركه ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق دافعا للزمان
بالاكاذيب لم يلتفت اليه وابلغه المامن ويشبه ان يقال المدة اربعة اشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعي والمذكور في
الاية كونه طالبا لسماع القرآن الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلايل وجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب

الاجارة بكونه غير عالم حيث قال في اخر الاية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع
كلام الله وجوه قيل اراد جميع القرآن لان تمام البينات والدلايل فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية
المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلايل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم الدلايل واعلم ان الامان
قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم او بلدة او علم ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقد مر في تفسير قوله وان جنحوا للسلم
فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بافراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين ايضا وهذا مقصود الاية وانه ثابت
غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء
هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالاية وعن السدي منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وشرط
الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روي انه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم ادناهم وعن ام هاني
قال اجرت رجلين من احمائي فقال صلى الله عليه وسلم امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره
على عقلاء الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف وكناية كقوله انت على ما تحب
او كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه
الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا
دخل لسماع الدلايل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا راى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة
المؤمن من القتل والسبي فان من قتله فانه يضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب من اهل و
مال واما الذي معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالاصح ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في
الاية مسئلة اصولية هي ان المعتزلة استدلوا بالاية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون
كلامه محدثا لان دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي
خلقها الله تعالى ولا عندكم لعلمنا ان هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها
هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات
وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين راوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم
قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد كيف
يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين
ظرف للعهد او ليكون او للجار او هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال
من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تفكروا
في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال
فما استقاموا لكم وفي ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق اي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم
الثاني شرطية اي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى ان الوفاء
بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف يكون
لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تفوق في نفسه
كمالا فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينتظروا بكم
الا ولا ذمة قال في الصحاح الال العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجوار والانين
لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وسميت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح ايضا ان الال
بالكسر من اسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل اشتق الال بمعنى القرابة
كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة واذن
مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك وكان بحيث
لو ضيعته لزمتك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اي ما تحتشمت فيه الذم قال في الكشاف يرضونكم كلام مبتدا
في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتابى قلوبهم مخالفة ما فيها من

الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل ثم قال سبحانه واكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار
قد اسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر انه اراد ان اكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي
هو مذموم في جميع الاديان والملل اشتروا واستبدلوا بايات بالقران وبالاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله صرفوا
عنه غيرهم وعدلوا هم انفسهم قال مجاهد اراد اعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود
الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القران كالامر المختص لليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة ولو اراد المشركين كان تكرارا واولئك هم المعتدون المتجاوزون حدود الله في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فان كان هذا في اليهود فما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار
فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين فلم يكن من التكرار في شيء قال ابن عباس حرمت
هذه الاية دماء اهل القبلة ونفصل الايات نبينها لقوم يعلمون لانهم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة يفيد البعث على
التامل في احكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وان نكثوا اعني هؤلاء التائبين ايمانهم من بعد عهدهم اي من بعد اسلامهم
حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الحفظ من بعد ابرامه وطعنوا في دينكم بذموه
وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر هي جمع امام واصلها ائممة كمثال وامثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وادغمت الميم في الميم
وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحوم فهو عريق في الكفر
مقتدى به لا شك كافر غيره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم ابدى غرض القتال بقوله لعلهم
ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا امر نفساني وداع شهواني ووسط بين
الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا ايمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال اثبت لهم الايمان اولا في الظاهر
حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست مما تعد ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك ابو حنيفة
في ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم يكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن
قرا لا ايمان لهم بالكسر اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا طعن الذمي في دين
الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع
في ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال الا تقاتلون قال اهل المعاني اذا قلت الا تفعل كذا فانما تستعمل ذلك
في فعل تقدر وجوده واذا قلت الست تفعل فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفى بها المستقبل فاذا
دخلت عليها الالف صار لتحقيق الحال قال ابن عباس اسحق والسدي والكلبي نزلت في كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد
الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجر او من المدينة يريد اليهود هموا باخراجه
منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفيان عليه يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوا مكة ثم يخرجوه قبل ان
يتم حجه استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وهم بدءوكم اول مرة بالقتال يعني يوم بدر لانهم
حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاء من خزاعة او المراد ان الرسول
صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادي اظلم
والحاصل ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ
من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ فقال اتخشونهم فيه تقرير للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت للرجل اتخشى خصمك
لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه فقال فالله احق ان تخشوه ان كنتم
مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته اتم وعقابه اشد بل لا قدرة الا لله ولا يكون الامر الا بيده
وفي الفاء نوع تعليل لان الاستفهام في معنى النهي كانه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع
مجازاة كانه قيل ان منعكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد في تاكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم ورتب عليه خمس نتائج
الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اي بالقتل والاسر واغتنام الاموال وهذا لا ينافي قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
لانه اراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان التي يدخل في الوجود من الافعال كلها من الله
يظهرها على ايدي العباد واعترض الجبائي بانه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبياءه على لسان الكفرة واجيب بان الامر

كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب الزنى
واللواط ويا رافع الموانع عنها الثانية ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين
في ايدي وهو قريب من الاول او هو وقيل هو عذاب الاخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليهم من النصر يستتبعه اخزاء الخصم
فاي حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من
جهة المؤمنين الا ان المؤمنين يحصل لهم آفة بسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور
قوم مؤمنين هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قيل شفاء الصدور واذهاب
غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر كقوله يا دار مية بالعلياء فالسند او شفاء الصدر
اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود واذهاب غيظ القلب اشارة الى وقوع الفتح
وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال ويتوب الله على
من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب
بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف تقع جزاء
للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان
شاقا فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وايضا ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد
اذا شاهد توالي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن جميع الذنوب وقد تصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل
اللذات بالطريق الحلال فيمتنع عن الحرام وايضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتح عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير
ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله حكاية عن سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني بعد حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجري في
ملكه وملكوته حكيم مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله الا تقاتلون الاية ترغيب في فتح مكة
لان النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين انه ليس
الغرض من ايجاب القتال وانما المقصود ان تولي به انقياد الامر الله ولتكاليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال ام حسبتم الاية
وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا وداخل في حيز الصلة والوليجة البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم
وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجتي وهم وليجتي يستوي فيه الواحد والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم عليه ولم يظهر
بعد معلوم الله من تمييز المجاهدين المنافقين من المجاهدين الخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا احبابا من الذين يضادون
رسول الله والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء فيجدوا في استقامة السير ويجتهدوا في نقاء السريرة التاويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من النفوس المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فنادت الروح والقلب في اذان الطفولية لاستكمال القالب دون
فسيحوا في ارض البشرية اربعة اشهر هي مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية واذان من الله
ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زمان
كعبة الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت
وان توليتم وركنتم الى غير الله فاعلموا انكم غير معجزي الله عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل
الشقاوة فبالم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم ايها القلوب والارواح من مشركي النفوس على التوافق في العبودية ثم لم
ينقصوكم شيئا من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم احدا من الشيطان والدنيا فاتموا اليهم عهدهم بالمداراة
والرفق الى ان يلوح طلوع شمس العناية وبلوغ الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف
فاقتلوا النفس المشركة بسيف النهي عن الشهوات حيث وجدتموهم في الطاعة بان تكلفوها اياها وفي المعصية بان تزجروها
عنها وخذوهم باداب الطريقة واحصروهم في حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم في الاحوال كلها فان تابوا رجعوا

الى طلب الحق واقاموا الصلوة اذ واحق العبودية واتوا الزكوة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات
ليعلموا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هي الرجوع الى البداية وان احد من مشركي صفات النفس استجارك تبرا مما هو
المخصوص به من الصفات الذميمة فاجره حتى يسمع كلام الحق يلهم بالهام ثم ابلغه مامنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت
بصفة من صفات النفس تجذب النفس جميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسرار لا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها
فيركنون اليها كيف يكون لمشركي النفوس ثبات على العهد وتذبذب ميالة الى السفليات ونجاتها بعد اصلاح حالها ان تميل
الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله خاصة الذين
تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم
فاستقيموا لهم لسرحها في متنع رياض الشريعة لان تتوافيكم الا ولا ذمة لا تحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب
مزدوجة في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص
اشتروا بدلالات يوصلهما الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا الطريق الحق على الارواح والقلوب
فاخوانكم في الدين رفقاء كم في طلب الحق فادعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا القوم يعلمون ان السير الى الله من عظم المقامات
واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب السلوك ائمة الكفر هم النفوس وهموا باخراج الرسول يعني الواردات الغيبية
بانسداد روزنة القلب اول مرة في اوان الطفولية اتخشونهم في فوات حظوظها والله احق ان تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ
قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادي في الباطل من حاجر الى رياضة شديدة والله
باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة ولم يتخذوا اولياء من الشيطان والدنيا والاخرة والله اعلم

ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
نباشد و نه سزد مر شرک آورندگان را که عمارت کنند مسجدهای خدای را در حال که گواهند بر تنهای خود
بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون
بناگرویدن ایشان باطلست کردارهای ایشان و در آتش دوزخ ایشان جاوید باشند
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام
بدرستی که عمارت کنند مسجدهای خدای را آنکس را که بگروید بخدای و بروز بازپسین و بپای داشت
الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان
نماز را و داد زکوة را و نترسید مگر از خدای پس شاید بود ایشان که
يكونوا من المهتدين ● اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
باشند از راه یافتگان راست ای کردانید شما اهل آب دادن حاجیان و اهل عمارت مسجد
الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله
حرام را چون آنکس که ایمان آورد بخدای روز بازپسین و جهاد کرد در راه دین خدای آنانکه
لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ● الذين
برابر یکدیگر نیستند نزد خدای و خدای راه ننماید گروه ستمکاران را آنانکه

آمنوا

آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
ایمان آوردند و ببریدند از اوطان خود و کارزار کردند در راه دین خدای بمالهای ایشان و تنهای ایشان
اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون ● يبشرهم
بزرگترند بمرتبه نزد خدای ایشانند بروزی یابندگان مژدگانی میدهد ایشان را
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ●
پروردگار ایشان ببخشایش از نزد او و خشنودی و بهشتهایی که برای ایشانست در آن بهشتها نعمتی دایمی
خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ● يا ايها الذين امنوا
جاوید باشند در آن بهشتها همیشه بدرستی که خدای نزد اوست مزدی بزرگ ای آنانکه ایمان آوردید
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر
فرا مگیرید پدران شما و برادران شما دوستان اگر اختیار کنند و برگزینند ایشان ناگرویدگان
على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ●
بر گرویدن و آنکسی که دوستی کند ایشان از شما پس ایشانند ستمکاران
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
بگو یا محمد اگر هستند پدران شما و پسران شما و برادران شما و زنان شما
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
و خویشان نزدیک شما و مالها که کسب کردند شما آنرا و تجارتی که ترسید شما از ناروایی آن
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
و مواضعی که پسندید شما آنرا دوست داشت تر سوی شما از خدای و پیغمبر او و غزا کردن در
سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
راه دین خدای پس چشم دارید تا آنچه دوست تا آورد خدای کار خود را و خدای راه ننماید گروه بیرون شوندگان از فرمان او را امید از بیم
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم
بحقیقت نصرت داد شما خدای در مواضع و اماکن یعنی غزوات بسیار و روز حنین چون شگفت آورد شما را
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت
بسیاری شما را پس سود نداد شما را کثرت شما چیزی و تنگ شد بر شما زمین با فراخی آن

ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى

بس اعراض كرديد شما دران حال كه بشت بس فرو فرستاد خداى آرامش خود را بر بيغمبر خود داد و بر

المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا

مومنان و فرو فرستاد از آسمان لشكرهايى كه نديديد شما ايشان را و عذاب كرد خداى آنان را كه كافر شدند تقتيل

وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك

و آنست باداش ناكروندكان بس توبه دهد خداى از بس آن

على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا انما

بر آنكس كه خواهد و خداى آمرزكارست مهربان اى آنانكه ايمان آورديد بدرستى كه

المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم

بت برستان پليدند بس بايد كه نزديكى نكنند مسجد حرام را بس از آن امسال ايشان

هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

اين سال و اگر بترسيد از درويشى بس زود باشد كه بى نياز گرداند شما را خداى از فضل خود اگر خواهد بدرستى كه خداى داناست درست كار

القراءات مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع بخبر هم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع ابو بكر وحماد رحبت وضاقت ونحوهما بالادغام حمزة رحبت ثم بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى

الوقوف بالكفر اعمالهم لعطف المختلفين خالدون المهتدين في سبيل الله عند الله والظالمين لئلا يشتبه بالوصف وانفسهم لان ما بعده خبر الذين عند الله الفائزون ومقيم لان ما بعده حال ابدا عظيم على الايمان الظالمون بامره الفاسقين كثيرة العطف الظرف على الظرف حنين لان اذ ظرف نصركم مدبرين للاية والعطف كفروا الكافرين من يشاء رحيم نصف الجزء هذا ان شاء حكيم

التفسير انه سبحانه بدأ بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جائزة ثم مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليهم ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام ومن قرأ على الجمع واما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها وهذا اكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك او يراد المسجد الحرام لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد يضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما المرمة واما كثرة اتيانه للصلوة والاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما مرمته وتعهده وليس للمشرك هذا ايضا لانه يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخول المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روي انه صلى الله عليه وسلم انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانه صلى الله عليه وسلم كانه اراد ان يكون ذلك بمحضر منه وهو في المسجد وقوله

شاهدين على انفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن ولهذا قال السدي هي النصراني اذا قيل له من انت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن يقول انا عابد الوثن وقيل هي تلبيتهم في طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك عن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم الصادرة عنه كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفي النار هم فيها خالدون ولافادة هذا التركيب الحصر احتجت الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استحقاق عمارة المساجد فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لان المرء ما لم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد في الحديث المصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره وقيل دل عليه بقوله واقام الصلوة وآتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة لا ريب ان فيها عمارة المسجد والحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة لان ايتاء الزكوة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يتفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه لم يشتغل بعمارة المساجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم الله انه لو بنى المسجد بناء رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يخشى في جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل نفعه في الآجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الآية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره ومن عمارة المسجد تعظيمها والدرس فيها وبسطها وتنويرها بالمصابيح عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب اصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باهتداء المشركين وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الائمة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد ومعناه هو ان عمارة المسجد وسقي الحجيج لا يوجب لكم نوعا من الفضل الا ان هذه الاعمال لا تبلغ مقابلة الايمان بالله والجهاد شيئا ثم قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن لقوله كمن آمن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ويروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم بل انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله اولئك اعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصته ما روي عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي للعباس الا تهاجر الا تلحق بالنبي فقال الست في افضل من الهجرة الست اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال له

النبي صلى الله عليه وسلم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي اجعلتم اهل
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل ان يسأل
ما بال احد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي
القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم اشنع من وضع اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها
وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لوضع قابلية ونقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر فافهم ثم صرح بالفريق الفاضل
فقال الله الذين آمنوا الاية ثم قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله اعظم درجة يوجب ان يكون
للمفضول ايضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا ورد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة
نظيره قوله ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم او المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا
عن الكافر والمراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخير وموجبان للثواب لولا
الكفر وفي قوله عند الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله اولئك هم الفائزون لدلالته على انحصار الفوز
بقوله ربهم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات التنكير فيها يفيد انها وراء وصف المواصيف قال المتكلمون الثواب
منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة
الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع من شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلثة
الفاظ مؤكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها ابدا وقال اهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة
وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية
فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى اعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة
منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله وجنات اشارة
الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مراتع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان
الذي رباكم في الدنيا بالنعم التي لا حد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز ان يكون الرحمة
اشارة الى رضاء العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله
ارجعي الى ربك راضية مرضية ثم اكد المعاني المذكورة بقوله ان الله عنده اجر عظيم وفي تصدير الجملة الاسمية بان وفي
لفظ عنده وتقديمه وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة
الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به
زوجته وعياله وولده فيقولون انشدك الله ان تدعنا الى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الى تمام الاثنين وذكروا في وجه النظم ان هذه الاية جواب عن شبهة اخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى
البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الاباء
والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا على الكفر اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل
ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلا جرم ختم الاية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد
انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض
في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة
من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا
في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت
قل ان كان اباؤكم الاية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه وابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله و
لا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في سبعة للذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم
قال الواحدي عشيرة الرجل اهله الادنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع
فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا تكاد العرب تجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر وفي
القرآن تجد عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدل على الدنو والكاسب يدني الشيء من نفسه ويدخله تحت ملكه

والترتيب المذكور في غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم ان يتوسل بتلك
المخالطة الى بقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفي آخر المراتب الرغبة في الاوطان التي بنيت للسكنى فبين تعالى
انه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية اولى عندكم من طاعة
الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا انتظروا بما يحبون حتى يأتي الله بامره عن الحسن هو عقوبة عاجلة او
آجلة وقيل يعني القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وعنيه بعد لما روي ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل
مصالح دينه فان الله تعالى يراعي مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر ومواطن
الحرب مقاماتها ومواقفها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولا هاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات
الرسول صلى الله عليه وسلم وهي على ما في الصحاح عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة الخندق وذات
الرقاع وغزوة بني المصطلق وغزوة انمار وغزوة ذي القرد وخيبر والحديبية والفتح ويوم حنين واستبعد صاحب الكشاف
عطف الزمان على المكان فقال معناه في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز ان يراد بالوطن الوقت كمقتل الحسين
قال على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اي ونصركم يوم حنين لا في له اذ اعجبتكم كثرتكم
بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في
جميعها وجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعل لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على
المكان وما حصل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين
مكة والطائف قال المفسرون لما فتح مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بقيت ايام من شهر رمضان خرج متوجها
الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلعم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر
الفا عشرة الاف من الذين حضروا مكة والفان من الطلقاء الاسارى الذين اعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
الكلبي كانوا عشرة الاف والجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وثقيف اربعة الاف فلما التقوا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المراد
من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله
منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة اي لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع
حاجتكم ولم تفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور في موضع
الحال اي ملتبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض
ذات الطول والعرض موضعا يصلح امركم اليه فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب
كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا الصابرون العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والذي لا اله الا هو ما
ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط ولقد رايته وابو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام البغلة وهو
يقول شعر انا النبي لا كذب ٭ انا ابن عبد المطلب ٭ وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلته شهباء
ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب
بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال
زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم احد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه
ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا او على الذين ثبتوا مع
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر الفا او ثمانية الاف او خمسة
الاف على اختلاف الرواية وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين
جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا

وركبوا اكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء
الخواطر الحسنة في قلوب المومنين ثم قال وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة
بان السكينة وهي داعية السكون والثبات وبقوله وعذب علي ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الله بقوله
وذلك جزاء الكافرين واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفا
الجزاء والجزاء اسم للكافي ويكون الجلد كافيا يمنع ان يكون غيره مشروعا معه واجابت الشافعية بانه تعالى قال في هذه الآية
وذلك اي الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمي العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل بان اما قوله ثم يتوب الله
من بعد ذلك اي يسلم ناس منهم روي ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا
واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الآف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير
القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هولاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه
قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا
ثم انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى لهم وذلك ان عليا كرم الله وجهه حين قرا عليهم براءة ينبذ اليهم عهدهم قال اناس يا
اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
قال في الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذوو نجس وقال الليث انه صفة يستوي فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم
نجس ورجلان نجس وامراة نجس قلت ويجوز ان يحمل المصدر ههنا للمبالغة في الوصف واختلف في تفسير كون المشرك نجسا
فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضا وهو قول الهادي من ائمة الزيدية
واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم واحتج القاضي على ذلك بما روي انه صلى الله عليه وسلم شرب من آنيتهم وبانه لو
كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام واولوا الآية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضأون عن الحدث
او انهم بمنزلة الشيء النجس في وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم او ان كفرهم الذي صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشيء
فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي السنة التاسعة من الهجرة التي وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا في هذا
النهي فعن ابي حنيفة واصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه في الجاهلية والدليل عليه قول علي في النداء
الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد
الحرام في المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم
وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم
عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال لانهم
اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله
ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله اي من تفضله بوجه آخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل
الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم بالفيء وعن مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان
ذلك اعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يفتر المسلمون بذلك
فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء اليه وليعلم ان حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا الله
وضابط الاسلام ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم اي باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب التاويل
ما كان لمشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب بهم مصرين على ما جبلوا عليه من التمرد وتقييد الهوى
حبطت اعمالهم التي صدرت منهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بان المقصود والمعبود
هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف
فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحظوظ الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة
المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كان مشوبة بالرياء والهوى لا يستوي عند الله الطالبين والبطالين والله

لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين آمنوا اي القلوب المومنة وهاجروا اي الارواح المهاجرة
الى القوالب وجاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس
الوجود بتجلي الصفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اي من وصل الى مقام العندية فالله العظيم
اجره لا تتخذوا اباءكم الآيتان فيهما اشارة الى ان من اثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد ابطل استعداد الفطري بقبول الفيض
الالهي ويوم حنين اي حين حنت قلوبكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود
ثم اعرضتم عن الطلب اذا احتجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهي واردات ترد على
الارواح والقلوب فتسكن اليها بها على رسوله الروح وعلى قلوب المومنة وانزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس
المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد
ذلك العلاج بجذبته ارجعي انما المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا تقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو
حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهي القلوب عن اتباع النفوس وامرها بقتالها ومنعها عن تطوافها لئلا يتنجس
القلب بنجاسة شرك النفس واوصافها الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفوس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع
تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحقي فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون
جنگ کنید با آنانکه نگرویدند بخدای و نه بروز بازپسین وحرام نمیدانند آنراکه
ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
حرام کرد خدای و پیغمبر او و اعتقاد نمیکنند دین اسلام راکه ناسخ سایر ادیانست از آنانکه دادند ایشانرا
الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
توریت و انجیل تا که دهند خراج مخصوص را از دست ایشان بنقاد وحال آنکه بصفت خواری باشند
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
وگفتند جهودان عزیر پسر خدایست و گفتند ترسایان عیسی پسر خدایست آن
ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا
گفتار ایشان بدهنهای ایشان مانند است گفتار ایشان بگفتار آنانکه کافر شدند
من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم و
پیش از زمان رسالت لعنت خدای بر ایشان باد از کجا مصروف میشوند از حق گرفتند در طاعت معاصی علمای خود را و
رهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا
زهاد خود را بمنزلت خدایان از غیر معبود بحق و مسیح پسر مریم و نه فرمودند ایشانرا مگر که
ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
بپرستند خدای یگانه را نیست معبودی بحق مگر او پاکست او از آنچه شریک میآرند

يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم
میخواهند که فرو نشانند روشنی دین خدا را بدهنهای ایشان ونمی خواهد خدای مگر که تمام کرداند
نوره ولو كره الكافرون ۝ هو الذي ارسل رسوله بالهدى
روشنی دین خود را واگرچه نخواهند کافران او آن خدایست که فرستاد پیغمبر خود را براه راست
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
ودین صواب تا غالب گرداند بر جنس دین همه آن واگرچه نخواهند اهل شرک
يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون
ای آنانکه ایمان آوردند بدرستی که بسیاری از علماء یهود وزهاد ایشان هرآینه میخورند
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين
مالهای آدمیان را بی وجه شرعی بطریق رشوت ومنع میکنند از راه دین خدای وآنانکه
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
گنج مینهند زر را ونقره را ونفقه نمیکنند آنرا باخراج در راه دین خدای پس مژده ده ایشانرا
بعذاب اليم ۝ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
بعذاب دردناک در آن روز که گرم کنند وبرفروزند در آتش دوزخ پس داغ کنند بآن پیشانیهای ایشان
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا
وپهلوهای ایشان وپشتهای ایشان گویند ایشانرا این آنست که گنج نهادید برای خویشتن پس بچشید وبال
ما كنتم تكنزون ۝ ان عدة الشهور عند الله
آنچه بودید که گنج می نهادید بدرستی که شمار ماهها نزد حکم خدای
اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات و
دوازده ماهست در لوح محفوظ با آنروزی که آفرید آسمانها و
الارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن
زمین را از آن چهار ماه حرام رجب ذی القعده ... آن تحریم ماهها دین راستست پس ظلم مکنید در آن ماهها
انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا
بر خود واستحلال آن وکارزار کنید با اهل شرک همه چنانکه کارزار میکنند با شما همگان وبدانید که

ان الله مع المتقين ۝ انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
خدای بنصرت با پرهیزکارانست بدرستی که تاخیر ماه حرام فزونیست در کافری گمراه کرده میشوند بآن آنانکه
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله
کافر شدند حلال میدارند آنرا سالی وحرام میدارند آنرا سالی تا موافق کنند شمار آنرا که حرام کرد خدای
فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين
پس حلال کنند آنچه حرام کرده خدای آراسته شد برای ایشان بدی کارهای ایشان وخدای راه ننماید گروه کافرانرا

القراءة عزير ابن الله بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون الهمزة عاصم غير الخراز الاخرون يضاهون بحذف الهمزة منهما يزيد وحمزة في الوقف وان ساكن الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخراز انما النسي بالتشديد ورش من طريق البخاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الصاد على حمزة غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي واوقية ويعيش الباقون يضل بضم الياء وفتح الضاد على حمزة بفتح الياء وكسر الضاد الوقوف ابن الله صابون المسيح ابن الله بافواههم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل قاتلهم الله يؤفكون ابن مريم لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا او استيناف واحدا لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو يشركون الكافرون كله لتعلق لرب ما قبله المشركون عن سبيل الله في سبيل الله لا لتعلق الفاء اليم اي في يوم وظهورهم يكنزون حرم يقاتلونكم كافة المتقين فيحلوا ما حرم الله اعمالهم الكافرين التفسير انه سبحانه لما ذكر الشبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب والمقصود تميزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب في اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها ثم تبين الموصوفين بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب فدل ذلك على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات الاولى انهم لا يؤمنون بالله فاورد عليه الناس ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض بانا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون اكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت للصفات سبعة احوال معللة بتلك الصفات وغيرهم انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا اخبارا ثم صار كذلك عند الانزال والاخرون انكروه وقوم موسى بن قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في ان اختلاف المعلوم هل هو مقدور ام وام اما الاختلافات المعتزلة وساير الفرق فاكثر من ان يحصى ههنا واجيب بان المجسم خالف في الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دل على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف في المسايل المذكورة فراجع الى الصفة وطعن الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية القايلين بان كلام الله تعالى يحل في لسان وفي كل جسم كتب فيه القران كما نكفر النصارى القايلين بان اقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الاخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقران دل على ان اهل الجنة ياكلون ويشربون وبالحور يتمتعون اما السعادات الروحانية فمتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القران والرسول في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال الوراق اي لا يعملون بما في التورية والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام توافق مشتهاهم الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق اي لا يعتقدون في صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد

على عهدهم وقال في الكشاف سميت جزية لانها طايفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من علينهم بالاعفاء عن
القتل ومعنى عن يد ان يريد بها يد المعطي اي عن يد مواتية غير ممتنعة يقال اعطى بيده اذا انقاد واصحب والمراد حتى يعطوها
عن يد الى يد نقدا غير نسية ولا مبعوثا على يد احد وان اريد بها يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية اي
بسببها كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسببها او المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم بدلا عن
ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود من حصل رضا وجد ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على
بعضهم لزم القول به في حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن انس قسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة
ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى قسم عمر
والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب ويروى انه صلى الله عليه وسلم
اخذ الجزية من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك ان كتبهم وهي الصحف التي نزلت على ابرهيم صلوات الرحمن
عليه قد رفعت الى السماء لاحداث احدثوها وليس المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى
يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم ليعرفون صدق محمد وما دعاهم اليه و
ايضا فيه حرمة انبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة ابائهم الذي افترض على الحق من شريعة التورية والانجيل واما قوله وهم
صاغرون فمعناه انه لا بد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل
فاذا امهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلايل فالظاهر ان مجموع ذلك يحمله على الانتقال الى
الاسلام وفسروا الصغار في الاية باخذ الجزية على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قايما والمسلم الذي ياخذ الجزية
قاعدا ويامره بان يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطاطي راسه فيصب ما معه في كفة الميزان وياخذ المستوفي بلحيته
ويضرب في لهزميته وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام
عند ابي حنيفة دون الشافعي وانما يؤخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي ولا يؤخذ من فقير لا كسب له
ولا من امراة ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه ويضرب على الزمن والعسف والشيخ الفاني والراهب
والاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذور وغيرهم قال الشافعي في احد قوليه
العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول اخذناه ان ايسر والا فهي دين عليه الى ان يوسر وهكذا في
كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوض اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول
اقررتكم او اذنت لكم في الاقامة في دار الاسلام على ان تبذلوا كذا وتنقادوا الاحكام التي يراها الامام ولا يقر له اهل الكتاب
الجزية في ارض الحجاز لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي مكة والمدينة ومخاليفها
اي قراها وما روي انه صلى الله عليه وسلم اوصى بان يخرج اليهود من جزيرة العرب فمحمول على انه اراد الحجاز جمعا بين
الحديثين وقد بقي في الاية نكتة ذكرها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي لان قوله قاتلوا يشتمل على اباحة
دمهم وعلى وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتفى عند انتفاء الحرمة ولكن
انتفاء المجموع يكفي فيه انتفاء احد اجزائه واحد الجزئين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فبقي الاخر هو عدم
وجوب القصاص بقتلهم بعد اداء الجزية كما كان ولقايل ان يقول ما الاتباع في الاحتمال ولكن ما الدليل على وجوب
القصاص وانت بصدد اثباته ولما حكم في الاية المتقدمة ان اهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع في اثبات تلك
الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله العلم مبتدا والابن خبره ومن اسقط التنوين من عزير فلانه اسم عجمي زايد
على ثلثة احرف فيمنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه اسقط
التنوين للساكنين على مذهب بعضهم اولان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر
باستلزامه احتمال توجه الذنب الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم ان ذلك كفر و
هذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا انه جاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال
فلان يركب الخيول او يجالس الملوك ولعله لم يركب ولم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه حفظ التورية الى قلبه فانذر قومه فلما
جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن
عازوراء وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله اصدق وقال في الكشاف
الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب واما النصارى
فلا شك انهم يقولون ذلك وقد حكى الواحدي فيه سببا ذلك ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب
بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا
والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال فاضلهم فعرقب فرسه واظهر الندامة بما كان يصنع و
وضع على راسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا ان تتنصر وقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث
سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور وعلمه ان عيسى و
مريم والاله كانوا ثلثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم
رجلا اخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلثة وقال
لكل واحد منهم انت خالصتي فادع الناس الى نحلتك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاته
ثم دخل المذبح فذبح نفسه فهذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوايف النصارى والاقرب ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل
على سبيل التشريف حيث قال انك انت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل في حق ابرهيم صلوات الرحمن عليه وقال المسيح
عليه السلام للحواريين احبوا اعداءكم وتركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي
في السماء يشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في احد الطرفين
بغلو فاسد في الطرف الاخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم
وفايدة هذا التخصيص وكل قول فانما يقال بالفم انه قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد
لمن هو منزه عن الحاجة والشهوة والمصاحبة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة لا
يجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب عن لا معنى لها حتى يتوهم نظيره قوله ويقولون بافواههم ما ليس لكم به علم او نقول ان الانسان
قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه اما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية
في الحسن والتاثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون ثم لا يخفونه البتة اما انه مذهب لا يساعده دليل فلا تاثير له
في القلوب ويحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت بها الافواه والالسنة يضاهئون من قرا بغير همز فظاهر
لان من ضاهي منقوصا اي شاكل ومن قرا بالهمز فلمجيء ضاهات ويقولون ضهياء على فعيل وهي التي شاكلت الرجال في انها
لا تحيض ومن جعل ضهياء فعلاء بزيادة الهمزة كما في غرقي القشرة البيض السفلي لحي ضهيا مهموزا بمعناه فلا تثبت فيه هنا
الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف اي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف اليه نقامه فانقلب مرفوعا فقد الجار و
المعنى ان قول هؤلاء المعاصرين من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول اهل الكتاب
قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهئون للنصارى فقط اي شاكل قول النصارى المسيح
ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب متعجبا ومستفهما على سبيل الانكار
قاتلهم الله انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اي هم احقاء ان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله
ما اعجب فعلهم ولمن فعل عن الطريق اين تذهب ثم وصفهم بضرب اخر من الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم
قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يحبر معنا يزيدا حسن بيان والراهب الذي ظهرت اثار الرهبة من قلبه على جهده و
لباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود والرهبان بعلماء النصارى من اصحاب الصوامع وخلقهم
في معنى اتخاذهم اياهم اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم الهة العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم
ونواهيهم نقل ان عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا سورة براءة فلما وصل الى هذه الاية
قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله ويحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع
لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان

وكانوا ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الحجاج
لان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لمتبوعهم قال الامام فخر الدين
الرازي رحمه الله تعالى قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرات عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في مسايل كانت تلك الايات
مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الايات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الي كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك
الايات مع ان الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا سارياً في عروق الاكثرين قلت ولعلهم
توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم وقفوا من تلك الاي علي ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال و
الحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الي الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ في ذلك اذا كان
مزورا طالبا للدنيا وقد يفضي لسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا يليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في
هذه الامة فكيف بالامم السالفة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والالهية والسبب في افراد المسيح بالذكر
ان قولهم فيه اشنع من قولهم في الاحبار والرهبان او لان القول الهيته المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم
والمسيح ابن مريم اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما امروا الضمير للمتخذين والذي امرهم بذلك ادلة العقل
والكتب السماوية وفي القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار
والرهبان اي ما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا بان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال سبحانه
عما يشركون ثم ذكر نوعا آخر من قبايح افعال اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد وجدهم في اخفاء الدلايل الدالة علي
صحة نبوته فقال يريدون ان يطفئوا نور الله اي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بهما وذلك
ان دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسي وعيسي ولاسيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه
عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم
الركيكة وشبهاتهم السخيفة ارادوا ابطال هذه الدلايل وكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة
بسبب ان ينفخ فيه ولاريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويابي الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله الا ذلك
الا ان الاباء يفيد زيادة علي عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان ارادوا ظلمنا ابينا استدح بذلك ولا يجوز ان يمدح
بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك
المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدي اي بكثرة الدلايل والمعجزات ودين الحق وهو اشتماله علي امور يظهر
لكل احد كونه موصوفا بالصفات ومطابقا للحكمة ومؤديا الي صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية امره وتمام حاله فقال ليظهره
علي الدين كله اي ليجعل الرسول او دين الحق غالبا علي اهل الاديان كلهم او علي دين من ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله
بان يجعل الاسلام غالبا علي جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسي وقال السدي ذلك عند خروج المهدي
لا يبقي احد لا دخل في الاسلام او ادي الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد
ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر علي ان الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت
مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام علي غيره في جزيرة العرب وهذا تخصيص حجة و
ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول علي جميع شرايط الدين حتى لا يخفي عليه شي من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان
لان غلبة الكفار في بعض الانظار ظاهرة ولقايل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة علي الكفار وان
كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعاير الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من
جهة انه هو القادر علي ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب علي ايصاله الي حيث شاء واراد من غير معاند
ولا ممانع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة العظيمة التي لا يوازيها نعمة وهي نعمة الهدي والاسلام وقوله ولو كره
الكافرون وفي الآية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة تنبيها علي ان اليهود والنصارى ايضا مشركون واما
تخصيص بعد تعميم ولعله نعم لانف مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية
والترفع علي الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص فقال يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الاية وفيه تنبيه
علي ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى ولعمري

ان من تامل في احوال اهل الناس والنيرين في زماننا وجد هذه الآيات كانها نزلت في شانهم وشرح احوالهم فتري الواحد منهم
يدعي انه لا يلتفت الي الجنة ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل
الامر الي الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة علي ان هذه الطريقة طريقة بعضهم
لا كلهم فان العالم لا يخلو عن الحق واطباق الكل علي الباطل او اثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة علي
الباطل لا يحصل فكذلك في ساير الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية للشي باسم ما هو اعظم مقاصده وايضا من اكل شيئا
فقد ضمه الي نفسه ومنعه من الوصول الي غيره كالواحد ولهذا قال من اخذ اموال الناس فاذا طولب برد ما قال اكلتها وما بقيت
فلا اقدر علي ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا ياخذون الرشي في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرايع ومنها في
اخفاء نعت محمد وتاويل الدلايل الدالة علي نبوته ومنها انهم كانوا يدعون عند عوامهم الحمقي انه لا سبيل الي الفوز بمرضاة الله
تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في رضاهم والاهمال والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا الا طريق
الي تقوية دينهم الا اذا كان اولئك الفقهاء اقربا عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا
اما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه يبالغون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بنبوته
ثم قال سبحانه والذين يكنزون الذهب الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل علي الجمع وعنده ناقة كناز مكتنزة
اللحم واكتنز الشيء اجتمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالامتناع
من اخراج الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود مانعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك ماله لنفسه
بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعي في اخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا
بابي ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الآية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب
وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الي عثمان يشكوني فكتب الي عثمان اذا قدم المدينة فلما قدمت
المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فقلت اني والله
لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت ابا ذر يقول بشر الكانزين بوصف يحمي عليه في نار جهنم
فيوضع علي حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من بعض كتفه ويوضع علي بعض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه
فاتبعته وقلت ما رايت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقلت ما عسى يصنع في قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز
المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم يؤد زكوته عن عمر ابن الخطاب مال ادي زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل مال
اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤد زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل
مال لم يؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز
وعن ابن عباس ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه ساير الحقوق من
الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق علي الاهل والعيال وضمان المتلفات واروش الجنايات وقال
الاقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته او لم يؤد حجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسالكم
اموالكم وقوله صلى الله عليه وسلم كل امري احق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما اديت زكوته فليس بكنز وان
كان باطنا وما بلغ ان تزكي ولم تزك فهو كنز وان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنيا
كعثمن بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من اكابر المؤمنين وقد ندب الي اخراج الثلث او الاقل في المرض
ولو كان جمع المال محرما لكان يامر المريض بالتصدق بالكل بل الصحيح في حال صحته حجة الاقلين عموم الآية وروي سالم بن الجعد
انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا
ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم علي دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره
دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان وعن علي كل
مال زاد علي اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكوة او لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لرفع الحاجات
فاذا حصل للمرء منها ما زاد علي قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الي عبيده
وقد رام طايفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا لو كان نعنا قبل ان يفرض الزكوة واما بعد فرض الزكوة فان الله

اعدله واكرم من ان تجمع عبده مالا من حيث اذن له ويؤدي منه ما اوجب عليه ثم يعاقبه وقال اهل التحقيق البخل عن جمع المال
محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف هنالك فيحتاج الى تضييع العمر تارة في تحصيله واخرى في حفظه ولانه كلما
ازداد المال ازدادت لذاته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والحد لان كقوله تعالى ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى منها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله
ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عيب عليه اذا ادى منه حقوقه
هذا ومن حمل الاية على وعيد مانع الزكوة المنقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد ايضا في الحديث ما من صاحب بقر
او ابل او غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وساير الامتعة انما تحصل بهما وقد ورد
عليهما ولمن اوجب الزكوة في الحلي المباح الاستدلال بالاية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكوة فيه
خصص عموم الاية بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكوة في الحلي المباح ولم يصححه ابو عيسى الترمذي وبتقدير
ان يصح حملوه على اللالي لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على
اللالي لم يبق لتقييد المباح فايدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عايدا الى
المعنى وهو الكنوز او الاموال او لان كل واحد منهما جملة قيمة وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله وان طايفتان
من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ اي ولا ينفقونها من الفضة وحذف الذهب اما لانه داخل في الفضة من حيث كونهما
جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر احدهما عن الاخر كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ومن
يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا واما لان النقدين والذهب كذلك كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار
كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب اليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر
في القلب فيتغير لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او من الغم كان حقيقة يوم يحمى عليها معناه ان النار تحمى عليها
اي توقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية وقيل يوم يحمى اي الكنوز كقولك احميت الحديد
لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما يقول
رفعت القصة الى الامير فان لم يذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء في
تخصيص هذه الاعضاء بالكي وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح في القلب فظهر اثره في الوجه وشبع
ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعوضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء
يعظم تالمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام
فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع على كل الاعضاء لانها
اما في غاية اللطافة ومثاله الجبهة واما في نهاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسط ومثاله الجنبان ومنها ان الجمال
في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول ابي بكر
الوراق خصت بالكي لان ذا المال اذا راى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره
وانا اقول يحتمل ان يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف ما اعقبه
الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال في مرضاة الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا التاويل
اليق بقوله الذي جعل كما هو كل ماله او القدر الذي لم يؤد زكوته الظاهر انه الكل لانه لما يخرج منه الحق كان ذلك الجزء
شايعا في كل ما له فناسب ان يعذب بكل الاجزاء ثم قال هذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم
وفيه توبيخ واشعار بانهم عوضوا بنقيض ما قصدوا وكذلك قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية او موصولة
والمعنى اعرفوا وبال كونكم كانزين او وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبايح اعمال اليهود والنصارى
والمشركين فقال ان عدة الشهور والاثنان وذلك انه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب
النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة في كفرهم واعلم ان العالم الشرعية
كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثني
عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله

بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو
من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفايدة الابدالات تقرير الكلام
في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك الواجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله
صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق
به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول اي فيما اثبته في
ذلك اليوم اللهم الا اذا اريد بالكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن
عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القران منها اربعة حرم ثلثة سرد اي سرود وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد
فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته
العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر
الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ وروي
عن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدايم الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر
الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه ولا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب او العقاب كالامكنة وكانت الحكماء يختارون
لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فايدة اخرى هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على
الاطلاق شاق عليه فخص بعض الامكنة والازمنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر
على ذلك فهو امر مطلوب في نفسه وانه يجر ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد او الاعتقاد ان
الاقوام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك من التنازع ادى
الى ايجاد الاراء وتطايف الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عايد الى الاثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام
على الفساد مدة عمره او المراد المنع من النسيء على ما يجيء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا
ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم لان العرب يختارون فيما بين الثلثة الى العشرة ضمير الجماعة
وفيما جاوز العشرة مرجع الكثرة يختارون ضميرا لواحدة قال حسان شعر لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا
يقطرن من نجدة دما ويقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قايل وقاتلوا المشركين
وظاهر الاية يدل على اباحة القتال في جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم
اذا اجتمعوا ازدحموا فكف بعضهم بعضا ونصبه على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية قال الزجاج
نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا معا وقاموا اجمعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم
كافة قولان فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تخشوهم بترك القتال كما انهم يستحلون قتال جميعكم وقيل
قاتلوهم بجمعكم غير متفرقين في مقابلة الاعداء ومقاتلهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني
يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين حث لهم على التقوى وعلى الضمان النصر والمعونة ثم فسر
الظلم المنهي عنه في الاية المتقدمة واكد النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نساه اذا اخره كالنذير والنكير وقال قطرب اصله
الزيادة من قولهم نسات المراة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء
كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب
بان المراد ان العمل الذي يشبه نقل الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان
وايضا اطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة
راجعة الى الكمال وانما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله يضل به الذين
كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالحقيقة وقد مر مرارا قوله
يحلونه عاما الضمير فيه عايد الى النسيء قال الواحدي اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا
في الشهر الحرام ويحرمون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمون التاخير عاما آخر

وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر
الحرام ويحرمون التاخير عاما آخر وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
وكان يشق عليهم مكث ثلثة اشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او المحرم حرب وغارة اخروا الحرمة
ثم ذلك الشهر الى شهر اخر قال الواحدي واكثر العلماء على ان هذا التاخير كان من المحرم الى صفر ويروي انه حدث
ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم
فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه
والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا
العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى ليواطئوا
فيحلوا ما حرم الله اي من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه كان كل
واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان ياتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما
واحد قال ابن عباس انهم ما احلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا اخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال
الا احلوا مكانه شهرا اخر من الحرام لاجل ان يكون عدد الحرم اربعة مطابقة لما ذكر الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة
وللاية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس السنين بشهر حتى يلحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية
اعني اثنا عشر شهرا قمرية هي ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات
والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تعرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة
وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحدى وعشرين
ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا
في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى وكذا في الربيع والخريف وكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور
التجار من الاطراف فكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب عملوا على الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند
اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي فكبسوا تسع عشرة سنة
قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في
السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب وهو مخرج عند المنجمين
وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون كذا لاجل اعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس وسمي بالنسيء لانه
المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب
به الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه و
عاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر وكانت حجة ابي بكر
قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وانما لزم لعتب عليهم في هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلثة
عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اي لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم
على هذا التفسير ويلزمهم ايضا ما لزمهم في التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى الجموع
ومعنى قوله يحلونه عاما اي يحلون النسيء في عام الكبس ويحرمونه عاما اي في غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطئوا عدة
ما حرم الله ما روي انه كان يقوم في الموسم منهم خطيب ويقول انا انسأ لكم في هذه السنة شهرا وكذا افعل في كل سنتين
او ثلث حتى ياتي حجكم وقت الادراك فنسمي المحرم ونجعله كبسا لما انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فيكون حرم
عليهم واحلوا ما بينه على وفق مصلحتهم واحل الاخر وباقي الاية تقدم تفسيره مرارا والله تعالى اعلم   قاتلوا النفوس
الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الاخر اي لا يعملون للاخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها راس
خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق اي لا يطلبون الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة
بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد من حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت

يهود النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس من مرآة القلب آثار انوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كما ان اليهود
لما سمعت التوراتية والعلوم التي هم عنها بعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت النصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك
ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة الربوبية والخلافة مقرونا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهئون
قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا احبارهم اي قلوبهم ورهبانهم اي ارواحهم اربابا والمسيح ابن
مريم وهو الخفي وذلك ان الخفي هو اول مظهر للفيض الالهي الذي منه الترتيب ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب و
النفس من قصر نظرها الى ان ترى الكل من الحق فان رؤيته ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما راى يريدون
اي النفوس ان يطفئوا نور الله الذي رش على الارواح في بدء الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات
وهو الذي ارسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره في طلب الحق على طلب غيره ان
كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون اي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب و
الفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمي ترك
الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها في نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم اشتغلوا بذلك عن التوجه
الى الحق وجنوبهم حيث لا تتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقصوا حق التواضع والخشوع فيه
التأويل   اصابكم من الم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا العذاب الآن الم كنتم نار الحرص لانكم لم
تذوقوا في الدنيا حيث كنتم في مقام الغفلة منها اربعة حرم فيه اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه
وعياله يجب ان يجعل وقات عمره اثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التي ينتفع بها
في الاخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع في خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة في غير طلب
الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان في سلوكه اعوجاج ثم ذكر ان من
شان النفوس المشركة انها ان ابتليت على طاعة اخرها عن وقتها وهو النسيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت
الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت ان ذلك التاخير مما لا باس به والله اعلم بالصواب

يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا
اى مومنان آنانكه ايمان آورده‌اند چيست مر شما را چون گويند مر شما را بيرون رويد
في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة
در راه خداى گرانى نمايند سوى زمين يعنى نعود نمايند اى راضى شديد بزندگانى
الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة
اين جهان بيدل آن جهان پس نيست برخوردارى زندگانى اين جهان در جنب آن جهان
الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل
مگر اندكى • اگر نرويد در جهاد عذاب نمايد شما را خداى عذابى دردناك وعوض آرد
قوما غيركم ولا تضروه شيا والله على كل شي قدير •
گروهى را جز شما وگزند نرسانيد شما را خداى هيچ چيز بزرگ جهاد وخداى برهمه چيزى تواناست
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا
اگر يارى ندهيد او را پس بحقيقت يارى داد او را خداى چون خواستند كه اخراج او را كنند او را آنانكه كافر بودند

ثانی اثنین اذ هما فی الغار اذ یقول لصاحبه لا تحزن ان
حالانکه یکی از دو تن بود چون آن دو تن در غار ثور رفیقی بودند چون میگفت رسول مر صاحب خود را اندوه کن مباش بدرستی که
الله معنا فانزل الله سکینته علیه و ایده بجنود
خدای با ماست بحفظ و پس فرو فرستاد خدای آرامش خود را بر او و تقویت فرمود او را بلشکر
لم تروها و جعل کلمة الذین کفروا السفلی و کلمة
که ندیدید شما آنرا و گردانید دعوت آنانرا که کافر بودند زیرتر و دعوت
الله هی العلیا و الله عزیز حکیم • انفروا خفافا
خدای آن بالاتر است و خدای غالب و تواناست درست کار و درست گفتار
و ثقالا و جاهدوا باموالکم و انفسکم فی سبیل الله
و جهاد کنید با مالهای شما و تنهای شما در راه دین خدای
ذلکم خیر لکم ان کنتم تعلمون • لو کان عرضا قریبا
آنچه گفتیم بهتر است مر شما را اگر هستید که بدانید اگر بودی آنچه بآن میخوانند شما را غنیمتی سهل الحصول
و سفرا قاصدا لاتبعوک و لکن بعدت علیهم الشقة
و سفری متوسط الحال در قرب و بعد هرآینه متابعت نمودندی ولکن دور است درین غزو تبوک بر ایشان مسافت مشقت
و سیحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معکم یهلکون
از آن تخلف نمودند و بودن که سوگند خورند بخدای اگر توانستمی هرآینه بیرون آمدیمی با شما هلاک میکنند
انفسهم و الله یعلم انهم لکاذبون • عفا الله عنک لم
نفسهای خود را بایمان کاذبه و خدا میداند که ایشان هرآینه دروغ گویانند عفو کرد خدای از تو چرا
اذنت لهم حتی یتبین لک الذین صدقوا و تعلم
دستوری دادی ایشانرا تا که ظاهر میشود ترا آنانکه راست میگفتند در اعتذار و میدانستی تو
الکاذبین • لا یستاذنک الذین یؤمنون بالله و
دروغ گویانرا دستوری نخواهند از تو آنانکه ایمان دارند بخدای

الیوم الاخر ان یجاهدوا باموالهم و انفسهم و الله علیم
و روز بازپسین که جهاد کنند با مالهای خود و نفسهای خود و خدای داناست
بالمتقین • انما یستاذنک الذین لا یؤمنون بالله و
بپرهیزکاران بدرستی که دستوری خواهند از تو آنانکه ایمان ندارند بخدای و
الیوم الاخر و ارتابت قلوبهم فهم فی ریبهم
روز بازپسین و بگمانست دلهای ایشان پس ایشان در گمان ایشان
یترددون • و لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة
متردد و سرگردانند و اگر خواستندی بیرون آمدن هرآینه ساز دادندی برای آن آلتی که باید
و لکن کره الله انبعاثهم فثبطهم و قیل
ولکن ناخوش داشت خدای خروج ایشانرا و ان صفت رغبت گردانید ایشانرا و گفته شد مر ایشانرا
اقعدوا مع القاعدین • لو خرجوا فیکم ما زادوکم
بنشینید با بازماندگان از دب زنان و صبیان اگر بیرون آمدندی در زمره شما نیفزودی شما
الا خبالا و لا وضعوا خلالکم یبغونکم الفتنة
مگر فساد و هرآینه بشتاب راندندی شتر از برای افساد و نمیمه در میان و حال آنکه جستندی برای شما نزاع و مخالفت مرا
و فیکم سماعون لهم و الله علیم بالظالمین • لقد ابتغوا
و در میان شماست شنوندگان اخبار برای ایشان و خدای داناست بحال ستمکاران بحقیقت جستند
الفتنة من قبل و قلبوا لک الامور حتی جاء الحق و
افساد کار دین را پیش از آن غزوه تبوک در غزوات دیگر و گردانیدند برای آن کارها و حیلها را تا که آمد نصرت حق و
ظهر امر الله و هم کارهون • و منهم من
ظاهر شد دین خدای و ایشان خواهان آن نبودند و از ایشان کسی که
یقول ائذن لی و لا تفتنی الا فی الفتنة
میگوید دستوری ده مرا بنا آمدن و در بزه میفکن مرا بانکه بی اذن بخلف نایم بدانکه در بزه تخلف
سقطوا و ان جهنم لمحیطة بالکافرین •
افتادند ایشان و بدرستی که دوزخ هرآینه گرد آمده است بکافران

القراءة وكلمة الله في النصب الباقون بالرفع الوقوف الى الارض من الاخرة قليل شيئا قدير معنا
لعطف الى علي نصره مع عوارض الظروف السفلى الا لمن قرا وكلمة بالنصب العليا حكيم في سبيل الله تعلمون الثلث
معكم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال اقسم لما والابتداء والحال لكاذبون عنك لحق الاستفهام مع اتصال الكلام
معنى الكاذبين واقسم بالمتقين يترددون القاعدين الفتنة لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لهم بالظالمين
كانوا ولا تقيتي سقطوا بالكافرين التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب في قتالهم عن ابن عباس انها
نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رجع عن الطائف اقام بالمدينة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقله
الناس لكون الزمان زمان الضيق والقحط ولبعد المسافة ولمزيد الاحتياج الى الاستعداد ولشدة الحر والخوف من عسكر
الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما خرج في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الى
مكان لامر مباح عليه وكذلك القوم الذين يخرجون النفير واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في فاداراتم ومعناه تباطاتم واتما عدي
بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله اخلد الى الارض اي ملتم الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم و
البقاء فيها ومعنى الاستفهام في ما لكم الانكار وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام للانكار ايضا فيكون جواب اذا محذوفا او لا
عليه اثاقلتم كحولتم وذلك ان جواب اذا اما ملغي او الاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذا ان يكون اذا
لمجرد الظرفية والعامل فيه ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن في الاخرة للبدل كقوله
لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون كانه قيل قد ذكر الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وهنا انواع فضائحهم
التي تحمل العامل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا
في الاخرة اي في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزايل الى غير المتناهي الباقي واعلم
ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا انه لما اعطي للاكثر
حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما وبخهم رغبهم على الجهاد بعرض الثواب عليهم رغبهم فيه بتعريض العقاب فقال
الا تنفروا ورتب ثلث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فامسك الله عليهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب
الاخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما غيركم
يعني قوما آخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل ان يراد
بهم الملائكة وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الآية على الاطلاق قوله
ولا تضروه شيئا قال الحسن الضمير لله وفيه انه غني عنهم في نصره دينه بل في كل شيء وقال آخرون الضمير للرسول لان الله
وعده ان يعصمه ووعد الله كان لا محالة وفي قوله والله على كل شيء قدير تنبيه على نفاذه على نصر رسوله باي وجه اراد
وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كائنا من كان عن الحسن وعكرمة ان الآية منسوخة بقوله وما كان
المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي
في الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من ان اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء
كان مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في قوله لا
تضروه عائد الى الرسول فجوابه ان تخصيص آخر الآية لا يمنع من عموم اولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه
فقد نصره الله وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى اذ لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم يكن
معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد وفيه انه لما اوجب له النصرة وقيل فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه
الذين كفروا ان الحاصل الى ان خرج ظرف لنصره وثاني اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان
وكل واحد منهما ثان للاخر وواحدهما قوله اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب
عظيم في الجبل والمراد به نقب في على ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال
ان من تشاور من بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا فامر الله

تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصل الى الغار دخل ابو بكر يلتمس ما في
الغار فقال له الرسول ما لك فقال بابي انت وامي الغيران ماوى السباع والهوام فان كان به شيء كان لان كمن
فخرق عمامته وسد الحجرة وبقي حجر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر
وقربوا بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا فقال طلع المشركون فوق الغار فاشفق
ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك
باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت نسجت عليه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله ابصارهم عنه استدل
اهل السنة بالآية على افضلية ابي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه
في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني رسول الله في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر ابي بكر
وفي الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض الايمان اولا على ابي بكر فآمن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير و
عثمن بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان رضي الله عنه لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات
وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد اقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ذلك السفر لزم ان يقوم بامره ولا يكون وصيته الا ابو بكر وان لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي
والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت
وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غير ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا
مبتدعا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون كافرا لانه خالف قول الله تعالى يقول لصاحبه اجابت الشيعة
بان كونه ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا لكل ثلثة في قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا
عام في حق كل كافر ومعه من وكون الصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك ولا احتمال ان يقال انه صلى الله عليه وسلم استخلصه لنفسه في هذا السفر
لاجل الشفقة احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه او يوقفهم على اسراره لو تركه ثم ان
حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب وخطاء سلمنا دلالة الآية على فضل ابي بكر الا ان اضطجاع علي كرم الله وجهه
على فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب من اهل السنة بان كون الله رابعا لكل ثلثة امر مشترك وكونه
ثاني اثنين تشريف زايد اختص الله ابا بكر به على ان المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والموافقة
فان احدهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما يقتضي الاهانة والاذلال وهو قوله
اكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب ان الشيعة
اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل واستنكروا ان يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروا
مدفوع بما روي ان ابا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن ابي بكر واسماء بنت ابي بكر الله
ان كان ياتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلثة ايام وقيل بضعة عشر يوما وروي ان جبريل عليه
السلام اتاه وهو جائع وقال هذه اسماء قد اتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر به
ابا بكر ولو كان ابو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته ونحن نعرف
مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك انت الاعلى ويقول الملائكة لابرهيم لا تخف
وبشروه ثم انا لا ننكر ان اضطجاع علي على فراشه الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة وفضيلة الا ان صحبة ابي بكر
اعظم لان الحاضر اعلى حالا من الغائب ولان عليا ما تحمل المحنة الا ليلة وابو بكر مكث في الغار اياما وانما اختار عليا
للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر منه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف ابي بكر
فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على ابي بكر
اشد من غضبهم على علي ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا الم لما عرفوا ان المضطجع هو ثم نعم اهل السنة ان الضمير

في قوله فانزل الله سكينته عليه عائد الى ابي بكر لا الى الرسول لانه اقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه
ابي بكر ولان الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه
ازالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولناسب ان يقول فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه ولا تحزن واعترض
بان قوله وايده عطف على فانزل فوجب ان يتحد الضميران في حكم العود واجيب بان قوله وايده معطوف على قوله
فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره الله في واقعة الغار وايده في واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة
والظاهر ان الحزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبي ايضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون في الكلام تقديم وتاخير
والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول او يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما القي في قلبه من الامنة
التي سكن عنده وعلم انه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم انزل الله سكينته على رسوله وقوله وجعل بعض
في يوم بدر وسائر الوقايع كلمة الذين كفروا وهي دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة الله وهي دعوته الى
الاسلام او كلمة التوحيد لا اله الا الله هي العليا وفي توسط كلمة الفصل اعني هي تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها
المختصة بالعلاء دون سائر الكلم وقال الفراء لا احب قراءة نصب الجملة الكلمة لانه لا اجود حينئذ ان يقال وكلمته
هي العليا الا ترى انك تقول اعتق ابوك غلامه ولا تقول اعتق ابوك غلام ابيك قلت وفي الرفع ايضا الاستيناف
وما في الجملة الاسمية من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا يفعل الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول
وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون اي خفافا في النفور
لنشاطكم وثقالا عنه بمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم او خفافا من السلاح وثقالا منه او
ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وان المراد انفروا سواء كنتم
على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها او على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضي تناوله لجميع الناس حتى
المرضى والعاجزين ويؤيده ما روي عن ابن مكتوم انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم انت
الا خفيف او ثقيل فرجع الى اهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال
مجاهد ان ابا ايوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول
قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت
شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه
فقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب
الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل
فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن انس قال قرا ابو طلحة هذه الآية فقال ما اسمع الله عذر
احدا فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن فنزلت فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شانها على الناس
فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت في غزوة
تبوك بالاتفاق ولا شك انه صلى الله عليه وسلم خلف من الرجال والنساء اقواما فذلك يدل على ان هذا الوجوب
ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن امره الرسول بان يخرج لزمه ذلك ومن امره ان يبقى ولقائل
ان يقول لا نزاع فيها وانما النزاع في الضعفاء والمراض ثم قال وجاهدوا باموالكم وانفسكم وفيه ايجاب الجهاد بهما
ان امكن او بالنفر ان لم يكن له مال زايد على اسباب الجهاد او بالمال بان يستنيب من يغزو عنه ان لم يكن له نفس سليمة
صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني انه خير في نفسه او انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة
والنعيم العاجل وانما قال ان كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتامل ولا يعرفه الا المؤمن
الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج
اي لو كان المدعو اليه فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر ياكل منه
البر والفاجر والمراد بالقريب سهولة ماخذه وسفرا قاصدا اي وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط

فهو قاصد اي ذو قصد لان كل احد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصفها بالبعيدة بالبعد مبالغة نحو جد
جده ومحوي الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولكنهم كانوا
كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم اخبر عنه مستقبلهم اذا رجع من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة العذر و
اما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين و
القول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا او وسيحلفون قائلين بالله لو استطعنا وقوله
لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا قيل في الآية دلالة على ان قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما امكنهم
جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى
لان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبي ناعيا عليه فان
قيل لم لا يجوز ان يراد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له تعذر في ترك الخروج
فمن لا قدرة له اولى وايضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن فاذا اريد بها المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان
بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس
في مكان لا يكون قادرا في اول الزمان على ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق
لمكانه فالقوم الذين يحلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى
تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال وللقائل ان يقول انهم وان كانوا غير قادرين على القتال لانهم
كانوا قادرين على الاشتغال بسبب باسباب القتال فيعود السؤال قال في الكشاف يهلكون بدل من سيحلفون
او حال اي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب او حال من ضمير خرجنا اي لخرجنا معكم وان القينا انفسنا في التهلكة
وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية
قلت وفي الوجه الاخير تطرق للزوم بناء اول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح حينئذ ان لو قيل لخرجنا
معكم نهلك انفسنا والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه
العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى
الانكار وبيان لما كني عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين
واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله
عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير يقدمون امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما
صنعت في امري ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي وبعد حصول العفو من الله يستحيل
ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت
من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه صلى الله عليه و
سلم اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب او منع ولا كان عاصيا بل كان كافرا
لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لو منع من الاجتهاد مطلقا
وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين بطريق
الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطاء واقعا في
الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد واخطا فله اجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن
العجلة وترك الاولى الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله
فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قال قتادة عاتبه الله ابو مسلم يحتمل ان يريد بقوله لم اذنت لهم
الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين على المسلمين واذا كان هذا محتملا
فلا يتعين الآية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان سياق الآية يدل على ان الكلام في
القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوا الا لان الاستيذان من علامات النفاق فقال
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والا

يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد وكانوا بحيث لو امرهم بالقعود شق عليهم ذلك الا ترى ان علي ابن
ابي طالب لما امره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول
انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كاضمار الجار والتقدير في ان لا يجاهدوا لان سياق الاية
يدل على ذم من يستاذن في القعود وعلى هذا يمكن ان يقال معناه كراهة ان يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الى
انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شانهم الاستيذان فقال انما يستاذنك الاية وفيه ان الشاك في
امر الدين وفي اصوله لا في بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه ان محل الريب واليقين هو القلب ليس مجرد الادلة
باللسان والا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان الشاك متردد بين النفي والاثبات غير حاكم باحد
الطرفين وتقريره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما او لا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فاما لضرورة او
نظر فهو العلم او لا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان
تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شان صاحبه كما ان الثبات والاستقرار ديدن
المستبصر قال المفسرون ان المستاذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلثين رجلا ثم نعى على المؤمنين سوء فعالهم
فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان
شديد فتركهم العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على
تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم اي انطلاقهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى
الاستدراك ان قوله ولو ارادوا الخروج يعطي معنى نفي الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم
عن ذلك كما يقول ما احسن الى زيد ولكن اساء ومثل هذا يسمى في علم البديع صيغة الاستدراك وقد يقال
تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في
اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما
زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء ليمكنهم من استعلام الصواب
بطريق الوحي وكذا على قول ابي مسلم وجماعة بانه صلى الله عليه وسلم اذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة
فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول
المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله قل لن تتبعونا فالمعاتب عليه انما هو الخطأ في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم
مصلحة لانه اذن لهم قبل اتمام التفحص واكمال التدبر ولانه لو لم ياذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم و
كان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه اخر دالة على هتك استارهم
وكشف اسرارهم وقالت المعتزلة التصريح في الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم تعالى موصوف بصفة الكراهة
كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشيء وزيف بان العدم لا يصلح
ان يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة
صفة تقتضي ترجيح احد طرفي الممكن على الاخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل
الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة به تحصيلا للحاصل وايضا عدم الشيء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله
وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول
الشيطان بطريق الوسوسة او قول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجتماع على التخلف او هو قول الرسول كانه غضب عليهم
حين استاذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد اذن لنا فهذا عوتب بقوله
لم اذنت لهم اي لم ذكرت هذه اللفظة التي امكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذم لهم
وتعجيز والحاق لهم بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال
المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره
على ذي حدة اسفل من ثنية الوداع ولم يكن باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف
عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى يعزي نبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم

الاخبار

الاخبالا والتقدير ما زادوكم شيئا الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام ويحمل على الاستثناء المنقطع بناء على ان
التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على التقدير ما زادوكم
خيرا الا خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبي الا شرا وقال
سليمان الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الا خبثا وقيل هو اضطراب في الراي وذلك بتزيين امر لقوم وتقبيحه
لاخرين ليختلفوا ويتفرقوا كلمتهم قالت المعتزلة دلت الاية على انه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل
على انه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح وللقائل ان يقول اثبات حكم كلي بحكم جزئي غير معقول واعلم انه سبحانه عين
من مفاسد خروجهم ثلثة الاول قوله ما زادوكم الا خبالا الثاني ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف
زيد الف في الكتابة لان الفتحة كان يكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران
وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها الفا اخرى ونحوه لا اذبحنه في النمل ولا اتوها
في الاحزاب ولا تابع لها في القران ومن الايضاع قولان لاهل اللغة فقال الاكثرون هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا
واوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولاوضعوا ركائبهم وقال الاخفش
وابو عبيد انه جاء لازما ويقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
افاض من عرفة وعليه السكينة واوضع في وادي محسر اي اسرع قال الواحدي والاية شهدت للاخفش ولابي عبيد
وعلى القولين المراد في الاية السعي بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة في الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشي
ومعنى خلالكم اي فيما بينكم والخلل الفرجة بين الشيئين ومعنى يبغونكم الفتنة اي يبغون لكم قال الاصمعي يقال ابغني كذا
واقع لي اي اطلبه لاجلي ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش في المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام
اسرع فالحاصل من النوع الاول تحصيل اختلاف الاراء ومن الثاني المسمى بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض واما النوع
الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اي عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم
وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة
واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب
عهده بالاسلام او لمن جبل على الجبن والفشل او لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابته او هيبته وقلما يخلو
الامر من ضعيف سخيف او اهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم
بكفرهم ونفاقهم وبغيهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين كيد اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد
ابتغوا الفتنة من قبل اي من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية
الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف
عن النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه ومعنى الفتنة السعي في تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة
بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور صرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا
كان دائرا حول مصايد المكايد حتى جاء الحق الذي هو القران وظهر امر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله
مكرهم في نحرهم واتى لاطفائه تصدعوا ولما كان الامر كذلك في الماضي وكذا يكون الحال في المستقبل لقوله و
يابى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي
فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل السخرية او على سبيل الجد بان كان يغلب على ظن
ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتني اي لا تلقني في التهلكة فاني ان خرجت معك هلك
مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم
ولكني اعينك بمال فاتركني فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبني سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس انه بخيل جبان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن معرور الا في
الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف المستتبع لشقاء الدارين

ولهذا ختم الاية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما في الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من النعي عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار
وهتك الاستار وحقر المقدار واما في الآخرة فلما لحالهم من الدرك الاسفل الى النار التاويل ايها
الارواح والقلوب المؤمنة ما صبيبكم وبلوكم اذا قيل لكم بالالهام الرباني اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير
اليه اثاقلتم الى ارض الدنيا وشهواتها الانفس وامن بحر الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات
الصفات النفسانية وغلبة اوصاف السبعية الشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح
والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الرباني فقد نصره الله
اذ اخرجه الذين كفروا اي النفوس الامارة الكافرة من ارض البشرية ثاني اثنين النفس الملهمة اذ هما في غار العدم
وكلمة الله هي العليا لجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعي واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا وثقالا لا
مجردين من علايق الاهل والاولاد والاموال ثقالا متلبسين بها او خفافا منجذبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية
وجاهدوا بقدم بذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن
صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب
الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها سفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس
وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لان الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعني لارباب النفوس لو خرجنا معكم
يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فهم في ريبهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لاعدوا
له عدة ولكن تابعة الانبياء فثبطهم حبسهم في سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا فيه اشارة الى ان قعود اهل
الطبيعة في حبس البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا الا عن نية صادقة وعزيمة صالحة
ما زادوهم الا شرا وشقاوة ولاوضعوا خلالهم باعمالهم واحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني ان الصفات النفسية قبل
البلوغ كانت يستخدم الروح في شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر امر الله وهو التكليف
ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود عن الارتقاء في معارج المعارف والمشارع ولا تفتني
يا روح بتكليفي ما ليس من شاني وذلك ان الهوى مركب المحبة يستعمله الروح في تصاعده الى ذروة الكمال والوصال الا
في الفتنة سقطوا اي ان فتنة الهبوط هي الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم كفار النفس وصفاتها

ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد
اگر رسد بتو نیکی با غنیمتی یا نصرتی غلین و محزون میکند ایشانرا و اگر رسد بتو هزیمتی و حالت بد گویند بحقیقت
اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون • قل لن يصيبنا الا
گرفتیم ما کار را بحزم با حتیاط پیش ازین و اعراض کنند از مجلس او و حال آنکه ایشان شادان باشند بگو هرگز نرسد بما مگر
ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
آنچه تقدیر فرموده خدای بر ما او خداوند کار ماست و بر فضل خدای باید که اعتماد کنند مومنان
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم
بگو هیچ چشم میدارید بما مگر یکی از دو حال نیکوتر نصرت و غنیمت و یکی با شهادت و مغفرت و ما چشم میداریم بشما
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا
که رسانند بشما خدای عذابی را از نزد قدرت او یا بدستهای ما پس چشم دارید

انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
که ما نیز با شما چشم دارنده ایم بگو صدقه کنید حال آنکه بصورت فرمان داری باشید با حال آنکه کاره باشد هرگز قبول کرده نشود
منكم انكم كنتم قوما فاسقين • وما منعهم ان تقبل
از شما بدرستی که هستید شما گروهی خارج از طاعت خداوند و باز نداشتند ایشانرا که قبول کرده شود
منهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون
از ایشان مگر آنکه ایشان کافر شدند بخدای و بپیغمبر او و نمی آیند
الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
بنماز مگر حال آنکه با کسل اند و نفقه نمیکنند مگر حال آنکه ایشان کاره و بی ارادت اند
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
پس باید که شگفت نیارد ترا مالهای ایشان و نه فرزندان ایشان بدرستی که میخواهد خدای تا عذاب فرماید ایشانرا
بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
در زندگانی این جهان و بیرون آید ارواح ایشان و حال آنکه ایشان کافر باشند
ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم و
و سوگند می خورند بخدای که بدرستی که ایشان هر آینه از شما اند و نه اند ایشان از شما و
لكنهم قوم يفرقون • لو يجدون ملجأ او مغارات
ولیکن ایشان گروهی اند که میترسندان عقاب عاجل اگر یابندی پناه جایی و حصنی یا غارها
او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون • ومنهم من يلمزك
یا جای درشدنی هر آینه روی گردانند سوی او و حال آنکه ایشان سرکشی نمودندی و از ایشانست کسی عیب جوید ترا
في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
و بر قسمت زکاتها پس اگر دهند شان از آن خشنود شوند و اگر ندهند شان از آن
اذا هم يسخطون • ولو انهم رضوا ما اتيهم الله و
ناگهان ایشان ناخشنودی نمایند و اگر اینستی ایشان پسندیدند آنرا که داد ایشانرا از خدای و
رسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
پیغمبر او و گفتند پسندیده ماست خدای زود بود که دهد ما را خدای از

فضله ورسوله انا الى الله راغبون

فضل او | بعضهم او | رسلنا ماسوى | فضله فاى | اغبرها | ما بعضهم ام

القراءة هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزي وابن فليح وقرله وحمزة وعلي وهشام مدغما حتى لا
يجتمع الساكنان الباقون باضمار اللام وتخفيف التاء لن يقبل بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا
بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الاخرون
بكسرها سوى عباس فانه مخير الوقوف تتوهم لابتداء الشرط اجمع واو العطف فرحون لنا للابتداء لقطاع الا
معنى هو مولانا لابتداء اخبار من الله او الحكاية عنهم المؤمنون الحسنيين للاستيناف بعد تمام الاستفهام بايدينا
والوصل اصح لان الفاء جواب نتربص متربصون معكم فاسقين كارهون ولا اولادهم كافرون لمنكم يفرقون
يجمحون الصدقات للشرط مع الفاء يسخطون ورسوله الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف
اي لكان خيرا لهم التفسير هذا نوع آخر من خبث ضماير المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم
احد والاولى حمله على العموم اذ المعلوم من حال المنافقين انهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكره
الله تعالى ومعنى اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الراي والتدبير من قبل اي
من قبل ما وقع ويتولوا اي عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبيه
بان يقولوا في جوابهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل اي في اللوح المحفوظ من خير او شر او خوف او رجاء او شدة او
رخاء وفايدته انه اذا علم الانسان ان الذي وقع امتنع ان لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة
النفس وهانت عليه المصايب وقيل اي في عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان
احوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة يكون لهم والظفر يقع من جانبهم فلا
معنى لفرح المنافقين في الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم او الشهادة وعلى هذا القول
يقع ما في الاية الثانية كالمكرر هو مولانا يتولى امورنا الا هو فيفعل بنا ما يريد من اسباب التهاني والتعازي لا اعتراض
لاحد عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه تنبيه على ان المؤمن يجب ان لا يعلق الرجاء الا برب الارباب خلاف حال
المنافقين فانهم يتعلقون بالوسايط والاسباب ثم امره بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين التربص
التمسك بما ينتظر به مجي حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تانيث الاحسن
وهي صفة الحالة او الخصلة او العاقبة يعني النصرة او الشهادة وفي الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفي الثانية
ابقاء الذكر والفوز بنعيم الاخرة ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب اليم من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود
وقيل عذاب الله يشمل عذاب الدارين او بايدينا يعني القتل بان يظهر نفاقكم ويامر بقتلكم كالكافر الحربي فتربصوا
امر للتهديد نحو ذق انك انت العزيز الكريم ثم ذكر انهم ان اتوا بشي من صورة البر لن يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون
به في الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما
وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله فيما يجي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ومعناه انفقتم وانظر هل يتقبل منكم
واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير اسيئي
بنا او احسني لا ملومة كانه يقول امتحني لطف محلك عندي وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تجدين مني تفاوتا
في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة
وانتصب طوعا او كرها على الحال ومعناه طايعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمى الالزام اكراها
لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طايعين من غير اكراه من روساءكم

او مكرهين

او مكرهين من جهتهم وذلك ان روساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا راوا فيه مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان
الرسول لا يقبله منكم او انه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل
على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان
الفسق بمعنى الكفر لقوله تعالى وما منعهم ان يقبل منهم الاية علل منع القبول فامور ثلثة اولها الكفر بالله و
برسوله وثانيها ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه اذا كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل
وفيه انه يصلي للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان في جماعة
صلى وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلي للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزمهم الكفر
وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل مصالح
الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان انفقوا مختارين لعدهم الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادوا زكوة اموالكم طيبة بها انفسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل في منع القبول فكيف
ضم اليه الامرين الاخرين والجواب انها امارات ويجوز تعاضد الامارات المتعددة على شي واحد وبوجه اخر اطلق
كفرهم اولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من انواع
كفرهم هذين تفظيعا لشان تارك الصلوة والزكوة قال في الكشاف وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء
وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الاية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا
عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى تاثيره في تخفيف العقاب ولقايل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه
لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الاية دلالة على ان الصلوة لازمة للكفار والا لم يكن الايمان بها علة
وجه الكسل لما بين انعدام القبول بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع
الدنيا فهو ايضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول او لكل احد فلا تعجبك
الاية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اي ان يكن ما ذكرنا من الا
بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤهم وهذا بخلاف ما سيجي في الاية الاخرى من هذه السورة والاعجاب
سرور الملى بالشي مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد في حكم الله ان يزيل ذلك الشي عنه
ويحصله لغيره كقوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك
الشي وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ان تتعلق قدرة الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الاية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك في
حبها فان المسكن الاصلي هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعرابه كما مر في قوله يريد الله ليبين لكم
قال مجاهد والسدي وقتادة في الاية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما
يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة كانهم نظروا ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده
واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب العذاب في الدنيا
ايضا وبوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان عذابا في الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما
سبب العذاب في الدنيا ايضا وبوجه آخر في الدنيا لا محالة فاي فايدة في ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد
يكون سببا للتعذيب في الدنيا وفي الاخرة وذلك ان كل من كان حبه للشي اشد كان خوفه من فواته اكثر وحزنه
على فواته اعظم فصاحب المال ابدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتثميره ثم ان
الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضي الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى الله وذكر الاخرة
ثم انه ان بقي عليه ذلك الى اخر عمره فعند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى
سجن وجحيم وعند الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من
يصرف فيه بالحق للحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم

وجوه اختصاص التعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم آخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيفرح به
للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وايضا ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة
اخروية وكان ذلك اشق تكليف وكانوا مبغضين النبي مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى
خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اموالهم واولادهم للنهب والسبي وكثير منهم كان
لهم اولاد اتقياء مخلصون كحنظلة بن عامر غسيل الملائكة وكعبد الله بن عبد الله شهد بدرا وكان عبد الله بكان ومنهم
خلق كثير كانوا يستخفون طريقة آبائهم في النفاق ويقدمون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه ولاجل
هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان التعذيب يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق انفسهم اي تخرج
وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان المريض اذا
قال للطبيب اريد ان تدخل علي في حال مرضي لم يلزم منه كونه مريدا المرض بنفسه والجواب ان امثال هذه موكولة
الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من
ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد
وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر
للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال
وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو
يجدون ملجأ مفرا يحصنون فيه آمنين على انفسهم منكم لفروا اليه ولفارقوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم في الدار و
المسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة وهذا الموضع الذي يغار الانسان فيه اي يستتر والمدخل اصله مدتخل
مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجها والمدخل مفعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يتدسس
بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على احد هذه الوجوه مع انها شر
الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى عنه اذا اصرفه وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا
يرد وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تاذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين
صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة اشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون
والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله
ومنهم من يلمزك الآية قال الزجاج لمزت الرجل المزه والمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وكذلك همزته وفرق الليث
فقال اللمز العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في احدها
وذلك بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم
وان شاء اغناهم الثاني ان يقال هب انك تأخذ الزكوات الا ان من اخذ كثيرا فوجب ان يقنع بالقدر ذلك الثالث
هب انك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي
دلت الاخبار على انهم ارادوه من ابي سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين قال
له ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فنزلت وعن الكلبي هو ابو الجواظ
قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك
اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون و
قيل هم المؤلفة قلوبهم شرهين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون
ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدته ان تعلم ان الشرط مفاجئ للجزاء وتهجم عليه ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم
في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على اربع مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم انه

تعالى

تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكل ما كان بحكمه وقضائه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر
ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحسب الثالثة
ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله من غنيمة اخرى الرابعة رغبه
الى الله فانه المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى ان عيسى عليه السلام مر
بقوم يذكرون الله فقال وما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم آخرين فقال
ما الذي حملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث
مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة
الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحققون التأويل ان تصبك يا روح
حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها فيها نظر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع
اخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خافوا الفناء في السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
لا علينا فان الفترات والوقفات للتنزيه لا للرد والطرد قل تربصون بنا ايتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين
الاحسان والعواطف الربانية او الوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف
والجوع وغيرها او بايدينا بالمنع من المخالفات وكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا اي بارادة وكرها اي نفاقا لن يتقبل
منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبوله وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبول
لقوله نية المؤمن ابلغ من عمله وباقي الآيات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها و
بدرستی که زکاتها مر درویشان است و بیچارگان و کارکنان بر ان یعنی گرد آرنده گان زکات
المؤلفة قلوبهم وفي الغارمين وفي سبيل الله وابن
الفت داده شده دلهای ایشان و دوام داران بمهر اسلام امتثال ایشان متوقع بود و در جهاد به راه خدای و در حق
السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين
مسافر منقطع از مال خود وجوبی موکد از خدای و خدای داناست درست کار و درست گفتار و از ایشان اند آن کسانکه
يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن
میرنجانند پیغمبر را و میگویند و تصدیق کننده است هر چیزی را بگو او شنوا نیکی است برای شما ایمان می آرد که بشنود
بالله واليوم الآخر ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين
بخدای و تصدیق می نماید مومنان را و بخشایش است برای آنانکه
امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
ایمان آوردند از شما و آنانکه می رنجانند پیغمبر خدای را مر ایشان راست عذابی
اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله
دردناک سوگند میخورند بخدای برای شما تا خشنود کنند شما را و خدای و پیغمبر او

احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين ۝ الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
سزاوارتر که رضا طلبند هرکی را اگر هستید از اهل ایمان ای ندانستند که کار آنکه هرکه مخالفت با خدای و پیغمبر او کنند
فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ۝ يحذر
پس ثابت است او را آتش دوزخ حال آنکه جاوید بود در آن عذاب دایم آن فضیحت و خواری بزرگ است میترسند
المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
اهل نفاق که فرستاده شود بر ایشان بعضی از قرآن آگاه کند ایشان را بآنچه در دلهای ایشانست از کفر و نفاق
قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ۝ ولئن سألتهم
بگو افسوس کنید بدرستی که خدای ظاهر کننده است آنچه شما حذر میکنید از آن و هر آینه اگر بپرسی تو ایشان را از آنچه کرده اند در غزوه تبوک
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته
هر آینه گویند بدرستی که بودیم ما در آنچه مردم گویند در آن و بازی میکردیم بگو ای بخدا است و آیتهای او
قصه و قطع مسافت شروع میکردیم
ورسوله كنتم تستهزءون ۝ لا تعتذروا قد كفرتم
و پیغمبر او بودید که افسوس داشتید عذر میخواهید بحقیقت کافر شدید
بعد ايمانكم ان تعف عن طائفة بانهم كانوا مجرمين
پس از ایمان شما اگر عفو کنند از گروهی بسبب ایشان که هستند پر گناه
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و
مردمان با نفاق و زنان با نفاق بعضی از ایشان از جنس بعضی اند میفرمایند بنا کردنی و
ينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم
باز میدارند از کردنی ایمان و طاعت و فراهم می آرند دستهای ایشان را فراموش کردند پس منع فرمود آنها را از رحمت
ان المنافقين هم الفاسقون ۝ وعد الله المنافقين والمنافقات
بدرستی که منافقان ایشانند خارج از طاعت خدا است وعده فرمود خدا مردمان با نفاق و زنان با نفاق را
والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
و کافران را آتش دوزخ حال آنکه جاوید باشند در آن این آتش بسنده است ایشان را و دور کرد ایشان را خدای از رحمت
ولهم عذاب مقيم ۝ كالذين من قبلكم كانوا اشد
و مر ایشان راست عذابی دایم شما مانند آنانید که پیش از شما بودند سخت تر

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
بدرستی که خدای خرید از مومنان ارواح ایشان را و مالهای ایشان را به بدل آنکه ایشان راست بهشت
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه
جنگ میکنند در راه دین خدای پس میکشند و کشته میشوند وعده فرمود بر ذمت کرم خدای
حقا في التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده
وعده درست در کتاب موسی و کتاب عیسی و کتاب محمد و کیست وفاکننده تر بعهد خود
من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو
از خدای پس مژده یابید به خریدن و فروختن شما که مبایعه کردند شما با آن و آنست
الفوز العظيم ۝ التائبون العابدون الحامدون السائحون
پیروزی بزرگ ایشان توبه کنانند بندگی کنانند ستایش کنان گویان خدای را روزه داران
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون
رکوع کنندگان سجود کنندگان فرمایندگان نکارهای کردنی و بازدارندگان
عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ۝ ما كان للنبي
از ناکردنی و نگاه دارندگان مراد امر و نواهی خدای و مژده ده مومنان را نه سزد مر پیغمبر را
والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
و آنانکه بگرویدند که آمرزش خواهند برای اهل شرک و اگرچه باشند خداوندان
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ۝ وما كان
خویشی از آن پس که ظاهر شد مر ایشان را که ایشان ملازمان دوزخند بموت بر کفر و نه بود
استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين
آمرزش خواستن ابراهیم مر پدر خود را مگر از وعده که وعده آن داده بود پس آنگه که ظاهر شد
له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم ۝ وما كان الله
مر او را که او دشمن خدایست بیزار شد از او و بدرستی که ابراهیم هر آینه آه کننده است از خوف عذاب خدای و حرم فراگذار و نه خواهد خدای
ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله
[illegible]

بكل شئ عليم ● ان الله ما في السموات والارض يحي
بدرستی که خدای مر اوراست پادشاهی آسمانها و زمین زنده میکرداند بهمه چیزی داناست
ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ●
و می میراند و نیست شما را از غیر خدا هیچ دوستی و هیچ یاری دهنده
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
بحقیقت بازگشت خدای بر پیغمبر یعنی در باب و بر یاران مکه و بر یاران مدینه آنانکه متابعت نمودند اورا
في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
در هنگام دشوار کاری پس از آنکه نزدیک بود که میل کند از اتباع دلها گروهی منافقان
منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم ● وعلى الثلثة
رسول
از ایشان پس بازگشت برحمت بر ایشان بدرستی که او با ایشان مهربانست بابخشایش و توبه داد آن سه کس را که
الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
باز گذاشته بودند ایشانرا تا چون تنگ شد بر ایشان زمین با وسعت آن
وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه
و تنگ شد بر ایشان ارواح ایشان و دانستند که هیچ پناه گاه نیست از خدای مگر سوی او
در اخبار ایشان
ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ●
پس بازگشت بر ایشان تا توفیق توبه یابند بدرستی که خدای اوست توبه پذیرنده مهربان
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
ای آنانکه ایمان آوردید برحمت بترسید از خدای و باشید مصاحب اهل صدق

فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف الاخرون على العكس ويقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابن الهام وكذلك ما بعده هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التانيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روي ابن دومي عن ابن عباس الباقون بتشديد مجهولا **الوقوف** الجنة ويقتلون والقران بايعتم به العظيم لحدود الله المؤمنين الجحيم اياه منه حليم ما يتقون عليم والارض ويميت نصير تاب عليهم رحيم للعطف على النبي ليتوبوا الرحيم الصادقين **التفسير** لما شرح فضايح المنافقين وقبايحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك ذكر اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لايقابه عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن اسحق كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح

لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى الاية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فاغلى ثمنهم وقال جعفر الصادق رضي الله عنه والله ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالا هو رزقها والمراد بانفسهم النفوس المجاهدة وباموالهم التي ينفقونها في اسباب الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع ومعنا انكشف هي ان قيم الطفل له ان يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الاية البايع والمشتري هو الله ففي تنبيه على ان العبد كالطفل الذي لا يهتدي الى مصالح نفسه وانه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى انواع الخيرات واصناف السعادات وبوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر الذي هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضرورات المعاش كالالات والوسايط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبايع هو جوهر الروح القدسي والمشتري هو الله واخذ العوضين الجسد البالي والمال الفاني والعوض الاخر الجنة الباقية والسعادات الباقية فالربح حاصل والخسران زايل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم كالتفسير لتلك المبايعة فيقتلون ويقتلون اي انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرا بتقديم المجهول فمعناه ان طايفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصد ذلك الباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق ان كل انواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلايل التوحيد اكمل اثرا من القتال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة لان الانسان جوهر شريف فمتى امكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان اولى عن افناء ذاته الا ترى ان جلد الميتة لما كان ينتفع به من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا او هو نعت للمصدر مؤكد وما الذي حصل في التورية والانجيل والقران وقيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل الامر بالقتال ومن اوفى استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفي الاية انواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشتري هو الاله المواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشرى حتى يكون حقا مؤكدا ومنها انه قال بان لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله في التورية والانجيل والقران وانه يجري مجرى الاشهاد بجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن اوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصادق ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز العظيم واعلم ان هذه الخاتمة يقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي النساء والمايدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والاخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع اخرى براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما في براءة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الاية وكذلك ما في المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد الجملة من غير تراخ بنزولها جاءت مربوطة اما بواو العطف واما بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين اثنين والثلثة للدلالة على المبالغة وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة اولانه ذكر الكتب الثلثة فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد وكذلك في المؤمن ومع الثلثة في مقابلة ثلثة ادعية فاغفر لهم وادخلهم قال ابو القاسم البلخي لابد من حصول الاعواض على الالام للاطفال والبهايم قياسا على ما اثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم ساير المؤمنين كذلك فقال التايبون قال الزجاج انه ابتداء محذوف الخبر التايبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التايبون

ورفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدا وخبره العابدون وما بعده اي التائبون من الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال واما تفسير هذه الاوصاف فقد ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك و
تبرأوا عن النفاق وقال اخرون اللام للتعميم ليشمل المعاصي ايضا اذ لا دليل على التخصيص والعابدون قال ابن عباس
هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لاشك انها
عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم والحامدون هم
الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وذلك ان الحمد ذكر من كان قبل آدم لقوله
الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون
بعد خراب الدنيا لقوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون قال عامة المفسرين هم الصائمون
لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال
الازهري انما قيل للصائم السائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب
والوقاع قال اهل المعنى لان الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعاني والحكمة وتجلت له انوار
المعارف والحقائق فيحصل له سياحة في عالم المعقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد
في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قاله عكرمة عن وهب بن منبه ولا ريب ان للسياحة
اثرا عظيما في تكميل النفس لانه تلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك
ملكة له وقد ينتفع بالمشاهدة والزيارات للاحياء وللاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه
ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار والراكعون والساجدون يعني المصلين قال
بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة والقيام و
القعود وانما الفصل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل اولى مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع
وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا آخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله الناهون والحافظون
دون سائر الاوصاف واجيب بان النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
او المراد ان الموصوفين بالصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد
لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر به والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر والنهي
عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فادخل عليه الواو
تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الاية وما في الكهف في قوله ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا و
ذلك انهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والاخبار
والثمانية تجري مجرى استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله والحافظون لحدود الله فكاجمال بعد تفصيل
وذلك ان التكاليف اما ان تتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد
والاعتاق والنذر ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات اما لجلب المنافع او لدفع المضار والمنافع اما ان تكون
مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس وهي المذوقات ويدخل
فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب احكام الوقاع فمنها
ما يفيد حله كتاب النكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب
ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله عما
لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب
ما يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال منها جواز استعمال
الطيب في بعض الاوقات ومنعه بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد

والمنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب للملك كالارث والهبة والوصية واحياء
الموات والالتقاط واخذ الفيء والغنائم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين واو بيع الدين بالعين وهو السلم او بالعكس
كما اذا اشترى شيئا بالذمة او بيع الدين بالدين وهو بيع الكالي بالكالي المنهي عنه الا عند تقاص الدينين او من جهة
الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب لغير المالك التصرف
فيه كالوكالة والوديعة ومن جهة الاسباب التي تمنع المالك من التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما
دفع المضار فالمضرة اما في النفس وهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة
واما في النسب وهو احكام الزنى والقذف واللعان واما في العقل كتاب تحريم الخمر واما في المال والضرر فيه
اما على سبيل الاعلان والجهاد وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر
وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله
الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بالحجة وهي الشهادة
والايمان فحصل من ذلك كتاب ادب القضاء وباب الدعاوي والبينات فهذا ما امكن من ضبط معاقد تكاليف الله
تعالى واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعالى
ولكن قوله والحافظون لحدود الله يشمل ذلك ايضا بل رعايته اهم من رعاية احوال الظواهر ثم ختم الاية بتكرير
البشارة وفيه من كمال العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار من المنافقين والكفرة الاحياء
الا ان شيء وجوب البراءة من امواتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعناه النهي اي ما صح له وما
استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل المنع بقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك
وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار مجرى الخلف وعد الله ووعيده وفيه حط
المرتبة النبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ
فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لما حضر ابا طالب الوفاة
دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا
يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم
انه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قراباتنا قد استغفر
ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت ما كان للنبي الايتان وقيل
عن ابن عباس لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا اي آخرهما موتا فقيل امك آمنة فزار قبرها
ثم قام باكيا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن
فيه ونزل على ما كان للنبي الاية قال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا اصح لان هذه
السورة من آخر القرآن نزولا وكانت وفاة ابي طالب بمكة في اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول
بانه صلى الله عليه وسلم لعله بقي يستغفر الى حين نزول الاية ثم اعتذر عن استغفار ابرهيم لابيه
بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابرهيم ان يؤمن فكان
يستغفر له بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابرهيم انه عدو لله اما بانه مات على الكفر او بوحيه على ذلك
وبطريق الوحي تبرأ منه وترك الاستغفار ويجوز ان يكون الوعد ابرهيم عليه السلام ويوافقه قراءة
الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك في قوله لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد
من استغفار ابرهيم لابيه دعاؤه الى الاسلام الموجب للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى ان يرزقه الايمان وقيل
المقصود النهي عن صلوة الجنازة فكان كقوله ولا تصل على احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين
عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابرهيم لاواه حليم قال اهل اللغة اواه فعال ماخوذ من حروف اوه كلمة يقولها
المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج

ذلك النفس المختنق فخف بعض ما به وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاواه الخاشع المتضرع والحليم ضد السفيه
وصفه تعالى بشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابرهيم مع هذه العادة تبرا من ابيه حين انقطع رجاؤه
منه قام بهذا المعنى اولى ثم ان المسلمين خافوا ان يواخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين فانزل الله تعالى وما
كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة او يحكم عليهم بالضلال او يخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتى يكون منهم الامر
الذي يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل ان الله لا يسمى
قوما ضلالا بعد اذ سماهم مهتدين ما لم يقدموا على شيء سبين خطوه واما قبل العلم والبيان فلا يواخذهم كما لم يواخذ
بشرب الخمر والربوا قبل تحريمها وفي الاية تشديد عظيم حيث جعل المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات داخلا
في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والمراد ان من كان عالما قادرا
هكذا لم يحتج الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على انه يقبح من الله الابتداء
بالعقاب واجيب بان له ذلك بحكم المالكية غايته ما في الباب انه لا يفعله بعد ازاحة العذر بحسب العادة وفي قوله ان الله
له ملك السموات والارض فايدة اخرى هي انه لما امر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته ان اراد
استظهار المسلمين كيلا يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار وايضا كانه قال وجب عليكم ان ينقادوا
الى حكمي وتكليفي لاني الحكم وانتم عبيدي ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الاية
ولنبين تفسير الايتين على اسولة مع جواباتها فالسوال الاول ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم
والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه لتحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان اللايق بحالهم ان يثني عليهم والجواب
انه ما من الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار انه لا ينفك عن هفوة اما من باب الكباير واما من باب الصغاير
واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عفا الله عنك لم
اذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المومنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب ولا اقل من الوساوس
والهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدايد صارت مكفرة لجميع الزلات صدرت عنهم في ذلك السفر
بل في مدة عمرهم وصارت قايمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل
تعظيم شان المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السوال الثاني ما المراد بساعة العسرة الجواب قد
يستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسر تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم
الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر
المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان قسم التمرة اثنان ثم الى ان
مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة
القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر قال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة
التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
الثالث ما معنى كاد تزيغ وكيف اعرابه والجواب هما استعمالان كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول
كاد زيد خارجا اي جاز ان يخرج ومعنى الثاني كاد الشان يكون كذا يعني قارب الشان هذا الخبر وشبهه سيبويه
بقولهم خلق الله مثله اي ليس الشان ذاك ولكن ضده والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم وقيل هم بعضهم
عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا انفسهم وصبروا وثبتوا وندموا وقيل ما كان الا حديث نفس لا عزيمة
ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة في اول الاية ثم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد
الضمير في عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبي والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة
هي ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه بدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب
ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متاكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفوت عنك ثم
عفوت عنك واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال
ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضى ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم رؤف رحيم وشبه

ان يراد بالرافة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة والاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس الثلثة الذين
خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كانوا مخلفين كما سموا مرجين اي موخرين عن ابي لبابة واصحابه
حيث تيب عليهم بعد اولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة من قرا بالتخفيف اي خلفوا الغازين وقيل
المخلف من خلوف الفم اي فسدوا وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض مع سعتها
وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا اي علموا او تيقنوا ان
لا ملجا من سخط الله الا في استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو
الرجحان وذلك انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرانا وان سلم انهم قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان
يكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا ثم تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره
عن كعب بن مالك قال لما نهل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما كان ذكرني
في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت
اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع وهو جبل
بالمدينة ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت علي الارض بما رحبت وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام
الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية سئل ابو بكر
الوراق عن التوبة النصوح فقال ان يضيق على التايب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك
وصاحبيه السادس قد عرفنا فايدة قوله تاب عليهم فما فايدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب
معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم او تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في
المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة او تاب عليهم ليرجعوا
الى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمومنين او تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وتوفيها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد
توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة المقصود بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا
وايضا فالواو في الاية دلالة على ان قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هولاء قد حصلت في اول الامر ثم
انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان شرايط التوبة من الاخلاص والنصح
وغير ذلك لعلها لم يكن حاصلة من اول الامر فلهذا تاخر القبول دليله قوله حتى اذا ضاقت الاية ثم حث سبحانه
المومنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام في زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين امنوا الاية
قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المومنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على طريقتهم وسيرتهم
لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشيء مشروط بوجود ذلك الشيء فلا بد من وجود الصادقين
ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين
الى يوم القيامة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه في الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادقين
لا يجوز ان يكون منحصرا في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما تقول الشيعة لان كون كل احد
من المومنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد
في كل حين والمراد انهم اذا اجمعوا على شيء كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان تكونوا معهم ظاهرا
وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا في دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة نية وقولا وعملا
وقيل اي كونوا مع الثلثة المذكورين في الصدق والثبات وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب
اي وافقوا المهاجرين والانصار والصدق وقيل الخطاب للذين شدوا انفسهم على السواري وفي الاية
دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصايص الصدق ما روي ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

وقال اني اريد ان اومن بك الا اني احب الخمر والزني والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء
كلها ولا طاقة لي بتركها فان قنعت مني بترك واحد آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت فان سالني رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد على فتركها ثم عرض عليه الزني فجاءه ذلك الخاطر فتركه
وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسد ابواب
المعاصي على وتاب عن الكل ومن فضايل الصدق ان الايمان سنه لا من ساير الطاعات ومن معايب الكذب ان الكفر
منه لا من ساير الذنوب ومن مثالب الكذب ان ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى في قوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند
المعتزلة والله اعلم التاويل ان الله اشترى في التقدير الازلي وهنا يتيسر لهم الآن بذل النفس والمال في
الجهاد الاصغر وانه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اشترى من اوليائه الصديقين قلوبهم
وارواحهم بان لهم التايبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون على وفقهم
لهم طلبه السايحون السايرون اليه بقدمي الصبر والشكر والتبري والتولي الراكعون اي الراجعون على مقام
القيام بوجودهم الى القيام بوجده الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلا هم الآمرون بالمعروف الحقيقي
الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس
سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابرهيم لاواه الاواه هو المتبري من المخلوقات
لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تولاه بمولاه فيهما يرد له وارد الحق ضاق عليه نطاق الخوف فيقع
عند نفر القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما اصابه من الخلق للحق فلا رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال
ولهذا قال لجبرئيل حين ساله الك حاجة اما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما ليردهم بالمكر الى الانانية والبعد
بعد اذ هديهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يتبين لهم ما يتقون من آفات البشرية وعاهات
الدنيا فهي راس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد
الكور او نقول ان الله تعالى بعد اذ هديهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات
بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يتبين لهم ما يتقون من الاعمال والاحوال رعاية
لتلك الاحوال ان الله له ملك السموات القلوب وارض النفوس يحيي من يشاء بنور ربوبيته ويميت عن صفات
البشرية من يشاء وما لكم من دون الله من ولي فلا اشعار يشغلكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك
ولا المالك وطالب المالك يجد المالك والملك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبي على المهاجرين
ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين اتبعوه في ساعة عسرة الدنيا
وترك شهواتها او نقول لقد تاب الله اي افاض انوار عرفانه على نبي الروح ومهاجرين ٧ وما تبعوا الروح عند وجوده الى عالم الشهادة
حتى اذا ضاقت عليهم ارض البشرية شوقا الى ملك النصرة وضاقت عليهم انفسهم عجزا الى نيل المعادات وظنوا
بنور اليقين ان لو بقوا في السفل لا ملجا لهم من عذاب البعد من الله الا الفرار اليه ثم تاب عليه بجذبة العناية ولو كلهم
الى طبعهم ما سلكوا طريق الحق ابدا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق والله تعالى اعلم واحكم بالصواب

صفات الذين هاجروا معه من عالم الروح المعدين للجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتها الذين اتبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم السفل وعلى الثلثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع ح ح ح

ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
نسزد هر ساكنان مدينه را وانها را كه حوالي ايشانند از اهل باديه كه باز مانند از غزاوات
عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم
از پيغمبر خداي ونه آنكه رغبت كنند بجانهاي خود از جان پيغمبر جهت صلاح ايشان آن بسبب آنست

لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا
هيچ نرسد بايشان تشنگي ونه رنجي ونه گرسنگي در راه خداي ونه
يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا
سپرند جاي سپردني كه بخشم آرد كافران را ونقصان نكنند از هيچ دشمني نقصان كردني
الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين
مگر نوشته شود براي ايشان بآن خير كاري نيكو بدرستي كه خداي ضايع نگرداند مزد نيكوكاران
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
ونفقه نكنند نفقه خرد ونه بزرگ ونبرند مسافتي رودخانه
الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون ● وما
مگر نبشته شود براي ايشان تا جزا دهد خداي نيكوتر آنچه هستند كه ميكنند ونه
كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة
باشند ونه توانند مؤمنان تا بروند بطلب همه پس چرا نرفت از همه گروهي
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
از ايشان جماعتي قليله تا فقيه شوند در باب دين وتا بيم نمايند جماعت خود را چون باز گردند
اليهم لعلهم يحذرون ● يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين
سوي ايشان تا مگر ايشان احذر كنند از مناهي اي آنانكه ايمان آورده كارزار كنند با آنكه
يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان
نزديكتر ند بشما از كافران وبايد كه يابند در اخلاف شما درشتي وبدانيد كه
الله مع المتقين ● واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
خداي با پرهيزكاران است بانصرت وعنايت وچون فرستاده شود بعضي از قران پس از ايشانند كسي كه ميگويد
ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين
كدام يك از شما فزون گردانيد او را تصديق وتحقيق وايشان مژده يابند اما آنانكه
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا
در دلهاي ايشان است شكي ونفاقي زياده گردانيد ايشان را خبثي با خبث ايشان ومردند

وهم كافرون • اولا يرون انهم يفتنون في كل
وحال آنكه ايشان كافران اند ای نمی بینند كه ایشان مبتلا می شوند بانواع در هر
عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون •
سالی یک بار یا دو بار پس توبه نمی كنند ونه ایشان پند می گیرند مصایب وحروب
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم
وچون فرستاده شود بعضی از قرآن نگرد بعضی از ایشان سوی بعضی گویند می بیند شما را
من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا
هیچ یک از مسلمانان پس بازگردند بازگردانید خدای دلهای ایشان را از حق بسبب آنكه ایشان گروهی اند كه
يفقهون • لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
در نمی یابند بحقیقت آمد بشما پیغمبر فرستاده از جنس شما دشوار است بر او
ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم •
آنچه رنج كشیده باشید در آن حریص است بر كار شما بمومنان مهربانست باشفقه
فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
پس اگر اعراض كنند پس بگو بسنده است مر خدای هیچ معبودی نیست مگر بر فضل او اعتماد كردم از متابعت تو
وهو رب العرش العظيم •
و او پروردگار عرش بزرگ است

القراءة موطنا بحر بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف غلظة بفتح العين المفضل الباقون بكسرها اولا تردون بتاء الخطاب للمومنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة الوقوف من نفسه صالح المحسنين للعطف يعملون كافة يحذرون غلظة المتقين ايمانا يستبشرون كافرون يذكرون الى بعض لحق المحذوف اي يقولون هل يريكم ثم انصرفوا لا يفقهون عزيز على تاويل عليه شفا ما اثم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما اثم اولا وقف في الاية الى قوله رحيم حسبي الله والاصح الوصل لان المعنى شديد عليه لما امر بموافقة النبي واصحابه على جعل الجملة حالا اي يكفيني الله غير شاك في الالوهية الا هو العظيم التفسير لما امر بموافقة النبي واصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف فقال ما كان لاهل المدينة اي لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار وكانه اراد المعروفين منهم والا فالنظام عام ومعنى ولا يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اي بخلت عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصلح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب صلاح انفسهم وبقائها بل عليهم ان يصحبوه على الباساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه ولان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس ان لا يصونوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا الذي

التهييج وتوبيخ عظيم ولا يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع وان اصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فبقي اولاها من الصورتين داخلا تحت عموم الاية ثم ذكر ترغيبا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال ذلك بانهم اي الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم مثابون على انواع المتاعب واصناف الشدايد بل على جميع الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب والظماء شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي يظهر ضمور البطن والموطئ اما مصدر كالمورد او مكان وعلى التقديرين الضمير في يغيظ عايد الى الوطئ الصريح او المقدر ثم الوطئ يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار تصرفا يغيظهم ويرزاهم شيئا الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شوم المعصية وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم وقال الشافعي لا يشارك القادمين في الغنيمة وان شاركهم في الثواب لان الغنيمة من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان في المسلمين قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء وكذلك غيره من الائمة والولاة اذا عينوا طايفة وهلا لو شرطنا للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي الى تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما اربى عليها مثل ما انفق عثمن رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب لا يصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذا للسيل الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع او ذلك العمل الصالح المعهود في الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت في صحايفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة الفعل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عدد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظما والنصب والمخمصة وباقيها من اعمالهم وهي الوطئ والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقي قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض آخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى التصريح بذلك او النقاء باهذم او لان الضمير عايد الى المصدر الدال عليه الفعل والله اعلم بمراده ثم قال وما كان المومنون وفيه قولان احدهما انه من بقية احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريته الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الاية قاله ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمومنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين احديهما لملازمة خدمة الرسول والاخرى للنفر الى الغزو ثم ههنا احتمالان قال بعضهم فلولا نفر اي هلا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين فذهب الاكثرون الى ان الضمير في ليتفقهوا عايد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل ضبطوا ما تجدد من الشرايع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة واقام طايفة ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وبهذا الطريق يتم امر الدين بهاتين الطائفتين والاضاع احدا الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى

الطايفة النافرة وتفقههم هو انه يشاهدون الهو والمسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح
كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فيتبعون لديانة صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا
من دلايل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر والشرك والنفاق **الثاني** انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم
مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد امر يتعلق بالسفر وكذلك التفقه اما في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد
كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا ريب انه متى لم يمكن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان امكنه في الحضر فلا شك
ان للسفر بركة اخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا
المتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو احكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلايلها التفصيلية
والظاهر ان المراد في الاية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول
الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي او الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى
الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار والارشاد لا ما تسبق اليه علماء السوء من الاعراض الفاسدة كالمطاعم والملابس
والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
القايلون بان خبر الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طايفة والخارج من الثلثة يكون اثنين او
واحدا ثم انه اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا واجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل
لان الشاهد الواحد يلزمه اذا الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بان قوله لعلهم يحذرون ايجاب العمل باخبارهم
ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم مبتديا
من الاقرب ومتنقلا الى الابعد والقتال واجب مع كافة الكفرة وبانه القتال ولكن هذه الاية اخص لان
الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا يكون هذه منسوخة باية القتال
على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح
ظاهر كما في الدعوة وكما في ساير المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مبتدءا بالجمع الحاضرين ثم
ينتقل الى الغايبين وايضا المؤدية في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون
اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا
الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم عرب الشام
وروي ان اعرابيا جلس على المايدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المايدة فقال صلى الله عليه
وسلم كل مما يليك فثبت بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى العدول
ضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة نظير قوله واغلظ عليهم ومن قرا بفتح الغين فهو المصدر
ايضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجلادة والصبر على القتال ولشدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك
فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف اما ما يتصل بالبيع والشرى والمجالسة فلا
ولكن بقوي الله سبحانه على ذكره في موارده ومصادره ولهذا ختم الاية بقوله واعلموا ان الله مع المتقين
فان تقتله قتله لله وان تركه تركه لله وان كسر عليه وآل الامر الى اخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله
ثم حكى بقية فضايح اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين
لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به او يقولونه
لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول ايكم مرفوع بالابتداء وخبره زادته هذه ايمانا
ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه في
اول سورة الانفال **والثاني** الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الاخرة اما بالعز والنصر
في الدنيا والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزايدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل
للمنافقين الذين لهم عقايد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة

بعد

بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر ولان حصول حسد وغل ونفاق عقيب اشالها ازدياد ملكة ذميمة
عقيب اخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقايد والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها
واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والراسخة لا تزول
الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق
الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم
احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان
النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله والاخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبته
في الاخرة ونفرته عن الدنيا واما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الاخرة وعشق
المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها
بقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قال ابن عباس اي يختبرون
بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن فانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه
بين يدي ربه فيزيد ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع قال بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في
السنة الناس باللعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فايدة
وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبريل فيوبخهم بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم
ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من
ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحي قايلين هل يريكم من احد من المسلمين لينصرف فانا
لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان النظر التغامز دال على ما في الباطن من الانكار
الشديد او اراد وان كان من ورايكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل ثم
انصرفوا اي من مكان الوحي الى مكانهم او عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى صرف الله قلوبهم وقال الزجاج
اضلهم الله قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء
عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التي يختص بها من آمن بها او المراد
صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة
هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق انه لا يقال انصرفنا من الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله
قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد في الخير دون الشر فانه تعالى قال فاذا
قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله في هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة
يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب في تحملها فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من جنس البشر لا الملك لان
الجنس الى الجنس اميل وبه آلف وآنس والخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم في نصرته والقيام بخدمته لان
كل ما يحصل له من الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من ابناء جلدتهم او الخطاب لاهل
الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم فكانه
قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين في خدمة اسلافه فلم تتكاسلون في هديته مع انه لا نسبة له في الشرف الى آبائه
او المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف
وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال من هذه حالته وصفته يكون من اعظم
نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اي من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة الى النبي صلى الله عليه وسلم
والوصي واهل البيت عليهم السلام ثم وصفه بما يستتبع المجانسة والمناسبة من النتايج وذلك قوله صلى الله
عليه وسلم عزيز عليه ما عنتم العزة الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع في المكروه والاثم وما
مصدرية اي شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو
انا ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحريص يمتنع ان يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم في

الداين فالصفة الاولى لدفع الافات والثانية لايصال الخيرات والسعادات فلا تنكروا وقال الفراء الحريص الشحيح والمعنى
شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين اي منكم ومن غيركم رءوف رحيم قال
ابن عباس لم يجمع الله بين اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم وكل ما يحصل له من العز و
الشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب المشفق واذا عرف ان الطبيب حاذق والاب المشفق
فالعلاج والتاديب منهما احسان ولين واجمال وان كان صعبا سولما فاقبلوا ما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة
لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله فان لم يقبلوها فان اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا يلتفت اليهم وارجع في جميع امورك
الى الله الذي بالحق ارسلك فهو كافيك وهو رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شيء لانه محيط
بالعرش وبما يحويه العرش والله تعالى اعلم **التاويل** ما كان لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى و
القلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول الروح السائر اليه ولا يبذلوا
وجودهم عند بذله وجوده بالفناء في الله وذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب من انواع المجاهدات
ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا في طلب الله ولا يطاون موطئا من مقامات الفناء يغيظ كفار النفس والهوى
ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا كتب
لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء في الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هي بذل الصفات ولا كبيرة هي بذل
الذات الى الصفات الفهم في ذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح
احسن ما كانوا يعملون لان عملهم بقدر معرفتهم وجزاؤهم يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وما كان المؤمنون
لينفروا في السير الى الله وبالله وفي الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة وفرقة وطايفة هم خواصهم واهل الاستعداد
الكاملون ليتعلموا السلوك ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحي ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب اي قلب حي هل يريكم من احد في مقام الانكار والنفاق اي هل يرى محمدا انكارنا على رسالته
والقرآن فان كان رسولا يرانا بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب
لان ذلك من امارات حيوة من انفسكم تسكين للعوام لئلا ينفروا عنه واشارة للخواص الى ان ليس لهم استعداد
الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعوني يحببكم الله ومن قرأ من انفسكم اي اشرفكم فلانه
اول جوهر خلقه الله تعالى اول ما خلق الله روحي ولاختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين وبلوغه الى قاب قوسين
او ادنى وتجلية تحليته فاوحى الى عبده ما اوحى ولعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر القدرة ولقد رأى
من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رءوف رحيم فمن رافته امر بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فادخلوا
فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وهاهنا نكتة وهي ان رافته ورحمته لما كانت مخلوقة
اختصت بالمؤمنين فقط وكانت رحمته تعالى ورافته للناس عامة ان الله بالناس لرءوف رحيم ونكتة
اخرى وهي ان رحمته صلى الله عليه وسلم عامة للعالمين لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واما رحمته المضمومة
الى الرافة فخاصة بالمؤمنين وكانت الرافة اشارة الى ظهور اثار الدعوة في حقهم فالمؤمنون امة الدعوة
والاجابة جميعا وغيرهم امة الدعوة فقل حسبي الله لان المقصود من التبليغ قد حصل لك وهو وصولك
الى الله اعرضوا عن دعوتك او قبلوا والله تعالى اعلم واحكم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة يونس مكية الا ثلث آيات قوله تعالى فان كنت في شك الى آخرهن وحروفها
خمسة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون كلمها الف وثمانمائة واثنا وثلثون آياتها

٣٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداى بخشنده مهربان

الر تلك آيات الكتاب الحكيم ● اكان للناس عجبا
انا الله ارى اى آنچه درین سورتست آیتهای کتابیست مشتمل بر حکمت ای آیا هست برای مردم شگفتی که
ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين
وحی فرستادیم سوی مردی از ایشان که بیم نمای مردم را و مژده ده آنانرا که
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون
ایمان آوردند که ایشانراست سابقه و جزای نزد پروردگار ایشان گفتند کافران
ان هذا لساحر مبين ● ان ربكم الله الذي خلق السموات
بدرستی که این مرد هر آینه جادوییست هویدا بدرستی پروردگار شما معبود بسزاست که آفرید آسمانها
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
و زمین را در مقدار شش روز پس مرید طهو تصرف در کاینات شد اظهار میکند کارها را بحکمت و صواب
ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه
نیست هیچ شفاعت خواهی مگر پس از فرمان او آن معبود بسزاست پروردگار شما است پس پرستش نمایید او را
افلا تذكرون ● اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه
ای پس پند نمی گیرید بازگشت شما همه وعده فرمود خدای او راست و راست بدرستی که او
يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
آغاز میکند آفرینش را پس دوم باز پیدا فرماید تا پاداش دهد آنانرا که ایمان آوردند و کردند کارهای نیکو
بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
بر قانون عدالت و آنانکه کافر شدند مر ایشانراست آشامیدنی از آب بغایت گرم و عذابی
اليم بما كانوا يكفرون ● هو الذي جعل الشمس ضياء و
دردناک بآنچه هستند که جحود صانع مینمایند او آن خداییست گردانید آفتاب را روشنی تمام و
القمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
ماه را بار وشنی و تقدیر کرد سیر او را منزلها تا دانید شما شمار سالها بحساب اوقات را
ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الآيات لقوم يعلمون ●
نیافرید خدای آنرا مگر بحکمت و صواب بیان روشن میکنیم آیتها را برای گروهی که دانند

ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات و
بدرستي كه در تعاقب شب و روز وآنچه آفريد خداي در آسمانها و
الارض لايات لقوم يتقون • ان الذين لا يرجون لقاءنا و
زمين هر آينه دلايل است براي گروهي كه ميترسند از عواقب امور بدرستي آنانكه اميد ندارند برسيدن بما و
رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا
خشنود شده اند بزندگاني اين جهان وآراميده خاطر شدند بآن وآنانكه ايشان از دلايل وحدانيت
غافلون • اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون ان
تا بي خبرند ايشان جاي ايشان آتش است بسبب آنچه هستند كه كسب ميكنند بدرستي
الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
آنانكه ايمان آوردند وكردند كارهاي نيكو راه نمايد ايشانرا بسوي جنت پروردگار بسبب ايمان ايشان
تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك
ميرود از فرود اماكن ايشان جويها در بوستانها نازونعمت گفتار ايشان در آن جنت كه پاكا
اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
اي بار خدا ... درود ايشان سلام بود ... ايشان ... ستايش ... خداي راست پروردگار عالميان

القراءة الر بالامالة وكذلك ما بعده ابو عمرو وخلف وحمزة وعلي والحلواني عن هبيرة والنجاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل نفصل بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والعلي الباقون بالنون واطمانوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الوقوف الر كوقف الحكيم عند ربهم مبين يدبر الامر باذنه فاعبدوه تذكرون جميعا حقا الا لمن قرا انه بالفتح بالقسط يكفرون والحساب الا بالحق لمن قرا نفصل بالنون ومن قرا بالياء امكنه ان يجعل نفصل حالا لا يعلمون يتقون غافلون لان اولئك خبران بايمانهم للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم سلام لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم العالمين اتفقوا على ان قوله الر ليس باية وعلى ان طه اية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الاي التي بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل لا ريب غيري وقيل الر وحم ون واسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنه السورة من الآيات والتعبد والتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او وصف بصفة من تكلم به ومن قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل او يحكم بان محمدا صادق لان القرآن اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور و

يحتمل

يحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القرآن او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة في الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القرآن واعلم انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي وذلك ان حروف القرآن من جنس الحروف التي تتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه ونافضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله انكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمه ان اوحينا وفائدة اللام في قوله للناس مع تقديمه هي انهم جعلوه لهم اعجوبة يتحدثون بها اما ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي والنبوة فقد روي انهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وكلا الامرين ليس بعجب فلان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وما كان لمحمد في ذلك قبل بعثته اليد الطولى وكان يدعى محمدا الامين وان في قوله ان انذر الناس هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت في ضمير شان مقدر ومعناه انه اي ان الشان قولنا انذر الناس هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت وبشر الذين آمنوا اي ان لهم اي بان لهم الانذار الاخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عايدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل امر ما احلى الله تعالى المكلفين عنه شيا من الازمنة وبه يتم المالكية والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة وفضل ومنزلة رفيعة اي سبق لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم على كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري كناية عن العمل الذي لا يقع فيه تاخر ولا ابطاء والسبب في اطلاق القدم على السابقة ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من السوابق العظيمة اي القدم التي يصدق ويحق ان تسمى قدما واما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم اما قوله قال الكافرون فقد قال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم فرا لساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبي ومن قرا لسحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اي انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهي الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها باثبات المبدا وبين غايتها باثبات المعاد وذلك في آيتين متواليتين وقد مر في الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانهما كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الى آخره والامر الشان اراد به احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضي ويقدر بمقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المصيب في افعاله الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا بهذه الآية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه في شيء الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسالوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح ففي قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله في التصرف في جانب المبدا وفي قوله ما من شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن

الى العباد مزيد الخير والراحة بهم كامل العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر
اي خلق السموات والارض وحده ولا حي معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل في الوجود
احد الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم اشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذي
يتاهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام من خلق السموات والارض بما فيها وعليها فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه
تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي
رجوعكم مجموعين جميعا وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا
للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيدان كما مر ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه معنى
التعليل كانه قال ان الذي قدر على الابتداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني
انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم على انشاء اجزائكم حال حيوتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان يكونوا عالمين
بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرأ انه
بالفتح فعلى حذف التعليل اي لانه او على انه منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق
ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الآية اضمار والتقدير انه يبدؤا الخلق ليامرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم
يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا يكون الا بعد الاماتة والاعدام و
قوله بالقسط اي بالعدل يتعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او ليجزيهم بقسطهم وبما لم يظلموا ا
انفسهم حين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل
لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب بعرض
وقوعهم في طريق الفهم والحميم الماء الذي اسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في الاية دلالة على عدم
منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق اكثر
من اهل الطاعة فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاولى طريقة القائلين بالحسن
والقبح العقليين والثانية طريقة من يقول لا يجب على الله تعالى شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته
ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل
والعقاب على الترك هذا في المامورات وبالعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب
غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي الاخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله
ليجزي الاية فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والوعد ما اودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات
فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم الا انه
يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله لانهم يخصصون اكثر عمومات القرآن ثم يزعمون انه لا يكون سلمنا
انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والآلام
فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك
في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعيد والوعد
على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام
في الدنيا فهو في العمل وقد نرى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالآفات والبليات واضيقهم واجهلهم
في انعم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم
والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن عرفه واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما قيل شعر
كم عالم عالم اعيت مذاهبه ٭ وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ٭ فلا بد من دار اخرى يظهر فيه هذا التفاوت ومنها
انه كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبيده بشيء فلا بد ان يجعل فارغ البال منتظم الاحوال حتى

الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والبادرة الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن زاجر
من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفي في نظام
العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فايدة فيه وان كان قاهرا غالبا
ولا خوف له من المعاد فحينئذ لم يقدم على انواع الحكم الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية دايمة ولا وازع له
في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال
انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم
وازالة الالم امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فايدة وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام
بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا اخرى فان قيل اليس انه يعذب اهل النار لا لمصلحة ولا فايدة
لهم قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه خيرات عظيمة
والا لما كان ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها
تشاركه في اللذات الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوزينج في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقله
سبب تالمه وتاذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في الاحوال الماضية فيتاسف ويتامل في الاحوال الاتية فلا
يخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه ومزيته ومنها
ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى
وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين
ويعفو عن المذنبين ويزيل الغموم والهموم والافات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائما
في الترقي من حين كونه جنينا في بطن امه الى ان يخلص من هذا السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من
تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو الى ان يصير اميرا نافذ
الحكم على الخلق او عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف
وابهى من اللذات العاجلة المشوبة بالالام ومنها طريقة الاحتياط فاذا آمنا بالمعاد وتاهبنا له فان كان هذا
المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غايته ذلك فوات بعض اللذات
الزايلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال الانسان من صباه الى هرمه يضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء
ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة فلم لا نعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان
انما تولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها
فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان تجتمع مرة اخرى على مثال ذلك الاول ومنها ان النظر في تغيرات
العالم ادى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده هملا
يكذبون عليه ويجحدون فلا بد ان يكون له امر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق
جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الاخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون
المعاد امر جائز فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان اله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات
فلا يعجز عن تمييز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا
الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء عليهم السلام وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون باثبات البعث والجزاء فوجب علينا القطع
بالمعاد الجسماني اما شبه المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الاخرة وان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان
كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود اولا ثم تركه وتبديل الارذل
وذلك سفه او يقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة وذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة
وهو محال على القديم واجاب ان كلا من الدارين خير في شانها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع
الانساني من قبل العلم والعمل والاخرى للراحة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستدير

لاضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا في كتبنا الحكمية من ان كل جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن
سلم انها ازلية فحركاتها غير ازلية لان العبارة الحركة عبارة عن التغير من حال الى حال وهذه المقتضية الماهية تقتضي
المسبوقية الحالة المنتقل عنها والازلية تنافي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم ان الحركة
ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم
قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها في تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت
موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة
والاعراض وعود المعدوم محال والجواب بان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهرا
مجردا مفارقا او جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع احوال البدن من الصبي الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو
الذي تسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا قتل انسان واغتذى به انسان آخر لزم ان يعاد
تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال والجواب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزءا من
انسان آخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول من امر المعاد والله تعالى اعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين
فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو الذي اجوف واوي مهموز اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرأ
بهمزتين بينهما الف فمحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف فانقلب همزة
كما في كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير
مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة فجعلا نفس الضياء والنور كما يقال للرجل
الكريم انه كرم وجود والضياء اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر
فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بينا
في تفسير قوله يسئلونك عن الاهلة وقدره منازل قال في الكشاف اي قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل ومنازل
القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون اساميها مشهورة الشرطين والبطين
الثريا الى اخرها وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فيرى القمر كل ليلة نازلا بقرب
احدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثني عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل
برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت وقت التسمية بحذائها ثم ذكر بعض منافعهما وخواصهما بقوله
ما خلق الله ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها
بالليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم وتحصل معايش الخلائق
وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة النور ونقصانه تختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من
الخواص التي يرشد اليها التأمل والتدبر فلهذا قال نفصل الايات لقوم يعلمون لانهم هم الذين ينتفعون بهذه
الدلايل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد
مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الاية ومعنى قوله ما خلق الله في السموات والارض
كقوله وما خلق الله من شيء وتقدم في اخر الاعراف وانما خص كونها ايات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم
الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها
وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن
عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدا والمعاد ثم شرع في شرح احوال من لا يؤمن بالمعاد
ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله
وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع اي لا يطمعون في حسن
لقائه كما يامله السعداء او لا يتوقعونه اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية
فارغون من التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا مع ذلك بالحيوة الدنيا الحسية الخسيسة واطمأنوا بها سكنوا
اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم عن اياتنا

فلا يعتبرون بالايات فلا ينظرون في الدلايل الموصلة الى حقيقة المبدا والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين
الاجتهاد اولئك ماويهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة
هي المؤثرة في حصول العذاب الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو ما بالبعد من المالوفات والقطيعة
من السعادات الباقية فيكون مثاله مثال من اخرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مونس
بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد
فلا يعمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله ان الذين آمنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات
استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقلوبهم ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء
والكتب من عند الله او شغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى يكون عيونهم مشغولة بالاعتبار
وآذانهم باستماع كلام الله والسنتهم بذكر الله وساير اعضائهم بطاعة الله يهديهم ربهم بايمانهم قال اكثر المفسرين
معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل
الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقوله صلى الله
عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى
الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى
الآية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات
فيؤدي الى حصول المثوبات ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة
كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوايد الزوايد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا
الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وجعل قوله تجري خبرا مستانفا
منقطعا عما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف
كالنقوش ولكن حالهما بالضد من النقوش الجسمانية يكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد اللوح
الروح لمعانا واشراقا حتى انه تقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهي للعلوم والحقايق
كفهم المبتدي فالانسان اذا اكتسب آمن بالله فقد اشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت
له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال يتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيترقى في
معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي قوله
يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما تعدان الذهن لحصول الفيض
من الجواد المطلق ومعنى تجري من تحتهم انهم يكونون في البساتين على موضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار
تجري من بين ايديهم دعويهم فيها قال بعض المفسرين اي دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم اياك
نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما يكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف
بل على سبيل الالهام والعادة انها جاءت بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا
والآخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار بالالهية قال القفال واصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى من يحكم
بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك ان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان
لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل اي تمنيهم كقوله ولهم ما يدعون ويقول العرب ادع ما شئت
على اي تمن فكان تمنيهم في الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه ولقد كانوا في الدنيا يدعون في الحروب من يكفون
اليه ويستنصرونه فيقولون يا آل فلان فاخبر الله تعالى عنهم ان انسهم في الجنة بذكر الله وسكونهم بتحميده و
تحيتهم فيها سلام اي بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله او الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول واخر
دعويهم ان الحمد هي ان المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد على ان الضمير للشان قال اهل الظاهر من المفسرين في
سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم اتوهم
بما يشتهونه قال ابن جريج ورد في الاخبار انه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فياتيهم الملك بذلك

المشتهي فاذا انالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل
اهل الجنة وجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اي نسبحك من الخلف في الوعد وقيل اللهم الله بني آدم في الجنة
بعد انقراض الدنيا ما افتخرت به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان لكل انسان معراجا بحسب
قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال اللهم
فاذا عجز عن ذلك المطار واحترق في اوايل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المحتاجين ودفع
المخافات والمكاره عنهم بكل ما امكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم بالاستقامة
والافاضة اختتموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا يدور امرهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا
فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون والله اعلم **التاويل** الى
فيه اشارتان احديهما من الحق للحق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال بالآي عليك في الازل وانت في
العدم وبلطفي عليك في الوجود وبحقي وبرافتي لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه اليه عليه السلام
يقول يا انسك معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبلبيك الذي اجبتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت
ياسين اي يا سيد فقال لبيك وسعديك والخير كله بيديك ورجوعك منك الى حين تلك لنفسك بالجذبة ارجعي
الى ربك تلك اي هذه الايات المنزلة عليك ايات الحكيم الذي وعدتك في الازل وراشدك ولامتك والحكيم
الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرايع والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه رجولية قبول الوجود دون
غيره ويحتمل ان يكون معنى للناس الناسي عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول من خرج من العدم
الى الوجود او هو العناية الازلية سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين صدقوا في انهم سحر دون الانه حرم سحر صفات
فرعون النفران الذي ربكم هو الذي خلق سموات ارواحكم وارض نفوسكم من ستة انواع هي الروح والقلب والعقل
والنفس الحيواني والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة يقلبه
كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجوع المقبولين بجذبات العناية التي صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها انجذاب
القلب الى الله واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع المردودين بعنف الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن نتايجه
تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط اي لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير
بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة ارض النفس انكسف ولهذا سمي قلبا لتقلب احواله بين الروح و
النفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سني المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان
في اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية
من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال الايات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم
عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة والله تعالى اعلم

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم
واگر شتاب نمودی خدا برای مردم بدی را چون شتاب نمودن ایشان بنیکی هر آینه گذارده شدی بسوی وقت هلاک ایشان ایشان
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
پس میگذاریم آنان را که امید ندارند دیدار جزای ما را در سرکشی ایشان سرگشته میباشند
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما
و چون رسد بآدمی گزندی خواند ما را بر پهلو خفته بود یا نشسته یا ایستاده پس چون

كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك
زایل گردانیم ازو گزند او را گذرد گویی که گار آنکه نخوانده ما را بسوی گزندی که رسیده باو همچنان
زين للمسرفين ما كانوا يعملون • ولقد اهلكنا القرون من
آراسته شد برای تجاوز کنندگان از حد اعتدال آنچه هستند که میکنند و بحقیقت هلاک گردانیدیم اهل زمانها را
قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا
پیش از شما چون ستم کردند و آمد بدیشان پیغمبران ایشان با معجزات روشن و نبودند که
ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين • ثم جعلناكم
ایمان آرند همچنان پاداش دهیم گروه گناهکاران را پس گردانیدیم شما را
خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون • و
ساکنان بجای ایشان در زمین پس از ایشان تا نگریم که چگونه کار میکنند و
اذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت
چون خوانده شود بر ایشان آیتهای ما حال آنکه روشن‌اند در گویند آنانکه امید ندارند دیدار ما را بیار
وجه دلالت بر مقصود
بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء
قرآنی جز این یا تغییر کن او را بگو نیست مرا که تبدیل کنم آن را از نزد
نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
خود متابعت نمی‌نمایم مگر آنرا که وحی فرستاده میشود بسوی من بدرستی که من اگر نافرمانی نمایم پروردگار را از عذاب
بیمناکم
يوم عظيم • قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم
روز بزرگ بگو اگر خواستی خدا را نخواندمی این قرآن را بر شما و دانا نکردی شما را آن
بر زبان من
به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون • فمن
و بحقیقت درنگ نمودم در میان شما مدتی از حیات پیش از نزول قرآن آیا پس در نمی‌یابید پس کیست
اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح
ستمکارتر از آنکه از خود بدید کرد بر خدای دروغ را یا تکذیب نمود آیتهای او را بدرستی که کار نکو
رستگاری نیابند
المجرمون • ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
گناهکاران و میپرستند از غیر خدای آنرا که گزند نمی‌رساند ایشان را و نفع نمیرساند ایشان را

ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا

ومیگویند ایشان شفاعت خواهان ما اند نزد خدای بگو ای می آگاهانید خدای را بانچه

يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون

تعلق علم او نشد در آسمانها ونه در زمین پاکست او وبلند مرتبه است ازانچه شریک میارند

وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة

ونبودند مردم مگر جماعتی یگانه متفق بودند بر توحید پس خلاف کردند اگر نه ارادتی بودی از تاخیر عقاب تمام

سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون

پیشی گرفته از پروردگار تو هر آینه حکم کرده شدی درمیان ایشان درباب آنچه درو خلاف میکردند ومیگویند

لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا

چرا فرو فرستاده نشد بر وی معجزهٔ که ملتمس ماست از پروردگار او پس بگو بدرستی که علم تنها مر خدای راست پس چشم دارید

اني معكم من المنتظرين

حکم خدا را که بدرستی من با شما از منتظرانم

القراءات لقضي اليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم او بدله بضم اللام وسكون الهاء روي خلف عن الكسائي والاختيار عنه وعن غيره الاشمام الى ان يفتح الياء وكذلك اني اخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ونفسي ان يفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع لادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روي ابو ربيعة عن البزي وحمزة وقرا حمزة وعلي وابو عمرو وخلف وورش من طريق النجاري والخزاعي عن هبيرة ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق ابي حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف اجلهم لان ما بعده مستقبل استانف اي نحن نذر يعمهون او قائما ه يعملون ظلموا لان الواو للحال ليؤمنوا المجرمين بينات لان ما بعده جواب اذا او بدله نفسي لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القايل سجاوندي الى لنتامل ما قلنا اعظم به والوصل اولى للفاء ولشدة اتصال المعنى من قبله تعقلون باياته المجرمون عند الله في الارض تشركون فاختلفوا يختلفون من ربه للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا لاحتمال الفاء الابتداء والتعليل المنتظرين التفسير انه سبحانه ابتدا في هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدلايل الدالة على صحة المبدا والمعاد فكانه قيل انه ما جاء الا بدلايل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد حقا فامطر علينا حجارة فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الاية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدا والمعاد ذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن الحيوة الدنيا والا ينافي التكليف وقال القفال لما وصفهم بالغفلة اكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدايد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الاية التالية وفي الرخاء

كانوا

كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لاستوا فاهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل منه لا زمان فكل معجل يلزمه الاستعجال الا انه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب في الاية شرا لانه اذى والم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو كان يعجل كان متضمنا لمعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كانه قيل ولكن لا نعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى ثم بين انهم كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ما طلبوه اظهروا العجز والطيش فقال واذا مس الانسان الضر هنا الجنس دعانا لجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف والحال متآخيان فيصح عطف احدهما على الاخر وتاويل احدهما بالاخر اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يدعو الله تعالى في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قائما لا يطيق المشي او المضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها او يراد ان من المضرورين من هو اسوا حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضر قال بعض الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القران ورد فيه ذكر الانسان فالمراد هو الكافر وهذا تنبيه بحكم لورود الى قوله هل اتى على الانسان الى ان يتابعه نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللاواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر الموجل للامور حسب ارادته ومشيئته فلا جرم ان اصابهم السراء شكروا وان اصابهم الضر صبروا وافنوا اراداتهم في ارادته رضوا بقضائه قال الزجاج في الاية تقديم وتاخير والتقدير اذا مس الانسان الضر لجنبه او قاعدا او قائما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان اعجب ومعنى مر مضى على طريقته التي له قبل مس الضر او مر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمزين هو الله او النفس او الشيطان مفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانه انفق ما له من من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والامور النفيسة في الامور الخسيسة الزايلة من الاصنام التي هي احقر من لا شيء ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلايل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر فالسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثم جعلناكم خلائف اي استخلفناكم في الارض بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك ويعنى به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما مر في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من الرسول احد امرين اما الاتيان بقران غير هذا القران مع بقاء هذا القران على حاله واما تبديل هذا القران بنسخ بعض

الايات ووضع اخري في مكانها فامر الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي اي ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي
من قبل نفسي فنفي عن نفسه احد القسمين الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر الطريق الاولي ثم اكد
الجواب بقوله ان اتبع اي ما اتبع الا ما يوحي الي ان نسخت آية تبعث النسخ وان بدا لله آية مكان آية تبعث التبديل
وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعهما ايضا الي الوحي ونقل عن ابن عباس ان قوله
اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف بان
النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل
ان يكون على سبيل السخرية فقد روي مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة او هم المستهزءون في قوله انا كفيناك
المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب اما راد
ان هذا القران مشتمل على ذم الهتهم فطلبوا قرانا اخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القران من عند الله وانه
غير مستبد في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرا بلام
الابتداء فمعناه ما تلوته انا عليكم ولاخبركم الله به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فراني باهلا
بذلك دون غيري وقريء لا ادرانكم به بالهمزة ووجهه ان يكون الهمزة مقلوبة من الالف او يكون من الدرء الدفع
ويعني اذ راته جعلته داريا اي لو اجعلكم بتلاوته خصمائه تدرءونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا
اي بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل نزول هذا القرآن افلا تعقلون فيه قدح في
صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته
على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا شك فيه انه من قبيل الوحي والمدد السماوي
كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الاية وفيه ان هذا
القران لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض
مقصودهم من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق
المعبود ان يكون اكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله قد ذكرنا في اوايل سورة البقرة في قوله فلا تجعلوا لله اندادا ثم انكر عليهم معتقدهم بقوله
قل اتنبئون الله بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم الذات المحيط
بجميع المعلومات وهذا جار مشهور يقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في
السموات ولا في الارض تاكيد آخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون
اما ان يكون من تمام ما امر النبي ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تنزيها لنفسه عن اشراكهم او عن الشركاء الذين
يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب او البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقد
تقدم تفسير مثله في البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك في اعينهم وتنفير طباعهم
عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا كلمة سبقت من ربك بناء امر الثواب والعقاب على التكليف لا الاجبار
والقسر او من تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة او من قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا وتميز المحق من المبطل
ثم ذكر نوعا رابعا من اباطيلهم فقال ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه وقد تقدم تفسيره في الانعام في قوله وقالوا لولا انزل
عليه آية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقرآن آية فانزل حالهم تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا نزول ما اقترحتم وهذا امر فيه تهديد ووعيد

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم
وچون چشانیم مردمان را آسایشی پس از بعد گزندی که رسیده باشد ایشان را ناگهان مر ایشان را است
مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ
استهزا و تکذیبی در نشان ایتهای ما بگو خدای شتابانتر است در تدبیر جزای مکر فرمودن بدرستی که ملایکه ما می نویسند

مَا تَمْكُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ
آنچه میکنید از مکر ازان خدایست که قوت رفتن میدهد شما را در خشکی و تری تا چون
إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا
باشید در کشتی و برندان کشتیها ایشان را بسبب بادی خوش و شاد شوند بان
جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا
آید بان کشتی بادی سخت جهنده و آید بدیشان جوشش آب از هر جانبی و یقین دانند
أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ
ایشان که هلاک خواهند گردانید خوانند خدای را حال آنکه خالص گردانید برای او دین را اگر نجات دهی ما را ازین محنت
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي
هر آینه باشیم از سپاس داران پس چون رهایی داد ایشان را ناگهان ایشان طلب بزرگی میکنند در
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم
زمین بی استحقاق ای مردمان بدرستی که وبال ستم شما بر شماست تمتع میگیرید
مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
برخورداری زندگانی این جهان را پس بجکم ماست بازگشتن شما پس بیاگاهانیم شما را بآنچه هستید
تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَا
کر میکنید بدرستی که داستان زندگانی این جهان چون آبیست که فرو فرستادیم آنرا از آسمان پس آمیخته بشد
خْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ
بسبب آن آنچه از زمین روید از آنچه خورد مردم و جهارپایان چون شتر و گاو و گوسفند تا چون گیرد
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا
زمین آرایش خود را و آراسته شود و گمان برند خداوندان آن که ایشان توانا اند بر تحصیل غله آن
أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
آید بان رسس فرمان باعدام ان در شب یا روز پس گردانیدیم آنرا مانند زمینی که ربعش برگرفته باشد گویی که هرگز نبود
بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
در زمان متقدم همچنان شرح میکردانیم آیتهای خود را برای گروهی اندیشه کنند در دلایل

والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط
وخداى همه را ميخواند سوى سراى سلامت از آفات و راه مينمايد هر كرا خواهد سوى راه

مستقيم • للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم
راست مر آنانراست كه نيكوكارند مجازاة نيكوتر و زياده بران چنانكه مقتضاى فضل حق بود و نرسد بروهاى ايشان

قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • والذين
هيچ غبارى و نه اثر خوارى ايشان اهل بهشتند ايشان در آن جاودان باشند و آنانكه

كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم
اندوختند خصلتهاى بد را پاداش بدى مانند آنست و رسد بايشان خوارى نيست مر ايشانرا

من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
هيچ نگه دارنده كوييا پوشانيده اند رويهاى ايشانرا پارها از شب حال آنكه شب تاريك بود

اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • ويوم نحشرهم جميعا
آنانند ملازمان دوزخ ايشان دران جاودانه باشند وياد كن روزى را كه گرد آريم ايشانرا همه

ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم
پس گوييم مر آنانرا كه شرك آوردند ملازم باشيد جاى شما شما و انبازان شما پس جدايى افكنيم در ميان ايشان تقطيع اسباب اصلى

وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون • فكفى بالله
و گويند انبازان ايشان كه نبوديد شما كه ما را پرستيديد پس بسنده است خداى

شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا
گواه ميان ما و ميان شما بدرستى كار آنكه بوديم از پرستيدن شما هر آينه بيخبران دران وقت بيازمايد

كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون
هر نفسى آنچه از پيش فرستاده و باز گردانيده شوند بسوى خداى كه كارساز ايشان است بسزا و راستى و غايب شود از ايشان آنچه بودند كه افترا ميكردند

القراءة تمكرون بياء الغيبة سهل ويعقوب الباقون بالتاء الفوقانية ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلي وسهل ويعقوب الاخرون بفتحها تتلوا بتاءين من التلاوة حمزة وعلي وخلف وروح وروي عن عاصم نبلو بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التانيث كل بالرفع الوقوف اياتنا مكرا تمكرون والبحر في الفلك للعدول مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم لان قوله دعوا بدل لعن ظنوا الان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو بمنزلة به وان جعل دعوا جوابا من سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف وجه الدين لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء في معنى

القول الشاكرين بغير الحق على انفسكم الا لمن جعله متعلقا ببغيكم يعملون والانعام عليها لان ما بعده جواب اذا بالامس تتفكرون السلام مستقيم وزيادة ولا ذلة الجنة خالدون بمثلها لان قوله ترهقهم معطوف على محذوف اي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم لان الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان ما بعده جواب اذا بالامس تتفكرون السلام مستقيم وزيادة ولا ذلة الجنة خالدون بمثلها لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف اي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم لان الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعتبر عنده بقوله كانما اغشيت مظلما اصحاب النار خالدون شركاؤكم للعدول مع فاء التعقيب تعبدون لغافلين يفترون نصف الجزء التفسير لما بين في الآية المتقدمة انهم يطلبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روي انه سبحانه سلط القحط على اهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من القاء شبهة او تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه ان الانسان لغاية ضعفه النظري لا يطيق ادنى الراحة كما انه لا يطيق الالم الذي يمسه قال في الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وهذا ايضا من جملة الضعف انه نسي ما عهده من الضر الشديد واذا الثانية للمفاجأة وقع مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله اذا هم يقنطون وفائدته ان يعلم انهم فاجأوا وقوع المكر منهم في وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ما ينفضوا عن رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله اسرع مكرا بقدره على ايصال جزاء مكرهم اليهم قبل ان يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله ان رسلنا يكتبون ما يمكرون وقدم تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون هذه الآية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا ان هذه زائدة عليها بدقيقة هي انهم بعد الاعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر والخديعة ولا يرضون راسا براس ثم ضرب ولاجل ما وصفهم به مثلا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذي يسيركم ومن قرا ينشركم فكقوله فانتشروا في الارض قال بعض العلماء المسير في البحر هو الله سبحانه واما في البر في الحج اظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم الى السير في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل انه هيأ لكم اسباب ذلك المسير وحتى لانتهاء الغاية والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلثة الاول الكون في الفلك والثاني جري الفلك بهم بريح طيبة والضمير في جرين للفلك على انها جمع كما مر والثالث فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلثة ايضا الاول جاءتها اي الفلك او الريح الطيبة تلقتها ريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن او لان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح الثاني وجاءهم الموج من كل مكان اي من جميع جوانب احيانا الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر الثالث وظنوا انهم احيط بهم اي غلب على ظنونهم الهلاك واصله ان العدو اذا احاط بقوم او بلد فقد دنوا من البوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلكي والياء نايبه كما في الاحمري اوا زيد بد الماء العمر الذي لا يجري الفلك الا فيه قال في الكشاف اما النكتة في قوله وجرين بهم الى اخره من الخطاب الى الخطاب الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم بها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح وقال الامام فخر الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذه الآية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك في قوله اياك نعبد دليل الرضاء والتقريب قلت وهذا وجه حسن اما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من الهتهم شيئا واقروا الله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله وعن ابي عبيدة ان المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره يا حي يا قيوم حكي ان رجلا قال لجعفر الصادق رضي الله عنه ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرني عن حرفتك فقال التجارة في البحر فقال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال جعفر هل وجدت في قلبك تضرعا فقال نعم قال

جعفر والجماد هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت لئن انجيتنا من هذه الشدة كما مر في الانعام يبغون في الارض البغي قصد
الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد واصله الطلب فلهذا اكد المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف
انا زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على ارض الكفرة بهدم دورهم واحراق زرعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وقلت يحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قراء
متاع بالنصب فما قبله جملة تامة اي انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر موكد كانه قيل يتمتعون الحيوة الدنيا
ومن قرا بالرفع فاما على ان التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام او على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اي انما بغيكم على
امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي
قال صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي اثنتان يعجلهما
الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما
بغيكم على انفسكم اي لا يتهيا لكم بغي بعضكم على بعض الا اياما قلائل وهي مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم
الى ما وعدنا من المجازاة مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وهو في هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض
التهديد ساخبرك بما فعلت ثم مثلا لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة
الدنيا اي صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض
فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كلاهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان في اول
بروزه ومبدا حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز وربى حتى اختلط بعض الانواع ببعض
وتكاثف حتى اذا اخذت الارض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت اصله
تزينت فادغمت واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي
تاخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوهما وظن
اهلها اي غلب على ظنونهم او تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها اتيها امرنا باهلاكها واستيصالها
وضربها ببعض العاهات ليلا او نهارا اي حين غفلتهم بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم فجعلناها
اي زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن اي كان الشان لم يلبث زرعها
بالامس في زمان قريب يقال غني بالمكان بالكسر يغني بالفتح اذا اقام به والامس مثل في وقت القريب هذا
والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة
تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض
بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحيوة الدنيا التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا
النبات التي حين عظم الرجاء بوقع الياس منه لان الغالب ان المستمسك بالدنيا اذا اطمان بها وعظمت
رغبته فيها وانتظم امره بعض الانتظام اتاه الموت وتخصيصه بانه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك
المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد وان المرض المزينة
اذا زال حسنها فانه يعود ويعود نضارة اخرى فكذا النشور وكذلك نفصل الايات مذكورة واحدة منها بعد الاخرى
ليكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الافاق والانفس ثم
لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الاخرة بقوله والله يدعوا الى دار السلام ومثله
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد بنى دارا وصنع مادبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي
دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار
السلام والمادبة الجنة والداعي محمد وعنه صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان
يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام واتفقوا
على ان دار السلام الجنة واختلفوا في سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف
وانما اطلق السلام عليه تعالى لانه لم يسلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم

والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات وكفى بدار اضافها الله تعالى الى نفسه فضلا وشرفا
وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال
من ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشية الله
تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء اجابة تلك الدعوة يعنون ان من اجاب الدعاء من اطاع واتقى
فان الله يهديه اليها او المراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلثة فعن ابن عباس احسنوا اي ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى
المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا يليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف
المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك
ترك موصوفها واما الزيادة فحملها اهل السنة على رؤية الله لان اللام في الحسنى للمعهود بين المسلمين من المنافع
التي اعدها الله لعباده فالزيادة عليها يكون مغايرة لها فما هي الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان يكون من جنس
المزيد عليه ورؤية الله بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل
كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ورد بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب ان
يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك
الحنطة وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس الحنطة والمذكور في الاية لفظ الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة
فالزيادة عليها شيء مغاير لكل ما في الجنة وعن علي كرم الله وجهه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة
والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن
شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فيقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وهذا شان المنافع
الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافادة ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها
سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال ثم اشار الى كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم
ثم بين حال الفريق الاخر بقوله والذين اي وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي جزاؤهم بان تجازى
سيئة واحدة السيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير وللذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالاية المتقدمة الفضل لانه دل بترك الزيادة
على السيئة على عدله فناسب ان يكون قد دل هنالك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة فانهم
حين ماتوا ناقصين خالين عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم في انفسهم هذا على قاعدة حكماء
الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رحمه الله
كل بيت انت ساكنه ... غير محتاج الى السرج ... ومريض انت عائده ... قد اتاه الله بالفرج ... ما لهم من الله من عاصم
اي لا يعصمهم احد من عذابه وسخطه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم
من الله لاحد في الدنيا ولا في الاخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى في الاخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا من الليل من قرا بسكون
الطاء فمعناه البعض والطائفة ومظلما صفته ومن قرا بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل فيه
انما معنى الفعل في من الليل او اغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف
كافضائه الى الصفة قال في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو
الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله وجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم
بالشرك وقال الاخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الايات المذكورة مخصصة ثم شرح بعض احوال

المشركين في القيامة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلو اي في يوم كذا تبلو كل نفس وحاصل
الكلام انه يحشر العابد والمعبود ليسألوا فيتبرأ المعبود عن العابد بخلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا و
فيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال
في الكشاف مكانكم اي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وعند ابي علي هو اسم من اسماء الافعال وحركته
حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وانتم لتاكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم
عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل عين الكلمة واو لانه من زال
يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اي ذو لنا مثل بيطر فاعل اعلال سيد وقيل هي من زلت الشيء ازيله
فعينه على هذا ياء والوزن فعل وتطير زيلنا فرقنا ونادى اصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن وقال
شركاؤهم في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم
متشاركون في الخطاب في قوله مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل الكل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب
مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين وكيف ينطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل
والنطق او هل يبقيهم او يفنيهم الكل محتمل والاعتراض لا حد عليه وقيل يخلق فيهم الكلام فقط وهذا الخطاب
تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه
وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل الباقون الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا
بامرنا وارادتنا لقولهم فكفى بالله شهيدا الآية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان
ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم
ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا لجعلوها كالعدم وقيل المراد انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الايمان
الانداد ومن جوز الكذب في القيمة فلا اشكال هنالك اي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على
استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق مما اسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل
الخابر ونصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلو بتائين فمعناه تتبع
ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او
شر وردوا الى الله مولهم الصادق ربوبيته وضل عنهم وضاع عنهم ما كان يدعون انهم شركاء الله او ما كانوا
يختلقون من شفاعة الالهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك والله اعلم

التاويل ثم اذا اذقنا الناس ذوق توبة وانابة او ذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهي الفسوق و
الاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف اذا لهم مكر في اياتنا باظهارها الى غير اهلها بشرب النفس وطلب الجاه
والقبول قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون هو الذي
يسيركم في بر البشرية وبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك جذبات العناية
وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج
البلايا والمحن من اماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ان
ارباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال استقبلتهم عواصف العزة و
الكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في ارض ما سوى الحق غير الحق كماء انزلناه عن سماء القلب الى ارض
البشرية فاختلط به الصفات المتولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس والانعام من الصفات الحميدة
الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الازلي ليلا اي عند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا عند تقاضي
الفيض الروحاني لكنه بافتتاح القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقائد الباطلة كبعض الفلاسفة
والمبتدعة والله يدعوا الى دار السلام وهي مقام الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب او مقام العلم و
المعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الانانية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم

يؤدي الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هي شواهد الحق والنظر
اليه وزيادة المحنة وما فيها من النعيم ان هي ما زاد على النظر من افناء الناسوتية في اللاهوتية والله الموفق للاجابة والقبول

قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
بگو کدام کس روزی میدهد شمارا از جانب آسمان و زمین یا کیست که مالک است شنوایی را و بینایی را
والافئدة ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
و کدام کس بیرون میارد زنده را از مرده و بیرون میارد مرده را از
الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون
زنده و کدام کس اظهار میفرماید کارها را پس زود بود که گویند آن معبود پس بگو ای پس پرهیزکاری نمی نمایید
فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال
پس آن معبود به سزاست پروردگار شما مر الخدای پس چیست پس از صواب مگر گمراهی
فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين
پس از کجا گردیده میشوید از حق همچنان لازم شد حکم پروردگار تو بر آنانکه
فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم
خارجند از طاعت که ایشان ایمان نیارند بگو هیچ هست از انبازان شما
من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده
کسی که آغاز کند آفرینش را پس دوم بار آفریند آنرا بگو خدای آغاز میکند آفرینش را پس اعاده میفرماید
فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق
آنرا پس از کجا معروف میشوید از حق بگو هیچ هست از انبازان شما کسی که راه نماید سوی دل و گردانیدن
قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا
بگو خدا راه مینماید سوی حق ای پس آنکه راه نماید سوی حق سزاوارتر است به آنکه متابعت نمایند او را یا آنکس که
يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما
راه نیابد مگر که راه نموده شود پس چیست شمارا چگونه حکم میکنید و
يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم
متابعت نمی نماید بیشتر ایشان مگر گمان را بدرستی که گمان بی نیاز نگرداند دل صدق و صواب هیچ بی نیازی بدرستی خدا

یعنی ظن بجای تحقیق نبود

بما يفعلون • وماكان هذا القران ان يفترى من دون الله
بآنچه میکنید ونیست این قرآن که از خود بدید آورده باشند از غیر خدای

ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
ولیکن باور داشت آن کتاب که پیش ازین بوده از کتب سماوی وتبیین شرایع مکتوبه

لاريب فيه من رب العالمين • ام يقولون افتريه
هیچ شک نیست دران از پروردگار جهانیان است یا می گویند از خود پدید آورد این قرآنرا

قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان
بگو پس بیارید بعضی را مانند آن وبخوانید هرکرا توانید از غیر خدای اگر

كنتم صادقين • بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم
هستید راست گویان نه که تکذیب نمودند آنرا که بکنه معرفت آن نرسیدند وهنوز نیامد بایشان

تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان
عاقبت کار آن همچنان تکذیب نمودند آنانکه پیش از ایشان بودند پس نگر که چگونه بود
از ظهور اعجاز وصدق

عاقبة الظالمين • ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به
عاقبت کار ستمکاران واز ایشان بود کسیکه ایمان آرد بقرآن واز ایشان بود کسی که اصرار نماید بر تکذیب

وربك اعلم بالمفسدين • وان كذبوك فقل لي عملي و
وپروردگار تو داناتر است بحال تباه کاران واگر تکذیب نمایند ترا پس بگو مراست جزای عمل من و

لكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون •
شماراست جزای عمل شما شمائید بیزار از آنچه من عمل میکنم ومن بیزارم از آنچه عمل میکنید شما

القراءة • كلمات ربك وكذلك في آخر السورة على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال ابو جعفر ونافع غير ورش وعباس ابو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم وغير يحيى وحبلة رويس يهدي بكسرتين والتشديد يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الامر الله تتقون ربكم الحق للاستفهام مع الفاء الا الضلال تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده الاول تؤفكون الى الحق للحق ان يهدي لما مر فما لكم لحق الاستفهام الثاني تحكمون الا ظنا شيئا يفعلون العالمين افتريه صادقين تاويله الظالمين لا يؤمن به بالمفسدين عملكم لان انتم مبتدا والقايل واحد تعملون

التفسير لما بين فضائح عبدة الاوثان اكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحواس والموت والحيوة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسئول ليكون بالجمع ابلغ في الزام الحجة واوقع بالنفوس قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة المنمية للاغذية النباتية والحيوانية في الارض بعد رعاية شرايط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات لعلات السمع والابصار خص الحاستين بالذكر لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان صلى الله عليه وسلم سبحان لمن يقول سبحان لمن بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولما في تحصينهما من الافات في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء من يسد قدرته ورافته ومن يخرج الحي من الميت الحيوان الماشي والطاير من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال في سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعد ما خصص لان اقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة امور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاءهم وانها يقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الاية بقوله فقل افلا تتقون الله الذي اعترفتم بانه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف اشركتم بعبادته الجمادات التي لا يقدر على نفع اوضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق ذا مزيدة وما نافية واستفهامية او مجموع ماذا كلمة واحدة معناها اي شيء بعد الحق الا الضلال والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الهيته لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هذا خلف محال ولهذا ختم الاية بقوله فانى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر فتقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن تخطى احدهما وقع في الاخر كذلك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حقا انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمت ربك وتفسير الكلمة انهم لا يؤمنون على انه بدل اي حق عليهم انتفاء الايمان وقد علم الله منهم ذلك او اراد بالكلمة العدة بالعذاب فانهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله فانى تصرفون ان الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك وتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه واثبت ذلك في اللوح المحفوظ واشهد عليه ملائكته وانزله على انبيائه واشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يعترف به لانه قدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تامل وانصف فبنى الامر على ذلك وانما امران ينوب عنهم في الجواب بقوله قل الله الاية تنبيها على ان هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكانه بقول قبل كلهم عنهم ان لم يدعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق وقوله فانى تؤفكون كقوله فانى تصرفون وقد مر في المائدة الاستدلال على وجود الصانع والخلق اولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن تحكي عن الخليل صلوات الرحمن الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى عليه السلام ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامر محمدا صلى الله عليه وسلم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه ان المقصود في خلق الجسد حصول الهداية للروح وارتسام المعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاوهام والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال للملك والنبي او النفي وحسبي فضلا عن الاقسام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هنا تقرير الحجة قال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وسائر القراآت اصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء

بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها
الا ان يهدى واجيب بوجوه منها ان المراد بها في الاية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل النقلية وما يمكنهم منه من الدلائل العقلية واما
هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها الهة وصفهم انهم
لما اتخذوها الهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض و
التقدير يعني انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا ان يهدى ومنها ان البنية عندنا
ليست بشرط في صحة الحيوة والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها
ان المراد بالهدي النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل
اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه امر دينهم
فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل مسموع من اسلافهم او في
قولهم للاصنام انها الهة او شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني
من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الغنى والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم اوعدهم على اتباع
الظن وتقليد الاباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالاية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد
الا الظن واجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الاية من العمومات فلم يجب اتباعها
بزعمكم وما افضى نبوته الى نفسه وكان متهكما ولما فرغ من الدلائل التوحيد شرع في اثبات النبوة وما كان
هذا القرآن ان يفترى اي افتراء من دون الله او كلمة ان بمعنى اللام اي ما ينبغي له وما استقام ان يكون مفترى
والحاصل ان وصفه ليس وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما
القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهي عيار عليها
شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق ايضا معجز لان اقاصيصه موافقة لما في كتب الاولين مع انه لم يتعلم ولم
يتلمذ ولان بشارته جاءت في تلك الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا
فظهر ان القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم
الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اي تبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله عليكم قوله
في الكشاف قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا
وتفصيلا منفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد
لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه
مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار ام يقولون افتريه كلا قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم
على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من
استطعتم من دون الله اي لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال
بعض العلماء هذه الاية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي
واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود في الجملة لم يتحد العرب به لكنهم
تحدوا بذلك فدل على ان القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب
بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات الحادثة
والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه القرآن ولما ياتهم تاويله ومعنى
التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوا به بعد التدبر
وتكرير التحدي عليهم واستيقان عجزهم عن مثله بغيا وحسدا وعنادا ولددا وانما حملهم على التكذيب اولا امور
منها انهم وجدوا في القرآن اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان
الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف

المكلف ان الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في
قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم
بالقرآن فاجابهم الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله واخر متشابهات الاية ومنها انهم راوا
القرآن يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبي وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوا من
حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك ومنها ان القرآن فيه تكاليف كثيرة من
الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غني عنا وعن طاعتنا كذلك كذب الذين
من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق في الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه
التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التاويل
وقيل معنى الاية ان القرآن كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها
احوال الاخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى تسرعهم الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه
حد الاعجاز وقوله ولما ياتهم اشارة الى تكذيبهم قبل ان يمتحنوا اغيوبه هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم الاية بقوله
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الاخرة
فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوايف
المكذبين فقال ومنهم من يؤمن به اي بالقرآن وبالرسول اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ومنهم
من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد به قسمتهم في الاستقبال اي ومنهم من سيؤمن
به ومنهم من يبقى على الكفر فيكون الاية كالعذر في تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك اعلم بالمفسدين فيجازيهم
على حسب مراتبهم في التكذيب او يعلم طوياتهم هل يتوبون او يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله و
نتايج اعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي وجزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ
الرسالة ولكم عملكم قال مقاتل والكلبي هي منسوخة باية القتال والتحقيق ان اية القتال لا ترفع شيئا من مدلول
هذه فلا نسخ التاويل قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس ويخرج من ارض البدن نبات
الافعال الاعمال او ينزل من سماء القلب مطر آثار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية
والحيوانية او يقول ينزل من سماء الروح ويخرج من ارض القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدس
مطر الفيض الرباني ويخرج من ارض الروح المحبة والاخلاق الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات
ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله امن يملك السمع والابصار فيكون سمعه الذي
به يسمع وبصره الذي به يبصر يخرج الحي من الميت النفس من القالب والقلب من النفس والروح من القلب و
بالعكوس ومن يدبر امر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها
من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا
بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على
الخلق من نوره وتفصيل الكتاب وتفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في ام الكتاب وهو علمه القايم
بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا استعدادهم الفطري اعوذ بالله منهم

ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم

واز ایشان اند کسانیکه گوش میدارند بطریق سخریت سوی تو آنگه که قرآن میخوانی ای پس تو شنوا میکنی کرانرا

ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت

واگرچه باشند که درنیابند واز ایشان است کسی که مینگرد سوی تو ای پس تو

تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون • ان الله لا يظلم
راه غايي نابينايانرا و اگرچه بی بصیرت نیز باشند بدرستی که خدای ستم نکند
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون • ويوم يحشرهم
بر مردم هیچ ستمی ولیکن مردم بر خود ستم میکنند و یاد کن روزی را بر انگیزانیم ایشان
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد
گویی که ایشان درنگ نکردند در دنیا یا در قبر از روز شناخت کند یکدیگر بود میان ایشان بحقیقت
خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين • و
زیان کار اند آنانکه تکذیب کردند رسیدن بجزای خدای و نبودند راه یافتگان و
اما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا
اگر نماییم ترا بعضی از آنچه وعده میفرماییم ایشانرا یا قبض روح نماییم ترا پس با جزای ماست
مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون • ولكل امة
بازگشت ایشان پس خدای گواهست بر آنچه میکنند و مر هر گروهی راست
رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا
پیغمبری پس چون آید پیغمبر ایشان حکم کرده شود میان ایشان بعدل با نجات رسول و ایشان
يظلمون • ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين •
ستم کرده نباشند و میگویند کدام وقت خواهد بود این وعده عذاب اگر هستید از راستگویان
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل
بگو مالک نیم برای خود هیچ گزندی و نه سودی مگر که خواسته باشد خدای مر هر
امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا
گروهی است آخر وقتی چون آید امارات انقضاء وقت ایشان تاخیر ندهند ایشانرا از آن وقت یک ساعت و نه
يستقدمون • قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او
مقدم دارند بگو خبر دهید اگر آید بشما عذاب خدای شب هنگام و
نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون • اثم اذا ما وقع امنتم به
یا بروز چه چیز را شتاب میکنند از آن عذاب گنه کاران ای پس چون واقع شود عذاب ایمان آورید بان

الان وقد كنتم به تستعجلون • ثم قيل للذين ظلموا
ای اکنون ایمان آوردید و بحقیقت بودید بان شتاب می نمودید پس گویند مر آنرا که ستم کردند
ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون • و
بچشید عذاب جاودانی هیچ پاداش دهند شمارا مگر آنچه بودید کسب می کردید و
يستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين •
خبر می پرسند ترا آیا راست قرآن بگو آری بحق پروردگار من که بدرستی آن صدق و صوابست و نه آید شما فوت شوندگان از عذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا
و اگر آنستی که مر هر نفسی را بودی که ظالم است آنچه در زمین است هر آینه باز خریدی خود را بان و اخفا کنند
الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
پشیمانی را چون ببینند عذاب را و گذارده شود کار میان ایشان بعدالت و ایشان ستم کرده نشوند
الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق
بدان بدرستی که مر خدای راست آنچه در آسمانها و زمین است بدان بدرستی که وعده خدای بقیامت درست است
ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون
ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند او زنده میگرداند و می میراند و با جزای او بازگردانند شما
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في
ای مردمان بحقیقت آمد بشما پندی از پروردگار شما و سبب زایل شدن رنجی که در
الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين • قل بفضل الله وبرحمته
سینه است و راه راستی و بخشایشی مر اهل ایمان بگو بعطای و بخشایش او
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون • قل ارايتم ما انزل الله
پس خاص بان باید که شاد شوند آن بهتر است از آن اسباب دنیا که جمع میکنند بگو خبر دهید که آنچه فرو فرستاد خدای
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم
برای شما از روزی پس گردانیدید شما از آن بعضی حرام و بعضی حلال بگو آیا خدای فرمان داد شما را
ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
[illegible]

يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس

در روز قيامت بدرستى كه خداى هر آينه خداوند عطاى بسيارست بر مردم

ولكن اكثرهم لا يشكرون

وليكن بيشتر ايشان سپاس دارى نمى نمايند

القراءات افانت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلى وخلف نحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك او نتوفينك بالنون الخفيفة رويس الان بوزن والآن بحذف الهمزة التى بعد اللام والنقل حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع فليفرحوا بياء الغيبة تجمعون الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ زيد على ضده وقرأ رويس كلتيهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما الوقوف اليك لا يعقلون اليك لا يبصرون يظلمون بينهم مهتدين يفعلون رسوله لا يظلمون صادقين ما شاء الله اجل ولا يستقدمون المجرمون آمنتم به يستعجلون الخلد للاستفهام مع ان القائل واحد تكسبون احق هو بمعجزين لافتدت به العذاب للعطف على اسروا دون راوا لا يظلمون والارض لا يعلمون ترجعون للمؤمنين فليفرحوا تجمعون وحلالا يفترون القيمة لا يشكرون نصف السبع التفسير ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه فى كلامه معرضة عن جهة محاسنه فيه وكما ان الصمم فى الاذن معنى ينافى حصول ادراك الصوت والعمى فى العين امر ينافى حصول ادراك الصور والعمى فى العين امر ينافى حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان فى اولئك الكفار من بلغت حالته فى النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرأت الانسان وعلمت الشرايع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وينظرون اليك يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال اهل المعانى المستمع الى القرآن كالمستمع الى النبى بخلاف النظر فكان فى المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثر واكثرتهم ثم قال أفانت تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمى ولا سيما ان اقترن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ذلك الى حالة الكمال خالق القدر والقوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله افانت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فان الطبيب اذا راى مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذق ثم اكد عدم قابليتهم فى الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيامة بقوله ان الله لا يظلم الآية فسر هنا المعتزلة بان المراد من نفى الظلم انه ما الجاه احد الى هذه القبايح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم اقدموا عليها واجاب الواحدى عنه بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف فى ملك نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق انه نفى الظلم لان وقوع فريق فى طريق الفهم ضرورى ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم فى الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم اى واذكر يوم نحشرهم كان لم يلبثوا فى محل النصب على الحال اى مشبهين بمن لم يلبثوا الا ان التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور استقلوا المدد الطوال اما لانهم ضيعوا اعمارهم فى الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم او استقصروها للدهش والحيرة او لطول وقوفهم فى الحشر او لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحضروها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطأ والكفر وقيل يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بينها وبين قوله ولا يسأل حميم حميما انهم تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت اضللتنى يوم كذا او انهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع

المعرفة وانما حذف جميعا فى هذه الآية اكتفاء بما فى الآية السالفة ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا ولان الآية سبقت هنالك لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله اعلم قوله قد خسر استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم ويجوز في الكشاف ان يكون على ارادة القول اى يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اى فى رعاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف الباقى وقنعوا بالقليل الخسيس الفانى كمن باع زجاجة خسيسة فظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها على الناقدين خاب سعيه وفات امله ثم سلى رسوله فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب او نتوفينك والمعنى واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب او نتوفينك والمعنى اما نرينك فى اعدائك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكهم فى الآخرة لان مرجع الكل الينا وقد صدق الله وعده فقد اراه فى هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء على ديارهم واموالهم والذى سيريه فى الآخرة اكثر وادوم عليه لفظة ثم للتبعيد الرتبة فى قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولا يخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد انطاق جوارحهم يوم القيامة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما اهمل امة من الامم من رسول فى وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبى المتقدم ووقوع موجبات التخليط فى شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذبه قوم وصدقه آخرون قضى بينهم بالقسط اى حكم وفصل بالعدل فانجى الرسول والمصدقين وعذب المكذبين فهذه الآية نظيرة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يكون المراد ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول ينسبون اليه ويدعون به كانه تعالى يقول انا شهيد على اعمالهم ومع ذلك فانى احضر فى موقف القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او قضى على اعمالهم ومع ذلك فانى احضر فى موقف القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او عليهم قضى بينهم والمراد منه المبالغة فى اظهار العدل والنصفة فيكون الآية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة اخرى من شبهات الكفر وذلك انه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك كانوا يقولون متى هذا الوعد استبعادا له وقدحا فى نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول فى الآية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم فى دار الآخرة لحصول اليقين والمعرفة حينئذ وايضا قوله ان كنتم صادقين لفظ جمع موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امر ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله قل لا املك لنفسى ضرا من مرض وفقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كاين فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء وان لعذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوزه فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل بالآية وقد مر تفسير الآية فى اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء ههنا فى الجزاء لانه بنى الشرط على الاستيناف او البيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رأيهم فى استعجال العذاب مرة اخرى فقال قل ارايتم اى اخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا اى فى حين الغفلة والراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر فى اوائل الاعراف ماذا يستعجل اى شئ يستعجل منه اى من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان ابطأ مجيئه فضلا ان يستعجله ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله من المذاق موجب للنفار فاى شئ يستعجلون منه وليس شئ منه يوجب الاستعجال والمراد التعجب كانه قيل اى شئ هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير فى منه لله تعالى وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط اثم اذا ما وقع آمنتم به والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله

على الواو والفاء الان على ارادة القول وقيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون
على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل مضمر قبل الان والحاصل ان الذي تطلبونه ضرر محض عار
عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قال انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما ان تؤمنوا وايمان
الياس غير مقبول واما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب اخر اشد وادوم ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا
عذاب الخلد فان ملتم الجنانات الغنى عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد اجبتم هل تجزون
الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مترتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما تقول الحكماء او ترتب الاجر الواجب عند
المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وتفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ثم
حكى عنهم انهم بعد هذه البيانات استفهموا اثارة اخرى عن تحقق العذاب فقال ويستنبئونك احق هو وهو
استخبار على جهة الاستهزاء والانكار اي احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل
محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصفة بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد احق ما جئت به من القرآن و
الشرايع وقيل اي ما تعدنا من البعث والقيامة فامر الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اي وربي ومعناه نعم
ولكنه مستعمل مع القسم السنة وفايدة هذا القسم في جوابهم ان يكون قد ابرز الكلام معهم على وجه المعتاد
بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شي واكده بالقسم فقد اخرجه عن حد الهزل وادخله في
باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم الدا ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين
فايتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدافع نفسه عما اراد الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل
نفس الاية وقد مر مثله في آل عمران والمايدة وقوله ظلمت نفس صفة لنفس اما قوله واسروا الندامة فقد
قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اي اظهروا الندامة حينئذ لضعفهم وليس هنالك تجلد والمشهور
انه الاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء او اخفوا الندامة من
سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التوبيخ في اول ما يرون العذاب اما عند احاطة
النار بهم فلا يبقى هذا التماسك او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء استره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم
لانهم اتوا بذلك في غير وقته وقضى بينهم بالقسط قيل اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء
والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في
ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم وان اشترك كلهم في العذاب ثم ذكر في ايتين
ان له جميع ما فيه من الملكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم انه
لما ذكر حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شي يفتدي به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما اقسم
على حقيته ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وكان دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان النير فذكر ان
كل ما في هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي وبسيط ومركب فهو ملكه
فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقايص
والآفات يكون بريئا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام الا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتفريع
للناظرين في الاسباب الظاهرة القايلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والنعم والجارية لعمرو
ولا يعلمون ان كلها عواري وودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبيا
باسرها احدها ظهور المعجز على يده مطابقا للدعواه وقد قرر الله سبحانه في هذه السورة على احسن الوجوه حيث
قال وما كان هذا القرآن ان يفترى الى تمام الايتين والثاني ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح
ما هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبي
الحق فاشار سبحانه الى هذا الطريق بقوله يا ايها الناس الاية فوصف القرآن بصفات اربع الاولى كونه
موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى المريض ولا عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور

لحصول

لحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة ينهاه بدل اضدادها كالطبيب بعيد الصحة بدل المرض والاخلاق المحمودة بدل
الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصايبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك انه اذا زالت
الملكات الردية التي طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت
وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان يصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية
والمعارج الربانية بحيث يفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جرم الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص
المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم
لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضي بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو
الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهي الطريقة
والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال
والاشراق الى حيث يصير مكملة للباقين وهي النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية
الروحانية ذكر انها هي التي يجب ان يكمل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله و
برحمته قال في الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير والتاكيد
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الاخر
عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل
اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما يجمع
الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاصل والقياس لانه ادل على الامر بالفرح واشد
تصريحا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغايب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام
وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فاضطر والى همزة الوصل ومن قرأ يجمعون بتاء الخطاب فانه عني المخاطبين
والغايبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب او كانه اراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية
الروحانية على الوازع النفسانية الجسمانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام والمعنى العدمي لا
يستحق الفرح به وبتقدير ان يكون صفات ثبوتية الا ان النصرة بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة
الوقاع وهي اقوى اللذات الى الم القولنج وساير الالام القوية وايضا ان محل اللذات الجسمانية معظمها البطن و
الفرج ومداخل الالام كل جزء من اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال الم الجوع زال
الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس
والجوارح في مقدماتها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه
قال المعري شعر ان حزنا في ساعة الموت اضعاف سرور في ساعة الميلاد فتبين بهذه الوجوه ان الفرح
انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزايلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام
ورحمته ما وعد عليه عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله
والاسلام ومثله ما روي عن ابي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق
ثالث في اثبات النبوة فقال قل ارايتم الاية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها فان كان هذا
بمجرد التشهي فذلك طريق باطل مشهور بالاتفاق لادايه الى التنازع والتشاجر واختلاف الاراء وافتراق الاهواء
وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة وان كان
افتراء على الله وفي الاية ايضا اشارة الى فساد طريقتهم في شرايعهم واحكامهم من تحريم السوايب والبحاير وقولهم هذه
انعام وحرث حجر وغير ذلك وما انزل الجملة في محل الرفع بالابتداء وخبره الله اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابط
محذوف ومجموع المبتدا والخبر متعلق بارايتم والمعنى اخبروني الذي انزله الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما و
حلالا الله اذن لكم في تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في انزل بمعنى الاستفهام منصوبا بانزل وانه

مع معوله مفعول ارايتم معناه اخبروني به وعلى هذا يكون قل آلله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشا كقوله وانزل لكم من
الانعام ثمانية ازواج وذلك ان كل ما في الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال في الكشاف
ويجوز ان يكون الهمزة في آلله للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال وما ظن الذين يعني اي شيء
ظنهم في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث ابهم امره
وكفى به زاجرا للمفتي في الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت ان الله لذو فضل على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم
بارسال النبي وتعليم الشرايع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة بجد نبيه او مخالفته **التاويل** افانت
تسمع الصم صم آذان القلوب افانت تهدي العمي عمي ابصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من
القبور الى المحشر وحشر الخواص خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر
الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كان لم يلبثوا الا ساعة من
النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف من
هولاء واما نرينك بعض الذي نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن او نتوفينك فنبلغك اقصى المراتب
ومقامات المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة البادين ولكل
امة رسول في الظاهر من الانبياء والباطن من الهام الحق لكل امة اجل في استكمال السعادة والشقاوة بياتا اي في
الازل او نهارا اي يظهر الآن ما قدر لكم في الازل قل اي وربي انه لحق اي قسم بربك الذي رباك ان وقوع الامور
الاخروية حق لانك عرضت على الجنة والنار ليلة المعراج ظلمت باضداد الاستعداد الا ان لله ما في السموات
الارواح وارض القلوب والنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم
بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل او يحيي بالنور ويميت بالظلمة او يحيي بصفة الجمال ويميت بصفة الجلال يا ايها
الناس يا اهل النسيان قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو داء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابته
بلى لما في الصدور وهو القلب فانه ذرة صدف الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال
امداد الفيض الى ان يبلغ غاية الكمال ويفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب وبرحمته وهو
الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعه اهل الدنيا في دنياهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح
فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على انفسكم وحلالا على غيركم اي حدثت انفسكم
بان تحصيل السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان الانبياء وخواص الاولياء قل
آلله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام على الله
تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري

وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا
و نباشی تو در کاری از کارها و نه خوانی تو از ان کار هیچ قرآنی و نه
تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ
کنید هیچ کاری از کارها مگر که هستیم بر شما گواهان چون
تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في
شروع می نمایید در آن و غایب نباشد از علم پروردگار تو هیچ هسنگ مورچه خورد در
الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
زمین و نه در آسمان و نه هیچ خوردتر از ان و نه بزرگتر

الا في كتاب مبين • الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
مگر در نبشته ای هویداست یعنی لوح محفوظ بدان بدرستی که دوستان خدای هیچ ترسی نیست بر ایشان
ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى في
و نه ایشان اندوهگین شوند آنانکه ایمان آوردند و هستند که پرهیز کاری مینمایند مر ایشان را مژدگانی رؤیای صالحه یا بشارت ملایکه نزد موت
الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو
در زندگانی این جهان و در ان جهان تغییر نیست مر مواعید خدای را آن مژده یافتن آنست
الفوز العظيم • ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا
پیروزی بزرگ و باید که اندوهگین نکرداند ترا استهزا و تکذیب ایشان بدرستی که قدرت و غلبه مر خدایراست همه
هو السميع العليم • الا ان لله من في السموات ومن في
او شنواست و داناست بدان بدرستی مر خدایراست هر آنکه در آسمانها و هر که در
الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان
زمین است و متابعت نمی نمایند آنانکه می پرستند از غیر خدای انبار از اجه ممکن شریک واجب نبود
يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون • هو الذي جعل لكم
متابعت نمی نمایند مگر گمان را و نه اند ایشان مگر که دروغ میگویند او آن خدایست که بدید کرد برای شما
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات
شب را تا ساکن شوید در آن و گردانید روز را آنکه در وی مطالب توان دید بدرستی که در آنچه گفتیم هر آینه دلالتهاست
لقوم يسمعون • قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما
برای گروهی که بشنوند بگوش قبول گفتند گرفت خدای فرزندی پاکا او او بی نیاز است مر او راست
في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا
آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است نیست نزد شما هیچ حجتی باین سخن
اتقولون على الله ما لا تعلمون • قل ان الذين يفترون على الله
آنچه میگویید بر خدای آنچه نمیدانید بگو بدرستی آنانکه از خود بدید کردند بر خدای
الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا
دروغ را رستگاری نیابند ایشان را بهره اندک منفعتی در این جهان پس بازگشت ایشان بسوی ماست

مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

بازگشتن ایشان پس بچشانیم ایشان را عذاب سخت بسبب آنچه کافر میشدند

القراءة شان بغير همز حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشى ويزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان علي والباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الاخرون بالنصب **الوقوف** تفيضون فيه مبين يحزنون لان الذين يصلح صفة الاولياء ويصلح نصبا او رفعا على المدح فيوقف على يتقون او مبتداء خبره لهم البشرى فلا يوقف على يتقون وفي الاخرة لكلمات الله العظيم لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عايد الى الاولياء وقول الانبياء لا يحزن الرسول قولهم لئلا يوهم ان قوله ان العزة قول الكفار جميعا العليم الارض شركاء يخرصون مبصرا يسمعون سبحانه الغني وما في الارض بهذا لا تعلمون لا يفلحون يكفرون **التفسير** لما بين فساد طريقة الكفار في عقايدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شان اي امر من الامور واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اي في شان من اعمال البر وقال الحسن في شان الدنيا وحوايجها وما في وما يكون وما تتلو نافية والضمير في منه اما لله عز وجل اي نازل من عنده واما للشان لان تلاوة القران شان من شئون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه وهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل واما للقرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه والافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص ولا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشيء كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم زاد في التعميم فقال وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلاء عازب اي بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قدمر في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شيء اصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال هيهنا في الارض ولا في السماء خلاف ما في سورة سبا وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته على شئون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض هنا بعد تسليم ان الواو تفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قراء بالنصب على نفي الجنس او بالرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه فلا اشكال واما من جعل منصوبه معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل مرفوعه معطوفا على محل من مثقال لانه فاعل يعزب فاورد عليه اشكال وهو انه يصير تقدير الاية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب ويلزم منه ان يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم آخر اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شيء في الارض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم انه غير عالم بالجزئيات او نقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعنى الواو وعلى ان الكلام تم عند قوله ولا اكبر ثم وقع الاستثناء بكلام آخر فقال الا في كتاب اي وهو ايضا في كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق

فقال الا ان اولياء الله الاية والتركيب يدل على القرب فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجمال وجهه وجلاله قال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في وصفهم الذين امنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال القوة العملية وههنا مقام آخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال اما في موقف العلم فبان يقدس ذاته عن ان يكون مقصورا على ما عرفه او يكون كما وصفه واما في مقام العمل فان يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فقد مر تفسيره في اوايل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم ان مشاهدتهم تذكر امر الاخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية يحكى ان ابرهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على راس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحال ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فاظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف يليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب القوة الواردة الغيبي فلما غاب ذلك الوارد كانا اضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشراهم في الدنيا ما بشر الله به المومنين المتقين في غير مكان من كتابه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصلحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المومن والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد اذا انصف ولم يحسده ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي اي قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤية الصالحة ومنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلى الله عليه وسلم استنبئ بعد اربعين سنة الى استكمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان ياتيه الوحي ولا بطريق المنام ستة اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين واما الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى العالم القدسي والاطلاع على بعض ما هنالك وعن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرؤن منها الى آخر احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام يتصل به فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما قبل العدم امتنع ان يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك او نقول انه كما ازال الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك وتهديدهم بالخدم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح ثم استانف قوله ان العزة كانه قيل ما لي لا احزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر له ولحزبه كتب الله لاغلبن انا ورسلي

وقرئ ان بالفتح بالاعلى انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزن بذلك وهذا
كفر بل لان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه بوعد الله تعالى في جميع الاحوال و
ان كان قد يقع في بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم يسمع ما يقولون
ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن
في الارض فخص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الاية سيقت لبيان فساد عقايد اهل الاشراك فذكر ان العقلاء
المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم ممن لا يسمع ولا يعقل
كالاصنام اولى بان لا يكون ندا له ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حدث
احدا المكرين لله لا له فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون
وشركاء على هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى الاضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه
الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون و
قد مر مثله في سورة الانعام ثم ذكر طرفا من آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال ان يتبعون الا الظن هو الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اذا الابصار باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم وهذا نوع
من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا آخر من اباطيلهم فقال
قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغني
التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات
وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلي القديم
لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان تولد منه مثله لصح
ان يكون هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع
ثم بالغ في البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه عبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الولد
يساوي الوالد في الطبيعة بخلاف المالك ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من
سلطان كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم
على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم اوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية
ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة من رياسة ظاهرة وعرض زايل فهو للمتاع
قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الاليم اعاذنا الله منه والله
اعلم التاويل وما يكون في شان من النبوة وما تتلو من شان النبوة من قرآن ولا تعملون يا امة محمد من عمل من اعمال
الامة من قبول القرآن ورده من مثقال ذرة مما ظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر ولا في السماء اي في
سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا اكبر من النية وهو العمل الا
ان اولياء الله الذين هم اعداء النفوس لا خوف عليهم من غنى النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس
العداوة القايمة بينهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالوقايع والمبشرات في الاخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل
لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال للولي كن وليا للصدق كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قولهم مشركي
النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في تطرية ان العزة لله جميعا يعز من يشاء في الدنيا وفي الاخرة جميعا فلا
يمنعه نعيم الدنيا من نعيم الآخرة بل يمنعه على الآخرة كما جاء في الحديث الرباني وان من عبادي لا يصلحه الا الغنى
افقرته يفسده ذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون
الا الظن اي يظنون انهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذي جعل لكم ليل البشرية لتستريحوا
فيه من تعب المجاهدات وتتنزل عنكم الملالة والكلالة ونهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك
والترقي في المقامات لقوم يسمعون حقايق القرآن بسمع القلوب ثم اخبر عن الشبهات التي يقع في اثناء السلوك

قالوا اي مشركوا النفوس عند تجلي الروح بالخلافة في صفة الربوبية مقترن بتجلي صفات ابداع الحق ومبدعية
الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذا البنوة
اخص التعلقات بالوالد مثل الكشف والابتلاء هو مبدا ضلالة اليهود والنصارى له ما في السموات الروحانية من
الكشوف والاحوال وما في ارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والافات ان الذين يفترون ثم
النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقايق ثم نذيقهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسوا بالالم

واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
و بخوان برايشان خبر نوح آن وقت را كه گفت مر گروه خود را ای گروه من اگر هست که دشوارست بر شما
مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت
وجود من با مكث من در ميان شما و وعظ گفتن من بآيتهای خدای پس بر فضل خدای اعتماد نمودم
فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم
پس عزم كنيد بر كار ارادت هلاک با شريكان شما پس مبادا كار شما بر شما
غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ۝ فان توليتم فما سالتكم
پوشيده پس ادا كنيد آن كار را بمن و مهلت مدهيد مرا پس اگر اعراض كنيد پس نخواستم از شما
من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين
هيچ مزدی نيست مزد من مگر بر كرم خدای و فرموده اند مرا كه باشم از اهل انقياد و طاعت مر خدا را
فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
پس تكذيب نمودند پس رهايی داديم او را و آنان را كه با او بودند در كشتی و گردانيديم ايشان را ساكنان زمين پس از كفار
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة
و غرق گردانيديم آنان را كه تكذيب نمودند آيتهای ما را پس نگر كه چگونه بود خاتمه كار
المنذرين ۝ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم
بيم كردگان پس فرستاديم پس از او پيغمبران را سوی گروه ايشان پس آمدند بايشان
بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك
با معجزات روشن پس نبودند تا ايمان آرند بآنچه تكذيب كردند آن را از پيش همچنان
نطبع على قلوب المعتدين ۝ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون
مهر نهيم بر دلهای تجاوز كنندگان از حد اعتدال پس فرستاديم پس از ايشان موسی و هارون را

الی فرعون وملائه بایاتنا فاستکبروا وکانوا قوما مجرمین ۞
بسوی فرعون و اشراف قوم او با معجزات ما پس بزرگی نمودند و بودند گروه گناه کاران
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبین ۞ قال
پس چون آمد بایشان سخن درست از نزد قدرت ما گفتند بدرستی این هر آینه جادوی ظاهر است گفت
موسی اتقولون للحق لما جاءکم اسحر هذا ولا یفلح
موسی ای می گوئید مر صدق و صواب را چون آمد شما را ای جادو هست این و رستگاری نیابند
الساحرون ۞ قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا علیه
ساحران گفتند ای آمدی با ما تا گردانی ما را از آنچه یافتیم بر آن
اباءنا وتکون لکما الکبریاء فی الارض وما نحن لکما بمؤمنین ۞
پدران ما را و باشد شما را بزرگی در زمین و نه ایم ما شما را باور دارندگان
وقال فرعون ائتونی بکل ساحر علیم ۞ فلما جاء السحرة
و گفت فرعون بیارید بمن هر جادوی دانا را پس آنگه که آمدند جادوان
قال لهم موسی القوا ما انتم ملقون ۞ فلما القوا قال موسی
گفت مر ایشان را موسی بیندازید آنچه شما اندازنده اید پس آنگاه که انداختند گفت موسی
ما جئتم به السحر ان الله سیبطله ان الله لا یصلح عمل
آنچه آورده اید شما از جادو بدرستی که خدای زود بود که باطل گرداند بدرستی که خدای بسامان نیارد کار
المفسدین ۞ ویحق الله الحق بکلماته ولو کره المجرمون ۞
تبه کاران را و درست گرداند خدای صواب راستی را باوامر و احکام و اگرچه نخواهند گناه کاران
فما آمن لموسی الا ذریة من قومه علی خوف من فرعون و
پس باور نداشت موسی را مگر فرزندان چند از گروه او بر حالت ترس از فرعون و
ملائهم ان یفتنهم وان فرعون لعال فی الارض وانه لمن
و اشراف ذریه که عذاب کند فرعون ایشان را بدرستی که فرعون هر آینه غالب قاهر در زمین و بدرستی که او هر آینه
المسرفین ۞ وقال موسی یا قوم ان کنتم آمنتم بالله فعلیه
از تجاوزکنندگان بود از حد و گفت موسی ای گروه من اگر هستید که ایمان آورده اید بخدای پس خاص بر

توکلوا ان کنتم مسلمین ۞ فقالوا علی الله توکلنا ربنا
او اعتماد نمائید اگر هستید از اهل اخلاص پس گفتند بر فضل خدای اعتماد نمودیم ای پروردگار ما
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمین ۞ ونجنا برحمتک من القوم
مگردان ما را محل ابتلا برای گروه ستمکاران و نجات ده ما را به بخشایش تو از گروه
الکافرین ۞ واوحینا الی موسی واخیه ان تبوءا لقومکما
کافران و وحی فرستادیم سوی موسی و برادر او که جای بازگشتن بجهت برای گروه شما
بمصر بیوتا واجعلوا بیوتکم قبلة واقیموا الصلوة
بمصر خانهای دگر و اید خانهای شما مسجدها و بپای دارید نماز را
وبشر المؤمنین ۞ وقال موسی ربنا انک آتیت فرعون
و مژده ده ای موسی مؤمنان را و گفت موسی ای پروردگار ما بدرستی که تو دادی فرعون را
وملأه زینة واموالا فی الحیوة الدنیا ربنا لیضلوا عن
و اشراف قوم او اسباب آرایش و مالها در زندگانی این جهان ای پروردگار ما عاقبت کار آنکه گمراه کنند از
سبیلک ربنا اطمس علی اموالهم واشدد علی قلوبهم فلا
دین تو ای پروردگار ما محو گردان مالهای ایشان را و مهر نه بر دلهای ایشان پس
یؤمنوا حتی یروا العذاب الالیم ۞ قال قد اجیبت دعوتکما
ایمان نیارند تا که ببینند عذاب دردناک گفت بتحقیق اجابت کرده شد دعای شما
فاستقیما ولا تتبعان سبیل الذین لا یعلمون ۞ و
پس ثابت باشید و متابعت مکنید راه آنانکه ندانند و
جاوزنا ببنی اسرائیل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغیا
و گذرانیدیم پسران یعقوب را از دریا پس در پی ایشان شد فرعون و لشکرهای او از ستم
وعدوا حتی اذا ادرکه الغرق قال آمنت انه لا اله
و بیدادی تا چون دریافت او را غرقه شدن گفت باور داشتم که نیست هیچ خدای
الا الذی آمنت به بنوا اسرائیل وانا من المسلمین
مگر آنکه ایمان آوردند باو پسران یعقوب و من از اهل انقیادم

شركاءكم على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرا بالرفع عطفا على الضمير المتصل فانما يحسن ذلك من غير تاكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما من هم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه عليه السلام قال في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على الثقة والوثوق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كانه قال حصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين اليه انفسكم شركاءكم الذين تزعمون ان حالكم يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا اخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اي مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو المغموم اي الملتبس وقال الليث لفي غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اي ليكن امركم الذي اجتمعتم ظاهرا منكشفا اي تجاهروني بالاهلاك ويحتمل ان يراد بهذا الامر العيش والحال اي اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليه غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا اخر فقال ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه واحكموا امره وامضائه وعن القفال ان فيه تضمينا والمعنى القوا الي وما استقر عليه رايكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا تصدر الا عمن بلغ في التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوي والغرض الخسيس فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحي وتذكيري فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجري ليس اجري الا على الله اي ما نصحتكم الا لوجهه فلا ينبغي الا هو وفي الاية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى الله توكلت الى اخره ولا بانقطاع الخير منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فان توليتم الاية وامرت ان اكون من المسلمين اي سواء قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما القى من قبل هذه الدعوة وكذبوه بقوا على تكذيبهم الى اخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه في الفلك قد ذكرنا في الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنا للك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الاية قد مر تفسيرها في اواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله وهو كذبوا باياتنا وكذلك في الاعراف داعي المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل والامم باياتنا يعني الايات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام فلذلك اجترؤا على رد الايات اما قوله اسحر هذا فليس بمقول القول لانه لا يقولون لانهم قطعوا في قولهم ان هذا لسحر مبين بانه سحر فما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقول ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة اي مطاعن الناس فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا او يقال مفعوله محذوف وهو قولهم ان هذا لسحر مبين او يقال جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاء ابه اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح السحرة لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات انفعال من اللفت وهو الصرف واللي وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك والعز في ارض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايضا فالنبي اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امر امته اليه وصار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوف بالكبر الحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد في طلب الرياسة ويجوز ان يقصد واذ ميهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة في الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذي سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به السحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لانه جواب لان النكرة اذا عادت عادت معرفة الرجل يقول لغيره لقيت رجلا فيقول امن الرجل ولو قال

الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك

گفت خدای اکنون ایمان می آری و بحقیقت نافرمانی کردی پیش ازین و بودی از تباه کاران پس امروز افلاص دهیم ترا

ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون

با جسد اول تا باشی مر آنرا که از پس تو آید عبرتی و به درستی که بسیاری از مردم از آیتهای ما بی خبرانند

القراءة وشركاءكم بالرفع يعقوب ان اجري بفتح الياء حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بياء الغيبة حماد ويحيى وزيد الباقون بتاء التانيث السحر بالمد يزيد وابو عمرو وان تبوا بالياء الخزاز وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الاخرون بالهمزة ليضلوا بضم الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفي كلتا القراءتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بالتثنية الباقون والحلواني عن هشام تتبعان بتشديدهما في الحالين آمنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف بدلا من آمنت حمزة وعلي وخلف الاخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة الاخرون بالتشديد **الوقوف** يا قوم لم لا يوم ان اذظرف لقوله اتل بل التقدير عاذكرا اذ قال ولا تنظرون من اجر على الله لان التقدير وقد امرت من المسلمين باياتنا للفاء ولان امر النظر للعبرة يقتضي التثبت للتدبر المنذرين من قبل المعتدين مجرمين مبين لما جاءكم بناء على ان التقدير اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء وسيجيء لهذا مزيد بيان هذا للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون في الارض بمؤمنين عليم ملقون ما جئتم به لمن قرا السحر مستفهما السحر سيبطله المفسدين المجرمون ان يفتنهم في الارض لاتصال الكلام المسرفين مسلمين توكلنا للعدول مع اتحاد القائل الظالمين للعطف الكافرين واقيموا الصلوة لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وان اريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين الدنيا لتعلق قوله ليضلوا بقوله آتيت وربنا تكرار للاول لاجل التضرع عن سبيلك لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم لا يعلمون وعدوا الغرق لان فالجواب اذا المسلمين المفسدين اية لغافلون **التفسير** لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء لفوائد منها ان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدر ودفع الملال ومنها ان في ذكرها تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد التي سبق ذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها ان يراد به المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما ولا شك ان من الف طريقه ويدعي الى خلافها ولاسيما اذا اكثر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضيات النفس والطبيعة الداعيتين الى لذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على ارجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله فعلى الله توكلت اي ان شدة بغضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك عادتي مجراي قديما وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك **شعر** ان كنت انكرت على شيئا . فالله حسبي في عمل ما اريد . ولا يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قال الفراء وقال ابو الهيثم اجمع امره اي جعله جميعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والفصيح اجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم ونصب

من رجل لم يقع في وهمه انه يساله عن الرجل الذي ذكره ومن قراء السحر بالاستفهام فما استفهامية مبتدا وجئتم به خبره
كانه قيل اي شيء جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ اي اهو السحر او السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه
ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده ويحق الله الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او
باوامره فما آمن لموسى اي في اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه
التحقير ولا ريب ان المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه
دعاء فلم يجيبوه خوفا من فرعون فاجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط
انواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية اقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية
مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده
الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل ان الذين آمنوا كانوا من بني اسرائيل والضمير في ملائهم اما لفرعون
على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب ياتمرون له او المراد آل فرعون فحذف المضاف او للذرية يعني اشراف
بني اسرائيل والضمير في ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب ياتمرون له او المراد آل فرعون فحذف المضاف
او للذرية يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم يدل على ذلك
قوله ان يفتنهم اي يعذبهم فرعون ثم اكد اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال لغالب في الارض ارض مصر
وانه لمن المسرفين في القتل والتعذيب او لمن المجاوزين الحد لانه من اخس العبيد فادعى الربوبية العلياء وقال
موسى تثبيتا لقومه ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا اخصوه بتفويض اموركم اليه ان كنتم
مسلمين قال العلماء الموخر في مثل هذه الصورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك
بك قوة والمراد ان كانت بك قوة فان ضربك زيد فاضربه فكانه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين
لتكاليف ربكم بالاخلاص منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه واجب الوجود
لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا مؤمنين
لموسى على الله توكلنا ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم
او صرفهم عن دينهم او المراد لا تفتتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم
في انا لسنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اي لا تجعلنا مفتونين بان تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق
ولما قدموا التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الآية
وفي ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل
مسلم والله التوفيق والله الموفق واوحينا الى موسى واخيه ان تبوأ اتخذ المكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه
اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع
فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس
او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنه بامر الله تعالى في ايام
نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اي صلوا في
بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة اما السبب في اتخاذ البيوت فان يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة
كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة او المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير
الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل
ان يصونهم من شرهم وانما ثنى الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب
موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على
الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير في قوله وبشر المؤمنين لان الغرض الاصلي من جميع العبادات
هو هذه البشارة فلم يكن لاحد الا ان يجيء لمن هو الاصل في ايصالها وفيه تعظيم لشان البشارة وللمبشر
قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر لنبينا صلى الله

عليه وسلم

على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون اشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم
امروا باتخاذ موضع يرجعون اليه البتة للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة
وراى القوم مصرين على الجحود والعناد اخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب الدعاء عليه فلهذا
قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة واموالا او الزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث
البيت والاموال يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال
فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى عليه السلام قال يا رب انك
اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ففيه دلالة على انه تعالى تسبب لضلالهم واراد منهم ذلك والاهم
تهيئة اسبابه ثم شرع في الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والمسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه
من قبل ان نطمس وجوها وبالشد على قلوبهم ومعناه الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر
الغايب دعا عليهم بثلثة امور بالضلال وبالطمس وبالشد كانه لما علم بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال
وعلم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون لغيره قايلا ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال
وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم ينصحه واستمر على غيه سلمنا ان قوله ليضلوا ليس دعاء
عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال
فكانهم اوتوها ليضلوا ولم لا يجوز ان يكون لا مقدرة اي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا ويكون
حرف الاستفهام مقدرا في آتيت على سبيل التعجب اما قوله تعالى فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا
على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون جوابا لقوله واشدد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا
على قوله ليضلوا على التفسير الشديد قال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز
ان يكون جميعا يدعوان الا انه خص موسى بالذكر في الآية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان دعاكما مستجاب
وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة ولا
تستعجلا فقد لبث نوح في قومه الف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم
الى الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال لا يفيد في اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن
يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة في اوائل سورة البقرة في قوله واذ فرقنا بكم
البحر الآية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال تبعته حتى اتبعته والبغي الافراط في الظلم والعدو مجاوزة الحد
وفي الآية سؤال وهو ان فرعون تاب ثلث مرات احدها قوله آمنت وثانيها انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا
اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم لم يقبل توبته والجواب من وجوه اولها انه ايمان الياس وانه لا يقبل لان
الالجاء يلغي التكليف الثاني انها لم يكن مقرونة بالاخلاص وانما كانت لدفع البلية الحاضرة والمحنة الناجزة
الثالث ان ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد والمحتمل كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل
هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي ان بعض بني اسرائيل لما جاوز
البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلعله اراد الايمان بذلك العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة
سببا لزيادة الكفر الخامس ان اكثر اليهود يميلون الى التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكانه ما آمن بالاله الا
الموصوف بالجسمية والحلول والتحول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى
كما انه لو قيل النصرانية لا اله الا الله لم يصح ايماننا الا اذا اقرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع روي ان
جبريل عليه السلام اتى فرعون بفتيا ما قول الامير في عبد نشا في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه
وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر
نعمته ان يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبريل اليه خطه فعرفه اما قوله الآن فالمشهور من الاخبار
انه قول جبريل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير آتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وادركك
وقوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبريل اخذ يملا فاه بالطين حين قال آمنت

لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه ان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز
على جبرئيل ان يمنعه من التوبة بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة
ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه
على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون فقولا له قولا لينا ثم يامر جبرئيل
بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبرئيل يمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبرئيل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله
وما نتنزل الا بامر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبرئيل فائدة
اللهم الا ان يقال انه دس حال البحر في فيه في وقت لا ينفعه ايمانه غضبا لله على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك
فيه اقوال منها ان معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد ان تغرق وقوله
ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور او المراد
ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا وفيه نوع تهكم كانه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما
تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك او نخلصك من البحر ولكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك اي نلقيك
بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك اي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال
كان عليه درع من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كان معجزا لموسى
عليه السلام قوله لتكون لمن خلفك آية قيل ان قوما اعتقدوا فيه الالهية وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره
بان اخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وذلك الشبهة عن قلوبهم وكان مطرحه على ممر من بني اسرائيل فلهذا قيل
لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهد الخلق على ذلك الذل والاهانة بعد ما سمعوا منه قوله انا ربكم الاعلى
ليكون ذلك زجرا للغابرين عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة ثم آل امره الى ما آل فلا يجترئوا
على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك على الساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للامم الآتية
ثم زجر هذه الامة عن ترك التبصر في الدلائل وحثهم على التامل والاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن آياتنا
لغافلون التأويل واتل عليهم نبأ نوح الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان
عظم عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله ببراهينه الواضحة فما سألتكم من اجر من حظوظ
مشاربكم الدنيوية ما حظي الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء الله في ارضه وباقي
التأويل كما مر في الاعراف وهكذا في قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود
المجازي ويحق الله الحق اي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره اهل الهوى النفوس الامارة فما آمن لموسى
القلب الا استعداده او بعض صفات فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف
من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها ان يصرفهم الى حالها الطبيعية التي جبلت عليها واوحينا الى
موسى القلب وهرون السر ان هيئا الصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا في عالم النفس السفلي واجعلوا
تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق واقيموا الصلوة اديموا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات
الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة امرهم ان ينقطعوا او يقطعوا بتلك الملاذ عن السير في طلبك
ربنا اطمس على اموالهم بمحقها وتحقيرها في نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم
عليه في طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب
الحق حتى يذيقهما الم الفطام عن الدنيا ومشتهياتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول الى الله ولا يعرفون
قدره وجاوزنا ببني اسرائيل القلب والسر وصفاتهما البحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون
النفس وصفاتها بعد العظام من شوائب عالم الملك فهرا وقسرا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار
الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته في لجي بحر الوصال وبلغت افواج امواجه الى ساحل البشرية ادرك
فرعون النفس الغرق فاستمسك بعروة تلك الفرق قال آمنت ومن امارات اجنبية فرعون النفس عالم
الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد والمعرفة بيد الصدق والاستقلال ولم يقل آمنت بالله الذي لا اله الا

٥-٢

قال الكاشفي

وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك اي نخلصك مع الملك
من بحر الضلالة ليكون دليلا على كمال قدرتنا وعنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعلهم من اهل النجاة والا رجال سدا كان من اهل الهلاك

ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من

وبحقيقت جای دادیم پسران یعقوب را جای داده پسندیده از مصر و شام ودادیم ایشانرا

الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك

چیزهای لذیذ پس خلاف نکردند در کار دین خود تا که آمد بایشان دانش یعنی قرآن یا محمد صلی الله علیه وسلم بدرستی که پروردگار تو

يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

حکم میکند فرماید میان ایشان روز قیامت در آن چیز که هستند در آن خلاف میکنند

فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين

پس اگر باشی در گمان از حقیقت فرو فرستادیم سوی تو پس بپرس آنانرا که

يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك

میخوانند توریت و انجیل را پیش از تو بحقیقت آمد بتو قرآن درست از پروردگار تو

فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا

پس مباش از شک آرندگان و مباش از آنانکه تکذیب نمودند

بايات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت

آیتهای خدا اگر باشی از زیانکاران بدرستی آنانکه ثابت شد

عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية

برایشان حکم پروردگار تو بموت بکفر ایمان نیارند واگرچه آید بایشان هر معجزه

حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية امنت

تا که ببینند عذاب دردناک را پس چرا نبوده شهری که ایمان آورد نزد معاینه عذاب

فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا

پس بنفع کردی ایشانرا ایمان ایشان مگر امت یونس آنگاه که ایمان آوردند زایل گردانیدیم

عنهم الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين

از ایشان خواری را در زندگانی این جهان و برخورداری دادیم ایشانرا تا هنگام انقضای آجال ایشان

ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت

واگر خواستی پروردگار تو هر آینه ایمان آوردندی هر که در زمین اند همه ایشان مجموع آیا پس تو الزام

تكره الناس حتى يكونوا مومنين • وما كان لنفس

[illegible] مردم را تا که باشند باورداران [illegible] و نسزد مر هیچ تنی را

ان تومن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا

که ایمان آرد مگر بفرمان خدای و لازم میکند [illegible] بر آنانکه

يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني

عقل ندارند بگو بنگرید چه چیز در آسمانها و در زمین است [illegible]

الايات والنذر عن قوم لا يومنون • فهل ينتظرون الا

دلایل و بیم نمایندگان از گروهی که ایمان نخواهند آورد پس هیچ چشم میدارند مگر

مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم

مانند وقایع آنانکه گذشتند پیش از ایشان بگو پس چشم دارید بدرستی که من با شما

من المنتظرين • ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا

از منتظرانم پس خلاص دادیم پیغمبران ما را و آنانکه ایمان آوردند همچنین واجب شد

علينا ننج المومنين • قل يا ايها الناس ان كنتم في شك

برما که خلاص دهیم مومنان را بگو ای مردمان اگر هستید در گمان

من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد

از حقیقت دین من پس نمی پرستم آنها را که می پرستید شما از غیر خدای و لیکن میپرستم

الله الذي يتوفكم وامرت ان اكون من المومنين •

معبود بسزا را که قبض روح فرماید شما را و فرموده اند مرا که باشم از اهل ایمان

وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين

و فرموده اند که متوجه گردان روی خود را [illegible] از اهل شرک

ولا تدع من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم

وامرت ان اكون من المومنين وان اقم ولا تدع

من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك

آنچه سود ندهد ترا و گزند نرساند ترا پس اگر کنی خلاف آنچه [illegible] پس بدرستی تو آنگاه

اذا من الظالمين • وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا

از ستمکاران باشی و اگر رساند بتو خدای گزندی را پس هیچ دفع نیست مر آن را مگر

هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء

او و اگر خواهد بتو نیکی را پس هیچ گرداننده نیست مر عطای او را میرساند آن هر کرا خواهد

من عباده وهو الغفور الرحيم • قل يا ايها الناس قد

از بندگان خود و او آمرزگار است مهربان بگو ای مردمان بحقیقت

جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي

آمد بشما دین درست از پروردگار شما پس هر که راه یافت پس درستی که راه یافت

لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل

برای نفع خود و هر که گمراه شد پس بدرستی که وبال ضلال عاید شود [illegible] و نیستم من بر شما حافظ اعمال

واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

و متابعت کن آنچه وحی کرده میشود بسوی تو و شکیبایی کن تا حکم فرماید خدای [illegible] او بهترین حکم کنندگان است

القراءة ننجي ابن نشأنا ونجعل بالنون يحيى وحماد الاخرون بالمحاة الفتانية ثم ننجي من الانجاء نصير وحدوح و
زيد ننجي المومنين من الانجاء ايضا علي وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالتشديد **الوقف**
الطيبات للابتداء بالنفي مع الفاء العلم يختلفون من قبلك لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين للعطف الخاسرين
لا يومنون لتعلق لو بما قبلها الاليم يونس حين جميعا مومنين باذن الله اي وهو يجعل لا يعقلون والارض
للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يومنون من قبلهم من المنتظرين كذلك كذلك لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء
الرسل ويكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجي المومنين انجاء كذلك وحقا علينا اعتراض المومنين يتوفيكم
لاحتمال ان يراد وقد امرت المومنين للعطف حنيفا للعطف مع زيادة نون التاكيد المؤذن بالاستيناف
المشركين ولا يضرك للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين الا هو للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله
من عباده الرحيم من ربكم لنفسه عليها للعطف مع النفي بوكيل يحكم الله لاحتمال العطف والاستيناف
الحاكمين **التفسير** لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه الختم في
واقعة بني اسرائيل فقال ولقد بوانا اي اسكناهم مسكن صدق او اسكانا صدق فيكون المبوا اسم مكان
او مصدرا والعرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير يطلب منه ذلة

فانه يصدق ذلك الظن فيوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا صيا والمراد بني اسرائيل اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى
نبوا صدق الشام ومصر وما بينهما فانها بلاد كثيرة الخصب عزيزة الارزاق ومع ذلك فقد اورثهم الله جميع ما كانت
تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا وكانوا على طريقة واحدة
حتى قراوا التورية فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف واحدثوا المذاهب المتعددة واما اليهود
المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير بني
قينقاع انزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس في غيرها
فبقوا على دينهم ولم يظهر لهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم
فاختلفوا في نعته وصفته وآمن به قوم وبقي على الكفر آخرون وبالجملة فالله تعالى يقضي بين المحقين منهم و
المبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم او في
شان رسوله حقق حقيته وحقية ما انزل عليه بقوله فان كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض
ومنه شك الجوهر في العقد وشككته بالرمح اي خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكائك البيوت المصطفة
والشاك الى ما يتوهمه شيا آخر خلافه والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد امته كقوله
يا ايها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعيد ذلك قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ولانه لو كان
شاكا في نبوته لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول حقيقة ولكنه ورد على سبيل الفرض
والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد
استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة
بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدليل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمانينة وفيه
استمالة الامة والحث لهم على السؤال عما كانوا منه في شك وفيه ان اهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما انزل
اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة
ما انزل الى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك ولا اسال
بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل ان نافية اي فما كنت في
شك يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتاتى منه الشك ومن
المسؤل عنه قال المحققون هم من آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب
الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم اذا بلغوا عدد التواتر وقرؤا آية من التورية
والانجيل تدل على البشارة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لان تلك الآية لما بقيت مع
توفر دواعيهم على تحريف نعته كانت من اقوى الدلايل والظاهر ان المقصود من السؤال معرفة حقية القرآن
وصحة نبوة محمد عليه السلام لقوله مما انزلنا اليك وقيل السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم
انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال لقد جاءك الحق من ربك ثم ان فرق المكلفين بعد
المصدقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه قائلا فلا تكونن من الممترين
ولا تكونن الآية اي المراد فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج
والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما ذكر كل فريق عقب ذلك ببيان ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا
ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله ان الذين حقت الآية وقد
تقدم مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الباس وموتهم على
الكفر مكتوب عند الله تعالى وثبت عليهم في الازل بما جرى عليهم لكنها كتابة معلوم لا كتابة مقدور ومراد وقالت
الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مر امثال هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الآخرون فذلك
قوله فلولا كانت اي فهلا حصلت قرية واحدة آمنت ثابت من الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب
فنفعها ايمانها لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون ايمان الياس والاضطرار الا قوم يونس هو استثناء

منقطع اي ولكن قوم يونس لان الاول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه
قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس يروى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه
فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة
وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون
اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا
الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء
يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس
بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي
ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات
الدنيوية الى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم
منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشية الله وتقديره
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت الاشاعرة هذه القضية يفيد الشمول والاحاطة لكنه ما
حصل ايمان اهل الارض بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشية بمشية الالجاء و
القسر واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان
القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الآية وكذا المشية على ايمان الالجاء ومشية
القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال افانت
تكره فاولي الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام في المكره من هو وما هو
الا الله وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل
الاشاعرة الاكراه على خلق الايمان ومعناه انه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اي الكفر والفسق على الذين لا يعقلون وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف
والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا
يعقلون يعني المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع
لان الاذن عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه
اولى اجابت المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشية الله امر
بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا في
السموات والارض اي شيء فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر ان التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق
من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال وما تغني يحتمل ان يكون ما نافية اي لا يفيد هذه الآيات والنذر هي
جمع نذير صفة او مصدر في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهامية للانكار بمعنى اي شيء يغني
عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الانبياء المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العذاب
او بوقايع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه
وسلم فقال سبحانه قل فانتظروا وفيه تهديد ووعيد بانه سينزل بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك
بعد انجاء الرسول واتباعه كما حكى تلك الحال الماضية بقوله ثم ننجي رسلنا الآية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به
الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم
وان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ثم امر نبيه باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال قل
يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا اني مبرا عن اديانكم الباطلة ولكن اعبد الله
الذي يتوفيكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا والاعادة ثانيا كما مر مرارا ولان الموت اشد
الاحوال مهابة في القلوب فكان اقوى في الزجر والردع ولانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقايع النازلة

بالامم الخالية فكانه قال اعبد والله الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الاية اشارة الى انه لن يوافقهم في دينهم كيلا
يشكوا في امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون
اي بان اكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل له كن مؤمنا ثم اقم ولا تدع او المراد
وامرت بكذا واوحي الي ان اقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم
انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة
غيرهما من الافعال ومعنى اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون
الوجه ههنا وجه العقل او المراد توجهه بالكلية الى طلب الدين لان من يريد ان ينظر الى شيء نظرا تاما فانه يقيم وجهه في
مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر بالنهي عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا
يضرك فان فعلت اي فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل للاختصار واذن جزاء للشرط
جواب السؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال
الى ما سوى مدبر الكل وضع للشيء في غير موضعه ثم صرح انه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غير فقال وان يمسسك
الاية وقد مر تفسير مثلها في اول سورة الانعام قال الواحدي وان يردك بخير من القلب واصله ان يريدك بالخير
ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالاخر جاز كل واحد منهما واقول في تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل
على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره في الهداية والضلال
فقال قل يا ايها الناس الاية وفسرها المراتب الاشاعرة بان من حكم له في الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك وان حكم له
بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه كما مر في سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الاية وقالت المعتزلة
المراد انه بين الشريعة وازاح العلة وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما عاد
وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الاية منسوخة باية القتال ولا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحي والتنزيل
فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم في الصبر شعر
ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبري * واصبر حتى يحكم الله في امري * ساصبر حتى يعلم الصبر انني * صبرت على شيء امر من الصبر
التأويل ولقد بوأنا بني اسرائيل يعني متولدات الروح العلوي من القلب والسر دون النفس لانهما من البنات
لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليها في العالم النوري ورزقناهم من الطيبات من الفيض الرباني الفائض على الروح لان
الروح مستو على عرش القلب فكل ما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب
والسر حتى جاءهم دعوة النبي فمن صادف قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا او بوجه آخر بوأنا صدق بين الاصبعين
من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ذكرهم علم الله الازلي بالسعادة والشقاوة فان كنت في شك خلق الانسان ضعيفا فاذا
انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه مما يخادع به الاطفال فلا يدري هل هو من كرامة
الاجتباء او من وخامة الابتلاء فكان النبي صلى الله عليه وسلم من خصوصيته انما انا بشر مثلكم يرتع في هذه الرياض و
باختصاص يوحى الي يسقى بكاسات المناولات من تلك الحياض فشك عند شكره انها من شهود التلوين او من كشوف
التمكين وادركته العناية الازلية فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النهي نهي التكوين فما كان يمترى
وهكذا قال والله لا اشك ولا اسال الا مثل ايام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا واظهر ما قدر لكم ولكن
اعبد الله الذي يتوفيكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ما سواه والله الموفق والملهم

سورة هود مكية غير اية قوله واقم الصلوة طرفي النهار كلماتها الف وسبعمائة وخمس عشرة آياتها مائة وعـ

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداى بخشاينده مهربان

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم
الر اسم سورت باعزاز يعني منم خداى بينا اين كتاب محكم كرده شد آياتش ...
خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير و
و آنكه ... كه مپرستيد مگر خداى را بدرستى كه من مر شما را ازو بيم نماينده ام و بشارت دهنده و
ان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا
آنكه آمرزش خواهيد از پروردگار شما پس باز گرديد بطاعت او تا برخوردارى دهد شما را برخوردارى نيكو
الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني
تا انجام وقت يعني وقت ممات معلوم و بدهد هر خداوند عمل صالح را جزاء عمل او و اگر اعراض كنيد پس بدرستى كه
اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم
من ميترسم بر شما از عذاب روز بزرگ با حكم خداى باز گشتن شما
وهو على كل شيء قدير الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا
و او بر همه چيزى تواناست بدان بدرستى كه ايشان منحرف ميگردانيد ...
منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون
از خداى بدانكه آن استخفا آنگاهست كه پس ميكشند جامهاى خود را ميداند آنرا كه نهان ميدارند و آنرا كه آشكارا ميكنند
انه عليم بذات الصدور وما من دابة في الارض الا على الله
بدرستى كه او داناست بانچه در ضماير است و نيست هيچ جنبنده در زمين مگر كه بر فضل خداست
رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب
روزى آن و ميداند آرام جاى او را و امانت جاى او را از صلب هر يك ازين اشخاص و احوال او
مبين وهو الذي خلق السموات في ستة ايام وكان
در لوح محفوظ است و او آن خدايست كه آفريد آسمانها در شش روز و بود
عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت
عرش او بر بالاى آب تا صورت آزمايش نمايد شما را كه كدام يك نيكوتر است بكردار و هر آينه اگر گوئى تو
انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
بدرستى كه شما برانگيزانيده خواهى بود بعد از مرگ هر آينه گويند آنانكه كافر شدند

ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة
نیست این گفتار مگر مانند جادوی هویدا و هر آینه اگر باز پس داریم از ایشان عذاب را تا مدتی
معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم
معلوم هر آینه گویند چه مانع می آید آنرا بدان روز که آید بایشان نیست بازداشته از ایشان
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولئن اذقنا
و فرود آمد بدیشان وبال آنچه بودند آن فسوس می نمودند و هر آینه اگر چشانیم
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور
آدمی را از فضل ما آسایشی پس زایل کردیم آنرا ازو بدرستی که او هر آینه نومید است ناسپاسی
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات
و اگر چشانیم او را نعمتی بعد از گزندی که رسیده باو هر آینه گوید رفت بدیها
عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
از من بدرستی که او هر آینه شاد است فخر کننده مگر آنانکه شکیبایی کردند و کردند کارهای نیکو
اولئك لهم مغفرة واجر كبير فلعلك تارك
آنان مرایشان راست آمرزشی و مزدی بزرگ پس مگر تو ترک کننده
بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا
بعضی از آنکه وحی فرستاده شد سوی تو و منقبض باشد سینه تو که گویند چرا
انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله
فرو فرستاده نشد برو گنجی یا آمدی با او فرشته جز این نیست که تو بیم کننده و خدای
على كل شيء وكيل ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر
بر همه چیزی حافظ است یا میگویند از خود برنهاد آن را بگو پس بیارید ده
سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان
سوره مانند این از خود گفته شده و بخوانید آنرا که توانید از غیر خدای اگر
كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
هستید راست گویان پس اگر اجابت نکنند شما را پس بدانید که بدرستی فرو فرستاده شد بعلم خدای

وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد
و آنکه هیچ خدای نیست مگر او پس هیچ هستید شما از اهل اخلاص انقیاد هر که هست که خواهد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم
زندگانی این جهان را و آرایش آنرا تمام کنیم بایشان جزای کردارهای ایشان در آن جهان و ایشان
فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا
در آن جهان ناقص کرده نشوند آنانند که نیست مرایشان را در آن جهان مگر
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون افمن كان
آتش و ضایع است آنچه کردند در دنیا و بی حاصل است آنچه هستند که میکنند ای پس آنکه هست
على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى
[illegible] کتاب موسی
اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب
حال آنکه مقتدا و سبب بخشایش بود آنان ایمان آرند به قرآن و هر که کافر شود بآن از اهل مکه و آنانکه متفق اند
فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن
پس آتش وعده جای اوست پس مباش در شک از آن بدرستی که او ثابت و صحیح است از پروردگار تو و لیکن
اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بیشتر مردم ایمان نمی آرند و کیست ستمکارتر از آنکه از خود برنهد بر خدای دروغ را
اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين
آنان عرض کرده شوند بر پروردگار ایشان و گویند گواهان اینها آنانند که
كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين
دروغ گفتند بر پروردگار ایشان بدان دوری از رحمت خدا بر ستمکاران است آنانکه
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم
منع میکنند از راه دین خدای و میجویند آنرا کجی و ایشان بآن جهان ایشان
كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان
[illegible]

لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ماكانوا
مرايشانرا از غير خداى يجارانى و دوستانى دو باره كرو انند سبب رااى ايشان عذاب را نبوو ند
ضلال و اضلال
يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون اولئك الذين
كرى توانستند شنودن حق بسمع قبول و نبوو ند كه ببينند بچشم بصيرت ايشان آنانند كه
خسروا انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون لاجرم انهم
زيان كردند تنهاى خودرا وغايب شد از ايشان آنچه بودند كه افترا ميكردند هرآينه بدرستى كه ايشان
في الاخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا
در آن جهان ايشانند زيانكاران بدرستى كه آنانكه ايمان آوردند وكردند
الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم
كارهاى نيكو وآرميده شدند با عبادت پروردگار ايشان ملازمان بهشت اند ايشان
فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم
ايشان
دران جاودانه باشند داستان دو گروه كفار و اهل ايمان چون نابينا وناشنوا
والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون
[illegible]
وان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزي وابن فليح فاني اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر
ونافع وابن كثير عني انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف الر كوفي خبير بناء على انه تعلوا بما
قبله الا الله وبشير للعطف فضله كبير مرجعكم لاحتمال الحال والاستيناف قدير منه ثيابهم بناء على ان
عامل حين قوله يعلم يعلنون الصدور الجزء الثاني عشر ومستودعها مبين عملا مبين مايحبسه يستهزءون
سنه لحذف جواب لئن اي ليباس وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عني فخور للاستثناء الصالحات كبير
ملك نذير وكيل لان ام استفهام تفريع افتريه صادقين الا هو للاستفهام مع الفاء مسلمون يبخسون الا النار
بناء على ان ليس بمنزلة حرف النفي والوصل اوجه لان ليس فعل ماض وهو مع ما عطف عليه المجموع جزاء يعملون
ورحمة يؤمنون به موعده لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذبا على ربهم الثاني لان ما بعده يحتمل ان
يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين عوجا من اولياء لئلا يوهم ان ما بعده صفة اولياء العذاب
يبصرون يفترون الاخسرون الى ربهم لان ما بعده خبر ان الجنة خالدون والسميع مثلا يذكرون
التفسير الر كان اسما للسورة فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد او كان معناه انا الله ارى فقوله
كتاب خبر مبتدا محذوف اي هذه كتاب والاشارة اما الى هذا البعض واما الى مجموع القران ومعنى احكمت نظمت
نظما رصينا من غير نقض ونقص او جعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما او منعت من الفساد والبطلان من قولهم
احكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح اي لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله
على العلوم النظرية والعملية والظاهرة والباطنة وعلى جميع اصول الشرائع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير ثم فصلت

كما تفصل

كما تفصل القلائد بالفرائد من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام والقصص لكل معنى من هذه المعاني فصل انفرد به او جعلت
فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون
اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخي في الحال كقولك فلان كريم الاصل كريم الفصل واحكمت صفة كتاب
ومن لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف و
نشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور واحتج الجبائي بقوله احكمت ثم فصلت على كون القران محدثا
لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر من القديم واجيب بانه لا نزاع في
حدوث الاصوات والحروف وانما النزاع في الكلام النفسي وقوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اي لاجل ذلك او تكون
ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبي قل لهم لا تعبدوا وجوز في الكشاف ان يكون كلاما
مبتدا منقطعا عما قبله محكيا عن لسان النبي صلى الله عليه وسلم يغري امته على اختصاص الله بالعبادة كانه قال ترك
عبادة الله مثل فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل حالا من نذير وبشير اي انني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه
بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك ويجوز ان يكون منه صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ويكون صلة بشير محذوفا
اي ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي
به تطلب ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان اخرا في الحصول
كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اي توبوا ثم قال توبوا اي اخلصوا التوبة واستقيموا
عليها وقيل استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من آنف الذنوب وقيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه
بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله في ازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي الانسان في ذلك والاستعانة بفضل الله
مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الامتثال امرين احدهما التمتيع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله
فلنحيينه حيوة طيبة سؤال كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة وقول النبي صلى الله
عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء واجيب بان المراد لا يهلكهم بعذاب الاستيصال او يرزقهم
كيف كان والجواب الشافي ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا
في نفسه مسرورا في ذاته هينا ما فاته من اللذات العاجلة قانعا بما يصيبه من الخيرات الزائلة وثانيهما قوله ويؤت
اي في الاخرة كل ذي فضل فضله اي موجب فضل ذلك الشخص ومقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمله وتسمية العمل
الحسن فضلا تشريف ويجوز ان يعود الضمير في فضله الى الله وفيه تنبيه على ان الدرجات في الجنة تتفاضل بحسب
تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وان تولوا اي تتولوا فحذف احدى التاءين والمعنى وان تعرضوا
عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة الموصوف بالعظم
والثقل ايضا ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم الا الله ولا رجوع الا الى جزائه وهو مع ذلك
كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعذاب يكون المعذب بمثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الاية تتضمن البشارة
من وجه آخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك
فانه يرحم عليه ولا يقيم لعذابه وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا انك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطنا
كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال ثنى صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال
المفسرون وههنا اضمار اي يثنون صدورهم ويريدون ليستخفوا منه اي من الله ثم كرر كلمة الا تنبيها على وقت استخفائهم
وهو حين يستغشون ثيابهم اي يريدون الاستخفاء في وقت استغشاء الثياب قال الكلبي ثني صدورهم كناية عن نفاقهم
لما روي ان طايفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا و
ثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار كان
اذا مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله وما يتلو
من القران وليقول في نفسه ما يشتهي من الطعن ثم استانف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم
في الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسراير كما انه عالم بالظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات كما قال وما من دابة وجميع الحيوانات

ضمانا لمصالحها ومهماتها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا فقال وما من دابة الآية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل
ذلك من الامكنة من صلب او رحم او بيضة وقال الفراء مستقرها حيث تاوي اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذي تموت
فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام استدل الاشاعرة بالآية على ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل
حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق عند المعتزلة ثم انا نرى انسانا لا ياكل من الحلال
طول عمره وقد سماه الله رزقا ثم ختم الآية بقوله كل في كتاب مبين اي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها و
مستودعها ثابت في علم الله او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى ان
موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه باهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت منها
صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها فسمع
الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم اكد دلائل قدرته بقوله وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال كعب الاحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت
ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء على الارض
وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملتصقا بالآخر وعلى هذا فيكون الآن ايضا عرشه على الماء وقال في الكشاف المراد انه
ما كان تحت العرش خلق سوى الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة
خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما والا لزم ان يكون خلقهما قبل من يعتبر بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه
تعالى وقال ابو مسلم العرش البناء اي بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء حركة شبيهة
بسيلان الماء اي وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الآية بيان كمال القدرة في امساك الجرم العظيم على الصغير اما
قوله ليبلوكم فالمعتزلة قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم
معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح
ومعناه انه فعل فعلا لو كان من يفعله ممن يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى
لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر او الاستماع في قولك انظر ايهم احسن وجها
واسمع ايهم احسن صوتا قال في الكشاف الذين هم احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم
من اهل الفسوق والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز ان يقال ان احسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء
يتضمن حديث البعث اتبع ذلك قوله ولئن قلت الآية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اي هو باطل كبطلان
السحر او القرآن لانه الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وقال القفال معناه ان هذا
القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ
ساحر فالاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم بين انه متى تاخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول به اخذوا في
الاستهزاء وقالوا ما الذي حبسه عنا فقال ولئن اخرنا عنهم العذاب الآية والامة اشتقاقها من الام وهو القصد
واراد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هي في الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى حين باسم ما يحصل فيه
كقولك كنت عند فلان صلوة العصر اي في ذلك الحين فالمراد الى حين تنقضي امة معدودة من الناس قال في الكشاف
الى جماعة من الاوقات والعذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين
ومعنى ما يحبسه اي شيء يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء والتكذيب فاجابهم الله تعالى بقوله الا يوم
ياتيهم ويوم متعلق بخبر ليس اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم واستدل به من جوز تقديم خبر ليس على ليس لانه
اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى والا لزم للتابع مزية على المتبوع ثم قال وحاق اي احاط
بهم ما كانوا به يستهزئون اراد يستعجلون ولكنه وضع يستهزئون موضعه لان استعجالهم للعذاب كان على وجه الاستهزاء
وانما قال وحاق بلفظ الماضي وجعله كالواقع ثم نبه على ضعف حال الانسان في حالتي السراء والضراء فقال ولئن اذقنا الانسان
الآية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء في قوله الا الذين آمنوا ولان هذا النوع مجبول على
الضعف والنفر والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد وقد مر ذكر الكافرين

ولان

ولان وصف اليأس والكفر والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافرين وذلك انه يعتقد ان
السبب في حصول تلك النعمة من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في اليأس الشديد
وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفر واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد
فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن السعادات الاخروية الروحانية فيظن انه قد فاز بغاية الاماني ونهاية المقاصد
واما المؤمن فحاله على العكس ولذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق اقل
ما يوجد به الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا عليه وفيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتبار
وسرعة الزوال يشبه حلم النائمين وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة او امن او جدة ثم نزعها سلبها واليؤس
والكفور صيغتان للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك قال الواحدي لانها خرجت
مخرج الاحوال الظاهرة نحو حمراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي ساءته ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة
ليشهدوا لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض فعن
ابن عباس هو ان المشركين قالوا له ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال الحسن
طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة آتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله
اليه لانه ينافي المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الآية بان امثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم
التقصير في اداء الوحي فلهذا خوطب بها او لعله كان النبي صلى الله عليه وسلم بين محذورين الاول ترك اداء
شيء من الوحي والثاني انهم يتلقون الوحي بالطعن والاستهزاء فنبه بالآية على ان تحمل الضرر الثاني اهون واذا
وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب يقول لغيره اذا اراد ان يزجره لعلك تفعل
كذا اي لا تفعل انما قال وضائق ولم يقل وضيق به صدرك دلالة على انه ضيق حادث لانه صلى الله عليه وسلم
كان افسح الناس صدرا ومعنى ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل اي هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز و
الملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم بين ان حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى اتيان
المقترحات والذي ارسله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شيء ومن كمال قدرته انزال القرآن المعجز الدهماء
الصانع واشار الى ذلك بقوله ام يقولون الآية وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس السور العشر هي
من اول القرآن الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة مكية وبعض السور المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان
يشار الى ما ليس بمنزل بعد فالاولى ان يقال التحدي وقع بمطلق السور التي تظهر فيها قوة تركيب الكلام ثم انه
تحداهم اولا بمجموع القرآن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الآية ثم بعشر
سور في هذه الآية وذلك ان العشرة اول عقد من العقود ثم بسورة في يونس وفي البقرة وهذا كما يقول الرجل
لصاحبه اكتب كتابا مثل ما اكتب فاذا عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا ظهر عجزه عنه قال في آخر
الامر قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله ثم اذا اراد غاية المبالغة قال قد جوزت لك ان تستعين بكل من تريد
فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال فان لم يستجيبوا
الى معارضته او الى الايمان لكم اي لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم او الجمع للتعظيم رسول الله
فاعلموا انما انزل بعلم الله اي ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الظاهرة والغائبة
ومعنى الامر راجع الى الثبات اي اثبتوا على ما انتم عليه من العلم اليقين بشان القرآن ودوموا على التوحيد الذي
استفدتم من القرآن او دلكم على ذلك عجز آلهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الآية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه
نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذ تبينتم صحة قول محمد وازددتم بصيرة وطمأنينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص
والطاعة وتفسير آخر وهو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله
فاعلموا وفي انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انه منزل من عند الله وان توحيده واجب

ثم رغبهم في اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كان همته مقصورة زينة الحيوة
الدنيا وكان مايلا عن الدين جهلا او عنادا فقال من كان يريد الاخرة الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون
كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنايم وكان يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكروا البعث وقال اخرون هي عامة في الكافر
والمسلم المرايي وقال القاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة
من غير بخس في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا كان يوم القيامة يدعى رجل جامع للقرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه آناء الليل والنهار
فيقول الله كذبت اردت ان يقال فلان قاري وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك فما
ذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان قاري وقد قيل ذلك ذلك
ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك فما ذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت
بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت الجهاد حتى قتلت فيقول
الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جري قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة
اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة روي ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية حتى ظننا انه
هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الايتان ثم بين ان بين طالب الدنيا
وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على
بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم نظيره اذا اتاك العلماء والجهال فاستاذن الجهال للدخول قبل
العلماء فيقول الجهال نحن العلماء كلا وحاشا تريد ان العلماء ينبغي ان يدخلوا اولا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير
افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به ومثله فمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقايما واعلم ان اول هذه الاية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة **الاول** ان هذا الذي
وصفه الله بانه على بينة من هو **والثاني** فالمراد بالبينة **والثالث** معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو **والرابع**
الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي
هو على البينة مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العايد الى البينة
بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القران ومنه اي من الله او من القران لتقدم ذكره في قوله ام يقولون
افتريه ومن قبله كتاب موسى اي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية حال كونه
اماما او اعني اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية
المكتسبة اما ان يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان
الامران واعتضد كل منهما بالاخر كان المطلوب اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية
القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلثة جميعا البينة وهي الدلايل العقلية اليقينية
والشاهد وهو القران المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرايع المتقدمة عليه الصالح لاقتداء الخلف به
وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل افمن كان محمد صلى الله عليه
وسلم او البينة القرآن ويتلوه يقراه شاهد هو جبريل نزل بامر الله وقرا القرآن على محمد او شاهد من محمد هو لسانه
او شاهد هو بعض محمد يعني علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه او يتلوه اي يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي صورته
ومخايله فان من نظر اليه بعقله من تعرض انه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكاين على البينة هم
المؤمنون والبينة القران ويتلوه يعقب القران شاهد من الله هو محمد او الانجيل لانه يعقبه في التصديق
والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله او ذلك الشاهد كون القرآن واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه
لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخرجها الا الذهن السليم ثم مدح الكاين
على البينة بقوله اولئك يؤمنون به اي بالقرآن ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن لحق بهم

معهم كاليهود والنصارى والمجوس والنار موعده فلا تك في مرية في شك من القرآن او من الموعد ولما ابطل بعض عادات
الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحيوة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد وذلك قوله افمن كان على بينة
اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم من انها شفعاؤهم فقال ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يحمل عليهم العرض
لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فايدة الحمل ترجع الى المعطوف اراد انهم يعرضون فيفضحون بقول الاشهاد
ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون عن الاماكن المعدة للحساب والسؤال او المراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء
والمؤمنين او اراد انهم يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة وقال
قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اي الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسألن المرسلين والاشهاد اما جمع شاهد
كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف وقال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القران ويكون
الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفايدة في اعتبار قول
الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية قد تقدم تفسير مثلها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في
الارض اي لم يمكن يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا يتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب
والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرهم ويمنعهم من عقابه جمع تعالى بين ما يرجع
اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل هذا من
كلام الاشهاد والمراد انه تعالى لو شاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتاخيرهم الى هذا اليوم يضاعف
لهم العذاب من قبل الكفر والصد اي الضلال والاضلال وما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من
صم القلوب وعمى البصاير ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك تخليق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن
الوقوف على دلايل العقل ويوافقه ما روي عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان في الدنيا في
ذلك قوله ما كانوا يستطيعون الاية وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد
استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول القايل هذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع
ان ابصره او المراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموه اولياء ليسوا في الحقيقة باولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم
لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا ابو عبيد واعلم
انه سبحانه وصف الكفار في هذه الايات بصفات كثيرة ومن اظلم ممن افترى اولئك يعرضون
اي في موقف الذل والهوان بيان الخزي والفضيحة في قوله ويقول الاشهاد اللعنة عليهم الصد
عن سبيل الله سعيهم في القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا كونهم كافرين بالاخرة
كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا وما كان لهم من دون الله من اولياء مضاعفة العذاب لهم
ما كانوا يستطيعون اولئك الذين خسروا انفسهم وقد تقدم في الانعام
وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة
ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع قاطع انهم في الاخرة هم
الاخسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل
خسارا الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللفظة قوله في وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه
اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها
من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمانانهم وتصديقهم كل ما وعدهم الله به من
الثواب وضده وقيل المراد كونهم خايفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا فهو
اما تشبيهان بان شبههما تارة بالاعمى والبصير والاخرى بالاصم والسميع واما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة
على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصم والمؤمن بالجامع بين البصير والسميع ولا شك ان
الفريق الكافر هو الذي وصفه بالصفات الخمس عشر واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكور

في قوله ان الذين آمنوا ثم انكرنا ويهما في الاحكام والمراتب بقوله هل يستويان مثلا اي تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه
على ان علاج هذا العمى وهذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله وتوفيقه التأويل الر الالف
اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب من لدن حكيم
كقوله وعلمناه من لدنا وراس العلم الذي ان تقول لا اسئلك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم مما صنعتم من عمركم
في غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك ليكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا
حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل
فضله اي يؤت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع
الحسن في مراتب السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير
الا حين يستغشون ثياب الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من جريان النفوس المشوش ومن نقض الحرمان تحت ثياب
القالب وما يعلنون من ثني الصدور انه عليم بذات الصدور من القلوب الظلمانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
لان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاؤه يجب ان يكون ملائما بمزاجه فصلى ذمته كرم الله انه كما خلق اجسادها
على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافق لمزاج كل منها ثم يهديها الى ما هو وفق لها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدرها
مستعدة للصور المختصة بها ومستودعها الذي يؤل اليه عند ظهور ما فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه
محل الابتلاء ومحك السعداء والاشقياء ولئن قلت للاشقياء من نوازع الطبيعة باستعمال الشريعة ومراعاة الطريقة
لتحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية يكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعية ليقولن الذين كفروا ستروا حسن استعدادهم
الفطري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اي كلام مموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم العذاب
البعد الى امة الى حين ظهور ذوق العذاب فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا صدق ولي الله صدق

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم منه نذير مبين
وبحقیقت فرستاده‌ایم نوح را سوی گروه او بدرستی که من مر شما را بیم نماینده‌ام هویدا
الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
که مپرستید مگر خدای را بدرستی که من میترسم بر شما از عذاب روزی دردناک
فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا
پس گفتند اشراف که کافر شدند از گروه او نمی‌بینیم ترا مگر آدمی
مثلنا وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي
مانند ما ونمی‌بینیم ترا که متابعت نمودند ترا مگر آنانکه ایشان زیردستان مااند در ابتدای رای بی‌روم
وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
ونمی‌بینیم مر شما را بر ما هیچ فزونی بلکه گمان می‌بریم شما را دروغ گویان
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة
گفت ای گروه من خبر دهید مرا اگر باشم بر حجتی روشن بیان از پروردگار من وداده باشد مرا بخشایشی

من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون
از نزد خود پس پوشیده می‌باشد بر شما ای الزام کنیم شما را آن هدایه وشما مر آنرا خواهنده نه آید
ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد
وای گروه من نمی‌خواهم شما را برین ارشاد وتعلیم هیچ خواسته نیست مزد من مگر بر خدای ونه‌ام رانندهٔ
الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما
آنانکه ایمان آوردند بدرستی که ایشان رسندگان بثواب پروردگار ولیکن من بینم شما را گروهی که
تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون
نمی‌دانند حق از باطل وای گروه من کدام کس یاری دهد مرا از عذاب خدای اگر رانم ایشانرا ای پس پند نمی‌گیرید
ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
ونمی‌گویم مر شما را نزد منست نگاه داشتهای خدای ونمی‌گویم که می‌دانم علم نهانی را
ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا
ونمی‌گویم مر آنانرا که حقیر میشمرد چشمهای شما هرگز ندهد ایشانرا خدای نیکی
الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد
خدای داناترست بانچه در ضمایر ایشانست بدرستی که من انگاه هر آینه ستمکاران باشم گفتند ای نوح بحقیقت
جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت
خصومت داشتی با ما پس بسیار کردی وانیدی مخاصمه ما را پس بیار با آنچه وعده می‌دهی ما را اگر هستی
من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم
از راست گویان گفت بدرستی که آرد بشما آنرا خدای اگر خواهد ونه آید بشما فوت
بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
شوندگان از عذاب خدای وسود ندارد شما را نصیحت من اگر خواهم که نصیحت گویم شما را
ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون
اگر هست خدای که خواهد که بر گمراهی گذارد شما را او پروردگار شماست وبا حکم او بازگردانیم شما را

ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما

يا مگر مى گويند از خود بديد آورد اين بگو اگر از خود بديد آورده ام آنرا پس بمن است وبال گناه كارى من و من بيزارم از گناه

تجرمون واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن

كارى شما و وحى فرستاده شد سوى نوح كه كار اين است هرگز ايمان نه آرد از قوم تو مگر آنكه بحقيقت ايمان آورده

فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك وكلما

پس اندوه گين مشو بآنچه هستند كه مى كنند و بساز كشتى را و هرگاه كه گذشتى

مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا

براى بر او اشرافى چند از گروه او فسوس داشتندى او را گفت اگر فسوس داريد ما را پس بدرستى كه ما

نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من ياتيه

با فسوس خواهيم شما را چنانچه فسوس مى داريد پس زود بود كه دانيد آنرا كه آيد به او

عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا

عذابى كه فضيحت كند او را و فرود آرد بر او عذابى دايم تا چون آمد فرمان ما بهلاك

وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين و

و بر جوشيد تنور گفتيم بردار در آن كشتى از هر دو صنف حيوان دو عدد و

اهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه الا

و بردار كسان ترا مگر آنكه پيش گرفت بر او در ازل حكم بهلاك او و بردار هر كه ايمان آورد و ايمان نه آورد با او مگر

قليل وقال اركبوا فيها بسم الله

اندكى و گفت نوح بر نشينيد در آن كشتى بنام خداست

مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم

راندن آن و برجاى داشتن آن بدرستى كه پروردگار من آمرزگار است مهربان و آن سفينه مى رفت با ايشان حال آنكه

في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل

در ارتفاع چون ارتفاع و انخفاض كوه ها بود و آواز داد نوح پسر خود و بود در جاى دور از پدر را

يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي

اى پسر با ما و مباش با كافران گفت پسر او زود بود كه جاى گيرم

الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله

با كوهى كه نگاه دارد مرا از آب گفت نوح هيچ نگاه دارنده نيست امروز از فرمان خداى

الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين

مگر آن كس كه بر رحمت سوخت و جداى افگند ميان پدر و پسر ارتفاع آب پس شد پسر او از غرقه كردگان يعنى رحيم خداى او

وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء

و گفته شد اى زمين فرو خور آب ترا و اى آسمان باز ايست از باريدن و كم كرده شد آب

وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم

و گذارده شد كار هلاك و قرار گرفت كشتى بر كوه جودى بقرب شهر موصل و گفته شد دورى هلاك باد مر گروه

الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي

ستمكاران را و خواست كه بخواند نوح پروردگار خود را پس گفت اى پروردگار من بدرستى كه پسر من از كسان منست

وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا

و بدرستى كه وعده تو بخلاص ايشان درست است و تو عادل ترينى حكم كنندگانى گفت اى

نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما

نوح بدرستى كه او نيست از كسان تو اهل من چه او صاحب كردارى است نه شايسته پس مخواه از من آنرا كه

ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين

نيست مر ترا بكنه حقيقت آن هيچ دانش بدرستى كه پند مى دهم ترا كه باشى از اهل جهالت

قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لك به علم

گفت اى پروردگار من بدرستى كه من پناه مى گيرم بتو كه پرسم ترا آنچه نيست مرا به آن دانستن

والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يا نوح

و اگر نيامرزى مرا و رحم نكنى مرا باشم از زيان كاران گفته شد اى نوح

اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم
فرود آی از کشتی در حالت سلامتی از خود و خیرات مترایدی بر تو و بر گروهانی متوالد از آنکه با تواند و از آنان گروهانی
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من
که برخورداری دهیم ایشان را پس رسید بایشان از ما عذابی دردناک آن قصه نوح از
انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت
خبرهای پنهانیست نهانیست وحی فرستادیم آن را بسوی تو و نبودی تو که دانی آن را تو
ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين
و نه گروه تو پیش ازین پس شکیبایی کن بر رسانیدن رسالت بدرستی که عاقبت محموده مر پرهیزگارانراست

القراءة انى لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة الاخرون بفتحها بادئ الراي بالهمز ابو عمرو
ونصير الراي بالياء ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف فعميت مجهولا
مشددا حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون بضدهما انلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس اجري الا بالفتح ابو جعفر ونافع
وابن عامر وابو عمرو وحفص ولكني اريكم بالفتح حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونصحي ان ابو جعفر ونافع وابو عمرو ويا عينا
مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين كان حفص والمفضل مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلي وخلف وحفص مجريها
بالضم والامالة ابو عمرو الباقون بالضم مفخما يا بني بفتح الياء عاصم اركب معنا بالاظهار عاصم وحمزة وعلي انه فعل غير
بالنصب علي وسهل ويعقوب الاخرون عمل غير بالرفع فيهما تسئلن بالنون المشددة المكسورة لادغام النون
المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء في الوصل ابو جعفر ونافع غير
قالون بفتح النون المشددة تسألني بغير نون التاكيد واثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغير ياء
في الحالين اني اعظك اني اعوذ بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو **الوقوف** بين الا الله اليم
الراي كاذبين فعميت عليكم كارهون مالا آمنوا يجهلون طردتهم تذكرون خيرا انفسهم الظالمين الصادقين
بمعجزين ان يغويكم ترجعون افتريه مجرمون يفعلون للآية والعطف ظلموا لاحتمال التعليل مغرقون سخروا
منه تسخرون يعلمون لان ما بعده مفعول مقيم النور لان ما بعده جواب اذا ومن آمن قليل ومرسيها
رحيم الكافرين من الماء رحم لاتفاق الجملتين مع اختلاف القائل مغرقين الظالمين الحاكمين من اهلك علم
الخاسرين معك اليم اليك لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هذا وعلى قوله فاصبر احسن للابتداء بان المتقين
التفسير لما اورد على الكفار انواع الدلايل اكدهما بالقصص على عادته من اليقين في الكلام والتنقل من اسلوب
الى اسلوب في الموعظة فبدا بقصة نوح اني لكم اي ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن
كسر فعلى ارادة القول وان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة
بارسلنا او بنذير ووصف اليوم باليم لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب والجر بالجوار ثم حكى انه
طعن اشراف قومه في نبوته من ثلث جهات انه بشر مثلهم انه لم يتبعه الا الاراذل يعنون
يعنون اصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس والاشراف منهم
والاراذل جمع الارذل وقيل جمع ارذال جمع رذل وهو الدون من كل شي في منظره وحالاته ومعنى بادي الراي اول
الراي وهو نصب على الظرف اي اتبعوك في ابتداء حدوث الراي من غير رويه او معناه ظاهر الراي من قولك

بدا الشي اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها او بروزها للناظر وهذا تفسير من قرا بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك
في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه ويجوز ان يتعلق ببادي
الراي بقوله اراذلنا اي كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يراهم عيانا ويتاكد هذا التاويل بما نقل عن مجاهد انه قرا الا الذين
هم اراذلنا بادي الراي والعين وانما استرذلوا المومنين لاعتقادهم ان المزية بحيازة المال والجاه ولم يعلموا ان ذلك مبعد
من الحق لا مقرب منه وان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الاخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في
النبوة وفي متابعة النبي وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح ولا في قوة
الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح ولمن آمن به واتبعه او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان
ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة
وذلك قوله ارايتم ان كنت على بينة برهان من ربي وآتاني باتيان تلك البينة رحمة وعلى هذا البينة هي
الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس فعميت خفيت او اخفيت البينة او كل من
البينة والرحمة اي صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة توصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار تخيلها
كما ان دليل القوم ان كان بصيرا اهتدوا وان كان اعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال انلزمكموها اي انكرهكم على قبولها
البينة وانتم لها كارهون والمراد انا لا نقدر على ايصال حقية البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد
والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم ذكر انه لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب
كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين آمنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان احببت يا نوح ان نتبعك فاطردهم
فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله ملاقوا ربهم فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما
في قلوبهم من الايمان الصحيح او النفاق بزعمكم او المراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون لقاء ربكم
او انهم خير منكم او قوما تسفهون حيث تسمون المومنين اراذل ثم اكد علم طردهم بقوله وقوله من ينصرني من الله من
يمنعني من عقابه ان طردتهم لان العقل والشرع توافقا على انه لا بد من تعظيم المومن البر المتقي ومن اهانة الكافر
الفاجر فكيف يليق بنبي الله ان يقلب هذه القضية سؤال ان كان طرد المومنين لطلب مرضاة الكفار معصية
فكيف فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهي عنه بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الجواب انه لم يكن
ذلك طردا مطلقا وانما عين لاجلهم اوقاتا مخصوصة ولاشراف قريش اوقاتا اخرى فعوتب على ذلك القدر
احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفاسق اذ لو كانت جايزة لكانت في حق نوح اولى فكيف قال من
يخلصني من عذابه واجيب بانه مخصوص بآيات العفو ثم ذكر انه كما لا يسالهم مالا فانه لا يدعي ان عنده خزاين
الله حتى يجحدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم الغيب حتى اصل به الى ما اريده لنفسي ولاتباعي
واطلع على الضماير ولا اقول اني ملك اتعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع وعدم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء
وقد مر في الانعام ساير ما يتعلق بالآية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وفي
قوله الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق ايضا اني اذا اي ان قلت شيئا
من ذلك كنت من الظالمين لنفسي او ان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع انه لا وقوف لي على باطنهم ثم ان قومه وصفوه
بكثرة الجدال فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني معناه اردت جدالنا وشرعت فيه
فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر لم ترد انه اعطى عطيتين اقل فاكثر بل تريد ان الوصف مقارن للوصف الموصوف
وفي الآية دلالة على ان الجدال في تقرير دلايل التوحيد من داب اكابر الانبياء ثم استعجلوا العذاب الذي كان
يتوعدهم به فاجاب نبي الله بان ذلك ليس الي وانما هو بمشية الله وارادته ولا يعجز عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم
نصحي الى الخ كقول القايل لامراته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار
فاكل الخبز فلهذا قال قال الفقهاء المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالآية ظاهر واجابت المعتزلة بانه لا يلزم من فرض امر وقوعه ولعل نوحا
انما قال ذلك ليبين لهم انه تعالى بنى امر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فايدة وللتثبت الخصم بالجبر

ولزم الحام النبي ومن الجايز ان يراد بالاغواء التعذيب من غوي الفصيل اذا بشم فهلك او يراد به الخيبة كقوله
فسوف يلقون غيا اي خيبة من خير الاخرة او يراد به منع الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدا
فالمعاد بقوله هو ربكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم قولهم ان ما ادعى نوح انه اوحي اليه مفترى فقال ام يقولون
افتريه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلي اجرامي اي عقاب اثمي وهو الافتراء وانا بري مما تجرمون
اي من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الي وههنا اضمار كانه قيل لكني ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا بري منه واكثر
المفسرين على ان هذه الاية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد وقعت في اثناء قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة
محمد وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن يؤمن اقناط له من ايمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل
قوله الا من قد آمن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اي لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد كان وقت
الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستيصال على قوم يعلم ان فيهم من يؤمن او في اولادهم
من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا علل الاهلاك بمجموع
الامرين فدل ذلك على انهما لو لم يحصلا لم يحسن الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خير معلوم بواجب
الوقوع نعم كل ما يقع يجب ان يكون على الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما شاء ثم
عرفه وجه اهلاكهم والحمد وجه خلاص من آمن فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون
روحه عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة
كمن امر ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف ان الامر ظاهر في الوجوب وان قطعنا النظر عن فائدته وغايته
وقوله باعيننا ووحينا في موضع الحال اي ملتبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين
انه لا يمنعه اعداؤه من ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء
فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب
وعنها عن ابن عباس لو يعلم كيف اذكونه مخاطبا من صفات الحي كان كونه مناديا من صفاته ثم قال ماءك باضافة
الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون
ان يقال ليبلع ماؤها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار سبقه الاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل
للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر لمثل ما تقدم في ابلعي من ترشيح استعارة
النداء ثم قال وغيض الماء غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل
فلم يصرح بالفاعل سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا تتاتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره ومثله
في صدر الاية ليستدل من ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض
لانه ينبئ عن الظلم المطلق ومن علة قيامة الطوفان واما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فايدة كل كلمة
منها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا للنداء لانها اكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى
الذي يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا قيل يا ارض بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار
مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس له من شانه التنبه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما بقصد
المطابقة واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجي خط التجانس بينه وبين اقلعي اوفى وقيل ماءك بلفظ المفرد لما في
الجمع من الاستكثار الثابت عند مقام العزة والاقتدار وكذا في افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يلزم
تعميم الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل فيه اقتصر عليه فحذف من اقلعي حذرا من التطويل وانما لم
يقل ابلعي ماءك فبلعت لان عدم تخلف المامور به عن امر الامر المطاع معلوم واختير غيض على غيظ المشدد للاختصار
ومثل هذا عرف الماء والامر دون ان يقال ماء الطوفان وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف العهدي ولم نقل
سويت لتناسب اول القصة ومجيء بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت اخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل
بعدا للقوم دون ان يقال ليبعد القوم من بعد بالفتح بعدا بالكسر اذا هلك للتاكيد مع الاختصار ودلالة لام
الملك على ان البعد حق لهم وقوله القائل بعدا له من المصادر التي لا يستعمل فعلها ثم اطلق الظلم ليتناول ظلم انفسهم

عليهم واما ترتيب الجمل فقدم النداء على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما في نداء الحي وقدم امر الارض لابتداء
الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين نتيجة البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقصود القصة وهو قوله وقضي
الامر اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودي وكان
جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة الحيز الماء ثم ختمت القصة بما ختمت من التعريض
قيل كيف يليق بحكمة الله تغريق الاطفال بسبب جرم الكفار واجيب على اصول الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وعلى
اصول المعتزلة بانه يعوض الاطفال والحيوانات كما في ذبحها واستعمالها في الاعمال الشاقة وقد روى جمع من المفسرين
انه سبحانه اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ اربعين وهذا مع تكلفه لا يمشي في الجواب عن
اهلاك ساير الحيوانات والظاهر ان القايل في قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الاية ويحتمل ان يكون
القايل نوحا واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهايل بسبب اجتماع قوم من الظلمة انه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار
مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر اليق واما النظر في الاية من جهة الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني
لطيف وتادية للمراد بابلغ وجه واتمه واما من جهة الفصاحة اللفظية فهي انها في الحلاوة وكالنسيم في الرقة
عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات ولعل ما تركنا من لطايف هذه الاية بل كل آية اكثر مما نذكر والله تعالى اعلم
بمراده من كلامه ونادى نوح ربه اي اراد ان يدعوه فقال رب ان ابني من اهلي بعض اهلي سواء كان من صلبه او ربيبا
له وان وعدك اي كل ما تعد به الحق الثابت الذي لا شك في انجازه وقد وعدتني ان تنجي اهلي وانت احكم الحاكمين اعلمهم
واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون الحاكم بمعنى ذي الحكمة كدارع قال يا نوح انه ليس
من اهلك اي من اهل دينك او من اهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بان العبرة بقرابة الدين والعمل
الصالح لا بقرابة النسب فقال انه عمل غير صالح من قرا على لفظ الفعل فمعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك و
التكذيب ومن قرا على لفظ الاسم طلبا للمبالغة فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفي قوله غير صالح دون ان
يقول فاسد تعريض بل تصريح بانه انما انجاه من انجا بالصلاح ويحتمل على هذه القراءة ان يعود الضمير في انه الى سؤال
نوح اي ان نداءك هذا المتضمن بسؤال انجاء ابنك عمل غير صالح وقيل المراد ان هذا الابن ولد زنى وقد عرفت
سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال ووبخه عليه بقوله فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
قال المحققون الظاهر ان ابنه كان منافقا فلذلك اشتبه امره على نوح وحمله شفقة الابوة ولا علم عوده الى ركوب
السفينة فلما حال بينهما الموج لجا الى الله في خلاصه عن الغرق فعوتب على ذلك لانه لما وعد الله انجاء اهله واستثنى
منهم من سبق عليه القول كان عليه ان يتوكل على الله حق توكله ويعلم ان كل من كان من اهله مؤمنا فانه مخلص من الغرق
لا محالة ولما لم يصبر الى تبين الحال توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع قائلا الى الله قائلا
رب اني اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل من الزمان ما ليس لي به علم تادبا بادابك وانما بعظتك والا تغفر لي
ما فرط مني من الخطاء في باب الاجتهاد او من تلك الصبر على ما يجب عليه الصبر وهذا التضرع مثل تضرع اليه ابينا
آدم في قوله ربنا ظلمنا الاية فلذلك عفي عنه وقيل يا نوح اهبط اي من السفينة بعد استوائها على الجبل
وانزل من الجبل الى الفضاء ملتبسا بسلام منا بسلامة من التهديد والوعيد من جميع الافات والمخافات لانه
لما خرج من السفينة كان خايفا من عدم الماكول والملبوس وما يوجهات الحاجات لانه لم يبق في الارض شي
يمكن ان ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل اي مسلما عليك مكرما والبركات الخيرات النامية الثابتة
وفيه وفاق في هذا المقام بانه وعد له بان جميع اهل الارض من الاشخاص الانسانية يكون من نسله اما لانه لم يكن
في السفينة الا من هو ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من اهله وبقي النسل والتوالد في
ذريته دليله قوله سبحانه وجعلنا ذريته هم الباقين فنوح آدم الاصغر وقيل لما وعد السلامة من الآفات وعده
ان موجبات السلامة والراحة يكون في التزايد والثبات لا عليك وحدك بل وعلى امم ممن معك ان كان من للبيان
فالمراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او هم اصل الامم التي انشعبت منهم وان كان لابتداء
الغاية فالمعنى على امم ناشئة ممن معك الى اخر الدهر هذا شان الامة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة المتولدة فقال

وام وهو رفع علي الابتدا والخبر محذوف اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم في الاخرة منا عذاب اليم عن ابن
زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود و
صالح ولوط وشعيب تلك اشارة الي قصة نوح وهو مبتداء والجمل بعدها اخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول
القائل لا تعرف هذه المسئلة انت ولا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فجملها اشهر من ان يخفي ومعني من قبل هذا
اي من قبل هذا الايحاء او العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعيدت في هذه السورة
تثبيتا للنبي صلي الله عليه وسلم علي ايذاء قومه ولذلك ختمت بقوله فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة الحميدة للمتقين
التاويل ما نريك الا بشرا مثلنا اي مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه ان النفس بنظرها السفلي يري الروح العلوي سفليا
فلهذا ينظر الي النبي ولا يري نبوته بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا بادي الراي والان ذل لهن
اتباع الروح البدن وجوارحه الظاهرة فان الغالب علي الخلق ان البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالاعمال
الشرعية ولكن النفس الامارة يكون علي كفرها ولا يخلي البدن ان يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد
ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لاكثر الخلق وما انا بطارد الذين امنوا من طبع القران يتاذي من استعمال البدن
وجوارحه في التكاليف الشرعية فيقول للروح ان ترد ان او من بك واتخلق باخلاقك فامنع البدن وجوارحه من التكاليف
من ينصرني من الله من يمنعني من قهره ان منعت البدن من الطاعة فان النفس علي تجرد ايمان النفس وتخلقها باخلاق الروح
كما هو معتقد اهل الفلسفة والاباحة يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن والتخلق بالاخلاق
الحميدة افلا تذكرون ان جمعية الباطن ونحوه من نتائج استعمال الشرع في الظاهر فالنور في الشرع والظلمة في الطبع وانما
بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من ظلمات الطبع الي نور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا اي استعدادا لتحصيل الدرجات العلوية
وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما في كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال وانا بريء مما تجرمون من التكذيب
وفيه ان ذنوب النفس لا يتاثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبريا من ذنوب النفس متاسفا علي معاملات
النفس ويتبع هواها واوحي الي نوح الروح انه لن يؤمن من قومك وهم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها و
البدن وجوارحه الا من قد امن من خواص العباد وهم القلب وصفاتها والسر وصفات النفس والبدن وجوارحه
واما النفس فانها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوس الانبياء وخواص الاولياء فانها تسلم احيانا دون الايمان فلا تبتئس بما
كانوا يعملون لا عمال الشر لنفوس السعداء كالجسد للاكسير ينقلب ذهبا مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك ينقلب
اعمال الشر خيرا عند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس علي نفوس الاشقياء
لان اعمالها حجة الله علي شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون في النار علي وجوههم واصنع الفلك اتخذ يا نوح
الروح سفينة الشريعة بنظرنا لا بنظرك فان نظرك تبع الحواس بصر ظاهرها وتغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين
ظلموا فان الظلم من شيم النفوس انهم مغرقون في بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليه ملاء هم النفس وهواها وصفاتها
يسخرون من استعمال اركان الشريعة اذ لم يفهموا حقايقها حتي اذا جاء امرنا وهو حد البلوغ والركوب في سفينة الشريعة
وفار ماء الشهوة من تنور القالب قلنا احمل في سفينة الشريعة من كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة
والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء والغضب وزوجها العلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة
مع المحبة والكبر مع التواضع والتاني مع العجلة واهلك وهم صفات الروح الا النفس ومن امن وهم القلب والسر
في قوله وقال اركبوا فيها بسم الله اشارة الي من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الاباء والمعلمين لم يحصل له
النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع في سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بامر الله ذكر مجريها من الله ومرسيها الي الله
كقوله وان الي ربك المنتهي في موج من الفتن كالجبال ونادي نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين
القالب وكان في معزل من معرفة الله وطلبه ساوي الي جبل العقل يعصمني من الفتن لا عاصم اليوم اي اذا
تبع ماء الشهوات من ارض البشرية وترل ماء ملاذ الدنيا وزينتها من سماء القضاء فلا يخلص منه الا من رحم الله
بالاعتصام بسفينة الشريعة ابلعي ماء شهواتك اقلعي عن انزال مطر الافات وغيض ماء الفتن ببركة الشرع وقضي ما
كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة علي الجودي وهو مقام التمكين بعد مقاما

اللوين وان وعدك الحق ما وعد نوح الروح عند اهباطه الي عالم السفلي من الرجوع الي العالم العلوي انه ليس من اهلك
وكان للروح اربعة بنين ثلثة من المؤمنين وهم العقل والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فنفي عن النفس اهلية
الدين والملة لانها خلقت للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد والخلاص من طوفان الفتن
وامم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ثم يمسهم في الاخرة عذاب البعد عن المالوفات فاصبر
علي تربية الروح والنفس ان العاقبة لمن استغني طوفان فتن الدنيا والنفس والهوي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

و فرستاديم سوي قبيلهٔ عاد يكي از ايشان هود نام كفت اي كروه من پرستيد خدا را نيست مر شما را

مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ

هيچ خدا اي جز او نه ايد شما در دعوي جستن (عبادت اصنام) مگر دروغ گويان اي كروه من نمي خواهم از شما

عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

هيچ مزدي بر ادعيت نبوت مگر بر آنكه آفريد مرا

أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا

اي پس در نمي يابيد واي كروه من آمرزش خواهيد از پروردگار شما پس بازگرديد با طاعت

إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى

او تا فرستد ابر را بر شما حال آنكه ريزان بود و فزون گرداند شما را قوتي با

قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا

قوت شما و اعراض مكنيد حال آنكه گناه كار باشيد گفتند اي هود نياوردي بما

بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ

هيچ معجزه و نه ايم گذارندهٔ عبادت خدايان ما از براي گفتار تو و نه ايم ما ترا باور دارندگان

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ

نمي گويم مگر رسانيد بتو بعض خدايان ما بدي را گفت بدرستي كه من گواه ميگيرم

اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي

خدا را و گواه باشيد شما نيز كه من بيزارم از شرك شركاء ما از غير خداي انديس حيله كنيد با من

جميعاً ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما
همه پس مهلت مدهید مرا که بدرستی که من اعتماد نمودم بر فضل خدا که پروردگار من و پروردگار شما است هیچ
من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم
جنبنده نیست مگر که او گیرنده موی پیشانی است یعنی مالک بدرستی که پروردگار من بر جاده عدالت است
فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
پس اگر اعراض کنید پس بتحقیق رسانیدم بشما آنرا که فرستاده شده ام بتبلیغ سوی شما و ساکن گرداند بجای
ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء
پروردگار من گروهی را جز شما و گزند نتوانید رسانید هیچ گزندی بدرستی که پروردگار من بر همه چیزی
حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه
نگهدارست و آنگه که آمد فرمان ما باهلاک خلاص دادیم هود را و آنانرا که ایمان آوردند با و
برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد
بسبب بخشایشی از ما و رهانیدیم ایشانرا از عذاب سخت و آن آثار که مشاهده میکنید در دیار ایشان
جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل
قوم عادست که انکار بمعجزات پروردگار ایشان را و نافرمانی نمودند پیغمبران او را و متابعت نمودند فرمان هر گردن
جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
کشی ستیهنده را و از پی درآوردن ایشانرا درین جهان نفرین و در روز قیامت عذاب
الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود
بدان بدرستی که قبیله عاد کافر شدند پروردگار ایشانرا بدانکه دوری و هلاک باد مر قبیله را که امت هود بودند
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
و فرستادیم سوی ثمود یکی از ایشانرا صالح نام گفت ای گروه من بپرستید خدا را نیست شما را
من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم
هیچ خدای جز او او آفرید شما را از زمین و عمارت فرمود شما را
فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب
در آن پس آمرزش خواهید ازو پس بازگردید باطاعت او بدرستی که پروردگار من نزدیکست بشنیدن اجابت نمایندهٔ بیان

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان
گفتند ای صالح بتحقیق بودی تو در میان ما امیدداشته بخیر و صلاح پیش ازین ای باز میداری ما را
نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا
که بپرستیم آنچه می پرستند پدران ما و بدرستی که ترا هر آینه در گمانیم از آنچه میخوانی ما را
اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
سوی آن نیک گمان گفت ای گروه من خبر دهید مرا اگر باشم بر معجزهٔ ظاهره
من ربي وآتيني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته
از پروردگار و داده باشد مرا از فضل خود بخشایشی پس کدام کس یاری دهد با ما از عذاب خدا اگر نافرمانی نمایم او را
فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية
پس فزون نگردانید مرا جز بسته کردن من شما را بخسران و ای گروه من این شتر ماده بدید برای شما حال آنکه آورده خدا است معجزه
فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
پس بگذارید او را تا چرا کند در زمین خدای و مرسانید باو هیچ بدی که فرا گیرد شما را
عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة
عذاب نزدیک پس کشتند او را پس گفت صالح بزیید در شهر شما سه روز
ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا
روز آن وقوع عذاب وعده ایست نه دروغ گفته در آن پس آنگه که آمد فرمان باهلاک رهانیدیم
صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
صالح را و آنانکه ایمان آورده بودند با و بسبب بخشایشی از فضل ما از فضیحت آن روز بدرستی که
ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا
پروردگار تو او توانا است غالب و قاهر و گرفت آنانکه ستم کردند
الصيحة فاصبحوا في دارهم جاثمين كان لم يغنوا
آواز هایل پس گشتند در خانها ایشان برانو درآمده گوئیا هیچ گوهی اقامت نکرده بودند
فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود
در آن دیار بدان بدرستی که ثمود کافر شدند به پروردگار ایشان بدان دوری و هلاک باد مر ثمود را

القراءات: ظرين بفتح الياء ابو جعفر ونافع والبزي غير الخزاعي اني اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزي وابن فليح ويستخلف بالجزم الخزاز عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلي والشموني والبرجمي وعباس الاخرون بالجر الا ان ثمود غير مصروف والوقف بغير الف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود بالتنوين في الوصل علي

الوقوف: هودا غيره مفترون اجرا فطرني تعقلون مجرمين بمؤمنين بسوء تشركون لا تنظرون وربكم بناصيتها مستقيم بما اليكم للاستيناف الا لمن قرا ويستخلف بالجزم غيركم لاحتمال ما بعده الاستيناف او الحال شيئا حفيظ شالحق المحذوف اي وقد نجيناهم غليظ عنيد ويوم القيامة ربهم هود صالحا لما مر في الاعراف غيره اليه مجيب مريب تخسير قريب ايام مكذوب يومئذ العزيز جاثمين لكاف التشبيه فيها ربهم لثمود

التفسير: تقدم في الاعراف تفسير قوله والي عاد الاية ومعني قوله ان انتم الا مفترون انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام يحسن عبادتها مع انها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قوم نوح يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع افلا تعقلون ان نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون من التهمة في شي قيل انما قال في قصة نوح مالا ودون اجرا لذكر الخزاين بعده فلفظ المال بها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف او البدل دون العطف ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه تقدم مثله في اول السورة وقال الاصم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم من شرككم ثم اعزموا علي ان لا تعودوا الي مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا علي جمع الاموال من وجوه العمارة والزراعة مفتخرين بما اوتوا من البطش والقوة فقدمهم في باب البهم الدعوة الي الدين والترغيب فيه ما كانت همتهم معقودة به ليحصل في ضمنه الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات الاخروية وكانه انما خص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة في المال وقيل في النكاح وروي انه حبس عنهم القطر بشوم التكذيب ثلث سنين واعقم نساؤهم فوعدهم انهم ان آمنوا احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمدرار الكثير الدر كما مر في الانعام عن الحسن بن علي انه وفد علي معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتي انه ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معويه فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخري فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الي قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين علي الاجرام والآثام فجحدوا هودا وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلي الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه ولم يشتهر منه معجز ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة مع اولئك الاقوام من غير مبالاة وتوان اية من الايات وقوله عن قولك حال من الضمير كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا نصدق مثلنا مثلك ابدا ثم زعموا ان بعض الهتهم اعتراه بسوء اي غشاه واورثه الخبل والجنون لانه كان يسبها فنهم وذلك قولهم ان نقول الا اعتريك والاعتراء ما نقول شيئا الا هذا القول فمن ثم تكلم بكلام المجانين والمراد ان الاصنام كافاته علي سوء فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده فتبرا منهم ومن شركهم فاشهد الله وذلك اشهاد صحيح واشهدهم ايضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن يوي تطعه بالكلية اشهد علي اني لا احبك تهكما به وقدم من قوله فكيدوني وفي الاية في اخر سورة الاعراف وقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا اذا اسروا الاسير فارادوا الاطلاق والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة للقهر قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته علي انه لا مالك الا هو وقوله ان ربي علي صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه معني ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفي عليه شي ولا يفوته هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القايل ان اكرمتني الان فقد اكرمتك فيما مضي والمراد فان تولوا فانا غير معاتب ولا مقصر لاني قد قضيت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الي عذاب الاستيصال وانه خالق بعدهم من هو اطوع منهم وانه لا ينقص من ملكه شيئا ان ربي علي كل شي حفيظ يحفظ اعمال العباد حتي يجازيهم عليها

او يحفظني من شركم وكيدكم ويحفظني من الهلاك والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة الاف برحمة منا اي بفضل وامتنان ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق النجاة ولا نؤقتها علي معني وكانت تلك النجية من عذاب غليظ سموم تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالثانية النجاة من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا الي قبورهم وآثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم مجملة فقال جحدوا بآيات ربهم فلم يستدلوا بالمعجزات الي صدق الانبياء ولم يتفكروا من الممكنات الي وجود الواجب الذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هودا وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لا نفرق بين احد من رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد اطاعوا رؤساءهم وكبراءهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير الا والنداء علي كفرهم والدعاء عليهم بالبعد بعد هلاكهم دلالة علي تفظيع شانهم وانهم كانوا مستاهلين للدعاء عليهم بالهلاك وقوله قوم هود عطف بيان لعاد اما للتاكيد ومزيد التقرير واما لان عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخري ارم قوله في قصة ثمود هو انشاكم الضمير للحصر اي لم ينشئكم الا هو ومعني الانشاء من الارض ان الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الي النبات ثم الي الارض وقيل ان من بمعني في واستعمركم من العمارة اي جعلكم عمار الارض وامركم بالعمارة فمنها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من الظلم فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحي اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وقيل من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقيل من العمري ومعناه اعمركم الله فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم او جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا اورث داره من بعده فكانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعني كونه تعالي قريبا قد مر في قوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا عن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك علي جميعنا وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح وكمال العقل واصابة الراي وقيل كنت تعطف علي فقرائنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فظننا انك من الانصار والاحباب واهل الموافقة في الدين فكيف اظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا الي هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الاباء ثم صرحوا بالتوقف والريب في امره ومريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازي واعلم ان قوله وانا لفي شك بنون الوقاية ههنا علي الاصل واما في سورة ابرهيم فانما قال وانا بحذف نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا علي الجمع فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم صالح بقوله ان كنت علي بينة الاية وبناه علي الفرض والتقدير لاجل خطاب المخالف علي هذا الوجه اقرب الي القبول كانه قال قدروا اني علي بينة من ربي واني نبي علي الحقيقة فمن ينصرني من عذاب الله ان عصيته في اوامره فما تزيدونني غير تخسير اي علي هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها او فيما تزيدني باتباعكم وما تدعونني عليه الا ان انسبكم الي الخسران واقول انكم خاسرون والمعني الاول اقرب لانه كالدلالة علي ان متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين ويا قوم هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعني عذاب قريب عاجل لا يستاخر الا ثلثة ايام وعد غير مكذوب من باب الاتساع اي غير مكذوب فيه فحذف الحرف واجري الضمير مجري المفعول به او من باب المجاز كان الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو لمكان التعقيب ههنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله اليس الصبح بقريب واما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في قصة شعيب سوف تعلمون من ياتيه عذاب بحرف التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعني في ساير المواضع كما في سورة يوسف قال ولما جهزهم بالواو لان التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لمكان التعقيب والله اعلم وقوله ومن خزي يومئذ معطوف علي محذوف والتقدير نجينا صالحا ومن معه من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم او متعلق بمعطوف محذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ والمعني كما قلنا هناك والقراءتان في يومئذ لان الظرف المضاف الي اذ يجوز بناؤه علي الفتح والتنوين في اذ عوض من المضاف

اليه اعني الجملة والتقدير اذ كان كذا وكسر الذال للساكنين ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب فمن تقديرته
ميز المومن من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل واما الاحداثها
في سحاب مع برق شديد محرق وانما يصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد في الهواء يوجب تاذي صماخ الانسان و
قد يتمزق غشاء الدماغ بذلك والاعراض النفسانية ايضا اذا قويت اوجبت الموت و تمام القصة مذكور في سورة الاعراف
وقوله الا ان ثمودا الى اخره شبيه بما مر في قصة هود عليه السلام والتاويل كما مر في سورة الاعراف والله اعلم

ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما

وبحقيقت آمدند فرستادگان ما بابراهيم با مژدگانی دادن گفتند سلام کردیم سلام

قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم

گفت سلام بر شما پس درنگ نکرد که آورد گوساله بریان در ان پس آنگاه که دید دستهای ایشان را

لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف

که نمی رسد سوی آن عجل ناشناخت شمرد ایشان را و فرا دل آورد از ایشان ترسی گفتند مترس

انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها

بدرستی که ما فرستاده شدیم سوی گروه لوط و زن او استاده بود پس خندید از فرح بزوال پلیدی پس مژده دادیم آن زن را

باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى االد وانا

بوجود اسحق و پس از اسحق بخشیدیم او را یعقوب گفت ای وای من آیا فرزند آرم و حال آنکه من

عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين

پیرم و این شوی من است پیر بدرستی که این کار هرآینه چیزی شگفت است گفتند ای شگفت میداری

من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت

از کار خدای نبوت از خدای و توفیق خیرات او بر شما است ای جماعت اهل خانه

انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى

بدرستی که او ستوده بزرگوار است پس آنگاه که زایل شد از ابراهیم ترس و آمد با او مژده بحصول ولد

يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب يا ابرهيم

سؤال و جواب کرد با ما در باب هلاک قوم لوط بدرستی که ابراهیم هرآینه بردبار است ای ابراهیم

اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب

اعراض کن ازین جدال که بدرستی که کار آنکه آمد فرمان پروردگار تو و ایشان آینده است بایشان عذابی که

غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم

برگردانیده نیست و چون آمدند فرستادگان ما بلوط اندوهگین شد بسبب آمدن ایشان

ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه

بوسع طاقت گفت این روز سخت است و آمدند با او گروه او و قال آنکه شتابنده بودند سوی او

ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم

و از ان پیش بودند میکردند بدیها را گفت ای گروه من

هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون

اینها دختران منند ایشان بعد از تزویج پاکیزه تر برای شما پس بترسید از خدای و فضیحت مکردانید مرا

في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت

در باب مهمانان من آیا نیست از شما مردی راه یافته حق گفتند هرآینه دانسته

ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان

که نیست ما را در دختران تو هیچ رغبتی و بدرستی که تو هرآینه میدانی آنچه ما میخواهیم گفت کاشکی

لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد قالوا يا

بدرستی مرا بدفع شما طاقتی یا پناه بردمی تا جای استوار با جمع معاون گفتند ای

لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك

لوط بدرستی که ما فرستادگان پروردگار توییم هرگز نرسند گروه تو بتو پس ببر کسان ترا

بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك

بپاره از شب مانده و باید که باز ننگرد از شما هیچ یکی مگر زن تو

انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب

چه بدرستی که آنکه رسنده او آنچه رسنده باشد بایشان بدرستی که وقت وعده ایشان صبح است آیا نیست صبح نزدیک

فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها

پس آنگاه که آمد فرمان ما گردانیدیم برزان بر زیر آن و بارانیدیم بر ان دیار

حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من

سنگها از سنگ گل برهم نهاده نشان کرده برای نزد پروردگار تو و نیست آن سنگ از

الظالمين ببعيد

ستمکاران مکه دور

سلم بكسر السين بلا الف فيها حمزة وعلي ويعقوب بالنصب
ابن عامر وحمزة وحفص والاخرون بالرفع شيء به وبابهم كفر فيجعلوه

ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس والاخرون ثني مثل قيل تخزون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبود
من قنبل ووافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو فاشر وبابه بهمزة الوصل ابو
جعفر ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلي وحمزة في الوقف ان شاء لين الهمزة الا امراتك بالرفع ابن كثير وابو عمرو
الباقون بالنصب **الوقوف** سلاما حينئذ خيفة قوم لوط باسحق لمن قرا يعقوب شيخا عجيب اهل البيت مجيد
قوم لوط منيب عن هذا لاحتمال التعليل امر ربك للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود عصيب اليه للعطف
ولاختلاف النظم السيئات ضيفي رشيد من حق لما نريد شديد الا امراتك اصابهم الصبح
بقريب منضود لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ببعيد **التفسير** الرسل ههنا الملائكة واجمعوا على ان
الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا في احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك كانوا تسعة
وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل هم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف
ابرهيم وفي الذاريات هل اتيك حديث ضيف ابرهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط و
معنى سلاما سلمنا عليك سلاما ومعنى سلام امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب
يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء ان سلام ابرهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها ووقع سلام مبتدا مع كونه نكرة لتخصصه بالاضافة الى المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل
الى الرفع لافادة الثبات ومن قرا سلم فمعناه السلام ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال
ابو علي الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا امكث ابرهيم خمس عشرة ليلة لا ياتيه ضيف فاهتم لذلك
فجاءته الملائكة فراى اضيافا لم ير مثلهم فما لبث ان جاء اي فما لبث في ان جاء بل عجل وما لبث مجيئه بعجل هو ولد
البقرة حنيذ مشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ
وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما كقوله تعالى بعجل سمين يقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا
فلما راى ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اي انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما
كان يعرف انهم ملائكة وكان من عادة العرب انه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه و
الشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا من الاكل خاف ان يريدوا به شرا وقيل
انه كان يعرف انهم ملائكة الله لقولهم له لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملائكة بل ذكروا
سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال
الاول وهو انه كان لا يعرف انهم ملائكة اقرب بدليل احضار الطعام واستدلاله بترك اكلهم على وقوع الشر منهم
وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا لدلالة الارسال على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوا على صورة الاضياف
ليكونوا على صفة يحبها لانه كان مشغوفا بالضيافة ولم عرف الملائكة خوفه قيل بالتغير في وجهه او بتعريف
الله وعلموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته هي سارة بنت هاران
بن ناحور وهي بنت عم ابرهيم قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهو قعود فضحكت
قال العلماء لا بد للضحك من سبب فقال سببه السرور بزوال الخيفة وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن
السدي ان ابرهيم قال لهم الا تاكلون قالوا لا ناكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله
وتحمدوه في اخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امراته فرحا بهذا
الكلام وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم ان ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت
بما فهمت من قولهم لتوافقها فضحكت وقيل طلب ابرهيم صلوات الرحمن عليه منهم معجزة دالة على انهم من الملائكة فدعوا
ربهم باحياء العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سارة من ظرفته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم
غافلون وقيل تعجبت من خوف ابرهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتاخير
اي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد وعكرمة ضحكت اي حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني
استعدادها لتلوق الولد ومن قرا يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف اي يعقوب مولود او موجود من بعد

اسحق

اسحق يعقوب الاول من المحتمل ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اي وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل
الوراء ولد الولد ووجهه ان يراد بيعقوب اولاده كما يقال هاشم ويراد اولاده يا ويلتى كلمة تلهف وقد مرت في
المائدة في يا ويلتى اعجزت وشيخا نصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى التنبيه او الاشارة هذا يعني ان يولد ولد
بين هرمين لشيء عجيب عادة قالت الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمت الله وبركاته عليكم
يا اهل بيت خليل الرحمن والمقصود ان رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخرق العادات في اهل بيت
النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من
بني اسرائيل منهم وكلهم ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجب بقولهم انه حميد محمود في افعاله مجيد ذو الكرم الكامل فلا
يليق به منع الطالب عن مطلوبه فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذي لحقه حين نكر اضيافه وجاءته البشرى
البشارة بحصول الولد يجادلنا في قوم لوط في معناهم وفي شانهم وهو جواب لما على حكاية الحال ولان لما ترد
المضارع الى الماضي عكس ويحتمل ان يكون جواب لما محذوف فادل عليه يجادلنا اي اجترا على خطابنا او قال كذا ثم
ابتداء فقال يجادلنا وقيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اي يجادل رسلنا لا بمعنى مخالفة امر الله
فان ذلك يكون معصية بل سعيا في تاخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم يروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة
قالوا لا قال فان كان رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه و
اهله قال الاصوليون ان ابرهيم كان يقول ان امر اقصد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة
تدعون الفور اما للقراين او لان مطلق الامر يستدعي ذلك فهذه هي المجادلة او لعل ابرهيم كان يدعي ان الامر مشروط
بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب
القدح في واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول في الامور اواه كثير التاوه من
الذنوب منيب راجع الى الله في كل ما يسخ له وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى
حملته على الجدال لعله فيهم رجاء ان يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة ان العذاب قد حق عليهم قالوا يا ابرهيم
اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم اتيهم لا حق بهم عذاب غير مردود فلا راد لقضائه
فلا ينفع فيهم جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيء بهم اصله سوي لانه من ساء يسوءه نقيض سره
بنى نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت العين ياء ومن قرا سيء بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو
والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة واصله ان البعير يذرع بيده في سيره على قدر سعة
خطوة فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة وربما
قالوا اضيقت بالامر ذراعا وقال هذا يوم عصيب اي شديد من العصب الشديد كانه اريد اشتدادا ومانيد من
الامر وعن ابن عباس انطلقوا من عند ابرهيم الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب
مرد من بني ادم في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله فساء مجيئهم واغتم لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه
وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه ما كان يجد ما ينفق
عليهم وقيل السبب ان قومه منعوه من ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه فرق
قلبه على قومه والصحيح هو الاول يروى انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما
مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية
في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها فذلك
قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهري الاهراع الاسراع
واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى
اهرعه خوفه اي حرصه ثم بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش
فمرنوا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم في ذلك العمل قبل ذلك فاراد

ان تقي اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتي عن قتادة بناته من صلبه لايكنهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم
في ذلك العمل قبل ذلك فاراد ان يقي اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتي عن قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد وسعيد بن
جبير اراد نساء امته لان النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات الحقيقيات على الفجار لايليق
بذوي المروات ولان اللواتي من صلبه لايكفي للجمع العظيم ولما روي انه لم يكن الا بنتان واقل الجمع ثلثة والقائلون
بالقول الاول قالوا انه ما دعا القوم الى الزنى بهن وانما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان او مع الكفر ولعل
تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما في اول الاسلام زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة
بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع بن عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله صلى الله عليه وسلم ولا تنكحوا المشركين حتى
يؤمنوا وقيل كان لهما سيدان مطاعان فاراد بهما ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن اكثر
من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرضت البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعهم فيها ان يستحيوا منه ويرقوا له واطهر
بمعنى الطاهر لانه لا طهارة في نكاح الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون لا تفضحون من الخزي او لا تخجلوني
من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق اضيافي فخزي الضيف والجار يورث للمضيف العار والشنار والضيف يستوي
فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا اليس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مهتد يمتنع او يمنع عن مثل هذا العمل
القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكانه حصل له فيه نوع حق ولهذا
قالوا وانك لتعلم ما نريد ويجوز ان يراد انهن لسن لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع او يراد
انك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لو ان لي بكم قوة وجوابه
محذوف اي لفعلت بكم وصنعت وبالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة
من الدفع والمنع والمراد او ان لي ما اتقوى به عليكم فسمي موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة
او اوي انضم الى ركن شديد حام منيع يشبه الركن من الجبل في شدته وقوله او اوي عطف على الفعل المقدر بعد لو
والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه او بمعاونة غيره قال ذلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة
وقد رقت عليه وحزنت له ان ركنك الشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن
شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة وقومه ويحتمل ان يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيامن
من شرهم ويحتمل انه لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم
استدرك وقال بل الاولى الاوي الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روي انه اغلق بابه لما جاؤا
فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه جملة
موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فقالت الملائكة افتح الباب فدخلوا
فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه
ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط سحرة ثم بين
نزول العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من السري
او زائدة ان كانت للقطع من الاسراء بقطع من الليل عن ابن عباس اي في آخر الليل بسحر قال قتادة بعد طائفة
من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر الى ما وراءه الا امراتك اكثر
القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير الافصح كما جاء
جار الله بان الرفع بدل من احد على القياس والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء
من اسر يقتضي كونها غير مسري بها والاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسري بها لان الالتفات بعد الاسراء
فتكون مسري بها غير مسري بها ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في الظاهر الا انه في المعنى مقيد بعدم الالتفات
اذ المراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امراتك فانك تسري بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا
ان شئت من لا يلتفت ولا يناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الا امراتك فانك فتسري بها اسراء مع الالتفات فاستثن
بكلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال انما اجمعوا

على النصب ليكون استثناء من اسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان يكون مامورة بالالتفات لان القائل اذا قال
لا يقم منكم الا زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امراتك
يلتفت فيصيبها ما اصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها معصية قال في الكشاف وروي انه امر ان يخلفها
مع قومها فلم يسر بها ولاختلاف الروايتين لاختلاف القراءتين اقول في هذا الكلام خلل لان الروايتين لا يمكن اجتماعهما
على الصحة والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها وروي انها لما سمعت هدة العذاب اي صوته التفتت
وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة
فعلى هذا يصح الاستثناء من غير مشابهة التناقض كان امر لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المراة فانها هالكة من الهالكين
ثم امر ان يقطعوا العلائق واخبر ان امراته تبقى متعلقة القلب بها روي انه قال لهم متى موعد هلاكهم فقالوا له ان
موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جعل رسلنا عاليها
سافلها روي ان جبريل ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء
نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك لم تتبدد لهم طعام ولم ينكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضرب بها على الارض
ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل
اي مثل السجل وهي الدلو العظيمة ومثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل
اي مما كتب الله ان يعذب به او كتب عليه اسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته
اذا ارسلته وقيل من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم سماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق
بعض في النزول ياتي على سجيل التتابعة والتلاصق او نضد في السماء نضد اعد للاهلاك الظلمة وهي في السماء
معادنها في جبال مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد مسومة معلمة للعذاب او ببياض وحمرة وعن الحسن والسدي
عليها امثال الخواتم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من رمي به
وقال ابو صالح رايت منها عند ام هاني حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في
شيء منها الا هو مقدر في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين اي من كل ظالم
ببعيد وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك
يا من ظالم الا وهو بصدد سقوط الحجر عليه ساعة فساعة وقيل اي تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمي مكة يمرون بها
في مسايرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في السماء الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه

والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
و فرستاديم سوی قبیلهٔ مدین یکی از ایشان را شعیب نام گفت گروه من پرستید خدای را نیست شما را
من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم
هیچ خدایی جز او و کم مکنید پیمانه را و ترازو را بدرستی که من می بینم
بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا
با مال و ثروت و بدرستی که من میترسم بر شما از عذاب روزی هلاک کننده و ای گروه من تمام کنید
المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم
پیمانه را و ترازو را براستی و نقصان مکنید برای مردمان چیزهای ایشان
ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم
و تباهی مکنید در زمین تباهی کردن آنچه الله باقی گذاشت بهتر است مر شما را
خدای برای شما بعد از تمامی کیل و وزن

ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب

اگر هستيد از اهل ايمان و نيم من بر شما نگه دارنده اعمال گفتند اى شعيب

اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في

اى نماز تو يعنى دين تو ميفرمايد ترا كه ترك كنيم آنرا كه مى پرستيدند پدران ما و يا ترك كنيم آنكه تصرف كنيم در

اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم

مالهاى ما آنچه خواستيم بدرستى كه تو هر آينه خداوند حلم و رشدى حطاست بطريق تهكم گفت اى گروه من خبر دهيد مرا

ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما

اگر باشم بر حجتى روشن از پروردگار من و روزى داده باشد علم حكمت يا مال حلال و

اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح

خواهم كه مخالفت كنم با شما بميل كردن بآنچه نهى ميكنم شما را از آن نمى خواهم مگر سامان آوردن كار

ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

چندانكه توانم و نيست موفق گردانيدن مگر بتاييد خداى بر فضل او اعتماد نمودم و با طاعت اخلاص او باز ميگردم

ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما

و اى گروه من كسب نكند شما را مخالفت من كه رسد بشما مانند آنچه

اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط

از عذاب رسيد گروه نوح يا گروه هود يا گروه صالح و نيست گروه لوط

منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان

از شما دور بمكان يا بزمان و آمرزش خواهيد از پروردگار شما آنگاه باز گرديد با طاعت او بدرستى كه

ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول

پروردگار من مهربان است دوست دارنده مطيعان گفتند اى شعيب در نمى يابيم بسيار از آنچه ميگويى تو

وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما

و بدرستى كه ما هر آينه مى بينيم ترا در ميان ما عاجز از مقاومت با ما و اگر نه حرمت خويشان تو بودى تو را هلاك و نه

انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم

گفت اى گروه من

من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط و

از امر خداى و گرفتيد شما فرمان خدا را پس پشت چون چيزى پس پشت انداخته بدرستى پروردگار من بآنچه ميكنيد شما داناست و

يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه

اى گروه من كار كنيد بر آن حال كه هستيد از ضلالت بدرستى كه من نيز كار كننده ام پس زود بود كه دانيد آنكس كه آيد باو

عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب

عذابى كه خوار گرداند او را و آنكه او دروغ گوينده است و چشم داريد بدرستى كه من با شما نگهبانم

ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا و

و آنگه آمد فرمان ما بهلاك خلاص داديم شعيب را و آنها را كه ايمان آوردند با او بسبب بخشايشى از ما و

اخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان

و گرفت آنها را كه ستم كردند آوازها پس گشتند در مساكن ايشان بزانو در آمده گان گويى

لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد ارسلنا موسى

هرگز نبودند در آن ديار بدان دورى هلاك باد قبيله را چنانچه هلاك ثمود و بحقيقت فرستاديم موسى را

باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون

با معجزات و حجتى ظاهر كه عصا بود سوى فرعون و اشراف قوم او پس متابعت نمودند فرمان فرعون را

وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم

و نيست فرمان فرعون بر هيچ صواب پيشرو گردد گروه خود را روز قيامت پس در آورد ايشان را

النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة

در آتش و بد آمدن جاى درو كه آتش است در آمده و از پى در آورده در اين جهان نفرين را و روز قيامت نيز

بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها

بد مددى مدد داده شده كه لعنت است آنچه گفتيم بعضى از خبرهاى شهرهاست قصه ميگوييم آنرا بر تو از آن شهرهاست

قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم

بعضى كه اثرش باقيست و بعضى بى عين و اثر و ستم نكرديم بر ايشان و ليكن ستم كردند بر خود بتكذيب پس باز نداشت از ايشان

الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما

خدايان ايشان از غير خداى هيچ چيز آنگاه كه آمد فرمان پروردگار تو و

زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ

نيفزودند ايشان را جز زيان افكندن و همچنان گرفتن پروردگار تو چون عقاب خواهد كند

القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد

اهل قريه را و ايشان ستمكار باشند بدرستي عقاب او دردناك است بغايت سخت

القراءة اني بالفتح اريكم بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزي وكذلك روي عن اهل مكة اني اخاف شقاقي
بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو اصلوتك كما في التوبة ان صلوتك سكن توفيقي بالفتح ابو عمرو وابن عامر
ابو جعفر ونافع ارهطي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر
ونافع وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف شعيبا غيره محيط مفسدين مؤمنين للابتداء
بالنفي مع الواو بحفيظ مانشاء الرشيد حسنا عنه ما استطعت الا بالله انيب نصف الجزء صلح ببعيد
اليه ودود ضعيفا لان لولا للابتداء مع الواو برجمناك تعلمون كاذب للفصل بين الخبر والطلب رقيب
جاثمين فيها ثمود مبين لتعلق الجار فرعون للنفي مع الواو والعطف او للحال برشيد النار المورود الفيه
المرفود وحصيد امر ربك تتبيب ظالمة شديد التفسير نقص المكيال يشمل معنيين بان ينقص في الايفاء من
القدر الواجب ويزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهي بقوله اني
اريكم بخير اي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة من الله حقا ان تشكر لتزداد لا ان تكفر فتزال واني اخاف
عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم وقال الآخرون انه الظن الغالب لانه كان يجوز ارتدادهم وانتهاءهم والعذاب
المحيط المهلك المستاصل كانه احاط بهم بحيث لا ينفلت منهم احد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد
المجازي باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستيصال في الدنيا وقيل عذاب الاخرة
والاظهر العموم قوله اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد مر تفسير مثله في الاعراف وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين
مضى تفسيره في اوائل البقرة بقي في الآية سؤال وهو انه سبحانه نهى اولا عن النقص ثم امر بالايفاء فهل فيه فايدة
سوى التاكيد والتقرير والجواب بعد تسليم ان النهي عن الشيء امر بضده هو ان النهي عن النقص في المبايعة وان كان
يفيد بصريحه تغييرا او توبيخا لكنه يوهم النهي عن اصل المبايعة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل فيه ابلحة اصل
المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن في العقول لزيادة الترغيب وفيه ايضا فايدة اخرى من قبل تقييد الايفاء
بالقسط ليعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل وتبرع لا يقف عند حد وانما الواجب شيء من الايفاء
بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين الا عند غسل شيء من الراس بقيت الله قيل ثواب الله وقيل طاعته ورضاه كقوله و
الباقيات الصالحات خير وقيل اي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا لان
شان الاعمال لا ينفع مع الكفر او ان كنتم مصدقين لي فيما انصح لكم ولا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد
الناس واقبالهم عليهم فيفتح له ابواب المكاسب والخيانة تجر الفقر لتنفر الناس عنه وعن معاملته وصحبته قالت
المعتزلة في اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية اي تقواه الصارفة
عن المعاصي والقبايح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر من انذر قوله اصلوتك
قيل اي دينك وايمانك لان الصلوة عماد الدين فعبر عن الشيء باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لانه اصل
الصلوة ومنه المصلي للذي يتلو السابق والمعنى ربك اي اتباعه يامرك بذلك والاظهر ان المراد به الاعمال المخصوصة
يروى ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم
اصلوتك تامرك السخرية والهزء فكان الصلوة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوسواس ومعنى

تامرك اي تنزلك تامرك بتكليف ان نترك على حذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله ان نفعل معطوف
على ما في نعبد اي تامرك صلوتك بترك ما عبد اباؤنا وبترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء روي انه كان ينهاهم عن قطع
اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد
قيل انه مجاز والمراد الى غاية السفاهة والغواية فعكس تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا فيما بينهم بالحلم
والرشد فكانهم قالوا له انك المعروف بهذه السيرة فكيف تنهانا عن دين الفناه وسيرة تعودناها ثم اشار عليه السلام
الى ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف وجواب الشرطية
محذوف اكتفي عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي ورزقني بعد
هذه السعادات الروحانية السعادات الدنيوية من المنافع الجزات والمنافع الجليلة فهل يسعني مع هذه الاكرامات
ان اخون في وحيه ولا امركم بترك الشرك وبفعل الطاعة والانبياء لا يبعثون الا لذلك وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهيكم عنه يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه فالمعنى لا اجعل فعلي مخالفا لقولي فلا
اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ما استطعت للمدة ظرفا للاصلاح اي مدة استطاعتي لاصلاحكم او بدل من الاصلاح اي المقدار
الذي استطعت منه او المضاف محذوف اي الا الاصلاح ما استطعت او مفعول للاصلاح فقد يعمل المصدر
المعرف كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما ياتي
ويذر فوقوعه بتسهيل الله وتاييده فقال وما توفيقي الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه
توكلت اختصه تفويض الامور اليه لانه مبدأ المبادي واليه انيب لانه المعاد الحقيقي وفي ضمنه تهديد للكفار
وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم خلافي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من
الغرق او قوم هود من الريح العقيم او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم
لانه مونث ولا ببعيدين حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف اي وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا في عهد
قريب من عهدكم او المراد وما هم بشيء بعيد او بزمان او بمكان بعيد وجوزوا ان يسوى في بعيد وقريب وقليل و
كثير بين المذكر والمونث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنخيق والنهيق ونحوهما ان ربي رحيم
ودود يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على
ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغي ان يمنعهم من الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء في التقرير والبيان قالوا يا
شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما لقلة الرغبة او قالوه تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا
بحديثه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق ما ادري ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا
وهذيانا لا ينفعهم كثير منه وقيل لانه كان الثغ وانا لنريك فينا ضعيفا عن الحسن هينا اي لا عزة لك فيما بيننا ولا
قوة فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى لان الاعمى بسبب الضعف ولانه
لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظه فينا يابا لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم
واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان
يمنع من النبوة كان اولى ثم ذكروا انهم انما لم يوقعوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلثة
الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم شر القتل والرمي بالحجارة او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا
الكلام المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم من اهل ديننا فالكلام
واقع في فاعل العز لا في الفعل وهو العز ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم
يصح هذا الجواب وانما اعز عليكم مني اسندا ايانا التهاون بنبي الله كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله و
اتخذتموه اي امر الله او ما جئت به وراءكم ظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اي جعلتموه كالشيء
المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد في حقهم فقال ان ربي بما تعملون محيط
ثم زاد في الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله في الانعام قال في الكشاف الاستيناف

يعني في سوف تعلمون وصف خفي تقديري وانه اقوى من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه
بالغ في التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق اني معكم رقيب راقب كالضريب بمعنى الضارب او مراقب
كالعشير والنديم او مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقي القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة و
اخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لكان الفاصلة الا انه لما جاء في قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة و
ومرة الصيحة ازداد التانيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبي عن ابن عباس
قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب
اخذتهم من فوقهم قوله سبحانه باياتنا وسلطان مبين قال في التفسير الكبير الايات اسم للقدر المشترك بين العلامات
المفيدة وبين الدلائل التي تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص
بالدليل القاطع الذي يعضده الحس وقال في الكشاف يجوز ان يراد بالايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته
وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اي شانه وطريقته
او امره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اي ليس في امره رشد انما فيه غي وضلال وفيه تعريض
بان الحق والرشد في امر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة
لهم في الضلال فكذلك يقدمهم اي يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره يجوز ان يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة
فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم صرح بانه يقدم قومه اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته ويقال قدمه
وقدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش ومثله اقدم ومنه مقدم العين وانما قال فاوردهم
بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع والورد المورود الذي وروده شبه فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه
بالواردة ثم نعى عليهم بقوله وبئس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار
ضده وتذكير بئس لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت جاز نظرا
الى الدار وفي تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم واتبعوا في هذه حذف صفته في هذه الاية اكتفاء بما في قصة عاد
وبئس الرفد المرفود اي بئس العطاء المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفدت
اي اعينت وامدت باللعنة في الاخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان لعنة من الله والملائكة والناس اجمعين في
الدنيا لعنة وفي الاخرة ذلك الذي ذكرنا او ذلك النبا بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر ثم استانف
فقال منها قائم وحصيد اي ومنها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافي الاثر كالزرع
المحصود وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم في الدنيا
من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحقوق الله فما اغنت فما قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي
يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية بامر الله حين جاء وما زادوهم يعني الهتهم غير تتبيب تخسير تب خسر وتببه
غيره اوقعه في الخسران كانوا يعتقدون في الاصنام انها تعين في الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستشفعهم
عند الله في الاخرة فلم ينفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله وسيعودهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في
الاخرة فهم في خسران الدارين ثم بين ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اي
مثل ذلك الاخذ اخذ ربك والاخذ مبتدا وكذلك خبره وقوله وهي ظالمة حال من القرى باعتبار اهلها ان اخذه
اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظلم على الغير او على النفس فعلى العاقل ان يبادر
الى التوبة ولا يغتر **التاويل** ولا تنقصوا مكيال المحبة وميزان الطلب فمكيال المحبة عدم ما سوى الله
وميزان الطلب السير على قدمي الشريعة والطريقة اني اريكم بخير هو حسن الاستعداد الفطري واني اخاف عليكم
فساد الاستعداد في طلب غير الحق بالقسط في تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا الناس حقوق النصيحة و
حسن العشرة في الله ولله ولا تعثوا في ارض وجودكم بقية الله بقاؤكم ببقائه خير لكم مما فاتكم بايفاء المكيال والميزان رزقا
حسنا نورا تاما اريد به اصلاح الامور بالاستعدادات ان ساعدني التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم
ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القرى

قرى الاجساد منها قائم قابل لتدارك ما فات ومنها ما هو محصود بفوات الاستعداد والله تعالى اعلم بمراده

ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع
بدرستی در انچه ذکر کردیم از قصص هر آینه محل اعتباریست مر آنکس را که ترسد از عذاب آن جهان آن روزیست که گرد آورده
له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود
برای او مردمان و آن روزیست حاضر آورده در وی خلق را و باز نمی داریم آن روز را مگر برای انتهاء مدتی برشمرده
يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد
و دران روز که آید فرمان سخن نگوید هیچ نفسی مگر بفرمان خدای پس از اهل موقف بعضی اهل شقاوت باشند و بعضی ارباب اهل سعادت
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين
پس اما آنانکه اهل شقاوت باشند در آتش اند مر ایشان راست دران مانند آن صوت حمار و بازگردانیدن حال آنکه جاوید باشند
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك
دران تا که باشد آسمانها آخره و زمین آن مگر که خواسته باشد پروردگار تو بدرستی که پروردگار تو
فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها
کننده است مر آنچه خواهد و اما آنانکه نیک بخت اند در بهشت باشند حال آنکه جاوید باشند دران
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
تا که باشد آسمانهای آخره و زمین آن مگر که خواهد پروردگار تو از رفع عطا دادنی دایم بی انقطاع
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما
پس مباش در گمان از آنچه می پرستند ایشان نمی پرستند مگر چنانکه
يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد
می پرستند پدران ایشان از پیش بدرستی که ما هر آینه تمام دهنده ایم بهره ایشان را از عذاب بی نقصان و بحقیقت
اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت
دادیم موسی را کتاب توریه پس خلاف کردند در آن و گر نه حکمی بودی پیشی گرفته
من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا
از پروردگار تو بامهال هر آینه حکم کرده شدی میان ایشان و بدرستی که ایشان هر آینه از کار قرآن در شک بدرستی که هر یک از خلایق
لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم
هر آینه از آن جمله اند که البته دهد ایشان را پروردگار تو جزای اعمال ایشان بدرستی که او بآنچه میکنند آگاه است راست برنهج استقامت

كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير
چنانچه فرموده اند و آنکس که باطاعت خدای آمد بتو و از حدود حق تجاوز بدرستی که او بانچه میکنید بیناست
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من
و میل مکنید سوی آنانکه ستمکاراند که رسد بشما آتش و نبود مر شمارا از
دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة طرفي
غیر خدای هیچ دوستان پس یاری نکرده شوید از خدای نیز و بپای دار نماز را در دو کناره
النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك
روز مراد فجر است و دو ساعت از شب مغرب و عشا بدرستی که نیکیها یعنی نماز پنجگانه محو کرده اند اعمال بد را آن امر
ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر
موعظی است مر یاد کنندگان مبدا و معاد را و شکیبایی نمای بر آنکه بدرستی خدای بیهوده نکرداند مزد
المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية
نیکوکاران را پس چرا نبود از اهل یک زمانها پیش از شما خداوند خیر و فضل
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين
که باز میداشتندی از تباهی مگر اندکی از آنان که رهانیدیم از ایشان و متابعت نمودند آنانکه
ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى
آنچه متنعم کردانیده شدند و بودند گناهکاران و نخواهد پروردگار تو تا هلاک کند شهرها را
بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
بی استحقاق و ساکنان آن بسامان کار باشند و اگر خواستی پروردگار تو هر آینه گردانیدی مردم را گروهی یگانه متفق بر اسلام
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت
و همیشه باشند بر حالهٔ آرا و اهوای مگر آنکه ببخشاید پروردگار تو و برای اختلاف
كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
حکم پروردگار تو هر آینه پر گردانند دوزخ را از پری و آدمی همه
وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك
و هر چیزی را قصه میگوییم بر تو از خبرهای پیغمبران آنکه بر جای اطمینان آن دل ترا و آمد بتو
و یقین میدادیم

في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين
درین سوره یاد رفتیا صدق و صواب و پندی و یاد داشتی مومنانرا و بگو مر آنانرا که
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا
ایمان نمی آرند کار کنید بر آن حالت که هستید که ما نیز کار کننده ایم و چشم دارید که ما نیز
منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع
منتظرانیم و مر خدایراست اسرار نهانی آسمانها و زمین و با حکم او باز گردد
الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون
کارها همه آن پس بپرست او را و اعتماد کن بر فضل او و نیست پروردگار تو غافل از آنچه میکنند

القراءة وما يؤخره بالياء يعقوب والمفضل الباقون بالنون يوم يات باثبات الياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي في الوصل الاخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزي وابن فليح سعد وا بضم السين حمزة وعلي وخلف وحفص قيل انه على حذف الهمزة من اسعد والان سعد لازم ولكنه مجاء المسعود الاخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد الباقون بالتشديد لما مشددا ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف وزلفا بضمتين يزيد الاخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك في آخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة الوقوف الاخرة مشهود معدود باذنه لاختلاف الجملتين مع فاء التعقيب وسعيد وشهيق لان ما بعده حال والعامل فيه ما في النار من الفعل شاء ربك لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ هؤلاء من قبل منقوص فاختلف فيه بينهم مريب اعمالهم خبير ولا تطغوا بصير النار لان ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا تنصرون من الليل السيئات للذاكرين المحسنين منهم لان التقدير وقد اتبع مجرمين مصلحون مختلفين رحم ربك خلقهم اجمعين فؤادك اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين مكانتكم عاملون للعطف وانتظروا اي فانا منتظرون وتوكل عليه يعملون التفسير ان في ذلك الذي قصصنا عليك من احوال الامم لآية لعبرة لمن خاف اي لمن اهل لان يخاف عذاب الاخرة كقوله هدى للمتقين لان انتفاعه يعود اليهم قال القفال في تقرير هذا الاعتبار ان ظهور عذاب الاستيصال في الدنيا والقفال لجعل الامر على العكس قال والاصوب عندي ان هذا تعريض لمن زعم ان الاله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء عليهم السلام مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء اما الذي يؤمن بالقيامة لا يخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقايع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد مزيد الخشية والاعتبار اقول وهذا نظر عميق والاظهر ما ذكرت اولا ومثله في القران كثير ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ثم لما كان لعذاب الاخرة دلالة على يوم القيامة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اي يجمع له لما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس واوثر اسم المفعول على فعله لاجل افادة الثبات وان حشر الاولين والاخرين فيه صفة له الان ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه الخلائق فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف وبين الاول ان هذا يدل على حضور الناس فيه مع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من المحاسبة والمناقشة

بحيث لا يعرف كل واحد الا وافعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما فسرنا اليوم بانه مشهود في نفسه نصب
فيه لا انه مشهود في نفسه لان سائر الايام يشركه في كونها مشهودات وانما يحصل التمييز بانه مشهود فيه دونها كما
تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها وما نؤخره الا لانتهاء اجل معدود اي انقضاء مدة معلومة عين الله
وقوع الجزاء بعدها وفيه فايدتان ان وقت القيمة متعين لا يتقدم ولا يتاخر ان ذلك الاجل متناه فانه
يفنى لا محاله وكل ات قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم ياتي حذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة كثير في
لغة هذيل وفاعل ياتي قيل الله كقوله او ياتي ربك اي امره او حكمه دليله قراءة من قرا وما يؤخره بالياء وقوله باذنه
وقيل المراد اليوم المهيب الهايل المستعظم فحذف ذكره بتعيينه ليكون اقوى في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد
اتيان هوله وشدائده لئلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم او باذكر مضمرا او بالانتهاء المقدر اي ينتهي
الاجل يوم ياتي وتاء التانيث محذوفة من لا تكلم والايات الدالة على التكلم في ذلك اليوم مع الايات الدالة على نفي التكلم كقوله
يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح المقبول
واثبات العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي
وسعيد اي ومنهم سعيد ولا خلاف ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليها النار والجنة في
الاخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاء مثلا كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة
فيختلف تفسير الشقي بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار له لاسائته وعند السني جريان القلم عليه
في الازل بانه من اهل النار وانه تعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسئلة قد مر مرارا قيل وقد بقي ههنا قسم اخر ليس من اهل
النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله
في صفة اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح
الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه وحينئذ يرتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد
شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على شديد وغم عظيم والحاصل انهم حصلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار
والشهيق بمنزلة اخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بفورته حتى اذا وصلوا الى اعلى دركات جهنم وطمعوا في ان
يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد ويردونهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير
وانحطاطهم مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس
والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال
ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن
ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق قوة ميلهم الى الدنيا ولذاتها زفير وضعفهم عن
الاستعداد بكمالات الروحانيات شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على
ذلك بالقران والحديث والمعقول اما القران فقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة بقائهما
الا ما شاء ربك وفيه استدلالان ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات المتناهية بالاتفاق
استثناء المشية ويؤكد هذا المنقول النص قوله لابثين فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع
لا في حق الله تعالى ولا في حق المكلف فيكون قبيحا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم
والجمهور من الامة على ان عذاب الكافرين دائم واجابوا عن الاية بان المراد سموات الاخرة وارضها المشار اليهما
بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الاخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق
حصول العقاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القران قد ورد على استعمالات العرب وانهم يعبرون عن الدوام
والتابيد بقولهم ما دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا كلما دامت السموات والارض دائمة لزم دوام عقابهم
وهو المطلوب وان قلنا لكنهما لم تدوما فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا وبعبارة اخرى
دلت الاية على انه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم يوجدا لم يلزم منه ان لا يوجد
عقابهم او يوجد فالاية لا تدل الا على حصول العقاب لهم دهرا طويلا ومدة مديدة واما انه هل يكون له اخر ام لا

بذلك انما يستفاد من دليل اخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به واما الاستدلال بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن
الانباري والفراء ان الاستثناء لا ينافي عدم المشية كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وقد يكون عزمك على
ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك وقد عزمت على ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك وردها الفرق
بان معنى الاية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشية قد حصلت جزما ولقائل ان يقول ان الماضي ههنا في
معنى الاستقبال ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا بمعنى سوى اي سوى ما يتجاوز ذلك
من الخلود الدائم كانه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب اطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا اخر له وقال الاصم
وغيره المراد زمان مكثهم في الدنيا او في البرزخ او في الموقف وقيل الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كانهم
يصيرون اخر الامر الى الهمود والخمود وقيل فايدة الاستثناء ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا من شاء ربك
وهذا التاويل انما يليق بقاعدة الاشاعرة واكدوه بقوله ان ربك فعال لما يريد مكانه تعالى يقول اظهرت القهر والقدرة
ثم اظهرت المغفرة والرحمة لاني فعال لما اريد وليس لاحد على حكم البتة واما المعتزلة فانهم لا يرضون بهذا ويقولون
ان الاستثناء الثاني لا يساعد لحصول الاجماع على ان احدا من اهل الجنة لا يخرج الى النار فالصواب ان يقال انه استثنى
من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله
واهل الجنة ينقلون الى العرش والى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قالوا انه ختم اية الوعيد بقوله
ان ربك فعال لما يريد واية الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كانه قال انه يفعل باهل النار ما يريد
من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له والجذ القطع واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف
ان صح فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول يحتمل ان يكون لا
بسبب عدم الاحساس بالعذاب بل يكون سببا الالتذاذ بالمالوف فيكون خلو جهنم اشارة الى هذا المعنى واما الجواب
عن المعقول فهو ان السير في تقدير مبادئه من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنده ايضا يجب
ان يكون غير متناه او نقول لا نهاية لنوعه فلا غاية لظلمة العاقل والمنكر له او نقول اوضع الاشياء الوجود الواجب
فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم
الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد ثم ذكر من وفق له وخلق لاجله ولما فرغ من اقاصيص عبدة الاصنام
وبيان احوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن نهي له
عن الامتراء في سوء مغبتهم تمثيلا فلا تك حذف النون لكثرة الاستعمال في مرية في شك مما يعبد ما مصدرية
او موصولة اي من عبادة هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهي عن الشك في سوء عاقبة عبادتهم ثم
علل النهي مستانفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد كالذي يعبده اباؤهم او كعبادة ابائهم والحاصل انهم شبهوا اباءهم
في لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية او من ازالة العذر وازاحة العلة
بارسال الرسول وانزال الكتاب او نصيبهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم وفي الكشاف ان غير منقوص حال
من النصيب ليعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفي بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه قلت هي مغالطة لان قول
القائل وفيته شطر حقه التوفية تعود الى الشطر ولو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب ان يقال
انه حال مؤكدة او صفة يقوم مقام المصدر اي توفية نحو ولا تعثوا في الارض اي اثبتنا دائما اورد نظير الانكار ثم نسق
محمد صلى الله عليه وسلم ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه امن به قوم وكفر به اخرون كما اختلف في القران
والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك هي ان رحمتي سبقت غضبي او هي ان دار الجزاء
الاخرة لا الدنيا وان هذه الامة لا تعذب بعذاب الاستيصال لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك بتمييز
الحق من المبطل بسبب الانجاء والاهلاك وهذه من جملة التسلية ايضا وانهم يعني قوم موسى او قومك لفي شك منه
من كتابه او من كتابك او من امر المعاد او القضاء او الجزاء ثم جمع الاولين والاخرين في حكم توفية الجزاء ثوابا
او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي وان كلهم يعني ان جميع المختلفين فيه ومن قراه
بالتخفيف فعلى اعمال المخففة او لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن ولم يك ومن قرا لما مخففا فاللام

هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان ولام جواب القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم
اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اي خلق او جمع والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود ومن قرا لما مشددا
فاصله لمن ما قلبت النون ميما فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى تخفيفا وجاز حذف الاول وابقاء الساكنة لاتصال
اللام بها ويجوز ان يكون اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسليمن بن ارقم فحذف فبقي لما من لما ومعناه ملمومين
اي مجموعين وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الآية من مؤكدات
توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا تضيع عنده منها لفظة ان ومنها كل ومنها لام خبر ان ومنها المزيدة ومنها القسم
ومنها لام القسم ومنها نون التاكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان من رباك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع
المضاف ومنها ختم الآية بقوله انه بما يعملون خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بما
يعمل كل احد وبمقدار جزاء عمله وقادرا على ايصال ذلك اليه ثم ان كلامه حق وصدق وقد اخبر عن التوفية مع المؤكدات
المذكورة فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم امر نبيه ليقتدي به امته بكلمة جامعة للعقايد والاعمال قايلا فاستقم كما
امرت عن الامام الناطق جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه معناه افتقروا الى الله بصحة العزم يعني الوثوق به والتوكل عليه
ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم وصح للفصل او هو ابتداء اي ومن تاب معك فليستقم او مفعول معه ثم
كما امر بالاستقامة على جادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا والطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس يريد
تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حدود القرآن بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه
الآية اصل عظيم في الشريعة فيكون الترتيب في الوضوء واجبا كما ورد في القرآن وكذلك القول في الحدود والكفارات
ونصاب الزكوات واعداد الركعات وجميع المامورات والمنهيات ويجب الاحتياط في المسايل الاجتهادية في القياسات
وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل منها طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الصراط المستقيم
المامور بالاستقامة والثبات عليه ولا ريب ان معرفته صعبة وبتقدير معرفته وبتقدير معرفته فالعمل به
والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله آية في القرآن اشد ولا اشق من هذه حتى ان اصحابه
قالوا لقد اسرع فيك الشيب فقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود عنى هذه الآية منها ثم لما كان للقرين السوء مدخل
عظيم في تغيير العقايد وتبديل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا تركنوا اي لا تميلوا بالمحبة
والهوى الى الذين ظلموا قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة
وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب فاما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير
داخلة في الركون واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية اليس الله بكاف
عبده وفي قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار بل في النار او كالنار اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من تتمة الجزاء وقال في الكشاف الواو
للحال من اولياء من انصار اي لا يقدر على منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو ايضا وفيه اقناط كلي
وفائدة ثم تبعيد النصرة من الظلم قال اهل التحقيق الركون الميل اليسير وقوله الى الذين اي الذين حدث منهم
الظلم فلم يقل ولا تميلوا الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم يوجب هذا العذاب
وان كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزايرون للملوك وعن محمد بن مسلمة
الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هؤلاء ولقد سئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى
شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم خص من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها
فقال واقم الصلوة قيل تمسك بعض الخوارج بهذه الآية على ان الواجب من الصلوات ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا
النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا غاية ما في الباب ان هذا يقتضي عطف
الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات
يشعر بان اقامة الصلوة طرفي النهار كفارة لترك ساير الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالآية

على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على الظرف لاضافتهما الى الوقت فاكتسب المضاف حكم المضاف
اليه كقولك اتيته نصف النهار وما الطرفان الغدوة وهي الفجر والعشية وفيها الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وزلفا
جمع زلفة كظلم وظلمة اي ساعات من الليل قريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف وقرئ زلفا بسكون
اللام نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر وبسر وقيل زلفا اي قربا فيكون معطوفا على الصلوة اي اقم
الصلوة واقم زلفا اي صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب وقيل ان
طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب ابي حنيفة ان التنوير بالفجر افضل وتاخير العصر افضل
لان الامة اجمعت على ان نفس الطرفين وهما وقتا الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة بكل وقت وكان اقرب الى الطرفين
كان اولى باقامة الصلوة فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة ما امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره ولقايل
ان يقول هذا لا يتمشى في صلوة الفجر لان الطرف الاول للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير يبعد للصلوة
منه لا مقرب ولا ادري كيف ذهب هذا المعنى مع افراط عصبية للشافعي واستدل ايضا لابي حنيفة على مذهبه في وجوب
الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب اقامة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلث زلف من الليل اي ثلث ساعات ذهب
منها ساعتان للمغرب والعشاء فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب على امته لقوله
فاتبعوه ولمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلثة ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب على النبي يجب على امته لان
الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون
نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود
من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها واصاب منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب
فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس اي الصلوة الخمس كفارات
لساير الذنوب ما لم يكن كبيرة وقيل المراد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج بالآية على ان المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو راس الاعمال
الحسنة ذلك المذكور من قوله فاستقم الى هنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين وارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر
على تكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص على ان الاتيان بها احسان وان جزاءه سيحصل لا محالة فقال
واصبر الآية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب في حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول انه ما كان
فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اي فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ذوو خير ورشد وفضل
وذلك ان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصارت البقية مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم اي من
خيارهم ومن امثالهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وجوز في الكشاف ان يكون من البقوى كالتقية في التقوى
اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان في تخصيصهم
على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكان قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا ناسا قليلا ومن في ممن انجينا للبيان
اي هم الذين انجيناهم قال في الكشاف لان النجاة انما هي للناهين وحدهم ولقايل ان يقول اذا كان النهي عن المنكر فرض
كفاية لم يلزم ان يحصر النجاة في الناهين فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويجوز على ما في الكشاف ان يكون الاستثناء منقطعا
معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد قال ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان
المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ
قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن واقول لم لا يجوز ان يكون المراد
من استثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التحضيض كانك قلت احضض قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا
يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها على ان في جعل الاستثناء منقطعا شبه تناقض لان اول الكلام يدل على انه لم يكن
فيهم ناه وآخره يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتامل في هذا المقام فانه من مزلة الاقدام

في نزول العذاب قوله واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة
واسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين فصل الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية اي ما
كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون في الكلام اضمار والواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد
اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذي ابطرته النعمة وصحة مترف منعم البدن وقوله وكانوا مجرمين اما معترضة و
اما معطوف على اتبع اي وكانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور
بالآثام او اريد بالاجرام عقابهم للشكر ثم بين انه ما ينبغي له سبحانه ان يهلك القرى بظلم اي بسبب مجرد الشرك و
والحال انهم مصلحون في المعاملة والعشرة فيما بينهم وذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة بخلاف حقوق العباد
وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير ان عذاب الاستيصال انما نزل بقوم لوط وشعيب
لما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد في الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال في الحكمة ان
ان يهلك القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون في العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان
الكل بمشيئته وارادته ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مهدية والمعتزلون يحملون هذه المشية على مشية الالجاء و
القسر وتقدم مرارا ولا يزالون مختلفين في الاديان والاخلاق فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات ومنهم
السوفسطائية ومنهم من سلم استنباح العلوم والمعارف ولم يثبت لهذا العالم الجسماني مبداء اصلا وهم الدهرية ومنهم
من اثبت موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا القول تحقيق ليس هنا موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات
وهم البراهمة ومنهم من يثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات
لا يكاد يدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف في الآية على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل
حملناه على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف في الاديان وما يتعلق بها لانه
ينبو من ذلك ما قبل الكلام وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة
الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي يفعله
ايضا في حق الكافر وهذه الرحمة مخصوص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا
ضده ثم قال ولذلك خلقهم فاختلف العلماء في المشار اليه بذلك فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي
كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق لحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل لسوء اختياره او ولما ذكر من
الرحمة خلقهم والاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكرنا من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث انه خلق الجنة وخلق لها
اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وللدلائل الدالة على ان الكل بايجاده وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار
بقوله وتمت كلمة ربك اي علمه وارادته او قوله للملائكة لاملان جهنم الاية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم
ذكر طرفا من فوايد القصص المذكورة في السورة فقال وكلا اي كل نبإ نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وما
نثبت بدل من كلا او المراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر اي على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى
تثبيت فؤاده زيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم او المعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة
وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء وجاءك في هذه السورة او في هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة
على توحيد المبداء والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلائل المقنعة الموجبة للتصديق بقدر الاركان والاول للخواص انفع
والثاني للعوام انجع وذكرى للمؤمنين وهي الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الآخرة المحصلة لما هنالك من
السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لا بد لها
من قابل وفاعل وقابلها القلب وعلاجه وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل آياتها
وهي قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب في غاية الحسن ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر
فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا وقد مر تفسير مثله في هذه السورة وفي
الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر
فانا منتظرون بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة بآية مشتملة على جميع المطالب من امر المبداء والوسط والمعاد

وقد سبق تقريره في آخر البقرة في تفسير آمن الرسول فلا حاجة الى الاعادة والله تعالى اعلم **التأويل** ما دامت السموات و
الارض اي سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء وذلك ان اهل الشقاء
ضربان شقي واشقى فالشقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فيخلص من النار آخرا والاشقى هو الكافر يبقى فيها مخلدا ومن اهل الجنة
سعيد يبقى خالدا فيها واسعد وهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهنالك مقام الوحدة الذي لا
انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ وانهم لموفوهم نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء
لقضي بينهم بالهلاك عاجلا لفي شك منه اشارة الى الضلال وقوله مريب اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج
فيحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب امر التكوين كالنبي صلى
عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات
الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية الضرورية وذلك ان تعلق النوري العلوي بالجسد الظلماني
السفلي موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا ان يتداركه انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض
البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدانية الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد السفلي مثاله ابقاء الحبة في الارض
فانه من خسران الحبة الا ان يتداركه الماء وساير الاسباب فيربيها الى ان تصير الحبة الواحدة الى سبعمائة وما زاد
ذلك الذي ذكرنا من التدارك عظة للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على
هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات في محض العبودية
والعبادة فلولا كان من القرون صورته التحضيض وحقيقته السؤال ليجاب بانه لم يكن كذلك لانك فعال لما تريد
خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار ولا اعتراض لاحد عليك يؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى
وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك اي لطلب الله خلقهم بحسن الاستعداد ولان رحمته سبقت
غضبه ولكن وقع فريق في طريق القهر ضرورة في الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك جرى به القلم للضرورة
وما نثبت به فؤادك التثبيت منه والتشكيك منه بيده مفاتيح ابواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون
لطلب الحق وجدوا انه اعملوا في طلب المقاصد من باب القهر انا عاملون في طلب الحق من باب لطفه
وانتظروا نتائج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض اي ما غاب عنكم مما اودع من لطفه
في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاء ومظاهر اللطف والقهر فاعبده ايها الطالب للحق فانك مظهر
اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون في الابد والله حسبي

سورة يوسف مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة وقت الهجرة حروفها سبعة آلاف
ومائة وست وستون كلمها الف وسبعمائة وست وسبعون آياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خدای بخشاینده مهربان

الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا
نامه ایست که ظاهر است مراد و اعجاز

عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص

بما اوحینا الیك هذا القران وان كنت من قبله
بسبب وحی فرستادن ما بتو این سوره را و بدرستی که کار آنکه بودی پیش ازین وحی
لمن الغافلین اذ قال یوسف لابیه یا ابت انی رایت
هرآینه از بی خبران ازین قصه یاد کن آن وقت را که گفت یوسف مر پدر خود را ای پدر من بدرستی که من دیدم
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رایتهم لی ساجدین
یازده ستاره را و آفتاب را و ماه را دیدم آن همه را برای من سجود آرندگان
قال یا بنی لا تقصص رؤیاك علی اخوتك فیكیدوا لك
گفت یعقوب ای پسر من قصه مکن خواب ترا بر برادران تو که حیله انگیزند برای تو
كیدا ان الشیطان للانسان عدو مبین وكذلك
حیله انگیختنی بدرستی که دیو برای آدمی دشمنی است ظاهر و همچنانکه برگزید ترا بدیدن آن خواب
یجتبیك ویعلمك من تاویل الاحادیث ویتم نعمته
برگزیند ترا بنبوة و آموزند ترا از تعبیر خوابها و تمام گرداند انعام خود را
علیك وعلی آل یعقوب كما اتمها علی ابویك من قبل
بر تو و بر خاندان یعقوب چنانچه تمام گردانید آن نعمت را بر دو جد تو ازین پیش
ابرهیم واسحق ان ربك علیم حكیم لقد كان فی یوسف
ابراهیم و اسحق بدرستی که پروردگار تو داناست درست کار است بحقیقت بود در قصه یوسف
واخوه احب الی ابینا منا ونحن عصبة ان ابانا لفی ضلال
و برادران او محبوب ترست نزد پدر ما از ما و حال آنکه ما مردان بکار پدر که پدر ما هرآینه در عدول است
مبین اقتلوا یوسف او اطرحوه ارضا یخل لكم
از طریق صواب ظاهر بکشید یوسف را یا اندازید او را در زمینی تا خالی ماند برای توجه سوی شما
وجه ابیكم وتكونوا من بعده قوما صالحین قال
روی پدرتان و باشید از پس یوسف گروهی تایب از آن خیانت گفت
قائل منهم لا تقتلوا یوسف والقوه فی غیابت الجب
گوینده از ایشان نام او یهودا مکشید یوسف را بیندازید او را در قعر چاه

یلتقطه بعض السیارة ان كنتم فاعلین قالوا یا ابانا
تا بیابند او را بعضی از مسافران اگر هستید شما عازم بر رفع او گفتند ای پدر ما
ما لك لا تامنا علی یوسف وانا له لناصحون ارسله
چیست ترا که استوار نمیداری ما را بر یوسف و بدرستی که ما مر او را هرآینه حق رعایت بجای آرنده ایم بفرست او را
معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون قال انی
با ما فردا تا خوش باشیم و بازی کنیم و بدرستی که ما او را نگاه دارنده ایم گفت بدرستی که من
لیحزننی ان تذهبوا به واخاف ان یاكله الذئب و
هرآینه اندوهگین گرداند مرا که ببرید او را با خود و می ترسم که خورد او را گرگ و
انتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة
شما از او بیخبران باشید گفتند هرآینه اگر خورد او را گرگ و مردان کار آمدنی ایم
انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان یجعلوه فی
بدرستی که ما هرآینه زیان کاران باشیم بنسبت پس آنکه که با خود بردند او را و عزم کردند باتفاق که افکنند او را در
عجز و ضعف با ما
غیابت الجب واوحینا الیه لتنبئنهم بامرهم هذا
قعر چاه بود آنچه بود و وحی فرستادیم سوی یوسف که هرآینه آگاهی ایشان را بکار ایشان این کار
وهم لا یشعرون وجاؤا اباهم عشاء یبكون قالوا
و ایشان ندانند که تو برادر ایشانی و آمدند بپدر ایشان شبانگه میگریستند گفتند
یا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا یوسف عند متاعنا
ای پدر ما بدرستی که ما رفتیم مسابقه مینمودیم در دویدن و گذاشتیم یوسف را نزد کالای ما
فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقین و
پس خورد او را گرگ و نه آیی تو باور دارنده ما را و اگرچه باشیم راست گویان و
جاؤا علی قمیصه بدم كذب قالت بل سولت لكم انفسكم
آوردند بر پیراهن او خون دروغ را گفت نه که آسان گردانیده است برای نفوس اماره شما
امرا فصبر جمیل والله المستعان علی ما تصفون وجاءت
کاری سخت را پس کار من صبری است نیکو و خدای اوست که ازو یاری خواهند بر تحقیق آنچه صفت کنید و آمدند روندگان
بی شکایه با مخلوقی میخواهند از کار یوسف

سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشري هذا

ارمدند بجانب مصر پس فرستادند آب کشنده ایشانرا پس فرو گذاشت دلو را بچاه گفت ای مژده این

غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون

کودکیست و پنهان داشتند او را برای متاع تجارة و خدای دانا بود بانچه میکردند از فروختن او را

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين

وفروختند او را به بهای ناقص درمهای شمرده و بودند در وی از بی رغبتان

القراءة يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرأ ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون العين يزيد وابن عباس والخزازي ساجدين بفتح الياء الاعشي والبرجمي يا بني بفتح الياء الاعشي والبرجمي يا بني بفتح الياء حيث كان حفص والمفضل الباقون بكسرها رؤياك بالامالة على غير قتيبة وليث وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ يزيد وابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ يزيد وابو عمرو وغير شجاع وورش من طريق الاصفهاني والاعشي وحمزة في الوقف بغير همزة آية للسائلين على التوحيد لا تامنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الآخرون بالاشمام الذيب وما بعده بغير همزة ابو عمرو وغير شجاع واوقية ويزيد والاعشي وورش وخلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما والجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما والجزم ابن عامر وابو عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما يقرءان بالكسر مع الياء بعده يرتع ويلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني يعقوب غير رويس ليحزنني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ نافع ليحزنني بفتح الياء ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة وعلي وهشام يا بشري بالامالة غير مضافة حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشري بغير امالة واضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يا بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم الوقوف الر كوفي المبين كوفي ايضا وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في الر القرآن والوصل صح لان الواو للحال الغافلين ساجدين كيدا مبين ٥ اسحق حكيم للسائلين عصبة مبين والعربية يوجب الوقف وان تحل ان الابتداء به لا يحسن صالحين فاعلين لناصحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابت الجب لاحتمال ان يكون جواب لما محذوفا والواو مقحما او للاستيناف تقديره فعلوا ما فعلوا وامضوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب اوحينا لا يشعرون يبكون ج كله الذئب لابتداء نفي مع واو العطف صادقين كذب امرا جميل يصفون غلام بضاعة يعملون معدودة لاحتمال الواو للحال الزاهدين التفسير قال في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سالت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا الكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف اقول مدار هذه التفاسير على ان ابان لازم ومتعد يقال ابان الشيء وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على كله وعلى بعضه قرآنا يسمى حالا موطئة لان المراد صفة بالعربية احتج الجبائي بانزال القرآن بكونه عربيا وآيات على انه محدث لان هذه من اوصاف المحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون اراده ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده وامر دينه واجيب بان الآية تدل على انه انزل

هذه السورة وارادتهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ثم ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لا اضافته الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا عليه ان يكون هذا القرآن مفعوله ومفعول اوحينا محذوفا كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اياه اليك وعلى هذا فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شيء منها الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما يريد بالنبا والخبر المنبا والمخبر فالحسن يرجع الى القصة ولا سيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف في الدارين ووجه حسنها اشتمالها على الغرايب والعجايب والنكت وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد يروى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم قالوا يا رسول الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقرآن وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى ان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة او عن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص فاذا قص وقته فقد قص المقصوص او منصوب باضمار اذكر ويوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني ومن ظن انه من آسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيه وزن الفعل ايضا فقد اخطأ لان القراءة المشهورة تاباه ولن يكون الاسم عربيا تارة واعجميا اخرى وهذا الخلاف روي في يونس ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال النحويون التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد تقلب هاء في الوقف ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسرة فيه لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء فيمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتا اني رايت هو من الرؤيا التي يشمل اليقظة بدليل قوله ليعقوب له لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان في اليقظة لكانت آية عظيمة ولم تخف على احد من قرأ احد عشر بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة كما الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روي ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء لغيث مما اشتهر عند اهل الهيئة فان صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير السؤال كانه قيل له كيف رايتها فقال رايتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى العذر عبر ابو رؤياه بان اخوته يسجدون له وهم احد عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة التي حول القمر وهي الهالة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان رؤيا الرديئة تظهر آثارها عن قريب كيلا يبقى المؤمن في الحزن والغم والرؤيا الجيدة يبطئ تاثيرها ليكون بهجة المؤمن

ادوم قوله فيكيد وا منصوب باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك لتاكيد الصلة مثل نصحتك ونصحت لك وقال في الكشاف
وبعليك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه ليس بضائر وفي تاويل الاحاديث وجوه منها انه تاويل احاديث الناس
فيما يرونه في منامهم سمي التعبير تاويلا لانه يؤول امره الى ما رآه في المنام او يؤول امر ما رآه في المنام اليه ذلك والاحاديث
اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة لانها التي يتحدث بها الناس ومنها انه تبيين معاني كتب الله وسنن الانبياء
لان المفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها ان الحديث يعني الحادث
والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية
والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة لان التمام
المطلق في حق البشر ليس الا بالنبوة ولان اتمام النعمة عليه مشبه باتمامها على ابرهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما و
بين اقرانهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه فيكون وجه التشبيه انجاؤه من السجن والمحن كانجائهما
من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل علم يعقوب والاسباط ان يوسف واخوته انبياء استدلالا بضوء
الكواكب واعترض بما فرط منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعيم
الاخرة وذلك انه جعلهم ملوكا وانبياء وابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لابويك لان ابا الجد في حكم الاب ان ربك
عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب بوقوع
هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف على يوسف حتى قال فاخاف ان ياكله الذئب والجواب لعل جزمه بذلك كان
مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان ياكله كيلا يتهاون في حفظه فان للوسائط والاسباب مدخلا
عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف اي في قصته وحديثهم آيات للسائلين لمن سال عن تلك القصة وعرفها
او آيات على نبوة محمد للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم يجب
ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهر امره كما فعل يوسف يروى ان اسامي اخوته يهوذا ودوبيل وشمعون ولاوي
وريالون ويشجر ودينة وهؤلاء من ليا بنت خاله يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من سرية من زلفة
وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار
اذكر ليوسف في لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة واخوه اي لابيه وامه وهو بنيامين احب افعل
التفضيل مستعملا بمن لم يتصرف فيه ونحن عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب
بكفايتهم اي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن نكفي مهماته ونقوم
بمصالحه ان ابانا لفي ضلال مبين اراد والضلال خاصا وهو البعد عن طريق اصلاح المعاش وحسن العشرة مع الاولاد
ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب وليس فيه تكليف ولعل يعقوب تفرس في يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد
البر ومن جملة اقوالهم انهم قالوا لما تشاوروا في امره واقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل شمعون او دان ورضي
الباقون فجعلوا جميعا آمرين والظاهر انه قال ذلك بعضهم بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه وكان بعضهم
اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح وهما صدرا من بعض القوم صح اسناده اليهم واذ قتلتم نفسا وانتصب
ارضا على الظرف كالظروف المبهمة اي ارضا مجهولة بعيدة من العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص محبته لكم سليمة عن
الشائع فيها وكان ذكر الوجه تصوير الاقبال عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه ذاته او المراد يفرغ لكم من الشغل
بيوسف وتكونوا مجزوم لانه معطوف على جواب الامر من بعده من بعد قتله او طرحه او من بعد يوسف لم اقتل
او عزب قوما صالحين تائبين الى الله او الى ابيه بعذر تمهدونه مما جنيتم عليه او المراد صلاح دنياهم وانتظام
امورهم وبعقهم لهما ثم بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال
فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وبخاصة اذا كان القاتل والمقتول من اولاد
الانبياء والقوه في غيابت الجب سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شيء سوى القطع للارض والغيابة
غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قراه على الجمع فلان للجب اقطارا ونواحي يلتقطه بعض

بعض السيارة الى الرقعة السابقة قال ابن عباس اي المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان يقرع
ومنه اللقيط المنبوذ ان كنتم فاعلين انه لم يكن من فعل هذا الامر فهذا هو الراي ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم
وكان يظهر امارات ذلك على صحايف احواله واقواله فلذلك قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجد
منا في بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا نرتع من قرا بالجزم فمن الرتعة كالابنة وهي الخصب والسعة
ومن قرا بالكسر على حذف الياء من نرتعي مستعارا من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا ينفع فمن قرا
بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرا بالنون كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق
سمي لعبا لانه في صورته او اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر قال صلى الله عليه وسلم لجابر
فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قال اني ليحزنني لام الابتداء للتاكيد ولتخصيص المضارع بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله
الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كان ارضهم مذابة فلذلك قال اخاف وقيل
راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء في امثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله انا اذا
جواب للقسم المقدر ساد مسد جواب الشرط حلفوا له ان كان ما خافه وحالهم انهم رجال كفاة وحماة فهم
اذ ذاك خاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالخسار او المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا
وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني
خوفه عليه من خطفة الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه هو الذي كان يغيظهم فلم يعباوا بذلك الكلام فخصوا الجواب
بالثاني وههنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه في غيابت
الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب
ثم ان كان جواب لما محذوفا ففي الاية اضمار آخر كما يقدم في الوقوف قال السدي ان يوسف عليه السلام لما برز
مع اخوته اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى
كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه
فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى يؤنسوك
ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه
فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروي انه
عليه السلام لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا و
مخرجا وحكي ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة
فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه
والبسه اياه واوحينا اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع
عشرة سنة لتنبئنهم لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم
ولطول العهد المنسي والمغير للهيات والاشكال يروى انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم فقال له يوسف وكان
يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان
يراد وهم لا يشعرون انا آنسناه بالوحي وازلنا الوحشة عن قلبه فيتعلق به يقوله وا وحينا روي ان امراة
حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة
وما ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امران يقضي به من السنة المرضية عن مقاتل انهم جاؤا عشاء يبكون لئلا يظهر امارة
الخجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم
واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او في الرمي وقيل ننتضل وما انت بمؤمن لنا

اي بمصدق لنا لشدة محبتك ليوسف وفيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين من اهل الصدق والثقة كيف
وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤا على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور
لا يتقدم عليه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه مبالغة يروى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وروي ان يعقوب
لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات آية ليعقوب على
كذبهم وآية حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا وآية على براءة يوسف حين قد من دبر وكما تبين ليعقوب بالآيات
المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بل سولت قال ابن عباس بل زينت لكم انفسكم امرا في شانه غير
ما تصفون والتسويل تقرير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وهو تفعيل من السول الامنية قال الازهري واصله مهموز غير ان العرب
استثقلوا فيه الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير دليل التعظيم فصبر جميل
لا بد من تقدير مبتدا او خبر اي فامري صبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل اي لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت يحكى انه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة
فاغفرها لي ثم بين ان الصبر ما وصفوه من هلاك يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال والله المستعان على ما تصفون
والقرينتان كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الآية ان الصبر ان كان لاجل الرضا بقضاء الله تعالى او لاستغراقه
في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فصبر جميل والا فلا واعترض بان هذا الصبر كان فيه اعانة
الظالمين واهمال تخليص المظلوم من المحن والشدائد والرقية فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتفحص ولو بالغ
لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة او لعله ان بالغ في البحث
اقدموا على قتله او علم انه تعالى يصون يوسف وسيعظم امره بالآخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائهم في السنة
الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم
شرع في حكاية خلاص يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام
من القاء يوسف في الجب فاخطاؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء و
معنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه ارسلها في البئر قال الواحدي فاذا نزعها واخرجها قيل دلاها دلوا
قال يا بشرى التقدير فظهر يوسف فقال الوارد يا بشرى كأنه ينادي البشرى ويقول تعالى فهذا اوانك ومتى قال
الوارد هذا الكلام قال جمع من المفسرين حين رأى يوسف متعلقا بالحبل وقال آخرون لما دنا من اصحابه صاح بذلك
يبشرهم به قال السدي كان يقول للوارد صاحب يقال له بشرى فنادى يا بشرى كما يقال يا زيد والاكثرون على
انها بمعنى البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون منادى مضموما مثل يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كأنه جعل
ذلك النداء شائعا في جنس البشرى ومن قراء بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في اسروه اما عائد الى الوارد واصحابه
اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط او في الشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموه من
الرفقة وقالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس
انهم قالوا هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول اولى بدليل قوله بضاعة
وهي نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله عليم بما يعملون
تهديد ووعيد اما للوارد واصحابه اي باعوه بثمن قليل لان الملتقط للشيء متهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب
عما في يده قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة
والمعنى باعوا الى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فظاهر لانهم في يوسف طامعون
والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن

عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلثة ايام يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب وراؤا آثار السيارة طلبوهم فلما اتوا يوسف
قال هذا عبد آبق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم عرفوا انه ولد يعقوب فكرهوا شراءه خوفا من الله ومن ظهور
تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخرة بثمن بخس اي منحوس ناقص عن القيمة او ناقص العيار وقال ابن عباس البخس هنا
الحرام لان ثمن الحر حرام وراءهم لادنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي
الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين اخذ واحد من الاخوة درهمين الا يهوذا
فانه لم ياخذ شيا وروي ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق والظاهر ان الضمير في فيه عائد الى يوسف
ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس اي اخذهم في ثمنه ما ليس يرغب فيه قال النحويون قوله فيه ليس من متعلقات الزاهدين
لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يقال شيلا وكانوا زيدا
من الضاربين فهو بيان كأنه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه والله تعالى اعلم التاويل تلك آيات الكتاب
دلالات كتاب المحبوب الى المحب للهداية الطريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص القرآن
مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب لابيه يعقوب الروح اني رايت احد عشر كوكبا هي الحواس الخمس
الظاهرة والباطنة اي المذكرة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة والكل من هذه اضاءة ادراك
للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر
الروح والنفس رايتهم لي ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس
والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تاويل الاحاديث العلم اللدني
المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك ويستوي عليك اذ القلب عرش حقيقي الرب وعلى آل يعقوب اي
متولدات الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم السر واسحق الخفي بهما يستحق القلب لقبول
فيض التجلي وهنالك الله الطاف خفية لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل آيات للسائلين عن طريق
الوصول الى الله ليوسف واخوه بنيامين الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب احب الى ابينا منا لان القلب
عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسي للعرش اقتلوا يوسف القلب بسكين الهوى
وسم الميل الى الدنيا او اطرحوه في ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم بقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل
شهواتها وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للتنعم الحيواني والنفساني قال قائل منهم هو يهوذا القوة
المفكرة القوه في غيابت جب القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية نرتع في المراتب
البهيمية ونلعب في ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وآفاتها لئن اكله الذئب الشيطان انا اذا لخاسرون
لان خسران جميع اجزاء الانسان في هلاك القلب وربحها في سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من
خصوصية تعلق الروح بالقالب ان تتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب
فان كانت الغلبة للروح سعد وان كانت للنفس شقي وجاؤا اباهم عشاء اي في النصف الاخير من مدة العمر يبكون انا ذهبنا نستبق
باللهو في ايام الشباب وتركنا يوسف القلب مهملا معطلا عن الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه اي قالب
القلب بدم كذب هو آثار الملكات الردية زعموا انها قد سرت الى القلب وازالت نور الايمان عنه بالكلية قال
يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدر والله المستعان على ما تصفون من دين القلب
وموته وجاءت سيارة هي هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم واردات الحق فادلى دلوه جذبة من
جذبات الرحمن قال يا بشراي فيه اشارة الى ان للجذبة بشارة في تعلقها بالقالب كما ان للقلب بشارة في خلاصه
من جب الطبيعة كما قال يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين وبما يعملون من شراه بثمن بخس هو الحظوظ الفانية
في ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما يلهمهم الى استجلاب المنافع العاجلة الحسي

وقال الذي اشتريه من مصر لامرأته اكرمي مثواه

و گفت آنکس که خرید یوسف را از مصر یعنی عزیز مر زن خود را زلیخا نام بزرگ دار جای او بعقد و تعهد

عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف
في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على
امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده
اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين و
راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن
مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به
وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا
الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها

ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من
الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن
عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك
كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امراة العزيز
تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنريها في
ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن
واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا
وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن
ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن

وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني
والبته باشد از اهل مذلت كفت يوسف اى پروردكار من زندان محبوبترست سوى من از آنچه ميخوانند مرا

اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن
بان واكر نكردانى از من حيلت ايشانرا ميل كنم بايشان وباشم

من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه
از اهل جهالت پس اجابت فرمود او را پروردكار او پس كردانيد از او

كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم
حيلت ايشانرا بدرستى او شنواست دانا پس ظاهر شد عزيز را وكسان او را

من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين
پس از آن كه ديدند كه حبس فرمايند او را تا مدتى كه زبان مردم كوتاه شود

القراءة هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والراوي
عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلواني عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء الحجازي عن هشام الباقون هيت لك بفتحتين
وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر
التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم الآخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده في الحالين بالالف ابو عمرو
رب السجن بفتح السين على انه مصدر يعقوب الباقون بالكسر الوقوف ولدا في الارض بناء على ان
الواو مقحم واللام متعلقة بمكنا او هي عطف على محذوف قبله اي لنمكن الاحاديث لا يعلمون وعلما المحسنين
هيت لك مثواي الظالمون همت به قد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا وليس بصحيح لان جواب لولا يتقدم
عليه وانما جوابه محذوف وهو مخفف ماهم به كذا قال السجاوندي واقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد
وهم بها برهان ربه والفحشاء المخلصين لدى الباب اليم عن نفسي لم يذكره الائمة عليه وقفا ولعل الوقف
عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راودتني او على جملة هي راودتني من اهلها على تقدير وقال ان كان
الكاذبين الصادقين من كيدكن عظيم عن هذا للعدول عن مخاطب الى مخاطب لذنبك لاحتمال التعليل الخاطئين
عن نفسه لان قد لتحسين الابتداء مع اتحاد القائل حبا مبين عليهن متكأ كريم فيه فاستعصم لاحتمال
القسم الصاغرين اليه للشرط مع الواو الجاهلين كيدهن العليم حين التفسير قد ثبت في الاخبار ان الذي
اشتراه اما من الاخوة او من الواردين ذهبت الى مصر باعه فاشتراه العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه
كان على خزاين مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حيوة يوسف
فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف روي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث
عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم آتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين
سنة وقيل الملك في ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات و
قيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاء آباءكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي
نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة

علی

على انه عظم شان يوسف كما يقال سلام على المجلس العالي وقال في الكشاف المراد تعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه
طيبة في صحبتنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك ولم مثواك لمن نزل الرجل به من انسان رجل او امراة يراد هل تطيب
نفسك بثوايك عنده واللام في لامراته يتعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بكفاية بعض مهماتنا
او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له ولداو كان حصورا وعن ابن عباس مسعود او من الناس ثلثة العزيز حين قال لامراته
اكرمي مثواه فتفرس في يوسف ما تفرس والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين
استخلف عمر وروي انه ساله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه ثم قال وكذلك اي كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب
وعطف قلب العزيز عليه مكنا له في ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي ولنعلمه قد مر في الوقوف بيان متعلقه
وفي اوايل السورة معنى تاويل الاحاديث والمراد من الآية حكاية اعلاء شان يوسف في الكمالات الحقيقية واصولها
اللدنية واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب ان ابتداء ذلك كان حين التقى في الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان
يترقى في ذلك الى ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق والله غالب على امره اي على
امر نفسه لا مانع له ولا مدافع او على امر يوسف لم يكله الى غيره ولم ينجح كيد اخوته فيه فلم يكن الا ما اراد الله ودبر
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال ولما بلغ اشده قيل في
الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون الى ثنتين وستين آتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة
العملية والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة
العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف اصحاب الافكار والانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلايا والمحن
ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي صلى الله عليه وسلم حاكم على الخلق والعلم علم الدين و
قيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها فحينئذ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية
من عالم القدس على جوهر النفس والتحقيق في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة اعمال
استعمال الآلات الجسمانية وفي اوان الصغر يكون الرطوبات مستولية عليها فيضعف تلك الآلات واذا كبر
الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت تلك الآلات
صالحة لان يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقايق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال
الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها
قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين فيه تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه
الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله وبرحمته ولكن للوسائط
والمعدات مدخل عظيم في كل ما يصل الى الانسان من الفيوض والآثار والانوار السابقة يصير سببا للاضواء اللاحقة
وهلم جرا على الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الحكمة في اكتهاله ثم ان يوسف كان في غاية الحسن والجمال فلما
شب طمع فيه امراة العزيز وذلك قوله وراودته والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى
الخداع اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يزله عن الشيء الذي يريد ان يخرجه من يده وقد يخص بمحاولة الوقاع
فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطي والجماع وانما قال التي هو
في بيتها ولم يقل زليخا قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المراة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد
يدل على التكثير لان غلق متعد كقبضه وهو فعل المفسرون روو ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك
هذه اللغة في جميع القراآت اسم فعل بمعنى هلم الا عند من قرا هيت لك بهاء مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء
مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء بمعنى تهيا قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلث
فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك هو صوت قايم مقام
المصدر كاف له اي اقول هذا واذا لم يبين باللام فهو صوت قايم مقام مصدر نايب مقام الفعل فيكون اسم
فعل ومعناه اما خبر اي تهيأت واما امر اي اقبل وقد روى الواحدي باسناده عن ابي زيد قال هيت لك

فهو صوت قايم مقام مصدر قايم مقام الفعل فيكون اسم فعل ومعناه اما خبر اي تهيأت واما امر اي اقبل وقد روي الواحدي
باسناده عن ابي زيد قال هيت لك بالعبرانية هيتالج اي تعال عربه القران وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى
بكة فتكلموا بها وقال ابن الانباري هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في القسطاس
ولغة العرب والفرس في سجيل ولغة الترك والعرب في الغساق ولغة العرب والحبشة في ناشية الليل ثم ان المراة ثم
لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف عليه السلام بثلثة اجوبة قال معاذ الله هو من المصادر التي لا يجوز اظهار
فعلها اي اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى ان حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل انه والضمير للشان ربي اي سيدي
ومالكي بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع او المراد التربية اي الذي ربا بي احسن
مثواي حين قال اكرمي مثواه وفي هذا اشارة الى حق الخلق ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه
مسبب الاسباب قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجاوزون الحسن الى السيء او ارادوا الذين يزنون لانهم ظلموا
انفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا
وعذاب في الاخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا شك
ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهريين ان تلك الهمة بلغت حد
المخالطة فقال ابو جعفر الباقر باسناده عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انها طمعت فيه وانه طمع منها حتى هم ان يحل
التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان اي السربال وجلس منها مجلس المجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد هو بين
شعبها الاربع وروي ان يوسف حين قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت يا يوسف
فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال آخرون ان الهمة ما كانت الا ميلة النفس ولم
يخرج شي منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية العقل والحكمة متجاذبتين اما الاولون فقد
فسروا برهان ربه بان المراة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في زاوية من زوايا البيت فسترته بالثوب
فقال يوسف ولم فقالت استحيي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال يوسف تستحيين من صنم لا يسمع ولا يعقل
ولا استحيي من الهي القايم على كل نفس بما كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا على
ابهامه قايلا اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء والى هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة و
الضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله
وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطاير له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد
ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبرئيل ادرك
عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في
ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز واما الاخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم
فتوارد الدلايل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا ترادف الزواجر فهو عليه السلام كان ممتنعا عن ذلك العمل
بحسب النظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس القدسية
المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان اوقع
الزناة واشطرهم لقي بما القربه نبي الله مما ذكر وما بقي له عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف يحتاج النبي الى جميع هذا
الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي على ابضاء العزيمة قالوا والهم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بالمعاني فانتم تضمرون قد
هم بمخالطته ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له انما كان مقصده تدفع ب
فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق قميصه من قبل وكانت الشهادة عليه لا له
فلذلك ولى هاربا عنها او في حق له وهم بها فايدة اخرى هي ان ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته في النساء
وعن قدرته عليهن بل لاجل ان دلايل دين الله منعه عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية وانه قد

ادعي

ادعي البراءة بقوله هي راودتني عن نفسي وبقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والمراة اعترفت بذلك حين قالت
للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الان حصحص الحق وزوج المراة صدقه فقال انه من كيدكن وشهد
له شاهد من اهلها كما يجي وشهد له الله تعالى فقال كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا او السوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله
انه من عبادنا والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد في التاكيد فوصفه بالمخلصين اي هو من جملة من اتصف
في طاعاته بسبب الاخلاص او من جملة من اخلصه الله بناء على قراءة فتح اللام وكسرها ويحتمل ان يكون من للابتداء لا
للتبعيض اي هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم فكل هذه الدلايل تدل على عصمة يوسف عليه الصلاة والسلام وانه
بري من الذنب ولو كان قد وجدت منه فانه لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في ادم وذي النون وغيرهما
ولما استحق هذا الثناء والله اعلم بحقايق الامور واستبقا الباب اي تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل
واختار موسى قومه او على تضمين استبقا بمعنى ابتدرا وانما وحد الباب لانه اراد البراني لا جميع الابواب التي غلقتها روي
كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته
من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها صادفا بعلها وهو قطفير واعانما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم
يكن ملكا في الحقيقة روي انهما الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة ثم انه كان لسايل ان
يسال فما قالت المراة اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء هي استفهامية او نافية معناه اي شي جزاؤه او ليس جزاؤه الا
السجن او العذاب وربما فسر العذاب الاليم بالضرب بالسياط جمعت بين غرضين تبرئة ساحتها عند زوجها من
الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خوفا اذا لم يواتها طوعا انها لحبها يوسف راعت دقايق
المحبة فذكرا السجن اولا لان المحب لا يريد المحبوب ما امكن وايضا لم يصرح بذكر يوسف وانما ارادت بها سوء ابل
قصدت العموم ليندرج يوسف فيه وفي قولها الا ان يسجن اشعار بان ذلك السجن غير دايم بخلاف قول فرعون لموسى
لاجعلنك من المسجونين ففيه اشعار بالتاييد قال يوسف هي راودتني عن نفسي وانما صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب
فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها ثم قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمع من المفسرين الشاهد
ابن عم المراة وكان رجلا حكيما اتفق في ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص
الا انا لا ندري ايكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلف فالرجل
صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص وراوا الشق من خلفه قال انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد بن جبير
والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا في المهد وقد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلف
وضعف بان القميص لا يوصف بالشهادة ولا بكونه من الاهل واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا يدل
قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المراة وهي قد غضبت عليه فعدت خلفه كي تدركه وتضربه ضربا
وجيعا واجيب بان هناك امارات اخر منها ان يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط على مولاه الى هذا
الحد ومنها قرينة الحال كتزين المراة فوق المعتاد وما شوهد من احوال يوسف في مدة اقامته في منزلهم واعترض على
القول الثاني بان شهادة الصبي لو كانت خارقا للعادة فيكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولا لكونه من اهلها
فايدة وايضا لفظ الشاهد لا يقع في العرف الا على من تقدم له معرفة بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق في الاخبار
والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب للحجة عليها والزم لها والشاهد هاهنا مجاز ويوجد حسنه انه ادى مؤدى
الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها والتنكير في قبل ودبر لوم معناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة
يقال لها دبر واما الضمير في قوله فلما راى وفي قوله قال انه من كيدكن فقال انه للشاهد الذي هو ابن عمها كما ذكرنا
اي ان قولك وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو الذي اقضى الى هذه الرتبة من عملكن الى كيد كن
عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال

للنساء ان كيدكن عظيم واقول لاشك ان القران كلام الله الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به ما ادعاه ذلك العالم و
لو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريد الله تعالى امضاه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد
الرجال فانهن يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا عرض ان يفعلن عليهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان ثم قال
قال الشاهد يوسف اي يا يوسف فحذف حرف النداء اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري يا امراة
لذنبك والاستغفار اما من الزوج او من الله لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام شفعاء ولهذا قال يوسف
لصاحبيه في السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير في راي وقال في الزوج المراة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى بالاستغفار
قال ابو بكر الاصم وقال نسوة هي اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي ولذلك لم تلحق التاء من فعله وقد تضم نونها
قال الكلبي هن اربع في مدينة مصر امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وزاد مقاتل
امراة الحاجب والفتى الغلام الشاب والفتاة الجارية قد شغفها اي خرق حبه شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب
قيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب وحبا نصب على التمييز وحقيقة شغفه اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب
كبده وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اي احرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وقال
ابن الانباري هذا من الشعف وهو رؤوس الجبال اي ارتفع حبه الى اعلى المواضع من قلبه والضلال المبين الخطاء عن طريق
الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما حسن التعبير عن الاغتياب بالمكر لاشتراكهما في الاخفاء وقيل
ارادوا بذلك ان يتوسلوا الى رؤية يوسف فلهذا سمي مكرا وقيل التمس منهن كتمان سرها فافشينه فسمي مكرا ارسلت
اليهن تدعوهن وقيل كن اربعين واعتدت اي اعدت وهيات لهن متكا موضع اتكاء واصله موتكا لانه من توكات
ابدلت الواو تاء ثم ادغمت والمراد هيات لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفهات كانها قصدت بذلك تهويل يوسف
من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن السكاكين توهمهن انهن يثبن عليه وقيل المتكا مجلس الطعام
لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المتنعمات ولذلك نهي ان ياكل متكئا واتت السكاكين
ليعالجن بها ما ياكلن وقيل اراد بالمتكا الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اعددت له متكا وقال مجاهد
هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو
الاترج فلما راينه اكبرنه اعظمنه وبهرهن ذلك الجمال وكان خلق الله الا ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان املح قيل كان يشبه
آدم يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه ويرى تلالؤ وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله
كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهري اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اي دخلت في
الكبر بالحيض ووجد حيضهن حينئذ بان المراة اذا فزعت اسقطت ولدها فحاضت فالمراد دخن ودهشن وقيل اكبرنه لما راين
عليه من نور النبوة وسيماء الرسالة وآثار الخضوع والاخبات والاخلاق الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم
والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن وقطعن ايديهن اي جرحنها بانه لم يعرفن الفاكهة من اليد او بان لم يفرقن
بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابله فوقع الطرف الحاد في كفهن وحصل الاعتماد على ذلك الطرف فجرح الكف وهذا
القول شديد الملائمة لقولهن حاش لله اي تنزيها عما يشينه من خصلة ذميمة ان هذا الا ملك كريم في السيرة والعفة والطهارة
اما قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فانما ينطبق على هذا التاويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة توجب حصول
الياس من الوصال وحصول الغرض المجازي وذلك يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه
الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كان قولهن حاش لله ما علمنا عليه تعجب من قدرته على خلق عفيف
مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله لبيان من يبرا وينزه وهي
حرف من حروف الجر وضع موضع التنزيه والبراءة وقال ابو البقاء الجمهور على انه هنا فعل لدخوله على حرف الجر
وفاعله مضمر ومن حذف الالف من آخره فللتخفيف وكذا دون على الالف تقديره حاشى يوسف اي بعد عن المعصية

لخشية الله وصار في حاشية اي ناحية مما قذف به ما عمل ليس لغة حجازية ان هذا الا ماهذا الشخص الا ملك
كريم استدل بعضهم بالاية على افضلية الملك كما مر في اول سورة البقرة قالوا وانما قلن ذلك لما ركز في العقول ان لا
احسن من صورة الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من صورة الشيطان فاعترض عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان
وصورة الملك واجيب بعد التسليم بتغير المدعي وهو انهن اردن المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب
وزيف بان قول النساء لا يصلح للحجة وفي الاية دلالة على انهن باللوم احق لانه حققن بنظرة واحدة ما لم يحقق في
طويلة وانظار كثيرة فلذلك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه مثل هنا ان يوسف كان حاضرا فلم اشارت بعبارة
البعيد فاجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافه من المجلس وهذا شيء يتعلق بالنقل فانا علمنا البناء
فانهم سوا الامر على ان يوسف حاضر واجابوا بانها لم تقل فهذا رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن
به واستبعاد المحلة او هو اشارة الى المعنى بقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم
لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه قبل ذلك حق التصور والا عذرتنني في الافتتان به ولما اظهرت عذرها عند النسوة
صرحت بحقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم قال السدي اي بعد حل السراويل والذين يثبتون
عصمة الانبياء قالوا ان استعصم بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحرز الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة
منها وفيه شهادة من المراة على ان يوسف ما صدر عنه امر بخلاف الشرع والعقل اصلا ولئن لم يفعل ما آمره قال في
الكشاف معناه الذي آمر به فحذف الجار كما في امرتك الخير او ما مصدرية والضمير ليوسف اي امري اياه اي موجب امري
ومقتضاه ليكونا من الصاغرين نون التاكيد المخففة ولهذا يكتب بالالف لانه لو تم علمها بالالف والصغار الذل
والهوان ومعلوم ان التوعد بالصغار له تاثير عظيم في حق من كان رفيع النفس جليل القدر مثل يوسف ثم انه اجتمع على
يوسف في هذه الحالة انواع من المحن والفتن منها ان زليخا كانت في نهاية الحسن ومنها انها كانت ذا مال وثروة
وقد عرضت ان تبذل الكل ليوسف على تقدير ان يساعدها ومنها ان النسوة اجتمعن عليه عليه مرغبات ومخوفات و
منها انها كانت ذا قدرة ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله ولا ريب ان نطاق عصمة البشرية يضيق
بنحو هذه الاسباب فضلا عن كلها وعن ان يبدي سبيلها ولهذا التجا يوسف عليه السلام الى الله سبحانه قال رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه لان السجن وان كان مشقة والذي يدعون اليه وان كان لذة الا انها عاجلة
مستعقبة لخزي الدنيا وعذاب الآخرة والا تصرف عني كيدهن ترجيح داعية الخير وتضعيف النفس او تمهيد
الالطاف والعصمة اصب اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لحسنها واكن من
الجاهلين الذين لا يعملون بما يعلمون فلا يكون في علمهم فائدة او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما كان في قوله
والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه فاستجاب له ربه ثم ان المراة اخذت في الاحتيال مع
زوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول لهم في المجالس اني راودته عن نفسي وانا لا اقدر على اظهار
عذري فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فحبسه ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه
حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله تعالى ثم بدا اي ظهر لهم للعزيز ومن يليه او له وحده والجمع على عادتهم
في تعظيم الاشراف من بعد ما راوا الايات الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي واعتراف المراة وشهادة النسوة
له بالسيرة الملكية والعفة وفاعل بدا مضمر اي ظهر لهم راي او حبسه وانما حذف لدلالة ما يفسره عليه وهو
ليسجننه والعشق مختلف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس الى الحين ان انقطاع المقالة وما شاع في المدينة
وعن الحسن سبع سنين ومن مقاتل انه حبس اثنتي عشرة سنة الله اعلم التاويل لما خرج ابن عنقاء الكتاب
من جب الطبيعة ذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتريه عزيز مصرها وهو الدليل المرشد على جادة الطريقة
العالم الحقيقة فقال لامراته وهي الدنيا اكرمي مثواه اخدميه بقدر الحاجة الضرورية عسى ان ينفعنا حين كان
صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا باكسير النبوة فيصير الشريعة حقيقة والدنيا آخرة او نتخذه ولدا ليبان
شدي الشريعة والطريقة الى ان تربيا الفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا ليشير الى تمكين يوسف القلب

وان استغرق في بحر صفات الازلية الالوهية لا ينقطع عنه تصرفات زليخاء الدنيا مادام هو في بيتها اي في الجسد الدنيا وي وغلقت
ابواب اركان الشريعة وقالت هيت لك اقبل الي واعرض عن الحق قال اي القلب الفاني عن نفسه الباقي ببقاء ربه معاذ الله عما
سواه لحسن مثواي في عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية
لولا ان راى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة هي من نتايج نظر العناية لنصرف عنه السوء الحرص على الدنيا والفحشاء تصرف
حب الدنيا فيه انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من حجاب الوجود المجازي ووصلوا الى الوجود الحقيقي واستبقا الباب الموت الا
وقدت قميص بشريته من دبر بيد شهواتها قبل خروجه من الباب والفيا سيدها وهو صاحب ولاية تربية يوسف القلب
وزوج زليخا الدنيا واهلها في شيء فبين حاكم العقل ان بيد تصرف زليخاء الدنيا لا اتصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص
بشريته انه كيدكن عظيم وهو قطع طريق الوصول الى الله العظيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا فان ذكر الدنيا وزينتها
وحب الدنيا راس كل خطيئة وقال نسوة هن الصفات البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية تراود فتاها الان
الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء باذنها اخذي من خدمتي واعتدت لهن متكا اطعمه مناسبة لكل منها واتت كل واحدة
منهن سكينا هو سكين الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى غلبات احوال القلب على الصفات البشرية وقطع ايديهن
بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم اي ظهر لمرتي القلب بلسان الشريعة وهو شيخ الطريقة ومن يراعي صلاح حال القلب من
بعد ما راوا آثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه في سجن الشرع الى حين تقطع تعلقه عن الجسد بالموت تطهره
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين واذا كان النبي مع نهاية كماله مامورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف عن دونه والله اعلم

ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر
و در آمد با او در زندان دو بنده ملك مصر یکی شرابی و دیگر خباز گفت یکی از ایشان که شرابی بود بدرستی که من میبینم خویش که بیرون می آورم
خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا
از انگور خمر را گفت دیگر که خباز بود بدرستی که من میدیدم که بر میداشتمی بالای سر من نانی چند را که
تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين قال
میخوردند مرغان از ان آگاهی ده ما را بتعبیر آن خواب بدرستی که ما میبینیم ترا از نیکوکاران گفت یوسف
لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما
نیاید بشما هیچ خورشی که روزی دهند شما آن به بیداری مگر که آگاه نیم شما را صفت آن پیش از انکه آید آن طعام بشما
ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم
این خبر کفتیم از آنچیزیست که آموزانیده مرا پروردگار من بدرستی که من دست بداشته ام دین گروهی که ایمان نمی آرند بخدای و ایشان بان جهان ایشان
كافرون واتبعت ملة اباءي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان
نا گرونده اند و متابعت نمودم دین پدران من ابراهیم و اسحق و یعقوب را نسزد
لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن
ما را که انباز گیریم بخدای هیچ چیزی را آن توحید از عطای خدای است بر ما و بر مردمان و لیکن

اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون
بیشتر مردم سپاس داری نمینمایند فضل خدای را ای دو مصاحب من در سجن یا ای دو ساکنان سجن آیا خدایانی پراکنده
خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء
بهتر اند یا نه که خدای یگانه غالب بر همه چیزها نمی پرستید از غیر او مگر نامهای بی حقیقه را
سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان
که نام نهاده اید شما آنرا شما و پدران شما فرو نفرستاد خدای بتسمیه آن هیچ حجتی نیست
الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم
فرمان دهی مگر خدای را فرمود که نپرستید مگر او را آن توحید دین راست است
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما
و لیکن بیشتر مردم نمیدانند ای دو ساکنان زندان اما
احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل
یکی از شما یعنی شرابی دهد بسید خود می را و اما آن دیگر که خبازست بردار کرده شود پس خورد
الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال
مرغان از سر او حکم کرده شد آن کار که در باب آن جواب می طلبید و گفت یوسف
للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانسيه
مر آن کس را که گمان برد او که خلاص یابنده است یعنی شرابی از ان دو کس یاد کن مرا نزد سید تو پس فراموش گردانید
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال
او را دیو یاد دادن سید خود را پس درنگ افتاد در زندان ما بین سه سال یا سالی اکثر برانند که هفت سال بوده یوسف را گفت
الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
پادشاه مصر ریان بن الولید بدرستی که من دیدمی هفت گاو فربه خوردند ایشان را هفت گاو لاغر
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني
و هفت خوشه سبز و هفت دیگر همه خشک ای اعیان علما و حکما فتوا دهید مرا
في رءياي ان كنتم للرءيا تعبرون قالوا اضغاث احلام
در باب خواب من اگر هستید مر خواب را تعبیر کننده گفتند این شوریدهای خوابهاست

وما نحن بتاويل الانعام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر

ونه ايم ما به بيان عاقبت امثال اين خوابها دانايان وكفت آن كس خلاص يافته بود ازان دو وبياد آورد يوسف را

بعد امة انا انبئكم بتاويله بعالمين وقال الذي نجا

بعد از مدت دراز من آكاهي دهم شمارا به تعبير آن خواب پس بفرستيد مرا وكفت آن كس خلاص يافته بود

منهما وادكر امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف

ازان دو كس وياد آورد يوسف را بعد از مدت دراز من آكاهي دهم شمارا به تعبير آن خواب پس بفرستيد مرا اي يوسف

ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع

اي كامل در صدق فتوي ده مارا در باب هفت بقر فربه كه خوردي ايشان را هفت

عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع

كاو لاغر وهفت خوشها سبز وهفت ديكر همه خشك تا مكر من باز كردم

الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا فما

سوي ملك واتباع او تا مكر دانند ايشان منزلت ترا كفت زراعت خواهيد كرد هفت سال حال آنكه بر عادت خود باشد

حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي

پس آنكه درويد باقي كذاريد اورا در خوشهاي آن مكر اندكي كه ازانچه خوريد آنكاه آيد

من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا

ازان پس هفت سال بغايت سخت كه خورند انرا كه پيش فرستاده ايد براي سالها مكر اندكي

مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس

ازانكه نهان كرده باشيد پس آيد پيش از زمان شدت سالي كه دران باران فرستند كه مردم را

وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول

ودران سال عصير كنند عنب وزيتون وكفت پادشاه بياريد بمن اورا پس آنكاه كه آمد به يوسف پيام كذار

قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن

كفت يوسف باز كرد سوي سيد تو پس بپرس او را حيث كاران زناني كه بريدند

ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن

دستهاي ايشان را بدرستي كه پروردكار من بحيلت ايشان داناست كفت پادشاه چيست كار عظيم شما چون معاوده

طلب كرديد

يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت

از يوسف براي تحصيل غرض شهوات از وكفتند تنزيه خداي است ندانستيم براو هيچ بدي كفت

امرات العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه

زن عزيز اكنون درمركز خود قرار كرفت صواب من خواستم اورا براي غرض تحصيل شهوت از وي وبدرستي

لمن الصدقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله

كه او هرآينه از راست كويان است درغيبت او وانكه خداي

لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس

نافذ نكرداند حيلت خيانت كنندكان را وعوت براءت يعني نمي كنم از خطا وزلت مطلقا چه نفس انساني

لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم

از غايت جواذب هرآينه فرماينده است بدي كه مقتضاي دواعي شهوت وغضب است مكر كه بخشايد پروردكار من كه پروردكار من آمرزكار است مهربان قوي بدني

التفسير اي ارانى اعصر في الحرفين ابو جعفر ونافع وابو عمرو وافقه ابن كثير في اراني كليهما الباقون بسكون ياء المتكلم في الكل نبينا بغير همز اوقفه والاعشى وحمزة في الوقف ترزقانه مختلسة الحلواني عن قالون نبا تكما مثل انا انا ربي اي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو آبائي بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن عامر اني ارى بالفتح ابو جعفر و نافع وابو عمرو ورؤياي بالامالة علي غير قتيبة ابو عمرو وبالامالة اللطيفة والقول في ترك الهمزة مثل ما تقدم الرويا مالة علي وابو عمرو وبالامالة اللطيفة لعلي ارجع بفتح الياء ابو جعفر نافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وابو عمرو وذابا بفتح الهمزة حفص الاخرون بالسكون تعصرون بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ما بال النسوة بضم النون الشموني والبرجمي نفسي ربي بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف فتيان خمرا ضلا بين القضيتين مع اتفاق الجملتين الطير منه للعدول عن قول الآخر منهما الى قولهما المضمر اي فقالا انبئنا بتاويله لاحتمال التعليل المحسنين ان ياتيكما ربي كافرون ويعقوب من شيء لا يشكرون القهار من سلطان الا لله الا اياه لا يعلمون خمرا فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين من راسه لان قوله قضي جواب قولهما كذبنا وما راينا رؤيا تستفتيان لاستيناف حكاية اخرى عند ربك سنين يابسات تعبرون احلام للنفي مع العطف بعالمين فارسلون يابسات لتعلق لعلي يعلمون دابا للشرط مع الفاء تاكلون تحصنون يعصرون ائتوني به ايديهن عليم عن نفسه من سوء الحق لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد القائل الصادقين الخائنين الجزء الثالث عشر نفي للحذف اي عن السوء ربي رحيم التفسير تقدير الكلام فحبسوه ودخل معه اي مصاحبا له في الدخول السجن فتيان غلامان للملك الاكبر خبازه وشرابيه نقلا عن ائمة التفسير واستدلالا لا ارقيا منا المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك انهما ارادا اسمه في الطعام او الشراب فامر بادخالهما السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما اني اراني في المنام لقولهما انبئنا بتاويله وهو حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسمية للشيء باسم ما يؤل اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير في قوله بتاويله يعود الى ما قصصنا عليه وقد يوضع الضمير موضع اسم الاشارة كانه قيل بتاويل ذلك انا نريك من المحسنين عبارة الرؤيا وكان اهل السجن يقصون عليه رؤياهم فيؤولها لهم او نريك من المحسنين العلماء عرفا ذلك بالفراسة ومن المحسنين الى اهل السجن كان يعود مرضاهم ويوسع عليهم ويراعي دقائق مكارم الاخلاق معهم او من المحسنين في طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت

لك يدي في تاويل الرؤيا وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا
فقالوا ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت يا فتى فقال انا يوسف صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل
الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي
ومجاهد انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها و
عصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير
تنهس منها قال لا ياتيكما طعام الى اخره هذا ليس بجواب لما سالاه ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبيرين لما كان
هو الصلب وكان في اسماعه كراهة ونفرة اراد ان يقدم قبل ذلك ما يوثق ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة او اراد ان يبين
علو مرتبته في العلم وانه ليس من المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدي اراد لا ياتيكما طعام ترزقانه
في النوم بين بذلك ان علمه بتاويل الرؤيا مقصورا على شيء دون غيره وقيل انه محمول على اليقظة وانه ادعى معرفة الغيب كقول
عيسى عليه السلام وانبئكم بما تاكلون اي اخبركما قبل ان ياتيكما اي طعام هو واي لون هو وكيف يكون عاقبته اهو ضار
ام نافع وان فيه سما ام لا فقد روي ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله اليه ثم قال
ذلكما اي هذا التاويل والاخبار بالمغيبات من قبيل الوحي والالهام لا من التكهن والتنجيم الذي يكثر فيهما وقوع الخطا
ثم بين سيرته وملته مشيرا فيه الى انه رسول من عند الله ومنبها على ان الاشتغال بمصالح الدين اهم من الاشتغال
بمصالح الدنيا وعن ان الرجل الذي سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال اني تركت اي رفضت بل ما كنت عليه
قط ويجوز ان يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفا منهم لانه كان تحت ايديهم وانما كرر لفظة هم تنبيها على انهم
مختصون في ذلك الزمان بانكار المعاد وتعريضا بان ابناء السجن بعد معاينة الايات الشاهدة على براءته لا تصدر الا عمن
ينكرها انكارا اشد الانكار والمراد باتباع ملة آبائه الاتباع في الاصول التي لا تتبدل بتبدل الشرائع ومعنى التنكير في قوله
من شيء الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم ذلك التوحيد من فضل الله علينا و
على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمة الايمان او نعمة اعطاء القدرة والاختيار على الايمان فلا ينظرون في الدلائل
وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا
يا صاحبي السجن اراد يا صاحبي في السجن كقوله يا سارق الليلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معه او اراد يا ساكني السجن
كقوله اصحاب النار وصحب النبيين انهما استفتياه من بين الساكنين ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ء ارباب متفرقون
في العدد او في الجثة وفيما يتبعها من اختلاف الاغراض والابعاض خير ان فرض فيهم خير ام الله الواحد القهار لان وحدة المعبود
تستدعي توحيد المطلب وتفريد المقصد وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من وجه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب
وصلاح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصح حقيقة الالهية في غيره فلذلك قال ما تعبدون من
دونه الا اسماء سميتموها اي سميتم الالهة بتلك الاسماء انتم وآباؤكم الخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر كانهم لا
يعبدون الا اسماء فارغة عن المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان اي لا حجة فيه نزل ثم لما نفى معبودية الغير
بين ان لا حكم في امر الدين والعبادة الا له فقال ان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين
القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مبدا المبادي والمعاد الحقيقي فيجعلون غيره معبودا او يجعلون
لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال ضلالة وتاثيرا ثم شرع في اجابة مقترحهما وهو تاويل رؤياهما فقال اما احدكما
يعني الشرابي فيسقي ربه سيده خمرا يروى انه قال له ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام
ثم تخرج فتصلب فتاكل الطير من راسك قوله قضي الامر قال في الكشاف انما وحد الامر وهما امران مختلفان استفتيا فيهما
لان المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا لاجله فكانهما استفتياه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام
هلاك اسند الامر الى رؤياهما وقيل جحدا رؤياهما فقال ان ذلك الذي ذكرت من امر التاويل كائن لا محالة صدقتما
او كذبتما وقيل عكسا رؤياهما فلما علم الخباز ان تاويل رؤياه شر انكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان
الذي حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا قالت الحكماء ينبغي ان لا يتصرف في الرؤيا ولا تغير عن وجهها فان

الفال على ما جرى وقال يوسف للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك اي اذكر عند الملك اني مظلوم من جهة اخوتي
اخرجوني وباعوني ثم اني مظلوم من جهة النسوة اللاتي حبسني والضمير في ان كان للرجل الناجي فلا اشكال لانهما كانا
مؤمنين بنبوة يوسف بل كانا حسني الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد في حقهما الا مجرد الظن وان عاد الى يوسف
فيرد عليه انه كان قاطعا بنجاته فما معنى واجيب بانه انما ذكر ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة في ذلك العلم فكان
كالمسائل الاجتهادية والاصح انه قضى بذلك على سبيل البت والقطع لقوله لا ياتيكما طعام الى قوله ذلكما مما علمني ربي
فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما الضمير في قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال
انه يعود الى الرجل الناجي اي انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة
لا لاجل انه فاعل او مفعول او المضاف محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار ربه واسناد الانساء الى الشيطان مجاز لان
الانسان عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك والا لازال معرفة الله من قلوب بني آدم
وانما فعله القاء الوسوسة واخطار الهواجس التي من اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب
هو الله تعالى اي الشيطان انسى يوسف ان يذكر الله وعلى القولين عوتب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين
الثلثة الى العشرة لانه القطعة من العدد والبضع القطع ومثله الغضب والاكثرون على ان المراد في الآية سبع سنين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه لما قال
له اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء
انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائز فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى
من انصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق الا ان يوسف عليه السلام
عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها انه لم يقتد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فلقيه جبريل في الهواء وقال
هل من حاجة فقال اما اليك فلا ومنها انه زعم انه اتبع ملة آبائه ومنها انه قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا
يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني كالمناقض لهذا الكلام ومنها انه قال
عند ربك ومعاذ الله انه زعم انه الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب
الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم ومنها انه لم يقرن بكلامه ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف اراه الله في المنام
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر
قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب
الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي منذر بنوع من انواع الشر الا انه لم يعرف تفصيله
والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولا سيما اذا كان صاحبه ذا قدرة وتمكين فيهما
الطريق اما الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاعجز الله
اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماه عليهم حتى قالوا انها اضغاث احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتاويلها واعلم ان
الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك
في اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفي وقت النوم يقل تلك الشواغل فيقوى النفس على
تلك المطالعة فاذا وقفت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت في الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التاويل وان نزلت
آثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فهناك يفتقر الى المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة
يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانيات ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا ينضبط تحليلها
وتركيبها للتشويش وقع في ترتيبها وتاليفها فهي المسماة بالاضغاث ما يكون سبب هذا التشويش القوة المتخيلة لفساد وقع في
القوى البدنية او لورود امر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد نعد من الاضغاث من حيث انها اعيت المعبرين
عن تاويلها ولنشتغل بتفسير الالفاظ اما الملك فريان بن الوليد ملك مصر وقوله اني ارى حكاية حال ماضية وسمان
جمع سمينة وسمين وسمينة تجمع على سمان كما يقال رجال كرام ونسوة كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يوقع

ان يوقع الوصف وصفا التميز كما في الآية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل سمان بالجر ليكون وصف
البقرات ويحصل التميز للسبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن ولو نصب حصل تبيين السبع بجنس البقرات اولا
ثم يعلم من الوصف ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء
وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف حذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات
التقدير وسبعا آخر لا نصباب المعنى الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف على الاضافة لان البيان لا يقع بالوصف وحده
وقولهم ثلثة فرسان وخمسة اصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون واخر مجرورا عطفا على سنبلات
لان لفظ الاخر يأباه ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما قلنا
في وكانوا فيه من الزاهدين ولان عمل العامل فيما تقدم عليه ضعيف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها او ان تأخر
معموله اولان قوله للرؤيا خبر كان كقولك هو لهذا الامر اي متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر آخر او حال او لتضمين تعبرون
معنى ينتدبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقه من العبر بالكسر فالسكون وهو جانب
النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى يبلغ آخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تأملت ناحيتها فانتقلت من احد الطرفين الى
الاخر والاضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث
من احلام والصيغة للجمع ولكن الواحد قد يوصف به كما يقال رمح اقصاد وبرمة اعشار فالمراد هي حلم اضغاث احلام و
قد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم وان يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة فهذه
ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلاما اخر واللام في الاحلام اما للعهد كانهم ارادوا والمنامات الباطلة او للجنس ارادوا انهم
غير متبحرين في علم تاويل الرؤيا ولما اعضل على الملأ تاويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه
المصلوب وتذكر قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر واصله اذتكر قلبت التاء دالا كلاهما الاهمالة
وادغمت بعد امة اي بعد حين كانها حصلت من اجتماع ايام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم
عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بوزن عمه ومعناه انا انبئكم بتاويله اخبركم به عمن عنده علمه فارسلون اليه لا
والخطاب للملك والجمع للتعظيم اوله وللملأ حوله والمعنى ابعثوني باستعبار وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة وههنا
اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف اي يا يوسف ايها الصديق البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه
الصفة لانه تعرف احواله من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديم ما عليه يفيد المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة
الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه
يعيش الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة
وكذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فتخلصوك او يعلمون تاويله فيكون فيه نوع شك لانه ربما عجز
سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة لفواصل الاي والا كان تقتضي النسق لعلي ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه
السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين
وهو خبر في معنى الامر يفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه في معنى الامر قوله
فذروه في سنبله واقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع
يلزم نزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت ودابا بتسكين الهمزة وتحريكها
مصدر دأب في العمل اذا استمر عليه وانتصابه على الحال اي تزرعون ذوي دأب او على المصدر والحال
فعله اي تدأبون دأبا وانما امرهم بان يتركوا في السنابل الا القدر الذي يأكلونه في الحال لئلا يقع فيه السوس ثم يأتي من بعد ذلك
فيه دليل على ان تزرعون اخبار لا امر سبع شداد اي سبع سنين شداد على الناس يأكلن ما قدمتم لهن من الاسناد المجازي
لان الآكلين اهل تلك السنين لا السنون الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبأون والاحصان جعل الشيء في الحصن كالاحراز
جعله في الحرز ثم اخبر انه يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت
وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضرع تاويلا للبقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب
والعجاف واليابسات بالسنين ثم بشرهم بالبركة في العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي من جهة

زاده الله علما سنة وقيل عرف استدلالا فليس بعد انتهاء الجدب الا الخصب والجواب انه لا يلزم من انتهاء الجدب
الا الخصب والجواب انه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب والجدب الكثير فقد يكون توسط الحال كما يضا في قوله وفيه يعصرون
نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير استحسنه وقال ائتوني به فجعل الله سبحانه علمه
مبدأ لخلاصه من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول وهو الشرابي
الى الملك وعرض عليه التعبير استحسنه فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة ما شأنهن وحالهن
ان ربي اي الله العالم بخفيات الامور او العزيز الذي رباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد
غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه او اراد الوعيد اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في
موافقة سيدته او تقبيح صورته عند العزيز حتى رضي بسجنه ومن لطائف الآية انه اراد فسأل الملك ان يسأل ما بالهن
الا انه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيج على البحث والتفتيش ومنها انه لم يذكر
سيدتها بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن ايضا فوصفهن بتقطيع الايدي فقط لا بالترغيب والخيانة
عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان
ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه
ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة قال العلماء ان الذي
يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما بقي في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل الحساد يتسلقون
بذلك الى تقبيح امره عنده وفي هذا الثاني والتثبت تلاف لما صدر منه في قوله للشرابي اذكرني عند ربك قال الملك
بعد احضار النسوة ما خطبكن ما شأنكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن اوالى زليخا قيل الخطاب
لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن جميعا لان كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امرأة العزيز قلن حاش
لله تعجبا من عفته ونزاهته قالت امرأت العزيز حين عرفت ان لا بد من الاعتراف الان حصحص الحق وضح وانكشف ويمكن
في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة
الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الآيتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية قول يوسف
قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى
الحادثة الحاضرة بقوله ذلك لاجل التعظيم او المراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت واظهار البراءة عن ابن عباس انه لما دخل
على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك في السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اي
انا غائب عنه او من المفعول اي وهو غائب عني او على الظرف اي بمكان الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة
قيل هذه الخيانة لو وقعت لوقعت في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزير فقد خان
الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم الله لان المعصية خيانة او المراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز او ليعلم العزيز اني لم
اخنه وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامرأته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد
ظهور الآيات على حبسه فكانه خان حكم الله وفيه تاكيد لامانته وانه لو كان خائنا لم يهد الله كيده ولا يخفى ان هذه
الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المرأة دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال اهل التحقيق
انه لما راعى حرمة سيدتها في قوله ما بال النسوة دون ان يقول ما بال زليخا ارادت ان تكافيه على هذا الفعل الحسن فلا
جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها ونظيره ما يحكى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه
المهر فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر
بصداقها في دعواها فقالت المرأة لما اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني ابرأت ذمته من كل حق لي عليه وكما كان
قول يوسف ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق او في هذه الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم
اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسي ان النفس اي هذا الجنس لامارة بالسوء ميالة الى القبائح راغبة في المعاصي وفيه ان تلك
الخيانة ما كان بحظ النفس وشرها ولكن كان بتوفيق الله وتسهيله وصرفه الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه
ربي بالعصمة كالملائكة او المراد انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة

هي التي تصرفت الاشارة انه حكاية قول المرأة لان يوسف ما كان حاضرا في ذلك المجلس والمعنى وان كنت احلت عليه الذنب
عند حضوره ولكني ما احلته عليه في غيبته حين كان في السجن وان الله لا يهدي فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر فلا جرم
افتضحت وانه لما كان بريا من الذنب لا جرم طهره الله منه وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قلت ما جزاء من
اراد باهلك سوءا وحين اودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفس يوسف
ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شيء واحد فاذا مالت الى العالم العلوي
كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب سميت امارة وهذه هي اغلب احوالها لالفها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم
اذا خليت طباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت منجذبة مرة الى العالم العلوي ومرة
الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن تحمله على
الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وتمسك الاشاعرة بقوله الا ما رحم ربي ظاهر لانه دل على ان الصرف عن السوء بخلق
الله وتكوينه وحمله المعتزلة على منح الالطاف والله اعلم بالحقائق لما ادخل يوسف القلب سجن الشريعة دخل
معه غلامان لملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عملا في السفل الدنيوي الا من شرب النفس فهي
صاحب شرابه والبدن يجني من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما ان الجسم
لا يبقى الا بغذاء جسماني وانما حبسا في سجن الشريعة لانهما متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه
وفي رؤياهما دلالة على انهما من الدنيا واهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا انا نراك من المحسنين الذين يعبدون الله عيانا
وشهودا اني تركت ملة قوم فيه اشارة الى ان القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة اما احدكما
فيسقي ربه اي سيده باقداح المعاملات والمجاهدات شراب الكشوف والمشاهدات وهي باقية في خدمة ملك
الروح ابدا واما الاخر فهو البدن فيصلب بحبل الموت فتاكل طير اعوان ملك الموت من راسه الخيالات الفاسدة
قضي في الازل هذا الامر اذكرني عند ربك يعني ان القلب المسجون في بدء امره يلهم النفس بان يذكر المعاملات
المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح وينبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس الخمس ويسعى في استخلاص
القلب ذكر الله حين استغاث النفس ليذكره عند الروح واستغاث بالله لخلصه في الحال فلبث في السجن بضع سنين اشارة
الى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محبوس وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر
اني ارى سبع بقرات سمان من الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف هن اضدادها وهي القناعة والسخاوة والعفة والشفقة
والحلم والتواضع يا ايها الملا يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني في رؤياي في غيب الملكوت وما نحن بتاويل
الاحلام اي ليس التصرف في الملكوت وشواهدها من شانها فارسلون فيه ان النفس اذا اردت ان تعلم شيئا مما يجري في الملكوت
يرجع بقوة التفكر الى القلب فتستخبر عنه فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب ايها الصديق
لانه يصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما يروي للخلق ما كذب الفؤاد ما راى حدثني قلبي عن ربي لعلي
ارجع الى الناس اي الى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة
في اوان الطفولية فذروه في سنبله اي ما حصلتم من هذه الصفات فذروه في اماكنه ولا تستعملوه الا قليلا مما تعيشون به
الى اوان البلوغ وظهور نور العقل في مصباح السر من زجاجة القلب كانه كوكب دري ثم اذا ايد نور العقل بانوار الكشف
الشرع وشرف بالهام الحق في اظهار فجور النفس وتقواها فزكيها من هذه الصفات وتحليها بالصفات الروحانية السبع
فكان السبع العجاف اكلن السبع السمان وانما سمي ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثرتها
الا قليلا مما تحصنون به الانسان جوهر قابلة ثم ياتي من بعد ذلك عام اي يعيد غلبات الصفات الروحانية واضمحلال
الصفات البشرية يطهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية وفيه يتبرا العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده
وحجب انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما راه الروح في عالم الملكوت وما قد استحق قربة الروح وصحبته فاستدعى حضوره
على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سلها ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما راين جمال القلب المنور بنور الله
قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها واثرن السعادات الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي
القلب المنظور بنظر العنايات لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا

ونعيمها

ونعيمها وان الله لا يهدي كيد الخائنين الذين يتبعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه والفضل من ربه
وما ابرئ نفسي لان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها بتقلبها وتغيرها فاذا انفتح صبح الهداية صارت لوامة نادمة
على فعلها والندم توبة واذا اطلعت شمس العناية صارت ملهمة فالهمها فجورها وتقواها واذا بلغت شمس العناية وسط سماء
الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية مرضية ان ربي
غفور لنفس تابت ورجعت اليه رحيم لمن احسن طاعته وعبادته الله حسبي وكفى الله اعلم بالصواب

وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال
وگفت پادشاه آرید بمن اورا تا خالص گردانیم اورا برای خویش پس آنگه که سخن با او گفت
انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض
بدرستی که تو امروز نزد ما با مکانت و منزلتی و با امانت گفت والی گردان مرا بر خزانهای زمین مصر
اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها
چه من نگه دارنده امانتم و دانا بتدبیر اموال و همچنان تقریب و خلاص از سجن جای دادیم یوسف را در زمین مصر جای میگرفت از آن
حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين
هر جایی که میخواست میرسانیم عطای خود در دنیا پادشاهی هر کرا میخواهیم و باطل نمیکنیم مزد نیکوکاران را
ولاجر الاخرة خير للذين [آمنوا وكانوا] يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا
[ایمان آوردند و هستند]
و هر آینه ثواب آن جهان بهتر است آنان را که پرهیزگاری مینمایند و آمدن برادران یوسف پس در آمدند
عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم
بر او پس شناخت ایشانرا و ایشان مر او را ناشناسنده بودند و آنگه که ساز فرمود ایشانرا آنچه در سفر محتاج شوند
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي
گفت بیارید بمن برادری که مر شما راست از پدر شما آیا نمی‌بینید که من تمام میرسانم
الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل
پیمانه را و من بهترین مهمان دارانم پس اگر نیارید بمن او را هیچ پیمانه نیست
لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا
مر شما را نزد من و نزدیک مشوید بمن گفتند زود بود که مطالبه نمایم از برای تحصیل او پدر او را و بدرستی که ما
لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم
کارکنانیم و گفت مر غلامان خود را که در آرید آنرا که با خود آورده‌اند برای کیل در بارهای ایشان تا مگر ایشان
يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
بشناسند چون از اجون باز گردند سوی کسان ایشان تا مگر ایشان باز گردند سوی ما

فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل

پس انگه بازگشتند سوی پدر ایشان گفتند ای پدر ما بازداشته شد از ما کیل در کرت دوم اگر برادر خود را نبریم پس بفرست

معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل امنكم

با ما برادر ما را تا کیل فرا گیریم و بدرستی که ما مر او را نگاه دارنده ایم گفت یعقوب هیچ امین دارم شما را

عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا

بر او مگر چنانکه امین داشتم شما را بر برادر او از این پیش پس خدای بهترست نگاه داشتن

وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم

و او بخشاینده ترین بخشایندگان است و آنگاه که گشودند بارهای ایشان را یافتند بضاعت خود را

ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير

بازگردانیده بود سوی ما و طعام آریم برای کسان خود و نگاه داریم برادر ما را و افزون آریم بار یک شتر

ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون

آن کیلی آسانست گفت یعقوب هرگز نفرستم او را با شما تا که دهید بمن

موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم

عهدی از خدای که آرید البته او را بمن مگر که احاطه کرده شود بشما پس آنگه که دادند او را عهد

قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من

گفت یعقوب خدای بر آنچه میگوییم کارگزارست و گفت ای پسران من در مروید در شهر مصر از

باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم

یک در و درآیید از درهای پراکنده و باز نمی دارم از شما

من الله من شي ان الحكم الا لله وعليه فليتوكل

از خدای هیچ چیز را نیست فرمان مگر خدای را و بر وی باید که اعتماد نمایند

المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني

اعتماد نماینده گان و آنگاه که درآمدند از آنجا که فرموده بود ایشان را پدر ایشان نبود که باز دارد

عنهم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضيها

از ایشان از خدای هیچ چیز را مگر حاجتی در نفس یعقوب که گزارد آنرا

وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون

و بدرستی که او هر آینه خداوند علم است مر آنچه آموختیم او را و لیکن بیشتر مردم نمیدانند

القراءة حيث نشاء بالنون ابن كثير الآخرون بياء الغيبة اني اوفي بفتح ياء المتكلم نافع غير اسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلي وخلف غير ابي بكر وحماد الباقون لفتيته نبي حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون تؤتون بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الوقوف لبغي امين الارض لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عليم في الارض لاحتمال ما بعده الاستيناف او الحال حيث يشاء المحسنين يتقون منكرون من ابيكم لحق الاستفهام مع اتحاد القائل المترلين ولا تقربون لفاعلون يرجعون حافظون من قبل لانتهاء الاستفهام الا الاخبار حافظا الراحمين اليهم لتمام جواب لما ما نبغي لان ما بعده جملة مستانفة موضحة للاستفهامية او المنفية قبلها الينا لاحتمال العطف او الاستيناف على ونحن نمير كيل بعير يسير بكم قال الله قيل فكث بين الفعل والاسم لان القائل يعقوب لا الله سبحانه والاحسن ان يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل متفرقة من شيء لله توكلت المتوكلون ابوهم لان جواب لما محذوف اي سلموا باذن الله قضيها يعلمون التفسير الاظهر ان هذا الملك هو الريان لان العزيز لان قوله استخلصه لنفسي يدل على انه قبل ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الارض دلالة ايضا على خزائن الارض دلالة ايضا على ما كان قلنا الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شوائب الاشتراك ومن عادة الملك ان يتفردوا بالاشياء النفيسة روي ان جبريل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم لي من عندك فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر هذا السبب في تخليصه فجاء الرسول وقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل ان يكون ضمير الفاعل ليوسف والملك وهذا اولى لان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام بغيرهم يروى ان الملك قال له ايها الملك الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم من حاله من نزاهة ساحته وعدم مساعدته في الخروج من السجن وقد وصف له الشرابي من جده في الطاعة والاحسان الى سكان السجن ما وصف فعظم اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهرة واما العلم فلان كونه متمكنا من افعال الخير وباضدادها وكونه امينا متفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اللام للعهد اي على خزائن ارض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء اي يحفظ اني حفيظ للامانات واموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجوه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه اياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والشفقة قال الواحدي بهذا الطلب خطيئة منه فكانت عقوبته ان اخر المقصود عنه سنة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله عنه سنة وقال آخرون ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه لان النبي يجب عليه رعاية الاصلح لامته بقدر الامكان وقد علم بالوحي انه سيحصل القحط والضنك فاراد السعي في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى دفع الظلم والضرر عن الناس الا باستعانة من كافر او فاسق فله ان يستظهر به على ان مجاهدا قد زعم ان الملك كان قد اسلم وقيل كان الملك يصدر عن رايه وكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على

المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن للتوصل الى الغرض المذكور وكذلك التالي مثل ذلك التقريب والاغناء من البحث مكنا ليوسف في الارض ارض مصر وهي اربعون فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء هو ونشاء نحن على القراءتين والمراد بيان استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه احد نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله بتيسيره وقالت المعتزلة تلك المملكة لما لم تتم الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وعلقوا المشية بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة ناقشوا في هذا القيد ولا نضيع اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في حقه تعالى ولاجر الاخرة خير من اجر الدنيا او خير في نفسه وفي قوله المحسنين وقوله للذين آمنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين ففيه دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال سفين بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق يروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته لك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات فزوجه الملك لامراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم ومنشا واقام العدل بمصر واحبه الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لان طول العهد ينسي ولاعتقادهم انه قد هلك او لذهابه عن اوهامهم حين فارقوه مبيعا بدراهم معدودة ثم راوه ملكا مهيبا جالسا على السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا حيث يقف وان يتهموا مما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليهم في كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهازا للسفر قال وسمعت اهل البصرة يجعلون الجهاز بالكسر وقال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لا بد من كلام يجر هذا الكلام فروي انه لما راهم وكلمهم بالعبرانية قال لهم من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد قال فدعوا بعضكم عندي رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا ابا شيخا كبيرا واخا آخر بقي معه ولا بد لهما من حملين آخرين فاستحي الملك يقاله عند ابيه على زيادة محبته اياه وكونه فائقا في الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا لم يبق وحيدا فقد بقي عنده واحد فقال لهم لم خصه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل زيادة محبته فقال يوسف ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو ازيد عليكم في الكمال والجمال فائتوني به ولا شاهد والاول قول المفسرين والاخر محتمل ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان قد احسن ضيافتهم اوزاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بحذفهم على النهي او لانه داخل في حكم الجزاء كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد عنه حتى ينتزعه من يده وانا لفاعلون كل ما في وسعنا في هذا الباب

اولقادرون على ذلك وقال لفتيانه او لفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ ففعلة للقلة ووجهه ان هذا الاعمال من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه انه قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير فناسبه الجم الغفير من الغلمان الكائلين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه امر بوضع بضاعتهم في رحالهم على وجه لا يعرفون بدليل قوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذي لاجله امر يوسف بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع واراد به التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان قحط اولان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لوم او اراد ان يرجعوا فيعرفوا سبب الرد لانهم اولاد الانبياء فاحترزوا ان لا يكون ذلك على سبيل السهو او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعديا ي لعلهم يردونها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل اراد قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بالمنع انهم اذا طلبوا الطعام لابيهم والاخ المخلف فلعله منع من ذلك ويقوي هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل ضمنوا كونهم حافظين له فقال يعقوب انكم ذكرتم مثل هذا الكلام في يوسف فهل يكون اماني الآن الا كاماني فيما قبل يعني كما لم يحصل الامان في ذلك الآن والظاهر ان ههنا اضمارا والتقدير فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا او حافظا نصب على التمييز واحتمل الثاني الحال نحو لله دره فارسا وهو ارحم الراحمين ارجو ان لا يجمع على مصيبتين وقيل انه تذكر يوسف فقال فالله خير حافظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي ولما فتحوا متاعهم هو عام في كل ما يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام او الاوعية اما قوله ما نبغي فالبغي بمعنى الطلب وما فافية او استفهامية والمعنى ما تطلب وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد منك بضاعة اخرى اواي شيء نطلب وراء هذا نستظهر بالبضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زايد على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي ويجوز ان يكون البغي بمعنى الكذب والتزيد في القول على ان ما نافية اي ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا تلك الكرامة قال في الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفة على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا لصدقهم وقوله ونمير معطوفا على ما نبغي او يكون كلاما مبتدءا اي وينبغي ان نمير كما تقول سعيت في حاجة فلان ويجب او ينبغي ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به اليك من ارسال اخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين في رايهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا الى اخره يقال ماره يميره اذا اتاه بميرة اي بطعام ذلك كيل يسير اي ذلك الكيل لاجلنا قليل يريدان ينضاف اليه ما يكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك القدر سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقاسا بسببه واختاره الزجاج وجوز في الكشاف ان يكون هذا من كلام يعقوب يعني ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر بمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا تعطوني ما اتوثق به من عند الله وهو الحلف به وجواب الحلف لتأتنني به الا ان يحاط بكم استثناء من اعم العام في المفعول له وقد يقع مثل هذا الاستثناء في الاثبات اذا استقام المعنى نحو قرأت الا يوم كذا وان شئت فاوله بالنفي اي لا تمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة هي ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا قاله مجاهد او تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قال قتادة على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل مطلع رقيب قال جمهور المفسرين انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان

المقام الاول

ان الاصابة بالعين حق للطباق كثير من الامة وما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اي جامعة للشر من لمه اذا جمعه او المراد لعلمه والتغيير للمزاوجة وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله

صلى الله عليه وسلم بيت ام سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال افلا تسترقون له من العين
وعنه صلعم العين حق ولو كان شي يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عايشة كان يامر العاين ان يتوضا ثم يغتسل منه
المعين **الثاني** في الكشف عن حقيقته قال الجاحظ يتدمن العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيوثر ويسري فيه
كتاثيره في المستحسن واجيب بان المستحسن انكان محبوبا حصل للعاين عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله
وان كان عدوا حصل له حزن شديد من حصوله وعلى التقديرين يتحرك الروح وينحصر في داخل القلب ويحصل في الروح
الباصرة كيفية مسخنة موثرة فلهذا السبب امر النبي صلى الله عليه وسلم العاين بالوضوء ومن اصابته العين بالاغتسال
منه وقال ابو هاشم وابو القسم البلخي لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشي واعجب به كانت المصلحة له في تكليفه ان يغير
ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب ذلك المكلف معلقا به وقالت الحكماء ليس من شرط الموثر ان يكون تاثيره بحسب هذه الكيفيات
المحسوسة بل قد يكون التاثير نفسانيا محضا او وهميا كالماشي على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية قد يكون للنفوس
خواص عجيبة تعرف في غير ابدانها بحسبها فمنها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين اما الجبائي وغيره ممن انكر العين
فقد قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس بكمالهم وجمالهم وهيبتهم فلو يامن يعقوب ان يخافهم
الملك على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله تعالى لم يامره باظهاره وكان غرضه ان يصل
بنيامين اليه في غيبتهم قاله ابرهيم النخعي واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد السعي البليغ
يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره وان الحذر لا يغني عن القدر فلهذا قال يعقوب
وما اغني عنكم من الله من شي فقوله الاول مبني على رعاية الاسباب والوسايط وقوله الثاني الى اخر الاية اشارة الى
الحقيقة وتفويض الامور بالكلية الى مسبب الاسباب وقد صدقه الله تعالى في ذلك بقوله ما كان يغني عنهم من الله
من شي قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء قضاه الله وقال الزجاج وابن الانباري لو سبق في علم الله ان العين
تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم لاجتماعهم وقال اخرون ما كان يغني عنهم راي يعقوب شيا قط حيث اصابهم
ما اصابهم مع تفرقهم من اضافة السرقة واخذ الاخ وتضاعف المصيبة على الاب الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن
حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي اظهار الشفقة والنصيحة او الخوف من اصابة العين او من حسد اهل مصر او من
قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله انه لذو حظ علم يعني علمه بان الحذر لا يدفع القدر لما علمناه ما مصدرية او
موصولة لتعليمنا اياه او للذي علمناه وقيل العلم الحفظ والمراقبة وقيل المضاف محذوف اي بفوايد ما علمناه
وحسن ثناء اشارة الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او لا يعلمون ان يعقوب بهذه
الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا يعلمون ان الله تعالى كيف ارشد اولياءه الى العلوم التي تنفعهم
في الدنيا والاخرة والله اعلم **التاويل** لما تبين ملك الروح قدر يوسف القلب وامانته وصدقه وحسن استعداده
سعى في خلاصه من سجن البشرية ليكون خالصا في كشف حقايق الاشياء ولم يعلم انه خلق لصلاح جميع رعايا مملكته
روحانية وجسمانية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن ادم مضغة ان صلحت صلح بها ساير الجسد وان
فسدت فسد بها ساير الجسد الا وهي القلب وللقلب اختصاص اخر بالله دون ساير المخلوقات قال سبحانه لا يسعني
ارضي ولا سماي وانما يسعني قلب عبدي المومن اجعلني على خزاين ارض الجسد فان الله تعالى في كل عضو من الاعضاء
خزانة من اللطف ان استعمل الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزانة من القهر ان استعمله الانسان فيما
خلق ذلك العضو لاجله وخزانة من القهر ان استعمله في ضده اني حفيظ للخزاين عليم باستعمالها فيما ينفعها دون ما
يضرها نصيب برحمتنا اي ان اصابته اللطف من تلك الخزاين دون القهر موكول الى مشية الله تعالى وجاء اخوة
يوسف وهم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم في الظلمة
وحرمانهم عن النور ولما جهزهم يشير الى ان يوسف القلب لما التجات اليه الاوصاف البشرية يبدل صفاتها
الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا يحضر القلب
الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه يوفي بارقي الكيل ما لم يوف الى الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم فيه ان بضاعة كل من الاعمال البدنية التي يجي بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف عايدة اليها

لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس تتادب وتتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية المومن خير من
عمله وكالعزايم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والصدق والاخلاص ثم كمال تربية القلب بالتحلية وتجلي صفات الحق ذاته
لعلهم يرجعون من صفة الامارية الى المامورية والاطمينان فيستحق لجذبة ارجعي الى ربك ردت الينا فايدتها جمع
الى يوسف القلب وبنيامين السر اهلنا الاعضاء والجوارح نكتل لهم قوة زايدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة ونحفظ اخانا من
الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور السر عند القلب كيل بعير من الفوايد الربانية ذلك
كيل يسير لمن يسره الله لما تنبيه مع الفوايد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغلب الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد
لا تبتغوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاسباب مدخل في التقريب الا ان الكل موكول الى مسبب الاسباب

ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك
وانكه كه درامدند بر يوسف جاي داد سوي خود گفت بدرستي كه من برادر توام
فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
پس اندوهگين مشو بانچه هستند كه ميكنند پس انگاه كه ساز فرمود براي ايشان ساز سفر ايشان مشربه كه از ان
في رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها العير انكم لسارقون
در بار برادر خود پس ندا كرد نداكننده اي كاروان بدرستي كه شما هراينه دزد آييد
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع
گفتند وحال انكه روي اورند بر ايشان چه چيزي جوييد گفتند مي جوييم مشربهٔ
الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد
پادشاهرا وهر انكس كه بياورد ان صواعرا بار يك شتر ومن كه منادي ام بدان كفيلم گفتند بحق خداي بحقيقت دانستيد
علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا
اگر ما نيامديم تا تباهي كنيم اندر زمين ونبوديم ما منسوب بسرقه گفتند پس چيست
فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في
پاداش سارق اگر باشيد دروغ گويان گفتند كه پاداش او انكس است كه يافته شود در بار او
رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدا باوعيتهم
كه او جزاي ان صواع است يا انكه يكسال رق باشد وچنين جزا دهيم ستمكارانرا پس اغاز كرد ان جوينده
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا
به برادران ديگر پيش از برادر او پس بيرون اورد صواع را از بار برادر او همچنان تدبير كرديم براي

ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله
براي يوسف نبود تا فرا گيرد برادر خود را در حكم پادشاه مصر مگر كه خواهش خداي بلند
نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان
ميگردانيم مراتب انكس كه مي خواهيم و بالاي هر خداوند دانش دانايست گفتند اگر منسوب
يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه
مي شود بسرقه پس بحقيقت منسوب شد بسرقه برادر او كه بود او را از پيش پس نهان كرد ان كلمه را يوسف در ضمير خود
ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون
و ظاهر نكرد ان كلمه را گفت شما بدتريد بمنزلت جه سرقه شما و خداي داناتر است بدانچه صفت ميكنيد
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا
گفتند اي عزيز بدرستي كه مر او را پدريست پير بزرگ قدر پس فراگير يكي از ما
مكانه انا نريك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ
بجاي او بدرستي كه ما بينيم ترا از نيكوكاران گفت يوسف پناه مي گيريم بخداي او كه بگيريم كس را مگر
الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيئسوا
انكس را كه يافتيم رخت ما را نزد او بدرستي كه ما انگاه از ستمكارانيم پس انگاه كه نا اميد شدند
منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم
و با جانبي رفتند حال انكه راز گوينده بودند گفت بزرگتر ايشان ايا ندانستيد كه پدر شما بحقيقت گرفت از شما
موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض
عهدي از خداي و از پيش تقصير كرديد دركار يوسف پس البته فرا تر نشوم از زمين مصر
حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين
تا كه دستوري دهد پدر من يا حكم كند خداي براي من و او بهترين فرمان دهانست
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما
باز گرديد بسوي پدر شما پس بگوييد اي پدر ما بدرستي كه پسر تو بدزدي منسوب شد وما
شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل
گواهي نداديم مگر بانچه دانستيم و نبوديم ما مر علم نهاني را نگاه دارندگان و بپرس

القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون
از اهل ان شهر كه بوديم دران و از كارواني كه روي درا ورديم بدان شهر مصر در ميان ايشان كه ما راست گوياتيم
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان
گفت يعقوب نه كه ان اسان كردانيده است نفوس اماره شما پس كار من صبري نيكوست شايد كه ارد بجاي بر من
ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم
يعني يوسف بدرستي كه او داناست درست كار درست گفتار

القراءة اني اخوك بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع برفع درجات من يشاء بالاضافة وبياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استايسوا وايئس بالالف ثم الياء ابو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف وان شاء ابن المنيع الباقون بياء ثم همزة على الاصل ابي بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو وافق ابن كثير في ابي **الوقوف** يعلمون لسارقون تفقدون زعيم سارقين كاذبين فهو جزاؤه الظالمين من وعاء اخيه ليوسف يشاء الله لان ما بعده مستانف نشاء عليم من قبل مكانا تصفون مكانه الثلثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين عنده لتعلق اذن بما قبلها الظالمون نجيا في يوسف للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي لاحتمال ما بعده الابتداء او الحال الحاكمين سرق لانقطاع النظم مع اتحاد القايل حافظين اقبلنا فيها لاختلاف الجملتين والابتداء بان لصادقون امرا جميل جميعا الحكيم

التفسير روي انهم لما اتوه باخيهم بنيامين انزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مايدة فبقي بنيامين وحده ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فاواه اليه اي ترك في المنزل الذي كان ياوي اليه فبات يوسف يضمه اليه ويشم رايحته حتى اصبح ولما راى تاسفه لاخ هلك قال له اتحب ان اكون بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه قال اني انا اخوك قال وهب اراد اني اقوم لك مقام اخيك في الايناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وساير المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا تبتئس افتعال من البوس الشدة والضر اراد نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والاعمال المنكرة التي اقدموا عليها روي ان بنيامين قال ليوسف انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا بان انسبك الى ما ليس بحسن قال انا راض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك انك قد سرقته فذلك قوله سبحانه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه والسقاية هي مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقي بها الملك او الدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب او فضة مموهة بالذهب او مرصعا بالجواهر اقوال ثم اذن مؤذن نادى مناد ومعناه راجع الى الايذان الاعلام الا ان التشديد يفيد التكثير او التصويت بالنداء ايتها العير اراد اصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير كانها جمع عير واصلها فعل بالضم كسقف وسقف فابدلت الضمة كسرة لاجل الياء كما في بيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير ههنا سؤال وهو انه كيف جاز لنبي الله ان يرضى بنسبة قوم الى السرقة وهم برآء واجاب العلماء بانهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لانهم لما لم يجدوا السقاية غلب على ظنونهم انهم اخذوها او المؤذن ذكر ما ذكر على سبيل الاستفهام او المراد انهم سرقوا يوسف من ابيهم او المراد ان فيكم سارقا وهو الاخ الذي رضي بذلك البهتان فلا ذنب لان الخصم رضي بان يقال في حقه ذلك ثم ان اخوة يوسف قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا

نفقد صواع الملك قيل الصواع اسم للصاع والسقاية وصف ولمن جاء به اي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله و
انا به زعيم اي كفيل هو من قول المؤذن وفيه ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم ايضا اذا كان معلوما وكان حمل
بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا الا ان هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة بما لم يجب لانه لا يحل للسارق
ان ياخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة تصح عندهم قالوا تالله التاء مبدلة من الواو وضعفت عن التصرف
في سائر الاسماء وجعلت فيما هو احق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على امرين متعجبين الاول انهم علموا ان اخوة يوسف
ما جاؤا لاجل الافساد في الارض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روي انهم دخلوا وافواه دوابهم مشدودة خوفا من ان
تتناول زرعا او طعاما لاحد في الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على انواع الطاعات ورد المظالم حتى انهم ردوا بضاعتهم
الذي وجدوها في رحالهم الثاني انهم ما وصفوا قط بالسرقة قالوا اي اصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير
للصواع والمضاف محذوف اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل ان يعود الى
السارق وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء حتى قالوا جزاؤه من وجد في
رحله اي جزاء الرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه في زيادة البيان اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقال حق
السارق القطع فهو جزاؤه لتقرر ما ذكر من استحقاقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل
بالخبرية على ان الاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ليكون الضمير الثاني عائدا الى المبتدأ والاول الى من ولكنه
وضع المظهر مقام المضمر للتاكيد والمبالغة وجوز في الكشاف ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسئول عنه
جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسئول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه اما قوله كذلك اي مثل
ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل ان يكون من بقية كلام اخوة يوسف وان يكون كلام اصحاب يوسف والله اعلم
ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفي
التهمة والوعاء كل ما اذا وضع فيه شيء احاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى
اذا لم يبق الا اخوه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نترك حتى تنظر في رحله فنظر ثم استخرجها اي السقاية
او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه فاخذوا برقبته وحكموا برقيته ثم قال سبحانه كذلك اي مثل ذلك الكيد
العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه والكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان
من حيث لا يشعر به في امر مكروه لا سبيل الى دفعه وقد سبق فيما تقدم ان امثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على
النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد
يستعمل في الخير ايضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء فعلنا به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك لان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على
حبس اخيه بناء على دين الملك وحكمه ومعنى الا ان يشاء الله هو ان الله كاد له فاجرى على لسان اخوته ان جزاء السارق
هو الاسترقاق حتى توسل بذلك الى اخذ اخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الدينية
او الدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابرهيم على ما حكى عنه من دلائل التوحيد والبراءة من الهة
الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه رافع درجاته في علمه ثم
ان الطلق على الله تعالى انه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لانه لا عليم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم كما يقوله بعض
المعتزلة ان كان النص باقيا على عمومه وان قلنا ان الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه
في العلم وهو الله تعالى والميل الى هذا التفسير لان قوله ذو علم شيء يكون علمه زائدا على حقيقته ووصفه تعالى بعينه
وفي هذا البحث طول وفيما مر كفاية يروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء
واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت
هذا الصاع فقال بنو راحيل لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي
وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل عنوا به يوسف واختلف في تلك السرقة
فعن سعيد بن جبير ان جده ابا امه كان يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله ترك عبادتها

وقيل سرق عناقا من ابيه او دجاجة ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابرهيم عليه الصلوة والسلام منطقة يتوارثها
اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف الى ان شب فاراد يعقوب ان ينتزعه
منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت انه قد سرقها وكان في شرعهم
استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا فاسرها يوسف
قال الزجاج وغيره الضمير يعود الى الكلمة او الجملة كانه قيل فاسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم
شر مكانا والمعنى انه قال هذه الجملة على سبيل الخفية وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال ان هذا النوع من الاضمار على شريطة
التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائدا الى الاجابة اي اسر يوسف اجابتهم في ذلك الوقت الى وقت
آخر وقيل يعود الى المقالة او السرقة اي لم يبين يوسف ان تلك السرقة كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب
الذم والعار وعن ابن عباس انه قال عوقب يوسف ثلث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني
عند ربك وبقولهم فقد سرق اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شر مكانا شر منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم
من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب والله اعلم بما تصفون المراد انه يعلم اني لست بسارق في التحقيق ولا اخي والله
اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب ذما ام لا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب يهوذا وكان
اذا غضب وصاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه
فقال لبعض اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فمسه فذهب غضبه
وهم ان يصيح فركض يوسف رجله على الارض ليريه انه شديد وجذبه فسقط فعند ذلك قالوا يا ايها العزيز ان له
ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر فهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه استعبادا او رهنا حتى نبعث الفداء اليك
فلعل العفو او الفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نراك من المحسنين لو فعلت ذلك او من المحسنين الينا بانواع الاكرام
ورد البضاعة الى رحالنا او ما دوا الاحسان الى اهل مصر حيث اعتقهم بعدما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف
معاذ الله من ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد
الصواع في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما
استيأسوا منه حيث لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم
غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي نجوى والمراد انهم تناجوا في انفسهم لاستجماعهم لذلك وانفرادهم
فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جود ورجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض
كالعشير بمعنى العاشر وفيهم كان يناجيهم الجواب في تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان
اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والرأي
وهو يهوذا او قوله ما فرطتم اما ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم واما
ان يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره الظرف تقديره من قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه او النصب
عطفا على مفعول الم تعلموا كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل واما ان يكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في شان يوسف من الجناية والجناية ومحل الموصول الرفع او النصب على
الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف
او من آخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره من الاخوة ارجعوا
الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق قاله بناء على ما شاهده من استخراج الصواع من وعائه او اراد انه سرق في قول
الملك واصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك واعتقادك او المراد ان ابنك ما يشبه
السرقة واطلاق اسم احد الشبيهين على الآخر جائز او القوم ما كانوا حينئذ انبياء فلا يبعد منهم الكذب وعن ابن عباس
انه قرأ سُرِّق مشددا مبنيا للمفعول اي نسب الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال ومما يدل على انهم بنوا الامر على الظاهر
وما شهدنا الا بما علمنا اي بقدر ما تيقناه من رؤية الصواع في وعائه وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين فان الغيب
لا يعلمه الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل معناه لعل الصواع دس في صاعه بالليل من حيث لا نشعر او ما علمنا

انه سيسرق حين اعطيناك الموثق قاله المجاهد والحسن وقتاده اوما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو استرقاق السارق
اخذ اخونا بتلك الحيلة توثا بالغوافي ازالة التهمة فقالوا واسئل القرية التي كنا فيها والاكثرون على انها مصر وقيل قرية
على باب مصر وقع فيها التفتيش اي ارسل الى اهلها فاسلهم عن كنه القصة واسال اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكان قوما
من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعاء وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد ان
يحمل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد سئل القرية والعير والجدران والحيطان فانها
مجيبك بصحة ما ذكرنا وقيل ان الشي اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد
انه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا في تاكيد نفي التهمة قائلين وانا الصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك
يجري مجرى اثبات الشي بنفسه ولكن الانسان اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشي فقد يقول بعده انا صادق
فتامل فيما ذكرته ليزول عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فعند ذلك
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في اول السورة ولكن المفسرين زادوا شيئا اخر فقيل المراد انه
خيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل اراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير به الى مصر طلبا للمنفعة فعاد
من ذلك شر وضرر والحثثتم علي في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل اراد
فتواهم وتعليمهم والا فما ادري ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز على يعقوب
السعي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما وكان الملك
في ظن يعقوب كافرا فطال بلاؤه وعجنه على حسن الظن والرجاء انه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب او
لعله علم بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله
ان ياتيني بهم اي بالثلثة الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء التاويل
لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف القلب اوى القلب السر اليه لانه اخوه الحقيقي بالمناسبة
الروحانية فلا تبتئس اذا وصلت بي بما كانوا يعملون معك في مفارقتي لان السر بينهما كان مفارقا للقلب مقارنا
للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما جهز القلب الاوصاف بما يلايم احوالها جعل السقاية وهي شرابه
كان منها شربه في رحل اخيه لانهما رضيعا لبان واحد انكم لسارقون سرقتم في الاول يوسف القلب وشريتموه بثمن
بخس من متاع الدنيا وشهواتها وسرقتم في الاخر مشربة ليست من مشاربكم وفيه ان من ادعى الشرب من مشارب
الرجال وهو طفل بعد اخذ بالسرقة واستردت منه ولمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات
لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المقبولين على يوسف القلب لا نريد
الافساد في ارض الدنيا كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ اخذنا يوسف القلب
والقيناه في جب البشرية بل سعينا في ان ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها نحن اذ لا له جزاء من وجد
في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل شرب فدية ففدية الشارب من مشرب الدنيا صنعته وحرفته وكسبه
وفدية الشارب من مشرب الاخرة الدنيا وشهواتها وفدية الشارب من مشرب المحبة بذل الوجود كذلك
نجزي الظالمين الذين وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حريف الملك وشريبه كذلك كدنا
ليوسف اي كما كاد الاوصاف البشرية في الابتداء بيوسف القلب اذ القوه في جب البشرية كدنا بهم عند قسمة
الاقوات من خزانة الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات ياكلون كما تاكل الانعام وقسمة بنيامين السر مشربة
الملك وفوق كل ذي علم انا نياه علم الصعود عليم من يجذبه من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد
لا يصعد اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله الى الله وهذا صواع لا يسعه اوعية الانسانية ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الى ان السر والقلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية الروحانية
فانهما قابلان للاسترقاق من الشهوات الدنياوية والنفسانية لما رات الاوصاف البشرية عزة القلب و
عرفت اختصاص السر به ارادت ان تفدي نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فقالت فخذ احدنا مكانه
قال معاذ الله ان تقبل بالصحبة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي الا من

صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بعلة الجنسية فلما استياسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة للتناجي
قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم وهو الروح قد اخذ عليكم موثقا من الله يوم الميثاق الا تعبدوا الا الله فلن ابرح
ارض فناء القلب وهي الصدر والحاصل ان صفة العقل لما تخلصت عن الاوصاف البشرية خرجت عن اوامر النفس و
تصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لاحكام الحق ارجعوا الى ابيكم الروح على اقدام العبودية وتبديل الاخلاق
ان ابنك سرق لانه وجد في رحله شربة المحبة التي بها كمال الحب على وفق ما كنا للغيب عند ارتحالنا من الغيب الى
الشهادة حافظين لانه جعل السقاية في رحله في غيبتنا واسال اهل مصر الملكوت وارواح الانبياء والاولياء قال بل
سولت فيه ان النفس تزينات وللاوصاف البشرية خيالات يتاذى بها يعقوب الروح لكن عليه ان يصبر
على امضاء احكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله ان ياتيني فيه ان متولدات الروح عن القلب والاوصاف وغيرها وان
تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد للاستكمال فان الله بجذبات العناية يجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر
انه هو العليم بافتراقهم الحكيم بما في التفريق والجمع من الفوائد الله حسبي وكفى قوله تعالى

وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من
واعراض كرد از ايشان اى شدت حزن من بر يوسف و به بياض مايل شد حدقه دو چشم او از اندوه

الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى
كه سبب بكا بود پس او مملو بود از حزن گفتند سوگند بخداى هميشه باشى كه ياد كنى يوسف را تا كه باشى مشرف

تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكوا بثي وحزني
بر هلاك يا باشى از هلاك شدگان گفت در جواب ايشان بدرستى كه حديث غم مى كنم و اندوه خود

الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من
سوى خداى و ميدانم از قدرت خداى انچه نمى دانيد شما اى پسران من برويد پس تفحص نماييد خبر از

يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح
يوسف و برادر او و نا اميد مباشيد از فرج فرستادن خداى انچه

الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها
نگرويدگان بقدرت او پس انگاه كه در امدند بر او گفتند اى عزيز مصر

العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف
رسيد با و بخانواده ما شدت قحط و اورديم مال تجارتى مرغوب فيه پس تمام فرماى

لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال
براى ما پيمانه را و تفضل نماى بر ما بدرستى كه خداى پاداش ميدهد صدقه دهندگان را گفت هيچ

هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا
دانستيد قبح انچه كرديد با يوسف و با برادر او شما در جهالت جوانى بوديد گفتند اى پسر

قالوا أإنك لأنت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله
که تو هر اینه یوسفی گفت من یوسفم واین برادر من براد من بحقیقت انعام ازفرمود
علینا انه من یتق ویصبر فان الله لا یضیع اجر المحسنین قالوا
خدای برما بدرستی که هرکه پرهیزکاری نماید وشکیبایی کند بدرستی که خدای ناچیز نکند مزد نکوکارانرا گفتند
تالله لقد اثرك الله علینا وان كنا لخاطئین قال لا
سوگند بخدای بحقیقت برگزید خدای برما وبدرستی که کارانکه هستیم ازمعتمدان گفت هیچ عتاب
تثریب علیکم الیوم یغفر الله لكم وهو ارحم الراحمین
نیست برشما امروز امرزد خدای شمارا ومهربان ترین مهربانان است
اذهبوا بقمیصي هذا فالقوه علی وجه ابي یأت بصیرا واتوني
ببرید باخود پیراهن مرا پس ملاقی گردانید انرا بر روی پدر من تا کرد دانا بحال من واورید کسان شما
باهلكم اجمعین ولما فصلت العیر قال ابوهم انی لاجد
برمن همه اجمعین وانگاه که جدا شد کاروان ازمصر گفت پدر من بدرستی که ایشان که هر اینه
ریح یوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك
می یابم بوی یوسف اگر نه انستی که بضعف عقل نسبت کنید مرا بربدی گفتند بحق خدای که تو هر اینه درخطای دیرینه تو
القدیم فلما ان جاء البشیر القاه علی وجهه فارتد بصیرا
از دیدار یوسف پس چون امد مژده دهنده رسانید پیراهن را بر روی او پس گشت بینا
قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا
گفت نگفتم مر شمارا که بدرستی که من میدانم از قدرت خدای انچه نمی دانید شما گفتند ای
یا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئین قال
پدر ما امرزش خواه به گناهان مارا بدرستی که ما هستیم از گناه کاران گفت زود بود
سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحیم فلما
که امرزش خواهم از برای شما از پروردگار خود بدرستی که اوست امرزگار ومهربان پس انگاه
دخلوا علی یوسف اوی الیه ابویه وقال ادخلوا مصر
که بدرشدند بریوسف جای داد سوی خود پدر ومادر خود را وگفت درایید در شهر مصر اگر خواهد

ان شاء الله امنین ورفع ابویه علی العرش وخروا له سجدا
خدای حال انکه ایمن باشید ونشاند پدر ومادر خودرا برسر ملکت وبروی درامدند برای او
وقال یا ابت هذا تاویل رؤیای من قبل قد جعلها
سجده کنندگان وگفت ای پدر من این عاقبت کار خواب منست ازپیش بحقیقت گردانید انرا
ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم
پروردگار من درست وراست وبحقیقت نیکویی کرد با من چون بیرون اورد مرا از زندان واورد شمارا
من البدو من بعد ان نزغ الشیطان بیني وبین اخوتي
از بیابان ازان پس که وحشت بدید کرد دیو میان من وبرادر من بدرستی
ان ربي لطیف لما یشاء انه هو العلیم الحكیم رب قد
که پروردگار من تدبیر نیکو فرماینده است مرا مرانرا که خواهد بدرستی او داناست ودرست کار ای پروردگار من
اتیتني من الملك وعلمتني من تاویل الاحادیث فاطر السموات
بحقیقت دادی مرا از پادشاهی چیزی وآموزانیدی مرا از تعبیر احادیث خوابهای تو آفریننده آسمانها
والارض انت ولیي في الدنیا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحین
وزمین تو یی نعمت بخشنده مرا درین جهان وان جهان قبض روح فرما مرا حال انکه مسلمان باشم ودر رسان مرا بنیکان

القراءة مزجاة بالامالة حمزة وعلی وخلف حذف بفتح الیاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وقالوا انك علی الخبر او علی حذف حرف الاستفهام ابن كثیر ویزید ائنك بهمزتین عاصم وحمزة وعلی وخلف هشام یدخل بینهما مدة اینك بهمزة ثم یاء نافع غیر قالون وسهل ویعقوب غیر زید اینك بهمزة ممدودة ثم یاء ابو عمرو وزید وقالون من یتقی بالیاء في الحالین ابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون بغیر یاء اني اعلم بفتح الیاء ابو جعفر ونافع وابن كثیر وابو عمرو ربي انه بالفتح ایضا ابو جعفر ونافع وابو عمرو ربي اذ بالفتح ایضا عندهم اخوتي ان بفتح الیاء ایضا یزید و البخاري عن ورش وقالون غیر الحلواني الوقف كظیم الهالكین لا تعلمون ولا تیاسوا من روح الله الكافرون فتصدق علینا المتصدقین جاهلون لانت یوسف اخي لتعجیل الشكر مع اختلاف الجملتین علینا لاحتمال انه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول یوسف جاز الوقف ایضا لاتحاد القائل مع الابتداء بان المحسنین لخاطئین الیوم لاختلاف الجملتین اجمعین تفندون القدیم بصیرا لاحتمال ان یكون ما بعده جواب لما وقوله القاه حالا باضمار قد ما لا تعلمون خاطئین ربي الرحیم آمنین سجدا من قبل لتمام الجملة لفظا دون المعنی حقا لتمام بیان الجملة الاولی وابتداء جملة عظمی اخوتي لما یشاء الحكیم الاحادیث لحق حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والاخرة لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء الصالحین التفسیر لما سمع یعقوب ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا وتولی عنهم ای اعرض عن بنیه الذین جاؤا بالخبر وقال یا اسفی علی یوسف الاسف اشد الحزن والالف فیه من یاء الاضافة ونداء الاسف كنداء الویل وقد مر في المایدة والتجانس بین لفظي الاسف ویوسف لا

يخفي حسنه وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تأسف على يوسف دون اخيه والاخر الذي قام بمصر والرزء الاحدث
اشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان اصل تلك الرزايا فكان الاسف
عليه اسفا على الكل ولانه كان عالما بحياة الاخرين دون حياة يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي
كان سببه الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستعبار اوجب كدورة في سواد العين مائلة الى البياض فيكون منها العمى لاملام
الطبقات ولاسيما [illegible] وانصباب الفضول الرديئة اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص
يوسف وقال اخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا والمراد بالبياض عليه البكاء كان العين ابيضت من
بياض ذلك الماء روي انه لم يجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض
اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبرئيل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط ونقل ان جبرئيل
عليه السلام دخل على يوسف حين ما كان في السجن فقال ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يوسف يده
على راسه وقال ليت امي لم تلدني فلم يكن حزنا على ابي قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال
بعضهم الحزن بالضم لتسكين البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح وقد روى يونس عن ابي عمرو قال اذا كان في
موضع النصب فتحوا كقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر والرفع ضموا كقوله من الحزن
وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك
المبلغ فاجيب بان المنهي من الجزع هو الصياح والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونفثة المصدور
فلقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون ومما يدل على ان يعقوب عليه السلام امسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله
فهو كظيم فعيل بمعنى مفعول اي مملوء من الغيظ على اولاده من غير اظهار ما يسوءهم او مملوء من الحزن مع سد طريق نفثة
المصدور من كظم السقاء اذا شده على ملائه او بمعنى فاعل اي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل انه غرق ثلث
اعضاء شريفة منه في بحر المحنة فاللسان كان مشغولا بذكر يا اسفا والعين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان
مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العتاب يروى ان ملك الموت
دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك واشجو لشجوك
عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب
حين اصابه ما اصاب به لم تسترجع وانما قال يا اسفا وضعف هذه الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من
المحال ان لا يعرف امة من الامم ان الكل من الله وان الرجوع لا محالة اليه واقول هذا نوع من المكابرة فان منكري المبدا
والمعاد اكثر من حصاء الوادي على ان المراد منه لا اعطاء الارشاد الى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد اخبر
الصادق ان هذا مما اختصت هذه الامة به والله اعلم قالوا الاظهر انهم لبنوا اولادهم الذين تولى عنهم وانما هم جماعة
كانوا اتوا الدار من خدمه واولاد اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم الالتباس اذ لو كان اثباتا
لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة اي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه
جعل الفتو والفتور اخوين قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت لا يتكلم به الا مع الجحد حتى تكون حرضا وصف
بالمصدر للمبالغة والحرض فساد في الجسم والعقل للحزن والحب حتى لا يكون لا كالاحياء ولا كالاموات ارادوا انك تذكر
يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفي على الهلاك او تهلك فاجابهم بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال العلماء
اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا فالبث اصعب الهم الذي لا يصبر
عليه صاحبه فيبثه الى الناس يعني لا اتوجه الى احد بالحزن الشديد ولا الحزن القليل الا مع الله ملتجئا اليه وداعيا
له لا لخلقي وشكايتي وهذا مقام العارفين الصديقين كقوله نبينا صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك ويحتمل ان يكون
هذا معنى توليه عنهم اي تولى عنهم الى الله والشكاية اليه يحكى انه دخل على يعقوب رجل وقال له ضعف جسمك
ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي بي لكثرة غمومي فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق

فقال

فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك ان سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه
اوحي الى يعقوب انما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال
يعقوب في تلك الواقعة كانت مختلفة تارة كان مستغرقا في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف
فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همته بيوسف بغير اختيار
منه وكذا تاسفه عليه وما روي انه عوتب على ذلك فلان حسنات الابرار سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة
يعقوب امرا خارق العادة اراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادي اسفه وحزنه والا فمع غاية شهرته وشدة محبته
وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم لم يبعث يوسف اليه رسولا بعد تملكه وقدرته فلم زاد في
حزن ابيه بحبس اخيه عنده اما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجو ان
ياتيني الفرج من حيث لا احتسب وقيل انه راى ملك الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف
قال لا يا نبي الله فاشار الى جانب مصر وقال اطلبه هنا وقيل انه كان قد راى امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم
ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في اقواله وافعاله فظن انه ابنه او
علم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما اذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف وقيل اوحى الله تعالى اليه انه
سيلقى او سيلقى ابنه ولكنه ما عين الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا
فتحسسوا وهو طلب الشيء بالحاسة كالتسمع والتبصر ومثله التجسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب
الخبر في ضد الخير ولا تياسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد قال الاصمعي
الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما تهتز لوجوده وتلتذ به
فهو روح انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون لان هذا الياس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على
كل المقدورات او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم يفعل العبث وكل واحد من هذه العقائد
كفر فضلا عن جميعها اللهم اني لا اياس من روحك فافعل بي ما انت اهله ولا تفعل بي ما انا اهله ثم ههنا اضمار والتقدير
فقبلوا وصية ابيهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر
الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها من ازجيته
اذا دفعته قال سبحانه الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من
لغة العجم وقيل لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر
وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوف لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكان
دراهم مصر تنقش عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا فاعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين
وان يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد فاختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفين
بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا على الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون ارادوا بالتصدق التفضل
وقال اخرون بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة وبايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم
وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك لا يضيع عنده والصدقة
العطية التي يبتغى بها المثوبة عند الله ومن ثم كره العلماء ان يقال اللهم تصدق علي بل يجب
ان يقال اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني كان يعقوب امرهم بالتجسس من يوسف واخيه والمتجسس يجب عليه ان
يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شيء فبداوا بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة
فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من
يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله تعالى الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما
جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه

ملطخا بالدم وقالوا فاكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به
فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق فانك حبسته لذلك وانا اهل لانسرق ولا نلد سارقا فان رددت علي والا دعوت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك لم يمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب
اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقال هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم
من يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم
هذا وانما فعلهم باخيه تفريقهم اياه للغو بافراده عن اخيه لابيه وامه وايذائهم له بالاحتقار والامتهان وقوله اذ
انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في اول الصبى و
زمان الجهالة والعز انا الله الجهالة عنهم فان مطية الجهل الشباب وتضحالهم في الدين اي هل علمتم قبحه فتبتم لان
العلم بالقبح يدعوا الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يتشفى المغيظ وينفث
المصدور ويدرك ثاره الماثور وقيل انما نفى العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا انك لانت
يوسف عرفوا بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف المسلم من سنخ ابرهيم او تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ
المنظوم او دفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه يشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها قال انا يوسف
صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله اوصلني
الى اعظم المناصب انا ذلك الاخ الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا
يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مطلوبا كما كنت ثم صار منعما عليه من الله وذلك قوله قد من
الله علينا اي بكل خير دنيوي واخروي او بالجمع بعد التفرق انه ان الشان من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه
وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين اراد اجرهم فاكتفى من الربط بالعموم ومن قرا يتقي باثبات الياء فوجهه
ان يجعل من بمعنى الذي ويجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذفت الحركة للتخفيف
او المشاكلة وفي الاية دليل على براءة ساحة يوسف ونزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا
تالله لقد آثرك الله علينا اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وصورة الاحسنين
ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان احتج به بعضهم لان الانبياء متفاوتون في الدرجات تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض وان كنا وان شاننا انا كنا خاطئين قال ابو عبيدة خطئ واخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ
من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي الجبائي
انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا
من حيث انهم اخطاوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان الذئب لم ياكله واعترض عليه
فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا
فالظاهر انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا
بفضله عليهم ويكونهم متعمدين للاثم قال يوسف لا تثريب لا تانيب ولا توبيخ وقيل لا اذكر لكم ذنبكم وقيل
لا مجازاة لكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه من الثرب وهو الشحم الذي هو
غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب منه
الثرب كان في غاية الهزال والعجف فضرب مثلا للتقريع المذنب المضني وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب
بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدا فدعا لهم بمغفرة
ما فرط منهم ليكون عقاب التائبين من الاثم واصل الدعاء ان يقع على لفظ المستقبل فاذا وقع بلفظ الماضي فذلك
للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون فيه بشارة بعاجل غفران الله لتجدد توبتهم وحدوثها في ذلك
اليوم روي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط
منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخذ يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا
اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى
الشباب اسهل منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم
ولما عرفهم يوسف نفسه سالهم عن ابيه فقالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا
كفى لك جاء البنا عجبا ومثله فارتد بصيرا او المراد يات الي وهو بصير دليل قوله واتوني باهلكم اجمعين قيل هو القميص
المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة اوحي اليه ان فيه عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله
علم ان اباه ما كان اعمى وانما كان صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه صار منشرح الصدر فتقوى روحه
وزال ضعفه روي ان يهوذا احمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حاف حاسر
من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف
مصر وهم ثلثة وتسعون بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم نحو من ستمائة الف ولما فصلت العير خرجت
من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وفصل مني اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان
مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد بحاسة الشم ريح يوسف قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت
رائحة الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان
الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرج من مسيرة ثمان ومنع من وصول خبره
اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك
يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فانه في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جواب
محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا
يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات راي فتفند في الكبر قالوا يعني الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي فيما كنت فيه
قديما من البعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما تكابد
على يوسف من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء ان صلة اي فلما
جاء مثل فلما ذهب عن ابراهيم الروع وقيل هي مع الفعل في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهوذا القاه
طرحه البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا انقلب من العمى الى البصر او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم قوله
في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله ويكون قوله اني
اعلم كلاما مستانفا والظاهر ان مفعوله قوله اني اعلم ما لا تعلمون وذلك انه كان قال لهم انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم
من الله ما لا تعلمون يروى انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين
الاسلام قال الان تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان
يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى الاوقات اجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة
وقيل اخر ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال وعدهم دوام الاستغفار في الاستقبال فقد
روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة روي انه قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه
وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم
اجمعين وروي انهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت
لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة
حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة
واختلاف الناس في نبوتهم مشهور يحكى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف
والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي ويتوكا على يهوذا فنظر الى
الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان
فاجابه يوسف وقال يا ابه بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك

فقال بني وبينك وسعى آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت امه باقية الى ذلك الوقت او ماتت الا
ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها لتحقيق الرؤيا ليوسف وقيل المراد بابويه ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس باخيه
بنيامين حتى قيل ان بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماه الله تعالى احد الابوين لان الرابة تدعى
اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب فكيف وقد اجتمع ههنا الامر قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم
مصر كانه حين استقبلهم نزل لاجلهم في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى هذا جاز ان
يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصر اي اقيموا بها وقوله ان شاء الله آمنين تعلق بالدخول المكيف بالامن
وكانه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم واقامتكم ان شاء الله وجواب الشرط بالحقيقة محذوف ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله
دخلتم آمنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر واراد
الامن من القحط والشدة او من تعييرهم ايام بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه وخروا له
سجدا السائل ان يقول السجود لغير الله فكيف سجدوا ليوسف وايضا تعظيم الابوين تالي تعظيم الله سبحانه فمن اين جاز سجدة ابويه
له والجواب عن ابن عباس في رواية عطاء المراد خروا لاجل وجدانه سجدا لله فكانت سجدة لله سبحانه ومن وكذا التاويل
في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اي انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال
انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه او يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان
من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور تاباه واجيب بان الخرور
قد يعنى به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا وقيل الضمير عائد الى الاخوة فقط ورد بان قوله هذا تاويل
رؤياي من قبل يدفعه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا فيحتمل ان يكون السجدة في حق الاخوة التواضع التام
وفي حق ابويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم للولد وقيل انما سجد الاخوان لئلا يحمل الانفة اخوته على عدم
السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن او لعله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها
الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف مواضعة لامر الله ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما رأى سجودهم له اقشعر
جلده ولكن لم يقل شيئا وكان الامر بتلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله اعلم وقد احسن بي يقال احسن به
واليه بمعنى اذ اخرجني من السجن لم يذكر اخراجه من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن
نعمة لانه حينئذ صار عبدا وصار يبتلى بالمراة ولان هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم من البدو اي من البادية
سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواش ينتقلون في المياه
والصحاري قال ابن الانباري بدا موضع معروف هنالك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان تحول اليه وسكن فيه و
منه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر والبدو قصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى
جاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف الاحسان
الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء فيه دليل على ان الخير من الله دون الشر واجيب بان هذا رعاية
الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة واما صرف الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا
يريد ضر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر هيا اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه
هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب الحكيم في افعاله حتى يجيء على وجه الاصوب ونحو الاصلح يحكى ان يوسف
اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق فالذهب وخزائن الحلي والثياب والسلاح ونحو ذلك
فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل
قال اوما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك فاخاف ان ياكله الذئب قال فهلا
خفتني ثم ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه
ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له قال رب قد آتيتني
من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك مصر لانه كان دون ملك فوقه وعلمتني من تاويل الاحاديث بعضا من ذلك
لانه لا يمكن ان يحصل للانسان في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحدود سوى المتناهي من السعادات الدنيوية

والكمالات

والكمالات الاخروية فاطر السموات والارض منادى ثان او صفة للنداء الاول اي مبدعهما على النحو الافضل من مادة سابقة
كالدخان او من عدم محض انت وليي في الدنيا والاخرة لا يتولى اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولما قدم الثناء والدعاء كما هو شرط
الادب الحسن ذكر المسألة فقال توفني مسلما اراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم
مسلمون والحقني بالصالحين من آبائي على العموم قيل الصلاح اول درجات الصالحين فالواصل الى الغاية وهي النبوة كيف يليق
به ان يطلب البداية والجواب ان اراد الالحاق بالآباء فظاهر وان اراد العموم كذلك فكذلك لان طلب الصلاح غير
والالحاق باهل الصلاح غير فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له امر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة
التي يتعاكس اضواؤها ويتكامل انوارها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين
وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفي على الاسلام والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله
جاريا مجرى قول القائل افعل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول
للمكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائي والكعبي بان المراد الطف بي بالاقامة على الاسلام الى ان اموت فالحقني
بالصلحاء ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله في حق الكل سؤال اخر الانبياء يعلمون
انهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة في الطلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي ولا سيما في مقام الخشية
والرهبة قال في التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضى
بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين انه تمنى الموت واللحوق بدار البقاء في زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده
قال اهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله ان يعظم رغبته في الموت لوجوه منها ان مراتب الموجودات
ثلث المؤثر الذي لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذي وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات
المختلفة والاعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من العالم الالهي ثم اذا اقبلت
على عالم الاجسام تصرفت فيه واثرت وللنفوس في التاثير والتاثر مراتب غير متناهية لان تاثيرها بحسب تاثرها مما
فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا ينفك النفس من نقصان ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وقد ذاق لذة
الكمال بقي في القلق والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الا الموت فحينئذ يتمنى الموت ومنها ان سعادات
الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عن وجدانها ثم
انها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الاراذل اكثر فلا
جرم يتمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع
ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان الماكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا
شك انه شيء منفر ثم كما يصل الى المعدة يستحيل الى ما ذكر منفر يكيف به ومن هنا قالت العقلاء من كانت همته
ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة
نقص وآفة وكذا الكلام في لذة النكاح وعيوبها مع ان فيه احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزم منهما
والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي الانتجاع ولذة الرياسة ادنى عيوبها ان كل واحد يكره
بالطبع ان يكون خادما مامورا ويحب ان يكون مخدوما آمرا فيبغي الانسان في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه و
لا ريب ان هذا امر صعب الحصول منيع المرام واذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين واوان لان كثرة الاسباب
توجب قوة حصول الاثر فيكون دائما في الخوف بحر الآفات وعثرات الحسرات فحينئذ يتمنى زوال هذه الحيوة
وقد سبق منا في تمني الموت كلام آخر في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال
اهل السير لما توفي يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من
الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه
شرعا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم بقي يوسف هنالك الى ان بعث الله موسى
فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقائق الامور **التاويل** ان يعقوب الروح لا يتأسف
على فوات شيء من المخلوقات الاعلى يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق ولا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه في انتظار

ولامة على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف وان اهل السلوة من اهل العشق ان الحلي من التجي ولابد للمحب
من ملامة الخلق فاول ملامتي ادم عليه السلام حين قالت الملائكة لاجله اتجعل فيها من يفسد فيها بل اول ملامتي هو الله
تعالى حين قالوا له اتجعل فيها وذلك انه اول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله من جاله وكاله اذهبوا فتحسسوا
فيه ان الواجب على كل مسلم ان يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وان ترك طلب الله والياس عن وجدانه كفر فلما رات
الاوصاف البشرية آثار العزة من رب العزة على صفحات احوال يوسف القلب حين وصلوا بتيسير احكام الشريعة و
تدبير آداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها مسنا واهلنا وهم القوى الانسانية ضر البعاد عن الحضرة
الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجال العوارف واسباغ ظلال العواطف اذ
انتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد آثرك الله علينا بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصول و
الوصال وان كنا لخاطئين في الاشتغال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التي تضر القلب والسر والروح لا تثريب عليكم
اليوم لانه صدر منها ماصدر بحكمة الله تعالى وتربية القلب وان كان مضرا لظاهر كما ان صنيع اخوة يوسف في البداية
صار سببا لرفعة منزلته في النهاية اذهبوا بقميصي وهو نور جمال الله ولما فصلت عير واردات القلب وهبت نفحات
الطاف الحق انك لفي ضلالك القديم شعر ياعاذل العاشقين دع فئة اضلها الله كيف ترشدها فارتد بصيرا
لان الروح كان بصيرا في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب
ودد البشير بها اقر الاعينا وشفى النفوس فنلن غايات المنى فالقلب في بدو الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال
فلما كمل وصلح لقبول فيضان الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القربة في النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستنارة
بانوار الحق وذلك ان القلب بمثابة المصباح في قبول نار النور الالهي والروح كالزيت يحتاج المصباح في البداية
الى الزيت في قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتدكيته في النهاية ليقبل بواسطته النار ادخلوا مصر
ان شاء الله لا يصل الى الحضرة الاحدية الاحدية المشية آمنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجدا لما رأوه
ورفع انه عرش الحق تعالى فالسجدة في الحقيقة لرب العرش لا للعرش هذا تاويل رؤياي من قبل اذ كنت نايما في نوم
العدم اذ اخرجني من السجن سجن الوجود ولم يقل من الجب لانه لا يخرج من جب البشرية مادام في الدنيا من البدو وبدو الطبيعة آتيتني
من الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية توفني مسلما اخرجني من قيد الوجود المجازي وابقني بقائك

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا

انچه قصه کردیم از خبرها نهانی وحی می فرستیم سوی تو ونبودی تو نزد ایشان چون عزم کردند بر

امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت

کار ایشان که هلاک یوسف بود وایشان حیله می کردند ونه اند بیشتر مردان واگرچه حرص نمایی

بمؤمنين وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر

ایمان آورندگان ونمیخواهی از ایشان بر رسانیدن ایشان هیچ مزدی نیست این قرآن مگر موعظتی

للعالمين وكاين من آية في السموات والارض يمرون

مر جهانیان را وچندان دلیلی بر وحدانیت خدای در آسمانها وزمین که میگذرند

عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم

بران وایشان از اعتبار بران اعراض کننده اند وایمان نمی آورند بیشتر ایشان بخدای مگر که ایشان

مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او

شریک گرداننده اورا ای پس ایمن شدند که آید بایشان آینده است از عذاب خدای یا

تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا

آید بدیشان قیامت ناگهان وایشان ندانند بگوی این دین منست میخوانم خلق را

الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من

بتوحید خدای بر حجتی واضح اند من وانکه متابعت نمود مرا ومنزه میدانم خدارا از انچه نشاید ونه ام

المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى

از اهل شرک ونه فرستادیم پیش از تو مگر مردانی را نه ملایکه را که وحی فرستاده

اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا

می شد سوی ایشان ای پس نرفتند در زمین تا بنگرند بدیده اعتبار

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة

که چگونه بود خاتمت کار انان که پیش ازین بودند وهرآینه سرای ساعت

خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل

بازپس مر انرا که پرهیزکاری نمودند ای پس عقل ندارند تا چون نا امید میشدند پیغمبران

وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا

وگمان می بردند که ایشان بحقیقت دروغ گفته اند می آید بایشان نصرت ما پس نجات دادیم انکس را که میخواهیم

يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة

وباز گردانیده نمی شد از گروه گناه کاران بحقیقت در اخبار در اخباران رسل اعتباری

لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق

مر خداوندان خردها را نبود قرآن سخنی که بنی انرا از خود گفته باشند ولیکن بسبب باور داشتن

الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

انست که پیش ازان بوده از کتب سماوی وبیان هر خبری از امور دین وراه نمائی وبخشایش از عذاب برای گروهی که ایمان آورده اند

القراءة سبيلي بفتح الياء ابو جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على
الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وابن كثير والاعشى والبرجمي الباقون بتاء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة

وعلي وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجي بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر وسهل ويعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائي مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطاه علي بن عيسى بناء على انه فعل مستقبل من الانجاء و النون لا يدغم في الجيم اونه النجية والنون المتحركة لا يدغم في الساكن واقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية كما في القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم منه خطاء الاخرون قرا فننجي بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء على حكاية الحال الماضية الوقوف اليك لاشتداء النفي مع واو العطف يمكرون بمؤمنين اجر للعالمين معرضون مشركون لا يشعرون ومن اتبعني المشركين القرى من قبلهم اتقوا تعقلون نصرنا لمن قرا فننجي بالتخفيف ولا وقف على من نشاء ومن قرا فنجي مشددة وصله بما قبله ووقف على من نشاء المجرمين الالباب يؤمنون التفسير ذلك الذي ذكر من نبا يوسف هو من اخبار الغيب وقد مر تفسير مثل هذا في آخر قصة زكريا في سورة آل عمران يعني اجماع الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح اراد عزمهم على القاء يوسف في البئر وهو المكر بعينه او ذلك مع سائر الغوائل من المجئ على قميصه بدم كذب ومن شراهم اياه بثمن بخس قال اهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا ذكرها فربما آمنوا فلما ذكرها لهم اصروا على كفرهم فنزل وما اكثر الناس اي اكثر الناس خلق الله المكلفين او اكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جواب مثل ما تقدم اي ولو حرصت فما هم بمؤمنين والحرص طلب الشئ باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الآية قوله انك لا تهدي من احببت وما تسئلهم عليه على ما تحدثهم به من اجر كما يسئل القاص ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من آية الاكثرون على انه لفظ مركب من كاف التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن الكاف لا عن اي كما في مثلك رجلا والاكثر ادخال من في تمييزه وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض وفي مواضع آخر تفصيل بعض الآيات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الآيات قصص الاولين واحوال الاقدمين ومعنى يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء خبره يمرون والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن الغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا مقرين بالاله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا في العبودية هم الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون بخلقه احتجت الكرامية بالآية على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار والجواب عن مجرد الاقرار لو كان كافيا لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم قل يا محمد لهم هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان سبيلي وسيرتي وقوله ادعوا الى الله تفسير لسبيله وعلى بصيرة يتعلق بادعوا وانا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعوا عاملة في انا ومن اتبعني ويجوز ان يكون انا ابتداء معطوفا عليه ومن اتبعني وعلى بصيرة خبر اسند ما يكون ابتداء اخبار بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشهي وقل سبحان الله تنزيها له عما اشركوا وما انا من المشركين لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال وما ارسلنا من قبلك وفي الانبياء قبلك بغير من لان قبل اسم للزمان السابق على ما اضيف اليه ومن يفيد استيعاب الطرفين وفي هذه السورة اريد الاستيعاب قوله الا رجالا رد على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون ملكا او يمكن ان يكون امراة مثل سجاح المتنبئة وقوله من اهل القرى خصهم بالاستنباء لما في اهل البادية من الغلظ والجفاء فبما رحمة من الله لنت لهم قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصاله بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء انسب من الواو ولدار الآخرة موصوفة محذوفة اي ولدار الساعة او الحال الآخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة وبيان الخيرية قد مر في الانعام وانما اختصت ههنا بالحذف ولتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام والتقدير من غير تخصيص لتلك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر او عن ايمان القوم وظنوا انهم

قد كذبوا

قد كذبوا فيه وجوه لقراءتي التخفيف والتشديد ولامكان عود الضمير في التعليق الى الرسل والى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل او السابق ذكرهم في افلم يسيروا اما وجوه التخفيف فمنها وظن الرسل انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذب رجاؤهم لقولهم رجاء وصادق وكاذب والمراد ان مدت التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت وحتى توهموا ان لا نصر لهم في الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا الا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسوسة وحديث النفس من عالم البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجائزين على الآخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله بان ميعاده مبرا عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر ومنها وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستيصال او كذبوهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسول ان الذين آمنوا بهم كذبوهم وهذا تاويل عايشة قالت ما وعد الله محمدا شيئا الا وعلم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من ان يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم لقد كان في قصصهم قصص الرسل اضافة للمصدر الى الفاعل ويحسن ان يقال الضمير لاخوة يوسف وله لاختصاص هذه السورة بهم والعبرة نوع من الاعتبار وهي العبور من الطرف المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى فان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا العباد لم يراعوا حق الله في شئ من ذلك ماتوا وانقرضوا وبقي الوزر والوبال عليهم وللخصوص ان الذي قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب واعلاء شانه بعد حبسه في السجن واجتماعه باهله بعد طول البعاد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشترك في الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع من القصص الذي اعجز جملة الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على انه بطريق الوحي والتنزيل وانما يكون دليلا واعتبارا لاولي الالباب واصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل دليل في نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل قط كما ان الرئيس الحقيقي من له اهلية الرياسة وان كان في نهاية الخمول ما كان مدلول القصص وهو المقصوص والقران حديثا يفترى لظهور اعجازه ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شئ يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس وقيل تفصيل كل شئ من واقعة يوسف مع ابيه واخوته قال الواحدي وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليهما وهدى في الدنيا ورحمة في الآخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك من ابناء الغيب لان هذا الترتيب في السلوك لا يعلمه الا الوالجون ملكوت السماء الغواصون في بحر بطن القران وما كنت لديهم الصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما نالهم عليه من اجر لان اللاهوتية غير محتاجة الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها وكاين من آية في سموات القلوب وارض النفوس من الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لاقبالها على الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفاتها الا وهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها او طلب الآخرة ونعيمها او وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون برؤية الايمان والطلب منهم لا من الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهو موحد كل شئ هالك في نظر الموحد الا وجهه او وما يؤمن اكثر الناس بالله وبقدرته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غير الله غاشية جذبة بقهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله او تاتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مختص وبامته الا رجالا من اهل قرى الملكوت دون مدن الملك والاجساد والارواح من القرى ويشبه ان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى اقل اجزاء من المدن افلم يسيروا في ارض البشرية على قدمي الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا انهم قد كذبوا في بطء النصر ابتلاء للرسل الله حسبي وكفى حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير